

الحياة والكفاح

هنالك صلة واضحة في الحياة الاجتماعية بين معنى الحياة المليئة الفزيرة وبين الكفاح فيها والنضال ، فنحن نرى باعيننا ان الذين يبذلون جهدا كبيرا في معترك الحياة يفوزون منها بنصيب اوفى مما يفوز به غيرهم . وتلك قاعدة عامة ، غير ان للقضية وجهاً آخر .

فالذين يفوزون بالخلود في هذه الحياة يبذلون الجهد مكافحين مناضلين . ويمتد هذا الكفاح في حياتهم زمنا طويلا يبدأ في حياتهم المبكرة وينتهي بانتهاء حياة مديدة . ويقتصر هذا الكفاح الذي لا بد منه بذكاء خارق يمتد ببصره الى قابل الايام فتكون نتيجة الجهد والكفاح تطورا خلاقا ينقل الناس الذين اثرت فيهم حياة الرجل الخالد من طور الى طور افضل ، ومن وضع الى وضع ارقى . وقد لا تمتد حياة الرجل الخالد الخلاق زمنا طويلا ، لكن حياته تظل متصفة بالكفاح والذكاء .

ويبدو ان هنالك ارتباطا عضويا بين حركة الرجل المكافح وكيانه . لكن خلايا الجسم والعقل ذات تفاعل داخلي مختلف او هو اقوى واسرع منه في الاحوال العادية . ومن هنا يتصف الرجل المكافح بالدأب والاستمرار والنظر الى امام . ومما تجدر ملاحظته هو ان حياة الكفاح والنضال هذه ذات اثر اجتماعي، ولكن قاعدتها عضوية مادية . فالذكاء وليد الجهاز العصبي الخاص ، والنشاط وليد التركيب الخلوي الفعال .

وكما تطور الاساس العضوي للحياة تومنا مستوى اعلى من الكفاح والذكاء . (وقد نستطيع ان نقصّر كلامنا على الكفاح الخلاق وحده ، فانه لا يتم ولا يثمر دون ذكاء) . وفي الحياة العضوية كما هو معلوم يتم التطور بالتغيرات البطيئة المستمرة التي تولد مع الزمن الطويل انواعا جديدة من الحياة الارقى ، على قاعدة دارون ، ولكن التغيرات المفاجئة mutations في هذا السبيل اكثر فائدة في الارجح من التغيرات البطيئة واشد اثرا في خلق انواع جديدة ارقى .

والرجل العظيم المكافح وليد هذه العملية بشكل او بآخر ، فهو يستفيد من كيانه العضوي وذكاؤه الفطري في ادراك حاجة التطور الاجتماعي ، فيعمد الى اداء هذه الحاجة على صورة تولد في ذاتها مزيدا من الذكاء الكسبي وقدرا كبيرا من الخلق والابداع . والرجل العظيم المكافح لا يكتفي بتأنيته وتأنى الى خبرته وتستسلم لقيادته . فنحن اشد ايمانا بالرجل الذي صهرته الحياة فاحتمل صهرها وخرج منها صافيا تقيا . ونحن ننحني للرجل الذي جاع وعري ويات في كهف وارتقى قمة جبل ومشى في الظلام خائفا يترقب ، ثم هوى الى القاع متحطما متألما ثم نهض نافضا عن نفسه غبار الفشل ، مستأنفا السير الجديد بشم ومثابرة وعناد ، حتى بلغ قمة النصر والنجاح .

ولقد نرى في اقوال المفكرين والادباء المهمة ما يشير الى قولنا هذا في تعبير ادبي جميل يبعث الايمان والثقة . فقد قال احد الكتاب الغربيين « اذا اردت ان تحيا فعش في خطر » . وقال احد رواد القرن الماضي ممن كانوا يتسلقون قمم الجبال العالية ، مثل قمة افرست : « الحياة افضل ما تكون عندما تجازف بالحياة » . وكما ان التغيرات البيولوجية المفاجئة تقع نادرا فتتقفر بها الحياة من طور الى طور ، فان فلتات العظيمة نادرة كذلك . ولعل الصلة بينهما قائمة كما اشارنا .

وكما ان معظم حياة الاحياء تنقضي في اعادة الماضي والثبات على الشكل القائم ، فان معظم افراد المجتمع عاديون لا يتكفون ، ولا يستطيعون ان يتكفوا ، عناء التغيير والتطوير والتقدم . فالانسان العادي يلتزم حياة لا كفاح فيها ولا نضال ، بلذ له جانب الراحة والدعة ، ويستمرىء الاخلاص الى السكينة والهدوء . لكن السعادة في هذه الحالة الغالبة متباعدة من اكتفاء خلايا الجسم والعصب وامتلأها ودفنها وراحتها . على ان حدا ادنى من معاركة الحياة من الناحيتين العقلية والبدنية ضروري فيما يبدو ، مهما كان الانسان عاديا ، للحفاظ على صحة العقل العادية والبدن ، والا انحدر مظهر الذكاء وتضائل حظ البدن من قدرهما المحدد من طول الحياة .

لكن للكفاح بمعناه الكامل طريقا اخر اكثر اقتضاء للذكاء والتضحية والفائدة والخلود .

قضية المصطلحات العلمية والفنية

بقلم ضاحي عبد الباقي

ماجستير في الدراسات اللغوية

للغة المقام الاول في صهر الامة في بوتقة واحدة ، وصوغها في قالب متجانس ، اذ هي اداة التفاهم بين الافراد وواسطة نقل الافكار بينهم واللغة من حيث هي مجموع الفاظ تدل على اغراض لا يمكنها ان تبلغ الغاية المنشودة ما لم يكن فيها الفاظ وافية كافية للدلالة على كل ما تلسمه في الحياة او يطرق بالنا من معان . وكل لغة نموق الذين ينطقون بها عن تبيان مقصدهم لنقص فيها ، تعد لغة فقيرة وبعد هذا تقصيرا من علمائها ، ذلك لانه لا يكفي ان يكون الشيء موجودا بذاته فقط ، بل يجب ان يكون له اسم ليستطيع الناس ان يفهم بعضهم افكار البعض ، وتستطيع الاجيال المتأخرة الاستفادة من الاجيال السابقة . ولما كانت المصطلحات جزءا من اللغة تخزن بين طبائها العلوم والفنون التي يتركها المتقدم للمتأخر ، كان لقضيها خطورة كبرى ووجب الاهتمام بها .

نظرة تاريخية : كان للرب في المصطلحات ، الا انها كانت قليلة نظرا لقلة نصيبهم من العلوم والحضارة . ثم جاء الاسلام وحدث ثورة في الحياة العلمية ، وتقدم بالعرب تقدما كبيرا كان له اثره الواضح من الناحيتين العلمية والحضارية . واجتهد المسلمون خدمة لدينهم او لقوميتهم في خلق علوم جديدة . ثم رغب العرب بعد ذلك في نقل تراث الامم الاخرى فكانت نهضة كبرى ، واستتبع ذلك ظهور مصطلحات بعضها عربي المنبت كمصطلحات العلوم العربية ، والاخر ولد في الخارج ثم دخل البيئة العربية وفيها تربى ، واعني بذلك معظم مصطلحات العلوم الدخيلة . وقد تعددت المصطلحات في اول الامر ، فكان للمدلول الواحد اكثر من اسم ثم توحدت اخيرا واكتفى بمصطلح واحد للسماى الواحد ، وكان ذلك بصفة خاصة في مصطلحات العلوم العربية . ثم اصيب العالم العربي بركود علمي ، وبقدم الغرب ، وجاء العصر الحديث فذهمتنا هذه المصطلحات فجاء على اثر النهضة التي حدثت في القرن الماضي في مصر والشام ، والتي كان العرب فيها ظماى لنقل كل علوم الغرب ، فدخلت اليك الاف المصطلحات بصورتها الاعجمية لان الزمن لم يكن يسمح لاجداد مقابل لكل لفظ دخيل .

ثم يصاب هذا العالم العربي في اواخر القرن الماضي

بنكسة من جراء وضعه السياسي الاليم حيث الاستعمار يسيطر على كل ارضه ، ومن جراء عدم الاعتراف بلغته القومية ، اذ يلغى تدريس العلوم الحديثة بها في مصر والشام ، فيحدث رد فعل ويجارب الجميع صوره ومنه المصطلحات المعربة (اي التي دخلت العربية بصيغتها الاعجمية) وينادي الفيورون بأعلى اصواتهم ان حافظوا على لغتكم اساس قوميتكم وطهورها من كل دخيل وحاولوا انماها بقاءه ثبت في ارض الوطن ولم تنبث ارض الغاصب المعتدي . وتتوالى الصرخات هنا وهناك تطالب بضرورة تكوين حياة لغوية يوكل اليها امر هذه اللغة وتكون صاحبة الحق في الزيادة فيها وتنشأ مجامع هنا وهناك ، الا انها ما تلبث ان تجتمع حتى تنفص ، ومع ذلك فقد اخذ بعض الافراد بجاهدون في سبيل خدمة مصطلحاتهم . واخيرا في سنة ١٩٣٢ تنشأ هيئة لغوية يوكل اليها هذه المهمة . ويقوم هذا الجمع بما اوكل اليه قدر طاقته . وبشاركه في القيام بهذه المهمة في الوطن العربي كله افراد وجماعات يسرون على الخطة التي رسمها ويستعينون بمصطلحاته التي وضعها ، ويعرضون عليه في كثير من الاحيان اعمالهم ليقول فيها كلمته . لكن المصطلحات التي امانا الان اضعاف ما عولج . وبجانب ذلك فان القضية لم تقتصر على وضع المصطلحات ، بل تعدتها الى تعدد المصطلحات للمدلول الواحد ، فكان ان ظهرت دعوات تنادي بضرورة توحيد المصطلحات . ومن اجل ذلك عقدت عدة مؤتمرات مثل المؤتمر العلمي العاشر الذي عقد في بغداد سنة ١٩٣٨ والمؤتمرات الثلاثة للبيئة العربية الا ان المشكلة لم تحل بعد . قضية المصطلحات الان اذن ذات شقين :

الاول - متابعة التقدم العلمي السريع ووضع مصطلحات لمجاوبة هذا التقدم وتحقيق المصطلحات التي وضعها السابقون .

الثاني - توحيد المصطلحات بحيث لا يكون للمصطلح الاجنبي الواحد سوى مقابل عربي واحد يتداول استعماله في كل انحاء الامة العربية .

وهذه خطة ارى انها سبيل لحل هذه القضية بثقيا :
١ - بتكفي بجهة واحدة يخرج منها المصطلح العربي ، ونحن لا نمانع في تعدد جهات الوضع ، لكننا نرى ان يمر المصطلح في دوره الاخير على هيئة واحدة هي التي تقرر الاقرار النهائي ، وليتولى ذلك مجمع اللغة العربية باعتباره المجمع الوحيد الذي اقتصر على اللغة وانه يمثل البلاد العربية كلها ، وان الناس جميعا سلموا له بهذه المهمة . ولتنظيم العمل ينشر المجمع المصطلحات عقب اقرارها في مجموعة - كما يفعل الان - ويضيف اليها انها مقترحة ، كي يتلقى رأي المعنيين بها ، ويعيد النظر في المقترش عليه منها على ضوء الملاحظات التي تبدى عليه ، ثم يقره على انه نهائي ، وانه صار جزءا من

اللغة الفصحى لا تغيير فيه ولا تبديل بعد ذلك ، حتى ولو تبين انه غير دقيق ، اذ لا مشاحة في ان الاصطلاح لا يعني تسمية جامعة مانعة للمسمى . فكم من مصطلحات في اللغات الافرنجية لا تدل على المعنى دلالة تامة دقيقة ، مثال ذلك Zoot (حيوان) لم يتأكد العلماء في بادى الامر انه حيوان فأطلقوا عليه هذا الاسم (وهو مكون من Zoo اي حيوان و old بمعنى شيه فمعنى اللفظ اذن الشبيه بالحيوان) ثم ظهر بعد ذلك انه حيوان ، ومع ذلك لم نجدهم يجرؤن على المصطلح تعديلا . بل كم في العربية من الفاظ تدل على المنعنى وتقضيه مثال ذلك : الناهل (العطشان والذي شرب حتى روي) ، البك (التفريق والازدحام) ، البئر (الكثير والقليل) .

هذا وارى ان تكون قرارات هذا المجمع الزامية يراعيا الاسايد في ترجماتهم ومؤلفاتهم .

٢ - يكتفي هذا المجمع بلفظ واحد مقابل المصطلح الاجنبي الواحد ولا مانع من ان يكون ذلك في الطبعة النهائية لمجموعة المصطلحات .

٣ - تكوين لجنة في هذا المجمع لتابعة كل جديد من الفاظ الحضارة لتعرضه على اللجنة المختصة ، لتتولى دراسته ، ويعطى الاولوية في الدراسة حتى اذا ما قال المجمع فيه كلمته نشر في الصحف . واعتقد انه سيلقى قبولا حسنا ، فالتاس دائما مولعون بتقليد الخاصة ، وسيكون ذلك اوقع اذا علموا انه صادر عن الخاصة الذين لهم في النفوس مكانة عليية . واعتقد اننا بهذا نستطيع ان نحل مشكلة المصطلحات وهي الشق الثاني من هذه القضية .

اما رايي في الوسائل التي اقترحت لحل مشكلة المصطلحات (الشق الاول من القضية) فهو :

١ - التنقيب عن مصطلح استعمل قديما للدلالة على المعنى المراد ترجمته اذا كان يدل عليه دلالة تامة ، لان المصطلحات التي تواجهنا الان ليست كلها من انتاج العصر الحديث ، بل ان منها ما هو قديم وواجه العرب في الماضي . ولما كان لكثير من المصطلحات التي من هذا النوع اكثر من لفظ ، ارى ان يبدأ المجمع بتفريغ المصطلحات الموجودة في الكتب ويضع لكل منها المقابل الافرنجي ، ويعمل من ذلك معجما لكل علم على نسق معجم اسماء النبات للدكتور احمد عيسى ، يشمل مصطلحات هذا العلم منذ ان عالجها العرب حتى الان ، ثم تنخل هذه المصطلحات ويكتفى بواحد منها فقط . وكان مجمع اللغة العربية قد اصدر عدة قرارات بشأن جمع المصطلحات القديمة في معاجم خاصة ، لكن شيئا من ذلك لم يتم .

٢ - الاستعانة باوضاع العامة : لم ينتظر العامة المجمع اللغوي كي يسمي لهم الاسماء التي هم في حاجة اليها ،

بل سموها بمجرد ان راوها ، وكانت تسميتهم اما عربية بطريق المجاز او الاشتقاق ، واما بطريق التعريب . الا ان في اوضاعهم بعض التحريف رغم الدقة التي نجدها في كثير من الفاظهم العربية ، فيجب جمع هذه الالفاظ - وهو ما سبق ان قرره مجمع اللغة العربية - ووضع مقابلها الاجنبي ووضعها في معجم ، كما هو المقترح بالنسبة للالفاظ القديمة ، ثم تصفيها وتصحيح المختار منها .

٣ - الترجمة : وهي نوعان : حرفية ، ومعنوية .
١ - الترجمة الحرفية : - والمقصود بها ان تكون صياغة الكلمة العربية على نمط النموذج الاجنبي مثال ذلك كلمة Geofogy المكونة من كلمتين هما Geo ومعناها « ارض » و logy بمعنى علم ، فالترجمة الحرفية اذن هي « علم الارض » .

ب - الترجمة المعنوية : - اما الترجمة المعنوية فيقصد بها ترجمة الكلمات بمعانيها دون تقيد بالحرفية مثال ذلك ترجمة geology بـ « علم طبقات الارض » .

هذا وقد يقصد بالترجمة مقابلة اللفظ الاجنبي بلفظ عربي بصفة عامة سواء اكان بطريق الترجمة ام غيرها كالاشتقاق ، ولكننا نحن هنا في مجال التخصص ، نفقدنا هنا الترجمة الحرفية والترجمة المعنوية فقط .

والترجمة الحرفية هي ادق الوسائل في التعبير عن المصطلح الاجنبي ، الا انها لا تسعف دائما ، فهناك مصطلحات لا يمكن ترجمتها تلك المنسوبة الى اعلام (سواء كانت اسماء اشخاص ام اماكن) مثل Copernich (نحلة) نسبة الى العالم الفلكي كوبر

نيكوس . وتلك المصطلحات التي لا تدل في لغاتها على المصطلح دلالة علمية تامة ، لانا وضعت في ظروف لم يكن المسمى قد عرفت كل خصائصه معرفة دقيقة مثال ذلك : Atom (ذرة) فانه مكون من A بمعنى لا و com بمعنى الشيء الذي يتجزأ ، فمعنى اللفظ اذن الشيء الذي لا يتجزأ او اللامتجزئ . ثم اثبت العلم الحديث ان لا يتجزأ .

٤ - المجاز : وهو استعمال الكلمة في معنى غير معناها الاصلي ، على ان يكون بين المعنيين علاقة ، وان تكون هناك قرينة تمنع من ارادة المعنى الاصلي .

والعلاقة قد تكون المشابهة ويسمى هذا النوع من المجاز الاستعارة ، او المجاز الاستعماري وقد تكون العلاقة غير ذلك كما في المجاز المرسل . وعلاقات المجاز المرسل كثيرة مثل الجزئية وهي تسمية الشيء باسم جزئه نحو قوله تعالى « فتحرير رقبة مؤمنة » اي عبد مؤمن . والمجاز وسيلة حسنة استعان بها القرآن الكريم في وضع كثير من المصطلحات ، ونشترط في الالفاظ التي نستعملها .

١ - أن تكون هناك صلة بين المعنى الأصلي والمعنى المراد التعبير عنه ، وهو أمر قد قرره السابقون .

ب - أن تكون اللفظة مهجورة الاستعمال ، وذلك توجها لرفع الالتباس بين الألفاظ الاصطلاحية والألفاظ العامة . وفي اللغة العربية الفاظ كثيرة غير مستعملة . جاء في مختصر العين للزبيدي أن « عدة مستعمل الكلام كله ومهملة ستة آلاف وست مئة ألف وتسعة وخمسون ألفا وأربع مئة » المستعمل منها خمسة آلاف وست مئة وعشرون ، والمهملة ستة آلاف وست مئة ألف وثلاثة وخمسون ألفا وسبع مئة وثمانون » .

ج - والشرط الثاني (ب) مشروط بأن تكون الكلمة خفيفة على اللسان غير ثقيلة . وبهذه المناسبة اقترح أن يستخرج الجمع اللغوي من بعض أمهات المعاجم القديمة كالخصص ولسان العرب الألفاظ اللغوية التي يرى أنها تصلح لأن تكون مصطلحا ، ويكتبها في جازات تعرض على اللجان المختلفة لتستفيد منها في أوضاعها . وهو مشروع حاول مجمع ادريس راغب الذي انشئ بمصر سنة ١٩٢١ القيام به ، وخطا في ذلك خطوة . وقام بتجربة ناجحة في هذا الموضوع داود الجلي عند تأليفه « معجم مصطلحات امراض الجلد » .

٥ - الاشتقاق : - وهو نزوع لفظ من لفظ آخر بتغيير في الصيغة مع تشابه بينهما في المعنى واتفاق في الأحرف الأصلية وفي ترتيبها ، فمن الكتابة نستطيع أن نشترك كتب ويكتب وكاتب ، ومكتب . الخ . والاشتقاق من أهم الوسائل وقد وضع له معجم اللغة العربية كثيرا من القواعد القياسية الخاصة به .

٦ - النحت : - وهو انتزاع كلمة جديدة من مجموع حروف كلمتين أو أكثر من المناسبة بين المأخوذ والمأخوذ منه في اللفظ والمعنى معا ، مثال ذلك الصلدم (أي الصلب التين والدابة القوية الحافر) فقد قالوا أنها منخوتة من كلمتين هما : الصلد ، والصلدم . واني أشك في أن النحت يمكن أن يعيدنا بالفاظ كثيرة ، ذلك لأن الألفاظ المنخوتة تنتم غالبا بالفراة . لذلك لم يلجأ إليها القدماء إلا في الفاظ قليلة مما يكثر دورانها على اللسان . وكل ما وضع في العصر الحديث مقترحا كان مصيره إلى الفناء باستثناء الفاظ معدودة . أن حجة كثيرين من هؤلاء الذين يؤمنون بالنحت ، أنه يعيدنا بكلمة واحدة بدلا من كلمتين . لكن من ذا الذي يفضل الكلمة الواحدة « هندسة » (من أوضاع ورشيد عطية - راجع معجم عطية) على الكلمتين « الهندسة الزراعية » .

اني لا أرى أن نستعين بالنحت إلا في الكلمات السهلة التي لا تنبؤ من اللوق ، والتي يسهل معرفة أصولها كلمة « اتقى » للدلالة على الصوت الذي يخرج من الأنف والقم معا .

٧ - التركيب المزجي : - وهو مزج كلمتين وتكوين كلمة واحدة منهما دون حذف أحد أجزائها . وبرغم أن التركيب لم يدرس دراسة كافية لمعرفة ما إذا كان العرب الإصلاء قد استأنوا به أولا ، إلا أنني اعتبره نوعا من النحت يمكن أن نستعين به ، بل أنني أفضله عليه ، لأن الكلمات المركبة يسهل فهمها عن الكلمات المنخوتة . لكن ذلك مشروط بالأ تزيده عدد حروف الكلمة الجديدة على سبعة أحرف .

٨ - التعريب : وهو استعمال الألفاظ الأعجمية ودمجها في اللسان العربي . وهو من الوسائل التي استعانت بها جميع اللغات بما في ذلك العربية إمام فتوتها . واعترف به القرآن الكريم وعامل الفاعله بنفس المعاملة التي عامل بها الألفاظ العربية الأصل . إلا أن ذلك مشروط بالضرورة ، لانا لو فتحنا الباب على مصراعيه لدخلت الفاظ كثيرة اللسة ، لأن الشخص يستطيع أن يعرب في اليوم مئات الكلمات ، في حين أنه لا يستطيع أن يضع سوى بضعة الفاظ عربية بعد جهد جهيد . ونحن لو فتحنا هذا الباب على مصراعيه في هذا الوقت الذي كثرت فيه الألفاظ الأعجمية التي نحن في حاجة إليها ، لأصبحت لغتنا خليطا من عدة لغات ، ولأصبح شأنها شأن اللغة المالطية .

وشرط آخر وهو أنه لا بد أن تكون الكلمة المعربة على معناه الكلمات العربية في وزنها وفي عدد حروفها . ولقد كان العربي الأصل يفعل ذلك عند التعريب ، ونحن هنا نسمح فلا نشترط في الوزن أن يكون له عدد معين من الحروف التي ولدت في كلام الفصحاء ، بل يكفي مثال واحد حتى ولو كان معريا ، فإن هذا خير من الخروج على الأوزان العربية .

وفيما يخص حروف الكلمات المعربة ، ظاهر من استعراض التعريب عند العرب في شتى عصورهم أنهم كانوا يبدلون الحروف التي ليست لهم بحروف أخرى عربية قريبة منها . بل أنهم كانوا في بعض الأحيان يغيرون حروفا لها ما يقابلها في العربية . ونفس الأمر حدث عند الأوروبيين عندما أوردوا بعض الكلمات العربية . خذ مثلا الكلمات العربية : صداد ، السموم (ربح حارة هب من الصحراء محملة الإعفار والزمال) ، تمر هندي ، فإن هذه الكلمات صارت في الإنجليزية : Soda و Simoom و Tamarind أما تفسير الحروف التي ليس لها مقابل في العربية ، فهو أمر واجب كي تحفظ اللغة بشخصيتها فلا تدخل فيها أصوات جديدة غريبة عليها .

وأما الأمر الثاني فهو وإن كان قد حدث فعلا في الأزمنة الغابرة مما أدى أحيانا لأعمال الفكر في بيان أصل المصطلح العرب ، فلا نجيزه الآن ، لأن عدم التغيير لا يمس جوهر اللغة .

مع مدار الشمس

الى صاحب « الاديب » بمناسبة مرور خمسة وعشرين عاما على انشائها

اخي التريسم الاستاذ اليسر اديب : هذه الايات المرفقة هي منك ، واليك ...
ولا يملك حياؤك ان يحجبها عن النشر في مجلة الاديب بمناسبة عيدها العظيم .
فتفضل - غير مأمور - بنشرها ، واضعها الى تحتي وتهنئتي وتهنئاتي الاف من
العرب المعجبين بك الى ابد الحدود واللاحافظك ومعينك في مقبل خطواتك التي
نؤمن لها صلابه ماضيتها نبات مستقبلها .
محمد عبد الفني حسن .

كيف لم تياس مع الشمس مدارا ؟
وتشقى الكون هديا ومنارا
او دنا شاك بالسمي نهارا
عتب الافلاك في الجو مسارا
لم يجد عنها يمينا ، او يسارا
ويرد الصخر بالصخر اقتدارا
لم يرد جاها ، ولم يطلب نفارا
نهما في المال ، وازدادوا سعارا
لأنه الجاه طوعا واختيارا

ايها المالىء برديك اصطبارا
تقطع الايام فكرا سائرا
ما خبا ضوءك ليلا واحدا
صاعدا كالنجم ... لا يشكو على
ماضيها كالسهم في اهدافه
يدفع الهم بهم مثله ..
راضى النفس بادنسى لقمة
في زمان كلب الناس به
وهو لو شاء من الدنيا مدى

زادنا خلقك - والله - انهارا !
بصرف المسك ارجيا وانتشارا
تعلل الكون ادعاء ، واقتدارا
ويرى الزهو على الانسان عارا
ها هنا في الشرق اشباها كثارا
يلا الدنيا خفاشا واقتخارا !

يا اديب النفس والدرس معا
قد عرفناك على الفوح كما
تفتح الكون برسك ... ولا
في حياء يستحي من ذكره
جهدك الصامت لم نعهد له
حيث خاوي الفكر والنفس معا

زاد نحو المال صوبا وانحدارا !
كالمساعير الى المال سكارى ؟
في بناء المجد ، او يعلى جدارا !!
شاد للامة آمالا كبارا
فامض في دربك عزما وانتصارا
يعتث النور ، وهديا للجيارى

ايها الناسك في مجتمع
ارابت الناس كيف اندفعوا
حسبوا « الدولار » بيني حائطا
ليس من شيد للذات ، كمن
الرسالات لها اصحابها
« فلااديب » اليوم صارت مشعلا

محمد عبد الفني حسن

القاهرة

مر الايام يكون هذا الاسم جزءا من مسماء فيستعمله
العلماء بطريق التسجيل .

وبعد فهذا عرض لقضية المصطلحات ومنه يتبين انها
لا تزال في حاجة الى عناية . ولعل في اتباع الخطلة
التي ذكرناها حل لهذه القضية . واملنا ان نرى لغتنا
العربية في المستقبل القريب اللغة العلمية العالمية الاولى ،
تعطي اكثر مما تأخذ .

فاحي عبد الباقي

القاهرة

٩ - الارتجال : - وهو النطق بكلمة جديدة في
صورتها . وارى انه لا يمكن الاعتماد على الارتجال في
مواجهة الفاظ جديدة ، اذ ان الكلمات المرتجلة لا يمكن
ان تكون في مجال علمي هادىء تقلب فيه الامور ، ويعمل
فيه الفكر على وضع مصطلح عربي في مقابل مصطلح
اجنبي ، وانما سبيل الارتجال هو ان يطلق احد من
الناس على مسمى ما اسما في حالة انفعالية . وقد يشيع
بعد ذلك هذا الاسم بين الناس عن طريق التندر . وعلى

الصدق والادب

بقلم عبد اللطيف شرارة

جاءني ، قبل ايام معدودات ، فتى لا يزال على مقعد
الدرس ، وقال بهجة يمتزج فيها الاحتجاج بالحيرة :

— ما هو هذا الصدق الذي يطلبه ادباء هذا الزمان
ومفكره ، ويلحون في طلبه ، ثم نراهم يستعملون
« الخيال » في قصصهم ، واشعارهم ، ومسرحياتهم ،
هل تحسب انهم يصدقون الناس القول ، حين
« يفترون » ما يكتبون ؟

لا اريد ، ولا استطيع ان اعرض على القارئ كل ما
جرى بيني وبين ذلك الطالب من حوار حول هذا الموضوع .
فالمسألة من الطول والاسهاب في منزلة يضيق معها كل
مجال . وذلك لان باب الشك مفتوح على مصراعيه لكل
واحد ، ولا سبيل الى ايقاضه في وجه احد . وقد جهدت
الانسانية الاولى من ايام الهند والافارقة ، مروراً
بالغزالي حتى ديكرات ومن تلاه ، الى يومنا هذا ، في
الابقاء على ذلك الباب « مفتوحاً » ، ولكنها حاولت فرد
او جماعة اغلاقه ، هبت زعازع الحرية من كل فجوة ،
وحطمت الابواب الموصدة .

القضية اذن ، قضية الصدق في الادب ، لا تحل من
جانب واحد ، اي من جانب الاديب ، نائراً كان ام
شاعراً . لا بد من ان نلاحظ موقف القارئ من الآثار
الادبية ، ومدى ما يوليها من اهتمام جاد في جانب ، وما
يخلع عليها من اهمية فيما يصدق منها او يكذب ، في
جانب . ومعنى ذلك ان تصديق القارئ او تكذيبه او
حياده يدا طولي في توجيه الادب عامة ، والتأثير في
الانتاج الادبي .

وذلك ، كما يقرر البروفسور دو ليشاوفرز ، لان
« الدليل الذي تقتنع به (على صحة فكرة او قضية او
مبدأ) انما هو ذلك الذي يكون متوافقاً اكمل التوافق
مع عاطفتنا الجمالية . وهذا يعني اذن ، ان حياة
المواطن في التي تقرر سيرة الانسان ومسلكه ، ويخولنا
حق التاكيد ، انما هي الحالات العاطفية التي تشد
مختلف عمليات الذهن بعضها الى بعض ، وتجملها
مترابطة مترابطة . »

وليس من شأن الشك اذا عم وانتشر ان يجعل للادب
قضية في النفوس ، فالشك وسيلة الى اليقين ، وما هو

بقاعدة ، ولا يمكن ان يكون غاية .

واذا كان الناس في بلادنا — وغير بلادنا — يجدون
صعوبة ، وفي بعض الحالات ، استحالة في « التصديق »
فلان الحياة العاطفية ، وهي نتاج الجو الاجتماعي السائد ،
لا تزال تشكو ما اثار فيها الشكوك ، وابتعد عنها اليقين
في معظم القضايا والمشكلات الاجتماعية ، وغير الاجتماعية .
هذا يردنا الى التاكيد ان العاطفة الجمالية في ديارنا
العربية مشوشة ، قلقة ، مضطربة ، والذين يخالجهم
الشك في قيمة الادب ، وبالتالي في صدقه ، انما يعمرون
بشكهم ذلك عن اضطراب في المفاهيم ، وعدم استقرار
في النظر الى الامور ، من مختلف الزوايا والحالات .

لا اريد بذلك الدفاع عن الادب والادباء ، ولكني ابين
هذه الحقيقة ، وهي اثر القارئ الواعي في الحياة الادبية .
وقد يكون لانتقاد النقد الصحيح البناء ، وانصراف
الناس الى الملهيات (السينما ، التلفزيون ، الخ ...)
وضالة الثقافة ، وتوزع الاهواء والاذواق بين القديسين
والحديث ، وتصارع المبادئ والنزعات والايديولوجيات
المتنوعة — قد يكون لهذه العوامل كلها مجتمعة ذلك
التأثير في صرف الناس عن الادب والادباء ، وحملهم على
الشك في صدقه وقيمته !

الا ان هذه العوامل كلها تدوب ، وببطل مقعوليها بطلنا
تماماً ، حين يعتمد القارئ على نفسه ، و « بصر » على
تبيين المؤلف من الحقيقي في كل ما يلقى اليه من فنون
القول ، وانتواع الادب .

وحين يصير كل قارئ نفسه ناقداً ، ويتدرب بالعدة
اللازمة التي ينتهي بها الضلال ، وتجنب مواضع الزلل ،
والافادة من الاخطاء ، يصل خلال سيره في هذه الطريق ،
الى اكتشاف الحقائق حتى وراء الادب الكاذب .

المهم اذن ان يطلع الناس ، كل الناس ، وان يطالعوا
ما امكنهم ان يطالعوا . وان مجرد اطلاعهم او مطالعتهم
بمساعدهم في مدة قليلة من الزمن ، على ادراك « فيارك »
الكلام ، وما يدور فيها من اكاذيب واشياء صحيحة .

اما ان يضع الجمهور في ذهنه سلفاً ان « فبركة »
الادب لا تخرج سوى بضاعة مزيفة ، او مشوشة ، بحجة
ما يروى اليه من بعض الخيالات والاوهام والاحلام ،
فهذا هو الضلال بعينه ، لان وظيفة الادب الحقيقية ،
حتى عند ما يكون خيالاً خالصاً ، كالادب المسرحي مثلاً ،
انما هي ان يفتح العيون على الحقائق ، والاذهان على
التفكير ، والاذان على الاسماء ... والفهم .

هذه هي وظيفة الادب . ولكن هذا الادب لا يملك ان
يقوم بوظيفته على اكمل وجه ، الا بمعونة القراء انفسهم ،
وتصديهم تصدي الادباء ، لبيان الحقائق والاخذ بها ،
وارزالة الشكوك ، وتوثير الاذهان .

عبد اللطيف شرارة

كلهم جوف

ابي واخي واخر
يحوكون بيتنا من وهم اليباب
ابي ينفث في الرماد
واخي يعد ذرات الرماد
واخر يعرج في الطريق
يطفئون الدرب بالليلالي
ييصقون في وجه النهار
ينافقون على الله
يجمعون ويقسمون
حماتنا يدعون
لصوص يتاجرون
ابي يبيع الصراصير
واخي يخبيء قرونها
ليوم عسير
ونمشي متارجحات
بين ارض وسماء
نحاكم السماء
وعدل السماء
وظلم السماء
مسيرتنا طويلة
نكسر القيد لو كان من صوب السماء
حاكه لنا الفاسقون
هم وحدهم مجرمون
ابي يلوك جلده
واخي يعرق لحمه
واخر في المظاف
يدق في الحوافز مسامير
ويلعن الزجاج والحريز
كلهم جوف :
ابي واخي واخر في المظاف

ثريا ملحس

ذرات التراب شوك قديد
تهوج هاوية باكياس الحديد
ابي يبيع الثعابين
واخي يسحق الزجاج
طاماما للثعابين
واخر في المظاف
يدق في الحوافز مسامير
يلحق بعضهم بعضا بالسياط
يلهبون مع الشمس البيان
يدفون سهما فوق سهم
لسانهم براكين جوف
عيونهم خفافيش
يمضفون الزجاج
يلوكون الجيف
جوف .. جوف
والكبر مثقوب خراب
كلهم جوف :

ابي واخي واخر في المظاف
همهم بيع الحمصي
يصطلون مثل جنادب الفضا
على اوهام اليراع
ويسال الرمش عن اخر
في جداول المجرة ننحني
لا ارض ولا وطن
لا اهل ولا امل
نحاكم المدى والفراغ اليباب
وارض محدودة لا تهاب
حكم القضاء
حكم السماء
وما حول الارض فراغ رهيب
فضاء بلا حد ولا مدى
يعود الى ذرات العناكب

الترجمة والنقل

بقلم محمد عبد الفني حسن

المترجم الثاني في المآخذ والمزالق التي وقع فيها المترجم الاول .

فمن اراد ان يتصدى لترجمة كتاب « نابليون » - الذي افه اميل لودفيج بالالمانية الى اللغة العربية مثلا ، فعليه ان يرجع الى الكتاب في اصله الالمانى اولا ، ويترجم عنه ان كان عارفا بالالمانية ، ثم لا بأس من الرجوع الى الترجمة الفرنسية او الانجليزية او غيرهما للكتاب ، على سبيل الاستئناس فقط ، لا على سبيل الاصاله في العمل . ومن اراد ان يترجم شكسبير الى اللغة العربية ، فعليه اول الامر بالاصل الانجليزي كما كتبه الشاعر ، وكما اوحى به اليه ، واله به ... اما ترجمة شكسبير عن الفرنسية او الالمانية مثلا ، فهي ترجمة عن ترجمة ، ونقل عن نقل . وما اكثر الممانى وظلال الممانى ودقائق الشعور والاحاسيس التي تضيق في الطريق بين المترجمين .

وقد وقع للشاعر خليل مطران بعض مآخذ الترجمة عن ترجمة ، حين نقل بعض مسرحيات شكسبير الى العربية . فلم يكن الخليل يعرف الانجليزية اصلا او لم يكن يعرفها معرفة القادر على الترجمة منها ، المتكمن فيها ، فلجا الى الترجمة الفرنسية لشكسبير ، ليرجم منها الى لغة الضاد ، وبهذا جاءت كل مترجماته الشكسبيرية ترجمات عن غير اللغة الاصلية ، ولك ان تسمي هذا النوع من الترجمة « ترجمة ثانية » ، او ترجمة عن ترجمة .

ولقد كان من السهل ان يكشف النقد عن ثورات خليل مطران في هذا الباب . فقد استعمل كلمة « موسيو » بدلا من « ستر » ، مما يدل بآول نظرة على مصدر ترجمة الفارسي ، وانقلنا في بعض المواضع من رواية « تاجر البندقية » سطورا كثيرة في مشاهد مختلفة ، بعض اسقاطها خيانة لامانة الترجمة ، ونقصا في الاداء الكامل لها . ولم تكن هناك ضرورة للحذف والاسقاط ، بل كانت العبارات التي يترها خليل مطران ضرورية في الاصل لاكامل المعنى ، وانما قصد المؤلف ، ولم تكن الاطناب المقصود به التحلية الفطيلة ، والتركسية البليانة . وقد عدد الاديب الكبير الاستاذ ميخائيل نعيمة - وهو ينقد الترجمة المطرانية - كثيرا من هذه المواضع المبثورة في ترجمة خليل مطران لتاجر البندقية : مثل تيمة الحديث بين انطونيو ، وباسانيو بعد ان يتركما شيلوك في آخر الفصل الاول ، ومثل الخطاب والجواب بين « نلسون » وابين في المشهد الثاني من الفصل الاول ، ومثل النص في جواب برسيا لامير اداغون ، ومثل النص في خطاب هذا الامير الذي يلي هذا الجواب ، ومثل التصرف بالحذف في الشرط الذي اخذه شيلوك على نفسه ، حتى تترك له المحكمة نصف امواله . ففي الاصل الانجليزي

حين اصدر الاستاذ احمد حسن الزيات كتاب « ضوء القمر - وهو مجموعة من القصص القصيرة المترجمة لموباسان ، والفونس دوديه ، ودي مورو وغيرهم - كتب للكتاب مقدمة كشف فيها عن مذهبه في الترجمة ، واسلوبه في النقل من الفرنسية الى العربية ، وأشار الى انه اختار مذهبا وسطا بين طريق يوحنا بن البطريق وابن ناعمة الحمصي من ناحية ، وحنين بن اسحاق والجوهري من ناحية اخرى . فلا هو الطريق الاول بما فيه من النقل لفظة لفظة ، ولا هو الطريق الثاني بما فيه من الاتيان بالجملة في اللسان الاجنبى وتحصيل معناها في الدهن ، والتعبير عنها في العربية بجملة تطابقها سواء ساوت الالفاظ ام خالفها . ويقتد الزيات نفسه في الترجمة بانه لا يزيد ولا ينقص على الاصل المنقول شيئا ، ولكنه قد يقدم ويؤخر . وهذه الاشارة من الاستاذ احمد حسن الزيات تسوننا الى الحديث عن التقديم والتأخير في عملية النقل والترجمة ، وعن النقص والزيادة فيها ، والاضافة اليها .

وحين اجاز الاستاذ الزيات في مذهب في الترجمة ، يقدم ويؤخر ، دون زيادة او نقص ، نرى سليمان البستاني يترجم الباذة هوميروس الى العربية شعرا في احد عشر الف بيت يحرم على نفسه الزيادة والنقص ، والتقديم والتأخير ، الا فيما اقتضاه تركيب اللغة العربية ، وهو في هذا متشدد اكثر من الزيات ، لانه تقيد بالاصل تقيدا تاما ، فلا يقدم ولا يؤخر ، ولا يزيد ولا ينقص ... وقد تضطر مقتضيات الترجمة وبعض ضروراتها ، المترجم الى اسقاط عبارة من الاصل المترجم منه ، او اضافة عبارة ليست في الاصل . ولا تنفرد بهذا لغة في الترجمة دون لغة ، ولا مترجم دون مترجم . فانك قل ان تجد الترجمات المختلفة في لغة واحدة لآثر واحد متفقة في التقيد بالاصل . فقد تصادف في بعض الترجمات اضافات لا تجدها في ترجمة لنقل اخر . وقد تلقى بعض الحذف والاسقاط في بعض الترجمات ، على حين تجدها مذكورة في ترجمة اخرى لمترجم اخر . ومن هنا كانت الترجمة عن الاصل نفسه - لا عن ترجمة ثانية - عملا ضروريا ، حتى يستطيع المترجم ان يرمي بعينيته النص الاصيل في لغته الاصلية على كماله وتماته .

اما الترجمة عن لغة ثانية غير اللغة الاصلية ، فقد توقع

من كتاب جديد لكاتب المقال ، عنوانه « فن الترجمة في الادب العربي » يصدر قريبا عن « الدار المصرية للتأليف والترجمة » .

لتاجر البندقية شرطان : اولهما ان يعتق النصرانية ، والثاني التوقيع في التو ... الخ ، ولكن خليل مطران جعل الشرطين شرطا واحدا ، وحذف شرط اعتناق النصرانية . وهو تصرف ما كان يجدر بالترجم العربي ان يلجأ اليه ، الا اذا كانت الترجمة الفرنسية التي نقل عنها مطران فيها شرط واحد كذلك .

على ان الذي فعله خليل مطران في ترجمة شكسبير الى العربية فعله كثير من المترجمين والنقلة في اللغات الاخرى . ويحضرنا مثال للاضافة والزيادة في الترجمة ، لا للنقص والبتر . ففي كتاب « نابليون » لاميل لودفيج يروي لنا المترجم الدقيق الاستاذ محمود الدسوقي - وهو متمكن من اللغتين الالمانية والعربية - ان الاصل الالمني فيه هذه العبارة : « الملك اسير » ، ولكن الترجمة الانجليزية لهذا الكتاب جاءت فيها هذه الجملة الوجيزة المحكمة هكذا : « وشرع الملك لويس السادس عشر في الهرب فبسط في فارين واعيد » . فزاد المترجم الى الانجليزية من عنده ما ليس في الاصل الالمني ، وما لم يكن خافيا على اميل لودفيج ، ولا صعبا عليه ان يكتبه في الاصل وهو يؤلف . وهذه الزيادة التي تبرع بها المترجم في الانجليزية من عنده واضافها الى الاصل ، قد كان يمكن ان يجعلها في هامش الكتاب ان كان يريد تزويد القارئ ، بكثير من التفاصيل . وقد كان في استطاعة لودفيج ان يذكر هذا التفصيل في اصله الالمني ، ولكن القوة الدرامية التي يبدع من عبارة « الملك اسير » كانت آثر عنده من التفصيل (١) . وقد بلغ المترجم الى الكثر في الحذف واحمال بعض العبارات لاعتبارات خاصة لديه ، كان لا يؤدي لتفوي

قومه بترجمة مطاعن ومثالب وجهها المؤلف الاجنبي ، سواء اكانت مطاعن في الدين ، ام في رسول هذا الدين ، ام في الكتاب المقدس الذي نزل عليه ، واوحى اليه به ، ام في عادات القوم وتقاليدهم واخلاقهم . فقد اضطر مترجم عربي كبير مثل المرحوم عادل زعتر الى سلوك هذا الطريق ، وهو بترجم كتاب « حضارة العرب » لجوستاف لوبون ، ولكن النقد الشديد لم يخطئه هذه المرة ، كما لم يخطئه نقد طريقته في الايمان - خلال الترجمة - بالالفاظ المعجمة الغربية ، المهجورة المظلومة بين بطون المجامع ، او التي تكاد تكون ميتة . وقد تصدى له ناقد في مجلة « الكتاب » يلومه على هذا الحذف والبتر في الترجمة قائلا : « ... راجين ان يفيدنا حضرة العرب اذا لاحظنا هنا ان تصرفاته ، بستر آراء المؤلف حيناً ، وتحويرها وتبديلها حيناً آخر ، كان عملاً خطيراً ، لا يشبه عمله السابق من حيث « المحافظة على دستور الامة » . فقد لاحظنا ان فصل « خلاصة القرآن » الذي خطر لى ان اجري عليه المقابلة بين التعريب والاصل ، قد فقد الصورة الصحيحة التي صور بها المؤلف آراءه في القرآن ، اذ لم يبق العرب منها في الطبعة العربية الا صورة شوهاء ، لا

تعبير عن رأي المؤلف بحال من الاحوال ، بعد ان تناولها قلم العرب نسخا وتحويرا وتبيلا . ونحن وان كنا لانتهم العرب بسوء القصد ، معاذ الله ، الا اننا نعتبره مخطئا ومسيئا فهم المسألة . وهذا الخطأ شافع عند الكثيرين ، وقد نشأ من توهم بعضهم ان اذاعة الآراء الحرة التي يكتبها علماء الاوروبيين وكتايبهم في عقائد المسلمين ومفكراتهم ، امر خطير بالنسبة للنشأة الاسلامية وجمهور الناس ، بحيث يستلزم الامر اما تخفيف صدمة تلك الآراء وتحويرها ، واما حذفها تماما . وعلى هذا المنطق سار العرب فسي تعريب كتاب حضارة العرب ، فبدل وغير وحور » .

وهكذا ترى ان الناقد هنا ليس على مذهب المترجم من حرية التعبير في الترجمة بحذف ما قد يصدم الشعور العام او يؤذنه . ومن رايه ان يترجم النص كما هو ، وان ثبت آراء المؤلف الاصيل كما وردت ، على ان يسترك للمترجم - او لغيره - حرية تصحيح تلك الآراء ، او رد الشبهات التي وقع فيها المؤلف ، او تفنيد الآراء التي ذهب اليها ، دون مساس بالاصل المنقول عنه او التحوير او التعديل فيه ، فان ذلك يتنافى مع امانة النقل التي تعد شرطا اساسيا في الترجمة .

وقد يكون الحذف والبتر في الترجمة لاعتبارات اخرى من الخلق ، فقد تكون بعض الاصول المترجمة مشتملة على بعض عبارات مما يחדش الحياء ، او يجرح الفضيلة ، اخرى المترجم المتخلص من هذا المازق بالحذف والنقص في الترجمة ، او بلاشارة بالثقة الفكرية الناعمة ، كما اشار شاعرنا العربي الى ما كان له في مجلس خاص مع حبيب :
 « ... ما لست اذكره فظن خيرا ، ولا تسال عن الغبرا !
 او بكتابة لطيفة كما كان يفعل المرحوم احمد فتحي زغلول « باشا » في بعض مترجماته .

وبرى ناقد معاصر ان البتر والتشويه في الترجمة قد يكون من رغبة في الاقتضاب ، او عجز عن ترجمة المتن ترجمة مستوفية لشرائط الامة الادبية (٢) .

واكثر النقص في الترجمة يأتي من الترجمة عن ترجمة ، او ما اسميناه بالترجمة الثانية . فهي مزلق سهل ، وسبيل ميسور الى دخول النقص على النقل من لغة الى لغة . ولا شك ان النقل والتعريب عن الاصول يدل على مستوى عقلي عال في الامة الناقلة . فلا يلجأ الى الترجمة الثانية الا حين يندم او يندر العارفون باللغة الاصلية . ومن هنا كانت الترجمات عندنا من الالمانية والرومية قليلة جدا او نادرة ، لقلة النقلة والمترجمين عندنا من هاتين اللغتين .

(١) من بحث بعنوان : « وفي الصميم » لمحمود الدسوقي - مجلة الكاتب المصري - المجلد - - ص ٢٢٩ . (٢) انظر كتاب « فنيابا الفكر في الادب المعاصر » - ص ١٠١ - للاستاذ ديبس فلسطين . (٣) حافظ وشوقي - للدكتور طه حسين - ص ٩١ .

وفاء

بيدي اشرت وكان موعدنا هنا
في الحقل عبر الدرب بعد المنحني
وأجيتي لو تذكرين
غدا سنتلقاني انا
املا يفيض على الدنى
عهدا شهى الجتنى
انا . أنت نزرعه هنا
ليكون مولتنا غدا لربيعنا اما دنا

واطل ... !!
لكن الربيع مضى ولم ينم الجنى
جاء الشتاء
أتى وهر وعشته وحدي انا
كانت غمائمها تمر وكنت احسبها منى
بسطا تزخرها النجومأت لتهدئها لنا
حتما ستمطرنى بالف تحية لا تقتنى

فيكأن موعدنا هنا يا هذه.. لو تذكرين
لكننى وحدي انا ..
باق مع الذكرى هنا

صفاء الحيدري

بفداد

ومن هنا - ايضا - نجد ان الروائع الالمانية التي ترجمت الى العربية ، ترجمت عن تراجم اخرى ، لا عن اللغسة الالمانية نفسها . فقد ترجم الاستاذ احمد حن الزيات رواية الالم فرتلر للشاعر الالماني « جوته » عن الفرنسية التي يعرفها ، لا عن الالمانية - لغة الرواية الاصلية - التي يجهلها جهلا تاما . على حين ترجم الدكتور محمد عوض محمد « فاوست » لحوته عن الالمانية التي تعلمها في المنفى بعد معرفته الوثيقة بالانجليزية .

وكذلك الشأن فيما نقل اليها من مؤلفات وقصص روسية ، فانها كانت تترجم من ترجمة ثانية فسي الفرنسية او الانجليزية ، ولم تكن عن الروسية مباشرة . وكانت القصص التي يترجمها المرحوم محمد السباعي من الانشاج الروسى ، من هذا القبيل ، فقد كان ينقلها عن ترجماتها الانجليزية ، وكذلك نجد روائع تولستوي ، ومكسيم جوركى ، وتشيكوف ، وديستوفسكى ، وجوجل ، وبوشكين ، وترجييف ، وبرديانف فى اللغة الروسية مترجمة الى العربية - عن ترجمات ثانية ، اغلبها انجليزي - باقلام ادباء من امثال الاساتذة محمد بدران ، ودرينى خشبة ، وعصام الدين ناصف ، وابراهيم زكى خورشيد ، وبديع حقي ، وقواد سهيل ايوب ، ومثير بعلبكي .

على ان النقص والبتر والتشويه فى الترجمة والنقل قد يدخل الى الترجم او العرب من ناحية اخرى ، على شى ما يبلى به المترجم ، وهى ضعفه فى اللغة التى ينقل عنها او عدم تمكنه منها ، وفهمه لها . وقد وقع هذا لحافظ ابراهيم شاعر النيل - او وقع منه - فى ترجمته للبؤساء للشاعر الفرنسي فيكتور هوجو .

فقد اخذ حافظ يترجم الرواية ، وهو لا يجيد اللغة الفرنسية ، ولو أنه نقلها الى اللغة العربية عن ترجمة انجليزية لكان ذلك اقرب الى الصواب ، واوفى الى الدقة ، واشبه بالمعتول ... فلقد كان ضعف حافظ ابراهيم فى اللغة الفرنسية شيئا معروفا وليس موضع نزاع . والذين عاصروه وكانوا على قرب منه ، كانوا اعلم بهذه الحقيقة . وقد روى المرحوم مصطفى صادق الرافعى فى مقال له بكتاب « ذكرى الشاعرين » ان حافظ ابراهيم دله بنفسه على صفحة الجزء الثانى من « البؤساء » ، وقال انه ترجمها فى خمسة عشر يوما !! وانه شاهده مرة - فى مقهى الشيعة المشهور - وهو يترجم اسطرا من الجزء الاول من البؤساء ، ثم يخط ما ترجمه فى دفتر صغير ، دون حجم الكف ، فاجتمعت له ثلاثة اسطر فى ثلاث ساعات !! فكانه لم يكن يأخذ الامر فى الترجمة مأخذ الجد ، بالإضافة الى عدم اجادته للفرنسية . وذلك مما حدا بالدكتور طه حسين ان يقول فى « بؤساء » حافظ ابراهيم ان ترجمته ليست كاملة ، فهو يلخص ولا يترجم ، وان ترجمته - على ضخامة الفاظها ، وفخامة اساليبها ، وعلى ما لها من روعة وجمال - ليست دقيقة ولا حسنة الاداء ... ولا

تنسى ان الدكتور طه حسين من انصار مذهب مطابقة الترجمة للأصل ، ويقول فى هذا الصدد : (ارى ان ليس للترجمة قيمتها حقا ، الا اذا كانت صورة صحيحة للأصل) . (٢) .

وبسبب الضعف فى اللغة المتقول منها دخل العيب الى ترجمة حافظ ابراهيم لرواية « البؤساء » من ناحيتين : الاعراض النام عن بعض النصوص ، والتشويه ، الذى يختلف قوة وضعفا ، لبعضها الآخر ، كما يقول الدكتور طه حسين .

اما العيب الثالث الذى ذكره الدكتور طه - وهو الاسراف والمبالغة فى استعمال اللفظ المعجمي الغريب ، بدلا من اللفظ المألوس المألوف - فهو عيب اشترك معه فيه مترجمان اخران مشهوران ، هما المرحومان : عادل زعيتير ، و خليل مطران ...

محمد عبد الفنى حسن

القاهرة

شاعرة من بغداد

بقلم السيدة وداد سكايني

مثلاً تفيض الصوفية من روح الفن فيض العبير من زهرة عيفة في بهجة الربيع كذلك رفت عاتكة الخزرجي في الادب كنفة ربا من روح الشعر والسحر وتوالت على ندها سمات من عبقريات بغداد فاح فيها الطيب والاربع من «الف ليلة وليلة» فتخيلت شهرزاد وهي بين يدي شهریار تطارحه قصصاً لا ينتهي مداها في الليالي الطوال تجعل الصباح الذي يدركها سكوتاً لها عن الكلام المباح .

همست في سمعها اكنث وأنت تسردن على الطاغية اللدل مباحث فكرتك وبدائع فكك تحبين في لحظات الغيب من قوایل الستين في القرن العشرين ، ان بغداد لا تستطيع ان تنفض عن منكبيها خيال الرشيد وهي تضم في عصرها الحديث شاعرة ملهمة واستاذة جامعية عاشت صباها وفي حماها طالبة ادب ومعرفة تحت القباب العباسية ثم عرفت مدرج السوربون في باريس مصعدة الى اعلى المراتب العلمية التي اهلتها للاستاذية في جامعة بلادها فكانت عاتكة في غربتها تطل على السين كما كانت تطل على دجلة في وطنها متفرقة من فيض الابداع في ادب الفرب كما رويت ادب العرب واوديت سحر بيانه

ما كان اروع السمر الذي ملاه يا شهرزاد بما مضى وفات من احاديثك ، ليكن تمتل بيتنا ما هو آت في ايامنا ، فاسمحي لي في انسياب خاطري ان اؤب عنك في الكلام على شاعرة بغداد عاتكة الخزرجي منوهة باسمها ولقبها ، فعاتكة صف من صفات الجمال التي تنسكب على ملامح الحسناء ، وعاتكة اسم قديم كريم مطيب بالبركة التاريخية ، واما الخزرجي فقبيلة غاصت في اعماق العروبة وخفقت على رمال البادية حيث نبت الشيع والقيصوم فمن اين تستطيع شاعرة عراقية حديثة ان تفر من اغوار العرب وقد قيدها اسمان بالاصالة والجمال ؟

ان وراء الشخص والارواح اسراراً لا يتخذ المرء من مقاييس العالم لتعليقها لان العلم نفسه يعجز دون مغالقتها الموصدة وآفاتها البعيدة ، وعلى هذا فاني لا ارى الشاعرة الخزرجية بعين العلم لان نفسها الكبيرة وروحها الفياضة ملكت من حياة الادب سعة لا يفهم مداها الا الادب وحده ، وقد لا يكون كل موهوب او موهوبة هو ذاته بعينه فان فيه حشداً خفياً وراءه كالعين الانسانية التي نراها متألثة في وجه يطل علينا كوجه عاتكة فهي تسلسل اذلي في عين

متابعة النظر كما نرى في حجرة المرايا المتقابلة وخلف السليقة والبصرة في عاتكة الهام من صوفية الفن احسنت في شعرها ورايته متجلياً في وقتها الرائعة بمؤتمر بغداد للادباء هذا العام وهي تلقي قصيدتها التي جعلتها تسبيحة الالهة لواجب الوجود .

كنت والجمع نصفي اليها ونرنو لطمعها وتائق عينها وملاحها فتحسب ان ترتيلة من وراء الغيب هبطت على لسان فتاة عربية من العراق جعلت الشعر في صفائه وسموه تسبيحة لله وترتيلها لنعمه .

وكان رابعة العدوية بنت ارضها راحت تنفخ عاتكة في ذلك المساء الريان من شفاف الرافدين روحاً وربحانا من شطحاتها نحو الملأ الاعلى ، وما كان يدور في خيالي تلك الساعة وانا املا نفسي واحاسني من ذلك الشعر المنساب برنيم صاحبته في القائها الغذب الحنون ان العدوية المتصوفة تتجدد نغماتها في بعض القرائع النسوية .

ولا يطول تأملنا في عاتكة لو لم نسمعها او نمزفها ، فان كل ما فيها يدل على انها شاعرة من قمة راسها الى اخمص قدمها ، فسمتها وصوتها وكلامها ونغمها حتى خصاها وسيلوكها في الحياة يبدؤها بانها ذات سليقة خاصة وقوية انطلقت شعر الانثى وشعورها ، وجعلتها تعرف حق نفسها عليها فقالت الشعر على سجيبتها نضاحاً بقفها وعروبها حاملاً نضرة شياها وقلها كاشفاً عن ذاتها ومزاجها للقاء الطبيعة والانسانية في الغربة والوطن ، وفي المودة والحب .

وحين يدور هذا الشعر ويقارن شعر المعاصرين والمعاصرات لعاتكة لا بد ان يراه الناقد المتجرد والاديب الباحث وجدانياً كلاسيكياً ، فاسلوب الشاعرة على الجزالة العربية المتأنونة ومعانيها ولحانها تجمع بين القديم والحديث في تمكن وضوح وغزلهما الرفاق الذي ينبع من نفسها ببراءة وصفاء يدل على صدق شعورها بها وتأييدها على الابتدال والتهافت شأن بعض الشعاسرات الغزلات اللاتي يضلطن من الدلال في الاداء واللقاء .

ولقد عرف ادبنا الحديث شعر عاتكة التي تتجاف عن الضوضاء واشرت المضي في سليلتها وما زودتها من مسن ثقافة رفيعة حتى تبرز بعد ديوانها « انفاس السحر » بما يرضي الهامها وطموحها (١) ، وكان عالم المستشرقين في الغرب على علم بما اوتيت هذه الشاعرة الادبية من سحر البيان فلما اغتربت للدكتوراه من السوربون وعرفها عن قرب استاذها « بلاشير » قدر فيها تغذية شعورها بمعرفة عميقة للفن والثقافة واسعة ولهجتها وخصائصها حتى راعه منها وهي الرفعة الاحساس داها فيما يقتضي التحقيق العلمي من صبر على المراجعة والمقارنة وادركته

(١) ظهر كتابها « للاء القمر » منذ شهرين متالفاً بشعرها المهم

وساتناوله بدراسة وتحليل .

نعمة الحرمان

ان يكون النجم ادنى مارب
ريشه فوق عروش السحب
كالبراكين للقي ، ان تغلبي
صدري الحائي كطفل مذنب
وفما يلدو غمام القتب
هي عندي امرأة من خشب !

اراجيها ، من ضحايا الكتب
والشكري من شاء ان تكتسبي
من عنايقد الاسى والقضب

اغرب الفصول ولا تستغربي
بصرف القم وليل التنب
مبدع ، في دمه منسرب

الى الفجر وجمر الفسرب
حينما ينفذ طام القلب
غشي ... ان شئت ان تقتربي !

فؤاد الخشن

جربي الحرمان يا من عودت
واخفسي زهو جناح صاحب
والعرفي ان لرت ، يا معبودتي ،
ونفسي ، ان همى الدمع ، الى
مقلة ترنو حنايا ضارعا
كل اثني دون ضعف آسبر

لا توكني ، في الهوى ، يا حلوة
ودعي الجبر وما لونه
وتدلي الهم اشهى خمرة

انا من اهلك افسو ... صدي
عنة الاقدار للهم ان
يلذوق الوجند اشهى قلق

ينفج العنقود ان لوحه
وكذلك الفود يعطي طيبه
اسبلي الهدب لرحلات على

والعائكة مسرحية ثانية هي (عليّة بنت المهدي »
والشاعرة العراقية اذ تتكلم عن هذه الفاتنة العباسية
تبعث من الرميم اخت هارون الرشيد التي كانت زهوة
عصرها وقد استطاعت من خلال الستور والقيود ان
تنسم الحب كما شاء هواها وان تترك في اغاني ابسى
الفرج صوتا من المثة المختارة صورت فيه جسيم الفرام
حتى جارت عائكة في ايمانها واطانت بالفاتنة المرحه في
افياء الكرخ وعلى ضفاف دجلة حيث كان الرشيد ينحدر
في زورقه المترف تحت اضاء القمر وفوق ارجوحة الماء .
ومنذ عرفت عائكة الخزرجي ونازك الملائكة وخديجة
الحديثي وراجة امين ومقبولة الحلبي وغيرهن من ادبيات
العراق في اثارهن القيمة ادرت ان عهدا جديدا في ادبنا
الحديث قد اشرق من العراق المتوثب ، واذا كانت عبقرية
الاغريق قد انحدرت من قمة الاولمب فان نبوغ الادبيات
العراقيات قد شع من صميم الاسالة العربية التي ما
تخلت عن الموهوبات منذ نبعت « شهرزاد » .

ولن يغلق التاريخ كتاب الف ليلة وليلة على دفنته فان
الوف الليالي والليالي ما تزال تشرق على بغداد مضمخة
بعطر غابرها متألقة في وهج الحضارة العربية المعاصرة .

وداد سكاكيني

دمشق

البشاشة والطمانينة حين وجد تلميذته الشاعرة تعكف
بثقة ومقدرة على ديوان الشاعر العراقي النزيل « العلام »
بن الانحف « فتؤثره بعنايتها ودراستها لتخرج منه
بمؤلف قيم لابن وطنها المنسي يكشف عن نبوغه وغاياته .
وشرحت عائكة شعر العباس وحققت في المخطوط منه
والمطبوع حتى اخرجته على النسق العلمي المنشود اقرب
ما يكون الى السداد ، فاثبتت ان في طاقة الاديبسة
الموهوبة ان تجري مع الجامعيين الموهوبين في بعض
التراث وتجديده ولو كانوا من الكتاب او الشعراء .

ويبدو ان روح « جان جبرود » قد خامت خواطر
عائكة حين صنعت مسرحيتها الشعرية « مجنون ليلى »
وهي تعلم ان شوقيا قلا ملا اليد بهذا النشيد واحله في
مقاصير الحضارة بمسرحيته البليغة التي عرضت بدار
الادب في القاهرة وجبرود لما صنع روايته المسرحية
« امقريون » رقم ٣٨ كان يعلم ان سبعا وثلاثين رواية
ودراسة قامت على ذلك الاثر التمثيلي عند الاغريق فاما
ابعد في صنعه جديدا وانما كسا الروح الاصيلة رداء
بلازم ذوق العصر وطبع الجمهور ، وكذلك صنعت عائكة
الخزرجي في مسرحيتها الشعرية « مجنون ليلى » ولو
ان في المجال متسعا لعقدت مقارنة بين عملها وما سبق
اليه شوقي شاعر هذا العصر .

ناثير استنتاج محطىء اتى به باحث متقدم فتلاه الاحقون! لقد مكثنا نتردد في الحزم يقول فاسل ، حتى وجدنا استاذنا الدكتور احمد امين ينشر بحوثه المعروفة بمجلة الثقافة عام ١٩٣٩ عن جنابة الشعر الجاهلي على الادب العربي فيتعرض لشعر الطبيعة بالاندلس كي يقول فيه عن الجزء الثاني من فيض خاطر ص ٢٥٨ اذ جمعت به هذه المقالات

« لقد كانت الاندلس اغنى بقاع المسلمين منظرا ، واوفرها جمالا ، وابدعها الخالق ايما ابداع ، وصاغها خير صياغة ، ولونها اجمل الالوان ، فلا يستطيع من يراها الا ان يفتن ، ولا من شاهدها الا ان تفتنه ، ومن الحق ان شعراءها غنوا اكثر من غيرهم ، وتغنوا في ذكر محاسن الطبيعة ايما تغن ، ونبغ فيهم امثال ابن خفاجة الملقب بشاعر الطبيعة ، ولكني لا اكتم القارىء اني قرأت كثيرا من شعره ، وشعر غيره من الاندلسيين ، فكان شعوري نحوهم انهم اجادوا الصياغة ولم يوفقوا ان ينفخوا الروح ، شعرهم تمثال بديع لا حياة فيه الا في القليل النادر ، شعرهم من راسهم لا من قلوبهم ، اكثر جهدهم موجه الى البحث عن تشبيه رائع ، واستعارة بدعة تعجب علماء البيان لا نتيجة شعور يتدفق ، يريد ان يحضن الطبيعة لجمالها ، ولا هو صرخة اعجاب خرجت من اعماق القلب في بساطة فطرية ، ولا هو تمجيد للجمال وتقديس لانظره ، يخر امامه الشاعر ساجدا ولا هو احلى من الشعر باندماج الطبيعة في نفسه واندماج نفسه في الطبيعة حتى كأنه هو هي او هي وهو وحده لا انقام لها ، ولا حين يهبور بحياة الطبيعة وقوة نبضها كما ينبض القلب ، ولا هو شعور الظمان يريد ان يرتوي ولا يرويه الا جمال الطبيعة ثم هو يعل منه وينهل ، وكلما عب ازداد لذة وازداد ظما .

لا شيء من ذلك ! وان عثرنا على شيء فهو القليل النادر الذي لا يروي ظمأ انما اكثره من قبيل الخيال المصطنع يتعمق فيه الشاعر ، ليظفر باستعارة او يسبح في الافاق ليأتي ببعض المحسنات البديعية » .

صادف كلام الدكتور احمد امين في حينه هوى لدى نفسي ، ولكن نفرا من كبار الباحثين قد تصدوا لممارضته فحاولوا ان يتقضوا وجهات كثيرة من انظاره المختلفة ، وقد تعرض الدكتور عبد الوهاب غزام بالثقافة وزكي مبارك بالرسالة للتعقيب على ارائه في الادب بعمامة ومن بينها ما يتصل بشعر الطبيعة الاندلسي ، ونقل هنا طرفا مما قاله الدكتور مبارك ، نستطيع بعد ذلك ان ننصف شعر الطبيعة الاندلسي على ضوء الاختلاف المتباعد بيننا وشمالا في الاراء . قال الدكتور زكي - عن مجلة الرسالة العدد ٣١٩ سنة ١٩٣٩ :

« هل من الحق ان الاندلسيين لم يحسوا الطبيعة ولم يتذوقوها ، كما قال احمد امين ! ان المعروف عند جميع



محمد رجب البيومي

الاصالة في شعر الطبيعة بالاندلس

بقلم محمد رجب البيومي

كان من المسلمات البديهية لدينا في عهد التلمذة بالمدرسة الثانوية والكلية الجامعية معا ان الشعر الاندلسي قد برع في وصف الطبيعة براعة لا يقاس بها غيره ، وان جمال الاندلس بجبالها الخضراء وسهولها الباهية وجدوا في المتفرقة ، ورباضها المفضلة وترفها الناعم المريح كل ذلك قد اهم الشعراء ما لم يلهم به بلد اخر من البلاد العربية في المشرق ! ثم مضت بنا الايام على هذا الاعتقاد ، ونحن نقرأ ما لدينا من شعر الطبيعة بالشام والعراق وغيرهما فنجد له لا يقل براعة عن شعر الاندلس ! ثم تعود الكرة الى شعر الطبيعة بالاندلس فتعجب بكثرته النسبية ، ولكننا نتساءل اي اعجاز ممكن قد ارتفع به عن شعر الشرق في نظر الباحثين فلا تكاد تجد من القلائد المعجزة ما يطمئنا الى ما نشأنا عليه في ازمة الدراسة !! ايكون لدى هؤلاء المؤلفين من مدرسين وجامعيين ما ليس لدينا من النصوص ! هل عندهم من مخطوطات الاندلس ما يملكون الفصل به في قضية لا يتيسر لنا الحكم فيها على وجهها الصحيح !! ولكنهم حين يستشهدون على براعة الاندلس الباهرة في الشعر الطبيعي ، لا يأتون لنا بما نهجل من القصائد ! فاشعارهم المختارة شائعة ذائعة ، ونحن قد اطلنا الوقوف امامها اطالة مفرقة فلم ترتفع بنا عن ارض الشرق الى سماء ذات صور وتهاويل !! ايكون الفرق بين شعر الطبيعة في الاقليمين شيلا محدودا كما نراه ويكون هؤلاء الدارسون الفاضل قد وقعوا تحت

ادباء اللغة العربية أن الاندلسيين تفوقوا في وصف الطبيعة فكيف تفرد أحمد امين بنكران ذلك ؟ يكون اعلم الناس بالادب ولا نعرف ! هذا والله اعجب المعجب ان الادب الاندلسي قد تعرض للضياع منذ احيال فلو قلنا ان ذلك الادب ضاع منه اكثر من تسعة اعشاره لا بعدنا عن الصواب ، ومع ذلك بقيت آثاره تشهد بان العرب في الاندلس احسوا الطبيعة والوجود احساسا قليل النظائر معاذ الادب ان نفهم الطبيعة كما نفهمها أحمد امين فنظنها مقصورة على الشجرة والزهرة ، انما الطبيعة كتاب الوجود بما فيه من حجر ومدر وشجر ونبات وماء وجماذ والطبيعة الشاملة تظهر بعظمها وجبروتها ممثلة ناطقة في اكثر ما كتب الاندلسيون ولو شئت لقلت انهم بالغوا في ذلك حتى قاربوا الاسفاف ، فهل كانوا يعلمون من وراء الغيب انه سيجيء في اواخر الزمان من يتفهم بالغفلة عن تدفق الطبيعة والوجود !

ثم اخذ الدكتور يستشهد بآيات اندلسية في الطبيعة لا نفلتها بعدت عن مثل الدكتور أحمد امين ، فهي من الذبوع والسيرورة بحيث يعرفها اكثر القراء ؛ ولكن اختلاف الراي بين الباحثين الكبيرين قد نشأ من نقطة واحدة ، هي ما ينبغي ان يتسم به شعر الطبيعة في الادب العربي ؛ وبايضاح هذه النقطة الهامة يتكشف مقطع الراي دون نزاع ؛ قرا الدكتور أحمد امين نماذج كثيرة للشعر الاوروبي في الطبيعة فرأى ان اكثر المناظر الطبيعية في الغرب لدى شعرائه الكبار توحى بعماء رائحة في وجدة الوجود وتناسقه ، وتلهم افكارا حية عن الزمان والمكان والحسب والخلود والماضي والحاضر والازل والانس والحيوانات المتحددة في تدفق ، والبحر الممتد في سعة وعمق والغابات ذات الشجر الملفف والطيور المفرد والجبال المتوجة بالثلوج كل اولئك مما يلهب خيال الشاعر الاوروبي فيقبس منها بوارق الابداع ويخلع عليها من ذات نفسه قبراها ذوات ارواح واصداء واصوات ، ويتخيل لها تاريخا خافلا يمتلئ بالفرح والالم والنشوة والحسرة والصعود والهبوط والتقدير والانطلاق ، كما ان الشعر العربي يقف عند المعنى الجزئي ، فاذا وصف طائرا او زهرة ، جعل يترصده الوان التشبيه ومناحيه في الراس والجناح والريش لدى الطائر وفي الكم والاربع واللون والورق لدى الزهرة ، مكتفيا بذلك عما يغيب فيه الشاعر الاوروبي من الاهتمام بالجواهر الكلي والاطار الشامل مظهرا فلسفة الفكرة آنا ورقة الهمس والحين آنا اخر ممما يفاجيء القارئ باحساس جديد ، تدور به نفسه دون ان نزهق فكره بمختلف التشبيهات الذهبية والتحاسين اللفظية التي نجد كثيرا منها في الشعر العربي ؛ هذا الى ان شعر الطبيعة في الادب العربي مشرقا واندلسا لا تفرد في الطبيعة بالموضوع غالبا ، فهي تأتي في قصيدة المدح او الرثاء او الغزل استطرادا ، فالشاعر ينظر اليها

معبلا فيلم ببضعة آيات ثم ينتقل الى ما يريد ؛ فوصف ابي تمام للربيع في قصيدته الشهيرة :

وفت حواشي الدهر فهي تفرور وفدا الثرى في حلبة يتسكسر
نزلت مقدمة الصيف حميدة وبدا الشتاء جديدة لا تنكسر
وابيات ابن الرومي :

حيثك عنا شمال طاف ربهنا بجنة نعمت روحا وربحانا
هبت سحيرا فنانا الفن صاحب سرا بها وتداعى الطير اعلاها
كل ذلك وعشرات من امثاله جاء في قصائد المديح عرضا ومثلا في الاندلس كثير من شعر ابن هاني وابن حمديس وابن زيدون ؛ اما ان تكون الطبيعة ذات استقلال خاص بالقول فهو ما لم يظهر بكثرة كاترة الا عند بعض الشعراء في البلاط الحمداني كالصنوبري والثامي وكناجيم والسري الرفاء ؛ وهو بعد لا يتجاوز الآيات القليلة فليس يصدر عن نفس جياش متدفق يرسل القول ارسالا كما يتحدر الماء من اعلى الجبل الى منحدر السفح ؛ اما الشعر الغربي فالطبيعة ذات حيز كبير مستقل ترقى من الاهتمام بها لدى الشعراء ما يوحى بعظم تأثيرها الخالب ؛ حتى ان شعراء الملاحم وشعراء المسرح لا يغفون آثارهم الرائعة من الوصف الطبيعي ، ويرون في الافتنان بالطبيعة ما يضيء على الملحة الطولية والمرحبة التمثيلية بهجة وجمعة ؛ مع اتساع الشعر الغنائي لتصورها والافتنان بجمالها كل الافتنان ؛ وهذا ما يطلبه الدكتور أحمد امين في الادب العربي فلا يجده ، وكان يأمل ان يرى في ادب الاندلس ما يثير فيه ان عز ان يجد ما يشابه فلم يقع على شيء ؛ لهذا ما دعاه الى نقد الاندلسيين .

والدكتور مبارك فلا يريد ان يخلط الادب العربي بشيره ؛ فاذا كان شعراء الاندلس قد اكثروا القول في شعر الطبيعة فقد قاموا بجهدهم المشكور وراحوا المشارقة وربما تفوقوا عليهم في الكثرة الكمية ؛ وهذا وحده ما يجيز للدكتور ان يباهي بما قالوه ؛ وان يعنف في نقد الاستاذ أحمد امين عتقا كان الاجدر الا يكون ؛ على آتنا بعد ذلك نتجه الى صميم الموضوع فنسأل اكان شعر الطبيعة في الادب الاندلسي موازيا لآخيه المشرقي في القيمة الفنية لم يكد يزيد عنه شيئا انه احفاده بدءا ثم استطاع ان يسير في طريق التقدم الابتكاري خطوات واعدة ؟ واذا فعل ذلك فالى اي امد سار ؟ اناذا نجيب عن هذا السؤال انما تقدم للقارئ ما يفيد ؛

من الخطأ الذي يقع فيه ارباب الموازاة بين الادبيين انهم يجعلون جميع ما قاله المشارقة يقف امام ما قاله الاندلسيون ؛ ونسوا بذلك شيئا واضحا هو ان عصر الاندلس الادبي اقل بكثير من عمر المشرق ؛ فالادب الجاهلي مثلا ادب مشرقي وادب صدر الاسلام وعصر بني امية ادب مشرقي وادب السنين الاولى لعهد بنسي عباس ادب مشرقي ايضا ولكنها كلها لا تدخل في باب الموازنة ؛ الامر واضح هو ان ادب الاندلس الى اوائل عهد

فصح وضجت بالبراح كأنها وياه نوح فوق علباء تكمل
عوى وعوت ثم ارموى بعد واربعون وللصبر ان لم يسف الشجو اجمل
ثم نجد هذا التعاطف يتقدم خطوات اخرى في العصر
الاموي اذ يربك الاعرابي ناقته فيسمعها نحن ، ولم تسر
بعد كثيرا حتى تتعب ، فيدرك انها تعالج من الشوق ما
يعالج ، ويراها غريبة مثله فلا بد ان يسعد الغريب
الغريب ! ثم يتقلب هذا التعاطف بين الانسان والحيوان
الى ايثار يصدر عن محبة واخلاص ، فيود الاعرابي لو
خلص قلبه من الشوق ، فيهديه الى ناقته ليساعدها على
الحنين ! ولله هذا الايثار السمع وهذا الشعور الرائع
يجيش به بدوي فطري فيسامي اعظم شعراء الوجدان
حين يقول :

دع الظبا تسيم الجنوبا
ان لها لتبا عجباً ... !
حنينها وما اشكت لقلوبا
يشهد ان قد فارقت حبيبها
ما حملت الا قسى كئيبها
يسر مما اطلت نصيبها
لو ترك الشوق لنا قلوبا
اذن لاترانا بهن النيبا
ان الغريب يسعد الغريبا

وشاعر كالفرزدق ليست تشيع الرقة العاطفية بين
ما عرف من اشعاره ، ولا فيما تنوّل من اخباره بل ربما
كان الى كثافة الحس ، وهوود الشعور وظلّة الطبع اقرب
من نظرائه ولكنّه يحدث عن الذب مرتين فينبجس قلبه
عن رقة لا تعرفها له من الشاعر الذي انقصر بانه لم
يعرفها بل يعرفها كثير من حين لحقت بالفناء فالمرأة اهن من
ان يكي عليها رجل !

واهون مقتود اذا صوت ناله على المسره في اصحابه من تقنا
هذا الجامد الصارم يجد ذب الصحره دانيا من طعامه ،
فيقاسمه زاده ، ويصبح به في مودة !
تتش فان عاهدتي لا تخونني تسكن مثل من يا ذب يصطحبان
وات امرؤ يا ذب والقدر كنتم اخيين كانا ارضعا بلبان
ولو غيرنا نهيت لتتس القرى اتاك بسهم او شياه سنان
ثم يتحدث عن موقف اخر مع ذب استضافه في مكان
يعرف بالقرين فيقول :

وليلة بتسا بالقرين سافنا على اژاد مشوق الدراين اهل
تلصنا حتى اتانا ولم يزل لدن فطمت اسمه يتلمس
ولو انه اذ جانا كان داتيا لاليسنه لو انه كان يلس
ولكن تشج جنبه بعدما دنا فكان كقيد الروح بل هو اتس
فقامسته نصفين بيني وبينه بقيه زادي والركائب نعلس
وكان ابن ليلى اذ قرى اللبنداره على طارق اللؤلؤ لا تبس !
هذا الانجذاب العاطفي نحو الحيوان والطير مما يندرج
في باب الطبيعة الحية قد انقطع او كاد فيما لا العصور
الاموي من عصور ، فيالبحري يتحدث من الذب كما
تحدث الفرزدق ، ولكن لا نجد من التعاطف والرحمة ما
هو جدير بشاعر كالبحتري بل نجد من الافتعال والتلفيق

بني العباس لم يكد يولد بعد ! وعلى ذلك فهو حفيد لما
تقدمه من ادب هذه العصور ، واذا اردنا ان نقيم موازنة
بينه وبين ادب مشرق في فلتكن الموازنة مع ادب حفيد مماثل
اما الادب السابقة فهي اباء واجداد للاديين معا ، ولا يلق
في باب الموازنة العادلة ان يذهب بفخر هذا الميراث
الحفيل حفيد دون حفيد ، فاذا كان لدينا من جدة متصلة
في شعر الطبيعة جاهليا وامويا فهي مما لا يندرج فسي
حساب احد ! وانما الذي نسال عنه اذ ذاك هل تمت هذه
الجدة في ادب ما فواصلت سيرها المنتظر او ان الجمود
قد وقف بها دون الاطراد ! في هذه الدائرة المحددة نسير !
واذا كان من المتعارف عليه اصطلاحيا - ولا مشاحنة
في الاصطلاح - ان ادب الطبيعة يشمل الطبيعة الحية
كالحيوان والطير والطبيعة الصامتة كالتبات والجمال
والحدائق والغابات والبحار والسموات او بعبارة اخرى
يشمل ما سوى الانسان مما يرسم في صفحة الحياة !
فاننا حين نتصفح الشعر العربي نجد في عصرى الجاهلية
والاسلام قد اهتم بالطبيعة الحية اكثر من اهتمامه بها
فيما بعد !! فتحدث الشعر الجاهلي حديثا مطبلا عن
حيوانات البادية من ناقة وفرس وذب وكلب ! وشاركه
الادب الاموي اهتمامه بحيوان البيئة وطيرها ، وان قل
الحديث عن هذه الطبيعة الحية نسبيا في الادب
الاندلسي والعباسي معا !! ويجب ان نفرق هاتين نوعين
من الشعر في الطبيعة الحية !! النوع الاول وهو ما نعرف
بالوصف ، ذلك الذي يقف عند الاعضاء والامام والاجزاء
فيصورها تصويرا جزئيا حسيا ! وهو موقور كثير في كل
ادب ! حتى في ادب عصور التدهور والاضطراب على
نسبة بين الجودة والرداءة ! اما النوع الثاني وهو الذي
يبعد عن الوصف الحي الى الحديث عن الخواطر
والشجون لدى الطير والحيوان ! فقد بدأت ظواهره في
الاديين الجاهلي والاموي ، وكان الظن بها ان تنمو في
الاديين العباسي والاندلسي ولكنها تجحرت او كادت في
الطبيعة الحية ! واكتفى الشعراء برسم الظواهر الحسية
مما يقف عند البصر وحده وهو مما عيب على الادب
العربي بعامه ! والحق ان الشاعر الجاهلي كان اصديق
قطرة واخلص طبيعته من ذوي الثقافات البيانية والتوليدات
الذهنية في عصور الصنعة والاحتفاء ! ان الشفوى مثلا
يصاحب الوحش في البداة بروح انسانية ، ويقول عن
اصدقائه من العجماءات « هم الاهل لا مستودع السر
عندهم بذائع » ثم تأخذه الرحمة بالذب فيتابعه حين
يلتمس القوت فلا يجده ، واذا ذاك يموي فتخف اليه
الذئاب عاديات سمعدات فاذا اقمنا المناحة وراين عدم
عدواها في الشيع والري لجان الى الصبر والاستسلام !
كم كان جميلا من الشفوى ان يتابع هذه المخلوقات
الجائنة ثم يتعاطف معها فيقول :

فلما لواء القوت من حيث امه دعما فاجابته نالاسر هزل

ما ينبغي عن عاطفة متحجرة سمحت له ان يقول :

طواه الطوى حتى استمر مبرره فما فيه الا العظم والروح والجلد
سمالى ودينى شدة الجوع ما به ببيداه لم تعرف بها عيشة رعد
فاوجزته خرقاء تصبب نصلها على كوكب ينقش والليل مسود
فخر وقد اوردته منهش الردى على قلما لو انه عذب البورد
ولمحت فجمعت العصى واشتويته عليه وللرمضاء من تحته وقصد
ونلت خسيما منه لم تركته وافلعت عنه وهو متغر فرد
والشريف الرضى ذلك العربي العلوي الهمام ينحصر
منحى البحرى فيقول عن ذلبي :

ولما عوى والرمال بيني وبينه يقين صبحي انه ليس راجع
وهكذا تفتش عن ادب الحيوان والطير في شعر ينسى
العباس والانديليين ومن وليهم فلا تجد غير الوصف
فقط مما لا يستثير العواطف ، او يكشف عن التعاطف
والتألف ! ولدينا قصائد عباسية كثيرة في الحيوان
لمعرات من الشعراء ! ولكن قصارها ان يتجه وجهة
المنتهي - شرقا - حين قال في اسد البدر بن عمار :

امسعر الاسد الهزير بسوطه لمن ادخرت الصارم السلولا
ورد اذا نزل الجزيرة شاربيا ورد الفرات زليزله والنسلا
ما فويلت عيانه الا طشتا تحت الدجى نار الجوى حولا
يظا الترى مترفا من بهه فكأنه اسى يحس عيلا
او تتجه وجهة ابن حمديس بالاندلس حين يصف
الاسد فيقول :

هزى له في فيه نار وشفرة كما يستوي لحم القتل على الجمر
سراجه عيانه اذا اظلم الدجى فان يا سري يا تالوش لا ترى
يضملم رعد من عظيم زليزله ويضج برق من جمالية الصخر
له ذئب مستبسط منه سوطه ترى الارض منه وهي مغرورة الظفر
فمع جبال الغرى الوصف الرائع لدى المنفى وابليس

حمديس وعشرات ممن يردون موردها في الاسكندرية
باليهكل الظاهري دون اتساع النظرة الإنسانية وشمولها
فاننا نرى ان شعراءنا العرب قد وقفوا عند الصورة
البصرية موقفا كان من الحسن ان يتجاوزوه وهذا شأنهم
جميعا - باستثناء ابي العلاء - في شعر الطبيعة الحية
شرقا وغربا ! على ان الحمام قد فاز بنصيب كبير من
القول ! فكل عاشق تهيج لواجه مدحات الحمام ! فيعبر
عن شجونه مستطرذا الى وصفها ! وادب الحمام اكثر من
ان يحصر ، وأوضح من ان يدل عليه ، وهو على درجة
قريبة من التشابه بين المشرق والمغرب فاذا قال الشاعر
الشرقي :

الا يا حمام الايك مالك حاسر وغنصك مياد فيم تنوح
اقل لا تنح من غير شيء فانسى بكيت زمانا والفؤاد صجيح
ولوعا فشتت غربة دار زينب فما انا ابكي والفؤاد جريح
قال الشاعر الاندلسي :

الا يا حمام الايك مالك بايكا وغنصك نصير والجناب مريع
تغن ولا تنسج فالك حاسر فرب والفي فليب وشعوع
ولقبك خلوص من تاريج لوفتي ولقي بلوغات الفراق صديق
والاحتذاء هنا واضح سافر ! وهو مما لا يحمد للمتاخر
اذا صدر عن رغبة التقليد لا عن تجربة توجب التنفيس !
وشعر التجربة الصادقة لا يخفى ، ففيه من حرارة

الانفعال ، واتوهف العاطفة ، وكومن اللوعة ما لا يخفى على
البصير ! لقد كان ابو فراس الحمداني اسيرا في بلاد
الروم ، بيت قصائده الى ابن عمه كي ينهض الى فكأكه
متوسلا شاكيا ، ثم طرق سمعه ترجيع ورفاء هتوف
تنوح دون ان تدلج من طارقات النوى مذاق الامير
الشاعر ! ولكنها وهي الطليقة السراح تبكي وتحن دون
المكبل الاسير ! فانطلق ابو فراس يشاء الشجن ويخبرها
عما تجهل من امره ، ويهتف في آهة هائلة مشجبة :

اقول وقد تاحت بفرقي حماسة ايا جارا لو تعلمين بحالي
مما الهوى ما ذقت طارقة النوى ولا خطرت منك الهموم ببال
تحمل ممزوق الفؤاد فؤادم على غصن نائى المسافة عال
ايا جارا ما توهف الدهر بيننا نالاي القاسم الهموم نالاي
نعالى ترى روحا لذي ضعيفة تردد في جسم يصدب ببال
ابصك ماسود وتبكي بليقة ويسكت محزون ويندب سالي
لقد كنت اولي منك بالدمع ولكن دمعي في العواطف غالي
هذا ابو فراس بالمشرق ! اما المعتد بن عباد بالاندلس
فاشد منه لوعة ، واعظم مأساة لقد حبسه يوسف بن
تاشفين بالعدوة ولم يرحم ملكه الضائع ومجده السالف
وبلاءه المشكور في مومة الزلافة حين تلاقي الجعمان ، بل
زاد قيد يديه وادفنه وارحق زوجته واطفاله بما يقسم
الظلمة بعد نعيم وافر وعز حافل ومجد سعيد ! ولم يجد
الملك الاسير غير الشعر يشع به حنينه وبودعه شكواه . وقد
عبثت به اسراب القفا طليقة غير مقيدة فتمنى ان يكون
منها مسرح في فضاء الله دون ارهاق ولحقة شعوره
الشاعر فلما لها بالصيانة والعصمة ولا فراخها بالماء والظل
فان تراخى لا يجد منها شيئا ! ونفس عن صدره بهذه
القرة ذات الالهب الحبس :

يكى الى سرب القفا اذا مردن بي سوارح لا سجن يعوق ولا كبل
ولم يك والله العبد حسادة ولكن حنينا ان شكلي لها شكل
فاسرح لا تسلي صريع ولا اعتنا وجيع ولا ينيائي يكيهما لكل
حنينا الى ان لم يفرق جميعها ولا ذاق منها البعد عن اهلها اهل
وان لم تبت مثلي تفسر قلوبها اذا اهتز باب الجن او ملعل القفل
تنسني الى لقايا الحمام تنسوف سواي يحيى العيش في ساقه حجل
الا عسم الله القفا في فراخها فان فراخي خاتما الماء والثلل
هذه التجربة الصادقة لا يمكن ان تكون تقليدا لابسي
فراس ! وانما هي شعور انساني صادق يهتز به اديب
حساس ، وهي بعد نموذج جيد لما تفتقده من اواصر
التعاطف بين الانسان والطائر في ادبنا العربي ! واي
تعاطف في الخلق من قول الملك الاسير :

الا عسم الله القفا في فراخها فان فراخي خاتما الماء والثلل
وبعد فلقد طال تطواننا حول ادب الطبيعة الحية في
المشرق والاندلس ، وانتهى بنا المسير دون ان نجد بهما
ما يصلح ان يكون نماء طبيعيا لذرة الشعر الجاهلي ذات
التعاطف الانساني الشفيق ! . وسنبعث عن ادب الطبيعة
الصامتة في الاندلس لنرى مداه في الطرافة والتجديد .

محمد رجب البيومي

الفيوم - دار المعلمات

ندوة القصاص

فيس يشع على المدى كتهاب
لمرؤة خلصت عن الاوشاب
وملاحما تروى على الاحقاب
عصفت بسمار لها وصحاب
في عريها من منز ونياب
سترت خصاستها بالف نقاب
من سؤدد لم ينتقص بمعاب
كالسيف عريانا بغير حراب

فسي مدلهم عاصف كعباب
بالسمع من شفق ومن اصحاب
اذن تصيخ بلهفة وتصابي
وتزينوا بالعظم والاداب
باريخ احسان ونفج شباب
تدري به وتناكه بعتاب
واشادة قامت مقام خطاب
متخضع في عبدة الحراب

يحدثه في الشرح والاسهاب
بالسان متلق معرب كتهاب
يتلو على السكك اي كتاب
مطروقة بهواجس القرباب
من اربعة عصيفت بجنج عاب
تسل وليس بهم خمار شراب
منما تثير هواجس الالباب
عين لتضم برهة بسراب

في ندوة القصاص للاحباب
خير يشوق سماعه كريباب
لصليل اسيااف وجهش حراب
من حلو اشواق ومر كتاب
مزل الشعاب ودون كل شعاب
بيبان صدق لم يشن بكذاب
كالرعد في هصف وفي تصخاب
مدت سرادقه بجنج غراب

طلعت فوارسه بحمر نياب
متجددا ايدا على الاحقاب
كالدهر ليس شبابها لتباب
يوما بشائية وسوء معاب
امضى وانفذ فتكة برقاب
اغظانه كعمشش لعقاب
درد البلافة دون كل حجاب

عدنان مردم بك

سير البطولة دون كل كتاب
تجلو دياجير الدجى بجلال
وتصيح نصر الفاتحين قلالدا
ارجت باتفاس المحدث نمدوة
عريت عن الالواب فهي ففيرة
ونجلببت بقناعسة وتغلف
خلق الوفار على ذراها مطرفا
عريت فزيدت في النفوس مهابة

سمارها فبس المرؤة مشرفا
تكسوا الرؤوس وارهدفوا لحدث
يتشوفون وكل جارحة لهم
هم الجموا بالصفى غرب لانهم
طابت شمائلهم وفاح عيرها
ما كنت تاخذ واحدا في ذلة
يتغاطبون باعين ما بينهم
وكانهم في صمتهم ووفاهم

ولرى المحدث بينهم مسترسلا
يتلو اساطير البطولة مرفا
وكانه قفا عيس مرفل
فتن الرجال لكل عيس دونه
حسبوا الفضل حقيقة هفوفهم
يترنحون كما ترنح شارب
صاغت هواجهم لهم كذب المرؤى
وبودهم لو كل جارحة لهم

اوليس عن فبس البطولة شاهد
في كل زاوية لها من قصة
وبكل ركن تستجد زمازم
زخرت مجالها بلاعج صبوة
من دونها صوت القرون مجلجل
ينبي بكل عزيمة عن غابر
في سمعي صدى يجلجل عاصفا
وارى بعين هواجي قتم الوغى

في كل ملحمة يروعك عالم
تلى الليالي دونهم وشبابهم
غزوات (عنترة الفوارس) حية
وغرامه شرف الرجولة لم يشن
ما كنت تدري قلبه ام سيفه
في سيفه عز الحمى وناشيت
ويشمعه عز البيان واشرفت

دمشق

طبقة الفهماء

بقلم حسن الكرمي

من « العروة الوثقى » في لندن

المثل او الصور المثالية مودعة في العقل الاسمي او في الروح العليا وهي روح العالم او العقل الكلي ، وهي الهدف الذي يسعى الى وصوله كل فيلسوف . والمثل العليا في رايه هي الاشياء الحقيقية ، وغيرها غير حقيقي ، وبما ان ادراك هذه الاشياء الحقيقية يتطلب ذهنًا وذاك ، وهذا لا يتوفران الا في الفلاسفة ، فان الفلاسفة هم الذين يجب ان يوسد اليهم امر الحكم في البلاد . وبني على هذه الفكرة كتابه « الجمهورية » المشهور .

وجاء تلميذه ارسطو (٣٨٤ - ٣٢٢ ق.م) فانتقد فلسفة افلاطون من حيث انها لم تضع تفسيراً للعلاقة بين الصور المحسوسة للمخلوقات والاشياء وبين الصور المثالية ، اي بين الصور الغائية والصور الباقية ، او بين الواحد والمتعدد . وقال ان الصور المثالية موجودة فعلاً كما يقول افلاطون ولكنها لا توجد مجردة عن النسخ المنقولة عنها بل تعيش وتحل فيها ، حتى اذا هلكت النسخة هلك المثل معها ، ولم يعد مجال للقول بخلود الروح . وللتمثيل على ذلك قال ارسطو ان الرجولية مثلاً ليست شيئاً خارجاً عن الرجل ، وانما هي حالة فيه ، ونصور وجود الرجولية منفصلة عن الرجل هو من قبيل الخيال الفكري لا غير . اما العقل الاسمي فموجود منفصلاً عن المادة ، وهو في الصفات الكمال ، وجميع المخلوقات العاقلة تسعى الى الدنو من درجة الكمال هذه عن طريق العلم وحسن الاخلاق ، ولكن مع الاحتفاظ باهتمامهم بالاشياء الدنيوية . ثم جاء البيروني والرواقيون والمكرنون والنيكائون ، وقال النيكائون ان الحقيقة امر لا يمكن الوصول اليه لان واسطة الوصول هي الاحساس والاحساس كاذب لا يمكن تصديقه . ورد الرواقيون على ذلك بقولهم ان الاحساس قد يصدق احياناً وقد يكذب احياناً اخرى ، والعقل هو الذي يفرق بين الحق والباطل . وهنا دب الخلاف ، وكان من نتيجته ان الفلاسفة عادوا الى الايمان بوجوده بمقام العقل المبرر لهذا الكون . وبذلك كانت خاتمة الفلسفة اليونانية كما كانت بدايتها ، بدأت بالايمان وعادت اليه في النهاية ، وبدأت بتحكيم العقل وانتهت بتحكيمه من جهة وبالشك فيه من جهة اخرى .

ولكن المهم في الامر ان الفلسفة الغربية في جميع اطوارها حتى الان لم تتخلص من تأثير الفلسفة الافلاطونية ومشتقاتها . وغلب على هذه الفلسفة طابع التجريد الفكري . من ذلك مثلاً ان الانسان على اختلاف الصورة الجسمية في تفاصيلها له مثال اصلي كالنسخة الاصلية التي تنقل عنها جميع النسخ ، وان كل شيء في جوهره له ماهية او طبيعة اولى تكون قوامه واساسه الذي يبني عليه ، وان كل كائن له كينونة مثالية ، وان الوجود صورة مشتقة عن هذه الكينونة ، وان شكل كل شيء مستمد من شكل اصلي ! حتى اذا صنع الانسان كرسيًا مثلاً على شكل ما من اخشاب قطعها من شجرة ما ، فان شكل

يقال ان الفلسفة الافريقية القديمة انتهت بفلسفة الشك وان الفلسفة الغربية الحديثة بدأت بفلسفة الشك ، وتفسير ذلك ان الفلاسفة الاغريقين في بادى امرهم كانوا طبيعيين يبحثون في حقيقة هذا الكون وفي المادة الاولى التي تكون منها ، ثم جاء الفلاسفة الرياضيون والجدليون ، ومن هؤلاء فيثاغورس وسقراط . وكان سقراط منشئ الطريقة الجدلية في البحث الفلسفي للوصول الى معرفة معاني بعض المفاهيم مثل العسل والامانة والخبرة والشجاعة وما الى ذلك من المفاهيم التجريدية . وقد استعمل افلاطون هذه الطريقة ايضا ، ولكن مسمى سقراط الى ادراك المفاهيم والوصول الى كنهها او ماهيتها اوحى الى افلاطون الى ان الاشياء ايضا صورا مثالية تختلف عن صورها المادية المحسوسة وقال بنظرية المثل العليا ، وفرق بين الصور المادية التي يدركها الاحساس والصور المثالية التي لا يدركها الاحساس وانما يدركها العقل وحده . واخذ من الفلاسفة الاتقيين مثل هراكليتس فكرة التغير وقال ان الاشياء الدنيوية متغيرة وفي حالة صيرورة دائمة في حين ان الصور المثالية المثالية ثابتة لا تتغير وهي دائمة الكينونة . واخذ عن اناكساغوراس (٥٠٠ - ٤٨٠ ق.م) فكرة العقل الكلي ، وعن بارمنيدس (ولادة نحو ٥٣٦ ق.م) فكرة العالم الاولي ، واخذ عن اتباع فيثاغورس القرن السادس ق.م) فكرة خلود الروح ، ولكنه اخذ عن معلمه سقراط الفكرة القائلة بوجود طبيعة دائمة كنهية لا يمكن الوصول اليها الا عن طريق العقل ، وهي الفكرة التي فصلت بين الاحساس والعقل اولا ، وفرقت بين عالين : عالم سفلي وعالم علوي ، وجعلت للاشياء صورتين : صورة ظاهرة وصورة حقيقية . فالمخلوقات في هذا العالم من حيوانات ونباتات وجمادات لها انواع مختلفة ، ولكن لكل نوع منها مثلاً اصلياً وافراد النوع تكون على هذا المثال ولكنها تكون غير كاملة ولا تصل الى درجة الكمال التي عليها المثال الاصيل . فهي صور ممسوخة عن ذلك المثال . فالمثل اذن عند افلاطون متعددة بحسب الانواع في المخلوقات وفي الاشياء المعنوية كالشجاعة والعدالة والامانة مثلاً ، فهذه ايضا لها مثل اصلية او صور مثالية . ولم يكتف افلاطون بذلك بل خطا خطوة اخرى في هذه الدهنيات وقال ان

الكرسي كان في الاصل كامنا في الشجرة ، وان الزمن سورة عن الابدية وهكذا وهكذا . ومن هنا افتتح الباب امام الفلاسفة ، فاعتمد بعضهم العقل وحده ، واعتمد البعض الآخر الاحساس وحده ، واخذوا يقسمون العالم قسمين : قسم في الذهن وقسم خارج عنه ، بل ان بعضهم جريا مع افلاطون قال بان الافكار والصور الذهنية التي تقوم في العقل منذ الصغر كانت في الاصل موجودة في الذهن من الازل وانما الاختبار والتجربة ينهانها ، وتفرغ الفلسفة تحت هذه التأثيرات الى الفروع التي ذكرناها في المقال السابق ، واتصلت الفلسفة الافلاطونية بالافلاطونية المستحدثة ، وكان لها ما كان من التأثير في الدين في العالم الغربي . والجدير بالانتفات في هذا الامر ان الدين في الغرب كان له اثر كبير في تطور الفلسفة . وقد اوضح ذلك الكاتب الالماني الاصل هاينرخ هايي في كتابه « الدين والفلسفة في المانيا » . فقد هناك ان ثورة لوثر الإصلاحية بعثت حرية الفكر وجعلت المعهد القديم والمعهد الجديد المرجع الوحيد للفصل في كل امر . وكان من نتيجة ذلك الإفراط في الاعتماد على النص على اعتبار ان هذا النص من وحي الله . وهنا نشأت حركة دينية فلسفية نفرت من هذا الاعتماد المفرط ودعت الى مذهب ديني وفلسفي جديد وهو ما يسمى *Deism* اي الإيمان بالله ولكن لا عن طريق الكتب السماوية . ثم جاء كانت الفيلسوف الالماني وابندع فلسفته المعروفة بقضى بها على هذا المذهب الجديد . واما هيكل ، وهو اكبر فلاسفة امانه طرا ، ففلسفته كانت في الاصل بدائع ديني . فانه عارض كانت الذي كان يقول ان المعرفة تصل الى الحقيقة ، وقال ان المعرفة توفيق بين الروح والمادة . ثم ان اساس فكرة هيكل الجدلية التي يقول فيها ان التعارض بين فكرتين يخلق فكرة ثالثة تجمع بين التقيضين اساس ديني محض ، اراد به ان يحل عقيدة التعارض بين الاوامر الدينية الشديدة في العهد القديم وبين رغبة الانسان في التحرر من هذه القيود ، فوضع فكرة (التوسط) وعبر عن ذلك بان المحبة المتجسدة في السيد المسيح هي التوسط لحل هذا التعارض . فالتاريخ في سيره محكوم بفكرة الوساطة هذه ثم جاء بعد ذلك وقال قولته المشهورة

ولم تخل فرنسا ولا بريطانيا من التأثير الديني في الفلسفة . فالفيلسوف الفرنسي ديكارت (١٥٩٦ - ١٦٥٠) الذي بدأ الفلسفة الحديثة بمبدأ الشك المطلق جاء بعد ان انقسمت الفلسفة التي كانت في القرون الوسطى الى ثلاثة اقسام : (١) الفلسفة المستقلة (٢) العلم النظامي (٣) الدين . فقد كان علماء الكلام الغريبيون يسخرنون الفلسفة لخدمة الدين ، مع اعطاء الدين المقام الاول والقول الفصل في جميع الخلافات . ومع نجاح العلم النظامي الحديث انقسم اصحاب الفكر الى علماء ماديين يؤمنون

بالتجربة والمشاهدة امثال بيكن الانكليزي والي علماء دينيين امثال المطران باركلي الايرلندي (١٦٨٥ - ١٧٥٣) . وكان من نتيجة هذه الجبلية الفكرية وهذا التعارض في الاراء قيام ديكارت بانكار كل شيء بقوله هؤلاء . واراد ان يتجرد من كل تأثير سابق وفكرة قديمة ويضع الفلسفة على اساس جديد . وقال ان الاساس الجديد يجب ان لا يتطرق اليه الشك ، وخرج من ذلك الشك كله بحقيقة اساسية واحدة وهي انه مفكر ، بمعنى ان عملية التفكير وليس الانسان المفكر هي ما لا يتطرق اليها الشك ، ومنها قال : انا افكر فانا موجود . ولكنه قال ايضا ان شعوره بالتفكير يجعله يشعر بنفسه ويشعر بأنه مخلوق محدود غير كامل . ومضى من ذلك الى القول ، على طريقة افلاطون ، ان محدوديته لا تفهم الا اذا كان يوجد شيء غير محدود ، وان تصوره عن الكمال لا يفهم الا اذا كان يوجد شيء تام الكمال . وخرج من ذلك كله بفكرة استنتاجية وهي وجود كائن حقيقي كامل من جميع الوجوه ولا يحصره حد ، وهو الله . وهنا نمود بالذاكرة الى افلاطون ونظيرته في المثل العليا . فان هذه المثل كانت عنده عبارة عن جواهر حقيقية موجودة ابدية ثابتة سواء فكرنا فيها او لم نفكر . ثم اخذ هذه الفكرة القديس اوغسطينوس (٣٥٤ - ٤٣٠) فقال ان هذه الجواهر الابدية يمكن اعتبارها افكارا في ذهن الله . وفي القرن السادس عشر اخذ الفلاسفة فكرة اوغسطينوس من اساسها ، ولكنهم قالوا ان هذه الافكار موجودة في ذهن الانسان . والفكرة الاستنتاجية التي خرج بها ديكارت هي من هذا القبيل مع غيرها من هذا النوع . والى في الاصل راي ديني .

ولكن كيف تمكن ديكارت من الفصل بين ما هو صادق وما هو كاذب ؟ استعمل ديكارت الطريقة الكلامية المعهودة ، فقال : لما كان الله كاملا صادقا ، ولما كانت معرفة الانسان بالعالم مستقلة من معرفته بالله ، فمعرفة الانسان بالعالم يجب ان تكون صادقة ، والعالم يجب ان يكون حقيقيا ، على شرط ان تكون هذه المعرفة جليلة متميزة ، لا يشوبها شيء من التنظيمات المشكوك فيها ، لان الله ، بكونه الحقيقة ، لا يمكن ان يخدع الانسان ويفسه . وقال ان المعرفة الجليلة المتميزة تأتي عن طريق الرياضيات والميكانيكا . وبهذا فتح الباب امام الفلسفة الميكانيكية في الحياة التي نشأت فيما بعد .

وهمنا هنا ناحية من فلسفة ديكارت تتعلق بتطور الفلسفة المبنية على *Phenomenology* نشوء الفلسفة الوجودية ، وهي ناحية الفصل بين العقل والجسم . فان ديكارت اعتبر العقل او الشعور منفصلا عن الجسم او المادة ، وجعل لكل منهما مجالا مستقلا عن الآخر . ولما اراد ان يعزل الارتباط بين العقل والجسم قال ان الله هو الذي يحرك العقل فيفكر الانسان مثلا في رفع يده ، ثم يحرك الله اليد فتتحرك . فعنده ان العقل يتحرك وحده بامر

الله والجسم يتحرك وحده بامر الله ، بدون ان يكون اتصال مباشر بين العقل والجسم . وقد ادت هذه النظرية الى اعتبار الشعور مخزنا مستقلا مطبقا تستودع فيه الافكار . وقد انكر هيرل صاحب الفلسفة الوصفية هذه النظرية الديكارتية ، كما انكرها تلميذه الالماني هايدكر والفيلسوف الامريكي وليم جيمس (١٨٤٢ - ١٩١٠) . واصففت الفلسفة الحديثة في القرن العشرين بالانسلاخ عن فلسفة ديكارت ، وبالرجوع الى الاهتمام بالوجود الانساني الفردي باعتبار هذا الوجود متكاملا بقدره واقع الحياة والاختيار في هذا العالم . وهكذا فان فلسفة ديكارت التي بدأت بالشك المطلق في جميع الافكار السابقة انتهت في القرن العشرين بشك مقابل ، فذهبت ضحية السلاح التي امتنقته ضد غيرها .

هذه مقدمة كانت طويلة ، اردت بها ان اكشف للقارى الكريم ناحية من نواحي التطور في الفكر الفلسفي الغربي ، وابين بها ان الاراء الفلسفية الغربية ليست الا سلسلة متصلة الحلقات يتأثر بعضها ببعض وينجم بعضها عن بعض . ولو ظل الفكر العربي من اساسه يجري على سجيته لكانت سيرته في التطور والنشوء كبيرة الفكر الغربي تماما . ولكن النقل والتقليد لم يجعلنا محالا لهذا التطور وهذا النشوء ، واصبح الفكر في البلاد العربية عالة على الفكر الاجنبي مما ادى الى اعتناق مذاهب وفلسفات ، حتى في الشعر والادب ، لا تمت الى الواقع العربي باية صلة ، بل جعلت الفكر العربي ان كان متفكرا ينسلخ عن محيطه وينشق شطرين : فشطرن في ارض بلاده ، وهو الجسم ، وشطرن في بلاد غيرهم ، وهو العقل . ولعل فلسفة الوجودية التي هي من نتاج الفكر الغربي وواقع الحياة الغربية تكون عاملا على تعديل الاتجاه ، ولو عن طريق النقل والتقليد .

ولا استكمال العرض ارجو ان يتسع صدر القسارى الكريم لصورة اخرى من صور التفكير الفلسفي الغربي ، فقد ذكرت في مقال سابق شيئا عن الفلسفة الظاهرية Phenomenalism التي يقبل بها الان عدد كبير من الفلاسفة ، ولكن ما ذكرته كان مقتضيا جدا . واورد الان ان اذكرها بشيء من التفصيل لاربط بينها وبين الفلسفة الوصفية الوجودية . ولنبدأ بالكلام عن شيء مفصوف لدينا وهو الكرسي الخشبي مثلا الذي تقعد عليه . فنحن نرى هذا الكرسي ونلمسه ونحمله ونقعد عليه ، وكل شيء يحدثنا بان الكرسي موجود حقيقة ، حتى انه لو شك احد بوجوده لحكمنا عليه بالجنون . ولكن دعنا ننظر في الامر مليا ونسأل كيف جاء لنا ان الكرسي موجود فعلا . نقول بالطبع ، اثباتا على وجوده ، اننا نراه باعيننا ونلمسه بآبدنا ونقعد عليه ، وهل يحتاج الامر الى اكثر من ذلك ، ولكن الرؤية مثلا تكون عن طريق الاشعة الاتية من الكرسي والمارة من الهواء والداخلية في العين حيث تحدث فسي الشبكية بعض التأثيرات الكيماوية والكهربائية فتؤثر هذه

في عصب الرؤية فينقل هذا هذه التأثيرات الى الدماغ والدماغ يتصرف بها بطريقته الخاصة فيعطينا هذه الصورة المعروفة وهي صورة الكرسي كما نراها في الخارج . والسؤال الذي يرد على البال هنا هو : هل نحن مطمئنون الى ان الصورة التي يكونها الدماغ هي الصورة الاصلية التي بقيت حالها منذ ابتداء العملية وفي جميع مراحلها ، ام ان الصورة قد تغيرت في اثناء مرور الاشعة في الهواء او في العين او عند عصب الرؤية او في الدماغ ؟ هذا ما لا نعرفه ، ولذلك لا يمكننا ان نقول ان صورة الكرسي التي نراها هي الصورة الحقيقية ، كما اننا نملك الواسطة التي يمكن ان نتحقق بها من وجود ذلك الشيء الذي يقال له الكرسي ، لاننا لو اردنا التحقق لم نجد معيارا الا معيارنا نحن . فكل ما نعرفه اذن هو الصورة المرئية ، ولكننا لا نعرف اذا كانت هذه الصورة هي الصورة الحقيقية ، كما اننا لا نستطيع ان نعرف اذا كانت الكرسي موجودة فعلا . ثم ان الكرسي موجودة ما معنا نحن موجودين . فنحن الذين نكون صور الاشياء في ذهننا كما يريد الذهن لا كما هي الاشياء حقيقة . فالعالم الخارجي صورة منعكسة عن عقليا ، ولا مجال لمعرفة الاشياء على حقيقتها . والاشياء التي يستطيع الانسان ان يعتبرها حقيقة بالنسبة اليه وهي الصلاة والبرودة مثلا عند ملامسة الكرسي والشكل عند الرؤية والنقل عند الحمل وما اشبه ذلك . فاذا اكتفى الانسان بذلك ، ولم يتمب نفسه في البحث اذا كانت هذه الاحساسات حقيقة او غير حقيقة كان من جهة من اتباع الفكرة العلمية من جهة اخرى من اتباع الفلسفة الوصفية . فالعلم النظامي Science يعتمد على الاحساسات في ابحاثه ، وهو ناجح حتى الان ، وان كانت نظرياته بحكم الضرورة نظريات تقريبية . وقد يكتفي الكثيرون بذلك ، ولا يجاوزونه الى القول مع الفلاسفة المثاليين بان كل شيء هو من صنع العقل ولا وجود للعالم المادي . « وما اوتيتهم من العلم الا قليلا » .

لنن

حسن الكريم

صَدْرُ حَدِيثٍ

عن المنطوق

رواية اجتماعية علمية

بقتل تجيب البعيني

محرران

دار الكاتب العربي - بيروت

بشغتين في لون الورد الاحمر ،
شمرت بالحرص للحظة ، ويبدو انها
قارئة وجوه بارعة ، ما ان لمحت
حيرتي حتى بادرتني قائلة :

— انا في خدمتك يا سيدي .
كانت جعلتها هذه مما زاد
اضطرابي ، وهمت ان اطلب منها
طاقة من الورد ، ولكن لست ادري
ما الذي جعلني اقول لها وفي شيء
من البلادة والبرود :

— من فضلك .. وردة حمراء .
خيل الي انها ترددت لبرهة ، الا
انها سارت ، وبنشاط بدا لي
غربا ، وانحت على زهرية كبيرة ،
واختارت منها وردة حمراء مفتحة ،
وقدمتها الي في احترام وتقدير
وكأنها تمنحني وساما . وامتدت
يدي تأخذ الوردة ، وفي نفس
اللحظة سألتها :

— بكم من فضلك ؟
تفقدت وهي تحني انحناءة
بسيطة قائلة :

— انها هدية من المحل .
فوجئت بهذه الاجابة : لم اكن
انتظرها وازداد حرجي فقلت فني
لعنمة :

— كلا .. كلا .. شكرا ، انسي
اوبد ان ادفع ثمنها .
وادخلت يدي في جيبتي لاجراج
الفلس ، ولكنها قالت وهي تنسحب
الى مكتبها الصغير الاتيني في ركن
المحل :

— لقد طلبت وردة ، ونحس
تقدمها لك هدية .. هل ترفضها ؟
احسست انني اقف امام ملاك ،
وخرجت يدي مخزولة من جيبتي ،
ورفعت الوردة اسماها ، فاجبتها
قائلا محاولا ان ابدو رقيقا مهذبا :

— اني شاكر .. شاكر جدا .
وتفقدت خارج المحل ، وقبل ان
اخطو الي الخارج تماما ، التفت
اليها وانحنيت مكررا شكري .
بعد بضعة خطوات ، فكرت ان
اضع الوردة في عروة الجاكيت ،
وجربت ذلك فعلا ، الا انني اشتغلت

اعانتي على تنسيق الكلام . كنت
محتاجا الى فترة اطول للتفكير ،
ولكن الظروف تلاقت بحيث وجدت
نفسى امام المشكلة وجها لوجه . على
ناحية العمارة ، واجهة صغيرة ،
تباع فيها السجائر . اتجهت اليها ،
اخذت علبة جميلة خضراء اعجبتني
منظرها ، هذا كل ما في الامر ،
وتقدت البائع ثمتها . عدت الى
موقفي ، فتحت العلبة ، اخرجت
سجارة اشعلتها . هبت نسمات
رقيقة ، انعشتني ، ولكن رأسي
بذات تدور ، فادركت ان دخان هذا
النوع رديء ، وفكرت ان القى بها ،
الا انني لم اقبل ، ولكنني قلت من
جذب الانفاس . نظرت الى الساعة :



يقدم مصطفى ابو النصر
http://ArchiveBeta.Sakhrit.com

الاعتراف . اقتربت من مكتب
تباع فيه كتب ومجلات ، ووقفت
التي نظرة على الاسماء ، لم يكن
من بينها اسم واحد يغري بالقراءة ،
وتعجبت كيف يتاني لبعض الناس ،
ان تنفق فلوسها مقابل شراء بعض
الاوراق ، اما الصبر على القراءة ،
فكنت مشكلة اخرى .

في العمارة المجاورة محل لبيع
الازهار . اقتربت من واجهته ،
وجعلت انامل المياه المناسبة عليها ،
كان منظرها حزينا ، وشجعتني ذلك
على شراء وردة . دخلت من الباب ،
فاستقبلتني فتاة بابتسامة محاطة

سيكون من الافضل ، ان اعترف
لها بكل شيء . انني لا احب ان اكون
خادعا او جبانا ، ثم ما السذي
يخيفني ؟ . انني لا اخشى احدا ،
ولا اهتم بما يقوله الناس عني . ان
جميع الاشياء من حولي ، لم يعد
لها معنى . اي معنى ، وكل مظهر
من تلك المظاهر ، التي ربما تؤثر
في الناس ، لا قيمة لها عندي .
ومع ذلك فان بعض التردد بدا
يرادوني . انني في الواقع ، اشعر
بحالة غريبة تسيطر علي .. على
تفكيرتي ، اخلاقي ، احساساتي .
في لحظة ، اجد نفسي واقفا وحيدا ،
من حولي فراغ كامل ، على الرغم
من الصخب الذي يحتاج المدينة .
لقد اصطدم بي احد المارة ، غير
اني لم اهتم ، كان يمكن ان التفت
اليه ، واسبه واشتمه ، وقد
اطعته في شرفه ، كانت رغبتني في
الكلام قد انعدمت ، فواصلت السير ،
انني اعرف الهدف الذي اسير
تجاهه : ميدان سليمان باشا ،
المنزل رقم واحد ، ساقيف ، ثم
انظر في ساعتني ، فاذا كانت
السادسة ، اتخذت طريقي داخل
العمارة ، لن استعمل المصعد ،
انني احتاج الى فترة قصيرة ،
اجمع فيها ما سأقوله . لقد حاولت
في الصباح ان ارتب كلامي ، الا
انني فشلت وفكرت ان اكتسب
افكاري ثم احفظها ، ولكنني ايضا
فشلت : كل ما كتبت كان ركيكا ،
مفككا ، خال من المعنى . لهذا فقد
آثرت ان اترك الالفاظ للموقف
نفسه ، اما المعاني ، فاني اعرفها
جيда ، اعرفها بشكل اكيد .

الان .. وصلت الميدان ، درت
فيه حتى وصلت الى العمارة ،
نظرت الى ساعتني : السادسة الا
ربعا . علي ان انتظر ربع ساعة ،
ولكن ما الذي ساضمه خلال هذه
الفترة ؟ فكرت في شراء علبة
سجائر .. انني لست من المدخنين ،
ولكنني اعتقدت ان التدخين ربما



هذا المنظر ، وأخذت اسمها ، وقد تمثلت لي صورة الفتاة ، فملأت السعادة قلبي .

تذكرت الميعاد ، نظرت فسي الساعة : السادسة . على الآن ان اتجه الى المنزل رقم واحد ، الدور الثالث ، الشقة رقم تسعة . تأملت الوردة ، وشممتها ، ثم اتخذت طريقى الى المنزل .

ما ان احتواني ظلام الممر المؤدى الى السلم ، حتى بدأت افكر فيما سأقوله . خيل الى اننى قد نسيت الذاكرة ، واننى سأقف متلثما لا ادري ما اقول ، ولكنى اقدمت وبدأت اصعد فى السلم ، كانت ضربات قلبي تتوالى فى سرعة ، الا اننى ضغطت على نفسي ، محاولا ان اشعر بشيء من الاستئناس والامبالاة : ما الذى يمكن ان يحدث ؟ لا شيء بالطبع .. اذا رفضت فلن استطيع معها شيئا ، واذا قبلت ، انفتحت جميع الابواب امامى .

كان ضوء السلم خافتا ، ينبعث من لمبة ضعيفة فى السقف تراكم عليها الغبار . ولم يكن يصدر اى صوت ، صمت مطبق ، فتمسرت بالوحشة ، وتصورت اننى صاعد فى طريق مجهول ، ربما انتهى بى الى العدم ، ووجدتنى اتوقف عند الدور الثانى ، وتذكرت الوردة ، كانت رائحتها نفاذة قوية ، ودارت براسي عدة افكار متضاربة ، لم اتمكن من تحديد اى منها وبماذا ابدا ؟ . وعادوت الصعود فى ببطء شديد . لاح لي نور الشقة من خلال القضبان والزجاج المنبش ، فتوقفت للحظة ، ولكنى اقدمت ، وببدا ثابتة ضغطت على الجرس ، كان رنينه عاليا ، رفعت يدي بسرعة ، وابتعدت عن الباب . بعد لحظات استمعت الى وقع اقدام ، اقتربت ، ثم فتح الباب .

ظهرت سيدة بدينة ، عليها وقار ، لم ارها من قبل . شعرت بشيء من

الاضطراب ، وهممت ان اتراجع لولا جاني صوتها قائلا :

— تفصل .. تفصل .. انها تنتظرك .

وتحت عن فتحة الباب قليلا ، فتقدمت وحينما خطت قدمي الى الداخل ، وصار وجهي فى وجهها تماما ، حيثها :

— مساء الخير .

ردت علي وهي تمد يدها مسلما :

— مساء النور .. تفصل .

تقدمتنى فى الصلاة الطويلة ، وكان لوقع حداثها على البلاط الاعم صوت غريب ، اشعرنى بما انماقدم عليه . والواقع اننى - فى تلك اللحظة - لم اكن ادري تماما ، ما الذى يجب علي ان اقله ، وككل الافكار التى قلبتها فى راسي طوال الاسبوع الماضى ، لم اجد لها اى اثر ، ولعلت نفسى ان اقلبت على محاولة الاعتراف . وفتحت باب حجرة على يمينها ، وباشارة من يدها ، فدخلتها وخلفت ، وتركتني ومضت . جلست على كرسي وكرسى فى صدر الحجرة ، بحيث اصبح

أنا فى حالة من العزلة والحرارة . فترة ، تأملت فيها بعض الصور المعلقة على الحائط ، وكانت نمرة زهرية من الصينى الفاخر فى ركن الغرفة الامين عليها نقوش دقيقة . نظرت فى الساعة : السادسة . وسبع دقائق ، مرت علي وكأنها سبع ساعات . اننى الان غارق تماما فى قلب المشكلة ، ضاع وقت التردد ، لا سبيل الى التراجع ، علي الآن ان اواجهها تماما ، ان اقول لها كل ما حدث ، ذلك هو الطريق السليم ، ان لم افعل ، او حاولت الكذب ، ستكشف كل شيء ، ان لها حاسة عجيبة فى قراءة وجوه الآخرين ، وكثيرا ما اخرجتنى بمجرد التقاء العيون . انتبهت الى الوردة الحمراء فى يدي ، شعرت بالحيرة : ما الذى يمكن ان اصنعه بها هنا ؟

بدت فى اطار الباب ، فى فستان سماوي هادى ، على وجهها اشراقة غريبة ، قصت شعرها فى كمكة فوق راسها ، على شفتيها ابتسامة حائلة . ما ان وقع بصري عليها ، حتى وقفت وتقدمت مادا يدي مسلما عليها ، كفها بيضاء رخصة ، اظافرها طويلة قرمزية كحبات الكرز :

— اهلا وسهلا .. تفصل .

— كيف حالك ؟

— لا بأس .. اعترف من التبي

فتحت لك الباب ؟

— كلا للاسف .

— انها عمى .

— اهلا وسهلا .

— امرأة طيبة .

— يبدو عليها .

ولمحت الوردة ، وقع بصرها

عليها فجأة فسالتني قائلة :

— من الذى اعطاك هذه الوردة ؟

اردت ان اكون غامضا فكها فى

آن ، معتقدا ان ذلك ربما هيا

جوا لطيفا للتفاهم فاجبتها وعلى

فتحتى ابتسامة :

— اهدتها لى امرأة .

— من هي ؟

— لا تعرفينها .

— لقد أصبحت دون جوان .

— يجوز .

اطلقت ضحكة عالية ، احسبتها

ملينة بالسخرية ، تأملت ساعتها

أسنانها البيضاء الالامعة ، الا انها

فجأة ، امتدلت فى جليستها ، وبدت

لي وكأن شخصية اخرى هي التى

تجلس معي . قطبنا بين حاجبيها ،

وشبكت اصابعها ، وقالت بصوت

تبينت فيه الصلاة وعدم الترحيب :

— اذكر كل شيء لي بالتفصيل .

— اى شيء ؟

— الا تعرف !! لماذا اتيت اذن ؟

— فى الواقع .. انا اريد ..

ارد ان اقول ...

— لا تكثر من الثثرة .. اذكر

ما تعرفه باختصار .. ليس عندي

الام المفقودة

لا تبعدني عنى ففى اضلعي
ولم تنزل ذكراك انشودة
الام امشي فوق درب الهوى
واسال الايام فى لهفة
كم شدت احلامك فوق الذرى
فهجت ببى نار شجونى ولم
تار ، تسلى الحلم من مخدعي
نائرة الالمان فى مسمعي
وحدي، وطيف الياس يمشي معي
عن موسم ولى ولم يرجع
شامخة فى افق اوسع
تصفي لشكواي ولم تسمعي

انا هنا... حيران... لا انثني
واشتكي وجدا تباريحه
ماذا تريدني وفي مقتني
وفي شفاهي للاسى غنوة
ذهبت انت .. والهوى لم يزل
ولم ازل ابكي على زهرة
هاتي يدك .. لا تريدني ابى
واسعدني فى الهوى عني
فانت لي ام ، وفي جوهري
عبد الرحمن سالم عاليه
عمان

http://Archivebeta.Sakhril.com

كل شيء .
— لماذا اذن تريد منى ان اتكلم ؟
— عمتي قالت لي كل شيء .
— اذن لم يعد لوجودي معنى .
— تلك هي الحقيقة .
غادرت الحجرة ، ثم المنزل ،
ووجدت نفسي اسير تجاه محل
الاظهار . وقفت في الخارج اتأمل
الفناء من خلال المياه المنسابية ،
ولكنني خشيت ان تلمحني ، فأسرعت
مبتعدة ، وقد قررت ان اعود اليها
غدا ، فاشترى وردة ، فسان
اهدتني اياها، عرضت عليها الزواج.

القاهرة مصطفى ابو النصر

لم اكن انتظر ان تعاملني بهذه
القسوة ، او على الاقل بهذه
الطريقة . فاردت اننا ايضا ، ان
افق منها موقفا يماثل ما عاملتني
به . وببرود شديد ، متجاهلا
بدها الممدودة بالورقة المائلية ،
رفعت الوردة اشعها ، ثم مدت
يدي بها لينا قائلا :
— تقضلي هذه الوردة ، انسي
امنحها لك بدون مقابل .
كانت صغمتي لها غير منتظرة ،
وردتها لي قائلة :
— على اي حال .. لست في
حاجة الى ما تقول .. لقد عرفت

وقت .
في تلك اللحظة ، تمنيت لو لم
أت . كنت افضل ان اخرج من
حياتها الى الابد ، حتى لا افسد
موقفا كهذا ، ولكنني شعرت انني
استطيع ان اقول ما اريد لا ما تريد
هي . ويبدو انها استطاعت ان تدرك
ان فترة صمتي تعني شيئا ما ،
ويبدو انها ايضا — وهذا ما عرفته
فيما بعد — قد عرفت الكثير ،
ولم تعد بحاجة الى ما سأقول ،
ذلك انها غادرت الحجرة دون ان
تستأذن مني ، وعادت بعد قليل
ومدت لي بدها بورقة مائية قائلا :
.. خذ هذه .. وقل كل ما تعرف .

احمد شاکر الکریمی

بقلم البدوي المثلث

ولد في طولكرم (بفلسطين) سنة ١٨٩٤ وتلقى دروسه الاولى في مدارسها وبعث القاهرة طلبا للعلم في الازهر الشريف وبلغ في طلبه حوالي ست سنوات .

تحدث احمد شاکر الکریمی من اسرة تميزت بالادب والعلم والدين ، فوالده الشيخ سعيد الکریمی لفوي وشاعر قد واخوه محمود وعبد الکریم (ابو سلمی) شاعران اصيلا وشقيقاه حسن وعبد الفتی ادیبان موهوبان .

حال نشوب الحرب العظمی (١٩١٤) دون ایاب احمد شاکر الى فلسطين فيمم مكة المكرمة ليهب في تحرير جريدة « القبلة » (١) يطلب من محررها الاول الاستاذ محب الدين الخطيب صاحب مجلة « الزهراء » (٢) ، وفي مجلد عام ١٩٢٧ من هذه المجلة كتب الخطيب يقول :

« صحبتني في البر والبحر ، ورفقني في اوقات الرخاء وساعات الشدائد ، وسلخنا الايام مجلسا الصباح الى الليل سنة كاملة او اكثر من سنة وكلنا نتفق في الرأي ونختلف في الفتى ، في كل ما يلونه من جوانب الحياة اعجابا بمكانة اخلاقه وطهارته نفسه وادخاره القوة بالصمت لیسوم العمل .

وانتفضى عام تمكن فيه الياس من قلوب لم يكن للياس سبيل اليهما ، فقررنا ان نباعد عن تلك البيئة ، فحمل البحر صديقي الى وادي النيل واخترت انا البادية بطريق المدينة الى دمشق ثم التقينا في عاصمة الامويين ، وما لبثنا ان فرق بيننا يوم مسيلون ، فجنحت انا الى القاهرة ، وتخلف هو في دمشق فكان منه الرجل الذي عرفه الناس في السنوات الست الاخيرة ، حتى اختاره الله لجوارحه ! » .

بعد ایاب احمد شاکر من الحجاز الى وادي النيل ظل في القاهرة يحرر جريدة « الكوكب » (٣) الاسبوعية لصاحبا محمد القليلي ، وفي كنانة الله عكف على درس اللغة الانكليزية حتى اتقنها ، ثم زار مسقط رأسه وما لبث ان یم دمشق حيث كان والده الشيخ سعيد الکریمی نائبا لرئيس المجمع العلمي العربي .

واول عمل زاو له في دمشق عام ١٩٢٠ وظيفة بالمحاسبة في سكة حديد الحجاز وبقي موظفا الى عام ١٩٢٤ ثم استقال من عمله واقبل على الصحافة والادب ، وقد خلق

لهما ، وشرع في نشر مقالات ادبية واجتماعية وانتقادية في عددي الاربعة والست من كل اسبوع في جريدة « الف باء » الدمشقية لصاحبها المرحوم يوسف العيسى بعنوان « العرض العام » ويتوقع « قدماه » قبالها القراء بالتقدير والاعجاب ، وكانت حديث الادياء وذوي العقول النيرة ، وفيها عرض احمد شاکر كمال قال (٤) : « ... شيئا من شؤون حياتنا اليومية ، وطرفا من احوالنا الاجتماعية والاخلاقية ، وما يمسها من الامور مباشرة او غير مباشرة ، ساكين في ذلك سبيل الصراحة والحرية والبعد عن المحاباة والمداينة ، واننا نقطع على انفسنا عهدا ، بالا تعرض للشخصيات ، وان نحصر ههنا كله في معالجة المسائل الاخلاقية والاجتماعية والادبية العامة ، وان نبعد جهد الطاقة عما عدا ذلك من الامور !

هذا وانني افتتح باسم الله ابواب هذا « المعرض » للمتفرجين ابدا بعرض نفسي فيه قبل كل شيء ! » وهنا عرض احمد شاکر نفسه بمقال عنوانه « من انا ؟ » وفيه صور نواحي نفسه وتناول بعض مراحل حياته فقال : « انني شاب قروي من اسرة اشتهرت بالعلم والدين ، وقد ولدت يوم ولدت على حال غير مالوفة ، ونزلت الى هذه الارض جثة باردة بلا نفس ولا حركة ، فطن جميع الناس انني ميت ، ولولا عناية احدي القريبات لدفنتني القوم وكنت اليوم من سكان القبور ، وقد شامت في الاسرة على اثر ذلك خرافة غريبة ، ما لها انه سيتم على يدي امر عظيم في يوم من الايام ، اما انا فليست اصدق الخرافات علمية ، وهذه الخرافة بوجه خاص ، وقد اتفقت بالادباء في سفيرا ، ثم تفرغت في طلب العلم بضع سنين استغدت منها ما يلزم الرجل الحي في هذا العصر ! ورايت ان اضيف الى رأس مالي العلمي ، معرفة احدي اللغات الحية فتعلقت باذبال اللغة الانكليزية واكتسبت عليها ، بعد رجوعي من رحلة طويلة الاجل في جزيرة العرب ، فوصلت فيها الى درجة حسنة ، وصرت قادرا على فهم اكثر ما اقرا من كتب الادب في تلك اللغة ، الا انني بقيت ضعيف اللسان ، غير مبرز في ميدان الحديث ، ولست ادري اكان ذلك لانني طبعتم على حب الصمت ، ام لانني لم اتق اللغة من سيدهم والسيدات ، ولم اتبع نصيحة الشاعر « باريون » التي اوردها في قصته « دون جوان » فقال : « لذيذ والله ان يتعلم المرء اللسان الاجنبي من شغتي المليحة الحسنة ومقلتها ، والذا ما يكون ذلك ، اذا كان في مقتبل العمر وربعم الشباب ، وما اقول ذلك الا من خبرة وتجربة » .

ولم يمنعتني من اتباع هذه النصيحة الا كراهية الخلط بين اللذة التي منهاها الشاعر وبين العلم ، وانني لاعلم انني اضعت بسبب ذلك فائدة خلق في الحديث والبراعة فيه ، وهو الفن الذي تحتكره السيدات من دون الناس اجمعين ، حتى قال عنهن احد ظرفاء الغرب « ان الله

لطف بهن فلم يخلق لهن لحي كالرجال ، لانهن كن يصبن بجروح خطيرة عندما يكن بين يدي الحلاق ، بسبب عدم مقدرتهم على ملازمة الصمت والهدوء ! » .

وقد اقيمت ازمانا طويلة في عواصم البلاد العربية ، واختلطت بطبقات متعددة مختلفة من كل الاجناس المعروفة ، وكونت لي اختباراتي وتجاربتي اراء خاصة في الحياة وشؤونها ، تخالف اراء الناس تارة وتتفق معها اخرى ، ولست ابالي ان اجهر بأشد ارائي شذوذاً ، ما دمت اعتقد اني على حق ، وهذه خللة من شأنها خللق المشاكل والصعاب ، خصوصاً في البيئات الدنيا التي لا تعرف التسامح ولا حرمة حرية الفكر والوجدان ، الا ان الصمت الذي الود يجانبه ، لا يستر هذه الخللة فحسب ، بل يعرضني ايضاً لظنون الناس وتهمهم ، واني لا اعرف كثيرين ممن يعتقدون لطول صمتي انني ابكم ، وآخرون يقولون بل هو حيوان في صورة انسان لا يعرف شيئاً يقولوه !

واعتمدت منذ الصغر العزلة والانفراد ، مقتدياً في ذلك بالحكيم الفرنسي « روسو » هذا اذا جاز ان نسمي الانحجاب بين الكتب والدفاتر والافلام والمحابر « عزلة » واني منع مبلي الى اجتناب الناس والانزواء عنهم لا اهلل الفرس التي تمكنتني من معرفة شؤون الاجتماع وامور البيئة التي اعيش فيها !

هذا كل ما اقوله عن نفسي وهو كاف على ما اظن لعقد صلات التعارف بيني وبين القراء ، ولستكنفي به القاريء القنوع ، اما الذي يود ان يعرف درجة عرض البلد والبرج الذي ولدت فيه ، واسم ابي والي ، واقل الناس طربوش او عمامة او قبعة او عقلاً ، ومتزوج انا ام اعزب ، طويل ام قصير وما احب من اصناف الطعام وانواع المأكول ، وهل اكتب بيمينتي ام بشمالتي ، وهل العب الورق والتردد وكيف امشي واجلس وما اشبه ذلك ، فاني آسف لعدم استطاعتي اراءه ظمأه ، وارضاء طعمه ، اسفي على اهماله مداواة نفسه والسلام ! » ...

« وفي الخامسة والعشرين (٥) من عمره ، عام ١٩٢١ ، ولما يمر عام واحد على مقامه في دمشق ، كان يملأ الحياة الادبية في المدينة ، ويشغل محافلها ويظهر في كل مكان من صحافتها ، مرة باسمه الصريح ، ومرة باسم مستعار ، وكان يؤثر ان يتواري وراء حروف رموزه منذ عام ١٩١٨ في صنف مصر ، ثم في الحجاز ، ثم في دمشق حيث بدأ ينشر مقالاته الادبية والاجتماعية في جريدة « الف باه » بتوقيع « قدامه » وقد ساهم في تكوين اول هيئة ادبية في سورية باسم « الرابطة الادبية » وفي تحرير مجلته التي حملت اسمها فكان محور نشاطها ونجم صفحاتها ، ثم تولى تحرير مجلة « الفحاء » عام ١٩٣٣ واخيراً انشأ مجلته « الحزبان » فعاشت عامي ١٩٣٥ - ١٩٣٦ وكان يتصل خلال كل هذا باداءه العرب في مصر

والمهاجر ، ويراسلهم ويراسلونهم ، فاستطاع ان يجعل من دمشق قبلة الانظار العربية ، بالاضح عندما انشأ « الميزان » التي برع في تحريرها صحافياً ذووياً ، وادبياً فلدا ، ومترجماً مجدداً ، وباحثاً اجتماعياً ، ومساناً تحجب « الميزان » عام ١٩٢٧ حتى تحجب الشام من جديد غمامة من ظلام ، وتطفئ شعلة النشاط الادبي بفتة وكانت قد تجاوزت حدود البلاد الى ديار العرب ومسكنهم خلال فترة قصيرة من الزمن حقاً ، ولكنها ستبقى في سجل حياتنا الادبية حدثاً من احداث التاريخ يرتبط ارتباطاً كلياً وشخصياً بحياة احمد شاكركرمي ... مثل مرور الشهب المحترقة كان ظهوره في سماء العرب واختفاؤه !

« كان الكرمي (٦) دنيا متفردة في الادب العربي ، ولهذه الدنيا سماءها وبحارها وشطآنها وانهارها وبداوتها وحضارتها وما اكتشف من هذه الدنيا على ترف جماله وغناه وسعته ، جزء دقيق صغير مما لم يكتشف !

كانت ديباجة الكرمي احلى من ربيع الشام ، باكرته غمامة وطفاء ، واخل بالصور والالوان ، وكان فكره الذي تجلوه الديباجة جلوة العروس اعظم من البحر ، وعلى العمق الهادئ المظلم كان زاخراً بالمدان الكريمة من الفن نوع ومن الفن لون ، وكان الكرمي الرائد الاول للتقدم الادبي عند العرب في هذا العصر وكان الى ذلك الناقد الاول ، والاولية هنا اصعب مثلاً وارفع منزلة واعز جانياً ، وقد تمضي عصور وعصور قبل ان ياتي عبقري آخر يفرح الكرمي من هذه الذروة لا ليتسمها بل ليكون جاره على السماء من امجاده . وكان الكرمي قاسياً في نقده لا يهادن دعياً ولا يرحم الزيف ولا يصانع التهريج ولا يخدع بالضجة ولا تفهه الاسماء ، ولا وسط عنده في الفن ، ولم يكن شاعراً ولكنه كان يظن الى اخفى اسرار الشاعرية من خيال وصورة وطرب ونغم وعطر كلمة وتجارب اختها الجارة في العطر والوسيقى ، ولم تكن ثقافته اريحة الشاعرية لا ماعان السكر فيها ، وقد ترجم روائع من الفن الغربي فحمل الى العربية كل ما في الروائع من ترف البيان وترف الوجدان حتى ليغار الاصل من الترجمة وفاءة ووسامة وسعة وشمولاً . وما اردت بهذه الكلمة دراسة عقبرية الكرمي فهي عقبرية متعددة النواحي ، متعددة الطيوب والالوان ، وحق الادب فيها على الدولة ، صونا لمجد ، وحليبة

- (١) صدر العدد الاول بتاريخ ١٤ آب ١٩١٦ . (٢) صدر العدد الاول بتاريخ ١٧ آب ١٩٢٤ . (٣) صدر العدد الاول في عام ١٩١٧ .
- (٤) مجموعة « الف باه » لعام ١٩٢١ . (٥) فؤاد الشبيب ، من مقدمة كتاب « احمد شاكركرمي » . (٦) من كلمة لـ « يسدي الجبل » .

خمة الكويت

حي الكويت وشعبه المضيافا
لكائنسي ما بينهم في بافا
حي الرجال، اذا دموت لتجدة
لبسوا وكأنا في السباك خفا
هذا الكويت وقد بدت صحراؤه
فيلا تكفر موحش اطرافها
واليوم يبدو جنة في ارضه
طابت ثمارا في الوري وطفافا
لقب العروبة نابض في جنبه
وندى العروبة بنفش الاعطافا
ولقد حياه الله شعبا ماجدا
تصداده ما جاوز الاطرافا
لكنا الفنة القليلة في الندى
فنة الاكرام قد زكت اعرافا
يمشون والتبر المذاب بارضهم
منسي الابسة ترفعا وغفا
ما اسرفوا الا بجود بينهم
وباسهم، اكرم به ارفا
طاف الغريب فلم يجد من رافد
فانسي الكويت فوافف التطوافا
لا يفتل الظلم يوما ان اسي
ارض الكويت وامن من خافا

لندن
فؤاد جبور حداد
من « العروبة الوثني »

الموافق ٩ تشرين الاول ١٩٢٧ انطلقت شعلة حياة هذا
الاديب الناقد ودفن في مقبرة باب الصغير بدمشق
وكتب على شاهدته قبره :

« هنا يرقد احمد شاكِر بن الشيخ سعيد الكرمني
مات غريبا الا من اخوانه » وتحت هذه العبارة بيتان
للمرحوم الشاعر محمد اليزم هما :

توى تحت هذا الثرى احمد فاضل في القلب نيرانه
واسرع يقي رسا ربه وتاريخه : ود غفرانه
وجزاء الخدمات الجليلة التي قدمها هذا الاديب
الاصيل لادبنا المعاصر قررت « لجنة مدينة دمشق
المتنازة » في ١٢ - ٤ - ١٩٥٥ اطلاق اسم احمد شاكِر
الكرمني على الشارع الواقع بين جادة الخطيب وشارع
حلب على امتداد شارع عادل الكسم !

البدوي المثلث

عنان

لعهد ، ولكنني اسكب في كلمتي هذه حنين قلبي
واشواق روحي الى الاخ الذي فقدته ، طليعة الشمس
الغاربة ثم تهاوت كوكبا بعد كوكب وفتحا بعد فتح !»

وتأسست جمعية « الرابطة الادبية » بدمشق في
اذار ١٩٢١ واصدرت مجلة « الرابطة الادبية » وقد
جاء في العدد الاول من السنة الاولى بتاريخ اول ايلول
١٩٢١ في مقالها الافتتاحي : « الغيرة على الادب - وقد
وصل الى ما وصل - حفزت طائفة من الادباء في دمشق
على نصرة بل خدمته ، فباع بعضهم بعضا بقلوبهم
قبل ايديهم على تعهده والعناية به ، واعطوا صفقة
ايمانهم على السعي وراء اعلاء كلمته فأسسوا « جمعية
الرابطة الادبية » ولخصت الجمعية خطتها : « ان خطتنا
تجمعها كلمتان : الهدم والبناء ، ونعني بذلك هدم ما
تدغم من الفاسد وبناء الصالح مع حيطة المتين منه .
نموذج من ثمره : « كان الداخل الى مقهى « ديمتري »
القديم في ساحة المرجة يرى صورة منصوبة فوق
منضدة البليار ، تمثل شيخا جليلا هو فكتور هوغو
صاحب « البؤساء » و « نورترام دي بارى » .

وقد كنت كلما امتت ذلك المقهى ، ارتاح لرؤية تلك
الصورة ، واقول في نفسي : « الحمد لله الذي اوجد بين
اصحاب المقاهي من يقدر الادب قدره ويعرف لاهله حقهم !» .
وابدت ذات يوم اعجابي بعمل صاحب المقهى الى
صديق لي ، فضحك من قولي وقال : « كنت اظن مثلك
ان هذه الصورة لم تنصب في ذلك المقهى الا لكراما للادب
وتمجيدا لرجاله ، حتى خطر لي ذات يوم ان ابتاع تلك
الصورة وازين بها منزلي ، فذهبت الى صاحب الصورة
وقلت له : « الا تبيعني ذلك الشيخ الجليل ، وترجيحه
من ضوضاء مقهاه وجلبته ؟ » فقال لي : « وما تعمل بها
انت ؟ ان هذه الصورة لا تنفع احدا سوانا ، معاشر
اصحاب المقاهي ! » ، فعجبت من قوله هذا وقلت له :
« وكيف ذلك ؟ » فقال : « نعم لانها صورة شيخ
« قهوجية » باريس ! فعلمت من تلك الساعة ان صاحب
المقهى لم يكرم هوغو لادبه ، بل لتوهمه انه شيخ
اهل حرفته !» .

وبعد ان ضحكنا من هذه القصة ما شاء الله ان نضحك ،
قلت لصديقي : « هنيئا لهوغي في قبره ، فانه اذا خسر
مشيخة الادب يوما امكنه ان يستعيز عنها بمشيخة
القهوجية ، ولا اظن الثانية الا اجدى عليه من الاولى !» .
من اثاره القلمية :

(١) « الكرميات » : مجموعة مقالات وقصص في
مواضيع شتى ١٩٢١ (٢) « مي : او الخريف والربيع » :
معربة عن الانكليزية للشاعر الانكليزي جيو فري شوسر
١٩٢٢ (٣) « خالد » : رواية معربة عن الانكليزية
للقصصي الاميريكي ماريون كروفورد ١٩٢٣ .

وفي صباح الاحد الواقع في ١٢ ربيع الثاني ١٣٤٦

وهوى لا خلقاً ، وصناعة لا طبيعة ..
 وحيثُ تصور المبادل بريشة الفنان ، وتوصف الرذائل
 بقلم الاديب ، ولا يبتني الفنان او الاديب من وراء ذلك ،
 الا للذة القارىء لا افادته ، واثارة السامع لا افادته ..
 ثم يقول الاستاذ الزيات بما معناه كذلك :

ان هذا الانحراف الادبي ، نقشى في اوربنا بعد
 الحربين العالميتين ، وتكشف عن ذلك نوعان من الادب ،
 احدهما ادب اللذة ، وهو الذي شاع وذاع وانتشر ،
 والاخر ادب المجون وذلك قديم ، قدم هذا الحيوان ،
 الكامن في اعماق كل نفس ، تصده وتكفكف من غلوائه ،
 بالدين ، والخلق ، والتربية الفاضلة ..

فاما الاول منهما ، وذلك ما نبغي ، فهو ادب بلذ ولا
 يفيد ، ويسوغ ولا يقدي ، ويشغل ولا ينه .. انك
 لتقرأه في اكثر الصحف ، ويطالعك في بعض القصص ،
 فيجذبك عرضه ، ويلذ لك تصويره ، وليليك موضوعه ،
 فاذا فرغت من قراءته ، لا تجد له رجماً في نفسك ، ولا
 حاصل في ذهنك ..

طغى هذا الادب ، على الاعلام في اوربنا ، فهزم الكتاب
 النافع ، وطرده البحث المفيد ، فتارت نائرة انقلاب الكتابة ،
 وانحوا باللائمة على مروجيه ، وحاولوا ان يفتحوا اعين
 الناس على اخطاره ، بما تشروه او ادعوا به ..

ولكن العلة كانت افصح مما ظنوا ، فان الاعصاب التي
 اوهنتها الحرب ، لم تعد قادرة على معاناة الجِد ، واحتمال
 التقيح ..

ذلك هناك في اوربنا .. اما هنا فالامر مختلف ،
 فاعيننا ليست موهونة من حرب ، ولا نفوسنا قلقنة
 من ضيق ، وانما هي الثقافة الضحلة ، والامية الفاشية ،
 والتربية الهملية ، والصبر الفارغ ، والطبع السؤوم ،
 والوقت المضيع ، والحياة الهازلة ..

هكذا قال الاستاذ الزيات .. اوردته موجزا مختصرا ،
 دون ان اخرج به عن حدود معناه ، ولست اعرض لحكمه
 هذا ، وانا اوقن بصوابه ، واعتقد صحته ، ولكني
 ازيد عليه :

ان معظم اقطارنا العربية ، تستفيق من عامية عريقة ،
 فُرست عليها خلال اجيال واجيال ، فاذا كان ما يطالعها
 وهي في بداية بقلتها ، ذلك النوع من الادب ، فان البلاء
 سيكون عظيماً ، والطامة ستكون كبيرة ..

وحسبك انها ستظل واقفة عند حدود : ما بلد ولا يفيد
 وما يشغل ولا ينه ، وما يثير ولا ينير .. واي بلاء
 يبعث هذا ؟!

ازاهير الحضارة

قال لي .. وكنا نتحدث عن الشعر في مختلف مذاهبه ،
 ومتعدد ابوابه : قرات شعراً ، يقول فيه الشاعر ، وهو
 يتحدث عن حضارة اوربنا ما يلي :



محمد سليم رشدان

في مسالك الدروب

بقلم محمد سليم رشدان
 المحاضر في كلية الاداب بالجامعة الاردنية

ما يراه الزيات

هذا الادب .. عرفه الناس يوم عرفوه ، كلاماً يتميز عن
 كل كلام غيره ، تهمس به القلوب الملهمة ، فاذا هو يعطر
 النفوس ، بأريج من احلامه الندية ، واذا هو ينير السبل ،
 ويحفز الهمم الى بعيد الغايات ، ومن اجل ذلك قالوا :

ولولا خلال سننها الشعر ما دى بناء العالي .. كيف بنى المكام
 ذلك هو الادب .. منذ عرفه الناس في بعيد ايامهم ،
 قدوتوا به اراهم ، وسجلوا به محامدهم ، وخلصوا احكامهم
 وامجادهم ..

وكان بأسلوبه : « سفر ايوب » و « نشيد الاناشيد » ،
 و « الباذة هوميروس » ، وكتاب الفرس الخالد « الشاه
 نامه » .. وغيرها .. وغيرها ، مما حفظته الايام للباقيين ،
 من عهود الفارين ..

وقد ذكرني بهذا كله ، كلام قراته لاديبنا الكبير احمد
 حسن الزيات ، استاذ الجيل ، وبقية السلف الطيب ،
 من دعاء الخير ، وبناء الفضيلة ، وفي هذا الكلام يقول
 بما معناه :

ان هذا الادب ، كثيراً ما تنحرف باصحابه المسالك ،
 فاذا هو يصبح بتأثير من انحلال في الخلق ، فنلا ادبا ،

يا ليتنا

رباه كيف الصبا يبغى على عجل
وكيف يشكو الفدا ذو الخافق الخفل
حملت من طيبات الحب امتعتي
طال المسير ودوي بعد لم يصل
وكان نور الفصحى زادي ، فما عرفت
عيناى الا السنا في رحلة الامر
غثيت للسعد ، لم احفل بنائحه
ولم اذب دمعها يوما على طلل
ان الجنان التي لاحت محاسنها
صارت سرايا ، فما للخلد من سيل
يا ليتنا مرة ذلنا من العسل
هذه ليالى الصبا جرداء ، متعبة
لم تدر في عمرها ما لذة الفول !

برلين ابراهيم شعيب

حين تبصر الطبيعة في ثوبها الاخضر ..
الموشى منها بالزهور الغاتنة ..
تفتتح عنها الحياة ايام الربيع ..
حين تبصر ذلك ..
وتعلا به عينيك ..

فتذهلك روعته ..
ويأسرك جماله ..
عندها تذكر ابناء الحضارة الزاهرة في أوروبا ..
وقد تفتقت عنهم براعم الحياة ..
فاذا هم ازاهير جميلة ..
تنبض بالقوة ..

ويفوح منها اريج المعرفة ..
وتبعث النور في الافاق المظلمة ..
في ربوع اسيا وافريقيا ..
قلت لصاحبي وقد بلغ نهاية انشاده : واعجبك هذا
الشعر من غير شك ؟!

قال : انني اريد ان اعرف رايك اولاً ، وقد اشابعك
واسير معك فيما تراه ..

قلت : سواء شايعتني ام لم تشايعتني ، فاعلم ان هذه
الازاهير الجميلة ، التي تنبض بالحياة والقوة ، وتبعث
النور في الافاق المظلمة ، في ربوع اسيا وافريقيا ..
اعلم انها تبعث مع ذلك .. الموت والدمار ، في الكثير
الكثير ، من ربوع اسيا وافريقيا ، وبالتفريق العنصري
في افريقيا وغير افريقيا ، والعصبية العمياء التي لا تعش
مع المعرفة ، الزاعمون انهم اهلها وحمايتها ..
تبعث ذلك كله ، وانه يكفي لان ينشوء مقال الاكاذيب
الذي تغنى به شاعرهم ، وجملة موضوع شعره .. قلت
لصاحبي ذلك .. فرايت في وجهه علامات الرضى ، فايقنت
انه معي ..

الناس هم الناس

حين تستقبل يومك مع الصباح الجديد ، يكون بالغ
هيك ان لا تصل اليك مساوي الناس ، وكانما لسان
حالك يردد قول حسان بن ثابت حين اتشد :

وان امرؤ يصي ويصبح سالماً من الناس الا ما جرى لسعيد
ويظل همك الاول والاخير ، ان لا تصل اليك مساوي
الناس ، وان تبقى سالماً من شرهم ، بعيداً عن اذاهم ،
ذلك شيء بلغ حد اليقين في النفوس ..

ولست وحدهم تنفرد فيه ، بل يشاطرك فيه الناس
جميعاً ، وليس ذلك يومك ..

لا .. ليس ذلك كذلك .. بل هو قديم ، من ايام حسان
بن ثابت ، شاعر الفساسة ، ثم شاعر الدعوة النبوية
الكريمة من بعد .. ومن ايام سبقت حسان بامد طويل ..
فالناس هم الناس .. وطماحتهم في ميدان الحياة بدا
منذ بداوا ، وما اقدم ذلك العهد ..

فليس في الامر اذن مجال للنفي او الاتيان ، ما دام
قد وصل الى حد اليقين ، الذي لا جدال فيه ، ولا
اجتهاد ولا تاويل .. والشئ الذي بقي بين يدك ، هو
ان تسأل عن اسباب هذا الشر ، الذي يخبئه لك الناس ،
ويفلجؤونك به من حيث تدري او لا تدري ..
وان تسأل نفسك قبل ان تسأل غيرك .. ولسوف
تسمع منها اذاها تجردت عن الهوى . انك شريك مع
هؤلاء الناس ، في كل ما يصيبك منهم ، وهذه المشاركة ،
اسهمت بها دون ان تفكر بعواقبها ..
اسهمت بها : حين رايت نار الشر مضطربة ، في وجه
زيد من الناس ، فزدتها ضراماً ، حين قابلت شره بشر
من مثله ..

حين سمعت الهجر على لسان عمرو من الناس ،
فاضفت اليه هجراً ، فاستحال الى معركة .. حين لمحت
التحفر من حاسد او حاقد ، فتهيأت له بتحفر وترقب ..
فكان صدامكما عتيقاً حين وقع .

اسهمت بهذه المشاركة ، حين فعلت ذلك كله .. ولو
انك وقفت عند الآية الكريمة التي تقول : « ادفع بالتي
هي احسن » ، فاذا الذي بينك وبينه عداوة ، كانه
ولي حميم .. »

لو انك وقفت عند هذه الآية الكريمة ، ولم تجاوز
حدود مدلولها .. لو انك فعلت ذلك .. لكبحت جماح
كل شر ينحو نحوه اليك ، واوقفت كل معتد عند حده ،
فارتد على عقبه ..

وانك قادر على ان تفعل ذلك .. فما لك لا تفعله ؟!

محمد سليم رشدان

عمان

الغفران

الى الوجه الجميل الذي سعى الي في عيد الربيع

حركت وجدا وكم هيئت اشجانا
يسوم قلبي من التبريح الوانا
ما حاد قلبي عن حبي وما خانا
وكان عهدك لي زورا وبهتانا
كان الوفاء له عهدا وايمانا

فيه الصباية اعصارا وبركانا
: لا بأس يا قلب ، سلواه بسلوانا
ولا يشافعة في رد ما كانا
حصل الصباية فالحق وحده الانا

بالصمت واستبقت بالصفح عينا
طل الندى الطل اوراقا واغصانا
حبا مضى ، كربيع الزهر ، فيتنا
وروده ! وطواه الموت ريانا
على ربيع الصبي والحب مذ بانا
: ايان متي الهوى ؟ ايان ؟ ايانا

بها الروابي التي كانت لنا انا
مرهوية الصمت ، اكاما وشطانا
على هوانا ، وكم اصقت لنجوانا
تشيد من ساحر الاممال بنيانا
من حينا ، وامانينا ، وشكوانا
علوية ، رددنا ، فسمناهن العانا
وهجن في القلب اشجانا واحزانا
تهيج من لاجبات الشوق نيرانا
رواجع لقواد بات اسواتنا
ففرقت بيننا الايام عدوانا
على المحبة اخوانا وخلانا
صفو من الحب نزعاه وبرعانا
وما تفرق في الاخلاص قلبانا
حتى بدانا نمد السمع ايكانا

لا يرتجى غيره في الناس انسانا
عهدا وليقا ، واخلاصا ، وايمانا
لا نستطيع له الايام سلوانا
ولو تصوير بحار الارض وديانا
حتى يعود لنا العهد الذي كانا

جزيت غدرك بي صفحا وغفرانا
جعلت قلبي ، لمن اشقاء ، فريانا
رجوت من حبك الجبار سلوانا
ولحظك عينيك فتاكنا وفتانا
عمن سواك ، وخاشاه وخاشانا
آتي لياليك أم يرجمن ما كانا
قلبي ! ويحيى من قلبي اذا لانا

يا من سعى لي في عيد الربيع لكم
صدت عني وفي جنبي منك هوى
اصيفتك الود لا نلقا ولا كدرا
حفطت عهد ودادي ما حثت به
وموتنا بين قلبينا عشت به

طويت جرحي في صدي وما برحت
ورفت قلبي على البلوى وقلت له
اقصر فؤادي فما الذكرى بناقة
سلا الفؤاد الذي شاطرنه زمنا

حتى اتيت وكانت منك معذرة
في صبح يوم ربيعي اتيت وقد
في صبح يوم ربيعي ذكرت به
ربيع حبي الذي ولي وما فتحت
اواه من حسرة في القلب يافية
اواه من صرخة في القلب داوية

هذي ورود الربيع النضر قد كتبت
كانت ملاعب افراح لنا فقدت
افانها ، الياسمات النور ، كم غظت
وكم جلبنا الى خناها حنينا
وكم خططنا على كتابها قصصا
وكم همسنا الى اطيارها نغمنا
ذكرتي يالائي التي سلفت
ويلاه من ذكر الماضي اذ اثبتت
يا ليت ايام ماضينا التي سلفت
كنا سميدين في حب وفي امل
كنا اليقين جبل الود بجمعا
كنا رفيقين مجموعين بشملا
حتى اتى قدر عات ففرقنا
يا ويسع للدهر : فنانا فافرحنا

يا من اواه ، قلبي ، واحدا احدا
يا من سارعي له عهدي واحفظه
يا من ساقط ودي ، ما حيت ، له
لا تذهب الدهر من قلبي محبته
يا من ساذكره ، دهرى ، وانقره

يا ايها العالم المحبوب ! حسبك قد
يا ايها الساحر المبود ، ويحك ، قد
حملت قلبي ما لا يستطيع اذا
ما زال حسنك غلابا بسطوته
وما يزال فؤادي ، منك ، في شغل
التي عفوت ! وما ادرى ابصفتني
والان يمحو لك الماضي ويغفره



يوسف عبد المسيح ثروة

طبول الغرور

بقلم يوسف عبد المسيح ثروة

ولد سين اوكيزي ، الكاتب المسرحي الماريني الساحر ، في شقة متواضعة من البيوت الشعبية المعروفة في دبلن سنة ١٨٨٠ ، وهناك امضى حياة صعبة لاؤتمت سنين صباه ملازمة الظل . ولما كانت لقمة العيش الضئيلة لا تكفي لوالديه ، لم ير والده موجبا لان يرسله الى اي مدرسة . ولذا اتخذ الصبي من شوارع دبلن الدائكة مدارس له . فتعلم منها كل ما استطاع ذهنه الفطري استيعابه مسن معلومات شتى ، متطيرة متنافرة ومتجانسة .

ولما شب عن الطوق اشتغل في مختلف الاعمال اليدوية من غير تحرج ، فمر مرارة الحرمان معرفة الخبيث ، وتجرع هوان العامل وذلته ، اذا ما سدت ابواب العمل والامل في وجهه ، وتمرس في احوال الضيق والشدة ، وتمرع في احوال الفقر ، وخاض في مهاوي الازمات ، بدا بيد مع من كان نصيبه الخفيض - في هذه الدنيا ، شأنهم - في ذلك شأنه . فلم يجد - في بواكير حياته - التي تسمى كذلك تجملالا الكد والضني والكرب والقرف والاشمئزاز ، فكان حصيلته كل ذلك - في نفسه الحساسة المرفهة - اسى واستمعارا وتاملا في البيئة التي نبت في آسن تربتها ، وفي انياب طاحونة الحياة التي قدر عليه ان يجتازها سالما . فاناد من هذه الحياة المرة تجسارب عميقة تمتد - في مساربها ومصادرها - الى ايام طفولته وصباه . ومن هذه التجارب ذوات الاغوار السحيقة والامداد البعيدة والافاق الشاسعة ، نسج خيوط

مسرحياته الكثيرة وشبكها في حيكات رائعة الانسجام ، عذبة الجرس والاوزان ، سلسلة الاسلوب ، متناقصة الاهداف والمضامين ، كانها سمفونية موسيقية نغماتها حزينة اسيفة وابقاعها مترع بالغضب المقدس . وعلى هذه السمفونية الشجية من الحياة بنى اوكيزي كل اعماله الادبية ، وجعل منها منائر للسفن التائهة في ظلمات البحار ، ومشاعل لاهية هادية للضالعين في مدلهفات الطرق والسهوب والشعاب .

ومن هنا ، فالجسيم الاجتماعي الذي تربى بين احضانه ، فكان له اعمق الاثر في نفسه ، ذلك انه وجد في هذا المجتمع تقيفا لمجتمع آخر ، يختلف عنه ، في كل شيء حتى في الناس الذين يعيشون في بحبوخته ونعمائه وخيراتهم . فاستنتج من هذا التناقض الفاضح ، ما تيسر له استنتاجه . وتبعنا لذلك ، رأى في الوجود الاجتماعي الاسمي ، او ما يسمى بالمجتمع مجازا ، اعجاز نخل خاوية .. لا يبدد بعضه ببعض غير اوهام غيبية وتقاليده مزيفة منافقة ، وقيم لها في كل يوم شأن ...

ولما كان اوكيزي ابن الحياة الاصيل ، عرف حقيقة مجتمعه حق المعرفة ، ودرس كل ما له صلة بهذه المعرفة التحقيقية الواقعية ، فولد وهو - في شبابه - ولادة جديدة ، انبثق على اثرها كلنا جديدا ، فهم الطبيعة والانسان فهما نيرا مستمدا من الواقع ، ففرق بين ما هو واقعي وبين ما هو حقيقي ، ورأى بصيرته النفاذة ، ان ما هو واقعي ينبغي ان يكون حقيقيا . وجعل همه ، بعد ان درس شكسبير ومجاهد مسرحيات « ديون بوسيكو » و« هاملت » و« بيثيل » في مسرح « الابي » منصبا على الفن المسرحي .

ولما كانت التقنية المسرحية تتطلب الصبر الجميل والمزاج الطويل ، فان اوكيزي لم ينجح في اثبات وجوده المسرحي الا سنة ١٩٢٣ بمسرحيته « ظل مقاتل » التي جعلت منه نجما لامعا في عالم المسرح بين عشية وضحاها ، وبلا وضعت حدا لتماثيه الاقتصادية ..

واوكيزي انسان غاضب على المجتمع الذي تمرغ في احواله ، لانه مجتمع تافه حقير ، يرفع الاندياء والادبيات والمناقض والمادجين اللاعبيين على الخيال ، الهابن مع كل ربح ، المتصدين في المياه العكرة ، اللابسين كل لبوس ، الراكبين رؤوسهم ، الساطين على حقوق المعذبين في الارض . انه مجتمع تمزقه التناقضات وتحطمه الطبقات المتناحرة . ولذا فهو بؤرة فاسدة تعيش فيها الطفيليات وتشترى فيها الافات البعيدة ، وتكتار فيها كل اسباب الفناء والدمار - لان التناقضات لا تنتهي لنهاية وقتية الا لعملية جراحية شنيعة ، عملية تقتيل اجتماعي تواضع الناس على تسويتها بالحرب -

ومن هنا ، كان اوكيزي حربيا عوانا على الحرب وعلى اسبابها في الوقت نفسه . وهذا هو السبب الذي جعله

يمزق اقنعة الوهم التي يرتديها شخصه تمزيقا عنيفا ، فيه نقمة المكروب ولوعة المحزون ، وانتقام الانسان الذي ضحى كثيرا ولم يجد من عرفان الجميل الا الشيء القليل . ان الوهم هو العنصر الدرامي الرئيس المسيطر على مسرحياته المعروفة « جونو والطاوس » و « ظل مقاتل » و « المحراث والنجوم » وهذا الوهم يمثل - في اوسع مدلولاته وارحب مجالاته - في الادعاء الاجوف بالمعظمة والتشدد بالكلمات الكبيرة ، والاعتلاء المرضي على سوية الناس ، والتطلع الى الامجاد الفارغة ، والتحدث البهلواني عن الماضي المشرف الذي مضى ... لكن ذكراته لا تزال تتألق سناء وبها !

ولما كان اوكيزي يعتقد جازما ان وهم المعظمة الفارغة والبطولة الزائفة هما مصدر خطر يهدد سلامة الانسانية الروحية ، ويضعها في غير موضعها الملائم لها الجدير بها ، فانه لا يرى بدا من ان ينزل صواعقه المحرقة على رؤوس كل المناققين الزائفة الذين يسعون - من خلال تفاقمهم ودجلهم واحتيايلهم - الى قلب المعايير والقيم الانسانية وجعلها اسبابا موصلة الى اغراض انانية حقيقة ، فيها تركيز على الفردية الانسلاخية ، التي تقف حيال المجتمع موقف العدو حيال عدوه . والذين يتاجرون بالكرامة الوطنية والاخلاق الرفيعة والمبادئ الشريفة هم ايضا زمرة صغيرة من النفايات التي يستهدفها اوكيزي في مسرحياته . فجميع هؤلاء الواهمون المناقون صفار النفوس ، بلقاء المصور ، عيمان بقودون عيمانا ، في ليلة دهشة نجدهم افسل وقمرها خبيء في الغيوم السود .

تمتاز شخصيات اوكيزي بالرمشة الدرامية الحادة ، وهي - في توترها وتلبليها بين الواقع والوهم ، - بين الحياة الاعتيادية وبين الحياة الزاهية الوردية التي تتراءى وراء الافق ، تعطينا صورا اخاذة للمفارقة المأساوية بين الشخصيات التي تسبح في اوهاماها ، تلك الشخصيات التي اشربنا اليها ، وبين الناس الاعتياديين الذين يفرقون من ماء الحياة النعيم الذي تتعاقب عليه السنوات بين مرها وحلوها ، لكنهم لا يتجردون من انسانياتهم ولا يقرعون من حقيقتهم ، حقيقة ضعفهم ، لانهم والنقاء صنوان ملتانرا من لا يفترقان ولاهم صرحاء اصلاء ، لم يلو اعناقهم دوار الفرور والامعاء والزهو الطاوسي ذو البهرج الكاذب والمنظر الزائف ...

ومن الملاحظ البين ان اوكيزي جعل الرجال من شخصوه من امثال جوني الشاب الصغير وابيه جاك بويل في « جونو والطاوس » ودونال دافورين في « ظل مقاتل » وباك كليثيرو في « المحراث والنجوم » امثلة ناطقة عن الزمرة المتعلقة باوهام المجد الارجواني العتيد ، وجعل النساء من اضراب جونو زوجة جاك بويل وميني عشيقته دافورين ونورا زوجة جاك كليثيرو ، جعلهم يمثلون الواقع ، في صفاته الانساني ، في سذاجته واندفاعه ، نسي

عنقوانه ، وفي كل ما يعتمد في الحياة من مشاعر صاخبة اصيلة ، واحاسيس دافقة شديدة . هؤلاء النسوة نساء حقيقيات ، وجودهن من لحم ودم واعصاب ، وهو لهذا السبب وجود واقعي حقيقي ، لا وجود وهمي باهت تأفه صفيقر القدر والقيمة مع زمرة الاوهام والاسقام من اشباه الرجال ...

ولما كان الكاتب الفنان جزء لا يتجزأ من المجتمع فان عليه كما يقول اوكيزي « ان يكون حيث الوجود الحي ، الفعال ، المتدفق بالحركة والفعالية ، ولا ينبغي له ان يوجد في البرج العاجي والملجأ الامين ، بل عليه ان يكون بين الناس يصفي الى كل شيء وينظر في كل شيء ، ويفكر بعد ذلك في جميع ما صفى اليه ونظر فيه (١) » ومن هذا الالتصاق بالصديق تتبلور التجربة وتنصلق الموهبة ، وتتسع رقعة الرؤيا الفنية .

وقد استغل اوكيزي تجاربه الخاصة استغلا فنيا رائعا ، وذلك بتمكنه من السيطرة التامة على لغة الاحياء الفقيرة في دبلن ، وصياغتها صياغة حوارية رائعة وبخامة في مسرحيته « جونو والطاوس » و « المحراث والنجوم » وهو - في ذلك كله - يعد شاعر الاحياء الفقيرة - في المدن الكبيرة ، كما كان صنوه ومواطنه جون سنچ شاعر الريف الايرلندي بلا منازع . ومع ذلك ، فان النققاد الحداثيين اختلفوا في تبيين اوكيزي الفنان اخلافا كبيرا ، فان جي . بي . فريزر يقول في هذا الشأن : « ان نظرة اوكيزي الى احياء دبلن البائسة نظرة حادة كريمة ، لكنها واقعية عنيفة ، ليس فيها شيء من الانفعالية مطلقا . » ويخلصون الى ان اوكيزي كان يفتقد الى شعور بالرحمة والشفقة التي هي من نصيب قراء اولنده .. لقد اصفى اوكيزي الى لغة الفقراء ، لكنه لم يتطلع الى ما في هذه اللغة من ايقاعات جميلة ، ذلك انه كان يستهدف الصدق ، في دائرته التي لا تستعظما . ومن هنا فاسلوب اوكيزي غير واضح ، كما هي الحال مع سنچ .. وفي بلد الشعراء كان اوكيزي ، في يواكير كتاباته ، ناثرا دراميا عظيما مع سحنة من الشعر الاعتيادي المألوف ، كالتي كان ايسن وتشيوخف يمتازان بها . ومع ان اوكيزي ليس - على التحقيق - سيد اللغة ، كما كان سنچ وييتس ، فانه درامي عصرنا ، وهو في ذلك يبرز كلا منهما . » على حين يقول ريموند وليمز في هذا الصدد : « ان الاختلاف واسع الشقة بين لغة اوكيزي ولغة الدراما الشعرية ، وربما يكون ذلك اوضح في الاختلاف بين لغته ولغة سنچ . فليست المسألة اخلافا بسيطا بين كاتبين .. انما هو تغيير في لغة المجتمع ، من كلام الفلاحين والصيادين في عزلتهم ، حيث جزالة اللغة ومهابتها تركزان بصورة مباشرة على الحياة العضوية النابضة ، الى لغة اهل المدن الجافة الباهتة عادة ، والتي لا تحتوي الا على الترانيم الشعبية والامثلة الكتابية والاغاني التجارية . »

ومن هنا ، فليس الذنب في ذلك ذنب او كيزي ، وليس النقد الذي يوجهه ر. ولير الى او كيزي نقدا موجها اليه بقدر ما هو موجه الى سكان المدن ، واو كيزي واحد من هؤلاء ، ولا يمكن ان يكون غير ذلك لانه ابنتهم البار . تحدثنا زوجة بويل ، القبطان الذي لم يجتز - فسي حياته - غير البحر الذي يفصل بين ارلندة ولغريبول ، قائلة : « انني اقتل نفسي في العمل ، بينما يختال هو هنا وهناك كاطاوس من الصباح الى المساء (٢) » وهذا الطاوس الذي لا يعرف نفسه حق معرفتها ، يصير على ان له بقية كرامة ، ولهذا فهو يرى ان من حق « ان يفادر بيته دون ان ينطلق في اعقابيه حشد من الجواسيس والقوادين والمخبرين » وهو « لا يود ان ترصد حركاته بالطريقة التي يرصد بها الفلكي نجما من النجوم » . ان حياته - بين الكاس وجوسر صديقه وبين الكل - لا تسمح له بقراءة اي شيء حتى القصص والمسرحيات البسيطة ، لان الطاوس الزاهي لا يعرف غير الخيال ، ولا يجد معنى في الحياة سوى ان يستمر فيها عالة على زوجته المسكينة التي تكد وتكدح وتموت تعباً كيلا يجوع القبطان الهام ، فيصبح مضطرا فريسة للمل الذي تفشاه منه غاشية مربعة ، تهد حيله وتبعثر نفسه ، فتشيد الام ساقبه ، ويبدأ الوخر الفظيع في الاستيلاء عليهما الى حد الخدر والشلل . وحين يلقي بالمصادفة ذات يوم نظرة على كتب ابنته ماري يعجب من تفاهتها فيقول عن بعضها وكأنه خبير بها جميعا : « بيت الدمية ، والاشياخ ، والبط البرية - كتب لا تصلح الا للاطفال ! » فتأمل في مدى اطلاعه !

وفجأة يهبط عليه خبر بوجود شغل عند احد اقاربه ، وكان مصدر هذا الخبر الاب فاربل ، رجل الدين الذي يريد ان يعمل خيرا لانسان عاطل بطل ، وحين يسرى القبطان انه قد يكون في الامر شيء من الصحة ، يتورع على كل رجال الدين ويهمس في اذن صديقه جوسر قائلاً : « ان القساوسة يسيطرون دوماً واكثر مما ينبغي على الناس في هذا القطر التمس » وهنا يجد جوسر ما يروح به عن نفسه فيقول في مرج وانسراح : « ان هذه انشودة جدير بك ان تغنيها ، اذا توفر لها اللحن المناسب ! » وما كان القبطان لا ينتظر غير مثل هذه الفرصة للقاء نراه يتساءل - في لهب من الحماسة : « الم يحولوا دون استيلاء الناس على القمح وهم يموتون جوعاً سنة ١٨٤٧ ؟ الم يدخلوا بارنل ؟ الم يفتوا بان سكير جهنم لا يكفى لعذاب جماعة القتيان (٣) ولو خلدوا فيه ابد الدهر .. واذا كانوا حرمونا كل شيء ، يا جوسر ، فقد تركوا لنا ذاكرتنا ؟ وتبرئوا منه لكسله ، نراه وفلفلف وضعيفة الكمنة ويفسرهما تفسيراً معقولا ، فيقول : « عمل ، عمل ، عمل من اجلي ومن اهلك ، يريدوننا ان نشقى كالجمال من الصباح الى المساء حتى يمكن ان نتعشى احوالهم اذا ما

جاؤا الينا يحجلون مطالبين باستحقاقاتهم . » وبعد ان ثبت لجوسر رايه هذا بالحجة التي لا تقبل النقض ، يتذكر امجاده وسفراته البحرية من خليج المكسيك الى المحيط الجنوبي ، ومن ومضات ذكراه قوله : « كثيرا ما كنت اثبت نفسي بعجلة القيادة بواسطة وتد صغير ، والريح تزار والامواج تتلاطم وتتلاطم ، حتى ليدخل في روعك ان كل لحظة ستكون فيها نهايتك » وفي هذه الومضات خيال مجتذ لطيف ، وروح مفرورة خفيفة الظل ، لكنها لا تبلغ حد قول القبطان وهو يحاور حواريه جوسر في قضية زوجته العنيفة التي تسلبه راحته كلما اخلد لها ، اذ يقول : « سوف اصدر اليوم مرسوما بتأسيس جمهورية مستقلة ، وسوف بتعين على جنو ان تقسم يمين الولاء » ...

والقبطان ، بطبيعة الحال ، رجل له اقارب عديدون ، لكنهم - على البعد - اناس لم يكن فيهم ضرر فلا تفزع برجي من ورائهم ولذلك ، لا يتورع القبطان من القول في حق احدهم ، وهو وليم اليسون ، بمناسبة الحديث الذي بدا به بنتام المحامي : « هل هو ذلك المخال الماثل ! اذكره بالطبع . » وعندما يخبره بنتام بوفاته يصيح شامتا : « لى لاسف الكثيرون على فراقه . » وما ان يذكره المحامي بوصية القريب وحصلته فيها حتى يبلغ منه الاضطراب اشده ، فيقول : « انا ، هل هو انا ؟ انا ؟ » ولما تبيّن له الحقيقة التي اراها المحامي كذلك ، ويرى ما اصاب زوجته من اذى فيقول وكله ايمان بالله وتصديق في رحمة : « لى اشك في رحمة الله بعد اليوم ايدا . » ويألفه على قوله ، لا فض فوه : « لم اكن اوقع ان يقضى بيل المسكين نحيبه بفتة بهذه الكيفية . »

اما وقد اصبح على قاب قوسين او ادنى من المال ، فان رايه في القساوسة قد تبدل كل التبدل ، فهو يقول فيهم : « كان القساوسة دائما في مقدمة الكفاح من اجل تحرير ايرلندا ! »

ثم يبلغ به وهم الثروة حدا عنيف السيطرة حتى انه يأخذ يتلايب فكره ، بحيث انه يشزع في البحث عن « شقة على مقربة من البحر ، ذلك انه يود لو يكون قبره في المكان الذي كان مهده لان البحر يناديه على الدوام . » وعندما ييلنه مصاب جارته تانكريد بانها تتغابى ويتجاهل الامر ، ويقول في مبالاة شنيعة : « بكفي هذا القدر من الحديث عن هذه الاشياء ، فهي لا تمننا ، ولسنا في حاجة الى ان نهتم بها قيد انملة . » لكن هذا لا يحول بينه وبين وهم غروده المنتفخ ، بل هو يستغزه لينتفخ اكثر فأكثر ، ولذا يقول متشدداً : « عندما كنت بحارا ، كنت امنى نفسي على الدوام ، بان اخذ من قاع البحر مرقدي » وهكذا يمشي هذا البطل ، هذا الطاوس ، هذا الانسان الذي يعيش على كد زوجته وعرقها ، يعاونه في ذلك بطل صغير هو ابنه جوني ، فهو قد عمل في صغوف

الدافع الذي يدفع بك الى العمل ، ولانهم جعلوا منك ضابطا فانك ستجعل من فعلتك هذه قضية جديدة ، بينا ثوراك الصغيرة ذات الشغتين الحمراء ، تستطيع الاستمرار في الجلوس هنا ، في صحة وحشة الليل . واحلى ما في تجربة هذا القورور قول المومس روسي : « انهم لا يعيرون الفتيات الجميلات باهتمام .. فكلهم مفعمون بمزاج مقدس . وانت حين تراهم في مسيرتهم السي الاجتماع ، يخيل لك كأنهم للة جليلة من القديسين وجيش نبيل من الشهداء تنبخر في شوارع القردوس . انهم يفكرون في اشياء اعلى من جوارب اي فتاة .. »

ومع كل ذلك يلتحق كليثرو بجيش الاستقلال الارلندي ، ويمضي الى القتال بقلب مرعوب ونفس خائفة ، وحافزه في ذلك خوفه من الخوف ، وهو لذلك ، ليس في ساحة القتال لانه شجاع ، بل هو هناك لان وههم الشجاعة دفعه دفعا الى حيث يجتمع المقاتلون ليقاتلوا ويدبح بعضهم بعضا ، وكلهم لا يدري لماذا يقاتل ، وقسي مصلحة من . ان القطيع يساق الى المسلخ مجبرا ويساق القطيع الانساني الى الحرب باهام العظمة والابهة الفارغة والاسجاد الزاهية والكلمات الزوانة .. ولذا نرى نورا تخالب نوازل الشقة التي تسكنها بقولها : « انهم خائفون من القول انهم خائفون .. لقد رايت ذلك في متاريس شارع الملك الشمالي .. رايت الخوف يلتمع في عيونهم جميعا .. وقد ضحك بعضهم مني لكن الضحكة كانت هي نفسها ضحكة خائفة .. وبعضهم صرخ في الا ان رعشة الخوف كانت تملأ الصرخة .. »

وبناء على هذا الخط ان يعود كليثرو سالما الى حضن زوجته ، بعد صراع شديد مع الرصاص ومع الموت الذي يتلاعب بينادق هذا الرصاص ، ولكنه لا يجد بدا من العودة الى القتال ، على الرغم من الحاج زوجته ، ذلك الاحاح الذي بغتت جلاميد الصخور . وقبل ان يخطو هذه الخطوة يقول : « دعيني نورا اذهب ، اترديني الا اكون مخلصا لرفائي ؟ » فتجيبه والام يمزق اصحابها تميزقا : « لسن ادعك تذهب ، اريدك ان تكون مخلصا لي ، جاك ... انا اعز اصدقائك واخصهم اليك .. انهم يريدون ان تكون في الخطر نفسه الذي هم فيه » وهنا تشتد فورة القورور في نفس كليثرو ، فيقول وكأنه خائف من عار المستقبل : « ماذا تظنيني ساشعر اذا ما اخبروني ان زوجتي كانت تجار بالنساء بحثا عنى في المتاريس ؟ آنت اعلى قدرا من اي امرأة اخرى . ولما تجيبه بانها ليست كذلك ، يصنفها بغضب ويقول : « اتردين ان اجعل كل ما تعرضت اليه

تكن كذلك لما رايتاه يصب غضبه على الشعب بقوله : « اللعنة على الشعب ، هذا الشعب الذي يعيش افراده في الحضيض ، بينما يعيش الشاعر في قمة الجبل ... ما الجمال بالقياس اليهم الا الشيء الذي يباع في حانوت الجزار . ما الحياة الا حياة تخلق لهم وهي الغاية والهدف ، اما غاية الحياة بالنسبة الى الشاعر فهي الحياة التي يخلقها هو نفسه . » وهو لا يكفي بهذه اللعنة التي تغضله بصبها على الشعب ، بل يتعالى وينتفخ ويتطاول على نفسه وقوله وهو يحاور صديق سوماس في موضوع الخوف الذي يحرف في الشوارع القريبة ، « لم الخوف ، فليات الموت ، كيف يريد ان ياتي ، ومتى يشاء واين يشاء . اني اترك خوف الموت الى الشعب الذي يصلي دائما من اجل حياة ابدية . فالوت هنا ، والموت هناك ، والموت مشغول في كل مكان . »

الا ان هذا الادعاء ما ان يوضع على محك الجسد ، حتى تطير نفس دافورين شعاعا ، ولا سيما وقد تواتت الانفجارات واخذ عسس الحكومة الموالية للاتكليز يتصيدون الناس ، وتبين ما في الحقيقة التي خلفها ماغيار ، فاذا بها مليئة بالقبائل ، الوضيعة حرجة ، والحالة تنذر بالخطر الداهم . سوماس يصلي ويقول متوسلا بعريم النول : « السلام لك يا مريم . يا ممثلة نعمة ، صلي لاجلنا نحن الخطاة التاسعين . وانت يا قديس انطون المقدس ، الا تسمعهم يطرقون على الباب . دونال ، قل فعل الندامة (a) ، في ساعة موتنا . لقد تاتنا الزجاج . » وفعاء ، في هذه الساعة المدممة ينطلق شماع لطيف يهوق الظلمات ، لقد حضرت مبني لكي تأخذ الحقيقة ، ووقعه الرجلان المبلبلان مكتوفي الايدي ، واسرعت مبني بحملها الثقيل السي مكنمها . واخذت الشرطة بالتفتيش ، وبعد ان عجزت عن العثور على شيء ، قفلت راجعة ..

وبعد وقت قصير يسمع لفظ وهياج . ان الشرطة اخذت مبني مع حقيبتها ، وان مبني لم تجد مقرا من ان تدفع بنفسها من السيارة ، وهي مسرعة ، الى قارعة الطريق وتموت كيلا تجبر على الاعتراف باصحاب الحقيقة . وهنا ولول مرة ، يقع قناع القورور من وجه دافورين ، ويشتر الطبل الذي ظل صوته يتردد مدى طويلا فيقول معترفا بالحقيقة امام صديقه سوماس الذي يخشى عودة الشرطة : « اتدري انها قتلت كي تخلصنا ؟ عندها يقول سوماس : « اهذا ذنبي ؟ انا الموم ؟ » فيجيبه دافورين : « ان الذنب ذنبك وذنبي ، ذنبا نحن الاثنين ، نحن الجناء السفلاء . فنحن تركناها تفعل ما فعلت . » وبهذا الاعتراف يحكم دافورين على نفسه ومن هم على شاكلته حكما صحيحا .

اما كليثرو بطل « المحراث والنجوم » فان غروره هو الذي حطم نفسه وزوجته نورا ولذا فانها تحيطه علما بهذا بقولها : « ان غرورك سيحطلك ويحطمني .. هذا هو

(١) فن الادب - ترجمة ي.ع. ثروة . (٢) شواهد مسرحية « جونو والطاوس » من ترجمة علي جمال الدين عزت . (٣) هم جماعة من التوار الايرلنديين المروطين ببساتهم في الدفاع عن وطنهم . (٤) هذه العبارات من فرائد مغلف صادق الرافعي ، الطيب الذكر . (٥) صلاة خاصة بالكاثوليك .

على مشارف الصحراء

وبساط الرمال يا صحراء
و خفق الجناح والاصداء
الرحب تجليه هامة زرقاء
ولها كالصبا الاتيق رواء
مثلما غاب في الكتيب الماء

شافني ربوة هنا عذراء
لم تؤرق اجفانها الاضواء
ويقوم مضوا عليها وجاءوا
فناء نجم لها .. ورق مساء
المضلات حولهم والفناء
لوحث نارهم ونادى الخفاء
ان بدت دون نظريها الشاء
فتحت بابها اليه السماء
سطرها التعماء والباناء
وهي حينما ضراصة ورشاء

الله وكم اذكت التقى البيداء
ومنى فوق رملها الانبياء
تحت الاسداف وهو رجاء
ولسوى يخافه الاقوياء
والوضوح الذي له والخفاء
قطرة في بحارة .. وهباء
حين سمته هاربا سيناء
ملك احسن وسفوة وعزاء

ملء جنبه رقة وهناء
وعن الناس .. كسرة ورداء
في صدها المقائة الغرشاء
وادع الخطو .. ان دعاء الحداء
مثلما خف لئلا الانباء
ان كذب المني الصداق شقاء
هم رجال اصاغر ونساء

ادوار حنا سعد

الجلال الذي ارى والصفاء
والكون الرقيق يقطعه الشد
واختلاط الالوان في افك
صور عذبة عليها هناء
في بشاشاتها تسرب همي

كلما شاق بالشكاية صدري
ورمال مذهبنا غصواف
حالات بما توالى عليها
بالعداء الرخيم من فافلات
بشكايات مدلجين حيداري
بالمحاحات من حفاة عراة
باللثاب التي تفج ونعوي
بغلام على الكتيب يعلى
فكان الكتيان ابيات شعر
لهي حينما ترنم ونسيب

يا ضفاف الصحراء المكونتي
كم هدت سادرا وفسات سبيلا
الح الله في المهامة والوحدة
ورخيم بخصه الرحماء
عالم سحر يروغ عدهاء
بغفر النفس موجه فاذاها
فكانني على رحابك موسى
انت امن على الجير والحق

ميرت بي هناك شاء وراع
اروي .. اغنته عما اعاني
تقتنى يتايبه فتقتنى
ليني مثله اسوق فطيما
راج بجري لخيمني وجواري
ليني مثله ولم تجد (ليت)
فيدتني اهواء نفسي يقوم

الاسكندرية

الاعراف والتقاليد . لذا فان نورا تعلق بكليثيرو وتشير
الى بريان فتقول : « انظر جاك الى الغضب في وجهه ،
انظر الى الخوف ملتصقا في عينيته .. انه هو نفسه خائف ،
خائف ، خائف ... استدر وانظر اليه جاك . فروح نفسه
باردة مرتعشة من فكرة ما سيحدث لها »
وهكذا تبتر هذه البقلة هذين الطرفين في الوقت نفسه ،
ومتضي التقاليد بزوجها المزير الى حيث لا رجعة .

يوسف عبد المسيح نروة

بغداد

من مخاطر مسخرة من المسافر ؟ وما ان يتم كليثيرو
هذه الكلمات ، حتى يبادره رفيقه بريان : « انت آت يا
رجل ، ام انك ساع من اجل ترتيب شهر عمل اخر ؟ اذا
انت تريد ان ترد فقل ذلك ، حتى نذهب نحن » فيجيبه
كليثيرو بوحشية : « اللعنة عليك يا رجل ، من يريد ان
يقوم بدور المرتد ؟ » وفي هذا الاستفهام الغاضب ، ومضة
راشحة من الخوف ، وتوكيد صريح على اهمية الاعراف
والتقاليد الاجتماعية في حياة البشر الاعتياديين ، وفي
تماسك المجتمع تماسكا وهما ، يستند الى مثل هذه

الحامون والدعابة

بقلم جان بول لاکروى ترجمة سمير شيخاني

اصبح « الضحك في قصر العدل » الفرنسي اسطورة .. فلقد انتضى الزمن الذي كان فيه الحامون والقضاة يتنافسون في اظهار خفة الروح ، وفي اطلاق النكات في اثناء الجلسات . وقضاة اليوم ومحاموه اناس مهمومون مستعجلون ، ولم يعد العصر عصر مرح ودعابة ، وتنكت . هيهات ! ان الامر يختلف اليوم تماما عنه في سنة ١٩٠٠ ، وما بعدها حتى سنة ١٩٣٠ .

في المحامي ليون كليري ، كان وقتذاك من الابطال المسيين اليوم . فهو الذي بدا مرة احدى مرافعاته بقوله : « وكما لا يخفاك ، يا سيدي الرئيس ، فلنا نحن الاثنين ، انت وانا ، المشيقة نفسها ... »

ورالت على المكان فترة قصيرة من الصمت والوجوم ، ولم يجر القاضي جوابا ، واذا بالمحامي كليري يتابع كلامه قائلا : « ... اجل ، العلوم القانونية ! »

في وكان المحامي فيشر يزن اكثر من مئة كيلوغرام . وكان خشنا في كلامه غليظا . وقد طالب يوما احدى القضاة بقوله : « ايها المحامي ، هذه القضية دقيقة جدا ، فارجوك الا تنزله فيها كالقيل وسط حانوت فيه اواني من البورسلين »

وعندها قال المحامي :

« ان تشبهك هذا ، يا سيدي الرئيس ، ذات وجهين : فهي تنطبق انطباقا رائعا على ضخامة جسمي وسرعة عجب تفكيرك ! »

في وكان المحامي ريمون هيس في العطة ، فتلقى من احد موكله ، وقد برئت ساحته على الرغم من كل الشكوك التي احاطت بقضيته ، البرقية التالية : « لقد انتصرت القضية المادلة ! فاجابه فوراً بالبرقية التالية : « اتانف ! »

في والمحامون لا يحبون ان يحدد لهم القضاة فترة كلامهم . فقد قام مرة المحامي كليري (اجل كليري نفسه) ليقدم دفاعه ، وكان دفاعا بليفا اقتضى منه تحضيره وقتا غير قصير ، وكان مقدرا له ان يستغرق ساعتين كاملتين ، فالتفت اليه رئيس المحكمة وقال له ، وهو العارف بطويله :

« اختصر ، ايها الاستاذ ، ارجوك ! »

فاستاء كليري من ذلك ، و اشار باصبعه الى موكله

قائلا : « هو ، بريء . » ثم اشار الى المدعي العام فقال : « هو سيء . » ثم توجه الى الرئيس بقوله : « انت ، قاضي طيب . » وجلس وهو يردد : « انا ، انتهي ! »

في سوى ان اغرب ما قام به محام على الاطلاق ما ينسب الى المحامي كلونيه ، وكيل الجاسوسة الراقصة الشهيرة ماتاهاري . فلما حكم على موكلته بالموت ، ورفضت طلبات الاستئناف ، ثم العفو ، طرا له فكرة جهنمية لتأخير موعد التنفيذ ، لعلها الفكرة الاولى من نوعها في تاريخ المحاكم . فقد ادعى ان ماتاهاري حامل ! فلما قيل له ان ذلك الادعاء مستحيل لان احدا لم يقر بها من الرجال طوال شهر ، بل طوال سنوات ، قال بكل هدوء :

« بلى ، انا ! »

لقد كانت ، ولا ريب ، كذبة ، ما لبث طبيب السجن ان كشفها من اهون سبيل . واعلمت ماتاهاري رميا بالرصاص ... ولكن الفكرة بعد ذاتها تبقى مبتكرة ، فريدة في نوعها ...

في وبعد هؤلاء يبرز محام لامع ذكي ، هو مورو - جيايفري ، اقوى الاصوات التي دوت في قصر العدل الفرنسي في النصف الاول من القرن العشرين الذي نعيش فيه .

فقد قال احد خصومه من المحامين ، وكان يثنىء ويفاني ، يوما رئيس المحكمة : « انا .. اط .. اطلب الكلام ! »

فتعجب مورو : « ايها الزميل العزيز ، يستحسن ان نطلب ذلك من الله ! »

في وكان مورو - جيايفري من اصل كورسيكي ، موطن نابوليون . وقد استهل مرة مرافعته بقوله : « كورسيكا هذه الاوربية التي اعتدنا ، ايها السادة ، على تسميتها فرنسا ... »

ومذ ذاك ومواطنوني في اجاكسيو ما فتشوا يتندرون بها ويلقون عليها .

في ومن الاصوات التي ارتفعت عاليا في قصر العدل في فرنسا صوت المحامي المعروف هنري توريس ، وكان لاذع اللسان ، سريع الغاطر والنتكة . اليس هو القائل عن احد زملائه الطبيين : « آه ، انه محام ممتاز ، لا يعوزه غير الكلام ! »

ولكن صوت توريس كانت تفسده صفرة ترافق لفظه حرف السين ، وله تعليق طريف على ذلك اذ يقول : « وهذا ما اجبرني على ترك مهنة التمثيل . فعندما تقدمت الى معهد التمثيل للامتحان كان من سوء طالعي ان طلب الي تلاوة مقطع من احدى تمثيلات راسين بكث فيهما حرف السين . فاستبعدتني لجنة التحكيم على الفور ! » في تضم نقابة المحامين الباريسية حاليا ٣٥٠٠ محام بينهم :

— مئة محام من ذوي السمعة الطيبة .

صفحة

بذلت ودي لاتباع الوفاء به
فادبر العرض لما اقبل الطلب
وباعني صاحبي من فضله طرفا
بمبلغ دون ما يرضى به الحسب
القاهرة سلامة خاطر

للتسيان لحظة واحدة . وتلك هي الشخصية التي يمثلها .
الا اننا اذ عرفنا ان اصدقاءه الحميمين هم هنري جانسون ،
وجان غالتييه - بواشير ، والرسام بول كولان ، ايقنا
انه في الحقيقة امرؤ بوهيمي النزعة ، وساخر ، وذو
روح مرحمة .

وقبل فلوريو وغارسون ومنافستهما الشديدة في قصر
العدل عرف هذا القصر منازعات ومنافسات شديدة بين
محامين شهيرين هما فنسان دو مورو - جيافيرى ،
وسيزار كامبينكى (الاول توفي سنة ١٩٥٦ عن ٧٨ سنة ،
والثاني سنة ١٩٤١ عن ٥٩ سنة .) فطوال ثلاثين سنة
كانت « عداوتهما » دون اي سحب قائمة ...

ومما يروى من نوادر مورو - جيافيرى انه قال ذات
يوم عن احد موكليه : « ان موكلى لم يحكم من قبل ... »
فلما قال له رئيس المحكمة : ولكنى ارى في ملفه خمسة
احكام سابقة « قال المحامي البلق : « طبعاً ! ولكنه اشترك
في الحرب وجرح فيها . وتجمد قليل من دمه الاحمر
القائى على سجله العدلى الاسود فحول الصفحة
بيضاء ناصعة ! »

الا ان هذا الرجل ذو القلب النابض بالحرارة كان
بأسطعته ان يكون لاذع القول . فالجميع يدركون ان
احد زملائه قال مرة لرئيس المحكمة : « انما اط ...
اطلب الكلام . » ذلك بانه كان يفاهى ، فتوجه اليه المحامي
الكوسكى الاصل قاتلاً : « ايها الزميل العزيز يستحسن
ان تطالب ذلك الى الله ! »

اما كامبينكى فانه كان اشد لدا منه ، وهذه بعض
الحكايات التي لا تزال ترد في اروقة قصر العدل ، نسي
عليه المدعي العام ذات يوم كونه « يقدم مساندته ومهارته
الى مجرم سافل » كالذي كان يدافع عنه وقتئذ ، فرد
عليه بقوله : « لكم يسرنى طبعاً اتولى الدفاع فقط عن
الاساقفة و « ابناء مريم » .

اما حوادثه مع شهود الخصم فعديدة ، وكثيرون منهم
ياسفون بمرارة لكونهم مثلوا امام المحكمة وبعضهم لكونهم
جاءوا الى هذا العالم . من ذلك ان امرأة وصفت بانها
مومس في قاعة المحكمة بعد ان تاكد كامبينكى من مراجعة
ملفها الخاص انها لفتت قبل خمس وعشرين سنة اليها
اهتمام شرطة الاخلاق . فلما قامت لتحج بشدة على هذا
الوصف متدرة بسلوها الحسن طوال ربع قرن من
الزمن ، قال لها اذاك بكل هدوء :

« يا سيدتي ، عندما يكون المرء وزيراً ، وتكون المرأة
ساقطة ومن بالمت الهوى ، ولو ليوم واحد ، فانه يحق
للوحد منهما ان يحمل القلب طوال حياته .

وكان سيزار كامبينكى يعرف ما يقول ، اذ انه عمل
وزيراً اكثر من عشر مرات !

— عشرون محامياً هم حقاً من نجوم قصر العدل
اللامعين ، اولئك الذين يجتذبون الصحفيين الى قاعة
المحاكمة حتى لو كانوا يترافعون في قضية سرقة اراتب ...
كما يجتذبون الى محكمة الجنايات الجماهير المفيرة ...
ويدعى هؤلاء كذلك اصحاب الاصوات « التينور » ...
— وخمسة او ستة « وحوش مقدسة » هم ريمو او
سارة برنار قصر العدل . ومن هؤلاء المحاميان الكيران ،
التنافسان على الشهرة : رينه فلوريو ، وموريس غارسون ؛
الثاني الطريف ، الذي .

انهما عدوان قديمان ، حميمان ، وخصمان لا يفتقان!
العلامات الفارقة بينهما : موريس غارسون هو عضو في
الاكاديمية الفرنسية ، وفلوريو صياد محارب . يطارد
الوحوش في ادغال افريقيا ، في صيغ كل سنة ...
وفيما يلي بعض اقوال رينه فلوريو ، محامي الجرائم
الاشهر في قاعة المحكمة :

— كان يترافع عن امرئ يدعى ميسيفي يتعاطى التطبيب
دون ان يكون حاملاً شهادة ، فقال للضامة : « نعوذ على
موكلى انه ليس طبيباً . وانا انمى على الاطباء انهم لا
يشغون جميعاً مرضاهم مثله . »

— قال للنايب كابدويل الذي كان يدلي بشهادته في
قضية بودونان : « لا تبسم ، يا سيدى ، فها هنا الجد
يسيطر ، فلنسا في قاعة مجلس النواب . »

— وصف زميلاً له بقوله : « المحامي فلان متواضع ،
ومتواضع بحق وحقيق ... »

— وبصفته وكلاء عن الحقوق المدنية في قضية بوليس
دوبويسون قاتلة عشيقها التي حاول الانتحار في سجنها :
« الواقع ، يا انسى ، انك لا تنجح الا في قتل الآخرين ! »
— والمحامي فلوريو شديد التمسك بعذوبيته . سألته
مرة الصحفية الخفيفة الظل كارمن تيسبييه : « ايمنك
ان تقول لى لماذا لم تتزوج ؟ » فكان جوابه : « وما فائدة
ذلك ، كل اصدقائي متزوجون ! »

— اما رينه فلوريو وكبرياء ، بطاش ، تراه لا يذكر لقبه
غارسون فزله و منافسه الفرنسي ايدا مع انه لا يدعه فريسة
كعضو في الاكاديمية الفرنسية ايدا مع انه لا يدعه فريسة

كانت « الصوبيا » مشتعلة ببطء يصدر عنها هدير خفيف كلما علا صغير العاصفة في الخارج ، والجو ناعم حالم في هذه الغرفة الصغيرة التي لا ينقصها سبب من اسباب الراحة والهدوء . ففي زاوية منها سرير للتموج بجانبه مصباح كهربائي ومفتاحه ، وفي زاوية أخرى طاولة عليها مصباح اخر وكتب واوراق كثيرة ، والة كائبة ، وبجانبها « صوفا » وبعض مقاعد صغيرة ، وكرسيان مريحان بجانب الصوبيا . هذه الثقة تخص الاستاذ تحوت الدبشة الذي كان مسافرا الى اميركا وعاد في الصيف الماضي ، بعد ان قضى هناك سبع سنوات ، تلميذا اولاً ثم استاذاً .

الاستاذ تحوت الدبشة من قربتنا ، يناهز السادسة والثلاثين من العمر ، نحيل القامة ، يمشي مترددا خالفاً ، منحني الكتفين ، لا يحدف في وجه احد بغط مستقيم ولا يتسهم الا نادراً . انه ضعيف الشخصية كما يقولون عنه في القرية ، ولكنه من الاشخاص القلائل الذين يفعلون ما يريدون - ضمن حدود طاقاتهم طبعاً - دون ان يأنهوا لرأي الآخرين بهم . وقصة ذهابه الى اميركا تحميلاً للعلم والمعرفة قصة طويلة لا مجال لذكرها الان . يكفي ان نذكر انه بدأ سنته هذه استاذاً في المدرسة التي تخرج منها ، وفجأة ، ولم تنتصف السنة بعد ، خطر له ان يعتزل المدرسة ويستقر في بيته دون ان يؤدي عملاً ، لسبب لا يعلمه احد ، وقد يكون هو نفسه على غير علم به .

ما أسف له الناس فقط ، خاصة اقاربه واصدقاؤه ، هو المعاش الضخم الذي كان يتقاضاه . ولكنه هو لم يكثر لهذا المعاش ، على الرغم من انه لا يعرف السبب الذي من اجله تخلى عن هذا المعاش . قد يكمن السبب في انه يؤلف كتابا . ولكن هل يجروء على ان يقول حتى لنفسه انه يؤلف كتاباً ؟

كان قد نشر كتابا في مطلع هذه

السنة ، مجموعة قصص بالفلسفة العربية ، جعله اشحوكه اهل القرية لمدة طويلة . ذلك لانه قال فيه اشياء كثيرة من اسرار القرية لا يصح ان تقال . فهل من المعقول بعد هذا ان يقول انه يؤلف كتابا حتى ولو كان بغير اللغة العربية ، وشيئا غير قصة؟ مع ذلك من يدري ؟

وفي هذه الساعة التي دخلنا فيها بيته ووصفناه ، وراينا الصوبيا مشتعلة ، لم يكن هو هناك . ويجب الا يدهشك كون الصوبيا مشتعلة وصاحب البيت غائب ، فهو يحب راحة نفسه كثيرا كما قلنا ، ويجب ، عندما يعود من سهرته ، ان يجسد شقته دافئة ، فيجلس راسا الى



بقلم جرجي نقولا
http://ArchiveSakhril.com

مخلص ، اجتماعي من الطبقة الاولى . وهذه الصفات ورثها عن والده ، والده وزعجا على جميع اعضاء العائلة . لهذا اصبح الاستاذ تحوت صديق هذه العائلة بنوع خاص .

جلس الاستاذ تحوت على كرسي مربع بجانب الصوبيا واخذ ينظر اليها ويفكر كفيه ببعضهما البعض دون ان يتكلم ، انما كان جليا فسي ملامحه ان لديه كلاما كثيرا يريد ان يقوله ، بينما جلس رفيقه على الكرسي الاخر ، قبلته تماما ، واخذ ينظر اليه ويكاد يسحقه بنظراته ، منتظرا منه ان يبدأ الحديث . لكن الاستاذ تحوت لم يبدأ ، اخيرا قال سهيل بلهجة بسيطة ، لهجة فلاح من القرية:

— خير ان شاء الله ؟

فاجاب الاستاذ تحوت دون ان يفكر ، ودون ان يرفع راسه عن الصوبيا:

— ما هو الخير ؟
— الخير ؟ الخير هو ان تتكلم . ان تقول لي ما بك . ان تقول لي لماذا سيجتني من البيت ، من سهرة كنت احبها اكثر من اي شيء في هذا العالم ؟ لكن الاستاذ لم يجب . فاستمر سهيل :

— قل . هل اتيت بي الى هنا لكي لا تقول شيئا ؟ لتجعلني انظر اليك ، وانت تنظر الى الصوبيا وتفكر فكيف ببعضهما بعضا ؟ لا ارى في الطقس سببا للبرد ، هناك سبب اخر ، ما هو ؟
— ما هو ؟

— لو كنت اعلم ما هو ، هل تعتقد اني كنت اسالك ؟
— تعملا ، تسألني . ربما لتمتحن ذكاءك وقوة فرائستك .

— دعنا من الفلسفة الان ! عقلني ليس كله هنا ، ما يزال القسم الاكبر منه في البيت يتدفقا بجانب الوقود او بلعب الورق مع اللاعبين . .
— انا بانتظار ان يعود ذلك النصف من البيت .



ومع ذلك هو تشاؤم مهما قلنا انه الحقيقة وانه الواقع . تغيير الاسم لا يغير من طبيعة الواقع شيئا . انت متشاؤم لانك لا تعترف او على الاصح لا تحب ان تعترف برفيقه . بينما الاخلاق التي تحدثني عنها وتقول انها لك . انت لا تعرف ما قد يصدر عنها من فن وكبر و ...

فاسرع الاستاذ تحتوت يقول بقرع بالغ :

— اسكت يا شيخ اسكت ! لا تحدثني عن الفن ولا عن الكبر ولا عن اي شيء من ذلك ..

— معك حق . اخطأت ، اعنسي اخطأت التعبير . ما اردت ان اقله هو ان هذا الفن والكبر ، او الشعور بالكبر ، يختصان بك ، وينفعانك قبل ان ينفعوا غيرك . انهما يفتحان ذهنك على حقائق الفن ولا اعرفها انا على الاقل ، ولا يراها كثير من الناس . اذا كنت صريحا مع نفسك دون ان تدخلني انا مثلا الى داخل ذاك ، الا تشعر بفخر انك تعرف اكثر مما اعرف انا ، انا الذي تحسبه خيرة اهل هذه القرية ؟

— بل بل ، هذه هي الحقيقة . اشعر بفخر و ...

فقاطعه : — هل الشعور بالفخر لعنة ؟ ما الذي يسعدني بالحياة ، وما الذي يدفع الدم في عروق مخلوقات الله جميعها ، من اعلاها الى ادناها ، سوى الشعور بالفخر والتفوق ؟

— معك حق . لكن دعني اكمل حديثي . اشعر بفخر وتفوق ، بل اكون في الواقع اعلى منزلة من سواي ، لكن من جهة اخرى ، جهة لا يشعر بها سواي ، وهذه هي المصيبة ! اذا تفوقت اناها ، فالفهمي عليك ، فالفهمي انك تفوقت عليه . لكن اذا تفوقت فسي بيتك ورايت نفسك اكبر من الناس ، وجعلت الناس يعترفون انك اكبر منهم دون ان يعرفوا كيف ، ودون ان يشعروا بانفسهم ، فهذه مشكلة

مختلفا عن الناس . انت تحسب لعنتي نعمة وعلتي رحمة ؟ ماذا تركت لفريك اذن ؟

فصمت سهيل اذ رأى انه مس وترا حساسا بقلب رفيقه . بينما استطرد هذا الرفيق :

— نعم ، انا احب الآخرين اكثر من نفسي . وهذه ليست نعمة ، انها اللعنة بعينها ! هل تعرف ماذا يعني اني احب الآخرين اكثر من نفسي ؟ يعني اني انهزم امام الناس ، ويعني اني لا احب ولا استطيع ان اقبل عقبة في طريق احد مهما كان صغيرا وضعيفا . واني لارضى بكل ما يرفضه سواي لكي لا اخذ شيئا يحتاجه سواي . هذه هي اللعنة التي اروح تحتها ، ولعلي الان ، في هذه الليلة بالذات ، اشعر بنقل هذه اللعنة لاول مرة . انا احب ان اكون مثلك ، مثل اي واحد من الاشخاص الماديين . احب ان اطلق ، ان اغشى ، ان افعل ما يفعله الناس . احب ان اغشك كما يغشك الناس . وبكلمة اخرى احب ان اكون رجلا طبيعيا كاي واحد من الناس مبدئي لا

استطيع ان اجدني في الله ؟ امي ؟ امي ؟ انا خلقت نفسي هكذا ؟ لست ادري . كل ما ادريه اني لست هكذا ، واني لا استطيع ان اكون غير ما انا . عزائي فقط ، وهذه هي نقطة الضعف الوحيدة ؟ وانت تفهمها ولا شك دون ان اقولها لك صراحة . عزائي الوحيد اني اجد من حين الى اخر رجلا يفهمني قليلا ويدخل عالمي ويحدثني عن نفسي فيشمرني ان نفسي لسي وليست غريبة عني ..

فاجاب سهيل بهدوء بعد صمت قصير :

— استاذ تحتوت ، انت متشاؤم جدا . متشاؤم . هل تعرف انك متشاؤم ؟

— اعرف ، اعرف . وانت تعرف ايضا ان عندي سببا بجملك ... فقاطعه قائلا : — اعرف اعرف .

— تعني انه حديث هام ؟ — بالنسبة الي على الاقل . فصمت سهيل قليلا وقال :

— تعني انك تطلب مني نصيحة ؟ — شيئا من ذلك .

— عجباً ! انت الذي لا يعجبك شيء اعمله لنفسي ، تطلب مني ان ادلك على شيء تعمله لنفسك ؟

فاجاب الاستاذ تحتوت دون ان يتحرك من مكانه ودون ان يعدل من جلسته كانه حديث رده امام نفسه الف مرة :

— هذه هي المشكلة . مصيبتني اني احب الآخرين اكثر من نفسي ، اخلص للآخرين اكثر مما اخلص لذاتي . ولولا هذا لوجدتني انظر اليك بكل قحة ، لوجدتني اضرب الناس ، اعتدي على الناس ، اصرخ في الناس كما يفعل جميع الناس مع جميع الناس .

واستطرد بعد صمت قصير :

— انا غريب عن نفسي . فابتسم سهيل ابتسامته العريضة وقال :

— ايت بي الى هنا لتحدثني عن نفسك ، وعن غريبتك عن نفسك ؟

— هذه اول مرة ، وربما اخر مرة ، احدثك بها عن نفسي من اجل نفسي . انا طبعا كنت دائما احدثك عن نفسي ، وانت كذلك . ولكن مشكلتي هي اني اتحدث عن نفسي من اجل الآخرين ، بينما الاخرون يتحدثون عن انفسهم من اجل انفسهم . ويتحدثون عن الآخرين من اجل انفسهم ايضا .

— كفك ! كفك فلسفة وفخرا وادعاء ..

فرفع الاستاذ تحتوت راسه فجأة كمن اصيب بألمة حادة ، ونظر الى رفيقه لاول مرة وقال :

— انت ؟ سهيل ؟ انت تقول لي هذا ؟ — خلصني يا اخي ! قل ما تريد .

— انت الوحيد الذي يعلم باللعنة التي اروح تحتها . انت الوحيد الذي يعلم الملة التي تكلمني وتعلمني رجلا

وانا على ثقة انك انت لا تشعر بهذه
المسكلة لانك لم تعانها ، ولانك تنظر
اليها من بعيد كما تنظر الى رجل في
قصر ضخم . لا يا صاحبي لا . انها
مشكلة ، مشكلة عذلة . والعزلة هي
العزلة حتى وان كانت في السماء .
لو كان باستطاعتي ان اصفع رجلا
واجعله يشعر بتفوقي عليه ، لا افضل
عندي الف مرة من ان يعترف بتفوقي
عليه دون ان يشعر بنفسه .
— لكن .. اعتقد انك تتكلم عن
شيء داخل نفسك ، عن شيء خاص ،
عن حادثة معينة ؟
— انا فعلا اتكلم عن حادثة معينة ،
لكني اردت ان اقول لك اولا ان معادة
الانسان لا يمكن ان تكون بمعزل عن
الاخرين ، مهما كان هذا الانسان
متفوقا ومهما اعترف له الاخرون
بافضلته عليهم . انت على ما اظن ،
انت الذي هو خيرة هذا المجتمع
الذي نعيش فيه انا وانت ، اذا اردت
ان تحكم على شخص ما فانك تحكم
عليه بناء على حيلتك به ، ولا على ما
تراه او تعرفه ، او ما يعرفه الناس
عنه . واذا فعلت غير هذا تخدع
نفسك بنفسك .
— كيف ؟ لكن قل لي اولا : ما هي
الحادثة المعينة التي تتكلم عنها ؟ هل
تستطيع ؟
— بالطبع استطيع . ولهذا السبب
سحبتك من بين الناس الى هنا .
اريدك فقط ان تستحضر عقلك الكامل
جيدا ، لانه شيء يختص بك .
— يختص بي انا ؟
— نعم .
— خير ان شاء الله ؟
— ما هو الخير ؟
قالا رفيقه بسرعة ، بنفس
اللهجة التي قالها بها في المرة الاولى ،
فاجاب بنفس تلك اللهجة ايضا :
— الخير هو ان تتكلم . الخير
هو ان تقول لي ما هو هذا الامر الذي
يختص بي ولم تتكلم عنه شيئا بعد .
— الخير هو ان تستحضر عقلك
كاملا ، ولو كان عقلك كاملا منذ

البداية لربما كنت فهمت ...

— حقا ؟ اذن انت المسؤول لانك
اخترت هذه الساعة بالذات لتحدثني
عن هذا الامر الهام الذي يختص بي
— لست انا المسؤول ، ولست انا
الذي اخترت هذه الساعة بالذات ، بل
هي التي اخارتني . لكن دعنا من
هذا الان ، انه موضوع اخر .
وصمت . وصمت سهيل ايضا
لانه يعرف جيدا ان لا جدوى من
السؤال . هناك شيء في اعماق
الاستاذ سيقوله عندما يريد هو لا
عندما يريد سواه .

بعد قليل رفع الاستاذ رأسه وقال :
— سهيل ، انا اعجبك ، اليس
كذلك ؟
فاجاب سهيل ببرود ، ربما ليتقم

منه :
— ما قولك انت ؟
— انت دافعت عني ضد نفسي ،
اعني انك دعوت خيرا ما دعوت انا
شرا . لماذا ؟ هل تعتقد فعلا انه خير ؟
— ام انك دافعت عني لاني انت
حاجة الجدل فقط ؟
— ماذا تقول انت ؟
— انك لا تفهم الا انك لا تفهم

هام يخصص بكليتنا كما قلت لك . لماذا
دافعت عني ضد نفسي ؟
فصمت سهيل قليلا وقال بجذ :
— انا الان ، ودائما بالنسبة اليك ،
اعني كل كلمة اقولها .
— عال ! انا اعجبك اذن ؟
— تعجبني ؟ انت تعلم ان حديث

الناس واللعب بالورق في بيتنا ،
والجلوس بجانب الموقد ، خاصة في
ليلة مطيرة كهذه ، انت تعلم كم
يعجبني هذا . والان علمت ولا شك
اني كنت انتظر ان اعجب بحديثك
اكثر ، ولولا هذا لما اتيت معك حالما
دعوتني . هل خطر لك هذا ؟
— لو لم يخطر لي لما فكرت ان
ادعوك الي واجعلك تترك هذه المهمة
التي تحبها . لم اعود ان افشل حيث
اعلم اني سأنجح .
— حسنا . ما هو هذا الشيء

العظيم الذي تريد ان تحدثني والذي
يختص بي وبك ؟

— تذكر ما قلته لك الان ، من اني
لم اعود ان افشل حيث اعلم اني
سأنجح .

— هل تطلب مني شيئا ؟
— ربما .
— شيء يختص بي واستطيع ان
اهبك اياه ؟

— ربما . اني اطلب منك على الاقل
ما تستطيع ان تهنيي اياه ، لا اكثر .
— هيا تكلم .

فصمت الاستاذ حائرا خجلا لا
يعرف ما يقول ، ثم قام واخذ يمشي
بارض الفرفة مطرقا . وعندما وصل
الى الجدار اخذ يقرعه باصبعه ويقول :
— اخشى ان تكون للجدران اذان
تسمعنا وتقل حديثنا للخارج ،
فتجعلني اضحكة للناس مرة اخرى .
— عجا ! اعظم بهذا المقدار ما
تطلبه مني ؟ ما هو هذا الشيء الثمين
الذي املكه انا يا ترى ؟

— الان الان ، في هذه اللحظة
بالذات قبل ان تعرف ما هو ، ليس
فيمنا بهذا المقدار . متى يبدأ الانسان
بتشمين شيء ما يملكه ؟ عندما يفكر
انه سوف يخسره ، ليس كذلك ؟
وكيف يشمنه؟ نسبة لحاجته هو اليه؟
ام حاجة الاخرين اليه ؟ لا ادري ،
هذا ليس موضوع بحثنا الان . قل
لي : ما هو هذا الشيء الثمين الان ،
الذي سوف يكون فميما جدا عندما
اجعلك تفكر في خسارته ؟

— ما هو ؟
— فكر .
— قل لي انت ، ليس لي جلد على
التفكير الان .

فصمت الاستاذ وعادت اليه
حيرته . فقال سهيل :
— تكلم ، ليس للجدران اذان .
— هل تعادني انك لن تجعل لها
اذنا ؟

— اعاهدك . تكلم .
— لماذا انت مستعجل هكذا ؟ لتعلم
ما هو الشيء الثمين الذي تملكه دون

ان تشعر ؟ ام لتخسر ؟
— لهذا ولنغير هذا . تكلم . ماذا
تطلب مني ؟
فتقدم الأستاذ ووقف بجانبه وقال
بهسود :

— سهيل ، الاشخاص الذين هم
مثلي لا يتزوجون ! الاشخاص الذين
هم مثلي خلقوا لكي يكونوا الضحية ،
لكي يكونوا الخراف التي تذبح لاجل
خلاص العالم . خلقوا لكي يهبوا
الاخرين الحياة وهم منها محرومون .
لماذا هذا ؟ وهل هو حق ؟ هل يعني
شيئا الا ان الحياة سخيقة ، تافهة ،
لا تستحق ان تعاش ؟ كيف يهيب
الحياة من لا يملك الحياة ؟ ولماذا
يصدق الناس رجلا كاذبا تقتل نفسه
شهوته ؟ انا لا اريد هذا ولا احبه .
اريد ان اكون رجلا عاديا كاي من
الناس ، حتى ولو خسرت نعمتي
التضحية ، اذا كان للتضحية نعمة .
— حسنا . اجلس . فقال اجلس
وقل لي كيف استطيع ان اساعدك
انا ، على افتراض ان هذا يهون عليك
وعلى افتراض اني اوافقك .
فجلس الأستاذ وقال : — اما انه
يهون علي او لا يهون ، فهذه مشكلتي
قبل ان تكون مشكلتك . هل انت
توافقني ام لا ؟ هذا ما اريد ان اعلمه
منك .

فتردد سهيل قليلا ، فاسرع
الأستاذ يقول : — انت لا تريدني ان
اعيش كواحد من الناس يا سهيل ،
ملك ، مثل راعي الماعز ، مثل اي
واحد ؟ ام ترني كيف كنت جالسا
في بيتكم الاك منفردا في زاوية مع
نفسى كاني لا شيء ؟ ام انك كنت
تنظر الي بغفر وتقول بنفسك هذا

عبقري وصانع عجائب ومعجزات ؟
فابتسم سهيل واجاب : — كلا ،
لم اكن اقول شيئا ، ولم اكن انظر
اليك بغفر الا بمقدار ما كنت تنظر
الي نفسك انت ، وراض عنها . انا
بالحقيقة اريدك من كل قلبي ان تعيش
مثلي ، مثل راعي الماعز ، مثل اي
واحد من الناس . وانت تعلم دون ان
اقول لك اني لا اتوانى عن مد يد
المساعدة اليك مهما كانت الظروف ،
اذا كانت مساعدتي تنفع .

— مساعدتك تنفع ، ارجو ان
تنفع . اعتقد ان الزواج هو الامر
الوحيد الذي سوف ينقضي من مرحلة
الى مرحلة . من عالم اكرهه الي
عالم احبه . الا تعتقد هذا ؟
— الزواج ؟

— نعم ، الزواج . اني اكلم عن
سعدى يا سهيل ، عن شقيقتك
سعدى . بيتكم هو الوحيد الذي
استطيع ان افتح نفسي فيه وانطلق
على سبيل . هناك روح تسيطر
عليه ، اقل ما اقول فيها انها تعجنى .
واعتمد اني خلق سعدى ، وانها
خليقة بي . ما قولك ؟

فلم يجب سهيل ، وبقي يحدق
بالأستاذ ويكاد يسحقه بنظر انبه .
فشعر هذا بخجل وحيرة وتعمق لو
انه لم يقدم على هذه المفامرة
الجرئة . وبعد قليل استجمع قواه
واراد ان يقول شيئا ، لكنه لم يقل ،
لان نظرة سهيل لم تتغير ولم يخف
نقلها . فقام واخذ يتمشى . ثم
استند بجسده النحيل الى الجدار
وصمت مفكرا . فقال سهيل :

— الا تخشى ان ينهار الجدار بك ؟
— بلى .

— ماذا ستفعل اذا انهار ؟
فتشهد واجاب : — اسافر !
فتمتم سهيل بهود :
— خسارتي سوف تكون عظيمة
ولا شك .

وهنا اهتز الجدار فعلا تحسنت
الأستاذ تحتوت فابتعد عنه . ثم
قال بصوت ضعيف عميق كأنه يخرج

من بين الركام والحجارة المتناثرة :
— لا تقل اكثر من هذا ، لا تقل
اكثر من هذا . انت كذاب ، وكنت
اظن نفسي الكذاب الوحيد .
— كذاب ؟ على العكس . انا صادق
ايضا وليست انت الصادق الوحيد .
— صادق ؟

— ان تشرح لي حالتك جيدا ؟
لماذا ؟ اليس لاصدقك ؟
فصرخ : — ولماذا دافعت عني ضد
نفسى اذن ؟ لماذا قلت انك تعني كل
كلمة تقولها بالنسبة الي ؟
— لكن ...

— لانك لم تحسب ان المسألة قد
تمسك دون سواك ، والى هذا الحد .
المسألة تختص بشقيقتك ، ولو كانت
سواها لحذت ان تعطيني لها ، انا
التافه الضعيف الشخصية ، اليس
كذلك ؟ اما شقيقتك فلماذا تعطيني
لها وباستطاعتك ان ترفض ؟
— لكن ...

— اسمع ودعني انهي حديثي . انا
لا املك من اجل هذا يا سهيل ، بل
على العكس . انت لك الحق ان
ترفض طلبي ، وعلى ان ارضى ولا
اعترض ابدا . البت اسعنى لان
اكون مثلك ؟ اذن ما معنى سعبي اذا
كنت اريدك ان تتخلي عن شخصيتك
وتصبح مثلي ؟ شخصيتك الحالية
تحتم عليك ان ترفض طلبي ، فرفضت ،
ولم تخطيء ، وكنت امينا مع نفسك .
كذلك انا امين مع نفسي ، وكنت
امينا معها . قلت لك سابقا ان الحياة
سخيقة ، تافهة ، لا تستحق
تعاش . وهكذا فالحياة سخيقة
تافهة لا تستحق ان تعاش ، بالنسبة
الي على الاقل . ما بقي لي ان افعله
هو ان اسافر ، ان اهرب . فلاهرب
يا صديقي ، ولاترك لك بيتي ايضا
لعلنا تكون بحاجة اليه . وعندما اجد
مكانا استطيع الا انهزم فيه ، فاستقر
فيه ، وقد ادموك الي اذا شئت .
وهكذا سافر الأستاذ منهزما .

رجعي نقولا

اعلنا في مجلة

الاديب

حيث يبقى الاعلان عرضة
للانظار شهرا كاملا



مآثورات شعبية من وادي الفرات - الخبز في دير الزور - التداوي المحلي في دير الزور - الآنية والمواعين في دير الزور - عبارات السلوك .

٦٤ صفحة - ١٠٤ صفحات - ٥٢ صفحة - ٥٢ صفحة مع ملحق مصور
- ٤٠ صفحة - تاليف الحامي عبد القادر عياش - مطبعة الفرات -
دير الزور - سورية .

تعلما منذ الصغر ان المنيات الكبيرة قامت على سفاف الانهار الكبيرة .
ومن هذه الانهار الكبيرة نهر حلت بذكره وذكر المنيات التي قامت على
سفافه روايات الاساطير وكتب التاريخ ، ولعب دورا هاما في تطوير
الجماعات البشرية الى ما قبل بسمه قرون . وهو نهر الفرات . الا
ان القرون الاخيرة صرفت اهتمامها الى بقاع اخرى من العالم والفتت
على هذا النهر ظلا من الاممال والتسنيان . وقد بدأ دور الاممال والتسنيان
هذا باحتياج التتر لبلاد ما بين النهرين في طريقهم الى الديار الشامية .
فقبل غارات التتر هؤلاء كان العمران متصل المهود وتمتص الاطراف
في الاراضي الرسوبية التي تمتد بين النهرين ، دجلة والفرات . وقد
بلغ العمران احدى ذراه الشاخة في العهد العباسي من المهود الاسلامية .
ففي احدى فترات هذا العهد قدر سكان الجزيرة بين النهرين بثلاثة
الاف الف نسمة ، ثلاثة ملايين ساكن كانوا يعيشون في بيوتهم وفي
منطقة ناعضة العمران ، ارضها خصبة ومياهها وفيرة وجنتها مزدهرة .
وكانت مدينة الرقة حاضرة هذه المنطقة في تلك الفترة التي تصفها .
واشتهرت الرقة آنذاك بمعامدها واسواقها وبما يحيط بها من قرى
ودساق ، ساد فيها الامن وانظم الري فجدات مواسمها وزدهم مكانها .
ثم نهات كل معالم الازدهار هذه باحتياج جحافل التتر المغربة تلك
البقاع الاهلة العامرة . ويؤرخ الرواة لسقوط الرقة ، حاضرة ما بين
النهرين ، امام محتاجيها بكلمة « غدا » التي ناولي في حساب الجمل
سنة ٧٧٣ هجرية الموافقة سنة ١٢٧١ ميلادية . ففي تلك السنة وقبلها
وبعدها من جراد جيوش التتر يسوقون الفرات الخصبة فلم يبق ولم
يقر . ومنذ ذلك الحين خربت المدن في وادي الفرات والبقاع المتصلة
به وهجرت الدسماق وتوقفت مياه الانهر المتحولة من الزور في اقنية
الري ، وتحولت جنة الجزيرة بين النهرين الى بادية مقفرة هجرها
اهلها الناحض فاصبحت مستمرادا للقبائل الرحالة .

وهكذا لفت الر عام « غدا » جاحلية جديدة هذه البقاع بعد فطرة
الحضارة والعمران . ان تاريخ هذه الجاحلية الجديدة غفل لم يستقصى
او يسجل بعد . ولا تلك الجاحلية بعد جديد اخذ وادي الفرات يتفتح
فيه على العمران ، واخذت البادية المحيطة به تتحول الى سهول منتجة
أهلة بالسكان ومفلة للثروات . ويعيش وادي الفرات اليوم في فترة من
فترات هذا العهد الذي يعود في مدام الابد الى مائة وخمسين او
مائتين من الايام . وهي فترة تعد مستقبل حافل اذا تبينا قيمة هذا
الوادي والسهول المتصلة به حول روافده ، من التواحي الاقتصادية
والاسكانية . فهو في الحاضر يكون احدى الدعائم الرئيسة في

اقتصاد القطر السوري بما يقفه من اقطان
وجيوب ، وفي هذا الوادي سيقيم سد الفرات
الذي عليه وعلى النفط المخزون تحت ارضه هذه
المنطقة يقوم اقتصاد سورية في المستقبل .
واي ان بلغ وادي الفرات هذا المبلغ من
الاهمية مرت به في عهده العمراني الجديد
نظورات كثيرة وكبيرة من حيث نشوء مدن
جديدة فيه ونزوح اعداد كبيرة من السكان
اليه ، وما رافق هذه التطورات من تبدلات في
حياة السكان وعاداتهم وتقاليدهم . ومجموع
هذه التطورات والتبدلات يكون تاريخا لم يه
له من يستقصيه ويدونه ، فظل غفلا كما ظل غفلا قبله تاريخ فطرة
الجاحلية الجديدة التي اشترى اليها فيما سبق .

كل هذه المقدمة اسوقها في معرض حديثي عن جهود متصلة للسرد
واحد من ابنا وادي الفرات المعاصرين ربط نفسه بعمل هام ومغن
هو تقصي جوانب الحياة الحاضرة والمترقصة في هذا الوادي ، وتدوينها
في دراسات متلاحقة تاريخية وادبية والتوغرافية وفولكلورية . هذا
الغرد هو الاستاذ عبد القادر عياش مؤلف الدراسات الخمس التي
سميتها في مطلع هذا المقال .

والاستاذ عبد القادر عياش محام من دير الزور ، وهي حاضرة
وادي الفرات في هذه الايام ، اصلا واقامة . واذا كان القانون هو
ميدان العمل الماشي للاستاذ عياش فان اتجاهه الفكري قد طفق على
مهنة ، فصرف اكثر همه الى التأليف في تاريخ وادي الفرات الذي
اليه سبته ، باحثا في بطون الكتب وروايات الجنت ، متقصيا اخبار
الماضين وعادات المعاصرين ، مسجلا كل ذلك في مقالات او كتب ،
وناشرا لها في المجلات السائرة او في مجله « صوت الفرات » التي
يؤلفها بصدره طوال حقبة من الزمن في بلدته دير الزور ، او في
كراسات مستقلة يطبعها على نفقته الخاصة . ولهذا قلت ان عمل
الاستاذ عبد القادر عياش عمل مفضل لانه عمل عصبه من الرجال يقوم
به في هذا الزمان . وهو التتبع المتقن في الراجع التاريخي والمؤلفات
الادبية ، وهو الباحث الاجتماعي في قطاعات الحياة المعاصرة ، وهو
بعد ذلك الناشئ بجهده وعلى نفقته الشخصية لكل ما يؤلفه .

ان الدراسات الخمس المنشورة في كتب او كراسات تحمل العناوين
المذكورة في مطلع هذا المقال (مآثورات شعبية من وادي الفرات ،
الخبز في دير الزور ، التداوي المحلي في دير الزور ، الآنية والمواعين
في دير الزور ، عبارات السلوك) هي مثال لتنتاج الاستاذ عبد القادر
عياش في البحوث الفرائية ، في تعدد مواضيعها ومبادئها من اجتماعية
والاقتصادية ومعاشية وطنية . وكل هذه البحوث تشترك في صلبات
الجدة والصراحة ، وفي كون مؤلفها لم يسبق الى عمله ، عدا ان انه
بالتأليف في هذه البحوث قد سد ثغرة في تدوين تاريخ وادي الفرات
المجهول عند كل الباحثين . وكما قلت ، فان العناوين الخمسة التي
اخذت منها مثال للابحاث الكثيرة للاستاذ عبد القادر عياش ، مما
تشره في اعداد مجلته « صوت الفرات » وفي غيرها من المجلات
والمشهورات من تلك الابحاث مقالات عن مختلف بلدان وادي الفرات
والجزيرة الفرائية تنصيب الورقة ومنتج ، ومقالات عن دور الفرانيين
السوريين في الادب العربي ، ومقالات عن رحالين عرب ورحالين
اوربيين زاروا وادي الفرات ، ومقالات اخرى غير هذه وذلك في
مواضيع مختلفة ومقاربة .

وللاستاذ عبد القادر عياش طريقة في دراسة ابحاثه وتدوينها تدل
عليها هذه الكتابات الاصلية احسن الدلالة . ففي كل موضوع من
مواضيعها تجد سمة الاطلاع التي تلمع من الداب المستمر في الرجوع
الى امهات الكتب ، كما تجد المعلومات الشخصية التي لم يسبق لها

تدوين مما يشير الى جهد المؤلف في تتبع النماذج المدروسة لا في الكتب وحدها بل في المجتمعات الحية ومن افواه الناس المعاصرين وعلى الطبيعة . اما أسلوبه في تسجيل دراسته فانه أسلوب بسيط ، قليل التزيين ، ظاهر منه ان هم صاحبه هو اداء المعارف التي ظفر بها لا بلوغ غاية جمالية او فنية في ما يكتبه . ويلخص الفاريزي بوضوح استقراء المؤلف في بيئته القرابية وتبعه نواحي تاريخية القديم والحديث من اتصال ابحاثه ببعضها بعضي ، ووعده بابحاث جديدة لاحقة ، كأنه حريص على ان يتقصى بيئته وادي الفرات في كل ابعاده ، هذه البيئة التي رعى بها افطاعا لجهده وتناجح الفكري سعيدا بما يبذله فيها من كد ونسب .

وهذه الخصائص العامة لدراسات الاستاذ عياش وإبائه تبرر بعض الشيء المآخذ التي قد يالخصها الفاريزي المتبع على اتجاه هذا الباحث الفرائي . فمسة اليدان الذي يبحث فيه ونسبته مناهج يتنايان به في مرات كثيرة عن التتبع في ما يدونه ، او يجهلان الإراد ناقصا بتمنى طالب المعرفة لو انه كان ارباب الى الكمال . من تلك المآخذ مثلا كثرة استنباط المؤلف بالتسرع العامي المروي بالهوية القرابية دون تفكير لغريب هذا الشعر مما يجعل قراءته وفهمه عسيرين على من لم يكن ملما بترك اللهجة . ومنها انحصاره على معلومات سطحية ، شبه عامية ، في مواضيع يستحسن فيها التزام الدقة العلمية ، كما في بحثه المتاجل عن التدوي المؤلف في دير الزور وإبراده فيه أسماء الاعشاب مثلا دون ذكر اسمائها العلمية ونسبتها الصحيحة . ومنها كذلك بخله بذكر المراجع التي اعتمد عليها في نهاية كل بحث من بحثه ، مع علمه بان هذا الجوع مهمته لتكون بوردوها مرجعا يعتمدعليه في دراسات (الدارسين . وثمة مأخذ آخر قد يفضله الناقذ الى ما اشارت اليه آنفا من مأخذ . اعني بهذا فقر المظهر الطبائي الذي يبرز بها الاستاذ عبد القادر عياش دراساته للزور . ولكني ارى ان هذا المآخذ الأخير جدير بان يكون موضع تقدير للاستاذ عياش لا موضع نقد . فهو نتيجة اختيارية لهذه البحوث الموزون وتصميمه على طرح نتائج بين يدي القارئ . اذ من الواضح ان دراسات كاتلي يقوم بها بعيدة في جديتها واختصاصها عن ان تكون ما يروج ما يادى او ينتم بها جمهور القراء ، كما ان المآخذ التي تتولى بوسائلها الخاصة نشر مثل هذه الدراسات غير موجودة فيس دنيا الفكرية . فكان لا بد من ان يقوم الاستاذ عياش بنفسه ، وعلى نفقته الخاصة ، بوسائل الطباعة الفقيرة في بلدة مثل دير الزور ، بنشر هذه الدراسات بصورة مستمرة . وحسبه هذا شجيعا في مسا لبقاء الفاريزي من اخطاء مطبعة او من فقر في الورق او بساطة في الاخراج . ويبقى بعد هذا كله للاستاذ عبد القادر عياش فضاء الاخلاص لبيئته وتاريخها ، وفصل الشجيرة المتجردة لخدمة المعرفة ، وفصل التزود بالعلم في ميدان علمي وثقافي بكر وغنى ولكنه مجهول ومهمل .

الرفقة - سوري

عبد المجمل العجلي

اكلييل شولك حول قديميه

مجموعة قصص قصيرة - نايف لور غريب - مؤسسة الفلاف والكتاب لور غريب - ١٦٨ صفحة - منشورات المؤسسة للطباعة والنشر ببيروت - مطبعة فلاف ببيروت .

لور غريب اديبه شابة ، متحررة في عقليتها ، ذات ثقافة عصرية ناضجة ، وهي تعمل على احياء « جوج غريب » في المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر في بيروت ، وتحرر كذلك في جريدة « الجور » الفرنسية

اليومية ، وتشر في صحف عربية وفرنسية اخرى . وقد سبق ان اصدرت مجموعة خواطر شعرية باللغة الفرنسية ، عنوانها : Noir .. Les Bleus ، فيها الكثير من الخطرات الانسانية اللطيفة رغم ما فيها من غيبابة قد تكون كثيفة احيانا ، ولكنها تظل شفافة في ارض الاحيان .

ولور رسامة كما هي اديبة : انها تعبر عن نفسها بالقلم والجبر حينا ، وبالريشة واللون حينا اخر . وهي موفقة في العالين ، ولكنني اعتبرها في الرسم صاحبة مدرسة جميلة ، فهي تخلع على الفن الفارسي القديم صبغة جديدة بلباسها الرمزية اللاتى الجمال ، والاشراق ، والحيوية . وقد رايت عندها عشرات من هذه الرسوم التلو - فارسية ، كما يطيب لي ان ادعوا .

وتميل لور غريب في حياها وادبها الى مذاهب الشباب من الكتاب الفرنسيين والليبيين ، بكل ما فيها من حرية وانطلاق في التعبير عن الجمال في الفن ، وعن الحياة في معناها الحي الشخصي المباشر . انها تؤلف مع انسي الحاج ، وليلى بطيكي ، وغيرهما مدرسة واحدة في حرية التعبير ، وفي التمدد على المألوف في الفن ، وفي التعبير ، وفي الحياة . وفي هذه المدرسة اندماج الشباب ، وجرانه ، ونفرد على الثابت ، والمألوف ، واللامنتور ، ولا ريب في ان فيها تهودر كذلك في احيان كثيرة .

وكتاب لور هذا « اكلييل شولك حول قديميه » هو مجموعة افاصيص ، ويتجوز على اثنتي عشرة القصص . وفي أسلوب هذه المجموعة شيء من الرمزية ، والمباراة القصصية احيانا قليلة ، ولكنها في مجموعها قوية جدا ، وواضحة الماني في تصوير الانفعالات النفسية لدى المرأة في مختلف مواقف الحب ، والكراهية ، والرفق ، والغضب ، واللين ، والعتف . ان لور بارعة جدا في التعبير عن هذه المواقف النفسية المتوهجة والمرارة ، وفي افاصيص لور هذه لا نبض عن حبكة قصصية مألوفة : عن سرور ، وجوارح ، ونسب ، وعتقة ... وهذه ... وهذه اشياء مألوفة والمألوف لا يشق للزور . انها تريد ان تعطينا قصة حارة ... قصة حارة ، هذه هي التبرارة التي تصور القصة عند لور غريب ... انها حارة كما تحبها ، وكما تريد احياءها ، صاحبة التجربة والمباراة ، لا كما ارادها قواعديو الفن القصصي .

وفي افاصيص لور كتابة عميقة ، ولكنها كاتبة مغرورة بالتمرد العنيف على اشياء كثيرة . وماسة لور في الخوف ... ان الخوف هو عقدها النفسية التي تفسر كل سلوكها ، وكل عملها للفن : الخوف من الناس ، والخوف من الحب ، والخوف من الكراهية ، والخوف من الموت ، والخوف من الخوف نفسه ... حتى على سواها النفسي الذي يلوح معصها حفر عبارة فرنسية معناها « لا حياة دون خوف » . وهي تصور الخوف في اماكن متعددة من كتابها هذا : في الصفحة ٢٦ ، والصفحة ١٦٦ . وفي غيرها . ولعل اسدق صورة تنطبق على لسور نفسها هي انها « مرسة باحة عن مرفا امين دون ان تبهر ايدا » . « مرسة نبض عن مرفا امين » ، تلك هي لور غريب في حقيقتها .

والناس عند لور : « وجوه من شمع » ... و « تماثيل من خشب » ... « اوراق تدمرية » ... كذلك تصورها في « الفراء » ، لكن ساتر افاصيصها وافكارها وخواطرها اجساد تسج بالصشب ، واللذة ، والشوق ، واللهاة ، كما تسج مقابل ذلك ايضا بالكراهية ، والعتد ، والعتف اذا لم تجد ما يشبع جوعها الحثيثي .

وهي بارعة جدا في التصوير ، يميزها القصيرة الفرافة بشحنات الحس الغريب ، وبأزخم الروحي ، النسر تصويرها « للفراء » في الصفحة ١٠ من الكتاب ، وافرأ القصصتها التي عنوانها « في جدي بقية من ربيع » - وهي الثانية عشرة في ترتيبها في الكتاب - تسري صورة التصوير التي لا يمكن ان يكون هناك تعبير أقوى من تعبيرها الذي يشمل الافصوصة كلها ، من اولها الى اخرها . انها



الاديب

قصة المرأة بكل ما فيها من قوة العاطفة ، وصراحتها .
وكتاب لور بأسره هو في خلاصته : رجل وامرأة . ولكن ليست
الحياة كلها في خلاصتها رجلا وامرأة ... بكل ما بين الرجل والمرأة
من أنواع الملهاة والمأساة ، ومن صور الحب والبغض ، والشهوة
والجنون الى الجنس ؟

ولور تعتمد كثيرا الى استعمال كلمة « الصليب » ، او « صليبي »
دليلا على ما تعانيه في داخلها من ضيق الصراع النفسي الذي تحاول
ان تتغلب عليه بتمرد الروح ، وتمرد القلم ، وتمرد الرقعة ، وتمرد
الشخصية . وفصلتها السابعة « وبني الصليب » برهان قوي الدلالة
على ذلك ، فهي قصة الضياع ، وصليب العذاب .

ان بعض افاصيص هذه المجموعة نماذج حية لمقدرة الفنانة البارة
المبدعة في فنها ، وفي تعبيرها عن الناس وعن الحياة : قصة « عينها
شيخوختي » ، مثلا ، تصور شعور القرية العتيق ، وفي الوقت
نفسه شعور الصديق بالجليلة العجوز التي تحاول تسليتها في غربتها
وحدها ، ولكنها بدلا من ذلك تكون ثقيلة مملّة ، مما يدفع بالقرية
الى الهرب منها ، او الهرب من معنى الشيخوخة الثقيلة التي توحى
بها العجوز . وقصة « الفصن الصغير » بارعة جدا في تصوير شوق
الاطفال الى شجرة عيد الميلاد ، وحرصهم على ان تكون لهم شجرة في
البيت لهذه المناسبة . ثم تتحول الصورة الى مأساة لتزيد في عمق
الامر الانساني للطفولة المحرومة ، العذبة بالحرمان ، حين تسفست
الطفلة عن الشجرة التي شادت ان تلتقط منها غصنا لتجعله شجرة
العيد في بيتها . وقصة « لا اريدك صدي » من ابرع ما يمكن ان
يصور به فلم مأساة الام التي اتجبت تسمية بطون ماتت كلها ، ولم
يق منها غير طفلة لصغرى تلك الطون التسعة . فهي تعيش لهذه
الطفلة ولذكريات بناتها التسع الراحلات ، ثم تنتهي من شدة الحزن
ومن استمرار الام الى الجنون ... وقصة « وجه من شمع » رائعة
التعبير عن المرأة العالقة : يحبها الرجل ، ويعتني بها ، ويعطي
لها قريبا من العيادة فترة من الزمن ، ثم يتراخى حين يرى انها عاقرة ،
وينتهي اخيرا بطردها من البيت نهائيا لكي يتخلص من عقمها ، غير
ملتفت الى كل ما ابدته له من صنوف الخدمة الواجب ، والاطاعة ،
والصبر ، والتضحية . وقصة « ظلي غبار المسافات » تصور شعور
القرية ، او شعور الفئاة القريبة في باريس ، حتى تلتقي بغنى مغربي
هناك ، وعندئذ يتحرك في قلبها حب الوطن عتيقا حارا ، ويشدها
الحنين الى لبنان بقوة عظيمة رغم حبها للاسفار .

قد يكون بعض مواضيع هذه الافاصيص مفروفا - الاديب لا يخترع
المواضيع التي يكتب فيها اختراعا ، بل يأخذها من الحياة التي يحياها
كل الناس - غير ان طريقة المعالجة ، واسلوب التعبير ، وجمالية
الن ، جديدة كلها في هذا الكتاب ، وكلها ملك للور غريب ، ولقلم
لور غريب وحدها . وهنا معنى الاصاله العميق الجليل . ان ما في
كتاب لور من اصالة ، وصدق في التجربة وفي التعبير ، كل ذلك
يستحق الإعجاب والتقدير .

عمان عيسى الناعوري

فوق الحدود والسود

بوميات وآراء وخواطر - تأليف وجيه جبر - ٢٢٠ صفحة - حجم كبير -
مطابع الفباء ، الاديب في دمشق

هذا الكتاب يدخل مكتبتنا العربية بطابعه المميز . فهو ليس دراسات
في الاجتماع ، او مناقشات في القومية ، او نجاوى عاطفية ، او

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر

يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٠ دولارا بالبريد الجوي

أشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد

الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للإعلان تراجع ادارة المجلة

تليفون : ٢٢٣٨١٩ Dir : 223819
المقر : ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب - صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت - لبنان

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البيروت ادب

تجاوب مع بعض الفلاسفة والمفكرين ، او نقد للتأخر ، او محاولات لتقديم نظريات دستورية .. انما هو جميع هذه المواضيع في نسج ادبي محكم ، يحدد موقف ادب ومفكر حر، آمن بوحدة امته وتحررها . وهو كتاب فوق الحدود والحدود السدود لانه عسل فكري قبل كل شيء .. ولعمرة افتتاح على المعرفة النظرية ، والتجربة العملية ، والوجهة الأدبية ، وقد خطه براع فال الحقيقة كما راها وفهمها .. وبأسلوب رصين ومجيب ، اجمل ما فيه انه صادر عن العقل والقلب معا .

الى جانب القضايا الكبرى التي يتناولها هذا الكتاب ، نجد ان مؤلفه لم يهمل الناحية الفنية .. فانك تفس في سطوره عينا من الشعر ، وكثيرا من الحب .. الحب للارض والطبيعة ، للشمس والنجوم ، للانسانية ، للوطن ، لكل ما هو جميل في هذا الكون .. والحب للادب والفكر والحب للحب ايضا .. اذ يجمعك بغير شئنا مورتي وطاغور والغزالي والحري ونعيمه وطه حسين وغيرهم من المفكرين والشعراء ليحاورهم ويناقشهم ، فتسعى معه بنشوة .

ان عنوان الكتاب ذاته يعطيك فكرة عن طريقة تناول هذا الكتاب لواقعيه الاجتماعية والقومية والانسانية ، فهو ثورة على الحدود ، ثورة على السدود ، على الحواجز التي تنف في طريق تقدمنا في الاسرة الواحدة ، وفي الحي الواحد ، في القرية الواحدة ، في

البلد الواحد ، في الامة الواحدة ، وفي العالم الانساني الواحد . يعتمد المؤلف الروح التعاونية الخيرة الموجودة في نفس كل انسان شريف اساسا لكي تنهض عليه المجتمعات العربية ، ليستعيد العرب مكانتهم في موكب الحضارة . فالمرورية كما يقول المؤلف صرح حضاري ذهبت جلوده الى اعماق الازل ، وان هذا الصرح يشكل دعامة

اساسية في الكيان الانساني ، ويؤمن بان العروبة اذا ما تيقظت للحياة الصافية فيها من جديد فستحرد الانسانية من علة الشلل الذي اصاب عضوا رئيسيا من اعضائها . ان لم نقل اصاب عقدة الحياة في جسم هذه الانسانية . والرائع في ان الاستاذ جبريل يوجه لبحارولة جريسة

لتقديم نظرية دستورية جديدة تتيح لعمارة - ايضاحها- نصف المجتمع وكام ومكسر للوحى والانام - ان تمتع بكامل حقوقها كمواطن عربي متساو مع الرجل ، فيعطيا حقها من القيادة ، ويهيئوا لبلوغها نصف هذه القيادة ، لانه يعتقد بان الديمقراطية الصحيحة ان ثوت

اكلها وتنتهجها المتحررة الا اذا ما شاركت المرأة الرجل في اشغال نصف المجتمع في جميع المجالس السياسية والادارية والبلدية . وفي ذلك عنده حل ازمة الديمقراطية في جميع انحاء العالم ، وعلى الاخص في البلدان النامية .

ان هذا الكتاب كما جاء في اعناده موجه الى كل عربي يتود على ذاته ليرتفع فوقها ، ليخطى الحدود والسدود ، ليلحق المجتمع العربي الافضل ، والدولة العربية المثلى . والى مطلق النشأ ، يسرعى بالسيطرة والجريمة والتخلف واقاما او مصيرا ابدا لاجنه الانسان . والى مطلق امرأة تتحفز لتملك كامل ارادتها ، ولتحمل كامل رسالتها . والى مطلق قاريه يمتشق الفكر الحر والاتصال الادبية .

دمشق

حسين راجي جركس
ماجستير في الادب الروسي

مع النفس

ديوان شعر - خاشع الراوي - ١٢٢ صفحة - حجم كبير - مطبعة الحارث ببغداد

ان الشاعر مخلوق يتعذب ، وعذابه هذا يطول وينصر حسب ما يقتضيه ،

فهو يفتي في افكاره .. ينس كل شيء يدور حوله .. يشارك عمله باحاسيسه وجدانه بعيدا عن الناس يصلي في محرابه .. يقدم القرابين من عسارة افكاره وحرارة انفسه .

وعندما يتالم هذا المخلوق فان افكاره تبقى ملتصقة متندة ، وهي تفتش عن متشبه لها لتستريح بواسطته من هذا العذاب السدي يسود مسيطرا عليها .. عندئذ يبدأ دور الاجهاض والعانة .. الدور الذي ينزعه الالم من هذه الاحاسيس وتلك الافكار .

فالالم هو مصدر الخلق والابداع .

ومن الشعراء الذين عرفوا مرارة الالم ، وعاشوا واقفهم الحزين شاعرنا الاستاذ خاشع الراوي في ديوانه الموسوم « مع النفس » .

يضم الديوان قصائد يتبع خلالها الحزن وابرز ما فيها قصيدته او فقل راتمت الشجيرة الباكية التي يرني بها ولده الروح الملائم الطيار سعد : اشكو الى الله ما عانيت من نكد ومن مصائب دهر اوشتت جلدي ما هذه جبر بالنار تحرفها - فلا نفس ، ولكن هذه كبدي ولا الذي صعد القبراء اعطله بالاجني رسا ، لكنه وكسدي اما التراب ، وقد روته بعيني فذلك آمنن ما اودت في بلدي

صحبح ان الرأف في ، وتصوير الخطب الفادح ، والمصاب الالم ، واظهار لماني الحزن والاسى .. وصحيح انه استسلام للفلسفة الحياة ، ولكن رداء الالم المفجوع ينبعث من حرارة وصعد تجاه المكروه الذي حل به ، وهو يختلف عن غيره من حيث الوجد، والعاطفة ، واللوعة والاسى .

يشي يا سعد ، يا من كتبت اشجده على اللغات ، يا خري وبيا سدي هل التواني راض ؟؟ اني ابدا صرحت فاجترحت وحيي عليك اسي والدهر ما ارانا رحتي فت بعفدي نخرت للحزن قلبي عن صفاته جاء الموي بسليبي فقلت لسه يا من اراد حياة يسراحي لسه

ومن الابل على السحاب .. ولم يتعلم جرحه بعد ، فاذا به يفقد زوجته اثر التكاثر المتلاخطة التي افقدتها اعز ما تملك في دنياها ، وادراكا لثقل الزلزل زوجته الرحلة في قصيدة له بعنوان « ام البين » وهي طويلة منها :

ام البين ، وما في الموت من عار ان النيسة فينا حكمها جبار الم تري قبلك الاحباب قد رحلوا يدهوم الموت من دار الى دار قد نفصتنا الليالي وهي غادرة وروعتنا باهوال واخطار شر البلية ان الصاك هامة وان نقيبي ، فلم تلمحك انظار ثم نلتفت اليه فاذا به يرني اخاه الشيخ محمد وابن اخيه السيد حامد حين كانت واقفهما في يوم واحد . برثيها اوجع رثاء متذكرا ولده الشهيد :

كك هذا ، وما عليك سلام فتخير من ولدنا يا حمام سوف ترضى ، فلاين والاخ وابن الاخ ، كسل سار مقدم الى ان يقول :

اين ولي الكرى ؟ لقد طال سهدي ام لعل الكرى علي حرام ؟ ما عرفت الهنا طوال حياتي كل شهدي الدنيا بعيني ظلام فاستمع للتوايح مني وفقد انواحي اشجى ام الانقسام ؟

وفي الديوان ثلاث قصائد في الرأف ايضا .. القصيدة الاولى بعنوان : « في مام العالمة المفور له الشيخ فؤاد الاوسي » عميدة الاسرة الاوسية الشهيرة ، وكان من علماء العراق الاعلام . منها :

ارى العبر اجدي في الخطوب واجزما - فيما كان شان العر ان يتربسا دغ المشتكى ، واصبر على صدمة الفقا فقد كان امر الله في الناس ميرما طوى الموت من اعلام آل محمد على غلظة منه ، الكمي القندما

قصيدته التي بعنوان « بيضة الديك » :

الديك بئس فهللي وتحتللي وتمتدلي
وتحمدي وتشكري ونطربلي ونزللي

وفي الديوان خواطر ومدايات أمثال « الوليمة الواسانية »
و « جرة الدن » وتشعيرات متفرقة في الأخلاق وتجارب الحياة . أما
الغزل فنصبيه الخ من غيره وهو لا يبلغ مستوى الحزن والرثاء ، ولعل
أكثره ضاع مع الأيام أو ظل جيباً بين أوراق الشاعر حيث يظهر أنه
لم يهتم بجمع قصائده كما نفهم من الكلمة الختامية التي جاءت في
آخر الديوان بقول الأستاذ الراوي فيها : « لقد بذلت جهداً مضنياً
في سبيل جمع ما يسر لي جمعه من هذه القصائد ، وقد اعاننتني
الذاكرة ، على تدوين أكثرها إذا لم يكن لدي منها ، إلا شيء يسير ،
وجدته مبثراً بين أوراقني .. »

وخاماً أرجو للأستاذ خاشع الراوي حياة مديدة هائلة ليتحف
مكتبتنا العربية بثمرات نتاجه .

كاظم محمد حسين

الكوت - العراق



فاطماً مصباحاً يسير لنا الدجى فيجلو الحيا منه ما كان مظلماً
والثانية « في ذكرى الفقيه الشيخ خالد التقشيري » من السادة
التقشيرية في العراق ومن رجال الدولة البارزين . منها :

مصائب يا ابن التقشيري مؤلم
أيا راحلاً ما حاد عن منح الهدى
تركزت فراقاً يوم يارتح موحناً
وموتك للأوطان أي خسارة
لقد كنت في أهل الكرامة أماماً
وكتت محباً للفضيلة خيراً
والقصيدة الثالثة « في ذكرى الروح ابراهيم الواعظ » من كبار
القضاة والحكم وصديق الشاعر . منها :

أفراق السي أميد ؟ أم رحيل السي الإبد
أفيل الكوكب السدي شمع بالأمسي وانقصد
وخجلاً ذلك السناء والسي أصبحت بسدد
يساً أباً مصطفى السدي ما تجنسى على أحد
والسدي كان دأبيه ان يفسى كلماً وعبد

كل هذه الأحداث اثرت في نفس الشاعر ، وانطبعت في اعماقه حتى
انعكست على آثاره في الديوان .. فهو يشكو مصائب الدهر ، ويعاني
الهموم والحرمان بعدما أصيب بقلعة كبده وفقد زوجته .. وكان عليه
ان يصمد أمام هذه الخطوب ما دام له قلب يخفق بالحب والحنان
ونفس مطمئنة مؤمنة . نستمتع إليه في قصيدة له بعنوان « ليت أدري »
حيث يقول فيها :

لست أدري وكل قلبي جروح
أتهكتني مصائب الدهر حتى
كم أعاني الحرمان ، وهو مرير
ان حلقى من الهناء غسيل
أين ساقلي الردى ؟ السي بكاس
هاتها عليها تدأوي فؤادي واستقيها قلبي المأزج

وفي غمرة هذه الحزنان نجد الشاعر لا ينسى قضايا وطنه البتلي
بالتخلف والأعمال نتيجة الأوضاع الشاذة آنذاك .. فقد كانت قصائده
تصورها بارعة تلك الفترة المظلمة الميأة خلال الخمينيات الماضية ..
لنستمع إليه وهو يخاطب أعضاء المجلس النيابي :

يا مشعر الباطل لا تأنهوا
بالحر ان نفى وان يجيها
ما همكم ان تطمؤوا جائفها
بل همكم ان ترقعوا الأوكسها

ويقول أيضاً في مكان آخر :

يا من تحكم واستبد بحكمهم
اناس هيك قد امتلك رفاهم
ما نفع حكم لم يكن محبوبا
فهل امتلكك مع الرافاب فلويسا

ويثور على اغلال العبود والاستبداد التي اوجدها الطواغيت :

حطموا الاغلال عنكم ايها الناس وثوروا
واجعلوا دائرة السوء على الياغي تدور
فالسي كم ذي الطواغيت على الدنيا تجور
عجت الناس وضجت من تجنيها القصور
ويحكم هل مات فيكم ايها الناس التسور

وإذا ما استبد الحكام فقد بلغنا الشاعر الى الرمز للتعبير عن
خبطات النفس الثائرة نتيجة تقييد حرية الرأي والتعبير وكلنا نذكر
القصيدة « الطرطرية » التي نظمها الشاعر الجواهري وقد شاعت
في حينها في الابدنية والمجالس ودارت على كل لسان .. من هذا النوع
من الرمز جاءت قصيدتان للشاعر في الديوان هما « الحمار حنتم »
و « غلوق » . أما القصيدة التي كانت على عنوان « الطرطرية » فهي

مطبعة الاستقامة بالقاهرة .

● الكيان العربي بين القوم والإكاثيات - تأليف الدكتور لطفي عبد الوهاب يحيى - ٨٥ صفحة - حجم كبير - طبع في بيروت (لم يذكر اسم المطبعة) .

● في الدكتورية - تأليف موديس دوفرجيه ترجمة الدكتور هشام متولي - مراجعة وتقديم الدكتور عبدالله عبد الدائم - ١٨٤ صفحة - حجم كبير - سلسلة المكتبة الفلسفية - منشورات عويدات بيروت - مطبعة منشورات عويدات بيروت .

● فن الدراما - تأليف ميشال ليور - ترجمة احمد بهجت فتحة - ٢٥٦ صفحة - حجم كبير - منشورات عويدات بيروت - مطبعة منشورات عويدات بيروت .

● مصير - تأليف خليل رامز مريكي - تقديم ميشال اسمر - ٢٠٢ صفحة - منشورات الندوة اللبنانية بيروت - المطبعة الكاثوليكية في بيروت .

● عودة الغائب - تأليف الياس حبيب فرحات - تقديم جورج رجي - ١٨٨ صفحة - منشورات دار الرائد - مطابع فغالي بيروت .

● ستة عشر عاما واكثر - مجموعة قصص - تأليف نزار مؤيد العظم - الفلاف والرسوم لهشام شيشكلي - ١٦٠ صفحة - منشورات دار الفن الحديث العالمي - مطبعة الايام بدمشق - مطابع سميا بيروت .

● الامير - مسرحية في فصل واحد - تأليف جرجي نقسولا - ٨٤ صفحة - مطابع سميا بيروت .

● التفجر المدرسي - تأليف لويس كروس - ترجمة الياس فرح واحمد القادري - ١١٢ صفحة - حجم كبير - عدد خاص من مجلة المعلم العربي بدمشق .

● Ibn Qutayba : L'Homme, son Oeuvre, ses Idées - par Gérard Lecomte - 532 pages - g.d.f. - Institut Français de Damas - Imprimerie Catholique de Beyrouth.

● Le Traité des Divergences du Hadit d'Ibn Qutayba - Traduction annotée du Kitab Tawil Muhtalif Al Hadit - par Gérard Lecomte - 464 pages - g.d.f. - Institut Français de Damas - Imprimerie Catholique à Beyrouth.

● Anthologie de la littérature arabe contemporaine - Les Essais - par Anouar Abdel Malek - 464 pages - Editions Du Seuil, Paris - Imprimerie Mame à Tours, France.

● Boy Life on the Prairie - by Hamlin Garland - 244 pages - published by Washington Square Press - printed in U.S.A.

● Why the Mohole - by William J. Cromie - 230 pages - published by Washington Square Press - printed in U.S.A.

● The Anatomy of Liberty - by William O Douglas - 198 pages - published by Washington Square Press - printed in U.S.A.

● The Story of the Peace Corps - by George Sullivan - 160 pages - published by Washington Square Press - printed in U.S.A.



● الخليج العربي - تأليف فكري فلمجي - ٦٨٨ صفحة - حجم كبير - منشورات دار الكتاب العربي بيروت - دار الفد (؟)

● حماة الإسلام - تأليف مصطفى نجيب - ٢٢٨ صفحة - حجم كبير - منشورات دار الكتاب العربي بيروت - دار الفد (؟)

● العروبة في شعر المهجر - تأليف فريد جحا - ٢٠٨ صفحة - حجم كبير - منشورات مكتبة راس بيروت بيروت - مطابع القندور بيروت .

● فوق الحدود والسدود - يوميات وآراء وخواطر - تأليف وجيهه جبر - ٢٢٠ صفحة - حجم كبير - مطابع الف باد ، الادب بدمشق .

● نمن النطننة - رواية - تأليف جيب البيهني - ٢٢٤ صفحة - منشورات دار الكتاب العربي (١) - مطبعة الجهاد (١)

● ديوان عبد القادر رشيد الناصري - جميعه وطبعه كامل خميس - مصمم الغلاف يحيى جواد - الجزء الاول - ٢٦٤ صفحة - مطبعة شفيق بيفساد .

● مقالة في العقل والنفس والروح - تأليف فتحة اليازجي - ٢٢٤ صفحة - منشورات دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر (١) - (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الانسان - مجموعة شعرية - ابراهيم خليل العلاف - ٩٦ صفحة - مطابع مؤسسة مكة للطباعة والاعلام .

● وهج الشباب - مجموعة شعرية - ابراهيم خليل العلاف - تقديم الدكتور جمال الدين الرمادي - الطبعة الثانية - ٩٦ صفحة - مطابع مؤسسة مكة للطباعة والاعلام .

● المذابح الزمنية - تأليف فايز الفصين - ٨٠ صفحة - منشورات مركز المطبوعات الزمنية ببيروت - (لم يذكر اسم المطبعة) .

● القضيان - رواية - تأليف محمد جلال - لوحة الغلاف بريشة عدلي فهم - ٢٢٤ صفحة - دار الهنا للطباعة بالقاهرة .

● الديوان : شعر ونثر - الشيخ يوسف زخريا - تقديم الشيخ الياس خليل زخريا - ٢٧٤ صفحة - حجم كبير - دار الريحاني للطباعة ببيروت .

● القضية الاممية امام الراي العام العربي - تأليف كراسم اهارونيان - ٨٠ صفحة - مع صور وخرائط - طبع في لبنان - (لم يذكر اسم المطبعة) .

● لآخر رقم - مجموعة قصص قصيرة - تأليف محمد الخفري عبد الحميد - ١٢٦ صفحة - منشورات الدار المصرية للتأليف والترجمة -

فے کلمات...

منه المصل على جلد الشخص بقوة ٨٥٠ غطاً جوا . فيستفي بذلك عن عملية الحنن . ويمكن حتن المصل بهذه الصوره بسرعه تبلغ عشرة اصصاف الحتن العادي . ويصلح هذا المصل بصوره خاصه عند ظهور حتن انتشار وباء الانفلونزا فيحتن به سكان منطقه انحصار وباء الانفلونزا . وقد اهتمت به كثير من البلدان الاجنبية وخاصة بعد ان انتشر وباء الانفلونزا خلال الاوام الاخيره .

● في نيا من ساولت هامين باتكتروا ان العالم البريطاني كارناجان كبير علماء الإباحث في مختبر الإباحث البيطرية في وبريسج بالقرب من لندن ، قد صرح بان الازر المتغن وغيره من الالحمه المتغلغه قد تسبب الالصابه بسرطان الكبد . وقال كارناجان انه قدم الى عدد من الفيران والارباب ارزا الفسده نوع خاص من الففن لفترة طويلة فادى هذا الى اصابتها باورام خبيثه في الكبد . واصاف كارناجان ، انه بالرغم من انه ليس بالضروره ان تكون لهذه السموم المتسببه عن الفعا نفس الاثار على الانسان ، فمن القبول بصفه عامه ان الارباب تشبه الانسان ، ولذلك فمن المحتمل ان تكون السموم الفطره عليها خطره على الانسان ايضا .

● توصلت دراسات الباحثين العرب الى نتائج عامه في مجال تحديد نوع الجنين قبل ولادته ! وقد استطاع الدكتور عباس الترييني مدرس امراض النساء في طب قصر العيني بالقاهرة مع الدكتوراه آنا هوندت رئيسة وحدة الخلايا في مركز البحوث - وهي هولنديه اكتسبت الجنسية المصريه - الوصول الى طريقه علميه جديده يمكن بها تحديد نوع الجنين وهو في بطن امه عن طريق دراسة الخلايا المعلقه في السائل الامنيوسي (وهو السائل الذي يوجد في كيس الجنين وله خواص تدل على نوع الجنين) . ليت من الدراسات التي اجريت على هذا السائل ان الخلايا الانثويه بها نطف تظهر بعد وضع صبغات خاصه عليها . وهي النطف «كروماتين الجنى» المعروفه التي تحدد النصف الوراثي الانساني في الجنين . وقد سافرت الدكتوراه آنا هوندت الى اليابان لواصله البحث في النطف العلميه الهامه المتصله بالامراض .

● اكتشفت في مدينة ليتين ابياد في جمهوريه تاجيكستان السوفيانيه احدى الزواحف الطائره المتحجره التي بقدر انها كانت تعيش منذ ١٩٠ مليون سنه مضت . ويولي العلماء اهميه خاصه لهذا الحيوان المتقرى لانه كان يستخدم اغشيه سمكيه على ظهره كاجنحه للطيران ، بينما كانت الزواحف الطائره الاخرى تستخدم سيقانها الاربع في الطيران .

● شرح الدكتور بريان بارت بورز اخعائي جراحة القلب في مستشفى جرين ليك في اوكلاند بنيوزيلندا ، في مؤتمر طبي عقد في نورثون طريقه نقل الفصام الاطروبي من قلب شخص ميت الى قلب شخص مريض . وقال بارت بورز ان هذه الجراحه اجريت حتن الان لـ ١٨٢ شخصا لم تعدت لهم اي مضاعفات. الدكتور نورب بعمل ابحاث تصليب الشرايين بالدر ليبارك بهانستشر ، ابتكر جهازا جديدا اسمه العلمى (مايكرونيولوجميتير) مهمته تقدير كمية ذهيات الدم البروتينيه (الليبوبروتين) كبيره الحجم المسماة بروتينات « بيتا » والتي تؤدي زيادتها الى تصليب الشرايين واسداد الشرايين التاجي (الذي يسبب جلطة القلب) . والتقدير الكميه ناخذ عينه من الدم لا تزيد عن ١٥٥ سنتيمتر داخل انبويه توضع اعلى الجهاز ، وبالضغط على الزرار يتحرك المؤشر لتقدير كمية الدهنيات الموجوده في الدم في دقيقه واحده . وطريقه عمل الجهاز تعتمد على خاصيه انعكاس الضوء بواسطه هذه الجزيئات الكبيره المعلقه في الدم ، فاذا ما سلطت عليها شعاع صادر من كيه تيجنين (٢٤ فولت) وامرار الضوء على مرشح احمر اللون منع انعكاس الضوء من اوقات عدم الحمره ، تحرك المؤشر فوق المسجل لقياس كمية ذهيات الدم . ويستعمل اول جهاز من هذا النوع في مستشفى قم المتعلق بالمعاقين بعد اعدائه للدكتور حنسي عياد مدير المستشفى تقديرا لايحائه عن تصليب الشرايين في هذا العمل ، ويستعمل الجهاز في اول يناير .

● وجد العلماء الامريكان بان جميع البدينين لا يعانون بامراض ترتب عن السمنه ، وقالوا بان هناك نوعين من البدينين ، نوع يكون من الاصحاء الاجسام ، وتعود بدانتهم الى خشونه تركيب جسمهم بطبيعه الحال كصفاحه الطعام والتغاضف العضلات . فهذا النوع من البدينين لا تصاب بالامراض التي تنشأ من السمنه كالسكر وارتفاع ضغط الدم ، ولا يفرق تعرضهم عن تعرض باقي الاصحاء الاخرين . اما البدينون الذين يترهل جسمهم فيمكنون النوع الخطر ويوجد لديهم استعداد للاصابه بالامراض المذكوره .

● اخرجت مصانع بيرينج لادويه بمدينة ماربورج بالمانيا القريبه مصلا جديدا فصلا للوقايه من مرض الانفلونزا ، يستخرج من بيشى الدجاج ولا يحتوي على اية فسلات قد تنتج عنها عوارض ثانويه غير متوقعه وتبقى منفعول معول المواد الجديد عاملا كاملا . وقد اخرجت المصانع نفسها مسندا خاصا «بطلقا

والكاريلي ، وايقونيا البورباني ، وفي منطقه ارخنجليك ، صباب الناس غالبا بداء سرطان البلوم . ويتسائل ، عم هو مشترك من وجهه نظر الظروف المناخيه والجغرافيه ، ونفايدس ومادات سكان هذه او تلك من المناطق البعيده القور ؟! ان لديها جامعا مشتركا : فاشكان يستهلكون السمك (نظرا لان معظمهم يتعاطى الصيد) ، ولكنهم لا يتغنون تقيية كافييه الحسد . ولذا ، فالجروح الخفيفه التي يبعدن الحسد في البلوم ، تكفي لتفسد سرطان البلوم بين سكان هذه المناطق البحريه الساحليه .

واخيرا ، لقد برهن اعضاء البعثات مختلف درجات باد الفئه الشديه عند نساء مختلف مناطق البلاد . وينتشر بنوع خاص هذا المرض في القرى ولا سيما في المدن ولكنه افضل انتشارا في تركمانيا وطجكستان ، واوزبكستان ، وتعرف الاسباب حاليا . فالامر لا يتعلق بالافلا بالظروف المناخيه والجغرافيه ، بل بوراثة تناثلا اجيال متعاقبه . فساء هذه البلدان نفع بكثرة الاطفال ، ويرضعن فترة طويله الاطفال ، ولا يجهضن الا نادرا . وكل ذلك ، يقهرن الى حد من سرطان الثدي المتدافعا ليا عند النساء اللواتي لا يتجنبن او اللواتي يتجنبن قليلا من الاطفال .

هذه هي خصائص انتشار الامراض الخبيثه والامراض السابقه للسرطان الموجوده بين سكان بلادنا . وهذه العليات ، تتفق واستنتاجات علماء البلدان الاخرى . ففي الولايات المتحده مثلا ، وكذلك في البلدان الاوربيه ، يعاقد سرطان الجلد غالبا بين سكان الجنوب . وفي مناطق السويد الشماليه ، حيث يقع متعا بانا التدخين في المصانع ويصفغ العمال التبغ. الامر الذي يبيع مخاطر تجوف الفم ويسبب سرطان هذه الاعضاء والامراض السابقه له . وفي مناطق كثيره في الهند ، حيث يصفغ الجوز واوراق نبات التتبون ، في المصروم والمخلوط بانبغ والكس الطفا ، يمرض السكان بسرطان الفم. وتؤكد الفخره الاجنبيه والها ان النساء اقل عرضة لسرطان الثدي فسي المناطق التي لا تطرح النساء فيها كثيرا ، وفي المناطق التي ترضعن فيها الاطفال طويلا . ويوجد في الهند ، نسبة مشوبه كبيره من السرطانيين بين المدخنين .

ان دراسة السرطان من وجهه النظر الجغرافيه قد بدأت منذ وقت طويل ، وهي بعيدة عن ان تنتهي . على ان العليات التي جمعت حتى الان ، تسمح بدراسه التبايرس الوقائيه الواجب اتخاذها ضد الامراض الخبيثه والامراض السابقه لها ، وتنوع اثارها الضار والتهديد والتقاليد المفسره وللقيام بدعايه واسعه لمكافحة السرطان .

أ. ميركوف

مجلة الهدى في شهر



في يوبيل مجلة الاديب

ضوء على الادب العربي المعاصر من خلال ربع قرن

عندما تحقق مجلة عربية بالمثابرة والصبر والكفاح استمرار البقاء ربع قرن يتحتم ان يتحرى الباحثون عن هذه القوة القادرة التي مكنت مثل هذه المجلة على استمرار التفاعل مع الفكر العربي المعاصر في العالم العربي كله . والحق ان مجلة «الاديب» البيروتية مجلة جديرة بالاحياء تحمل في نواصيها كل عوامل النجاح والبقاء الى عمر الالهلال والفرقان والفتنط ، وهي اطول المجلات عمرا في الشرق العربي ، واكثر عوامل قدرتها على البقاء ، ذلك الايمان الواضح ، والاصرار الدائم من صاحبها ومعتنقها على الاستمرار والتجويد .

فلقد بزغ فجر الاديب في ظل الحرب العالمية الثانية في اول عام ١٩٤٢ ظهرت بقوة ضخمة في ٦٤ صفحة كبرى ومنذ ذلك اليوم لم تنقص ان لم ترد هذا الحجم ، وظلت خلال هذه السنوات محتفظة بذلك الطابع البسيط التفاعل المتمثل في حميتها وغلظاتها واجتهتها ، وذلك الاثار العلو يحمل كل شهر حكمة من الشرق او الغرب ، حتى اعتادت عليها عين قارئها ومحبها ، فهي عنده اشبه بخفة قلب ، يندو من بين المجلات التي يسبها شيء ، ومنذ اليوم الاول كانت كلفا « الجير ادب » تدل على ارادة صمعة على العمل . « لقد رأينا الحاجة ماسة الى سد ما يحسب بحق في عالمنا في مكتبة الاديب العربي ، فالفهم ان نساهم بمجلة نطمح ان تكون مفعلا لانتاج الفكر الادبي والعلمي ، لم لا نلبي ان نصير هزة الوصل بين الطاب الفكر الحر في الاطراف العربية جميعا » . ومضت اعداد المجلة لتصل بحمل اسماء اعلام كتاب الادب العربي في لبنان : عمر فاخوري ، صلاح الاسير ، الياس ابو شبكة ، الدكتور زكي المحاسني ، واداس سكايتي ، فلك طرزي ، كرم ملحم كرم .

ومنذ العدد الثاني بدت الكلمة المرشوفة على الصدور كالوسام تستوحى الادب العربي فهي لابن المغنف « حق على العاقل ان يتخذ مراتب ينظر في احداها الى محاسن نفسه فيصاغر بها ويصلح ما استطاع وينظر من الاخرى في معاين الناس فيجلبها بها ويأخذ ما استطاع منها » .

وقد حملت مجلة الاديب منذ اليوم الاول شرارة الفنون الادبية المختلطة : الشعر والنقصة والمقال الادبي ، وحملت للفن مكانا واضحا في نقده ودراساته ومعارفها ، وحملت جديها بالصور الفنية والكاركاتورية في اغلب صفحاتها وارتدت موضوعاتها بتلك التريات الفنية التي لم تلبث ان اقتضت منها في الايام التالية ، ومضت «الاديب» تنمو والحرب العالمية تزداد عنفا ، وفاست ازمتها الاولى ولكن اليسر ادب صمد للمحنة ، واستطاع ان يستمر بزم وقوة ، وقال في مستهل عامها الثالث « انها اعجوبة ان يتأثر « الاديب » على الصدور وفي كل مطلع شهر وهو دائب على التجديد والتحسين غير مبال بشتى العرافيل المادية وغير المادية » . وفي العام الثالث بدت « الاديب » توسع افاقها فلا تكتفي بكتاب لبنان ، وانما تتطرق في افاق العالم العربي ، العراق ، وفلسطين ، والاردن ، ومن مصر نرى منصور فهمي وتوفيق الحكيم ، بل نرى في باب الكتب نقدا لكتاب «حياة مي» لالستان محمد عبد الفتني حسن في المجلد الاول (نيسان ١٩٤٢) مما يدل على بقالة هذا الباحث

العربي ، فلعلمه اول من اتصل بها من القاهرة ، وقد كان عبد الفتني منذ سنوات طويلة ولا يزال مرجعا هاما في الدوريات وابحاث الكتب قديمها وحديثها ، اما في عام ١٩٤٤ فقد اتسع نطاق كتاب الاديب من القاهرة حيث نرى بنت الشاطيء في القرية المهجورة ، ومحمود تيمور في انتاجنا القصصي ،

وطه حسين في رسائل لثانية وهو ففضل من كتاب لم ينشر حتى الان ، وتوفيق الحكيم والملازمي في الانتحافية (نوار ١٩٤٤) ، وزي نغدا لمياد الله الغنيلي لقصة توفيق الحكيم زهرة العمر ، فلذا ما اهل عام ١٩٤٥ وقد تخلف العالم من الحرب العالمية الثانية توسع نطاقها ونشر فيها احد امين وعبد الرحمن بدوي وعبد الوهاب غرام وجميلة الملايلي وبشر فارس ووديع فلسطين وعبد المعطي الميري وعلى محمود طه ، وفي عام ١٩٤٧ بدا اول فلم من الغرب يكتب في الاديب ، هو الدكتور ابو مدين الشافعي الجزائري الاصل ، ومحمود جواد الجزائري ، وما زال كتاب من كل أنحاء العالم العربي يفسقون اسماهم في كتاب الاديب ، وما زال كتاب مصر يوالون الاديب سنة بعد سنة ، وعددا بعد عدد .

وما زالت مجلة الاديب توسع افاقها وتعمق خطوطها العامة في خدمة الفكر العربي والقومية العربية والادب والشعر ، ومختلف اسباب الدراسات ، فقد اولت باب الكتب ومكتبة الاديب اهتمامها منذ العام الاول ثم توسعت فيه فهي منذ برزت تقدم اكثر من سبعين كتابا في العام وقصص للادباء مناجاتهم ومساجلاتهم فلا تقل رسائلهم في العام عن هاته رسالة ، وقد غنيت بالتأسيات التاريخية فاحت كل ذكرى ، واخرجت عددا خاصا في الذكرى الالفية على مولد العربي ونشرت كتابا مستقلا وافات مباراة عامة .

ولم تدع مناسبة او كتابا قضى الا تناولته بدراسات باعلام كتابها المتعددين ، وهؤلاء الذين انطوا في هذه الفترة (١٩٤٢ - ١٩٦٥) امثال هدى شعراوي وخلييل مطران ونشوا حصاد ، وبشر فارس ، وابيليا ابو غناني ، واحمد علي الحوماني ، وخلييل السكايتي ، وابراهيم طوفان ، والقائد والملازمي وشكيب ارسلان والدكتور مندور وفارس الخوري وعمر فاخوري ، وامين الرعياني قد نشرت آثارهم وكنت عنهم كما كتب من يرغهم من سبوا من الادباء المعاصرين امثال ابراهيم اليانجي وفرح انطون وغيرها ، ومجال الدراسات العربية والاسلامية نجد حشدا هائلا من الابحاث في مجال الموسيقى الشرفية والادب المهجري والرمزية والفلسفة العربية الاسلامية والوجودية والتصوير الاسلامي وعشرات من القضايا والابحاث حتى ليكن القول بان الباحث في الادب العربي لا يستطيع ان يتجاوز مجلة الاديب ، ونفس القول يمكن ان يقال في مجال الاحصاء والاستعراض للكتابات والشعر في الادب العربي فما من اسم من الاسماء يمكن ان يرد على خاطر في الشرق العربي الا وقد كتب في مجلة الاديب ، اما في الغرب فقد كتب بها عنه قليل في مقدمتهم عبد الكريم غلاب .

ومن العالم الاسلامي كتب ايضا عواد مجيد الاطلسي (الباكستان) وعبد الله بن نوح (تونسيسيا) . اما الكتابات باسماهم جميعا قد تجاوزت في صفحات الاديب : ماهرة الشقيندي ، واحسان اللائكة ، ونازك الملائكة ، وغادة الحجاوي وسيميرة غرام وعشرات .

واذا كانت هناك مدالية تطغى في هذه المناسبة فانما يستحقها امثال وديع فلسطين وعبد الفتني حسن والدكتور المحاسني ووداد سكايتي وعيسى الناعوري وفديري قلججي ، هؤلاء الذين كتبوا منذ السنوات الاولى ، وما زالوا يوالون الكتابة ، ولقد برزت في السنوات العشر الاخيرة اسماهم ما زالت تواصل الكتابة في قوة واستمرار امثال محمد رجب البيومي وابو طالب زيان ومبارك ابراهيم ، وقد مضت الاديب

في الأدب حيث كان وهو المصري يعمل مديرا للكلية الشرعية في بيروت ، وذلك « أحمد راسم » وهو يكتب عام ١٩٤٢ في الأدب من السويس ليشر ما عرف به من شعر مثور بالفرنسية والعربية وفصيحته « له عرف يوما » .

ولا أنسى فصول المسرح والغف والفلسفة والتربية والتعليم في خلال هذا الربع قرن .

وبعد فهذه نظرات سريعة من مجلة الأدب في مجلداتها الخمسة والعشرين ، تحاول أن تلقى الضوء على الأوليات والخطوط العامة التي بدأت في ظل هذه المجلة ، التي يمكن أن تصاف كمراجع أساسي للأدب العربي المعاصر ، لا يمكن لباحث أن يتخطاها ، وإذا سجلنا هذا فإن الأمر الذي هو جدير بالنظر والتقدير إنما هو « البير ادب » نفسه ، هذا المجاهد الذي ظل محتليا وراء هذه الصفحات المؤلفة سنووات طويلة يعمل في صمت ، دون أن يعلن عن نفسه ، أو يهرق افتتاحيات مجلته ، فقد تكشف عن نفسه في استحياء في العام الأول والثاني ، ثم عاود الاختفاء ، ولم يظهر له في هذه الفترة غير ديوانه الشعري (ن ؟) عام ١٩٥٢ وكفى ..

هذا الرائد جدير بأن يكشف النقاب عن مضمونه ومفاهيمه ، فلا شك أن الرجل الذي استطاع أن يعمل خلال ربع قرن من زهرة عمره ، مواصلا قيادة مركبه في البحر اللجني ، تصادفه المواقف والاعاصير فلا يطوى شراعه ، ولا يجنح إلى التساطر ، حقا ، لهو إنسان ممتاز قوي الخلق ، له زعامة بالغة الأصوار ، ومن عجب أن الرجل الذي نالته صحبته في السنوات الأولى خوفا من التوقف قد استطاع أن يتخطى مجراؤه ويصغقه ، ويحتسب الإزمات ويواجهها في قوة لم يفسى في الطريق .

ولست أبعد كثيرا عندما أجد في كتابات « البير ادب » ما يكشف عن هذه الشخصية يقول « أن الجدل على مختلف أنواعه ينحصر في النجاح ، النجاح الذي يحززه المرء بسعيه ودأبه ، وفروبه المجد متعمدة فكل صناعته أو حرفة جميعها ، ومن خلال الرأي التوكل على الصمد في الظروف في أحرار النجاح ، فالصمد مساعد ، وتؤنس ولكنها لا توجد شيئا من لا شيء ، والنجاح هو نعمة السعي والادب والأخلاص ، وليس هذا النجاح وليد يوم بل هو نتيجة المتابعة على التجويد بزعامة ثابتة ومجربة خالصة تسهلان للصامد وتمهدان الطرق ولهذا نحن لا نأسى لفشل ، ولا نقف عند صدمة ، ولكن نعيد الكرة مرة بعد مرة » .

حقا ، هذه المعاني تعطي سر الرجل ، فهذه كلمات نشرها منذ أكثر من عشرين عاما وما تزال ترسم حياة البير ادب في أروانه وولونه وأصواره على العمل ، وهو لا يؤمن بالارادة من غير كفاية ، بل لا بد من الكفاح ، « الكتابة جوهر وإسراف ولكنها ليست كل شيء » ، إذ هذان فضائل أخرى ينبغي أن يتحلى المرء بها ، الناس على اختلاف طبقاتهم وأمزجتهم مسوفون بحسب البقاء على ترك أثر في الحياة وكما علمت هذه العبارة كانت أدنى إلى شرف النفس ونبل القصد » .

وعنده انه « لا بد لانهاض الأمم ونهذيتها من الفكر والعمل ، الفكر مبدع الفن والمجال والحكمة يتجلى ذلك في بناء الأهرام ورافسيه الأكربول ، ومن أعلى قباب الحضارة زلزال للايمان ومن شدا الأبنية وأوحى بالرميز ، فاعمل خالق المثل هو الذي نفع القوة والرجاء في نفوس الرسل والشهداء والجود وعلماؤه القواد من بابار السى نابليون ، ومن طارق بن زياد إلى الإسكندر وهو أيضا أعطى العالم

في مجال الشعر على أوسع نطاق حتى يمكن أن يقال انها كانت ديوان العرب فيه ، وفي مجال التراجم والتلفد والترصيف بالكتب والأدب العربي القديم في عشرات من ابن خلدون والمجاهد والمري والفزالي ، أما اعلام الأدب العربي فقد كان لهم مجال واسع .

ومما يذكر أن رجلين نعا في الأدب وأنشأ مجلات من بعد ، أولهما الدكتور سهيل ادريس الذي سار المجلة منذ اليوم الأول وحرر عددا من الأيوات أعماها باب الكتب وقدم عشرات من الكتب في نقد وإشارات وأعية ، وعسى الناعوري صاحب مجلة القلم الأردنية المحتجة ، وما زال صاحبها يواصل الكتابة في الأدب إلى اليوم ، ولا ننسى الدكتور زكي أبو شادي الذي راسل المجلة من مهجرة في أمريكا حتى وفاته أما عبد الكريم غلاب رئيس تحرير جريدة العلم العربية الزاهرة فقد كان من أوائل كتاب المغرب اتصالا بالأدب في الشرق فقد نشر له عام ١٩٥١ مقالا عن الأدب والانتاج والكتاب . وقد عني بالكتابة في الأدب ابداه من مصر كيوسف الشاروني ومصطفى السحرني وعبد العزيز سيد الأهل وعبد الغنم خالجي ، كما أتبع لسلمي « ثور الجندي » الشاعر السوري أن يسبقني إلى الاتصال بالأدب .

أما الدكتور منصور فهمي فقد كان من أوائل المعاصرين الذين نشرت كتابهما في الإفار الرئيسي للمجلة « تشرين الثاني ١٩٤٢ » وهذه هي « تدعيموا للقدم فينبغي فضل الجديد ، ولا تدعيموا للجديد فتأخذه بترابه ونبره ، وأنتم تحسبون تراهيه تبرا ، فإذا دعوناكم إلى اقتباس بعض النظم الغربية التي يفسدنا إليها تنازع البقاء ، ولا تنافي جعنا ماضينا فذلك لئلا نريد أن نسلحكم بسلاح نقفون فيه القواء يجانب القسوي » .

أما الاستاذ ودع فلسطين الذي وأكب الأدب خلال سنواته الطويلة فقد كان أول مقال له عن كتاب « أبو حنيقة لعبد الحلیم الجندي » عام ١٩٤٥ ، وفي نفس العدد حديثه الطائر بالهجرة الأولى من مطبخ الشرق الأدنى بيافا وفلسطين ، وفيه يقول « لقد بلغ نفع الشرق والفكر والتفاني مرتبة أصبح لا يفتح فيها يكتب تأليفه ليعدها المطابع لأصحاب الاسماء الصمغة ، وإن ترك الحضارة يستنجد برون ، لا يعلم احد متى نستطيع أن نلحق به أو نخضع الشقة بيننا وبينه ، فالتحفة العربية أصبحت اليوم أكثر من أي وقت مضى في ميسر الحاجة إلى موسوعة لشئ المعارف لا نقلانها وشمولنا من دائرة المعارف البريطانية » .

تلك كانت دعوة ودع فلسطين منذ عشرين عاما ، ومن عجب أن يعثر هذا العدد بعد أن تحقق لوديع المشاركة في إنشاء « الموسوعة العربية » وله فيها فصل « الصحافة في العالم العربي » .

وإذا كان ودع فلسطين قد مر في هذا العام بأزمة نفسية صرفته مؤقتا عن مجال الأدب والفكر فإنه لا بد عائد مرة أخرى إلى مكانته المرموق ، كأحد الكتاب التوايح في الأدب العربي المعاصر وله خبرته وتجاربه الواسعة في مجال الدراسات العربية والفربية ، وفي مجال التأليف والترجمة ، فحين نضحي هنا من نافذة أبواب الأدب ، كما نحيا الاستاذ الكبير محمد علي الطاهر الذي كان وما يزال صاحب الدعوة بالسبق إلى تقدير العاملين ، وهو الذي لفت الأنظار إلى اشتراك عبد الأدب فدهنا إلى البحث والعمل لتشارك في عيد هذه المجلة الرائدة التي كانت مجالاً لإبحاث كل كاتب ناشئ وصاحب فكر . ويمكن أن أذكر بهذه المناسبة ، باب برقيات أدبية) هذا الباب الناجح الحافل الذي بدأته الأدب ١٩٤٤ ، فإذا دخلنا ميدان الإحصاء أمكننا أن نقول إن مجلة الأدب الزاهرة قد قدمت ما لا يقل عن ١٦ ألف صفحة في هذا الربع قرن وأكثر من ألف وخمسمائة مقال . وإذا كان لنا أن نلح الدكتور سهيل ادريس بموسمه من أوائل كتاب الأدب ذكرنا أول قصة نشرها « الثوب المرق » اب ١٩٤٢ وكوَّح جبلي (تشرين أول ١٩٤٢) وابن مكانهما الآن في مجموعاته القصصية . ولا ننسى أن نذكر أن « عبد العزيز أحمد » كان من كتاب العام الأول

منذ مولد أحد منابرنا الكبرى ، واغصد بهذا المنبر مجلة « الأدب » .
فلا يصدر هذا العدد من « حوار » إلا ويظهر عدد « الأدب » الجديد في حلته التي عرفناها خمسة وعشرين عاما بطولها لم تنشر مرة عن نمطها الكلاسيكي البسيط الراق ، يحمل في أعلاه تاريخه : « الجزء ١ ، السنة ٢٥ » .

والحق أننا إذا ذكرنا كم من المجلات الأدبية عرفنا نشأ ونمو ونشوب ونذبل ونلحق ، كل حلة في غضون سنوات قليلة مددودة (وأجابتنا في غضون ما هو الأصغر من ذلك) ، أدركنا المفز الخطير والفسيحة الجليظة في تمكن صاحب « الأدب » ورئيس تحريرها ، الإنسان البير أدب ، من التفتحة أدبية أو ببديل اشتراكات كثيرة العدد - وإن « الأدب » الأدبية لم يعد مكانا لها ، في زماننا هذا ، إن تعيش وتتمتع إذا لم يبق لها سند مالي منتظم ، كمؤسسة ثقافية تعدها بالعمود خمسة للثقافة ، أو كدار نشر كبرى ، أو كعكوة تصدرها هي أو تفديها بالاعلانات الشديدة أو ببديل اشتراكات كثيرة العدد - وإن « الأدب » لم تحظ بمساعدة هذه أو تلك أو هاتيك ، بل ظلت على الدوام مجهودا فرديا ، أدركنا مدى الفضيحة التي فسحها البير أدب ، بعمت وصير ، هذه السنين الطوال ، ليحتفظ ببجلته كما هي ، وليخرجها بعد عدد ، لا توقف مرة من الصدور ولا تأخر فيه ولا يقل عدد صفحاتها أو يتغنى مستواها الطباعي . أما أن هذا لم يكن بالأمر الهين عليه وأنه نقاضاه الكثير ، من صحته ومن راحته ومن ماله ، فمعروف ومدعاة للتدبير الإلغ .

تذكر ليف من دماننا هذا ، ونذكر أن « الأدب » مجلة متعددة (بل إن المآخذ عليها أنها متعددة مسألة أكثر مما ينبغي) ترفع عن كل حوار الطيخ وكل نقد جارج وكل زمت يقيض ، وإن العالم العربي ، بسائر الظاهر ، لم يلق أبوابه دونها يوما ، نذكرنا ذلك الذي يجلس وراء مكتبه (الذي هو منزله أيضا) ليوم يجتمع مهام الأدب ، فهو رئيس تحرير ومدير ومفتح ومصحح ومشرف على الاشتراكات والبيعات والإعلانات ، إلى ما هنالك من الأعمال الكبيرة والصغيرة - كل ذلك طوال أيام عطية الشغل خلالها إن تكون تلبية أية دعوة لحضور مهرجان أو مؤتمر أدبي ، فهو الوحيد أن تصدر مجلته ، كما يريد ، في حينها ونصل إلى كل مسترشد وإلى كل جامعة ، حيث تعد « الأدب » مرجعا أدبيا وتاريخيا آمينا لأمم الأحداث الثقافية ومنبعا لإعلام الأدب والفكر وتعليقا بانتاجهم . نذكر أن كثيرا من ألم الأسماء عندما وعده سوانا من الإفطار العربية لم تعرف إلا بعد أن احتضنتها « الأدب » وطورتها ، - فسارعوا للكتابة عنه وعن مجلته ، واخذوا يعدون العدة لاحتفال كبير يقيمونه في مطلع العام له ولها .

وقد أمل بعضنا ، خلال الأشهر الماضية ، أن نلجأنا جمعية اصداقاء الكتاب ، التي نعلن من جوارها في أواخر تشرين الثاني (نوفمبر) من كل عام ، بأن نعلن عن فوز البير أدب بالجائزة الكبرى ، جائزة رئيس الجمهورية . كنا نعرف أن أمنا هذا سيظل على الغالب مجرد أمل ، لأن القصد في هذه الجائزة أن تكون تنويجا لتناج حياة فحلت بالوفاء ، والبير أدب ذو التي واحد هو مجموعته الشعرية « لن ؟ » . لكننا أيضا كنا نرجو أن يحور في شروط الجائزة هذا العام ، فيصبح بالأمكان منحها لن لم يكتب كثيرا وإنما استكتب كثيرين ، وإن لم يخلق كثيرا إنما لولاه لقلت جدا خلاق الأدب في السنوات الفاتسة الخمس والعشرين . ليس من بين العاملين في حقل الأدب من هو مظلوم ومن يفتحق حقه في العادة أكثر من الناقد (« هل رابت قط في أية ساحة تمثالا لأي ناقد ؟ ») - اللهم إلا المحرر . رغم هذا (أو لعله لأجل هذا) كنا نأمل ، خلال الأشهر الماضية ، أن يفوز محرر « الأدب » بالجائزة الكبرى .

جمال عباس

مجلة « حوار » بيروت

إبطال الإيما والرحمة والحبية » .

هذه هي كلمات « البير أدب » من ربع قرن تكشف عن إيمانه بالصورة الإنسانية التي لا تنافي الدعوة الوطنية ولا القومية ولكن تربها عقبا وخصوصية .

وفي مفاهيم البير أدب للفكر والأدب يتجلى منهجه في مجلته الزاهرة - على حد تعبيره « تكافح الأدب الإنبدال التي تروج له الصحافة الخليفة بشتي وسائل الأفرار ، وتكافح العدوان الذي يرمي به العرب عن طريق الفكر ، تتلصص الأدب الرفيع والثقافة العالمية فتقدمها في ضوء عقيدة استغرافية حرة ، وإيمان عربي أصيل » . فإذا نظرنا إلى أن تكشف عن شخصية البير أدب وجدنا أعرف الناس أو بصورة على هذا النحو « صريح فيما يتحدث اليك من تحليل علمي أو أدبي ، وصريح فيما يتسقى ويفصل في صحيفه ، صريح وأصيح كل الوضوح فيما يبحث من آثار الكتاب والشعراء ، ثم هو صريح بعد ذلك كله فيما يأكل ويلبس ويشرب ، لا غموض في حياته مع الناس ، ولا ليس في عيشه ، يسهم في كل ما يدور حوله إلا فيما يشعر أو يكتب فهو لين اللفظ ويصير النتائج ويشرع القوانين » .

فإذا تمقنا حياته الخاصة وجدنا « أبا ندى » إنسانا حيا يكتب إلى أحد اصداقائه في إحدى رسالته بعد زواجه يقول :
« اخترت كاميل وأنا لا أعرفها في سن الثلاثين ، قل أن للعدد نصيبا في حياتنا بفعل ما شاء ، أن زوجي متلي ، وكأنها عملت أن تكون لي وصفت لأن أكون لها » وليس البير أدب صاحب مجلة فقط ، وليس هو يشاعر فقط له ديوان « لن ؟ » الذي أثار فجة كبرى ونقدنا وسخطا وأعجابا ، وليس هو صحفي ، وليس هو كاتب له نظرات عميقة في كلمات : الضمير . الربيع . المعلم الأول . الزعامة الحلة . . . ولكنه هو ذلك كله وهو إلى هذا كله مجرب محقق وخبير بالحياة . يقول :
« رابت كثيرا وعشت كثيرا وانقسمت في صميم الحياة ، فخيرتها على أشكالها والواتها المتعددة وتذوقت حلوها وذقت مرها » .
ونحن في هذه اللحظات ندعو له بمزيد من العيش والسعادة والهدوء وكلما له ذبوا ، ولجلته إزدهارا ، وهذه ليست دراسة وإنما هي نتيجة متواضعة في عيد الأدب وصاحب الأدب .

جريدة « العلم » بالرباط

أنور الجندي - القاهرة

ذكرى مرور ربع قرن على مجلة الأدب

من مقال للاستاذ جمال عباس بعنوان « موسم الذكريات » :

وإذا كنا قد نذكرنا أن ربع قرن قد انقضى منذ وفاة أحد رجالاتنا الكبار (أمين الربيعي) ، فقد نذكرنا أيضا أن ربع قرن قد انقضى

فربما يصدر

الوتر الزئبق

لشاعر السوري المجدد

علي الزبيق



نقولا يوسف

سليم النقاش رائد الصحافة والمسرح

بقلم نقولا يوسف

قلما يرد ذكر الكاتب العربي اديب اسحق (١) دون ان يذكر معه زميله في النشأة ، ونظيره في العمل ، وفريقه في الجهاد : سليم النقاش .. كان كلاهما رائدا في الحركة المسرحية والصحافية التي بدت طلابها في اواخر القرن التاسع عشر بمصر والشام .. وكان كلاهما اديبا مكافحا وكاتبا متحررا ..

وولد سليم خليل النقاش بلبنان ، وتلقى به تعليمه الاول ، ودرس اللغة العربية وادبها ، ثم تعلم اللغتين الفرنسية والايطالية .. وتعلق منذ صباه بالادب ، ونظم الشعر واستهوته الفنون المسرحية .. مقتفيا اثر عمه مارون النقاش (١٨١٧ - ١٨٥٥) الذي يعد من اقدم رواد المسرح العربي الحديث - ان لم يكن اولهم ..

وكان مارون النقاش قد ولد في صيدا عام ١٨١٧ ثم انتقل الى بيروت وتعلم بها ، واجاد الى جانب لغته العربية ، اللغات الايطالية والفرنسية والتركية ودرس الحسابات التجارية ، وتوظف في شبابه بجمرك بيروت ثم تركه للاشتغال بالتجارة ببقية حياته .. ولكنه كان فنانا يهوى المسرح والموسيقى والتنقل في البلاد ، فطاف بالمدن السورية واللبنانية ، وزار القاهرة والاسكندرية عام ١٨٤٦ . ثم ذهب الى ايطاليا حيث شهد عددا من التمثيلات وأعجب بها ، فلما عاد الى بيروت ، ألف فرقة

للممثل من اصحابه الشباب وأخذ يدربهم .. واقتبس رواية البخيل لموليير ، وجورها وعرب اشخاصها ، ومثلها معهم في بيته عام ١٩٤٨ ودعا عددا من وجوه المدينة لمشاهدتها .. ثم ألف تمثيلية : « أبي الحسن المغفل أو هارون الرشيد » التي استلهمها من إحدى حكايات ألف ليلة وليلة ومثلها مع فرقته عام ١٨٥٠ .. وأنشأ مسرحا خاصا بجوار منزله ، ومثل كوميدته : « الحسود السليط » التي اقتبس بعضها عن روايتين لموليير ، فخرجت بين التأليف والاقتباس والتعريب .. ويروى أن بعض المتزمتين ثاروا على هذه البدع ، وشكوا صاحبها الى والي التركي فامر بايقاف التمثيل ، وبخاصة عندما زعم أن رواية هارون الرشيد بها تعريض بالملك والخلفاء! ولم يطل الاجل بمارون النقاش ومات في طرسوس عام ١٨٥٥ شابا في الثامنة والثلاثين .. وخلف في اهل بلاده حب التمثيل ، ورغب بعض ادياب بيروت في هذه الصناعة فعملوا يمثلون الروايات في المسارح الخاصة أو في المدارس أو في المسارح العامة .. (٢)

وشب سليم النقاش محتذيا عمه مارون . قالف في بيروت فرقة قامت بتمثيلاته السالفة الذكر ، وايضا بمسرحيات قام سليم بترجمتها وتأليفها .. وكان يعاونه في مسرحه اخوه نقولا النقاش الذي اشتغل فيما بعد بالصحافة ، وأصدر ببيروت عام ١٨٨٠ جريدة ادبية سياسية باسم : « الصباح » .

ثم رأى سليم النقاش ان ينتقل الى مصر ، حيث كان المجال الفني أكثر رحابة ، والامكانيات أكثر يسرا ، والفرق المسرحية أقل وطأة .. ونزل بالاسكندرية في اواخر سنة ١٨٧٦ - واواخر حكم اسماعيل - وكان هذا الهديوي معروفا بعيله الى احتذاء الاساليب الاوروبية ومنها الفنون المسرحية ، وترجيحه بالفرق الاجنبية التي انشأ لها بالقاهرة « دار الاوبرا » مما دعا الفرق التمثيلية والموسيقية على مختلف اجناسها ومنها الفرق العربية الناشئة الى القدوم الى مصر ..

وكانت فرقة سليم النقاش تتألف عند قدومها من اثني عشر ممثلا واربع ممثلات (ويلاحظ اشتراك المرأة العربية في التمثيل على المسرح سافرات في ذلك الزمن). واستدعى سليم صديقه اديب اسحق لمعاونته في التأليف والترجمة ، والتمثيل والادارة .. وكان اديب شابا في نحو العشرين ، فجهأ الى الاسكندرية ، وتعاون الزميلان على العمل المسرحي ثم الصحافي الى نهاية حياتهما القصيرة (فقد توفي سليم عام ١٨٨٤ ولحق به اديب عام ١٨٨٥) .

وافتحت هذه الفرقة موسما التمثيلي على مسرح « زيزينيا » بالاسكندرية يوم ٢٣ من ديسمبر ١٨٧٦ ، ومثلت روايتي : « أبي الحسن المغفل أو هارون الرشيد » و « الحسود السليط » لمارون النقاش .. كما مثلت عددا

من المسرحيات التي ترجمها سليم النقاش مثل : « ملى وهوراس » لكوتري ، و « فيدر » و « متريدات » لراسين ، و « الإفريقية » لسكريب ، و « عائدة » المقتبسة عن الأوبرا المعروفة و « الظلوم » المؤلفة .. وأيضا من مسرحيات أديب اسحق : « أندروملاك » لراسين ، و « شرلمان » ، ومن مؤلفاته : مسرحية « غراب الافاق » ..

هكذا شهدت مدينة الاسكندرية في ذلك العام (١٨٧٦) وما بعده اول مسرح عربي حديث يقف الى جانب مسارحها الاجنبية المتعددة .. وان كانت القاهرة قد سبقت الى مشاهدة التمثيل العربي الحديث منذ ان اتشأ بها يعقوب صنوع عام ١٨٧٠ مسرحه العربي ، وقدم به خلال عامين نحو ثلاثين كوميديا من بين مترجمة ومؤلفة ومقتبسة ، وذلك قبل ان يامر الخديو اسماعيل بنفيه عام ١٨٧٨ منهما بالتعرض بالخديوي ، فرحل الى باريس وهناك اخذ يعارضه في صحفه .. (٣)

ويبدو ان فرقة النقاش واديب لم تلق ما املت من نجاح فانصرف صاحبها عنها الى العمل بالصحافة وبخاصة بعد ان حضرا ندوات جمال الدين الافغاني وعملا بارشاداته .. وتركوا رئاسة الفرقة الى اكبر الممثلين فيها : يوسف خياط ، وباشرت الفرقة الجديدة عملها على مسرح زيزينيا في اواخر سبتمبر ١٨٧٧ ، ومثلت الروايات السالفة الذكر من تأليف وترجمة مارون وسليم النقاش واديب اسحق .. ثم انتقلت بعد ذلك الى القاهرة سنة ١٨٧٧ ، ومثلت مسرحية « الظلوم » على مسرح الأوبرا ، وهي التي ظن الخديو اسماعيل ان بهاء تعرضا بشخصه بامر بطرد الفرقة من القاهرة . فانقلب بغيرها نحو عامين ثم عادت في اواخر عام ١٨٨١ تنتقل بين الاسكندرية والقاهرة وبعض مدن الاقاليم .. (٤)

وبذلك يعد سليم النقاش من اقدم رواد المسرح العربي الحديث في الشرق ، وقت ان كان هذا الفن بدعة يتوجس منها الحكام ، ويتناقش الناس ما اذا كانت التقاليد تسمح باختلاط النساء بالرجال وظهورهن سافرات على خشبة المسرح (٥) .

اما المسرحيات التي ترجمها سليم النقاش ، كس تمثيلها فرقته - وأهمها السالفة الذكر - هوراس ، ومتريدات ، و الافريقية ، وعائدة - فانه كان على طريقة عصره ، يتصرف في الترجمة ، ويستخدم الاسجاع ، وينظم المقطعات الشعرية لتلحن ثم تغنى خلال التمثيل .. وأهم تلك التمثيليات التي عني النقاش بفحصها رواية : «عائدة» فقد اقتبسها سليم النقاش ، وحورها ونظم بها الكثير من المقطوعات الغنائية - عن «أوبرا» عابدة الايطالية الشهيرة التي اعتدت لتلحن وتغنى في حفل افتتاح قناة السويس في شهر نوفمبر ١٨٦٩ ولكنها مثلت بدار الأوبرا بالقاهرة مساء ٢٤ ديسمبر ١٨٧١ - ووضع قصة «عائدة» في اللغة الفرنسية أولا ، عالم الانار المصرية «مارييت»

مستوحيا اياها من التاريخ الفرعوني القديم . ثم عهد بها الى مدير «الأوبرا كوميك» بباريس في ذلك الحين كميل دي لوكل فصاغها شعرا اوريا .. ثم ترجمه من الفرنسية الى الايطالية الشاعر الايطالي «انطونيو غيغلانزوني» .. وبعدئذ لحنها الموسيقار المشهور جوزف فردي (١٨١٢) - (١٩٠١) . ولكنه ظل مشرفا على تأليفها مقترحا الكثير من تفاصيلها ..

وقصة «عائدة» في جوهرها بسيطة واضحة تختلف عن غيرها من أوبرات فردي ذات التفاصيل المعقدة . وقد وضعت لتكون استعراضا مسليا ، وادت هذا الفرض كاملا .. وعلى الرغم من توغل القصة في القديم الاسطوري فان اشخاصها بشر في سلوكهم وطبيعتهم في عواطفهم ، كما ان عرضها يناسب المسارح الفخمة والمتواضعة لان لموسيقاها من العظمة ما ينسئنا الاقتصاد في المظهر (٦) . وقد عقد بعض الادباء مقارنة بين «أوبرا عائدة» في صيغتها الشعرية الايطالية ، وبين تمثيلية عائدة لسليم النقاش ، وأبدوا أوجه الشبه والاختلاف ومن ذلك : (٧) « ان أوبرا «عائدة» الايطالية نص أوبري كتب كله شعرا حتى يمكن تلحينه وموسقته وتحويله كليا الى عمل موسيقي كبير مستهدف في ذاته بمعنى انها أوبرا ، اهميتها الاولى في موسيقاها التي تحكم العملية الفنية بكل عناصرها حتى لتتقيد الحركة المسرحية بالموافق الموسيقية التي يهبطها الحن .. اما عائدة النقاش فكتبت نثرا مسرحيا ، ووضعت بمقطوعات من الشعر الصالح للغة والتلحين . وكان يمكن للنقاش ان يكتبها كلها شعرا كالأوبرا ، ولكن كتبت استجاب للدوق الجماهيري المعاصر الذي كان يفضل «الأوبرا» ، وجعل بها جوقات متنوعة تنشده وحدها او تحاور غنائيا جوقات اخرى او افرادا اخرين .. و«عائدة» في النص الايطالي ذات اربعة فصول وسبعة مناظر ، ولكن النقاش انشأها في خمسة فصول وخمسة مناظر منما دعا الى اختلاف توزيع الاحداث على اجزاء الرواية ، واختلاف المناظر وعدد الحوار والشخصيات .. ويتضح من تلك الفروق الكثيرة بين النصين ان العملية العربية التي قام بها النقاش ليست ترجمة او تحريفا للنص الاول وانما هي محاولة مجتهدة في تأليف عمل جديد من عناصر موجودة في عمل سابق .. » .

اما رواية «الظلوم» التي ألفها سليم النقاش لتمثل في مسرحه ، فقد جعلها من خمسة فصول ، ووصفها بأنها : «دعاء» أي اولها محزن وآخرها مفرح تشبيها بالليله الدعاء التي يطلع البدر في اخرها فيكون اولها ظلام وآخرها نور ..

وقد كتب هذه التمثيلية نثرا باللسة الفصحى ، يتخللها مقطعات شعرية منظومة قصد بها التلحين والغناء ، ينشدها فرد او جماعة .. وإبطالها سلطان متوسط العمر ، ووزيره ، وفتى اسمه «اسكندر» كان يظن انه

الانجليز لمصر . وخصص الاجزاء الثلاثة الاخيرة لحكومات العربيين .

« وطبعت الاجزاء الستة الاخيرة من هذا الكتاب (من الرابع الى التاسع) في مطبعة جريدة المحروسة سنة ١٨٨٤ قبيل وفاته . اما الاجزاء الثلاثة الاولى فقد اشار المؤلف الى انه سيدبر طبعها بعد الانتهاء من طبع الاجزاء الستة الاخيرة ولكنها لم تطبع . ويقال انها طبعت ، واعدمت بامر الحكومة المصرية لانه تحدث فيها عن محمد علي واسماعيل بصراحة لم ترض عنها الحكومة » .

وبعد هذا الكتاب الموسوعي مرجعا هاما لتاريخ مصر الحديث ، وبخاصة لفترة الثورة العربية ، لانه مليء بالوثائق الرسمية - عربية واوروبية - عن هذه الثورة ومقدماتها واحداثها ورجالها ، وعن موقف الدول من مصر ابان هذه الثورة وقبلها وبعدها ، وبصور البرقيات والقرارات والرسائل المتبادلة بين قناصل الدول الاوروبية والحكومة المصرية ثم بالخطب وقصائد الشعر ...

ومنذ عام ١٨٧٧ كان سليم النقاش يعمل في الصحافة - مهنة ورسالة - وشجعه على ذلك جمال الدين الافغاني حين كان سليم يحضر ندواته بالقاهرة فتعاون مع اديب اسحق على اصدار جريدة «مصر» ، وظهر عددها الاول بالقاهرة في ٣٠ يولييه ١٨٧٧ - اسبوعية سياسية ادبية - ثم نقلت بعد بضعة اشهر الى الاسكندرية في العام نفسه . وكان يكتب بها مع سليم واديب عدد من اصداقها وعلى واسم الافغاني .

ومن ذكريات هذه الجريدة او طرائفها ما كتبه سليم عنخوري في كتابه المسمى : « سحر هاروت » : (١٠) . « بعد ان ذهب اديب اسحق الى الاسكندرية قصد تمثيل الروايات تحت رئاسة سليم النقاش ، سنحت عوارض قضت بالغاء التمثيل ، فاصبح اديب خالي الوفاض . فبعث به الرحوم حنين الخوري الى القاهرة مصحوبا بكتاب توصية الى جمال الدين الافغاني فاحسن هذا لقياء لما توسمه فيه من امارات الذكاء ومخايل النجابة . ولزمه ثمت ملازمة الامم لالاف . فحصل له امتياز صحيفة اسمها «مصر» . واتخذ له دكانا بباب الشعرية ، هيا له فيها من ادوات الطبع بالحرف البولاقي المشهور ، ما قوى معه على اصدار تلك الصحيفة . وكان ينشر بها فصولا وامالي ببراغ جمال الدين الافغاني ومنشورة باسم «مظهر بن وضاح» جعلت تلك الصحيفة شانا مذكورا .. »

ثم رأى اديب مدينة الاسكندرية اقرب لاصطياد الاخبار ، فنقل اليها ادارة الجريدة ، بعد ما اتفق مع سليم نقاش على اصدارها بالمشركة بينهما فتضاعف حينئذ عدد قرائها وزاد انتشارها في الاقطار العربية .

ولجمال الدين الافغاني في جريدة «مصر» مقالتان مشهورتان سمي احدهما « الحكومات الشرقية واتواها » ،

ابن الملك ، وفتاة اسمها «اسماء» زعموا انها يتيمة ، وشاب اسمه «سليم» يحب «اسماء» .. وكانت الملكة قد وضعت طفلة للملك رغبة في ان يكون له ولد ذكر ، فيعمد وزره الى استبدال الطفلة بولد حديث الولادة فرح به قلبه . ولا يكشف عن الحقيقة الا في آخر الرواية ، ويتزوج باسماء بنت الملك الحقيقية ، ويستجيب الملك اخيرا لتوسلات الحاضرين ، فيصفع عن المذنبين جميعا بعد ان اوشك على البطش بهم .. وقبل ان يسدل الستار يقول الملك للجميع : « واحذروا الظلم فان عاقبته بشس العاقبة » . ويشير الى اسكندر فيقول هذا نفسه : « آه قد عرفت الان جسامه خطاي فقبح الله الظلم وكل ظالم » !.

ولعل هذه العبارة التي تختتم بها رواية «الظلم» ، ما اثار غضب الخديو اسماعيل كما يذكر الرواة ، فامر بطرد الفرقة التي كانت تمثّلها على مسرح الاوبرا من القاهرة .. وهي كما سلف فرقة يوسف خياط التي تخلّى عنها سليم النقاش واديب اسحق ..

وقد عني بطبع رواية «الظلم» عقب وفاة مؤلفها ، شقيق القدي يوسف خليل النقاش ، وذكر في مقدمة قصيرة لها :

« انه بناء على طلب كثيرين من محبي الادب ، قد طبعت رواية الظلم كما مثلت امام الجمهور غير متعمد تغيير شيء فيها مما كتبه المرحوم شقيقي وان يكن وضعها لتمثيل لا لطبع . وشتان بين الامرين في نسخ الكتاب كما لا يخفى . ولقد كان في نيته رحمة الله ان يراجعي وينقحها كما فعل في رواية مي وعائدة ، الا ان الاجل لم يفسح له في هذا الامر ، فتركها بين يدي شاكية سوء حظها . وانا اقدمها لحضرات القراء على هذه الحالة ملتصبا منها الصفح عما يرون منها من الزلل واغضاء الطرف عما يعثرون عليه من الخلل ، فان العصمة لله وحده .. »

وقد طبعت بالقاهرة مرة اخرى على نفقة احد الوراقين . وخرجت كثيرة الاخطاء لا يعرف مدى صلتها بالاصل (٨) .

غير ان اهم مؤلفات سليم النقاش هو كتابه التاريخي الكبير عن الثورة العربية ، الذي عد به بين مؤرخي العصر الحديث ..

وقد عاصر سليم احداث تلك الثورة (١٨٨١ - ١٨٨٢) وشهد عصري اسماعيل وتوفيق ، فارخ لتلك الايام في كتابه المسمى : «مصر للمصريين» الذي صدر في تسعة اجزاء ..

وقسم النقاش كتابه هذا ثلاثة الاث (٩) ارجح في الاجزاء الثلاثة الاولى للمصر الذي ظهرت فيه اسرة محمد علي الى اوائل عهد توفيق .. وارجح في الثلاثة الاجزاء الثانية لمهد توفيق حتى نهاية الثورة العربية واحتلال

يخدمها قلما وسعيها ما استطاعا الى ذلك سبيلا . وكان الشيخ جمال الدين الافغاني يواصلها بشذرات من قلمه البديع ، وخفارت من فكره حتى كان سبب شهرتها ، كما كانت تعظيمها له في النعوت والالقبان من مثل : (مهبط اسرار الحكمة ، واسطرلاب تلك العلوم) الى غير ذلك مما اعتادت ان تصفه به ، سبب نداء شهرته ، والتشيار صيته .. وكان بعض ادياب الاسكندرية الموسرين بوجودون بسناء لمساعدة هذه الجريدة التي بلغت حد الشهرة والانتشار ..

ولا حاجة بنا ان نذكر ما كانت عليه من الانحياز الى جانب المصريين . فان ذلك لا يزال معروفا بين الناس ... ولما كان مشرب «التجارة» لا يوافق هوى الحكومة اذ ذلك ، أخلت الحكومة في معاكسة صاحبها بمواولة الانذارات اليهما . وانتهى الامر بالقاء الجريدة .. »

وكان السبب في افلاق هاتين الصحيفتين انتقادهما العنيف لحكومة رياض باشا .. وكان الخديوي توفيق قد تولى الحكم في ٨ من اغسطس ١٨٧٩ خلفا لابيه المزعول اسماعيل ، واراد الاستئثار بالحكم ، ولم يقبل مشروع رئيس وزرائه شريف باشا في جعل الحكومة نيابية ديمورية ، وعين مكانه مصطفى رياض باشا ، وزاد نفوذ الدول الأجنبية ، وزاد السخط بين الفلاحين ورجال الجيش مما أدى الى قيام الثورة العربية بعد وقت قصير . فلما احتجبت جريدتا التجارة ومصر عام ١٨٧٩

سعى سليم النقاش واديب اسحق في استخراج ترخيص بانشاء جريدة جديدة باسم «المحرسة» ومما يذكره طرازي (ج ٣) عنها «... ثم طال المطال في ذلك فكتب اديب الى علي باشا مبارك ناظر الاشغال العمومية يومئذ يتقاضاه وعد الحكومة ... وظهرت في اوائل سنة ١٨٨٠ - اسبوعية .. وكان يحورها سليم النقاش بمساعدة بعض الادباء كمبدالله النديم ، والشيخ محمد عبيد ، وابراهيم اللقاني ، واديب اسحق ، وامين البستاني ، وجرجس نحاس ... وراسلها من بيروت الشيخ اسكندر العازار بمقالاته المشهورة ... وأول فصل كتب فيها كان داعيا لتعظيمها .. »

فأصدر سليم بدلهها جريدة باسم : «العصر الجديد» ظهر عددها الاول في ٨ يناير ١٨٨٠ مفتحة اثر «المحرسة» في سياستها الوطنية وفي الدفاع عن مصالح العرب .. «ثم غفا الخديوي توفيق عن جريدة «المحرسة» فسادت الى الظهور يومية . وبقي «العصر الجديد» يصدر اسبوعيا حتى بدت طلائع الثورة العربية فاحتجبت الجريدتان بعد ضرب الاسكندرية في ١١ يونيو ١٨٨٢ .. »

وفي خلال الغليان الذي عم الاسكندرية بسبب تدخل الاسطول الانجليزي وضرره المدينة بالتقابل ، احترقت مطبعة المحرسة فيما احترق من بيوت ومنقالت ، وعندما انتهت حوادث الثورة طالب اصحاب الجريدة ايام

والاخرى «روح البيان في الانكليز والافغان» كان لهما تأثير عظيم على ارباب السياسة الأوروبية حتى ان غلادستون رئيس وزارة انجلترا اثبت في بعض الجرائد مقالة تشهد لجمال الدين انه من ائمة علماء الشرق حالة كونه من السد أعداء الانجليز .

ويقول فيليب طرازي في كتابه «تاريخ الصحافة العربية» : (١١)

« واشتهرت جريدة «مصر» بمقالاتها الضافية في تعريف الوطنية ، والدعوة الى الاعتدال في الحرية ، فانها بلغت وهي في سن الطفولة ، مقام الكهول وصار لها من الراغبين في مدة اشهر ، ما لم يجتمع لغيرها في اعوام .. وهي الجريدة الاولى التي وردت فيها كلمة «مصر الفتاة» ، ثم درجت بالاستعمال عند ارباب النهضة المصرية ... وفي الاسكندرية اصدر سليم النقاش واديب اسحق العدد الاول من جريدة «التجارة» اليومية في ١٥ مايو ١٨٧٨ ، على ان تصدر جريدة «مصر» اسبوعية .. وكان الافغاني يكتب احيانا في هاتين الجريدتين ، كما كتب فيها الامام محمد عبيد ، وعبدالله النديم ، وابراهيم اللقاني (المحرر بجريدة «مرآة الشرق» بالقاهرة لصاحبها سليم عنجوري) .

ويؤرخ جورجى زيدان لهذه الجريدة في قوله : (١٢) « ان هذه الجريدة مع شقيقها «مصر» كانتا من اعظم اركان النهضة الانشائية في الجرائد . وتعداهما الكتاب ، ونسجوا على منوالهما في اساليب التحرير البسيط والتعمق في التقييد ، فحدث ذلك حركة في الافكار ، وحرية في الاقوال - لم تكن معروفة من قبل - فأصدرت الحكومة امرها بالفلها .. » (يقصد رياض باشا رئيس الوزراء) .

كما يؤرخ لهما معاصرها سليم عنجوري بقوله : (١٣) « ان الشيخ محمد عبيد وابراهيم اللقاني كانا

- (١) كلمة عن اديب اسحق - لنفولا يوسف - مجلة الاديب - مارس ١٩٦٦ ص ٢٦ (٢) كتاب : « تاريخ آداب اللغة العربية » لجورجى زيدان ج ٢ ص ٢٤٨ و « المعجم المطبوعات العربية » لسركيس - عن حياة سليم النقاش ومقالة : « الاعداد المسرحية عند مارون نقاش » لعبيد دياب - مجلة المسرح فبراير ١٩٦٥ (٣) و (١٢) كتاب : « مشاهير الشرق في القرن ١٩ » ج ٢ ص ٧٥ لجورجى زيدان (٤) « يعقوب منوع والمشرق » د . محمد يوسف نجم - بيروت ١٩٦٢ (٥) كتاب « المسرح » د - محمد مندور - القاهرة ١٩٥٩ ص ٢٨ - ٣١ (٦) كتاب « ادبير » لادوار ج دنت - بليكن ١٩٤٩ ص ٩٥ بالانجليزية (٧) مقالة عن : « العابد في فردي والنقاش » - المجلة - بالقاهرة عد اكتوبر ١٩٦٢ لبراهيم حمودة (٨) رواية : « الظلوم » تاليف المرحوم سليم النقاش - ط ٢ على نفقة محمد صالح الكتني بالقاهرة (٩) « الكاروخون » السوربون في مصر في القرن ١٩ - مقالة - د . جمال الدين الشال - المجلة - بالقاهرة نوفمبر ١٩٥٨ (١٠) و (١١) « سحر هاروت » - سليم عنجوري ص ١٧٩ - ١٨٠ (١٢) « تاريخ الصحافة العربية » فيليب طرازي - ج ٢ ص ١٢ بيروت ١٩٦٤ .

جنون

الى أوهام ممرود عليل
وسمع رعدة النور الضليل
وما هو بالنبي ولا الرسول
نوانح ينتجن على قتيل
مفللة وتمعن في الدخول
بلا رأي رأيت ولا حويل
غربات منوعة الشكول
وانف مثل عرجون النخيل
الى الأفاق كالريح الجفول
ومن عرج ومن عور وحول
كما قطر الذلول الى الذلول
من الضراء والعيش الدليل
تدب الي كالضبع الاكول
وقد ناحل كعصا الليل
وكيف فرار ذي الداء الدخيل
كهم القلب بيضاء التليل
وتوب في الشباب عن الكهول
جميل الوجه في ثوب جميل
لأشفي من محبته غليلي
واسلمني الى العزن الطويل
تقود بصيرتي قود الدليل
وما ألقاه من أدهي البخيل
خيوط النور آذن بالافول

عمر ابو قوس

غلا حسي فاسلمني طويلا
يرى ما لا تراه العين جهرا
ويزعم أنه هادي البرايا
وأصوات أحس بها تحاكي
أسد سامعي عنها فتمضي
واشباح تعاشنني كاهلي
تظل ترود من حولي تباعا
فمن قزم له رأس كبير
يكادني ويهرب من أمامي
ومن حذب تمر على التوالي
أواخذ بعضها برقاب بعض
سواخر ان غدوت بشر حال
وأقتل ما أكابده عجوز
مشوهة لها وجه قبيح
أرد الطرف عنها وهي فيه
وغانية تراءت لسي رداح
أحب دنوها وتحب بمدي
وطفل خلته ولدي صفيير
فتحت له ذراعي اشتياقا
فأعرض نافرا متي وولي
فطائع لا أطيق لهن دفعا
تراها رجع الامي وخشي
أم النجم الذي القى طويلا

حلب

والد الكتابة من... الى أن اتقى أجل تلك الجريدة بعد أن كافحت أقلامها أكثر من أربعين عاما . ودخلت مثل الكثيرات من أخواتها في مسارب التاريخ . . . هذا الى ان سليم النقاش كتب في بعض الصحف العربية الأخرى - ومنها جريدة « المصباح » التي أنشأها في بيروت ١٨٨٠ شقيقه نقولا النقاش المتوفي عام ١٨٩٤ - وحرر بها أيضا اديب اسحق . .

كما أنه كان عضوا في جمعية «مصر الفتاة» التي أنشأها بالإسكندرية عدد من الإدياء ، وفي مقدمتهم جمال الدين الأفغاني ، وعبدالله النديم ، واديب اسحق ، ونقولا توما . . وغيرهم . . . وكان غرضها المطالبة بحقوق الشعب ومقاومة استبداد الخديوي ، وكانت تنشر أخبارها بجريدة «مصر» . .

نقولا يوسف

الإسكندرية

المحاكم تعويفا عما لحق بها من الخسائر بسبب الحريق ، وحكم لهم بمبلغ أربعين ألف فرنك . . وعادت «المحرسة» الى الظهور وحدها عام ١٨٨٤ ، وفي أواخر ذلك العام صدرت اسبوعية حتى وفاة سليم النقاش ، واشتهرت بمناظرتها السياسية لجريدة «الاهرام» اذ كان شعار «المحرسة» «مصر للمصريين» (وهو العنوان نفسه الذي وضعه سليم على كتابه التاريخي الكبير كما سلف) ، بينما كانت الاهرام يومذاك تدافع عن مصر وتجاهل الحكومة الفرنسية .

ولما توفي سليم النقاش عام ١٨٨٤ وتولى والده خليل النقاش ادارة «المحرسة» فأصدرها يومية مدة سنتين . ثم توفي عام ١٨٨٦ وكان قد باعها قبل وفاته الى يوسف آصاف ونسيبه عزيز زند اللذين نقلوا ادارتها ومطبعتها الى القاهرة سنة ١٨٨٧ ، ثم آل امتيازها الى ادريس راقب ، وأخيرا في يناير ١٩٠٩ الى الياس زيادة



عبد العزيز جادو

قيمة التأمل

بقلم عبد العزيز جادو

تلتقاء متفقاً مع «العقل» ، فمن الخير لك ان تطيعه وتتبعه بكل دقة .

تخيل نفسك كما لو كنت وسيطاً ترسل بوساطته الطاقة المالية .. وافتح الابواب على آخرها لهذه الطاقة ، وستجد نفسك عند استيقاظك اكثر قوة واكثر نشاطاً . وستشعر بزيادة في عافيتك . وسترى ان عزمك وقصدك قد ازداد ايماناً وإيجابية وستواجه الحياة بانجاء اكثر مرحاً واكثر بهجة .

ومن الافضل ان تخلو الى نفسك في اوقات معينة . وانسب الاوقات التي يمكن ان تنخيرها هي في الصباح الباكر قبل مفادوتك الفراش ، وفي المساء قبل ان تمض عينيكَ لننام .. وحاول ان تشعر بتلك الكلمات التي تنفثها بها . ردها بطريقة مؤثرة على قدر ما تستطيع .

وبما ان الدوشعورية (1) لا تملك اية قوة استدلالية او تفكيرية ، لذا فادخل فوراً بما يستحق الاعتبار في تحديد التغييرات الضرورية بالتفصيل وبكل ايضاح . والعقل اللاشعوري يؤد العادة .. وفي مكانه ان يعبر عن بعض العادات السيئة .

وحياة الحب تعبير لهذا العقل اللاشعوري . وانت تعرف طبيعة الحال كم من الاحلام ما تراه تافهاً ، وكم منها ما تراه في بعض الاحيان مستحيلاً .

الضعف ناشئ عن العادة

ان اكثر ما يترك من صفات الضعف والعجز ناشئ عن العادة . ولذا فمن الاهمية بمكان خلق عادة جديدة للتفكير والعمل مع هذه الذات اللاشعورية .

والعادات انما تتكون عن طريق التكرار . ومن هنا تأتي الضرورة القصوى لكي تكون أميناً ومخلصاً في تادية احياءك . والدوشعورية معنادة جداً على الالفة والاثتلاف ، وعلى الاتزان والانسجام . فاذا انت خلقت ايقاعاً جديداً واهتزازات جديدة ، فستحصل على النجاح . واذا انت عقدت اواصر الصلة والمودة مع وعيك الباطن وادراكك اللاشعوري الذي يطلق عليه علماء النفس «الدوشعورية» فستجني فائدة عظيمة ما كانت لتخطر على بالك في جميع الاحوال . فكل شيء سبق ان قرأته ، او رأيته ، او سمعته ، او شعرت به ، مخزون في هذا الطور من العقل .

ومعنى هذا انه عن طريق صلة المودة والالفة مع هذا الطور من العقل ستجد امامك موسوعة كبيرة عن حياتك ، يمكنك ان تستمد منها ما تشاء من المعلومات كلما احتجت الى ذلك . ولذا فمن اليسير على العقل اللاشعوري ان يجمع لك وثائق معينة ، وشواهد خاصة ، في صورة تجربة ماضية ، وبذلك بها بطريقة معينة .

وثمة خدمة جليلة يمكن ان يؤديها لك عقلك اللاشعوري هي : مادة الممارسة والفهم . وهذه يمكن

انتا - حسب الدراسات النفسية اليوم - وارثون شعريون لكل شيء .. لكل ما يمكن ان يكون ضرورياً لنا .. ويقتضي الامر تبعاً لذلك ان نحصل بكل حرية على كل ما نحتاج الى استعماله .. نأخذ على انه امر عادي وطبيعي ، ولم يكن الا نحن انفسنا الذين في حاجة الى من يدفنا ويستفنا الى ذلك .

وعلى ذلك فمن المعتقد ان اكثر الخير انما يأتي من خلوتنا والانفراد بانفسنا في هدوء ساعة او بعض ساعة من حين الى اخر . نوجه فيها الدهن لمعرفة بواطن النفس ومكوناتها ، ومعرفة خفايا الاشياء التي تحيط بنا . فهذا التأمل يكسبنا معرفة واضحة من حيث طبيعة هذه الاشياء وعملها وتأثيرها .

واعتقد ان هذا لا يحتم علينا ان ننفس في هذه الحال ونعكف عليها اكثر من مرتين في اليوم ، مرة في الصباح واخرى في المساء .

وفي هذه اللحظات الهادئة يتعين عليك ان تتصور بفكرك ، او بوساطة الكلمة المنطوقة ، التغييرات التي ترغب في احداثها . وان تتخيل الوصف التصوري للشخص الذي ترغب في ان تكونه . ولكي تتم هذه الاحداث على خير وجه يستحسن ان ترقد في وضع مريح ، هادئ ، وتستمع الى ذلك «الصوت الداخلي» .. صوت الحكمة . وباتي هذا في الغالب مما يسميه البعض «البدية» او المشاهدة العقلية . فاذا اتى هذا التأثير او الانفعال الذي

بدورها ان تكون المستشار الامين ، والناصح الهادي الحكيم .

وباتباع هذه الخطة على الوجه الاكمل ستحصل دائما على نتائج طيبة ، ثمرة ، عظيمة الالهية .

واذا تعلمت كيفية استعمال قواك الاشعورية بطريقة منتظمة ستجد لذة ومتعة في حصولك على ما ترغب بسهولة وبلا عناء .

واحترم «الصمت» لكي يرفعك ويرقيك ويشرفك ويعلي قدرك . فالذين يشكون الفقر والعوز ، ويتحسرون على اخفاقهم الدريع في الحياة ، ويندبون سوء حالهم وخيبة آمالهم ، هم الذين لم يوقفوا في توثيق هذه الصلة الروحية - صلة العبد بربه ، والتوجه اليه بقلب سليم . فمن هذه الصلة تنبثق كل معاني الخير والفضل والكمال في الحياة .

والسبيل الى القوة والمنعة ، انما يكون دائما عن طريق هذه الصلة الروحية التي يعززها هدوء النفس وسكنتها ، وصفاء الروح .

ويتحتم على المرء ايضا ان يكون على صلة وثيقة بمركز فرديته لتعزير شخصيته . كما ينبغي له في الاوقات التي يرتفع فيها دوي المجلات وسيور الآلات اللامنتظرة ، ان يكون بمثابة «الدينامو» . وان يفرق في صخب الحياة الموضوعية وضوضائها اذا اراد ان يعرف طاقات الكون الهائلة التي تخفي على الرجل العادي .

واذا استطاع هذا الانسان ذاته ان يرتب نفسه حسب فعل القوى الخفية ، اللامنتظرة ، فانه سيقتو ولا شك «محركا ديناميكيا» ذا قوة هائلة . فانه سيقدر على الصلاة ، التي هي جزء من العبادة في جميع الاديان ، ان هي الا صلة العبد بخالقه ، وهي احدى الوسائل التي يتوسل بها للتقرب اليه تعالى .

والصلاة معناها الدعاء بحسب اصل استعمالها اللغوي . والدعاء وسيلة من وسائل التقرب الى الله كذلك . وقد جاء في الحديث الشريف : «الدعاء هو العبادة» .

فاذا صفت نفوسنا ، وسمت ارواحنا ، كنا اقرب اليه من جبل الوريد ، « واذا سالك عبيدي مني فاني قريب احبب دعوة الداعي اذا دعاني» . فهو اكرم مسئول ، واكم على عباده من ان يعلق استجابته على شرط الا مجرد الايمان به وبرحمته ، وبذلك يقول القرآن الكريم : « وقال ربكم ادعوني استجب لكم» .

ولكن هناك الكثيرون ممن يباشرون هذه الصلة بطريقة مخطئة فتبعدهم عن القصد ، وتأتي بهم عما يبتغون من فضله ورضوانه .

ان اذل الدل ، واهم الهم ، وظلم الظلمة ، ابتعاد العبد عن ربه . واعز العز ، واتور التور ، واكوى القوة ، قرب العبد من ربه . وفي وسط اعاصير الحياة التي

تتلاعب بقمم الجبال وتخلع القلوب بهولها لا يكون الا الله . وانها لطريقة واحدة للدعاء المستجاب ، وللصلة

المقبولة التي نعدّها منبعاً للقوة والجاه . وعن طريقها يمكنك ان تصل الى قمة الجهد ، وتبلغ ما تصبو اليه نفسك من الرفاهية . هي الدوامية على العبادة بغير انقطاع ابتفاء مرضاة الله . فالعبادة كنز سعادة قلب المرء . وفي هذا المعنى يقول وليم جيمس : « ان بيننا وبين الله رابطة لا تنفصم ، فاذا نحن اخضعنا انفسنا لاشرافه - سبحانه وتعالى - تحققت كل آمياتنا وآمالنا » .

والطريقة المثلى التي ترفع قدر الانسان هي ان يتجه الى الله بقلب صاف سليم ، وفؤاد منيب ، عابداً ايّاه كأنه يراه .. وان يكون صوته بين المخافتة والجهر ، « ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً » (٢) ، وان يحزم الدعاء ، ويوفق بالاجابة ، ويصدق رجاءه فيه ، « ادعوا وانتم مسمعون بالاجابة واعلموا ان الله لا يستجيب الدعاء من قلب غافل » (٣) ، « وان يلج في الدعاء » ، « اني احب عبيدي الحوج » (٤) ، « وان يكون في كل الاحوال متضرعاً خاشعاً ، تتملكه الرغبة والرهبة كما يقول تعالى : « ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين » (٥) . وكما يقول ايضا : « اذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة » (٦)

وما اروع قول الدكتور «الكسيس كاريل» الحائز على جائزة نوبل في كتابه «الانسان.. ذلك المجهول» : «لعل الصلاة هي اعظم طاقة مولدة للنشاط عرفت الى يومنا هذا . ان الصلاة كعمد (الراديوم) مصدر للاشعاع ، ومولد ذاتي للنشاط .. وبالصلاة يسعى الناس الى استئصال كافة المشاغل المحدود ، حين يخاطبون (القوة) التي تهيم على الكون ، ويسألونها ضارعين ان تمنحهم قيسا منها يستعينون به على معاناة الحياة . بل ان الضراعة وحدها كفيلة بان تزيد قوتنا ونشاطنا ، ولن تجد احداً ضرع الى الله مرة الا عادت عليه الضراعة باحسن النتائج» .

الطلب والالتماس

والطلب الذي يأتي منك الى أحد الناس على هيئة التماس ، او يقدم بصيغة رجاء ، انما هو دليل الضعف والاستكانة . فالقائد لا يلتمس ولكنه يأمر . والرجل القوي الذي يحس بقوته ، وشعر بكيانه يقول لنفسه : « هذا سيتم عمله » ، وهو اذا قال فعل ، أما الرجل الضعيف الذي يحس بضعفه فيقول : « آمل ان انجح ، وان لا يصيبني الاخفاق في عملي» .

والرجل القوي لا يزهو بنفسه ، ولا يتباهى ، ولا يتشامخ بفاته ، ولا يمشي في الارض مراحا كما لو كان يقول : « يا ارض اشتدي ما عليكي قدي» .. انه يرهب ، وقد يلقي الروح في قلوب الآخرين ، ولكن بطريقة هادئة مهذبة ليس فيها خدش للحياء ، أو عنف ، أو قسوة ، او جفاء .

والخلق القوي هو الخلق الهادي ، الحازم الرزين ، الذي يعمل صاحبه يهدوء واتزان ، دون جلبة أو فوضاء . يتعدى للطوارئ والنوائب بحزم ، وصبر ، وأناة . ويقابل الصعاب بالتبصر والتدبير ، والحيلة ، والحذر ، والنظر في المواقف .

طرق ومسالك

إن الألفة التي تتفرع من الشارع الطويل عندما يجوس الفرد خلالها ، ويسير في دروبها الملتوية ، تكون الخبرات والتجارب ضرورية كلها ، حتى وإن كانت في بعض الأحيان ضارة ومؤذية ، إلا أنها تقوده في النهاية إلى الطريق الرئيسي .

ولقد نتولنا جميعا في مثل هذه الألفة غير أسفين على التجارب التي قادتنا إليها ، لقد تعلمنا منها الكثير . ورأينا أن هناك من لا يزال متباطئا في سيره ، مترددا ، وهو بذلك يبدد الكثير من وقته ، ولكنه مع ذلك متحقق تماما من عودته ، ومن نصره الحاسم في نهاية المطاف أو في آخر «المشوار» .

وهناك من لا يخرج من وعاء الطريق إلا بقدر ما يخرج الخاطئ في ليل ليتعلم مرة أخرى في الظلام الدامس . وهناك من ينظر إلى مثل هذه الألفة كأنها هسي محفوفة بالخطر يعكس ما كنا نراها . وهؤلاء لا يستحقون مدحا أو ثناء حين يقولون : « الخير كل الخير أن نلزم الطريق الرئيسي إذا أمكننا أن نفعل ذلك ، ونختصر به طريقتنا » . أما الذين سلكوا كثيرا من هذه الألفة بخيرائهم المختلفة ، وتجاربهم المتباينة فقد يكونون أجيب بخيرائهم للمء مكان كبير في الحياة . وهؤلاء هم الذين ينطبق عليهم المثل العالمي : « اللي يعيش يما يشوف ، واللي يمشي يشوف أكثر » .

كان والذي - حسب العادة التي اعتادها في تبصيري حين كنت طفلا صغيرا - ينهاني عن اللعب مع أولاد بعينهم يطلق عليهم « أولاد الشارع » . ولكني مع مرور الزمن انتجت لي فرصة لاحظت فيها تنشئة هؤلاء الأولاد بالذات ومدى تطورهم ، فوجدت أكثرهم نشأ مستقيما ، قويمًا ، ذا شهرة واسعة ، وسعما طيبة ، ولأقى نجاحا وتفوقا عن طريق الثقة التي كونتها فيه تلك التجارب .

وليس من شك في أن هناك بعض الألفة التي يجب أن نتحاشى السير في مجاهلها لأنها قد تكون محفوفة بالخطر ، وقد تقود إلى «مغبات» مروعة ، أو منحدرات وحفر مخيفة . وقد تعترض طريقنا أودية ضيقة ، ووهاد مظلمة . وقد يكون أسوأ ما فيها تلك العلامات

- (١) المشورة : الوعي الباطن - الإدراك بلا وعي أو شعور .
- (٢) سورة الاسراء : (٣) حديث . (٤) حديث . (٥) سورة الانبياء .
- (٦) سورة الاعراف : (٧) الدلائل : جمع دلتا . (٨) الانا : أو الذات ، الفرد من حيث هو شاعر بهويته الذاتية المتصلة ، ويعلمته بالبيئة الخارجية . ويستعمل الانا عندما يقابل بينه وما سواه ، أي الغير .

القليلة التي تحذر الشخص من الخطر . وعندما تقترب في رحلتنا من الوصول إلى الوجهة المقصودة تعدد الأهداف . شأنها كشأن الانهيار العظيم حين تنقسم في بعض الأحيان قرب المصعب لتكسبون الدلائل . (٧) وكل من هذه الدلائل يقود - عن طريق قناة أو «قناة» طويلة أو قصيرة - إلى نفس النهاية . والطريق المختصر أو «التخريصة» هو الطريق المفضل

عن غيره في جميع الأحوال . ومع ذلك فليس لنا أن نستخرج بالطرق الطويلة أو نستعين بها ، حتى ولو جد في طلبها أو في البحث عنها في كثير من الأحيان مسافر اشعث أغبر أضناه التعب من كثرة التجوال .

وثمة طرق كثيرة تقود إلى نفس الغرض ، وهي إنما تعتمد على نوع العقل فيما يتعلق بأي الطرق يمكن أن يتخبرها الفرد . والتوصل إلى معرفة هذا يجعل الشخص أكثر تسامحا وأكثر صبرا ، وإذا أناة واحتشال .

فإذا كان لنا غرض بعينه نريد التوصل إليه ، فلا يتأتى ذلك - كما اعتقد - عن طريق التأمل وأمان الفكر فحسب ، وإنما بوساطة فعل يعبر عن دوافع مخبوءة في أعماق طبيعتنا ، وهذه يمكن أن تكون طموحا للتفوق والبراعة في الموسيقى ، أو النحت ، أو الأدب ، أو القانون ، ويمكن أن تكون مشاركة في صفات أعلا ، معلنة عن نفسها لتبدو كغربة جادة للتعريف بحقيقة كبيرة جاءت لتميز البشرية ، وتشرف الإنسانية ، وتعلي قدرها .

وإذا نظرنا أمثالا وجدنا كثيرا من العقبات تعترض طريقنا . فالبيئة المتسامية التي تشيع الحزن وتبث على الإنسان تأثيرا في أمرنا وتعرقل سعينا ، وتشوش على عقولنا . فإذا اضطرونا مكرهين للاستمرار والمشاركة على « طحن » العمل الغير متجانس ، فأنما لكي نعمل أنفسنا وأولئك الذين يعتمدون علينا ، فكيف يمكننا أن نحقق نجاحا مع وجود كل هذا في طريقنا ؟..

كيف نحقق نجاحا إذا كانت سموات آملنا تبدو قائمة ، كئيبة ، ورؤيتنا المنطقية المعقولة لا ترى إلا بصيصا من نور ؟

وإذا كان العمل على غرس الرغبة المضطربة - كما قلنا - هو بمثابة وعد بنيل مكافأة مناسبة ، وتمهد بتقديم ترصية مجزية ، فكيف يكون هذا ؟..

معاهدة مع الانا

في مثل هذه الحالة نرى أن العمل الرئيسي الأول الذي يتعين علينا القيام بتنفيذه هو الوصول إلى تفاهم واتفاق ودي مع الانا (٨) . على أن نلقي بكل ما في طبيعتنا من طاقة على الجهد . وعلى أن نضع إيماننا تحت إشرافنا . وبمعنى آخر ، ندخل في اتفاق مع أنفسنا ، لعرض كل جهد نبذله ، لنحصل به على الجائزة التي نستحقها ، ونحقق « مادة الشيء المرجوة » .

وإذا كنا لم نستطع أن نرى الطريق ، أو نميز معالمه ، فلأن هناك أمرا ينبغي لنا أن نفعله ، هو أن تكف

وتمناه ، وتخليه له امامنا - عن طريق التصور العقلي -
كانا نقتنيه فعلا وكأنه في حوزتنا .

تلك هي القوانين ، اما النتائج فمؤكدة محققة .
اما فيما يتعلق بالبيئة ، فيمكن القول بأنه ينبغي لنا
ان نكون ايجابيين مع الكل ، ما عدا العقل اللامتناهي .
ففي لحظات الصمت يجب ان نكون سلبيين ، مفتحيين
عقولنا لمؤثرات اسمى وارفق منزلة ، ولنستقبل بترحاب
ومن صميم قلوبنا كل ما يأتي إلينا . فهذه هي لحظتنا
للتأمل والنمو .

اما الحكمة الدائمة ، السرمدية ، المخبوءة في
الوعي الباطن ، فهي التي توجه وترشد بكل سهولة ،
النفس النشيطة ، « المنطلقة » .

فلا تبدد الوقت في انتظار عقيم . فالذين يبطئون
دائما في الطلبات يظنون في امكانهم لا يقدرون على تحقيق
اي تقدم او نجاح .

والرجل العبقري الفذ ، الذي اوتي مضاء العزم ،
وشجاعة القلب ، وصحة التقدير والحكم ، والتفوق
المذهل لسرعة حركة ذهن ذو العين الحادة ، والنظر
الثاقب ، الذي يتطلع بيقظة وبكثير من التوقى والحذر
الى اللامات والشارات ، هو الضوابط على الاستمرار في
تفعله وتحركه من مكانه قداما الى الامام .

وهكذا لا بد ان يمضي الانسان في دروب الحياة .
يتحرك من هنا وهناك . وليسائر الركب ويحتديه
.. بل ليصل الى مدارج الرقي والرفعة .. ويتنسم
ذرى المجد والعود .

قد تكون الرحلة التي تقوم بها محفوفة بالمصاعب
والمخاطر ، محطلة بالحن والاحزن والشدائد ، ولكنها
ستقودنا على اية حال ، بطريقة منزهة عن الخطأ ، من
أودية الاكتئاب واليأس والقنوط ، الى القمم العالية ،
والذرى الرفيعة ، المنيعه .

وفي هذا المعترك من الحياة الناشطة ، علينا ان
نحافظ على مراكزنا وسمعتنا ، ونحصن انفسنا بالايامن
الصحيح ، ونقدم الى الامام بحزم وعزم وثبات . وهذا
تكون قد اقمنا حالات اكثر نفعا ، واكثر موافقة للهداية
والرشاد .

ان السفينة التي تنتشر اشعتها ثم تنزلها ، ثم
تعيد نشرها وطبها بتردد وعدم اطمئنان ، دون ان يكون
لديها الجرة لمواجهة الريح ، ستغرق حتما في الوصول
الى الميناء الذي تقصده . اما اذا كان هناك افتتاح بان
الرياح ، ولو كانت معاكسة ، هي ذاتها مصدر القوة ،
فان السفينة حين تمخر عباب البحر الواسع ، ناشرة
قلوبها باستمرار ، حتى ولو كان من الضروري طبها ،
يمكنها ان توجه بسرعة وبخفة ، وبكل ثقة وثبات واطمئنان
الى مرفأ السلامة والامان .

عن الاسهاب فيما نبتغيه من نجاح قبل ان نحققه ، ونعمل
بالحديث الشريف : « واستمعينا على قضاء حوائجكم
بالكتمان » . وتؤكد تجديدا ايماننا في كل يوم ، وفي كل
وقت ، كلما استطعنا الى ذلك سبيلا ، بكل ثقة ، وبكل
اعتزاز . ولا بد سيأتي بعد ذلك الوقت المناسب الذي
يتكشف لنا فيه الطريق شيئا فشيئا ، وتبين لنا معالنه ،
وتتسع امامنا آفاقه ، وسنجد انه يقود راسا وبلا وساطة
- من خلال البيئة الحالية المعادية - الى غايتنا التي
نقصدنها .

وليس من حقنا ان نرجو او نؤمل ان تنزل علينا
الملائكة بمائدة من السماء عليها ما تشتهي انفسنا من طعام
وشراب . وليس لنا ان نتظن ان تأتينا طير من السماء
وفي مناقيرها خبز يقي بجائتنا ، ويزودنا باحتياجاتنا
التي يمكننا نحن انفسنا ان نوفيها ، ان كنا مخلصين .
فنحن يجب علينا ان نعمل جادين ، مجدين ، متحمسين ،
كلما وجدنا تحت ايدينا ما نؤديه .

ان اولئك الذين يتصفون بالايامن والصدق علاوة
على اهتمامهم بتأدية الواجبات الصغيرة التي اتسموا
عليها ، وعهد اليهم بها ، في حينها واكحس ما يكون
الاداء ، هم الذين سادوا وسيطروا وملكو ناصية الامور .
والفرد من هؤلاء اذ تم له هذا ، تتباه رعدة او شعور
شبه رعدة في امكانها تلقف اهتزازات نافعة تجعله
عضوا بارزا ، ذا كداء خارق ، ومقدرات مختلفة ، وقوى
عقلية ممتازة ، تتيح له ان يضع يده على كل ما يراه مناسب
له ، وتجعل قادرا على ان يستعمل المصلحة لكل ما يلائمه .

اما اذا لم يتمكن الفرد من الوصول الى هذه المرحلة
فانه لن يستطيع ان يستمر ، غذاء اللازم ، او يتعوب
قوته الضروري من البنيات التي تكتنفه ، او مما يحيط
به من منابث .

ان كل ما نحتاج اليه قريب منا ، وتحت متناول
ايدينا ، ولكنه لن يكون ذا نفع او فائدة ما دمنا غير
موقنين ، او حتى غير مستعدين لتبنيه ، والتحقق منه ،
والاعتراف به ، ثم الانتفاع به ، والاستفادة منه .

فعلى الفرد ان ينتظر الفرص كلها سحت له . ويقدر
ما يكون مخلصا ، امينا في استعمال ما يتاح له من هذه
الفرص - حين توافيه - بكون الزاد عظيما ، والامداد
وافرا غزيرا . واذا هو استعمل القليل الذي يملكه بحكمة
وتعقل ، فسرعان ما يزيد ويربو ويؤتي اطيب الثمرات .

اذكر هذه القوانين :

١ - التوافق ضروري لجمعنا اكثر ادراكا ، واكثر
وعيا . فهو - أي التوافق - تكيف المرء نفسه وقفا
للبيئة بصورة تضمن له تحقيق احتياجاته ومطالبه بشكل
مقبول اجتماعيا وشخصيا .

٢ - علينا ان نتنظر الفرص التي توافينا كلما سحت
لنا ، ونستغلها الى اقصى الحدود ، ويقدر ما نستطيع .

٣ - يتعين علينا ان نتمسك بالموضوع الذي نأمله

تمنيات

اتمنى مرة
 أن تسهري
 وتذري
 لاهبات العبر
 تعرفي في ما يلهب الشوق
 وما جمرات القلق المستعر
 أن هذا الالم الفذ
 لنا
 فطرات
 من خوابي عبقر
 خمرة سحرية
 من كرمها
 لصغار الناس لم تعتمر !
 السهولات
 عرفنا عقمها
 في الشرايين
 وثلج الاسطر
 وغدونا نتمنى بعدها
 كل غصن
 باخل بالثمر !
 وضعويات
 تشهي جنة
 خلف مجهول المدى
 مستعبر
 بصباها اليها أمل
 باجتناء الواعد
 المنتظر !
 أنا
 لو تدرين ،
 اشهى خمرة ذقتها
 كالفب المنهمر
 دمعة رقراقة
 سلسلتها مرة
 من هدبك المنكسر !
 عرف القلب بها
 فيض الهوى
 وسنائل العيون
 الممطر !
 ملتقنا
 كان أحلى هبة
 لكلينا
 من هبات القدر

فؤاد الخشن



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>



— هل أستطيع ان اكون متطفلا ؟

— ماذا !؟

بدا عليه شيء من الاضطراب ،
فتراجع خطوة ، ويبدو انه فكر ان
يختفي من امامي ، فرسم على
شفهيه ابتسامة بانسة . ولم اكس
اعرف ، من هو ولا ماذا يريد . ولكنني
احسست انه ربما يعاني من أزمة ،
او ان به مسا من جنون . رفعت
يدي وربت على كتفه :
— تستطيع .. تستطيع ان تكون
كما تشاء .

غالبا ، ان تعلقي هذا قد بدد
كل ما ينظره مني ، فارجعت ذلك
الى انه ربما قول من غيري بما جعله
يعتبر كلامي هذا من قبيل الخربة .
في تلك اللحظة ، تلات عيوننا ، لم
ينس بحرف ، وانما رفع ذراعه
ليزيح كفي عنه . كنت قد قرات في
عينيه بؤسا عميقا وحزنا لا نهائيا .
هل كنت أستطيع عندئذ ان اكون
شريرا ، فاطلق ضحكة عالية ،
واتركه في مكانه يفتت ملقيا بأشلائه
للجميع ؟

لم اجد في نفسي القوة او المقدرة
او بلادة الاحساس التي تدفعني الى
ذلك . شيء ما ، غريب ، طاع ، لا
يمكن مقاومته ، بدأ يتحرك في اعماقي
تجاه هذا الانسان . على ان حرص
جعلني اثريت ، مع اني لم اكن قادرا
على التفكير ، فيما عسى ان تكون
مشكلته الحقيقية . كانت بدلته
رمادية كالحة ، شابهها اصفرار عند
الاكتاف والصدر ، ولحست زاررا
ناقصا . ظل يتأملني في استسلام
وكانه يقول لي : ظن بي ما تشاء ،
اعتبرني أي شيء ، الا ان تضحك
منى ، او ان تجعلني هزاة في الطريق .
سقطت ذراعه بجانيه .

— هل لديك مانع ان تسير معي
قليلا ؟

لم يصدق ما سمعت اذنياه ،
فاهتزت شفتاه بابتسامة مريرة ، ثم
قال بصوت خافت متكسر مليء
بالرجاء :

— ارجوك ، لا تسخر مني .

— انني لا أسخر منك .. هل

تشعر بشيء ؟

— اذا كنت صادقا ، ارجوك ان
تتحملني ، كل ما اطلبه ، هو ان
اسالك سوأا واحدا فقط .

— هل نفل نكلم ونحن واقفان ،
لم لا تسير قليلا ؟

تردد قائلا : اخشى ان ..

لا تخشى شيئا .

كنت قد ايقنت انني في حجة
نموذج معين ، ربما كان من الطريف
— او لا ادري تماما — ان اكتشف
ما يدور في نفسه ، ولعلني كنت
في تلك اللحظة ، المتطفل الحقيقي .
غير ان الوصول الى اعماقه ، قد



بقلم مصطفى ابو النصر

<http://Archivebeta.Sakhrat.com>

يكون شيئا صعبا ، او مستحيلا .
ومع ذلك فقد وجدتي اضع ذراعي
في ذراعه ، متعمدا الة غير طبيعية :
— في الواقع لا انتظر احدا ، كما
انني لست مرتبها بأي ميعاد او عمل
معين .

احسست بجسمه يهتز وهو
يشكرني .

— تلك هي الحقيقة .

قلما يعثر المرء على شخص
مثلك ، انك رائع .

بالطبع ، لم تكن صحبتي له ،
لمجرد سماع مديح لشخصي ،
فوجدت ان الطريقة المثلى هي الدخول



معه في الموضوع مباشرة ، فقص
اكتشف بعد لحظات انني — فعلا —
بددت وقتي . غير انني فوجئت
بنك السعادة التي كانت واضحة
على وجهه ، فقدرت ان لهجتي العفيفة
ربما تهيج تلك السعادة التي اخذت
في النمو رويدا رويدا .

مضت فترة صمت ونحن نسير ،
وكنت اراقبه بنظرات مسروقة ،
حتى لا يفاجئني وانا الاحظه . كان
ينقل بصره في المارة ، وخيل الي
انه يقول لهم : « هالذا اسير مع
شخص مثلكم تماما ، لست كما
تظنون معتوها او مخبولا ، هذا
انسان طلب مني ، بل انه سألني
ان اسير معه » . ولكن فترة الصمت
طالت . ليس امامي غير وضغ
السؤال ، كما جال في خاطري اول
مرة :

— سالتني .. لماذا ؟
متطفلا .. لماذا ؟

التفت الي ، اهتزت شفتاه ، ابطأ
في السير . ترى هل كان سببكي ؟
— حببتك نسيت ، ولكن اضايقك
السير معي ؟

توقفت ، سحبت يدي من ذراعه ،
ووقفت اأمله ، وانا لا اكاد افهم
شيئا ، لا ادري ماذا اتول له . كان
يمكن — وبساسة — ان ادور على
كمبي ، واسير في طريقي دون ان
التفت اليه ، ولكنني لم افو على
اتخاذ هذا الموقف . كانت نظراته
توحي بما في نفسه ، وكنت على شبه
يقين من ان ما في داخله ليس شيئا
سهلا او بسيطا . كان يقف امامي
تاركا كيانه كله بين يدي وكأنه يقول
لي : « انني كما ترى .. يمكنك ان
تتركني ويمكنك ان تسألني وعندئذ
ساجيبك بكل ما تريد ، الا تحس او
تشعر بانني خجل ، خجل تماما » .

— قل لي ، ماذا تريد بالضبط ؟
تعمدت ان تكون لهجتي حازمة ،
ولكنها كانت عكس ما في نفسي تماما ،
ومع ذلك فيبدو انه تأثر بعض الشيء ،
ولم يستطع ان يكتشف حقيقة

• مشاعري

- انني آسف ، لقد ضايقتك
بالفعل ، شكرا .

وتفهمهم ثم هم بالانصراف ولكني
أمكنه من كنهه قائلا :

— لا تذهب ، قل ما هو السؤال ؟
كان التردد واضحا في ملامحه ،
وكلما التفت عيوننا ، الفيتة يحول
بصره عني وكان خطيئة كبرى تكمن
في اعماقه . ضابقتني صمته وبلادته ،
فضغطت على زنده مكررا :

— قل .. ما هو السؤال ؟
التفت يتأمل اصابعي وهي تضاف،
ثم رفع الي عينيه في توسل :

- اترکني ..
- ما هو اسمك ؟

— اسمي ؟
— نعم .

لماذا ؟ هل ستذهب بي الى
الولي ؟

كانت نعمة صوته مشحونة بالخوف
والتوسل والضعف . وللحظة تصور
انني مخدوع ، وربما اكون الان قائما
بدور تمثيلي في مهزلة لا اعلم عنها
شيئا . جعلني هذا التصور ازداد به
تسككا ، وجعلت الالتفت حولي ،
علني اجد مخرجا يحدد كل شيء ،
ولكنه قال لي :

— اسمع .. هل تريد مني شيئاً،
اتركني ، اتركني من فضلك .

- لا يمكن .
 - هل تصدقني لو قلت لك
 الحقيقة ؟

— لا .. لا أريد ان اسمع شيئاً ،
امش .. امش معي .

كانت أقدامه قد تسمرت في الأرض ، وشعرت بعظالة مشدودة ، وبدا كحصان حرن . ولكنني كنت صمرا ، كانت الفكرة قد تمكنت مني ، ولم يدع مجال التنازل عن أي شيء : إذا تركته فربما أكون بذلك قد اشتركت في جريمة بشعة لا أعلم عنها شيئا ، والموقف متساو سواء تمت أو لم تمت بعد . ويبدو أنه في النهاية قد يسد مني الفراق ،

فارتخت عضلاته فجأة وقال بصوت
شبه الفحيح :

— هل تتركني لو ذكرت لك اسمي؟
كانت الفكرة قد تضخمت في
اسي ، « لا مجال للتنازل » .

— حتما ساعرفه ، ولكن ليس
لان ، هيا امامي .

— الى اين ؟
— قلت لك هيا .

ودفعته في ظهره ، فانقاد لي في
بيونة جعلتني اندهش ، ولكنني لم
أظهر شيئا .

كنت أحاول ونحن نسير ، أن
نكتشف ما يمكن أن يدور في ذهنه ،
بقدر خيل لي أن استسلامه لي ،
يبدأ من جزء من خبطة دبرها ،
بغيات أفكر فيما انتوينة حقيقة
بجأه ، أما فكرة الذهاب به إلى
بولويس فلم تخاطر لي على بال ،
لما اتني - لا أدري لماذا - بدأت
سبب فكرة كونه قاتلاً أو أنه يفكر
في القتل

كنا نسير ، انا ممسك بذراعته
قد تاخرت عنه خطوة او خطوتين ،
نفحصه : طويل ، منحنى الظهر
الذي لم يقص شعرا منذ اكثر من

اللائحة أو أربعة أشهر . طال سيرنا
يون ان اعرف على التحقيق ما الذي
سنتهي اليه ، وفكرت ان اترك
زراعه ، واسير عكس طريقه ، ولكنني
سرعة استبعدت هذا التصرف ،
شيء ما حركني تجاهه ، انه بالتأكيد
إنسان غير طبيعي ، فهذا الاستسلام
يمكن ان يصدر الا من شخص
تزعزع الإرادة ، والا فما الذي يمكن
من يعزل به هذا الانقياد اللاواعي منه ،
مما فائدة ان اذهب به الى
موريس ، او الى اي مكان آخر .
شعرت بمدى القوة التي عاملته
ها ، وما قيمة ان اعرف اسمه او لا
اعرفه . كان يجب ان اكون اكثر
عينا بحقيقته ، فغالبا ، لم تتكون
تذكر وتنمو ازمته الا بصرفات غير
معتدلة كالتي اتبعها معه . وبدون
مقدامات ، تركت ذراعه . بالتأكيد

فوجيء بهذا التصرف ، فالتفت نحوى بسرعة ، وسألنى بصوت مشدود ولكنه مشحون برنة غريبة ، هي مزيج من الضعف والاستجداء ، كان صوته مليئا بمعاني كثيرة ، ولكنه في نفس الوقت كان فارغا لا ينم عن حقيقة واحدة :

- ماذا ؟ ألن تذهب بي الى
البوليس ؟!

كنت استطيع الا اجيبه بشيء ،
بول واتركه في وقفته وسأله ،
بدون ان انطق بكلمة ، او حتى ان
ارسم على وجهي اي تعبير .والحق
انني لم استطيع الا ان اصف بدقة
كل ما دار في رأسي ، فقد بدأت
أحس بأن كل حماسي تجاهه قد
تخمد ولم يعد امره يعني . ظلت
واقفا امامه برهة ، محاولا قدر
الطاقتي ان التفتي عينونا . وبدوا انه
قد أدرك - الى حد ما - ما بدا
يجول في خاطري ، الا انه فيما يظهر
لم يكن متأكدا من ذلك تماما . فما
كان منه الا ان اقترب مني جدا ،
حتى أصبحت أشعر بأنفاسه وهي
رد :

— هل غيرت رأيك ؟ .. أنا مستعد
أن اذهب إلى المجلس .

تقهقرت خطوة

البوليس .

— كنا فقط نتمشى ، أضايك

لمعت عیناه ببریق غریب .

كان صوته عاليا مضفوطا وهو

روح وعظام قلب

لا ترى عيني سوى دمع الشفق
وانطوى عني بعيدا في الافق !

تبعت الاشجان في طي السحاب
بين قلبي، والاسى بالوجد شاب!

ذاك قلبي . هام في ضعفته
يبعث الالحان في حسرته

قد تفتت في مناه اغنياته
بعد ان ضاعت عليه امانيه !

في مشيب لم يروغ قلبه
بين اضواء يناجي ربه !

لم يجبه غير تردد الانين
بعد ان غيب في طي الستين

اي قلب عاطف يحنو عليه ؟
انه يحيا « بايمان » لديه !

أحمد عبداللطيف بدر

بين هم ، والتيساع ، وارق
فيه وهج القلب اشعاع فرق

ذكريات في ضحى عهد الشباب
غانمات كونت هذا الصباب

ايها المقطوع عن رحلته
عانق «الحرمان» من لوعته

ما حطام القلب الا ذكرياته
شدوها بالك ، فتبكيه حياته

لكن الروح ينادي جبه
جوهر ، باقى ، منير لبه

رب . هذا القلب فياض الحنين
قد مضى عنه «حبيب» لن يبين

اي روح هاتف يهفو اليه ؟
اي عين قد دنت من مقتلته ؟

بدر سعيد



ARCHIVE
http://www.archive.org

الذي ظننت به سوءا ووصمته بجريمة
لم يرتكها ، ليكن ما يكون . واجبته
محاوла ان ابعث في نفسه الاطمئنان :
— وما زلت ، هل ترفض دعوتي

على فنجان قهوة ؟

— كلا .. شكرا .

— آسف لكل ما بدر مني .

— لا داعي للاسف ، هل تسمح لي
بالانصراف ؟

هم بالسير ولكني لحقت به :

— ولكن لماذا انت غاضب ؟

— لست غاضبا .

— ولكنني لم اعرف من انت ؟

— وما قيمة ذلك .. انا ما انا ؟

— الى اين ؟

— هل تريد مني شيئا ؟

لم اجبه بشيء ، تركته يمضي وأنا
أتأمل ظهره المحنى ، حتى ضاع بين
الناس .

مصطفى ابو النصر

القاهرة

حسن الظن به ، وعبرت حفتي
بقلبي ، خيل الي اني انا
قوله ، فقال وهو يحاول جاهدا ان
يكون هادئا :

— هل اسأت اليك ؟ ألم تطلب مني
ان نسير سويا ؟

احسنت ان هذه الجملة تقطر
بؤسا ، وانه حينما اقترب مني لم
يكن بقدر ان هذا كله سيحدث بيننا ،
فاتتابني شيء من الندم . كان يمكن
ان اكون اكثر صبرا وادراكا لحقيقته
او موقفه . ترى ما هي مشكلته
الحقيقية ؟ هل استطيع ان احم
جراحه ، وامحو من راسه تلك الصورة
التي انطبعت فيها عني ؟ هل يمكن
ان يامن لي بعد ذلك ، ويفتح لى
صدره ، فيقص علي سبب وصفه
لنفسه بالتطفل ، احسنت في تلك
اللحظة انني كنت انا المتطفل ، ومنع
ذلك كان رقيقا معي ، لم تصدر منه
كلمة ، انا الذي اسأت اليه .. انا

— ارجوك لا تسخر مني ، لماذا
تريد ان تعرف اسمي ؟

قال هذا ثم وضع يده في جيب
الجاكيت الداخلي بصورة عنيفة
واخرج البطاقة وقدمها لي وهو
يقول :

— ها هي بطاقتي الشخصية ،
خذها واقرأها ، انا لا أخشى شيئا ،

هل تحسبني مجرما ؟
حينما وجدني لا اعير يده

المدودة ادنى انتباه ، دفع البطاقة
الى صدري .

— خذها ، خذها واقرأها ليطمئن
قلبك .

نحيت يده عن صدري .
— كلا .. كلا .. شكرا ، من قال

انني احسبك مجرما .
— عيناك .. عيناك قالت لي ذلك .

لماذا كنت عنيفا معي ؟
لم ادر بماذا اجيبه ، فبقيت
صامتا ، وان حاولت ان ابدو رقيقا

عوني عبد الهادي

بقلم البدوي المثلث

في

النصف الاول من نيسان عام ١٨٨٩ شاعت السماء ان تهب الحاج قاسم عبد الهادي أحد وجوه فلسطين ، صبا اسما «عوني» وكتب له ان يتلقى دروسه في الاستانة ، عاصمة الامبراطورية العثمانية ، ليرى عن كثب ما يضمرة الترك للعرب من كره وحقد وبغضاء وليقف على ما يكنه « حزب الاتحاد والترقي » لهم من بغض وانتقام ، فتنبه وهو الذكي الفطن ، لهذه الظواهر الخبيثة وراح يستقصي بواعثها واسبابها ، ويعمل دوافعها ومسبباتها حتى وقف على السر الدفين وايقن ان «الترك» عدو غشوم همه اذلال العرب وتربيتهم لتزول امجادهم ، وتندثر مفاخر ابيادهم من سؤدد وفتوح وفخار !

وفي سيرة هذا الوطني المؤمن تتف على مراحل جهاد صامت بريء اذاه «عوني» للامة التي تحدر منها ! في نابلس المدينة التي دوخت الفروا والفاطيين وسخت على العرب بالعشرات من المتفجئين الواعين ولشد عوني وبحكم وجود والده (مستظفا) التي يبروتا تلقى دروسه الاولى في «كتاب» باليسطة وتلقى دراسته الاعدادية في مدرسة عسكرية هناك وبعدها عاد الى نابلس وانتسب لمدرسة يديرها اساتذة اترك وبعدها يمم الاستانة والتحق بـ «مدرسة مرجان» الاعدادية وامضى فيها سنتين دراسيتين ومن ثم التحق بـ « المدرسة الملكية » التابعة لجامعة استانبول وهناك تعلم العربية على زميله في الدراسة : توفيق البساط (١) والامير عارف الشهابي . (٢)

ومن طريف ما يروى ان عوني كان لجهله قواعد العربية يلحن كلما قرأ مقالا او انشد شعرا امام زملائه من العرب ومن توه تزود بكتابت في النحو وبآخر في الصرف وانكفا على تعلم الرفوع والنصب والمجرور فلانت له اوابد اللغة وطاوخته صعبا !

وخلال اقامته في «الكلية الملكية» (١٩٠٨ - ١٩١٠) انتسب للمنتدى الادبي وفي عام ١٩٠٨ قامت في الاستانة مظاهرات ضد العرب وعلى الخصوص ضد عزت باشا العابد (٣) فكان عوني وزميله الدكتور احمد قدري يرذان على هذه الهجمات دفعا ما بني جلدتهما ، وافضت مودة الترك الى تنبه الشبان العرب المقيمين في الاستانة

وتمييزهم الترك من العرب .

الى باريس : بعد ان انهى عوني دراسته في الاستانة قصد باريس وانتسب لمدرسة «سان لوي» الحكومية وبعد ان الم بالغة الافرنسية المما حسنا التحق بـ «كلية الحقوق» وامضى فيها ثلاث سنوات ، ومن زملائه العرب رفيق التميمي وجميل مردم والدكتور احمد قدري ورسن حيدر ومحمد الحمصاني وعبدالفني العريسي .

ونتيجة للثورة الفاشية التي قام بها الترك على العرب في الاستانة عام ١٩٠٨ احتجاجا على وجود رئيسين عربيين كبيرين في قصر « يلدر » هما : عزت باشا العابد وابو الهدى الصيادي (٤) .

لم ينس الطلاب العرب الذين شهدوا تلك المظاهرات في الاستانة وقصدوا باريس طلبا للعلم ، الاثر السيء الذي تركته تلك الثورة في نفوسهم فاسسوا « حزب الفتاة» وقرروا ان يظل امره طي التكنان ، وشرع كل منهم في مراسلة من يثق بهم من اخوانه في الاستانة وسورية ومصر وغيرها من البلاد والفوا لجنة تحضيرية قوامها : عبدالفني العريسي ، ندره مطران ، شكري غانم ، عوني عبد الهادي ، جميل مردم ، شارل دباس ، محمد الحمصاني ، جميل معلوف .

المؤتمر العربي الاول : وكانت باكورة هذا الحزب الدعوة الى عقد «المؤتمر العربي الاول» في باريس وتحديد زمانه . وظل اولئك الشبان على اتصال وثيق بـ « حزب الامم المتحدة » في القاهرة وعلى راسه رفيق العظم (٥) من كبار القوميين العرب وفي طليعة العاملين على نجاح المؤتمر العربي الاول . وفي ١٨ حزيران ١٩١٣ افتتح المؤتمر جلسته الاولى في قاعة الجمعية الجغرافية بشارع سان جرمن برئاسة السيد عبدالحمد الزهراوي ودونك اسماء من حضروه من رجالات العرب :

عبدالحمد الزهراوي واسكندر عمون (عن حزب الامم المتحدة بمصر) سليم علي سلام واحمد مختار بيهيم واحمد حسن طياره والدكتور ايوب ثابت (عن الجمعية الاصلاحية في بيروت) توفيق السويدي وسليمان عنبر (عن العراق) محمد حيدر وابراهيم حيدر (عن بعلبك) عبد الكريم قاسم الخليل (عن الجالية العربية في الاناتاة) نجيب دياب ونوم مركزول والياس مقصود (عن الجالية العربية السورية في الولايات المتحدة) عباس بجاني (عن جالية المكسيك) شكري غانم وعبدالفني العريسي وندر مطران وعوني عبد الهادي وشارل دباس وخيرالله خيرالله وجميل مردم وجميل معلوف ومحمد الحمصاني (عن الجالية العربية في باريس) .

وبعد ان انتهت اعمال هذا المؤتمر العربي الاول ظل عوني واخوانه اعضاء «حزب الامم المتحدة» يجاذبون اخوانا لهم مقيمين في الاقطار العربية حبل المراسلة ، وعندما اعلنت الحرب العالمية الثانية ظل (عوني) ورفيقه جميل

عنيقة . وفي اليوم التالي نشر تارديو التأكيد وتحتبه النص الحرفي لاحدى تلك المراسلات . وبعد ان اطلع الامير فيصل على ما نشرته الجريدة انتدب عوني لزيارة لندن لاختد صور المراسلات المودعة لدى الخارجية البريطانية وبعد ايام عاد الى باريس متابها مجموعة تلك الرسائل ، وبعد ان اطلع عليها الامير فيصل قصد لندن مع عوني وسائر اعضاء الوفد الحجازي . وفي وزارة الخارجية البريطانية اقنع المسؤولون فيصلا بضرورة الاتصال بمسيو كليمنصو رئيس وزراء فرنسا ووزير البحرية عهد ذلك للاتفاق معه على ما فيه مصلحة العرب وفرنسا بحجة ان لفرنسا مصالح في الشرق العربي ، وما لم تؤمن هذه المصالح فقد تلجأ فرنسا للحرب وبريطانيا غير مستعدة لمحاربة فرنسا وسفك الدماء بعد ان سفتكتها بالاشتراك معها في الحرب العالمية الاولى !

وهنا لم ير فيصل بدا من زيارة باريس ومعه عوني ورستم حيدر ونوري السعيد وقدرور بن غريبط وبحث مع كليمنصو الذي استهل الحديث عن نفسه بقوله : « لقد حاربت الاستعمار خمسين سنة بقلمي ولساني ، ولا بد ان السيد عبدالهادي سمع وقرأ خلال اقامته في باريس ما كتبت وخفيت في هذا السبيل الشيء الكثير ! » تاجبا الامير العربي فورا : « عدني يا فخامة الرئيس بان نظل دوما رؤساء لوزراء فرنسا وهذه يدي امدها لك بلا قيد ولا شرط . . . ولكنني اخشى ان يخلقك شخص ، اطلال الزعماء قصر ، يكون على عكس سياستك ! »

وبعد حديث مقول اتفق كليمنصو وفصل على ان يعقد مؤتمر عربي فرنسي في باريس لروبرت دي كيه وينتدب فيصل ، عوني عبد الهادي ليعمل مشروع اتفاقية ، وكان هذا المشروع مدار بحث بين كليمنصو - فيصل . وفي النهاية اتفق الطرفان على ان يعرض فيصل صيغة المشروع على الشعب السوري ويعرض كليمنصو الصيغة على البرلمان الفرنسي ، وعاد فيصل ومعه عوني الى دمشق وعرض المشروع على السوريين الذين قابلهوا بالرغص وجرى ما جرى في سورية كما هو معروف لدى القاصي والداني !

حزب الاستقلال : وبعد ان غادر اعضاء « حزب الفتاة » دمشق وغيرها من عواصم العالم العربي انقلب « حزب الفتاة » السوري الى ان حزب علني باسم « حزب الاستقلال » وفي طليعه من انضم اليه الامير فيصل بن الحسين وشكري القوتلي ورياض الصلح وعوني عبد الهادي واسعد داغر وخير الدين الزركلي ومحمد الشريفي وغيرهم من العالمين في الحقل العربي .

فرنسا تغزو دمشق : وائر رفض السوريين صيغة المشروع الذي حملته فيصل من باريس استمر الموقف في دمشق فبارح الملك العربي الهاشمي العاصمة السورية وعوني معه الى محطة الكسوة وبقي فيها الى ان دخل

مردم في باريس وبعد فترة حرما حقائق السفر وعزما على مبارحتها لكنهما منعا من الخروج بوصفهما عثمانيين ، فاضطر عوني للبقاء في مدينة النور وزاول التعليم في « مدرسة سان لوي » أولا « مدرسة فولتير » ثانيا ليعطى البلاد عن ذلك من الشبان المجندين في ساحات القتال . في حقل الصحافة : ورغم ويلات الحرب الكونية لم ينس عوني امته المغلوقة على امرها فانبرى يدافع عن العرب وقضاياهم في جريدة « الماتان » الفرنسية وبناء على طلب من شكري غانم وجورج سمعنه استقلال من عمله في « بنك كريدي ليون » وعمل معهم في جريدة « المستقبل » (٦) مشترطا عليهم الا يعالج موضوعا يؤمن في قرارة نفسه بانه يتنافى وحقوق المغرب العربي او يسيء لانه مصلحة عربية ، فامتثل لهذا الشرط واناطا به ادارة سياسة الجريدة ، وكانت وزارة الخارجية الفرنسية تمول هذه الجريدة باشراف مسيو فلاندا عضو مجلس الشيوخ الفرنسي عهد ذلك بوصفه خبيرا بشؤون المغرب العربي اذ كان مندوبا ساميا هناك .

بعد فترة من عمل عوني في جريدة « المستقبل » طلب منه السيدان غانم وسمعنه نشر مقالات فيها مساس بالمصلحة العربية فرض نشرها وهنا خيرا بين نشر تلك المقالات او ترك العمل فآثر الشق الثاني وهجر الجريدة وفي جيبه بعض المال لكنه كاشف مسيو فلاندا بالامر واقامه حكما في التعويض الذي يستحقه فحكم له بخلافه الالف فرنك وانضم عوني بعدها الى قلم تحرير « الماتان » الباريسية .

مع فيصل بن الحسين : وفي عام ١٩٢٠م الموافق ١٣٤٠هـ امين الامير فيصل بن الحسين ليمثل والده الشريف الحسين بن علي في « مؤتمر الصلح » المنعقد في باريس وذات صباح دلف الى منزل عوني صديقه القديم الدكتور احمد قنبري الطبيب الخاص بالامير فيصل ودعاه لمقابلة الامير العربي في فندق الكوننتال فتوجه للسلام على الزائر الكبير وكانت حاشية الامير مؤلفة من : نوري السعيد ورستم حيدر والدكتور احمد قنبري وتحسين قنبري وغيرهم . وبعد حديث دار بين الامير وعوني عين هذا سكرتيرا خاصا ورئيسا لمكتب الوفد الحجازي ، وعندما عاد الامير فيصل الى دمشق للاجتماع ببلجنة الاستفتاء الاميركية برئاسة يونغ كراين عين الملك حسين بن علي « عوني » عضوا في الوفد الحجازي لمؤتمر رساي بدلا من نجلة الامير فيصل فوقع عوني على اتفاقية مؤتمر السلم المالي بالاشتراك مع زميله رستم حيدر وكان لهذه الاتفاقية وقع كبير في العالم .

مراسلات الحسين - مكماهون : ذات صباح قرا عوني في جريدة « الطان » الباريسية مقالا بقلم « أندريه تارديو » رئيس تحريرها المبح فيه الى المراسلات المتبادلة بين الحسين - مكماهون وكان فيصل يجهل امر هذه المراسلات فبادر عوني الى تكذيب مقال « الطان » بلهجة

عوني الى معان لمقابلة الامير عبدالله ويظل القوتلي في القاهرة على ان يزود عوني بانباء مفاوضات لندن ويزوده عوني بانباء الحملة التي قادها الامير عبدالله .

غادر عوني القاهرة مارا بالقدس وقابل السر هيربرت صموئيل المندوب السامي البريطاني ، وكان يعرفه في باريس ولندن ، وحده بعزمه على زيارة معان لمقابلة الامير عبدالله فطلب المندوب السامي ابلاغ الامير عبدالله انذارا بضرورة عودته من حيث انى فاجابه عوني : « لا يستطيع ابلاغه ذلك وسأذهب لزيارته والاضطلاع بأية مهمة ينيطها بي سموه وفيها فائدة للمصلحة العربية ، وإذا شئت انذار الامير فوسلطوا غيري في هذه المهمة ! »

وقصد عوني عمان مصحوبا بصديقه امين التميمي ومنها ذهب الى معان وهناك قابل عوني الامير عبدالله ولم يجد حوله قوة كافية لاسترداد سورية المفقودة ، واخيرا جدد عوني من نغم من اخوانه سفر الامير عبدالله الى عمان وكانت مع القطاع المسمى اليوم « الاردن » تابعة لسورية في العهدين العثماني والفيصلي .

ورب سائل يقول : وقف الفرنسيون الفزاة عند حدود اذرعات واحجموا عن احتلال شرقي الاردن كما احتلوا دمشق وحمص وحماة وحلب واللاذقية فما سبب ذلك ؟ .

والجواب عن هذا السؤال ان شرقي الاردن واقع تحت النفوذ البريطاني حسبما جاء في « اتفاقية سايكس - بيكو » وذلك عند قدوم الامير عبدالله بن الحسين من الحجاز الى معان تحت نفوذ السلطة المحلية .

الواقع عوني واخوانه العاملون معه في الحقل الوطني الامير عبدالله بالامر وحيدوا له السفر الى عمان لكن الامير ابدى ترددا في ذلك خوفا من قوة عسكرية بريطانية تلقاه في طريقه الى عمان فلا يقوى على صدها لكن عوني ورفاقه اقموه باستحالة قيام قوة عسكرية بريطانية صده فقبل نصيحهم واستقل قطار مصحوبا بعوني وبعض رفاق الجهاد وبلغوا محطة معان ونزلوا في غرقتين لسكة حديد الحجاز . وفي صبيحة اليوم التالي اعد عوني مذكرة بالفرنسية تتضمن اسباب قدوم الامير لعمان وفي طليعة تلك الاسباب استرداد سورية المفقودة وليس في نية سموه الاعتداء على اية مصلحة بريطانية ، وان همه الواحد تحرير سورية مهما كان الثمن !

وقع الامير عبدالله على هذه المذكرة فحملها عوني الى السر هيربرت صموئيل وفي دار المندوب السامي بالقدس عقد اجتماع حضره المندوب السامي والسر وندهام ديدس السكرتير العام لحكومة فلسطين وعوني دام ثلاث ساعات وكان محور الحديث عودة الامير الى الحجاز . لكن عوني اصر على بقاء الامير في الاردن . وبعد اذ ورد قال السر هيربرت صموئيل : « ان حكومة فلسطين لا تستطيع الموافقة على

الجيش الفرنسي دمشق . وبعد استعراض الموقف اتفق عوني واحسان الجابري وبعض الاخوان مع الملك فيصل على ان المصلحة العامة تقضي بان يعود الملك الى دمشق ليرى اذا كان في الوسع ايجاد تسوية مع فرنسا يكون لسورية مصلحة فيها ، فانتدب فيصل عبد الهادي والجابري للعودة الى دمشق والجيش الفرنسي يقوم بعرض في شوارعها فدخلها خلسة وقصدا دار الحكومة والخطر محقق بهما واجتمعا على افراد الكولونيل تولا وطلبا وساطته لعودة الملك فيصل الى دمشق بغية الوصول الى حل يكون فيه مصلحة لسورية ، فطلب منهما الانتظار ريثما يتصل هاتيفا بالجنرال غورو فسمع هذا ليفصل بالعودة الى دمشق . فعاد الرسولان الى محطة الكسوة واطلعا فيصل على نتيجة المسمى وعادا معه الى قصر الصليحة لعل التعليمات التي تلقاها غورو من باريس قضت بان يبارح فيصل سورية فطلب الفرنسيون منه الازعاج لهذا القرار صاحبا قبارح دمشق وعوني معه الى محطة سكة حديد دمشق وكان بانتظاره الكولونيل تولا وكبار العسكريين الفرنسيين فسلمهم عوني احتجاجا شديدا للجهة وجهه باسم الملك فيصل الى الحكومة الفرنسية نظرا لما قامت به من اعمال استفزازية .

وداعا يا دمشق : طليت فرنسا ان يبارح فيصل دمشق الى الحجاز حيث يقيم والده لكنه قصد اذرعات وعوني معه . وبعد ان اقام فيها مدة يابوحا الى حيفا بالقطار . وفي اول محطة فلسطينية كان في انتظار الملك السر هيربرت صموئيل المندوب السامي البريطاني والجنرال ستورس فرجا به وقصد فيصل حيفا وهناك اتصل بوالده تلغرافيا واصفا له ما جرى .

وبلغ فيصل القاهرة وبعد ايام قصد ايطاليا مصحوبا بنوري السعيد ورستم حيدر وساطع الحصري وطلب من عوني وبعض العاملين معه البقاء في وادي النيل .

وفي فندق الكونتنتال بالقاهرة لقي عوني صدفه الدكتور حاييم وايزمن الزعيم الصهيوني ، وكان يعرفه في لندن وباريس ، ودار حديث بينهما عن فلسطين ومما قال « وايزمن » لـ « عوني » : « لم يخش العرب جانب اليهود يا عوني بك وهم الاكثرية بالنسبة لليهود ؟ فهمما بلغ عددنا فنحن قوم محاطون بالعرب من جهات ثلاث وبالبحر من الجهة الرابعة ! » فاجابه عوني : « ان الوطن القومي حركة استعمارية يراد به ان يكون موضع قدم لبريطانيا في فلسطين للسيطرة على الشرق الاوسط ! » .

الامير عبدالله في معان : وبينما كان عوني وبعض الساسة العرب في القاهرة يرقبون ما ستسفر عنه مفاوضات فيصل في لندن حملت الانباء قدوم الامير عبدالله بن الحسين الى معان لاسترداد سورية من غاصبها الفرنسيين ، وبعد ان تداول الامر مع شكري القوتلي احد اعضاء حزب الاستقلال اتفقا على ان يتوجه

المستعمرات .

وفي اليوم التالي عقد أول اجتماع في قصر المندوب حضره السر تشرشل والسر هربرت صموئيل ووند هام ديدس ولورنس وكان عوني يترجم باللغة الفرنسية . قيام اماره شرقي الاردن : وأسفر ذلك الاجتماع عن قبول بريطانيا قيام اماره في الجزء الواقع شرقي نهر الاردن يرئسها الامير عبدالله .

ولما عاد سموه وعوني الى عمان تقرر تأليف حكومة يكون رشيد طليع رئيسا لها وعوني رئيسا للديوان الاميري ، فاخذ كل منهما يعمل من طرفه في ادارة تلك الحكومة الفتية .

وعندما بلغ الملك فيصل القاهرة عائدا من أوروبا في طريقه الى الحجاز لزيارة والده طلب الامير عبدالله ان يزور عوني القاهرة ويقابل شقيقه وزوده برسالة حياه فيها وهناه بسلامة الاباب مع خطاب الى والده عاهل الحجاز ، فحذف عوني الى القاهرة وأطلع الملك فيصل على الحالة الراعنة وعاد الى عمان مزودا برسالة من فيصل لشقيقه عبدالله .

عوني يستقيل : وفي رحلة قام بها عوني الى القاهرة طلب من صديقه الامير عادل ارسلان الحضور معه الى عمان وهناك قدمه للامير عبدالله وطلب اعفائه من رئاسة الديوان الاميري بداعي رغبته في زيارة ذويه بفلسطين والاتامة فيها فقبل سموه طلب عوني وعين الامير عادلا رئيسا للديوان .

في الحقل الوطني الفلسطيني : عاد عوني الى فلسطين وزاول المحاماة في القدس واندفع يعمل بتفان واخلاص في الحقل الوطني وانتخب عضوا في « اللجنة التنفيذية العربية » وكان يرئسها وقتذاك سماعة الحاج محمد أمين الحسيني ، واتفق مع بعض اخوانه ومنهم محمد عزت دروزه واكرم زعيتري على ان يعيدوا تأليف

ومستشاره الاقرب وكان عبدالحيد شديد الحذر من الدول الاوربية ، ميلا لاسانته فانهما العابد على انتاج سياسة تحول دون انقال الدول الاوربية على بلاده ، واتصل العابد بالسلطان عبدالحيد عن طريق ابي الهدي الصبياني في وصفه عن الخصام بينهما . (٤) (١٨٩٤ - ١٩٠٦) أشهر علماء الدين في عصره ، ولد في خان شيخون (من اعل حلب) وتعلم طب وولي نقابة الاشراف فيها ثم سكن الاسكندرية واتصل بالسلطان عبدالحيد الثاني فقلده مشيخة المشايخ وحظي عنده فكان من كبار ثقائه واستمر في خدمته زهاء ثلاثين سنة . ولا خلع عبدالحيد نفي ابو الهدي الى جزيرة الامراء في «رينيكو» فمات فيها وكان من اذكي الناس وله الملم بالعلوم الاسلامية ومعرفة بالادب والفرف والتوف ، ولشعره عصره امداح كثيرة في وهجا بعضهم . (٥) (١٨٦٧ - ١٩٢٥) ولد في دمشق واقبل على كتب التاريخ والادب وزار مصر في صباه ثم استقر بها واشترك في كثير من الاعمال والجمعيات الإصلاحية والسياسية والعلمية ونشر بحولا قيمة في كبريات الصحف والمجلات وصنف «أشهر مشاهير الاسلام في الحرب والسياسة» وتوفي بالقاهرة . (٦) - صدر العدد الأول منها في ١ آذار ١٩١٦ .

حكم الامير عبدالله وتاهبه لمحاربة فلسطين ، وان السر ونستون تشرشل وزير المستعمرات البريطانية مبحر الى الشرق الاوسط وقد طلب مني ان يظل الامير بعيدا عن اية حركة ولا يقوم بأي عمل في الداخل ضد فرنسا ريثما يصل البلاذ وزير الى البلاد ويبدى رأي الحكومة البريطانية في الموضوع ! » .

فرد عوني قائلا : « من الممكن اقناع الامير عبدالله بان لا يقوم بأي حركة ضد فرنسا في الوقت الحاضر الى ان يصل السير ونستون الى البلاد ، غير اني لا اضمن ان لا يقوم بأي عمل اداري ضمانا للسلام في منطقة عربية تلبو القوضي في الوقت الحاضر » .

فاجاب المندوب السامي : « أرجو ألا يقوم الامير عبدالله بأي عمل الا بما تقضي به الضرورات ! » . عاد عوني الى عمان وأبلغ الامير عبدالله بما تم الاتفاق عليه .

وصول تشرشل : وبعد ان حضر تشرشل الى القاهرة مصحوبا بلورنس اعد مذكرة بالفرنسية موجهة الى تشرشل باسم الامير عبدالله وقد استعرض فيها قدر فرنسا بالعرب وعدم سكوت العرب على هذا القدر ، وانه قدم الاردن لاسترداد سورية ، ولن يتصدي لأي عمل عدواني ضد بريطانيا .

حمل عوني المذكرة الى القاهرة وسلمها للسر تشرشل بحضور السر هربرت صموئيل ، فاجابه وزير المستعمرات البريطانية : « سأحضر الى القوس قريبا وسأحظى بلقاء سموه » .

وعاد عوني الى عمان وأطلع الامير عبدالله على ما حصل ، وحالما حضر تشرشل الى القدس جاء لورنس الى عمان وعاد مع سموه وعوني الى القدس وحلوا ضيوفا على المندوب السامي وطلب الامير من السر صموئيل خطيا ان يحضر عوني الجلسات التي ستعقد مع وزير

(١) ولد في صيدا وتعلم في بيروت فالاسكندرية وكان من اعضاء « المنتدى الادبي » ومن اعضاء « الجمعية العربية الفتاة » السرية . وفي الحرب العالمية الاولى فقبض عليه الاتراك وبعثوه في ديوان عاليه واعدموه شنقا ولم يبلغ الثلاثين من عمره . (٢) ولد في حاصبيا وتعلم في دمشق والاسكندرية وشارك في انشاء « المنتدى الادبي » وحمل شهادتي الحقوق والملكية ، وعاد الى سورية فمارس بعض الاعمال الكتابية والادارية ثم استقال وزاول المحاماة ودرس التاريخ في إحدى المدارس الاهلية منتظا لبث المبادئ القومية ونشر مقالات في جريدة « المقيسد » البيروتية يتوقع «عبدالله بن قيس» ثم تولى تحريرها واصبح شريكا فيها وانتقل الى بيروت . وفي الحرب الكبرى احس بشر الحكومة العثمانية ففر الى البادية فقبض عليه وحكم عليه بالاعدام شنقا في بيروت . (٣) - (١٨٥٥ - ١٩٢٤) ولد في دمشق وتعلم فيها وتلقى بعض دراسته في بيروت واجاد الفرنسية والتركية وعين مفتشا للتدلية في سورية وكان معدودا في صدر شبابها من انصار الإصلاح واصدر جريدة اسمها «الدمشق» باللغتين العربية والتركية وخدم السلطان عبدالحيد الثاني فتقدم الى ان اصبح (سكرتيره الثاني)

«حزب الاستقلال» رغبة منهم في الابتعاد عن السياسة الداخلية والعالية وأصدروا بياناً أعلنوا فيه انتباههم سياسة محايدة بين القطبين الخصمين وعدم انسابهم لأي حزب آخر وانتخب عوني عميداً لـ «حزب الاستقلال» وكان هدف هذا الحزب مقاومة السياسة البريطانية إذ هي رأس الداء وأصل البلاء في كل ما أصاب فلسطين ، أما السياسة الصهيونية فليست إلا فرعاً من أصل ، وكان أبرز أعضاء هذا الحزب : عوني عبدالهادي ومحمد عزت دروزه وأكرم زعتر وعجاج نويهض وصبحي الخضرا ومعين الماضي .

أمام لجنة شو : وبعد قيام ثورة عام ١٩٢٩ في فلسطين وصلت البلاد لجنة برلمانية بريطانية تمثل حزب المحافظين وحزب الأحرار وحزب العمال برئاسة القاضي البريطاني «شو» للبحث عن أسباب الاضطرابات التي وقعت ، وأمام هذه اللجنة البرلمانية زعم اليهود أن العرب قاموا باضطرابات أدت إلى قتلهم والاعتداء على أحيائهم ، وأن الحكومة البريطانية لم تقم بواجبها في ردع العرب عن الاعتداء عليهم ، وكان يمثل اليهود المحامي المشهور ماريان مساعد النائب العام البريطاني سابقاً في فلسطين ، ويمثل العرب عوني عبدالهادي ويساعده في الدفاع المحاميان ستوكر وسيسبي وهما من كبار المحامين الذين عملوا في المحاكم المختلطة بالقاهرة .

مع الوفد العربي : وفي عام ١٩٣٠ انتخب عوني عضواً في الوفد العربي الفلسطيني لحضور المؤتمر الذي عقد في لندن ، إبان وزارة السر رمزي مكدونالد ، واللورد باسفيلد وزير المستعمرات. وفي هذا المؤتمر صدر في لندن «كتاب أبيض» هدفه تحديد السياسة الصهيونية لكن الصهيونية العالية أجهزت على هذا الكتاب وأبطلت مفعوله .

في المؤتمر الإسلامي : وفي المؤتمر الإسلامي الكبير الذي عقد في القدس عام ١٩٣١ كان عوني عضواً بارزاً فيه وخلال عقده دعا نفراً من كبار الزعماء العرب الذين حضروه لاجتماع في بيته بالقدس ووضعوا ميثاقاً وطنياً اتسموا على التقيده به والحفاظ عليه .

دفاعاً عن البراق الشريف : وفي عام ١٩٣١ اعتدى اليهود على البراق الشريف فنشبت اضطرابات دامية في فلسطين بين العرب واليهود فألفت لجنة دولية لاستقصاء أسباب هذه الاضطرابات واتخاذ قرارات تتعلق بـ «المبكي» فمثل عوني العرب في تلك اللجنة وكان يساعده في الدفاع عن حقوق العرب والمسلمين مزاحم الباججي (العراق) ومحمد علي علوية باشا (مصر) .

أمام اللجنة الملكية : وعلى أثر قيام ثورة عام ١٩٣٦ وامتداد الاضراب العربي مدة ستة شهور أوسلت الحكومة البريطانية لجنة ملكية للبحث في أسباب الثورة

فمثل عوني العرب في الدفاع عن الوجهة العربية . في مؤتمر سان جيمس : وفي عام ١٩٣٩ دعت الحكومة البريطانية شخصيات عربية إلى مؤتمر عقد في قصر سان جيمس بلندن للبحث في القضية الفلسطينية في عهد وزارة تشمبرلين والسر ملكولم مكدونالد وزير المستعمرات فكان عوني أحد أعضاء الوفد العربي الفلسطيني. وفي هذا المؤتمر صدر «كتاب أبيض» هدفه تجسيد السياسة الصهيونية لكن اليهود بنفوذهم أبطلوا مفعوله . أمام اللجنة البريطانية - الأميركية : وفي عام ١٩٤٦ وصلت إلى فلسطين اللجنة البريطانية - الأميركية بحثاً عن أسباب التوتر الذي يسود فلسطين فكان عوني أحد ممثلي العرب فيها وقد ألقى أمامها بياناً مسبباً دالاً فيه على حق عرب فلسطين في استقلال بلادهم .

وعلى أثر التكب الفلسطينية اتخذ عوني دمشق داراً لاقامته نظراً لصلات المودة التي تربطه بالرئيس شكري القوتلي وأقام فيها ما يقارب الأربع سنوات ، وبعد مقتل الملك عبدالله بن الحسين (٢٠ تموز ١٩٥١) استدعاه المرحوم توفيق أبو الهدى رئيس وزراء الأردن عهدها ذلك وطلب إليه تمثيل الأردن في القاهرة. ولقبول هذا المنصب اضطر عوني إلى التماثل مع السياسة الأردنية مع السياسة الوحيدة التي يدين بها فأجابه رئيس الوزراء إلى طلبه فخص عوني إلى القاهرة ومثل الأردن سفيراً (١٩٥١ - ١٩٥٥) .

وبالإضافة إلى منصب السفارة الذي شغله عوني انتخبه مجلس الجامعة العربية رئيساً للجنة القانونية الدائمة ، وظل يشغل رئاسة هذه اللجنة حتى يومنا هذا . وعلى أثر تعيينه عيناً في مجلس الأعيان الأردني عام ١٩٥٥ قصد عمان وظل فيها إلى أن عين وزيراً للدولة في وزارة السيد سعيد المفتي فوزيراً للخارجية والعُدلية في وزارة المغفور له إبراهيم هاشم .

وبعد أن تالفت الحكومة الاتحادية من الأردن والعراق عام ١٩٥٨ عين عوني عضواً في المجلس الاتحادي ، لكن هذا المجلس لم يعمر طويلاً بسبب الأحداث التي سادت العراق .

أن في جمعية عوني عبد الهادي وناثق وأوراقا هامة تتعلق بالقضية العربية خلال خمسين سنة ، لو قدر لها أن تجمع وتنسق وتنظم لكانت موسوعة كبرى للقضية العربية الكبرى .

من آثاره القلمية : في عام ١٩١٥ ترجم عوني إبان إقامته في باريس كتاب «مقدورات تركيا التاريخية» من التركية إلى الفرنسية وتولت نشره دار Payo للنشر في باريس ولقي هذا الكتاب رواجاً في عاصمة السين .

يا فتية العاصي

اقام النادي الحمصي في بوانس ايرس بالارجنتين حفلة عشاء على شرف « ندوة
الادب العربي » هناك فالتى الشاعر هذه القصيدة باسم اخوانه اعضاء الندوة .

يا خائقين بحدودكم الحاني
في وصف آلاء الربيع لساني
ويدي بين الراح والريحان
تكففت الا عندكم اشجاني ؟
لما نشرت بظلكم سلطاني
اخطات في التشبيه والتبيان
وزهور حمص يعشن في ريعان
رغم اختلاف العطر والالوان
ويشرون باليسرى حمية واني
منع الرسول عبادة الاوثان
اسطورة الاسياد والعبدان
نسباً لميت الي بني غسان
ويموج في بردي شذا حسان
منذا يحاوتني من الاقران !

* * *

صريحين من ادب ومن احسان
تبنون للاحقاب والازمان
لا حد يفصل قاصيا عن داني
يعطيك غفو الطبع والوجدان
ميزت بين الزور والايمان
ان لم تخلصه الفضيلة ، فاني
ويدي التي جهمت لفي حرمان
لكم ، وجبات القلوب دواني
الا الذي يلقيه في البستان
لم تنزلوا اهلا على اخوان
ان شاه تصداحي وساء بياني
فتهجاوا في دمعتي شكراني

زكي قنصل

ردوا الي فصاحتني وبياني
ما خانني قلبي ، ولكن خانني
انا من سخاء نفوسكم في جنة
هل طاب الا فيكم شدي وهل
جار الزمان علي ، ثم امتته
اقول ازهار الرياض حسانكم
الزهر يذهب في الخريف جماله
ان يختلفن فكلهن « بثينة »
يخمنن باليمنى رعونة فانسر
يا من يفاخرني بعزة قومه
الجاهلية ادبرت ، وتقلصت
لكن اذا اعتزل الباث فان لي
هذي الوجوه الضاحكات وجوههم
ما دمت اقتحم الجاهل باسمكم

يا فتية «العاصي» رفعتم للعلى
يمني سواكم للزوال وانتم
وفيث غيركم الغريب وعندكم
ليس الذي يعطيك مدفوعا كمن
واذا النفوس على الجميل تراحت
هذا البناء المشمخر على الذرى
كفني التي بذلت تعيش غنية
ايان سرتهم فالقلوب منازل
لا يحصد الانسان من بستانه
لو لم تكونوا في الكارم قدوة
باسمي وباسم عشيرتي لا تعتبوا
ضيمت في حرب الرطانة عدتي

بوانس ايرس - الارجنتين



محمد رجب البيومي

البكري الشاعر

بقلم محمد رجب البيومي

* * *

حقه من بدائع الفن ومحاسن الصناعة ولاكتسب أدبه القوى من التلمذة والحصانة ما يدفع بكل متهم إلى الوراثة .

واول من بسط مجال المقارنة بين البكري وعبدالمطلب هو الاستاذ العقاد في كتابه « شعراء مصر ويبتهم في الجيل الثاني » فقد ذهب رحمه الله إلى أن عبدالمطلب كان وحيدا في مدرسته الأدبية التي استقامت لها صحة الأسلوب من طريق الدعوة الدينية وكانت أوفسح دليل على فائدة الدعوة الإسلامية في أزاحة البهاج والظلال ، أما البكري فقد استقامت له صحة الأسلوب عن طريق الدعوة الدينية أيضا ، ولكنه « لم يكن مستغرقا في الطريق الدينية ولا كان هذا المذهب مشتملا عليه بحيث لا متصرف له عنه لأنه تعلم طرفا من علوم العصر وألم ببعض اللغات الأوروبية فضلا عن التركية واقتبس شيئا من أدب الفرنسيين والانجليز ، وعاش في أوروبا وجال بين بلداتها ، وعاشترى العلمية من أبنائها ففتح إلى القديم واتصل بالحديث المصري عن كتب ، واختلف ما بينه وبين عبدالمطلب في مشاركة القديم حتى في التركيب والأسلوب فإذا كانت الجزالة والفخولة هي بنية عبدالمطلب عند الشعراء الأسبقين ، فالغفلة والغفارة هي بنية البكري عند أولئك الشعراء ، وإذا كان عبدالمطلب يعيل إلى قوة الأسر ، فالبكري يعيل إلى أبهة المنظر وروعة الموضع ، هذا يعني قصرا ، وذلك يعني حصنا ، وكلاهما ضخم بالغ ولكن كما يكون الفرق بين ضخامة الدعوة وضخامة الحضارة ، أو بين بذخ الفطرة وبذخ الترف وحلية السلاجة وحلية الانقار » (شعراء مصر للعقاد ص ٥٥) .

ثم قال الأستاذ العقاد في مقال تال من الكتاب « ولعله - البكري - لو أنظرنا النظم كما اطال النثر لكثرت موضوعاته ونسوات في هذه التربة فضائده ومقاماته وربما كان البكري ممن يرون كما كان يرى اللاهوتون أن الشعر أسرى مروءة الدنيا ، وأدنى مروءة السرى وإن الانقطاع له والاعتناء منه لا يميلان بمحاسب المقام الديني والحسب العريق » (ص ٧٠) .

ولا الأستاذ العقاد دقيق بالغ الدقة لدى من يلقي أن معرفة السيد للغة الإنجليزية وزيارته المختلفة لأوروبا وفراوانه آداب الفرنسيين والانجليز قد تسببت على شعره بحيث باعدت قريبا أو بعيدا بينه وبينهم ، ثم أقرا ما قرأنا من النظم ولم يرحل إلى أن رحل إليه من البلدان من أمثال عبدالمطلب ومحمود الكافعي ، وقد كان هذا متوقفا منتظرا أن أن انطباعات الإنسان لا بد أن تتلون بمبرئياته ومداركه ، ولكن السيد توفيق البكري قد تامل لديه مثال خاص للشعر العربي لا بد أن يحتديه وأن ينهج نهجه والأحد من سنن الشعر الأصيل كما يرتبه : فأمره الشعر العباسي ممن اختار لهم في فصول البلاغة هم فرسان الشعر في رايه ، ولا بد له أن أراد السبق الظاهر أن ينهج نهجهم وأن يغفو أثارهم : بحيث تجاهل الجديد فيما قرأ وشاهد ، وكان الشرق شرق والغرب غرب في اعتقاده فلا يفتقنان ، ومن هنا صار وجه الخلاف بينه وبين عبدالمطلب ممدوما أو كالتصدم - لا كما حسب الأستاذ العقاد - وقد كان الأستاذ خليل مطران أقرب إلى الصواب من الأستاذ العقاد حين قال عن السيد البكري .

« ولكن يقلب على اللحن أن قاتله - البكري - الذين يرجع إلى رايهم من مثل العلامة الشنقيطي قديما وسواه حديثا إنما هم جميعا من الشايخ الذين يمر بهم العصر بما فيه من معجزات الساء والنساء والكهرايم والنور وبما يقتن العقول ويأخذ بالألباب من كل جيل النظام شائق الهدام بدع التجزؤ والانقسام كما تمر بالبدوي في الصحراء خيالات الجن ومطمعاتيهم في الصفات الاحلام » .

وإذا افترضنا أن رحلات السيد وفراوانه كانت ذات فرق واضح بينه وبين عبدالمطلب ، كما قال الأستاذ العقاد ، فلما نرى أن هذا الفرق لا يبدو أن يكون فرقا بين اساتين نشأ في مدرسة واحدة واعتادوا ميلا واحدا ، لا فرق ما بين المتخلفين من ذوي التراب المتعددة والمذاهب المتفرقة ، فلا الشاعرين يتحوم منحى الدباجة والإسار ويتخذ

وعندا أن نتحدث عن البكري شاعرا وما هو ذا الحديث :

حين نتحدث عن شاعرية السيد محمد توفيق البكري ، يحسن أن ننبه إلى أن عمره الشعري والثري مما لم يتجاوز سبعة عشر ربيعا ! - وهذا إن بدأ إنتاجه الحقيقي عام ١٨٩٢ وهو في الثانية والعشرين من عمره - وكل ما كتبه قبل ذلك كان ترويسا ومعالجة يحاول بهما الأديب الناشئ أن يشق طريقه ، وقد أسقط من حساب ما نظم في زمن اليقظة فلم يلم بشيء منه فيما اهتم بجمعهم من النثر والشعر بصاهير اللؤلؤ ، وإذا كان قد ترك النظم والنثر معا حين اشتد عليه الاختلاف عام ١٩٠٩ فإن سبعة عشر عاما - على الأقل - كانت الامد الفسيف الذي أتاحه القدر للأديب الكبير ! إذ هي وحدها مجلى نبوغه ، وموضع تبريزه ، وأول الذين يقرؤون البكري برصافه المعاصرين - شعرا ونثرا - من أمثال شوقي وحافظ والويلحي ومحمود ونافس وعبد المطلب أن يعلموا أن أكثر من عشرين عاما قد سقطت من حساب الرجل ! وأنه سكت قبل أن يتروح ركية فخره كما قال الصولي في أبي تمام حين فاجأه الموت على غير انتظار ، وتلك حقيقة نسطرها للذين يبيعون عليه إقلاله من الشعر ، ثم بتقارونه بعبد المطلب ، وقد ألع إليها الأستاذ أحمد محرم حين كتب مقاله التقدي في البكري بأول عدد ظهر من مجلة أبولو (سبتمبر عام ١٩٢٢) فقال في حديث باولي

« أنك تنظم البكري إذا قلنت أنه لم يمت غير أسى وأنه قد أدى رسالته واستكمل أدبه ، أن القيد العزيز طويل العهد بالوت ، وأن هذا الأثر الذي نراه اليوم من أدبه البارع ، لهو مقال مبستر ، وصورة غير كاملة ، لقد كان والقلم في يده ، بعد في الصف الأول من رجال الأدب ، وقد تطاول الزمن ، وتباعد المدى بينه وبين هؤلاء ، ففهم من سنه ، ومنهم من وقف معه ، ونام بجانيه ، غير قائم الصدر ، ولا ناهض الحجة ، وما مرة فبط في أنه لولا ذلك لأحدث الرماح الذي دفن قلمه وهو حي ، واعتقل لسانه قبل أن يعقل الموت ، لاستوفى

حين قال عن الشعر في مقدمة ديوانه ص ٣ ج ١ « وخير الكلام ما استتلف الفالفة والتلفت معانيه ، وكان قريب المآخذ بعيد الرمي سلبا من وصمة التكلف ، بريئا من عبثة التمسك فنيا عن مرآة الفكرة !! »

اما الأستاذ احمد الكاشف فيسبح بخياله الى ما يخرج بعضه عن موضوع الشعر في لياحه اذ يقول في مقدمة الجزء الاول من ديوانه « وابغى الشعر واتقعه ما جمع بين الانسرافي النفسية والطباسع الجثمانية ، والحقائق العلمية الكونية واصعبها ما تكلف فيه التانيم وصف المحترقات البخارية والتبسمات الكهربائية وذلك لا تحتاج اليه من دقة الآلات وكثرة الأدوات من غريب الالفاظ ووحشيها ولو اعتنى علماء اللغة بتعريب أسماء هذه البدع لصلنا على الشاعر المصري اسهل من وصف أشكال الرمل وأعضاء الناقة على الشاعر العربي القديم »

هذه الاقوال تبين خواء المحيط الادبي من نقدة موجهيين : مما جعل شعراء هذه الفترة يصورون عن اتجاه جماعي حين يعكفون على محاكاة القديم ؛ والسيد البكري احد هؤلاء دون نزاع ، فقد حاسى قدامى الشعراء في مداحته ومراثيه واواماره ، واستقل بلمع طائفة ، ونظرات دقيقة كان حريا ان يطيل معها الوقوف لو وجد الحد الوجه ، ولكنها تلوح في خلال قصائده كخثرة البرق بداهم اضمحل !

نقرأ قصيدة السيد في مدح امير المؤمنين فتجدها صدى قويا لمذائق الملوك والاطفال في ارضي قصود اللغة العربية ، بحيث نرى معانيها تكاد تنظر الى دواوين القاصي من الشعراء ، والمهم هنا ان ننص على ان هذا النمط من القول كان هو المتظار المربى من جميع الشعراء ، بحيث لو حد حائل عنه لعد اتجاهه غريبا يقابل بالتساؤل ، فاضواك الديباجة ومناطة الاسر مما موعض المباهاة ومناسق الجودة والافتقار ، ما ان تكون المعاني لصاله الى قال الشنيتي في سيف الدولة او ابي تمام والبحرني ومسلم في ابطل القواد فهذا ما لا يكون موضوع مؤاخذه بل ان الامر ليصل الى التقبيل حين يكون مجال المباهاة والاستعظام .

كان شاعر السلطنة العثمانية في دار الخلافة العظمى هو ابو النضر السلاوي الشهير في زمنه ، وقد حرص على ان يفتخر سبع قصائد مما قيل في مدح السلطان عبد الحميد في كتاب اسمه « عكاك الادب » فوقع اختياره على سبعة عظماء اهل الطبقة الاولى واصحاب المخلصات السبع ؛ وهم وفق ترتيب المؤلف : السيد توفيق البكري وميدالجليل المدني وجميل الزهر البغدادي ، واحمد شوقي وولي الدين يكن واحمد محرم واثير النضر السلاوي جامع الكتاب !! وشاهدنا من ذلك ان جميع القصائد المخانة تدور على افكار متقاربة وتنظم اخلصة مستهجرة ، وان مجال التصيل قد قصر على الديباجة وحدها ، وقد جاء السيد توفيق البكري اول اصحابها بقوة اسره ، وجزالة تركيبه ، مما يدل على ان الحالة الجيدة كانت دليل التوفيق في هذا الزمان ؛ فعلى الذين يشيخون الان عن هذه القصائد التقليدية ان يدركوا جيدا ان عصر البكري كان مرحلة لا بد منها في تطور الشعر من اتجاه الى اتجاه ، وان مطالبة شعراء هذه الحقبة بما تتطلبه اليوم من قوة اللاتية ، لدى الشاعر ودقة النظرة ، ونفرد الاحساس لم تكن مما يتاح ؛ وحسب البكري ان يكون في الطبقة الاولى من معاصريه بل كان زعيم هذه الطبقة لاختارته لدى صاحب عكاك حين قال عن هؤلاء المؤمنين :

رمى الروم لا ان غشوا بكتيبه تعيل باغطاف الوشيج القوم
امد لهم في العلم باعرا رجيبة فزادوا طحاطحا في غش وصلاح
كذلك ارام التبت اما سكينته من الغلب يزد طعم صاب وعلم
وزجوا جموعا كالمدي في عديمهم فاقاهم في جوف دهباه صليق
اسال فجاج الارض بالجند لتلوي كما فاج الدويان في كل مخرم
يروج بها الناذي في دوق الفوسه كما ساج لج بين ارجاء عيلم
همن كل مؤلفا ترى الروم دونه طرائد وحسن بين افكار شمس
ومن كل ذبل كسان حوسيه هوى شهاب او غلبا محسوم

أمر الشعر العباسي فادنه وعلمهيه ؛ اما ما ذكره الأستاذ العقاد عن الجزالة والمخاطبة ؛ والبداءة والحضارة ؛ والنقص والحسن ؛ فمما يبارضه ان ديوان عبدالمطلب ملي بما يصلح ان يكون مثالا للجزالة وللخفارة وللبداءة وللحضارة وللنقص والحسن ؛ فمحاوله ايجاد فروق فنية بين تقليدين في مدرسة واحدة لا ينبغي ان تصدى الفروق الطبيعية بين فردين ذوي احساسين متقاربين ، يعتقدان مذهبا واحدا في القول ويربان نمطا متقا في التعبير والتجويد ؛ بحيث يلتقيان في أكثر الوجوه .

اما آلة النظم الشعري لدى البكري - اذ قيس بمثل عبدالمطلب فلا ترجع الى انه كان يرى كما يرى الالفون ان الشعر اسرى مروءة الذي وادنى مروءة السرى كما قال العقاد ، اذ ان البكري كان في راي مطران « معياها بشاعريته عن حق » وقد تقدمه الشرف الرضي وهو في مثل منصبه الديني وحسبه العريق ، وابن الممتز وابو فراس والمتنبد بن عباد ، ونمى بن الغز وتكلم بن بروت الكندي والسلطان !! فلم يعد بعد هؤلاء مجال لدى السيد كي يعتقد ان الشعر ادنى مروءة السرى ، وان القول الاقله من النظم يرجع الى عيابه بالشعر المتطور فيل لغات الشعر وعاجساته كانت الهاما لثرة الفنى ، واذا استولى هذا الصرب من البيان على كاتب ذي موهبة شعرية فهو لا بد متحيف شعراء كما نرى لدى بديع الزمان الهذلي وابي اسحاق الصابي وابن العميد اذ ان هؤلاء شعراء مجيدون يفسح عن اجادتهم ما تركوه من الشعر على قلته ، وقد قام ثرهم الفنى بتسجيل احاديثهم الشاعرة ، وتفسير عواظهم الجائسة ، فتركوا اليه كما ركن البكري الى ثرة البدع !!

وحين نرجع الى الحقبة القصيرة التي نللم فيها البكري شعره ، نجدها حقبة الحالة الجيدة لروائع الشعر العباسي ، فيها قد ذاعت اشعار البارودي ، وفيهم الادبيات تجددهم الكثير في الشعر العربي حين خلع عليه ديباجته المشرقة ورفعه من هدة المكناة والنسبة واللبس بالمحسنات الى مستوى القديم المتخب من ناضج القول وشريف العبارة ورائق التركيب ؛ واذا ذاك اتجه لتقليده من شعراء العصر بوجهة الاسلوبية ، واصبح رائدا لا عرف بين مؤرخي الادب الحديث باسم مدرسة الالف الشعرية ومن تلاعبها محرم وشوقي وحافظ والتكري والرافعي ونسيم والكاشف وعبدالمطلب ، لكل هؤلاء - على تفاوت فيما بينهم - قد انتفخوا بربادة البارودي ، ونهجوا نهجه في القول ، وقد خلت هذه الحقبة من ناقد كبير يرسم للشعراء مذاهب القول ، ويعتقب آثارهم بالنقد والتحليل ، اذ ان اثر النقدة آنذاك كاليارجي والوليحي انجهوا الى نقد الالفاظ والتركيب ، ولم يستوا طريقا جديدا يخرجون به عن المذائع المشتهر في أسلوب الشعر القديم ؛ لذلك كان انتاج هؤلاء الشعراء في هذه الحقبة متقاربا في موضوعاته وافكاره وتعبيراته ؛ اذ كانوا يصورون في القول عن عاطفة مشتركة ، فالمدح منصرف الى عبد الحميد او العباس والرياء مقصور على المظاهاة من الوزراء والحكام ، والقول تقليدي يتبدى به القصائد كثيرا وتنفرد به القنوطعات في النادر ؛ وانك لتلمس حيوة هؤلاء الشعراء في مقدمات دواوينهم الشعرية اذ يحس فارها بافتقار الميادان الادبي الى ناقد كبير ياخذ يابدي هؤلاء ، فشوقي مثلا يتولا في مقدمة الطبعة الاولى القديمة في الشوقيات « اني قرعت ابواب الشعر وان لا أعلم من حقيقته ما اعلمه اليوم ، ما اجد امامي غير دواوين للمؤني لا مظهر للشعر فيها ، وقصائد للاجلاء يحطون فيها حلو القدماء ، والقوم في مصر لا يعرفون من الشعر الا ما كان مدحا في مقام عال » .

وبعصر احمد محرم صفات الشعر الجيد بمقدمة الجزء الاول من ديوانه في « احسن الاسلوب والصفائية وجودة النظم وجمال التركيب الى تحير الكلم الرشيد ، وتخييل المعاني الاليتة » وواضح ان ما ذكره فيما بعد الحقبة الاخيرة لا يخرج عن وصف واحد يرجع الى الاهتمام بالديباجة المشرقة وحدها . وقد كان أستاذ البارودي راجح فكارا منه

ومن كل حصده لاص كانهسا
ويبقى تكون اللوح اما متونها
ومن متنجتي يستطير شواظه
عليه دحان يلفظ الحجر بينه
وجاودا حري كالوطيس اقامها
يطير فشاري العديد بافها
كان اتصال الجيش وسد عجاها
ولا شيه فيها غير شرب مقلق
وظهرن على سيق الجن الردي
امال يلا ربا عروش عدايه
كان الاسام الامد لما تصيفت
ويوم فلسطين اقام نعيم
فاصلهم ناراً فقوم دراهم
فاسسوا حدبنا في البلاد وعيرة
له الفضل ان خاض الوفاق قائد
اصاب الذي قد سددهم او ربي
فلو جهل القاري مدلول اسماء « لا رسالة و فرسالة » وفلسطين،
ثم قرأ القصيدة منسوبة الى شاعر عباسي كبير ، في مدح اميره
القادح ما شك في هذه النسبة الى الاطلاق ، لان الصياغة والاخيلة
والعاني مما الله واستمع اليه كثيرا في مقدم الشعر العربي ! وقد
كان الذوق الادبي اذ ذلك يرى في هذا النمط من القول آية التفوق
والسموق ، بل ان معارضة الالافمين ظلت غاية يتطلها النابوه من
الشعراء فهم يحرسون عليها ليدركوا مع من عارضوهم من الفحول !
واكثر مساوئ هذه المعارضة هي الجاح الشاعر في صياغة معنى تقدم
به سابقه فهو يجتهد في توليده وتحويره ليثبت بها دليل تفوقه ، ولو
علم انه بذلك يجانب وجدانه الصادق الى ناليف لذهني بكك القرينة
في التمثل والتلفيق ، لنأى يشعره من المارعة والاختصار ، وانى
لرجال هذه الفترة بمصر - فيما عدا طرآن - ان يقولوا على ما نسمع
به الزمن من انرا نقدية ناصلت بمرور الايام

على ان الحرس الشديد على اقدان هذه المحاكمة يدعى الجيد البكري
كان يمل عليه اختيار البحر والقافية في بعض ما يقول ، فحين اراد
رثاء والده جاء بمرثيته على روي مرثية المتنبى ووزنها ، ولم يكن ذلك
معضى اتفاق لدى من يعرف ولوع السيد بمحاكاة الفحول ، وقد جاءه
بعده شوقي فنهج نهجه في رثاء والدته اذ حاكى المتنبى ايضا ،
بفصيحة التي مطلها :

الى الله اشكو من عواذي التوى سهما !
اما مرثية المتنبى في والدته فهي التي ابتدأها بقوله :

الا لا ارى الاحداث مدحا ولا دما

وعلى نوالها قال السيد البكري :

سقت رحمة الله الصريع وما غما
والدين يتألمون هذا الصرب من المحاكمة المتقة ، يجدون الشاعر
القوي يبرز عواطفه الصادقة دون ان تحفيها صنعة بيازية أو يعرض على
ما يعرف بقوة الاسر ، ومناة السبك ، وكثيرا ما لجأ الشاعر وانبا
فاترا في مبدأ قصيدته انه ان ذلك يتصرف الى اليات فقدرته على
المحاكاة ، وهي مسألة تصرفه كثيرا من استلهاش مشاعره واستكناه
عواطفه الى التفتن في الصياغة وابداع النسيج ، حتى اذ بلغ حظه
من ذلك التفت الى نفسه فواته بما يستجد ، ترى ذلك في اثر ما
نظمه شعراء البيت ، ورائدهم في ذلك البارودي اذ كان في مفتتح حياته
الادبية يروض القول رباضة يتمد فيها بادى ذي بدء على سلقته
الشعرية فهو ينظم البيت الاول والثاني والثالث كما يتحدر به السياق
دون ان تكون لديه خاتمة واضحة فيها منها بجلاء ! بل انه يعترف بذلك
حين يمتون بعض قصائده بقوله (وقال يروضي الشعر) وما رباضة

الشعر هذه الا المحاكمة المتقة لذوي احواله وميوله من مقدمي الشعراء ،
وقد واثق الطبع السليم بما يقرب كثيرا بين شعره والانموذج الذي
يقتضيه ، حتى تولد ان تلحق بعض قصائده بمصرها السابق لو لم
نظن الى مكانها من ديوان البارودي ! ولك ان تقرأ مثل قصيدته :

الا حسي من اسماء رسم المنازل وان هي لم ترجع جوابا لغائل

او مثل :

نحمل من وادي الزاكة بالوجد فساد سليما لا يحير ولا يبدى

او مثل :

سواي يتحنا ان الفاريد يطرب وفيري باللذات يلهو ويلعب

او مثل :

ظن القلتون فبات غير موسد واقام يسكن عزيمة وتجلد
لك ان تقرأ امثال ذلك تعرف انه جذب تلازمه الى المحاكمة المتقة
جذبا لا فكاك عنه ، فراء البكري - مثلا - فولده يستندى بهذه المحاكمة
اذ تقرأه فتجد الدائع المشتهر مما يقال عادة في رثاء كبير فاضل ،
وقد بدأه بقوله :

سقت رحمة الله الصريع وما غما
يعز الى الطيان ان يسكن النسي
وان سكت الاجداث محراب مسجد
كانك كنز قد دفناه في الشرى
كانك شمس والجفون غياتهم
الا في جوار الله مولى عهده
له تنف يمتى لآل محمد
وكنا كائنا الفرات ودجلة
وعلم هو اليم الذي قد تورت
وبطش لمن عاداه تحسب انه
وصغر هو المعالي في الازم فسحة
ولول غرق في الفضاة لو غدت
وعدل هو القدر التي قد نسي

فصحا الصريع ، واسف العلياء ! وضباع الكثر في التراب ،
واختفاء الشمس تحت غمام الدموغ ! وتهامز الكف بالندى كجذلة
والفرات ، وحيشان العلم كالوجج التلاطم في اليم ، وسرعة البطش
بالاعداء كاتشاب ! واتساع الصدر كالدهناء ! وفصاحة القول بما
يجعل العرب جميعا امامها ، وعمل الفاروق في حكمه !! كل ذلك مما
يتردد في الرثاء القديم ! بل ان ما ينبو عنه المقام اذا قيل فسي
شيخ طريقة زاهد حكم واسع الصدر كما في هذا البيت

وبطش لمن عاداه تحسب انه شهاب هوى في اثر غربة رجما !
ولكنه اطراد النظم وفق مواناة السليقة وتهامز الدائرة !! وذلك

ما يلحق عادة في مفتتح القصائد التقليدية ! اذ يظل الشاعر مستنجدا
يحافظه حتى تجيش عواطفه بالعاني ، فيتلن عن خارظه بعد ترويض
مرن يستلني به الجيد ، ويسلس بالارادة الازن الجوهج ! وقد غير
البكري خطبة عن شهوده الصادق التي تحدث عقب ذلك عن قيود بني
الصدق ، فقد صور تجرته الصادقة اذ اخذته الهمة الحزينة لمرأى
مقابر اجداده وقد تلاصقت متجاورة في حجرة فسحة بمسجد الامام
الشافعي ! واجال النظر الدامع الى السنة صامعة ، وعبر نواظق
فقال في تأنيب الجيم :

ايقر هذا الدمع كالسمع او احى
وتخضع نفسي كلما شمت باللسوى
واقرن باتكلم الشباح كانهس
واما اترات هيلت كنهسنا
اهيل على مثل الموالي ترابها
فالبيكري هنا مع اسره القوي قد نقل عن احساس صادق ، فقال

السطح

لو أنها تحبني فقط

ما أجل الإنسان والفرد والفلط

لو نظرة يا بنت أخرى.. دليلى أو طعبي

يا كوة فتحت ترنجبل الاشواق بي

فاينع القحط

كشاعر ما وحيه هيب

ما ذاق لفة النساء فط

وهزه اي جناح بفتة فشط

وشاه وانفرط

وشاه واختلط

.. قلت بنفسى انها تحبني فقط

ما أصعب الشغل !

لم كان في الدنيا .. غلط

صلاح النيازي

لندن

ما بسمع ويستجاد ، تم سلك مسلك القداسى في خاتمة مبريته حيث استسقى الحيا قيود أبائه واجداده ، حين يحبو الدجن في الأفق مليشا بالفرق كأنما تعلق لج البحر بأردانه السمك ، وحين يلتصق ويمسك البرق في سبيله المنهارة فيشبه صمكة البايك اذا أذهله لهم فأخبط حجاه ! حينذاك يرجو الشاعر أن يحي الحيا لك القبور اذا طالت حتى أهلها اللقائمين نعى افضالهم الفاتمة ! وذلك اذا بقول :

اذا ما تيدى الدجن يحبو كأنما تعلق لج البحر أردان السمحا
ويضفك في سبطانه البرق موهسا كما ضحك البايك اذا اكبر الهما
فحيا الحيا لك القبور فطالما سقى أهلها الظمان من فطلها نعى

وقد نقلنا هذه الابيات الثلاثة لفرض هام هو ان نقارن بين نثر الشاعر ونظمه فقد عبر عن هذه المعاني حين افتتح حديثه عن صلاح الدين الايوبي قائلا : « اذكر العارض من جانب الجولان (١) كان به كتيبا من الرمل او ان ركنيه ركتا ايان (٢) او ان فيه فعولا يجرسون (٣) من فطم (٤) او كتائب في الحديد والبروق اسنة وخم (٥) ، وكان كل مزنة فيه جفن ولهان او اطياف (٦) غريبة (٧) رعت السمدان (٨) ، وفي سقي الفيت وقد اغرق ذلك القبر يعلق ! »

فمع كثرة الصور في هذه العبارة الثرية اذا قيست بما سبق في زهاء والده فلايبات البكري رنة جميلة ذات نالير تفتقه في حديثه الثثري ! مما حدا ببعض النقادين الى الحكم بان البكري شاعر ابدع

- (١) جبل بالشام (٢) جبل بنجد (٣) يملدن (٤) التطم حياح الفحل (٥) سيوف (٦) حملات الضروع (٧) نسبة الى نخل شير (٨) نبت من أفضل المرامى (٩) شعراء مصر من ٦٩ (١٠) سى ٥٩ ايضا (١١) ص ٦٩ (١٢) القراض (١٣) ارض سهلة سميكة (١٤) ارض غليظة (١٥) الحبة (١٦) السحاب (١٧) البسولة (١٨) البحر (١٩) صوت اليم (٢٠) الارض الغليظة (٢١) اسم البحر .

منه ناترا ... وقد احتاط الاستاذ العقاد في رأيه النقدي اذ فصيل نظم البكري على نثره « من ناحية اجتناب الصنعة لان الموسيقى في النظم تفنى الشاعر عن الاغراق في الزخارف والتنميقات التي يفتقر اليها النثر (٩) » كما فصل نثر البكري على شعره من ناحية الموضوع « لان موضوعاته المتنوعة صالحة لموضوعات الشعر الصادق وفيها نفحة من نفعانه ولولا الولع بمحاكاة المقامات والاكتار من التشبيهات وذكر الانار الدوارس كانت أقرب الى السليقة وادخل من سباب الادب الحديث (١٠) » وعقب على هذين الرايين بقوله (١١) ولا تناقص بين القولين لان التنافس انما يكون بين راينين مختلفين في الشيء الواحد والحالة الواحدة وهذا غير ما عنيناه وبيناه . . . واذا كان الاغراق في الصنعة والولوع بمحاكاة المقامات مما يفساقل تأثير الكاتب مع رقة موضوعه ودقة وصله فاننا نعرض متلين آخرين في موضوع واحد من انتاج السيد نثرا وشعرا لنعلم ان الالاحاف في التوشية والتزيين في نثره والجدد عنهما في نغمه قد اتاح له انجذابا شعريا بقره من النفوس ، وللقارى ان يقرأ قول السيد في وصف السفينة والبحر تطبيقا على ذلك

« واخذت السفينة تشق اليم شق الجلم (١٢) في ربح رخاء
ويزرع وتكباد فهي تارة في طريق معبد وميت (١٣) مطرد وطورا فوق
حزن وفرد (١٤) وصرح معرد ، فيمينا في تساب كالحباب (١٥) ،
اذ هي لتلق الرباب (١٦) ، وتعلق كالغلاب ، فتحبسها نارة تحت
القمام ، جبال تقشع عنه الغمام ، وتخالها مره عاتلا على شفا ، قد غاب
الإمامة أو كتفا ، والبحر آونة كالزجاج التدي أو السيف الصدى ،
يلوح كالصفيحة المدحوة (١٧) أو المرأة المجلوة وحينما يقبل زخارده
وبعوض موارده فكأنما سيرت الجبال ، وكأتما ترى قبايا فوق افيصال
وكأتما يقربون في اليم تحضر ، والوبة عليه تشر ، وكان الصمد (١٨)
يمحى عن زيد ، وكان الدوي من جرجرة (١٩) الاذي ذئير الاسد
وهزيم الرعد »

تم هنا قوله في الموضوع نفسه شعرا :

اجد لي نغدي وفيسرت والدعي يخال على الاقلاق درعا مسردا
أخوي شيبا فوق تلك نظنها على سروات اليم فصرنا مشيدا
تهادى بها مثل المقاب وتارة ترفس من الامواج صرحا مسردا
وترزم حينما فيه حتى كأنها تجوز على الملائحزنا وفردا (٢٠)
خضارة (٢١) مرآة السماء فلم تزل ترى وجهها فيه وان بمدى
فان اشرفت على الفزالة خلتها كمين يحول البحر نقذ مسجدا
وان لاح تحت الماء بدر أريته كمشاية يعلو من متنها صدى
وربما خلست التجروم غرابه في قافيه متن ووحدا
فمع تقارب الصور - والالفاظ ايضا - فللشعر ابداع لا يصل
اليه النثر ، وقد ذكر الاستاذ طاهر الطحاضي هذين النصين بالبعدد
الثاني من ابولو (اكتوبر عام ١٩٣٢) وعقب عليهما بقوله :

« هنا فارق عظيم حقا بين نثره وشعره كما في غير هذا الموضوع
مما نثره ونظمه حتى أننا نستطيع ان نقول ان السيد توفيق البكري
شاعر من شعره الطبقة الاولى على قلة ما نغمه ، ولو كان الزمن قد
ابسم له كما ابسم لقبيره لارج نروة شعرية بقدرها كل اديب ويعجب
بها كل قارئ » .

ولن نغتنا هذا القلة ان نستعرض بقية المراضة الشعرية ومطلين .
والحق ان المدح والثناء وقد تقدم مالاها من شعر السيد ،
لا بصوران قدرته الشعرية ، كما يصوره الوصف التصويري في اديه ،
اذ انه حين يصف يكون ملوحا بلارذا بين معفولة ، والرجل ذو خيال
لا مراد ، وبه يستطيع ان ينقل لك الحصوص في صورة بدعية تزوفك .

محمد رجب البيومي

الفيوم - دار المعلمات

التحقيق . اشبه هذا بفؤاد في حادثة قتل ، فاستدعاه اليه واخذ يحقق معه فلم يصل الى نتيجة مرضية ، فصغعه على خده صفعة مؤلمة . فرد عليه فؤاد بصغفة اشد ايلاما منها. فقال له ضابط التحقيق: « اجتريء علي !! » .

فاجابه فؤاد : « انك تبحث عن المعتدي لتعاقبه ، ولكن اراك انت معتديا فقد كنت الباديء بصغفي . خير لك ان تضع حدا لاعتدائك قبل ان تضع حدا لاعتداء غيرك » . وقد حاول ضابط التحقيق ان ينتقم من فؤاد انتقاما عظيما ، ولكن اصدقاء هذا حالوا بين ضابط التحقيق وما يريد . فلم يجد بدا من الانتقال الى بلد ناء حيث لا يعرف الناس ما وقع بينه وبين صانع الاحذية .

وقد احترمه المثقون على اثر جدال جرى بينه وبين أحدهم . جلس فؤاد ذات يوم بين ليف من الاساتذة والمثقفين المروفين في المدينة ، واخذوا يتحدثون عن الاسفار وفوائدها وما يعود منها على المسافرين من لذة ومتعة وخبرة . واخذ كل من الحضور يفاخر بما قام به من رحلات في الشرق والغرب وبعد حسنات المدن التي زارها والعجائب التي شاهدها . وكان فؤاد طول الوقت ساكتا مصغيا . فالتفت اليه أحد الاساتذة وقال له : « وانت يا فؤاد، ماذا رايت في رحلاتك ؟ حدثنا عن اسفارك ورحلاتك » . وقال استاذ آخر مبشما : « اظن ان فؤاد لم يغادر بلاده قط » . فالتى فؤاد على هذا نظرة شرارة وقال له بعد لاي : « لم اقم يا سيدي برحلات ذات شان ولم ازر عواصم البلاد الاوروبية والاميركية ، ان القطر الوحيد الذي سافرت اليه خارج بلادي هو مصر . ومع ذلك فقد وجدت في القاهرة من المتع ما لم يجده منها من سافر الى اجمل عواصم العالم . ليس الامر بالتحاف والانغماس في الشهوات الجسدية مع الحسان الفائنات في

في معارفه . ومن تحت شاريه فم ممتلئ الشغفين ينبعث من بينهما صوت غليظ يوحي الى محدته باحترامه ومهابته . وتراه يتكى على عصاه بقوة تظهره في مظهر الوجه لا يضعف بظهوره في مظهر العاجز . يدهشك ان اقول لك : ان لفؤاد اصدقاء من طبقات الشعب الفقيرة ، وله اصدقاء ايضا من الطبقات الغنية ذات النفوذ والجاه، كما ان له اصدقاء من اللصوص والموظفين والمثقفين . ان افراد الطبقة الفقيرة يحبونه لانه يختلط بهم في كل حال . تجده في الاعراس يقدم الشراب والمأكولات للناس ، وتجده في الجنازات يحمل طرفا من التعش على كتفه . تراه



بقلم **عبدالحيد الانشاصي**
http://Archivebeta.Sakhr.it.com

في المقاهي محدثا بارعا ، وفي حفلات السمر مغنيا مطربا وعازفا على العود بمهارة غريبة . ويحبه اهل اليسار لانه يساعدهم على اكتشاف المعتدين على اموالهم والنهب والسرقة اذ يعيد اليهم اموالهم المسروقة لقاء مبالغ ضئيلة يقدمها الى اللصوص المعتدين فيشترون بها ما يحتاجون اليه من طعام ولباس . فيجبه اللصوص ايضا لهذا السبب نفسه . لقد احترمه موظفو الشرطة على اثر مشاجرة وقعت بينه وبين ضابط

كثيرا ما التقيت ذلك الرجل الاعرج في الشوارع والاسواق فتخطيته ببصري دون ان اعيره اهتماما . بينما كان معظم المارة من الناس يحبون ويلقونه بالبشر والابتناس مرحبين مؤهلين .

وفي ذات يوم اغتنمت فرصة زيارة صديقه الاستاذ سليم لي في منزلي فقلت له :

« ان ما استغربه ان تتخذ رجلا اميا لا وزن له صديقا لك تلازمه في كثير من اوقاتك مع ان بينك وبينه من الفرق مثل ما بين السماء والارض . فحدثني الاستاذ سليم بعين ساخطة وقال :

« من تعني بالرجل الاعرج ؟ (فؤادا) صانع الاحذية ؟ - اجل .

فانتم اسامة جافة ساخرة ثم قال :

« انك تحكم على الناس بمظاهرهم دون ان تحمل نفسك مشقة اكتشاف نفوسهم . نعم ، انني استاذ في مدرسة ، وهو صانع احذية ، ولكنه استاذ في مدرسة الحياة . لقد كنت مثلك اسخر من اولئك الذين يرافقونه ويصاحبونه . اما الان فقد تبين لي كل شيء ، وايقنت انني كنت على خطأ عظيم في نظري الى ذلك الرجل . فاطهرت الاستاذ سليم ميلا شديدا الى الاطلاع على احوال صديقه صانع الاحذية وعلى ما خفي علي من امره . فسرد علي قصة حياة صديقه بأسلوب شائق ، وجعلني اكبره في نفسي . قال :

نعم ، فؤاد رجل اعرج . انه يعرج في مشيته ، ولكن عرجه لا يخفض من قدره ولا ينقص من قوته ، فان جسمه متين التركيب صلب العضلات . وهو يثق بنفسه ويعتز بقوته . لذلك اطلق شاريه الكتفين ويرم طرفيها فجعلهما في شكل الهلال . ومن فوقهما عيانا تتفجر منهما نظرات تعبر عن قوة شخصيته وشدة تأثيره



باريس والبنديقية وغيرهما من البلدان الطليقية ، وانما الامر بتفهم روح المدينة التي يزورها المسافر والمتعم بميزتها . حينما زرت القاهرة اعجبت بنيلها وساحرها واهرامها وآثارها القديمة وبجمال نسائها ، ولكنني لم اكنف بذلك بل بدلت مجهودا في تفهم الروح المصرية . اختلفت بالمصريين كثيرا حتى درست اخلاقهم وميولهم وعاداتهم . وبعد ذلك ختمت سفري بمتعة لن انساها ابدا ، فقد قضيت مع رفاق لي مصريين ساعات معدودة في القناطر الخيرية حيث اجتمعت لي المميزات المصرية . كان بين معارفي ضارب ماهر على العود ، وآخر رخييم الصوت ، وثالث بارع الكتبة . وكان معنا لذ وطاب من المأكولات ، وامامنا النيل الرحب الصدر وعليه القوارب ناشرة اجنحتها البيض ، وعلى ضفاف النهر تقسم اشجار ثؤلف خضرة متلانة مع زرقة السماء ومع صفاء الماء . وكانت الشمس توزع من افقها غمرات في استعمتها اللطيفة على تلك المناظر الخلابة . وقد احتضنتنا الطبيعة مع ما احتضنت من عشب واشجار ومياه . ففضينا اوقاتنا ذاهلين من شدة البهجة والسرور . ان تلك الجلسة الخالدة لا تزال مرسومة على ذهني ، ولا تزال الروح المصرية متجلية نى مخيلتي وقد طفت بجمالها على الاهرام والانار القديمة حتى على خفة الدم المنعثة من وجوه الحسان المصريات . لم يكد فؤاد يتم كلامه حتى تبادل الحضور نظرات اعجاب بفؤاد وتقدير له .

ولزواج فؤاد قصة غريبة . كانت تمر بحانوته في كثير من الاحيان فتاة مشموقة القائمة ذات وجه جميل ومشيئة مغربة . وفي ذات يوم التقي نظره فلما ، فتضرج وجهها حياء وارتمس على وجهها ظل ايسامة فانة لم يلبث ان انعكس على ثغر فؤاد .

مضت اسابيع معدودة على هذه المقابلات الصامتة انتهت بمقابلة فعلية . فقد دخلت (فانة) حانوته ذات يوم وطلبت منه ان ياخذ قياس قدمها ليصنع لها حذاء . اخذ فؤاد قياس قدمها وهو يداعبها بكلام رقيق وبغمرها بنظرات غرامية ملتبة ، وتمنى ساعثد لو انها زوجته . فانة ابنة رجل موسر كان منذ بضعة سنوات يقيم في دار قديمة بسيطة على مقربة من الدار الانرية التي يقيم فيها فؤاد . وكان هذا في ايام صباه يلعب فانة ويحميها من اذى لادانه واعتداءاتهم . وكانت فانة مجيبة به كل الاعجاب ، فقد كان في ذلك الوقت زعيم القلمان لامتيازه عليهم بقوته الجسدية ومرونة سلوكه وقوة شخصيته ودماثة اخلاقه .

غير ان الزمان شاء ان يفرق بين فؤاد وفانة ، فقد نجح والدها في تجارته نجاحا عظيما واصبح من المورسين ، فانتقل من الحي القديم الى احد الاحياء الجديدة من المدينة . وكان والدها متمسكا بالدين متمسكا بالعلم ، وكان يرى ان العلم ايسمة في الدراسة العالية يبعدها عن الدين ويفسد خلقها . لذلك اكنفى بمسا اكتسبته من تعليم ثانوي في مرحلته الاولى . وبذلك وضع حدا لطموحها في الزواج من حيث لا تدري . وهي لم تفكر في اتخاذ محام او طبيب او مهندس زوجا لها بل تمنت بفؤاد . انه حبيب قلبها وهدفها في هذه الحياة .

حينما اخذ فؤاد قياس قدمها ايقن انها وقعت في هواه وانها تميل الى اتخاذها زوجا لها . ولكنه قال في نفسه : « هل نسي الامكان ان اتزوج بابنة موسر ؟ انسى صانع احذية الى الفقر اقرب منى الى الغنى . اننى سليل أسرة عريقة نبيلة كانت ذات ثراء ونفوذ ، غير انها فقدت ثراءها ونفوذها وخلفت لى ذلك القصر الانري القديم الذي لا يصلح

السكن في هذه الايام . اما هي فقد انحدرت من أسرة فقيرة بسيطة لم تلبث ان ارتفعت الى سماء الثراء بفضل نجاح والدها . فهي على عكس تماها . »

وبعد ايام جاءته فانة ، فتناولها حذاءها المفصل فاخذت تغلبه بين يديها وهي تسرح فيه نظرات الاعجاب وتقول : « ممتاز ! ممتاز ! » . والحق ان ذلك الحذاء كان اجمل حذاء فصله لامرأة في حياته . لقد اودعه كل ما يملك من براعة وفن وحب . فجاء حذاء تاما متقن الصنع جميل الشكل خفيف الحمل ، وجهه ناعم كشرة الفتاة ، وكعبه مشرف كتمق الحسان ، ووسطه نحيف كعصرها ، ومقدمه شبيه بطرف اللسان .

لم تكف فانة بذلك الحذاء بل عادت الى حبيبها وطلبت منه ان يفصل لها بابوجا . وقد اتقن صنع ذلك البابوج . ثم عاد اليه ليصلع لها حقيبة يدما .

وهكذا تكررت المقابلات بين الحبيبين ، فازداد الهوى تمكنا من تلييها . وقد اطمعت فانة عشيقها بمقابلتها في الزواج بها . وشجعه اتقان حداثها على صنع احذية كثيرة في نوعه ، فاقبلت القنيات على احذته واشترين منها عددا كبيرا . وبعد ذلك انتقل فؤاد الى حانوت واسع ، واكثر من عرض مصنوعات فيه . وصار يكذ نفسه ويسهر الليالي في صنع الاحذية . ولم يكن هناك من حافز على ذلك سوى حبه لفانة وطمعه في الزواج بها . يريد ان يكون اشهر صانع احذية في المدينة لكي يتمكن من اتخاذ فانة زوجة له . بلغ من الشهرة اوجها ، ولكنه لم يكن على يقين من ان حبيبته في متناول يده .

واخيرا دخل الهوى طورا آخر ، فقد اخذت فانة تردد الى منزل فؤاد ليلا . وكانت تخرج من منزلها

في موكب الحب

فكيف لا أشكو الهوى كل آن
اغنية مفعمة بالحنان
تكسو ربيع العمر ثوب الهوان

ان اطلق الشك لوهي العنان
تقمر دربي بالاماني الحسان
فرحة لقياك شذى عنفوان
يموج شوقي في هواها افتنان
أحضنه في القلب أي احتضان
منه عبير الورد والافحوان
ان لم يكن للحب فيه مكان

فلتصف الريح ويقسو الزمان
فلن تغيب الشمس قبل الاوان

عبدالرحمن سالم عاليه

لقت في عينيك شط الامان
وهل وراء الصمت الا صدى
او آهة حرى ... تباريحها

حبيتي !... بالله لا تعتبي
فانت لا تدري أي السرؤى
تمر أعوام وفي خاطري
وفي سمائي منك اشراقه
وكل هذا الكون ، من لهفة
ماذا يؤول الروض ان لم يفح
وأي قلب يتتشي فرحة

نحن حبيبان ... رضعنا الوفا
وليرتم الليل على دربنا

عمان

على ما تريد .
— ولم لا أحق أمانى على الرغم
منه ما دامت تسعدني ؟
لقد تزوجت فائنة عشيقها على
الرغم من والدها ، فحرمها حقوقها
من الميراث ، وأقسم ألا يعترف بها
ابنة له .

وقد رزق الزوجان مولوداً ذكراً
يشبه وجهه وجه أمه . وقضى
الزوجان بضع سنوات سعيدين
هائنين . غير أن فائنة أصيبت
بالسل — ذلك الداء الويل الذي
اكتسح الأحياء القديمة من المدينة
وقضى على عشرات من السكان .
وحينما شيعت فائنة إلى قبرها
مضى في جنازتها جمهور غفير من
أهل المدينة احتراماً لفؤاد ومشاركة
له في مصابه .

وقد أبى فؤاد أن يتزوج بعد وفاة
فائنة . وكان ولده الصغير الذي
يشبه أمه وجهاً هو كل عزائه في
هذه الحياة .

عبدالحاميد الانشاصي

نابلس

التي كنت العب فيها وأنا صغيرة .
لقد أصبحت نفسي جزءاً من هذا
الحق العزيز علي . أنني كالسحابة
التي لا تستطيع أن تعيش خارج
بيئتها الأولى ولست وهي قبله
فحقق قلب فؤاد سروراً وقال :
— واذن فانت ترغيبين في الإقامة
هنا .

— ما في ذلك شك .
— ولكن أباك يمانع في ذلك .
— وان يكن . أريد أن أعيش معك .
انني أهاولك . فؤاد !
وتبادلا قبلات طويلة قوية . ثم
قال فؤاد :

— أخشى أن يزوجك أبوك بشاب
يحترف مهنة رديعة ويملك من
الأموال ما ليس في يدي .
فهرت رأسها بعلامة النفي ثم قالت :
— انني احبك لنفسك . أحب فيك
نفسك . في نفسك تجتمع ذكريات
صباي . كنت في صباك زعيم الغلمان
وانت اليوم زعيم الرجال .

— ولكن من المحال أن يوافق والدك

بحجة مشاهدة الافلام السينمائية ،
وغرضها مقابلة حبيبها في منزله .
وفي احدى الليالي القمرية كان
فؤاد جالساً هو وحبيبته عند بركة
منزله الانثرية . وكان الماء ينبثق من
الفؤارة في دلال ولطف غريب ، ثم
ينحدر إلى البركة . وكان نور القمر
يزحف على اركان احدى الغرف
القديمة التي تطل على البركة يساهب
اهتم ونوافذ مفعقة . وكان بعض
نور القمر يتسهم على صفحة الماء
في البركة ويضيء كالصباح في
أعالي الماء النافر من الفؤارة .
وعلى هذه المناظر الجميلة قالت
فائنة لحبيبها :

— لا شيء أحب الي من الجلوس
في فقرتك هذا ، انه يذكرني بأيام
الصبا التي قضيناها معاً في هذا
الحق . الا تذكر تلك الايام العديدة
حينما كنت تلاميضي والأعكم وتصد
الأولاد المعتدين عني ؟ لقد احببتك
منذ تلك الايام . انني احس اليها
كثيراً ، وأتمنى لو انني أقيم في هذا
القصر لأعيش على مقربة من الساحة



انور الجندي

الدكتور أمير بقطر

بقيم انور الجندي

ودع الدكتور امير بقطر دنياه في خلال شهر أغسطس الماضي وكان في إحدى جولاته الصيفيّة ويجازي الجوّ في النمسا ، ثم عاد الى القاهرة جديداً محمولا على الاعناق ليوارى في التراب بجوار والدته في مقابر القاهرة . وقد اهتم كل من عرف الدكتور بقطر للنبأ ، فقد كان لا يزال في دائرة السنين لم يتعداها ، خفيفا مرحا ، لا تثقله تكاليف الحياة ، ولا مشاغلا ، يقضي عامه في معسده بالقاهرة يعلم ويربي ، ثم يطير في اوائل الصيف فيطوف بالعالم ما شاء له الله ان يطوف . حتى ليخيل اليك انه ما ترك بلدا من بلاد اوروبا وامريكا لم يقصد اليها ، ولم يعيش فيها ايامه ولياليه .

ولو كان الدكتور بقطر مريبا واستاذا بالجامعة فقط ، لما كان الحديث عنه من شأن الادباء والنقاد والمشتغلين بالدراسات الادبية والصحفية ، وكان ذلك من حق العلماء والمربين والاساتذة . ولكن الدكتور بقطر قد مارس العمل في الكتابة الادبية وواجه قراءه عن طريق الصحف والمجلات اكثر من ثلاثين عاما ، واختص باكثر انتاجه مجلة «الهلل» التي تصدر في القاهرة فكتب بها منذ عام ١٩٣٠ وواصل كتاباته شهرا بعد شهر لا يتخلل الا في بعض اشهر الصيف ، حتى عام ١٩٦٠ تقريبا وقد اصبحت له في هذه الفترة اكثر من ثلاثمائة مقال ، في فنون متنوعة

من الحديث ، خفيفة طليّة كظله ، حية مليئة بالحركة متصلة بكل شؤون الحياة ، فلم يكن الدكتور امير بقطر استاذ التربية وعמיד كليتها بالجامعة الامريكية بالقاهرة في هذا الجانب الا انسانا متقفا يعيش عصره ، على النحو الذي اعتنقه وآمن به ، من خلال ثقافته ومطالعاته واتصالاته . ولا شك ان للدكتور بقطر جانباً اخر في الكتابة فضلا عن العمل ، ذلك هو اصداؤه مجلة «التربية الحديثة» ومشاركته فيها منذ عام ١٩٢٨ وهي مجلة متخصصة تصدر ثلاث مرات في العام او اربع . وتتناول أبحاث التربية وقد والاها بالكتابة في مجاله ذلك الذي عرف به بين الاساتذة والعلماء .

اما في مجلة الهلال وهو في الغالب قد قصر كل انتاجه الادبي عليها فقد كان في اهابها «انسانا» قبل ان يكون باحثا او ادبيا ، انسانا يعيش حياة عصره ، ويتصل بكل قضايا ومشاكله واحداثه ، يناقش كل الامور من وجهة نظره تلك التي كونتها ثقافته وتعلمه في الجامعات الامريكية ، واتصالاته بالجامعات الاوروبية المختلفة ، وتمتع الثقافة وطابع الدوق الذي كونه منذ الصبا بعد ان غادر بلده «اسيوط» الى القاهرة فالعالم العربي وقد تفحص امامه افاق الحياة والفكر والثقافة . ومن ثم كانت آراؤه ونظراته كلها نابغة من هذا «الطاق» ولا ضير عليه في هذا ، ولا عتاب ، فكل انسان هو ابن ثقافته ويثبته وتكريته .

ولقد تختلف مع الدكتور بقطر في بعض اوائه ، واحبها اغضائه عن فضل العرب على الحضارة خلال الفترات المتعاقبة من هذه الفترة دائما في اوائه ، رابطا بين حضارة الرومان وحضارة الغرب الحديثة ، لكن هذا الموقف منه لا يدعنا ننكر قدره كباحث وعالم ورجل حمل رسالة القلم اكثر من ثلاثين عاما ، وكتب صفحات نافعة وطريفة معا ، وتلك آية الانصاف ان نقول كلمة الحق فلا يدفعنا الخلاف في الراي على انكار فضل ذوي الفضل ، وقد اتخذنا هذا المنهج اساسا لباحثنا في موسوعة «معالم الادب العربي الماصر» فلم نقض عن فضل الباحثين ابدا ، ولكننا عرضنا لوجه الخلاف التي قد تعارض فيها معهم اذا اغضوا عن فضل لامتنا ، او نظروا وراء نظرة الباحثين الغربيين ، او تابعوا اخطاءهم .

ولقد تناولنا الدكتور امير بقطر بالدراسة في كتابنا «الكتاب المعاصرون : اضاء على حياتهم» الصادر عام ١٩٥٧ ولعل الصديق العزيز الاستاذ وديع فلسطين لم يقرأ هذا الكتاب ، وانا اتخيله اليوم وانا اتحدث عن الدكتور بقطر فكأنما أوجه العزاء له في صديقه الباحث الكبير . ولقد كان من رأيي ان طبيعة العلماء تغلب طبيعة الادباء في كتابات هذا الرجل ، بالرغم من نفسيته الشاعر ، وعاطفته المشرقة ، ولعل أبرز ما يتسم به ادبه انه يخلط العلم والادب في مزاج جميل ، تجد فيه العاطفة والعقل

في المتاحف والمكاتب والفنون ، والانهار والبحيرات
والاشواء ولكنه ليس كلفا متهاككا كهناك اصحاب المتعة
الحسنة .

وهو يؤمن بان الكلمة خادمة للمعنى ، والادب عنده هو ما
ليس علما ، ممززا بالتجارب ، ويرى ان العلم ادب في
بعض الوجوه ، والادب علم في بعض الوجوه ، وكما ان
العلم في حاجة الى ادب يحمل رسالة الى القراء ، من
جميع طبقات الناس ، كذلك الادب يحتاج الى العلم حتى
تكون عبارته مفعلة مستندة على عمد فولاذية متينة .

ولقد بدأ كتاباته في الهلال (ابريل ١٩٣٠) بمقال
عنوانه « الشرق تكبته الادب » ثم واصل كتاباته فسي
موضوعات تتعلق بالمال ، والاداب ، والفريضة ، والتناسل ،
ومقياس الخير والشر ، والجمال والتجمل وتوالت
مقالاته عن فن المشي ، وفن الاصغاء والجمال الروحي
والجمال المادي ، وغراميات الشواطئ ، وهواة التشرذ ،
والسكوت ، والتوميسه ، والرجل الصغير ،
وهي مقالات مطولة ، تدل على مطالعة واسعة وخبرة
طويلة ، معروضة في اسلوب طلي جذاب .

وبالرغم من ايمان الدكتور بقطر بالحضارة الغربية
ايما كان كلاما ، ومتابعة للفكر الغربي متابعة شاملة ، فان
له موقفا واحدا يخالف فيه نظرات الحضارة ذلك هو موقفه
من « المرأة » فهو في كل مناسبة يحاول ان يقول كلمته
مهما كان في المرأة تتسلاوى مع الرجل كما تقدمت
الحضارة فان طبيعتها الاصلية ستبقى ما بقي الزمن
وسيطلا الميت نهاية مطافها « ، وحينما يذهب الى ابعد
من ذلك حين يقول : الرجل اجمل من المرأة ، او يقول :
المرأة الحديثة لا تريد ان تكون امرأة . وله في القصة رأي
ربما بدا غريبا بين مجموع افكاره فهو يراها من كتب المواسم
التي تقبل عليها الجماهير ثم تختفي تدريجيا كما تختفي
ازياء الشباب ، يقول « في الوقت الذي تكاد فيه القصة
تمثل في البلدان العربية مكان الصدارة ان مصيرها كغيرها
من كتب المواسم اخلاء مكانها لسواها » .

اما القراءة فهي عنده في يقول « لنقرأ كثيرا ونتكلم
قليل » . ومن عجب ان يكون اول مقال له في مجلة التربية
الحديثة وهو اول ما قرأنا له على العموم (يناير ١٩٢٨)
عنوانه « القراءة الصامتة » يتحدث فيها عن اسلوب جديد
للقراءة يحقق الحصول على قدر كبير من الثقافة في
ساعات قليلة ، ويرسم تجربته الخاصة التي هدته الى
هذا الفن « انني كنت اخجل اراء سرعة اخواني الفاتكة
في فهمهم ومطالعتهم ونظرتهم الى عبارات القراطيس ،
كالنظرة العامة التي يلقيها الطيار الماهر من سماء طيارته
الى منازل المدن ، فطنت الى ذلك وكنت حدث العهد ،
فاخذت ادرس السر وهو بسيط جدا ، كنت اطالع الفصل
في الكتاب في ساعة وقد كان يطالعها جاري في الكلية
او المكتبة في نيويورك في عشر دقائق ، فكنت اخجل

يوازنان المعنى وينتظمان الرأي ، ولست اعرف كاتباً تناول
نفسية المرأة والرجل والصراع فيما بينهما ، كما تناولها
امير بقطر في عشرات من المقالات . وقد اغرم فسي
السنوات الاخيرة من حياته بالدراسات النفسية واوغل
فيها وخصصت له « الهلال » بابا يرد فيه على الاسئلة
النفسية وقدم اغلب كتبه عن : فن الزواج ، والقصور
الجنسي ، وانت وانا من اين جئنا ، و٢٠ سنة في حجرة
الاعتراقات .

وفي اكثر مقالاته يتناول امور المرأة والحب والحياة
على نحو مستمد من دراسات اعلام هذه المباحث الغربيين
والامريكيين بالذات ممن قرأ لهم واعجب بهم ، وعمداد
فلسفة في هذا المجال مستمد من ثلاثة اعلام كبار : جون
ديوي صاحب نظرية البراجماتزم ، ودليل كارينجي ،
وفرويد ، فهو يطبق افكارهم فسي الاغلب على المجتمع
الشرقي والمصري محاولا ان يجري به في مجرى الحضارة
الحديثة حيث الاختلاف واضح في كثير من الامور والمساائل
بين عصر وعصر وفكر وفكر ، ولكنه على الرغم من امانته
لثقافته هذه ، فقد كان خفيف الظل ، سمحا ، لا يعارك
في عنف سلامة موسى ، ولا يدافع مدافعة المندفعين ،
وانما يجري في الاتقاع بارائه على سنة المرونة والتربية
ومعاودة النظرة مرة بعد اخرى ، اشبه في ذلك بالدكتور
صروف وجرجي زيدان ، ولست اود اليوم ان اتناقش
الدكتور بقطر رحمه الله اراءه وانما اريد ان ارسم صورة
لرجل عاش ثلاثين عاما يكتب ويقرأ ويسافر ، تلك
الجوانب الثلاث البارزة في حياته امالي اليوم ، فانما
اشرت من مراجعة سريعة لاثاره ان استخلص منها صورة
نفسه .

اما الكتابة فقد تطور اسلوبه وتائق وعذب فسي
السنوات الاخيرة ، الى حد يغري باساليب اقدر كتاب
العربية ، وقد دخلته فنون الاساليب الغربية فاعطته
ذلك اللون الطريف الطلي ، الذي يمزج العلم والادب ،
والجد بالفكاهة وهو يصور صاحبه جملة في صورة رجل
مرح ، منقطع ، باسم فكه ، وربما كانت هذه الصورة
تختلف كثيرا عن صورته الحقيقية على الطبيعة ، هادئا ،
منزويا ، لا يحب الممارك ، ولا يصول في مجالات الفكر ،
فاذا كان الاسلوب هو الرجل كما يقول بوفون فان هذا
المعنى عند امير بقطر يتمثل في صورة الرجل المحدث ،
الذي يقضي الى قارته اكثر مما يقضي الى محدثه ، والذي
يضمر مشاعره ويطويها في خجل وحياء ، فاذا اتبع له
ان يمسك قلمه نشرها في صراحة وجراة ، ولعل ابرز
ما تعطينه كتابات امير بقطر صورة رجل محب للحياة ،
كلف بها ، راقب في مختلف متعها واسماها واضوائها ،
محب للمرأة ، والجمال ، والحضارة ، والمتاع الحسي
وايماني انه حين يكتب ذلك انما يخفف من بعض المشاعر
النفسية ، اما يقيني عنه فانه رجل محب للحضارة متمثلة

من نفسي .. ثم يصور كيف يمكن ان يتحقق الوصول الى السرعة المطلوبة بان يرفع القارئ رأسه مبتعدا عن صفحات الكتاب بقدر ما يسمح له نظره وراحته في جلوسه ، ثم يمر ببصره على الصفحة فقرة فقرة مهملا في الغالب حروف العطف والجر ، فيستخلص المعنى ، كما تستخلص القشرة من اللين » .

وفي احاديث متعددة يصور انطباعاته عن « الكتاب » فيقول :

« من الكتب ما يدققه القارئ بلسانه للتعرف على طعمه ، وما يتلعه ابتلاعا ومنها ما يمضغه جدا ويهضمه ونيدا » . وعنده ان الكتب التي تبحث في طبيعة الانسان وأسرار الحياة ومصير الانسان ونهايته وما بعد الموت هي اكثر المؤلفات تداولاً ، واعتقد انه يعجب شخصيا بهذا اللون من المؤلفات ، وهي ابرز فنون كتاباته .

ويقول « وليست الكتب كلها غذاء للنفس فمتنا الدسم ومنها الهزيل ومنها ما يحمل راية السلام وينادي بالحب والوئام ، ومنها ما يوغر الصدور ويشير الحقد والبغضاء ويدعو للحروب ، ومن الكتب ما يقرأ للتسلية والترفيه ، ومنها ما يقرأ للزينة والتذويق ، ومنها ما يقرأ للمعرفة والوقوة » . وعنده ان الكتب تفصل طبيعة الانسان وتكمل ما ينقصها من صفات ، كما ان الخبرة المكتسبة تكمل ما في الكتب من نقائص . ويقول « ينبغي ان لا يكون الهدف من قراءة الكتب انكار ما بها او دحضه ، او اعتناقه واخذه قضية مسلمة ، وتصديقه تصديقا اعمى ، وانما ينبغي ان يكون الهدف التأمل ، ووزن الاشياء بميزان العقل والمنطق » .

اما الرحلة فقد افرم بها فاصبح لا يقبل الصيف الا وتكون حقائبه معدة لرحلة في شرق الارض او غربها ، وهو حين يتحدث عن البلاد التي زارها يتحدث في حنان خافق وحب عجيب : نياجرا ، الهندية ، ملكة الادرياتيكا ، بودايت ، الدانوب الازرق ، هونولولو ، كابري ، ستريزا في ايطاليا ، بروج في بلجيكا .

وله في ذلك كلام رائع « في الصايف سواء على الشواطىء او في مرتفعات الجبال ، ما يبغي النفوس والمقول ، ويهذب العواطف والاذواق ، ويسمو بالاذهان والاجسام ، يذكر كاتب هذه السطور في الاب والتيرول والبرنات ليالي قضاها في منزل صغير ، او خان على ارتفاع الفين او ثلاثة الاف متر ، هناك يحس بذلك الصمت الرائع الذي لا يسمع فيه سوى خريف المياه تتخلل البساط السندسي الذي يكسو كل شبر من مرتفعات الارض ومنخفضاتها ، وانسياب ماء النهرات ومساقط المياه المتدفقة من قمم الجبال الشاهقة ، الى بطون الوديان ، واذا ما طلع النهار تخلل هذا السكون العميق جلجلة الاجراس النحاسية رقاب البقر بانغامها الشجية المنوعة وهي ترمي بين الرياض والادغال » .

وهو يستعرض في كثير من كتاباته صور رحلاته التي مرت ، ولكنه لم يترك لنا صورا نفسية حية عن تلك الرحلات ولا رؤياه في البواخر والمدن والقنادق والجامعات والقرى التي زارها الا تلك الكلمات السريعة ، ولقد كان ممكنا لو انه كتب في هذا بعض الصفحات ان نضاف الى « ادب الرحلات » الذي كتب فيه كثير من ، ولعل عذره انه لم يكن رحالة ليكتب ولكنه رحالة للمتع النفس الخالص . وفي كلمات حاول مرة ان يصور المعالم البارزة في

المدن التي زارها فقال : « طوكيو عاصمة اليابان التي سبقت كل من لندن ونيويورك في عدد سكانها ، وانتشرت في احيائها اكثر من مائة وخمسين كلية وجامعة ، ناطحات السحاب وعظمة برودواي والشوارع الخامس وباروك اقيو وعجائب الصناعة ، النظام البالغ حد الاقن في لندن ، جمال الطبيعة في لوسرن وزربورج وجنيف ولوزان في سويسرا ، ولوفان في بلجيكا ، ولاهاي في هولندا ، اتساع الشوارع والميادين وكثرة الحدائق والمتنزهات في فيينا وبرلين ، باريس الفنون الجميلة ، والاشكال الخالدة في روما وفلورنسا والقاهرة وبومباي ، الهندية فينيش » مدينة الجداول والخيال والاحلام ، كوينهاجن المدينة المثالية تجمع : كل ما يشبع الابدان ويستهيوي النفوس » .

وقد ذهب امير بقطر الى كل مكان ، حبا للرحلة والاستطلاع وعاش حياته بالغرض ، وامضى ايام صيفه في كنفالات تجمع بين العلم والمتعة ، وزار فيما زار جزائر هاواي ، ولكن هل صورها على النحو الذي يكشف عن احساس النفس ، كآبل واجهها على ذلك النحو العلمي ، تحدث عن انها كانت وليدة جبال بركانية ظلت قرونًا طويلة تقذف من افواها الحمم ، وانها كانت خمسة عشر جبلا هي التي تمخضت فولدت عروس الباسيفيكي . ولكنه لم ينس ان يقول « ان البواخر حين تقترب من ميناء هونولولو ، يشاهد المسافرون ، من مظاهر الجمال الطبيعي الخلاب ، وقمم الجبال الارجوانية ، وكأنها تسبح في قطرات الندى ، وفي منحدرات تخطيط خضرة النخيل والاشجار الاستوائية وقصب السكر واعواد الحنطة ، يبيض سقف المنازل وحمرتها وشتى الوان الزهور والاوراق التي تتخللها » .

وبعد فقد بقي ان تستخلص صورة الدكتور امير بقطر النفسية من خلال كلماته :

« ان اسهل الاشياء الوسط ، ولكنه اقلها انتاجا واسرعها زوالا ، واخفها اثرا في النفوس ، الجاه والشهرة سراب كاذب ينفع صاحبه بنار الغرور ، ويعلا جوه بالغيرة والحسد والاحقاد ، والشهرة على حد قول من قال ، طعام شهى فوق طبق متحرك ، وهي الراحة ضدان قلمسا يجتمعان ، والصامت الذائع الا انفس الناس ، والنهره قفايع سرعان ما تذهب في الهواء والحصول عليها اهل جدا من المحافظة عليها . السعادة راحة الى الفضيلة ،

نورة محب

اسفح الدمع لاحظي بوصال
بأثني ، وسجودي ، وانتاهي
من دم ، تطلب ربا بنصال

لا المقادير ارادت اغتيالني
فاضعت النور في درب الضلال
يعصر القلب ، ويلهو بالسؤال
ضاع عمري في متاهات الرمال
واحذري .. لا تركي اليوم حيالي
ترتضي ذلي ، وتهريق جلالني
وتفيسرت تماما كالليالي
ليس في الارض هنا بين الرجال
وغليل ليس يروى بالحمال
أبتضي كل الحجا ، كل الكمال

يزدري الحب وأحلام الخيال
فاترك الحب لغير لا يبالني
وربيعي سيفتني للجمال
أصبغ البذل وأحبو كالنمل
ثورة البركان يا رمز الخبال

يحيى علي السناسيري

ويح أيامي التي قضيتها
أو ليالي التي أحرقتها
هي في صفحة عمري لطخة

أنا ضيبت شبابي بيدي
وأراني الله نورا هاديا
أشعر اليوم بنقص فائسل
فاتركيني أكرس القيد لقد
لا أريد الحب .. عني ابتعدي
لم تصد بي لهفة مجنونة
ثاب رشدي ، صرت شيئا آخر
ان مجدي في الثريا كامن
بي طموح واسع مثل الدنى
أبتضي شيئا عظيما رائعا

هكذا الحر أبي دائما
فاذا رمت العاليا صاحني
ربة الأمس ، شتاني مظهر
كنت سجانني وسجني حقبة
فتمردت أخيرا فأرقبني

الكويت

لتكن لك فلسفة واضحة في الحياة ، وثابر على تحقيق مبادئها ، لكن شعارك الاعطاء أكثر من الاخذ ، اهتم بالغير اهتمامك بنفسك » .

ومن خلال كتابات الدكتور بقطر تحس بروح التفاؤل واستشعار السعادة وتجد الرجل في سن الستين يتحدث عن ما اسماء «ربيع الكهولة او ربيع الشيخوخة» وهو عنده أعظم من ربيع الشباب ، انه عنده أكثر نضارة ، وأزهى لونا ، وأكثر عذوبة وأعطر ارومة من الربيع الاول. هكذا تصورت الدكتور امير بقطر ، وهو يودع دنياه، وتلك كلمات تغلب عليها التحية والتقدير لصاحب قلم عاش أكثر من ثلاثين عاما وهو يكتب ويقرأ ويسافر .

أنور الجندري

القاهرة

والفضيلة وسط بين طرفين او تقيضين ، فبين النقص والزيادة توجد الفضيلة ، وبين العنف واللين توجد الشجاعة ، وبين الاسراف والبخل ، يوجد السخاء ، وبين الطمع والخسوع يوجد الاعتدال ، وبين الملق والاحتقار توجد الصداقة ، وبين الحياء والوقاحة توجد الحشمة . ان آلام الحياة واحزانها كالهوى داء تداوى به النفوس الضحاح وراحة البال الدائمة والاطمئنان المستمر وغيرهما من الاحلام والاهوام مخدرات تستهوي بها الاجسام العليلة والنفوس السقيمة » .

ومن آيات حكمه قوله « لتكن مطامحك ورغباتك في الحياة منتقاة ، مخنارة بحكمة ، وتعمل ، فلا تكن خاليا ، بل اجعل هذه المطامح مطابقة لقدرتك ، متفقة مع مواهبك ،

وقاره وجبروته ، لا يلتفت الى ما يقوله البئر . ولا يقيم له وزناً ، ولا يكثر به ايما اكتراث ..
والح البئر في تحديه .. واكثر من لجاجته ..
وكان صباح يوم غائم كثير المطر والعواصف ، وفاض النهر ، وطفحت امواجه المتلاطمة ، وطففت على ما يحيط به من عند شاطئيه ، وغمرت مكان البئر ، وملأته وخولا وطليبا ..

وصمت البئر .. وكان صمته لا نطق بعده ابدا .. «
ذلك هو الحوار الجميل البارع .. الذي اجراه كاتبه بين بشر ونهر ..
وقد يكون في ذلك كله ، اراد ما هو ابعد من البئر والنهر ، واعمق غورا .. واطول مدى ..
وما اردت ان اتحرى عما يريد .. وما اردت ان ابحث عن ذلك البعيد الذي يهدف اليه ..
ولكن الذي اردته : هو ان انتقل اليك هذه الصورة الجميلة ، من الحوار البارع ، لتري كما رايت ، كيف استطاع الكاتب بأسلوبه الرشيق ، ان يصور لك مشاعره ، على نحو ما يصنع الشاعر ، وان كان هذا الذي يقوله ليس شعرا ..

قراءة .. الانسانية

كان يقف عند ناحية الشارع ، وفي وجهه من اللهفة ما لا حدود له ، وما ان ابصر شابين يقبلان عليه من بعيد ، حتى اعترض سيرهما ووقف لهما وسط الرصيف ، ليقول منفعلًا مضطربًا :
« اخي .. اخي الصغير بين الموت والحياة ، لفرط ما تزف من دمه ، بعد ان صدمته سيارة ، وهو بحاجة الى دم يسعفه ، ودمي ليس من فصيلة دمه .. فهل لكما ان تخفا لتجده ؟! ..
هل لكما ان تفعل ذلك ، عل احدهما يرد عنه الموت ، ويحفظ عليه حياته ؟ »
قال ذلك بلهجة متعثرة ، وصوت يكاد يخنقه البكاء ، وانفعال شديد ، كاد يحول بينه وبين ان يفصح عما يريد . وما ان تفهم الفتيان غرضه ، حتى استوقفا سيارة عابرة ، ودفعاه داخلها ، وهما يقولان : « هيا .. هيا .. دلنا على المستشفى .. »
وانطلقت بهم السيارة جميعا ، واملم ان يحملوا الى الطفل المسجى فوق سرير المستشفى ، عند نهاية الشارع ، جذوة الحياة ، وترياق الشفاء ..
ورابتني اشيع السيارة بنظرة اكبر وتقدير ، للشابين الماجدين ، الذين دفعتهما مشاعر الانسانية النبيلة ، الى ان يستجيبا لدعوة المستشفى ، وان كانا لا يعرفانه ، فحسبهما ان تربط بينهما وبينه اسباب المواطنة ، واخوة العروبة ، وقراءة الانسانية ..



محمد سليم رشدان

في مسالك الدروب

بقلم محمد سليم رشدان

الحاضر في كلية الاداب بالجامعة الاردنية

ثم صمت البئر

كان حوارا جميلا بارعا .. ذلك الذي اجراه كاتبه بين بشر يقوم على شاطئ نهر ، وبين ذلك النهر ، الممعن في جريانه ، والمنطلق الى البعيد المجهول ..
ويقول البئر للنهر :

« انك ايها النهر الممعن في الجريان ، لا تصل الى ما اتفرد فيه من مزايا ، فانا منبع الجدار ، عميق الغور ، حصين الموقع ، صافي الماء بارده .. اذا ما اهل الصيف ، يجد الظمان عندي ما يطفيء غليله ويبرد ظمائه .. واما انت ..

اما انت ايها النهر ، فما اكثر الوحول عند شاطئك ، وما اتبع ذلك الصوت الذي ينبعث من هدير التيار فيك ، ولطالما تكدر مياهك القوارب ، حين تمخر عبايك ، وهي تمضي هابطة مصعدة فوق صفحتك ..

وحين يقصدك الظمان يلتبس عندك شربة ماء ، لا يملأ فيه منك غير هذا الماء العكر ، الذي لا يساغ له طعم ، ولا يجد فيه شارب ما يجده من مذاق مائي العذب السلسبييل ..

قال البئر ذلك كله للنهر .. وظل النهر ينساب في

بلى .. حسبهما ذلك ، فأية رابطة أوتق منه ؟! ..

جئتكَ بالعنب

كان فتى ما يزال في مستقبل العمر لا يعرفه ..
وقد دخل علي يحمل بين يديه رزمة أوراق وهو يزعم
أنه يعرفني مما كتب ، وقد جاني زائرا وطالب نصيح
فيما سيعرضه علي من إنتاجه ، ودفع إلي قصة قال أنها
ليست خير ما كتب ، ولكنها لئن بفضل فيما كتب ، ورغب
إني أن أقرأها لأرى أن كانت صالحة للنشر ..

وتناولت القصة منه ، ثم أقبلت أقرأها بالعناية
والاهتمام ، وإذا هو يعرض فيها صورتين متنافرتين
أبعد تنافر ..

اولاهما : صورة غني مترف ، يسكن في دارة جميلة
فخمة ، تحيط بها حديقة واسعة الجنبات ، تمتلئ
بالازهار والرياحين ، التي استوردوا له اشتالها وبدورها
من اقطار مختلفة في أوروبا ، فإذا ما جلس اهله وإبنائه
أو جلس ضيوفه الكثيرون فوق الشرفات الواسعة ،
امتدت بين أيديهم هذه الحديقة بأزهارها وورودها ،
تنفتحهم بالاربع، وتحمل اليهم نسائم الصباح والإصيل
معطرة بشذى الورد ..

وبناء هذا الغني المترف ، يرحون فني مسالك
الحديقة الواسعة ، فوق العربات والدراجات ، ترعاهم
مربيتان اجنبيتان ، ترطن اليهم كل واحدة بنسائيل
لسان الاخرى ..

وضيوفه بين حين وحين ، تمتلئ بهم أبناء الدارة
الواسعة ، وقد حمل اليهم - مبالغة في اكرامهم -
القرى والشراب والنقل والحلوى والزهور ، على طائفة
خاصة من بلد بعيد ، ومعه النادل الماهر ، والفنانة
المبدعة ..

والصورة الثانية : صورة خولي الحديقة ، الذي
كان يسكن مع زوجته وأطفاله خيمة بالية من اكياس
الخييش ، تتوارى خلف سور الحديقة البعيد . فإذا ما
أراد أطفاله أن يشاهدوا الدارة ويضئ ما يجري فني
الحديقة الواسعة ، فوق العربات والدراجات ، ترعاهم
وإبصروا ذلك بجهد من خلال قضبان السياج الحديدي .
ويعرض واحد من اطفال الخولي ، ويشدد عليه
المرض ، ويجلس والده مهموما فوق رأسه ذات مساء
يمسح وجهه بيده ، ويمر بها على جبينه المتهيب ، وهو
يميل عليه بقلبه ويتودد اليه مؤاسيا فيقول : كيف
أنت اليوم يا بني ؟ ويتمتم الطفل الصغير بما يشبه
الهديان من الحمى :

« أنتي أبصرته فوق الشرفة يأكل عنباً .. أبصرت
أين معلماً فوق دراجته يأكل عنباً .. أريد عنباً يا أمي .. »
وينظر الخولي في وجه زوجته .. اتنا لسنا فني
موسم العنب .. وليس الوقت وقته .. ومن أين آجي
له به .. ولكنني سأحاول .. سأحاول غداً بعد أن أقبض

مرتبي .. فقد أجده في المكان الذي وجدته فيه معلماً ..
ويمضي مع الد إلى مكتب الغني المترف .. ويشاء
الحظ أن يدخل عليه حين جلس مع خازن أمواله ، وهو
يعرض بين يديه كشوف النفقات لاحتد ولألمه ، وقد
تنوعت اشكالاً ، واختلفت مبالغ .. وتمددت فيها
المسميات .. وتزايد الرقم حتى أثار حنقه ، وأضرم في
نفسه الغضب على الخازن ، كف فغل أو تفاقل حتى صعد
الرقم إلى مثل هذا القدر !! ..

وتكلم الخولي وطلب تقوداً . طلب مرتبه المتواضع ..
وصرخ في وجهه الغني المترف : « وأنت أيضاً
تريد تقوداً ؟! .. اذهب .. أنصرف .. لا ترني وجهك ..
كلّمك تريدون دراهم .. أف .. !! » .

وأمسك الخازن بيده يخرجها ، وهو يهمس له : أنه
غضبان .. عد اليه في الأسبوع المقبل .

وعاد الخولي إلى خيمته المظقة من اكياس الخيش
.. وترأى على الحشنة البالية إلى جانب طفله المريض ،
وفتح الطفل عينيه وهو ما يزال في سكرات الحمى ..
وقال له بصوته الواهن : « هل أحضرت لي عنباً يا أبي ؟ »
ويسط الآب بيده معتذراً .. كأنما عجز عن الكلام !
فقطب الصغير جبينه المتهيب ، وأدار ظهره لأبيه ..
ومع الصباح التالي ، أفاق الخولي على نحيب مكتوم
من زوجته .. لقد مات الطفل الصغير .. وحمله إلى
مشواه .. وفي يؤاده ما يشبه لدغ الجمر !! ..

ويبدأ الأسبوع اخذ مرتبه .. ومضى يبحث عن
العنب فوجده .. وحمله في كيس صغير .. ومضى إلى
الضريح الذي أودع فيه طفله .. وأكب عند رأسه يبكي
وهو يتأذى : « لقد جئتكَ بالعنب يا ولدي ! .. »

وهنا لم أتمالك أن أرفع رأسي عن القصة ، وأنا
اكفكف دمعاً ، وفي وجهي من التأثر ما لم أستطع كتمانها !
فقال لي الفتى : « ان القصة أعجبك ما على أرى ..
أتركك تنصحنى بنشرها ؟ » .

فقلت وأنا أحاول أن اكتم مشاعري : « أنسي لا
انصحك بنشرها .. »

فأدعشه ذلك ، وكأنني به لم يكن يتوقعه بعد الذي
رأه من تأثري ، فقال متسائلاً : « ولماذا لا تنصحنى
بنشرها ؟! » .

فقلت : لماذا .. لأنك تعرض فيها صورة موحجة ..
نعم صورة موحجة للغاية !.. وقد علمنا أشتاخنا
- يا صاحبي - أن نكتب أدباً ممتعاً .. وأنت جاوزت
هذا المدى .. وتخطيت حدوده .. وذلك ما لا أشياك
به .. فلا تخرجني !! ..

وحمل الفتى رزمة أوراقه ، ومضى منصرفاً ، وفي
ملاح وجهه ما لا يشمر بالرضى ، وقد خيل إلي أنه قطب
جبينه ، فذكرني بالطفل المريض حين قطب جبينه ، فإذا
هو يشجيني .. وإذا هو .. يؤسني !! ..



حبيب الخوري

مذهبي في اللغة

بقلم حبيب الخوري

كتاب العصر العباسي الأربعة - وإلى آداب لغته وعلموها .
ونحن نرى اليوم امتنا تبدل أقصى الجهود توسيعاً لتطابق لغتها
في داخل افطارها الثلاثة عشر وهي خارجها وسيكون لتشر لغتها في
خارج افطارها شان رفيع في عاجل الزمن أو أجله بإذن الله .
وهذا هو القرب ينتهي في جهاده اللغوي ليضم مئات من الناس
- ولست أقول الملايين ، لأن عهد الملايين وتصيدا لغاته قد ولى إلى
غير رجعة - فوق الملايين التي تتحدث بلغاته عموماً ، وبالانكليزية
والفرنسية خصوصاً في طلائف وأحكام كما تبدى لنا في مؤتمرات القمة
الأفريقية الذي أقيم في القاهرة منذ عهد غير بعيد .

وغني عن البيان أنه منذ أن عرف أمر اللغة السنسكريتية في القرن
التاسع عشر وحلت بقية رموزها وهي لغة الهند القوية التي نقل عنها
علامتنا الكبرى وفيلسوفنا «اليوناني» وكان قد أقام فيها أربعين سنة ،
هب اعلام البحث والتنقيب في العالم المتحدين يولون علم اللغة -
عنايتهم الكبرى - وقد بلغوا شأواً رائعاً من التقدم ولا سيما في أخريات
القرن التاسع عشر حينما أخذ كبار العلماء اللغويين في إخضاع البحوث
اللغوية إلى مناهج البحوث العلمية وتوجيهها إلى الأهداف التي أرمي
إليها العلوم ، بل وفي جعل الغاية الأساسية من بعوثهم التوصل إلى
الظواهر من العناصر الفلسفية القديمة المتأثرة بالمتأخرية وبفضل
نلك الجهود الجبارة التي قام بها علماء اللغة العالميون اتسحت معالم
الحدود والناحيز لكل فرع من فروع علم اللغة الذي سيطر عليه وتنطقه
القانون العلمي .

هذا ومن أكبر بواشع الاستبشار والمسرّة أن قام بيننا بضعة من
علماء اعلام قطفوا مرحلة توشك أن توضع بواسطتهم علوم لغتنا في محتوا
وبسار بها كما يسير باقي علماء اللغة في العالم أجمع . فترتقب
تطورات خطيرة ومفاجآت سعيدة للغتنا العلمية لتلقاها من عظمة
إلى عظمة .

ولا كان ذلك القانون الغالب ، إلا وهو قانون التغيير والتحول
الخاص به ، لا يكون بإسره لا عمته لنا منه ولا منجي وكانت كل لغة خاضعة
للقوانين الطبيعية دون ريب ، وكانت طائفة مباركة من علمائنا اللغويين
الجهادية قد بلغت شأواً خطيراً في سبيل إخضاع كل ظاهرة من ظواهر
لساننا العربي إلى ظواهر علمية واجتماعية ونفسانية . الخ - لما كان
كل ذلك - اتحم علينا أن نسير مع ركب العلم والخضارة في جميع
عواننا اللغوية سيما حيثما لا يعرف معنى لاية هوادة وتؤدة وإن نقف
بجانب لغتنا ذابين عن حياضها وإن نتأهب في سبيل جعلها تنعم بنهضة
حقة من شتى نواحيها . فترفع وتزدهر وتصبح في القرب العاجل
أو الأجل - لغة حية عالية - وهذا الالتزام للتوهي بها بناتى لنا من
ناحيتين خطيرتين :

الأولى : - أن نشد أزرها وهي تصطرع مع عشرات من اللغات
التي نريها في كل يوم ضرباً من ضربات التحدي ولونا من الوان التماثل
منذ قديم الزمان وفي حديثه سواء في ذلك اللغات السامية واللغات
الآرية ومن بواشع الحقيقة أنها صمدت لذلك الصراع المرير وانجملت
مقابلاتها لتكلم اللغات عن نصر كلي في معظم الميادين وجزئي في بعضها
وهو يعمل في برده الجديد من معاني التشجيع والارتقاء . ولنا في
هذا النصر دليل قاطع على قوة هذه اللغة وجويوها في ذاتها دون أن
يكون للدولة بد فيه وإنما وقع برقية شعبية من جهة ، وبطبيعتها
القرينة وما لها من خصائص رائعة سائرنا غير الإقبال ومقدرتها في
استيعاب كل معطيات الفكر الإنساني والخضارة الإنسانية من جهة
أخرى ، ولغير خفي أن هذه اللغة لم تكن لتبقى هذا البقاء الغالب التثبي
بالمجزأة ولا لفضل الله عليها بكتابه العربي العظيم الذي هيمن عليها
وسيطل مهيمتا ما نعمت العروبة والعربية بما كتب لهما مما من خلود
عبر القرون والإجيال .

ليس ثمة من ريب في أن لغة كل قوم هي العروة الوثقى والتماسك
الكبرى لتخصبتها القومية . ومن أجل ذلك تالفت الأقوام ، ولا
سيما أولو الأمر منهم ، في سبيل اعلام مناهجها والتفتل بها من علوم
خير إلى ما هو خير منه . ذلك لأن اللغة لدى التحقيق ليست سوى
مرآة لأحوال أمتها ومستودع لعلومها ، وعنوان لحضارتها ، ومعدنة
فعالة لوحدها . بل إن التاريخ يعلمنا أن أعقل الشعوب وأدهى
الفاخين حاولوا دائماً أن يفتحوا العقول والقلوب ، بمفاتيح لفاتهم
قبل فتحهم للبلدان والأصنام بالحدود والتار .

فهذا الاسكندر المقدوني كان وهو يدنو البلدان والأقاليم يفتح
العقول والقلوب بلغة قومه الآفريقية العظيمة بعلومها وأدائها وفلسفاتها
وقد روج لها حينما احتل ترويجا منطلق التثوير . وليس تشييده للمدن
العشر - وهذا مثل من أمثال عدة - في ديارنا مثل فيلادلفيا ، عمان ،
جورا ، أم قيس ، إلى آخر العشر ، سوى دليل من جهمرة الأدلة
على ما أخذ به النفس من الترويج والدعاية للغة القومية .
وهذه امتنا العربية التي يوجد بين لغتها وبين اللغة اليونانية فاصم
مشترك مرموق ، قامت بفتح أذهت العالم والتاريخ ، مما حصل
العلامة الشيخ عبدالقادر الفريسي علوم الجمع العلمي في دمشق على
الجهر بأن الفضل في تلك الفتح يعود معظمه إلى اللغة العربية التي
فتحت معارف العقول والقلوب قبل معارف الديار والأصنام ، وبأنها
شادت امبراطورية من أعظم امبراطوريات التاريخ .

وهذا صلاح الدين ، لا تزال عبارته المشهورة التي فاه بها على
كبار قواده وقد أخذتهم نشوة الانتصارات الرائعة يتردد صدها بين
أنيا المعصور : لا نقتل البتة أن سيوفكم هي التي أوقفنا من تكلم
الانتصارات ذلك الوقت الفذ المشرف ، إنما الفضل فيها يعود بالأكسر
إلى أدب القاضي الفاضل وهو أمين سر صلاح الدين وأحد أعظم

اما الناحية الثانية لشذأ هذه اللغة والوقوف بجانبها فليس
لدي قول يعبر عما يملك القلب من عواطف والعقل من افكار . مما لم
يكن بوسعي الا ان اكسبه من الأيام والسنين في كره الطويل ، خير
ما جازته به مناسبات عدة جميلة ونفيسا ، وهو قول ليس في
القدور الا ان اتناوله في تحليل وتفصيل وافين . على ان ذلك لا
يتمتعني من ان افرض صلوفا في عبارة واحدة او قولة خطيرة :
وهي ان مستقبل اللغة العربية يتوقف على الفكر الخلاق المبدع
الكاثر في مجموع الشعوب التي تكلم العربية .

فان كان ذلك الفكر موجودا كان مستقبلا عظيما . ويحمد الله
الفكر العربي في بقلته وإبداع ، على وزاراتنا التربوية ومجامعنا العلمية
ومؤسساتنا العليا والدنيا والوسطى ، ان تسير في هذه البقلته وذلك
الإبداع الى النهاية ، وهذا ما نرتقبه باذن الله .

(« في ما يعنون متون العربية من مأخذ يقع حالنا بينها وبين
صيرورتها لغة حية عابسة »)

اذا القينا نظرة صادقة على متون اللغة ومجامعها واعلمنا الفكر
في التناسب القاتم بين اصولها وفرعها وفي الانسجام بين الافلاط
والمعاني وفي الصلة بين المعاني الحقيقية والجازية تملكتنا الايقان من ان
الذين تواصوا عليها في الاصل من قدامي علمائنا اللغويين الائمة كانت
اوضاعهم فورية لم تشذ ولم تند عن القياس في شيء .

غير ان الشذوذ تطرق اليها من جراء تفرق القبائل ومخالفة الاعاجم
ومن جراء ما ازلته البصريون والكوفيون بفصل جدالاتهم وتزاعاتهم
اللغوية وقد كادت تلك الجدالات ان لا تنجلي عن شيء ذي جداء وغذاء
القوم الا عن بضع ويلات ازلهوا بها . ومن جراء توسع المئات من
الشعراء في نطاق تجزؤاتهم الشعرية فزرو طولا .

ليت شعري ما الجدوى التي جنيتموها مما نراه في – الصبيان –
وقد كان مع – العنصري – وسواهما من المجهلات الضعيفة المتخلفة
على قفاطرن مرجعا بوميا فوق اللغتين لابن مالك واليازجي وشروجهما
وشواهدهما .

لقد اهدنا من تطيل الشواهد واستظهارها (كثيرا جينا) من بؤسها
القواعد . اجل ما الفائدة من عشرات الوجوه في الصبيان لاصراب
الصفة المشبهة ومن بضع العشرات من مسوغات ابتداء بالتركه ومما
نجد في – الفتي – من تصارب اراء النحاة البصريين والكوفيين في
اغرب – كانتك بالاشتاء مقبل وكانتك بالدينيا لم تكن ، وانا انت الفارسي
انت انا – ان تلك المناقشات وما لابسها من ترجيحات وتوايلات ملات
بطون الصحف في المجلدات الضخام يقضى العمر بل نقضى نحن ولا
نقضى منها وطرا في عصر الاداعة اللاسلكية والتلفزة والطيران وايراد
الفناء الخارجي وغزو عوالمه .

وفوق ذلك ان سر الوضع الذي انتهجه علماء اللغة الاقدمون قد
ضاع وان شطرا من اللغة عجز عن حفظه الرواة ، فلم يكن في مقدور
اصحاب المعاجم ان يدونوه فيها . فلا عيرة بما نراه من طواريء الشذوذ
في الكتب اللغوية والنحوية ، فاللغة في الاصل قياسية بلا نزاع .
ولمة شيء اخر عن اللغة تتناولها بالبحث والتحقيق ، ومنتيره
طائفة من علماء العصر اللغويين من الجيلات والمخار في حين تعتبره
طائفة اخرى ذاما ومييا اخرجها من المتون خير من ابقائه نريد به –
الترادف – والاشتراك – والفروق .

ولست املك النفس عن الاخذ بالوجه الثاني ، اذا آريت كل من
الانلاف المترادفة والمتشركة والفروق على العشرة فالتراودف فيه طائفة
غير قليلة من الانلاف تراود اسماء المعنى الواحد فيها بين المترادفة
والاربعمئة ، فمثلا الصل له عشرة اسماء والسيف خمسون ونصف
والحبة مئتان – والمصيبة – اربعمئة .. الخ . ومصيبتنا في مترادفاتنا
اشد نكابة من مهزنتها في جمع التكسير .
لست سدي رايام الحق ، ما الفائدة من الخلاف عليها وادخارها

في متوننا ومجامعنا وسوادها الاعظم مهجور وما الجدوى من التكرار
من استعمالها من قبل طائفة من كتابنا وادبائنا .

لا مراه في ان الترادف قد ينفع عند نظم القصائد التاريخية
الطويلة او الاطام ، مثل التناشئة والابلاية وينفع ايضا اذا قام بين
الانلاف ترادف تباين في الجلاء والقموص . فاذا كانت اللفظة الاولى
غامضة كان من المستحب ان تردف بلفظة ثانية تنفسي على ابهام الاولى .
وعلى كل حال فواجبنا ان نخفف الاربعمئة والمئتين والى اخره
الى عشرة فقط مما هو معروف وامانوس . اما المتحدلون فاذا عز عليهم
ذلك فلتعاهم الاربعمئة واخوانها وليتموا بها .

واما الاشتراك : فهو ان يكون اللفظة اكثر من معنى واحد كالعين
مثلا فان معانيها الكثيرة الجاسوس والريشة – الذي يربف القوم –
والنهب والدينار والشمس وشعاعها .. الخ . ان معظم الانلاف في
الغة لا سلم من الاشتراك لانه فلما نرى اسما او فعلا لا يدل على معنيين .
ولقد كان الخلط بلاه كثر في المصادر الثلاثية والجمعو المكسرة .

والعقود كثيرة التصاريح وامثلتها مختلفة وقياسها غامض فلم يسع
اهل اللغة الا ان يقولوا انها تاتي على غير قياس وهي في الحقيقة لم
تكن بلا قياس . وليس يخاف ان الشراء لمبوا دورا غير قليل في
هذا الخلط ، دح عنك تفرق القبائل ومخالفة الاعاجم . اننا نخشى
اللبس والتعقيد اذا دلت اللفظة على مसान كثيرة كالعين والصال
والعوز .. الخ ، فان لكل منها من المعاني ما يربو على الثلاثين .

ولقد كان شعراء عصر الاحتطاط ولا سيما في اخربانه يبدلون
اقصى الجهود في نظم القصائد التي قوافيها موحدة اللفظة مختلفة
المعاني مثل الخاليات وسواها . وعندها يآخر خالية غير بعيد . فقد
قالها بطرس كرامة احد ائمة اللبائين وامن سسر الامير بشير
الشهابي والفرها في سبعة وثلاثين بيتا واليك مطلقها :

امن خدما الودي الشك الخال فسج من الاجفان مدعم الخال
ولمعة الخالية لمعة طريفة من علماء العراق لا محل لذكرها هنا .
اما الغزل : فلا شيء ادل منها على سعة اللغة . ولكي اجلو
ذلك اقدم فلا من كثر من الامثلة . ولقد سموا طعام العرس – الويلة –
والنام – الويلة – والولادة – الخرس – والختان – العذار – والقدم
من سفر « الويلة » والمادة والمعدة طعام اي وقت . وقد قيل : يده
من اللحم – غمرة – ومن الشحم – وهمة – ومن السمك – فصرة –
ومن الزيت – فتمة – او – وفصة – ومن البيش – زجة – ومن
الدهن – زخفة – ومن الخل – خفلة – ومن الصل – زخمة – ومن
الفاكهة – لوفة – ومن الدم – غسجة – ومن الطين – دغفة – ومن
الحديد – سكة – ومن العفرة – ففصة – ومن البول – شلة – ومن
الوسخ – رولة – ومن اللبن – فصرة – ومن العجين – لولة – ومن
الجبن – نسمة – ومن التمس – طرسة – ومن الدقيق – ثرة – ومن
السوق والبرز – رصفة – ومن الفرساد – فنتة – ومن البطيخ
– نسجة – ومن الذهب والفضة – فتمة – ومن الكافور – سطة – ومن
التراب تربة – ومن الرماد – رمدة – ومن الخبز – خبزة – ومن
المسك – دفرة – ومن غيره من الطيب – عطرة – او – عيقة – ومن
الروائح الطيبة – ارجة –

.. فتأمل . وهذا نذر يسير من امثلة الفروق واذا رغبتا لاسي
الوقوف عليها كلها وفوقها مفصلا فليتب كتاب القريب المصنف في
عيب والجهره لابن دريد وفقه اللغة للشهابي وكتاب الفروق لابي الطيب
السنوي . الخ .

وهذا يدل على غزارة المادة وبديع البيان اللذين تحلى بهما علمائنا
الاقدمون ولو وجدوا في عصرنا عصر الرؤى التي غيرت كل شيء حتى
من افكارنا والعقول لم اقولوا تجاه لفتنا موقف الجامد التحير . ولفتنا هي
ان اعظم نواحي ترائنا القوموي . فهل يزكو بنا ان لا نلف بجانبها وهي
تقد السير في الهوي وصيرورتها لغة حية عابسة .

واننا نرجى التوسع في بحث هذه المآخذ على متون اللغة ولا سيما معاجمها وعرض طرق الإصلاح التي تقسم لها الكتاب من كل الادرن ولا يعود يصح فيها القول بالتأثر : وقد لا نعدم الحناء داما .

معجمات اللغة العربية وتونها - طائفة من المآخذ عليها - طائفة من طرق اصلاحها .

لا ماعد لنا عن الاشارة العابرة الى امور ثلاثة تلابس هذا العنصر الاول من الموضوع الذي نحن اخذون لنفسه بمعالجته وتحليله في شيء من التفصيل : ا - علم اللغة ، ب - مصادر المعاجم ، ج - تاريخ المعاجم . ان علم اللغة عند القدماء من علمائنا القلوبين هو الاشتغال والبحث في اللفظ اللغة من ناحية اصولها واشقاقها ومعانيها . وعند الحديث من علماء اللغة في العالم اليوم ، هو الاشتغال بحياة اللغة - من اهم نقاط هذا الاشتغال واشطها بحث اللهجات ودرس الاصوات التي ترتكب منها الكلمات . ويبحث من حيث كونها اداة للتعبير عن الفكر ، ومن حيث الاسول التي انتبخت منها كلمات اللغة . وهذه النقطه من ابرز علام النقص القائم في معاجمنا العربية . اصف الى ذلك الاشتغال بظواهر الرابطة بين الظواهر اللغوية ، والظواهر الاجتماعية والظواهر النفسية من تفكير وتخييل وتذكر وحفظ الخ . ولقد ادى هذا الاشتغال والبحث بالعلم الى جمع الحقائق القلوية وتوحيدها في رسائل واسفار مستقلة سميت بالمعاجم وهي شقان : معاجم لفظية ومعاجم معنوية .

ليس يخفى ان هذه المعجمات نعمت بحظ وافر من النسخ في العصر العباسي الثالث . على ان نوانها الاساسية قدم من ارساها في العصر العباسي الاول ، بعد شيء من التهديد لها في العصر الاموي . ومن ثم اخذت سنة التطور تلعب دورها الخطير في ما جاء بعد ذلك من مصور حتى القرن التاسع عشر ، بل القرن العشرين . وهب البيهاتيان العظيمان الملم بطرس والتشيخ عبدالله ، ووضعا معجميهما معجم المحيط سنة ١٨٦٩ والبيهاتيان سنة ١٩٢٠ . ولله كاد استعملهما في التفرع العربي يكون اوسع نطاقا واكثر شمولاً من سائر المعاجم العربية قديها وحديثها وبفضل وفرة في السهولة ودقة في التبيين وجودة في التنية وبراعة في الاختيار .

بما صدر المعاجم : ولقد تم تهديد الطريق لهذه المعاجم يائى ذي بدء ، بعد وضع علماء اللغة من الكتب في اللفظ الموضوعات الخاصة فيها ذكر بعضها في كتب الاصمعي وابي عبيدة وابن زيد الانصاري وغيرها من كتب اللغة والادب ، مثل كتاب - الخليل واسماء الحوشى - وكتب - كساب - وخلق الانسان - الخ الخ . وربما كان في وسعنا ان نحصر ما نواضع عليه لغويونا الهجاءة من رسائل وكتب في اقسام ثلاثة :

١ - معاجم يراد بها تفسير معاني الكلمات المفردة وافرغها في قوالب من ترتيبات خاصة ككتاب العين للخليل المتوفى سنة ١٨٠ هـ او محيط المحيط للبيهاتيان سنة ١٨٦٩ م ، وما بينهما من معجمات يرسو عددها على الثلاثين ويقال لها المعاجم اللفظية .

ب - معاجم يراد بها بيان الكلمات المفردة التي تم وضعها للمعاني على اختلاف نوانها واصنافها ، فجات مرتبة على الاسلوب الانسي : خلق الانسان ، العمل والولادة ، الرضاع والظام ، القضاء السيء ، الولد ، انسان الولد ، شخص الانسان وقامته الخ ..

ج - معاجم افرغت في قوالب الماريج ورسائل في مجموعات خاصة من الالفاظ والمعاني ككتاب ابي حنيفة في النساء والنبات ، والاصمعي في السلاح والابل والفيل ، وكتاب زيد في الفرائز والجرائم وكتاب نجة الزائد في المزداف والتوارد لابراهيم الجاي .

ولقد كان لهذا النوع الثالث من المعجمات السبق في الزمن على قسميه الآخرين . وخدمة الحقيقة لا بد من القول : ان النوع الاول من هذه المعاجم قبل الجودي للمستقل المصري لعلم اللغة الحديث ، ذلك

لان واضعيه انما عنوا بمعاني الالفاظ دون الالتفات الى تقصي معاني كل كلمة في مراحل حياتها ، وتحليل تطورها في مختلف العصور ، وبيان الاسول التي اخذت عنها وما الى ذلك ، مما يحرص عليه جسد الحرس الاخذون الفهم بالتنقيب في علم اللغة الحديث ، ولا سيما في علم المفردات واصول الكلمات - وهذا المذهب الجديد يشغل الحيز الاكبر في معجم من المعجمات الافرنجية الحديثة . ومن خيرة ما وضع في معجمات النوع الثالث اسفار لالفة هي : كتاب الالفاظ المعاصرة ابن السكيت ، وفقه اللغة للشعالبي ، والمخصص لابن سيده في ستة عشر جزءا وهو اعمقها بحثا وادقها تنظيما واشدها استيعابا لسائل البحث . تاريخ المعاجم : ان الامة التي سبقت في وضع المعاجم اللغوية هي «الصين» فقد وضعت معجما يحوي اربعين الف كلمة في القرن الحادي عشر ق .م . وان اقدم معجم لغوي في اللغة اللاتينية الف سنة ٢٨ ق .م . وقد كتب معجم اللغة اليونانية سنة ١٧٧ م . لم ياتي بعدهم العرب وهم اسبق الامة الحديثة التي وضع المعجم اللغوية .

ان اول معجم ترتبت فيه اللفاظ اللغة العربية على حروف الهجاء ، هو كتاب العين للخليل المتوفى سنة ١٨٠ هـ . وقد رتب فيه الحروف حسب مخرجها من الحلق واللسان والاشنان والشفتين . وكان المؤلف افنى اثر اللغة السنسكريتية - الهندية القديمة - التي كانت تبنيء بأحرف الحلق وتنتهي بأحرف الشفتين . ومن يحوت كتاب العين احكام اللفاظ اللغة في أيام واضعه ، فقد نقل عنه السيويني انه احصى فيه عدد ابثية كلام العرب المستعمل واللفظ فيبلغ ٢٢١٢٠٥٤١٢ كلمة .

ولعله اراد ما يمكن تكوينه بترتيب احرف الهجاء على كل شكل من الشائي والتالي والرباعي والخماسي .

وقد اخصر الزبيدي كتاب العين وجعل عدد الالفاظ العربية ٦٦٩٩٩٤٠٠ لا يستعمل منها في وقته الا ٥٥٠٦٠ والياقي مهمل ومن ارقام الزبيدي هذه يبدو لنا ان فيه اختلافا بعض الشيء ، اذ لا يعقل ان يكون المستعمل من اللغة العربية نحو خمسة الاف لفظ ، في حين ان المؤلف ان القاموس للحيطي يحتوي على ستين الفا مادة ، وفي كل مادة من الالفاظ المزيدة والاسماء اللاتينية نحو عشرين لفظ . ولم يصل اليها من كتاب العين الا قطع قليلة والا ما نقل عنه في كتب اللغة كالتزهر السيويني والكتاب لسبويني . على ان الباحثين مختلفون في نسبتة اليه وفي صحة ما ورد فيه من الروايات والافوال . بل اطبق الجمهور من أهل اللغة على الدخ في . وانكر بعضهم كونه من تأليف الخليل ونسبوه الى الليث بن نصر الخراساني ، كما فيه من الخط .

وذكر السيويني - وهو من اكابر علماء اللغة - في كتاب الزهر ، اراد القوم في اصله وجحج القادحين فيه ، ولكنه ذكر ان الغالب في سبب تلك الجملة على الخليل ، انهم حسدوه لتميزه عن سائر العلماء القلوبين بان سبقهم اليه ، وكل سيالي محضود . اذ لا خلاف في فضله على الاطلاق ، وهب انه لم يتم الكتاب في حياته - فله الفضل في تبويه والتشروع فيه ، وعلى الجملة فان كتاب العين تحفة من تحت اللغة ، وللليل فضل كبير في وضعه ، ومن أشد المؤسفات انه ضاع حوالي القرن الرابع عشر الهجري ، وليس من المستبعد ان يعثر عليه الباحثون في المكتبات الخاصة .

وباني بعد كتاب العين مباشرة الجمهرة لابن دريد سنة ٢٢٢ - ٢٢١ هـ ، وهي أهم مؤلفاته وقد ألف هذا المعجم لابن ميكال الفارسيين ، وهما على عالة فارس . فقلدها الديوان وكانت تصدر كتب فارس عن رايه ، ولا يخلو ام لا بتوقيعه . ولقد كان من علماء اللغة الاعدام مقدما في الشعر ولا الفصوة - ٢٢٩ بيتا - التي طار صيتها في الافاق وترجمت الى عدة لغات من بينها اللاتينية . ولها شروح كثيرة ونسخ خطية في مكاتب الغرب .

وهنا استورد لافول : ان استاذي الثابتة نغلة ذريق ، خصني بالقاء ابياتها الحكيمية الكثيرة في اول سنة لس في كلية الشبان

شادية

وغرد الصاد حان الطير والنهر ؟
أيان تهفو ، ويندى بالهوى الحجر
واروتها ، أحقا قد شدا القمر ؟
عجبت أنى بدا في عطفه الثمر ؟
شبابتي ملؤها اللحن تزهدهر
لولاك ما شاقها حسن ولا زهر !

حسن عبدالله القرشي

غنيت لي أنت ؟ أم غنى لي الوتر ؟
أمواج لحنك ينزو القلب من طرب
قد كان يكفي من البدر المضيء سنا
وكان يكفي من الورد الرقيق شذى
غنيت لي ، يا عذاري الشعر ما يرحت
أرعت بالنعيم المخضل أفئدة

الرياض

ذلك خدمة جلى للغة والتشغيل بها .
وفي القرن الحادي عشر هـ شرح الشريف المرتضى الحسيني
القاموس شرحا اضافيا وسماه تاج العروس وهو في طيلة العاجم
الكبرى ، وهو مع لسان العرب اكبر مرجعين لغويين .

وفي القرن التاسع عشر ، وضع المعلم بطرس البستاني مجعده
محيط المحيط وهو يحتوي على ما في محيط الفيروزبادي الذي هو في
اعتقاد البستاني اشهر قاموس للعربية ، بما حوى من مفردات ، وما لا
يعد منه لكل طلائع من اصطلاحات العلوم واللغون . وقد جعل في اخره
فهرسا ادرج فيه اسما ما اشتهر من الاماكن والاشخاص والقبائل ،
ولاسيما ما ورد في ذلك في التصنيف العربية ورتبه على وجه سهيل
المرايين على المعلمة ، فضلا عن الخاصة . وقد اضاف الى اصول
الركان فروعاً كثيرة .

وكان له من صفاء الرؤيا واصالة الرأي والشجاعة الادبية ، ان
ادخل لأول مرة في كتابة المعاجم الشيء الكثير من كلام المولدين في
الحرم المعجمي ، كان في ذلك تنبؤا عما قامت به مجامعنا العلمية واللغوية
فيما بعد من تشجيع للكتاب والشعراء على استعمال الولد وعلى الذهاب
الى الانعاج والقبائس والاشتقاق والمجاز والتعريب ، لمد حاجتنا
اللغوية العصرية ، وهي لا يخلوها عد ولا احصاء . ولهذا اصبح هذا
المعجم قيد الاوابد ومحط النشور . واستحق ان يسمى محيط المحيط
لانه قد جمع ما ذهب في كتب اللغة من شياطين - على حد قوله -
ولقد كابد في التنسيق والتنظيم الشاق والمطام التي حان عليه خطها
في سبيل الوطن ، ولذا كانت اخر كلمة خطها في معجمه :

فيا وطني ان فاتني منك سابق من الدهر فليتغمس لسانك البال
وجدير بالذكر كل الذكر ، ان واضع هذا المعجم المتأخر في جزئيه
الفخمين قد وضع دائرة المعارف في التي عشر جزءا وهي اول موسوعة
عربية في اوائل نهفتنا . ووضع كتاب كشف الحجاب وهو مطول في
الحساب وممتاز في مصطلحاته الصحيحة ومفتاح الصباح في الصرف
والنحو الخ الخ . ولم يشأ طيلة حياته ان يلبث نفسه بواجده من
القائبة العلمية الصعبة ، بل اكتفى بطلب العلم وقد قضى على السره
تلميذه النافذة نظفة زريق صاحب الفضل على النهضة في فلسطين في
مرحلتها الاولى ، بان اكتفى بذلك اللب عينه . فليتها هذا الانعاج
الذي هو في الحقيقة عين المعلمة والارتفاع .

أريحا - الأردن

حبيب خوري

الاعدادية بالقدس - الكلية الانكليزية بعد قليل - في حفلتها السنوية .
هذا وان اكثر كتب ابن دريد هي في اللغة ، ولذا وضع في مصاف
علمائنا اللغويين الاعلام ، حتى انتهت قالوا : ان ابن دريد قام فيها
مقام الخليل ، واورد اشياء فيها لم يكن لها من وجود في كتب المتقدمين .
وفي القرن الرابع هـ ، وضع القاضي البغدادي مجعده السباع
والاژهري تهذيب اللغة ، والصابح المحيط ، في سبعة مجلدات
والجوهري الصحاح ، وهو حسن الترتيب سهل المآخذ صحيح الرواية .
وابن فارس المجلد ، وقد رضى عنه العلماء اللغويون الجليلون .
وامتدحو الاجادة الرائعة في وضعه . وفي القرن الخامس وضع التتائي
القطري مجعده الوهم وهو والبارع من اصيب للمعاجم واصدقها موايد .
وابن سيده الاندلسي الحكم في عشرين مجلدا ، وفيه من اجمع المعجمات
باللغة والاعتبار . وفي القرن السادس وضع الزمخشري اساس البلاغة ،
ومن خصائصه الممتازة انه اورد كل مادة بمعانيها الحقيقية ، فاذا انتهى
منها انتقل الى المجاز فقدم بذلك خدمة رائعة للذين جاؤوا من بعده ،
لم يقدمها احد قبله من العلماء .

وفي القرن الثامن هـ ألف ابن منظور لسان العرب وهو اعظم كتاب
وضع في اللغة ، يقع في ثمانية وعشرين مجلدا فيها نحو من ثمانين
الف مادة . وفيه لغة وفقه ، ونحو وصرف وشرح والحديث ، وتفسير
للقرآن . وقد جمع فيه بين تهذيب الازهري ومعكم ابن سيده وصاح
الجوهري وحواشي ابن بري ونهاية ابن الاثير . وقد طبع في مصر
في القرن الماضي وفي بيروت هذا القرن .

وفي القرن التاسع هـ وضع الفيروزبادي مجعده القاموس وهو
اشهر علماء اللغة في العصر القوي خارج مصر والشام . اتصل بقعدة
السلطان يزيد الشعماني ونال مرتبة رفيعة ومالا طلالا ومن تيمولتلك
نال خمسة دينار . وله مصنفات تروى على الاربعين ، والقاموس من
اكثر المعاجم تداولاً بين ابدي الكتاب ، وهو مرتب حسب اواخر الكلمة
ولقد طبع في لكتنا ، وطبع في مصر مرارا ، ثم في لكتنا وبومباي ،
والاستانة . ونقل الى الفارسية وسماه القاموس وعليه شروح كثيرة
اشهرها تاج العروس وانتقدته طائفة كبيرة من اللغويين المدققين ، من
بينهم احمد فارس الشداقي في الجاسوس على القاموس ، وكل ذلك
يدل على اهمية القاموس في نظر العلماء .

على ان الفيروزبادي وان كان اخطا في مواضع تعقبا للغويين ،
له حسنة كبرى تشفع فيه هي : فسبطه للالفاظ بالمثل لا بالشكل . وفي

غذاء الفكر

بقلم لطيفة الشهابي

فقراته . اي انه كان علي ان ابقى في حالة تيقظ كامل بجميع جوارحي أثناء قراءتي له ، وإذا ما همت لحظة خاع مني المعنى وشعرت بالفوضى والتعقيد ، ذلك بالإضافة الى الثقافة الواسعة التي تمكسها كتابة العقاد والتي كان يصعب علي الاحاطة بمرامها . اما محمد مندور فكان ذا اسلوب معقد ، بل شديد التعقيد ، وكان ضعيف اللغة قوي المادة الفكرية فيأتي تعبيره كثيفا ممثلا مع شيء من الاضطراب في العرض . تلك هي الاسباب التي جعلتني اتفر من قراءة هذين الدبيين الكبيرين كما استطعت ان أحلها فيما بعد . وإذا فيجب ان نقرأ كل شيء ان اردنا العلم ، وان نعتد على توجيهات المرشدين والموجهين ان كنا في مراحل التعليم الاولى الى ان يكون ذلك الارشاد قسرا ولا اكرها، ولكن نصحا وتبيانا لمواطني الفائدة والخير . وإذا عدت الى السؤال الثاني : كيف نقرأ ؟ تبادر الى ذهني ما يصادفنا دائما من ظروف وأحداث . نعطى مثلا إحدى الطالبات قصة بسيطة ونطلب منها قراءتها وتلخيصها فتعيدها البناء بعد فترة وتقول : لم أستطع فهمها ، أريد ما هو أسهل . فالذي يثق بكلامها يستجيب لرغبتها ويعطيها ما هو ادنى منزلة . والذي يعرف علتها يلبسها بالصلاح فيسألها : ما هو الشيء الذي لم يفهم منها ؟ وأية نقطة غمضت ؟ ونطلب منها إعادة قراءة القصة وتحديد الاماكن او النواحي الغامضة لكي توضح فيما بعد . وحينئذ يستعد الطالبة وقد فهمت كل شيء حقا ، فلماذا يا ترى؟ الحقيقة انها في المرة الاولى لم تعرف كيف تقرأ فكانت تمشي في الكتاب من غير ان يستعرض خبرا فانها نسي صفيحة ، يتفحص بهاها من بعض الاطر ويراها لا تدري ، وذلك لانه لم يحصل لديها الترابط بين ما مضى وما يتلوه وبالتالي هي لا تنتظر ما سيأتي ، ولذلك فانها لم تفهم شيئا . أما في المرة الثانية فقد بدأت تقرأ لتعرف الواضح من الغامض ولتسال عن النواحي الغامضة ، ان صادفتها ، أي انه اصبح لها هدف من القراءة . وبهذا التسلسل الذهني ادركت ان ليس في الكتاب غموض وانما في ذهنها عدم دقيق وقلة تسويق وجعل للهدف أو عدم تحديد له . ويؤسفنا حقا ان نجد العدد العديد من قرائنا يقرأ بعينيه دون فكره وببصره لا ببصيرته فلا يرى الا حروفا سوداء مرسومة على ورق أبيض ، وقد بلغ درجة السطحية ان يحفظ الطالب اشكال الحروف ومواضع في المواد النظرية طبعاً ، ويرسمها في الامتحان دون فهم أو استيعاب أو ادراك . ويؤسفنا كذلك من جهة أخرى ان نجد مدرسين ومدرسات لا يعرفون فحوى أي كتاب سوى ما مر معهم أيام تلمذتهم ، فلا يستطيعون ابداء توجيه أو نصيحة لطلابهم أو سائلهم .

فإذا اردنا ان نعرف كيف نقرأ وجب علينا ان نعرف كيف نشته وكيف نربط السابق باللاحق والاسباب بالنتائج، ونبحث عن معاني الالفاظ الغامضة والجمل المعقدة ،

منذ أكثر من عام كتبت مقالات في مجلة «الاديب» تحت عنوان «ماذا نقرأ..؟» ، وكان رأيي حينذاك انه ليس من الضروري توجيه القراء توجيها قسريا نحو نوع معين من الكتب او نموذج خاص من الأفكار والاساليب ، بل يمكن ان نترك لهم الحرية ونبصرهم فقط بما يعود عليهم بالفائدة أكثر من غيره ، ونبين نوعية هذه الفائدة . اما الذين لا يقرأون لهدف بسيط محدد فباستطاعتهم ان يتناولوا أي كتاب ، وليس باستطاعتهم وحسب بل ان ذلك واجب عليهم ، اذ انه من مستلزمات حياتنا الفكرية ان نقرأ ما يلد لنا للاستمتاع به وما لا يروقنا لتعلم سبب عدم استجابتنا له ، وهل هذا السبب تابع من أمنا من الكتاب . والان اريد ان اعرض أجوبة تدور في ذهني حول اسئلة قصيرة كثيرا ما شغلني وهي : كيف نقرأ .. ولماذا نقرأ .. ومتى نقرأ .. وان اتابع الكلام قبل ذلك كله حول الاجابة عن : ماذا نقرأ ؟

ولمواصلة الاجابة عن هذا السؤال الأخير اذكر كيف ان القارئ في بعض الاحيان يرغب عن نوع معين من الكتب لسبب يكاد يجهله ، ثم اذا ما أجبر نفسه على قراءته تبين له خلل حسه الداخلي السابق أو سطحيته . من ذلك انني يوم كنت طالبة كنت اكره القراءة في كتب العقاد ، وقليلاً ما عمدت الى قراءة كتاب من نتاجه . وحدث ذات مرة ان ذكرت ذلك امام احد اساتذتي فقال : يجب ان تقرئي له مرغمة ، واسرع الى رف المكتبة وتناول احد مؤلفات العقاد واعطاني اياه ، وكنت اتق بكلام هذا الاساذ فحملت الكتاب وذهبت الى البيت موطنه العزم على ارقام النفس وقسرها واكرهاها من اجل اتمام هذا الكتاب . وطبعاً انتهت وشعرت حقا بعد انتهائي من قراءته بانني كنت مخطئة في رأيي . وكذلك كان حالى مع مؤلفات مندور رحم الله الاثنين معا . ولقد تبين لي بعد ذلك ان السبب هو عمق الفور الفكري عند العقاد بحيث ان كل جملة من جملة تحتاج الى مجال فسح من ساحة الفكر لتحتله ، وجانب كبير من التفكير ليستوعبها ويحلها . ثم هو بدافع من عقله المستولي على تصرفاته كلها جعل اسلوبه خالياً من كل صنعة فنية مقصودة أو طراوة تعبيرية ، فجاء مفصلاً من جهة ومحفوراً ومنحوتاً تحتاً من جهة أخرى على قدر معانيه ، فكنت لا ارى متنفساً للراحة في أية فقرة من

وإذا كانت المكتبة خليلاً لا تميز فيه بين ما هو مقبل وما هو صارف للقابلية ، ظهرت مهارة المرشد والمدرس ، والذي يعرض الانتاج الفكري في مجال من مجالات العامة كالصحف وغيرها .. فأظهر لقراءته التواحي المغرية الجذابة من الكتب ليقبلوا عليها أقبالا شهيًا . ولو أن هؤلاء المتولين للخدمة في مطاعم الفكر قدموا لزوارهم صورة مولنة للكتاب الذي يستعرضون جزئيات بسيطة من فصوله لفد لدى القارئ نوع من الاندفاع نحو قراءته . وليس هذا فحسب وانما هو الواجب ان نعدد ونطوّر ونبتكر حتى نجذب القراء ونتمكن من اقتطاع جزء ولو بسيط من اوقات هذا الشعب المهذرة فيما لا طائل من ورائه . فيمكن ان نستخدم الاذاعة والتلفزيون من جملة وسائل الدعاية لو ان المسؤولين جعلوا الثمن هذه الدعاية يمكن تحمّلها . ولو قام كل ادب يعنى بنوع من انواع المادة القروية وببويه وينسقه لكان في ذلك جذب اى جذب لقراءته . كان يعنى مثلا احدا بأخبار الرسامين ونواديرهم وقصص حياة مشاهيرهم والكفاح الذي عاشوه للوصول الى ذروة فنهم ليجهل لدى هواة الرسم رغبة في القراءة . ويقعل غيره كذلك ما يشابه بالنسبة للموسيقين ، الى اخره ، ويستطيع كذلك ان يدخل بين ثنايا كتاباته تنفا كثيرة من الثقافة العامة التي يحتاجها كل انسان .. اقول لو فعل بعضنا ذلك لامكنا ان نولد عند قرائنا رغبة في المعرفة والاطلاع ، ولغفينا لكل انسان ما يحتاج اليه فعرّف لماذا بقرا ، وأحس بالحاجة الدائمة نحو تلبية رغبات الفكر وأدرك انه يؤدي واجبا نحو خلقه وذنه .

إلهام السؤال الأخير : متى نقرا فأظن اننا سنعرّف الوقت الذي نقرا فيه متى عرفنا ماذا نقرا ، وكيف نقرا ولماذا نقرا . اي اننا حينذاك سنعمد الى كل دقيقة فراغ في حياتنا فنخصصها للقراءة . قد يقول الكثيرون فراغ ليس عندهم وقت فراغ ، وأقول ان ذلك غير صحيح دائما . فقد تمر بالانسان أيام او أسابيع لا يجد غير متنفس للقراءة الحقة ، ولكنه حين يعرف الكتب التي عليه ان يقرأها والطريقة التي يمكنه ان يستوعبها من خلالها والفائدة التي سيحنيها منها ، فانه لن بعدم لحظات يخصصها لها . وبكلمة موجزة اننا نقرا حين نجد فراغا للقراءة . فكما اننا نقتطع لانفسنا لحظات للطعام ولحظات للضحك ودقائق للتسلية وسويغات للنوم وأوقات للمباداة فانه بإمكاننا كذلك ان نضفط كل هذه الاوقات ونستخرج منها جزءا للقراءة . وبذلك نلحظ المرء دائما ان لديه حاجة الى القراءة في بعض الوقت ورغبة بها . انه جوع فكري يشبه تماما جميع الحاجات الأخرى كما ورد ذلك على لسان العقاد في كتابه « أنا » عن الحاجة العقلية التي تدفع المرء الى القراءة .

فلنقرا ولنستفد مما نقرا ولن نخسر ابدا شيئا بسبب ما نقرا هذا اذا لم نربح الكثير .

لطيفة الشهابي

وحيثذاك نفهم ما نقرا ونستفيد منه . ويمكن ان تشبه عملية القراءة بعملية الاكل تماما . فلو ابتلع الانسان ما امامه من طعام ، دون تمييز كان يأكل بطيخا فقط ساعة الغداء أو يلتهم لوزا دون فصله عن قشوره ، أو قمحا جامدا من غير ان يتحول الى طحين فخبز ، حينئذ سيحس بعدم جدوى هذا الطعام ويموت جوعا أو يبيث عما هو اكثر فائدة . ولكن لسوء الحظ زرّف الكثيرون ذوقا دقيقا فيما يتعلق بالطعمة فيمزوا وانواعها وصنفوها حسب اوقات تناولها ، ويبحثوا في كيفية صنعها وتركيبها من اجل الاستفادة منها . اما الكتب فأغلب قرائنا تناولونها تناولوا عشوائيا فلا يجدون لها اية فائدة ولا يشعرون بأي طعم ، وذلك لان ذوقنا الفكري ضعيف النماء ، ان لم يكن متحجرا ومعطلا عن العمل عند الكثيرين . فلكي نعرف كيف نقرا علينا ان نذكر ما نحتاج اليه عقولنا وما يناسب هذه العقول ، فلا نعطيهما أشياء خفيفة لا تسد رمقا ، ولا ثقيلة تصيبها بالثخمة ، ثم بالتالي نعرف طريقة تناولنا لها بحيث تكون في حالة تبه وفهم واستيضاح بالنسبة لكل ما يغمض ، اي ان نأخذ من الشيء الذي نحس بالحاجة اليه ثم نسعى بقدر نحو ما لا نرغبه لنذوقه فقط ونعترف نوعه فقد نجد فيه فائدة . كما اننا احيانا نرى طعاما جيدا علبا كل الحدة فتتناول بعضه بطرف لساننا فاذا به مقبول فنستزيد بعض الشيء واذا بنا نصبح من المفضلين له والراغبين فيه .

والان اعتقد ان الاجابة عن السؤال الثالث غدت قريبة الى الاذهان فالذي يقول : لماذا نقرا ؟ نسأله نحن بالتالي : لماذا نأكل .. لماذا نشرب .. لماذا ننام ؟ لماذا نقرا ؟ فليس بالناهي .. لماذا نتحدث .. فنعمل ذلك لاشباع رغبات في ذاتنا ، فنقول له ونقرا كذلك لاشباع رغبات في ذوقنا وعقلنا . والذي لا يجد رغبة في القراءة يكون فكره مصابا بقلّة الشبهة ، تماما كالعادة التي تحتاج الى مقبّلات . ولكن صانعي الاطعمة اكثر منا مهارة ، نحن عارضي الافتكار في اطر الافلاط ، فقد تفتن اولئك في ابتكار المقبّلات التي تدفع المرء الى الطعام دفعا . اما نحن فما زال نشاطنا قاصرا في هذا الميدان . او ربما كانت وسائل الدعاية الى هذه المأكولات اكثر قصورا مما نتصور ، ولذلك فنان الكثيرين لا يفهمون حتى فائدة القراءة ، ولا يعرفون انها اشباع لاحدى الحاجات الاساسية في الانسان ، وان الذي يكره القراءة كالذي يصاب بمرض من الامراض المنقرّة من الطعام او الشراب او النوم او الاجتماع .. الخ .

فعلينا نحن رواد مادة القراءة ، ان نبين للناس فوائدها ، وتقدمهم لهم باطباق شهية مكلّلة بأعواد النعنع والبقول ، ومستوفية حاجتها من البهارات ، معتدلة الملوحة والحاموضة والحلاوة بحيث تقبلها معدائهم العقلية وتقبل عليها ، كل حسب ما يناسبه . فاذا تم لهم ذلك مالوا الى ما هو اقل متابة لعلمهم انه مليء بالفائدة وان خلا مظهره من الهرج والزينة .

دمشق

بين عالمة الادب والعلم

بقلم سمير عبده



شك ان الفاصل بين العلم والادب ليس واضحا وضوحا تاما يمكن القارئ من أن يقول هذا علم وذلك ادب ، لان الواحد متداخل في الاخر في كثير من الاحوال ، فالعلم ادب من بعض الوجوه والادب علم من بعض الوجوه . واذا قصدنا بالادب اوسع ما يتطوي تحت الكلمة من المعاني ، فصدنا القول كل ما ليس علما ، واذا صح لنا ان نقول ان العلم مادي محسوس من جهة ، ويميز بالتجارب في معامل فنية من جهة اخرى ، جاز لنا القول ان الادب معنوي روحي لا يستند على مقاييس مضبوطة ، ولا يدخل في دائرة المعامل التجريبية الدقيقة .

وكما ان العلم في حاجة الى ادب يحمل رسالته الى القراء من جميع طبقات الناس حتى يستطيعوا الانتفاع به في حياتهم وأعمالهم اليومية ، كذلك الادب يحتاج للعلم حتى تكون عبارته مؤيدة معزة مستندة على عمد فلواذية متينة من الحقائق الواقعية والآراء الواقعية التي فحصت فصحا ، وخرجت من بوتقة التجارب ناضجة وزرنت في الموازين الفنية فوجدت كاملة . ومن المؤسف القول بهذا ادباءنا لا يخفون بالعلم ولا يأخذون انفسهم بدرسه والالام بطائفة حسنة منه ومن جهل العلم - ولا سيما بعض العلم - فقد جهل الحياة . ولست ادري كيف يستطيع الاديب ان يكون ادبيا حقا دون ان يكون ادبه صورة من صور الحياة . ولست ادري كيف يستطيع الاديب ان يصور الحياة وهو يجهلها ولا يعرف من اسرارها ودقائقها ولا من ظواهرها وقوانينها شيئا .

ان الاهتمام بالعلوم في ايماننا هذه لم يعد مقصورا على بلد ممتاز ، ولا على اوروبا . لقد زحف على المعصرة وأصبح دوليا . فكل المشاكل تدرس في نفس الوقت في كل مكان . ومن الصعب اليوم ، ومن المستحيل غذا العثور على مواد يمكن البحث فيها دون معرفة بالابحاث المكتوبة بلغات اجنبية . وهذا ما يحتم على كل ادب او كاتب ان يكون ملما باكثر من لغة اجنبية ، خاصة ما كان منها لاتينيا كالانجليزية والفرنسية . وهنا نجد قضية جديدة حقا في الادب ، وهي قضية «العالمية والمحلية» وامام هذه القضية يختلف الادب القديم والادب الحديث اختلافا جوهريا ، فان احدهما يبدأ من حيث ينتهي الاخر ، وفي بيان ذلك اقول : ان الادب القديم كان محصورا في مجتمعه ،

محدود الافق ببيئته ، متقطع الصلة بالعالم الخارجي وما يقع فيه من أحداث الى ان تؤثر هذه الاحداث في حياته ومصالحه تأثيرا مباشرا وهو في مجاله الضيق ذاك يجد في الخيال اداة كافية لتوسيع مجال تجربته ، فاذا به يلتبس به الوقائع الجزئية ، والعلاقات المحلية المعاصرة له وسيلة الى فهم العام من بين التفصيلات ومن ثم كان دور الادب تجريديا حين يحاول ان يستخلص من الخاص ذلك العام ، حين يخرج من المحلي الى العالمي ، حين ينتقل من الفردي الى الانسان .

هكذا كان طابع الادب القديم ، ولم يكن من الممكن في تلك الظروف التاريخية القديمة ان يكون غير ذلك . على ان العصور الحديثة قد دخلت فيها عناصر حيوية قلبت هذا الوضع رأسا على عقب وأخص من هذه العناصر التقدم العلمي الذي احززه العالم ، والوضع السياسي او - لكي اكون دقيقا - الوعي السياسي الذي دب في كل زاوية من أركان هذا العالم .

اما من الناحية العلمية فقد كان للنجاح الذي احززه الانسان في هذا المضمار اثره في خلق مجموعة من القيم الجديدة والعلاقات الجديدة بين شعوب العالم . وليست سبيلة الاتصال بين هذه الشعوب الا اثر من آثار العلم الحديث . وكان من شأن هذا الاتصال السريع اليسير ان نشأت علاقات كثيرة بين الشعوب ، وأصبح التعامل بين بعضها تريبا واقتصاديا امرا لا سبيل الى دفعه . ومن ثم أصبح ما كان الادب القديم يراه خيالا حقيقة ملموسة وأصبح الآخرون ، وان كانوا بعيدين ، يعيشون في حياتنا ونعيش في حياتهم ، وتبادل معهم التأثير والتأثر . ومن ثم لم نعد في حاجة الى عقاب خيالي نسبح فيه لان عالمنا قد صار رجيا بما فيه الكفاية .

وليس هذا وحده اثر التقدم العلمي ، فقد غير العلم كثيرا من معارفنا ، وأطلعنا على أشياء كنا نجهلها ونحسب خفيا فيها من وهم الاباطيل . وهذا الوعي العلمي كان له اثره في حياة الاديب المعاصر . وتكتشف الحقائق العلمية للاديب المعاصر يساعده على تشكيل فنه على اسس فكرية غير التصورات الوهمية القديمة .

ولم يكن في الادب القديم أي اثر لوعي علمي كهذا ، لان العلم ذاته ، فضلا عن أنه كان بعيدا عن متناولهم ، كان مزوجا بعصر خرافي في كثير من الاحيان . وقد ظل هذا داب الادباء حتى بعد عصر النهضة في اوروبا . وكما يقول ايفور ايفانز : المؤكد ان الشعراء وغيرهم من الكتاب الإبداعيين في القرن السادس عشر لم يشعروا على أي نحو قوي بأثر العلم ، والظاهر ان شكسبير كان مكتفيا بكتاب بليني Pliny التاريخ الطبيعي وبوجهة نظر العصور الوسطى في علم الفلك . ولكننا بعد ذلك سرعانا نجد العلم بنظرياته الحديثة يتغلغل في عقول الادباء ، بل ربما شاركوا هم فيه ايضا مشاركة فعالة كما

غذيني اليك

تجريت .. أيهما أعظم !
فثرك ينشق عن شفتين
يد الله قد أبدعته فما
فم لو جرى فوقه علقم
وصدرك .. ؟ ما الصدر إلا سنا
فصدرك والثغر أنشودتان
وهل تسعدين بهذا الجمال
أحقا شقيت به ؟ أنني
غذيني اليك .. لنسوء به
فاني أخاف عليك يدا

مقبل العيسى

جدة

أشعر فيها وأنا هي مخلوقة فيما كتب عندما جادت به
فريحته كيلا أن يعرف الناس قدره وقدر آثاره .
أن الأدب العالي ليس مرتبة من مراتب السمو يرتفع
إليها الكتاب ، ولكنها حالة من الحالات تتيهر
أسبابها فتظهر ، وتختلها هذه الأسباب فيختلها الظهور .
وقد كان للفارس شعراء عالميون ولم يقل أحد أن
الأدب الفارسي أغنى بالذخائر الشعرية من أدب العرب
أو أدب المصريين . وكل ما في الأمر أن شعراء الفرس
العالميين ظفروا بالترجم الذي أذاع آثارهم في اللغات
الأوروبية مناسبة عارضة وجدت في وقت من الأوقات ،
وكان من السهل ألا توجد فيبقى أولئك الشعراء مغمورين .
هنا تبقى الحقيقة بعض الأحيان مغلقة دون معرفتها ،
ولنا أن نقول الآن ونحن نعلم في جو المدنية والحضارة ،
أن التقدم العلمي ساعد الآن على إفراح الرقعة التي
يعيش فيها الأدب الحديث من وجهة ، كما عمل على
تعميق فهمه للأشياء خارجه ، وخارج إطار بيئته المحدودة ،
ومن ثم أصبح من اللازم للأدب المعاصر أن يكون على صلة
بالأفاق الإنسانية العالمية ، كما أوضحنا في بدء المقالة ،
حتى يستطيع تصور وضعه المحدود في بيئته المحلية ،
أنه يفهم العالم لكي يفهم نفسه ، أو يفهم العام لكي
يفهم الخاص .

دمشق

سمير عبده

صنع غوته مثلاً . وقد كانت نزعة الشك في الأدب الحديث
أثراً من آثار التقدم العلمي ، والشك ليس سوى فقدان
الثقة في القيم القديمة .
وهنا قد يقال سائل ، وقد أشرنا على خروج تفاعل العلم
مع الأدب : هل الأدب العالي أرقى وأجمل وأفضل من
الأدب القومي المحصور في أمة واحدة ، لأن الأدب العالي
يعرف في أمة عديدة ولا يعرف الأدب القومي إلا في أمة
دون غيرها . أن هذا وهم في الحقيقة . لأن كل أدب
ذاع في أنحاء العالم إنما كان قبل ذلك مقصوراً على البلد
الذي نشأ فيه ، فإذا كانت له مزية نفسية فهذه الميزة
مستقرة فيه ملازمة له ، وليست هي بالمزية التي تطرا
عليه عندما يترجم وينقل بالترجمة إلى لغات كثيرة .
هذه ناحية جدير الانتباه إليها حين نستعرض أعلام
الأدب والفكر العالميين ، فقبل فترة من الزمن كتبت إلى
زميل لي في إحدى عواصم الفكر الأوروبي استشيرته في
ترجمة كتب لكاتب معين ، له صيت وأسم رنان في عالمنا
العربي ، فكان جواب زميلي عبارة : لا كرامة لنبي يمين
قومه ، وذكر لي أسماء كتاب يجهلهم معظم كتابنا وأشار
إلي بترجمة كتبهم إلى اللغة العربية .

هذا المثال يوضح كم يظلم المستشرقون أو العربون
حين توجيه الانتقاد إلى شخص أو أشخاص اشتبهوا في
سنة من السنين ، لأن القدرة الأدبية لا تخلق لشاعر أو
لكاتب أو لأديب في سنة من السنين في تلك السنة التي

— لا . رمضان ولد يعجبك ...

لكنه تعبان .
وسرعان ما أخذت بناصية الحديث الى أشياء أخرى ، ونسيت رمضان تماما ، في نفس الوقت الذي بدأت نبرات صولها تتحول الى حالة همس ونجوى واشتركت عينها وحاجباها في الحديث ... وبين الأونة والأخرى كانت يدها تمتد لتسهم بقسط ما في تبادلها .

كان من الصعب على رمضان ان يفهم الحديث الذي اكتسب طابعا أكبر من سنه ، وخاصة مجالات يقصر عن ارتدادها عقله الصغير غير انه وجد نفسه منساقا الى متابعته فقد شدد المرأة ناظره وان صاحب ذلك أشمأزاه المشوب بالمرارة .

لم يكن يفهم ما تهمس به المرأة حيناً ، وما تجهر به حيناً ، غير انه أحس بأعماقه تضعف الغيوم التي كثيرا ما تحجب الحقائق عن الطفل ، وشعر بمرارة تنسرب الى حلقه ، ووجد نفسه يسدد نظرات حادة اليها ... نظرات كفيفة ان تعكس الصورة القائمة التي استقرت في ثنايا نفسه ، وتني متابعته الطريق واستملاحه لما يرى ... ولم يكن يصرفه عن مراقبته المرأة سوى التفاناتها التي كانت تصوب نحوه سهاما قاتلة من الحقد والاستصفار والضيق ... وأكد له ذلك جانباً من حديثها ، وهو الذي استطاع ان يفهمه من بين ما دار من حديث .

— أين أنت يا حنفي منذ مدة ؟
— مشغول والله في ستوته .
— مشغول ؟ ... مشغول بماذا ؟
وشحك حنفي ، رآه رمضان يضحك بنشوة ، ويهتز ، فازداد جفاف حلقه ، وأحس بتدفق العرق من تحت أبطيه ، ومن مسام وجهه ، وسمعه يقول :

— لا ... رمضان هو الذي شغلني .
— شغلك ؟ لماذا ؟ . يذهب الى امه ويريحنا .
وأحس رمضان بضربة مفاجئة

الحدقات أكثر فائتق وصاحبها اتساع أذنيه ، فقد تناهى الى سمعه صوت يناديه : قف يا حنفي .

انه صوت يعرفه من بين الآلاف الاصوات ... انه يعرف صاحبه جيدا ... معرفة قديمة ، وكثيرا ما كان يتأخر عن زوجته من أجلها ، ولكم قال لها ان الوضع الطبيعي ان تكون هي حيث تكون زوجته لانها وحدها هي التي (تفهمه) وهي وحدها التي (تعدل مزاجه) ، وكثير من الاصوات نادته من قبل ، غير انه لا يهتز الا لهذا الصوت ، فصاحت بصوت اقرب الناس الى نفسه ، وهو في شوق عظيم الى رؤيتها لان ظروفا حالت دون ذلك منذ اسام

العربة والطريق

بقلم يوسف نوفل

http://ArchiveBeta.Sakhr.it.com

عديدة مضت .
أوقف العربة وراحت عيناه تخترقان الزحام ، كأنما تحاولان انتشالها ، واستطاع أخيراً أن يتبينها حيث بدت جميلة كهده بها ، وشرعت ابتسامة عريضة تراقص فوق شفتيه ، ونظرات زائغة تلمع في عينيهِ ، ووجع بها ، ثم ركبت العربة ، واستأنفت السير .
— هو هذا يا حنفي ؟
وغمرت بظرف عينها اليسرى نحو رمضان .

— نعم ... سلم عليها يا رمضان .
— وما له مقفل هكذا ! .



أصلح «حنفي» من هيئة فرسه بعد ان قدم له قدراً كبيراً من الماء أطفا به حرارة الرحلة الطويلة التي قطعها منذ الصباح الباكر حتى الظهر . وقبل ان يصعد الى ظهر عربة «الكارو» دأب ابنه «رمضان» الذي كان مشغولاً بمتابعة صبي في مثل سنه - السادسة - يسير في يد امه ، وكأنما كانت مداعبة أبيه قرصة قاسية انتشلت من ذوبانه التاملي ، وقطعت عليه متابعة ذلك المنظر الذي يرتبط بانطباعات راسخة في أعماقه ، وبدأ يحول نظره الى أبيه بمشاعر متبلدة جافة .

جذب حنفي طرفي الحبل الذي يصله بالفارس وبدأت العربة نفي التحرك وأخرج من جيبه بعض الحلوى وضمها في حجر ابنه قائلاً : كلها يا رمضان .

ولم يصنع رمضان شيئاً سوى ان وضع عليها يده ، وراحت عيناه تطوفان فيما حوله وتحملقان قليلاً فيما تستلحانه في صمت ، غير ان السمة القالبة على تلك النظرات كانت السرعة والكتابة ، وعدم الاكتران .

وحدث أكثر من مرة ان حاول حنفي ان يحطم جدار الصمت الذي صنعه كتابة رمضان ، بيد ان اصرار رمضان على التزام الصمت أسلم حنفي الى حالة من اليأس مع شيء من الضيق بدأ يغلي في صدره ، أخذت العربة تشق طريقها الفاص بالناس ... شقت المتاب المتراخمة في «الغورية» وخلفت حي الحسين وراءها ، وبدأت مرحلة جديدة على حي «الحسينية» وبدأت تسير على مهل ، ورمضان ما زال صامتا ، وعينا حنفي تتفحصان في استشراف متسع الحدقات ، كأنها تبحثان عن شيء ضائع ... ووجهه قد تلفع بهيئة جديدة ، وان بدت فيه ملامح قاسية مكشرة موزعة بلا نظام ، كأنها خطوط الفحم الاسود ، ونجاة ذابت السحنة الجليدية ، وبدأت الخطوط الفحمية السوداء تزول واتسعت

سريعة ، كانها السكينة الحادة ،
تفوس الى اعماقه ، وشعر برغبتيه
الاكيدة في البكاء ، وكادت الدموع
أن تطف من عينيه ، وخشسي أن
يراه ابوه ، فحول وجهه عنهما ،
وتظاهر بمتابعة الطريق .

وتبادلا الحديث الهامس بضغ
لحظات ، ثم نزلت المرأة بعد أن
ودعت حنفي بعناية وهي تكرر : لا
تنس يا حنفي ... لا تنس .

ذهب حنفي الى بيته وأوقد ذبالة
محترقة صبغت الحجرة المتواضعة
بارناشات باهتة تنقيض لها النفس ،
وبدت الحجرة كتاع بشر تتناثر فيها
قطع مختلفة الانواع والاحجام بينما
انزوى رمضان في ركن من أركان
الحجرة متقوسا ، وعيناه مسددتان
الى أرض الحجرة ، ولف هذا كله
صمت ثقيل ، بدده حنفي بهمسة
حانية :

— تشرّب يا رمضان ؟
فاجاب باقتضاب : لا .. ثم دنا
منه قليلا ، وقال له مبتسما :

— ما رايت يا رمضان لو عاشت
هذه المرأة معنا ؟

وسكت رمضان ولم يرفع عينيه
عن الأرض ، فاحتواه حنفي ببديه
واخذ يقبله ويقول : لم لا ترد يا
رمضان ؟ ... ستحضر لتنظفك
وتؤنسك .

وانتفض الصبي كالملسوع ،
وتخلص من يدي أبيه وانتصب وسط
الحجرة ، والظلال الشاحبة تصوبها
الذبالة نحو وجهة الضامر الصغير ،
وقال نائرا :

— لا .. انها تخيفني انها
تكهنى .

وانهار الصبي على الأرض كما
ينهار عمود صغير وقد ارتفع صوته
بالبكاء . وتناولوه حنفي بين يديه
ونظراته تحديق فيه بشروء ذاهل
دون أن تحرك شفاهه بكلمة .

ارتدت الى ذهنه كل الصور التي
مرت عبر طريقه في الفورية ، استعاد
حديثه مع ستوته ، تمثله كلمة كلمة ،

وحينئذ بدت له في صورة أخرى ،
أحبس نحوها بشيء من البرود ، بل
ربما امتزج بهذا الشعور نفور وخوف
... فقد كان كل هذا قليلا أن يقدم
بين يديه ارماسا سريرا لحياته التي
كانت على وشك البدء ... فقد كان
من المقرر أن تحتل «ستوته» فراش
أم رمضان ، وتصبح سيدة الحجر
الضيقة القابعة فوق أحد السلطوح
بالحسينية ... فاي مصير كان
ينتظر رمضان وأي قلق واضطراب
كان سيحرك اجراس التعمب في حياته
وشعر بدوار عنيف يلف به في انحاء
الحجرة ، وغشاوة تظلل عينيه ،
وشعر كأن قلبه يوشك أن ينتقل من
مكانه .. وتنبه بعد ذلك الى رمضان
فاحتضنه بعنف ، وتاهب لينام ولكن
ما يشغل باله ارقه .

في الصباح اخذت العربية طريقها
مجازاة (الحسينية) ماضية نحو حي
(الحسين) ، ورمضان صارد الدهن
لا يدري من أمر العربية سوى أنها
جاءت جولانا في سبيل لثمة الشغل ،
وليس من واجبه إلا أن يجلس هذه
الجلسة التي بدأ عهدها منذ غادرت
البيت .

اخذت العربية تتجه نحو تلال
(الدراسة) حتى بلغت أكواخ الصفيح
المتلاصقة ونزل من العربية ، وحمل
رمضان بذراعيه ، والصبي يتشم
الطريق صامتا ، وشيء من التردد
يجتاح نفسه فربما تصرف معه أبو
زوجته تصرفا خشنا لا يقبله ، ثم
تمتم قائلا : كله في سبيل رمضان .
وتوقف امام (غرزة) ... كان
يعرف طريق صهره متولي أبو العزم
الذي قابله مرحبا : خير . ثم احتوى
رمضان بذراعيه ، والصبي يتشم
ويقول بلهفة وشوق :

جدي .. جدي . أين امي ..
أين امي .
وتحرك الثلاثة بعد دقائق يتقدمهم
«متولي» الى أحد الأكواخ القريبة ،
وكم كان بوده أن يقطع المسافة
الصغيرة فيما بينه وبين الكوخ

بخطوة واحدة لولا أن شيخوخته
ثبطت النشاط الذي دب في خلاياه
منذ لحظات ، ومرق الى الداخل
ومعه الصبي ، وانتظر حنفي وحده ،
وفي الخارج تناهى الى أذنه صوت
رامش يصيح في لهقة بالغة : رمضان !
ثم زقزقة قبل ، وصلى بكاء
مكتوم ... وبدا صوت رمضان ضعيفا
لم يفسر منه شيئا ، وأحس بنشوة
غريبة تختبر في عروق رأسه ،
وساعتها ابتسم ، وود لو رأى هذا
المنظر بعينه ، غير أن انتظاره لم
يطل فقد خرج له متولي يقول له :
اتهنيا يا سيدي ... ربنا المسامح
.. والصلح خير في سبيل الولد
المكسّر .

ودخل حنفي الى الكوخ ، وشد
على يد زوجته التي دفنت وجهها في
بها اليسرى واجهشت بالبكاء ، غير
أن هذا البكاء كان خير دليل لحنفي
على موجة الفرح التي اعتصرت قلب
زوجته .

وما كادت الشمس تتوسط السماء
حتى كانت العربية تأخذ طريق العودة
الى الحسينية بقودها حنفي ووراءه
تجلس زوجته محتضنة رمضان
ومشاعر دافئة تنال في أعماق
الثلاثة ، وعلى شفاههم ترقص
ابتسامات سعيدة ، ومزيد من الدفء
يفسر قلب رمضان .

القاهرة

يوسف نوفل

يصدر قريبا في البحرين

بقايا الفدران

مجموعة شعرية

للشاعر الشيخ

أحمد محمد الخليفة

في طباعة ابتقة فاخرة ويحتوي

على أكثر من ستين قصيدة

شعرية رائعة

مكتبة الاديب



التاريخ العربي وبدايته

تأليف امين مدني - الجزء الأول - ٢٨٠ صفحة - حجم كبير - منشورات دار المعارف بمصر ، القاهرة

ليست كتابة التاريخ سهلة ومتاحة بدون عناء أو عناد . فالتاريخ السرد ضرب من القصص الملل ، والتاريخ الذي يخلو من روح المؤرخ هيكل فارغ يودي في فضائه الريح ، ولهذا فإن بعضاً من مكري عصرنا ، وبخاصة في الغرب يكرهون التاريخ ، بل منهم من لا يؤمن به ، ولقد كان النشار العظيم يول فاليري ينكر التاريخ ولا يجد له ميسراً ولا جدوى في الوجود .

وكيف تم مثل هذا الامر ، أو طرحة الآراء الصواب مطاحن النقد والاهمال ، فإن التاريخ علم عرفته الإنسانية منذ كانت ، وقدم من اجله مؤرخون قدامى في أعني الزمان مثل سترابون وشياهمه متوتجا خالدا على الدهر ، يحفظ اخبار الفاريس للحاضرين ، فنشا علم التاريخ نشأة جديدة ولقدت بعض الامم بعضها فيه ، وكان لامتة العربية اسهام بالغ في عاله الواسع ، حتى تكاد اثارنا الخوالي في التاريخ تبلغ ثلث النتاج في حية الفكر العربي بكل العصور .

اما كتابة التاريخ فشيء آخر. فمن المؤرخين من يوردون الحوادث بطريقة القصص ، ومنهم من يجعلون هذا السبيل وينقلون الصوالت نقلا من غير أن يكون لهم أثر فيها ، وهذا اسوأ أنواع التأليف في علم التاريخ . وكانت هذه حالة التاريخ حيناً من الدهر عند الفريبيين حتى جاء المؤرخ المعاصر واضع منهج التاريخ الحديث فوستيل دو فولانج فجعل للمؤرخ التوبة البارزة والرموقة في تأليف التاريخ ، فطالبه بآرائه فيما يؤرخ وموقفه من الحوادث ، وجعل التاريخ القارئ دين البحث والدرس الحديث .

وكانت هبة التأليف التاريخي في عصرنا العربي عرفنا مؤرخين من طرز اشتات ورحمت الوب بينهم على مؤرخ كالذي يريد دوفولانج ، ولم تجد العالم العربي الحديث محروما هذا الفضل ولقد ازدت اعجابا حين تفصل صديقي المؤرخ العربي الكبير الأستاذ امين مدني فاعدى الى الجزء الأول الطوبوع من موسوعته التاريخية «العرب في احباب التاريخ» وجعل اسم الجزء الأول منها الطوبوع «التاريخ العربي وبدايته» .

لقد ضم هذا السفر النفيس كلام المؤلف التانيخ على عصور ما قبل الاسلام فيبدأ بتخليط فكري لقضية التاريخ العربي ، وكيف وفق موقف التثبيت العادل امام ليجج التاريخ العربي في خضمه الواسع معترفاً للاقدمين بالسبق والتقدم ، وأنه يكتب تاريخه تعنياً وتنقيسة وتوسعة ، حاملا بيده شمل التحقيق العلمي الذي لا ينبغي ان تخدع اشعته الكاشفة ، مقدرا عسر المهمة التاريخية التي نهض بها في التأليف الحديث ، إذ يجد بين يديه تبا كثرًا مختلفات الألوان والمتازع في الحوادث الجسام ، يتكهنها القموض ويشوبها الوضع نقلت الى مائلنا الفكري نقلا بغير بحث أو درس أو تمحيص، وما كان منها قد تعلق بهذه الحلية المقودة قليل . لكننا جمعت فاعومت ، وعلى المؤرخ

الحديث ان يتناولها بالتفتيح والتفتير .

ولقد بين المؤلف ما كانت تصنع الشعوبية في افساد التاريخ العربي من دس التزوير فيه وبعت التشويه الذي يقضي على حقيقته خلال العصور . وحين جاور المؤلف القدير في بحثه هذا الذي جعله مقدمة بقلمه لكتابه ، اخذ باصول التاريخ العربي ، ولما صار الى كلامه على الخصوم الذين كسروا منابع التاريخ العربي ذكر فريشا وما كان منها من الذي وتكر الرسول محمد صلوات الرحمن

عليه ، وعنت وارهاق ، فاشفق من أن يكون القرشيون كلهم أباً لهب وأبا جهل وابن الحارث من الاعداء الالءاء للحركة الاسلامية ثم اخذ يذكر اصحاب الرسول المتأففين عنه أمثال قصي بن كلاب وعبدالمطلب بن هشام وورقة بن نوفل. ثم ملأ في مقدمته يذكر الطيات التاريخية ويناقش عوامها حتى صار الى عهد الصليبيين في مغازبه للديار العربية ثم حظ رجال بحثه في الاستعمار الحديث وما ادخر الفرييون من المصرة للشعوب العربية مبينا الجهاد العربي المعاصر في ديار العروبة الواتبة .

وقد كانت خطة كتابه هذه في مقدمته اشبه بمخلص لرسالة دكتوراه رمى بموضوعها الى مدى بعيد في البحث والاعداد ، وصحة الحكم ، حتى ان كتابه هذا استطاع ان اعد مصدرا جامعا للتاريخ العربي الذي نهض به المؤلف .

ولست اجد من المباح بمثل هذا المقال الذي يصف شذى الزهر وفوح العطر ان اظف طاقة من رباحيته التدايا لادفعها الى قرائي في «الاديب» الاثر دون ان اذكر لهم انواع هذه الازاهير وبناتها واصصها واشكالها ، فمن لي بأن اشرح لهم في موضوعاتها ما كتبه المؤلف الكبير في بؤبؤه المستغففة عن قلب الالءاء بالهذه المهد لالحضارة الإنسانية وكيف حكمت الدول القديمة وتم دامت عهود حكمها والاديان المتبعة في جزيرة العرب وتاريخ اللغة العربية وظهورها والخط العربي والخطوط في الفلأا التي عاصرت الوجود العربي القديم . ولم يفس من أثر الحضارة العتيقة المصرية والافريقية والرومانية .

ولقد آتت الوفلة المرحه عند كلامه على التشر العربي كيف مثل لغة العرب واحتفستها وطربت لكلامه على الحضارة العربية بالاحالة وما وراء البحار وعن تجوال العرب في العراق وسورية حين تكلم على حضارتيهما وعلى حضارة وادي النيل . وكانت خاتمة ططافه في كتابه الكبير كلامه على قدم التاريخ العربي ومنايته العتيقة وعلى صحة المصادر التاريخية وكنه هذه المصادر .

وقد آثر صديقان للمؤلف جيلان ، واحد له شهرته في عالم الدراسات الدينية الاخرى والآخر له في العصر الحديث الصدارة في التاريخ القصصي ، فكتب كل منهما مقدمة صافية وتعليمية لكتابه هذا الجليل . فالأول هو الشيخ المجتهد العميد محمد المدني عيبد كلية الشريعة بالجامعة الأزهرية بالقاهرة والثاني صاحب «تاريخ ما اهلته التاريخ» وهو الكاتب المشهور الأستاذ حبيب جاماني ، وقد عرفتهما بصاف التخليل حق المعرفة وحق الصداقة ولي مهما عهود ولقائات كثيرة ، وقد كان كل منهما يراحم الآخر في الإعجاب بكتاب المؤرخ العربي المعاصر الأستاذ امين مدني الذي يسكن المدينة المنورة وهو من عيون الفكر فيها محفولا بتجلة مواظبه ولتدبر العالم العربي .

واعود بالقول لقرائي الازفة في «الاديب» الحبيب بأن القلم مهما يبدل من جهد ظن يستطيع حمل ذلك الارباع الفواح من كتاب الأستاذ امين المدني ، ولا بد ان من ممارسة البستان ذاته لقطاف ازاهيره الجميلة ، فالا بد بخلاته لتدبة .

زكي الحاسني

حصاد الذكريات



الارباب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بمؤها شهر

يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك الصادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.د.

في الخارج : ٢٥ ل.د. او ما يعادلها بالبريد الصادي

٥٠ ل.د. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد الصادي

٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.د. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.د. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

المقالات التي نرسل الى الاديب ، لا ترد

الى اصحابها سواء نشرت ام لم تشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

الادارة : ٢٢٢٨١٩ Dir : 223819
تيليفون : ٢٢٥١٢٩ Die : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب - صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت - لبنان

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البيير ادب

ديوان شعر - عبدالله يوركي حلاق - يصدر الديوان في اوائل الشهر الجاري عن مطبعة الفصاد بحلب - وفيما يلي مقدمة الديوان بقلم الاديب الشاعر محمد عبدالفتي حسن وهي خير تعريف بالديوان .

قل للذين يجزعون من كتابة المقدمات في ديوان الشعر : لا تجزعوا ، ولا تنصوبوا انها بدعة ؛ وعلى فرض انها بدعة فهي ليست من صفات البدع ، ولكنها من مستحباتها ؛ وعلى كل حال ، فتقديم ديوان الشعر بغير اقلام اصحابها الشعراء ، في ميترات القرن العشرين ، وهل كان القرن العشرون الا بداية لكل ابتكار طريف ؟

فحينما اصدر الشاعر الرقيق «احمد نسيم» ديوانه سنة ١٩٠٨ تولى تقديمه الى القراء اتان احدهما الكاتب الناقد الكبير المرحوم محمد ابراهيم هلال ، ولكنها كانت مقدمة في موضوع «الشعر» جملة ، لا في الديوان الذي يقدمان له . ومن طريف ما نقله صاحبا المقدمة عن تعريف «الاميرين» للشعر قوله : «الشعر هو تجسيم ما يلهم به الفكر ، وبصطفية الصمير مما في الطبيعة من المناظر الجميلة ، والانغام المتناسبة التي لا ينبت عنها السمع» .

ويظهر ان الناس في ذلك العهد ، الذي ظهر فيه ديوان احمد نسيم ، كانوا على حيرة من امرهم في تعريف الشعر وماهيته ، الى حد ان المرحوم المؤرخ جرجي زيدان لما اصدر الجزء الاول من كتابه «تاريخ ادب اللغة العربية» عرف الشعر تعريفا حديثا وازن بينه وبين تعريفات القدامى حتى عثر ابن خلدون ، الذي خطا في تعريف الشعر خطوة جديدة ...

وحينما ظهر الجزء الثاني من ديوان عبدالرحمن شكري سنة ١٩١٢ حمل المرحوم عباس محمود العقاد لواء تقديمه . ولعله قصد بهذا ان يدافع عنه ، ويدفع ما اتهم به من القسوة وبجاذبة الاسلوب الفرنسي ... وقد اكرر العقاد تعبير «الاسلوب الفرنسي» هذا تكرارا شديدا ، وقال بنص عبارته : «وانا لا اعلم ماذا يعني هؤلاء بقولهم الاسلوب الفرنسي والاسلوب العربي ، فان المسألة على ما اعتقدنا ليست مسألة تباين في الاساليب والتركيب ، ولكنها مسألة تفاوت في جوهر الطابع واختلاف بين شعراء الافرنج وشعراء العرب في المزاج ، باختلاف الامتين في الملامح والسحنة ...»

ومضت السنوات بعد هذا التاريخ ، وهي تحمل كل عام نتاجا جديدا من الشعر . ولا يخلو ديوان او اثر - مما يصدر كل عام - من مقدمة يقدمها غير الشاعر . فديوان «الفجر الاول» لخليل شبيب ، الذي ظهر سنة ١٩٢١ ، يقدمه الشاعر خليل مطران . وديوان طنبوس عيده ، الذي صدر عن دار الهلال سنة ١٩٢٥ ، يقدمه الكاتب ادب الطنون الجميل . وديوان الامير شبيب ارسلان ، الذي اصدرته دار المنار سنة ١٩٢٥ ، يقدمه الشاعر خليل مطران . وديوان «سن وراء الاق» ل محمد عبدالفتي حسن ، الذي صدر عن دار المعارف سنة ١٩٢٧ ، يقدمه اتونون الجميل ... وهكذا تكثر المقدمات للديوانين بغير اقلام اصحابها الى حد يثير غلب احد النقاد فيقيم عليها الدنيا ويقدمها .. وقد اختار بعض الشعراء ان يقدموا ديوانيتهم بأنفسهم ، وبأقلامهم ، ولطعم بذلك اتبعوا الطريق المادي المألوف في تقديم الكتب منذ ظهر للانسان كتاب . فكل انسان اولي بتقديم كتابه ، والتعريف به ، والتدليل على مذهب وانجاهاته فيه ، والكشف عن اهدافه منه ، واكثر من فعل ذلك من شعراء زماننا هذا ، الشاعر الوطني الكبير احمد الكاشف . فقد قدم لديوانه الذي صدر سنة ١٩١٤ بمقدمة طويلة جدا من قلمه تبلغ صفحاتها ثلاثين صفحة كاملة .

وحينما طلب الى صديقي الشاعر عبدالله يوركي حلاق ، ان اضع لديوانه الجديد هذا مقدمة ، ترددت اول الامر مخافة ان يصيبني

دعه جسر على قرطاسه جبره الاسود يحلو الظلمات
روحه يسكبها في شعره شمره نور ، وغلطات
وهو اشعر بعب الحياة على الرغب فيها من متأنفات ، وهو
متطن الى هذه المتأنفات العجيبة التي لا يجد الناس فيها حيلة ،
ولا لها دفعا :

العر مهزلة تمر فصلوها في مسرح يفرى الانام ويضدع
ومن الهازل صوت قد نابغ نفع البلاد وبش من لا ينفع
ولكن هل جعلت مغارات الحياة ومتأنفاتنا من عبدالله يوركي
حلاق شاعر انطوائيا او انطوائيا ، او حين النغم ؟ اننا نراه انسانا
يقبل على الحياة والاحياء بشهوة - ولا اولو بشهوة - الرجل الذي
يجد مسغا وطعما في الوان الحياة . فترى له مشاركات جمعة في
اجتماعات الناس واجتماعياتهم . فاذا اقيم حفل لتكريم الشاعر كعمر
ابي ريشة ؟ رايت عبدالله يوركي حلاق اسبق الناس الى القول فيه
قالوا :

صرخة الحق من قريشك امسى يا صديقي من الحمام البماني
رب يساغ طيبته فتعاشى لآلئ النقد ، واتطوى كالدخان
لا يبرد اللطوم الا انتقاد من ادب ، او طعنه من سنان
رب عرض هوى لفتحة حمر وبراغ سطفا على صولجان
سورة الحر تخلق الوطن الحر وتبني للمجد اعلى المباني
واذا تم تسييد مستشفي الكلمة في حلب ، بهمة صديقنا الحسن
الاستاذ فتح الله الصلال ، سمعت اذاعة دمشق تردد صوت الشاعر
عبدالله يوركي حلاق مخاطبا هذا الحسن الكريم :

فصحت للخير ، لا سيف ولا نار وشدت للخلد ، فليضفر لك الفار
يا فتح ، هذي وفود الخير حافلة وفي قصون التي زهر واثمار
واذا احتضت الحكومة السورية بتدشين غرفة الزراعة في الحسكة ،
رايت شاعرا لا يسقط «الفلاح» من حبابه في هذا الحفل فيقول
موجها الخليل اليه :

يا ايها الفلاح ، يا كيش الفدا التراك فزت من الثرى بمراد
تفتنى وتغلب وتغلب والنجاة عسيرة تقضي ودون الفؤز خرف فناد
في صونك جيتسك انة بالى وعلى جيتسك سمره الاجهاد
تعطي الفداء واهل بيتك في طوى وصراخهم يدعى فؤاد جماد
ولولا ما افترت ازاهير السنى عن نقرها البسام يوم حصاد
ان الحضارة في البلاد قوامها قلم الاديب ، ومنجل الحصاد

وحب الحياة عند شاعرنا ، هو صورة من صور حبه الكثيرة ...
فهو يحب بلده حبا جما . وقد تجلى هذا الحب في تعبيره عن جمال
بلاده ببضع من القصائد ، بصور فيها حلب «دمشق وزحلة ،
ووداي العرائش ، والساقية ، وجودول الوادي .

وهو يحب الحب كما توحيه العواطف التاجعة ، وخاصة في
عهد الشباب - نسر الله اوقافها ! لا وادي اي رفيق يشاهد صديقا
عبدالله يوركي ، حين يصف قصائده الغزلية في هذا الديوان بانها
من ذكريات الشباب ؟! ويخيل الي ان المصفة التي جبل منها شاعرنا ،
قد صيغت كلها من خالص الحب . فان لفظة «الحب» ومشتقاتها تدور في
هذا الديوان مرات كثيرة ، حتى في غير باب الفؤل الذي هو مقلنة
هذه اللفظة الطوة : وما على القاري المستريب ، الا ان يقلب
الديوان بعدي ورقة ورقة ، ويعد بنفسه ...

ولا باس ان يكون شاعرنا بعد هذا منتهاها الى مغان الحسن وفن
الجمال في «المرأة» التي بعد اعترافه بغزلياته في عهد شبابه النضر ..

وما اصدقوه وهو يقول في هذا :

نستمد الوحي والالهام من صور الحسن ومن سحر العيون
فنصوغ الشعر فنا خالصا وذوات السحر يوحين الفنون
نحن لولا القيد ما كنا ولا شفت شاعرنا سمع الزمان

شواظ من نار الناقد الذين لا يرضون عن كتابة هذا النوع من
القصائد : ولكنني خشيت « او ابي علي طبعي » ان ارد لصديق طيبا ،
او اصدده عن مسالة لا تكلني شيئا . وسافرا ديوانه على اي حال ،
ويستوي عندي ان افراه مخطوطا قبل الطبع ، او مطبوعا بعد ذلك .
فلم يبق الا ان اكتب عنه ما انبج في نفسي من اثر لقائه ، ولست
مسالة هيئة ما دام الصديق رايلي في التعبير . ويشهد الله اني عنفت
نفسى اقدر التردد في مسالة لا تحتفل ترددا ... فقد لامنتي النفس
قائلة : اذا كنت رغبة لنفسك ان يكتب لك الكاتب الاديب الكبير
انطون الجميل مقدمة لديوانك «من وراء الاقفا» فكيف تنكر على صاحبك
الشاعر عبدالله يوركي حلاق ، ان يطلب منك كتابة مقدمة لديوانه
«احصاد الذكريات» ؟.

ولكن الحق ان ترددي لم يكن فصحب لابائي كتابة هذا النوع من
المقدمات ، او مخافة ان يعرضني الناقدون القائلون عن كتاب المقدمات ،
واصحاب الجاملات ... فكل كان هناك سبب آخر يحلني على
التردد في هذه القضية التي الجاني اليها الشاعر الصديق عبدالله
يوركي حلاق صاحب ديوان «خيوط الغمام» الذي كان من حظي ان
انتاوله بالقد والتعريف في عدد من اعداد مجلة «المقتطف» سنة ١٩٤٢ ،
اي بعد شهور قليلة من ظهور طبعته الثانية سنة ١٩٤٢ . فانا رجل
احسن الظن بالناس ، واسبى الظن بنفسى الى حد كبير .. فمن
انا حتى اكتب مقدمة لشاعر ادى ان الفصح فيها المجال لشاعر ناقد
يكون اقدر من شبابي ، وانصر مني اهابا ... ولكنني - والحق
اقول - خشيت ان يكون ديني ودين عبدالله يوركي حلاق في الشعر
العربي الاسيل ، مما لا يسفه الذين يحدون الماء الزلال منار في
افهمهم ... فقلت لنفسى : هذه فرصة لا ندعها تفلت من ايدينا ،
لنكتب فيها عن اصالة الطبع ، ودقة الشعور عند شاعر من مكرستنا
التي يسميها الناس : مدرسة شعراء الديباجة والاصالة ...

ومنى كانت الديباجة المشرفة ، والاصالة الالفة الموقية عينا في
الشعر ، ان تقصا او لا في زمان احصل الناس فيه
بالرأكة ، والتسفلوا بالتأفحة ، وحبوا الى دهر العجى في
التاصع الوضى ؟ اننا نقرأ في الشعر الذي يسونه جديدا ، او
مجيدا ، كلاما مرضوصا على غير طريقة ، مخطوطا على غير خطة ، ولا
تجد له النفس طعما سائفا ، ولا معنى واضحا ، ولا بيتا بؤس ، ولا
شطرة تحفل ، ولا مثلا يسير ، كأنه ولد ليكون ميتا ، او فذ به من
يعن فائله ليكون مودوا . وانك تسالوت : باي ذنب قتل هذا المودود ،
لجباب الجواب حاضرا بانه بيد صاحبه ... فلا مرجح بشعر
يدري اذا كان نظما ام نثرا ، ولا يعرف - على سبيل اليقين - اذا كان
غناء نفس ، ام هذيان حس ؟! ومرحبا - والف مرحب - بشعر نقره
فتجده سوي الطبع ، مستقيم البناء ، شريف المعنى ، وفسى العبارة ،
دفاك الشعور .

من اجل هذا ، فرحت كل الفرح ان اكتب عن شعر عبدالله يوركي
حلاق ، وان اقدم لديوانه الجديد . وكانني في هذا الكتب عن شعري ،
او اقدم لاحد ذواويني ! فان المدرسة التي تعجضي من عبدالله يوركي
حلاق هي المدرسة التي لا ادرى في الشعر عنها بدلا ، وهي المدرسة
التي وصلت ما بين ماضي الشعر العربي وحاضره ، لانها تأخذ ادوع
ما في القديم ، واصح ما في الحديث واغله وارصنه ، وتخرج من
ذلك شعرا لا هو بالقديم المثلد ، ولا هو بالجديد المتهور ، ولكنه
مزاج معتدل ، فيه الفكر الجديد بطرافته ، وفيه الطبع القديم بعراقته .

والشاعر عبدالله يوركي حلاق انسان احسن التعبير عن الشاعر
في قصيدته «شهداء الفن» التي يقول فيها :

يحصون الشاعر الفذ ، ولو انصفوه ليكوا حزنا عليه
دقة الاحساس اغنت جسمه ورؤى الالهام اغنت مقلتيه

ظهر الابداع فينا عندما انبثقت ارواحنا القيد الحان ومن صور الحب عند شاعرنا ، حب الوطن . ولا ينحصر الوطن عند عبدالله يوركي في دائرة ضيقة هي الوطن الاقليمي الصغير ، ولكنه يمتد الى الوطن العربي الكبير :

كل قطر عربي وطني رغم ما يفصلنا من تخم
كل حل وحدي مخلص هو من روحي وان لم يعلم
وجب شاعرنا للعروبة ، يؤكد حبه للغة العربية : لغة الصناد
التي يقول فيها :

سابيل في سبيل «الضاد» جهدي لتسمو «الفاد» بالادب الرفيع
فحب «الضاد» ينمو في فؤادي نمو الزهر في فصل الربيع
ولا تنس ان الشاعر عبدالله يوركي ، هو صاحب مجلة «الضاد»
الطبية» التي هي مجلى للعربية الصافية .

ولا يفوت شاعرنا ان يشيد باللغة العربية في اكثر من مناسبة ،
ويربط بينها وبين القرآن الذي ازل بها فيقول :

انا صبت بتمتني لفسه صانها القرآن اسنى الكتب

ويقول :

ولي لغة اعلى الكتاب مقامها فسات مسير النور شرقا ومغربا
بها نزل القرآن هدبا ورحمة فرد غليظ الاصفرين مذهبا
وان كلام الله آيات حكمة فمرحي لامي وعاء ليكتبها
وهذه النعمة السمحة التيلة من شاعر مسيحي ، نذكرنا بنفات
مثله سمعناها من قبل ، من اخوان لنا كرام ، من امثال الشاعر
القروي ، وجورج صبيح ، وخليل مفران ، والدكتور لويس مابونجي ،
ووديع البستاني ، وشبلي اللاط ، وسباي زريق ، وبغيسي عبدالله
يوركي حلال في سحاته ، فترى في الديوان : قصيدة بعنوان «معمدا»
يقول منها :

امجد والمجد نسج بينه مجدت في تعليمك الانبياء
وسحفت راسي الشر حين وفنته وزرعت في قلب النبي كتابا
ونشرت ذكر الله في امية وثنية ونخسها الابياعا
وامرها بالبر فاعتزت به ونسابت في نشرها الاحسان
بني لون من الحب عند شاعرنا عبدالله يوركي : قوا حية الاحسان

وبره بها . فهو لا يغنا بذكرها ويحن اليها » ويلتس الدعاء منها في
اوقات محنته ... لقد كان في زيارة الى الكويت من عهد قريب . ولم
ينسه هذا القطر العربي الكريم ارض طفولته : حبا ، ولا حنان امه ،
فاخذ يعبر عن حنينه بقوله :

اني حننت الى ربي الشهباء مهد طفولتي
واليك يا أمي الحنون ، اليك حننت مهجتي

ولا اصابت علة الفتنة على فراش الفنى في مستشفى الكلمة ،
كانت صلوات امه ودعواتها الى الله يشغلها تصل الى سمعه فتؤجج
شاعريته ، وكانت آياته الهزمية التي بحث بها الي في ذلك الحين ،
فايلت ان الله شاء من اجل امه اولا ، ومن اجل بيته واولاده ثانيا ،
ومن اجلنا نحن بعد ذلك ...

بقيت كلمة في أسلوب شاعرنا وادائه وصوره ووقايفه . اما
القوافي فما لاحلت على واحدة منها فلما او اضطراب او نبوا او
اجتاليا . وقد اختار لقصيدته «زجلة» قافية على وزن زجلة ، فكانت
ارق ما قرأت من قواف . ولا اسوق عليها مثلا ، فالقاروي الكريم جري
ان يرجع اليها كلها كاملة في مكانها . وكذلك القافية في قصيدته
«الصالفة» و«اليلة» و«اسمراد» . اما الصور ، فكانت تكون لوحات
حية زاخرة نابضة بالحركة ، زاخرة بالالوان . وما ازوع تصويره
للفسح الذي اشتهرت به حلب ، والذي شهدناه في ليلة فمراه في
خلال زيارة لنا كانت في اوائل صيف ١٩٦٦ ، ولينا بيتا نمود
وما اروع وهو يصور لنا وادي العراش ودواليها في بيست
يقول فيه :

دواليها نهود الخلد فوق جبالها الخضر
وما أبدعه وهو يصور ظلام الليل الذي لا يحس بما يدور حوله :
والدج شاهد اصم واعى لا يرانا ولا يسمي ما نقول
وما احلى قصيدته «اميرة الورد» بالصور التي تفريخ بجمال
الورد في حديقة الاستاذ فتح الله الصلال ، فكانت نمد يدك - وانت
مكب على صفحات الديوان - تنطق وردة !

واما الاداء ، فاترك لك ايها القاريء الكريم اعنى من المعاني
التي طرفها الشاعر عبدالله يوركي حلاق لترى بنفسك ، ونحس
بذلك ، كيف يؤدي صاحبنا افكاره ، وينقلها اليك على غلغل من
الحرير ، او في كؤوس من التمير .

القاهرة

محمد عبدالقني حن

معبد الشوق

مجموعة شعرية - فؤاد الخشن - ١٦٠ صفحة - منشورات مؤسسة
المعارف ببيروت - (لم يذكر اسم المطبعة)

في كلمانه عبق الزهر ، واخضلال الربى ، وبين سطوره حكايات
الغربة ، واساطير وان حاكمت الخيال ، فوافع اغتراب ، وعزيم شباب .
اما قصائده فسوار ياسميني جمعت حياته فكانت عنقا في جيد الشعر
وحلاوة يندى بها شفاء المادى . اما عاله : ففعال ودلال . وهوى
وغوى ، واساطير امجاد وشوق ناله فكان لكل قصيدة عنده ميلاد .

«بطالملك» والكلمة هنا للاديب المبدع انطون قازان ، جريه
الرائق . فالواحة لا تصدمك والتلقة لا تؤلك ، انه الشعر النافذ
بسلامة ودراية . فيه اوتياح ريفي على نكهة من مرارة الزيتون قبل ان
يمالج في الاواني ، تصببه منظوما في الشمس فالحرارة والياض .
ثم يتسائل النقي عليك . فالشعر وارف ، وتقبع في اي حال تعود
يقظك شعري وخبي غامر» .

احدث مؤلفات

المكنون تآكر فضباك

الغريباء

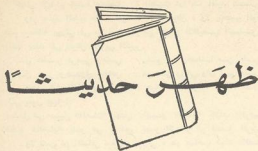
مسرحة - مكتبة مصر بالقاهرة

الشيء

مسرحة - المكتبة المصرية ببيروت

الحقد الاسود

رواية - المكتبة المصرية ببيروت



ولئن جارت التسمية عليه وليس له في ذلك حيلة فكان له منها الغضوبة . فمد عوفه الله روحه روح شاعر . فإذا هو قلب أحب ، وفم غني ، ويراغ ابداع ، وأتامل سحرية لونت آفاقنا بالرائع المبدع . فهنا نورة للجمال وأتارة للزلال . وسوار ياسميني عابق بالأرج . وهناك .. اعياد للربيع ومواسم للخير وغابة زيتون مثقلة بالعطاء . ثم حب عميق كان منه أدونيس وكانت عشقته .

يظلمك هؤلاء الخشن أن جئت تقرا شعره ، فهو يخالذك من ذاتك لتحيات ذاته . ولكنه ظلم حبيب ينقلك من واقع مرقع مبرر ، الى عالم غلفه بالف لون ولون مشرق ليس للالم فيه مكان

وردة ذاك أم قسم أم من النار برعم
حواله الشوق لاهت والإمانسي تقفسم

باركهم الله الشعراء . يذنبون افنديهم ليعطوا لنا عصارة وان كانت وليدة الالم فيها من نشوة اللذة الكثير ، يحطون حدود الواقع والزمان ليعصمون للعتيمين من البشر عالم الروعة والامان .

وفؤاد من تلك الفئة التي تحترق لتثير وتموت لتنبئ وتغيبب وتشرق ، فهنا وبها كل نعم ساحر وروفي زاهر وورقة تنمرد على الحديد والنار . وسكين من يقول ان مساكين هم الشعراء ، وفغير من يهترهم الغفراء . فالكل يفتي وهم الخالدون ، والكل يطمع وهم الراضون ، والكل يأخذ وهم الواهبون . يكفهم انهم جاءوا لعمرة حب ، وعاشوا من اجل حب ، وعاتوا في سبيل حب . يوم قرأت له مجموعته البكرسوار الياسمين حزنتي حلاوة الكلمات ونداوة التعابير ودفق المطاء . وعرفت اي شاعر سيكون . فرحت اردد مع الاخلط الصغير : استمر فانت واصل الى الة اللمة ياسرع الطرق ، ذلك لا في شعرك من اصالة ورقة هما حلية الشجر وعطج الشعاصر .

ولم يقل بي الانتظار . فما هي الا لحظات في عمر الزمان قصيرة حتى كان لقائي الثاني واياه . فاذا انا امام حققة جفت من صفق الاحساس وابداع الفكر الخلال لوحة استغلال منها فانا هي على انبساط الامين غابة زيتون .

وانفتحت افاق الشاعر وانطلقت براعته نخبه وفيلذ فؤاد . فليفتح الشعرية « أدونيس وعشعروت » تنصرد مكتبائنا تحكي لنا اسطورة وان كانت تحكي الخيال فليست بالكثيرة على موطن حاك حقايقه الاساطير . مرحي لؤاد الخشن (صانع سوار الياسمين) وغابة الزيتون و « أدونيس وعشعروت » بالامس . والمرشح ابواب (العبد) اليوم ندخل اليه اامين مطمئنين نزيل فيه من كواهلها ما علق فيها مسن ادران الاسانية الكاذبة وخداخ الحضارة الزيفة .

«عبد الشوق» هو معبد اشواقنا جميعا . حكايتنا منذ رقص في ضلوع كل منا خافته المديب ، والقيت على كتفيه ثيمات الهوى ، «عبد الشوق» وغيره مما كتب ويكتب وسكيتب فؤاد ، نوافذ مشرعة للحب والحنين . للعداب والعتاب . للفسلة والالم والحرمان . ما همني منها كل ذلك ، ناحية واحدة جعلتني اقف عندها معجبا مصفقا لها . الريف بما فيه من السماح والحب . والصور والتجدة الحالة . لك الاغنية الحلوقة التي جعلها فؤاد في ضميره وبراعته والتي كادت تنساعها اسمائنا لكثرة ما تباعد عنها ادباؤنا تازرين وشعراء .

غرسني الخضراء يا مائسة بالفلالات وفوح مسكر كم جناح ستيحيكين لنا مخلصي كواثنا عطر انتي يا متفانجة مائجة بالصبايات وفوح مسكر سنخلها اذا عاش الهوى غرسة نادرة في الشجر زه زه لك يا فؤاد ، لكاني بك وانت تكتب شعرك ، ذلك الزادع الاسطوري الذي قال : « غرسوا فاكوا ونفرس فياكون » .

عبد الكريم شمس الدين

- مع الايام - تاليف ناجي جواد - لوحات الكتاب بريشة اسماعيل الشيشي - ١٨٤ صفحة - منشورات دار الاندلس ببيروت - (لم يذكر اسم المطبعة) .
- الملالات الدولية ومعاهدات الحدود بين العراق واليران - تاليف شاكى صابر الصايط - ٢٨٤ صفحة - حجم كبير - نشر وطبع دار البصري ببغداد .
- خان القرير - رواية - تاليف خضر نوبة - ١٠٤ صفحة - مطابع دار الفندور ببيروت .
- بلور المؤامرة التاريخية - تاليف عرفات حجازي - طبعة انائية مزودة وملحقة - الغلاف بريشة رفيق اللحام - الخطوط لمحمد صابر - ١٢٠ صفحة - سلسلة التوعية الفلسطينية - (لم يذكر اسم المطبعة) .
- سنابل النجم - مجموعة قصص - تاليف اميل يوسف عواد - ٩٦ صفحة - مطابع ففالي ببيروت .
- العبد الأسود - تاليف الدكتور شاكى خصبالك - ١٥٢ صفحة - طبعة الخزان وشركاهم ببيروت .
- الادخل والايتماني - تاليف بيار ماري بربديل - ترجمة نهاد رفا - تقديم الدكتور محمد العمادي - ١٦٠ صفحة - حجم كبير - منشورات دار الاتوار ببيروت - مطبعة دارالحياة (؟) .
- خبز وملع : في صميم الجمجم - تاليف بولس سلامسة - ٢٠٨ صفحة - حجم كبير - منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت - مطابع بيلوس الحديثة بفرن الشبالك لبنان .
- القرية : مذاهب وشخصيات - تاليف فتحي سعيد - ١٢٨ صفحة - حجم كبير - منشورات الدار القومية للطباعة والنشر (؟) - (لم يذكر اسم المطبعة) .
- الاسلام والمسلمون في المانيا بين الامس واليوم - عرض سريع لتطور الاسترقاق في المانيا مع صورة عامة للنشاط الاسلامي الراهن فيها - تاليف الشيخ طه الولي امين سر جمعية الكتابات اللبانية - ٢٠٨ صفحة - حجم كبير - منشورات دار الفتح للطباعة والنشر ببيروت - مطابع دار لبنان ببيروت .
- الاداعة اللبانية : اثرها في التطور الاجتماعي والفني والادبي والتوجه العام - تاليف فايق الغوري - تقديم حسن الحسن مدير الاداعة اللبانية - ٢٥٦ صفحة - حجم كبير - منشورات مطبعة صادر، الناصرة بيروت .
- الطريق الآخر - رواية - تاليف سعيد فرحات - ٢٢٠ صفحة - منشورات الكتب التجارية للطباعة والنشر والتوزيع ببيروت - (لم يذكر اسم المطبعة) .
- نوى - مجموعة شعرية - يوسف فاخوري - تقديم شكر الله الجبر - ١٣٦ صفحة - مطابع مؤسسة خليفة للطباعة ببيروت .

جريدة الهلال في مصر

المؤتمر الدولي الثالث للدراسات العربية والإسلامية

في عام ١٩٦٢ عقد في مدينة قرطبة ، في اسبانيا ، المؤتمر الدولي الاول للدراسات العربية والإسلامية . وكانت فكرة المؤتمر قبل ذلك قد نشأت بين كاهن اسباني معنى بهذا اللون من الدراسات الاستشرافية ، هو الاب بارخا Pareja ، وعدد من زملائه المستشرقين ، ولقيت ترحيبا واسعا من رجال الاستشراف والهيئات الاستشرافية في العالم . واختير الاب بارخا نفسه سكرتيرا عاما للمكتب الدائم للمؤتمر . وكان النجاح الذي لقيه المؤتمر الاول في قرطبة دافعا الى الاستمرار في عقد مثل هذه المؤتمرات التي تستقطب رجال الاستشراف ، وتسجل تطور أعمالهم في كل ميدان من ميادين الفكر العربي والإسلامي .

وكانت جامعة كمبودج في التفتي الثاني للمؤتمر عام ١٩٦٤ ، وكان مؤتمرا ناجحا كسابقيه ، مما دعا إيطاليا الى ان تهتم باحتضان المؤتمر الثالث . وكان المعهد الجامعي الشرقي في نابولي هو الذي تولى الدعوة الى عقد المؤتمر الثالث في إيطاليا ، وأشرف رجاله على الإعداد ، والتنظيم ، وإجراء الاتصالات ، ونهية الجو ليكون المؤتمر في إيطاليا أوسع مدى ، وأبعد نجاحا من سابقه .

واختيرت قرية رافيللو الجبلية الساحرة ، على مقربة من نابولي ، لتكون مكان انعقاد المؤتمر ، كما اختير مطلع شهر ايلول من هذا العام لتعوده ، وبذلك حرص القائمون على المؤتمر على ان يهيئوا للمؤتمر كل دواعي الهدوء ، وفترة الطبيعة ، وروعة الطقس .

وعلى الرغم من زياراتي للعديد لاسبانيا ، وتواجولي في القسم الأكبر منها في الشمال والجنوب والوسط ، وأعجابني التشديد بما في مختلف أنتاجها من روائع الجبال والفلن والسحر ، فالتفت اعترف بأن الجبال الساحر في رافيللو الذي لمسته - ولمسه مثلي سائر المشتركين في المؤتمر وامتلأوا إعجابا به - فهو مما يعجز القلم عن وصفه .

تقوم قرية رافيللو على رأس جبل يعلو نحو اربعة مئز عن سطح البحر . وتحيط بها جبال شاهقة ، وأودية سحيقة ، تصحك بها الأشجار النضرة وخضرة الحدائق والغول من أعماق الوديان حتى قمم الجبال ، ومن تحت أقدامها يتداحج البحر الأزرق الى أماد لا تبصرها العيون ، كما تتناثر على شواطئه القرى الجميلة التي يفتخر بها بعض بيوتها في السفوح الخضراء أعشاشا تبهر البصر بجبالها . فهناك (مالافي) ، و (مياوري) و (ميتوري) تبدو في الصباح عند طلوع الشمس مكسوة بجلل باهرة من النور ، تجل كل ما حولها يبدو بلون الغنيق المتأله ، وفي الليل تبدو تحت ضوء القمر الساطع كظلمة من الأنوار المتألقة في دنكة الجبال الخضراء ، وتنداح أشعة القمر فوق البحر أمامها حقولا من النور المترفة على الموجات المتكسرة المتسابة الى الشواطئ .

لكل ساعة من ساعات النهار لون يختلف عنه في الساعة الأخرى . ومن كل مكان تبثت من الوديان والسفوح والتلال والبساتين روائح لا ذ منها ولا لطف ، تشترك في نشرها الأشجار المتعددة الأصناف ، والأهوار من كل جنس ولون وحجم . البرية منها وغير البرية ، فلا العطر بلوج البحر والتهار والتليل ، ويبت في التفتي كل ماتي البهجة والراحة والاستسلام الحالم اللذيذ . ويتنمى المرء لو كان نخله أو

فراشة أو طائرا صغيرا ، ليحيط على كل شجرة ، وكل زهرة ، وكل نبتة ، يرفرف ، ويرقد ، ويمتص الرحيق ، فلا يتبع من الرقرفة ، والتفريد ، وامتصاص الرحيق . وفي الصباح تمتلئ أحضان الجبال بالبخار المتصاعد من قلب الأودية مفضفا بالأريج كانه دخان ملابن المجامر العاقبة بأعطر البخور ، وأجود أصناف السند والعنبر . لم لا يلبث البقار ان يتنهد قبيل الظهر والى ساعة القروب يتجانبا جميلة مفضفة على قمم الجبال الشامخة ، ومن تعته الغابات الخضراء التراسية تنحدر وتنتشر على السفوح ، والى أعماق الأودية ، والى عشوش البجوت المتناثرة في تلك السفوح والأودية .

وحينما وفقت على قمة الجبل الذي تقوم عليه فنادق رافيللو ومتنزهاتها : فندق بانوراميكاً - وفندق بالومبو - وفندق كاروزو - وفندق بريسيغال ، وأدركت تأريفي في كل جهة من حوك ، فالتفت في جنة من الأرض لا مثيل لها . ليس هناك شجر واحد من الأرض - عدا الطرافات التي تسير عليها السيرات - لا يسبح بالخضرة والعطر والطرارة والجبال الساحر .

حتى في قلب المدينة الأهلة بالسكان تتناثر الحدائق المنسقة بالزهر والشجر بشكل لا مثيل له . وحين يتجول المرء في « فيلسا دوفولو » و « فيلسا تشمبرونا » و « البليديري » عند فندق كاروزو ، و « البليديري » الآخر عند فندق بالومبو ، ناخذ الروعة بأفاق نفسه ، وعملا وجهه بالسحر والشعر والأحلام اللذيذة .

أما الطريق الصاعدة من «مالافي» الى رافيللو ، والمحفورة في قلب الصخر الصلب ، فانها تهر النظر على الرغم من سيقها ، ومن مئات المتاريج العظيمة التي تتخللها ، وهي لفيقها لا تسمح لسيارات البوكان بالوديان السحرية من متعاطها ، في يضطر السائق عند كل منعطف الى التراجع الى الخلف لكي يجد فسحة من المكان تسمح بدوران السيارة . ولهذا لا تستطيع السيارة ان تقطع الكيلومترات الثلاثة المتصاعدة من خاشي «مالافي» الى رافيللو في اقل من نصف ساعة . غير ان الراكب في السيارة يتنمى لو طالت المسافة أكثر ، واستغرق الرحلة مدى العمر كله ، لكي تتيج له ان يستغرق في نشوة الحلم ما شاءه الحلم اللذيذ الناعم .

ان المرء ليشعر في رافيللو بأنه يود لو يلا جيبوه من بخار الأودية ، ومن سبيل الجبال والبساتين ، ويحمله معه مدى العمر . وهذا الوجه الساحر يفتح نفسه وقلبه لكل شيء ، ولكل إنسان . فهو يشعر بجبال السبرع من الآخرين ، والحديث معهم ، والجلوس معهم في التنتزهات ، والقفاهي ، والحدائق . انه ليس احساسا عبقيا شاملا بان الحياة جميلة ونعمية ، وتسبح ان يعيشها حتى الامتلاء ، ولا يمكن ان يتلوى منها أو يتبع ولو طالت به الى مئات النستين .

استغرق المؤتمر ستة ايام : من اليوم الاول من سبتمبر الى اليوم السادس منه ، واشترك فيه من المستشرقين والكتاب العرب أكثر من مئة وخمسين شخصا ، حملتهم أجنحة الغفصاء من مغارب الأرض ومشافرها تجمع بينهم وحدة الفكر ، ورواية الثقافة الإنسانية الواحدة ، فلا غريب فيهم ولا شرقي ، بل اخوان يؤلف بين قلوبهم الحب ووحدة الهدف والعمل الفكري ، كما يؤلف بينهم اشتراكهم في خدمة الفكر العربي والإسلامي بشكل خاص .

لقد جاؤوا من البلدان المختلفة المعاندة والانظمة : من البلدان الرأسمالية ، والبلدان الشيوعية ، والبلدان المتطورة في آسيا وأفريقيا ، واشتركوا جميعا في البحث والنقاش ، كما اشتركوا في مجالس النقاش والقهر واليسرة الى السواء : لم تكن غفائهم السياسية ، والدنيوية ، والاجتماعية على أبحاثهم واجتماعاتهم ، ولا

من ايلول ، كانت هناك جلسة نهائية في الصباح ، تحدث فيها خمسة اشخاص ، ثم اختتم المؤتمر في الساعة العادية عشرة قبل الظهر ، لتبدأ بعد ذلك جولة في أنحاء صقلية تستغرق سبعة أيام . وقد اشترك فيها عدد من المؤتمرات .

كان من الطبيعي ، ازاء هذا العدد الضخم من المتحدثين ، في مدة قصيرة كهذه ، ان تكون ابحاث المؤتمر قصيرة مختصرة . ولهذا كان الوقت المحدد لكل حديث ١٥ - ٢٠ دقيقة فقط ، ثم يتلو ذلك نقاش او تعليق في بعض الأحيان ، و بعض المتحدثين دون تعليق . الا كلمة شكر من رئيس الجلسة ، وكان الرئيس يتخير في كل جلسة . ان خمس عشرة او عشرين دقيقة ليست بالزمن الكافي لالقاء بحث واف مشيع . ولهذا كان القسم الاكبر من الابحاث مجرد استعراضات سريعة ، وقد تركت الابحاث المفصلة لنظر في الكتاب الذي سيصدر فيما بعد من أعمال المؤتمر واباحته بأشراف المعهد الجامعي الشرقي في نابولي ، ونأمل ان لا يتأخر صدور هذا الكتاب . كانت اللغات التي ألقيت بها أبحاث المؤتمر ، ودارت فيها منافساتها ، هي : الفرنسية ، والإنجليزية ، والإسبانية ، والإيطالية ، وواحد فقط التي كلمته بالعربية ، وهو الأستاذ محمد بن صالح . وقد تحدث عن «الفة العربية المكتوبة ولغة الحديث» ، كما طلب المؤتمرون الي آنا أيضا - بعد ان ألقيت كلمتي عن الشاعر مصطفى وهي التل بالانكليزية - مع مختارات من شعره باللفة فيها - ان اسمعهم بعض قصائده بالاصل العربي ، فألقيت بعضها حسب رايهم .

لقد تناولت أبحاث المؤتمر السريعة شؤون الفكر العربي والإسلامي المختلفة في القديم والحديث ، وعرضت مختلف اتهامات المستشرقين في كل مكان . وكذلك تناول العرب المشتركون في المؤتمر جوانب مختلفة من الحياة العربية والإسلامية ، وشؤون الفكر . وكان مما يلفت النظر اهتمام بعض المستشرقين بالادب العربي المعاصر . وأشار هنا

كان لها أدنى أثر في تصوراتهم وأحاديثهم الشخصية . وهذه هي الحيزة الإنسانية الكبرى للفرق ، فهو يجمع ولا يفرق ، ويعلم الحب والأخوة والمساواة لخدمة الحضارة والإنسان .

كان عدد الكتاب والإسنادة العرب المشتركين في المؤتمر ثلاثة عشر شخصا : بينهم أربعة مصريين ، وأربعة تونسيين ، واثنتان من الأردن ، واثنتان من العراق ، وواحد لبناني . غير ان عددا من هؤلاء لم يحضروا من اقطار العربية عنها ، بل جاؤوا من الجامعات الفرنسية التي يعملون فيها : فالأستاذ شفيق شحاته ، مثلا (مصري) جاء من فرنسا ، وكذلك الهادي روجر ادريس (تونسي) ، ومحسن مهدي (عراقي) من الولايات المتحدة الاميركية ، وكذلك جورج المقدسي (لبناني) ، وحنا مخائيل (ارمني) يعمل اساتذا في جامعة برنستون) ، والإسلة نور الصباح فحطان (عراقية) جاءت من بريطانيا . وكل من هؤلاء جاء يمثل الجامعة التي يعمل فيها . اما الذين جاؤوا من البلدان العربية نفسها فهم : عدا كاتب هذه السطور - الأساتذة : عثمان الككاك ، ومصطفى زبيس ، ومحمد بن صالح (من تونس) ، والإب فتواي ، والدكتور محمد التويهي (من مصر) .

وكان بين المستشرقين القادمين من أوروبا وأمريكا عدد من المشاهير الذين لهم فضلهم الكبير وجهودهم المستمرة في حقول الاستشراق . ومن هؤلاء أذكر : يوسف شاخت - وهو معروف في مصر وغيرها من الاقطار العربية - ونيفيل باربوز ، والإب باربوا ، والبليجيكي أبيل ، وغيرهم ، كما حضر سائر المستشرقين الإيطاليين ، عدا جورجيو ديلافيدا - وهو عميدهم - الذي حالت الشيخوخة دون حضوره . وقد شاء القاتمون على المؤتمر ان يكرموا بإسناد رئاسة المؤتمر الفخرية اليه ، ولقي اقتراحهم هذا تعجب المؤتمرين جميعا ، فأرسلت اليه برقية بذلك تحمل توافع المؤتمرين كلهم .

كانت حفلة الافتتاح مساء اليوم الاول من ايلول في كنيسة (سان جوفاني ديل تورو) وقد افتتحها الأستاذ دوبريو روبيانتشي بكلمة ترحيب لطيفة . ثم تلاه الإب باربوا فحدث عن نشوء الدعوة الى مؤتمر الدراسات العربية والإسلامية قبل نحو خمس سنوات ، ثم عن المؤتمرين السابقين : في قرطبة ، ومكمرج ، وتكمم بعدئذا الأستاذ فرانسيسكو غرييلي ، فإشار الى أهمية عقد مثل هذه المؤتمرات التي يتدارس فيها المستشرقون والكتاب العرب شؤونهم الفكرية في جو من المودقة والتعاون والتبادل الفكري المتحر . ونطرق الى أبحاث المؤتمر ، كما هو واضح من عناوينها ، فقال انها تشمل الشيء الكثير من الشؤون التي نهتمها جميعا، والتي تثير أمانتنا سبل العمل ، ونفتح لنا أبوابا جديدة واسعة . ثم أسندت رئاسة الجلسة الى السيدة لورا فاليري ، وهي من أشهر المستشرقين الإيطاليين ، فالتفت كلمة شكر وترحيب .

وجدير بالذكر ان سكرتيرية المؤتمر كانت تتألف من السيدة فاليري ، وويليغيا الأستاذين دوبريو روبيانتشي ، وجوفاني أوام ، يساعدهم عدد من الشباب والفتيات . وقد أشرف الثلاثة على تنظيم المؤتمر احسن تنظيم ممكن ، بالرغم من كثرة عدد المشتركين في أبحاث المؤتمر ، وقصر الوقت المخصص له .

كانت تعقد كل يوم جلستان : صباحية ، وليلدا الساعة الثامنة والنصف ، وتنتهي الساعة الثانية عشرة والنصف ، ومساءلة تبدأ الساعة الرابعة وتنتهي في السادسة والنصف . ثم ينتشر المؤتمرون بعد ذلك في الفنادق او في مقاهي القرية وحدائقها ، ينتزهون او يستريحون من الابحاث الجانبية حول شؤون الفكر في الشرق والغرب . في بعض الايام اضطر المشاركون على تنظيم المؤتمر الى عقد حلقتين في وقت واحد ، وفي مكانين مختلفين من الكنيسة فيها ، يتحدث في كل منهما عدد من المؤتمرين . وكان هذا ضروريا لاتاحة المجال لجميع اصحاب الابحاث لكي يلقوا أبحاثهم خلال مدة المؤتمر المحدودة . وبذلك استطاع ان يتحدث في اليوم الاول سبعة عشر شخصا ، وفي اليوم الثاني عشرة اشخاص ، وفي اليوم الثالث سبعة عشر شخصا ، وفي اليوم الرابع اثنان وعشرون شخصا ، وفي اليوم الاخير ، وهو السادس



من اليمين الى اليسار : المستشرق الإيطالي جوزيبي بلقيوري ، مصطفى زبيس ، عثمان الككاك وعيسى الناعوري .

وأعلنوا أن تلايد البير أديب ، وتلاميذ مجلته ليسوا من العلوق بحيث ينظفون من الدوحة العربية « إذا ما فسح جناحاهم ، وحلقوا بهما في الأجواء التي أرادها لهم البير أديب ، ومجلة «الأديب» .

ولئن كانت الامم تقيم لجنتهوا الإبطل الذين فسقوا في ساح الحروب ، تمثالا رمزيا تكريما لكل (جندى مجهول) فإن أقل ما يفعله رجال الفكر الثبائين والعرب هو إقامة تمثال للجندى المجهول ، صاحب «الأديب» ، الذي ما برح ، حتى السابعة ، يعمل بديات الهمة لئلا يترك ما يعمل بها ، يوم أسس مجلته ، وجعل صفحاتها منابر قدمت للادب العربي المعاصر التي أفادته وعبارته .

منذ سنوات ، أصيب البير أديب بمرض عارض في عينيه - سلمت للادب عيناه - وبأ لعجب ما رأيت ، إذ زرت في منزله الذي أنشد جناحا منه مكتباً له ! وأبته جالسا وراء مكتبه ، وقلمه الأحمر العريض بيده ، ينقح ويصحح المقالات والقصائد ، كعادته دائما ، خوفا من أن يتأخر موعد صدور «الأديب» .

وصرخت محتجا « وموضعا له أنه يحمل نفسه أكثر من طاقتها ، وأن «الأديب» عزيزة علينا جميعا ، ولكن عينيه أعز وأولى بالناية . فما كان منه إلا أن رد يدهود ، ومثانة أعصاب : خذ هذه المقالات والقصائد ، وساعدني على تنقيحها ، لتلا يتأخر موعد صدور المجلة . واستجبت لطلبه ، ورحت أساعده في ذلك ، ما أسفنتي قدرتي المتواضعة ، بينما راح البير أديب يسرق النظر إلى ملامحي ، حتى إذا فرغت من التنقيح ، تنفست الصعداء ، وكان التبع قد افرقتني حقا ، فالتفت الأديب للصور التي ، وقلمه لم يفارق أصابعه ، وأصابعه لم تزل على منتهاها ، ثم قال : - « أرايت ؟! إن السالبة تطلب احتمالا وصيرا » .

وحقا ، لقد شهدت له بقوة الاحتمال والصبر ، وادركت علبيا أنة جويوه التي الجهود التي يبذلها صاحب «الأديب» في سبيل مجلته التي قطع لها من كل عمل عداها . وألحني أن معظم الصحف في لبنان والبلاد العربية قد تعرضت للكساد - الخلع - والمزاجية ، والشطب ، والحذف ، إلا «الأديب» ، فهي (إم بي سي) في جبهاتها ، ولو مرة واحدة ، أنها انفتحت عن الوصول بكاملها شهريا ، إلى قرائها ومشتريها العديدين .

وإذا كان في ذلك فضل يعود إلى الرقابة الذاتية التي فرضها البير أديب على نفسه وعلى مجلته ، ففي ذلك أيضا دليل لفرسها العميق الذي يكنه الوطن العربي ، فضلا عن أدباء المهجر والاستشراق ، للمجلة التي كانت وما برحت أما للمجلات العربية الأدبية . وإذا كنا ، في لبنان ، نعجب لشيء ، فلأن الجوائز الأدبية التي توزع كل عام على مستحقها ، وعلى غير مستحقها ، لم تسب مجلة «الأديب» ، ولا صاحبها ، برشا أو برذا !

● نحن نطالب بأن تكون جائزة فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية ، وهي جائزة تقديرية للبير أديب ، هذا العام .

● ونحن نطالب بأن يبادر وزارة الإرشاد والإتباء إلى رصد ما يلزم من اعتيادات تشجيع المجلات الأدبية ، وفي طليعتها «الأديب» ، لما تؤديه هذه المجلات من أعمال الدعاية السليمة المقتونة بالوقائع والإدلاء ، من أجل لبنان .

● ونحن نطالب بأن يكون مهرجان تكريم البير أديب ، بمناسبة البوبيل الذهبي لمجلة «الأديب» ، مهرجانا رسميا وشعبيا تشترك فيه مختلف الهيئات برعاية فخامة رئيس الجمهورية ، وخاصة طلاب المدارس والجامعات ، ليروا مثلا حيا لتكريم الفكر والصحافة في وطنهم الذي يسمون أنه بلد العلم والتور والاشماع . فاشكروا زعملائنا الذين عرفوا فضل فاعثروا به ، وأدركوا قيمة الرسالة الفكرة صاحبها . ونحية من الأصماق لا لبيير أديب .

افتتاحية (رسالة التيبة) - بيروت فوزي عطوي
ليس تحرير «رسالة التيبة»

ينوع خاص إلى الإبحات التي قدمها المستشرقان الأتاليان دوبرو وريسمانو (من القصة العربية المعاصرة في المغرب) ، وجوزيبي بلغوري (من حسين نافذ القصة العربية المعاصرة) ، والمستشرق التشيكوسلوفاكي الشاب باتوشيك (من اهتمامه بالادب العربي المعاصر في تونس والجزائر) ، والمستشرق الماطلي كاسميان عن «التجليل النفسي في النقد الأدبي العربي المعاصر» .

وإذا كانت أبحاث المؤتمر تسم في أغلبها برصانة البحث العلمي وزمته ، فقد كانت هناك أبحاث مليئة بالحيوية والجدة والطرافة . وأشير هنا بنوع خاص إلى البحث الذي قدمه الدكتور محمد النويهي بالانكليزية عن «الصلة بين الشكل والمضمون في الشعر العربي الكلاسيكي» ، فقد كان الدكتور النويهي مرحا جدا في حديثه ، بحيث كان يغني الشعر غناء ، ويتلاعب بأصواته تلافيما مرحا لبيين صلة الصوت الشعري بالمعنى الذي يريده الشاعر . وكذلك أثير إلى البحث الذي قدمته السيدة كليلا سارنيلي بالفرنسية عن «كتاب تاسرالدين الحجري الاندلسي» ، فقد استطاعت أن تقدم بحثها بطريقة طليقة أخاذة ، ونظف على كثيرا من الحيوية والطرافة . وأشير أيضا إلى الحيوية التي أثارها في المؤتمر القصائد التي لقيتها بالانكليزية والعربية من شعر مصطفى وهبي التل ، فقد كانت جديدة وفريدة في روحها وأسلوبها ، وعرف فيها المؤتمر شاعرا جديدا وشاعرة جديدة بالاحتسام .

لقد كان المؤتمر ناجحا إلى حد بعيد بما أضفاه المثلثون عليه من التنظيم والاستعداد الكبير ، ولبعدهد المضمون من التشريك بين من سائر انداء العالم الغربي والشعري ، وبالأوجه المتعددة من الحياة الفكرية العربية والإسلامية التي تناولها المؤتمرين في أبحاثهم . ولكنه كان أعظم نجاحا بالرخصة التي أتاحتها لانتقاء هذه المجموعة الكبيرة من رجال الفكر والاستشراق ، للتعارف ، وللتبادل الفكري ، ولتوثيق العلاقات بين الشرق والغرب على أسس من الحرية الفكرية والأخلاق الإنسانية ، وصلة الفكر والثقافة . كما كان من ذوي نجاحه حسن اختيار المكان لعقد في هذه البقعة الساحرة - وفي هذا الفصل الجميل المنع من السنة . وقد علمت أن من الممثلين (ان) بعد المؤتمر القادم في مدينة لشبونة ، عاصمة البرتغال عام ١٩٦٨ .

وأنه الجدير بي ، قبل أن اختتم هذه الجولة ، أن أقدم الشكر لاساندة المهد الشعري في جامعة نابولي على الجهود الكبيرة الناجحة التي بذلها في الإعداد لهذا المؤتمر ، والأشرف على تنظيمه وعلى راحة الوفود المشتركة فيه ، فقد كانت جهوده جديرة بكل تقدير .

رافيلو - إيطاليا عيسى الناعوري

الأدب المعاصر و «الأديب»

إذا كانت لجان التكريم التي تقوم بين الحين مرتبطة بالمصالح المشتركة التي تجمع أعضائها بصاحب التكريم ذاته ، فإن اللجنة التي تالفت منذ أسابيع لتكريم أديب لبنان والتكريم الأستاذ الشاعر الكبير البير أديب ، صاحب مجلة لبنان والعرب اللغة «الأديب» القراء ، هي من غير ذلك الطراز !

إن الصلة المشتركة الوحيدة التي تربط أعضاء هذه اللجنة بالبير أديب هي مصلحة الكلمة الحرة ، والفكرة الصائبة ، والرأي التزن ، والجرأة المقتنة بالحياء ، والواقعية المتصلة بالأخلاق السامية . ويجمع أديب لبنان والعرب بالبير أديب أنهم أبرار ، لا ينتكرون للابادي البيضاء التي تعهدت بتناجهم بأبراعة وباعزة ، فاطوا من على منبر «الأديب» كاشرا ما تكون الإطلالة اشراقا وروعة .

فلا عجب إذا قاموا بعد خمسة وعشرين عاما من نضال مستمر لم ينشأ أبدا ، حتى في الظروف العصيبة ، وأدوا الكسرة من الواجب ،

دار صادر

عنوانها : صندوق البريد رقم ١٠ - بيروت (تلفون ٢٣٠٤٨٠)

مركزها : ٣٦ شارع مار منصور - بناية محمد خاتون الطابق الثاني - جنوبي البناية المركزية

تقدم الى القارئ الكريم مؤلفات الاديب الكبير

الاستاذ مخايل نعيمة في طبعاتها الجديدة

سعر		سعر	
٣٠٠	١٣ - ابو بطة	٢٠٠	١ - كان ما كان
٥٠٠	١٤ - سبعون : المرحلة الاولى	٢٠٠	٢ - اكابر
٥٠٠	١٥ - سبعون : المرحلة الثانية	٣٠٠	٣ - همس الجفون
٥٠٠	١٦ - سبعون : المرحلة الثالثة	٢٥٠	٤ - مذكرات الارفشي
٥٠٠	١٧ - جبران خليل جبران	٢٥٠	٥ - الاءاء والبنون
٣٥٠	١٨ - الفرغال	٣٠٠	٦ - في مهب الريح
٣٠٠	١٩ - دروب	١٢٥	٧ - الاوفان
٢٠٠	٢٠ - المراحل	٣٠٠	٨ - النور والديجور
٢٥٠	٢١ - زاد المعاد	٣٠٠	٩ - ابعد من موسكو
٣٠٠	٢٢ - صوت العالم	٣٥٠	١٠ - البسادر
٢٠٠	٢٣ - كرم على قرب	٣٥٠	١١ - لقاء
٤٠٠	٢٤ - اليوم الاخير	٦٠٠	١٢ - مرداد
٤٠٠	٢٥ - هوامش		

صدر حديثا

- ١ - أضواء على مسلك التوحيد («الدرزية») بقلم الدكتور سامي نسيب مكارم مع مقدمة بقلم معالي الاستاذ كمال بك جنبلاط
 - ٢ - تاريخ الفلسفة العربية الاسلامية بقلم الاستاذ عبده شهابي
 - ٣ - ديوان لبيد بن ربيعة العامري
 - ٤ - ديوان الاعشى
 - ٥ - ديوان الفرزدق جزآن
 - ٦ - حكايات لبنانية للاستاذ كرم البستاني
 - ٧ - البيان للاستاذ كرم البستاني
- الناشر : دار صادر للطباعة والنشر

مكتبة المثني

تقدم : كتاب النقائص

(نقائص جرير والفرزدق)

في ثلاثة مجلدات بالتماش

يطلب الكتاب من مكتبة المثني ببغداد

ومن دار صادر ببيروت

ومن جميع المكتبات العربية

انا والرياضة

بقلم ظافر القاسمي

هل علي من حرج اذا كان حديثي اليوم : « انا والرياضة » ؟
الم يكتب استاذي وصديقي شفيق جبري كتابا برأسه
سماء « انا والشعر » ثم عقبه بكتاب آخر سماه « انا
والنثر » ؟ وما الذي يضير رجلا مثلي ان يتحدث عن
تاريخه مع الرياضة ، او عن تاريخ الرياضة معه ؟ وهل
الفارق بعيد بين الشعر والنثر ، وبين الرياضة ؟ قد
يكون الشعر والنثر اخلد لصاحبهما ، وأبقى على الدهر ،
وقد تكون الرياضة موقوتة الاثر ، زمنية المفعول . ولكن
حدثني بربك ، هل سمعت ان شاعرا او ناثرا او محاضرا
اراد ان يلقى على الناس شيئا من آثاره ، فحضر مئات
الآلاف ، في اي بلد من البلدان ؟ ولكن كم سمعنا ان
مباراة من المباريات قد حضرها مئات الآلاف ؟ واذا كان
الشعر قديما قدم للانسان ، اقلست الرياضة كذلك ؟
الم تراقف الانسان منذ اقدم العصور والذهور ، وفي
جميع الاقطار والامصار ؟ واذا كنا ما زلنا حتى اليوم
نتمتع بروائع الادب الاغريقي ، افلس نرى آثار الألعاب
الرومانية ، وهما متعاصران ؟

واجيب على تساؤلي : « هل علي من حرج » ، بلسان
القارئ فاقول : « لا حرج ان شاء الله » !

واذا كان استاذي وصديقي شفيق جبري قد تحدث
في كتابه « انا والشعر » كيف بدأ فتي باعفا ، ثم انتهى
شاعرا مبديعا ، وفي كتابه « انا والنثر » كيف كان منشئا
صغيرا ، ثم استوى كاتبا كبيرا ، فاني اسارع الى القول
بان حديثي - كما سيراه القارئ - سيصور كيف
تدهورت من خلالان الى خذلان وكيف انحدرت من أخفاق
الى أخفاق . ويزين لي غروري ان اقرر ان الصورتين
متمثلتان ، لانهما نهايتان ، والنهائتان تتلازمان .

وعلى الرغم من انني اكره دوما لفظ « انا » ، لا
سيما اذا اضيف اليه لام التعريف ، كما يقولون اليوم
« الانا » ، يترجمون بذلك عن الفرنسية mol ، فما
كان الحديث عن النفس حبيبا الى احد ، ولا كان باعشا
على الارتياح ، حتى ولو كانت فيه عظات وعبر ، وحتى
لو كان الفرض منه عاما لا خاصا ، على الرغم من هذا كله ،
فاني قد احببت هذا العنوان ، ورايتني اخطه على غير
اختيار مني ، وللقارئ ان يكره هذا العنوان او ان يحبه ،

اما انا ، فلا حيلة لي في العدول عنه .

تاريخي مع الرياضة يبدأ من اليوم الذي كنت فيه
طالبا في « مكتب عنبر » (١) ، وكان لي من العمر ثلاثة
عشر عاما ، وكان استاذنا ، استاذ الرياضة ، عزة
الرفاعي ، يقداننا بعد ظهر الخميس ، من ايام الربيع
والخريف ، ومن ايام الشتاء الصاحبة ، الى مكان كان
يسمى « مرجة الحشيش » ، قريب من الجامعة السورية ،
اقيم عليه اليوم معرض دمشق الدولي . وفي هذا المكان كنا
نلعب كرة القدم ، او كان طلاب مكتب عنبر يلعبون فيه
كرة القدم . كما كان لعبا عاما ، لنادي بردي ، ولفرق
الجيش الفرنسي . وفي أول يوم اقتادنا فيه استاذنا الى
هذا الملعب ، رايت عند بابه سيارة اسعاف ، تابعة للجيش
الفرنسي ، وقد تجمع اللاعبون حولها ، وتجمعنا مع
التجمعين ، وفهمت من حديث القوم - على ضعفي باللغة
الفرنسية يومئذ - ان الكرة قد اصابت احد الجنود فسي
عنته ، وانه مات . وقد رايت به عيني يحمل على محفة ،
ويلقى ميتا في ارض سيارة الاسعاف ، فلما مضت السيارة
باليتم ، دخل رفاعي مع استاذهم الى الملعب . انا اما فقد
عدت الى البيت !!

هل يمكن ان انسى هذا المشهد الاليم ؟ ابدا ! لقد
رايت الجندي في الحلم ، وهففت مذمورا . وكان هذا
فراق ما بيني وبين كرة القدم الى اليوم ، فما عرفت انني
حضرنا مباراة مختارا ، والمرات التي حضرت فيها عددا
لا تحصى (اصابع اليد الواحدة ، خلال اربعين عاما ، انما
حضرنا مكرها . وموت سني مكتب عنبر ، وانا لا احسن
من الرياضة الا المهرات السويدية !

ثم نلت شهادة البكالوريا الثانية ، وانتسبت الى كلية
الحقوق ، وكنا نسميها « معهد الحقوق » . في السنة
الاولى لقيت الصديق الاستاذ عصام الانكليزي ، ابن
الشهيد عبدالوهاب الانكليزي . وكان قد فارقا الى بيروت
وتلقى دراسته الثانوية في جامعتها الامريكية ، وهناك
اولع بكرة اليد « التنس » . وقد جلدنا معا عهد صداقة
انعقدت في الطفولة ، ومددنا اخوة كانت بين ابويننا ، واخذ
يفرني برياضته الاثيرة . ان ذلك في عام ١٩٣٣ ، أي
قبل ثلاث وثلاثين سنة ، ولم يبلغ العشرين من العمر ،
واخذ يحدثني عن فوائدها ، وكما تكسب الجسم من
رشاقة ، وكما تمتع فيه من نشاط . ثم قال : وعندنا في
ملعب الجامعة فتيات اجنبيات ، يأتين باللبسة القصيرة
(الشورت) ، من حسنهن ومن ذلهن ومن عيشهن ... ! تصور
هذا في مدينة كدمشق قبل ثلاث وثلاثين سنة ، فاستماني ،
وتسبعت ، وسالت : وماذا يلزم ليصبح الانسان لاعب
تنس ؟ قال : مضرب (راكيت) ، وثلاث طابات ، وشبكة ،
وبنتال ابيض ، وجوارب ، وحذاء مطاط ، ومما ادرى
ماذا ... قلت : وكما تمنها ؟ قال : ليرتان سوربتان
(سقى الله تلك الايام) ! قلت : غدا بعد انتهاء الدوام

«دوارا» ، فلما اعتدل في مكان لا يجاوز فيه الماء صدره ، اقتاده الى صخرة قريبة ، واقعده عليها ليستريح ، فلما كان مني الا ان تركت الماء ، وجلست الى جانبه ، لا لأروح عنه ، بل لانني أصبحت خائفا مثله ، وكنت ارتعش ارتعاشه .

جلسنا على الصخرة ساعة او اكثر ، لا نتحدث ، ولا تنفجر شفتا احدا عن ابتسامة ، ولا نعلق على ما نرى كما يفعل الشباب في مثل هذا المشهد . وقد عرفت فيما بعد انه كان يفكر بما كنت فيه أفكر . كان اخوانا في البحر ، يتراشقون بمياهه ، ويداعبون الحسان ، ويحاولون العم - وأظن انهم لم يحسنوه حتى اليوم - الى ان غابت الشمس ، وأن أوان الرحيل ، فسألونا النزول عن الصخرة لنذهب ، قايينا . عندئذ عرفت انه كان يفكر مثلي في كيف تقطع المسافة بين الصخرة والساحل ، فالحوا علينا ، فالححنا في إباننا ، وأصرونا على البقاء ما لم يأت لنا بقارب تركبه الى الساحل . ولعلمهم سخروا منا ، ولكننا لم نبال سخريتهم . وبعد مفاوضات ، ومناقشات ، ومباحثات ، بلغت حينها حد الصياح ، قلنا ان نزل الى الماء ، شرطه ان يكون كل واحد منا بين اثنين ، وان يمكس من يتقدمنا ومن يتخلفنا بإيدينا ، وان نمشي صفين متوازيين ، وان يكون السقطي مسيطرا على الصميين . وهكذا نزلنا ، ومثينا وكأننا نمشي على جمر القضا ، فلم نكد نصل الى الساحل ، حتى سقط كلانا من الاعياء والبحر والهت !!

ثلاثة ، وثلاثون عاما مضت ، لا أعر ف انني بليت قديمي خلاها من الماء البحر او بماء النهر ، وما عرف ان الماء لامس جسمي الا في الحمام ، حتى كان صيف هذا العام (١٩٦٦) ، وأنا في جدة . دعيت الى مكان يسمى «الابحر» ، وهو خليج رائع ، بكاد يكون مغلقا ، يقع على بعد ٣٥ كم عن جدة . أنزلني أطفال في العاشرة والثانية عشرة عتوة الى الماء ، بعد ان رايت طفلة فرنسية عمرها خمس سنوات تلقي بنفسها فيه . ولكنني لم البث الا عشر دقائق ، ثم عدت الى اليابسة . كان ذلك اثرا من آثار الحياة ليس غير . لقد أصبحت أخاف من الماء ، لأنني رأيت بأم عيني انه سبب من أسباب الموت المحقق .

ثم أصبحت محاميا ، وكان لي صديق عزيز أوكل الي المرافعة في خلاف عقاري ، وقد قررت محكمة الاستئناف اجراء تحقيق محلي على المقرات المتنازع عليها ، ولم يكن يسعى الا ان احضر معه التحقيق في موقع المقرات . كان ذلك عام ١٩٤٣ ، وفي منطقة الجولان التي تقع جنوبي دمشق . وكانت الحكومة قد اهتمت فأوقدت عددا من افراد الدرك خيفة ان يقع صدام بين الفريقين . فلما نزلت من السيارة رأيت الخيول الجياد قد أعدت لركوبنا . وأنا لم أركب حياتي كلها حمارة ، فكيف لي بركوب الخيل ؟ رأيت القوم ينهضون

نبتاع معا هذه الحاجات . ومضيت أفكر لا في اللعبة وفوائدها ، بل بالحسان وجملهن ودلهن ...

وفي الغد ، تجمع الطلاب في الفرصة الاولى ، وإذا بي ارى الصديق الأستاذ عبدالقادر الميداني ، وقد أصبح من بعد تقبيل المحامين ، يربط عينه برباط انكرت عيني ، فاقتربت منه وحييته ، وسألته عما به ، فإذا هو يجيبي : لقد أصابت الطابة عيني وأنا لعب التنس ، وكادت تؤذيها ، وهي الان كما تراها . كان عصام في تلك اللحظة الى جانبي فالتفت اليه وقلت : لقد ألقى الموعد ، فلا تنتظرني هذا اليوم . وعينا حاول الصديقان اقتاعا بان هذا حادث طارئ ، وأنه ليس ذا بال . فاجبت : لست مستغنيا عن عيني .

وهكذا مضت سني الدراسة في كلية الحقوق وأنا اكره الرياضة ، حتى هذه اللعبة الرشيقه الانيقة التي تلعبها الحسان ، لم تستلني ، لخوفي على عيني .

ثم عملت محاميا مدريا . وكان لي اصدقاء يحبون السباحة في البحر ، ويرتادون يسيروت من اجلها . يذهبون في الصباح الباكر ، ويمددون في المساء . فأغرروني بمرافقتهم ، وحدوثني عن السباحة وفوائدها ، واما في سواحل البحر من جمال تنخلع له قلوب الفتيان . كانوا اربعة من الاطباء الناشئين : شوكة السقطي ، وعدنان سعيد ، وغسان الجلاذ ، وشفيق الايوبي ، ومهندس كيماوي هو رفيق سعيد ، وكاتب هذه السطور . ووافقهم في يوم جمعة من جمع ايلول ١٩٦٩ ، وما زالت أذكر اننا سمعنا ونحن على ساحل البحر نيا اعلان الحرب ، ولم نبال ، كان شيئا لم يقع . وقد ارتديت ملابس البحر (المايو) كما ارتدوه ، ونزلنا في الماء . وقد عرفت للوهة الاولى ان واحدا منا فقط هو الذي يحسن السباحة ، هو الدكتور شوكة السقطي . اما الباقون ، فلا يحسنون الا بل أجسادهم في الماء ، والخوض او التخويض فيه . فصنعت كما صنعوا . كان هذا قبل هذا الظهر في بلاج سان سيومن . ثم تقدمنا ، واستقلينا على الرمل متعبين ، الى ان حان الاصيل ، فامتلا البحر بالناس ، فتبعناهم كنا جميعا ، باستثناء السقطي ، نحاذر التقدم في البحر ، ولا تجاوز المكان الذي يصل فيه الماء الى صدورنا ، وقد علمونا انه اذا ما هجم الموج علينا ، نهضنا لئلا يغمرنا ، فكنا نجد متعة في هذا النهوض . وفجأة سمعت السقطي يصيح : يا لطيف ، يا لطيف !! فالتفت نحوه ، فإذا هو يلقي بنفسه في الماء ، ويدفع صديقنا الايوبي الذي كان يغطس في الماء ، فلما ارتفع راسه عنه ، رأيت مخايل الموت في وجهه ، وما زال به يداوره ، ويدافعه ، حتى خرج به عن المكان الذي كان عميقا ، والذي فيه شيء يسمى

(١) هو الثانوية الوحيدة في دمشق طوال مئة عام . راجع عنه كتابنا «الكتب عبر» طبع الطبعة الكاثوليكية - بيروت عام ١٩٦٤ .

خلفها وانما انت في وسطها) . وخيل الي انني اتقنت . وكانت الدنيا في اوائل الصيف ، فاخذت اذهب الى بلودان واعود منها . وذات يوم ، وكان جيش الاحتلال البريطاني ما زال في البلاد مع سيارته الضخمة المخيفة ، كنت اقود السيارة ، وكان معي اصدقاء ، جلس خلفي واحد منهم خير مجرب ، حاضر البديهة ، ذكي القلب . وكنت اسير في صحراء الديماس ، لا طلوع ولا نزول ، ولا نواء ، واذا بصديقي الذي هو خلفي يقول : ظافر ! خذ يمينك ، وقف ، وراكب سيارة كالجيل . وكنت امشي بسرعة اربعين كيلومترا في الساعة ، فما كاد يتم كلامه حتى حاذتني السيارة البريطانية المخيفة ، وما ادري كيف لاسى قفاهها مقدمة سيارتي ، فاذا بسيارتي مندفة داخل الفلاحة خمسين مترا او اكثر . لم يكن من صديقي الا ان اقبل علي ، وضم صدري بذراعيه ، خيفة ان يدخل مقود السيارة في صدري . وقفت السيارة ، ونزلنا منها ننفض غبار الموت .

وغني عن البيان انني منذ ذلك اليوم لم اجلس وراء مقود سيارة !

هذه سلسلة من الحوادث كرهتني بالرياضة ، اياها كان «فها» ولعلك تسال : هل هو الجنب ؟ قد يكون . ولكن الظاهر ان الجنب في الدنيا نوعان . احدهما هذا الذي وصفت لك ، وما اظن انه عيب ، لانه لا يدعو الى التخلف من واجبات اخلاقي او ادبي . وثانيهما جنب بغض كرهه حتما ، هو الجنب المتور الذي يحملك على القعود عن واجب محتم . وليس لي ان اتحدث عن موقعي من النوع الثاني ، اذ ذلك الى العجب اقرب . وقانا الله شؤره العجيب !

ولعلك تسال : وما هو راك في الرياضة ؟ وجوابي انني كلاب الجاهل الذي يتحرق على تعليم اولاده . انني اعرف مزايها ، وادرك سر اقبال الخلق عليها ، وولوعهم بها . واتمنى دوما لاهلي واقاربي واصدقائي واولادهم ان ياخذوا انفسهم بها ، وان يخصصوا لها ساعة من يومهم . ولكني لا اجد ، حتى اليوم ، القدرة على ممارسة شيء منها ، باستثناء المشي ، واي مشي ؟ انه ليس كمشي استاذي وصديقي بدوي الجبل ، عشرة كيلو مترات في كل يوم . لا ، انه الكيلومتر ، واذا جليت ، فكيلومتران .

واعود في ختام هذه الكلمة ، لاحي استاذي وصديقي شفيق جبيري ، وانا في الدمام ، وهو في عزلة الدائمة في بلودان . فما ادري كيف مر بخاطري كتاباه « انسا والشعر » و « انا والنثر » فاجواحي الي بان اكتب « انسا والرياضة » . وارجو ان يسامحتني على هذه المقارنة الباردة . وللاستاذ الجليل خالص محبتي ومودتي .

ظافر القاسمي

الدمام - السعودية

على جيادهم ، وانا واقف . فاقتربت من قائد الدرك ، وكنت اتوهم انه محب لي ، وهيمت في اذنه : انسا لا احسن ركوب الخيل ، فاختر لي راسا هو اقرب الى الجشعة من الى المرة ، فقال : امرك ! ودار بين الخيول ، وقال : اركب هذه ، انها عاقلة . فاستعنت بالله ، وامتعطيت ظهرها ، فلما استويت عليه ، عرفت لماذا احب العرب الخيل ، ولماذا اكرموها . كانت هذه هي المرة الاولى التي اعلو فيها ظهر فرس . وعرفت كذلك لماذا كان من آداب العرب ان يبدأ الراكب السلام على الراكب . انه زهو عجيب ، يصيب الفارس ، لا يشعر به الا الذي عرفه . ومضت الخيل ، ومضت فرسي بينها . واخذت الخيل تقفز ، وقفرت فرسي معها . وفرحت بانني قد استطعت حفظ توازني خلال قفزها . ولم تكد تمضي دقائق ، حتى عضت على لجامها ، وانفلتت بكل قواها . وكانها قد دخلت في سباق . وكان لسرجها حلقة ، فتشبثت بها جهلا ، وقد رايت امامي ، على الرغم من ان الدنيا دارت بي ، ابن عم صديقي ، وكان اسمه عبد الرحمن . كان على بعد (٥٠٠) متر تقريبا ، فاخذت اصيح بصوت اسمع اهل الحجر والمدرة، واهل الدنيا والاخرة : يا عبد الرحمن ! يا عبد الرحمن ! وقد مروت من جانبيه كالمهم ، ومضت بي قرابة خمسة كيلو مترات ، بمنتهى قوتها وانفاعها . ثم وقفت فجأة ، فنزلت عن ظهرها حالا . وكنت اتصور وانا على ظهرها كيف ساموت . ذلك بان الارض التي كنا نجتازها بركانية صخرية ، قانا ميت كيفما سقطت ، لا جريح ولا كسير . وتركت فرسي ، وانتظرت عبد الرحمن ، فاذا هو يهرب نحوي ، فلما وصل قالمكانته التفت لي بركبته رحمه الله : (برافو والله ، خيال تمام) . قلت : لا خيال ، ولا .. خذ عني هذه اللعينة ، ولماذا لم تلحق بي ؟ قال : وكيف الحق بك ؟ لو لحقت بك لبقينا في الطراد طول النهار ، فهذا غضبي عليه .

هل تدري ماذا كانت نتيجة هذا المشهد ؟ كان معنا مساعد المحكمة ، والمهندس الخير . والظاهر انهما مثلي لا يحسنان ركوب الخيل ، فلما رابا ما حل بي ، نزلا عن ظهرهما واختارا المشي على الركوب . وقد مشيت معهما من الثامنة صباحا حتى السادسة مساء ، ايثارا للعاقبة ! اما قائد الدرك الذي اختار لي الفرس ، فحينما رأى ما حل بي ، فقل عائد الى القنيطرة ، ولم ار وجهه الى ان مات ! والله في خلقه شؤون !

وفي عام ١٩٤٥ بدا لي ان اشترى سيارة ، فاشترت . كانت قديمة ، مستعملة ، ولكنها جيدة . فقد كنا في اواخر ايام الحرب العالمية الثانية ، وقد تحولت جميع معامل السيارات في الدنيا الى المجهود الحربي . واخذت اتدرب على سوقها ، او على قيادتها (فما ادري والله الصواب ، لان السوق من الخلف ، والقيادة من الامام ، اما السيارة فلا انت امامها ولا انت

مقال في الصورة الفنية

بقلم نعيم حسن الباي

دلالات المصطلح : يستعمل مصطلح صورة image في اكثر من مجال واحد من مجالات المعرفة الانسانية ويتخذ في كل منها مفهوما خاصا وسمات محددة . ويمكن ان نحصر ذلك في خمس دلالات :

(١) الدلالة اللغوية . (٢) الدلالة الذهنية . (٣) الدلالة النفسية . (٤) الدلالة الرمزية . (٥) الدلالة البلاغية .

وقد تمتزج هذه الدلالات ويعدو بعضها على بعض ، وتداخل فيما بينها وتشابك فيستعمل ناقد فني او باحث نفسي او دارس انثروبولوجي اكثر من دلالة ، او قد يستعير دلالة صاحبه في الميدان الاخر ، الا انها في النهاية لا تنحل الى مصطلح عام واحد يضمها جميعها ويعنيها في نفس الوقت ، ومهمة الباحث او الناقد ان ينسق هذه الدلالات ، وان يعي الدلالة التي يؤثرها ، او يدرك الدلالة التي يتحدث عنها .

١ - الدلالة النفسية

لعل اقدم هذه الدلالات هي الدلالة النفسية والمجمعية التي كانت تستعمل في جميع الميادين منذ عهد الاغريق دون تخصيص ، ثم انحصرت في الدراسات الحديثة في نطاق اللغة وفقهها وعلم المعاني ، واصبحت تعني نسخة طبق الاصل copy او صورة picture أي محاكاة حرفية لاي موضوع من الموضوعات الخارجية حيا كان او عديم الحياة ، ومما لا شك فيه ان هذه الدلالة تصدق على بعض الانماط المحددة التصويرية والرسوم الخطية للاشكال ، بيد ان نقلها الى مجال الشعر واطلافاها على القصيدة للاشارة الى شكلها الخارجي form فقط كان وما يزال محاولة عبثة مضللة ، بل ومصدرا كبيرا لسوء الفهم الذي دفع بعض الباحثين ليقيم علاقة مشابهة من نوع ما بين التشكيلين الحسينيين الخارجيين لكل من الشعر والرسم ، مع ان الشكل هنا وهناك لا يخرج عن كونه عنصرا واحدا من عناصر الصورة الجمالية وهو وحده ابعد من ان يكون المكون الحقيقي الاصيل لها .

٢ - الدلالة الذهنية

تستعمل هذه الدلالة في ميدان الفلسفة وتشير الى ان الصورة هي وحدة بناء ذهن الانساني ووسيلته

الوحيدة للتعرف على الاشياء وتوجيه السلوك او تحديده بالنسبة اليها . وقد استنتج الفلاسفة من هذا الدور الخطير الذي تلعبه انها العنصر العقلي القابل للفهم من موضوعات العالم واحداثه ، وعدوها ولا سيما في الفلسفة القديمة مقابلة للمادة الموجودة في الخارج ، ومن ثم قامت هذه الثنائية او المقابلة التي لا تماذج بين طرفيها (الصورة - المادة) ، وتعتبر الفلسفة الحديثة والوضعية منها بالذات هذه التفرقة تفرقة ميتافيزيقية مجردة لا وجود لها في الحياة ولا اساس لها من الصحة ، انها مجرد نظرية سيطرت على التفكير الفلسفي طوال عدة قرون ، وتعتقد لذلك بعدم جدواها ، بل انها ترفضها رفضا باتا ، وترى ان من الصعوبة بمكان ان تفصل بين حديدها المتزجين ، فالصورة هي المادة ، والمادة هي الصورة ، ولا فرق بينهما ، وسواء علت الصورة في طور انفصالها مقابلة للمادة او في طور ادماجها متمتجة بها فهي هنا وهناك واسطة المعرفة بالعالم المحيط بنا ، وتعني دراستها دراسة هذه المعرفة وبكلمة اخرى دراسة كل شيء .

٣ - الدلالة النفسية

تقرب الدلالة النفسية من الدلالة الذهنية الا انها تستخدم في نطاق علم النفس لتعني على حد تعريف « براي » التذكر الواعي للمدرك حسي سابق ، كله او بعضه في غياب المنبه الاصلي للحاسة الماثرة ، وبكلمة اخرى ان الصورة هي انطباع او استرجاع او تذكر لخبرة حسية او ادراكية ليست بالضرورة بصرية ، وتقول « ليست بالضرورة بصرية » لنتحرز من تلك الازراء الخاطئة التي شاعت لدى البعض من علماء النفس ومن تاتر بهم من النقاد والادباء (وبالذات جودمون وهيوم) حين قصروا الصورة على الدلالة البصرية وقد خلق كل من هذين الدارسين الآخرين تلك الضلالة التي شاعت في ميدان النقد (على حد تعبير روبرت) وهي ان الكلمات يجب ان تنبه صورا بصرية لوس غير ، وقد دفعت هذه الضلالة الكثير من الدارسين ليربطوا بين فن الرسم وفن الشعر دون اي مبرر سوى الانحراف وراء وجهات نظر لا يؤيدها فن الشعر ، صحيح ان الصور البصرية هي الحالة الطبيعية للتفكير لدى جمهرة كبيرة من الناس الا انها سواء بالنسبة اليهم والى اشباههم من العاديين او بالنسبة لغيرهم من العلميين والتجريبيين والفنانين لا تلعب وحدها الدور الفرد في تفكيرهم ، خصوصا وان الحاسة الواحدة ليست سوى آلة راصدة او مركز طليعة سرعان ما تلتقي مع بقية الحواس في عملية الادراك او التلقسي .

وقد وجد الكثير من النقاد هذه الدلالة السيكولوجية للصورة شيئا جديدا بالنسبة اليهم فتأثروا بها كما تأثروا بنتائج التجارب التي اجراها سير فرانسيس غالتون

(١٨٢٢ - ١٩١١) حول القدرة على توليد الصور وانتهى منها الى ان الناس يختلفون في عادات تشكيل الصور في اذهانهم ، وحاولوا في كثرة من البحوث والمقالات امتدت منذ بداية القرن وما تزال ان ينظروا الى التسعير نظرية جديدة يسلطون عليه فيها اضواء كاشفة لم تسلط من قبل ويعتمدون الصورة محورا للدراساتهم ، واذا اردنا ان نعرف الصورة النفسية في النطاق الادبي قلنا انها كل تعبير عن تجربة حسية تنقل من خلال البصر او السمع او غيرها من الحواس الى الدهن فتنتطبع فيه ، اي ان هذه الحواس كلها او بعضها تدرك عناصر التجربة الخارجية فينقلها الدهن الى الشعر ثم يعيد احيائها او استرجاعها بعد غياب المنبه الحسي بطريقة من شأنها ان تثير في صلق وحياة الاحساس الاصيل .

٤ - الدلالة الرمزية

تستعمل هذه الدلالة بالذات في الدراسات الانثروبولوجية وفي البحوث التي تعتمد نتائج هذه الدراسات ، والصورة لديها هي القصيدة باجمعها باعتبارها رمزا حسيا واحدا يكشف عن اشياء كثيرة جوهرية في حياة الفنان وشخصيته وطبيعة ذهنه ، انه خلق يعادل به الشاعر حدسه او يقدم رؤيته ، وقد تبنى الصورة (العمل الفني) بناء صوريا او بلاغيا بالدلالة الفنية وقد لا تبنى وليس هذا بلانهم فالهم ان الصورة هنا هي التي يحمل الواقع وغير الواقع وانما هو عالم واحد لا يشير الى غيره لانه نفسه اشارة ، وقد تبنى هذه الدراسات رؤيتها للوقوف على طبيعة الصورة البلاغية بالذات الجزئية التي تحمل وحدة ، هي وحدة الفكر واللغة ولا تعرف اثنينية ولا تعارضا .

٥ - الدلالة البلاغية

يشير معجم اكسفورد الى ان دلالة الكلمة البلاغية وجدت اول ما وجدت حوالي عام ١٦٧٦ ويذكر « منتسيري » (١٠٥/١) انها عرفت قريبا من هذا التاريخ منذ عهد شكسبير ، وهذا يعني حداثة الدلالة الفنية للكلمة بالنسبة للدلائل اللغوية والذهنية على الاقل ، وقد دعمت هذه الدلالة بتلك البحوث الكثيرة التي درست طبيعة لغة الشعر واصل اللغة ، وامتدت منذ القرن الثامن عشر وحتى الوقت الحاضر ، واذا اعتبرنا التصوير والحالة هذه مرادفا للتعبير المجازي شكل الصورة الفنية المفردة هي اي شكل مفرد من اشكال الكلام البلاغية يتضمن مقارنة او علاقة بين مركبين او عنصرين ، او لنقل كل تعبير غير حرفي .

هذه الدلالات المختلفة للمصطلح واستعمالاته العديدة في ميادين المعرفة الانسانية تشكل لدى اي باحث في نطاق الادب متاهات كثيرة ، وتقيم امامه صعوبات جمة وتضع

في طريقه عقبات كاداء ، فاي دلالة يمكن ان يتخذها اساسا لدراسته ما دامت الصورة بطبيعتها فضلا عن دلالاتها تقع في منتصف الطريق بين الفن والفلسفة ، وفي الوقت الذي تبدأ لتدبر فيه ظهرها لاحدهما تشرع في الاستدارة نحو الآخر ، وان نقل ما دامت الصورة تمثل اندماج خطين اولهما خط الخصوصية الحسية الذي يربط الشعر بالموسيقى والرسم وثانيهما خط المجاز اي الاسلوب غير المباشر الذي يقارن بين العوالم محتذا الدقة في « تيمانه » بترجمتها الى لغة اخرى ، ويبدو اننا لسنا في وضع المفازة بالنسبة لطبيعة الصورة ، وان كنا كذلك بالنسبة لدلالاتها ، لان البحث في طبيعة الصورة يشبه الى حد بعيد البحث في طبيعة المواد الاولية للشعور ، اي البحث في طبيعة الدافع القوي الدائم عند الشاعر لخلق الحياة او لبث الحياة من روحه ذاتها في الاشياء التي خيم الموت عليها بظلاله القائمة ، ومن الصعوبة ان نجريء هذه الطبيعة الحية الى عناصرها المكونة لها نعلي عنصرنا على حساب آخر ، ولعلنا نتفق مع « مري » في هذا الصدد حين يشير الى ان الادراك الحسي والحس البصري ضروريان حقا لكل فنان عظيم والى ان الشاعر يجمع دائما مدركات حسية نابضة بالحياة تصحح فيما بعد اقوى وسيلة يشكل ويعبر بها عن حدسه الروحي ، كما اننا نتفق معه مرة ثانية حين يرى ان البحث في طبيعة الصورة لا يمكن ان يستمر الا الى حد معين والا وجدنا انفسنا قد وصلنا الى حافة الخوض ، اما البحث عن المصطلح فلعله لا ينتهي بنا الى نفس الحافة رغم كل المشكلات التي يثيرها ، والتي يمكن ان ننتهي عنها في نفس الوقت ، ولقد رايتني الوب حتى وجدته في اثر الدلالة الاخيرة (الخامسة) لمصطلح صورة لعدة اسباب : اولها ان مصطلح صورة افضل من غيره في نطاق أي دراسة فنية . وثانيها لانه المصطلح الوحيد الذي بين ايدينا يحمل وجهات نظرا ، وثالثها لان هذا المصطلح يجتنبنا جميع الابهامات والصيوب العديدة التي ترمي بها البلاغة التقليدية ، ويسعدنا من مشكلاتها وقد لا يرضى عن هذا المصطلح بالدلالة التي ذهبن اليها فريق من الدارسين ، ويفضلون الاحتفاظ بالمصطلح القديم « مجاز » او « استعارة » ، بيد انه يجب الان ننسى ان المشكلات التي يثيرها هذا المصطلح اكثر بكثير من تلك المشكلات التي يثيرها مصطلح « صورة » ، ونستطيع ان ندرك بعض ذلك اذا وقفنا مع « وتشاردز » وتطور موقفه من دلالة مصطلحه المفضل metaphor ، فقد رفض في « فلسفة البلاغة » مصطلح « صورة » بحجة انه مصطلح مضلل يخلق حالة من الاضطراب في النقد لارتباطه بدلالات لغوية ونفسية لا تمت الى طبيعته الفنية بصلة ، وقال بان مصطلح « استعارة » الذي يجب ان توسعه حتى يضم جميع الوان التعبير الانفعالية افضل منه ، ولكنه عاد فضيع من دلالة المصطلح ورجع الى تحديد معناه الخاص

طاووس

ته وكابر ما حلا لك عشق الكون جمالك
ايها المختال زهوا آه ما أبهى اختيالك
ذنب يخنى له الرأس من العجب حيالك
جعبة للحسن أطلقت لنا منها نبالك ...
رقص الذيل ودر كالشمس لا تلقى مثالك !
فرش الريش كقوس السحب واصنع ما بدا لك
ملك الطير على الاطلاق من ضاهى جلالك
وتمنى كل طير ينشد الحسن ظلالك !
اعطني الريشة يا طاووس كي أطري خلاك
آه لو تنظر في المرأة أو تعرف حالك ...
تطيرت من المجد وقبلت خيالك !!

رياض معلوف

زحلة - لبنان

الاستعارة والتشبيه وما فيهما من ابداع كاذب ومن صيغة منطقية لا يمتنان الى دنيا الفن بصلة ولا يصلحان لها .
ويكفي ان تكون الكلمة ذاتها بخلاف جميع اشكال التعبير المجازية .
التصور والخلق او الخيال بوجه عام ، يصدق هذا على اللغة الانجليزية image و imagination كما يصدق (اذا اردنا ان نضع تحديدين جديدين للكلمتين) على لغتنا العربية «صورة» و «تصور» وان كان النقد العربي بلا ادنى ريب قد ترجم المصطلح ذاته عن اللغة الاوروبية ونقله الى مجاله في جملة ما نقل دون ان يقف على مختلف دلالاته ومشكلاته وما يحيط به من غموض ، ومن المقطوع به ان كثرة من الدارسين والنقاد لم يتخلصوا بعد من الدلالة القوية للكلمة ولا مما توحي به من العلاقة غير الصائبة بحاسة البصر ، واذا كنا نريد لنقدنا العربي هذا ان يفتى ، ولبلأغتنا ان تتطور وتثري ، فيجب اول ما يجب فيما يتعلق بالمصطلح ان نبعد عن اذهاننا اية اشارة مباشرة بتجه بها نحو المعجم او العين ، او لنقل بكلمة ادق اية اشارة بتجه بها ، بما ، ثم نخرج به من هذا الموضع الضيق ليعني اية وحدة تركيبية يتلمسها الشاعر في كل مكان ، ويخلقها بجميع حواسه وبكل قواه الذهنية والشعورية .

على اساس انه المعنى المألوف للكلمة ، فقال في كتابه (التأويل في التعليم / ٥٠) « ان اعطاء الكلمة ذلك المعنى الواسع جدا والعريض جدا ليس صحيحا في جميع الاحوال اذ يلزمنا ان نميز بين ما هو استعاري وما هو حقيقي (او غير استعاري) دون ان ننسى تشابه طرق التفكير جميعها الذي جعلني اوسع من معنى الاستعارة اصلا ، ولا تصبح دراسة الاستعارة دراسة مفيدة ذات ثمار ممتازة الا اذا درسناها بمعناها الضيق كنمط خاص من انماط التعبير اللغوي ودلالات العلامات » .

وفي الحق ان استعمال مصطلح صورة ليشمل جميع الاشكال البلاغية رغم خطورته ومشكلاته افضل بكثير من اي استعمال تقليدي آخر . يقول «مري» في كتابه «اقطار الذهن» ما يلي : «... رغم خطورة ما توحي به كلمة صورة فانها ضرورية لنا لان الاستعارة والتشبيه يدخلان بنا دنيا التصنيف الرسمي لصور البلاغة ، اما كلمة «صورة» فتشمل الاثنين ، ويمكننا ان نستخدمها لنعني بها اشتراكهما في الصفات الاساسية ، واذا استعملنا ان نبعد تماما من اذهاننا ما توحي به الكلمة من انها صورة بصرية في الغالب ، وابحثا لها ان تعني جزءا مما تعني كلمة الخيال التي نضفي عليها دلالة هامة شاملة ، اي اذا اعتبرنا الصورة شيئا غير قائم بذاته او مستقلا ، وراينا فيها اقوى آلة في يد ملكة التصور واكثرها تفردا - فانها ستكون بلا ريب ائمن واقوم من الكلمتين التقليديتين

في واحة التماثيل

بقلم ادبيل الخشن

خلافة وإنسانية صادقة . جمعت الصدفة برجل قروي في إحدى السهرات ، تعرف الى الفنان وأصبح يزوره في كل صباح ، ففى الوقت الاجدى لديه ، كان الهدوء يغلف المصنع عندما دخل عليه وحاول ان يضاقه بأسئلته وأحاديثه وهو منصرف بكليته الى عمله منصرف به حتى الذوبان . زمجر وتآلف بعضية ، ولكن الزائر لم يفهم . فاستشاط غضبا وحطم التمثال الذي امامه ، فكان صوت انكساره كصياحات الألم المرقع ، غير ان الرجل وقف حياله جامدا كالحجر وأحس الفنان بوخزات الشوك تدس في فؤاده .

بمالك في واحته سور قديم ، نصف دائري ، اصطلت عليه تماثيل مختلفة تذكر بكنيسة القديس بطرس في روما . وان ولجت الى الدار الخارجية المربعة بأحواض الزهور المتنوعة ، تنجذب عيناك بقوة خفية نحو ملاك ابيض يتحنن للطيران . هذا التمثال هو تحفته ، نفض فيه روحا وثابة . وعزيمة ماضية للتمالي للتخليق ولما حاجة المبدع . قاعدة التمثال امرأة مضطربة العيين تسلم الروح ، فاذا بنفثاتها تتصاعد وتتحول الى امرأة متوترة تدوس هيكل الخنوع واللذل وترفع يدها بقوة وتتطاوّل لتلقط النجوم .

اما القاعة الداخلية التي هي مسكنه ، فقد رصفت على جدرانها شتى الرؤوس ، كل له تعبيره الخاص وروحه المميزة . نام الاطفال ، المرحومة حبوبة حداد ، كانت تجايعها وجهها المبرقعة تضفي عليه البسمة الواودة فتشع من خلالها روحها المشعة طيبة وبراءة . وهناك في الزاوية يجتذبك من صخور «عين كفاح» ، فوق عينيته رفاق غليظان بعيدان الى الاذهان حاجبي «ابى سعدى» الصقريين ، وقد تبعثرت خطوطهما في اتجاهات عديدة كفكر مارون عيود . كانت بسمته مشعرة وشغفاه تكادان تتفرجان ليقول كلمته الساخرة . كذلك الشاب سعيد عقل ، الذي يتسم بهالة كلها شموخ واستعلاء ، تفوس عيناه في مجاهل بعيدة وتوغل في اعماق الاساطير وتطلقان « أوروبا وقدموسا » يحلمان الى العالم الحب والمعرفة .

كان مبدعا فائزمله لم يقف عند التقاطيع الواضحة يرسمها وينقشها بل ولج الى النفوس فاخرج كنوزها وعرضها بفن ومهارة .

عشنا ساعات حلوة متمعين في محراب الفن ، وفي ذلك الطريق المتعرج حتى الشاطئ ، كنا نجمع الصعتر المطر واضاميم الوزال ذات القناديل الصفراء الشاحبة والعبق النفاذ الذي يحل في اعماق النفوس انتعاشا وفتحنا على الضوء والفرح .

ادبيل الخشن

شموخ في التلة وهدوء في الوادي وفنان يذلف الى محترفه ، يدخله كالعباد الورع ، ينسى نفسه وينسى العالم ليتلاشى في روح المبدع .

ياخذ ازيمله وطينه ، ويقف بكل ما يعتمر في صدره من إنسانية وصفاء ، فاذا الحجر يتنفس بعق ويعبر باختلاج .

كان لا يزال طالبا على مقاعد الدراسة عندما اطلت تلك الموهبة من عينيهِ الرماديتين فنحت رأس استاذهُ على طاولة مقعده . وسعى بكل طاقاته لاشباع هذا النهم المتدفق في دمه ، نهمه الى الفن ، الى التحنن ، فتوجه الى ايطاليا يعيش في الجو الذي يتلفه اليه ، فروما مهد بحري تربي فيه اعرق الفنانين ، في فضاء مشبع بالجمال ، فاضات يعقرياتهم في لوحات خالدة تتلالت في تماثيل برزت في كل سقف وعلى كل جدار .

وفي روما في بيت استاذهُ اضاءت طريقه عينان ابهر فيهما نحو الف جزيرة ، فرأى نفسه مع «الارمين» وحبيبته «غرازيل» في بيت ذلك الصياد في جزيرة « بروشيدا » يسهران على «السطيحة» في ضوء القمر ، او يفتشان الرمال الغضبية ويخطان باصابع مرجلة كلمات الحب البريء . وعاد لامرتين الى وطنه في قلبه صورة حبيبته وقد عاش عمره بسقيها ذموعه وحسراته لتحيا في نفسه . وعاد هو الى وطنه يحمل معه عروسا ايطالية احبت لبنان ، هذه الجنة التي أنبت حبيبها وغمرته بشغافة انبيائها . اما هو فكان يشعر بالغربة بين أهله وفي وطنه ، غربة تعصر نفسه الى الانصراف رفاقته عن اصالتهم وجذور ارضهم الى فنون غريبة دخيلة لا تعبر عن روح واقعتهم . وانزوى في صومعته مغضلا معايشة الصخور على حياة تحجر نفسه وتقززها .

كان يستيقظ باكرا ويبدأ عمله في قبو قديم يعوم على سطح واد تناثرت على جنباته باقات الوزال وعطرت نسائمه عروق الصعتر الزهرة . المعصور وحده ، هو أنيسه في الصباح الباكر . احلى الساعات لديه هي هذه الفترات الصباحية التي ينساب فيها السكون والارتياح الى نفسه ، فيقف كالعملاق امام احجاره ينبغ فيها روحا

بيدا :

أبني فتاتك

الوليد :

ما تقول

بيدا :

وهل تراني العيب
هي خير فربان يقدم للقلبي ويقرب

الوليد :

لو كنت تسألني الحياة
لكن أراك سالتني
وطبعت شيئا هاج لي
ولادنا الذكرى الحبيبة
وجلال ما قبست يد
وفنون ما خط الشروق
ووديعه الذكرى وبوح
أولادنا القند كله
ونريدني الجزر ينشط
هيهات بقوى ساعدي
بذلها لك باختيار
ما ليس يوسع اضياري
شجني وماد له وفاري
من شباب مستعار
الاسماء من قبس النهار
وشغف عن كاس وعار
الشوق في ليل لسان
ومحط آمال كبرار
للصفائير والدمار
يوما على فعل الصغار

بيدا منهكما :

أتجيت ما رددته
قلت : الزعامة مفرم
لا متجسر لكاسب
والحر من سبط الدين
مالي أراك قبست من شج
متجحا غيا وختلا
نصرت به الإحرار تقلا
أو مريع للغيى يجلى
وما تنى الكفين تجلا
بيدا وعييت فعلا

الوليد :

ما كل جود كان يعزى
وليد الغنى عرى وهل
الشح بالأعراض من
للفصيلة والكرم
في صوت عرى منهم
شرف الرجولة والشمم

بيدا :

ان كنت ترغب بالسلام
فاجعل فتاتك قديمة
شيئان ما من ثالث
فاختر كما يعلو الصمير
ان شئت صون دم
أو كنت في دهما الحريس
فأقبل لسانك وانتظره
لدفن ما لا يشتهى
في دره عادية الاذى
لهمما وكل كاللغى
اليك او يعلو الهوى
الرجال فرب ابنك القدي
ولا تطبق لها ردى
بالاهل ما لا يشتهى

(اصوات استحسان من رجال القائد بيذا وضحك)

أحد الرجال :

مرحى بيذا

آخر :

واشهر غمدا

شمر زندا

(الوليد يخرج وهو يقول :)

للللم مهما تهاهى
ولم يكن ببعيد
نهاية وكتاب
عن القشوم حساب

من مسرحية غادة

مقطع من الفصل الثاني : في
سرادق القائد الروماني بيذا فاجع
مدينة افاميا .

عدنان مردم بك

دمشق



فريد السعد - شكيب الاموي

بقلم البدوي المثلث

١ - فريد السعد

في حياة «فريد السعد» صفحات مطوية تفيض سننى ونورا ، وتمجج عطرا وبخورا ، وكلما عكف الكاتب المنصف على قلبها والتنقيب فيها حتى الهامة فخارا لعظيم يحجم عن نشر آثاره ، وتذيع اخباره ، وتأطير مآثره بهالة من الزهو والخيلاء ! وفي يقيني ان اسدق ما ينطبق على فريد السعد الحكمة الانكليزية القائلة «الوطنية الصادقة لا تتكلم عن نفسها» .

في «أم الفحم» القرية الوادعة الجمائة بين غابات الزيتون ولد «فريد» وتلقى دروسه ، والتحق بعدها بكلية النجاح الوطنية بنابلس (١٩٢١ - ١٩٢٤) ونال شهادتها الثانوية وكان الاول في صفوفه واشتهر بين اقرانه بتفوفه بالعلوم والرياضيات . وسرعان ما حمله طموحه الى الالتحاق بالجامعة الاميركية في بيروت وامضى فيها سنين دراسته العليا (١٩٢٤ - ١٩٢٨) ونال شهادتها بالعلوم والرياضيات ، ومن زملائه في عهد الدراسة الدكتور قسطنطين زريق والدكتور نبيه فارس وعادل مسيران رئيس مجلس النواب اللبناني سابقا وعبد الفتاح المغربي عضو مجلس السيادة في السودان وغيرهم .

الى العراق : وهربا من جو خائق محسوم سعاد فلسطين طيلة عهد الانتداب قصد فريد بغداد ليستروح فيها جوا عربيا شدي الفوح ، وليخدم جيلا هو عماد الامة في وحدتها العربية الكبرى ، فعين استاذا للطبيعيات والرياضيات في الثانوية المركزية ببغداد (١٩٢٨ - ١٩٣٠) . الى الاردن : وبعد عامين سلكهما فريد بين الرصافة والجسر .. احس بان عليه واجبا نحو الاردن هذا البلد العربي الناشء المحفوف للوثوب فجأة في اعقاب عام ١٩٣٠ وعين مديرا لثانوية اربد ، ومن دواعي غبطتي ان تتلمذ عليه فوجدت فيه مريبا موهوبا جمع الى الخلق الرفيع التفكير السليم بالامة التي تحدر منها وتخليدها على خارطة الدنيا . وتقديرا من المسؤولين في مديرية المعارف العامة عين مفتشا للانكليزية والرياضيات فادى رسالته في صدق واخلاص واستقل «وزناته» فسي خدمة الجبل الصاعد وتنشئته .

الى فلسطين : وراى فريد ان الواجب يدعوه لخدمة

وطنه المفضوب ، وبلده المنكوب ، وهنا لعب القدر دوره .. اذ كان السر والكهوب ، المندوب السامي الاسبق في فلسطين يتطلع عام ١٩٣٣ الى شاب عربي واع كريم النعمة ليعمد اليه بتأسيس مدرسة ابناء المشائر في بير السبع ، وفي زورة قام بها المندوب لعمان كاشف المسؤولين بهذه الامة فوامت الاصابع الى فريد ... فاسفرت المفاوضات عن قبول فريد هذه المهمة فقصد بير السبع البلد الصحراوي النائي وامضى فيه عامين تميزا بالجدية وترويض الطلاب على الابهاء ومقت الضيم ومقارعة الظلم والحفاظ على قدسية الوطن .

الى الجهاز الاداري : وتقديرا من المسؤولين لكياسة فريد في تصريف الامور قتل عام ١٩٣٥ قائم مقام لحيفا وصرف في السلك الاداري مدة عشر سنوات قضاهها متقللا بين حيفا والناصره وطولكرم وصفد وبير السبع . الى الحقل الاقتصادي : وفي عام ١٩٤٣ استقال فريد من الخدمة في حكومة فلسطين وعين مديرا للبنك العربي في حيفا واسهم في تأسيس «لجنة التيمم العربي» و «جمعية انفاش القرية العربية» و «جمعية المعارف الاسلامية» .

وهنا لا بد لنا من عودة الى الوراء لنقف طويلا امام خدمات اداها فريد لامتته وهو على رأس عمل حكومي حساس ... فترى اي قلب جريء يحصل هذا الوطني المؤمن ، واي نفس حملته على اجترار العجائب والمذهلات ! (١) روى لي الدكتور سابا برنيخ (طبيب الحكومة في طبريا سابقا) ان «فريدا» آمن في قرارة نفسه بان معركة «الاربعاء العكبر» وحدهم ، وليست مع اليهود ، فصم وهو قائم مقام الناصرة (١٩٣٦) على الثأر من المصالح البريطانية الحساسة في الشرق العربي (وكانت انايبس بتروال العراق تمر بقضائي طبريا والناصره) ووجد في الغيور الجسور المرحوم رافع الفاهوم (شيخ قرية ندور في مرج ابن عامر) خير من يعينه على تنفيذ مهمة شاقة شائكة هي نسف انايبس البترول !

وبعد ان كاشف الشيخ «رافعا» بالامر سرا عمدا معا الى طريقة بدائية في الانتقام هي لف انايبس البترول بـ «الخش» واشعال اللغائف لتطرى ... وبعد ليونتها اطلق التوار الرصاص عليها فتدقق البترول انهارا ... ولا شك في ان «فريدا» بانتقامه هذا من المصالح الاستعمارية اول من فكر به النوع من الانتقام ، وفقد ذلك مراقب الاجنبي ونسفها !

(٢) في عام ١٩٣٦ قامت في فلسطين حركة الشهيد القسم وصحبه المؤمنين فكان فريد ، وهو قائم مقام حيفا والناصره ، يزورهم في معائلم الحصينة ، وشجعهم على المضي في مقاومة المستعمر ، ويقدم لهم ما امكن من المساعدات !

(٣) روى لي الدكتور نايف حمزه (رئيس مستشفى

الحكومة بحيفا سابقاً) نادرة تكاد تكون أقرب الى الخيال منها الى الحقيقة هذه خلاصتها :

في عام ١٩٤١ قامت في العراق ثورة المرحوم رشيد عالي الكيلاني وفيها اشترك ، بصورة فعليه ، المناضل العربي الدكتور امين رويحه . وبعد ان بات هذه الثورة بالفشل امتطى الدكتور رويحه طائره من بغداد الى برلين مارة باجواء فلسطين ، فانزلت السلطات البريطانية الطائره في مطار اللد واقلت القبض على الدكتور رويحه وارسلته مخفورا الى سجن عكا .

و ذات يوم تلقى فريد ، وهو قائم مقام حيفا ، رسالة شقية من سياسي عراقي ليطلع الدكتور رويحه على فحواها ، لكن كيف السبيل الى لقائه والاجتماع به وهو يرسف بالاعلال في سجن عكا ؟ اخذ فريد يفكر في حيلة تمكنه من لقاء السجين العربي المضطهد فكلف صديقه الجراح الدكتور نايف حمزه نقل الدكتور رويحه من سجن عكا الى سجن مستشفى حيفا بداعي مرضه ... وبعد ان نقل كلف الدكتور حمزه اتمام مهمة شاقة هي ان يسهل لقاء الدكتور رويحه في سجن المستشفى ... وكان حراسه من البوليس اليهودي ! وراح الدكتور حمزه يفكر في وسيلة تحقق الغرض المنشود ... وذات يوم دعا «فريدا» الى مكتبه في المستشفى و«خلع على» قائم مقام «لباس طبيب ... وزين صدره بـ «معاينة» لماعة ! وهنا

دخل «فريد» غرفة السجين وابلغه الرسالة وعاد الى مكتب الدكتور حمزه باعصاب هائلة ، وخبط بترتة ، كان لم يحدث شيء ! وعاشت هذه الزياره سرا في طي الكتمان حتى حكمتنا عنها في هذا الفصل . بل اننا لم نذكر الا انكليز ابان حكمهم فلسطين سنوا قانونا جائرا تقضى احدي مواد باعدام من يحمل رصاصة ... فكيف اذا كان موظفا مسؤولا تريبا يزي طبيب ؟

(٤) روى لي الدكتور نصف كمال (وزير الانشاء والتعمير الاردني) انه كان طبيبا حكوميا في قضاء بير السبع عام ١٩٤٢ و «فريد» قائم مقام القضاء ، وفي تلك الفترة سمعت شركة الكارن كايمت اليهودية الى شراء مساحات شاسعة من اراضي بير السبع لكن فريدا وقف لها بالمرصاد وقاوم حلمها الذهبي ، واحبط المساعي التي بدلتها السماسرة في هذا السبيل ! وذات يوم جابه نفر من زعماء الوكالة اليهودية (رئاسة الوزراء اليوم) وعلى راسهم غويتن الحامي الشهير وهدده بالعرزل اذا استمر في سياسته السلبية هذه ... لكن فريدا طردهم من مكتبه الرسمي منشدا نفسه قول «عرا» شاعر الاردن :

ف «ابلطوا البحر» غيلا من معامتي وبالجيم ان استلغتم فرجوني
فما انا راجع من كيد ظننكم حنفا لحق «الغاري» و «الساين»
لم تقف الوكالة اليهودية مكتوفة الايدي حيال الموقف العنيد الذي وقفه فريد في بير السبع فيادر رجالها الى انارة القضية في لندن ... وبعد فترة زار بير السبع

الماجور هانلوك عضو البرلمان البريطاني (وهو برتبة رئيس في الاستخبارات البريطانية) للتحقيق في شكوى الوكالة اليهودية وعجم عود فريد وسبر غور ولانه للنجاح البريطاني ! وكانت تربط فريد بمصر بلانكنسوب ، مساعد حاكم اللواء في بير السبع ، صداقة وطيدة الدعائم ، وتميز هذا البريطاني الحر بضمير حي ، وبثائير من هذه الصداقة اقنع مساعد حاكم اللواء بتوصية المندوب السامي ليصدر امر دفاع يحظر فيه دخول اليهود منطقة بير السبع لفحص التربة والتحرير عن طبيعة الاراضي هناك وشرائها .

وبقتضينا الانصاف ان نسجل في هذا الفصل ان مستر بلانكنسوب هذا البريطاني النبيل ، استقال من الخدمة في حكومة فلسطين احتجاجا على سوء المعاملة التي لقاها عرب فلسطين في مقر دارهم ، توطئة لتأييد بلادهم ! وفي المذكرة التي قدمها مساعد حاكم اللواء للمندوب السامي علل اسباب استقالته بالظلم المتعمد الذي اصاب اهل البلاد الاصليين من جراء سياسة جائرة سكتها بريطانيا في فلسطين قلب العالم العربي ؛ وحالما وقف «فريد» على نص الاستقالة حمل صورة عنها الى المكتب العربي بالقدس ودفعها الى المسؤولين ليتخذوا من هذه الوثيقة التي قدمها بريطاني مسؤول وسيلة للتشهير بظلم الانكليز وبطشهم بعرب فلسطين خلال حكم طويل اتسم بالفرد والخيانة .

بعد النكبة الفلسطينية : وبعد حلول هذه النكبة اختارت «فريدا» الحكومة السورية ، في عهد المرحوم حسني الزعيم ، عضوا في الوفد السوري مؤتمر التوفيق المزمع في الاردن ، فكان الناطق الرسمي باسم الوفود العربية في الشؤون الاقتصادية !

الى الاردن : وفي عام ١٩٤٩ رجع فريد الى الاردن ودخل القطاع الاقتصادي بهمة الائق من نفسه واقال عثار شركة وطنية هزيلة للسجائر ، فحلّق بها حتى غدت بجهوده ومساعي العاملين معه سيدة شركات التبغ في العالم العربي . وفي مطلع عام ١٩٥١ كلف «فريد» الدخول في وزارة جديدة في عهد المغفور له الملك عبدالله بن الحسين ، لكنه اعتذر بمشغلاته ورغبته في خدمة الاقتصاد الاردني . وليجني الوطن ثمار خبراته عين عضوا في مجلس الاعيان الاردني (١٩٥١ - ١٩٥٥) .

في دنيا المآثر : وبعد ان حلّق فريد كالنسر في الحقل الاقتصادي تلفت وهو الرجل الواعي الى واجبه القومي ازاء الطلاب المتفوقين في بلده ، وراى ان الاردن احوج ما يكون الى «التكنية» العالية وان العصر الذي نعيش فيه عصر تميز بالتقدم السريع في العلوم النظرية والتطبيقية ، وان قوة الامة ومنعتها وقدرتها على استغلال مصادر الطاقة في اراضيها ، واستثمار مواردها الطبيعية تربط ارتباطا وثيقا بمدى تقدمها علميا وتكنولوجيا ، وان اسهام الامم الحية في تقدمها التكنولوجي غير مقصور

او من خشب صناديق السيارات ! ياله ... ما اوسع خيال الفقراء والمعدمين !

وفي يوم من الايام ... وضعت قروشاً فاضت عن حاجتي في البنك فناولني الموظف دفترًا ذكر فيه رصيدي ... ودفتر شيكات مطبوعا اسمي على كل ورقة منه . ولست اعرف في حياتي سرورا غمرني كسرور ذلك اليوم ... كنت ارى ان كل ورقة من هذه الشيكات قد تساوي اكثر من القروش التي وضعتها في البنك ... فاقول في نفسي : « يا للمغفلين الذين يرشون بحفظ رصيد الفقراء لديهم !

ومرت بي ايام كنت ارى فيها وجه الدنيا كالحا فانما ... ذلك لانني لم اجد الدنيا تنصفني ايما انصاف ... فالدكاء والفهم يلزمان الفقر والموز ، والجهل والغباء يرتعان في بحبوحة من الثراء والرافعة والرخاء ... هذا كقاعدة عامة ! ولكنني مصمم على ان اخوض معركة الحياة بكل ما املك من مواهب لا اسرع الفقر والحاجة ... ولكن للحرمان والالام فضائل ومميزات كبرى ايضا ... انه يوسع الافاق والادراك ويساعد على التأمل والتخيل !

واترت على نفسي ... وحرمتها لئلاذ الحياة .. واقنعها بان كل ما ليس في وسعي الحصول عليه انما هو ترف وبذخ ... اقتنعت ان الحلوى تترك المعدة ، والفاكهة تترك في المعدة حموضة ... ولبس الحرير مظهر من مظاهر التخنث ... واقتناء السيارة الخاصة جريمة كبرى ، لان ذلك يحول بين الرجل وممارسة رياضة المشي ، وهي اروع انواع الرياضات !

اقتنت نفسي ايام غرفة واحدة فقط .. وحماما عاديا .. عاديا جدا .. ومطبخا مساحته متران مربعان فقط ... كل هذا البناء كاف للانسان العادي ولو كان من اللبن او من شجر النخيل !

وتاملت موكب الحياة ! هذا (فلان) كان بالامس زميلي ، وكنا نعمل معا في مكتب واحد ، وكنا نمشي (مشوار) المساء على ارجلنا ، وكنت احاول اقناع نفسي واقناعه ان كل شيء على غاية ما يرام ... وان كل انسان ينال ما يستحق في الحياة ... الم يقل المتنبي :

وما الجمع بين الماء والتار في يدي باصبع من اجمع الجبد والفهم !
ثم ارى (فلانا) هذا بالذات ... يبني البيت الضخم .. ويقتني الاثاث الفخم .. ويمتطي السيارة الفخمة .. ويتزوج زوجا فخما كذلك .. فتختل القيم في نفسي .. ولكن ماذا اعمل ! وانا متكبد على مكتبي ! اعمل بجهد واخلاص .. اقتر واحرم نفسي من اطياب العيش .. لاخفق القروش في البنك ، ولن تيسر لي الرفقة والمطبخ والحمام التي احلم بها ليل نهار ... السرقة ؟ ولكن كيف ؟ ومن اين ؟
ومضت ايام ذقت فيها كافة انواع الحرمان .. فهذا قميصي وسخ ومرقع .. وهذا جوربي ممزق ومهملل ،

على الحكومات فحسب ، بل يتجاوزها الى الافراد ، فسم «فريد» على اجترار عمل فريد هو الاول من نوعه في العالم العربي استجابة لقوله تعالى : « وفي اموالهم حق للسائل والمحروم » فخصص «هبة» دائمة للعلوم التطبيقية ! وتحقيقا لهذا الغرض تنازل عام ١٩٦٢ عن ٩٠٠ سهم من الاسهم التي يملكها في «شركة التبغ والسجائر الاردنية» لانفاق ارباحها سنويا على عمل مفيد دائم هو تعليم طلاب متفوقين محرومين يقومون بدراسات علمية في النواحي التطبيقية ، ولا يقتصر ذلك على دراسة الطرق المألوفة ، بل يشمل ايضا القيام بالبحث العلمي التطبيقي في حقل الفيزياء والكيمياء والبيولوجيا وغيرها . وتنفيذا لافراض هذه «الهبة» وشروطها اختار فريد مجلس اوصياء من صفوة رجال الاردن فشرعوا عام ١٩٦٢ في اختيار الطلاب المتفوقين وابادهم الى الجامعات ، ولعل في هذه المبرة النخبة حافزا يدفع اربابا من العرب ليشاركوا في اشاعة العلم بين الطلاب المتفوقين المحرومين !
انقل الله كلمة «ابي علي» بالعناقيد - على لغة جبران - وملا يبدده بالفلال ، واترع جرائنه بالزيت والعلل ، ووضع يده على قلب كل متفوق محروم يتطلع الى العلم ، وهدى اربابنا الى محبة الخير والتاسي بخل هذا الحسن الصامت !

٢ - شكيب الاموي

في «صفد» المدينة الشامخة القائمة في اعالي الجبال ، وعلى الحدود المتاخمة للبنان وسورية والاردن ولد شكيب الاموي عام ١٩١٨ وانهى دراسته الثانوية في « الكلية الاسكتلندية » وعمل موظفا في حكومة الانتداب بفلسطين وفي عام ١٩٤٣ زار السعودية مع بعثة الحج الفلسطينية وعاد (حاجا) الى بلده ، وما لبث ان التحق بالحكومة السعودية عامرا وشغل عدة وظائف وفي الحرب الفلسطينية (١٩٤٨) التحق بالقوات السعودية التي كانت تعمل جنبا الى جنب مع القوات العربية في غزة هاشم .

وبعد فشل الدول العربية في الحرب الفلسطينية عاد شكيب الى السعودية وعمل في شركات اميركية للزيت سنوات طويلة ، واشتهر كقاص غذب الاسلوب ونشر عشرات القصص القصيرة والمطولة في كبريات الصحف والمجلات التي تصدر في السعودية واسهم في الحركة الادبية هناك وزود الخزائن العربية بطائفة من الكتب القيمة .
من آثاره القلمية : (١) المملكة العربية السعودية (مترجم) . (٢) اصدااء النغم . (٣) شهوات ائمة . (٤) شهوات محموعة . (٥) مغائن الصحراء . (٦) شهوات غالية .

تتوذج من نثره : « كان ذلك منذ خمسة اعوام ، وكنت قتيلا معدما ! وكنت احلم ببناء كوخ من سعف النخيل .. من القش .. او من ورق اكياس الاسمنت ..

وقد بنيتها جميعا .. وسكنت فيها .. وستسأل :
وكيف كان ذلك ؟

سقول : سرت ! فأقول : معاذ الله !

سقول : هل استدنت مبلغا من صديق أو غني
و «بلعته» ؟ فأقول : أتريد أن تقول : انني نصبت على
صديق أو ثري ببلغ أصبح في خبر كان ؟ وهل يقرض
الصديق أو الثري فقيرا بأثما معدما مثلي ؟ لا .. لا ..
انني ما نصبت على أحد من الناس !

سقول : إذن تدلتك ... وتبرعت على أعتاب زيد
أو عمرو ؟ فأشفق عليك أهدم ومنحك منحة مالية !
فأقول : حتى ولا هذا !

إذن : وارتسمت على وجه صاحبي علامة استفهام
عريضة .. لا .. لا .. لا .. يا صاحبي .. حتى ولا هذا ولا ذاك !
فلا زلت غازبا أعيش وحيدا !
إذن كيف ؟

لا تسأل : (كيف) يا صاحبي ! أعرق وجاهد وحدك !
أعرق واشحد فكرك ! تمثل دوما بقول أبي الطيب :
وانما رجل النسيب وواحدهما من لا يول في النسيب على أحد !
وبالوسائل الشريفة تستطيع أن تبلغ ما بلغه غيرك
.. أو بعض ما بلغه .. عندها تتفادى ذل الحاجة والاستجداء
والذل .. وتستطيع الحصول على خبزك بعرق جبينك
.. وتعيش مرفوع الهامة ، موفور الكرامة ، عزيز الجانب ،
مع أمثالنا الكادحين المحرومين ! » .

البدوي المثلث

عمان - الأردن

مكتبات انطوان

فرع شارع الأمير بشير

•

صدر الجزء الأول من كتاب

الحرب العالمية الثانية

لريمون كارتيهيه

الترجمة العربية بأشراف

الاستاذ جبران مسعود

الثلث للجزءين ١٠٠ ل.ل

قيمة الاشتراك الشهري ١٠ ل.ل

وهذا بدني متسخ تسوده بقع سوداء أفركا بيدي فتدحرج
(فتألي) الوسخ ... وغدري مقبول لدى نفسي .. ليس
لدي الوقت ولا الصابون ولا الماء الكافي لانظف بدني ...
وهذا حدائي لم ير (الدخان) أبدا وهذا شعري تتساقط
منه القشرة .. فأحكه بأظفاري المستطيلة القشرة ...
ويطول حتى يصبح ك شعر الفلاسة فيعجنني هذا المنظر
الزري .. وأقول في نفسي : « انني سعيد بهذا المنظر
الذي يعطيني انطباع الرهبة والوقار الفلسفي .. فاتخذ
وضعا جديا ... وإذا جلست مع أناس بسطاء ... تراهم
قد تربعوا واخذوا سمة الهيئة والوقار ، وأطل أهدم
براسه وقال : « ما أرايك يا استاذ بكذا وكذا ؟ » يسألوني
أسئلة محرجة .. ويسألوني أسئلة فلكية أو طبوغرافية
.. أو سياسية أو اجتماعية .. عميقة .. فأشحد زناد
فكري .. وأدلي بأقوال مبهمة .. يسهل تأويلها على عدة
وجوه .. واشتط بالحديث فابتعد عن مواضع الزلل ،
وأبلغ به مواضع مأمونة .. فيعجب الناس من هذه
« اللباقة » و « الكياسة » و « سرعة الخاطر » .. لكنني أدري
بنفسي من الناس جميعا .. انني أقرب إلى الغباء مني
إلى الذكاء .. وإلى الجهل مني إلى العلم !

لماذا كنت قاسيا هذه القسوة على نفسي ؟ لماذا كل
هذا التفتير وغل اليد إلى العنق ؟ كل هذا لانني كنت
وراء غاية .. أريد بناء غرفة ومطبخ وحمام على أرض
أملكها (والملك لله) ولكن كيف أبني وأنا لا أعرف من فن
البناء شيئا ؟ لا أميز المربع من المستطيل .. والمتر المربع
من المتر المكعب ؟ إذن سأدرس .. وسأسأل صديقي
المهندس فلانا .. سألصق به أسبوعا أبتدئ به البناء
عن كيفية البناء ووضع الأساس في الأرض .. والمواد
التي يتطلبها .. وأيهما أقوى على مقارعة الدهر : اللبن
أم الحجر أو الآجر ؟ وهل « رصيدي » في البنك يسد
أكلاف البناء ؟

آه .. يا للجهل والفقر ما أقبحهما ! انني أغبط هذا
المهندس الذي جاءه « زبون » يرغب في إنشاء بيت ! أمسك
المهندس الورقة والقلم ورسم له ما أراد .. وبعد دقائق
يتناول الرجل المخطط ويدفع ثمنه قدر راتب شهرين أو
ثلاثة من رواتبي !

هذا اذا كان البناء بسيطا .. أما اذا كان ضخما دفع
راتب سنتين من سني عمري الضائع .. والعملية أبسط
مما تتصورون .. أن تطبق هذا المخطط على الأرض أمر
هين عند ذلك المهندس والمقاول لكنه عندي وعند الجهلة
أمر شاق عسير .. آه ليت أوي ضرباني ودفعاني دفعا
للمواظبة على الدراسة لأميز المتر المربع من المتر المكعب ..
والخط الأفتي من الخط العمودي .. والثلث من الهرم ..
إذن لكأن لدي المبادئ التي أقد بها هذا المهندس ،
فأسرق منه رسما أو رسمين .. خارطة أو اثنتين .. ثم
استطيع بناء الغرفة والمطبخ والحمام !

ولكنني مصمم على بناء الغرفة والمطبخ والحمام !

وفاة ابنه قال :

— كنت قبل قليل عند قبر ابني
فسمعتهم يؤذن .. على أي شيء يدل
هذا يا استاذ ؟

صمت .. لم اجب .. رفع صوته :
— تحسبني مجنوناً .. لا .. قد
سمعتهم .. اسأل ابا محمد .. الم
تسمع معي صوته يا ابا محمد ؟
بقي ابو محمد صامتا .. لهجته
الناتحة اثارت شفقة الحاضرين ..
اصوات متعددة رددت : لا حول ولا
قوة الا بالله .

سأل احد الحاضرين ابا فايد :
— ألم تحدث ابنك قبل وفاته ؟ ..
تنهد .. اجاب :

المقبرة والمدينة

بقلم غازي التوبة

<http://Archive.heta.Sakhr.com>

— كان يسكن المرحوم بندقيته
الصيد على النار .. ليخرج طلقا
مستعصيا .. ثم نفخ فتحة البندقية
بفمه .. فانطلق البارود وقطع شرايين
بلعومه .. فتدفق الدم على الارض
.. وحين وصلت من الغرفة الثانية
كان قد فارق الحياة .. فلم اكلمه ..
مات في مطلع الشباب .. بكى ابو
فايد .. بكى البعض معه .

الجنازة تسير .. المسافة بعيدة ..
احس بالأم في مفصل ساقى الايسر
.. الالم يزداد كلما اطلت السير ..
سالت صديقا لي عن اخيه قبل
اسبوعين :



الجنازة تسير ببعد .. المقبرة
بعيدة .. الشمس لاهبة .. الاسفلت
لزوج .. الطلاب يحملون الكاليل
الزهور .. اهل الحي يحملون التابوت ..
جابر مات .. كان تلميذي خلال
السنتين الماضيتين .. البارحة طلب
مني ان اسرع في صرفه عند
الاصطفاف .. البارحة رأيته ..
اليوم لم اره .. غدا لن اراه .

جابر قصير .. ممتلىء الجسم
.. منتفخ الوجه .. فكه مرشح ..
غير متزن الاعصاب .. جابر مات ..
الآن مسجى في التابوت .. لا يرى
.. لا يسمع .. لا يحس .. لا يدرك ..
الجنازة تسير مقابل محطة

البنزين .. سائق السيارة الواقفة
امام المحطة ينقل نظرة بين التابوت
وبين لوحة التار البنزين .. ربما
كان الموت يكمن له في أحد المتعطفات
.. ربما .. امس مات سائق في هذه
المحطة .. توقف في منتصف الليل
ينفخ الاطار ويتابع سفره .. كان
متمثلا حياة : حسا وادراكا .. كان
منتفخا شعورا : حبا وكرها .. فجة
انفلت صحن الاطار .. صدم رأسه
.. ربما كان يفكر لحظئذ بطفله
الصغير الذي سيلقيه بعد حين ..
او بحبيبته التي سيلقيها .. اندلق
دمه .. فانطبق مفرغا من الحياة
والشعور .. غطاه عامل المحطة بحزقة
المسح .. وصل الشرطيون في الصباح
.. حملوه الى المشرحة .. خلفوا
حذاءه بجوار سيارته .

الجنازة تسير .. المقبرة بعيدة ..
الشمس لاهبة .. هذا الشارع كان
ضيقا .. حجريا .. هدمت البلدية
جزءا من الدور الواقعة على جانبيه
فاتسع مداه .. قلعت احجاره ثم
سفلتته .

ابو فايد يمشي في طرف
الجنازة .. يفرز عصاه التي يتوكأ
عليها في الاسفلت .. حتما يسليه
موت انسان في الحي .. يخفف من
لوعته وحزنه على ابنه الذي مات
شابا .. التفتت به بعد يومين من

— اين اخوك ؟

— في المستشفى .

— الم يشف من روماتزم مفطه ؟ .

— اخطا الاطباء في تشخيص المرض
طوال العام .. وظهر ان اخي مصاب
بالسرطان وليس بالروماتزم .. ذهلت
.. لم اتكلم .. تابع حديثه بالأم ظاهر
في تقاسيم وجهه :

— قررنا ان نقطع ساقه كي نوقف
امتداد السرطان ولكن الفحوص
الشعاعية اظهرت ان السرطان قد
تجاوز عظم الورك .. قلت بانفعل !
— اذن لا فائدة من قطع الساق !!!
— لا فائدة لانه قد فات الاوان ..
واضعنا عاما في معالجة مرضي لا
وجود له .. توقف قليلا .. تابع
حديثه :

— ما زال اخي يظن انه مصاب
بالروماتزم .. ولا يعرف شيئا عن
السرطان .

صمت .. اخو صديقي سيخرج
هذا العام من الجامعة .. السرطان
يجتاح عظامه .. الموت يزحف نحوه
.. يقترب منه .. هو لا يدري ذلك ..
الالم في مفصلي الايسر .. سافخص
ساقتي .. ربما كان السرطان يجتاح
عظمي .

الآن جابر في التابوت .. البارحة
وما قبله كان في الصف في مثل هذه
الساعة .. كان يتكلم .. كان يضحك
فاغضب منه .. كان حيا .. اتهمه
المدير بسرقة بعض الصنادير في
الصباح .. ضربه اخوه عند الظهور
منهما ومعاقبا .. خرج فاشترى
زجاجة دواء للبق .. كرهها .. عاد
الى امه يعطيها ما تبقى معه من
التقود بعد شراء الزجاجة .. ثم
مات .. مات .. لن ياتي الى الصف
.. لن يتكلم .. لن يضحك فاغضب
منه .

الجنازة تسير .. انا اسير ..
الشارع شجر بالصنوبر بعد سفلتته
.. الشجيرات يزداد نموها عاما بعد
عام .. ترتفع متسقات نحو الاعلى

والثقافة في البيضاء ، لتناول القهوة في منزله. واستلقت نظري هناك رفوف في زاوية غرفة الاستقبال تحمل كتباً متراسة . فرحت اقلب تلك الكتب ، فوقع في يدي كتاب عنوانه «شاعر من ليبيا : ابراهيم الاسطى عمر» للصديق الاديبي علي مصطفى المصري . فجلست اقلب الكتاب بسرعة ، فكانما كان اهتمامي به تحية خاصة الى صاحب المنزل نفسه ، الاستاذ شريف لياس ، فهو ايضا درناوي ، وككل درناوي يعتز بهذا الشاعر الدرناوي ، ابن بلده ومفخرتها في الشعر والوطنية والدعوة الى الوحدة الليبية. وصار ابراهيم الاسطى عمر مدار حديث الجلسة كلها ، وقرانا قصائده المنشورة في الكتاب . فاجبت ان اعرّف المزيد عن هذا الشاعر .

وحين عدت الى طرابلس تفضل الاخ الاستاذ علي المصري فاهدي الي نسخة من هذا الكتاب ، مع مجموعة اخرى من مؤلفاته .

وما كان لي ، لولا فضل الاخ المصري ، ان اطلع على شيء من شعر هذا الشاعر الليبي ، الذي يقف مع زميله الشاعر رفيق المهدي - رحمة الله عليهما - في الطليعة الاولى من شعراء النهضة الحديثة في ليبيا ، ولا كان لي ان اعرّف شيئاً عن سيرة هذا الشاعر العاصي الذي ارتفع بنفسه وبفضاله الشاق من «صبي خطاب» في درنة ، الى نائب في اول برلمان ليبي بعد الاستقلال ، ومن «أمي» لم يتح له الفقر واليتم ان يذهب مع الاطفال الى المدرسة ، الى شاعر يعلا اسماع الليبيين بأسره في شعوره الوطني الداعي الى الوحدة الليبية والمليء بالتأمل ، والحكمة ، والبيان الشعر الوجداني الاخرى .

صبي يتيم يجمع اكوام الحطب من جبال درنة ، وبيعه يحمل ثمنه الزهيد الى امه التي يعولها ، ورغم الطفولة البريئة ، ويعمل معها ثلاث اخوات . ثم يترك بيع الحطب ليعمل فراشا في الجمر ، ثم في الحكمة . حرمة الحياة من المدرسة فأبى ان يظل أميا جاهلا مدى العمر ، وطمحت نفسه الى تلقي العلم رغم العوز وقسوة الحياة المناضلة لاجل الرفيف . وما هو يسعى من شيخ الى شيخ ليتزود بسلاح المعرفة ، حتى يحنو عليه الشيخ عبد الكريم عزوز ، قاضي الحكمة الذي يعمل فيها ابراهيم فراشا وساعيا . وبلقنه الشيخ عزوز دروس اللغة والفقه . ومن هناك ينطلق ابراهيم يدرس المري والمتنبي ، ويطالع الصحف والكتب التي تقع في يده مما يحمله بريد المشرق العربي سرا الى ليبيا الخاضعة للاحتلال الايطالي .

ويتشرد ابراهيم عن الوطن ، فيتنقل فقيرا محروما مدة ثلاث سنوات في سوريا والعراق ، والاردن ، ثم في مصر حيث يتخربط في الجيش السنوسي الذي تألف هناك لحرب التحرير ، ولظرد الايطاليين من الارض الليبية . وفي ديار القرية ، ثم في الجندية وخنادق الحرب ، ينظم ابراهيم الشعر في الحنين الى ليبيا ، وفي وصف المارك



عيسى الناعوري

ابراهيم الاسطى عمر شاعر ليبيا

بقلم عيسى الناعوري

في زيارتي لليبيا ذهبت الى مدينة درنة - لؤلؤة البحر المتوسط ، كما كان يدعوها الايطاليون - وقبل ان نصل الى المدينة قال لي مرافقي الاخ علي الساسي ، المذيع في اذاعة بنغازي - وهو من ابناء درنة - « انظر هناك على الشاطئ ، هذا نصب تذكاري للشاعر ابراهيم الاسطى عمر ، ابن درنة . لقد جاء هنا يوما وشرب الخمر في حفلة اقامها له بعض رفاقه ، ثم خطر له ان ينزل الى الماء للسباحة ، ولكنه ما لبث ان اصيب بنوبة قلبية وهو يدافع الامواج ، فغرق . وقد اقام له اصدقائه هذا النصب المتواضع في المكان الذي غرق بقربه » . ولم يكن في النصب نفسه ما يلفت النظر ، فهو بسيط جدا ، ولكنه مجرد دليل على المكان الذي مات عنده الشاعر .

ولقد اثار مشاعري موت الرجل بهذه الطريقة ، ولكنني لم اكن اعرّف ابراهيم الاسطى عمر ، ولم اطلع قط على شيء من شعره . غير ان الاخ الساسي قال لي ان ابراهيم كان من اعظم شعراء ليبيا الحديثة ، وان له شعرا كثيرا يتفنى به الليبيون عامة ، والدرناويون خاصة. على انني سرعان ما نسيت ابراهيم الاسطى في غمرة زيارتي لدرنة ، ثم للبيضاء من بعدها . حتى دعاني الاخ الاستاذ شريف لياس ، مساعد وكيل وزارة الاعلام

الحربية ، وفي الدعوة الى تحرير الوطن ووحدة .
وبعد الحرب يعمل ابراهيم مديرا لمكتب الاستعلامات ،
ثم قاضيا في المحكمة . ويحيى استقلال برقة عام ١٩٤٨

فيتمثل الشاعر البرقاوي ، النادي بوحدة الوطن الليبي
برمته ، ويعضي في دعوته الى الوحدة الوطنية . حتى اذا
نالت ليبيا كلها استقلالها عام ١٩٤٩ بقرار من هيئة الامم
المتحدة ، ودخلت ولاياتها الثلاث في «المملكة الليبية
المتحدة» في ظل عرش الملك ادريس السنوسي ، رشح
ابراهيم نفسه للبرلمان البرقاوي عن مدينة درنة ففاز
بالتزكية .

ولكنه كان مع الاقدار على ميعاد ، فلم يتح له العمر
ان يشترك في جلسات البرلمان باكتر من حفلة الافتتاح
ثم اشترك مع بعض الاصدقاء في حفلة غداء وشراب على
شاطيء درنة . واراد الاستحمام في البحر ، فدخله نسيطا
قويا ، ولكنه لم يعد منه الا الى القبر .

اربعة واربعون عاما : تلك كانت المرحلة التي قطعها
ابراهيم الاسطى عمر ما بين المهد واللحد . ولد في درنة
عام ١٩٠٥ ، قبل ان يسيطر الاحتلال الإيطالي ظله الثقيل
على ليبيا بقسوة أعوام ، ومات على شاطئ درنة عام ١٩٤٩ ،
بعد ان قضى ظل الاحتلال الإيطالي عنها بنحو ستة أعوام .
لقد ولد ليشهد مأساة الاحتلال ، وعاش حتى رأى ذلك
الاحتلال يندحر عن أرضه .

ولكن الشاعر الذي كرس قلمه لمعوية شعبه الى
الوحدة الكاملة لبلده ، لم يعيش حتى يؤي الولايات الثلاث
ذوات الاستقلال الداخلي ضمن الاتحاد الليبي ، تصبح
مملكة واحدة حرة تعيش في بجموحة واحدة ، في القوتوة
الواحدة ، والعالم الواحد ، والعرش الواحد ، والمركز
الواحد للحكم ، بل قدر له ان يقضي قبل تحقيق هذا
الحلم بأعوام ، حين كان ما يزال في ليبيا ثلاث ولايات ،
وثلاث حكومات ، وثلاثة برلمانات ، ضمن حكومة مركزية
واحدة تنتقل بين طرابلس وبنغازي لتقيم هنا فترة معينة
من الزمن وهناك فترة أخرى مثله .

كذلك كانت حياة ابراهيم الاسطى عمر القصيرة ،
ككيف كان شعره ؟

يجب ان نعترف ، قبل ان نقدم النماذج من شعره ،
بان روحه النضالية ، وقوة عقيدته الوطنية ، والمعاني
التي تنتل على خاطره ، كانت أقوى كثيرا من صياغته .
فليس في عبارته الشعرية زهوة الشعر وقوة أسره ، بل
تغلب عليه «النشرة» و «النظم» . ولكن القوة الحقيقية في
شعره هي قوة الروح ، والحب الوطني ، والنضال الحر ،
والدعوة المزمعة بحق الشعب الليبي في الحرية والوحدة
الوطنية .

والنماذج التي تقدمها في ما يلي اخترناها من أجود
شعر ابراهيم عمر الذي بين يدينا ، وتفاضينا عن الضعيف
من شعره .

يقول ابراهيم في قصيدة يخاطب بها المتر «ادريان
بلت» ، مندوب هيئة الامم في ليبيا :

الى المندوب - وهو اجل فدرا من التذكير - وجهت الكلام
مقالة ناصح حر صريح بقول الحق لقي لقي الحما
فهذا الشعب كافع لثت قرن فلبم بذن ولا لقي العاصما
يريد الشعب وحدته ، وفيها كرامته ، ولا يرعى انقساما
يريد الشعب تمثيلا صحيحا يصون حقوقه من ان تضاما
ستمع بعضنا دعوى الى ما دعا المحتل ... لا نبد الحثما
فلمستعمرين يدعوا سوء يعدون السوم لنا طامعا
لقد باعوا السمائر واستعاضوا بها الاقارب والزرب الضخاما
فلا تسمع مقاتلهم ، ودعهم لا خلقوا ... فقد خلقوا لنا

اللمحة الأخيرة

ساعة الوداع
حيث كانت مقلتي
حسييرة

خيلت اني مستعيد عهديا
فارسل الازداد لي نذيرة

ولحظة مرت سريعا بيننا
لكنها عسيرة
عسيرة

هذي العيون
ما لها تنهشنا
لو تستوي جميعها ضريرة

لو انجلي بريقها
لو انجلت
هذي العيون الجهممة الكثيرة

لو احتوانا القفر
حتى لا نرى هذا البريق
يستقل نسووه

الذكرين ..
لا .. بحق ساعة
ودعت فيها الراحة الصغيرة

لا تذكرني
فقسووه .. أن تذكرني الحياة
في سويتي الأخيرة

القاهرة محمد محمود عماد

راحتك الصغيرة .. الصغيرة
صافحتها
للمرة الأخيرة

أودعتها .. وراحتي تتركها
عمرا مضى
في رحلة قصيرة
مهما تطل بظله ساعاتنا
فأنها نزيرة .. نزيرة

وقصتي .. كقصّة الحياة
ان تحل
فكيما تستوي مريرة

تبدا بالقلب هتوفا .. صارخا
تحوطه أعيننا القريرة
وتنتهي
وقد سرى به الونى
تحفه أدمعنا القريرة

جزيرة جرداء
كان عهديا خضراء
مثل العين الخضيرة

في صحو يوم
كان لي في حرجها عرش
وكانت لي بها أميرة

رأيتها كالحلم

كان بدا للاحتلال الاجنبي على الشعب الليبي ، وكان
تفغيه ، هذا سخريّة لأذعة لطيفة ، هي أقسى من كل
هجوم مقدّع ، ومن كل سباب وشتم مما اعتاده شعراء
السياسة عندنا .

وأنا أف عند هذا الحد ، وحسبي أنني استطلعت
ان انوه بشاعر ليبي يستحق التنويه . وشكرا لأخي
الاستاذ علي مصطفي المصراي على كتابه الذي عرفني
بهذا الشاعر وشعره .

عيسى الناعوري

عمان

ستذكر انك الهمم حقا
فتلكمن «التار» - وهي كثر -
فرايك قد يعز على اناس
ودكتاسور برقة مستبدا
يهدد من يقول الحق جهرا
وحقك قد جرت عليك فعلا
لانك مصدر للشعر ، أخشى
فبتلك نادر في من عرفنا
نفس بمعد الصداء شمع
يهدم بناء وحدتنا الفتاة

لقد استطاع ابراهيم الاسطى عمر في هذه القصيدة
ان ينفس عن غضبه الوطنية على الرئيس المستقيل الذي

متلازمان لا يلتفتان فثبت أحدهما في الأخرى فتعذر التفريق بين ما نعتان (٢) .

وتفسير كلام العقاد كما أرى ينحصر في خلاصة ما ذكرته من قبل من ابتداء القصائد بالحكاية التقليدية حتى إذا نشطت النفس للقول فاء الشاعر إلى عواطفه فنقل عنها !! وهذا واضح في أكثر ما قاله تلاميذ البارودي لا يختص به البكري وحده ! بل أن طواجره قد فلت عائلته شعر شوقي حتى بعد رجوعه من منفاه وقصيدته عن مشروع ملز شاعر صادق على ذلك إذ بدأها بقوله :

أئن غنان القلب وإسلم به من ربرب الرمل ومن سربة وما زال يرفى القربى ويستجيش الغواطر حتى اندفع إلى موضوع القصيدة ، فليس هنا وهناك ناظران مختلفان - كما ظن العقاد - ولكن امتداد الوحدة الشعرية في الأدب التقليدي هو الذي يسبب هذا الاختلاف !! أما الوصف الشعري في قصيدة البكري فقد غلبت عليه الرثايات المحسوسة كشأنه في نثره ! وقد نطهر أن نقرأ له في عجلة سريعة مثل قوله :

أما قد ذرت بطاوحها وهي البساط الاخضر
والتيلى فى لبايحها عقد يلوح مجوهر
والجو صحو مشرق وكأنما هو ممطر
والقلل فى خلل الشموس مدرهم ومندر
وغصونها لسن نعليل بما نفل وتثمر
فكانهن ولاتسدر فى حليها تكسر

أو مثل قوله في وصف حديقة الحيوان :

فالجيزة الخضراء يعبق رندها والعير
فيها النعامة والحيا رى والمها والقصور
كسفين نوح أظهرت ما كان فيها يضر
وترى الفنون على الأواك لتسوي فتجسر
وجداول كسانك بسنا الإصيل تعصر
ماء كيلور يدوب وأدمع تنطر
بروي القلب الكفري منه وينتجبه الجؤر
فحينما جابهة السور والنسرير والتيلور
وعليه من نسج الصبا درع هنالك ومفكر

ولكنك تف متنهلا مستائبا تعيد ما طالت ، وتامل ما قرأت من مثل قوله من القصيدة في وصف قصر التحف !

فالقصر وهو إن ملى من أهل مصر مقبر
نشرت به أروانهم فكانما هو محشر
عميس أين مفارق الدياج أين الجوه
أين السرير وأين تاج اللك أين العسكر
ثم فى رفاد ليس في أحلامه ما يذكر
فالموت نوم أكبر والنوم موت أصغر
دنيا تشابه مغليا والليل ستر يسر
والفصل يضحك والترى الشمس فيه تور
جند هناك وسوقه ومشوج ومسكر
شادا طرحت ثيابهم سادى الإعز الاكثر

هذا هو الشعر الناقد حقاً ! ولعل روعته كانت وليدة حكمة مخبئة في نفس الشاعر ، تراكت عليها أطياف فوق أطياف ، فهو لا يفوس عليها في أعماله ، وإنما يشتغل عنها بالحكاية والاسترسال مع الجزالة القديمة إلى آخر التلوذ ، وهي بعد كاتمة في نفسه كمون النار في الحجر ، وقد كانت من القوة والحجوبة بحيث استطاعت أن تثبت وجودها الذي في أكثر من مقطوعة ! حتى عجب لها درسو أدب البكري ، ووقفوا موقف الدهشة الحائرة إذ راوا مثل قوله :

أشعرة بيشاه أم أول خيط الكفن



محمد رجب البيومي

البكري الشاعر

بقلم محمد رجب البيومي

- ٢ -

وقد اشتهر قوله في وصف بعض الأسطة :

يسط أجاد الرسم صانعيها وزها عليها النش والنخل
فيكاد يقطف من أزهارها ويكاد يقطق فوقها النحل !

حتى كثرت الاستشهاد به في كثير من التناييات ، ولكن الذي يعجب كثيرا وصفه لبعض الألعاب النارية التي تطلق في المناسبات والأعياد فوائف ملتجة تلجج في الجو عن شرارات تشكل ألوان الطيور والزهور والتعابيح ، فقد رسمها الشاعر رسما جميلا حين قال :

فمن شهب لمتد في الجو مصمدا ولوي على جنبتيه مثل الأرقام
وتعطر فيه لؤلؤا وزبرجدا شايب منها ساجم بعد ساجم
فظورا ترى أن السماء حديقة تفتح فيها النور بين الكواكب
وحينا ترى أن الحدائق في الدجى سماء تهادى بالتجوم الرواجم

وجدة الموضوع دون شك هي التي باغت بينه وبين المحاكاة التقليدية في البيتين الآخرين فجاد خياله بالطريف الجميل ، أما كبرى قصائده الوصفية فهي قصيدة «مصر» التي نقلها بياريس متشوقا إلى وطنه ، وقد ابتدأها بقوله :

أديار مبي تنظفر فدموع عينك تعطر
أم أبرق العطين أم سفح السوى تذكر
أم فسام قلبك جؤر أحوى الدماخ أحور
أم هب من مصر صبا أم طار برق أشقر

وقد انتقدها مطران في دعابة فكاهة حين قال عن السيد « ومن لطافته أنه رأى عيون مي في باريس » (١) فاصدا بذلك أنه لا بعيد عن النهج التقليدي في شعره ، أما الأستاذ العقاد فقد قال عنها « لقد اشترك في هذه القصيدة ناظران أحدهما يقبله إحساسه وانبهما يقبله تقليده ولم يتجز نظامهما حتى يخفي عنهما في الإلفاف والإطواء بل لبث كل منهما على حدة ترى أين بدا وأين انتهى وكاتهما عشيرون

ام تلك سهم مرسل لا يتقسي بالجنس
والزورع ان حاج فقد حان الحصاد وانتي
فني سبيل الله ما عانيتنه من زماني
او قوله :

ان اخرجوا صدرك لا يبعث للحد بالحناء او مثله
فغيبه الاحمق في قوله وغبية العاقل في فعله
او قوله :

لا تعجوا للظلم بفنى امة فتوه منه بفاحد الانفال
ظلم الرعية كالغاب لجهلها الم الرضى بقوة الاحمال
او قوله :

وفي وسعة المرء نيل العلا وقد يمن المرء ما يمن
صغير من الامر بله عن بلوغ العظام او يقطع
كعين تحيط بهذا الوجود جيمعا ويحبها اصبع

وقد يقال ان الشاعر قد استهيد بفيره في بعض هذه النظرات
الصادقة ، فابيات الشعر البيضاء متبسة مما نقله في فحول البلاغة
ص ١٧١ من قول الشاعر :

لا رابت البياض حين بدا في اسود التضرصحتوا حزني
هذا وحق الاله احببه اول خيط سدى من الكفن

وابيات الرعية المظلومة متبسة مما حكاها السيد في « مستقبل
الاسلام » ص ٢٩ من قول فولتير « الظلم الواقع على الامة غاب لها على
جبهها » . وكذلك ما جاء من قوله السابق :

فالموت نسوم اكبر والنوم موت اصغر
فانه متبسي مما نقله السيد عن ابي الملا في فحول البلاغة
ص ١٧٩ :

الموت نويل طويل لا هوبل له والنوم موت صغير يمنه ام
وهذا نقد صادق ولكنه لا يتقن من مقدره ، اذ ان الشاعر لا
يقصص المعنى كما جاء ، بل يضيف اليه من توليده ويحسه من
صياغته ما يبرزه في مظهر اجمل من مظهر الاول واتم .. وقد كانت
كتب النقد العربي القديم التي قرأها السيد وافق رأياها الاولى
تري ان عرض المعنى القديم في صورة اولى واتم مما يحسب للشاعر
لا عليه ، ولا يمكن ان يدخل في باب السرفات الا اذا ظهر في صيغته
لا ترتفع الى الصيغة الاولى ، ومع اسراع المجال لمناقشة هذه القضية
فاننا نرى السيد في اقتباساته اشبه بالفاتح الظاهر الذي يأخذ المدينة
بجيشه القوي وليس بالسارق الذي يسطو خفية على المنازل ثم يتسلل
هاربا في جنح الظلام : افر قول ابي الملا مثلا :

مل المقام فكم اعثار امة امرت بغير صلاحها امرؤها
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها فهدوا مصالحها وهم اجراؤها

ثم افر ما قول السيد البكري :

والناس يخشون من جاء اليك وما لديه لولاهم في ملكه جاء
تصانع صنما يوما على يده وبعد ذلك يرجوه وبخشاه

فان الثورة على الامراء في القوليين واضحة صريحة ، ولكن قول
السيد ما لا يجوز ان يفسر لابي الملا مهما افرض ، اذ ان
انحاء الاحساس لدى الشعراء ، قد يبرز في اسلوبين مختلفين وبغير
في ان السيد كان في هذه الثورة اعقب شعورا من صاحبه ، اذ لم
يكتف بالاسلوب التقريري مثله بل الحقه بصورة حية تنفس للقرءاء
ما يختلج بصدرة من تلمع على الرؤساء والفساد على الطامعين ، فالحق
هذه الصورة هي التي تجعل السطو غزوا ظافرا تقتصب به المدينة عن
أبد ، لو افترضنا ان البكري قد حادى ابا الملا ، ولكن ما تعلمه من
تأصل الثورة على الحاكمين في نفس السيد ، يجعلنا نرفض فكرة
الانقباس من العمري اذ لا تقوم عليها شواهد الحادى لدى كاتب كرد

فكرته هذه اكثر من مرة وعالجها بالثر تارة وبالنصر تارة اخرى ،
فهو انسان يصف تجربة تأخذ عليه الخناق حين يدور بعينه فيرى ما
يكفه من سطوة التجبر في رعبته وعيته في الارض بالفساد ، واذا كان قد
طافنا في الباب السابق نموذجاً لا فال السيد في ذلك من النثر فاننا
ننقل هنا مثالا آخر من شعره يقول فيه :

حق الاولى يحكمون الناس بفسحتي وسوء فطهم في الناس بيكني
ما الضئب قد عاتبين الفنا فلتنم هذي الولا بهانيك الماسكين !

وهذان البيتان وانما هما نظرات شعرية خفيفة ، لو فشت السيد
بين اطوائه لوجدنا لها نظائر كثيرة في صدر جيش بالالم وقلب ينفس
بالشعور ، ومثل يتأمل في دقة واستبصار ! ولعل هذه الخطرات
الذكية هي التي دفعت الاستاذ خليل مطران الى ان يقول في ختام
حديثه عن البكري « وللسيد من القاطع الشعيرة ما لا يدع في معناه
مقالا لقاتل ، ولا مجالا لجلال ، فلو جرى في كثيره قليلا لاصبح قلبا
من اخطاب الزمان في الجمع بين البلاغة والبيان (٢) » .

فاذا تركنا الوصف الحكيم الى القول في شعر السيد ، رابنا
نصوبا شجحا تركنا لده في حذر ، وقد اخطا الاستاذ عمر الدسوقي
تعليله حين زعم انه « اذا كان مثل البكري رجل دين وسيدا من
الاشراف الذين يحتلون منزلة رفيعة كان من الطبيعي الا يستجيب في
شعره لكل ما يتغلل له وجدانه ، ولهذا لا نرى للبكري غزلا عافيا قويا
وانما هو نسيب ياني به في اوائل القصائد محاكاة للافهام في طريقتهم
وتشبيهاهم ووقوفهم على الاطلال من غير ان تكون ثمة اطلال
ص ٢٦٩ (١) » .

ثم ينهي حديثه قائلا « وفيما عدا هذه الابتداءات لا نرى للبكري
غزلا او تشبيها في المرات ترمنا منه وحرصا على مكانته في المجتمع وهو
الحبيب النسيب ، وشيخ مشايخ الطرق الصوفية ص ٢٧١ (٥) » .

لنقول لده اخطا الاستاذ عمر الدسوقي في تعليقه ، لان السيد البكري
كان يقول كل ما يريد دون تحف من لامة القوام والامين ، فقد وصف
الخير والتاجر والجنسي والنفسى وصفا نثريا وانما في صهاريج التلوذ
مدون ابي بلي في وجهه انه شيخ مشايخ الطرق الصوفية كما وصف
رفعات الحسان ومباحج الشرايف والنساء وباريس بما بعد عنه
مفنة الترحر والتائم ، وكثير من مختاراته الشعرية في فحول البلاغة
تصف لذة الخير والتلاق الحسان ! بل انه نقل عن ابن الرومي عن
هجاء بسودان ص ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ما يتورع عن روايته استاذاه
الستفيقي وحزمة فتح الله ! ثم زاد فاختار شعرا يعثل الاتصال الجنسي
بين الرجل والمرأة ص ٦٨ من الفحول ، ومن يقول هذا القول النثري
في الخير والحسان ثم يصر من الشعر ما يتورع عن روايته التأمون
لا يمكن ان نقول عنه ما قال الاستاذ عمر الدسوقي من « انه امتنع عن
التشبيب حرصا على مكانته في المجتمع وهو الصفيب النسيب وشيخ
مشايخ الطرق الصوفية » بل نقول ان لروفه العاطفية كانت من الهود

والسكينة بحيث لم تتح ان ان يصغر في ماسة او ينساق الى تجربة
تؤرق جفنه وتطلعه بالحنين ! وكيف يكون القول ما يشين في منطق
السيد البكري وهو يعلم ان كبار الفقهاء من امثال عروة بن اذينة
وعبيد الله بن عبيد الله بن مسعود وابن حزم وابن داود كانوا يترنمون
برفيق النسيب وفاتن العنين ! وان الشرف الرضي تقيب الاشراف
في عصره ، وشيخ الطوليين قد ملا ديوانه بالحنين ، وقد قال في
الحجازيات ما ذاع في تقدير واستحسان ! ولم يقل احد ان نقيس
الطامنين اساء حين نزل وحى برمي الجمار ويؤدي التماسك في منى
وسلع والخيف !! على ان السيد قد عالج النسيب بما يدل على تعرضه
لهبة فسيحة من هبات التوق : فان قصيدته ذات القوافي تتضمن مع
القول المتنوع خواطر صادقة مطبوعة ، فاذا كنا لا نلتفت الى مثل قوله
في ذات القوافي :

البكري في قصيدته ذات القوافي ثم تلاه الزهاوي في قصيدة نشرت بالمؤيد فبعد الرحمن شكري في فصادت شتى نشرت بالجريدة ، وجمعت بعد ذلك في دواوينه » .

وموضع الخطأ في كلام الأستاذ العقاد ان الابتداء بالشعر المرسل في العصر الحديث لم ينحصر في هؤلاء الثلاثة على الإطلاق ، بل تقدم زمائهم بأثر من مشرين عاما حين نشر احمد فارس السدياق بعض شعره بالجوانب في قواف متنوعة فكان أول من نحا هذا النحو عن يقين ، ثم جاء سليمان البستاني فنظم البيادة هو مبروس شعرا تحضر فيه من تير الوزن الواحد والقافية الواحدة مبتدئا في عمله سنة ١٨٨٧ ومنتهيا منه سنة ١٨٩٥ . وقد عمد الى الموشحات والإجازة والمخسبات وغروب أخرى كاللثني والربيع والمثلث في نظمه الطويل إلا ان مكان الاستشهاد في صتيه هو التخرن من القافية في أكثر ما نظم ، وهو عمل ضروري لم تكن تتم ترجمة البيادة شعرا بدونها ؛ ثم اشتهر سليم عنجوري بشعره التخرن قبل ان يقول البكري ذات القوافي ، ودعا نجيب الحداد أكثر من مرة الى التخلص من القافية دون ان يعمد الى ذلك فيما نظم من الشعر ، فالقول بأسبقية البكري الى تنوع القافية فصل ساقه الأستاذ العقاد الى السيد توفيق عن سهو غير مقصود ! ونحن في هذا المجال لا نجرّد السيد البكري نهائيا من الفضل ، فحسبه ان يكون بين من ارتسوا تنوع القافية ، مع مبالغة الشديدة في ترسم نهج الفحول من السابقين ! وقد يكون في ذلك مفارقة نادرة لدى من درس ميل السيد وتنوع كلاسيكيته الاسلوبية ؛ وهي مفارقة تجزئ لنا ان ننظر الى شعره حينما من غير باب ، أو ان ننظره على الدقة حينما من باب السيد القصي ! فهما يكن من تمسك الرجل بعمود الشعر وطريقة الفحول فقد يكون تنوع القافية هو جل ما تاتر به من ثقافة الاوروبيين ! هذا ولم يعرف للسيد غرض آخر من اقراض الشعر في غير ما سبق من الوصف والرائة ، والديج والحكمة ؛ واكثر ما اخذ عليه في نظمته هو عين ما اخذ عليه في نثره وهو انقباس معاني غيره من مثل قوله في قصيدة مصر :

والصحو صحو مشرق وكاتبها هو مطمر

فانه يفتنني من قول أبي نعام :

مطر يلوب الصحو منه وبعده صحو يكاد من التفارة بمطر
وقوله منها :

'ونظن احبائه بسه قتمس كيمنا نجبر
فهو بعينه قول البيهقي :

يقتلي فيهم اربابني حتى تتفراهم يداي بلمس
وقوله من قصيدة ذات القوافي :

وارتاح اما تمنيتها ويا رب امنية كالظفر
فهو من قول أبي الحسن التهامي :

أهت منه تمنني ذكرها طربا ووب امنية احلى من الظفر !
وكل ذلك وأكثر منه لم يخف منه شاعر من شعره البيت في زمن البكري من ردوا الى دواوين السابقين ، وكانوا يتعدون الى ما معني ومبني ، واذا شئت فقل انه طراز العصر ونظامه فلا مؤاخذه ولا اتهام ومن الطريف للمحور في هذا المجال ان الشاعر الكبير الأستاذ احمد مجرم قد نشر بحثا نقديا تقدمت الإشارة اليه عن البكري بأبولو (٦) ، وقد تعرض فيه الى قصيدين من فصادت السيد توفيق ليرد بعض معانيهما الى السابقين وهو منهج لو طبق على الأستاذ مجرم لما نجا شعره من بعض ما اخذ عليه صاحبه ، وننتهز هذه الساحة لتختار من نقداً شعرا لثلاثة ماخذ تدل على طريقة ونراها تحتاج الى تعقيب .

١ - قال السيد البكري في مطلع قصيدته التي مدح بها عبد الحميد :

أما ويمن الله حلقة مقسم لقد قمت بالاسلام عن كل مسلم

وساورني الحب حتى نسوى كأيمن على مهجتي ملتوي
وما الحب الا كروض غدا بغير المدامع لا يروتني

وقد هجرت مقلتي الكرى كان بهديي رؤوس الأبر
ولو كان ما بي بهذا الغمام لأمطر بالجمر أو بالشر

فجسي اصبح كالشمع بغنيه سكب الدموع ووفد الحرق
فلا اليس التوب الا وجمي من تحت ثوبي كسوب خلق
فاننا نلتفت جيدا الى مثل قوله :

اسير ولا ارتسني بالعناق وفضني واجزع ان ابرا
وان سلمت خلتها ودعت واحسب مقترسي متباي

اذا كنت وحدي اكون واباء او خاليا فاشتغالي بك
واطلب المجد والكرامات لتحسن لي شيمه عندك

ليحنو قلبك رفقا علي فالصخر بالماء قد ينحس
وصوني الوداد وفيه الغمام فلن يورق العود اما يبس

ليمة خد به وودة نفتحه نظيرة او خجل
وقد نصيف اذا ما نثني يخال به رنج او تمل

ووجه اذا ما نظرت اليه نظرت لوجهك في ماله
وجفن ترتفع فتسرة كمنيفك بعد مفاته

زمان اذا ما تذكرته نخلته حلما في الكرى
وعهد الشباب كرويا اذا مضت اذرتها نفوس الوري

فنحن لا نلتفت الى المجموعة الاولى مثل الثنائيات الى المجموعة الاخيرة ، اذ ان الشاعر كان حاكيا ينقل عن غيره في الاول ، اما في الاخيرة فقد هبت لفحة سيطرة توحى بصفده فجاء بما نقل من خالط نفسه فغير عنه صادقا ! وهكذا بعض البكري كثير مع نفسه في الشعر اذا تخلف من الجزالة بعض الشيء وساق معانيه في هذه بنائ بها عن الجلبة والصليل ... وقد كان تنوع القافية في هذه القصيدة وثبة جريئة من شاعر معاكف كالسيد البكري ، كان يقن به انه اول المتصمكين بهذا القيد الاثري ؛ اذ ان حرصه على الدباجة العربية لا يتكلم في مظهره الاصيل دون التمسك بالقافية ، ولكن نعمة الاتصال من لزوم القافية كان اصرا حادا لا تعلم دوافعه القوية حتى انه سعى قصيدته هذه « ذات القوافي » وهي تسمية تبعد عن موضوع القصيدة وتوجه الى شكلها الخارجي الذي اتجه اليه السيد باصرار ، وكان هذا الاتجاه المفاجيء مدعاة لخطأ هام وقع فيه نقيب كالأستاذ عباس محمود العقاد حين أعلن ان السيد البكري اول من نوع القافية في العصر الحديث ، فقال في مقال نشره بالعدد ٥٤١ من مجلة الرسالة سنة ١٩١٣ تحت عنوان في الشعر العربي .

« والذي نذكره على التحقيق ان الابتداء بالشعر المرسل في العصر الحديث محصور في ثلاثة من الشعراء لا يعدوهم الى آخر وهم السيد توفيق البكري ، وجميل صديقي الزهاوي وعبد الرحمن شكري ، ولكنني لا اذكر على التحقيق من منهم البادئ الاول قبل زميله ، ولعلني لا اخالف الحقيقة حين ارجح ان البادئ الاول منهم هو السيد توفيق

- (٦) مختارات المغلوطي ص ٧٤ . (٢) شعراء مصر للعقاد ص ٦٥ .
(٣) مختارات المغلوطي ص ٧٥ . (٤) (٥) في الادب الحديث ج ٢ .
(٦) سبتمبر سنة ١٩٢٢ .

التحدي

وجموح افئدة النساء اكيد
فالشوق يطفى والخنين يزد
حتى م اصمد والطريق بعيد

قلب بجبك مدنف وعميد
هو لن يثل فوعده تنديد
نمت بها عيني فذاك وعيد

فانا وانت على الطريق وحيد
أبدية عل الصراع يفيد
فيما تكابر والنساء عني

أرداك طرف فاتسر وعيد

سلافة العامري

الريح تعصف والسماء تهيد
ومجامر الاعطاف نار رمادها
ومدامع العشاق جف قريحها

لا لن تحطمني وبين جوانحي
اكنه قبل التحدي راضيا
ان كان غرك نظرة مفاجئة

لا لن تحطمني برغم عواطفني
كل يحاول ان يصارع غربة
حتى م نظفي في التحدي والغوى

لا لن تحطمني فانت محط

دمشق



ARCHIVE

وقد نسي الأستاذ محرم أن الوادي في قول البكري هو مجرى الماء ، جاء في الصباح ج ٢ ص ٩٠ « وودي الشئ اذا سال ومنه اشتقاق الوادي وهو كل مفرج بين جبال وآكام يكون منفذا للسيل » والذ فالتشبيه هو الماء الذي علته الخضرة لا الزرع الاخضر كما ظن الناقد ، واذا كان الأستاذ محرم قد بالغ بمبالغة مفرطة فيما عده اقتباسا مقصودا عن السيد ، فانه قد انتصف صاحبه انتصافا عادلا حين قال عنه في مفتتح حديثه « اول ما يلقيه البكري في رذع وهو يلالعك بادبه انه شاعر فحل وكاتب كبير ، وانك لتبقى معه في هذه الحال وعلى هذه العقيدة وان جال في نفسك او قام في ناحية منها أنك مغلوب على رأيك او مضطهد في شعورك وحكمك ، في ادب البكري قوة مستتية ، عليها كثير من جلال الادب وفيها شيء غير قليل من عظمته وكبريائه فالتن حين ترى فيه مكانا للصف لا تلبث ان تدفعك هذه القوة الى الامام وتصيح في وجهك بصوتها الذي يشبه هزيم الرعد « سر ولا تنف » فالتن تعجب ان تسير وتكره ان تنف !!

اجل لقد كان البكري شاعرا فحلا ! نهج في نظمه التهج الذي وافق جيله وريثته ولتن تخلف عن القول في بعض ما تصورف اذ ذاك من اغراض الشعر ومناحيه ، فحسبه انه لم يصدر فيما قال الا عن رغبة صادقة تجد حوافرها من نفسه بل حسبه ان يكون اول من اشار من الشعراء على بعض من يخافهم الكثيرون من الحكاميين .. وهذا ما يحسب له دون نزاع ..

محمد رجب البيومي

الفيوم - دار المطبوعات

فقال الأستاذ محرم :

(مقسم في الشطر الاول من البيت لا معنى لها فلو انه قال (حلفة صادق مثلا لكان أمثل ولكنها القافية) !

ونحن نقول ان قول البكري حلفة مقسم صحيح لا اعتراض عليه فليست اللفاظ الشعر كاللفاظ الصيغ القانونية مما لا بد فيه لكل كلمة من معنى جديد ! بل ان تأخي المتواذنين في معنى واحد في الاسلوب الادبي مما يكسبه قوة ايحائية أسرة ، وقد قال الشريف الرضي في مثل ذلك :

كان الليالي كن الين حلفة

فذكر الحلفة بعد قوله الين يؤكد المعنى ويقويه دون اعتراض .

٢ - وقال البكري :

له في الاعادي حملة يرفونها واكبر منها حملة في التكرم

فقال محرم : في هذا البيت نظر الى قول المتنبي :

هم المحسون الكر في ساحة الوفي واحسن منه كرمهم في التكرم

ولو قال محرم ان هذا البيت نظر الى قول البحتري :

بنفي نفوس لم تكن حملة العدى باقى عليها من وقوف التكرم

لقارب وسدد ! فليت البكري به امت والصدق وقد نقله في الفحول.

٣ - وقال السيد البكري :

اصبح وادي القروند اخضر كالسيف الصدي

فقال محرم في هذا البيت خلل من جهة التشبيه فهم انما يشبهون الماء اذ علته الخضرة بالسيف بلوه الصدا وهذا واضح مستقيم. أما

فلامنكو !

من وهي اندلس

لشاعرة سلمى الحفار الكزيري

ترجمها عن الفرنسية

سعد صائب

دمشق

أرقصي ...
أرقصي البهجة الأفلة
التي تتبدى في قممات المبدعين في الأرض
أعربني الأرض بدمعيك
نحدي السماء بنافريك

عاصفة !

بينما كنت أسير على درب قدري المجهول
أنا الكاعب المناقة بالعاصفة
أنا الوحيدة المقنونة بالكون
كنت أداعب في أعماق قلبي
بصيصا من هناء !

لكم من أزهير على دربي
نسبت لي بكل نقشة !
وكم من حصى وحجارة

بددت أحلاما حلوة نداعبني !
ولكم ذرف قلبي العبرات
لحرماته من شتيت الفائن !
ولكم بت الخوف وعرشاته
نباط أغاريدى العذبة !
بيد أني أعمت في سيري
أعمت في دربي الطويل
ألوي الخطي خلف قدري

غير مبالية بفدى .
وإذا أقبل الفد دهمتني عاصفة هوجاء
بيد أنها بالرغم من عتوها وهولها
كانت لي سبيل الخير والقوت !

لقد هزت العاصفة نياط حناي الغامر
فحطمت الحصى والحجارة
وجعلت الامل يتجو أمامي
وبعث العطر في الورد
فأزهت الدنيا في عيني
وجفت العبرات التي يدرفها قلبي
بعد أن أثارت فيه الدفء والرجاء !

وفي هزة فرح وحميا نشوة
راح قلبي ينتمن هذه الجملة !
« أحمدك يا ربي !
أحمدك يا ربي ! »

وحين رفعت ناظري الى السماء
خلتني المص صورتهما
فرحت اهتف : أتراني في حلم ؟

أم تراه سرايا خلبا ؟
وما عثم أن تأدى الى سمعي
صوتها الصافي ، نداؤها الإليف
هائلا بي من بعيد :

« لا تدرفي العبرات بعد اليوم
وذاكري جيدا اني روحك
التي ردت اليك ! » ..

أرقصي أحراننا السرميدة
روحي عن نفسك ، أيتها الغادة المتردة
روحي عن همومك ،
روحي عن أوصايك
التي تنوء بها أهدابك السمر !

وفي يزدنك وبتانك وروحك
وفي بها رفيف أجنحة الطير ، وانعكاسات
الذهب
أيقظي الربيع ، أيقظي هذا الربيع المذهل
لسميتك العشرين !

أرقصي وابعثي الدفء في الليل الزهيف
تلمعي ولبي ونادي ، لعل التجوم الصم
تهب لتجدتلك !

أحسني مداعبة الصنوج
أحلمي ، انتفسي ، واذرفي الدمع
احتجي ، ناوحي ، والعني بين ثناياك
الحظ ، والردى ، والفن ، والزمن !

تفتحي ، وأرقصي لك
وعزي نفسك في هذا المشهد .
دعي غدا ترك الزرق تهمي
أنت يا أندلسية
أنت يا ذات العينين الملتهيتين !

إن هفيف غلائلك
وهسات شعرك المرسل
ليوحيان ، أما انتصف الليل
بتملعل الصغصاف الباكي ونوجه !

أرقصي مفان إسبانيا
التي تكوميتها بفنك
فالتسبب بكل أيدا
أن يخط أمجاد وطنك وعرقك !

ألا إن حنين للال محياك ليقتنا
بيد أن التلق يساورنا
فدعينا نلح ولو بارقة أمل
في نظراتك السود المخلية !

أرقصي الحان أرقسك
أرقصيهما من « فرطية » الترومة بالاسرار
لكاني اسمع الساعة « الزراب » وأصداء أغانيه
وهما يتجاوبان بعد أن فسهما اطار الفلامنكو !
لكاني أسمعهما يتجاوبان في الكلمات المثيرة
في عزف القيثارة وفي شكوى المغني

هدهدي ...

سعد صائب



وحمق في وجه المعلم في تساؤل .
ملاح وجهه لا تدل اليوم على شيء .
وتفكر الصبي لحظة .. ثم استجمع
شجاعته ودلف الى داخل المقهى .
ولم تمض لحظات حتى طرق سمعه
صوت المعلم حموده :

— ولد يا عوض .
وانخل قلب الصبي .. ورمق
المعلم في قلق ، ثم همس في خوف .
— نعم يا معلم .

— تعال .
وخف الصبي اليه .
— ماذا قلت لك بالامس ؟
همس الصبي في رجاء .
— وماذا اعمل يا معلم ؟!
فزجر المعلم في قسوة :
— ماذا تعمل ؟ ..

ودفع يده في صدر الصبي بقوة
وهو يغمغم قائلا :

— هيا .. ارني عرض كتيبي .
ولم ينطق الصبي ، واستدار
ليخرج من المقهى وقد تألقت في
مقلتيه الدموع . وفجأة انفجر احد
الجالسين صاحبا :

— ما هذا يا معلم .. يا اخي
حرام عليك ..

ونظر الصبي الى الرجل في
امتنان .. ثم ارسل — بدون وهي —
نظرة خاطفة الى قدميه . وسكت
المعلم .. بينما اشار الرجل الى
الصبي وناداه قائلا :

— تعال يا بني ..
واخلس الصبي الى المعلم حموده
نظرة سريعة .

انه يتجاهله .. يبدو انه احس
بالندم كعادته في كل مرة .
فاصرع الى صاحب النداء وقد
اطمان قلبه .
— نعم يا بك .
فمد الرجل قدميه ، ثم قال :
— اقعد ..

وانفجرت اسارير وجه الصبي
وجلس مسرورا .
سأله الرجل :
— ماذا يعمل والدك ؟

لماذا تجهم وجهه هكذا .. كأنه
قد طلب منه صدقة .. لقد خلت
قلوب الناس من الرحمة ..

ماذا يفعل ؟ .. اهكذا ستوالي
الساعات وليس في جيبه غير ثلاثة
قروش .. حظه اليوم عاثي .. يارب
.. اني لا اطلب غير خمسة قروش
.. خمسة قروش فقط يا رب .

ورفع الصبي راسه فالتقى نفسه
امام دار سينما .. فمضى اليها في
تثاقل وحزن . ووقف يتطلع في
شرف الى لوحة اعلانات فيلم
الاسبوع .. المصيدة ؟ .. فيلم ليته
يشاهده .. ولكن ماذا يفعل ؟ .. ليس
في جيبه غير ثلاثة قروش فقط .

وتزايد احساسه بالشقاء . لقد



بمعلم عشر عبدالسلام مخيم
http://Archivebeta.Sakhr.it.com

كان قديما يذهب مع ابويه واخوته
الى السينما مساء كل يوم خميس .
وكان يجلس في الصالة وليس في
«الترسو» كما يحدث الان . وكان
يشرب زجاجة كوكاكولا ، او يشتري
اي شيء اخر يعجبه . آه لو لم يمض
والده .

وانصرف الصبي عن السينما
واجما . وقادته قدماء الى مقهى
المعلم حموده . وتردد قبل ان يدفع
قدميه الى الداخل فالمعلم يطرده
بقسوة اذا كان ثمة شيء يقضيه ،
وما اكثر المرات التي يجده فيها غاضبا .



— خمسة قروش يا رب ..
وتلوى قلب الصبي بعد ان هتف بينه
وبين نفسه بهذا الدعاء .. واحس
بدوار وتعب فاستند جسده المكثود
على جذع شجرة ، ثم اخذ يرقق
الناس في اعياء واحساس بالغ
بالشقاء .

هل خلت قلوب الناس من الرحمة ؟
.. لقد توالى ساعات ذرع خلالها
معظم شوارع الحي ومع ذلك لم
يدخل جيبه غير اربعة قروش التهم
بقرش منها «طبق كشري» فقد خرج
من بيته جائعا لان طعام افطاره كان
كسرة خبز وقطعة جبن «قرشي»
صغيرة .

وعض الصبي على شفته السفلى ..
يسترجع في خياله ذكريات الايام
الجميلة التي عاشها قبل اصابه
واخذ يسترجع في خياله ذكريات الايام
عليه في ثلاثة اشهر ..

كان افطاره فول بالزيت والطحينة ،
وجبن ابيض من نوع فاخر !! وكان
بعد ان يفرغ من التهام طعامه يأخذ
من ابيه قرشين صاغ كامين ، ثم
ينطلق الى المدرسة فرحا لا تثقل
قلبه اية هموم .. وبعد انتهاء ساعات
الدراسة يعود الى البيت فيجد طعاما
شهيا .

واستشعر الصبي حزنا هائلا
يتدفق في قلبه الصغير . يموت ابيه
ضاع كل شيء .. مضت الايام
الحولة وان تعود . اخرج من المدرسة
ليشتغل مساح احذية .. كما
اشتغلت امه خادمة في بيوت الناس
.. وزفر الصبي بحسرة .. ثم حانت
منه التفاتة الى رجل حسن الملبس
فهرول اليه ..

— تسمح يا بك ؟
فأشاح الرجل بوجهه وهمهم قائلا :
— لا .

وارتسمت في عيني الصبي نظرة
استجداء ..
وزمجر الرجل قائلا :
— قلت لك لا .
وانصرف الصبي عنه في غيظ ..

الارض والانسان

ما دام يدمي جرحها الانسان
منها فتزحف تحتنا الديدان
ليلا ويذوي الورد والريحان
ابدا فتعوي الريح والنيران
منا فيلمن صوتهما الشيطان !

عات تثير طموحه الاضفان !
وتخر من صرخاته الاكوان !
باتونها فاتسى لها الطوفان !

احمد محمد الخليفة

الارض لا تندي طيوب مروجها
تمضي العصور وكل جرح راغف
ويظل ينمو الشوك في جنباتها
الحقد يطر بالشور على الشرى
وتزجر الافاق تستجدي الهدى

الارض تخشى من تعنت اهوج
تذوي الجبال على اصابع كفه
عظمت خطايا الخلق فاتحدم اللظى

البحرين

واحس بشيء يعتصر قلبه . ان
اسرته احق منه بهذه القروش ..
وفكر قليلا .. ثم اخرج القروش من
جيبه ومد يده بها الى امه وهو يقول:
خذي .. لقد نسيتهما في
جيبى ..

واطرق براسه لحظة ، ثم همس
ثانية :

— و .. انفتحت قرشا اخر ..
اكلت به «كشري» ..

قالت الام في حنان :

— احتفظ بها .. تريد ان تذهب
الى السينما .. اليس كذلك ؟

قال الصبي في خجل :

— لا .
فامرته الام قائلة بصوت تفيض
نبراته بالحنان ..

— قلت لك احتفظ بها .
ثم اخرجت من جيبها قرشا اخر
اعطته له وهي تقول :

— وخذ هذا ايضا لتشتري به
شيئا ..

وقبض الصبي على يده امه ، واخذ
يقبلها .. ودون ان يشعر انسابت
من مقلتيه الدموع .

ج ٢٠٠٤ عنتر عبدالسلام مخيمر

ان تعثرت على شفتيه بعض كلمات
الشكر . وتالق وجهه بالفرح .
خمس قروش دفعة واحدة .. كم
انت كريم يا رب .. سادخل السينما
.. ساشاهد فريد شوقي .. يبدو
ان قلبك الناس ليس كما افكر ..

كم الساعة الآن ؟
وسال احد المارة فاجبره انها
الواحدة والنصف .. لقد حان موعد
العودة الى البيت .

وحث خطاه الى بيته . وفي مدخل
مسكنه ابصر اخويه الصغيرين عبد
الكريم وحسن فداعبهما وقد تالق
ثغره بابتسامة وضاعة . وبعد ان
توارنت دقاتك سال امه :

— هيه ماذا سنأكل اليوم ؟
فاجابت الام :

— بصارة .
وسكت الصبي راضيا .. واخرج
من جيبه قطعة النقود الفضية ..

واعطاها لها فاخذتها بعد ان ربت
على ظهره في حنان .. ثم اخذت
تعد له ولاخوته طعام الغداء .

وقبل ان يلتف هو واخوته حول
«الطبلية» خطر له خاطر مقبض ، لقد
احتفظ لنفسه بثلاثة قروش وانفق
قرشا اخر بدون ان يخبر والدته ..

اجاب الصبي بصوت تنضح
نبراته مرارة وحسرة :

— ابي مات .. كان مريضا ثم
مات .

فقط الرجل شفتيه ، ثم استغرقه
الصمت .. بينما اخذ الصبي
يعمل في نشاط وسرور . وبعد ان
فرغ من عمله تطلع الرجل الى قدميه
راضيا .. ثم اخرج من جيبه قطعة
نقود فضية . ما ان ابصرها الصبي
حتى غمغم قائلا :

— ليس معي «فكة» .
— كم قرشا معك ؟

فتمتم الصبي في خجل :

— ثلاثة قروش فقط ..
— اهذا كل ما معك ؟

همس الصبي في حسرة :

— اجل ..
وانقبض قلب الرجل ، وغمرته
الشفقة فقال في رقة وعطف :

— اذن الخمسة قروش لك .
غمغم الصبي في ذهول وحيرة :

— لكن يا بك ..
فقاطعه الرجل قائلا :

— قلت .. خذها لك .
وانقبض قلب الصبي ، وطفرت
من مقلتيه الدموع ، ثم انصرف بعد

الذي يفء على العالم اللامتناهي .
والعقل الاشعوري مخزن عظيم للذاكرة ، فهو المكان الذي تثوى فيه العادة . وهو بمثابة مشرف ومهيم على جميع وظائف وجودنا الداخلية ، ولكنه لا يملك اية قوة فعلية او استدلالية . ومن هنا قد يكون ارتباطنا ببعض العادات المستهجنة ، اللامعقولة .. وحياة الحلم تعبير لهذه الذات الاشعورية . وكلنا نعلم مما نراه احيانا في احلامنا أنها مخالفة للعقل بل من المستحيلات .

الم تعجب في بعض الاحيان من وقوعك فريسة للتفكير في الخوف والضعف مع علمك بضررها ، شاعرا بانك مربوط بهما من يديك وقدميك ؟ والاجابة هي ان العادات عبارة عن تعبيرات لا شعورية . والاشعورية او الوعي الباطن ليس له قوة استدلالية .

وهذه العقلية المنغمرة ، الاشعورية ، اللامعقولة ، كانت معروفة منذ سنين عدة ولكن بغير وضوح . يحوطهما كثير من الشك ، ويحوط الاعتراف بها عتمة وشباب كثيف . ولقد غدونا الان - مع مرور الزمن - شيئا فشيئا على دراية واسعة بهذه الاغوار السحيقة اللامتنورة من العقل . ونحن حين ندرس الحقائق المذهلة المتعلقة بها نقف في بعض الاحيان ، وفي اغلب الامر ، في خشية ووجع ومهابة .

وفي طوايا هذه الذات الاشعورية ، وفي غرفاتها نحفظ بترتيب دقيق سجلات منظمة لكل شيء مما تكون قد سمعناه أو قرأناه أو رايناه أو شعرنا به أو خبرناه . اننا نشبه بمرآب كبير امين على حفظ الودائع في هذا الجبل الكبير ، اقسامه المختلفة ، وأوعيته العديدة .

الميسول الموروث

والمصدر الاول لهذه المادة في العقل الاشعوري هو: الوراثة .. فلقد اتينا الى الحياة بانطباعات وتاثيرات وذاكرات لا شعورية ، اخذناها عن اسلافنا واجدادنا . ولكون اننا ذاتنا نتاج لتلك الحياة السالفة ، فقد كنا - من قبل - بلا شخصية وبخلق لم يكتمل رقيه ذاتيا .. وكنا مطبوعين بطابع ما قد ذهب من قبل في سلسلة نسبنا ، من قريب وبعيد . ولكننا بالتدريج لامسنا الحياة وسائرناها ، وتقابلنا مع الدنيا واتصلنا بها ، بطريقة مرئية وغير مرئية ، باحساس وبغير احساس ، واخذنا نتعامل معها شعوريا ولا شعوريا .

اذن فهو الاتا الفردي الذي بدأ في الظهور ليكشف عن نفسه ، وبأخذ في تحسين هذه الميول المورثة والعمل على ترقيتها .

وأحب ان يفهم قارئنا ان هذه التأثيرات ان هي الا ميول تحسب . ولستنا نحن الذين نوجد اقدارنا ، وتكيف قسمتنا ونصيننا ، وليس بابدينا ان نسوق مصيرنا او ندفعه عنا . فاليول قادرة على التشكل والتنقل حتى لا



عبد العزيز جادو

انت سيد نفسك

بقلم عبد العزيز جادو

اذا اردنا ان نحقق نجاحا اكيدا من رحلتنا العقلية هذه التي نقوم بها ، فمن الضروري ان نفهم بوضوح انفسنا . وان نكون على بينة مما يكتنف حياتنا ، وان نحيط علما وادراكا بالتعبير الطبيعي عن الحياة ، بما تكون عليه الحياة السوية .

لقد قسم معظم علماء النفس العقل الى طورين او مظهرين هما : صورنا العقل الواعي ، والعقل الباطن او الاشعوري .. وهاتان الصورتان تعملان معا جنباً الى جنب ، وبدا في يد ، ولكنهما مع ذلك مختلفتان تماما في اسلوبهما .

فالعقل الواعي هو ذلك المظهر من العقل الذي يمكن ان تفكر به تفكيراً واعياً ، وتوجه به افعالك بوعي وشعور . ويمكن تعريفه بأنه الحالة العقلية للانسان وقت اليقظة .. وفي هذا المظهر من العقل نجد القوة الاستدلالية . وانى ارى ان هذا المظهر من العقل لا يتطلب بيانا مسهباً ، لان اكثر الناس على علم تام بعمل عقولهم الواعية .

اما العقل الاشعوري فهو اشبه بما نراه عندما نقف على شفة بحيرة وننظر الى سطحها . فنحن لا نرى الا جانباً صغيراً لا يعتد به . اما الذي ليس بوسعنا ان نراه مطلقاً فهو ٩٩ بالمائة .

وبنفس هذه الحالة يوجد في كل فرد منا نوع من العقلية او القوة المعائلة المغمورة التي تتكون من طبقة فوق طبقة مما لا نهاية له ، فهي جزء من جانب من العقل العالمي

مكانين مختلفين . وبعد مدة من الزمن نجد ان احدهما باع قطعته بربح كبير ، بينما الاخر لم يتيسر له بيعها حتى ولو بالخسارة . تكيف وتغ الاختلاف ، وعلى اي وجه؟ .
الاول عنده الرؤية ، وامكنه ان يرى مجريات الحوادث واتجاهاتها . وان يتصور ما قد يؤول اليه الجوار في سنوات قليلة . اما الاخر فقد اشترى بكل بساطة لانه وجد ان العقار رخيص ، ولانه وقع تحت تاثير بائع ماهر متمرس اعطاه صورة مغرية للامكانيات المستقبلية .
لقد استعمل الاول تخيله وسحب من رصيد قوى عقله الاشعوري ، اما الاخر فقد استعمل عقله الواعي ، واتقاد الى نتيجته عن طريق التفكير الواعي فحسب .

الم تحاول ذات مرة ان تتذكر اسما من الاسماء ، وتحاول ما شئت لك المحاولة ، جاهدنا دون جدوى . وما يكاد يخطر على ذاكرتك حتى «بروغ» منك كما لو كان برقاً واختفى ؟ ثم لم يحدث لك بعد ذلك ان تفكر في شيء آخر بعيدا كل البعد عن ذلك الاسم ، فيبرز بفتة ويندفع فجأة في عقلك الواعي بطريقة اشبه بطلقة سريعة من بندقية ؟ ان هذا الامثال بسيط عن كيفية استخراج العقل الاشعوري للاشياء ووضعها امامك . فانت في بادئ الامر شرعت في القيام بفعل لاشعوري عندما حاولت باجتهد في التفكير في الاسم ، وانثرت على العقل الاشعوري بما فيه الكفاية ، حتى تم لك ما اردت .

ويمكنك ان تستعمل عقلك الاشعوري كحارس ايضا . فقد يحدث في كثير من الاحيان ان تنبه المرء لاشعوريا الى خطأ ارتكبه في انشاء التمارين . وقد يحدث للمرء حين يكون في فراشه ، يطالع في كتاب فيخطر له فجأة انه نسي ان يضع في مطروفي معين احد المستندات .

فاذا انفصل هذا العقل الاشعوري بفتة عن الشعور او العقل الواعي تكون النتيجة الحتمية لذلك ما يسمى بـ «الامنيزيا» او فقدان الذاكرة ، او «النسابة» . وهي حالة يفقد فيها الشخص ذاكرته تماما حتى لينسى شخصيته فيهم في الارض لا يدري من امره ولا من امور الذين من حوله شيئا .

والرجل المتوسط يتأثر الى حد بعيد بعقله الاشعوري اكثر من تأثره بعقله الواعي . ومعظم الاشياء التي تقوم بادائها في انشاء تجاربنا اليومية انما تتم عن طريق العادة . والعادة دائما ما تكون فكرة لا شعورية او فعلا لاشعوريا .

والعادة كذلك من البواش التي تجعل الناس يقتربون الآثام ، ويرتكبون الجرائم ، وينزعون الى الشر ، ويقومون بأعمال ما كانت لتخطر لهم ابدا على بال . وليس يخاف ان التأثيرات موجودة ، وقد لا يكون لها دخل في هذه الامور ، ولكن الى هذه اللحظة نرى ان القوى الاشعورية هنا لها سطوتها ولها نفوذها .

والعقل الاشعوري هذا يؤدي دورا له اهميته في

يتبقى منها الا اثر لطيف .
وقليل من الناس هم الذين يثمنون فقط الشخصية التي تميل الى الوضوح بعض الشيء . . ومميزاتهم الوحيدة او خاصياتهم الفريدة هي السببية ، والبواش المتقولة اليهم عن آخرين بعد قليل من التحوير . ثم استخلاصها بلا فائدة وبدون غرض خاص . انهم لا يوطنون العزم على البحث والتقصي المنظم عن بيثة يرغبون فيها . ولا يعطون اي توجيه ذكي للقوى الكامنة فيهم . انها يمكن ان تنمو ولكنها في نفس الوقت تظل كما هي نفس الكائنات الخاضعة للظروف ، والحوادث ، والبيئة .
اننا نجد الفرق شاسعا والتفاوت كبيرا بين هذا الفرد وفرد آخر اخضع قواه الواعية والاشعورية لقيادة ارادته وميئته وحريته اختياره ، ومود قواه وقدراته على حب النظام والطاعة للجهد الكدود ، المتابر ، ذو الحزم والعزم الشديد . احدهما يحرك الدنيا ويهزها ، والاخر تحركه الدنيا وتزعزع كيانه ، احدهما فاتح منتصر مظفر ، والاخر عيب من رقيق الارض ، احدهما يركب السيارات الفاخرة ، بينما الاخر يسير على قدميه ، احدهما يصل الى مطامحه ويبلغ مراده ، والاخر يتحسر على قسمته ويندب حظله في الحياة ، احدهما يدخل في رحاب النجاح والتفوق من اوسع الابواب ، اما الاخر فيقف على باب الامل رجاء قبول الاذن بالدخول .

وجهان من العقل مختلفان

والعادة الاشعورية ذاتها سهلة الانقياد للاحتياجات التي تاتيها من العقل الواعي . والحقبة الكبيرة التي تؤكد انها لا تملك اية قوة استدلالية ، تبين ايضا انها خادم لعقلك الواعي الاستدلالي .

والعادات تتكون بال تكرار والاعادة ، وبالتفكير الملح في فكرة معينة او عمل بعينه . . وعقلك الاشعوري انما هو بمثابة خادم مطيع لك . يستطيع اوامر لك بعد ان تكون قد استسخت مطاعا امرا ، بانا . . حينئذ يكون قد اعتنع بانك السيد المسيطر على نفسه ، القادر على تادية الامانة على خير ما يكون الاداء . . والاتجاه الصحيح هو الذي يؤدي الى الثقة ، والايجابية .

دعني اكرر هنا مرة اخرى - يا قارئنا الكريم - ان كل شيء سبق ان سمعته ، او رأيته ، او قرأته ، او شعرت به ، او خبرته ، انما هو مخزون هناك بعيدا ، بعيدا . . ومعنى هذا ان لديك رصيدا كبيرا لا يستهان به من المعلومات والتجارب يمكنك ان تسحب منه ما تشاء وقتما تشاء . ويوسع هذا العقل الاشعوري ان يجمع حقائق لا عد لها ولا حصر تتعلق بالمشكلة التي تعانها . . واولئك الذين على صلة وثيقة بهذا الطور من العقل يمكنون ما نسميه «الرؤية» او «الالهام» .

ولاضرب مثلا رجلين اشتريا قطعة من عقار فسي

يهدب العقل الباطن ويعلم من جديد ؟ هل يمكن ان تعاد صياغته او يعاد تنظيمه مرة اخرى ؟ ..

انه لما كان موجودا الان في كل فرد فهناك عاملان مختلفان يتحكمان فيه بدرجة كبيرة : الاول ، وهو وجود اثر لا يزال باقيا من حيوانية احدثت اليه من العصور الغابرة حين كان الانسان - وهو اصغر بكثير من أي حيوان - يكافح نحو الانسانية . ولقد سارت كمية كبيرة من غريزة الحيوان في طريقها من تلك الازمان السحيقة الى اولئك الذين يعيشون الان بين ظهرائنا . فليس لنا ان نستعين بتلك الطبيعة الانسانية التي نطلق عليها « للانسوت » ونعتبر انها مجرد قشرة خفيفة تغطي او تكسو حيوانا بداخلنا .

وهذا ينفس جزئيا بزوغ كثير من الدوافع المعنوية التي تفاجئ النفس ، والتي تميل الى الانزال من قدرهم والهبوط بهم الى الدرك ، والتي تقودهم في بعض الاحيان الى الاجرام .

رواسب من حالات الماضي

والعامل الاخر من عوامل العقل اللاشعوري هو راسب او بقية باقية من حالات الماضي تولدت من عمليات الذهن الواعي . فلقد كان لدينا في كل يوم خلال حياتنا الماضية ساعات عديدة تقضيها في التفكير الواعي . والافكار من كل نوع ما دامت مفهومة ومعقولة فلا مانع من ان يسمح لها بالتردد . ولما كانت الصور الذهنية بانواعها العديدة تنطوي على افراء شديد ، فكان لا بد للعقل من ان يمتثل لها ، فاذا ما ابعثت كان من المفروض ان تسزل وتخفي تماما وتنتهي الى غير رجعة . ولكن لا .. ليس الامر كذلك .. وليس هناك في الحقيقة اية صورة ذهنية او اية صيغة فكرية قد امحت ابدا ، فهي لا تزال باقية . ولا بد ان تترك اثرا على النسيج الرقيق من الحياة الكامنة ، الباطنة . تماما كالصورة على لوحة المصور .

ولكن ليس ثمة موجب للقلق بشأن هذه العصور الذهنية الغير مرغوب فيها . فمع ان هذه الانطباعات تقل باقية خلال بناء حياة فكر جديدة ، تعمل على تكديس خواطر غاية في الابداع ، واللفظ ، والصفاء على سطح تلك الخواطر الغير مرغوب فيها ، فتنجم الخواطر القديمة في الطبقات السفلية حيث ترسب بالتدريج شيئا فشيئا الى ان تصبح بعد مدة من الزمن في طي النسيان . اذن لا تدعن ولا تستكن للشعور بان الاقدار هي التي تقودك ، او ان الظروف هي التي تحكمك بسبب الافكار او التجارب الماضية .

مأساة لم تسم

اذكر ان سيدة جاءتني ذات يوم منذ بضع سنوات وقصت علي قصتها : « نصحتني احد اقاربي بزيارتك

صحتك ، وفي سعادتك ، وفي نجاحك . ففي امكان هذا العقل اللاشعوري ان يشرع في اجراء تغييرات هامة وعجيبة فيك اذا جاءته منك قوة دافعة او محركة تبعثه للعمل . ولكن مما صلة هذه العقلية اللاشعورية بالصحة والسعادة ؟

وراثية الصفات

ان معظم الباحثين المبرزين في هذا الجانب اللاشعوري من الحياة ، من امثال برنهام ، وفوريل ، وديبوا ، وبرامويل ، قدموا لنا الدليل المقنع لقوة العقل اللاشعورية في احداث تغييرات هامة في الوظائف الطبيعية . وان عمله من هذه الوجهة ربما يكون اكثر عمقا واكثر عالمية مما للعمليات العقلية الواعية . ثم ان الفكرة ، والصورة الذهنية ، والانجاء ، حينما تكون جميعها باطنية ولاشعورية فانها تكون قادرة على التأثير في الجهاز العصبي ، وفي التغييرات الكيميائية التي تحدث في التركيب الطبيعي بأكمله .

والحالة الصحية التي يمتلكها كل شخص يحتمل ان تكون وثيقة الصلة - اكثر مما هو مفهوم - بهذه العملية اللاشعورية المميزة وهي في الحقيقة ، ليست محتملة فحسب ، ولكنني تحققت مرارا من ان معظم الانسان وملامحه ، واساير وجهه ، وثيقة الصلة بمرآة العقلية اللاشعورية . فالانسان حين يكون سائرا في طريق مزدحم بالناس فانه يرى انواعا مختلفة وشكولا متباينة من التعبير . فهذا وجه يبدو عليه الخوف ، والذم ينم على مكر ودهاء وآخر يظهر عليه الكراهية والبغض ، وآخر تملو وجهه علائم الحلاوة والطلاوة والمذوبة والرقّة والظرف . وهناك وجه تنقصه بعض تغييرات طفيفة ليكون اقرب شبيها الى الثعلب وآخر اقرب شبيها الى الذئب ، وثالث فيه بعض ملامح القرد .

انها وراثية الصفات ولا شك .. وانها انتقال صفات الوالدين الى اولادهم هي التي تدخلت في هذا . ولكن مع كل ذلك فالتأثير كل التأثير ، والقدرة كل القدرة ، انما ترجع جميعا الى نشاط العقل اللاشعوري .

واذكر ان وراثية الصفات ايضا ان هي الا ميل لاشعوري ، او صورة ذهنية لاشعورية . فاذا نشأ الفرد منذ طفولته بشوشا ، مرحا ، مليئا بالامل والثقة في المستقبل ، اظن انه لن حين ينمو ويكتمل جسمه تغيير ملامحه وتقاطيع وجهه ، فتعبر عن الخوف او الغضب او الازتياب او الشك او البغض ؟ ان هذا مناقض للطبيعة.

هل يمكن تهذيب العقل الباطن ؟

فمن الواضح اذن ان احدى مشكلتنا الكبرى هي مطلب هذه المنطقية الداخلية ، المخبوءة .. فهل يمكن ان

عندما اولد من جديد

لاني تعلمت كيف اعيش
سارفض حمل النقود
لاني استعصت عن المال بالزهر عند
التعامل
سامنح خبازنا زهرة ، ليعطي الرغيف
وجارتنا زهرة لتصنع بسمه
ووالدي زهرة لتطبخ اعيننا بالمحبه
لاني احب بلادي بكل مداخنها الشارده
بكل بيوت الصفيح الحزينه
بكل الذين يبيعون بالعربات الفواكه
بكل الذين جئوا ، ثم تابوا
تمنيت لو كنت امشي وايديهم في
يدي
الى شاطئ البحر نفسل بالموج اقدامنا
ينجلس في ظل نخله
لناكل نمرًا ، وبعض اللين
وعندئذ يطفح الخير فوق الخوابي
وتشرب اعيننا الاغنيات
طرائس القرب علي صدقي عبد القادر

سالم ، العلب حتى الصباح
واليس اقنعة من غيوم ، وقوس قزح
لاحيا حياتي الجديده
ساولد في سن عشرين عاما
بدون طفوله
بدون متاعب عهد الدفاتر والمدرسة
وحشو الرؤوس
بجدول ضرب ، بحفظ غريب النصوص
وابقى دواما بعمر الشباب
وجدة عمري تزيد التصافا
بحبيب ثيابي
ساولد مستقبلا من جديد
ساولد في سن عشرين عاما
وفسور الولاده
ساسال : اين قميصي وربطة صدري؟؟
لاذهب حالا ، الى حفلة ساهره
ولن ادع الوقت يهرب من قبضتي
ساحيا ، طولا ، وعرضا

حكيمه وسلطة كبيرة تحكم بهما في هذه القوة الشديدة
التي توشك ان تحطم حياتها . وفي امكانها ان تعلم كيف
توجه هذه القيادة وتديرها بطرق واساليب ليس فيها
ضرر البتة لها او للآخرين .
فقات لي بلهجة فيها شك وعدم اطمئنان : « ساحاول
جهدي ان اعمل بتصيحكت » .
ولقد علمت من هذه السيدة بعد ذلك انها تغلبت
فعلا على عادة الغضب بدون سبب . وامكنها ان تصلح
ذات اللين بينها وبين زوجها . . وانها لسعيدة كل السعادة ،
هائلة في معيشتها راضية كل الرضا .
فنحن لا يمكننا ان نقصي عنا العواطف الباطنة القوية
التي تعتبر طبيعية بالنسبة لنا ، او التي تطعننا بها . .
ولكننا يمكننا ان نسيطر عليها ونحكمها ونوجهها ونستعملها
لنفعنا ، حتى تكون هذه القوى تحت امرتنا ، تعمل لنا ،
ومن اجلنا ، بدلا من ان تعمل ضدنا .

عبدالعزيز جادو

الاسكندرية

لاستشيرك في امري ، مؤكدا لي اني ساجد لديك حلا
موقفا لمشكلتي . . ان الذي اعانيه قد آل الي
بالوائة . فلقد نشأت منذ طفولتي وبسي طبع نائر
جموح ، سريعة الغضب ، اثور لانفه الاسباب . وكان ابي
وجدي يمانيان نفس هذه الحالة . . وانا الان ام لطفلين
صغيرين ، ولي زوج مخلص يحبني ويحنو علي . وانه
لصبور طويل الاناة . ولكني ارى الان ان بيتي يوشك ان
تتقوض اركانه بسبب هذا الطبع ، وان زوجي لا بد سينفد
صبره يوما وينهي الخلافات التي بيننا بالانفصال عني .
ولقد اندرني فعلا بانني اذا عدت الى هذا الشجار مرة
اخرى فانه سيحزم امتعته ويترك لي المنزل الى غير عودة .
واني اعتقد ان الطبع الموروث متاصل الجذور ليس من
السهل الاقلاعه عنه . فكيف اتمكن من تغيير طبيعتي وهذه
حالتي ؟ انني لفي حيرة شديدة . وفي خوف من ان اهدم
بيتي ! »

قلت لها انها لا يمكنها باي حال ان تغير قوى
طبيعتها . ولكن في استطاعتها ان تحصل على قيادة

فانيا» إذ بدلا من الانتحار هناك محاولة ومسدس يشار إليه ثم يختفي هذا المسدس . والخال «فانيا» - فوينتسكي ، واستروف وبيليا ، صور من الحياة ، صادقة بادرة ، واقعية . بكفي في وصفها آثار جزء (لا يتجزأ من شريعة الحياة) فهي تمثل الاسترطافية الريفية ، في انهيارها ، في سعادتها ونفادتها ونفادها ، وفي تشيبتها القبت بالإبادة الفارغة وتعلقها القريب بالإيام النديه الماضية ، وأصراها على أن الحياة لا يمكن أن تكون أبداً مما كانت . كل شيء امره على أن الحوار والجذل ، والذكريات والأخذ والرد ، في جو الحب السذي يتسبب ثم يندحر خالسا متفرغاً . الوجوه تنافسها رداية مميتة ، والعيون لا تكاد ترى شيئا غير الملل والسأم واستمرار الحياة في مجراها الطبيعي ، الشخصيات تتسرب وتنام تماماً كالأفراد الاقتصاديين ، وعلى حين بفتة تحدث أحداث جسام تهزم لحظة أو لحظات ثم يعودون إلى رثائهم العمودة ، وكان لم يحدث شيء ، لأن الانتحار ، لا يبدو فكرة أو تصورا ، حتى يتحول وبسرعة إلى خور في الإرادة والعزيمة ، ومن ثم إلى نهايت رخص على فئات هذه الحياة الرخيصة !

فغايف ورانيفسكي وآنيا (d) فهم أحياء أكثر مما يجب ، إذ أن جو الحياة الذي يحيط بهم غني بمفناه ، بروحه بفرادة حيويته ، يصدق تصويره من الواقع الحي ، بقدرته الخارقة على لفنا بفلاسته الفصفاضة ، بمؤدية انقاسه ، ولطافة عرته ، وألفاسيته وكثرة مشاهدته المتناقضة المتعاقبة بسرعة خارقة تدعو إلى الدهول والدهش . وفي هذا الصدد يقول ج . بريستلي : « أنه (يعني تشيكوف) يستطيع الاستناد إلى انسيابية الفعل وتجنب الاحكام في البناء الكياني من أن يسمح للشخص ، لا لقلة منهم بل لكثرتهم ليكتشفوا عن أنفسهم بالعديد من الوسائل والمستويات . . »

ففي كل فصل وخاصة في كل المشاهد الجميلة المتناقضة في «ستان الكرز» وفي خاص (٧) . وهذا الفن لا يمثل فيما يغال فوق ويلعل ، إنما يتغل في الاعمال الفنية على ما يذهب إليه ستانلافسكي . وفي تلك الاعمال تنكشف خبايا النفوس ومكونات الانواع اكتشافا طبيعيا لجوياً ينتزج فيه البراءة والبساطة والمشاركة الإيجابية إمتزاجا طبيعيا ليل أدى كل انسان . ومن هذه الالة تنبع عظمة تشيكوف وقدرته الجمية في تكتيكه الدرامي . .

إن شخص تشيكوف من لحم ومن عاصب ، واتهم نحن انفسنا ولكن في محيط روسيا القصيرة ، وهذه الواقعية ليست (طبيعية) بالمعنى المصطلح من هذه الكلمة على طريقة اميل زولا ، بل هي طبيعية حية ، تجمع بيننا وبين شخصه قرابة أقوى بكثير من قرابة الدم البارد ، لأنها قرابة الانسانية في حرارتها والفننا وحناها وتشوقها ، وفي عاطفتها وسجها ومشورها بالصبر المشترك الواحد . إن هذه الوحدة المتسجمة ، بدافع انسجام الحياة ، لا تعني كبير عنابة بالنظرية الحقة في تسلسل الحوادث والشخص والافعال ، وإنما تعني بتوسيع أمام الشخصية الانسانية ، وتعميقها ، والفوص إلى اسرارها ، في مسارها والوارها ، لكن ، وهنا موضع العجب ، بأسلوب بسيط بساطة الحياة ، عميق عمقا ، وبريشة يختر الفناون الحقيقيون سجدا أمام روعة ما رسمته وجعاه ، في اصالة التعبير ، وحرارة القلمات ، وجلال التأثير .

صحيح أن تشيكوف لا يعنى بالشخصيص بصفتها الانفرادية ، وإنما يعنى بها باعتبارها افرادا واعضاء في وحدات اجتماعية وهذا ما اشار إليه ج.م. كوهن في كتابه «تاريخ الأدب الغربي» حيث قال : «إن تشيكوف ، على الضد من إيسن ، لا يتمم بالشخص الفردية ويمتازها . ذلك أن مسرحياته خالية من البطلان . وهي تهم بمجموعات من الناس وبالصلات التي تربط بين هذه المجموعات . الناس يتكلمون بصوت عال ، ولكثير ما يوجهون كلامهم لبعضهم بعضا بل هم يخاطبون أنفسهم ويعيرون عن الأسس الفانضة والإخفاقات

ورنابة الحياة الريفية المقيتة في «الأخوات الثلاثة» بما فيها من خيبة أمل وضياح فرس ، وتشيتت سيفيف بعيادة سخيطة ، ونسلخ للتعجبه العسكرية ، وفسباب نفسي مقيت لا ينتهي إلا بان يحل محله سرب اجوف ادعى من الفسباب على الفت ، وتقابل مكتشف بين الفن الصادق والفن الزائف ، بين ما يبدو بسيطا وبين اعتد الاوضاع البشرية واشدها شائكا . ومع انتصار البساطة والاصالة ، فالحب الاليم والفيرة وتحت الانتحار امور ناخذ مجراها الطبيعي في «التورس» وطائر البحر هذا يبدوننا رمزا ، لم ينتهي شيء إلى واقع يهتز حركة وحيوية وعاطفا وسخرية في الوقت نفسه !

ومن هذا الواقع يبدع تشيكوف العالم الذي يرده ويبدع معه فنا بسيط عميقا يعالج حياة الناس الاقتصاديين ، في جميع حياتهم ، بأعمالهم المثمرة وعيونهم الزائفة ، وتلوسهم المحطة. وجههم الضائع ، وجوههم المهذورة ، ومعانهم التي لا تنتهي ، وعلمهم الرتيب النافه ، وجهدهم الخائب . وفي كل ما يتصور وجودهم من غشيان واسفاخ والخطا وبلاغة وخفاف وسقم وهامة ، كيف يستطيع هذا الفنان وهو يرسم بريشته الريفية هذه الصور المرعبة ، أن يبهتنا بجعل هذه الصور وإن يسحرنا ويغوتنا ، ونحن في دهول ، إلى المشاهد التي يريد وإلى المناظر التي يرغب من غير عنت ولا ارقاق ولا حت ؟ أنه يفعل ذلك باستنطاقه (أو ينظم تابعا طبيعيا لمجموعات اجتماعية حول موضوعه الرئيسي وموقفه الدرامي. ومن ثم نمضي طريقة تشيكوف وهي تكشف بالتدرج عن موضوعها ومواقفها الدرامية ، وذلك عن طريق الصدفة ، إذا أردت ، أو عن طريق هذه الصدفة المدروسة وفق خطة وصفها الكاتب مجبوكة كل الحبكة على أسس درامية متسجمة حتى تكاد أن تكون موسيقية» وما ذلك إلا لأن «تشيكوف يريد أن يقيم علاقة نهكية قوية الصلة بين الشكل والحتوى في مسرحه ، أي بين المظهر الخارجي وبين الجوهر المستر من فنه» (٣) .

وهو ، في عرضه لموضوعات الحياة الشائكة لا ينجس بأسا في إن يبرز السمات المأساوية والكوميدية بالقوة نفسها . في العرض والآداء والحوار ، وبأسلوب (طبيعي) ساحر يجعل وهم الحياة على السطح وجها جذابا يستدعي النظارة استمرجا منطقي ، لا ذكيتة مع ولا تصنع . من الأمر الحير في هذا العرض (الطبيعي) وما له به من امكانيات الجذب التوتري الدائب ، مع بساطة الموضوعات التي نطرقنا إلى بعضها ، فقفسية اذهلت التاد منذ عهد تشيكوف وإلى يومنا هذا . إذ كيف تكون لهذه الموضوعات - في صيغتها المسرحية - كل تلك القوة الجاذبة الهائلة ، وما هي الوسيلة المسرحية التي يستخدمها تشيكوف في الإبقاء على التوتر ، على الرغم من ابتاعده عن القواعد المسرحية المعروفة في زمانه وتورته عليها ؟ أنه يستطيع ذلك (بالإتماد على المواقف الدرامية المثيرة والاعتماد على سرد الحوادث المهمة في حياة شخصه سردا غير مباشر) (٤) . «وهو بهذه الطريقة ذات الوجهين السلسلي والإيجابي يستطيع أن يكيف بيئة المسرح والنص الدرامي تكتيفا الحرب ما يكون التكيف إلى الحياة الاعتيادية المألوفة . ومن هنا تبدو (طبيعية) تشيكوف واضحة كما يبدو ابتاعده عن المتلزمات الدرامية التقليدية.

أما سمات شخصه البارزة فلا تقتضي كثيرا من الجهد للتعرف عليها سمة سمة ، في «التورس» يعمل (معرض الإيحاء والاهتمام بالحوادث الاعتيادية النافهة) على تشخيص كوستانتين (الفنان المني النافه أزاء الفن الفانعة المستعدة التي تمكن أن تقفز إلى خيبة المسرح بجذابة وبصورة تلفت الانتظار والقلوب مما ، لا شيء إلا أن الدفعا إلى رحاب الفن لكن انفاذها أصيلا صادرا من تبع الحياة التي . لا كما كانت الحال مع كوستانتين - في تكلفه وتصنعه وكبره ، ومن ثم اسفله وانحداره وتحطه بفاتحاره الذي لا يثير فينا شجنا ولا انرا محزنا لأنه خالصة الخلق الريف الاجتماعي !

وهذه الصورة الصادقة للشخص تتخذ مظهرها أوضح في «الخال

الشخصية ، ومع تصرفاتهم الهولية بعض الشيء ، فهم جميعا محبوبون . ان العالم الذي يرسمه عالم شاعر المكان ، مفتقد ، لكنه غير ضائع تماما . »

لكن الاصح من ذلك كله انه يضع يبارك الآمال العراض في وسط الغابة السوداء ، يبارك يصفاء نملوها مشاعل اجروانية ، لتنتع من حين الى حين تلك الغابة بأصواء السقطيل ، بعد طول ذلك الجبل الهيم؛ وهذا ما نجده بوضوح في شخصيات فيرشتين في «التشقيقات الثلاث » وتروفيوف وآتيا في « بستان الكرز » وسونيا في « الخال فانيا » . ومع ظل هذه الشخصيات ولطفا ورفقا ، فهي تيسر بمستقبل زاه وبدا نمل للالا على عتبة هذا المستقبل .

يقول فيرشتين في معرض تبوئه بالمستقبل : « وقبل مضي مدة طويلة ... سيظهر الناس الى حياتنا الراحة كما نظهر الى الناسي تماما بسخرية وارتاب . وقد يبدو عصرنا ظنا غريبا مصلا بالقياس اليهم . اوه ، ما اعظم الحياة متندد ، ما اعظم الحياة مختلفة ، اني انظف بذهني مرة أخرى ... سيبحث الناس بطريقتهم الخاصة ، وحتى انهم سيكونون من طراز قديم ، وسياتي بشر ارفى منكس ... (يضحك) اننا في مزاج خالص اليوم . اشعر برغبة عارمة في الحياة .. (٧) »

ويقول مخاطبا نوزنباخ : « اعتقد ان كل شيء في العالم هو على وشك التغير تدريجا - والواقع ، انه يتغير امام اعيننا بالذات . وفي مدة ثلثمئة او الف سنة - طوال المدة لا يهم ، ستكون الحياة مختلفة . ستكون سيئة . ربما لن يكون في قدرتنا الاستمتاع بتلك الحياة القابلة ، ومهما يكن من امر ، فان ما نحيا من اجله الان هو خلق تلك (الحياة) . وهذا هو هدف حياتنا (٨) » .

ويقول تروفيوف مكاشفا لجمال الأعمال الذي كان يحاول شراء بستان الكرز ، وكأنه يصنع نظاما بكلمه : « تروفيوف : فكرني عنك ، يا يرمولي الكسيفيتش في هذه بساطة : انني ساجد لري - جميل انقصاه وقت طويل تسبج مليونيرا ؟ ويقدر ما يكون الحيوان الوحشي حين يذبح لانه يزيد كل شيء في طريقه ، محبلا نوعا من اللذة الى نوع اخر فكذلك انت (٩) » . ومما له دلالة قوله : « الانسانية في تقدم مستمر ، وهي تعمل جاهدة من اجل تكامل قواها الخاصة . وسيأتي يوم نذكر فيه ما لم نذكره الان وسيكون في حوزتنا ما لم نستطع ادراكه . »

وفي صدد حياة البشر الذين رافقهم تروفيوف يقول ، وكأنه صدى رعب لواقع ايمت على الازعاج والذعر : « الشعب العامل يعيش على قوت مرب ، ويثا لاثون او اربعون من هذا الشعب) في غرفة واحدة ، الاسرة ليست اسرة طبيعية ، والحيوس كثير والارنجة الكرية ، والرطوبة والفحش منتشر في كل مكان .. ليس ثمة غير القدرة والوحشية والامادات السيئة (١٠) .. » . هذه الحقيقة المريرة ، كانت يمكن ان تدفع بتروفيوف الى هوية التشاؤم ، لو لم يشر ، في اعماق تلك الهابة التي يصفها ، ان الظاهرة الموضوعية ظاهرة حركية ، نبش الحياة لا يتوقف ملثنا ما دام على هذا الكوكب بشر ،

- (١٤) سانسلافكي - حيائي في الفن - عن مقدمة الزيفاتيين
لـسرحيات تشيخوف . (٣) المسرح الحديث - اريك بنتلي - ترجمة محمد عزير زومت . (٤) مسرحيات تشيخوف - مقدمة الزيفاتيين . (٥) من ابطال «بستان الكرز » (٦) ج.ب بريستلي «الآداب والانسان العربي» . (٧) ، (٨) «التشقيقات الثلاث» (٩) ، (١٠) «بستان الكرز » (١١) بستان الكرز . (١٢) الخال فانيا . (١٣) القاري الاعتمادي - قرجينيا وولف ، (١٤) الكتاب الحديث وماله الناس - ج.س. فريز . (١٥) اندري بربودوف في «التشقيقات الثلاث» نقلا من مقدمة الزيفاتيين (١٦) المصدر السابق نفسه .

وما دام هذا البشر منا ترا بصورة ثقافية بالظروف الاجتماعية التي هي الكيان القومي للواقع التغير باستمرار . وفي هذا الجو يبدو هذا التفاؤل غريبا ، بعيدا عن الحياة ، عن منطق الاشياء . الا انه ليس كذلك لمن ذهب الرؤيا الحية المتصلة - على المدى الزماني والمكاني - بالواقع الحي التغير لكي الحواضر المريرة وغير المريرة ، بالاسباب والظواهر الباطنة ، وبما يتصور الحياة من تناقضات شتى تعمل جميعا في الوقت نفسه على دفع عجلة التاريخ الى امام على الرغم من الوهاد والتعسا والجيال والعقبات التي تقف هنا وهناك ازاها ؛ وهذا ما يؤكد تروفيوف وهو يتجاوز لوبابين : « ... الانسانية سائرة نحو الحقيقة العليا ، نحو سعادة عظمى يمكن ان تتحقق على الارض ، وانما في الطبيعة (١١) . »

انه يقول ذلك وكأنه انسان حالم ، والا فكيف له ان يدلي بهذه العبارات وهو القائل : « حالا ياتي الشتاء اجد نفسي نصف جائع ، مرفضا موهوما ، فقيرا كالكسائل والمحروم ، وقد تسكنت في كل مكان سافني اليه البشر . » واذا هو واصحابه لم يروا السعادة ولم يعرفوا ميقات قدومها ، فليس في ذلك بأس ، لان غيرهم سيرونها ! اما شجاعة انما فتبدو لي ادوع صورة والفرها الى القلب وادعاهما الى التأمل ، حيث تقول مهتدة خواطر امها الهالجة ، بعد ان تم بيع «بستان الكرز» في الرقاد : « امام ، ستعودين سرا الى كسك ؟ سادرس واجاز امتحاني في التاتوية ، ثم سامعل واساعدك وسنقرأ كل انواع الكتب معا ، امام .. اليس كذلك ؟ (تقبل يد والدتها) سنقرأ كتب كثيرة ، وسينفتح فداننا عالم جديد عجيب . » ولو كان الكاتب غير تشيخوف لكان شانه عم آتيا غير شاته ولراينا المأساة بمعناها الكلاسي الماخيني الهياجي تظلي على هذا المشهد ، فتهاجر آتيا تيمنا لانهيار والدتها وتسير المسرحية الى دونها العاطفية الراهية !

اما سونيا ، الفتاة الطويلة البسيطة ، الطالعة بالاحلام العذاب المملعة بالتدوير استروف ، كل ذلك الهدف الذي جعل من حياتها عذابا متواصل يضل في الرقاب والتوقع والتوتر ، فليس يخطب حسب ، حين يفتك الظلم من بينها ، بل يخطب ظنها في الحياة برمتها ، ومع ذلك كله ، فهي تخاف خالها فانيا قائله : « ماذا تفعل ، علينا ان نعيش ... سنسوي في سلسلة من الأيام والليالي الطويلة المملة . وسنعا في سرفوف الزمان التي يفرضا علينا القدر بصير واحتمال . ستمعل من اجل الآخرين . ولن نحظى بالراحة ، لا الآن ولا في السيفوخة . وعندما نأزف ساعتنا ، سنكون خاضعين مستسلمين ، وهناك وراء القبر ، ستحدث معا فاسينا وكابيتا ، عن دعوتنا عن حياتنا الزرة . (١٢) » لكن هذا اليأس ، على ما فيه من مرارة لا يحرف سونيا الى هاوية القنوط . ذلك انها ، وقد هزتها العاطفة العتيفة ، تتناك نفسها فتقف على قدميها تستطرد قائلة وكأنها في عالم من الاملا الزمائية : « سترى كيف شرود الارض كل الامتاف وقد جرفتها التعمة التي تتسلل الارض بسرهما بالقبطة ، وستكون حياتنا مساللة جميلة لطيفة .. انا اؤمن بذلك ، اؤمن به » .

وبعد ، ماذا عن الصلات الانسانية وكيف يعالجها تشيخوف؟ هذه الصلات التي تحدثنا عنها النافذة الانكليزية الباردة فرجينيا وولفس بقولها : « الله - تعني تشيخوف - بعد يحق احسن معطل للصلات الانسانية واعلمهم ادراكا لها (١٣) » .

من الظواهر النفسية المرفوعة ان في المجتمع الانساني عواطف وميولا ونوازع تتبلور في قيم عامة ايجابية وسلبية كالتحية والصدافة والولاء والتصرف والكرامة والفيرة والفضولية ، والرياء والمداواة والتعلق والتزلف والكر والخداع والمداواة والتناظر والفطنة والعسد والجشع والانانية الخ . وهذه العواطف والبيول والنوازع واضحة مركزية كل التركيز في الحياة البشرية تشيخوف . ومن حيلة هذه القيم تبعث الصلات الانسانية : صلة الانسان بالانسان ، الفرد حيال الفرد ،

والفرد حيال المجتمع ، والمجتمع ازاء نفسه نظرا لتلحظ الطيفي الذي يقاب الوضع البشري من حالته الطبيعية السليمة الى حالة غير طبيعية ، مزودة ، مشوهة ، مزيفة . ومن ثم يعرض الانسان بصفته مثلا مجازيا عن المجتمع وصلته بالطبيعة ، بالكون ، ومكانته في هذا الاقواس الجبار !

بالحق تشيخوف هذه العلاقات معالجة هادئة رزينة تتم عن اطلاق واسع عميق على خبايا النفوس في صراعا المستمر من اجل السيطرة والانفناء الذاتي واشياح الرغبات وتطمين الحاجات ، وتحقيق الامال . وهذه المعالجة الهادئة عجيبة في امرها ، اذ انها تنصب في ساحة الدراما على خلاف واضع مع الاسول الدرامية . فالدراما حركة ، صراع عنيف يتدرج من السفح الاعتيادي السهل الى الدروة عسير التشاب والمتعطفات الخطرة المخطرة . لكن الحال ليس كذلك مع تشيخوف ، فالنصل الدرامي بسيط ومعتد ، من غير عنف ، وقد يحدث عنف كما في (التورس) فهو عنف ، يصح ان يتصف بالهدهد . انه امر اعتيادي مألوف جرى على حسب السنة الطبيعية في الحياة من غير فجأة او صخب . ومن هنا فتشيخوف لا يرى في الصلات الانسانية الخارجة سبلا للسودا الانساني حيث هو سلوك فرد في وحدة اكبر من ذاتيته ، وانما يرى في هذه الصلات سمات مشتركة للوضع الانساني في ديومته المترجحة وفي صيرورته المتغيرة المتقلبة .

والوضع الانساني يمتناه العميق بوقفة للصلات التشابكة ، صلات الخير والشر ، الفضيلة والرذيلة ، العلم والجهل ، العنف وطهارة النفس ، الكبرياء والرودة . وفي هذه البوقفة ينبغي ان نلاحظ شخص تشيخوف ، لا بصفته الكوميديا او التراجيدية بل بصفته الانسانية الشاملة التي تحضن المساة والمهزلة في صدر حنون واحد . هذا حين ان «الكلاسيك التراجيدية تعني بشخص غالبا ما يكونون انبل منا قدرا ، وهم اذ يجترحون الاخطاء ، فلما يفلتون ذلك يدافع اخلاقي - ومع انهم ليسوا اناسا كاملين ، فقد يلاقون - جراء الاخطا - جزاء ، يبدو فادحا ، فتشعر بالاشفقة على البطل في جزلة المتنامية ، وفي ناعته ، وتشعر بالخوف على مصيره الذي ربما يكون مصيرنا نحن (١٤) » . اما «الكوميديا الكلاسيك .. فتعريفنا لنا شخصا نضح نفقونا عليهم ، فهم اشد حقا منا وادعى الى الانساق والفضائل . » ومن هنا ينتفض التناقض الصراح بين هذين الصريين من المعالجة الدرامية المحددة المعروفة . وللطاهرة العجيبة في تشيخوف : انه بدلا من الانساق الى هذا التقسيم الحدي التمس صياغة جديدة في رسم الشخص وفي العرض المسرحي واللعل الدرامي نفسه . وبدا يمكن من خلق عالم من الشخصيات الابتدائية والصلات الدرامية والجو الانبسي الذي يجمع بين هذه الشخصيات وهذه الصلات على صعيد واحد . ومن الاشياء التي استند اليها في خلق عالمه الخاص الرموز التي تنوب عن الواقع انابة فيها فلكة فنية رائعة كما فعل بطاريس التورس في (التورس) وبستان الكرز في (بستان الكرز) والغالبية العتيقة في (شيطان الغابة) . وبهذا استطاع ان يجمع بين الرزية والواقعية . كما استطاع في تناوله الهادي للشخصيات والاشواق المحيطة بها ان يجمع بين الطبيعية وبقائه الفريضة التي استطاع بها ان يطوع المسرح من غير تقليد للمواصفات الدرامية المعروفة . ومع انه التجا في (ايغانوف) و (التورس) الى حيلة (المسند) وهي الحيلة التقليدية الشاملة في التوصل الى الدروة الدرامية ، ولكنه غير تغنيته بعلى الشيء في «الخلع فانيا» وتخلص نهائيا من الجبل المسرحية في طرفيه البديعتين «التشقيقات الثلاث» و «بستان الكرز» .

ومع ان تشيخوف يرسم شخصوه من الطبقة البرجوازية الفقيرة ، او من الطبقة الاستراقاتية ، او من سواد الشعب ، فهو لا يتناولها تناولا مباشرا ، ومن ثم فان الحوار لا يكون مباشرا وبذا ينتفي الصراع الدرامي بعمناه المهود ، ليحل محله صراع خفي لا يدركه القارى اول

مرة ، وانما يستطيع تلمسه بجلاء في دراسة النصوص او مشاهدتها على المسرح . وفي كلا الحالتين يحتاج القارى او المشاهد الى دقة البصر ونفاذ البصيرة وسعة الاقاف لملاحقته اذ ان تشيخوف ليس ظاهرة في المسرح الحديث لا تزال تخطى باهتمام خيرة النقاد ، على الرغم من ان الكثيرين من الكتاب المسرحيين الذين عاصروه ، واستعملوا كل الجبل المسرحية في تثبيت شهرتهم ، قد جرفتهم الايام ، وظل تشيخوف كالظود الشامخ تحضر امام جبروته الايام ذليلة وترتد منكسرة خائبة .

ان تشيخوف يعنى عناية خاصة بحياة الناس ، عامة الناس وخاصتهم ، في رتابتها ونفاحتها وملها وكتلاها ، وانفعاها في تناقل الشاعلات والودكا والفخار والدعاوى المتقلبة ؟ في بيئة غريبة من الخداع والقتل ، « الأزواج يقتلون زوجاتهم ، وكذا تظلم الزوجات ، وكان ايا منهم لا يرى شيئا ولا يسمع شيئا . وكل هذه الظفافة والفتاة تحلم الاطفال ونظيره فيهم كل ما ربما يتصور في نفوسهم من شر فادح، وهكذا يصبحون هم ايضا مغلولات تعيسة نصف ميتة(١٥)» . مع ذلك كله ، فهو لا يفلارق مبد منه الرقيع ، ولذلك فهو لا يسف الى السوفية ابدا .

ان فن تشيخوف متشعب واسع طرف فيه اعماق دفينه ملأ بالجوهر والذلال النادرة ، لا يصل اليها الا غواصون بارصون ، اساذة في فهم ، عالون بخفايا عالمهم ، ولما يرقى اساذ في فهمه مرفى ستانسلافسكي ، المثل والخارج العظيم وهذه هي شهادته : « لا ينضب تشيخوف معين ، على الرغم من الحياة اليومية التي يبدو انه يرسمها في مسرحياته ، انه - في الواقع - يتكلم كل الوقت لا عما هو حدث طارئ وموضوع خاص ، بل عن الانسان بالعمى الواسع هذه الكلمة ، وهذا هو دافعه الروحي الرئيسي . اما مسرحياته ، فهي مليئة بالمثل - الدرامي ، لا بمظهرها الخارجي ، بل في طورها الداخلي (١٦) » .

ومن هنا ، فليس يسيرا ان ندرس تشيخوف ، وان كانت الدراسة عميقة شاملة ، وليس يسيرا ان نوفي حقه ، وبهذه المعالجة التي نحن بصدها ، لان ذلك يتطلب مجالا ارحب ، الا ان تشيخوف حقا في اعناق كل من يشتغل بقضايا الادب عامة وفضايا المسرح خاصة . فهو من بناة المسرح الحى ، ومن اساطينه ومن الارواح الخالدة التي تحرس المسرح من عقارت العيث والفساد والسفخ والسطحية المبذلة وهي الادواء التي تهدد حتى المسرح الغربي الحديث بالانهيار والتلاشي ، وهو ما هو عليه من رسوخ متاصل ومكانة متينة في الفكر الغربي ، قدميه وحديثه .

بقداد يوسف عبدالمسيح ثروة

اشتركوا في مجلة

الارباب

تساهمون في نشر الثقافة



اميل توفيق

صور وانطباعات من رحلتي في السودان

بقلم اميل توفيق

٦ - الرحلة الى القصارف

في اوائل ابريل ١٩٦٣ ، جاء اسمي الهيئة المنتدبة للإشراف على امتحانات المدارس الوسطى ، بالسودان ، وشرقه . وقد توزع كل اثنين منا على مدرسة من المدارس ، فكان نصيبي إحدى المدارس في «القصارف» ، وهي البلد الواقع على حدود الحبشة . وبدأت رحلتنا من بورسودان في عصر يوم ٤ - ٤ - ١٩٦٣ ، تمتعت خلالها بما شاهدناه من القطار من مناظر رائعة تتنوع بين عظمة الطبيعة الجبارة ، وعظمتها في الرقة الحائبة . ففسى منتصف المسافة تقريبا ، رأينا جبل «كسلا» يقف شاهما من بعيد بكتل عديدة صلبة ، قدت من صخور كأنها حطتها الطبيعة في كثير من العنف او كأنها جبلت على مرات عديدة . وتقع امام الجبل مناطق خضراء زاهية الخضرة ، تليها مناطق جرداء تماما ، تتفرق من حولها شجيرات وغابات شجرية - كما رأينا في الطريق منطقة خشم القرية بمعداتها وحياتها وهي المنطقة التي يقومون فيها خزان خشم القرية ، الذي يحجز مياه التربة التي يحفرونها لتغذي منطقة حلقا الجديدة ، بماء الري اللازم للزراعة . ومن العجيب اننا مررنا على مناطق متدرجة من حيث طبيعة السطح الارضي ، فهي مستوية رملية حيناً ، ثم تنخفض فتحتوي غابات بها شجيرات عارية او اعشاب

نحيلة ، ثم ترى كتلا رملية تنبثق من حولها نباتات جافة كأنها هي ظامة متعطشة للماء . ثم تأخذ التربة في الارتفاع لتحتوي كتابنا من الصخور الرملية اجمل ما فيها انها تنبسط في صفحات ملثوية ، تحتوي على تخطيط بديع منقوش بيد الطبيعة ، غاية في النظام القوضوي او الموزايكي . وقبل هذه المنطقة وما بعدها حتى القصارف شاهدا نافورات من الرمال . هل يمكن ان تغلي الرمال ؟ ان عند بقع مبعثرة .. هنا وهناك . من بعيد ، تغلي الارض وتنفث في كل بقعة هواءها ، فتبعث دوامة هوائية تشد معها ذرات الرمال فتعلو كأنها نافورة من الدخان الترابي او الرملي . وبالطبع كان ذلك وقت الظهيرة ، وقد علت الشمس في اتجاه العمود ، وصار الجو شديد القيقظ ، خائق الحرارة . وعند مغرب الشمس ، أخذت الظلال تكسو المناطق الجبلية في تدرج بديع منسق - فكان ما هو قريب منا ، يتلون بظل شديد حالك معتم ، وما يتلوه بعدا عنا ، كنا نراه مظلا بظلال مخففة العتمة ، ثم ما هو بعيد عنا ، كانت ظلاله باهتة تماما . وأبدع من ذلك روعة ان ترى بين هذه الجبال المظلة منقطة مائية او ساحلا .. وما هي في الواقع بالماء ولكنه السراب «الذي يحسبه الظمان ماء» ..

لحنا ان الطبيعة مفعمة بما تحتويه من عظمة وجبروت وحنان ، ولكن الانسان يضفي من خياله الخصب ، لمات من وعيه ومن عاطفته ، ما يجعل من مشاهدات الطبيعة لهبة لوحات حية مفعمة بالفن ، يحتفظ بها في ذاكرته لتصبح معنى من معاني وجدانه التائق بالحركة وطاقة الحياة .

وتشهر القصارف وكسلا بزراعة الجيوب ، وعلى طول الطريق بينهما كنا نشاهد حقولا خضراء ، وأخرى قد جنى الفلاحون محاصيلها . وعندما وصلنا المدينة استقبلتنا الهيئة المشرقة على التعليم ، ثم قادتنا بالسيارات الى حيث الاستراحة الحكومية القائمة على بقعة مرتفعة لا تبعد كثيرا عن المحطة . ويحيط بهذه الاستراحة سور من الاسلاك الشبكية التي تمنع دخول الحشرات . ويتكون مبناهما من عدة حجرات سقفها على شكل القباب ، وكل حجرة منها او «قطيعة» قد طلي سقفها بالطلاء الابيض الناصع ليعكس حرارة الشمس ، وقد زودت في قمتها بفتحة تغطيها شبكة صغيرة . ولقد تفرقنا في حجراتها ، فاجتمعت كل مجموعة مؤلفة في حجرة ، واتجه كرم اخواننا السودانيين الى ترك حجرة جيدة الموقع للاجانب اعني لي ولانثين من الاساتذة الانجليز وقد شاركنا لمدة يومين المهندس الشرف على «مشروع المياه» المزمع تنفيذه في المدينة حيث ان المياه ما تزال توزع في صهاريج او خزانات تزود بها البيوت والمؤسسات . وليس في المدينة اضاءة كهربية ، ولكنهم يستخدمون مصابيح الكيروسين او فوانيس «الرائيتة» .

والشجيرات وبدت نخيلة جافة . ولقد مررنا بمعظم احياء المدينة المقسمة الى رحلات (جمع رحلة بكسر الحاء) والحلة مجموعة من البيوت المبنية من البوص والجريد بطريقة ماهرة بواسطة بنائين مختصين في مثل هذا النوع من التركيب البنائي . وفي بعض هذه البيوت تجد الالات والادوات الحديدية كالراديو او التلاجة التي تسدأ بالكبروسين . على ان مجلس البلدية قد خصص قطعة من الارض ، وشرع يشجع بناء البيوت المدنية من الطوب او الاحجار والاسمنت ، كما بنيت بنفس الطريقة المحال التجارية ، والمدارس ومخازن الحبوب ، والمستشفى والدور الحكومية . ويسكن القصارف عدا السكان الاسبيين كثير من اهل الحيشة ، ومن الهنود ، ومن اليونانيين والمصريين ومعظم هؤلاء يشتغل بالتجارة . وهناك عند مخارج البلدة ، وعلى سفوح تلك المرتفعات

تجد بئرا هنا ، او عينا هناك . . منبثة من جوف الارض . وقد التف حولها بعض الاطلين واخذوا يستقون منه او يملأون الجرار . ومن المناظر التي استرعت انتباهنا ، منظر قافلة من الجمال كانت تقل بعض الرجال - وهم في الغالب من الرعاة ، او ممن يعتمدون على الامطار في زراعة ارضهم الواقعة على الحدود بين القصارف والحيشة . هؤلاء قد قدموا فملأوا قريهم الضخمة بالماء وشرعوا في العودة «لحلتهم» بقرب ارضهم . وشاهدنا ، ونحن في الطريق وعلى بعد كبير من قلب البلدة - بقعة ارض محفورة يبلغ قطرها حوالي ثمانين مترا وهم يسمونها بالحفير . وقال صاحبنا ان امثال هؤلاء الناس الماعدين بالحقول التي يتفكرون امثال هذه الحفرات بجوار ارضهم وحلتهم ، وعند سقوط الامطار يمتلئ الحفير بالماء ، ومن ثم يستخدمونه طوال موسم الامطار ، سواء كان ذلك للشرب (باستخدام الازيار) او في الاغراض المنزلية والمعيشية الاخرى . وعند الجفاف ، يستعينون بمياه الابار البعيدة عنهم في قوافل تزود وتقدو يوميا ، وقد تناوب الرجال في الحلة في تسير القوافل ، في روح من التعاون والاخاء الصادقين .

ولقد بارحت المكان وصورة هذه القافلة برجالها ما تزال تطرق ذاكرتي ، وتمر في خاطري ، وتثير تأملاتي . فان هؤلاء الرجال وامثالهم انما يواجهون الطبيعة وجهها لوجه ، ويقفون امامها مباشرة صفا واحدا ، ويعيشون في القامرة بروح التحدي لمصاعبها . وهم ينتمون لا الى طبقة منهم ، ولكنهم ينتمون جماعة متراسة متألفة الى الارض ، مصدر رزقهم واساس معاشهم ، بل ان ارتباطهم لجماعتهم وللارض ارتباط شديد متين . ولقد وضحت امامي الصورة القابلة - للمدينة الحديثة - حيث تقسيم العمل والتخصص والتركيب المعقد للمجتمع ، ومهما يكن من مميزات عظيمة تقترن بالمجتمع المدني الحديث ، فان آفته هي ما نلاحظه في سياق التطور من البدائية الى

انما هناك أسرة يونانية تملك دارين للسنيما ، ومحلات تجارية ، وقد امتدت جميع هذه الدور وما جاورها ، بالتيار الكهربائي مساء من مولد كهربائي خاص تملكه . المدرسة التي اشرفت على امتحان تلامذتها ، تملكها جمعية خيرية على راسها معلم اميركي وزوجته الاميركية . والمدرسة تستخدم معلمين مصريين ومعلمين سودانيين بمعظم من الجنوب . واما ناظرها المسؤول عن الادارة التعليمية فهو مصري .

ولقد وجهت لنا الدعوة - في اليوم التالي لحضورتنا - لزيارة رئيس الجمعية الاميركي في بيته لتناول الشاي . وكان حفلا هادئا انتظم فيه وسط فناء الدار المسيجة بالحجر والاسلاك ، عقد هيئة انتمت بالروح الدولية . . او على الاصح روح الغرب الذي يرثى الى الصبغة والالفة والتفاهم ، فهذا مدرس قادم من صعيد مصر ، يحدث زميلا آتيا من شمال ويلز ، وهذا حلفاوي وقد جلس الى الاميركي الذي ينتمي الى أسرة ريفية ، وذلك انجليزي وقد انهلك في حديث مع سوداني تعلم في الهند . . وتناولنا الشاي على انغام الموسيقى الغربية ، ووسط احاديث عفوية من مشكلات السكن او معضلات التعليم في السودان - اشتركت فيها الزوجة ربة الدار ، فافقت من ترحيبها وضيافتها وهي تقدم لنا صنوفا مختلفة من « الكيك » والربطيات - اذغت جوا عائليا هائلا . قلت في نفسي ، ما احوج الناس ، على اختلاف جنسياتهم ولغاتهم ومذاهبهم ومشاربهم الى ان يجتمعوا فيضارفوا وان يتبادلوا الزيارات ، وان يتفهموا الثقافات - وان يدرسوا الحضارات ، ويتعرفوا النفسية . . ولا يخجلوا الامال والاحلام في كل بلد وفي كل اقليم ، وما احوج السلام العالمي ، الى اتصال الشعوب ، واستقبال بعضهم البعض حتى يفتح الناس جميعا قلوبهم للحب فيما رسونه ، وللخير فيفعلونه ، او في القليل حتى تستنير العقول للفهم والتفاهم وتقيل الراء ، وتمحيص وجهات النظر المختلفة ، في روح العدالة والانسانية والاخاء .

ولقد رد اخواننا السودانيون الجميل باجمل منه : في حفل عشاء اقاموه في منزل احد ثراء المدينة . وتميز الحفل بطابعه السوداني الاصيل من حيث المأكول والمشرب والموسيقى والفناء .

وفي جولة مع ناظر المدرسة ، وفي سيارته ، استطعت ان ألم ببعض من معالم المدينة ، فالتقصارف تبدو كأنها تقع في سفح المرتفعات والتلال المحيطة ، التي انشأ على قممها كتكات الجيش وهي قوام الكتكات التي استخدمها الجيش المصري في عهد الخديوي اسماعيل عندما بدأ التحرك نحو الحيشة . وفي وقت زيارتنا للتقصارف لم تكن الاشجار او الاراضي مكسوة بالخضرة ، كالمهد بها - كما يذكرون - في اشهر نوفمبر وديسمبر ويناير . ان الجو جو الخريف ، وقد تعمرت الاشجار

لف الشتاء الكون في برد رمادي كثيف
وتكسرت تحت الخطى في الدرب أوراق الخريف
وعلى الصفاف اصطفت الأشجار صامدة تعاني
مقرورة والريح تعوي حولها في كل آن
وغصونها الجرداء تلتبس الضياء
كدراع أجذم مدها نحو السماء

البحيرة

لهفي على الأمواج يلهب ظهرها سوط الرياح
والطير عند الشط منكش وقد كل الجناح
ان رام خوض الماء ألزمه الثواء الزمهرير
أو حدثته النفس بالتحليق .. أنى ان يطير
عزم تمرد ثم أذعن للقضاء
وطلاقة أودت بها كف الشتاء

الجزائر

خلت السماء من السنا .. خلّت البحيرة من شراع
كم كان طاف بها وللنور انتفاض والتماع
وكسا الرماذ القبة الزرقاء والعشب الندي
فتلاشت الألوان في لون كتيب أوحد
وتعلمت إذ ذاك أرواح ظمساء
تزداد وحشتها إذا جاء المساء

الدكتور جمال مرسي بدر

البرد بلغها فترتعد العواطف في الظلام
آمالها ارتشت كما تصطك في قبر عظام
ساق اللال زمامها وأغم غايتها الصجر
كالدرج غابت في الوحول صواه إذ هطل المطر
فسامة دبّت الى القلب الخواء
وجهامة جثمت على صدر الفضاء

وشتاء نفسي يا بحيرة مثل فصلك ذا الكتيب
روحي كطيرك عاقها الأعصار عن أفق رحيب
روحي كدوحك جردتها الريح من ثمر ينبع
لكنها ليست كمثلي فهي ترتقب الربيع
وأنا الموله لم يعد عندي رجاء
ناديت لكن من يصيخ الى النداء

من وحي جنيف

للأرض . ان انماء الفردية والاستقلال الفردي - وهي
ميزة التطور المدني - يجب ان يسير في اتجاه يجمع
بين قطبين رئيسيين هما الأرض (او الوطن) والانسانية
جمعاء . ذلك هو خط التطور السوي .

اميل توفيق

شبين الكوم - ع.ج. ٢٠٠٤

المدنية ، من انفصال بين القرية والمدنية ، ومن تفتت
الولاء ، ومن ضعف الارتباط بالأرض وبمصدر الرزق ،
ولست في هذا المقام اصدر حكما او اناقش قضية التطور
الاجتماعي، ولكنني هنا ارى - من واقع شعوري وادراكي،
ان الانسان المحضر الحديث في حاجة الى تقوية لشعوره
بالانتماء للانسانية جمعاء، بجانب تقوية بالشعور بالانتماء

خرج زهروه افندي في الصباح الباكر الى عمله الجديد ، وكان قد تلقى امرا مشددا بالمحافظة على المواعيد ، ويبدو ان ذلك قد دفعه الى الخروج قبل الموعد بوقت طويل . مضى في اطمئنان يستحث خطاه في مرج ظاهر ونشاط غير معهود . فقد كان يعيش طيلة الاشهر الماضية في قلق مستمر وبأس وخمول . وهو الا لا يخفي ابتسامة تعلو شفتيه وتوشك ان تنفجر اذ لم يستطع التغلب على هذا الشعور الطارئ الذي يملأ نفسه - الشعور بانّه رجل جديد .. بل ان كل شيء يبدو امامه جديدا ، المارة في ملابسهم النظيفة والسيارات الفخمة والاشجار المتناسقة البديعة .

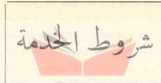
ولم يكن في الامر غرابة . فقد حرص في يومه هذا على السير فسي الشارع الرئيسي بالبدنية . اما ذلك الطريق الذي تفوق فيه الاقدام ويثور فيه الفجار والذي تعود السير عليه فيما مضى فلن يطرّفه بعد اليوم في مغدّى او رواح ، مخافة ان يتعلّق شيء منه بردائه الوحيد . وه لم ينس ان زوجته قضت شطرا من نهارها تحتال على هذا الرداء بالصبر والاناة حتى ردت اليه انفاس الحياة ثم غسلته برفق وفي اشفاق ، ثم سهر هو الليل في كيه .

وقد ودعته زوجته عند الباب وهي توصيه بالمحافظة على رداءه . وفي الوقت نفسه اخذت تبعد عنه اولاده الذين احاطوا به من كل جانب وهم يقفرون حوله ويصخبون فرحين بالعمل الجديد الذي ظفر به ابوه بعد ايام من عطالة مريرة . وكان يومهم هذا عيدا من الاعياد السعيدة . وهو بدوره فرح بفرحهم ولو انه كان قبل ذلك يسخط عليهم ويدعوهم «بالعفاريات» لانه يعزو اليهم فشلهم المتكرر في اعماله الماضية .

ونظر الى الوقت في ساعته وقد كان قبل يومين اثنين يحاول بهيمهما مضطرا ليجتاز بها اياما سودا ،

والحمد لله فقد ولت تلك الايام واصبحت في ذمة الماضي . وهو الان يشكر الله الذي هيا له هذه الوظيفة الجديدة في هذا الزمن العصيب ، فيستخفه الفرح ويشعر بنشوة غريبة كلما تذكر المرتب الضخم ويراوده امل جديد بل آمال كبيرة في حياة سعيدة قد انفتح بابها على مصراعيه .

وبعد قليل سيجد نفسه في محل عمله اكبر المحال التجارية بالعاصمة . ما اروعه من محل كبير مكتظ بكل انواع السلع الراقية . وهذه المتاعد المستطيلة الجميلة ومن ورائها يقف الموظفون يستجيّبون لطلبات العملاء ولقد خصص لكل موظف منضدة ،



بقلم محمد صالح البراهيم

<http://ArchVebeta.Sakhrif.com>

فما ابدع هذا النظام . ولما تذكر منضدته المخصصة له اهتز طربا . انها اول منضدة على الباب !

ولم يعد يهتم بمنظر الشارع الرئيسي ، وواصل السير . ولما اقترب من محل عمله الجديد شعر برهبة . لقد طافت بذهنه صورة ذلك الرجل البدين ذي المنظار الاسود الضخم . ذلك الرجل الصارم قليل الكلام عابس الوجه . ذلك الاجنبي الاسم الذي لا يعرف كلمة عربية واحدة .. لم يكن يهيمه من الامر شيء اولا ان هذا الرجل الرهيب



هو صاحب المحل . وبالامسى قال له في حدة وغلظة يجب ان تتحدث الى رواد المحل بلطف وادب وابتسام . فان ذلك اول شرط من شروط الخدمة .

ورأى نفسه وهو في الطريق وقيل ان يصل محل عمله قد بدأ في تنفيذ هذا الشرط . لقد وضع على نغره الابتسامة المطلوبة لاستقبال الرواد . ولكنه ادرك انها ابتسامة متكلفة لا روح فيها . وانه من العسير عليه ان يتقلب في يوم واحد ضاحكا بشوشا بعد ان طال عيسه وتمكن منه الضيق والتكد بسبب اولاده العفاريات .

دخل المحل بخطى ثابتة ولكن كان قلبه يدق كالطرقرة . ومع ذلك فقد حرص على ان يتبسم - اية ابتسامة والسلام . واستقبلته عينا صاحب المحل الجالس في اقصى ناحية يستطيع منها ان يراقب كل شيء . ورأى زهروه افندي ان من اللياقة بل من حسن البداية ان يؤدي التحية لمخدّمه . ففعل ذلك بانحناء قصيرة وابتسامة خفيفة . وتلقى الرد على تحيته بما غمه وخيب املة . ذلك ان مخدّمه غض بصره وتشاغل بما لديه من اوراق وكان اول القصيدة كفرا .

واتخذ زهروه افندي مكانه خلف المنضدة الخاصة به وهو في حال مضطربة من فرح ورهبة . لقد سره انه كان اول قادم من موظفي المحل واخذ يتأهب لاستقبال الرواد . وشجع نفسه ويؤكد لها النجاح التام . والى نفسه يفكر ويغمره السرور ، لقد كان عاطلا فوجد عملا ، وعملا ذا اجر كبير مفر . لا بد له اذن ان يتفانى عن كل شيء ويحتمل كل شيء حتى لا يفلت منه هذا العمل . ينبغي له ان يعرض عليه بالتواجد .

واجال بصره على الارفف الكثيرة المكثفة بشتى البضائع الوانا واشكالاً . انه ان يجد صعوبة في العمل . فكل شيء منتظم . وكل صنف عليه بطاقة

بالثمن المحدد . فاذا قدم من قدم
استقبله بترحاب وإبتسامة عريضة
وقدم له ما يطلب وجعله في لفافة
من الورق وحزمه بها . وما على
المشتري الا ان يخطو الى الصراف
ويدفع الثمن ثم يعود اليه فيناولوه
اللفافة بكتلتا يديه ويخني له شاكرا
مقدرا مبتسما . هذا كل ما هنالك .
وهو من السهولة واليسر يمكن .
ولسوف يشهد صاحب المحل ان
زهروها قد ادى عمله على احسن
وجه .

ودلف أحد الموظفين الى المحل في
هدوء وسكون . فلم يرفع بصره
ليلاتي به يعني صاحب المحل .
والاغرب من ذلك انه ما ابتسم ولا
اتحنى ولا حيا . . وتكرر هذا المنظر
من كل الموظفين . وتطلع زهروه الى
وجوههم فلم ير فيها اثرا للبتاشة
ولا الابتسامة ، لا بأس . ربما كانوا
يدخرون ذلك لاستقبال الرواد . ولم
يمض وقت طويل حتى اقبل الرواد
جماعات وشتى ، واكتظ بهم المحل
ودبت الحياة فيه . ووجد زهروه
افندي نفسه في عمل متواصل
مرهق بكفى لتحطيم اعصابه .

عاد زهروه افندي في المساء الى
بيته بشعور آخر وتفكير جديد . ولم
يكن يحتمل أي ابتسامة اخرى
يضعها على فخره .

واستقبلته زوجته وابدت ملاحظتها
الاولى على ردائه الذي استخ ،
وقررت ان تسهر عليه الليل لاعداده
نظيفا محترما ليوم التالي .

واحاط به اولاده المغاريت فرحين
بعودة ابيهم وهو لاه عنهم . واخذت
الزوجة تسأله عن عمله الجديد فسى
لهفة وشغف . قال انه عمل مرهق
وجديد عليه ، وانه قد وجد نفسه
مضطرا للتصنع والتكلف اكثر من
الزوم . وانه قضى يومه معذبا
ولكنه ادى عمله بسلام ، وان عليه
ان يتعلم شيئا جديدا منافيا لطبعه
حتى يستمر في عمله ، فالمرتب كبير
يفري بتحمل المشاق . وقالست

زوجته ليتها تستطيع ان تشاركه في
تحمل هذا العبء الثقيل حتى يحافظا
معا على هذه الائمة التي نزلت عليهما
من السماء . ركيف السبيل الى
المحافظة عليهما وهذا الشيطان الاصم
لا عمل له الا ان يتصيد الاسباب
لزوال النعم . فهو يجلس الى مكتبه
لا يبرحه ولا يعمل المراقبة . يصوب
نظراته على كل شيء وعلى كل احد .
ولا يتحدث بل يطرد بدون كلام .

— يطرد بدون كلام ؟
— نعم ولقد حدث ذلك فعلا . طرد
احد الموظفين لساعته فلم يمهله
لحظة واحدة يعتذر فيها او يدافع
عن نفسه .
— لعله اتى امرا منكرا يستحق
عليه هذا العقاب .

— كل ما فعله انه ترك العميل
يخرج دون ان يتباغ شيئا . لقد
شعرت عندئذ اني اقف على حافة
هاوية . فبينني ان احسب حسابا
لهذا الشيطان اللعين . ينبغي لي ان
اجتس . ان اية زلة تصير مني ولو
كانت عن غير قصد تردني الى فاقة
الطريق كما كنت في العمل في
الوقت الذي كنت فيه .
نفسه على تكاليفه . ولكن يجب ان
نعمل شيئا نتغلب به على صرامة
صاحب المحل وكسر شوته ، فعماذا
تتراجعين ؟

وهنا اقترحت الزوجة ان يقيما
للشيطان حفل عشاء بالمنزل . فان
الناس في هذا الزمن يعملون هكذا
لكي يعيشوا . . ولكن المنزل غير
مناسب لثل هذا الحفل . وائلته
الزوجة هل يجب ان تبقى في هذا
البيت العتيق بعد اليوم ؟ انه لا
يليق بمكانتك كموظف محترم فسي
أكبر محل تجاري بالعاصمة .

وانفق الزوجان على الرحيل فورا
الى منزل محترم بالدرجة الاولى في
المدينة يليق بمركز الزوج ويناسب
الحفلات المنتظرة . ولكن قامت في
وجهما مشكلة جديدة ، اثارتهما
الزوجة الواعية حين تساءلت فسى

باس وحزن : اين الانثاء المناسب
لبيت في الدرجة الاولى ؟ ولم يطل
بهما الوقت حتى اهدتيا الى حسل
موفق وهو ان يحصل الزوج على
الانثاء الفاخر بالتقسيط . واذن
فلترجا حفلة العشاء الى المنزل
الجديد وائلته البديع . وهذا امر
يتم في اقل من اسبوع . وثنام
زهروه افندي قرير العين نوما هائنا
تخلله الاحلام السعيدة . بينما
قطعت الزوجة شطرا من الليل في
غسل ردايه وكيه وهي تغني بصوتها
الرخيم أنشودة الغد المرجو .

وبعد اسبوع انتقل زهروه افندي
واسرته الى منزل انيق بالدرجة
الاولى في العاصمة . وقد جهزه
بافخر الاناث وعلى احدث طراز . وبدا
كل شيء في نظر الاسرة جديدا .
وهذا الانتقال المفاجيء في حياتها
كان موضع دهشة من الجميع .
وابدت الزوجة ملاحظتها في شيء
من الاشفاق . قالت ان ايجار المنزل
مرتفع . ورد عليها ابو المغاريت ان
مرتبه الضخم يتحمل سداد الاجرة
في اول كل شهر ، وانه قد التزم
بعقد ابرمه لمدة سنتين . فهو مطمئن
الى البقاء في هذا المنزل عامين على
الاقل . وسيدفع ثمن الاناث على
اقساط شهرية تنتهي بعد عام .
وسيرفع مرتبه بعد ستة اشهر .
وسيمتخ مكانا من الارباح السنوية
اسوة بزماله الموظفين .

وابتسم الزوج والزوجة والاولاد
وتبادلوا النظرات من عيون تشع
بالامال الكبار . ثم تعالت صيحات
الفرح والبطقة من كل جانب .

وقفزت فكرة الحفل وسط
الضجيج . فقد تهيأ لها المنزل المناسب
وائتائه الجميل . وراى الزوج انها
تحتاج الى مبلغ ضخم من المال ثم
ساد السكون .

وابدى زهروه افندي خوفه
واشفاقه من ان يفسد اولاده جو
الحفلة . وهنا حملت المغاريت فسى
وجه ابيهم . وتمهدت الزوجة ان

لبنان



ها هنا الخصب والذنى الاربحيه
ها هنا الليل في الاماني الشهيه
ها هنا سباح الخيال طيفا
بملا النفس نشوة شاعريه
نعم لبنان شائنا وجبالا
قد اطلت عليه عظمى بهيه
زهرة العيش فبها توالى
فى التقيضين ثم بقى مؤبه
بسمه الثلج في الذرى كل صبح
وهي تهسى بادمع للؤلؤيه
بسمه الثلج للمفانين شاعت
وتداعت برفقه غزليه
حولها الازد اذرع مشرعات
حاميات مؤديات تحيه

مكة المكرمة ابراهيم الملاف

ورثت كل شيء وجاءت مع اولادها
لتصحب زوجها من محل عمله الى
المنزل ، الى الحفل ، لينعموا بليلة
ساهرة سعيدة .

وقفت نظرا في ارجاء المحل الكبير
وتصعد نظرانا الى الازرف وما
عليها من الزان جميلة جذابة ، بينما
أخذ اولادها المغاريت يروحون
ويجيئون هنا وهناك في صخب
وابوهم يزجرهم ويأمرهم بالتزام
الهدوء والسكينة . وأراد المغاريت
أن يستولوا على بعض سلع اعجبتهم
وهذه أمهم تنتزعها من أيديهم وتمعن
النظر فيها وتبدي اعجابها هي
الأخرى ثم تضعها في مكانها .

جلبة وصياح وقفز هنا وهناك .
لقد كان الاولاد مغاريت حقا . وأراد
أبوهم أن يمنعمهم خوفا على وظيفته
من الضياع . لأن صاحب المحل وأن
كان أصم لا يسمع صياحه إلا أنه
كالصقر يرى ويرقب من بعيد ، ولا
يرضيه هذا العبث . أنه رجل حازم
الى أقصى حدود الحزم .

ولما سمع الأولاد الى أبيهم
أصغر أن يمس في وجوههم
ويطلب من زوجته أن تنصرف الى
البيت بأولادها وسيلحق بهم بعد
قليل . فتصاع الزوجة لأمر زوجها
وتنصرف مع اولادها وفي وجهها
شيء من الوجوم . لقد كانت تريد
أن تصحب زوجها .

وتنفس زهره أفندي الصعداء ،
ولم نظرات صاحب المحل مسددة
اليه في غضب شديد . وأدرك أنه
كان مخطئا حين سمح لاولادها بالحضور
اليه في المحل . لا بد أن صاحب
المحل قد أخذ صورة سيئة عن
أمره . لا بد أنه سيرفض الدعوة
إذا ما وجهت اليه لحضور الحفل
الكبير الذي سيقام له في أول الشهر .

وبعد لحظات استدعى صاحب
المحل زهره أفندي فخف اليه
وأنحى أمامه ووضع الابتسامة
العريضة على ثغره المرتجف . وهم

تفادى وقوع الحادث المؤسفة .
ولم يقتنع زوجها واقترح إبعاد
الاولاد عند خالتهم في ليلة الحفل .
أنه يخشى منهم . يتوقع أن يفسدوا
عليه كل شيء . واعترضت الزوجة
واحتجت بان في ذلك حرمانا للاولاد
من حفل بهيج كذا يقام مرة في
العمر ، وأصررت على أن يشترك
الاولاد فيه ، وسوف تعلمهم اللياقة
وآداب السلوك .

وتذكر زهره أفندي أن هذه أول
مرة يقيمون فيها حفلا كبيرا لمناسبة
عظيمة هي عنده من المناسبات
التاريخية في حياة الأسرة ، وأنه
يخشى الفشل وما يعقبه من ندم
وحسرة إذا جاءت النتيجة على
العكس . وتداول الأمر مع زوجته ،
وتم الاتفاق بينهما على إرجاء الحفل
الكبير وإقامة حفل صغير على سبيل
التجربة يتاح فيه للزوجين أن يدربا
أنفسهما على الحفلات كما يدربا
اولادهما المغاريت على أن يكونوا
ملائكة .

وهكذا أرجى الحفل الكبير الى
أول الشهر على أن يقام حفل تجريبي
في مساء غد يضع فيه الزوجان كل
ما يملكان من مال . فانه ينبغي أن
يكونا سخيخين في مثل هذه الأمور
وخاصة لانهما يعملان للمستقبل
ويحتاجان لحفظ النعمة من الزوال .
واقترحت الزوجة أن يكون حفل الفد
قاصرا على أفراد الأسرة وأن يكون
ضيف الشرف فيه أحد اقاربها .

وبقي شيء واحد تتمناه وهو الخروج
بالاولاد للترفيه بعد اعداد كل شيء .
واستجاب الزوج لرغبتها وطلب اليها
أن تمر عليه هي والاولاد في المحل
ليعدودا معا الى المنزل - الى الحفل .
وجاء الفد . وبينما كان زهره
أفندي قائما خلف المنضدة في محل
عمله في المساء ، قدمت الزوجة ومن
خلفها اولادها . ودخلوا المحل يملو
وجوههم البشر والسعادة . كانت
أول مرة يزورون فيها ذلك المحل .
لقد فرغت الزوجة من اعداد الحفل

أن يبادره بالاعتذار عما فعل اولاده .
ولكن قبل أن يعتذر فاجاه صاحب
المحل بقوله : أن شروط الخدمة
في هذا المحل تفرض عليك أن تعامل
كل أحد من عملاء المحل بلفظ وأدب
وبشاشة . وأذك قد اخللت بالشروط
وأسات الى سمعة المحل بموقفك
الشنين مع الليدي المحترمة واولادها
الصغار مما جعلها تخرج واجمة
غضبي ودون أن تتابع شيئا . ولذا
فاني قد استغفنت عن خدمتك .

وبهت زهره أفندي وأراد أن
يوضح لهذا الشيطان الاسم أن
الليدي المحترمة هي زوجته وأولئك
هم اولاده المغاريت . ولكن قبل أن
يفتح فاه رفع الشيطان أصبعه فنى
غضب وثورة وقال أنني لا أفهم غير ما
قلت . أخرج من هنا . أخرج !

وخرج زهره أفندي متعثرا الى
قاعة الطريق ليدرك الحفل .

الخرطوم محمد صالح ابراهيم



ذلك ، بل انه يترك عددا من شخصوه يقولون
ما لا يقول به ، ويقولون غير ما يريد لهم ان
يفعلوا ، والا فهو محب لهم مدافع عنهم ،
وعلى اكثر من ان يكون منهم واليهب ! ولكن
للن مقصديهما .

و « كما هم » كلمة نقال ، وهي ذم لقاص
وان بدت مدحا . لان الفن لا يعني النقل
الرخيص مهما يكن هذا النقل مخلصا وامينا
ودقيقا ، وانما يعني انك تقدم الشيء كما هو
واحسن مما هو ، وانك لا تجعل منه قصة

حتى تتمكن من المرحلة التي تجعل بها حدث الحياة نوعا فنيا - وهذا
ما تحقق لغالب .

ان سليمة الخبازة في القصة خير مما هي وراء التور ، ووديف
خير مما هو على السطح .. وهكذا . ان الواحد من هؤلاء لا يعينك
كثيرا في حياته اليومية الربية ، ولكنه يملك عليك السبل وانت
تسره على السورق .

وغالب قريب جدا من شخصوه ، وقد يكون راي اكثرهم او اراهم
كلهم : لديهم وديهم وعظماهم ، وقد يكون واحدا منهم . وليس ذلك
مهما قدر ان يفهم المؤلف من غير ان يبدو لك ذلك - انه يتحدث
عما راي راي العين وذائق ذوق اللسان ، فتتقاد اليه طوعا ، والا فليس
من المعقول ان يكون غالب راي كل هؤلاء كما ارانا اياهم ، والقصاص
وحده يستطيع ان يكتب قصة قد يؤولها من لا قصة ، ومن اشتات
لا يكون الشئ الواحد منها قصة . ولكن ان نقول ان اجزاء « النخلة » ..
والجيران » لم تكن قصة على الارض ولكن صاحبها جعلها قصة رافعة
على السورق .

ها هوذا الكتاب امامك . اعده من الحرف الى التراب وانقله من
مطايير الى مطيعة الاصلي . ابقى قصة ؟ اشك في ذلك .
انك تقرأ هؤلاء الناس في غفلة ورواحك فلا ترى منهم غير مظهر ،
ولا يثرون عليك اهتماما بقدر ، اما لدى غالب فهم حياة متكاملة الجوانب
الحيوية والفكرية ، وهم يهوس لها ما للفقوس من حالات وطوار ، واذا انت
ازاد قصة نفسية لها من القصة الحديثة من مزايا المواقف والاصواع ،
والنقل الى المواقف والاخيلة - ولكنها نفسية بقدر .

تقرأها فتستجيب وايها ، ولا تعرف انها نفسية الا عندما تنتهي
وتدرس وتصف وتحاول ان تفهم ، والا فلم تر فيها ما يلمح بالتشعور
انك تقرأ نصف نفسية . ليس فيها كوابيس ولا احلام بظلمة ولا غد نقص
ولا فرويد .. ولا ولا . وقد يكون فيها كل هذا او شيء من كل هذا ،
ولكنك لم تسره وانت تقرأها ان فيها هذا . ان المؤلف يأنف من المفاجات
الرخيصة والميلفات المتصلة ، ويأنف من كل حلوسة وسوداوية وما الى
ذلك بسبيل . ان النفس لديه دقة في تحسس المد النفسي ولباقة في
تحسس جزءه .

وانساب هذا القدر القدور من العنصر النفسي مع مسارب اخرى
فتح - هو وهي - القصة فدرا من الشاعرية جياها رواء وزادها
ازدهار . وكانت هذه الشاعرية مذابة في الحرف على نمط ما هو باقي
في صميم الواقع الاجتماعي من سحر قديم .

ان علاقات العامة قسرب من الشعر ، علاقات بصلهم ببعض ايجابا
وسلبا ، وعلاقاتهم بالحيوان والجماد ، انهم يتصلون شديدا بكل ما
يتم الى حياتهم بسبب . شائهم في ذلك شأن لغتهم واوصافهم
واخيلتهم وافكارهم وتعبيراتهم العادة ونشبياتهم الغريبة ، تغاليمهم
رومانتيكيين موزلين بالرومانتيكية . عليك اذا اردت ان تكون قصاصا
واقفيا ان تحفظ هذه الشاعرية وان تقدمها لقلارك ندية طرية كما
هي - واحسن مما هي .

كل لدى غالب بقدر من قبل ومن بعد ، فلا حذر ولا لئسرة

النخلة ... والجيران

قصة عراقية طويلة - نايف غالب طعمة فرمان - ٢٨٤ صفحة -
مشتورات المكتبة المصرية ببيروت - الطبعة (٤)

هل قرأناها ؟

الفرها .

انها حدث ادبي يبني مرحلة جديدة في تاريخ القصة العراقية
ويؤلف بدوا يختم تاريخا ثيف على الاربعين عاما من محاولات متوالية
على غير انتظام وتجارب متصلة على انقطاع .

فما هذه النخلة ؟ ومن هم هؤلاء الجيران ؟

انهم ، انسان واحد ، فلاحا حساس عام والمواقف متبادلة والافله
قائمة . النخلة قيمية ، ولكنها جزء لا يتجزأ من وجود سليمة الخبازة ،
وهي ادخل في حياتها من زوجها المرحوم وزوجها السدي سميعة .
« الطولة » منهدة قلرة ، نرفها مياه الامطار ، ولكنها هي والخيول بعض
يكمل بعضا من كيان الجيران . وترتبط هذه المجموعة بتلك خيرا وشر .

وكل ما في القصة من شرائط الفن كاثر وغير كاثر ، اي انه خفي
سحري ، حيك بداهة وحكمة .

في القصة وصف المكان ، ووصف للاشخاص ، ولكنه موزع على
الصفحات في الوقت المناسب ، لك منه ما يميز لك الطريق ويعرفه
بالسمة الدالة ويهيء الجو اللازم لفهم الاستماع والتأنيب والاعتذار .
وفي القصة بطل ، ولكنها ليست قصة ذات بطل وخوارق
ومغامرات ، وانما هي مسيرة هادئة حتى في معاناتها ، وانها كل وان
تميزت فيها اجزاء . قد تبدو سليمة الخبازة بظلتها ولكن ما اسرع
ما يبدو حسين او مصطفى ، او او .. ان البطل فيها قد وزع على كل
فيها ، وكل ما فيها . ألم تلك النخلة - مثلا - بظة ! وقد يتسلق
بالك رديف وقد تتسلق تشمية .. وكل شيء ولا تستطيع ان تقول انها
اكثر من قصة في قصة ، لان الاجزاء غير متصلة وانها من الاتصال
بعيت تنهى وحدة متماسكة .

تصور القصة المجتمع العراقي خلال الحرب العالمية الثانية ،
ولكنها ليست تاريخا وقد اتفنى المؤلف من الزمان بما يكون بعدا لعمله
الفني والتقط من تارائه ما اتصل بحياة القصة وما زادها قوة الى قوة .
انه امرؤ لا يريد ان يثقل على القارئ بشيء ولا يريد ان يكون مؤرخا .
اما المجتمع العراقي فواضع جدا اخذ منه القاص اقسامهم واصايرهم ولما
ولما تتصل برأيت وتقوم ضمن اطار ولم يبرع ان يفسح بكثير من
المعلومات ويكثر مما يعرفه معرفة تامة لانه ليس دارسا اجتماعيا .

هي قصة عدد محدود من عامة الناس يعيشون في مكان بعينه من
بغداد ويستعملون على وحدة صغيرة لها نظائرها في بغداد ، وقد خرجت
القصة عن المحلية السليقة بالنسبائها العميقة النافذة من عمق المحلطة ،
بما يمكن منه ان يعيها القريب والشرقي ويجتذب به القريب والقريب ،
كل يجد جالبا من نفسه ووجداته ، وجالبا لنفسه ووجداته .

جاء هؤلاء الناس بسطام كما هم على الارض ، دون ان يتدخل
المؤلف انا بشركه يتدخل ، ودون ان يتعصب لهذا او يتعصب على

والجهل بالنتائج ، كما انتهت رصيفتها من قبل وربما زادت عليها بما هو أسوأ واسوأ .

آه ! ان المسألة ليست بالبساطة التي ظهرت عليها عند قراءة آخر جملة من الكتاب كلما ابتعد ، وفي القصة تعليم خفي «الذست» نسبه بقدر وبدهاش !

ان في «التلخه..والجيران» من موحيات الفكر الكثير ، وفيها من أسرار الإبداع ما يظل كائنا في نفس القارئ يدعو الى الإعجاب وتعاطفه منه أطباق كلما ابتعد ، ولعله يصطاد من هذه الأطباق ما يندجه في قائمة للأسرار .

النهاي غائب .. والبشرى لنا .

— افراها ؟

— افراها مرة ، ومرةين .

اقتنيها ؟

— اقتنها .

وليس من باب التشجيع ان يقال هذا ، وليس من باب الحماسة ان يقال انها اهل لان تترجم الى اكثر من لغة حيه كما تترجم آية قصه لذهابها .

الى مثلي يا غائب — والى ما هو احسن منها .

لقد احييت — أسألا غائب — موات أمنا وبعثت رافد طمعا .

ولكن في هذه التحية اعراب من النشوة التي اشاعتها فينا قراءة «التلخه .. والجيران» .

جامعة الرياض

علي جواد الطاهر

أحدث مؤلفات

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

الدكتور شاكر خضباك

الفرياء

مسرحية — مكتبة مصر بالقاهرة

الشيء

مسرحية — المكتبة المصرية ببيروت

العقد الاسود

رواية — المكتبة المصرية ببيروت

ولا زيادة ولا نقصان ، لقد وزعت النسب توزيعا عادلا من اجل كل مبدع ، وقد سار على نسبة الاشياء في الحياة اليومية مراعيًا نسبهم في مقتضى الفن . انه يتكلم بميزان ، لان الفن يعني السيطرة التامة على كل خطوة ، والسيطرة تعني حذف الفصول ، وحذف الفصول من اكبر أدلة الاستاينة ، والا فما أسهل على غائب من ان يظن ويظن وهو العارف باليدين الذي يصول فيه ويحول ، ولديه عنه الكثير الكثير من المعلومات والخبرات .

لقد كان غائب استاذًا اسماك بالزمام فما ترك امرًا يقلت ، وشدد الحراسة فما سمح لقريب ان يدخل ، كان استاذًا اذ رسم الخطة ، وكان استاذًا وهو يحفل من التفاضل فصلا ، وكان استاذًا عندما انتهى فاعاد القراءة للفن المتألف القريب عن عمله . اتنا نزيد قصة طويلة ، ولكن القصة الطويلة لا تعني الطول بسبب وبغير سبب .

لا يفرق غائب بشي ولا ينقل بشي ، وإنما يلتقط اللبيل الذي يدل على الكثير ، ويستل الفرد الذي يمثل الجماعة ، وكان رفيقا على ظلمه حسيبا . انه يمس الاشياء مسا ، ويفتح الباب لتدخل ، ويومئ لك بالطريق لتستغل، انه يتقود ولا يسود ، انه صديق ذكي لقارئ ذكي .

وقد نهيًا له من الفرص ما جعله قريبا جدا من المفهوم الصحيح للقصة ، فالى ثقافته العربية الوطيدة ، زاد ثقافة غربية ، والى مزاولته للكتابة اذمن على القراءة ، والى كتابة القصة نقل النقد بمصدر رجب ... الى نظر الى هذا الشيء السمي قصة باكثر من منظار في اكثر من مرة : نظر اليه منسجما واياء وهو يتجول بين الشروق والغرب يطوح به دواعي العيش ومستديعات الفكر ، وتتجاذبه الفلسفة وتعوده السياسة . ثم ادام النظر فاذا الذي ينفي على الزمن قليل ، واذا بهذا اللبيل كثير ذو جوهر خاص ، ولا يحول هذا الجوهري الذي يبدو ضيقا دون ان تكون القصة واسعة : ان السر في نجاح كل عمل أدبي هو الفن . انك تستطيع ان تعرف عن رايك بالتشكيل الذي يتناسب

ولست مجبرا على ان تكون قصاصا ان لم تكن قصاصا ، ولست متزنا ان تعرف عنه بالقصة ان لم تحتمله القصة . ولعلك جدا ان يكون القاصي ذا رسالة داعيا الى التغيير نحو الافضل ، ولكن الانطباع — والواجب — ان يبقى مع ذلك فنانا .

والقصة ، بعد ذلك وقيله ، ليست رغبة في ان يكون فلان من الناس قصاصا ، وإنما هي موجهة او استعداد فطري او أي شيء نقوله من هذا القبيل . ويصحب ذلك — كما يصحب الثقافة والمفهوم — تسان وتامل ، ودقة الملاحظة وصفاء الذهن . وكل ذلك يوفر لغائب وعمل على انجاح مشروعه العتيق .

ويشبه الكتاب اذ يقتل حسين محمود ابن الحولة ... وتطيق الغلاف الاخير مرتاحا صافي اللحن ، فلقد سارت الامور سيرا طبيعا : ان محمود يجب ان يقتل ، وان حسين يجب ان يتغير ، نطق الكتاب كان الغلاف واقع ضمن مدى الخط القصصي ، ولا تقول : لو ذكر كذا ، ولو فعل كذا ، تطبقه رسمي النفس كما تراه لك المؤلف في هدوئه وصفاءه بالسه .

واذ نودعه مكانه على الرف من مكتبته لتساب نحوك فكرة من هنا وفكرة من هناك ، وتحس في نفسك يسؤال من هذا ويتعقب على ذاك . ألم يقع ما وقع لشخصي القصة بسبب ظروف قاسية هي خارج نطاق طاقتهم ؟ انهم لم يجدوا الحكم الصالح الذي يخلد بأيديهم ويستثمر كنوز مواهبهم الفطرية في مجالي الخير العام . ان «حسين» الذي يقتل لأول مرة قد يصيح قتلا ممتننا ، وقد يقتل نشمية ونماضر وربما سليمة وربما .. واذا كان قد بدأ القتل لسبب سوفه وارتضاء فقد ينتهي — كما انتهى عدوه من قبله — بان يقتل للتلذذ بالقتل ومن اجل كسب المهابة في مجتمع ضائع . اما نماضر فستقتل من حسن الى حسن ، فلقد تقررت حياتها على ذلك النهج بسبب من سوء الرعاية

شاعر عبقرى وهازيج الفن

ناليق عبداللطيف بونس - ٢٥٦ صفحة - مطابع مؤسسة الانتاج الطبائى فى بيسروت

عندما يشرى كاتب مثل عبداللطيف البونس ليدرس شاعرا مثل شقيق معلوف ، يصير للموضوع قيمه مزدوجه ، ويصير من العسير - ان لم نقل من المستحيل - الانكفاء بقرائة الدراسة مرة واحدة ، ذلك لان عوامل الاثر والاستهواء تتجدد وتتوالد كلما عاد القارئ الى الكتاب .

ولا شك ان شاعر عبقرى موضوع تر لدارسى الشعر لا ينسب له معين ولا ينقطع مدد . بل هو قوة من اعلى القيم واشمخها هامة في تاريخ الشعر العربى قديمه وحديثه ، وهو ذو اثر بين بارز في هذا التطور الذى طرا على الشعر فحرره من قيوده وحركه من جموده واطفقه برناد الافاق وبلا رتيبه بالهواء النقي والاصل المتشئ الندي . ونحن عندما نذكر الشعر انما نعني هذا الشعر الاصيل الذى يعبر عن خلجات النفس وينفث بامائها ويهتف بحاسيسها ويحفل في انبعاثه بذور الحياة والخلود ، هذه النغمة العلوية التى تهتز لها الجوارح وتصلق القلوب وتنبض الخواطر ، لا هذا الهذيان النافه الذى لا ينطوي على فكرة ولا يدل على معنى ولا يتركز على بيان ولا يجري على اسلوب من اساليب العربية ، هذا الهواد الكبر الذى اسفد الالذواق ولوث الاخلاق وبليل الالسنه وانتشر في مواطن العربية باسم الشمر الجديد .

صحيح ان ادباء المهجر كانوا اول من دعوا الى التجديد واعادة النظر في مفاهيم الشعر ومقاييسه ، والتصدروا على نقاليد الادب المحض ، ولكن نورهم كانت للبناء ، لجد الادب والفن والبيان واللمعة ، كانت ثورة واعية هادئة هادفة ، واذا شئت فقل ثورة الحياة على الموت . لقد حملوا الباعث بيد ، ومعدنا باليد الثانية ، فكان هذا الصرح الفكرى الباذى بتحدى الزرع والجنال ، وتربد عنه الاصراع حسرى كليله . اما هؤلاء الذين يتخبطون كالطواويس على واجهات بعض الصحف ويفرقون الاسواق ببضائهم الرخيصة ، ويصنلون بالشتم والسباب لعامة الفكر والادب ، فانهم مهاليل يمرون في عجلة مفرطة لا انزعاج لهم الا التهرج واذا لا التسعودة ولا زاد الا ما يلتقطونه من نفايات مواليد الادب .

ولقد كان شقيق معلوف من اعمدة الهيكل ، وضع طاقته الشعرية في خدمة الثورة الهجرية . « يمتاز - على حد تعبير عبد اللطيف البونس - بالديباجة العربية المصقولة ، والنظم الهادى ، الرصين ، والجرس القوي الصافي والكلمة الابنية المتقاة ، والخيال الرائع الاليف ، والصورة القريبة من الواقع ، بل التى تعيش في صميم الواقع ... »

ويجد القارئ مصادق هذه الشهادة في هذه الثروة الضخمة من الشعر يموج بالاق والعميق الذى نشره شقيق في كل صقع عربي ، حيث ترؤى تحدث عن دوره الكبير في معركة الادب الهجرى واثره البالغ في تكوين معانيه وترسيخ دعائمه وتعميق فتوحاتها .

من اجل ذلك كان لا بد للاطلاع بهذه الشاعرية الغدة من قسم فذ تنوير فيه غزارة الاطلاع وسلامة الذوق وحلاوة الكمات ودقة الملاحظة وسواء التفكير وعلوية التعبير . وقد اجتمعت هذه الخواص والخصائص في عبد اللطيف البونس ، فجات دراسته لشاعر عبقرى حالية بالخراف ، غنية بالكتكتشات اخرة بالمسح والمفردات ، بعيدة عن مهادى التكلف والتزلف والتعت والفرور والحلحلة . وما احلى التواضع حلية للمردة ، وما افصح التعجبية لباسا للفرقة !

لقد نظر الناقد الى آثار الشاعر نظرة الفاحص المحقق ، لم يبل مع الهوى ولم يتأثر بعامل الصداقة ، وهي اولى حسنات الكتاب . بل لمل اغراقه في التجرد من كل تأثير عاطفي اوقعه في مس شبيهه

القسوة على بعض مواقف الشاعر . ولا فير عليه ، فخير للناقد ان يرمى بالجوهر والخشونة من ان يؤخذ بهتمة التدجيل والمحاباة ومراعاة الخواطر .

مهمة النقد تقييم الاثر الادبي بدون تحيز ولا تحامل ، اي تسليط الاضواء على محاسنه ومساوئه ، وتحليل مواقع القوة والضعف فيه . ويطلق من بحسب الدقة وسيلة لغراض المديح وتبادل الشاء ، او اداة لنهش الاعراض ونشر الامراء . وبالعبد للشيق البونس ترع بقلمه عن هذا الهوى وذاك ، فارضى ضميره وارضى قارنه ، وكان - كما قال - مخلصا لواجبه كسل الاخلاص .

ولا يعني هذا اتنا نوافق الناقد على كل ما جاء به من آراء ، ولكن لا نصاب من انكاره بان هذه الدراسة مجهود فكري ضخم ينساب في لفة عذبة سائلة ويترفرق في اسلوب انيق رشيق يكاد يكون فريدا في ادب النقد .

وما دعنا قد الحنا الى بعض مفترقات الطرق - وهي في حلة قليلة - فمن مقتضيات الامانة ان نصح ان كثرة الاستطرادات قد تدل على سعة الثقافة وخصب الذاكرة ولكنها - اذا اسرفت - تسفد وحدة الموضوع وتزعج الطريق وتبيل ذهن القارئ وتوزع فكره وترهقه بمطاردة الخواطر والغفر العالم من معنى الى معنى .

ومن الآراء التى تختلف فيها مع الثقافة اعتقاده ان شعر شقيق خلو من اوجاع النفس لانه لم يلق الم الحرمان ولم يكن ينار العاجه . وفي رايانا ان شقيق شعرا يمور بالدمع ويهدر باللوعة ، فاما الجاه والطبيب ، فناعث فرابية لا تروى قلم الشاعر ولا تسبع نهمه الروحي ولا تصرفه عما يتلج في نفسه من احلام واوهام ... والا فماذا نسمي شعر شقيق في الحنين ، وقد افرده له الناقد فصلا كاملا في الكتاب؟ . واذا كانت دعة العيش ونعمة الفنى وذويع الصيت تغني الشعر بالصور الزاهية المترفة ، فلماذا غلب على شعر فوزى معلوف - شقيق شقيق - طابع التامل والحيرة والكتابة وقرق بالشكوى والدمع والالين؟ . واذا لنا الصلح نرى كثيرين من الذين غشمت العاقلة وطاردهم اليوس وتاهشهم الحرمان يشيئون للحياة ويهشون للمكاره ويانسون بالهجرات (في بعض) الفتر والقفلة والطعامية . والرب هؤلاء الشعراء الى الشعر ايليا ابو ماضي . لقد عاش ابو ماضي كادحا مكثودا محروما ومات كادحا مكثودا محروما ، لم يخلف حظا ولم يمسك بدا ، ومع ذلك فقد صاح شعره بالاق والانسجام ، وشاعت في معانيه الرضى والطعامية ولغنى باعذب اناشيد الامل والرجاء .. كيف نملل هذه الفلاسفة ؟

في اعتقادي ان ظروف العيشة لا تقدم ولا تؤخر في طباع الناس ، واذا اثر فيها لا تستدعي القشرة الخارجية . وبلى النفس على طرفها . ومن البعد التي نسي الى الشعر ، ولقد شاعت في افلام الكثيرين من التذلل ، ترجمة الشعر الى ثر . فالشعر موسيقى ومعنى . وهذه البديعة نهض احد جناحيه فتفقد نصف قيمته ، بل ربما هبطت الى من مستوى الكلام العادي المألوف ... مثال ذلك ان الناقد يورد هذين البيتين :

اي صوت ادنى غداة التنادي من نساء الاكباد للاكباد
صدفت ذمة الزمان فعندا تنفلس الجعر من خلال الرmad
ثم يقول : ادخل ذمة الزمان واستجابات الاكباد للاكباد
- وهل ادخل من نداءها وراق - فنفث جمرة العاطفة من رmad القرية ، وكانت المودة ...

فهل رايت كيف يخبو الاق وبهت اللون وينكمش العبير ويذوي التفر وتقلص الغلاظية وتفرغ الهوة بين المعنى في لوبيه الشمري والتشعري ؟ .

... اما بعد فلما مهما اختلفت مذاهب الراي نظل هذه الدراسة

تمتع بسفرة مرحية
وخدمة ممتازة
واقصد في ساعات سفرك

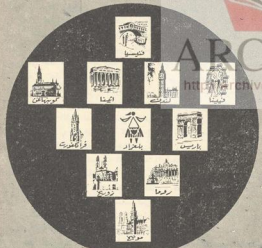


خطوط أجوية اليونان الوطنية
I. A. T. A. عضو
membre I. A. T. A.

سفرات منتظمة على طائرات

كارافيل
الفاخرة

الى البلدان التالية:



ساحة رياض الصلح - تلفون ٢٢٤٤٠١

JAT

— الافلاق من بيروت صباح الارباء الساعة
٨،٣٠ الى اثينا وبلغراد

— الافلاق من بيروت صباح السبت الساعة
٩،٣٠ رأسا الى بلغراد بدون توقف

عملا ادبيا جليلا تشهد بما يمتاز به عبداللطيف اليونس من اخلاص
لرسالة القلم وما يزدان به من مواهب فكرية وبائية ، وما يتمتع به
من لروة ثقافية ونفسية ، وتبلى مرجعا غني المادة لدارسي شغيق
مملوف وشعلا شعره ، برنمون في احضانها وينهلون من غدرانها ،
ويجتون من افنانها غذاء شهيا للعقول والقلوب والاذنان .

بوانس ايريس - الارجننتين زكي ففضل

الاسلام والمسلمون في المانيا ، بين الامس واليوم

تأليف الشيخ طه الولي - ٢٠٨ صفحة - حجم كبير - منشورات
دار الفتح للطباعة والنشر ببيروت - مطابع دار لبنان بيروت .

الشيخ طه الولي من اعلام مدينة بيروت وعلمائها ، وهو احد الفلال
الذين يجمعون بين الثقافتين الدينية والمدنية ، اذ هو حائز على اجازة
في الدراسات الاسلامية من كلية اصول الدين بالازهر الشريف في
مصر ، وعلى ليسانس في القانون من معهد الحقوق بجامعة القديس
يوسف اليسوعية في بيروت وقد منحته جامعة فينا مؤخرًا ، دبلوم علم
الكتبات ، ثم انه امين سر جمعية المكتبات اللبنانية التابعة لمنظمة
«الفياب» التي تنظم جميع المكتبات العامة في العالم .

ان الشيخ طه الولي لا يقصر ابحاثه وتحقيقاته على اللون الديني
الاسلامي وحسب بل هو كثيرا ما يعالج بكتابه الموضوعات التاريخية ،
لا سيما ما يتصل منها بالمسلمين والعرب ، وهو اليوم بسبيل اعداد
موسوعة ضخمة عن تاريخ مدينة بيروت - عاصمة الجمهورية اللبنانية -
تطوي على كل ما يتصل بهذه المدينة العريقة منذ تأسيسها لاول مرة
حتى ايامنا الحاضرة . وتدل المقالات التي نشرنا من هذه الموسوعة
ان الشيخ الولي يبذل مجهودا كبيرا في اعداد هذه التاريخ لكي يكون
كتاب مصدرا اساسيا يعتمد عليه كل من يرغب في الاطلاع على المراحل
التي مرت بها هذه المدينة قديما وحديثا في مختلف اطوارها وظروفها
من عمرانية او انسانية .

ولعلنا بغنى عن الإشارة ، الى المكانة العلمية المرموقة التي يتمتع
بها الشيخ طه الولي في العالم العربي فضلا عن لبنان وما نحن اولا
في كلمتنا التالية نقدمه في اطار جذاب من الدراسات الاسلامية
المتمعة التي سجلها في كتابه تحت عنوان : « الاسلام والمسلمون في
المانيا ، بين الامس واليوم » ، ونحن على يقين من ان القراء سيجدون
فيه العالم المحقق الذي تقرا بعونه الاسلامية والتاريخية بكثير من
الشوق والعناية والاطمئنان ، نظرا لما يمتاز به من مبالغة في الحرص
على قيمة كل كلمة يخطها بيمينه .

وهو يقع في مائتين ولثمان صفحات من الحجم الكبير ، موزعة
على خمسة ابواب ، وفي كل باب عدة فصول . وهو كما يدل عليه
التعريف الذي اتبع بعنوانه «عرض سريع لتطور الاستشراق في المانيا
مع صورة عامة للنشاط الاسلامي الراهن فيها» .

وتدل المقدمة على ان المؤلف الشيخ طه الولي ، وضع كتابه
على اثر زيارة قام بها الى المانيا الغربية بدعوة من منظمة التبادل
الجامعي ، في يون ، اناحت له فرصة الاتصال الشخصي والمباشر بعدد
كثير من العاملين في حقل الاستشراق الاسلامي من العلماء الاكابر ،
والتعرف الى مختلف الهيئات والمؤسسات الثقافية التي اخذت نفسها
بالتوفر على الدراسات والابحاث الشرقية ، في تلك البلاد التي
استطاعت ان تخرج بالعلوم العربية والاسلامية من ظلمة المواطن الدينية

المتعمية ، الى نور التحقيقات الموسوعية المتفتحة ، بما هي للباحثين فيها طروفا ملائمة لرماية اتجاه متميز للاتقارب من حقيقة الانحياز مما يمكن منه ان يصقل عليه وصف الروح الاكاديمية السليمة .

وتجدر الملاحظة ان الشيخ له الولي حائل في الواقع ان يجعل من كتابه ، احد المصادر الحديثة في تتبع الجهود التي بذلها المستشرقون الانان في السابق ، وما يزال خلأؤهم المصرون على سننهم ، في محاولة الاطاحة بموضوع القرآن الكريم وفهم نصوصه القوية والغراضه التشريعية ، والتطبيق على ما اثاره هذا الكتاب الديني العريق في اوساط المؤمنين به ، من علوم واداب وفنون ومذاهب عقائدية واتجاهات سياسية وفكرية .

وقد كان حديث المؤلف عن موقف الكتيبة - قديما - من القرآن الكريم ، سببا لان يتضمن كتابه فصلا خاصا عن تاريخ هذا الكتاب المقدس في البلاد الاوروبية من ترجمة وطباعة ونشر ، بحيث يمكن القول ، بان هذا الفصل بذاته ، يعتبر الانصاف الاول من نوعه في اللغة العربية ، ذلك بالانه يعطي القارئ فكرة علمية دقيقة عن دخول القرآن الكريم الى المؤسسات الدينية والعلمية في الدوائر الانجية عن طريق ترجمته الى العديد من اللغات القرب والشرق ، ابتداء من القرن الحادي عشر للميلاد حتى ايامنا الحاضرة في مطلع النصف الثاني من القرن العشرين . وقد احسن المؤلف صنعا بما عرض خلال هذا الفصل المهم من العكس التسمية التي تصور بعض النصوص الاصلية لترجمات التي اوردها في اللغات التي اشار اليها ، الامر الذي يعطي القارئ بعض التماثل الواقعية لهذه الترجمات .

وقد اراد الشيخ طه ان يعر في موضوع الترجمات الانجية للقرآن الكريم ، دون ان يبدي شك في قدرة المترجمين على بلوغ ما تطاولوا اليه من رغبة في الدقة واصابة الهدف فقال : « ولستنا هنا في مجال تحليل هذه الترجمات ومناقشتها في قرها او بعدها عن القرى التي نسامت اليه : وانما نحن نريد فقط القارئ بصورة تاريخية عن هذا الموضوع العظيم والخاص الذي نلأوا به . » وليس من شك في ان الترجمة الحرفية للقرآن الكريم سببى الفسادة المشوذة ، كما انها سببى لذلك القاية التي لم يزل يتردد في الاذهان الوحي الالهي الذي نزل به الروح الامين على قلب سيد المرسلين ، ليست بالامر الهين . وفي ذلك يقول المستشرق الاناني « فيشر » : « اما يداخل الذين تعفوا باسار العربية شك ، في انه لا توجد بين ترجمات القرآن ، سواء اكانت كاملة ام قاصرة على بعض آيات منه ، ترجمة في المطالب القولية الدقيقة ... » .

واذا تجاوزنا الاحصاءات التاريخية الدقيقة التي وضعها الشيخ الولي عن اللغات التي نقل اليها القرآن الكريم مع ذكر عدد المرات التي ترجم اليه في كل لغة ، اذا تجاوزنا ذلك ، فاننا نجد انفسنا حياال بجوت عميقة ، تتناول غاية المستشرقين الانان بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وسنته الشريفة ، كما تتناول كذلك ، الفرق الاسلامية ، في الاستشراق الاناني الى ان ينتهي به الكلام الى المراحل المتعددة التي مرت بها الدراسات الاسلامية في المانيا منذ نشأة الكرسي الخاص بالدراسات الشريفة في مدينة هايدلبرغ الذي دشنته الامير « يوهان فاسمير » ، احد النبلاء الانان سنة 16٠٩ م ، مروراً بمعهد الدراسات الشريفة الذي اسسه يسماز في برلين ، في اواخر القرن التاسع عشر للميلاد ، الى هذه الايام التي اصيحت فيها « بون » العاصمة المؤقتة لالانيا الاتحادية مقرا لهذه الدراسات تحت اشرف المستشرق المعاصر ، البروفسور « اوتونينيس » وقد احسن المؤلف صنعا بما تقدمه كتابه القيم من صور تمثل اشخاص المستشرقين الذين ورد ذكرهم في غفوس الكلام .

وانه لما يزيد في رونق الكتاب وقيمته العلمية ، ان المؤلف ، حرص على ان يعطي بموضوعه من كافة اطرافه ، فافرد في هذا الكتاب

عدة فصول تتضمن عرضا احصائيا للطبوعات الدورية التي نعى بالدراسات الاسلامية ، مما يصدره الانفسهم او يصدر عن غيرهم بالغة الانانية في داخل المانيا او خارجها ، وانه ليصح القول بان هذه الطبوعات في الواقع ، الرأاة التي تنكس بوضوح ، الجهود العائدة التي تجعل من اللغة الانانية احد الفانج الرئيسية لدراسة الاسلام والمسلمين ، ليس في اوربا وحسب ، بل في سائر انحاء العالم ، بما في ذلك الانظار الاسلامية نفسها ...

واستكمالا لموضوع الكتاب ، نجد الشيخ طه الولي ، يقدم للقارئ العربي ، دليلا مصورا عن المساجد والجماعات التي توجد حاليا في الحواضر الانانية (القرية) الرئيسية ، وهي المساجد والجماعات التي بنيت في تلك البلاد في ازمة مختلفة ، من قبل مؤسسات اسلامية عديدة ، بعضها ينتمي الى اهل السنة والجماعة وبعضها الى مذهب الشيعة الامامية وبعضها الاخر الى المذهب القادياني بفرقيته « لاهور والروية » . وعبر الفصل الخاص بتعداد هذه المساجد والجماعات نجد صاحب الكتاب ينهز الفرصة ليعطي القارئ بعض الإفصاحات التي لا منها عن حياة المسلمين الذين يقيمون اليوم في المانيا والقروى العامة التي تحيط بهم في نشاطهم وحياداتهم مشيدا بالروح الاجابية الكريمة التي يلقونها لدى الاوساط الانانية ، من رسمية واهلية ، هذه الروح التي كان لها الفضل في العودة صوت المؤن ليطرق من جديد ، اسماع الاوروبيين من فوق المائن التي شفت سبيلها الى ساحات المدن ، وفي ختام الكتاب ، فصل خاص بتاريخ العلاقات الدبلوماسية التي قامت ، على نحو او على آخر ، بين المسلمين والانان عبر القاء المثير الذي تم بين الراهب «جان» سفير اونون الكبير امبراطور المانيا في القرن السادس للميلاد وبين الخليفة الاندلسي عبدالرحمن الناصر ، ولم ينس المؤلف ان ينهز هذه المناسبة لبني قصة التي زورها المصادر الاجنبية الحديثة ، عن تبادل الهدايا بين الخليفة العباسي هارون الرشيد وبين مؤسس الامبراطورية الجرمانية القديمة شارلمان لاسباب يتبادر الى كيان . ثم ينتهي الشيخ طه الولي من كتابه ، بفصل آخر جعل عنوانه « المانيا واقضية الاسلام الاولى فلسطين » قال فيه :

« انما جاء هذا الكتاب المبررات التي تتدور بها بعض الجهات في المانيا اليوم لتخفيف من اثر استجابتها للسياسة القفرسة بقبول الصمدان المفروض على حق العرب بفلسطين كامر واقع ، فان المسلمين في كل قطر من اقطارهم ، لا فارق بين حاكم ولا محكوم ، ليسوا على استعداد للاقتناع بهذه المبررات ، والتسامح باستمرار استجابة الانان لما فرض عليهم ، على حساب العدالة الانسانية ، التي لقيت مصرعها الفظيع على يد الشهوات الاستعمارية القاسية في فلسطين وقبولها كامر واقع ... »

اما بعد ، ان كتاب « الاسلام والمسلمون في المانيا بين الاسس واليوم » يعتبر في الواقع ، محاولة جديفة ، لتقديم دراسة علمية وصنيعة ، مدفوعة بالرأاج الوتوقة ، الى المكتبة الاسلامية ، حتى يتاح للقارئ العربي الووفو على ما يتيقنه من الابحاث التي تلقى فسواا على تاريخ الاستشراق الاناني فيما يتصل بالقرآن الكريم وما اشيق عنه في مختلف العصور من العلوم والفنون في الشرق او في الغرب وما اثاره من فصول في الدوائر الاوروبية بصورة خاصة ، كانت تتراوح بين سلبية التعصب حيذا وايجابية التفهم حيذا انما تبعنا الخلق الفكري الذي كانت تعيشه هذه الدوائر .

ولمنا لا نجور بالقول ولا نجزع الى المبالغة ، اذا اكدنا ، في هذه المجالة العابرة عن الكتاب الذي بين ايدينا ، بان الدقة العلمية التي امتاز بها الشيخ طه الولي في معالجته المرتزة لموضوع اهتمام جديرة بان تلتك اليه الانظار كواحد من ابرز علماء الاسلاميات في لبنان .

فؤاد طيارة

دار صادر

عنوانها : صندوق البريد رقم ١٠ - بيروت (تلفون ٢٣٠٤٨٠)

مركزها : ٣٦ شارع مار منصور - بناية محمد خاتون الطابق الثاني - جنوبي البناية المركزية

تقدم الى القارئ الكريم مؤلفات الاديب الكبير

الاستاذ مخايل نعيمة في طبعاتها الجديدة

سعر		سعر	
٣٠٠	١٣ - ابو بطة	٢٠٠	١ - كان ما كان
٥٠٠	١٤ - سبعون : المرحلة الاولى	٢٠٠	٢ - اكابر
٥٠٠	١٥ - سبعون : المرحلة الثانية	٣٠٠	٣ - همس الجفون
٥٠٠	١٦ - سبعون : المرحلة الثالثة	٢٥٠	٤ - مذكرات الارفش
٥٠٠	١٧ - جبران خليل جبران	٢٥٠	٥ - الابهاء والبنون
٣٥٠	١٨ - الغريال	٣٠٠	٦ - في مهب الريح
٣٠٠	١٩ - دروب	١٢٥	٧ - الاوثان
٢٠٠	٢٠ - الراحل	٣٠٠	٨ - النور والديجور
٢٥٠	٢١ - زاد المعاد	٣٠٠	٩ - ابعاد من موسكو
٣٠٠	٢٢ - صوت العالم	٣٥٠	١٠ - البصادر
٢٠٠	٢٣ - كرم علي درب	٢٥٠	١١ - لقاء
٤٠٠	٢٤ - اليوم الاخير	١٠٠	١٢ - نرداد
٤٠٠	٢٥ - هوامس		

صدر حديثا

- ١ - اضاء على مسلك التوحيد (الدرزية) بقلم الدكتور سامي نسيب مكارم مع مقدمة بقلم معالي الاستاذ كمال بك جنبلاط
 - ٢ - تاريخ الفلسفة العربية الاسلامية بقلم الاستاذ عبده شعالي
 - ٣ - ديوان لبيد بن ربيعة العامري
 - ٤ - ديوان الاعشى
 - ٥ - ديوان الفرزدق جزآن
 - ٦ - حكايات لبنانية للاستاذ كرم البستاني
 - ٧ - البيان للاستاذ كرم البستاني
- الناشر : دار صادر للطباعة والنشر

مكتبة المثنى

تقدم : كتاب النقائض

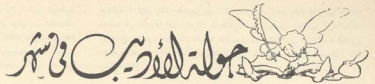
(نقائض جرير والفرزدق)

في ثلاثة مجلدات بالتماش

يطلب الكتاب من مكتبة المثنى ببغداد

ومن دار صادر ببيروت

ومن جميع المكتبات العربية



مجلة الهدى في ستر

طه حسين والمستشرقون الايطاليون

يتمتع طه حسين بمنزلة خاصة يندر ان يتمتع بمثلها انسان لدى المستشرقين الايطاليين بشكل خاص ، ولدى سائر المستشرقين الغربيين بشكل عام . وقد يكون لمنزلة لدى المستشرقين الايطاليين صلة بقلعهه لعهد من كبارهم الراحين ووفاته لهم ، ولا سيما كارلو الفونسو نلتيو ، وغاناطوس غويدي ، ودافيد سانتيلانا ، ولطفة عدد من محدثيه عليه ، ومنهم : ريتسيتانو ، وماريا نلتيو ، وكليبياسارنيللي . فطه حسين لا يزال يحمل لؤلؤة الاساندة الاكابر والاحلال والتقدير لفضله . ولكن من غير الشكوك فيه ايضا ان لتقدير هؤلاء المستشرقين صلة كبرى كذلك بادب طه حسين الشخصي ، وباتجاه العصر ، وثقافته الواسعة ، وجهاده الطويل في حقل الفكر العربي المغمض ، وبما تركه هذا كله من اثر في المحيط الادبي في العالم العربي بأسره ، وليس في مصر وحدها . فادب طه حسين وثقافته وفصله في الاركان الثلاثة التي استحق عليها تقدير اهل الاستراق في ايطاليا خاصة ، وفي الغرب كله بشكل عام ، كما استحق عليها تقدير كل مثقف من أبناء الامة العربية في مشارق الارض ومغاربها .

لقد منحت جامعة باليرمو طه حسين درجة الدكتوراه الفخرية تكريما له وتقدير لفضله ، وبمناسبة بلوغه امام الخامس والسبعين من عمره اصدر المستشرقون في ايطاليا كتابا بعنوان « طه حسين » باللغة الايطالية يحتوي على عدد من الدراسات لتلوح متعديدة من ادباء ، وعدد اخر من الترجمات لاشياء من فصوله الادبية المنشورة في مؤلفاته العديدة . وقد صدر هذا الكتاب عن المعهد الجامعي للتراث في جامعة نابولي عام ١٩٦٤ . وفي عام ١٩٦٥ صدر في منشورات «معهد الشرق» في روما كتاب اخر اتفق ، جميل الاخراج ، عنوانه «الايام - لطفه حسين» يحتوي على ترجمة وافية لكتاب «الايام» بجزأيه ، قام بها لفيظ طه حسين وزميله المستشرق اومبرتو ريتسيتانو ، رئيس معهد الدراسات الشرقية في جامعة باليرمو ، في صقلية .

وجدير بالذكر ان ريتسيتانو نفسه قد سبق فكتب في عام ١٩٦١ دراسة واسعة فيمة في مجلة كلية المعلمين في باليرمو ، بعنوان « مع الكاتب المصري طه حسين - من الكتاب الى الازهر الى جامعة القاهرة العظيمة » - وقد فقت انا في ما بعد بترجمة تلك الدراسة الى العربية ونشرتها في مجلة «الاديب» في بيروت عام ١٩٦٥ .

ولست اريد ان ابدأ حالا بالبحث عن ترجمة كتاب «الايام» ، بل اترك هذا الى النهاية. وانما اريد ان ابدأ بتقديم صورة سريعة عن الكتاب التذكاري الذي اشتركت فيه مجموعة كبيرة من اهل الاستراق في ايطاليا لتقديمه منهم الى الرجل العربي العظيم في عيد ميلاده الخامس والسبعين . وقد ورد في صفحاته الاولى العبارة التالية الدالة على اعشق الحب ، والتقدير ، والاحلال « تقدمه من المستعربين الايطاليين الى طه حسين بمناسبة عيد ميلاده الخامس والسبعين » . وفي صدر هذا الكتاب التذكاري النليس تيجة من المستعرب الكبير الاستاذ غريبي : رئيس معهد اللغات الشرقية في جامعة روما ، يقول فيها :

« ايها المعلم والصدق العزيز ،

في الكتاب الذي اهدي اليك بمناسبة اعيامك السبعين كانت

تنقص مشاركة المستعربين الايطاليين : من ايطاليا عنها التي كانت دائما عزيزة عليك ، كما تنقص ، منذ ايام الملحنين المستشرقين الاوائل الذين فتحوا لروحك الشابة افانسا جديدة ، والتي يعيش فيها اليوم العديد من اصدفائك والمعجبين بك ، ومنها قدمت اليك صتوف من التكرم الجامعي . هؤلاء الاصفاة

الايطاليون شاؤوا اليوم ان يعوضوا عن غيابهم غير المقصود قبل اعوام ، فاهدهم اليك بمناسبة اعيامك العام الخامس والسبعين هذا الكتاب الجديد ، وفيه نوقشت اعيامك الادبية ودرست بمله الحرية النقدية ، مع وعينا النام انا في حفصرة واحد من اعظم الشخصيات الادبية المعاصرة » .

ثم يختم الاستاذ فرانيسكو غريبي كلمته ، او تعينه اللطيفة بقوله :

« فتقبل هذه التقدمة التي نجيتك من وطن غاناطوس غويدي ، وكارلو نلتيو ، ودافيد سانتيلانا . فكتما يشترك معنا اولئك الملحنون القدماء ، المائلون ابدأ في روحك العظيمة العرفان ، في التعبير عن ارفع مشاعر التقدير واخرها ، وفي تقديم ما تستحقه من التكرم والتعظيم » .

بعد هذه المقدمة القصيرة العارة تتعاقب افلام المستشرقين الايطاليين في صفحات الكتاب - وعددها ٢١٠ من القطع الكبير - . وليس في وسعنا في هذه المقالة الخاطفة اكثر من ان نقدم قائمة بأسماء الكتاب وعناوين موضوعاتهم بشكل مجمل ، وهي كما يلي :

لقد اشترك الاساندة التالية اسمائهم في كتابة الابحاث النقدية

وههم :

« اومبرتو ريتسيتانو - جورجيو ليفي ديلا فيدا - فرانيسكو

غريبي - ماريا نلتيو - مارينو ماريو مورتو - باولو مفتني » .

وكانت عناوين مواضيعهم ، حسب ترتيب اسمائهم ، كما يلي :

« تبذة عن سيرة طه حسين واعماله الادبية - مؤلفات طه حسين

والايطالية - لطفة الحين النافذ - طه حسين القاص - طه حسين

وايطاليا - طه حسين والاسلام - طه حسين والتعليم في الازهر » .

وتحب ان نشير الى ان ريتسيتانو قد كتب اثنين من هذه البحوث هما :

الاول والرابع .

وبعد هذه الابحاث النقدية والدراسات النفيسة لادب طه حسين ،

يجيء عرض ثلاثة من مؤلفاته ، هي «اديب - العصر المسحور - شجرة

البؤس» . وقد عرضت الكتاب الاول السيدة كلييا سارنيللي واشتركت

في عرض الثاني الاستاذة لورا فاليري والاسناد وديتو رويانتي ،

وكتب العرض الثالث الاستاذ جوزيبي بيلغوري مساعد ريتسيتانو

في باليرمو .

وتجئ ، بعد ذلك قائمة الترجمات من فصول مؤلفات طه حسين

التالية :

« حديث الازياء - الايام - مرآة القصر الحديث - من لفسو

الصف - بين بين - رحلة الربيع والصيف - نقد واصلاح - الفننة

الكبرى - الشيخان » . وقد اشترك في هذه الترجمات المستشرقون

التالية اسمائهم :

« فرانيسكو غريبي - اومبرتو ريتسيتانو - ريتو رويو دي

ميلو - ماريا نلزا بيتي سوما - فانا كريمونيزي - جيتو بلدوتسي -

بيتينو فولبي - نيل جاتانوكو - جوفاني اومان » .

هؤلاء المستشرقون يعملون في اربع جامعات في ايطاليا ، هي

جامعات : « روما - نابولي - باليرمو - والبندقية » وهذه هي

الجامعات الوحيدة في ايطاليا التي فيها اقسام للغة العربية وآدابها ،

والدراسات الشرقية . واستثنى من هؤلاء ثلاثة ، هم :

جورجيو ديلا فيدا ، الذي أجبل على الماش منذ سنين قبلوغة
سن الشيخوخة - والرحوم مارينو مورينو ، الذي توفي في منتصف
عام ١٩٦٥ والسيدة لورا فاليري ، التي أحييت كذلك على الماش عام
١٩٦٥ ، ولكنها ما تزال ملازمة المعهد الذي كانت رئيسته عدة سنين
في جامعة نابولي حتى أصبحت جزءا من تاريخه الجيد ، كما أصبح
هو جزءا عزيزا من حياتها .

وانه لن حق هؤلاء المستشرقين علينا ان نبعث اليهم بعض التحية
التي قدموها لابدينا العظيم طه حسين ، فقد سبقوا الى تريم الرجل
الذي كنا احق بالسبق الى تريمه ، وكان تريمهم له بليق بالروح
الجامعية العالية التي يحها طه حسين ، وبالأدب العالي الذي يترع
منه في اسنى منزلة وأجدها بالتكرم .

ومن حق اصحاب هذه الفصول ، او الهدايا الادبية الجميلة ،
التي يشتمل عليها كتاب هؤلاء المستشرقين ، ان تعرف بهم ولو تعرفا
عابرا . فاذا كانوا يهتمون بابدينا كل هذا الاهتمام الذي يجعلهم يبقوننا
الى تريم العطاء من ابدائنا ، فمن حقهم علينا ان نعرف عنهم ما سمح
لنا برده التحية لهم ، لعل تحيتنا هذه تكون مشاركة من في تريم
الرجل العظيم الذي هز يوما ادبنا العربي من رفته وخموله قبل ما
يزيد على نصف قرن ، وساهم في فتح عيوننا على التور ، وسار امامه
حاملة الشمع ، ومتحملا الاذى ، وصابرا على التكرار في سبيل نادبة
السلامة لعمامة الفكر العربي الحديث . اما تعريفنا هؤلاء المستشرقين
فيكون خاطفا بالقدر الذي يمكن ان يسبح به الجال :

١ - فرانشيسكو غريبي :

رئيس معهد الدراسات الشرقية في جامعة روما ، وابن المستشرق
الشهير جوزيبي غريبي المتوفي عام ١٩٤٢ . وهو من اكبر المستشرقين
الاجلاء ، وله مؤلفات ودراسات عديدة في الادب العربي القديم
والحديث ، وكتاب في تاريخ الادب العربي ، ودراسات عن : شوقي
ومي زيادة ، وطه حسين ، ومحمود تيمور ، وغيرهم من الاءاء العرب
والعربيين .

٢ - امبرينو رينيتانو :

رئيس معهد الدراسات الشرقية في جامعة البيرمو . ولد في
الاسكندرية في مصر ، ودرس في مدارسها ، ثم في جامعة روما . وبعد
ذلك قاد فدرس في جامعة القاهرة ، ثم عمل مدرسا فيها ، ثم في
جامعة عين شمس . ترجم الى الإيطالية « الايام » لطه حسين و « الزينبا »
لهيكل ، و « اهل الكهف » لتوفيق الحكيم . واغلب اهتمامه منصرف
الى تاريخ العرب وادابهم في جزيرة صقلية . عرفناه في الاردن حين
دعي لاتقاء عدة محاضرات في تاريخ العرب في صقلية في الجامعة
الاردنية في شهر نوفمبر ١٩٦٥ ، كما اتى في تونس ، والمغرب ،
ودمشق ، وليبيا ، محاضرات عديدة في الموضوع عينه باللغة العربية
التي يجيدها كثيرا .

٣ - جورجيو ديلا فيدا :

عميد المستشرقين الايطاليين ، وكان رئيسا لقسم الدراسات
الشرقية في جامعة روما الى ان اجبل في التقاعد منذ عدة سنين ،
وهو استاذ الاجيال العاقرة من المستشرقين الايطاليين الاحياء .
والاستاذ ديلا فيدا من اوسع المستشرقين اطلاعا على شؤون الشرق
والاسلام عامة ، وله في الاسلام مؤلفات عديدة .

٤ - الانسة ماريا نالينو :

ابنة المستشرق الرحوم كارلو الفونسو نالينو ، والمديرة العلمية
للمعهد الشرقي في روما ، ورئيسة معهد الدراسات الشرقية في جامعة
البندقية . ولو لم يكن لها من اثر ادبي غير اهتمامها بجمع سائر
ابحاث والدها ومؤلفاته ، والاشراف على نشرها كاملة في خمسة اجزاء

ضخمة ، لكان هذا حسيها من انتاج العمر . ومع ذلك فان لها ابحاثا
عديدة في صحف الاستشراق الإيطالية ، وكتابتها في مجلدتين عن «التأثير
الجدي وشعره» وعرضا لكتاب «الاستفسار» للطوسي . وكانت تحرير
مجلة «الشرق الحديث» الإيطالية التي يصدرها «المعهد الشرقي» عدة
سنوات .

٥ - ماريانو ماريو مورينو :

كان من اكبر المستشرقين المصريين . وقد عمل في الصومال ،
واليمن ، ولبنان ، ومصر ، والسودان ، وعدد من الاطوار افرقية .
والف لامية كتب عن العرب والاسلام ، وعدة كتب عن الحبشية
والصومالية ، وعن بلاد الحبشة والصومال . ومن مؤلفاته كتاب
بالعربية عنوانه : «السلوم في صقلية» . كان في الاوام الاخيرة
من عمره يحرر مجلة «الشرق - ليفانت» بالعربية والإيطالية ، في
روما ، وقد نشر فيها فصولا رائعة عن عدد من كبار الشعراء العرب
المصريين - المجهريين بشكل خاص - مع ترجمات لملاج عديدة من
اشعارهم ، كما كان يهتم كثيرا بتقد اللغة العربية الحديثة والتعرف
بها ، بالإيطالية ، على صفحات المجلة ، حتى انتقل الى الرفيق الاعلى
في ١٢ حزيران ١٩٦٥ .

٦ - بالوسو مفتشي :

مساعد غريبي في جامعة روما ، ورئيس تحرير مجلة «الشرق
الحديث» في معهد الشرق في روما ، ومساعد المدير العلمية للمعهد
المذكور . يهتم كثيرا بالشعر العربي الحديث ، وله فيه ابحاث
متعددة ، كما ان له كتابا عن «مصر الحديثة» ، ووضع المؤسسة
اليونيسكو كتابا عن الحركة الاستراقية في ايطاليا ومؤلفات اربابها
الادبية والعلمية .

٧ - جوفاني اومان :

مساعد الأستاذ روبيناشي في المعهد الجامعي الشرقي في جامعة
نابولي . يدرس تاريخ الشرق الأدنى والوسط ، ويعمل سكرتيرا للجنة
تسمية كتاب «نزهة المشتاق - للاربي» . وله عدة ابحاث نشرت
في الجلات الاستراقية الإيطالية . وهو يجيد العربية كاحد ابناءها ،
فقد ولد في مصر وعاش فيها نحو عشرين سنة .

٨ - السيدة لورا فيتشيا فاليري :

تعتبر السيدة فاليري بين اكبر اهل الاستشراق في ايطاليا .
وكانت حتى عام ١٩٦٤ - رئيسة قسم الدراسات الشرقية في
المعهد الجامعي الشرقي في نابولي ، التي احييت على التقاعد بعد خدمة
طويلة في حقل تدريس الثقافة الاسلامية وتاريخ الادب العربي . ولها
كتاب في قواعد اللغة العربية يقع في جزئين هو المقصد للتدريس في
اقسام الاستشراق في الجامعات الإيطالية . ومن مؤلفاتها : «الاسلام :
تاريخه وثقافته - والجماعات في مصر» وابحاث عن «الخوارج - وتاريخ
الاسلام بعد مقتل عثمان - ونهج البلاغة » وكثير من الابحاث المنشورة
في دائرة المعارف الاسلامية ، باللغة الإنجليزية . وبمناصبه احاطتها
على التقاعد صنع لها زملاؤها وتلامذتها المستشرقون الايطاليون متسا
صنعوا لطفه حسين ، فاهدوا اليها كتابا يحتوي على ابحاث مختلفة
في مواضيع اسلامية وعربية ترمسا لها وتحية قلبية نبيلة . وهي
رغم احاطتها على التقاعد ما تزال تحتفظ بمكان فكري في التدريس في
المعهد الشرقي في نابولي .

٩ - روبرتو روبيناشي :

رئيس قسم اللغة العربية في المعهد الشرقي في جامعة نابولي
بعد السيدة لورا فاليري . كان اصل اختصاصه الاستشراق في
اللغة التركية وادابها ، ولكن له مشاركة كبيرة في الدراسات العربية .

ومن أعماله القيمة ترجمته لرواية «مجنون ليلى» المسرحية الشعرية ،
 لـاحمد شوقي ، و «أهل الكهف» لتوفيق الحكيم ، و «عبد الستار
 افندي» لمحمد نيمور . ويهتم اهتماما خاصا بالمرح المصري .

١ - السيدة كليلا سارنيلي تشاركوا :

والسيدة كليلا سارنيلي أيضا تاجيد العربية أكملها حديثا وكتابة ،
 فقد ولدت في القاهرة ، وما يزال والدها يعمل جراحا في المستشفى
 الإيطالي هناك ، كما عملت هي أيضا فيها مستشارة ثقافية في السفارة
 الإيطالية . وهي الآن تعمل أستاذة مساعدة في المعهد الجامعي الشرقي
 في جامعة نابولي ، وفي جامعة روما . وقد مارست تدريس العربية
 في معاهد إيطالية في مصر ، وتدرّس الإيطالية في معاهد عربية هناك
 أيضا . أما موضوع اختصاصها فهو الآداب والتاريخ والمؤسسات
 الإسلامية العربية . وتعكف في الآونة الحاضرة على ترجمة بعض الآثار
 المسرحية الإيطالية إلى العربية ، يعاونها في ذلك الأستاذ اللبناني ،
 وهو أستاذ مصري يساعد في التدريس في المعهد الشرقي في نابولي .
 وتعمل كذلك في تحقيق بعض الكتب العربية وترجمتها إلى الإيطالية .
 وقد صدر لها بالعربية كتاب بعنوان «المجاهد العامري قائد الأسطول
 العربي غربي البحر المتوسط» وترجمة إيطالية لقصة «هارب من
 الفردوس» لتوفيق الحكيم .

هذه طائفة جلييلة ممن اشتركوا في نحية أدبنا الكبير طه حسين
 في عيد ميلاده الخامس والسبعين . ويؤسفني أن لا أعرف شيئا عن
 الباحثين ممن اشتركوا في ترجمة فصول من مؤلفاته إلى الإيطالية في
 الكتاب التذكاري . إلا أنني أذكر الأستاذ جوزيف بيلفيوري ، مساعد
 الأستاذ ريتسيتانو في قسم الدراسات الشرقية في جامعة باليرمو ،
 وهو صديق لي كريم ، عرفته في الزياراتين اللتين قمت بهما لجامعة
 باليرمو للقاء بعض المحاضرات فيها عام ١٩٦٦ .
 غير أن جهلي بالآخرين لا ينقص من فضلهم ، ولا يحول دون تقديم
 الشكر لهم والتقدير لمساهماتهم النبيلة في هذا العمل الفكري والإنساني
 الجليل .

ومما تجدر بي الإشارة إليه بكثير من الأسف هو عدم اهتمام
 الصحافة العربية وحمله الأفلام العرب بهذا العمل الجليل ، على الرغم
 من مرور عامين على صدوره .

ونجىء الآن إلى الترجمة الإيطالية لكتاب «الأيام» بجزائه ، التي
 وضعها الأستاذ أومبرتو ريتسيتانو ، رئيس معهد الدراسات الشرقية
 في جامعة باليرمو ، في صقلية ، ونشرها «معهد الشرق» في روما
 عام ١٩٦٥ في كتاب جميل الإخراج أنيق ، يقع في ٢٦٦ صفحة من
 القطع المتوسط .

هذه الترجمة كان قد بدأها ريتسيتانو منذ سنين ، وفي مقالته
 الإضافي عن طه حسين «من الكتاب إلى الأثر» إلى الجامعة المصرية»
 الذي صدر عام ١٩٦١ في مجلة «أكاديمية الملمين» في باليرمو ، أورد
 صفحات متعددة من هذه الترجمة في سياق الدراسة ، ثم كتمناج
 مستقلة بعدها .

ونحن نستطيع أن نثق بأمانة الترجمة ودقتها لما نعرفه من إجادته
 المترجم للغة العربية التي وضع بها الكتاب أصلا ، كذلك لما نعرفه
 من صلة المترجم الوثيقة بصاحب الكتاب - طه حسين - وتعلمته
 عليه ، ثم مزامنته له في التعليم في الجامعة ، ولما يعرف به المترجم
 نفسه من فضل طه حسين عليه . وإلى هذه كلها أضاف الفصل في
 اهتمام ريتسيتانو بترجمة هذا الكتاب الذي يعد بين أروع مؤلفاته طه
 حسين ، ومن أفضل المؤلفات الأدبية الحديثة في اللغة العربية .

لقد بدأ المترجم بأن مهد ترجمته بمقدمة طويلة بارعة درس فيها
 حياة طه حسين وثقافته ، وأهم مؤلفاته ، وعلى الأخص إنتاجه
 القصصي والروائي . وهذه المقدمة هي عينها البحث الذي ساهم به



الاديب

لا يقبل الاشتراك إلا عن سنة كاملة بدؤها شهر

يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد أدنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد أدنى

المقالات التي ترسل إلى الاديب ، لا ترد

إلى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

الادارة ٢٢٢٨١٩ Dir : 223819
 ليغون : التل ٢٢٥١٢٩ Die : 225139

توجه جميع المراسلات إلى العنوان التالي :

مجلة الاديب - صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت - لبنان

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البيير ادب

ريستيانو في الكتاب التذكاري الذي اهداه المستشرقون الايطاليون لطفه حسين بمناسبة بلوغه خمسة وسبعين عاما من عمره ، وكان عنوان هذا البحث هناك « طه حسين الناص » .

وليس غريبا ان ينال طه حسين من المستشرق الكبير كل هذا الاهتمام ، وهو الذي يعتبر « معلم الحياة والفكر » ، و « اراس مدرسة » ، ومجتدا في حقول العلم ، والتعليم ، والمجتمع ، ساهم في خلق جيل من اهم عناصره ومبادئه قيادة مصر نحو التقدم الباهر في حياتها الوطنية .

ان ريستيانو مطلع اطلعا حسنا على اعمال طه حسين الادبية ، كما انه يعرف طه حسين نفسه معرفة شخصية حسنة ، ويعلم له في نفسه رصيذا وافرا من التجلة والتقدير والاعجاب . وفي دراسته الطولية هذه نراه يستعرض حياة طه حسين ، واعماله الادبية ، وحركة التجديد التي احتضنها في الفكر العربي ، والهزات العظيمة التي تركها في حياة المجتمع الادبي الجامد المتحجر في اول ظهوره . وهو يستعرض كل هذا بتفكير العالم ، وخطق الباحث ، وتقدير الادب ، ورعوى الانسان المخلص لعصره ، ولخصارته ، ومدنيته وإنسانيته .

حملة طه حسين على جمود التعليم في الازهر وعقمه ، ودراسته للشعر الجاهلي المعروفة ، وجمعه بين الفكر الغربي في افوق مظاهره وعناصره ، والفكر العربي في اجمل اتجاذه واتسع صحائفه ، كل هذه يستعرضها ريستيانو ويحللها ، لكي يفسر من طريقها المجد العريض الذي توج جبين طه حسين بجدارة فاتحة .

واما اهتمام ريستيانو بكتاب « الايام » بشكل خاص فانه يفسره في هذه المقدمة الطويلة او الدراسة العميقة لاعمال طه حسين القصصية والروائية فيقول :

« اذا كانت شهرة طه حسين نافذا ادبيا قد بدأت تتسع منذ ظهور كتابه النقدي - في عهد الشباب - « الشعر الجاهلي » ، ففسى الحقل الروائي يقلل كتابه الممتع « الايام » اعظم اعماله » او فصحى فكتاما قدر للثنان ان يجد امتع لحظاته في البحث في حياة الماقصية في ظلال الذكريات ، وفي سحر التذكار ، التي تزيد لديها كلما ازداد الفصاح الذي يجللها .

والى نقطة « التذكر الماقص » يعزو ريستيانو اهم اعمال طه حسين الادبية الاخرى فيضيف قائلا : « غير ان كل اتناج ادبنا الكبير يركز على فرضية التذكار ، ومن الممكن ان تعتبر كذلك كتبه الاخرى : « ادب شجرة البؤس - دماء الكروان - والحب الصامت » تنوعات قائمة على هذا الموضوع الثابت » .

من هنا يبدو لنا سر اهتمام المستشرق الكبير بكتاب صديقه الادب العربي الكبير « الايام » باعتباره اياه قمة اعماله الروائية القائمة على استرجاع ذكريات الماقص ، والتي ليست قيمتها في انها تسجيل لحياة الرجل وحده ، وبمقدار ما هي في تسجيلها لحوادث عصر بأكمله في مجالته الفكرية والانسانية ، في محيط كامل .

وريستيانو في تحليله ودراسته دقيق الملاحظة ، نافذ البصيرة : يرى طه حسين وعيائه في ادق احاسيسه وتصورات ، وتلمس اتجاهاته الفكرية والفنية بتأمل دقيقة الحس ، فيعرضه لذلك فسي اعماله الروائية عرضا مليئا بالحياة عامرا بعناصر الجمال والطلاوة . ومن هنا كان لعمله في ترجمة « الايام » قيمته الكبيرة : فقد نقل فكر طه حسين العربي الى حلة ايطالية مشرفة ، كلها طلاوة وعلوية ، متملکا كان في حلته العربية الاصيلة .

عمان عيسى الناعوري

« الاديب » في ازمة المجلات الادبية

تحتفل الاوساط الادبية في لبنان ، وبشراكها في ذلك جمهور الادباء

في الاقطار العربية الاخرى ، باليوبيل الفضي لمجلة « الاديب » التي صدر عددها الاول منذ خمسة وعشرين عاما .

ويسر « الثقافة الاسبوعية » ان تنشر المقال الذي كتبه الدكتور عبدالسلام العجيلي بهذه المناسبة ، ذاكرين ان صفحات المجلد التي كتبت في المجلة الادبية عن ازمتها ومستقبلها . واحادث مثل هذه كثيرة ويحات . واثنين من ان ادباها يشاركون كاتب المقال بتقديره لشخص الاستاذ البير ادب ولجوده في ميدان الفكر والادب . منتمين للزميل الكبير ولمجلته حياة مديدة ونجاحا متصلا .

في ان واحد من الشهر الثالث خصصت مجلتي ادبيتان متباينتان في المنحى والاتجاه عددا من الصفحات في كل منهما للتحدث عن مهمة المجلات الادبية وعن ازمتها ومستقبلها . واحادث مثل هذه كثيرة التردد على السنة الكتاب واقلدها مما يدل على ان شعورا عاما يداخل المثقفين بان خطارا تهدد وجود المجلة الادبية او ان شكوكا تنصب على قيمة المجلة الادبية في الحلقة المعاصرة من حطب الحياة الثقافية .

وقد ظل الادب في كل العصور هو مادة القراءة الاولى والمادة الرئيسية لما ينشر في الكتب ثم في المجلات . وجاء هذا العصر فشهد زيادة كبيرة في عدد القراء جعلت القراءة شاقا لعمامة الناس بعد ان كانت شغل النخبة ، كما جعلت من النشر حرفة يدخل فيها حساب الربح في صناعة الحرف المكتوب . واذ وافق زيادة عدد القراء انخفاض في المستوى الثقافي للقارئ ، فقد اتبعت المواضيع التي تهم هذا القارئ ما عن الجدية او عن المثالية الفنية . وبهذا نشأت صحافة الاثارة ، الاثارة بالسبق الاخباري او بنشر الفصائح او بالتحدث عن المسمى الجماهيرية من سياسية ورياضية وفنية . وهكذا زحم الادب في ميدانه وراجح ، في حقل الصحف الدورية ، الى زاوية ادبية في بعض الجرائد او الى قصة قصيرة في بعض المجلات الاخبارية او الهئية ، او انه اعتمد في المجلة قليلة عدد النسخ في التي تنسبها المجلات الادبية والتي تحدث المثقفون دوما في مهمتها وازمتها ومستقبلها .

ومما يعرف ان المجلات الادبية الفالصة هي في كثرها الفالسية مجلات شهيرة او موسمية ، تصدر مرة كل شهر اذا لم يكن كل ثلاثة شهور او اربعة . وهذا وحده كاف لان يجعل منها عينا قليلا من الناحية المادية على نازرها . فكل مجلة ادبية تحترم نفسها تستند في اعدادها ونشرها نفقات وجودها لا يخلف منها فلة عدد النسخ المطبوعة . ولكن واريد الذي تعطيه هذه النسخ بثل غشيل . ومثله وارد الاعلان الذي تعتمد عليه كل المنشورات الدورية ، لان الاعلان في مجلة شهيرة او موسمية ليس مجزيا من الناحية التجارية في نظر اصحاب السلع الذين يريدون توزيع بضاعتهم . كل هذا يجعل من المجلة الادبية عملا قليل الفائدة من الناحية المادية ، ويفسر لماذا تنقل الاخبار الادبية بين حين وآخر احتجاب مجلات مشهورة وهي في الدروة من النجاح المعنوي وبعد الصيت .

ولو اتنا استعرضنا المجلات الادبية والفكرية التي تستمر فسي صمودها في كل اتجاه العالم لتعلمد علينا الصور على كثير منها مما تعتمد بنسبها على نفسها . ومجلات الادبية العربية لا تندد عن القاعدة في هذا المجال . شمة مجلات مستمرة في الظهور لانها تصدر عن دور نشر تتخذها هذه الدور واجهة تنشر فيها لكتابتها وتعرف فيها بمشهوراتها وتروج فيها لبضائنها وراجا مايا وممتويا . وثمة مجلات تعتمد في ظهورها المنتظم على هبات او منظمات تصدر من النسخ التجاري ولكنها ذات طابع ثقافي او سياسي معين ، تقيم اودها وتسند عوزها . كما ان نسبة ليست هتية من هذه المجلات تتمتع بعون الدولة وحمايتها ، مستندة بذلك على عقد قوي من الناحية المادية ولكنها خاضعة في نفس الوقت الى اشراف فيه كثير من معاني التقييد وفقد

البادرة في الانطلاق .

وبالرغم من كل هذه الدعامات التي تستند المجلة الأدبية في كفاها لتعيش نائلة لتخيه المستقنين صورة متحركة من الأدب ، فإن التوقف والدنور قد يكونان نصيب هذه المجلة بعد حياة قصيرة أو طويلة ، فاشلة أو ناجحة. وعامل الخسارة المادي هو السبب الغالب في المصير الذي تساق اليه المجلة المتوقفة . غير ان حق المجلة قد يكون بسبب الدعامات التي ساندتها ذات يوم وانعاشها في التقلب على المصير المادي . فان استمداد المجلة من منظمة مطوون بها أو مناهضة لإنجاء البلد الذي تصدر فيه قد يجعل في احتياجها . كما ان كون المجلة حكومية تحمل الطابع الرسمي للدولة يهت لونها ويضفي عليها تسودا بفض من حولها جبهة المتقنين التي تتطلب طموحا فيما تنشر . وقد شهدت البلاد العربية في السنوات الأخيرة ظهور عدد من المجلات الأدبية واختفاها ، حتى ليكاد هذه تستمال اذا كانت المجلة الأدبية قد فلتت عنها في الوجود في هذه الخيبة من العصر . بل ان المرء ليتسائل ، لهذه الظاهرة وامثالها ، اذا كان الأدب نفسه قد فقد مكانته في عصر السينما والتلفزيون وروايات الإوهام العلمية وقصص المغامرات من معقولة وسير معقولة .

اكتب كل هذا عن واقع المجلة الأدبية وقابليتها للحياة ، في حين نتحدث فيه المحافل الثقافية في مختلف البلاد العربية ونهتيا للاحتفال بمرور خمسة وعشرين عاما على مولد مجلة أدبية استمرت في الظهور بانتظام طول هذه المدة ، ونستمر في سلوك طريقها الذي بدأت به غير متائرة ، في ما يبدو لقرائها ، بالأمزات التي تتناول المجلات الأدبية من جزر ومد ، وتحويل وتبدل ، ومن قطع أو توقف . المجلة التي أعنيها هي مجلة «الأدب» التي تبدو في سيرة حياتها هي طريقة هذه الحياة تنفيذيا لكل ما أورده في مطلع هذا المقال من أمور متواترة عليها عند ذوي الإطلاع ، أو أنها على الأقل تبدو كالشئ الذي يؤكد صدق القاسدة .

هذه إذن مجلة أدبية ، عربية ، صدر عهدها الأول منذ ربع قرن ، ولا تزال تصدر دون انقطاع إلى يومنا هذا . هي مجلة لا تستمد أهميتها هيئة أو منظمة ، ولا تستمد الأمن من الدولة أو ترتبط بأية مصلحة من مصالحها . وهي ليست مجلة لدار نشر تتخلصها واجهة لمشورتها وإداة تعريف بكتبا وكتابها . بل أنها في هذا المجال الأخير سلكت طريقا معاكسا للطريق المألوف . فقد كان لجلة الأدب دار نشر لم تلبست المجلة حتى ابتلعها بدلا من ان تتوسع تلك الدار ونظفي على المجلة . وبعد هذا فإن مجلة الأدب ليست من المجلات الناشطة في الميدان الذي يسمنوه ميدان العلاقات العامة ، وهو الميدان الذي تمتع منه المجلة في العاد ، وعن طريق الإعلان بصورة خاصة ، موددا بعينها على البقاء اذا لم يجعل منها عملا مربحا . فمجلة «الأدب» ، على ما يدركه قارئها المتابع ، مجلة منطوية على نفسها ، أو أنها ملتزمة حدود حقلها الأدبي تعطي فيه وتكاد لا تأخذ ، ونمتج وتكاد لا تتلقى . ومع كل هذا فإن هذه المجلة ، بعد ربع قرن من الحضور القوي والمستمر ، لا تزال تسير باطمئنان ملازمة الطريق الذي سلكته منذ أول نشوئها ، لا تتحول في سيرها ولا تتأخر .

هذا الذي أقوله يجعل «الأدب» مؤسسة فريدة في نوعها ، ويدعو في مناسبة الاحتفال بمرور ربع قرن على انشائها إلى التساؤل عن العوامل التي أفردها عن مثيلاتها في بعض خصائصها. وهذه العوامل في الحقيقة ليست عسيرة على المعرفة كما أنها ليست شترية في العدد. أنها تتلخص في قيام رجل واحد وراء هذه المجلة يدبر أمرها في إيمان يواجهه وجب لفنه وعناقه في معاناته لعمله . وهذا الرجل هو صاحب المجلة الذي أضفى اسمه عليها ، أو الذي اقتبست من اسمه اسمها ، أو الذي اختلط بها اسما وجسما وروحاً . فقد أصبح أمير أدب

ومجلة الأدب كالنار واحدا في ذهن المثقفين المستقنين الأدب من منابعه العالية ، ممن لم تتج لهم معرفة شخصية بالير أدب . أما الذين عرفوا البير أدب ومجلة «الأدب» معرفة المخالطة فوق معرفة الملاحظة والمتابعة ، فانهم أكثر ادراكا لهذا الاندماج الذي يقوم بين المبدع وأبداعه ، بين المجلة وصاحبها ، بين هذه المؤسسة الأدبية وذاك الذي افنى نفسه فيها مائة وعمرًا واعصاباً .

الير أدب ، ذلك الشاعر بالوهية وبالروح ، أثر على ذائبة الفنان التي تقارب الانانية ، وعلى انطلاقة غير متقيد الانبوازع نفسه، ان يتخذ مقعد المعلم الذي يسخر التور الذي في نفسه لاضافة دروب الآخرين . فما كانت مجلة «الأدب» في ربع القرن الذي انصرم من حياتها إلا معهدا للادب ومدرسة للادباء من خلال ما تنتقيه للنشر مما تتلقاه ، ومن خلال مساهرتها للحركات الأدبية في العالم العربي وتاريخها لها ، ومن خلال استقباليها لأجيال متلاحقة من كتاب يجدون في النشر على صفحاتها حلا للفرغم الذي ترانح إليه نفوسهم اذا كانوا متمكنين ، والذي يعطيهم الثقة بأنفسهم حين يكونون في حاجة إلى الثقة وحسن التقدير اذا اتروا من الشائشين المتدنين .

والبير أدب ، ذلك المثقف الواسع الاطلاع والمهرف الذوق ، العميق جذور الاتصال بكل الأوساط الواعية والثقافة ، بدلا من ان يتخذ مزاياه عطية إلى نجاح مادي ومعنوي مرموق أثر ان يضع هذه المزايا بين جلدي مجلة أدبية تجعل إلى مواطن العرب ومهاجرهم الياسا من الاطلاع الواسع والذوق المهرف ونفحات من جمال الكلمة وغنى المعنى . وقد فنع بهذا وبأن يكون هذا نصيبه من الثروة أو من المناصب وعلى القيام الاجتماعي . وبهذه الثقافة ، أو بهذا التصميم والإصرار ، استطاعت مجلة «الأدب» ان تحتفظ بمسوتها وتثار على ظهورها في كل الظروف التي مرت بالامام الأدبي حولها ، في كل الإزمات التي مر بها منشؤها وممرها الإصح ، حتى لكان مصدرها ليس فردا واحدا ورعته إلى ان يضاف أو يتخالل ويصرى بل عصية من الرجال أولى القوة ، في بيئة هادئة مستقرة وفي ظروف دائمة المواتاة لن يفكر وينتج في ميدان الأدب والفكر .

قد عرفت مجلة الأدب أول معرفتي بها في مطلع الشباب . كنت آنذاك قارئاً متجهاً بهذه المجلة التي طلعت في فترة أعوام الحرب العالمية

مؤلفات ثريا ملخص

- النشيد التائه - قربان
- عشر نفوس قلقة
- مساجين الزمن (بالإنجليزية)
- منهج الحوث للطلاب الجامعيين
- ملحمة الإنسان - عشر ملحقات
- أبعاد المحرقي - العقدة السابعة
- القيم الروحية في الشعر العربي
- ميخائيل نعيمة الأدب الصوفي

تطلب من جميع الكتابات الكبيرة
ومن دار الكتاب الجديد بيروت

ص.ب ٥١٦٦ - تليفون ٢٥٥٦٦٩

الثانية تحمل الفكرة العميقة والمعنى الدقيق في أناقة وجمال فني جديدين على عيونا وإنفسنا . وعرفت المجلة بعد ذلك كاتباً من كتابها وواحداً من مؤلفيها حين نشرت في دارها أول كتيب . وقد فادني ذلك إلى أن أعرف الأدب الإنساني كما عرفت «الأدب» المجلة ، وأن أشهد في الفترات المتقطعة التي أقصد فيها دار مجلة الأدب في بيروت ، وأرى في تلك الدار الأستاذ البير ديب ، كيف يفنى الرجل في المجلة وكيف تنص المجلة لجعلها . لقد كان الرجل في ذروة شبابه متعبد أوجه النشاط وثير الصلات بأجواء العاصمة ورجال الدولة وثافة ملأه بأجواء الفن وأساطين الفكر والثقافة . وكان عريق الأدب في الأدب والسياسة ، وديعاً في الثروة المادية ورفاه الحياة ، مثل كل لدائه الذين قاربت ظروفهم ظروفه وشابهت مآزيمهم مآزياه . وأنشأ هذا الرجل مجلة أدبية لعلها كانت في ما يقصد إحدى وسائله إلى تحقيق آماله العراض ، ولكنه لم يلبث حتى وجد نفسه أسير ما صنعته يديه ، لأنه أحب تلك الضيقة فركز فيها هوموه وآماله . لقد هجر البير أدب الأجيال الصاعدة وتجنب الإصواء اللاعبة وعاف السياسة ، وكان طريقه إلى النجاح فيها لا حياً ، ليعيش في بؤفة الفكر والأدب التي هي مجلته . وحتى الكتابة في الأدب ، وهي إحدى المواهب التي زنت له إنشاء مجلته ، أتى عليها تصحيح المسودات وملاحقة المطبعة وفراوة بريد الكتاب ، حتى أخفى البير أدب الشاعر العميق وراء هيكل صاحب المجلة الدالة الصمت . واختلطت المجلة بالرجل واختلط هو بها حتى وجد في ذات يوم أن ليس طبيعياً أن يعيش هو في منزل ويعيش في غيره ، فحصل مقر ادارتها في داره ، مغلقاً منزل الإدارة على أي أروام الكتب المهداة ولقائات الورق المد للطح ، وانصرف في إحدى غرف سكنه إلى التحرير والتنسيق والتصحيح لا يفارق عمل المجلة إلى نوم أو طعام .

إن البير أدب اليوم مثله أمس - أمس الذي مفتت عليه خمس وعشرون عاماً ، لا يزال ملكاً في مسودات صفحات المجلة أو على أكوام المقالات والقصائد والقصص التي يحملها إليه البريد من مختلف أصقاع العالم ، يربط ويشدب ويهز للطح ، لم تختلف هيكته عما كانت عليه وإن كان اليوم يستعين على القراءة بإحدى كبريات كبريات لا تسمعها المنطرات ، بعد أن أجرت لأحدى عينيه عملية جراحية سافه إليها أكابيه الدائم على ما يقرأ . في ربع قرن غير من الزمن اختلفت الطرائق بينه وبين رفاق صباه وزملاء دربه . وقد فاز بعضهم بأجواء العربية وبعضهم بالثراء الواضع ، وهو لم يكن أقل فطرة منهم على الفوز بهذا وذلك ، إلا أن جأه وزروده قد انصبا في المجلة التي تصدر كل شهر حافلة اسمه إلى كل رفيع الثقافة من العرب أو من المهتمين بأدب العرب . وما تفتت نادماً على ما انتهت إليه جهوده في خمسة وعشرين عاماً من عمره . ربما لاه بعضهم أو اشفق عليه لما فاته من حظ في الحياة . ولكني ما أقتنه إلا راضياً مفتظاً بل واثقاً هائلاً بآراء الآخرين في هذا المجال . فهو نفسه يقول في واحدة من قصائده ديوان « لن » واصفاً حياة لا يد أنه يعني بها حياته :

حياة لذبة
تختلف بجوهرها من الحياة التي نعيشها في المجتمع
إلا أن تلك الحياة الباطنية
تؤذي غالباً إلى الاستهتار
... يصح صاحبها ذا شلوك
لا تنتهيه أصحاب الحياة الفردية
حاملو قياسات الاجتماع الفاسدة !

مجلة «الثقافة الإيسوعية» - دمشق

عبد السلام العجيلي

•

الدكتور يوسف مراد

في الثالث والعشرين من شهر (سبتمبر) توفي الأستاذ الدكتور

يوسف مراد ، استاذ علم النفس بجامعة القاهرة (سابقاً) ، وهو في الرابعة والستين من عمره ، بعد مرض بدت بوادره منذ عشر سنوات ، وبلغ أعنف مراحل في الايام الثلاثة الأخيرة . وبوفاة هذا الرجل يخفت في ماعلم الدراسات الإنسانية في مصر ، عرف في علمه بالعلمي المتواصل نحو تحقيق النظرة الفلسفية الشاملة ، وبالحرص الدائم على توضيح الفكر وآراء اللغة ، وبالهمة التي لا تفت في سبيل توصيل المعرفة إلى الآخرين .

ولد الدكتور يوسف مراد في ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٠٢ . ونخرج في قسم الفلسفة بكلية الآداب جامعة القاهرة في مايو سنة ١٩٢٠ . ثم أوفد في بعثة إلى فرنسا في سنة ١٩٢١ حيث تلمذ على عدد من كبار علماء النفس في ذلك الوقت ، من أمثال هنري دي لاكروا ، ويسول جيوم ، وهنري فالون . وهناك حصل على عدد من شهادات الدراسات العليا : في علم النفس وفي الأخلاق والاجتماع ، وفي تاريخ الفلسفة العام ، وفي الفلسفة والطق ، وفي الدراسات الطبيعية . ثم أوج جهوده بالحصول على دكتوراه الفلسفة في جامعة باريس في علم النفس بمرتبة الشرف الأولى وذلك في يناير سنة ١٩٢٠ . وكان موضوع رسالته الرئيسية : « بزوغ الذكاء : دراسة في علم النفس الارتقائي والمقارن .» أما موضوع رسالته التكميلية فكان : « علم الفراسة عند العرب وكتاب الفراسة لفخر الدين الرازي .» وبإنتهائه من هذه الدراسات عاد إلى مصر في فبراير سنة ١٩٢٠ ليقوم بتدريس علم النفس في كلية الآداب . وفي سنة ١٩٥٠ وفي إلى كرسي الاستاذية ، وظل يشغله حتى أجبل إلى العاشي في ديسمبر سنة ١٩٦٢ .

كانت حياة خيصة أكثر مما ينبغي لها ، كان من أولئك الذين لا يثناون بعلون ما دام فيهم ثرق ينبغي . اشرف على عدد كبير من رسائل الماجستير والدكتوراه ، فأجدها لمر ولعدد من الأقطار العربية مجموعة من علماء النفس يتولون أكثر من الناصب الهامة داخل الجامعات والهيئات والتي عدا كثيراً من المحاضر العامة في قاعة الجمعية الخيرية وفي غيرها من الأماكن الخالصة ، وأسس « جماعة علم النفس التكاملي » عام ١٩٤٥ ، وأنشأ « مجلة علم النفس » في يوليو سنة ١٩٤٥ ، وكانت على مستوى علمي ممتاز ، واشرف على نشر خمسة عشر كتاباً تحمل اسم « منشورات جماعة علم النفس التكاملي » كان معظمها من تأليف تلامذته وأصدقائه وعمل عضواً في لجنة مصطلحات علم النفس بجمع اللغة العربية في عامي ١٩٤٩ و ١٩٥٢ ، وولدت إليه مهمة وضع المصطلحات النفسية في الموسوعة العربية المبصرة التي نشرت سنة ١٩٦٥ ، والتي كثيراً من الأحاديث العلمية في الإذاعة المصرية وفي متحف الفن الحديث تقع جميعها على الحدود بين الدراسة النفسية وبين الدراسة الفلسفية للفن . وكان الرجل إلى جانب هذا كله حريصاً على مشاهدة العدد الأكبر من معارض التصوير وفروق الإبراء والباليه . وفي نهاية المطاف نشر بحثاً ممتازاً حول تاريخ علم النفس في مصر في المائة عام الأخيرة .

هذه نبذة موجزة عن حياة يوسف مراد العالم الذي كان يؤرق طوح الفيلسوف . أما نحن تلامذته وإمتداده فقد تعلمنا منه دروساً نافعة : تعلمنا كيف أن مثلنا الأعلى ينبغي أن يتجه إلى الجمع بين التعمق والتشمول . وتعلمنا كيف أن جزءاً هاماً من مهمتنا في الرحلة التاريخية الراحنة هو آراء اللغة العربية بوضع المصطلحات المناسبة لمفاهيم العلم الذي ندرسه ، هذه مسؤوليتنا نحو قومنا ونحو علمنا . وتعلمنا كذلك كيف أن توصيل المعرفة إلى الآخرين جزء لا يتجزأ من مهمتنا .

هذا ما تعلمناه . ونحن الآن نلتفت حولنا فلا نجد الرجل ، لا نجد صاحب هذه التعاليم ، فنتشعر بفراغ موحش . ولكن ذاكرة الإنسان أقوى من الموت . وهي ملائنا الأخير ، نخطف فيها تعاليمه ونعاشها ونتمناها . وشيئا فشيئا سوف يعود الرجل فتلا روحه نفوساً : بالحكمة والحب والبيان .

جريدة «الأهرام» - القاهرة

مصطفى سوف

اليانصيب الوطني اللبناني

مؤسسة حكومية مرصدة ريعها لأعمال الإسعاف الاجتماعي

تعديلات هامة في جوائز اصداراتها

٢٠ اصداراً شعبيّاً	الجائزة الكبرى ٢٥٠٠٠ ل.
١٨ اصداراً شعبياً خاصّاً	الجائزة الكبرى ٤٠٠٠٠ ل.
٤ اصدارات سوبستيك	الجائزة الكبرى ٥٠٠٠٠ ل.
٧ اصدارات عادية	الجائزة الكبرى ٦٠٠٠٠ ل.



تُدفع انجوايز في المديرية
مُعفاة من كافة الرسوم والضرائب



فأنا بها ادرى واعلم ولن يستطيع وال ما أن يخفي عني
شيئا لمسته بيدي !!
فقال بعض الجلساء : وماذا يقول خالد في رسائله
لامير المؤمنين ؟!

فقال هشام : انه يتحدث بمرارة عن آل الحسن وآل
الحسين ، وسأحضره اليكم الآن فهو على بابي من الصباح
ينظر الاذن .. وسأناقشه مناقشة دقيقة !! لتفهموا عنه
ما تريدون .. ثم صفق يده وأمر حاجبه بدعوة خالد :
فأتى على عجل وأخذ مكانه في ادب وقور بين المجتمعين ..
قال هشام - في تودد - لقد كلفناك صعبا حين دعوناك
الي هنا من المدينة ، فنجشمت مرهقات السفر في قنيط
محرق وطريق عسير .

فابتسم خالد بن عبدالمك تشجعا ثم قال في ملاطفة
لو أمرني امير المؤمنين ان أصعد الى السماء حاولت !
فكل امره حبيب اتير .

فنظر الخليفة الى وجه القوم لحظة ، ثم توجه الى
خالد يسأله ، وماذا تحمل الي هنا من الانباء !! لعلك
تصدقني الحديث .

فرد خالد بلهجة حازمة وقال ايد الله امير المؤمنين ،
فان كرمه قد شمل المسلمين فما يستطيع احد ان يتخلى
عن شاعته وهيبته .. وان المدينة كلها رقاب منقاد
ورؤوس مطرقة ، ومن يضرع الكراهية من آل تراب لا
يستطيع ان يعلن ، فأنا من ورائهم استرق السمع ،
واقطع الطريق !!

قال هشام : لقد جاءني الانباء عن بقتلك ووفائك
يا خالد !! ولكنني أريد تفصيلا وأقبا عما تقوم به ازاء
هؤلاء ... ومعني في المجلس سفوة احبابي وخيرة اعوانني ،
وهو لا يد منصتون متاملون ! فاجل النقاب عن كل خافية
مستترة ، لنصل الى علاج سديد فتأمل خالد وجوه
الحاضرين كمن يحاول ان يستشف بالنظرة المثبته ما
تمور به الخواجح المقنعة من أحاسيس ثم قال على مهل
وعينه الى هشام :

ان الناس بالمدينة يكونون لآل أبي تراب حبا صادقا ،
ويبدون لنا طاعة ظاهرة ، فراقهم تحت ايدينا ، ولكن
قلوبهم ليست في قبضتنا ، وأنا أعلمهم على هذا الاعتبار
.. فأبذل الجهد المتيقظ في تكبيل الانسة ، وأغضاه العيون .
فرد هشام في بظلة : لو قلت غير ذلك لكذبك
وبادرت بعزلك ، فقد كنت - من قبل - واليا على المدينة
وشاهدت من وفاء أهلي لآل أبي تراب ما أدهش تفكيرني ،
وانار جبرتي ، وما كنت بمستطيع ان أحول الوفاء الي
بغضاء ، بل كنت احاصر النار في مندلعها المشبوب كيلا
تتمد الى مكان آخر ، فتمع النكبة ويسوء المصير .

فقال يوسف بن عمر الثقفي وكان من الحاضرين :
ان الحال كما ارى قد تبدل يا امير المؤمنين فقد كنت
واليا على المدينة اذ كان بها علي زين العابدين بن الحسين ،



محمد رجب البيومي

كيف استشهد زيد بن علي

بقلم محمد رجب البيومي

جلس هشام بن عبدالمك في خاصة بي أمية تحدثت عن
شؤون الخلافة ، وأمور الحكم ، ثم قال مؤجها المستمعين :
لقد اطمأنت بي وسائل الامن فما أخاف أنارا بهيب ، أو
مشاقبا بنهض ، وقد جعلت على الولاة عيوننا وأرصادنا في
كل فج فما قلت ان تأتيني الانباء عنهم بما يخفون وما
يعلنون !! على أنني قلق لهذه البلدة التي تجمع نسل أبي
تراب ، وتضم اليهم من سخط عقله ! واضطراب هواه
فأنا منها في جهد حائر ، وقلق أكيد ، وسيقدم الان
اميرها خالد بن عبدالمك بن الحرث ، لاستطلع ما عنده من
الانباء ، وعليكم ان تشتركوا معي في الامر اشتراكا بصيرا
لأبين مواضع السداد ، فأعرف ما يراب الصدع ويسد
الفتوق .

قال قائل ممن يستمعون : ان الولاة يا امير المؤمنين
لا يتحدثون اليك عن الواقع الصريح فكل امير على مدينته
ما يدعي انه وطد الامن وأزال الخلاف ، وان امارته حصن
سابق تلوذ به الخلافة ، ومعقل مصون يدرا الفتن
والاعاصير ! فكيف يصدقك خالد بن عبدالمك الحديث !!

فأجاب هشام في ثقة : لقد خبرت خالدا ، فهو
يراسلني بما يقع امامه عن صدق وأمانة ، اذ ان عيونني
عليه يبعثون الي بمثل ما يبعث من الانباء ! فلو كان الرجل
مداهنا خادعا ، لانتكشت رسائله عن المداينة والخداع ..
ولعلمك تعرفون أنني كنت قبل الخلافة واليا على المدينة

وقد ذهب الوعيد هباء دون خوف واكثرات !!
فنظر احد الحاضرين طويلا الى خالد ثم ساله في
ادب : استطيع ان تصف زيدا كاني اراه ...

فابتسم هشام وقال : كنت اريد ان اقول هذا
السؤال ، فاجب يا خالد دون امهال ! فقال الوالي في جد
واهتمام : هو يا امير المؤمنين شاب قوي يبدو كقارس
في ميدان ، وبضي وجهه بالثور كان قمرا بلوح ، وله
لحية سوداء تكسو جلا وروتقا ، فاذا سار وجدت
انسانا وسطا لا الى القصر او الطول !! ولا الى السمنة
او الهزال ... اما اذا سمعت فصوص ممتلئة رنان !!
وحديث مؤثر خلاب !! وهو يقرأ القرآن بقرأة اثرت عنه ،
ويقول انه اخذها عن ابيه ، وقد افتنن بها المدنيون فلا
يقرونها بغيرها القرآن .. بل انهم يتناقلون كلماته وعباراته
ففي كل يوم يتحدثون قال زيد كذا بالامس وقال زيد كذا
اليوم !! حتى حرت ماذا اصنع ، وقد ضاع ما بدلت
من الجهود .

فاعتدل يوسف بن عمر الثقفي وقال في اعتداد :
اتحدثنا - باذن امير المؤمنين - عن بعض ما آتيته في
ارهاق زيد ، واهانة شيعته ، لنعلم بعض ما كان ؟ فقال
هشام لخالد : قد اذنت فاجب بما تراه !

فاطرق الوالي قليلا كأنه يجمع خوارحه ثم رفع
رأسه ، وقال في ثبات : علمت ذات يوم ان خصاما عنيفا
تسب بين زيد بن علي بن الحسين وابن عمه جعفر بن
الحسين بن الحسين ، وقد شاع خبره في المدينة فاردت
ان اسمع الفتنة ازيد بينهما السباب واللفو فينخفض
قدومها في الناس !! فاحضرتهما على الملا قريبا من المسجد ،
وقلت لجعفر ما تقول في ابن عمك زيد فبدأ ينتقص
ويلفظ القول فاسرع زيد يقول لابن عمه - وقد تنبه الى
ما اريد - لا تعجل يا ابا محمد ، اعتق زيد ما يملك ان
خاصمك الى خالد امير المدينة ، ثم انسحب من مجلسه
وقال يخاطبني اجمعت ذرية رسول الله الامر ما كان
يجمعهم عليه ابو بكر وعمر بن الخطاب !! فاغربت به احد
صناعي من آل عمرو بن حزم ! فسبه بامه وابيه !! ولكن
الناس صاحو به : اسكت قطع الله لسانك واخذ يعض
كفا من حصباء ورمي بها في وجهه ! فاطرق على خزي
مشين !! ثم انتهى المجلس بين نظرات الشامتين وصيحات
الفاقيسين !

قال احد الحاضرين : الا تستطيع ان تعارض زيدا
في علمه ووعظه فتأتي ببقية من الشام او العراق تصطنعه
ليبعد له في مجلسه مقعد المخالف المتأبد فينصرف الناس
عنه الى حين !!

فقال هشام : لا يا قوم ! نريد حلا عمليا . فالرجل
فقيه بصير روى عن ابيه ، وعن جده !! وقد اشرب
المسلمون تصديق ما يقول دون نزاع ، فلو عارضه احد
العلماء ما استمع اليه في شيء ، ولبأه الاول مجلسي

وهو بقية السيف من موقعة كربلاء من ابناء الحسين وكان
في عبادته واخلاقه مضرب المثل بين الناس ، فكان المدنيون
يحبهون لدانه ويعتصمون به اعتصاما قويا .. اما الان فقد
مات على فتفرق الناس عن شيعته ، ولم يجدوا منه بدिला
يحتل مكانته ذات الهيبة والجلال ...

فقال هشام موافقا : لقد ارثني على هذا ، واطار
النوم عن عيني ، فكنت اراه بالمسجد يؤم الناس فاذا فرغ
من صلاته اكبوا على يده تقبيل ، واذا خاطبه احد انحنى
امامه عن حب وشغف لا عن هيبة وارهاب ، واذا سار في
طريق تجمع الناس يفسحون له المكان ، وتلمس العامة
نواب الله في اقتفاء خطواته ، وتامل وجهه البسام !! ولن
انسى انني ذهبت الى مكة ذات عام للطواف حول البيت
فرايت من ازدحام الناس ما اوقفتني عن الطواف ، فبحثت
عن كرسي انتظر عليه حتى بهذا الناس ، وشخصت ببصري
لحظة فوجلت الزحام بنفراج فجأة وقد تدافع الحاضرون
عن امام وعن خلف يفسحون الطريق ! فنظرت فاذا على
زين العابدين يقدم للطواف ووراءه افواج العامة يتبركون
بظله ! فقلت من هذا كالتجاهل ؟ فسمعت من يقول مرتجلا
دون انسا :

هذا الذي تعرف البطحاء وطائه والبيت يعرفه والحل والعصر
هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا النبي النبي الطاهر العلم
اذا رآته فريش قال فالتفت اليه فقام هذا ينتهي الكرم
فاطرقت عابسا وقد ذاع الشمر المألوف ورواه جميع
الناس !! فما رايت يا خالد ؟ فنظر الوالي نظرة مهملية
ثم قال : لقد حكى يوسف بن عمر ان عليا زين العابدين
قد مات ولم يترك بدिला يحتل مكانته في الناس ، وكنتي
اعرف من يقين انه ترك بدिला قويا ورث عنه هيئته واجلاله !!
ذلكم هو زيد بن علي زين العابدين !

فهز هشام رأسه ! وقال في تأوه : زيد بن علي !
لقد اتنتني عنه الانباء ، فكيف تراه !

قال خالد : يا امير المؤمنين لقد رزق هذا الشاب
فصاحة نادرة لم ارها في انسان وقد سمعته يناقش
الفقهاء في حقائقهم الدراسية فوجدتهم ينقطعون امامه
فما يقربون على مباراته ، فاذا جلس المجلس الوظف تشقق
لسانه عن نبع سلس دافق تهيم به الاسماع !! اما اذا
سار في الطريق فلن اجد وصفا لجلاله وهيئته غير ما
حكاه امير المؤمنين عن والده علي زين العابدين لان الناس
هم الناس !

فقال يوسف بن عمر : ولم تترك الناس يتحلقون
حوله في المسجد ، ويسيروا وراه في كل مكان دون ان
تاخذ عليهم السبيل !!

فقال هشام في سرعة : صه يا يوسف ! لقد حاولت
ذلك مع علي فلم استطع ، كنت اتهدد الناس واخذهم
بالوعيد حتى اظن انهم قد ائتمنوا عن علي ثم انظر فاذا
الكثرة الكاثرة تتزاحم على مجلسه ، وتتكالب على طريقه !

بالخذلان والكنود !!

فقال خالد في ادب : ومن يعارض زيدا في علمه !
ان واصل بن عطاء ، وجعفر بن الصادق اخيه وابا حنيفة
تقنيه العراق وغيرهم من فقهاء الملة يتعبدون بأرائه ،
ويقتون باتباعه !! ولن يستطيع الوالي ان يصنع قدر رجل
يبجله الائمة من الفقهاء والمحدثين .

قال هشام : هذا كلام سيدي يا خالد ، ولتبحثوا
جميعا معه اذن عن حل مفيد .

فتطلع خالد بن عبدالمالك الى هشام كمن يهم بالحديث
فادرك الخليفة ما في نفسه ، وقال في هدوء : ارى على
شفتيك كلاما !! فقل ما عن لك من الراي .

فقال خالد بن عبدالمالك : لقد علمت من اهل المدينة
ان والد زيد كان لا يبرحها الى بلدة من البلدان غير مكة
في موسم الحج ، ولكنني اشاهد زيد بن علي يؤم البلدان
الثانية فيقصد العراق والكوفة وبعض ديار الشام !! وانه
ليقابل الولاة في كل مكان يحل به فيخضعهم عن قصده
السياسي ويتظاهر بطلب الفقه والحديث ، وقد قيل لى
ان خالد بن عبدالله القسري قد استضافه واودع لديه
كثيرا من الاموال ، وان له بالكوفة لانصارا من الشيعة ،
وبقية ممن ألهم مصرع الحسين فهم يتسكون بأمانته
ويرون فيه رجل الموقف ، وسيد الجماعة !! وهذا ادلى
اليكم بجميع ما تطرق الي ان صدقا وان كذبا ، وعليكم ان
تميزوا الباطل من الحق ، وتضعوا الخطة السديدة في
وضوح :

قال هشام : لقد سرني من خالد اخلاصه ونياته ،
واعجبني صراحته الجريئة التي يتحدث بها كثير من
الولاة فرارا من التبعة ورياء أئما لصاحب الامر ، واني
لانيته في مكانه بالمدينة أملا ان يبذل ما اعده لديه من
حيلة وكياسة ليهدم كل متطلع متوثب عامل على تاليب
الثوار وتاريت الاضغان !!

فقال قائل موجه حديثه الى الخليفة : وماذا يصنع
امير المؤمنين في خالد القسري ، وقد صادق وحالف
التربيين ؟

فقال هشام : لا اظن ما نقل عن خالد القسري
صحيا معقولا ، لانه بلن آل ابي تراب جهرة على منابر
العراق كل اسبوع ، فكيف يسدي اليهم مال الخلافة
ويتنقصهم ويذريهم امام الناس !!

فقال يوسف بن عمر الثقفي يستدرك على هشام :
يا امير المؤمنين لا تعارض بين الناحيتين ، لانه حين يلن
آل ابي تراب يعبر عن راي الخلافة ، ولكن حينما يسدي
اليهم الاموال .. يعبر عن ولائه وجهه وما تستطيع ان
نثريه من هوى القوم دون شاهد اكيد فلنحسم الشك
باليقين .

فأطرق امير المؤمنين بضع لحظات .. ثم نظر في
وجوه القوم قائلا : لقد عزلت خالدنا عن العراق دفعا

للشبهة فقط ، ووليت مكانه يوسف بن عمر ليسد في
امارته مسدا لن يبلغه سواه اما خالد بن عبدالمالك فقد
ثبته على المدينة وانقا كل الثقة في كفايته وإخلاصه !!
ثم نهض الخليفة ليقيم فادرك الحاضرون رغبته في
انتهاء الحديث فاسرعوا متسليين .

سار يوسف بن عمر الثقفي الى العراق وجعل
يتحسس خطوات زيد فيسأل متى كان بالكوفة ومتى رحل
الى البصرة وعند من كان يلقي برحله في العدو والرواح !!
ثم أخذ يدون اسماء من يعرف عنهم حبا متوارسا لعلي
وشيعته ! ويزيد فيفاجئهم في منازلهم متسائلا مفتشا ،
حتى ألم بكثير من موافق زيد ، وعرف من يقين ما كان
يتناقل في مجالسه الخاصة من دعوة صريحة الى امامة
عادلة رشيدة تهتدي بهدي الكتاب ، وتأمّر راشده
بالمعروف وتنتهي عن المنكر ، وقد نصب يوسف ارساده في
مناحي العراق ، واقام العيون بين المدينة والكوفة ،
لتأتيه باخبار زيد في تحالته وحله ، حتى علم ذات صباح
بقدومه الى الكوفة ، فخف اليه في بطش ، واغفل له
القول في مهانة وغطرسة ، وزيد يجيبه اجابات مسكتة
تزيد من غضبه وتؤجج الضغينة في فؤاده ، ثم زاد فاتهمه
باجراو مال كثير عن طريق خالد القسري ، وواجهه بخالد
وكان في محبة ، فأنكر الرجلان في تصميم حاسم ما
ادعاه يوسف .. فلما ازداد الا لجاجا وعتوا في طغيانه ..
وساء زيد ان يضع حدا لهذا الوالي المتهور فرحل الى
دمشق فطلع هشام على ما يقوم به من ارباب شنيع ..
وكان زيد يظن ان هشاما سيستمع اليه كصاحب ظلامة
ينتصر لنفسه بعد اعتداء غاشم !! ولا تدري لماذا نسى
هذا الاملي الحصيف انه يستجير من الرضاء بالنار وان
يوسف يستمد جبروته من طغيان هشام وعتوه !! لعله
عرف ذلك من يقين ! ولكنه اراد ان يقتنع بشيعته بالكوفة
وغيرها من مدن الاسلام بدليل ملعوس على فساد الحاكم
واعتدائه ! يأتيهم به عن مشافهة ومشاهدة فلا يقبل
طعنا طاعان او تقولا لمحتال ...

ظل زيد ممنوعا امام قصر الخلافة بدمشق محجوبا
فلا يؤذن له في الملوك ، وهو يرى بعينه وفود الرائيين
وموكب المتزلزين يقدون ويروحون دون حجاب موصد ،
او رتاج يقوم ! حتى اذا الحف في الطلب جاءه الاذن
المتنوع فدخل ليشهد امير المؤمنين جهم الوجه بادي
الفب ، متطابر الشر يقول له في غطرسة : لقد خدمتك
فنسك يا زيد اتت الذي تنازعك نفسك بالخلافة وانت
ابن امة !!

ما هذه الواجهة الصاخبة ؟! لو كان الذي يخاطبه
الخليفة فردا عاديا لارتاع في موقعه ، وطارت الكلمات
من لسانه فلا يجد ما يقول ، ولكن زيدا الرصين الفصيح

ينظر في حزم ، ويقول في رباطة جاش وقوة إيمان :
« اسمع يا هشام انه ليس احد اولي بالله ولا ارفع درجة
عنده من نبي بعثه للناس !! وقد كان اسماعيل بن ابراهيم
ابن امة واخوه ابن حرة صريحة !! فاختاره الله واخرجه
من ذريته خير البشر ، وما على احد اذا كان جده
رسول الله صلى الله عليه وسلم وابوه علي بن ابي طالب
ان تكون امة من امة من السند او من اي مكان !! »
فاخذ هشام بما سمع من المنطق المفعم وما قدر ان
يجيب .. وظل حائرا يرمق جالس حتى اذا اشتد به
الحق صاح في غضب : اخرج ، اخرج !! فابتسم زيد
في استخفاف وقال : « ساخرج ثم لا اكون الا حيث تكره
وتضيق !! »

وقد انجز زيد ما قال فارتحل الى الكوفة لينادي
بالثورة ويدعو الناس الى مبايعته على الجهاد ، واعان لهم
خطته في رد المظالم ونصرة الحق وقسمة الغني بين اهله
على السواء ، والنصيحة لله في السرد العلانية فبايعه
خمس عشرة الفا من الكوفة ثم انضم اليهم نفر كثير من
واسط والمدن المجاورة حتى بلغ المبايعون اربعين الفا !!
وتخرج الموقف في دمشق فبات على شبر عظيم !!

كان العقلاء من آل بيت رسول الله لا يثقون في اهل
الكوفة مثقال ذرة ، فقاموا بنصيحتهم لزيد ، واخذوا
يجادلون بمنطقهم المتحفظ ، وهو يرد عليهم في قصة
وايمان ، وقد قال له داود بن علي بن عبدالله بن العباس
في بعض نقاشه : يا ابن العم ان هؤلاء يقولونك من نفسك ،
وقد خذلوا من كان اعز عليهم منك خذلوا جلدك على بين
ابي طالب حتى قتل ، وخذلوا جدك الحسين حتى قتل ،
وقد خلفوا لهما اوثق الايمان بعض ما خلفوا لك فابن تكون !!

فقال زيد : لقد كان معاوية يقاتل بدهائه ويوزيد بدافع
بقوته !! والان لا دهاء ولا تماسك فانسحب داود ولم ينطق!
وجاء سلمة بن كهيل فقال لزيد : رحلك الله كم يابك
من هؤلاء ؟ فقال اربعون الفا . فقال سلمة : وكم بايع جلدك
الحسين ؟ فقال زيد : ثمانون الفا ، فقال سلمة : وكم
بقي معه ؟ قال زيد : لثلاثة فقط !! فقال سلمة في
أسف وحيرة : واعجبا ابقى معك اكثر ممن بقي مع
الحسين فلم يصغ زيد اليه !! وواصل العمل دون مبالاة .
وجاءه شيعي مخلص من خاصته فقال في ادب : يا
ابن رسول الله لم ترد على داود بن علي وسلمة بن كهيل
ردا شافيا فما قولك ، وقد جادلناك !

فابتسم زيد في مرارة وقال : والله اني لاعلم ان اهل
الكوفة لا يصدقون فسي لقاء !! ولكن العيش
في كنف المذللة نداء وعسار ، وقصد
شاهدت من طغيان هشام وجبروته ما حجب الي الاستشهاد
في سبيل الحق ، حتى يقول الناس : لقد انف قوم من
الاذعان للطغيان فلقوا الله شهداء ابرياء !!

فاطرق الشيعي معجبا وقال في اكار بالغ : انفض
لما تريد جعلني الله فداك وسانشط في الدعوة اليك عن
يقين وايمان .

كانت الجموع تتزاحم حول راية زيد ، فانصاره
يتزايدون كل يوم ويبدون من الحمية والفيرة ما لا يشك
احد معه في نجاح الثورة ، وغلبة الناصحين ، الا ان ذوي
الحكمة ممن خبروا رجال الكوفة يرون وراء الستور فتوقا
توشك ان تتسع فتكتشف عن بلاء محقق وشر مبيد !

وقد عقد هشام مجلس مشورته بدمشق لينقذ
سلطانه مما يتهدد من اخطار !! فعلم ان المال معجزة
الانقاذ ، وباب النجاة ، فاخذ بسوقه على الايل في موافل
متتابعة ليشتره هناك في ارباض الكوفة وفوق مشارف
العراق ، ثم بالغ في الخديعة فاستمال فريقا من ذوي
الاطماع ، وامرهم ان يسالوا زيد بن علي عن ابي بكر وعمر
ليجيب بما يوقع الشقاق في رهط فينقسمون عليه وتضعف
ريحه فلا يجد ظهيرا بين !!

لقد نشط زيد بجماعته الى القتال ، وسار الى
الحومة الحمراء بجنان ثابت ، ونفس متوقدة فوجد نفرا
ممن بايعوه ، يعترضون طريقه ويسألون :

ما قولك رحلك الله في ابي بكر وعمر !
فقال في سرعة بادئة : غفر الله لهما ما سمعت
احدا من اهل بيتي تبرا منهما وانا لا اقول فيهما الا خيرا .
فقالوا : فلم تطالب اذن بدم اهل البيت !

فاجاب في ثقة : ان اشد ما اقول فيمن ذكرتم اننا
كنا احق بهذا الامر ولكن القوم استأثروا علينا به ودفعونا
عنه وقد عدلوا وعملوا بالسنة والكتاب .

فتمتار في خبث : ولم تقاتل الامويين اذن ؟
فجواب زيد نفا على كف وقال يا سبحان الله : ايسو
بكر وعمر عادلان بطهران وهؤلاء ظلمة آمنون ، فابن الارض
من السماء !!

فانفضوا من حوله متذمرين ، وقد اشاعوا الفوضى
ومالوا الى الفتنة والارجاج ولكن زيدا لم يتراجع فواجهه
بالقلة القليلة من ثبت معه على الحق جيوش الدولة
الباطشة ذات الحشد الكثير وتلاحق حوله نجدات بني
امية من الشرق والغرب فما ضعف او استكان بل واجه
السيف في مازق حرجة تمت له فيها السيطرة والانتصار ،
لولا ان الرماة من اعدائه قد عدلوا الى السهام ، وليس
في ملته رام واحد يدفع النصال بالنصال ، فاتجه الى
قلبه سهم صادف منه مقتلا اليما . فلقى فيه شامخ الرأس
موفور الكرامة ، وتفرق اتباعه حائرين جزعين .

وجلس هشام يتحدث عن هزيمة غريمه !! متشجيا
مخمورا بما تم لجيوشه من الظفر الباهر ، والتفوق
الحמיד ثم سال عن جثة الشهيد الصريع فعرّف انها
ادرجت في التراب فأمر ان تصلب على مرتفع بالهواء
ليطوف الانصار أسفين متاوهين ويرمقها الاعداء فرحين
شامتين !!

وارتقى البطل الشهيد الى الاجوج ميتا !! فكان لواء
ناظقا بالثار يستنهض الاباة ويوقظ الغافلين .



دنيانا

* * *

كأنّي عرفت العمر من قبل ان أحيا
لأصلي في نسل تقادم في الهلكى
وفي عاصف منه تصف واستغلى
بمستنقع أوردت كدرته الحسرى
يوسوس في فكري بحيرته السكرى
لألبس فيها الزهد لبسته الكبرى
كنيت نما يفي الحياة ولو يشقى
بمولودها عادت لتشمله أحسى
مدى العام كالإطار في الافق الاعلى
عوازل بالأعاط في دلها الاحلى
فناديل في الافلاك تلمع في المسى
مفاتحه لا تلمس عنده جدوى
بمعناه لم ترشد واحرقك المعنى
سلام لأهلها الاحبة في اللقا
تنازلت عنها لا أريد لها بقيا
بلاسسم للجرح الذي أبدا يدوى
الأزمه حتى أجنبه السلوى
ومن دأبنا ان نستطيع وان ناسى
كؤوس من الاحزان نملؤها نجوى
رغائب يوليها الفؤاد لمن يهوى
أعيش بها لا أبتغي عندها شكوى

سعدت لاني جئت في هذه الدنيا
ألم اك في طي التراب غذاءه
سلكت سبيلي في الهواء مرفقا
وفي الماء في أوج الفيوم وربما
فما انعكس الخيام في برح خاطري
ولا كان لي عند المعري وسيلة
تسمت في الدنيا نسيم معيشتي
أرى أمنا الأرض التي جاد بطنها
الم يكفنا أنا ندور بجوها
تطل علينا في الليالي نجومها
أكانت رعابيا فصارت كواكبا
وفي الشمس سر الكون فاعتلى الحجي
إذا رحت تبغي كنهه متوغلا
وردت الدنى كالفيف ملء تحيتي
إذا قيل أعدائي فاين عداوتي
الم اكناف الصداقات انها
إذا فر غيري من اليم وجدتي
فمن حقنا في العيش بؤس ونعمة
وما قيمة الذات ان لم يكن لها
وفي الحب غصات على غمراها
تقبلت دنيا لا بجبر ولا رضى

أحمد حلمي عبد الباقي - ناصر عيسى - الدكتور قيصر خوري

بقلم البدوي المثلث

١ - حلمي عبد الباقي

ولد في مدينة صيدا لبنان عام ١٨٨٢ وكان والده ضابطا في الجيش العثماني وقد اشتهر بالزهد والورع والاعتصام بحبل دينه ، فترعرع وحيد «احمد» في احضان التقوى والصالح ، ورضع لبان الفضيلة واجترأ الخير والتفاني في خدمة دينه .
ونقل الوالد يحكم عمله من لبنان الى فلسطين واستقر في نابلس وعهد بنجله احمد حلمي الى الشيخ سليمان العابدي ليلقنه مبادئ الدين الطهور والى الشيخ سعيد الكرمي ليعلمه العربية وآدابها .
وفي صدر الشباب مال احمد حلمي الى الاصول المالية فعين في المصرف الزراعي بنابلس ثم نقل محاسبا للواء البدواني فلواء العمارة بالعراق وشغل في الوقت ذاته مديرية املاك الدولة فسي هذا اللواء وانتسب لـ «جمعية العربية الفتاة» السورية التي انشئت في الاستانة وباريس بعد اعلان الدستور العثماني ، كما انتسب لها أبرز الساسة العرب الذين القوا فيما بعد «الحزب الاستقلال العربي» الكاهر الخارجي لتلك الجمعية .

وعند اندلاع نار الحرب الكبرى كان احمد حلمي مجاهدا في جبهة العمارة بالإضافة الى متصرفية هذا اللواء بالوكالة ، فجعم المتطوعين من أبناء العشائر في فرقة واحدة والتحق بالجيش العثماني وعين قائدا لها فأبلى في الجيش البريطاني بلاء حسنا واسر القائد البريطاني الشهير «فونساند» وأزكان حربه وانتهت الحركة بسقوط «الكوت العمارة» في أيدي احمد حلمي ورجال فرقة .

في العهد الفيصلي : وبعد ان طويت الراية التركية من ربوع سورية والعراق آل الحكم في سورية الشمالية الى الامير فيصل بن الحسين (الملك فيصل فيما بعد) فماد احمد حلمي الى دمشق وعين مديرا عاما لوزارة المالية بالاشتراك مع سعيد باشا شقيق في عهد وزير المالية المرحوم فارس الخوري فوزيرا مستقلا لها عام ١٩١٩ .

في العهد الاردني الاول : وما ان احتل الفرنسيون سورية حتى تفرق الساسة فيها في الاقطار المجاورة وسرعان ما دعاه الاحرار الذين لاأدوا بالاردن ليعمل معهم في تأسيس «حكومة الشرق العربي» برئاسة الامير عبدالله بن الحسين (الملك عبدالله فيما بعد) . وفي اوائل شباط ١٩٢٢ بلغ احمد حلمي عمان عن طريق بيت المقدس فقلعه الامير بالير والترحاب وعين مشاورا للعلامة وزير المالية باصطلاح اليوم واختاره المفكر له الملك حسين بن علي عامل الحجاز بعد ذلك ناظرا للخط العربيدي الحجازي ، بالإضافة الى عمله في الجهاز الوزاري الاردني ومنحه لقب «باشا» وانتدبه ممثلا للمملكة الحجازية الهاشمية في مؤتمر الدوين العمومي الذي دعت اليه البلدان المتصلة عن تركيا وعقدت جلساته في الاستانة وجنيف ولندن في الشهور الثلاثة الاولى من عام ١٩٢٥. وتأسيس منه اصدر الامير عبدالله بن الحسين ارادة بتأسيس

المجمع العلمي الاردني في عمان .

وظل احمد حلمي في الاردن ذريرا للعلامة الى ان وجهه البريطانيون انذارا الى السلطات الاردنية لآخراج الساسة الصرب المتطرفين ، عسكريين ومعتنقين ، بداعي انهم يشجعون على محاربة فرنسا في سورية وشن الاستعداد عليها فغنى الترجمة له الى الحجاز ومنها نزع السي القاهرة فعاش عززا محكما بين علمائها ورجال الفكر فيها .

الى فلسطين : بدعوة من سماحة الحاج امين الحسيني ، مفتي فلسطين ورئيس المجلس الاسلامي الاعلى توجه احمد حلمي الى بيت المقدس عام ١٩٢٦ وشغل وظيفة مراقب عام الاوقاف (١٩٢٦ - ١٩٣٠) فنظم شؤونها وعمر الحرم القدسي واكثر من المشتات والجمعيات والمشاريع الخيرية واسس «فندق بالاس» الفخم في شارع مامن الله بالقدس .

في الحقل الاقتصادي : وفي عام ١٩٢٠ اشترك مع صهره الاقتصادي الكبير الحاج عمادالله شومان في تأسيس «البنك العربي» بالقدس وعين مديرا عاما له فكان هذا المصرف العربي نواة المؤسسة الكبرى التي لم تزل تحمل هذا الاسم العذب في العالم العربي كله اسبوعا وافريقيا وفي اوروبا والمجهر .

وفي عام ١٩٢٢ دعا مع المرحوم عيسى العيسى صاحب جريدة «الفلسطين» لاقامة «المعرض العربي» في القدس سنتي ١٩٢٢ و ١٩٢٣ تحديا لـ «المعرض الشرق» الصهيوني الذي اقيم في تل ابيب ، فاقم المعرضان العربيان التاجحان في عبارة فندق بالاس وهب الضاعفون العرب من شتى الاقطار لعرض انتاجهم الصناعي ودعم ذلك المعرضين العربيين .

الى ميشيل : وفي خريف عام ١٩٢٨ بثلت حكومة الانتداب برجالا فلسطين لمحاربتهم الوطن القومي اليهودي ونفت رهطا منهم الى ميشيل على راسهم احمد حلمي ورشيد الحاج ابراهيم والدكتور حسين فخري الخالدي وسقوطه القسطنطين وفؤاد سايام امين سر اللجنة العربية العليا . وبعد ثلثي عام عاين اطلقت السلطات البريطانية سراحهم فجاءوا الى مصر وفي احوال الحرب الثانية سمحت لهم بالعودة الى فلسطين .

مات ومات : وبين البصير الخبير نطلع احمد حلمي الى مسا نتاج اليه فلسطين العربية بعد ان اقام فيها اليهود المؤسسات الاقتصادية والصناعية والعلمية فاجترح غير ما تقدم الماتر التالية :

١ - البنك الزراعي : مهمته امداد الفلاح الفلسطيني بالقرروض الزراعية وابعاد شبح المافقة عنه ورشيد الحاج ابراهيم للصهيوني .
٢ - بنك الامة العربية : مهمته رفع مستوى الاقتصاد العربي وحمايته من الجشع الصهيوني .
٣ - البنك الصناعي : مهمته تشجيع الصناعة العربية بفلسطين لتتطور وتزدهر .

٤ - صندوق الامة العربية : مهمته انقاذ الاراضي العربية في فلسطين ومنع تسربها للصهيونية وفرض دونه او اثر على كل غربي في وسعه انقاذ الاراضي الفلسطينية ونتيجة لاسهام الكثيرين من العرب في هذا الصندوق القومي انقذت الافات الدونمات في منطقتي بيسان وبئر السبع .
٥ - معهد ابناء الامة العربية : انشاء صاحب الترجمة على طريق القدس - رام الله لايواء الاتام الذين استشهد آبائهم دفاعا عن الديار المقدسة .
٦ - الجمعية الصلاحية في القدس ومكتبها .

٧ - مساعدة عائلات المشوهين العرب في نبال فلسطين .
وانتخب احمد حلمي رئيسا للفرقة التجارية العربية بالقدس وعضوا في اللجنة الاقتصادية لجامعة الدول العربية وعضوا في الهيئات السياسية العربية بفلسطين وظل يدافع مع اخوانه المؤمنين بربهم ،

المقاتلين بوطهم ، عن سورية حتى نالت استقلالها عتوة واقتدارا .
ومثل القدس في اغلب المؤتمرات السياسية التي عقدت في كبريات
المدن الفلسطينية . وعندما عقد « مؤتمر بلودان » في ٨ حزيران ١٩٢٦
وحد الأحزاب الفلسطينية ودعا الى تأليف « الهيئة العربية العليا »
وكان احمد حلمي عضوا بارزا فيها .

ودرج القيد على سنة محدودة في تقديم الحلوى في عيدي الفطر
والاضحى للسجناء العرب وتزويدهم بالثبوتات والكتب رقية في تقويم
ما اعوج من خلالهم وتوجيههم الى محجة الهدى والصالح .

قبل التكية : وفي الاضطرابات التي نشبت بين العرب واليهود
(١٩٢٧ - ١٩٢٩) في فلسطين تخرج الموقف السياسي في القدس والمدن
الآخرى فلزم القيد منزله في « البقعة الفوقا » (١) بعد ان اصاب عينيه
الاشد نتيجة للتمتع بالمشاق التي واجهها مع المتأصلين الذين
عاشوا معه دفاعا عن المدينة المقدسة ، واقسم احمد حلمي الا يبارحها
الا محمولا على الكفاف ، واذا كتب الله له الحياة فلن يمكن المعصيات
الصهيونية من الاستيلاء على الامان المقدسة . وظل ذلك الجاهد الصابر
في عرشه على هذه الوتيرة ليلقى وجهه ربه شهيدا .

وبعد نوسلات العسكريين العرب واعفاء اللجنة القومية في القدس
يارح احمد حلمي داره في ذلك الحى الذي هجره اهله الى « دار
الانتماء الاسلامي » داخل المدينة القديمة وشرع في توجيه منظمة « الجهاد
القدس » و « فرقة التدمير العربية » وتزويد المتأصلين بالاسلحة والمال
والاحتياجات بالغذاء والكساء والدواء ودعا من بقي من العرب في القدس
للبقاء فيها والصمود في وجه العدو ، فاقصد بهذا على الفزة خطتهم
وحال دون الاستيلاء على بيت المقدس وفيها الامان للجنة وحفظ
عروبية احياء « باب الساهرة » و « التسبيح الجوز » و « وادي الجوز » و « وادي
الى النفوس الطمينة والاستقرار وحمل سكان القرى المتاخمة لمدينة
القدس على اللجوء اليها والمشاركة في الدفاع عنها .
وتقدرا لشهره على بيت المقدس ولواقفه الشرفه وجهه اليه الملك
عبدالله بن الحسين رتبة « امير لواء » واقامه حاكما عسكريا على القدس
الشريف وحارسا لاماكن المقدسة .

وقاد احمد حلمي حامية القدس ودافع عن المدينة واصلت انتصاراته
عنها الى ان جاء الجيش العربي الاردني وتسلم القيادة منه في ٢٠ ايار
١٩٢٨ وكان مؤلفا من ٢٦ فاباطا و ٩٦ صف فاباط و ٢٩٨ جنديا و ١٢
مدفعا مضادا للبدايات و ٦٠٠٠ قذيفة و ٧٠ رشاشا .
الى غزة فالقاهرة : بعد ان استقال احمد حلمي من الوظيفة التي
اختارها له الملك عبدالله يارح القدس الى غزة والا ومنها الى القاهرة
وفيها استأنف جهاده اقتصاديا وسياسيا واسس « بنك الامة العربية »
هناك .

حكومة عموم فلسطين : وفي شهر آب ١٩٤٨ تم الاتفاق بين جامعة
الدول العربية والسوويين الفلسطينيين على تشكيل « حكومة عموم
فلسطين » واتر اتفاق مؤثر غزة بتاريخ ١ تشرين الاول ١٩٤٨ تشكلت
هذه الحكومة على الشكل التالي :

احمد حلمي عبدالباقى (رئيس الوزراء ووزير الخارجية) تم تنازل
عن وزارة الخارجية للسيد جمال الحسيني ، امين عقل (وزير الزراعة)
الدكتور فوني فريج (وزير الصحة) ميشال ايكاربوس (وزير المالية)
رجائي الحسيني (وزير الدفاع) جوزف صهيون (وزير العمالية) علي حسنا
وزير العدل جمال الحسيني (وزير الخارجية) عوني عبد الهادي
وزير الشؤون الاجتماعية) اكرم زعيتر (وزير المعارف) انور نسييه
(سكرتير عام).

واشترك اعضاء هذه الحكومة في الجلسات التي كانت تدعو لها
جامعة الدول العربية في القاهرة .
واستلح الرضى على احمد حلمي فبارح مصر الى سوق القصر
(بلبنان) لجودة مناخا ، لكن جسمه الهزيل لم يقو على مضارعة الداء .

وفي ٢٩ حزيران ١٩٦٢ لاقى وجهه ربه راضيا مرضيا ، ونقل جثمانه
بالطيارة من سوق القصر الى بيت المقدس الشريف مدبنا التي احبها وهام
بترابها الطهور ودافع عنها بتفصيح وبسالة .

وعملا بوصيته دفن في السابع من صفر ١٣٨٢ هـ الموافق ٢٩
حزيران ١٩٦٢ في الحرم القدسي الشريف مجاورا لابرار الصالحين
الذين استرخوا كل غال ونفيس في سبيل الدفاع عن اولى القبلتين
وثالث الحرمين الشريفين ، وبهذه النهاية القدسية المشرفة حققت
السعادة قوله :

يا رب ان قدرت موتني فاوتني عز الشهادة عند (بيت المقدس)
وامتنن فباركسي كما باركتك يا رب واجعل نور وجهك مؤنسي
وهكذا ضم هذا الجاهد الصابر والمسلم المتوكل على الله للقاء
ربه ولقيه بآثر ومنجزات صورها شعرا بقوله :

صحيفة كبريائي الصبح مشرفة وغرة في جبين الدهر (اعمال)
ابيت الا اعلا في (عز) فارقبني وسائلي التجم عن حلمي وترحالي
كان احمد حلمي مجموعته من الصفات النادرة والخصائص التي قل
ان تتوفر في اهل هذا الزمن ، وابرز صفاته ايمانه بالله والبلل في
سبل الخير وتكران الذات والعمل لرفعة العروبة وعزة الاسلام !

وكان القيد فنانا في الخط العربي ، وطرازه في هذا الباب « ب »
وقليل من المعاصرين في بلاد العرب من اجاد الخط العربي اجادة (احمد
حلمي له ، ولقد اختار منه الرقعي الرائج عهد ذاك في الدواوين
المشتتبة .

نفاذ من شعره : مال احمد حلمي منذ صفه الى الادب فكان وعاء
نفسا لمختارات من الادب العربي ، وقال الشعر واختار منه القصائد
الفصيرة .

وفي « سبيل » متفاه نظم شعرا رفيقا تنبش ابيانه بحسب الله
وتدبش الوطن والحض على خدمة الدين والدود عن حياض البلاد . وفي
اخبار ايامه جنى الى طريقة « الرابعايات » فظم في هذا الباب عشرات
منها ودونك بعضها نفيسا بالملات والحكم :

يا رب كوفي والافاء وسيلتي لرفساء فابيل يا كريم دعائي
يا عالما نجوى شميري نجني مما اعاني من اسى وعناء

ذكرت الله في سري وجهري وذكر الله بقلبه الرجاء
رفساء ارنجي ربسي وعفوا ومنك العفو يرعى والرفساء

لا تنفلن عن ذكر ربك لحظة واذكره في السر والفسراء
ما فاز في الدارين الا مؤمن يعضوه في الاصباح والامساء

نامل فهذا الكون اصبح مظلما وامست ربوع القدس نهبا مفصا
لقد دمرت ايدي اليهود صروحها فقل لرجال العرب: هل اتنوم؟

اتجز وعودك للذين قطعنها فالوعد عهد واجب الايفاء
يوقسي الكرم بوعده متهللا ان الوفاء سجيحة الكرماء

اسرفت في مدح الزمان ودمه واقمت نفسك فيه شخشا نالسا
اتت الزمان ولن ترى غير الذي كسبت يدك لا تلاقى باعشا

يعلي علينا الدهر من اسفاره عبرا ولكن اين من يتدبر ؟
انظر فهل في الكون الا عالم في حيرة او جاهل لا يبصر !

امسك عن القول الهراء ترفعا واقم نهماك على اللسان حفيظا
من عاش يلقى في الانام لسانه يقضي الحياة مروعا ومفيظا

خاطب فيها العربي وعرج على «اليوموك» وذكريات الجند التالك . وفي عام ١٩٢٥ عارض الشاعر الأستاذ ناصر عيسى هذه القصيدة بالقصيدة العاصرة التالية :

على اليرموك لا تقتر السلاسل
ولا تقبض المواطيف زاحرات
فبعد اليوم ليس الماء علبا
ولا يبروي ولا يشقى أوما
وبعد اليوم افتر جانيه
وبعد اليوم ما شحكت (سليبي)
نسيما الصبا جبت سموما
فلا تلك اليربوع ربوع فوسا
ولا تلك المالمس شاهدات
لعمرك ما خريص النهر الا
وما شدو الحمام غير نوح

اطلعت روح (خالد) من علاها
سرى ما حل بالتهوين حنا
وترقب في ربي اليرموك مجدا
نراث خالد قد صبح ميذا

« أورتويغ » اغوتك الاماني
فجئت تشيد فوق النهر سدا
وانقنت تسابح حجرا وفشا
ربوبا ، لست بالياضي حديثا
ايها الشرح منتهيا ذليلا
فقلوا منه اعتاقا وفقسوا
فما كبروا لزمه فقساة
وهيلا بلغت الاموال فوزا
وهب خولته قلب الشمس نورا
تعصي لست بليخ من اذانا
فيمس الجهاد من شباب
سيبيلي التور في عيني ظلاما
اذا سم انجاد المرب يومسا

وبعد وقوع النكبة الكبرى... تلك النكبة التي دكت فلسطين وطوحت بابلها الى عالم التشرود والفاقة قال شاعرا ، وهو في العراق ، بسف غواي دهره وسود لياليه :

ليلى شكنا الامم من همسى
مستبسل داج وخافسبره
والدهر مجنون يطارديني
فيمنته قد كسرت قوسي
قد كان لي اصل يواثني
فاذا بسيف الخلف يصرعه
ضاقني في الدنيا فاضبها
فالتس ان ترسل اشعثها
وارى الكواكب حين ترمقني
وسمعت في الاثار لحن ابي
النهر في امواجه لهب
والنخل قائمة غرائسه
اصبحت اخشى كل بارقة
يا دهر حبي في الحياة شقا

وذات يوم ارسل الشاعر عيسى ناصر الى القاضي الشاعر اسكندر الخوري اليتجالي مداعبا الابيات التالية :

ادرت ظهري للعنبا فلا أسف
علي الذي فانتى منها ولا لهف
هي الحياة اذا ادركت غايها
فليس يفرىك فيها المال والتشرف

لا ترج عونا في الحياة من امرى
واجمل نصيرك ساعدا مفتولا
من يستمن عند الكفاح بغيره
يجد السلاح - على المدى - مفتولا

لا تنظرن الى العودات تلمزها
واجمل صفاتك للأخلاق عنوانا
كم نظرة دنست اخلاق مرسلها
ولظفة اوقدت في الصدر نيرانا

وجملة القول : كان المفهوم له احمد حلمي عبدالباقي شخصية فذة تميزت بالانضال في سبيل العروبة والاسلام والصمود في وجه كل غشوم يريد بهما سوءا ، والايمان بنبية الكريم ، والحفاظ على كتابه الكريم ، وايمانه بهاتين المجزئين كلف الصبح !

نموذج من نثره : وبعد وفاة امير البيان الامير شيكيب ارسلنا دعا صدقة الصلي الوفي احمد حلمي باشا الى حفلة يابن كبرى اقيمت في يافا صباح السابع من شباط ١٩٢٧ واتقى فيها كلمة مني : «لست ابني بكلمتي هذه رثاء ولا نايبا ، وما اعجزني عن ذلك ، وانما اذا جاز لي ان ألخص الامير شيكيب ، رحمه الله اوسع الرجحات ، بكلمة قلت كانه في منتهى حياته ومطرد جهاده كان يستمرح امته على الصيحة الكبرى التي جاءت في الحديث الشريف : «يوشك ان تتداعي عليكم الامم من كل جانب تداعي الاكلة على الفصاع» فقالوا : « او من قلة منا يموئذ يا رسول الله ؟ » قال : « لا ولكن غدا كفشاء السبيل يجعل الوهن في قلوبكم ويترن من قلوب اعدائكم من حاكم الدنيا وزكاهتمك الموت.»

واذا كان الامير شيكيب قد اختير الى الرفيق الاعلى وهذه سيرته وهو الجاهد الفريد فهو في الغالب ذكرا والرا والباني ، وان قابوا ، صورا وعمرا . فحين اليوم قد اجتمعنا لتخشي ذكرى راحل من الراحلين ، ولكن من الاموات الذين لا يموتون !!

٢ - ناصر عيسى

ولد في بلدة الرامة ببلطسطين عام ١٨٨٧ وانهى دراسته الابتدائية في المدرسة الروسية ودراسه الثانوية في «ادار المعلمين الروسية» بالناصر . واول عمل زاوله ادارة المدرسة الروسية في «بيتوا» من قضاء عكاك (لبنان الشمالي) وبعدما نقل مدبرا للمدرسة الروسية في «البيارة» من قضاء عكاك فمدبرا للمدرسة الروسية في كوسبا (الكورة - لبنان) . وفي الحرب الكبرى اطلقت هذه المدرسة وفسرها ضمن المدارس ابوابها خلف الترجمة له في نهاية عام ١٩١٧ . وبعد انهيار الحكم العثماني عاد الى مسقط رأسه وعين في عهد الانتداب معلما للغة العربية في كاتم بيت لحم ثم عكا وبلغ فيها مدة عشرين عاما استادا للعربية .

وفي عام ١٩٢٢ احيل على التقاعد وبطلب خاص من مديرية المعارف العامة ببلطسطين ظل استادا للعربية في ثانوية عكا . وفي عام ١٩٢٨ شخس الى العراق وعين استادا للادب العربي في ثانوية الحلة وظل يؤدي عمله هذا الى عام ١٩٥٨ فعاد الى طرابلس الشام واتخذها دار اقامته .

وفي ١٦ ايلول ١٩٦٥ توفي ببلدة كوسبا (الكورة) ودفن في مقبرة الطائفة الارثوذكسية .

من اناره القلمية : ١ - حياة آل رومافوف (نقله من الروسية الى العربية بالاشتراك مع قرينته السيدة دافس عيسى ونم طبعه في طرابلس الشام عام ١٩١٢) .

٢ - صلوات مطوية (ديوان شعره) .
نموذج من شعره : اشهر الاستاذ اتيس الخوري القمني بقصيدة

أخا الشعر هل لي أن أورد لحظة
فقد طال عهد فيه كادت براعتي
عهدتك في الأحكام يسرا وعادلا
وهيبت زماما أو مكانا فلتفتني

فأجابني الشاعر البتاني :

أخا الشعر زو أني نظيرك عائب
سلافة خسر هذه أم فريسة
أهيت بها مذ أقلت مترنجا
فما أنت إلا في حصانة شاعر .
وفاض فلسطيني وحضرة خوري !
وعندما أحس بدنو أجله نظم الأبيات التالية :

نسيت السجك والانساء ومن مثلي لا ينسى !
مرضى يجسر الام ان اصبح او امسى !

الفت السجك حتى صار عندي
براسب خطوتي في كل يوم
وان نطق اللسان بقول حمر
وقيل ان يلق بربه املى على
ان فارح الحياة :

أصوت قرير العين أدبت وأجسي
لرؤوسي وإبتائي وصحبي وأمتي
سلمت من ربي كريم رسالة
وها أنا بالايام أنهي رسالتي !

٣ - الدكتور فيصّر خوري

ولد في بكاسين (فلساء جزين من لبنان الجنوبي) عام ١٨٩٢م وتلقى
علومه الابتدائية في «المدرسة الحكمة» ببيروت وأنهى علومه في كلية
الآباء اليسوعيين هناك وأكمل دراسة الطب في الجامعة اليسوعية عام
١٩١٢م وعين طبيباً في شركة قناة السويس لكن نشوب الحرية العالمية
الاولى حال دون التحاقه بعمله ، فعين طبيباً للتوصيف الفرنسي في
«غنييل» من بلاد بشاره (جبل عامل) .

وبعد أن خاضت الدولة العثمانية غمار الحرب الكبرى عين طبيباً
في الجيش التركي وكانت خدماته موزعة بين حيفا والناصرة والمهورة
(٢) والأصلاحيه ودمشق وحلب وعمان والسلط واربعا والتشونه .

ومع الاحتلال البريطاني اتخذ حيفا موطناً له وزاول الطب فيها ومن
ثم عين طبيباً للمرفأ مدة ست سنوات وبعدها عاد الى عيادته الخاصة،
وجمع بين الطب والادب وفاض بشعره على النشوي والجمعوية
الفلسطينية ونشره في صحف ومجلات فلسطين وتميز كخطيب خفيف
الروح وكاتب عربي له توجهاته وتقداته ، وفي عام ١٩٢٧ انصرف
في الثورة الفلسطينية ليعالج الجرحى ويدافع عن حق عربي أبجل !

من آثاره القليلة : وفي عام ١٩٢٥ دفع الى «الطبعة التجارية» في
بيت المقدس مجموعة اشعاره باسم «الذكريات» وقد سجل فيها مراحل
حياته وما لقيه من أحداث وحالات وذكر فيها اخوانه وابسطانه
وساعات أسسه وحزنه .

نماذج من شعره : في عام ١٩٢٠ سافر الوفد الفلسطيني الاول
الى لندن ليدافع عن الحق العربي في فلسطين وليؤكد للساسة
البريطانيين ان العرب لن يتخلوا - لليهودي التائه - عن وطنهم العالي،
فارسل الشاعر قصيدة خاطب فيها الملك جورج الخامس قالاً :

شعب المسيح وأحمد يتفجع
فائس جازعة ومكة انزع
يا وبع «سان ريمو» فان قرارها
داسوا البلاد وقطعوا اوصالها
ما راقهم شعب بري، مخلص
فلما المهود على ابتلاع حقولنا
فلما المهود على البلاد وما دروا
ان البلاد بأهلها تتدحرج

انتظاركم : فالعرب حول بلادهم
سور أعز من العقاب وأمنع

رحمك الله يا ملك العدالة ما لنا
جسودك من عين البلاد وفليها
هذي البلاد بلاندا ، أماننا
فيها لنا مهد المسيح وفيره
هذي شهود يوم ينفع في الوري
فاصغ الى آمالها في حلقنا
واصغ الى صوت الصفير فاته
واحذر من التاريخ فهو مدون

حق رجاء الولد ان سامع الوزراء
« بلور » يقطع عهده متفائرا
و « وزارة » تقضي على أماننا
فكانت سلح تباع وتشتري
هذا يسمر والمسام يدفع !

ان الخفايا لا تصنع وحفنا
كن عادلا والعمل حلية ناجكم
او تهف الأهات ليست متعينا
واحتفلت فلسطين عام ١٩٢٢
وخطفهم المغفور له الطران حجارا ،
الوالد والإعجاب بالبحر العربي بقوله :

تذكرنا جشاه في بوبيل (حجار)
لسان الأرز ، سوريا باجمها
هفت نهش الى الوان حطنته
فالأحضان يدبغ في محاسنه

مولاسي ان عروس الشعر فائلة
أوطلة البحر والظلمة حائلة
يل صجة البراء والآراء فائلة
بل نسمة من نسيم الأرز متعشة

حامت عليك عيون الناس معجبة
اعلامنا مركب الاعلام قد ركبوها
نحت من صخرة الأخلاق اصعبها
حلفت كاتسر في افق الحياة وقد
سللت من صدرك الماسي عزيمته
لولا العزائم ما كانت نوابغا

ناجرت في وزيئات الله مجتهدا
ولم ترعك من الدنيا مصارفها
يا حارث الكرم سور حول كرمته
واردع قواة الوبؤم فالتفت ضاربة

وفي عام ١٩٢٢ أوفد المغفور له الملك حسين بن علي الدكتور ناجي
الاصيل الى لندن ليناقش المعاهدة البريطانية - الحجازية وهناك ادلى
الى مندوب وكالة «هافاس» الفرنسية بتصريحات فاهية بالساسة العرب
بالاستهجان والوبؤم فالتفت الطبيب الشاعر بقوله :

تجلت يا (ناجي) على طرد لندن وفالك ان الظور ليس بلندن
(١) أحد الاحياء العربية الراقية في بيت المقدس .
(٢) بلدة صغيرة على سكة حديد حلب - اسنة - (٢٩) وزير الخارجية
البريطانية في ذلك الحين .

بعد القنبلة

مترجمة عن أبيات للمرز ولسون عقيلة رئيس وزراء بريطانيا ، نشرتها الصحف البريطانية وظهرت ترجمتها في جريدة ألفتيسا السوفيتية وقد وافقت المرز ولسون على نشرها مترجمة في العربية

دحرجت يلتهم الكون لظاهما
والردي يرشح من وهج حشاهما
كرة من ملعب الجن هوت
كلما آمن فيها الفكر تاهما
خيم الصمت رهيبا بعدها
وتلاشى في مدى الظن صدها
وانبرى الشيطان في طففته
بدمار الكون عجا يتباهى
كعقاب الجو قد حط على
مراب ، عاليه في الجو تناهى
ججلت ضحكته طافية
كهزيم الرعد ، واختال تاهما .
عربيات النصر في نشوته
هزت الأفلاك رعبا في فضاءها
دونا للأرض ، والأرض جذى
هأمدات .. بعدما الموت طواها

سعيد العيسى

من «العروة الوثقى»

لندن

وردته الاجراس حزنا وغما
حطته الرياح في كل افق
وسجل التاريخ دون عهدا
وشده الاذان شجوا وكمددا
وذرنه على العروبة نددا
فيه جور البلاد جاوز حددا

شهداء البلاد ان بلادي
قد يذتمم اركى النفوس فداهدا
وسقيتم نرى فلسطين دفقا
ورفعت في الموت راية مجد
وبنيت صرح الفداء متبدا
سر هذي الحياة مهدا ولحدا
قد عشقنا الحياة مجددا وعلدا
تطير النفوس جددا وكدا
كالبنا المرحوس جمعا وفردا

البدوي المشم

عمان

ومنه سرى كالبرق وحى المهين
فؤاد فاصمد فوفه وندين
مقعدة والحل ليس بهين
فاتت بغير الطب لم تفنن

وعدت بنا حاملا (كرون) (٢)
فقط به وجه البلاد وكفن !
ومسجدا الاقصى ومهد التمدن
وصل على روح البلاد واذن
بهز صدها كل قلب ومسكن
وعدت لتكميل البناء بلندن
وكل بناء أسه الرمل ينحني
فهدت وعاد الحق غير مبين

ذهبت كمنسوب الحجاز مغفوا
كاتبى بذاك العهد اكفان ميت
وقف ناديا على الربوع واعلها
وصبح على الاقصى الشريف بعظها
وناد فلسطينا تصعد زفرة
بسات بنشيد البناء بمكة
واسست فوق الرمل بتيان مجدها
اعلوك والحق الصريح مبين

الى ان يقول :

وجارت كالمندوب عن كل موطن
امنا يوم البلاد بمؤنن
وان بدنا يوما الى الحق نذعن
فوجد البلاد الحر ليس بمؤنن
نموت ولن نحيا بعهد مصهين
وفي عام ١٩٢٦ اذاعت البرقيات العالمية نبأ «مكسوين»
البطل الارلندي عن الطعام احتجاجا على معاملة بريطانيا لارلنده موطنه
فصام مدة ٧٥ يوما ومات فري العين ، مطمئن الخاطر ، فغضب شاعرنا

البطل الصائم بقوله :
فسم الله ان تقضى بسجنك حالما
وفي الموت تفتح النفوس وكريم
وعلمنا بالسجن ما ليس بظلم
جيبا وان الحق لا يتكلم
الى شرفات السجن والسجن مظلم
نفاغم شر الصوم والجسم يهدم
سوى الله ان تقضى بسجنك حالما
وما اخذهم نوبة وتندم

جلسات الى (هافاس) باسم بلادنا
وان لنا وفدا وما غيره على
فان يدع هذا الوفد ندانا
فان كنت بالمعهد (الكرون) مؤننا
وبلغ ميامين الجزيرة اتنا
في عام ١٩٢٦ اذاعت البرقيات العالمية نبأ «مكسوين»
البطل الارلندي عن الطعام احتجاجا على معاملة بريطانيا لارلنده موطنه
فصام مدة ٧٥ يوما ومات فري العين ، مطمئن الخاطر ، فغضب شاعرنا

فسم الله ان تقضى بسجنك حالما
وفي الموت تفتح النفوس وكريم
وعلمنا بالسجن ما ليس بظلم
جيبا وان الحق لا يتكلم
الى شرفات السجن والسجن مظلم
نفاغم شر الصوم والجسم يهدم
سوى الله ان تقضى بسجنك حالما
وما اخذهم نوبة وتندم

كذلك يجبل الخطاب فيك ويعظم
نظيرك لا شك العناية ترحم
ومستقبل الاجيال في الكون يحكم
وصباح الثلاثاء الواقع في ١٧ حزيران ١٩٢٠ اعدمت السلطات
البريطانية في سجن عكا الشهداء الثلاثة الاجراء : فؤاد حجازي وعطا
الزير ومحمد جعجوع بتهمة التحريض على قتل اليهود فصوروا التاجر
الثوري الفلة الكراة التي اقدمت السياسة البريطانية عليها بقوله :

دافسوا عن بلادهم فرموس
انهم قاتلون قصدا وعمدا
بين حكم القضاء والعدل سدا
لا تغالوا مراتب الغر تهدي
مثل من يطلب العلى مستعدا
صليهم في البلاد فردا وفردا
ملأوا السهل والروابي جندا
سلم الجدد والملاء معسدا
حين فسم الاضال شوقا ووجدا
سد والمجد بارقى تهدي
شهداء تدان للظلم وتردي
فكان الدجى على السجن مدا
رجعها في اصالح السجن رعدا

فسم الله ان تقضى بسجنك حالما
وفي الموت تفتح النفوس وكريم
وعلمنا بالسجن ما ليس بظلم
جيبا وان الحق لا يتكلم
الى شرفات السجن والسجن مظلم
نفاغم شر الصوم والجسم يهدم
سوى الله ان تقضى بسجنك حالما
وما اخذهم نوبة وتندم

فسم الله ان تقضى بسجنك حالما
وفي الموت تفتح النفوس وكريم
وعلمنا بالسجن ما ليس بظلم
جيبا وان الحق لا يتكلم
الى شرفات السجن والسجن مظلم
نفاغم شر الصوم والجسم يهدم
سوى الله ان تقضى بسجنك حالما
وما اخذهم نوبة وتندم

نفاك الاسر



نمشي او نركض او نظير
نركب البحر والبر والاثير
جسمنا حمل ثقيل ،
انقله الهواء والماء والتراب
فيه رائحة الفناء وتنن الجيف !
والموت حقير تافه ضد الحياة !
نرفض الزمان ، نوقفه ، نقتله
لن ينفل في اجسادنا الثقيلة
ليتها تبقى خفيفة ، خفيفة
تلفظ الفناء والموت وجيفة
وساحات الجليد نرتادها ،
ندفن فيها موتانا
بسرعة البرق يفيق الموتى
نذكر الماضي
مثل اهل الكهف في عهد قديم
بعد هزات عنيفة ، سابعهم كلهم
من بساط الريح في الف ليلة
ورحلات الفضاء في كل حلم
تموجات الفكر في وادينا
أطلق الطائر والصاروخ ومركب الفضاء
وفي القذ نتنصر على الزمان والمكان
والهواء والماء والتراب
نفاك الاسر عن رموشنا وايدينا
والكواكب نطلقها كما نشاء
نطوف معها في براري الفضاء
نترك الارض الثقيلة ،
والهواء والماء والتراب
نهرب من ويلاتها ووحوشها
نصد التاريخ وافيونه
نفتح صفحة بلا حروف
نحيا الى الابد بلا حروف

ثريا ملحس

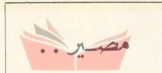
لا شيء ، نحن لا شيء
وماذا تكون نحن سوى لا شيء
في انفنا كبرياء جفاف
وفي قلوبنا وحوش ضاربة
مهزلة نحن في هذه الارض
وارضنا مسرح مكسور الحوافي
عدته الفئران والتمال والفيافي
في عيوننا ضوء جواد
مسمرون في التراب
نستف ذرات التراب
عظمتنا تراب ، لحننا تراب
والدود اقوى ، ينخرنا ،
يمتص منا الحياة
التاريخ يحتال علينا وعلى الابناء
روحنا تخلد على مر الزمان
يسد عن عيوننا نورا وعشبة الخلود
ينهار الفكر ، يلعن ساعة ..
.. خلقنا مثل الوحوش بلا دليل
وظل الوحش ينهش منا القلوب والعيون
ان صعدنا في الفضاء
وما بعد الفضاء
او لضمنا بذراعنا القطبين
او حننا في اعماق الارض
والصخر والحجر
ورفسنا باقدامنا الهزيلة ،
ذات الزمان وذات المكان
الهواء والماء والتراب وما ينبت التراب
ويخرج الماء والهواء
وجدنا الخراب والفضال
في دربنا والبياب
وما تكون الحصيلة سوى جديلة قديده
او فتيلة بلا رواء ،
او شعرة بيضاء





يسير في ارتقاء ،
عيناه شاردتان ، وفي
فمه عقب دخينه لم
يعد يومض بنار . وكان
ينقل رجله كانما يرمي بهما في حماة
طين ، ولكنه لم يكن حذرا حذر من
يرمي برجله في بركة لا يعرف لها
قرار ، وانما كانت حذاه تصطدم
بالارض كان له معها ترة . كان قيمه
المخطط القصير الاكمام قد استحال
لونه حتى لم يعد ينتسب الى لون ،
وارتخت عضلات سرواله حتى انتفخ
موطن الركبة منها ، وبدا وقد براها
البلى ، كانما توشك ان تكون غريبالا
يتيح لانوار الشارع ان تفر ركبته .
كان وجهه الاسمر يؤذن بضوء تكاد
تتحلق عينيه السوداءين . وبدت
جبهته متفحشة كانما يحمل على راسه
ثقلًا يخشى ان ينهار . وبدا عنقه
من قيمه المفتوح الازرار منكشفا
عن وريدتين يتقلضان في انفعال . وغر
خديه ولبته شعر فاحم متيقظ ،
وبدا سامعاه المتولان في قوة وعزم
كانما تبتنان عن رغبة في سراع .
سار ثم سار لا يحفل بالذين
يصدمهم في سيره ، كما لو كان
يسير في طريق لفظته ارجل السائرين ،
ولكن اذنيه اصطدما بصوت ناعم
طري بهتف :
— شيء ... بركة الله .
وتشافت اذناه ... فاصداء
الاصوات العالية العنيفة التي كان
يحفل بها الشارع : اصوات منطلقة
من باعة متجولين ، من سيارات
وشاحنات ، من ركاب دراجات
وعربات ، لم تكن اذناه تحتفلان بكل
ذلك ، ولم تكن عيناه ... ولكن الصوت
الناعم الح في سؤاله :
— اذاك المؤمن .. شيء بركة الله .
ولم تثره الكلمات مثل ما اثاره
الصوت الناعم الصغير الهاديء الملى
بالحنان والاستعطاف والطفولة .
ولم تتشغل اذناه هذه المرة ،
وانما احستا بوقع الصوت الريان
فاستجابتا لحنانه وهما تسترذبان .

وتعمدت عيناه الا تلتفتا لمصدر الصوت
عله يجود مرة اخرى بدفقتة الدافئة ،
وتباطأت رجلاه في غير توقف ، وران
بين ناظره ظل يتبعه ، يقصر عن
ذلك ولكنه يجاهد ليلحق به وهتف
الصوت مرة اخرى في غير باس :
— الله يخلي لك اولادك .. اذاك
المؤمن .. شيء بركة الله .
وامتدت يده ، دون ان تطرف
عيناه او تتوقف رجلاه ، الى جيبه ،
وبحث اصابعه في قلق بين منديل
وعلية دخائن وعلية وقيد ومجموعة
مفاتيح وموسى صغير ، تلمست
اصابعه طريقها بين كل ذلك لتصل
الى قعر الجيب باحثة عن عتسر
فرتكات .. وسار الظل الصغير



بقلم عبدالكريم غلاب
http://Archivebeta.Sakhril.com

يحاذيه ، وتلفت الى الارض ليسرى
الظل يلاحقه كانما يريد ان يطوله .
وانتزع الظل عينيه من شرودهما ،
وعاد الصوت بنغمه العذب بهتف :

— الله يعطيك حجة في النبي .
واستجاب عيناه واذناه جميعا ،
وتلفت هذه المرة نحو مصدر الصوت
ومصدر الظل ، فكانت بنتا صغيرة
عذبة المحيا جميلة العينين ينطق
وجها باليوس ولكنه لا ينطق بالفعه .
وابتسمت عيناه لعينيها كانما تعرفانه
من زمن بعيد . حاول ان ينتزع من
فمه بسمه يرد بها التحية ، ولكنه



لم ينتج الا ان يريح العيوس من
وجهه فيما خيل له .
وتباطأت يده في جيبه ، فقد
احس في اذنيه شوقا للوت العذب .
ولكن الصبية اطمانت الى ادراكه فلم
تزد على ان مدت يدا ، واسرعت
برجلها تلاحقه في صمت باسم .
ورفع عينيه عن وجهها الصبوح كانما
يحاول ان يستجديها هو الآخر ، فلم
تبتخل ، وانما رفعت وجهها اليه وهي
تمد يدها تكاد تلامس ساعده :
— آوى اعطني شيئا استعين به
على غذائي .. ربال له .
وارتفعت اصابعه من جيبه
بالفرتكات المشرة ، وضعا في براه
ثم امتدت الاصابع تبتح عن قطعة
اكبر .. خمسون فرتكا هذه المرة ،
ونفحها القطعتين دون ان يقاوم شوق
عينيه للنظر في الوجه الباسم
الشاك . وسمع الصوت مرة اخرى
يفرد :

— الله يخلف عليك .. الله لا
يجوع لك كيدا ..
وانطلقت الارجل تسعى في خفة
تكاد تقر . واحس كان شيئا يهرب
منه فانطلق صوته بهتف بها :

— تعالي انت .. تعالي يا بنتي .
وتلفت الصبية نحو مصدر الصوت ،
وتوقفت رجلاها الدقيقتان وهي
تفكر :

— ربما .. ربما كان ما اعطاني
كثيرا يريد ان يستعيد بعضه ،
ودست كفها الدقيقة المقلقة في ثيابها ،
واستجابت عيناه ببسمه لأمعة
ووقفت تنتظر .

واحس محمود بتخوفاتها فابتسم
للعينين الطافحتين بالصفاء وهو
يقول :
— تعالي ... لا تخافي .
تقدمت نحوه خطوة وتقدم خطوة
وهو يقول :

— من تكونين ؟
— انا ؟؟ عائشة ...
ورد الاسم في اذنيه كانما لم يكن
يتوقع ان يسمع اسم عائشة ، وعادت

عيناه تسبحان في الفضاء ، وعبد وجهه الكالح يكتسي صرامته ، وتفنضت جبهته من جديد والابتسامة تفارق وجهه . وطاف بوجه عائشة طيف من الدعر ، ولكنها حاولت ان تغلب على ذعرها بابتسامة خفيفة انزعجتها من مخاوفها ، وسرعان ما ارتدت العينان الصارمتان الى الوجه الصبوح ، وهو يسأل يكاد يكذب اذنيه :

— قلت ... اسمك ... اسمك مسالاً ؟
وعاد الاطمئنان الى البنت الصغيرة وهي تجيب مؤكدة :

— عائشة ... عائشة يا بوي .. وردد معها محمود وكأنها يريد ان يتأكد : عائشة ... عائشة .. اسم الياف اليه ، فهو يردده في اليوم عشرات المرات حينما يصحو من نومه ليوقظ عائشة من نومها لتعد نفسها للمدرسة ، وهو يردده حينما يعود الى المنزل ظهرا لتناولها عائشة طعامه ، وهو يردده مرات يستحثها ان تتناول غذاءها لتلتحق بمدرستها ، وهو يردده مساء حينما يعود من عمله مكثودا في حاجة الى كأس ماء او غلبة وقيد او قطعة صابون يغسل بها ما علق باطرافه من اردان العمل ، وهو يردده حينما يريد ان يستحثها على مراجعة دروسها . ولكن اسم عائشة لم يقع في اذنه مثل وقع ذلك والصبية الحلوة تنطق به في صوت عذب :

عائشة ... عائشة .

وحاولت عائشة ان تقلت ، وهي تودعه على عجل ، ولكنه التفت اليها وهو يستبقيها :

— تعالي ... فما تزال عندي بقية من اسئلة .
وتوقفت عائشة مترددة لا تدري اتفق ام تفر . فمد محمود يده مرة اخرى في شبه انفعال الى جيبه لينتزعها بالبقاء .. واكثر ثغرها من ابتسامة سعيدة وهي تطرد ترددها

فتقترب منه بدلا من ان تفر . تشاغلته يدها ليستبقيها ، ولكن فكره كان ما يزال يسبح : انها في سن عائشتي ، ولكنها اجمل واحلى .. ربما في مثل ذكائها فعينها لامعتان وحديثها دقيق معبر عذب ، حركانها نشيطة مثل نشاط عائشتي .. بائسة قياها المتسخة ورجليها الحافيتين ولكنها غير وضيفة .

وطفر الاسم مرة اخرى الى فكره وهو يسبح :
لم يمنحها اسم عائشة عن ان تمتد يدها بالاستعطاء . ربما لم يكن لها اب



عبدالكريم غلاب

يحمي يديها عن ان تمتد للاستجداء بدلا من ان تمتدا لقلم تحمله وكتاب تقرأه ، ربما لم تكن لها .. ولكن .. وانتزع من افكاره قلق بدا في عيني الصبية وقد طال تحديثها في اليد الباحثة في الجيب ، فالتفت اليها يسأل :

— ولكن من يكون ابوك ؟
وفوجئت الصبية بالسؤال وقد بدا لها فضولا لم تجده عند اي من الذين تلتقي بهم لتستجديهم فيمنحون

او يمنعون ، وحاولت ان تخلص من السؤال اذ فكرت في ان محمودا يفكر في ان يشكوها لوالدها . وتطلعت اليه بعينها الضاحكتين ، وهي ما تزال تطعم فيما تستخرجه الاصابع الباحثة في الجيب ، وجدت السؤال ما يزال يحوم في عينيه فاجابت :

— ابي هو ابي ..
وضحك محمود لهذه البذاجة المفتعلة ، وأدرك انه يجب ان يفي ، فان يده حين امتدت الى جيبه كانت وعدا جذريا بالوفاء . وخرجت يده بقطعة فضية بيضاء . وامتدت اليد وهو بين سبائته وابهامه كأنها يريد منها ان تتأكد من ان القطعة درهم كامل . واكثر فلم عائشة شكر استنان دقيقة بيضاء ، ابتسامة شكر واعتراف بالجميل ومدت يدها تأخذ الدرهم وهي تدعو له :

— الله يخلي لك بيتك .
ووقعت من نفسه كلمة «بيتك» وقعا غريبا : كيف عرفت ان لي بيتا؟ وانصرف عن هذا الخاطر ليعيد السؤال :

— اما تريدني ان تخبريني من ابوك ؟
ولم تقو عائشة على المقاومة هذه المرة فاجابت في سرعة وثبات :
— ابي اسمه محمود .
محمود ... ؟

لفظ السؤال في استغراب وبصوت ناكز ، وازداد تطلعه لزيد من المعرفة ، ولكنه احس ان الاهتمام والصرامة اللتين تجللان وجهه تبعثان شيئا من الرعب وعدم الاطمئنان يسدوان سريما في وجه الصبية ، فساد يصطنع الاطمئنان وهو يصعد السؤال :

— ابوك اسمه محمود ؟
وعاد الاطمئنان الى الصبية فاجابت في تأكيد :

— نعم اسمه محمود .. اعرفه ؟
واربكه السؤال فهو لا يستطيع ان يقول لها لا يعرفه .. محمود هذا الاسم الذي تردد في اذنيه قبل ان

عيناك في قلبي

تعال تلق منزلي منزلك
ببسمه من شوقه استقبلك
كيف قلبي وهو في الحب لك
فواحة ملء الثرى والفلك
حتى اسوداد الافق عند الطك
غنالك مسرورا كما غازلك
كم ماد تيتها بعدما استمهلك
ما بيننا.. غني أنا قبلك
بخدها كم قبلت انملك
كلاكما عيني وقلبي امتلك
عيناك في قلبي.. فلن اسالك

رياض معلوف

يا ساحر العئين ما اجملك
فانظر تر الشباك مستظفرا
والباب مفتوح على رجه
الفصل ملء الدار انفاسه
وكل شيء حولنا ضاحك
والليل المسجون في كوخنا
فالمقعد المشتاق مستانس
والضوء هذا نوره فاضح
تلك الورود الحمر في كويها
أراك مخجولا كما اخجلت
ان كنت تهواني فلي شاهد

زحلة

— والان اين يعمل ؟
— والان لا يعمل شيئا هو دائما
في «البراقة» ينتظرننا ظهرا ...
وينتظرننا مساء .
— ينتظركما ..؟ انت ومن معك ؟
— أمي ... أمي .
ارفعتنا الاسئلة فنفرت وهي تولي
الاداب قائلة :
— الله بهنيك .. مع السلامة .
وتوقف محمود وهو يتطلع الى
البنات الصغيره عائشة تجري وراء
صيد آخر تلاحق ظله وبداها الصغيره
ممدودة . وخيل اليه انه يسمع
صوتها العذب يهتف :
— شيء بركة لله ... الله يخلي
لك اولادك .

وعاد محمود الى بيته الصغير
المتواضع خلف العمارة الكبيرة ودخل
الباب وهو يحس انه يجتاز عتبة
«براقة» . عائشة تقلب دفاترها
تبحث عن كتاب .. «رحمة» في
المطبخ الصغير تعد الغداء .. وقف
بين ابنته وزوجته وفاضت عيناه
بدمعتين كبيرتين وهو يجهد نفسه
ليخفي عنهما ان المعمل قد طرده .

الرباط - المغرب عبدالكريم غلاب

الاستجداء دون ان تعرف علة لذلك ،
او تفكر يوما في انها ما كان ينبغي
ان تمد يدها مستجيده . ولكنها
خبيت ظله وهي تجيب في وعي :
— وعد الله يا بوي .
وسعدت زفوة طافحة بالالم وهي
تردد :
— وعد الله يتصرف يا بوي ...

وبدا محمود يحس بانه امام نفس
مغلقة على اسرار خاصة . ولكن
اسم عائشة كان قد حطم بينهما
منطقة الاسرار، فتجرا وهو يسالها :
— ابوك السي محمود (اوفضل ان
يذكر اسمه مقرونا بالسي ليزيد
اقترابا من نفسها) مريض ام هو فقير؟
— ليس مريضا (وفكرت قليلا قبل
ان تصيف متعثرة) ... وليس فقيرا .
— وماذا يعمل ؟

وواجهها السؤال كأنها لم تكن
توقعه ، وتوقفت قليلا وهي تتطلع
الى وجه محمود ، وكانت عيناه
الحادتان في عينيها كأنهما تامران
بالاجابة :

— يعمل .. لا كان يعمل .. كان يعمل
في معمل .
— واحس بالحاجة الى مساعدتها:

تعى اذناه ، واستمر يسمعه اربعا
وفلاني سنة دون ان يجزؤ احد
بالسؤال : اعرفه ؟ ومحمود هذا
الذي يلتقي به في الشارع والمعمل
والدكان والخفي فتلتقي العينان
ويتعارف الوجهان دون ان يتيس
احدهما لآخر بـ «السلام عليكم»
ولكنه لا يعرف محمودا هذا الذي
تحدثت عنه عائشة .
وزاياله الارتباك قليلا وهو يجيب :
— لا .. لا اعرفه .

وادرك ان الصبية سرى عنها ،
فهي فيما يبدو لا ترغب في ان يعرف
احد من هؤلاء الذين تمد اليهم يدها
بالسؤال فيمتحنون او يمنعون اياها
محمود ، لانه هو نفسه لا يرغب في
ان يعرف احد ان عائشة هذه التي
تمد يدها بالسؤال هي ابنته ،
واكتفى بهذا الذي ادرك من ملامحها
فسال :

— ولكن يا بنيتي لم يترك السي
محمود هكذا تمدين يديك بالسؤال
وقد كان من واجبه ان يحكمي ذل
المسألة ؟

القي السؤال ثم فكر في ان عائشة
لن تدرك شيئا من هذا الذي يسأل
عنه ، فهي ولا شك فتحت عينيها على

عن هواء ، ولا يجد ملاذه الا في عيني من يحب :

غريب يمر بدمرب الستين على كتفيه ربيع سنين
يسأل ايامه عن هواء فيعصف في جانيه الحنين
ولما احس الضياع التسي بعربد بالثك فوق الجبين
تلمس في الظلمات الوجود وانت الوجود ، فهل تعلمين؟

وابراهيم عبد الحميد عيسى .. عاشق لهذه الاقاييم الثلاثة :
الحب .. والفرة .. والجراح .. حتى لحسن من خلال افراذك له .. انه
احيانا تلمس مواطن الفرة والجراح في حبه .. او نوازع الفرة والحب
في جراحاته .. او سطوة الجراح والحب في غريته .. وهو حين
تستطيع هذه الاقاييم .. او حين يستقطبها هو .. يعطينا وجهه الحقيقي
في شعره الذي يقيم وتوارى ويتلفح بالثك الف سحب ، حين يلمس
جلجلة الشعر الحماسي ، او حين يفني للمناسبات .

وابراهيم عبد الحميد عيسى انسان طيب - ان صح هذا التعبير -
رفيق رقة الطيف .. يتوفى دائما ان يشارك في ندوات الشعر النابضة .
الا ما ارتبط به منها ارتباط صداقة واصدقاء .. حتى في هذه ايضا
تراه عاشقا لحظاته بكل ما للطيح الحال من رقة وروعة وعجور ،
ولكن ذلك كله لا يعطي عن شاعرنا الرقيق الحال انطباع العزلة ولا
لون الفسور . انه يعلا ايامه ولياليه بتقوحاته العاطفية ، وارتباطاته
الانسانية ، وهو في جموع اصدقائه الغم الذي لا يسرف ان يتفلسف
بالخرس ، والروح الطائر الذي لا يمكن ان يتلج نفسه بالصمت ومحاولة
التوفر الملول .. يقول في قصيدته القريب :

لقد كنت في شقة الحب لحننا وما حمل القلب شوقا معنى
وكنا اذا ما التقينا .. تقني .. ودعوي .. وتنتج للبحر عينا
ويتخسر في شفتينا النداء فنحصر من كرامة الحب دنا
وكنا اغاني الصبا والهوى وكنا الليالي ، وكنا .. وكنا

الم أقل لك ان هذا الشاعر يحق في فضاء ملون الابداع حينما
يلقي للحب والفرة والجراح ؟ ان ازيمله الشاعر الفنان حين ينحت
لنا هذه اللوحة الواضحة التي يعكسها هذا البيت الاخر :

وكنا اغاني الصبا والهوى وكنا الليالي .. وكنا .. وكنا
ليطفي النسخ الاولى على ان شاعرنا معاشي لكل مفاهيم شعبه ،
ونقايد ، ولحانه الدالة الموهوبة .

ان تعبيره الرافض «وكنا..وكنا..» ليوحى لنا بتداعيات الموقف
الحادث بشكل يعجز كل الكلمات والتعابير عن ان تعطي مثله كل هذه
الدلالات : «كنت..وكنت» .. والذكرات .. ليظهر كالفرشات من
بين اتمال الكلمات : «وكنا..وكنا» .

وتلح النقطة الشعبية بكل ابجائها الفني على شاعرنا المعطاء ،
فيعطينا لنا حلوة وابتقة في مقطع آخر من نفس القصيدة :

ذكرتك والطير تبني العشاش لندبا هوانا .. فعلا ذكرت
وكنت اتاديبك بالقتين .. بهمي .. اتاديك حتى يصمتي
وكنت اغنيك اشواق دوحى فصار حديثي .. كنت .. وكنت ..

انه يوح لنا بتاريخه كله .. ماضيه ، وحاضره ، ومستقبله ، في
كلماتين : «كنت..وكنت» .. وولست احب ان اغبر هذا المقطع الى سواء
دون ان اعاطف مع العمق الواهب في كلماته وحروفه :

وكنت اتاديك بالقتين بهمي .. اتاديك حتى يصمتي
ان صدق الوجه العاطفي في هذه الكلمات يتخطى دائما نخوم
الجمالية الى اعق اعماق الموضوعية ، ليتزوج بينهما في وفاق فاهم
منفسوم .

ولكن الفرة ، والحب ، والجراح .. في شعر ابراهيم عيسى ..
لا تسير كلها في دروب مضيق صافية ، تنكس اعماها البسيطة في
هدوء .. انها تستحيل احيانا كثيرة الى ما يشبه الفتيان ... ربما
يحدث ذلك حين تنكف اقايمي الثلاثة ، او حين يتكهن هو باحاسيسه



محمد أحمد العزب

الشاعر ابراهيم عبد الحميد عيسى

بقلم محمد احمد العزب

نحن في هذه السطور امام شاعر حقيقي ، يتكلم في حبه الشعر
المصري ملاح صافية ، تنفع بكبرياتها الفني .. وخوضتها الفنية .
ولعل الحديث عن شاعر ما ، يفتأ اشياء - ادبها الفتيان .. بل يفتأ
الشعري .. مدى موامة الشكل للموضوع او مدى تباينهما .. الخصائص
العامة التي تلون انتاجه وتعاون رؤياه ..

اول ما يبدتها في شعر هذا الشاعر الفنان ، ان ادائه الفنية
مستكملة الى حد بعيد ، بحيث يبدو واضحا انه واق تماما من التعبير
عما يحسه او يراه ، يملك في اعماقه الشاعرة حاسة جمالية مرهفة ،
تتمشق فيما يشبه الصوفية روعة الكلمة ، وجلال الصورة ، وانافة
التعبير .. حتى ليخيل لي الفاري - احيانا - ان في شاعرنا اهتماما
بالجماليات قد يطغى على اهتماماته المضمونية ... ولكن الفاري
المتأني الفاهم لا يلبث ان يدرك ان تعشق الشاعر المظهر الجمالي في
شعره ليس محاولة هروية لتجميع مضمونه الثري ، بقدر ما هو امتحان
عسير للامكانية التعبيرية حين يطوعها الشاعر لاحتواء مضمون كبير .
في قصيدة «العودة» تستلم ملاح الشعر الجمالية ، ويبين
خمس المضموني :

وعادت كالضياء الحلو يولد في جفون غدى
وطاف السكر في عتي وعاد الكاس طوع يدي
وهش الفش جلاثنا لسود الطائر الفرد
وزرق فانتشت دوحى ونفى الجرح في كيدي
وايقظنا ليالينا ونام الشوق في جسدي

ان ازيمله الانيق الذي ينحت به الهيكل الشعري ليسوي بناء
كاملا وجيلا ، لا يمكن الا ان يكون ازيملا وابها فانا .. لا يمر من
لحظة الى لحظة الا على بدي لسة في او ارعاشه عطاء .
ان الشاعر ليستحيل الى ذبذبات كونية ماثمة ، حين يترب

الى ابي

من ديوان للشاعر الفريد ميشال نعمة بصدرقرنبا في بيروت

على تهمات الدعاء
اليك مدار العناء
ورودا وعطر وفاء
الكبار رباح الفناء
ودنيا رضى في الشقاء
ويقفسون دون اهتداء

الملاح اليك انطواء
اخضرار وبركة ماء
عليهم يفيض عطاء
يظل كمثمل انتشاء
ولا العمر حلو الرواء

وذكرك ملء دماي
التراب ... عن المين ناء
وبا طيب ذاك اللقاء

ميشال نعمة

تموت قبيل هنائي
ونحن عيون تهف
لنفرش أرضا وطئت
تموت حرام تلف
فهم نعمة في الرخاء
يجدون طول الحياة

ذكرتك عند العشاي
تحب القمود حيال
قبالتك الولد تحنو
تحب الوجود طروبا
وتهوي فلا الجو طلق

ابسي كيف ينداح فوح
رجائي وانت ربيب
رجائي ان التيك

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

الشوق الابدي الرابط بين آدم الوجود وحواته ايدا ... وهو في سبيل
ذلك يدنو فتاته الى لون من الوان التخابث الشاب ، الذي يتمرس به
كل من احب..وكل من سيحب ..

تغمي .. تغمي يا حلوة التمنع
تم ارمي على فمي ومزقي .. ولطفي
وان شربت من دمي رحيقه .. لا تقمي
تذاء بي .. فاني احب فيك مصرعي
فان رنا لنا القريب واستشار مخدعي
تغمي حكاية من الجفيا .. تغمي
وقاوميني .. والغبي .. وخاصيتي .. وادعي
فان خشيت ربة... وفولهم : كانت معي
تغمي .. تغمي.. يا حلوة التمنع

الم اقل في مطلع هذه السطور .. ان ابراهيم عبدالحميد عيسى
شاعر حقيقي بشكل في جبهة الشعر المصري ملاع صافه اصيلة ،
تنفع بكربائها الفني ، وخصوبتها الفنية ؟

انا واثق من انني قد قلت بعض ما اعتقد ..وان عافني الحب
للشاعر عن ان اقول كل ما اعتقد ، حتى لا يستحيل القبال الى
مهرجان للشاعر الفنان..وهو جدير به..

ولكني هنا اتوقف .. املان ان اعود اليه مرة اخرى .. في لقاء
اغني ..والري ..واخصب..فالي اللقاء ..

محمد احمد العزب

القاهرة

الشاعر المستوفز ...

في قصيدته : «الفياع» .. نحس فعلا بالفياع ، وباللزوجة ..
وبالفتيان وبان كل شيء مشبه تماما لكل شيء..وبان الذي يعذب
الشاعر وسط كل هذه الظلمات انه لم يفقد معها وعيه الدائمي.. ولم
يفقد عن حقيقته شيء ، انه يحس فطرات الفياع وهو مستمدود
العيتين .. بقلان الاحاسيس :

قد عدت يا خمار فاتنح حاتني فعلى جدار الليل بحت صرختي
واهتف باقداحي .. لعل رحيقها صببو فيفر لى بقايا بونسي
فالريح تنبع في الدروب ولا ارى الا سفوحا تترسب لغمتي
وتنس اسواب الدجى وتصب في كاسي رحيقا انكرته كرمتي
فترنحت كاسي..وراسي لم تزل حيرى مطربة بسوط البقلة
ان كل شيء يسكر حول الشاعر ولا يسكر هو .. ان عذابه في
يقلته .. في وعيه .. في حسه الفاتح احداقه دائما على كل ما حوله
.. ومن حوله ..فاذا قدمت فتاته اليه..انسرب من اطار الوعي الى
دنيا مملوءة بالمهيمات ..اللحظات مهيمه.. والاحاسيس مهيمه ..
والحوادث القائمة بين الحسوس واللامحسوس مهيمه كذلك .. انه
يلمس الهمس من شفتيها .. ويسمع باللمس سرا تروح به الكفان :

شغفك كم همست بشوق صاحب ظمست .. وسكينه في مهجتي
ويداك كم ياقت يسر عاشق ففرقت .. وسمعت باللمسة
ان شاعرا ليس سطحا كادا لاعماد راكدة.. انعام الوجه.. والاعمق ..
عالم الشوق واللذة..مبحر في الدفوة الى غرامه اللذة الى شواطئ لا تعرف
القرار ..انه ان عشق ، كان ضارما في التعبير عن شغفه .. هائلا
بمحبوبته ان تقف معه على ربوة الانفعال والنف ..حتى تتجدد حقيقة



عبد العزيز جادو

اعمل بانسجام .. مع قوانين الطبيعة

بقلم عبد العزيز جادو

لقد اجمع المفكرون والكتاب والعلماء المتخصصون في مجال العلوم النفسية على ان العقل اللاشعوري ينفذ طاعة وسجابه ، وخلقه وتربيته - في جميع الاحوال - مع العقل الواعي .

وهذه الحقيقة المؤكدة التي لا خلاف فيها ، تبين ان اللاشعور يمكن تهذيبه واصلاحه ، ويمكن تثقيفه وتعليمه لكي يكون وسيلة فريدة للوصول الى الحق والجمال ، والصحة والسعادة والنجاح . فالعقل الواعي انما يعمل كحكم ، وكمرشد ، وكقائد ، ورئيس شرعي للفرد .

ولن اسهب هنا في الحديث عن الناحية الروحية من الحياة ، لاعتقادي انها مسألة فريدة ، ولكنني اؤكد اننا سنكون اقوى واسعد واكثر نجاحا وتفوقا اذا نحن تمسكنا بالجانب الروحي في حياتنا حتى ولو من قبيل الفلسفة فحسب .

فمن الواجب علينا ان نتعرف بوجود قوة هائلة عارية لا تسامى .. قوة تستشعر بسلطانها وسلطانها في توجيهنا نحو الخير ، والمشاركة في الحب . وبدون هذه القوة والقدرة تظهر تفاهتنا ، ويبدو للعيان جهلنا ، ونشعر بضعفنا وانحطاطنا ودونيتنا ، فننطوي على انفسنا ، ولا يكون امامنا من نستمسك بحبله ، او نلجأ اليه ، او نتملق باسبابه ، حين يعترينا ضيق او مكروه ، ولا يعنا اراء ذلك الا ان نواذي عن الانظار . مستكينين ، مستسلمين للنواب والآراء .

ومن الضروري كذلك ان نعترف بالحقيقة التي تؤكد ان كل شيء في الدنيا انما هو خاضع لقانون . وان للحياة نواميس تجري عليها . والجهل ببعض هذه النواميس لا يعني انها غير قائمة .

ويتحتم علينا ان نسلم بجميع العوامل القادرة على التعاون من اجل الوصول الى الغاية التي هي : الصحة ، والقوة ، والسعادة ، والنجاح ..

وعلم الصحة العقلية ، وقانون الصحة الروحية ، لهما قيمتهما التي لا تقدر . اما الكوارث والاهوال ، واما الفقر والفاقة ، واما الضعف والضعف ، فهي جميعا من نصيب اولئك الذين لا يكتفون باحتياجاتهم ، ولا يهتمون بمطالبهم .

وطبقا لقوانين يجب ان نعترف بها ، يمكن للقدرات العقلية والروحية ان تمتد وتكبر ، ويمكن لطاقاتها ان تنمو وترقى . اما الذين لا يهتمون بهذه القوانين فلن يحققوا اي امل في النجاح .

وانه لمن الجهل والخرق ان نسلم - والعقل في سموه وعظمته - بان لا حاجة بنا الى العمل بموجب قوانين او قواعد نسير بمقتضاها ما مدنا احرارا في توجيه اسلوبنا في الحياة حسب ما نهوى ، وفي استعمال طاقاتنا في فعل غير مفيد . وهذا الاسلوب لا تكون مغيبته الا الضعف والجيرة والارتباك . فهو تبديد تام للطاقة .

وقانون الصحة العقلية لا بد ان يكون مرتبطا ومحكما بقانون الصحة الطبيعية ، ويتم هذا بدقة متناهية عملا بقوانين العمل الطبيعي . وهذه القوانين ليست سهلة الفهم كما ان كتابتها ليست سهلة . فلو استعملنا ما نعرفه منها بفهم وادراك فيعود على الانسانية جمعا بالنفع والفائدة .

وعلم الصحة الطبيعية مرتبط بالضرورة بالصحة العقلية ، كما ان علم الصحة العقلية ضروري هو الآخر للصحة الطبيعية ، فكلاهما لا غنى له عن الآخر . وان دراية شاملة ومعرفة عامة جامعة بالتشريع ، وبعلم وظائف اعضاء الجسم البشري ، وبالقوانين الموصلة لانشطتها الصحية ، لهي من الامة يمكن .

ومخالفة القوانين في المجال الطبيعي فيه اثم وضرر بليغ ، كمخالفة القانون في المجال العقلي والادبي سواء بسواء . والعقل السليم لا يمكن ان يظل موجودا في جسم سقيم الا بقدر ما يمكن ان يجد العقل السليم اقامة طويلة الامة في جسم سليم . فالحالة هنا فيها تناقض ، والمطابقة يجب ان يكون فيها تانسق وموامة وانسجام .

والاسمى او الاعلى اكثر قدرة واكثر صولة من الادنى .. الرئيس اكثر نفوذا من المروءس .. وفي مقدور القوى ان يحمل الضعيف على الاذعان والخضوع والامتثال .. واذا منع من الجسم الطعام المناسب والثواب والتعزير والوقاية من التأثيرات الضارة فلن تفيد اية كمية من الطاقة العقلية في الاحتفاظ بصحتها .

فيها ، في طوبىنا . وننتبه الى كل كلمة من كلماتها التي تنطوي على التحذير أو التهيب أو الترهيب . . . وتأخذ بتلميحاتها عن الرغبة ، وننتصح بنصائحها المفيدة ، وآرائها السديدة ، وتوجيهاتها الرشيدة .

ويمكن الاعتماد على هذه القوة في اية مهمة من مهام العيش ، والوثوق بها ، والركون اليها في كل امر من الامور . فهي فيض قدسي اودعه الله فينا ، وهي قبس لاهوتي ينير لنا ابصارنا ، ويزعج ستار الشك والغبي عن بصراننا ، وهي جوهر الطاقة العالية ، وفحوى الحكمة ، وخلاصة المعرفة ، وهي لب الحب .

ولقد قرر احد مشاهير اطباء الاوروبيين انه لا يستطيع ان يشفي شخصا من خزة دبوس الا اذا شاء الله . ولقد كانت الكلمات المشهورة المأثورة التي قالها الدكتور امبروس بير اكثر وقعا في النفس ، وذات دلالة ومغزى كبير ، حتى لقد امر بنقشها على مدخل حجرة العمليات : «اني اضمن الجراح ، وعلى الله الشفاء» .

وهذه كلها في الغالب قضايا ان دلت على شيء فانما تدل على التواضع ، وتنطوي على ادب وعلى حياة جم . لا سيما اذا فوّرت بآداء الشفاء المبالغ فيه ، والمزاعم المتطرفة التي يكسوها الكثير من التظاهر الكاذب مما نغاني منه الكثير في هذا الزمان . ولا شك ان هذه الكلمات تعبر بصدق عن حقيقة بعيدة الرمي ، وتدل على الصراحة الى اقصى مدى .

نعلم ان الطبيعة ذاتها هي بمبعث الشفاء ، والطبيعة ذاتها هي التي ترضي وترضخ وتحتمل دون ان يكون لها في هذا الاصول ما نفاس او نظير .

وربما يفضل رجال الدين ان يقولوا ان الله هو الشافي ، وهو البارئ ، ويستشهدون بالآية الكريمة : « واذا مرضت فهو يشفيه » ، وهذا حق لا ريب فيه . ولكن اذا اوجع العلماء كل هذه العوامل الى الطبيعة ، فلأنها من صنع الله بارها ومنشئها ، ولقد جعلها سببا من الاسباب ، كما جعل لكل شيء سببا . وانها لتسير على سنن ونواميس ربها تعالى بقدرته . فهي تعمل من خلال هذه النواميس بآمره لا لتحيد عنها .

واذا نحن بآداء بالمخلوقات الدنيا من اخذنا ترتقي درجات الحياة التي ناهتها ، نجد ان هناك طاقة هائلة موجودة في كل مكان تعمل للشفاء . وهي لا تزال مجهولة للعلم والعلماء . ومن ثم للعقل الانساني كافة . فاذا تكسر غصن من شجرة فان عملية ناجحة للعلاج تتم في التو لتجديد العوار واصلاح التلف . واذا حدث في صيف او في ربيع شخب في طبقة الارض المكسوة بالاعشاب نتج عن محراث او مجرفة ، فان عملية الالتئام تبدأ في العمل بهدوء وفي سكون الى ان يتم تغطية السطح المكشوف في الوقت المناسب بسندس لامع براق من الخضرة الناضرة ، والنبت المورق بألوانه الفضية الراهية الموثقة .

ولكن العقل سينتصر حتما اذا فكر تفكيراً صحيحاً في نشر تأثيرات نافعة ، مفيدة ، وفي البحث عن الزاد الوفير من المواد الغذائية ، وفي تقديم وتهيئة التمرين المناسب لخلابا الفرد ولعضلاته ايضا . وكل هذه الحالات لا يمكن ان ينكرها اي انسان .

تأمل الاهتمام البالغ ، والعناية التامة ، والحماية المعبية ، التي ينالها الجسم ونعم بها عن طريق ما ننميه الطبيعة . ولا حظ كم هي مليئة بالخير والعطف والحنان . . . كلام الرؤوم تحو على ابنائها وترعاهم ، وتكفل لهم الصحة والعافية ، وتضفي عليهم كل اسباب الراحة والرفاهية ! . . . ومن هنا فالحياة ان هي الا تغيرات عقلية وطبيعية مستمرة - تغيرات لا يتم حدوثها في الغالب بوعي .

فاذا كنا نعلم على الترتيب والاصلاح في نظرتنا الى ذاتنا الواعية ، فكيف يمكن ان يكون الفعل المحصل او الناشء قاصراً ، غير واف بالفرض ؟

ان تغيرات الجو ، والطقس ، وتغيرات الضغط الجوي ، والغذاء والماء واللباس - ولا نقول شيئاً عن تغيرات العقل بما يلزمه من عادات وخصال - لها كلها اثر واضح وتأثير بين على التركيب العضوي الطبيعي . وهي في ذلك محتاجة الى عناية واهتمام اكثر مما يمكن ان يحصيا ويقدرها العقل الواعي ليمسك بها .

ثم ان هناك الضرر الذي قد تنعش له جميعا ، وقد يشمل بعضه اعضاء ضرورية لتدعيم الحياة . فاذا ما حدث هذا الضرر - لا قدر الله - نرى كيف يتقدم الالتهام الخاص بنا ، الساهر علينا ، الحريص على صلاتنا ، ويبدأ عمله البناء بما لديه من حكمة ، بكل مهارة ومقدرة . فاذا كان ثمة تلف في الانسجة ، او كسور في العظام ، او جروح عميقة ، فهو يقوم بعمل الترتيبات والاصلاحات اللازمة ليلئم الجرح ، ويرتب الصدع ، ويجبر الكسر ، ويصلح العوار ، بسرعة وكفاءة بمساعدة طبيفة من الخارج ! . . فالجهاز الوعائي (١) في هذه الحالة سرعان ما تتحشد وتتجمع فيه كريات الدم البيضاء التي تسرع متعجلة في طريقها الى التلثة (٢) وتصب متدفقة بكميات كبيرة في داخل الفتحة وحولها . وبذلك تبدأ في عملية الترميم والاصلاح عن طريق التثبيت والارساء .

ارأيت الى الطبيعة كيف تنظم الاشياء وتصلح الامور عندما يفقد الفرد عضوا معينا من الجسم او حاسة من الحواس الخمس فتعمل بسرعة وبمهارة على زيادة القوة في العضو الباقي او في الحواس الاخرى لتعوض النقص حتى لا تقل في مثل هذه الحالات ان « كل ذي عاهة جبار ! » . . .

تعاون على العمل مع قواك الخفية

فلنتعاون على العمل مع هذه القوة العجيبة التي

والسما ذات البروج في عليائها ، والنجوم الزهر
في افلاكها ، والشمس في مدارها ، كلها تسير في نظام
معين خاضع لقانون .

والجمال الباهر ، البهي ، البديع ، الذي تزهو به
كل وردة ، وكل زهرة ، وكل غصن ، والالوان الزاهية
التي تكسو كل ابركة ، وكل شجرة .. كل شيء فيها
جميعا يحدده قانون .

والتشكيل الرقيق المنسق لجناح طائر ، والتكيف
الديق ، لقدم حشرة او دويبة ، يحكمها جميعا ويحددها
قانون .

والطر ، والزوينة ، والبركان ، والزلازل ، والقحط ،
كل ذلك يخضع لقانون ، وان كنا « لا ندري لذلك كنهها ،
ولا نفهم منه شيئا » ..

ولم لا نذهب الى ابعد من ذلك فنقول ان كل نمو
خاص بالانسان - نشوءه ، وتربيته طبيعيا وعقليا
وروحيا - يحكمه قانون ..

ومجامع الانسان ومحافله ، وتقاباته ، وحكوماته ،
وحضارته ، ونظمه الدينية ، محددة بانتسابه وعلاقته
وارباطه بقانون ..

ويصدق هذا ايضا على شعوره ، واحساساته ..
مسراته وافراحه ، وآلامه ، ونعمه ، وسعاده ، وكل
حالة اخرى من حالاته الشعورية ، يقررها ويحكمها صلتها
بقانون ..

بل ان كل شيء في العالم الخارجي من الهباء
المتطايرة في شمع الشمس ، الى سير الكواكب في
افلاكها ، تحكمها عملية القانون ..

يقول كاميل فلاريون (٣) : « ما هو العشق ، هذه
الاحبولة المحبوبة ؟ .. وما هي الآلام القلبية ؟ .. وما هي
العاطفة المتأججة ؟ .. ما معنى تعاون عضوين لبناء عش
واحد ، وما مغزى تفضية الذكر لئانها وهي جائمة على
البيش ؟ .. الست تسمع في كل هذا همسة الطبيعة
ولهبتها الصادقة ؟ .. هل حلت قط هذه الظاهرات ؟ ..
الا ترى في كل هذا نظاما محكما ؟ .. انك ان لم تر الفاتية
العليا لنظام الدنيا فالك ان ترى الشمس في وضع النهار !»

طاقة هائلة

اننا كثيرا ما نتحدث عن «مخالفة القانون» او
«تعطيله» . فحين ينتاب الفرد اعراض زكام شديد ، او
آلام صداع حاد ، فانه يقرر انه خالف القانون. وهذا ما
لا يجب . واذا قيل ان الانسان يوسع ان يعطل القانون ،
فهذا غير صحيح .. فهو لا يمكنه ذلك بياي حال ،
فالانسان ذاته هو الممثل ، وهو الذي يعطل نفسه .. اما
القانون فلا يزال مستمرا في تادية عمله ، ومن المستحيل
ان يخالف مخلوق محدود زائل قانونا سرمديا ابديا . وان

اننا في الواقع لا نستطيع ان نرى او نتتبع مراحل
العملية الهادئة المجددة التي باشرتها الطبيعة لتصلح بها
ما فسد ، وتجدد ما انصدع . فهي اشبه شيء بعقرب
الساعة او بظل الشمس ، يتحرك من نقطة الى نقطة ، ومن
موضع الى موضع ، ولكن لا تستطيع ان ترى الحركة .
واذا اصيب اي جزء من الجسم بجرح فانه يضمّد
كما يجب ، ويعنى به ، ويترك للطبيعة فرصة تؤدي فيها
دورها الى ان يتم الشفاء . اما ما يقوم به الطبيب من
عمل فهو مجرد مساعدة او اسعاف مؤقت . فهو يدرس
الطرق الطبيعية ويكشف عن الكيفية التي تعمل الطبيعة
بها ، ويحاول بكل تواضع ان يعمل معها ويتبع طرقها
واساليبها . وهنا يتكشف الفرق بين العالم والمتعال ،
بين الطبيب الحقيقي والدجال .

فالطبيب الحقيقي يدرس وسائل الطبيعة وطرقها ،
ويجد في السعي لوضع نفسه في مستوى وسائلها
وقوانينها ، ويعمل بها .

اما المتعال فهو يعمل كيفما اتفق ، ويخطئ ويخطئ
عشواء . منتهجا الطريقة التي يقول فيها المثل العامي :
«مرة تصيب ومرة تخيب» . ومن هنا يجب علينا ان ندرك
تماما ان الدجال يحقق نجاحا في كثير من المرات ، وأنه
القادر - بكيفية ما وفي بعض الاحيان - ان يصيب الغرض
ويكون لمعالجة اثر . ولكن ما تكون الطرق التي يتبعها
مصحوبة بخطر بالغ ، وتكون في حد ذاتها مضارة تعرض
صاحبها للخطر .

قانون العلة والمعلول

ومن الاكتشاف العظيمة في العصر الحديث ان ليس
هناك شيء اسمه الحظ .. وما من شيء الا وله سبب ..
فكل شيء في الحياة خاضع لقانون .. والخليفة ذاتها
يحكمها قانون .. هو قانون العلة والمعلول ، والسبب
والمسيب ..

وحينما نتكلم عن الحظ او نعتقد بالحظ ، نظهر
متدار جهلنا للاحكام التي تدبر الاسباب وتأتي بالنتائج .
وليس ثمة مكان او فراغ او حال من الحالات ، او
صفة من الصفات تستثنى من سيطرة هذا القانون عليها .
فقطرات الندى البلورية ، والنسمات العليلات ،
الندبة ، والامواج الهادئة ، المائقة ، والسحاب المرسوم
الذي يشبه الصوف في شكله وتكوينه ، والجمال الرائع
لمنظر الشمس عند الغروب ، هي كما هي منذ الازل ،
وستظل كما هي الى الابد ، وذلك طبقا لناموس مقدس .

(١) المختص بالادوية الدعوية . (٢) التلمة : الثفرة . (٣) من اشهر
علماء الفلك في فرنسا خلال القرن التاسع عشر . ومن اهم وانص
اسس النظريات الفلكية الحديثة. وقد كانت له مشاركات في اكتشاف
الروحية التي سادت في اواخر القرن التاسع عشر .

الى ديدي

ذات العيون الموشاة

ذلك الثرثار يا هديا موسى
اي حمى تنفسي
تتلقي تنفجر
في دم القلب المبعثر
والمنى عرس من الالوان اكثر
وجليد في فم الشمس تحجر
وتكسر ...

في فجاج الدرب والدرب عذاب
وطليب من ضباب، يا صليبا من ضباب!
وقباها من رماد وسراب ..

ايها الهدب المكهرب
اي افعى اي عقرب
تتلقي ثم يصعب
هذه اللعبة اصعب
وانا منها هزار يترقب
لذن الجنحين ازغب
لم يغيب؟
لم اعذب؟

سامي حداد

لندن

في سنا عينيكم كم الف حكايا
ليل الفاظ خطايا
ونواقيس نجوم تفتسل
ومواويل رياح ترتحل
يا رياح الشرق ضمي من سال
اشتياق عجري
وتحد عنجهي
تصهر الروح الغتية
وبح عينيكم وكم الف ضحية
غالها هذب العيون البربرية

آه ، يا ذات العيون النيرة !
خطرة

اي دنيا نصره !

اي صنعة

اي خدعة

بدعة تصنع بدعة

ورقيق الخصر كونشرو فتون

وانا منه شظايا واعاصير ظنون

وغرق في زحام العاشقين

يزرع الامال في جذب السنين

معه ، وهؤلاء لا شك خائبون ، مخطئون ، خاسرون .
فعلينا اذن ان نستمر في رحلتنا مدركين تماما اننا
اذا انسجنا مع القانون ، واثلقنا معه ، فمن المحقق اننا
سننال كل ما نصبو اليه من نجاح وتقدم وانتصار ،
وسننتفع بكل شيء باكثر ما يمكن ، وسنرتب امورنا على
خير ما ينبغي ، وبالتالي ستكون الرحلة دون شك سارة ،
بهيجة ، لليلة ، ذات فائدة عظيمة ، ونفع كبير .

واذكر دائما ان جميع متاعب انما تنشأ في كثير من
الاحوال عن دخولك في صراع عنيف ، او تعارض شديد ،
او صدام صارم مع القانون . وان الفرج والنجدة ،
والنوث ، والشفاء ، والدواء ، موجودة كلها في دائرة
معرفتك بـ : كيف تمررت على القانون وعصيته ، وكيف
توفق في العمل معه بواقعة وانسجام .

الاسكندرية

عبدالعزیز جادو

امراضنا المختلفة ، واوصابنا ، وضعفنا ، وشذوذنا ،
وانحرافنا ، والامنا ، هي البنات البيئة ، والنتيجة
الحتمية لممارسة الانسان للقانون وتصادمه معه .

وليس صحيحا ان القانون عام عالمي فحسب ، وانه
اذا خولف فلا بد ان يسبب ضررا ، بل انه خير ايضا . .
وهو اريحى ، وشفيق ، وهو نافع ومفيد . واذا احسن
استعماله كما يجب صار منبعا للخير لا ينضب .

والشخص الذي يلتزم القانون ويتمشى معه ، يصل
نفسه بطاقة هائلة لا حد لها تجدد حياته وتقويها ، وتثبت
قلبه ، وتميز مكانته في جميع النواحي ، وتفسح له
الطريق الى السعادة والصحة والقوة .

وقد نجد اناسا - رجالا ونساء - لم يعتادوا الالتزام
بالقانون ، ولم يتفهموا اصوله ، ولا يلمون بمبادئه ،
ويحاولون اتباع طرق اختاروها لانفسهم عن قصد وتعمد
لمناوة القانون ، والتصدي له ، والقيام بامور تعارض

أريدك

يغني لك كل أشواقه
وكل مناه
فما العمر أن ضاع شوق وناء ؟

أطيعي مواء فاني الهوى
إذا شئت
كان رهن يديك
وصاغ لك الخلد شعرا وحبا
فمن أنت دون هوى يحتويك ؟
يهدد فيك الشباب الطري ؟

على نفحة الحلم الانصر
وأي هوى كهوى شاعر
يصيد النجوم
يليل القيوم
يلم الشمس
ينمي فنار الحياة
يفرد اما شجته الهموم
وبيعت في الصخر حب الوجود
ومن زاده نفحات الشذى
ومن بوحه بتمات الظنون
فهل تشعرين ؟
والا فما أنت ؟ صبابة
وقيثارة جف منها الحنين !؟

أريدك ، لا ! انني لا اريد
ملاكا يحطم روحي العنيد
يقربني لحظة ثم يمضي
بعطر هواي
وفي جيبه خافقي يستجير
كمصفورة غردت في الهجير
وزهرة
أطاحت بها عاصفات الرياح
فضاعت هباء
وولت كومض سماديره
تعيش باقية الذكريات !

حسن عبدالله القرشي

الرياض

أريدك نورا
يضيء متاهات قلبي
يرغم أشواق حبي
يريني دروب أمانتي في ليالي الموحش
ويرسم في عمق أعماق روحي
تلاوته سحر أشعاه
باوردة من عروق الزهر
وسجع البلابل في المنحدر !

أريدك يا فتنتي منهلا
تهدهد من روحي المتعبة
أفاويقه
فاسكر من خمرة العبهرية
واسكب في مسمع الكون شعري
ملاحن يصفي اليها الوجود
وتهلا بالحب قلب الزمن
وتجعل كل الانام نشاوي
نشاوي الهناءات يا فرحتي

أريدك فتنين ذاتك في
ولا تبصرين بقلبك غير منى لفتاك الحبيب
وغير الوجيب
أريدك امسي الذي مر، يومي، ومستقبلي
بما فيه من أمل مقبل
بما ضم من حلم أول
أريدك اكبر مما أريد
وأروع مما يفيض التقصيد !

أنا انت لو تعلمين
بآهات روحي الحزين
بكل تجاربي الذابلة
وكل تصاميم الآمية
كلانا يحس التمزق يشعر بالكبرياء
يعيش غدا ليس يدري مدا
يغني ويلهث في سيره
يقامر بالحب لكنه
أسير هواه

من هاني الى نجوى

آه ، يا نجوى ! ان هذه الرسالة ليست كغيرها من الرسائل . انها لتعرف اني ، انمي اليك ... آه ! ليس في استطاعة قلبي ان يخط تلك الكلمة الجارحة . لقد اصيب ... برصاصتين من مدفع رشاش وهو يدافع عن منزله وعن مسقط رأسه وعن وطنه ، وكان منبطحا على سطح منزله . آه ، يا نجوى ! من كان يتوقع ان يعبث الاعداء بيافا المدينة الجميلة الحبيبة ؟ وذلك الرجل الشهم الشجاع ... من كان يتوقع موته فجأة ؟

خرجت هائما على وجهي . لا ارض ولا مال ولا مؤن ولا ثياب . لقد جردت من كل هذه الاشياء ، وخرجت من يافا وحيدا كما يخرج الطفل من رحم امه . نعم ، لقد شعرت اني خلقت خلقا جديدا . خلفت في يافا شخصيتي القديمة التي قضت ايامها مرحلة مرورة لتفيض املا وطمانينة ، وتقمصت شخصية غريبة لم تكن تخطر ببالي . شخصية يقيد الوجل خطاها ويعشى الكرب بصرها ويحطم الياس اعضاها .

لم استطع بعدما خرجت من يافا ان التفت ورائتي لادعها الوداع الاخير فقد طفت مرارة الهزيمة على حلالة الذكري ، وشعبني اعدائي بدلا من اصدقائي .

كل شيء قد ذهب يا نجوى . تخيلي في ذهنك ذلك المقعد الخشبي الاخضر اللون الذي كنا نجلس عليه تحت شجرة التين الضافية الظل . تصوري الشرفة الواسعة التي كنا نجلس فيها قبيل غروب الشمس ونمتع نظرتنا بالفلكين الازرقين المؤلفين من قبة السماء وسطح البحر ، والقوارب الشراعية تروح وتقود على «كشكش» الامواج . فكسري في المكتبة الفنية بالمؤلفات التي وضعتها في صدر منزلي والتي كثيرا ما تناولت منها القصص ودواوين

الاشعار لتطالعها . تذكرني القهوات الصيفية الممتدة على شاطئ العجمي الابي بصخوره الشامخة العنيدة والمتواضع اللين العريكة برماله المنبسطة المريحة . تذكرني دار السينما «الحمر» . اغمضي عينيك واذكري كل هذه الاشياء العزيزة علينا ، ثم افتحي عينيك بعد ذلك . آه ! ماذا يحدث حينئذ ؟ لقد جربت ذلك . اغمضت بعيني وضللت في الذكريات برهة طويلة ، ثم فتحتهما فسالته الذكريات من عيني دموعا .

كثيرا ما اؤمل ان اعود الى مسقط رأسي . وفي بعض الاحيان ادري الامم يتهم لي ، فابتسم ابتسامة كئيبة مرة واوليه ظهري خجلا من

رسائل بين لاعبي وابنة عمه في اميركا

بقلم عبد الحميد الاشبال

نفسى الشبهة بنفس طفل، ويتداخل بعضي في بعض في عالم خبيثي الضيق كما تدخل السلحفاة راسها في بيتها .

انا الان اعيش في حجرة قديمة مظلمة قد نزل لي منها احد اصدقائي في مدينة «ن» لانخذها مسكنا لي دون ان ادفع له اجارا . وقد تمكنت بمساعدة صديقي هذا ان اجد عملا يكفل لي لقمة العيش حينما ، فقد أصبحت معلما في مدرسة اللاجئين في مخيم «ب» .

قصّة

هذا حالي . ولست ادري ما سيكون من امرك في بلاد الغربة . هل في امكانك ان تاتي الي فنعيش معا ؟ ليت في استطاعتي ان املك بالمال ! ان راتبى الشهري لا يفي الا بحاجتي الى القوت . ولست ادري كيف يكون شاني غدا حينما يغزو البلى ثيابي .

حسبي ما كتبت ، انني في انتظار رسالة منك يا عزيزتي .

— من نجوى الى هاني

لقد مزقت قلبي بما كتبت الي في رسالتك الاخيرة . واذن فقد اغتصب الاعداء وطننا . يالله ! اين كان كل هذا مخبوءا لنا ؟ الا ما اقصى الاقدار ! واذن فقد غدا كلانا لاجئا : انت في الوطن ، وانا في بلاد الغربة . اهكذا قضى علينا ان يعيش كلانا بعيدا عن صاحبه ؟

عزيزي هاني ! لقد كتبت الكلمتين الاخيرتين وقلبي يضطرب تارة ويغور في صدري اخرى . شعرت اني ناديت : «عزيزي هاني!» كما ينادي الطفل والده مستغثا من امرىء اراد ان ينزل به سوءا . نعم ، لقد شعرت بوخسة تحديق بى . الان شعرت بالغربة الحقيقية . يكاد ثقلها ينوء بي وينصب على صدري ضربحا . واذن فوانت تعيش عيشة عوز وفقر . ان هول الصدمة بدا غريبا من نفسي حتى كدت لا اصدق ما تقول . لاجئ ! فقير ! بعد الفنى والسعادة ؟ كيف هذا ؟ كل ذلك في وقت قصير ؟ يا لله ! كائني في حلم .

من الذي استشهد وهو يدافع عن بلده وفولته ؟ قل لي ، من هو ؟ لماذا لم تذكر لي اسمه ؟ اخشى ان يكون ذلك الرجل ابى . نفسي تحدثني بانه هو ابى نفسه . ابى مات ! مات وانا بعيدة عنه ادرس في الجامعة !

ماذا جرى لامي يا هاني ؟ واخواني ؟ اين هن الان ؟ اجبني في صراحة . لا تخف عني شيئا . بالله عليك صارحتي بالحقيقة . ليست في

استطاعتي ان آتي اليك .

— من هاني الى نجوى

كل ما علمه ان امك بقيت في يافا تحت حكم الاعداء . اما اخوانك فلت ادري اين هن الان .

عزيزتي نجوى ! احتملى هذه الكارثة بصدر رحب فان اكثر الاهلين في الحسبة سواسية .

ان جارنا الذي كان يبيع خضروات في حانوته الكبير في يافا قد اصبح الان عاملا بسيطا يدفع امامه عربة صغيرة موفرة بالبضائع ، من السوق الى الدور . وان جارتنا ام ابراهيم قد قبلت ان تعمل ابنتها فاطمة خادمة عند رجل موسر . كل ذلك في سبيل كسب القوت . ان الانسان يستطيع ان يصير على المصائب والهموم . اما الجوع فلا يمكنه ان يصبر عليه مع ان الاحزان تنهك من قوى النفس بمقدار ما ينهك الجوع من قوى الجسم .

في الامس رايت رجلا كهلا تحديق به جماعة من اللاجئين في عريشة بسيطة اتخذها اللاجئون قهوة لهم في المخيم الذي ادرس فيه . وكان الرجل يكثر من تكميل ماضيه والايام السعيدة التي قضاها في بلده حيفا . انه يكرر وصف احواله الماضية على اسماع الحاضرين كل يوم . فهو يقول دائما : « اين حالتي اليوم من حالتي في الاسس ! كنت تاجر اقمشة لا يقل ثمنها عن ثلاثين الف جنيه . واليوم لا املك شيئا . كنت اسكن قبرا فخما يسعى فيه الخدم ، وكانت لي سيارة خصوصية » . ومن شدة تفكيره في ماضيه اصيب بالخليل . وقد بلغ من استهزاء ذوي الوقاحة ان صاروا يسألونه كلما راوه : « قص علينا يا ابا عمر ماضي حياتك في حيفا . من اخذ قصرك وسيارتك وحانوتك ومالك ؟ الا تريد ان نتخلمن اجيرا في حانوتك او سائقا في سيارتك ؟ » وهناك رجل آخر كان ذا جها

وثرء . ومن شدة حزنه على امواله التي ضاعت منه اصيب بشلل اقدمه عن العمل .

ان اللاجئين يرتدون ثيابا بالية ، ويوتهم من خيام تخترقها اعمدة من دخان المواقد ، وسكان تلك التلال القماشية لا عمل لهم سوى الحديث عن مذهبهم المفقودة واموالهم الملوقة .

— من نجوى الى هاني

يا لله ! كدت اذوب حزنا من تلك الانباء المؤلمة التي وردت في رسالتك . انني وحيدة يا هاني . لقد أصبحت وحيدة في هذا العالم ، ولم يبق لي رجل سواك . انني فسي حاجة شديدة اليك . تعال الي . سافر الي اميركا لعلك تجد فيها عملا يدر عليك مالا جزيلا ، فان كثيرين من الذين سافروا الى اميركا انتمس لهم الحظ وبلغوا فورة النجاح . وفضلا عن ذلك فان في امكاننا ان سافرت ان نعيش معا وان اراك وترائي ، وبعد ان استكمل دوامتي في الجامعة نعود الى وطننا الحبيب . ان اترع عن اميتي الخاتم الماضي الذي اهداه لي والدي ، فاشكره بذلك والدي . انه خير تذكاري منك احتفظ به .

يجدر بك ان تحيا حياة جديدة بعد الان . لا تستسلم الي اليأس . ينبغي لنا ان نخلس السعادة من مغالب الزمان اخلاسا . ان السعادة لا تنتظر بل تختلس ، اني الان اعلل نفسي بأمل واحد وهو ان تقول لي في رسالتك القادمة : « انسي قادم اليك » .

— من هاني الى نجوى

لقد اعجب احد معارفي باطلاعي على الوان من الثقافة وبما ابدته من تفكير طريف ، فتوسط لي عند موظف كبير يعمل في مكتب الجمعية التي تشرع على شؤون اللاجئين . فاسفر سمعيه عن تعييني رئيسا لمخيم اللاجئين براتب يكفي لمعيشتي .

ومعنى ذلك انني أصبحت الان اضطلع بمسؤوليات عديدة . غير انني اجد في افعالي لذة لا حد لها لانني اشعر اني اساعد اولئك اللاجئين اليأساء واواسيهم في مصابهم واقتضي بعض حاجاتهم . أصبحت كالممرضة التي تطوف على المرضى فتخدم هذا وتواسي ذلك وترفعه عن نفوس المعذبين وتضمد جروح التالئين . أصبحت جزءا نابثا من هذا الوطن المشطور كمانتيت شجرة البرتقال او الزيتون . فكيف يمكنني ان اغادر هذا الوطن واسافر الي اميركا ؟ هذا محال .

هناك جاذب خفي يربطني ببلادي ، وهو ذلك الكلام المهموس الذي اسمعه ينساب في اذن بصيرتي من حين الى آخر : « يجب ان تبقى في مكانك حتى تعرف كيف تكون نهاية هذه الحياة التي يحياها اللاجئون . انني على يقين من اننا لا بد نأثرون الى يافا . لا بد من استرداد ذلك الجزء المسلوب من بلادنا . ان كارثة بلادنا كجرح في جسم الامة ، ولا يستريح ذلك الجسم الا اذا شفي الجرح . ان حادثا ترك في نفسي اثرا لا يمحي . هو سقوط الثلج على المخيم . لقد هبت عواصف تلجج على مخيم اللاجئين في احدى الليالي الحالكة فاقضت مضاجعهم واقطعتهم من منامهم ، فراخوا بكافحونها بعزيمة وصبر . علا صياح النساء وعويل الاطفال . ارض الخيام غمرت بالماء ، والثلج ينوء بظهور الخيام ، والريح تهدر بأمواجها الخفية فتقتلع الاوتاد وتقطع الاسباب ، والسيل يجرف الفرائش والامتعة .

في تلك الليلة المشؤومة شعر اللاجئين انهم غدوا كالأطفال اليتام في حاجة الى من يسيل عليهم سنن حمايته ويقبهم عدايات الايام . عند الصباح اطلت الشمس على ذلك المنظر الكئيب ، فانعكست اشعتها على الثلوج الممتدة على الارض وعلى تلك العالقة بأغصان الاشجار ، فبدت كمصابيح كهربائية تجذب

تدقيقي

ثم اخفي ، واستقلني

تدقيقي في مقلتي

ذكية التلفت

يا قصة لم تنته

يا ترفا يا مفرقي

يا منطقا أحبه

ما فيه اسم المنطق

يسوقني من مطلق

مجبب لمطلق .

الجزائر داسي منعم

اغنية لم تسمع

لحمتها من الق

سداتها من شفق

يرقبها خيط السها

في حيرة . في نزق

تدقيقي في اضلعي

يصح فؤادي ويسع

وحينذاك استترفي

ما شئت مني واحرقني

تدقيقي . تدقيقي

في سري المستقل

تدقيقي كشطلة

في مارج مزوق

تدقيقي كنجممة

في فلك لم يخلق

جلى به كل الرؤى

جلى بأفق أزرق .

تدقيقي في مسممي

اضحيت لاجئة فقيرة ، فعرض علي

ميلفا طائلا لائقه على دراستي في

الجامعة ، انه كريم جدا يا هاني .

وهو على استعداد لان يقوم بأية خدمة

في سبيل اسعادي . ومع ذلك فاني

لا اميل اليه ولا احبه ، ولكنني

أحترمه لانه يبذل جهدا كبيرا في

مساعدتي . انه يتحجب الي ويلج على

كثيرا . بالله ! ولكن قلبي لا يتسع

لرجل . انت الحبيب الذي احتل

قلبي . محال ان يأخذ رجل مكانك

من قلبي . انه يقطع في التزوج بي ،

وهو يلج علي في ذلك . لقد غمرني

بالحدايا الثمينة ، ومع ذلك فأنسي

لا احبه .

— من هاني الى نجوى

تزوجيه يا نجوى . انها فرصة

ساحنة ، فلا تضيعها سدى . الحب

شيء والزواج شيء آخر . لقد وهب

كلانا قلبه للآخر . ان ذلك الشاب

ضروري لك لكي يتفق عليك النساء

دراستك في الجامعة . تزوجيه

يا نجوى . اني اهنتك سلفا . كل

همي ان تكوني سعيدة في حياتك .

عبد الحميد الانشاصي

نابلس

المطرزة على ذلك المندبل النفيس

كانني ابحت بعيني عن تلك الاثامل

العاجية الجميلة التي طرزتها في

خفة ورشافة .

عززي نجوى ! اصارحك انني

في حاجة شديدة الى وجحك الجميل

الذي لم يبق عليه نظير مرة الا شمرت

بغطه لا حدا لها تشيع في نفسي

وبنشاط يتمشى في جسمي . اني

شاب وموضوع الشباب هو الحب .

نعم بالحب يشعر المرء انه شاب ،

وبالشباب يشعر انه في حاجة الى

الحب .

لقد تعاهدنا على الزواج . ترى

ايتم زواجنا ؟ أخشى ان يكون

الزواج بعيدا عنا . لقد طفي تأملتي

المضني على التفكير في الحب ،

وشغلتني حاضري حياتي عن مستقبلي ،

واضحيت لا ادري ماذا اصنع بنفسي .

— من نجوى الى هاني

تعرفت منذ ايام قلائل بشاب

من تجار العرب . انه موفق في عمله

فقد كسب من تجارته مبالغ ضخمة

وأصبح اسمه معروفا في الوسط

التجاري . لقد علم ذلك الرجل انني

العيون بلالنها . وقد اسفر هجومي

الرياح الثلجية عن موت بعض الاطفال

ومرض بعض الشيوخ والنساء وحزن

الشبان وموت بعض بقرات حلويات

كان اصحابها يبيعون حلبيها ويشترون

بشمه ما يسد رمقهم ويقيم اودهم .

اغترني لي يا نجوى هذا الزعاج

الذي سببته لك . لقد تعودت الحياة

في عالم يفيض مرحا وسرورا . ولعل

ما سردته عليك الان من هذا الحادث

الاليم صدم قلبك الرقيق الذي لم

يتعود احتمال تلك الاوصاف التي

تثير الاشجان .

اشكرك على احتفاظك بالذكارة

الذي اهديته اليك . وانا ايضا ما

زلت احتفظ بالذكارة الذي اهديته

الي . ذلك المندبل الحريري المطرز

برسوم الازهار والاعشاب . لم يطرأ

على ذلك المندبل سوى شيء واحد

وهو فقدانه الرائحة الزكية التي

كانت تنضوع منه كلما اخرجته من

جيبى ونشرته امامي . كنت من قبل

استنشق اريجيه في شره كانني كنت

ابحت بانقي عن عيبك البثوث في

ذلك العطر الذي ضمخ المندبل به .

اما الان فاني اكنفي بنظرات طوال

القيها على رسوم الازهار والاعشاب

الرصين في طريقه الاصيل ، وردت اليه اعتباره بعد ان كاد يندثر ذلك اللون الحي من الشعر المقي ، وقد كانت له دولة ما اظن انها تدول فما زال الشعر العربي في مصر والشام والعراق والمغرب العربي حيا دافقا قريبا الى النفوس ، وما زالت فنونه من الغزل والوصف والرثاء والاخوانيات والمطارحة والرسائل تفعل فعلها في القلوب ، وتهز الاعضاء .

وقد اعطت الندوة البدرانية للشعر مجاله ، وروحه ، ففي تلك القاعة الواسعة الفسيحة التي اعدتها الدكتور بدران للندوة تجد صورة الضميلة ، زهور وورود واشجار ، وعصافير ، واضواء ملونة ، وجو عربي شعري رقيق يوحي باروع صور الفن والادب في عصوره الزاهرة مجددا ايام ابي تمام والبحري والغردقي .

ويؤم هذه الندوة ابرز شعراء القاهرة : محمود جبر ، الربيع الفزالي ، قاسم مظهر ، محمد التهامي ، احمد علي ، محمود الجرف ، محمد بدرالدين ، محمد العزب ، محمود الماحي ، ابراهيم عيسى .

ومن رواد الندوة المثقفين : الدكتور عيسى عبيده ، احمد فراج ، حسني الزمعي ، محي الدين الاواني ، عبد السلام شهاب ، الدكتور عدلي اباطة .

اما الدكتور بدران فانك اذا زرت ندوته لتيك في ثيابه العربية وعباءته الحمراء ، على باب مكتبته الحافلة ، بين المجلدات والاصابير ، فاذا توارد اعضاء الندوة انتقلوا جميعا الى غرفة الشعر والفن ، وليس معنى هذا ان الندوة قاصرة على الشعر وحده ولكنه ابرز فنونها ، فالدكتور بدران عالم ومؤرخ وفيلسوف ، وله ابحاث ضخمة ، ودراسات طلابية في الدراسات العالمية ولكنه شاعر وصاحب اسلوب بليغ ، وقد كان التقاؤه بالشاعر الصوفي الرقيق : محمود جبر هو مصدر انطلاق هذه الندوة ، التي قلما تنتهي دورتها ، او تنفض جلساتها الا في مطالع الفجر ، والحديث فيها يجري على اطلاقه بين الادب والشعر والتصوف ، وقد يصل بالعلم او بالفقه والفلسفة ، ولكنه يجري كله في مجال « الثقافة » ولكنه لا يسهل السد حد المحاضرات المطولة ، فما يلبث ان يقطع بين حين وحين بابيات من الشعر ، تروح عن النفس وتفتح للعقول اطلالة جديدة .

ومن عجب ان شعراء الندوة قادرون على ملاحظة كل شيء ، فما ان يصل زائر جديد ، حتى ترى ابيات الشعر في تحية القادم قد نسجت سريعا ، ولقيت في نبيرات قوامها الحب والوفاء ، وهو طابع اهل هذه الندوة وميسمهم الواضح .

اما محمود جبر صاحب كتاب « الندوة البدرانية » فهو منذ عشرين عاما يشد في كل ندوة بشعره الصوفي الرقيق ، يهز به القلوب ، ويحرك الاشجان ، بسمو به ويرتفع الى سماء الروح وتطلعات الوجدان ، وآفاق الحب



انور الجندي

ندوات الادب

بقلم انور الجندي

يستطيع من يريد ان يؤرخ « لندوات الادب » ان يجد دائما مادة جديدة ، فما تزال تظهر ندوات جديدة في قلب القاهرة يتجدد فيها اللقاء بين الادباء والكتاب والشعراء . وفي القاهرة ندوة جمعية الادباء بشوارع القصر العيني ، وندوة رابطة الادب الحديث بجوار بنك مصر ، وندوات : الرابطة الاسلامية ، والشبان المسلمين ، وصالون الفن بالشبان المسيحيين ، وكلها ندوات مفتوحة للادب والشعر والفن ، يجري فيها حديث الفكر الى جانب حديث الشعر ، وهي تعيش يقظة للاحداث والقضايا الوطنية والقومية والعربية والاسلامية متجاوبة معها على الصعيد الوطني والروحي معا ، غير ان ندوة من هذه الندوات لم يؤرخ لها بعد ، وكانت الى قريب ندوة « العقاد » ، وندوة طه حسين ، وندوة الباقوري ، وندوة نجيب محفوظ ، وقد تقلصت هذه الندوات ، وشغل اصحابها عنها ، غير ان ندوة حافلة برزت في افق الادب والشعر ، منذ عهد قليل ، واستحققت ان يصدر عنها كتاب ، تلك « الندوة البدرانية » نسبة الى صاحبها الدكتور محمد فتح الله بدران ، ومن عجب ان يكون هذا الكتاب منسجما مع شأن الندوة فهو يؤرخها بالشعر والنثر ، ويتولى هذا شاعر من ابرز شعراء العالم العربي اليوم هو : « محمود جبر » . وابرز مثل للندوة البدرانية انها جددت الشعر العربي

الخالص للذات الالهية :

ما زال به الحب يروني وبظمئي اطوف بالحب من شوقي واستلم
ما اوتاني تبطوا في احاسام وكيف يقرب من ذاك الهوى سام
يا جيرة الحب والجنات حورلم يا بخلوا بعديت القلند عندكمسو
اني رايت دموعي في تهجدها تظيل فيكم صلاة كلها لكمسو
ومنذ سنوات طويلة وأنا ارى محمود جبر في كل
ندوة وناد ، وفي كل مجال ، يقف يلقي شعره ، فيهرز
النفوس ، ويلهب الارواح ، ويبعث ارق عواطف الحب
والتصوف والتخليق في اجواء الروح والفكر والفن . كنت
اراه من بعيد واستمع اليه ، فلما قرب بيننا التقاؤنا في
عضوية المجلس الاسلامي الاعلى ، اكتشفت شخصية غاية
في السماحة والركة ، شخصية شاعر صادق الايمان بوطنه
ودينه وامته ، وكل القيم الانسانية العالية الخالدة . ولقد
كنت اراه قد كسب كل يوم صاحباً ، انه رجل يرسـل
نفسه على سجيته ويقول كلمته صادقا ، يوحد بالاخـاء
الانساني في مجموعة من النفوس المحبة الصادقة ، وهو
في كل مكان يذكرني به ، كنا في عزاء للزميل الاستاذ
محمد صبيح وكان رفيقي الى هنالك ، وفجأة وجدت
الصمت يعلو الجميع ، وشعر محمود جبر يتدفق في نفوس
الناس وعقولهم الى حد التنازع كما يقولون ، وذكرت كيف
كنت لا التفت في الماضي الى هذه الظاهرة العجيبة ، هذه
الديباجة «الشوقية» الرائعة ، التي تحول كل شيء الى
صلب شطراتها ، وفي مجلسنا ذاك كان المخرج الانساني
محمد كريم الذي هزه شعر محمود جبر ، وانفلس ان
يقعد له ندوة كاملة في بيته ، وذهبنا ، وكانت ليلة حارة
رائعة ، في صالون المخرج السينمائي الكبير «الاصـفـر»
بين يرد «البلاو» نظام كامل لتسجيل حلقة من حلقات
شعر محمود جبر على شريط ، نفس حركات السينمائي ،
واشاراته ، فاذا التى محمود جبر قصيدة ، واوقف
الجناز ، وجرى الحديث منطلقا ، عاد «كريم» يطلب
تسجيل كل كلمة ، حتى كلمات «الردشة» اصـر ان
يسجلها ... واصبحت هذه القصائد زادا لكل من يزور
محمد كريم من المخرجين والكتاب والشعراء ، زادا صوقيا
لتقاء النفس المشرقة فيرد عنها غرور الدنيا وثقـة المـطـاهر،
وينبجها الصفاء والانطلاق الى آفاق السمو والاستعلاء
على طوابع المادية ، وما من قصيدة وجعها محمود جبر الى
«انسان» الا كان هذا الانسان مثلاً رائماً للطق ، وامس
كنت في عيادة الدكتور محمود دياب فوجدت قصيدة اجبر
معلقة في بهو العيادة ، ولم البث ان اكتشفت المعنى ، حقا
لقد اطلقنا على الدكتور دياب «طبيب الانسانية» فهو مثل
من الامثلة العالية للاطباء الذين سبقوا امثال احمد فؤاد ،
ومحمود ثابت ، وتاجي ، هؤلاء الذين كانوا يدفعون
للمريض اجر الدواء ، او يدفعون ليحضرونه له ، لقد
شاهدت عن قرب ذلك الطابع الانساني في الدكتور محمود
دياب ، واكتشفت ايمانه الخالص بالمرضى الذي يعلو فوق

ماديات الحياة ، فهو على مظهره الجاد ، وعباراته الدقيقة ،
سمح في اعماقه الى ابعد حدود السماحة ، يرى ان مهنة
الطب ليست مهنة مال ، ولا غنى ، وانما مهنة خدمة
لذوي الحاجة والفقراء قائلا : لا تكون انت والمرضى على
الرجل ..

ولا شك ان ندوة الدكتور بدران في «حدائق شبرا»
تعطي عسارة تطلعات مجموعة من الشعراء والادباء ، ارتفعت
انفسهم عن مواصفات الحياة المادية ، وانطلقوا يحلقون
في اجواء «الانسانية» والحب والاخوة وعاطفة التصوف
الرقية المتسامية ، ولم ينسهم ذلك العلم والفكر ، فلا
عجب ان يستطيع اصحاب الثقافة العربية الاسلامية
الاصيلة ان يجمعوا بين طوابع الاجابية والروحية في آن
واحد . وان ينشك الدكتور بدران مثلاً من مدرج كلية البنات
في «المعادي» حيث يجد فيه القتيات استاذاً عالماً ، ومحدثاً
بارعاً ، واباً رفيقاً ، يعرف مورهن ، ويشكين اليه
ازماتهن ، ويجلن عنده دالماً الاساءة والعلاج ، والكلمة
المتقنة فيها نفحة الايمان وطابع الروح ، فاذا به في اعماق
ندوته الحافلة في غرفتها الزهرة المفردة بالعصافير
الكناري والورد الفواحة ، والفوايس الحمراء والزرقاء ،
ومن حوله محمود جبر ، والربيع الغزالي ، وقاسم مظهر ،
وهم خير من عرفت اندية القاهرة نبالة خلق وسماحة
نفس وصفاء خاطر .

فالربيع الغزالي ما كاد يغادر مقعده في جريدة
الارحام حتى يتبدع في ندوة من هذه الندوات ، محلقاً
ومحدثاً وشاعراً ، وحسني الزمزمي هذا العلامة الفلوي
الذي جاء بالندوة في القاهرة منذ عشرين عاماً ، بقطع
اليها الطريق سواء في مصر الجديدة او شبرا او غيرها ،
حتى اصبح علماً على الندوات محدثاً ولغويًا ، ومؤرخاً
يحفظ شطراً كبيراً من التاريخ الادبي المصري ، وهو في
مظهره اشبه بالعاقد طولاً وملامحاً ، وفي مخبره مثل من
امثلة التواضع والبساطة ، فاذا انتقلت الى ندوة الشبان
المسلمين وجدت علي الجميلاتي شاعراً وخليطاً ، لا تفوته
مناسبة في التاريخ ولا الوطنية ولا قضايا الوطن العربي
يقدم في كل اثنين «باقعة من التكمليين والشعراء» في
موضوع طريف ، يبدأ بكلماته وينتهي بشعره . فهو اقدر
من يقدمون الندوات في القاهرة معرفة لمن يجيد الكلام
في موضوع ما ، فاذا تساوى التكمليون فيه عرف اقدمهم
وادقهم . التكمليون والكتاب والشعراء في ذاكرته
حاضرون ، من مختلف اتحاء العالم العربي والاسلامي ،
يستطيع ان يقدمهم في المناسبة ، واللحظة ، وهو بعد
ذلك يكمل مسافات ويضيف ما نقص ، ويجدد الذكرى
لكل حدث .

وفي رابطة الادب الحديث ترى الاقطاب الثلاثة :
مصطفى السحرتي ، عبدالمعتمد خفاجي ، كامل السوافيري ،
ابرز محدثي الندوة ، ومن حولهم مجموعة من الشباب

الشعراء والأدباء والكتاب .

ولطالما تستمع عندهم الى الاساتذة محمد عبدالغني حسن ووديع فلسطين ، اما الخفاجي فقد شغلته ايامه في ليبيا ، اما السحرتي فانه ما زال في هدوئه يعالج المسائل في رفق ، وينقد في اناة ، ويتحدث في انشاد ورواية ، شأنه منذ مطلع الصباح كان يجر باب الانتاج الادبي في المتقطف مع رفيق صباه حسن كامل الصيرفي ، السوافيري فتشغله اليوم دراساته عن ادب فلسطين وشعر فلسطين في رسالة الدكتوراه .

وفي رابطة الادب الحديث تشم روح جماعة ابولو القديمة وتجدر ريحها ، بعد ان تفرق اعضاؤها ، وظهرت رسالتان في تقويم عملها ، احداها لعبدالعزیز الدسوقي ، والاخرى لكامل نشأت .

وفي احمد الشرباصي فهو علم على ندوات كثيرة ، ومحاضرات متعددة ينظم احفال الفكر والدين معا ، وهو اليوم بعد رسالة الدكتوراه عن «رشيد رضا» فهو بها جد مشغول ، وان كان لا يقصر عن اعداد ندوة «لواء الاسلام» التي تضم مجموعة من اعلام الدراسات الاسلامية في مقدمتهم الدكتور احمد غلوش والعلامة ابو زهرة ، وكثيرون ..

اما الاستاذ الباقوري فقد اوقف ندوته بعد ان شغلته اعباء «جامعة الازهر» وندواتها واحفالها ومحاضراتها ومشاقها ، وكانت ندوته تحفل باسلام الفكي العربي الاسلامي في القاهرة ، وكان من ابرز روادها المنيس احمد عيده الشرباصي والفيلسوف مالك بن نبي والشيخ عبدالجليل عيسى ، وعشرات امثال خالته الطاهرة ، ومحمود الشراوي والشيخ محمود ابو ربه .

ولقد اتاحت لنا منذ سنوات ساعات لقاء في ندوة الاستاذ احمد حسين المحامي ، تبادلنا معه الحديث في كثير من دراسات القصة والادب من خلال نظريته الشهيرة: «الطاقة الانسانية» التي احدث كتابها ابعاد الاثر في الفكر العربي المعاصر وفي لقاءه الذي جرى الحديث حول الفن والتاريخ والادب من خلال قصتي «ازهار» و «الدكتور خالد» ، ومن خلال قصته الجديدة «الحريق» التي لا زالت في الطريق وهو مشغول هذه الايام بكتابه الضخم «الامة الانسانية» كملامة على طريق السلام والحب والاخوة الانسانية مدعما بالبحث العلمي من خلال تاريخ العالم كله ، وكان قد اصدر شطرا من دراسته هذه في العام الماضي باسم «تاريخ الانسانية» فاحدث ذلك اثرا هاما في اواسط الكتاب حيث تناوله محمد زكي عبدالقادر وموسى صبري وعباس الاسواني وعبدالعزیز الدسوقي وغيرهم بالبحث والتعليق .

ومن خلال ندوة شعراء العروبة في جمعية الشبان المسيحيين ببرز : عبدالله شمس الدين شاعر الوطنية والدين والكفاح ، ومعه باقة من الشعراء المبرزين وهم

يعملون الجانب الوطني ، حيث صالون الثقافة الذي يديره الشاعر خليل جرجس خليل يمثل الجانب الفني ... ، وهناك تسمع الشعر العامودي ، والشعر الحر ، وتري امثال استاذنا علي الجندي ، والربيع الفزالي وخلفاء المرحوم خالد الجرنوسي .

وما تزال ندوة «كامل كيلاني» حية في نفوس الذين شهدوها ، فقد كانت ندوة البلاغة والطرافة في آن واحد ، كانت التذكرة المستحدثة تجري فيها مع فكاهات الجاحظ والمعري وابو نواس والمتنبي ، كان كامل كيلاني رحمه الله وقد احتفلنا بذكره الرابعة امس ، ديوانا من دواوين العرب يضم اكثر من مائة الف بيت من الشعر ، ولا يباهيه اليوم في هذا الا الاستاذ علي الجندي الذي يكاد يحفظ «الغانسي» .

ولقد ضمنا به مجلس كان قوامه باعث التراث ومحققه العلامة محمد ابو الفضل ابراهيم وجرى الحديث على شعراء الفخر والراء والمدح : واستفاض القول حول ابو تمام والبحري والقرزوق .

وحول مواسم الاحفال الكبرى تتجمع طوائف من الاعلام ، ففي ندوة سميراميس ضفنتي مائدة واحدة مع الاعلام : محمد خلف الله احمد ، احمد الحوفي ، مهدي علام ، ابو الفضل ابراهيم ، في حديث حلو عذب واستعادة للذكريات قديمة ، وكان الشعر عماد الندوة ، هؤلاء ابناء دار العلوم لهم طابع سماحة واضح ، كانت الدعابات مشرقة ، وكان الحديث عن الماضي جميل ، لمحات الدكتور مهدي علام تلايذه ، احتفاؤه بمحمود حسن اسماعيل وهو طالب في كلية العلوم ، وتكريمه ، حيث يقيم الاساتذة لأول مرة ، كتقليد جامعي جديد ، حفلا لطالب ، كانت قصيدته «الكوخ» هي التي هزت الدكتور مهدي علام ، انه لم يقدمها له بيده ، بل تركها في غلاف مع كلمات رقيقة « ان كانت هذه القصيدة تعجبك فانصح لها مجالا في ندوة اليوم » فلما قراها الدكتور علام ، افردها ندوة كاملة احتفاء بالشعر ، وتقدير الشاعر ، كان الدكتور الحوفي والاستاذ خلف الله فقد استعادا ذكريات الشعر ، ولم اكن اعلم من قبل ان مدير معهد الدراسات العربية والباحث العربي الاسلامي كان شاعرا فيما مضى ، غير ان حديثا دار كشف عن انهما - الحوفي وخلف الله - عادا الى الشعر بعد ثلاثين سنة ، اما المناسبة فكانت زيارتهما للسراة فلما عادا تطارحا الشعر في الطائرة ، حتى اتمت قصيدة من ارق فنون الشعر واعذبه ، ولقد استطعت ان اعرف بواعث العودة الى الشعر ، انه جو العراق ، انها البيئة العربية التي ما زال الشعر العربي البليغ فيها على اصوله ، ما من شك ان هذه البيئة تهز نفس الشاعر القديم ، وذو الشوق القديم ، وان تبرز ، مشوق حين يلقي الماشقين . هكذا عادا - الحوفي وخلف الله الى الشعر ، في الطائرة . ورجل آخر علامة عاد الى الشعر ، وكان قد هجره

سأم في الظهيرة

جلست فوق العشب
لم أخلع الحذاء والرداء
وكانت السكينة
تظن مثل نحلة مسكينة
تطوف مثل نحلة حزينة .
وكتت في قرارتي
أصارع السكينة
أدافع الشاعر الضربى ،
وموجها القهشار ،
يكاد أن يصرعني
في هداة الظهيرة !
حلب صباح الدين كربدي

حركت ماء بركتي
بعود سنديان
أطارد الأسماك
أفزع الضفادع الصغيره
بعود سنديان
حركت ماء بركتي
ودرت دورتين
لا أدري أي شيء
أريد أن أفضله
لا أدري أي شيء
لا أدري أي شيء

ومنذ سنوات كانت تعقد ندوة جميلة العلايلي في
عين شمس وبحضرها كثير من الشعراء والإدباء ، باسم
«مجمع الادب العربي» .
وعكذا جرت الذكريات بأحداث الندوات القريبة
حين ظهر كتاب «الندوة البدروانية» الذي نظمته وكتبه
محمود جبر وسلك فيها صورا شعرية لرواد هذه الندوة،
التي ما زالت خافية بالشعر العمودي، وفي مجال الانسانيات
والتصوف والعاطفة الدينية المشرقة السمحة .
ولا شك ان هذه الاسماء التي حوتها الندوة
البدروانية تكاد تكون قاسما مشتركا اعظم على كل ندوات
الادب والشعر في القاهرة اليوم ، وقد احببت ان ارسم
من خلالها صورة سريعة لملها تعين الدارسين والباحثين
من بعد على دراسة اوسع .

والحق ان هذا الجانب من الصور الاجماعية ما زال
محتاجا الى جهد كبير والى تجميع وتنسيق ، فذلك تراث
حي يوشك ان يضع ، ومنذ كانت ندوات مي ، وآل عبد
الرازق ، والاهرام ، وسيلند بار ، وصولت الحلواني ،
وقهوه المحافظة ، وقهوه الحلمية ، وقهوه باب الخلق ،
وقهوه الفيشاوي .. ومن قبلها قهوه متانيا ذلك تاريخ
طويل جذير بالعناية والدراسة ، ولعله ان يتاح لنا اعداد
حلقة جديدة عن صورة العصر من ١٩٣٩ الى اليوم
استكمالا للحلقة الاولى التي نشرناها في كتابنا «الشرق
في فجر القطة» عن الفترة من ١٨٧١ الى ١٩٣٩ وذلك
جهد لا يضع .

انور الجندي

القاهرة

منذ اوائل الصبا ، ذلك هو استاذنا عمر الدسوقي فقد
فاجاني صيف هذا العام بمظروف كبير يحوي ديوانا كاملا
من الشعر الذي نظمته خلال عامين في «برقة» وهو يعمل
بجامعتها ، هناك في البيئة العربية الاصيلة عالت له
عاطفة الشعر التي اختفت تحت فطط الابحاث والدراسات
في القاهرة .

وفي قبة الغوري ، وفي جامعة الثقافة الحرة ،
وفي نادي خريجي الجامعات تقام على التوالي ندوات للشعر
والادب يعلو فيها صوت القصيدة العمودية وبهز النفوس ،
ويصل الى النفوس والافئدة ..

وما يزال نادي القصة وجماعة الادباء يحفل بالرواد
امسية الاربعاء ، حيث تبدو وجوه القصاص العربي
الكبير عبدالحليم عبدالله والشاعر الناقد عبدالعزیز
الدسوقي ، وكاتب القصة القصيرة سعد حامد ، وباقية
من المحاضرين والشعراء والنقاد المتمكنين : عباس خضر ،
صالح جودت ، والدكتور عبدالقادر القط هناك تترى
القصاصات : هدى جاد وصوفي عبدالله ، وجاذبية صدقي،
وحنيقة فتحي .. ويطل على الجمع احيانا يوسف البعالي
ونجيب محفوظ وكانت لطفه حسين وتوفيق الحكيم من
قبل جلسات حافلات .

ومنذ عهد ليس بالبعيد كان للسيدة جاذبية صدقي
صالون طاملا حظي بشعر جليلة رشا ، واحاديث عبدالحليم
عبدالله ، وعبدالله شمس الدين ، واستمعنا فيه الى غناء
منيرة المهدية ، وحديث الدكتور هيكل وطرائف شوقي
اميسن .

انحدار البطل في الرواية المصرية

بقلم يوسف نوفل

منذ اهدى الدكتور محمد حسين هيكل روايته الشهيرة «زينب» الى مصر بهذه العبارات الشاعرية : «الى مصر... الى هذه الطبيعة الهادئة التشابهة اللذيذة... الى هؤلاء الذين احببت واحب... الى بلاد بها ولها عشت واموت... الى مهبط وحي الشعر والحكمة اول الازل...» منذ ذلك الحين ، والرواية المصرية تخطو خطوات منتظمة في تطور صاعد على يد كتاب ، جمعوا بين الموهبة والدراسة والعناية .

وهم الى ذلك اكثر الناس احساسا بمحاصرة مجتمعهم لهم ، وخلعه عليهم ارفع المنازل ، بما تحسدهم عليه بعض الفنون الاخرى ، فآخذوا يمسكون التفاتاته على الورق ، وشعروا بذلك الرباط الذي يشدهم الى قوارنهم فلم يداعبوا اوراقهم للتسلية ، ولا لجرد التسجيل ، بل لان شاطئاً آخر يترقب شراعهم الدائب الحركة ، ويفسر انعطافاته وخفقاته ، بل ويستجيب لابعاضاته .

والظاهرة التي تثير الاهتمام ، والتي ينبغي عليها جزء كبير من تفسير مبنى الرواية ككل هي نهاياتها . فالى أي مال كانت نهايات ابطال الرواية المصرية ؟ نستقصر هنا على نماذج قليلة للاسائدة : نجيب محفوظ ، ويوسف ادريس ، وكامل الكيلاني ، لنتنقش اربع نهايات او انحدارات لابطال متنوعين في الجنس ، والتكوين ، والموقف ، والنظرة للحياة .

الانحدار الاول : موت (سميد مهرا) بطل رواية «اللس والكلاب» لنجيب محفوظ .. يموت بعد ان اطلق على نفسه الرصاص حين ضيق البوليس الخناق عليه بالصحراء «وكف عن اطلاق النار بلا ارادة وتغفل الصمت في الدنيا جميعا ، وحلت بالعالم حال من الغرابة المذهلة ، وتسائل عن ... ولكن سرعان ما تلاشى التساؤل وموضوعه على السواء ، وبلا أدنى أمل ، وظن أنهم تراجعوا وذابوا في الليل ، وانه لا بد قد انتصر ، وتكاثر الظلام فلم يعد يرى شيئا ولا اشباح الصور ، لا شيء يريد ان يرى ، وغاص في الاعماق وبلا نهاية ، ولم يعرف لنفسه وضعا ولا موضعا ، ولا غاية .. وجاهد بكل قوة ليسيطر على شيء .. واخيرا لم يجد بدا من الاستسلام فاستسلم بلا مبالاة .. بلا مبالاة ..»

وموت (سميد) بهذه الصورة يؤكد لنا ان جنون العظمة المتهوم لديه ادعاء زائف ، فهو مشرد يعاني ما

يعانيه ضحايا ، بل يزيد . وموقفه العدائي من المجتمع ، ولید ظروف عديدة ، تجتمعت ولاحقت لتصب في قناة واحد ، قناة سوداء ، مأواها الخيانة ، وتربتها الاغراء ، خيانة الصداقة ، وخيانة الزوجية ، وخيانة الكلمة ، الى آخر مدى وصلته الخيانة . واغراء الكسب ، والشهرة ، والنجاح ، والطعام ، والجنس وغيرها من صنف الاغراء .

فهل كان انتحار سميد مهرا او انحداره اختياريا ام قهريا ، هل حاكى كليبواترا مع اخلاف في اخراج المشهد ، ام انه اضطر الى ذلك اضطرارا ؟

انه مضطر ومقهور ، لانه يحاط بالكره واليأس ، ولان الارض تمهد تحت قدميه ، ولان نظراته الزجاجية قد تجمعت جذرائها فلم تعد صادقة الرؤيا .

الانحدار الثاني : موت (عزيزة) احدى نساء عمال الترحيلة (الغرابو) ، وبطلة رواية «الحرام» للدكتور يوسف ادريس ، بعد ان تغفص ، ويعرف الناس سر الجنين غير الشرعي الراقد بين احشائها ، وتجلس القرفصاء ، وكانها تتهيا للولادة ، وتصرخ ، وتمسك بعود الصفاف الذي احترق نصفه ، والذي سيقدر لشجرته ان يصير دواء لعقم نساء القرية ، وتطبق باسنانها عليه بجنون وثمن ، وبداها تعصران الطين ، فيتحول الى تراب جاف ، وفجأة ، وكان شيئا طلق في داخلها ، تتهدى مهيدة لا جرائل لها .

وعزبة ضحية تسلط الكبير على الصغير ، والقوي على الضيف ، وضحية مجتمع الريف المخلص الكفيف الضلال ، وبطلة استجابة سريعة حققاء لاغراء شاب يتمكن منها مرتين في فرحة لقاء سريعة غير مسبوقة بمقدمات نجم عنها ثمرة لا تستطيع ان تنسبها لزوجها ، لانه لا يملك مبررات ذلك النسب .

هنا تهرب عزيزة من الحياة .. بمحض ارادتها ، متخذة هروبا وسيلة تغلب بها على شيء حدث ولن يصلح امره ابدا .

الانحدار الثالث : بسيمة احدى ابطال «الطريق الطويل» للدكتور نجيب الكيلاني ، تذهب لاسكندرية ، لتعمل في احد بيوتها ، ثم تثن غارات الحرب المالية الثانية ، فتاتي على البيت ، ويعجز والدها عن الاعتداء اليها ، وتنقلب اخبارها فترة ليست بالقصيرة ، ثم يكتشف اهلها وعلى رأسهم اخوها سعيد الذي يتهاى لتحقيق امله الكبير في الالتحاق بالكلية الحربية ، يكتشفون تفريز سيدها بها واعتدائه عليها ، وينضاف الى ذلك ما عانته في الغارات ، فطار لها ، واقت نفسها في البحر ، لتتقد ويذهب بها لمستشفى الامراض العقلية ، ليهتدي اهلها اليها ، وبينما يؤدي اخوها دوره كضابط في معركة بورسعيد ، تنتحر فوق شريط القطار .

وهنا يبدو الضياع والذوبان والتضعف الذي تحدثه

تسال عن اسمي الذي يندس في الزبد
تسال عن وجهي الذي يصلبه الجسد
تسال عن قلبي الذي ياكله الحسد
تسال عن بيتي الذي لا يعرفه أحد

كنت وحيدا مثل طائر الشتاء
تشدد قلبي وحشة ممتدة الجدران
انتظر الأرض ان تخضر والانسان
ان يزرع البذرة في التراب
ان يروي الزهرة في التراب
ان يصرم الجذوة في الرماد
ان يدفق الانهار في الرماد

لكنني كنت غريبا مثل طائر الشتاء
افرح لو اشم رائحة المساء
تفوح (من نافذة) يأتي مع الشمس ولا تعود
لاتشي بخمرة الاصحاب والنساء

لكنني كنت حزينا مثل طائر الشتاء
أخاف ان يدركني البكاء
في وحشة الجناز والعزاء
وغربة السهوب والمراء

لكن قلبي كان كالنهر في غضب
لكن قلبي كان كالجثة من خشب
لكن قلبي كان كالنجاح من قصب .

الليل يا صديقتي طويل
الحزن يا صديقتي ثقيل
الخطو يا صديقتي بلا دليل

طائر الشتاء

احمد تسوكي

تطوان - المغرب

والفرير والجنون ، اما في « بداية ونهاية » فانحدار
الفساد والامم والفواية .

وهكذا تمتد النهايات ، وتختلف المصائر ، مع اتحاد
الدوافع ، انه الستار الكثيف الذي يحيط بالبطل ، فيعمي
عينيه عن كل شيء ، ويقوده سليب الارادة الى حيث يتم
الانحدار .

ولكن هل هو تأثير البيئة كما يقول هيبوليت تين ام
انه شيء يرجع لاستبطان الكاتب ؟ انه كلاهما معا . . ما
يجثم امام عين الكاتب ، وما يحسه ، المنظور والمحسن
معا ، مع استوائية النظرة للبطل مختلف التكوين ،
والتفكير ، والبنية ، والجنس .

يوسف نوفل

بور سعيد

هزات الحروب ، وهنا الانهيار في الآمال الخادعة والوعد
الكذوب ، وقد يكون لانتقاء الشرق بالغرب ، في مطلع
القرن العشرين ، وما تبعه من زلزل في القيم الاجتماعية
فاعلية هنا الا ان عدة ملامح تدعو للمقارنة حقا بين الجو
المحيط بالانحدار هنا والجو المحيط بالانحدار في « بداية
ونهاية » لتجيب محفوظ ، فهنا سعيد الضابط ، وهناك
حسنين ، وهنا سعيد مطعون في سريره من اثر معركة
بورسعيد ، وهناك حسنين مطعون في مركزه وآماله
وتطلعاته الاجتماعية ، واخيرا ، وهو الهم ، هنا بسيمة ،
وهناك نفيسة ، وان اختلفت وسيلة الانحدار ، حيث
تنتحر في مياه النيل .

الا ان الانحدار في « الطريق الطويل » انحدار الامتهان

أخذت سلوى تذرع الفرفة جيئة
 وذهابا وترمق ساعة الحائط بين
 لحظة وأخرى بنظرة واجفة ففصح
 عما يعتل في أساريرها من قلق
 وتوتر . ووقفت عند النافذة تطل
 على الشارع الرحيب الناظر بالحياة
 والحركة عليها تلمح قادم من بعيد .
 ولكنها لم تبصر شيئا فنادت إلى
 الأريكة تغلب صفحات المجلة ذاتها
 بنظرات ساهمة . ما باله تأخر يا
 الهي ؟ ألا يعرف أنني أترقب عودته
 على أحر من الجمر . لقد أصبر
 كعادته أن يذهب وحده إلى الطبيب
 ولم تلج على مرافقته لأنها تعرفه
 شديد الحساسية لا يريد أن يتدخل
 أحد في شؤونه إلا في أمس الحاجات
 .. لقد مضى على زواجهما الآن عام
 ونصف ومع ذلك قلما شعرت في
 دخيلة نفسها يوما أن زوجها ضريب .
 واقترب ففراها من إبتسامة عريضة
 وهي تستعيد ما قائله لها أمها قبل
 الزواج : أمجنونة أنت يا سلوى .
 تتزوجين من ذلك الضريب لكي تقومي
 بدور الممرضة طوال حياتك . أنه
 سيعتمد عليك في كل شيء ولن
 تستطيعين الصبر والصمود طويلا .
 أنها تتبسم لهذه الأقوال ، فزوجها
 أعند من أن يعتمد عليها في شيء .
 فهو يعرف طريقه في أرجاء المنزل
 كأي إنسان مبصر بل أنه يفرط
 أحيانا في الاعتماد على نفسه .
 ورفعت سلوى بصرها مرة أخرى
 إلى الساعة الكبيرة تحدجها بنظرة
 ناعمة بينما أختلت أصابعها تجوس
 شعرها الفاحم القصير . ليته لم
 يسمع أبدا بهذا الطبيب الجراح .
 فالقضية ميؤوس منها ما في ذلك
 ريب . أن إعادة البصر إلى إنسان
 فقدته منذ زمن طويل ليس بالأمر
 اليسير . فالفعل ما زال يقف عاجزا
 حيال ذلك وإن تكن شهرة هذا الجراح
 قد طبقت الإفاق . الشهرة الغليظة
 شيء واجترأ المعجزات شيء آخر .
 غلا صرير مزلاج الباب فخفق
 قلبها بسرعة . أنها تعتقد أن ترى

الأياس باديا على وجهه وما أن تقدمت
 بضع خطوات نحو الباب حتى القت
 نفسها بين ذراعيه ترفعانها في نشوة
 راقصة .. أنها أخبار مفرحة ، يا
 حبيبتي .. مفرحة للغاية . حملت
 في وجهه بذهول : هل تقصد
 ولكنه لم يدعها تتم حملتها فغمض
 نغرها بالقبيلات صانحا : نعم ، ستكون
 عملية جراحية دقيقة ، ولكن الأمل
 كبير . لقد حددنا كل شيء يوم
 الجمعة القادم ... أنني لا أستطيع
 الانتظار . وراح يصف لها تفاصيل
 مناقشته للطبيب بفرحة متهدجة بينما
 توسدت صدره وغرقت في تفكير
 عميق .

تعاقت الأيام التي سبقت العملية



يقلم فوزي فريج
<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

بطء شديد كانت سلوى فيها شاردة
 الخواطر يستبد بها الصمت والسهرم
 وما أن حل مساء الخميس وانتقل
 زوجها إلى المستشفى حتى أحست
 باجها لم تشعر به من قبل فدلغت
 إلى سريرها وراحت في سبات عميق
 طويل . كانت الساعة المحددة لأجراء
 العملية هي الحادية عشرة . لم تدر
 ماذا ستفعل في صباح ذلك اليوم
 فراح تسيير في شوارع المدينة
 بلا هدى تجرها قدماها حيثما
 تشاءن . وما أن دقت الساعة
 منتصف النهار حتى هزعت إلى
 الهاتف لتتصل بالطبيب وضربات



قلبها تحبس أنفاسها . وتهادى إلى
 سمعها صوته الهادي يقول : اهتلك
 يا سيدتي ... لقد نجحت العملية .
 سننزع الضمادة عن عينيه بعد
 اسبوع وسيرى زوجك النور من
 جديد .

وضعت سماعة الهاتف في غيبوبة
 من النشوة الملهوفة وأغرقت عينها
 بالدموع . أحب إنسان لديها سري
 النور من جديد .. أعز وأغلى أمانة ،
 أروع وأعظم فرحة . وراحت تصور
 اللحظات الرائعة عندما يعودان إلى
 بيتهم ويراها وليد للمرة الأولى ...
 يرى الأشياء التي لا يعرفها إلا لمساً
 أو كما وصفها له .. يرى الزهور
 في الحديقة .. وقمة الجبل ..
 والسقف الأرجواني ... والكتب
 التي كان يحب أن تقرأها له .

وفجأة أحست بقلبها يخفق وبدفقة
 من الثلج تمور في حناياها : أنه
 سيرأها هي للمرة الأولى . لقد نسيت
 هذه الحقيقة في غمرة أفراسها .
 وسرت رعدة صغيفة في أوصالها
 حملتها تنهوى إلى أريكته وقد
 ملكتها للشعيرة . يا الهي ... أنه
 دائما يصير على أنني امرأة تقع
 عليها عينا إنسان . والان سيرأني
 على حقيقتي .

وسارت متباعدة إلى الممرأة
 تحدد مليا في ذهنها المتعطلة
 وانها العريض وشعرها القصير
 المشعث الذي لم تنجح أحدث
 المستحضرات الطبية في تصفيفه
 وتنسيقه . لا أن تستطيع مواجهة
 نظراته عندما يحملق فيها للمرة
 الأولى . لن تستطيع رؤية تعابير
 وجهه التي ستتقلب من ترقب مثير
 وتوق متجع إلى دهشة وعلع .

لم تبرح هذه الأفكار مخيلتها لحظة
 واحدة لكنها سفود من الشار يراوح
 ويقترب من وجنتها لأدعأ اليما .
 وكانت تعود في المستشفى كل يوم
 تتملى بأحاسيسها المتوفرة كل لحظة
 من لحظات اللقاء . وكان على غابة
 السعادة يمسك بيديها ويحادثها

المناديل

كنت بأفكاري التي ماتت على الوهم
أسير في الجهم
وأرقب المنازل العتيقة
وأذكر الطيور والحديدية
والمزعجين من وراء السور
يلقون لي فاكهة فجأة
رائقة فضفاضة الحجة
ولم يكونوا غير عوامة
في مرفأ ليس به ضوء
والزورق النعسان لا ينثني
يشربه النوء
ياكله الهزء
واحيرة التعبان من سفرة
مذبوحة الماضي من الهم
خافتة من كثرة الضجة
مشدودة في ظلمة الرجة
لولا مناديل الربى السحيقة
تنشرها المنازل العتيقة
من دمع قلبي من وراء السور
في البيدر المستور في الحبر
أغنية سائلة معجبة
كوفي كما نبغي بدون ضجة

الدكتور علي العبيدي

الرباط - المغرب

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

لقد رايتني الان على حقيقتي .
وانهمرت دموع سخية تبلل وجنتيها
الساخبتين .
طوق خصرها يمينه واخذ يرشف
دموعها بشفتيه وهو يتمتم : سلوى
اصفي الي .. انني اعني ما اقول
بكل ذرة من كياني ... انت رائعة
فاتنة ، كما كنت انصورك دائما ..
انك طبق الاصل للمرأة التي كانت
في خاطري .. البراءة والعذوبة
والحنان .. الا ترين سعادي ؟؟
رفعت ناظرها الى عينيه ...
كانتا دوحه من الحب وارفة . فلم
تلبث ان دفنت راسها في صدره
وهي تهمس : ضمنى الى عينيك ...
الى دنياي الجديدة .
رودس فوزي فريج

امكت باكرة باب الغرفة وترددت
في الدخول لحظات حسبتها دهرًا.
كان قلبها يبق ويغف وصدرها يعلو
وبهبط . واحست بخور ودوارعندما
فتحت الباب ببسطاء ودلفت الى
الغرفة . كان زوجها يجلس على
السرير منتصب الظهر وعيناهمشتتان
عليها وهي تقترب بوهن من السرير
وتتخذ جلستها قبالة . وكانت
ساقاها ترتجفان دون ارادة منها .
كان يحملق فيها وسمياه العجب
يطفي على محياه . وظل هكذا لحظات
لا ينبس بنبت شفة . واخيرا همس
في عينها : سلوى ... انك رائعة ،
رائعة . خفضت راسها وسمعت
صوتها وكأنه يجيء من قاع واد
سحيق : كفى هزء بي يا وليد ...

بحماس طفولي مثير . وفي مساء
الخميس التالي كان يتحرق لهفة
وتربيا : غدا عندما ستأتين يا
حببيتي سأمكن من رؤية وجهك الحلو
لاول مرة في حياتي . هل تدريكين ما
معنى ذلك يا حببيتي ؟؟
كانت ليلة الجمعة ليلة ارق وسهد
ودموع . وفي صباح الجمعة وقفت
سلوى امام صوان الثياب تتأمل ما
عندها من لباس يأس وفنور . ماذا
ستتقي لهذا اليوم السعيد الرهيب
من ثياب . واخيرا استقر رايها على
فستان اصفر من الكتان ليناسب
بشرتها الشاحبة وشعرها الداكن .
واستبد بها تحد يأس وهي تسيير
في دهاليز المستشفى الطويلة في
طريقها الى غرفته .



يوسف عبد المسيح ثروة

الحواء والعدم في الأدب الغربي الحديث

بقلم يوسف عبدالمسيح ثروة

اللوحة السوداء

من يتصفح الأدب الوجودي يجدده مليئا بالتشاؤم والتخبر والتكسّر والانحدار والتبثّر ، كما يجد فيه ضحايا أسود خائفا ممتعا بسيد الإفاق ويعمي الإيصار ، ويزداد هذا التشاؤم وما إليه ، وهذا الضباب وما يصفه ، كلما زاد تصفح المرء لهذا الأدب . اما المتعمق فيه ، الدارس له ، المتقني لوارده ومناخه ومصادره ، فإنه لميجز عن وصف ما يرى ويسمع ويتأمل ويفكر ، لأنه يستحدر الى دوامة صخابة تطاير منها شياطين التوجع والأتين والتنجع والحنين والتألم المر والمعاناة المزلزلة والفشيان الأخذ بالتواصي والرقاب والسلم القاتل البطيء ، والشذوذ بالوانه والكمد بلفصلاته وتوانعه ، والجزع الرأوغ ، وخدر الحياة الطويل الصليق والانفلاق الداني ، في بوتقة الانا ، بعيدا عن جحيم الآخرين .

وطبيعي ألا يكون مصيره في هذه الدوامة الماكرة المحتالة ، المجنونة العاتية غير الفناء والانحدار ، وما هذه الدنيا بذات قرار ! فالفرار من الفرار من الدنيا من المجتمع ومناخه ومخازينه ومبالله ، الى دنيا الذات ، الدنيا الأخرى المعاصرة . وكل هذه أمور تتوارد متلاحقة متباعدة بعضها برقاب بعض ، متسارعة الى الدهن كلها حمل احدا حلا على متاعلة كتاب من كتب هذا الأدب الذي اخذ سيله يجرف ببلداننا مسا ينتصب في سبيله من عراجل يسر وسهولة .

ومن الكتب التي احدثت دوايا ، في عرضها لهذا الأدب ، كتاب للكتاب الانكليزي المعروف كولن ولين بعنوان «الغريب» او «اللامنتهي» على حسب ترجمة الأستاذ ابيس زكي حسن ، ولما كان الضيف الاصلي اوقع في النفس بدهائه تناوالت على جمل وشرعت افرا فيه بنهم شديد بعد ان تفصحت فصوله الاولى فوجت فيه امورا بالغة الخطورة ، وفقاسيا حساسة ومشاكل دقيقة متشابكة ، وهذه امور دهنتني الى دراسة الكتاب دراسة جدية وهما ان افاعل ذلك !

في الفصل الاول المعنون «بلد العميان» يستعرض كولن ولين اول ما يستعرض قصة هنري باربوس «الجحيم» منتقيا منها المشاهد ما يريد تقديمها النماذج يستند اليها في عرض فلسفته اللامنتهية .

يقول البطل : «لم استطع المقاومة .. تبعت امرأة كانت ترقيتي .. ثم سرنا جنبا الى جنب وقلنا بعض الكلمات ، واخذتني معها . وعسر المشهد المروف . ثم وكأنه سقوط منيف مفاجيء . ورايت نفسي على الرصيف ثانية . لا اشعر بالطمأنينة التي كنت امني نفسي بها .. كنت وكنتي لا ارى الاشياء على حقيقتها . كنت ارى اكثر من اللازم واقصق من اللازم (1) » . هنا الرؤية الطيغية تتقلب الى استلاخ وغربة يدافع الفردية العتيقة التي تتسحق تحت عجلة الحياة السريعة . ولذا نرى البطل نفسه يقول : «لا املك شيئا . ولا استحق شيئا .. لا شيء يمكن اختياره ، لا شيء يمكن التثبت منه (2) » . اما الحقيقة ، فيا ترى ماذا يعنون بها ؟ «الامور اهم الافكار اطلاقا» ها ان البطل يعلن الفلاسفة ماديا ومعنويا بعد ان ضاع اختياره وتلاشى ، كما ضاعت الحقيقة ، حتى انها لم تعد سوى غمامة من غمام الصيف ازاء رياح السموم العاتية ، لا تنتظر شيئا غير التلاشي والصباع والاندثار .

وبالتفاته قصيرة يتوجه الكتاب الى آخر اعمال ه.ج. واث «المقل» في منتهى حدود الاحتمال ، لكي يجسد له الانهيار العظمي للمعنية وضياع كل جهود البشرية هباء متناورا فيلنطق منه ما يحلو له : «ان نهاية كل شيء ندعوه بالحياة صارت قريبة جدا بحيث لا يمكن تجنبها ..» . ويتابع رايه قائلا : « ان شاشة السينما امام عيننا ولكل الشاشة هي واقع وجوهنا . ان حينا وكرهنا ، حروبنا ومعاركنا ليست اكثر من اطراف ترفس فوق تلك الشاشة ، هي في عدم وجودها كالاخلاق» . فرفض الحياة وعندها حلما من الاحلام ، وعدم الافرار بواقع المجتمع الانساني والتوصل عن كل نيمة ، والياس القاتل وهل ادل على ذلك من قوله (ليس هناك من طريق الى الخارج او الى ما حول او الى الداخل) في كل هذه الامور ليحل من «اللامنتهية غريبا عن المجتمع الانساني» على حسب راي كولن ولين . وطبيعي ان يستقل راي وثر هذا اشد الاستقلال من قبل الفرياد على المجتمع في اللامنتهية حتى الى انقسام وعلى راس هؤلاء ولين بالذات . وليس من شك في ان هذا الكتاب يخالف كل آراء وثر وافكاره السابقة مخالفة جذرية ، فما الذي ساقه الى ذلك بعد ذلك الجهاد الطويل في تدوير الإنسانية ولا سيما بكتابه الفريد «الموجز التاريخي» ؟ لم يخطر هذا السؤال على بال الكتاب من طرف قريب او بعيد بشكل موضوعي ، لأنه لا شأن له به ، فهو لا يريد ان يعطل الآراء التي يستعرض فحسا منها الا لغرض معين هو التوكيد على التشاؤم الهائل الذي يلف في عصره كل المخربين المعاجزين عن ايجاد حلول لمشكلات مجتمع متهاجر ، ودللتنا على ذلك قول الكتاب « يعتبر هذا الكراسي احد نزع تشاؤمية في الادب الحديث بعد كتاب ت.س. اليوت «الفاغرون» . فلما باس اليوت فهو ، في جوهره ديني . وتكونت لذلك نفسه عن ياس وثر لولا اصراره على الادعاء بأنه يتحدث عن حقيقة علمية ، عن واقع موضوعي ، وهكذا يجمع الكتاب بين حسييتين تشاؤميتين ، بين (ادعاء علمي) حائق منيف وبين شعر اصفر شاحب كالحق وكل ذلك بقية تبرير آرائه وتثبيت مقولته «بلد العميان» التي استعارها من نفسه لوضع عنوان الفصل الاول من كتابه . واذا طرأ ومر السؤال آتف الذكر بذهن الكتاب فهو يمر بهذا السؤال الساج (كان وثر مراسلا متعيا حين كتب «المقل» في منتهى الاحتمال . لا يمكن ان تقل هذا كسبب رئيسي كامن وراء هذا الكراسي ») . ويجيب الكتاب عن سؤاله «السود الحظ» ، لا ، فقد صرح وثر بأن استنتاجاته موضوعية» . وهذا الجواب هو نفسه الذي يسعى اليه الكاتب متوقفا متحرقا كي يعزز الفكرة التي يريد تعزيزها بكل ما استطاع من حيل وقوة . ومن هنا يستشهد بقول وثر «الامور في بلد العميان ملك» . ان هو الوحيد الذي يستطيع ان يرى ما يرى ، على الفد من العميان

جميعاً .

ومن ياربوس وولز ينتقل الكاتب الى (غثيان) سارتر فيقول - في معرض اهتمامه الشديد بسارتر (يجمع غثيان بهارة فائقة ... كل النقاط التي تفحصناها حتى الآن في .. حديثنا عن ولز وياربوس : اللاحقية ، رفض الناس للمقاييس الحضارية ، وأخيراً (شاشة السبيل) التي تعرض الوجود (العاري) وهذه الأسباب متفانة هي التي تقسمه الى ان يستشهد بقول البطل روكاتان : «عيش وحيداً ، وحيداً تماماً ، و لا اتم احد الاطلاق ، لا اخ شقيقاً ولا اعطي شقيقاً» .الوحدة القوقعية هذه وحدة فولاذية الجدار ، ان قبع فيها الانسان ثلاثت انسانيته وتبتعث حتى يرتددها بعد ان السلاخ مذهباً اتم ما يكون عن حظيرة المجتمع ، وهذا ما نراه واضحاً عندما يستيقظ روكاتان بفتة من سبانه العميق فيقول : «وفجأة ، استيقظت من الغفوة ست سنوات ... ولم استطع ان افهم لماذا كنت في الهند الصينية ، وماذا كنت افعل هناك ، ولماذا كنت احداث اولئك الناس ؟ .. كان امامي بحر رابض بكسل وخمول ، بحر هائل ، ناه لا طعم له ... ولم ار بوضوح ماذا كان ، الا انه ملائي بالاشمئزاز ، حتى انني لم اعد استطيع النظر اليه» . وفصلنا عن الوحدة الفئالة بمل الاشمئزاز نفس البطل حتى نقره «انني لا استطيع ان اوضح ما اري ... الى كائن من كان ... انني افوض الى اعمال المار ... الى الخوف» .

وفي هذه البيئة الرعية من - الفردية والظلام - تبدي حقيقة شخصية روكاتان ولا سيما حين يقول «ليس الغثيان في داخلي ، انني احس به في خارجي ، هناك في الحائط ، في الهذات ، في كل مكان حولي .. انه يتصل مع الكازينو ليشكل شيئاً واحداً وانما في داخل ذلك الشيء» . يقول الكاتب بهذا الشأن وهو على حق «ينضب سارتر الى ابعاد مما ذهب اليه اي كاتب من قبل ، في التأكيد على - الظلام والقدرة - ان لم يسبق ان اعطى جيمس جويس او دوستوفسكي مثل هذا التأثير عند وصفهم العقل الفارقي في القدرات الصلبة» . «وان اليس من معنى محتفل لهذا الوجود ، الي من سبب وغاية له ؟ (2) ؟ » . سؤال في مكانه بقصه الكاتب ليرى رأي روكاتان فيه ، فلما اجابوا ياتي على هذا الشكل (هناك) «الوحدة عدم (الجدوى) مع معرفة هذه الكيئونة ، وكيئونة عدم الجدوى مع عدم معرفتها» . ومن لم ف «ان الانسان هو عاصلة غير مجدية» على حد تعبير سارتر . وعلى ذلك فان الانسانية ليست الا سائلة من «الكلاب القذرة» كما ورد بل بالحرف الواحد في (الرجال الفارغون) لالويت . وهكذا فان الامتني (هو وحده المدرك للحقيقة ، ولو كان الناس جميعاً يدركونها فستكون تلك نهاية الحياة» . لان الاغور في بلد العميان ملك ، على ان ملكية هذه هي ملكية على لا شيء ، فهي لا تمتنع قوة ولا امتيازات وانما نفقده الايمان . ان عالم هذه الملكية هو عالم بلا قيم» . وبهذه الصورة الضعيفة يخلص الكاتب آراء البوت وسارتر وولز لتطبخنا مرتنا مغفولاً . ومع ذلك فان الانسان يبحث عن شيء اسمه الحرية ويتشبع بها كانتا موجودة في الواقع الموضوعي ، الا ان هذه الحرية لا وجود لها ومن السخف والبلابة البحث عنها كما يقر ذلك كل من ولز وسارتر .

(عالم بلا قيم» بهذا العنوان الصارخ يفتتح الكاتب الفصل الثاني ، وهو يبدأ بمحاول الاساءة بذهن القارئ لتسير منه في مناهة جديدة بعد ان حاول انتزاع الايمان منه بمستقبل الانسان ، وبعد ان ووسع يده وقلبه وعقله على العروق «الكبلة» «الجوفاء» من كيان . فلتز ماذا يريد ان يقلع به بعد ابعاله الى هذه العتية التي تركت عليها بوابة «الظلام» . فاول ما تصادف تصادف غريب كما هو الذي لا يفتقد العبقرية والمشاريع غير الاعيادية حسب بل هو يكاد يفقد اي مشاعر ايضاً . وهذا البرود الجليدي يتضح اكثر ما يتضح في قول بل «الفريق» : كما هو المات في اليوم او بالياس . انني لست متأكد» . وبهذا الكلام الخاوي يتحدث ميرسول عن والدته كأنه يتحدث عن موت كلبه سائبة ، لا عن ام

جاءت به الى الوجود . ويستمر كلامه منطحا الى الحضيض الى ان يبلغ الامر به ان يقول بوعيه الكامل مطالبا اجازة من مقدمه لدنفس امه : «اسف يا سيدي ، غير انها ليست ظفني كما تدري» . ويستمر على قوله ذلك يصانجاته لنفسه «انني لم اكن في حاجة الى ان افول ذلك ... لان عليه هو ان يعبر عن مشوره نحو في هذا الصدد » . والاتي من ذلك كله هو استحسان ميرسول في صبيحة اليوم التالي لوفاة والدته واتصاله بغتة جديدة كانتا على موعد مع وفاة والده وما ان يحل الليل حتى يتم اتصاله بها جسدياً . وهنا يشعر الكاتب بفداحة هذا البرود فيعلق عليه قائلا بعد ان يقارن هذا الجو بجو (الارض الياب) «ذلك هو الجو الذي يصوره البوت ايضا في (الارض الغفراء) ... ان ما يدهشنا عند المقارنة هو عدم وجود الاستهجان الظفي في كتاب كامو ، اذ ليس هناك ما يوحي بان كامو يريدنا ان نلوم ميرسول على خيوله النافذة» لكن الكاتب بعد ان يبدي هذه الملاحظة الانسانية الصائبة يستمر وكأنه ندم على قوله السابق فيقول : اما السيرة غير الانتصارية في ميرسول فهو امثله ، فان الفتاة تساله ان يتزوجها فيوافق في الحال : «ثم سالتني ثانية عما اذا كنت اجهل . فاجبت بان سؤالا يعني لا شيء او انه قريب من اللاشيء ، الا انني اضفت اني لم اكن اجهل» .

ان هذا البرود العجيب يصل الى ذروته في حادثة النار القديم التي يشترك فيها ميرسول في صف المصور الفرنسي ، ان يقتل رجلاً عربياً اعزل ، وحين يجابه الحكام بعدم اكرات معير ، يعدونه لاول وهلة تجر قلب اجرامي قطع ، وبعد ان يسرد للمعي العام حادثة الاستحمام وصلته بالفتاة يحكم عليه بالوت ، فيزوده القس في زنزانة الاعداء وهناك تتجبر عليه انفجاراً مدنياً فيقول «لا شيء .. لا شيء مهم اقل اهمية وقد عرفت جيداً لماذا ... لقد كان يهب علي من اصف مستقبلي المظلم تسيب مستعمر يطله ... يعادل كل الافكار التي حاول الناس ان يتصورها في ذهني خلال السنوات الاخلاقية التي منتهتها . كل شيء سيحكم عليه بالوت يوماً ما . وسياتي دوره ايضا كالآخرين» . ومن لم فان مشوره بالخلاص ، باللاحقية ، بالعدم ، هو التسعور (الاحكام) التي في الزمن ، ما لوت الى حالة يقظة. لكن هذه الحقيقة (جاءت متأخرة) ان انها «اعطته ... فكرة عن معنى الحرية» الحرية هي انفكاك من الاحاقيق» على ما فسرها الكاتب استناداً الى ما صدر من ميرسول من القول . اما سارتر فيصوب مقولة ميرسول بشكل الفصح وأوضح اذ يقول «الحرية هي العرب» ولذا فهو «لم يشعر بكامل حرته وحياته الا في ايام الحرب» . لم يضيف الكاتب تفسيره الخاص بالحرية الى ما سبق بقوله : «ان الحرية ليست كونك تفعل ما تريد . انها حرية امرأة ، وهي تفعل في اي حالة تحدد الانسان وتزيد من ارادته في الحياة» (1) .

وبعد ان يستعرض كاتبنا مشهداً طريفاً من قصة (وطن الجندي) لارنست همنغوي ينقش على (والشمس تشرق ايضا) فيقول عنها : ان فيها «اجوا خافتاً من التناهة والاثابلية ، فيظنها جاك بياض بخوش غمار الحرب ويصاب بجرح خفيف يجعله غير قادر على الاتصال بالشاء جسدياً . ان هذا الجرح يصعب رموا لكل مأساة الحرية غير المدركة . انه بحد امرأة ، التي تسطر الى الاتصال برجال آخرين لتسباع غريزتها الجنسية» .

وحين يرث المؤلف التطلع الى الارتباك والاعتراپ والانفعالات الخافق في الظلام والضياع الذي لا معنى له نراه يستعين بـ (ادواع للسلح) مقتطفاً من هنا وهناك نغماً يستشهد بها ، وفي تقديمه لهذه القصصة الرائعة يقول : ان «ادواع للسلح» يبدأ بتجليل بارع لامعني ، للارتباك الذي يحس به الجندي في غرب بلده عنه . ان هذا الجندي يشرب في الامامي والحانات (الجحش تدور الفرفة بك فيقتصر على تثبيت عينيك الى الحائط لايقاها» او «ليلة في فراش وانت سكران ، حين تعلم بان

«الشيء أسهل من هذا التجاذب إذا كان يشتهي المرء... إلا أن إيفان انتقل إلى ابعاد من كل الصدق المعروفة .. إلى قلب الأشياء.. فهل كان ذلك القلب ميتا كالحجارة الصلدة ؟. لا يجرؤ المرء أن يقول ذلك حين يتكلمه » .

ويرمز أوليفر إلى هذا الفراغ الخلقي بقوله :

« لقد اخطنيت رصاصة خارج (البرت) ، إلا أنها أصابت ساعتني . كان في أمكاني أن أعزها فتشغل بفسح لحظات ، إلا أن التابض كان قد نظم . وتخامرني الآن فكرة تدفني إلى الاعتقاد بأنني لن أقدم فسي السن بعد الآن ، وأن موتي ، حين يأتي ، إنما يلوح شيئا قديما ، أو نكبة ماضية . »

وبعد أن يعترض أوليفر على ذكر «التاسع الزعيمين الذين يهتفون ضد الحرب» مطالبا بـ «حرب حقيقية» تساهل جوان :

« وابن هذا العدو ؟ »

فيرد عليها قائلا «أنت كنت تعلم أين هو لما جلست هنا بالناس ، غير أننا نتخذه بسهولة » .

وهنا نجد الشك العام الذي يلف أوليفر ويلفحه بسمومه حتى يبلغ به اليأس الفاتك تلك الفضيحة التام فيفقد كل أمل في التمييز بين الحرب الحقيقية والحرب الروحية ، بين العدو والصدق ، بين الأبيس والأسود ، ومن هذه المعاني المولغة في التيه والانسلاخ عمن الوجود الإنساني تنفذ سحب الضباب المدهم المعاني ، «رول معالم الطرق وتهدد الفواصل بين القيم المختلفة وتشتد عواصف الخواء والدم ، وتتميز بدبيات التاريخ بدلالاته الاجتماعية وتلغس جميع المثل العليا ، وكيف لا يكون الأمر كذلك والشر والغواء مشروران في طياتنا جميعا ؟ نتحدث أيكون إلى سوزان بقوله :

« إن شرا ما في طياتنا يا سوزان هو أن الأشياء التي نريدها لا قيمة لها ، أننا نريد المال ونريد السلام » .

وفي بداية الفصل الثالث تجري هذه المحاورة ذات الدلالة بين الآب وأبنه :

« ستراود : هلا أعطيتني الكتاب المقدس ؟ أريد أن اتحقق ... إلى أن ألبس في غير الملوك الأول الإصحاح التاسع عشر... (٦) . »

« أوليفر : يا الهى المبراة ؟ »

« ستراود : يا الهى خذ حياتي ، فإني لست أفضل من آياتي . اليس ذلك أقرب إلى التقدمية وخيبة الأمل من جانب ألبيا ؟ ترى لماذا بغرض أنه موجود ؟ »

وعلى ذلك فإن مشكلة الوجود أو عدمه هي المشكلة الرئيسية ، أن كل منهما يفرض أنه موجود ، ولكنهما ليسا كذلك ، إذ وجدوها وجودا لفظي غير حقيقي ، وهي غير واقعي ، وهو اسم بلا معنى . وليس للعدمية شيء أبعد دما نلق به ستراود في التدليل على الثقافة والسخافة والجفاف اللائمة للحياة بصفتها العامة والخاصة ، بمدولها التاريخي والفردى ، وعلى المصعدين الإنساني والحيواني . وهذا الأمر يبدو جليا من دماء ستراود : «أرحمتك يا الهى ، يا من تخلق المخوقات لتفاسي دون أن تفهم لماذا ، ولذا ينسدل الستار على الفصل الثاني بعد التاحة الكبرى على التفسير الإنساني .

القريب الرومانسي

يعد المؤلف القرن العشرين (عالمًا جديدًا) بالقياس إلى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، وبصدد هذا القرن يتحدث قائلا « أن اللاعنتمين مرض الروح ، يرى أن هذا العالم إنما يبعث على الرعب ، لأنه يمثل بالنسبة إليه عالم الحضارة وميكانيكته المتشعبة تشعب خطوط الاسطوانة ، والذي يلوح وكأنه يلف بينه وبين الحرية» . وبهذا الأسلوب من التعليل المبسط يفسح كاتبنا اللاعنتمني آراءه للعالم ، فسي حالة يرثي لها من المرض النعفي (الروحي) والرعب المروع والاكتماس

ذلك (لذلك) كانت كل من معك هنالك والفرابة التي تحس بها عند استيقاظك محاولا أن تتذكر من كان معك ، بينما نجد العالم كله شيئا لا حقيقيا غارقا في اللاملام .

ولكي يثبت الكاتب الموقف الوجودي لهمنفوي يحيلنا إلى كتابه (التاريخ الطبيعي للموت) فيقول على هذه القصة قائلا «تعتبر (التاريخ الطبيعي للاموات) أوضح الإلمة على وجودية مهنفوي ، كما أن عبارة «معظم الناس يموتون كالحيوونات لا كالشجر» هي جوابه على الإلمة الإنساني بكامل الإنسان . أنه لا يستطيع أن يؤمن بالذي يدعو إليه الأسلف تبار وباليه في دعاوهم ، إلا هذه الفكرة تلوح تحيلة إلى جانب خلائق الوجود الخشنة » .

أما الحب الذي يتصل منه فردريك هنري (٥) حين يحاور الممرضة ، فإن كمنيا بظفيه باعتباره غير محتمل بل هو «مستحيل حين يكون هنالك معنى متسلط من الاخلاقية» ولكنه يعود فيعترف بها قوة حية جذابة في مشهد فردريك الجريح في ميلانو ، هنالك حيث تلقني به الممرضة نفسها في المستشفى فتدعو عليه وتفتح له قلبها ، فيفتح قلبه لها عرفانا منه بالجميل ، وعقابة منه الحب بالحب والود بالود . وهنا يسبق المعنى الوجودي للحب لينبثق المعنى الإنساني .

أما الشجاعة الخارقة التي يتمتع بها سانتياغو بطل (الشيخ والبحر) والتي يلخصها أدور لثغص وأنبلة واجمله بقوله «من الممكن تعمير الإنسان ولكن ليس من الممكن قهره» فإن المؤلف لا يرى فيها غير الشك الصاحب للأدب ذلك بأن «الشجاعة مشكوك فيها لأن المسوت ينهبها . في حين أن الأسباب التي تبعثها هي عادة أفيون الشعوب » .

ترى لماذا ينفى المؤلف حين هذه السمة البارزة كل هذا الرمز في شخصية سانتياغو ؟ لماذا يحاول أن يستبدد الضباب الوجودي الاخلاقي لسلم الأشياء من مسيحيتها ؟ لماذا تنبش بكل ما له صلة بالروح القديمة ، بالأفلاسي الروحي ، بالجانب المظلم من الحياة الانسانية ، بالأمم الجبوح بدلا من الرسوقي الأداة ؟ وفي كل ذلك معيا استشهد الكاتب به من شواهد فضلا عن تشبه التشديد بـ (الحياة السرية) لهرلي فرانكل باركر التي حدثنا عنها جورج سامسون بقوله : «الحياة السرية : مسرحية معجزة مريكة من مسرحيات ما بعد الحرب» . ولما هذا العالم العقلي متقلبا إلى روح نهائية ، لا شيء فيها من التمرکز الدراماتيكي ، وإنما بذهب الأشخاص فيها ويأتون فقط ، ويلوح الحب فيها شيئا لا دافع فيه... الحوار تارة مسرحي اعتيادي وتارة أخرى فلسفي مجسر ... ولا نلن أن كتابا آخر استطاع أن يوحى بالأفلاسي الروحي الذي سببته الحرب كهذا الكتاب . ؟

يكتفي أن نستمع إلى شيء من الحوار في هذه المسرحية لتعرف الإجابة من كل الأسئلة التي طرحناها منذ حين ، فهي كيلة بتوضيح قصد الكاتب من الفصل الثاني بأسره ، وهي - في الوقت نفسه ، تهديد للفصول التالية : في المسرحية شخص مهم هي إيفان ستراود (الآب) وابنه أوفر كونتيل ، وجوان المرأة الثكلى التي فقدت ولدها في الحرب والتي كانت عشيقه ستراود ، وسوزان الأمريكية صديقة أوفر . كان ستراود عضوا ذا شأن في حزب الأحرار ، لكنه انفصل من هذا الحزب وأسس افلاسا متويا ، إلا أن الحزب يحاول جهده اعادته إلى العظيمة ، بعد أن أفلت منها ، جاء في الفصل الأول :

« جوان : أطلق نفسك يا أفلت منها ، يا سي هذا الجحود ..

ستراود (يعبوس) : حين يبلغ الحمار منتهى أمكانياته ، ويكون قد اكمل كل في طيقته ، يبدأ بالقفز والرفس ... اليس كذلك ؟ » وفي الفصل التالي يقرر ستراود العودة إلى الحياة السياسية ، (يلي ذلك مشهد مهم يشرح فيه أوليفر لماذا يريد أن يعمل مع ستراود) فيجري هذا الحوار بين أوليفر وجوان التي تصبح بمثابة حبيبة لكل من الآب والآبن . يريد الآبن أن يعرف سر فشل أبيه ، إلا أن جوان لا تعترف بفشل ستراود سياسيا ، وهنا ينثري لها أوليفر قائلا :

ثم نأتي الى اوائل القرن العشرين لنجد جيمس جويس ، الذي صور في كتابه (صورة الفنان شايبا) اللامنتهي في حالته الواقعية والرومانسية . (اذ بينما يسأل الوافي : «الحقيقة ؟ ترى ماذا يعنون بها؟ يقول الروماني «ان استطع ان اجد الحقيقة» ومن طريق هذه المغالطة يتجلى لنا الحد الفاصل بين الواقعية والرومانسية اللامنتهين نميا واعيا في البحث عن فلسفة جذرية باليشير اللامنتهي الذي يتمثل في جانبه السلبي (بمعلاق وجودي يرفض كل الفكر لـ « انه سيقطع وراء الفطرة الطبيعية ، وراء الاخلاق ، انه الانسان الذي يقبض على فكرة تعبره ، ومن جانب آخر على فكرة العودة ثانية وراء الفناء ، وراء الشخصية الفردية ، ان انسان كل كارامزوف هذا لا يجب شيئا ، لكنه يحب كل شيء ، انه شيء بدائي وكيان روحي عرلافي ، (وهو لا يستطيع ان يعيش بهذا الشكل (٧)) وانما يستطيع فقط ان يفلسي هذه الحياة (٨) . وازاء هذا الجانب السلبي ينتفض الجانب الإيجابي واقفا ، فلنستطيع ان ما يقول امل سنكلير في (دميان) : « ان حياة الانسان في طريقه الى نفسه... ولم يحصل انسان ما على الادراك النفسي حتى ، الا ان ذلك ما يريد ان الانسان ، ومن هنا سنباحل تحقيق ذلك باصرار وعمل متواصلين ، ومنهم من يقولون مجهودا اقل ، الا ان الجميع يعملون معهم بقايا مولدهم ، الزوجة وقصور البيض ، حتى النهاية)...» (٩)

اما اهم ما كتبه جيس فقصته (ستيفن وولف) ويعتبر كاتبنا هذه القصة (مساهمة مهمة من جانب جيس في مشكلة اللامنتي) وبعدها أولى دراسة ظهرت حتى الآن . فما جهر هذه القصة التي يتم بها وليس كل هذا الاهتمام ويشير اليها باصابعه العشرة ؟ ان جوهرها يتجلى لأول وهلة وبكل يسر ، انه مجموعة من الاحلام سطرها هاري هالتر الذي اتخذ الاسم المستعار (ستيفن وولف) وهاري هالتر هو لسان جيس الخوف .

فلننتقل الى حلم من هذه الاحلام ، حتى تكون لنا فكرة من هذا الكتاب يقول ستيفن : «التيق في اعماقي فشك منتش ... فشك كلتي جيدا كقائمة حسابون... ثم اتجرع بهود... ناكرا وراءه ذبوا فحسية وهاجرة وبذرت كل ما بها خو خالد ذكرت موزارت ... والكواكب واستمر ذلك ساعة كاملة ، كنت خلالها مكون الانفاس ..»

وفي آخر القصة مقالة تحت عنوان « مقالة عن ستيفن وولف » وهي ولا شك من وضع هالتر نفسه وهي تعيننا على نفهم فلسفته وندلنا في الوقت نفسه الى الطريق الموصلة الى الاله وتشرق لنا مقام الانسان في هذا الوجود وتأخذ بايدينا الى جادة الصواب ، حتى لا نضل ناهين بمتعثرين في شهاب اللامنتية المتتوية ، واليك لمع وعينات من هذه الفلسفة : «ليس الانسان ... شكلا ثابتا غير متغير... انه... تجرسيه وانتقال . انه لاشيء اكثر من جسر ضيق خطر بين الطبيعة والروح . ان المصير الكائن فيه يدفع الى الروح والى الله ، اما حينئذ الكائن فيه ايضا فانه يعود به الى الطبيعة ... الانسان هو تسوية (١) . يروجواة » ومن ثم فالتسوية البرجوازية هي الحل الوحيد للمشكلة الفلسفية ، التي الوسط بين الطبيعة والروح ، وعلى ذلك يكون هذا الحل ردا واهيا شافيا على التساؤلات العديدة الوهيرة التي لم تبرد غلتها بعد... الا ان هذه التسوية لا تحلو له الا حين جاذ قصير ، فلننتصع اليه وهو يحدثنا عن الانسان مجددا وعن طريقه الملتية بالمشاء والتوازل والرجية المفرزة : «ليس ذلك الانسان مخلوقا كاملا ، انما هو تعد الروح ، انه احنال بعيد يخشى منه كونه من مغربا (فيه) لان الطريق الموصلة اليه ليست مهيدة الا في جزء صغير منها .. وان ذلك الجزء الصغير المهد هو مشقة مهيده اليوم وتمثال ذكراهم من هذا الكلام الذي تصني اليها بنفاس مهيوة وكذا اسماع واذا ن صافية ؟ انه كلام لولي يدور بقولنا وفلونيا في الاتجاهات كافة وفي جميع المسارب الخافية والاختايد المتتوية والتلاخ البارزة لكن

المتشرق والصمودية الانمائية المولفة في الجفاف ، ذلك ان الجو الذي يحيط بهم جو مليء بالمفونة الكربية والتلف الروحي المستمر في الازدياد والانتشار . كل ذلك لان عالم القرن العشرين عالم بالهين ، على حين كان عالم القرنين الثامن عشر والتاسع عشر عالم اطفال . ولذا لا تصح المقابلة بين الباليين والاطفال . كان التفاؤل في مستقبل الانسانية يسيطر على اذهان اساطين الفكر والعلم والادب ، وكان التطور - في شتى مجالاته - الطابع المميز لذلك العالم ، وبخاصة على ايدي دارون وسينسر وعلمي ، فاحسرت رافة التفاؤل ، وتصادفت ، واتعشت مبادئ التقدم والايام بمستقبل الانسان الوضاء ، وحلت في النفوس روح من الترقب والتشوق وجب الاستطلاع . ولذا كان اللامنتي غربا حقا في مثل ذلك العالم ، لان وجوده نشاز لا يعتد به ونصرفاته تصرفات صيبانية لا يكثر لها ، ولا يفتنى منها ، ذلك ان اللامنتي «انسان ليس من هذا العالم» انه طائر غريب في خيلة غناء ما ان يلبث قليلا ليعلم نفسه فريدا حتى يظهر متجها الى عوالم اخرى ، حيث يجد لنفسه العيش المريح ، والمكان الامين ، والقوت الوفير . وهذا ما فعله كيترون كايرون وشيلاي وكيتس ، او ان يمر على شئيشة بهذا العالم على غصافضة منه وكزه ، لتقيد بفسرورات هذه الحياة ، كما فعل نوفاليس وشيلاي وكوليرج . وهؤلاء جميعا ، على قصر اعراضهم او طولها ، اناس حاولون ، عاشوا في هذه الحياة الخيالية في حلم طويل . وقد عبر غوته في قصته (الام فرتي) احسن التعبير عن هؤلاء اللامنتيين الخياليين ، اذ لم يعمل من قلب بطله قلبا مليئا بالدم الغالي الصافي بل قلبا مفعما بالدم الشاحب الاصفر الذي صارعه النزاع طويلا حتى سرعه . وفي ذلك الجو من الاحلام العاصفة ، وبعد (فرتي) كتب شلر (للموصوف) (دون كارلوس) .

وبعد ان انتقلت الرومانسية الاقالية الى الكلترا) ب (ترجمة كوليرج (لاشمل لاشمل) وظهور (تأليفها رولد) كايرون ، استشرى هذا المذهب (الادبي) في تلك البلاد بصورة عارمة ضاحكة . حتى اصيبت مقومات هذا المذهب اساسا يستند اليها الادب الانكليزي بوجه اسنادا فويا . فكان ان ظهرت شخصية «التور» تشيليبي ، وذلك الشاب الذي يلوب شوقا واسى لانه لا يستطيع ان يجد في حلم الذي يشبهه شخص الفتاة التي عاشته مرة في حلم من احلامه) .

وهذا الحلم هو حلم زمين ، ان صاع التعبير ، يلازم اللامنتي الروماني ملازمة الظل والى هذا اشار وليم موريس في كتابه «حلم جون بوجر» ولا سيما حين قال انه «حلم بعوالم جديدة» وتليه هسدا جزء لا يتجزأ من طبيعته لانه «الضمي الغامض في يوم من ايام الفراغ» . اما العالم المحيط به فغامض مزيج مرعب مدغل ، لا يجد منه فكلاكا الا في الموت الذي حدثنا عنه كيتس «لم يلع لي من قبل كما يلع الان مليتا بالمعذوبة ان اموت ، ان اكف عن الحياة . بدون الم» .

- (١) اعتمدنا في هذه الدراسة على ترجمة الاستاذ آيس زكي حسن .
- (٢) ورد في النص المترجم «لا شيء يمكن تنويعه» والصواب «النتيبت منه» فليراجم (٣) ترجم الاستاذ حسن كلمة Causality ب «عرضية» طانا لكلمة Casual ولا اضطرت ان اميد ترجمة الجملة حفاظا على معناها الدقيق ، والاستاذ معذور لهذا الالتباس . (٤) هذه الجملة من ترجمتي الخاصة . (٥) من ابطال قصة «وداع للسلاح» . (٦) استعمل الاستاذ حسن كلمتي «الانجيل» و«التور» في غير مكانها ، وكذلك شطب سفر الملوك الاول والاسحاح التاسع عشر ، مما اخيل بالمتى المطرب الاول الذي اضطرني الى ترجمته من جديدة ، ع لثروة . (٧) من الترجمة الخاصة ، ع لثروة . (٨) ع لثروة في كتابه «ظرة في اللوذي» . (٩) عيس في قصته «دميان» . (١٠) بالنص المترجم «انفاق» وهو غير واريد لانه يخالف النص الانكليزي .

نغم وزهرة

بحات صوتك في عروقي اغنيات تتفجر
 تنساب في اعماق احزاني
 فتسكرها وتسكّر
 كلها ناي ذابل الآهات مجروح النغم
 للمته من صمت غابات الماسي والالهم
 من غابة الريح التي
 كانت بما نشدوه تسخر
 من شهقة ذبلت على اوتار قيثار تكسر
 حطمته من اجل نظيرة
 من اجل زنبقة وقطرة
 من اجل زهرة
 اهديتها عندما ابصرت في عيني حسرة
 هل تذكرين
 نسيت من فرحي على شفئك فكرة
 من اجله
 حطمت قيثاري لكيلا يبق في شفئك سره
 لا تقضي فجميع أسراي
 حزبات ومرة
 لا تقضي وتذكريني
 في الخيال ولو لمرة
 عيناك توقد في ضلوعي كلما انساك جمرة
 وجراح صوتك في عروقي
 اغنيات تتفجر
 تنساب في اعماق احزاني فتسكرها وتسكّر
 تنساب تبحث في حنايا القلب
 عمن نغم وزهرة
 اهديتها عندما ابصرت في عيني حسرة
 ذبلت وحزني مثلما تدبرين ... لا املك امره

احمد سليمان جيبي

الكويت

عليها تصفح الصفحة (٧١) من الطبعة الثالثة من (اللامنمي) ومع ذلك ،
 فان كاتبنا ، اعانا منه في عرض المشاهد الشاذة والمناظر البشعة ،
 يقارن بين هيس ووليامز مان ويفضل الاول على الثاني ، وذلك لقابلية
 الاول على (بعث الحياة في شخوصه) بصورة حيوية وقبيرة ، في حين
 ان الثاني يبت الحياة في شخوصه بشا ، واذلك لان مان يقف من
 شخوصه موقف المراقب ، في حين ان هيس يمثل شخصا من شخوصه
 دائما مخليا ذلك ما استطاع . ثم يضيف الكاتب الى ذلك قوله « ان
 هذه الحيوية التي تتميز بها افكار هيس تجعله اقرب الى دوستويفسكي » .
 وبعد ، هذه دراسة استطلاعية ستتيحها دراسات اخرى نواكب فيها جميعا
 كتابات كولن ولين مبتدئين بـ (اللامنمي) نرجو ان تطرح فيها فضايا
 الادب المعاصر طرعا جديدا .

من غير جدوى ، وبغير فحوى ومفسوم . الا ان المعاني كلها تتجمع
 وتتناظر وتتشابك بوفرة وفيرة وكثرة غزيرة حين يجد هائل نفسه بين
 احضان ماريا ، فمن له الانسان سامعتان فليسمع : « وكف قلبي عن
 الخلقان .. وغرقت في فيض من القنطة والحزن . كانت حياتي قد
 اصبحت تعباً متصلاً ، بعد ان جابت في تلك المتاهات التي ليس فيها
 الا الشقاء ، والتي لم تعد الا الى نبد كل شيء ، انها قادت الى
 اللاشيء » ثم يستمر قائلاً لا ولكن ما يكون من امر ذلك الطريق العفير
 الى الموت . لقد كان لب حياتي وجوهها نبيلاً ، وقد جاءني هذه
 الحياة من مصدر علوي (النها) اعتمدت على الكواكب . هكذا وبكل هذه
 البساطة والرفاهة واللطافة ، يوصل هائل وشائج بالمصادر العلوية
 والكواكب السماوية كي تكون اسباب الجنان مفتحة قدامه ، بعد ان
 يكون قد نال الفران وتم التكفير عن ذنوبه القذرة التي وصفها كذلك
 ولعن نفسه ، والتي نربأ بانفسنا عن وصفها وللغاريء ان شاء ان يعرف

يوسف عبدالمسيح ثروة

بفقدان

كلما عدت بالذاكرة الى تلك الحادثة تمنيت ان اعلم اين كان يسكن ذلك الولد ، ومن هو ابوه ومن هي امه . ففي غيش الفسق لم استطع ان اميز وجهه بجلاء ، والشئ الوحيد الذي اذكره ان انفه الصغير كان مغطى بالشمش .

فقد حدث في احدى امسيات الصيف ان دخلت حديقة صغيرة - لا اذكر اسمها - في مكان ما على جزيرة فارليفسك . وبعد ان استقر بي المقام على احدى المصطبات ، استغرقتني مطالعة كتاب كنت احمله ، فما عدت اشعر بدنو المساء حتى اصبح من العسير ان اقرا .

اغلقت الكتاب ونهضت واتجهت نحو بوابة الخروج . كانت الحديقة الان خالية . وكانت انوار الشارع مشتعلة وفي مكان ما خلف احدى التوابات سمعت طرق جرس الحارس . وخشية من ان تعلق بوابة الحديقة اسرعت الخلى . وبجأة وقفت بلا حراك . في مكان ما الى جانبي خلف الشجيرات كان هناك من يبكي . فاستدريت نحو طريق فرعي ، فاستطعت ان ارى من خلال الفلال القائمة اللون الابيض لبيت حجري صغير وكذلك صندوق حراسة الى جانبه . وبالتقرب من الصندوق وقف صبي صغير في حوالي السابعة او الثامنة من عمره وقد اخفض راسه باكيا . فاقتربت منه سائلا :

— ماذا بك يا بني ؟

وفي الحال كمن صدع لامر ، اوقف البكاء ورفع راسه ناظرا اياي .

— لا شيء .

— كيف تقول لا شيء ؟ هل اذاك شخص ما ؟

— لا . لم يؤذي احد .

— اذا علام تبكي ؟

كان عسيرا عليه ان يتكلم لانه لما زال شارقا بعمراته . فقلت له :

— تعال . تعال . الافضل ان نذهب من هنا . انظر ان الوقت

متأخر . وسيفلقون الحديقة . حاولت ان امسك الولد من يده غير انه سرعان ما سحبها . قال :

— لا استطع .

— ماذا تقصد بانك لا تستطيع ؟

— لا استطع الذهاب .

— كيف ذلك ؟ لماذا ؟ ماذا بك ؟

— فاجب : لا شيء .

— هل انت مريض ؟

قال : كلا . انني بصحة جيدة .

— اذن لماذا لا تستطيع الذهاب ؟

فقال بعد تردد : انا . انا حارس .

— اي نوع من الحراس ؟ كيف ؟

— حسنا . . ماذا بك . . الا تفهم ؟

اننا نلعب .

— مع من تلعب ؟



تأليف الكتي بانتيليف
ترجمة عبد الواحد محمد
http://www.sakab.com

سكت الولد هنيهة . تاوه . . ثم اجاب : لا ادري .

فقلت له : اسمع . كيف يمكن ان يكون ذلك ؟ انت تلعب ولا تدري مع من تلعب .

قال الولد : هذا صحيح . لست ادري . كنت جالسا هنا في الحديقة على احدى المصطبات عندما اقبل نحوي بعض الاولاد الكبار وقالوا لي : تريد ان تلعب لعبة الحرب ؟ فاجبت : اجل .

فبدانا نلعب ثم قالوا لي : انت



سرجنت . وان احد الاولاد الكبار وكان برتبة جنرال جاء بي الى هنا وقال : هذا مخزن الذخيرة . وانت الحارس . قف هنا في واجب الحراسة ولا تغادر الا باشارة مني . فقلت له : حسنا . ثم قال لي : اعطني كلمة شرف بانك لن تغادر المكان . فقلت له : بشرني ان اغادر .

— ثم ماذا ؟

— وهكذا بقيت واقفا . . واقفا . . ولم يجيء منهم احد .

فقلت بينما : هذا هو الامر وما فيه . وهل مضى وقت طويل منذ ان تركوك هنا ؟

— كان الضياء منيرا .

— اين هم الان ؟

فتاوه الولد ثانية وقال : احسب انهم قد ذهبوا .

— هل انت واثق ؟

— لا بد انهم نسوا .

— اذا لماذا انت واقف هنا ؟

— لانني اقسمت بشرني .

ولو ان رغبة على الضحك راودتني ، غير انني ادرست ان لا شيء يبعث على الضحك في هذا المكان وان هذا الصغير محق في قوله تماما .

ما دام الولد قد اعطى كلمة شرف فعليه ان يحرس ، سواء كان الامر لعبا او جدا . فسالته :

— ما الذي ستفعله الان ؟

بكي الولد الصغير ثانية وقال :

لا ادري .

اردت ان اساعده بطريقة ما . ولكن ماذا استطع ان افعل ؟ علي ان اذهب للبحث عن اولئك الاولاد الذين تركوه هنا ، بعد ان اخلوا منه كلمة الشرف ، بينما هم ذهبوا الى منازلهم . اين يستطيع المرء ان يبدأ البحث عن اولئك الفتيان ؟ لا بد انهم قد تناولوا العشاء ثم اتندسوا في افرشهم حالين . بينما يقف هنا «رجل» . . ربما جوعان . . يحرس في الظلمة . فسالته : ربما انك تريد ان تاكل الان ؟

فقال : اجل اريد .

فقلت : حسنا . اصغ الي . هيا
عجل بالذهاب الى بيتك وتناول
عشاءك وساقف هنا في مكانك .

قال : شيء جميل . لكن هل
هذا مسموح به ؟
- ولم لا ؟

- انك لست في الجيش .

- هذا صحيح . فلن يحل وقوفي
المشكلة . ليس بإمكانني ان اخليك من
مهمتك . لا بد لجندي مثلك ان يقوم
بالمهمة .. وان ضابطا برتبة عالية
يستطيع ان يأمر بذلك .

وبفئة خطرت في ذهني خاطرة .
ففكرت . لكي احل الصبي من كلمة
الشرف واخليه من مهمته ، يجب ان
يكون هناك رجل عسكري . عند ذلك
لن تكون هناك مشكلة . فما علي اذا
سوى ان اعثر على عسكري . فقلت
للولد الصغير : انتظر قليلا .

ومن دون ان اضيع لحظة واحدة
اسرعت الخطى نحو باب الخروج .
لم تفلق البوابات بعد ، فوقفت في
الخارج منتظرا مرور احد افراد
الجيش . لكن .. لسوء الحظ .. لم
يمر اي واحد منهم لفترة طويلة .
غير ان شعورا بالارتياح راودني لما

صدر حديثا

غادة افاميا

دراما شعرية

في اربعة فصول

لمدنان مردم بك

منشورات عويدات بيروت

رايت على الجانب الاخر من الشارع
جمعا من الرجال وقد بدوا مرتدين
معاطف غامقة . فحسبت انهم بحارة ،
فاسرعت نحوهم عبر الشارع . فلما
اقتربت منهم اكتشفت انهم عمال
وليوسوا بحارة . ثم مر رجل طويل
من مستخدمى سكك الحديد وعليه
معطف يراق اللون محلى بقطع خضر
وفي هذه اللحظة ادركت ان لا فائدة
من هذا الرجل ذي المعطف البراق .
اوشكت ان ارجع الى الحديقة وعند
ذاك لمحت عند الزاوية وفي موقف
الباص قبعة ضابط بشرطها الازرق
المألوف . فنكست راسي خشيعة
الريح واندفعت نحو موقف الباص .
واتخذ اوشك ان يصل باص الى الموقف
فرايت الضابط الشاب وهو برتبة
ميجر يستعد للركوب . فاندفعت
نحوه مسرعا وامسكت بيده صائحا :
ايها الميجر ، لحظة واحدة من فضلك .
فالتفت الي وحذر في دهشة وقال :
- ماذا ورايك ؟ فاجبت :

- حسنا .. انك ترى .. لدي
مشكلة . هنا في هذه الحديقة يوجد
ولد صغير يهرس واقفا . وهو لا
يستطيع تحريك الكاحل الا ان اعطيه
كلمة شرف . انه صغير جدا .. وهو
يبكس .

فنظر الي الضابط منزعجا . لا
بد انه ظن بي الجنون . ثم سأل :
حسنا .. ماذا تريد مني ؟

لقد بارح باصه الموقف فنظر الي
بغضب . بيد انني لما شرحت له
المسألة بالتفصيل زاد اهتماما وقال
بانفعال : هيا بنا . هيا بنا . لم لم
تخبرني ذلك في الحال ؟

عند اقبالنا على الحديقة ، كان
الحارس على وشك ان يفلق البوابة .
فرجوت منه التمهل بضعة دقائق لانني
تركزت ولدا صغيرا في الحديقة .
فدخلت انا والميجر الى داخل الحديقة
.. وفي الظلام لمحنا البيت الابيض
الصغير . كان الولد ما يزال واقفا
في ذات البقعة التي تركته عليها .
كان يبكي .. لكن بهدوء هذه المرة .

نادبت عليه ، نسر لرؤيتي . قلت :
هل ترى .. لقد جئتكم بالضابط .
فما ان راى الضابط حتى انتصبت
قامته وبدا كانه اطول من واقعه بضعة
سنتمترات . فخطاب الضابط الولد :
- ايها الرقيق الحارس ، ما هي
رتبتك ؟ قال الولد الصغير : سرجنت .
- ايها السرجنت ، اني امرك بان
ترك الموقف الذي مهدت اليك
حراسته .

- ما هي رتبتك ؟ فانا لا ارى كم
نجمته تحمل على كتفيك ؟ قال
الضابط : انا ميجر .
عندئذ رفع الولد يده بصلابة الى
ذروة قبعته الرمادية محبيا وقال :
امرك يا ميجر .

قال الولد ذلك بكل وضوح ومهارة
بحيث لم نستطيع ان نمنع نفسيما
من الانفجار ضاحكين . فضحك الولد
يسرور ايضا . وما كدنا نفاذر
الحديقة حتى تصاعد صوت انفلاق
البوابة . ثم اخذ الميجر بيد الصبي
قائلا : انك تملك العناصر الاساسية
لجندني من الدرجة الاولى . وداعا .
بعد ان حيانا نحن الاثنين اسرع
الميجر الى باصه المقرب من الموقف .
فسألت الصبي : ربما تريد مني ان
اوصلك البيت . قال : كلا . انما
اسكن عن كثب من هذا المكان . ثم
اني لست خائفا .

نظرت اليه وخمعت ان لا شيء
يخيف مثل هذا الصبي . ان صبيما
له مثل هذه الإرادة القوية والثقة
الراسخة ، لن يخاف بسهولة من
الظلام .. او الانزال .. او حتى من
الامور المربكة . وعندما سيكبر
- ومهما صار - فانا واثق انه سيكون
رجلا حقا .

لقد شعرت بارتياح تام لتعرفني
لهذا الصبي الصغير .
وعند توديعي اياه صاحته بقوة
للمرة الثانية ... وملء قلبي فرحة
طاغية .

بفداد

عبد الواحد محمد



عبارات السلوك عند أبناء دير الزور

تأليف المحامي عبدالقادر عياش - ٤٢ صفحة - سلسلة تحقيقات فولكلورية من وادي الفرات - مطبوعات مركز الدراسات التاريخية والجغرافية بدير الزور سودية - الطبعة العلمية بدير الزور في حياة التأليف والكتب نجد فئة من العلماء والادباء يعملون في صمت، وبطاقة الناس بين حين وآخر علمية وأدبية فنية ، فقصوا في تصنيفها وتأليفها سنوات عديدة ، فإذا هي تسد فراغا كبيرا في عالم الفكر والادب وتسجل مراحل خطيرة من تطور الشعوب .

وفي مقدمة هؤلاء الادباء والعلماء كاتب وأديب مرموق بذل جهدا كبيرا في تسجيل عادات بلاده وتقاليدها ، وتاريخها وجغرافيتها ، وتطويرها ومنها بل وعبارات السلوك التي تدور على السنتها ، هو الاستاذ المحامي عبدالقادر عياش .

لقد نشر الاستاذ عياش حتى اليوم مؤلفات قد تربو على الخمسين عددا ، يدور جلها حول الجزيرة والفرات ودير الزور ، وكل ما يتعلق بما يسمى ، في العصر الحديث «فولكلور» أو طراز حياة الشعوب ، وتتبع العالم التمكن والحق الجارب جوانب لا حصر لها في حياة وطنه ، وسجل هذه الجوانب ، بل لقد قام بآثر من ذلك وطبع كل تأليفه ، ونشرها بين الناس ، وأهداها الى عدد كبير من الدوائر والمؤسسات والمهادر ورجال الادب ، ولم يبتغ من وراء ذلك كل شيء ، ولم يتفق مكسبا ماديا ، بل اندفع في سبيل فكرته وفنه بتفق عليها من ماله ، لا يريد جزاء ولا شكورا .

ولقد حاولت مرارا ان اكتب شيئا يتعلق بهذا الاديب الكبير والعالم المحقق ، كلما ظهر له كتاب يجمع الدقة والبحث والتفكير وكانت المحاولة الاخيرة هذه بمناسبة ظهور كتاب له جديد «هو عبارات السلوك عند أبناء دير الزور» .

ليس من شك ان التطور الاجتماعي والثقافي والاقتصادي في كل بلد من بلاد العالم يفرض على الناس فرضا تبدا ميعا في السلوك وعيادته ، فقد كاد الانسان في بلدنا مثلا لا يكاد يقوم ويقعد ويسجل وبعض يستحم ويأكل ، ويدخل ويخرج ، ويطلق ، لا يكاد يقوم بعمل من الاعمال صغير ولا كبير الا اسمع عبارة مناسبة نقال له ووجب عليه ان يردعا بمتله ، او كان من الواجب عليه ان يقول كلمة مناسبة وعبارة مفرقة ينتظر جوابها من الناس .

ولكن التطور في مختلف جوانبه ، في مجتمعنا الحاضر ، الذي يتصف بالسرعة في كل شيء ، بدأ يفرض على بلدنا وطينا اختصار كثير من الكلام واقتضاب الوان من العبارات ، بل ربما فرض علينا التخلف عن كثير من آداب السلوك وعبارات التهنة والتعززة ورصد حركات الناس في كل قيام وقعود ، وفي كل منقلب يتقلبون اليه لتقول لهم كلمة مناسبة او تسمع منهم كلمة مناسبة .

ومن هنا تجيء القيمة التاريخية الكبرى لكتب الاستاذ عياش الذي يسجل الفترة التاريخية التي تجاوزها بلدنا ، بكل ما فيها من حياة الشعب وتقاليدهم وقطوسه ، وهذه الفترة لن فقدت فيها كثيرا ،

ونقتبس فيها كثيرا ، والتي تبدل فيها مفاهيمنا وسلوكنا وحياتنا تبدا جذريا عميقا . ولعل السلوك الانساني ان يشبه طراز اللباس يتبدل كما يتبدل ويختلف كما يختلف ، وان كنا نهجد أكثر بظنا واقل نفيرا ، ونحن الذين شهدنا فترة من الدهر كان الناس يلقون فيها التحية على الناس سواء عرفوهم ام لم يعرفوهم ، ويرون في ذلك واجبا دينيا مقدسا واجبا اجتماعيا محتوما ، نشهد اليوم فطرة من الدهر على قرب ما بين القرنين من وقت ، لا يسلم فيها الجار على جاره ، وان التقي على سلم واحد في بناء واحد . والميزة الاولى التي تمنع بها كتاب الاستاذ عياش «عبارات السلوك عند أبناء دير الزور» هي رصد تلك الفترة وتسجيلها .

وقد قدم المؤلف لكتابه بكلمة عن نشأة عبارات السلوك بين الناس ، ثم بين العرب ، وما كانت تدور على السنتهم من تعيات وعن تأثر الجالس الايدي في ظهور كثير من عبارات السلوك .

وانتقل بعد ذلك الى ذكر الحوافر التي دفعت الى الاهتمام بالعبارات السلوكية عند أبناء دير الزور فلاحظ كثرة ورودها في الكلام ، ثم ذكر في تواضع العالم قوله : « ولا ازمع اني احصيتها ، وانما اثبت جملة غير قليلة منها» . كما لاحظ دلالة هذه العبارات من الناحية الوجدانية والعقلانية والاجتماعية وانها جزء من لغة الشعب كالامثال ، بل ان كثيرا منها امثال حقيقية ، وانها ناحية فولكلورية افعلها العرب . ثم يذكر في دقة المحقق ان هذه العبارات « اذا كانت لا تزال موجودة بعدة اكثر ، فلان عقلية الشعب لم ترق ترفيا يذكر منذ فرون . على انه يلاحظ ان هذا عند المتعلمين اقل مما هي عند الاميين ، وعند النساء اكثر من عند الرجال » .

ويورد المؤلف بعد ذلك ١٨٩ عبارة من عبارات السلوك تستعمل في دير الزور من اطرافها :

- عندما ياتون على (٦) في المد يقولون بدلها ستار الله ، ويبدل (التيبة) (سبعة) ويبدل النسبة : تسعد يا من تصلي على النبي . - يعقبون على شخص يذكر امرا مفسى عليه زمن طويل يقولهم : يوم الكائنات امي صبية .

- يقولون لمن ياكل مع جماعة ويكر لقمته : كانه ياكل مع عيان . - يقولون لمن ياكل كثيرا : نبت العشب جواك . - تدعو امرأة امرأة الي بيتها بقولها : فوني . نجواب الثانية بقولها : فأت عندكم الرحمن .

- يقولون للشخص الذي يتكلم في مجلس ويحيد عن الحق : « اقدم عوج واحكي عدل» اي اقدم كما تريد ، ولكن تكلم بالحق . - توفد الام البرية ايها التائم المتأخر في نومه رغم طلوع النهار قائلة : اقدم . لو نفع النوم نفع اهل القبور .

ويورد المؤلف بعض الامثال التي اصيحت جزءا من عبارات السلوك ، كما يرى ان للشعر العامي في الفرات دورا في التخاطب بين الناس ، وان كثيرا من آياته عبارات سلوكية يستعان بها في التعبير ، وتأتي مستقلة كافية في بفرس منشدتها .

وهكذا ينتقل القارئ مع مؤلف الكتاب في رحلة في دير الزور والفرات والبادية ، يسمع فيها الناس كيف يتخاطبون ويبراهم كيف يسلكون في ذلك في حرص العالم المدقق وخبرة الجرب ، وذوق الاديب . لقد كان وما يزال من واجبا ان نقوم بتكريم الاستاذ عياش على ما يبذله من جهد في بحث لم ينصرف اليه احد ، ولم يتفرغ لرسده متفرغ ، ولعل هذه الكلمة تكون قسطا صغيرا من حق له علينا كبير .

عبدالمعين اللوحي

دمشق

ليالي الرقمتين

مجموعة شعرية - امين نخلة - ١٢٨ صفحة - منشورات دار مكتبة الحياة في بيروت - مطبعة المطبعة في جونية لبنان

شرعت في قراءة هذا الديوان الجديد ، لشاعر العرب الكبير امين نخلة (ليالي الرقمتين) ، يشوق الى الديباجة الشعرية (الاينية) وشوق ايضا الى موضوعات الفلز ، والوصف عند الشاعر الكبير .. وسرعان ما وجدتني مشدوا الى الديوان بالف سبب ، وسبب نارة اشفق بقافية ، ونارة اكلف بمعنى ، وطورا آخر اهم يخيل ..

ولست اخفي اني كنت كل مرة اشق للشعر العربي الحديث ، وعليه ايضا من (اساليب) النمط الحر ، والمرسل ، والانثالي ، كما يقولون اليوم ، والتي تسربت الى كيانه حديثا ، وكنت ، في كل مرة ، ايضا ، اذكر ما يردده (الشعراء) الشباب المحدثون ، والمجددون ، شعراء (النمط) الحر ، والمرسل ، والانثالي ، كما هم يقولون في شعرهم ، من انهم قادرون على (النظم) ، على الطريقة السلفية ، العمودية من الشعر ، الى جانب فرقهم اساليب نظمهم الحر ، والمرسل ، والانثالي ، كما يقولون ..

حقا .. ماذا يعني هذا الكلام الذي نسمعه اليوم ، عليهم ، في كل مجلس شعري تقريبا ، في العراق ، ومصر ، وسورية ، غير (الاعتراف) بصلاح الشعر العربي العمودي ، الغليلي ابدأ للحياة .. وانه ، بالاحرى ، يحتاج منهم الى مزيد من (العناية) ، والاهتمام بطيوع له ما يظفرون من موضوعات يدعون انها جديدة ، او انها تلائم النمط الحر ، المرسل ، والانثالي ، الحديث دون سواء !.

لقد زاحمتني هذه (الخواطر) النقدية ، في حال الشعر العربي اليوم من التجديد ، والتطوير ، واتا اخذ هذه الصفحات عن هذا الديوان الجديد : - ليالي الرقمتين - ، للشاعر الكبير امين نخلة .. فان ها هنا شعرا سلفيا ، عموديا ، يسحر القلوب بأسلوبه ، وبأسلوبه الابائي بمعانيه ، واخيلته ، ومع ذلك ، لا فصيحة واحدة فيه تنتمي الى (نمط) حر ، او مرسل ، او انثالي ، كما يقول الشعراء الشباب والجديد .. حقاً ، اذا كان شعراؤنا الشباب يفتخرون بأنهم قادرون على (النظم) ، على الطريقة السلفية ، وعلى بصور الخليل ، - وكس هم يفعلون ذلك ، ودون طائل ، في كثير من الأحيان !. فما احرهم ان يدبروا اسرار البلاغة ، والجمال ، في (شعر) سلفي ، عمودي ، جميل ، خالد ، مثل شعر امين نخلة ، هو البقية المثلى من تجارب الشعر العربي ، الصحيح ، الاصيل ..

استمتع الى شاعرنا الكبير امين نخلة ، يقول في قصيدة «الشمس في لبنان» :

لك عرش الاق ، يا شمس ، وكم
ررف للمز فيه ، والخطر !
يسبت من تحتك الدنيا ربي
وهضابا ، بين طو ، وقمر ..
بالذي اعلاك : هل من منزل
زاهر ، زاه ، كلبان الخضر ؟
انت في السفع ، وفي الدوح به ،
وعلى القناع ، وفي شط النهر ..
فاطمني في جانيه رحمة ،
واسكني الدفء ، وصبي في
واجبلي ايامك الفرب به ،
موسم الحن ، واعياذ البصر !..
تجد (الحن) الانساني يوابك (الحن) الجمالي ، ابتداء من مرتكز

واقعي ، مشوب ، هو لبنان ..
واسمع اليه يقول في قصيدة «الارز» :

يا نسيم (الارز) من نفع ، ومن
يلس يسري ، وربما تسطع !
طف بارض الله سلا ، ورسي
ولتعاكف الجبال الاربع ..
كن مشاع الخير للناس ، وما
نحن مما في يدينا نفع ،
كسر دان ، وبعيد ، عندنا :
في اخوات الربا شرع !..
تسحرك هذه (الانسانية) الصادقة ، والصميمية ، المحبة للناس ،

والخير ..

ولا شك ان حصر الموضوعات في الديوان ، وتوزيع القصائد عليها مفيد ، ومع ذلك نكتفي من ذلك بان نشير ان الديوان ضم اجود الشعر الفزلي ، والوصفي الحديث ، والذي يظل جيل امين نخلة يشوقه ، ويحب ، ويؤثره ، ومن ذلك هذه الابيات النافضة ، الاسرة ، التي تحول الى الفأرة نفحات علوية من الحب ، وتاريخه ، وهي « قبل الفراق » :

ادن مني ، فاني مزعم البعد
لي عشرون صاحبا حافلي السد
كراما ، لكن انت الحبيب ! ..
فاذا قبل الربيع ، ووافي الورد
وغدت بيننا التازل ، والاحياء ،
فابكني في ملاعب القطن واذاكرني
انا ذبغ الفراق ، بل مشهد الهجر ..
انا كاسي في الارض مصبوبة الخمر
وبوادي الصبا غربت من البرد
ومعها قصيدته الفريدة ، في وصف «الشتاء» :

شيخ الرياح الهوج ، والانسواء
اولى الفصول بمدحة غراء ..
وهي مليئة بالترسم الوافي ، والتخييل الحسي ، والمعنوي ..
وان ما جاء فيها من وصف (التلج) ، يعتبر من فرائد الشعر العزيرز
المثيل اليوم ، في الادب العربي الحديث ، بل الادب العربي قاطبة :
قطع من السون البهيج كاتهما
كتب يجود بها حبيب نائي
تلك الرقاق لو استغن تمالكها
لظفدن بين رسائل البلفاء ..
او كان جزء من روايات الهوى
قد ضاع ، كن بقية الاجزاء !.
في القاف ، او خلف الوهاد ، وفي الربي
والسهل ، التي التلج خير فضاء ،
ملك على الانسواء ، غير متراع
با لطف حس التلج عند نزوله
واسمع بطن الاذن اضر خافت
والانحة عديدة في الديوان على هذه الفرائد ، الجزلة السبك ،
الخطوة الجرس ، والحديثه الحامي ، والاخلية ، والتشبيهات ..
(في «ملا» «النبقة») وهي تشبيب بمشط قانية ، و «ليلة الكونت» ،
وهي من اجود الخمرات الحديثة ، ومجالس الانس ، والظروب ،
و «الزهرة الخريف» ، وهي في التقابل الجدلي ، والوجودي ، و «يوم
القيامة» ، وهي في تحلية تفنيدي ، وادبي عن العشر .. وغيرها ..
وغيرها .. مما يعيد الى القلوب ، حقا ، لقتها بالشعر العربي الحديث ،
ومستقبله ، والى اللقاء في ديوان مقبل .

عدنان بن ذريل

دمشق

هكذا تكلم بوذا ..

تأليف زهير طحان - ١١٥ صفحة - منشورات دار الاندلس ببيروت - المطبعة (٢)

زهير طحان كاتب سوري معروف ، له مقالات عديدة ودراسات فلسفية متنوعة والفاصيص حول طلبة ذات مغزى عميق ، وهو من الصفوة المنارة التي تكتب في مجلة «الفضاء» الحلبية. ويعد في طبعة الادباء الذين يعالجون مشكلات الشباب واقات العصر . وقد نهل من الثقافات الاوروبية والعربية ما جعل اسلوبه يمتاز بموضوعية العالم وحكمة الفيلسوف وذاتية الاديبي .
وكتابه (هكذا تكلم بوذا) هو كما وصفه على الغلاف (عرشي لشككة



الارباب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر

يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد

الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

للبلوغ : الادارة ٢٢٣٨١٩ ٢٢٣٨١٩ Dir : 223819
المقر : ٢٢٥١٣٩ 225139 Die :

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب - صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت - لبنان

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

اليسر ادب

الفيحاء الفكرية نتيجة فقدان الحقيقة المطلقة» ولكنه عرضي اسطوري رمزي فيه اشارات واضحة الى نظريات علمية وآراء فلسفية اتسمت كلها بقلب شعري مطرب. والجدير بالذكر ان بوذا في كتابه ما هو الا رمز الى الكاتب نفسه ، او الانسان الواعي المتبصر الذي يعاني مشكلة الفيحاء الفكرية لا كما قد يتخيل القارئ لاول وهلة ان الكتاب تسجيل لآراء حكيم الهند . ويبدو ان «زهير طحان» اقتدى بالكاتب الالمانى الثائر «فريدريك نيتشه» الذي تحدث على لسان «زوراداشت» في كتابه «هكذا تكلم زوراداشت» عارضا آراءه لا آراء زوراداشت .

يبدأ الأستاذ زهير طحان كتابه بوصف للطبيعة في نقلها وتجديدها وقد ارتدت نوب الربيع الخلاب حتى لكأنك تسمع من ابتسامة أزهارها وتقريد طيورها ورقة هوائها سمفونية رائعة تعبر عن تجدد الحياة وعما تكنه ذاتها من طاقة وفكرة وجمال وإبداع. ويحاول تحليل نفسياتها وكأنها انسان ثم يقول : «هذه الطبيعة التي تحارب نفسها بنفسها وتتصارع بين اشتغالها واعمالها وما تبقى من ذلك فائدة ولا تهدف لشيء فكان من عشايتها ان خلقت دودة فاصبحت الدودة هرة فاستحالت الهرة انسانا» وفي ذلك اشارة لا نستطيع ان نتجاهلها الى نظرية داروين في التطور ، وبلاجل القارئ ان الوصف والخواطر التي تحيط به ما هي الا انعكاسات لما في نفس بوذا في كتاب زهير طحان. وبعد وصف رمزي جميل يقول : «هكذا كان بوذا يتململ الربيع بعد ان قضى ليالي الشتاء مراقبا جسد الطبيعة القاري قبل ان تتزين وتتشح بالتأمل». وبأخذ الأستاذ زهير طحان في كشف الصراع النفسي الذي يعانيه بوذا بتسولات حائرة وخواطر تورية يرددها على لسان بوذا ثم لا يلبث ان يوقف بوذا من حلمه فيحاكي لشعره انه في واد ملامح تسوده الحلكة (أي الحياة) وليجعله ينطلق ناشدا اعالي الجبال وذرا الشماخ (وهي ترمز الى الفلسفة والمثل) لتلغظه الشمس (وهي رمز الحقيقة) بنورها الساطع الوهاج فيفضل في تحقيق غايته . ومن هنا بداية المشكلة التي يصورها الكاتب «زهير طحان» في «هكذا تكلم بوذا» وقد هيا الجانب الاول من المشكلة . ولعل الطحان كان يجد في بطله الاسطوري رجلا لم يجد الشك حتى رمس الى شكه بالشيخ وجعل بوذا يشعر بالجوع والفقر ليشرق باب الكرم الذي ليع ضوؤه وهو يسير متجازا احدى القبابات فيلتقي بالشيخ . وتقف بينهما اواصر الصداقة . كما اراد الاديب السوري زهير طحان ان يجعل شك بوذا قائما على العلم والحكمة لا الفوضى والاسهتار اذ وصف الشيخ في (صفحة ١١) بقوله : « كانت سيماها الواراء والزاتوا والحكمة متجسبة فيه ».

ويسير بوذا في رحلة للبحث من الحقيقة برفاقه شكه وفيها يبرع زهير طحان في بسط المشكلة وتصويرها عارضا الكثير من آرائه الثورية التي تنادي بتحطيم اصنام الفس والفناء والترف وتزريق الباطل الذي بكل حربة الانسان الفكرية ويجعل بينه وبين التقدم والتطور ويقف حاجزا دون الحقيقة .

وللحرية في كتاب زهير طحان مفهوم يخالف ما جاء به الفلاسفة ، فالحرية لا تكون كما يرى الفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر واتما السبيل اليها بمعرفة الحقيقة وادراك قوانين الطبيعة والحياة .. والانسان كما ازداد معرفة وادراكا لطبقات الوجود كلما حرد نفسه اكثر . وقد تناول المؤلف فكرة تشبه فكرة المود الابدي لنيشه ، غير ان «نيشه» جعل هدف الانسان الحالي هو الانسان الاعلى «السيورمان» اما زهير طحان فيجد ان هدف الانسان هو الله (صفحة ١٠٥) .

وبفلسف الوجود بدالكنتية جديدة ليست هيغيلية ولا ماركسية ويمكن للقارئ ان يلمس ذلك في الصفحة (١٠٥ - ١٠٦) من الكتاب اذ لا اود ان اسهب في الحديث عن الكتاب لآراءه للقارئ متعة الاستكشاف ولذة استنباط الافكار .

ولكن ماخذة على الكاتب في «هكذا تكلم بوذا» هو تسخير براعته وعبقريته لابرار المشكلة لا لحلها او معالجتها. وذلك الكلمات الاخيرة

التي رددتها على لسان بوذا بصيغة خبرية حيناً وإنشائية حيناً آخر وبعمق فيها إلى الانبعاث وعدم الإكترات لا تقع غفلاً ولا تسفل غليلاً وكيف لا تكثر إذا لم نثر على الحقيقة وهو الذي صور لنا المشكلة أحسن التصوير وأهلها فينا من الحماة ما لم يلجئه جلال الدين الرومي من قبل ؟

أما أسلوب الكتاب فهو أسلوب عذب طلي فيه سحر الشرق وخياله . وفيه أصداً الكتب المقدسة والحان البدع الرخيصة ، وشبابه عادية معروفة ورمزه موقفي في أغلب الأحيان . يعتمد التوازن الموسيقي ويهوي السجع فيأتي به سلساً ولكنه يتكلف بعض الأحيان - وهذا نادر - فلا نكاد نسيغه الآن . وبذكر أسلوبه بأساليب مختلفة في أدبنا العربي كأسلوب عبدالرحمن الكواكبي في «طبايع الاستبداد ومصارع الاستفاد» وجبران خليل جبران في «النبأ» وميخائيل نعيمة في «المراد» وغيرهم كثير . والسهولة من أهم خصائص أسلوبه فلا تقع عينك في كتابه على كلمة غريبة أو معنى مبهم أو تعقيد مغل .

وبعد فإن «الكذا تكلم بوذا» كتاب فيه لذة للعقل ومتعة للشعور فسم الكثير من الآراء الحرة التي لا يتسع المجال لعرضها لا دراستها وشرحها وتقريرها . وأغلب ظني أن من اتبع له أن يقرأ هذا الكتاب المتع سيدجد لي العذر في عدم توفيقه حقته من الدراسة والتدق .

أحمد عبدالله الشهابي

طرابلس

عشرة أدباء يتحدثون

أحداث أدبية - تأليف فؤاد دורה - ٢٩٤ صفحة - سلسلة كتاب الهلال - مطابع دار الهلال بالقاهرة

من الظواهر الجديرة بالانتباه في حياتنا عامة إحتكاك المثقفي عامة ، ما تحتاجه الكتابة النقدية الحقيقية التي يقوم بها فئة نادرة من النقاد الأصلاء ، من استبسال ونفسية تعد بلا مبالغة عملية فدائية شجاعه يستشعرها المثقفي قبل النقاد نفسه ! لماذا ؟ لأننا لا زلنا نعيش في مناخ يفضي النقد الذي يعني لديه تجريحاً وكشف فضائح . فنحن في قرارة الأنف سواه أكتا عواماً أو مثقفين ، نرفض الحقيقة والنظر الموضوعي . نشتب بهذا المفهوم الخاطيء للنقد لا بد يحوي مبالغاتاً واستبداداً ويهولائيتنا . من هنا يعيش النقاد الأصليون في أجواء غير صحيحة تستخف بوجوده ووظيفته مما . وكان لهذا زيادة على صعوبة استكمال النقاد لأدوائه ، أثره الكبير في فئة ظهور النقاد الجدد في كل جيل ، مما أوحى بعدم تعاقب سلسلة نقادنا كما يحدث في الوان الأخرى من الفن والأدب . ومن هذه الفئة من نقادنا الشبان يفسر فؤاد دורה ، ومن الإنتاج الحديث لنقادنا الشباب ، أحداثه الأدبية مع عدد من كتابنا هم : طه حسين ، توفيق الحكيم ، محمود تيمور ، حسين فوزي ، يحيى حقي ، محمد فريد أبو حديد ، عزيز أباظة ، محمد مندور ، فتحي رسلوان ، نجيب محفوظ ، التي ضمنها كتابه المتنازع (عشرة أدباء يتحدثون) .

و «عشرة أدباء يتحدثون» يحاول أن يعظم أبواب العالم الملتقى الذي يعيش فيه كتابتنا ويتفنون خلفه بخصائصهم الخاصة . أن الأدب وحياته كل لا يتجزأ يعكس أحدهما على الآخر . . انهما متكاملان والجلل بأحدهما الفساد للجلل الثاني ، ومن هنا تعجز هذه الهوة من عدم التعارف الحقيقي بين الفنان والمثقف . إن الأدب المصري لم يتقدم ادب الاعترافات بل الحديث عن جوانب عادية لا ترتقي إلى درجة الاسرار

في حياته ! وقد لَوْن هذا الموقف الذي اتخذته كتابنا فهم ونفسير وتقييم انتاجهم نفسه ، فالاعتماد على النص وحده لا يكفي للوصول إلى امعائه وبلورة مضمونه وما استهدفه مؤلفه . وما وراء النص هو الذي يبلغ بنا شواطيء التجاذب هذه بأمان كبير . .

ولعل بعض لقصور نقادنا المعاصر يرجع إلى اهمال نقادنا لما وراء النص ، وبذلك القوا بعداً آخر له اهميته النصوي في المتاعف مع العمل الفني . وقد اختار فؤاد دורה الحديث الأدبي شكلاً لقائسه الكثيرة من الأدباء الكبار ، ليستوعب كل الجوانب التي بها تكتمل صورة الفنان من الداخل والخارج . . والتجيز الذي اختاره مؤلفنا لآحاديته غير السريعة ، هو عرض وجهة نظر الأدب أو الفكر بأمانة كاملة حتى لو لم يكن بقراً .

والسمة الأولى التي تميز أحداث فؤاد دורה ، اعتياده على ارضية ثابتة قوية تقف عليها من دراسة انتاج المتحدث إلى دراسة دسمة تريد أن تستوعب الظاهر جميعاً . فعلامات الاستفهام التي يشكها نقادنا الشباب ، لا تتبع من الهامش ، أعني من ظلال التقليديات والاستلا الكلاسيكية التي لا تقدم شيئاً لكثرة ما استهكت ولعل مضمونها في الوقت نفسه لم من داخل أعمال ومواقف الأدب أو الفكر . ولا نغف مستوى علامات الاستفهام هذه عند هذا الحد ، بل يجعلها دורה تجاوز دائرة الفردية أو الشخصية التي ينبثق منها ما يلقى دارسنا ذاته في الثقافة والفن والفكر والأدب ، إلى أن تمثل رأياً نقادياً عاماً يرنو إلى تقريب المسافات بينه وبين أصحاب الافلام ، وإلقاء الاسوار التي تمنع اللقاء التام بين الجانبين .

والسمة الثانية لكتاب «عشرة أدباء يتحدثون» هي أن صاحبه لم يتقيد في أسئلته بلون واحد يكرره مع كل شخصية ، بل اختلعت زواياه . ومن هنا لم نعب علامات الاستفهام بجحود يقيد حرمانها ويقف بها عند وجود معين لا تعدها ، فاطلقت الأحداث محاولة أن تقتبس كل ملجئ ضيق شيئاً إلى خطوط الصورة . ولا يفوتنا في هذا المجال الإشارة إلى مقبر آخر من مظاهر عدم التقيد بأسئلة لا تتغير ، وهو تطرق الحديث إلى موضوعات أخرى لم تكن في حساب دורה أن يعدها قبل أن يلتقي بالشخصية التي سألها ، كما حدث بالنسبة إلى توفيق الحكيم بالذات .

وعلامات الاستفهام التي يثيرها فؤاد دורה ليست نسألات مجردة أو شبه مجردة ، بل تطفن إلى عصر المعاصرة ومتابعة الأحداث العامة المختلفة . وهذه هي السمة الثالثة لأحداثه ، والتي تجعل له الأحداث تنبض بالحياة وتجسد الشخصية الأدبية بلورة فيها سماتها البشرية من صف و قوة ، مدمجة أياها في زحام الناس وعواظهم ومشاكلهم وفلسابهم . وهكذا ذات أنطوية هؤلاء الأدباء العامة ، ونعني بعد حيوانهم من عقل وقلب التلقي . فلا ينتملهم آلهة أو انصاف آلهة ، يكتبون للناس وللناس ولا يعيشون بينهم . وبهذا الأسلوب أفسا استطاع كتابنا أن يجعل الحديث من موضوعات تبدو تقليدية أو مجردة مثل الحب ، أشياء متصلة بالتكوين الحقيقي للشخصية الأدبية أو الفكرية بحيث لا يجحد القارئ تطلوا الضما أو ترتفع منهاها بيزنطية .

وبجانب اللامع السالبة التي ابعدت بين أحداث دורה وبين اسماءها بما يظل أسلوب السؤال والجواب التقليدي من جفاف وجحود وسطحية ، فقد أضفى مؤلفنا من ناحية ثانية عنصر تعاطف التسامح الذي يفسع علامة الاستفهام تعاضباً مع الأدب وافته ، فهو ليس منقطع الصلة بشخصية الكاتب الذي يسمع له ويحيي . نعم أن دורה نهج نهجاً موضوعياً في أسئلته ، ولكن هذا لا يتنافى إعلان حبه وأحاسيسه الدافئة لن يتحدث إليه ، وقد برزت هذه السمة في معظم الأحاديث وخاصة مع الاستاذ يحيى حقي .

ورغم التوفيق الكبير الذي أصاب فؤاد دורה في «عشرة أدباء

بهذه المناسبة أقول ان كل مجموعة قصصية لا بد ان تتناول عدة الون من القصص : النفسي والاجتماعي والفكاهي والوطني والانساني والمغائلي ، ولا بد - ما دامت سميت باسم مجموعة - لا بد ان تجمع قصصها كل هائيك المناحي وان يمس مؤلفها كل هذه الالوان . وفي «اللقاء» ثلاث عشرة قصة اولها « اللقاء » وهي قصة هادفة عرضت في براعة ودقة توبا من آوابنا الحزنة القديمة التي غطت على القيم واهدت الموازين ووددت الكفائات ، وفي القصة خوالج نفسية وفضاعات واقعية وعبارة مستحدثة تلك العبارة «لم يملأ كل ذلك بشر رضي» وقد سجل المؤلف هدف هذه القصة في ص ١٩ عندما فسال «وكل بناء بلا اساس لا يدم».

«الذكرى» ولا بد للقاء من ذكرى.. لذا كانت القصة الثانية في هذه المجموعة بعنوان «الذكرى» وما اروع ما تحفل به الذكرى من حكم تلك الحكمة «عشرة السنين الطويلة تعطيني حق السؤال ونفرض عليك واجب الاجابة» ساقها المؤلف في حوار بين صديقين . والخط النفسي في «الذكرى» يسير في منحرج تحليلي ويكشف عن مشاعر واحاسيس وعلقات انسانية عرضها عبدالقصور بصدق وعف .

ويبدو طابع المبالغة والتوهيل في قصة «اهون سيب» فيجسود المؤلف بكاؤه وعدم لقاؤه برئيسه على الرغم من مرور سنوات وسنوات على التحاقه بوظيفته فقد كان هذا من العوامل التي اتحدت بالقصة الى انجاء فيه فسوة «فسوة على الواقع وفسوة على شخصية محدود التي حملها المؤلف كثيرا من الاسم المفسى والشعور بالاسى .. لسم جعل نهاية القصة كلمة الامانة السينمائية نهاية سعيدة .. فسررح وصيصال ونسات .

وقد كانت «الرحلة عودة» لمسة صادقة لشريحة من شرائع مجتمعنا تنكر كل صباح .. هي تجربة يعيشها كسل من قدر عليه ان يركب الاذنين في الصباح...ولندخل الى «الدنيا جديدة» وقد كانت دنيا

يتحدون» ، الا ان نجاحه كان عظم لو لم يغفل التمهيد لاحاديه ، يقدم به شخصياته الكبيرة . ونأتي فائدة هذا التمهيد من ناحيتين : الاولى استكمال معالم النص في علامات الاستفهام التي يلقها مؤلفنا سواء في عدم التفاهة اليها او التي تنجم عن تجاهل او رفض الشخصية الاجابة عليها . والنتيجة الثانية الاشارة الى اعمال الاديب واختلاف الوانها . ولا شك ان استكمال هذين الجانبين ، يعمل عند المتلقي الذي طالع هذه الاعمال ، على استحسانها نائبة فتكون خلفية للحدث الابدي . كما يعطي القارئ الذي لم يكشف عنها ، فكرة عن اسالة هذا الاديب المتحرر ونظمته الحقيقية ، مشجعة اياه على الاهتمام به . ولعل مرجع افكار دوائر هذا الى وقوعه في خطأ شبيه بمن يتكفون بالنص وحده - الذي جاء كتابه بعكس هذا المنهج - فهما للكتاب الفنان . فمؤلفنا يكتبني غالباً بعلامات استفهام لا يتعداها الا في مواضع قليلة كما فعل مع الدكتور حسين فوزي ، وهو يعرض في تقديمه لمؤلفاته التي كتبها عن رحلاته .

ومن الهبات القليلة ايضا في كتاب دوائر ، قصود الاحاديث في قليل من الاحيان عن استيعاب الصورة الكاملة للاديب او الفنان ، كما حدث بالنسبة الى طه حسين ، محدث عهد الادب العربي لم يقدم اشياء كثيرة يمكن القول انها تستطيع ان تجسد ملامحه الصلاقة جيدا .

المصورة - ج ٢٠٠٤

علاء الدين وحيد

اللقاء

مجموعة قصصية - تأليف عبدالقصور حبيب - ١٤٤ صفحة - حجم كبير - منشورات الدار القوية للطباعة والنشر بالقاهرة - الطبعة ٢٠٠٤ قصاص عرفته صحافتنا اليومية كاتبا ومعلقا ومفكرا .. وعرفته الجلاسة الاسيوعية في القاهرة وبعض البلاد الشرقية ادبياً قصصاً وردت اسمه الاذاعة في اكثر من برنامج الله لها .

ونشرت له مجموعات قصصية اخرها مجموعة «اللقاء» .. ذلك القصص هو الاديب عبدالقصور حبيب. وقد كنت احاول جاهدا ان انسى او اناسى صداقتي للمؤلف حين عرضي لهذه المجموعة حتى لا يؤثر على تقييمي لها صدق صداقتي للمؤلف وقوة شخصيته ولباقة منطقته ، ولذا حاولت جاهدا ان افق وراء كل كلمة او عبارة لعل اجد فيها ما لا يوائم ما نعرف عليه اهل النقد ، او لعل اجد متلمسا لاعتراضى في بناء قصة او حجبها او حوارها او هدفها .

وقد وجدت ان المؤلف لم يلتزم بالخيط اللغوي ولا العامي في اسلوبه بل زاوج بينهما ، وخلق ، ويبدو ذلك مثلاً في ص ٦٦ في عبارة «ما دعت نفسيتم لم كي تصحو ميكرًا للمدرسة» .

وما كان اهون على المؤلف لو عالج التعبير الثاني بعبارة عامية مألوفة او عالج التعبير الاول بعبارة عربية تتساوق مع الثانية . وما اكثر الكلمات العربية الناعمة المطاوعة التي تؤدي المعنى العادي العامي بل وتزيد عليه بقوة البناء ومثانة التركيب وكثرة الاداء .

كذلك بدا لي - في وضوح وبروز - خط واحد ربط بين قصص المجموعة كلها تكاد تحسه وتستر به .. هو خيط الحزن والبؤس والياس الذي ينشر توبه الاسود القاتم اما بعبارة او بشرائح وفضاعات ... ولعل ذلك الخط التشاؤمي الحزين هو الذي دفع بالفنان راسم غلاف المجموعة الى ان يختار القبور والظلام لوحة لقلوب «اللقاء» .

ما زلت اسأل نفسي لماذا تظهر تلك التزعة السلبية بهذه العودة في مجموعة قصص شاب كله طموح وامل وعزم وعمل .

مكتبات انطوان

فرع شارع الامير بشير

صدر الجزء الاول من كتاب

الحرب العالمية الثانية

لريمون كارتييه

الترجمة العربية باشراف

الاستاذ جبران مسعود

يصدر الجزء الثاني في اوائل العام المقبل

الثن للجزءين ١٠٠ ل.ل

قيمة الاشتراك الشهري ١٠ ل.ل



مجلة لاديب في مصر

الحركة الأدبية في ليبيا

حتى عام ١٩٦٥ لم يكن لدي من المعلومات عن الحركة الأدبية في ليبيا غير ما كان قد نشر في العدد الخاص من مجلتي «القلم الجديد» المتجبة عام ١٩٥٣. ولم يكن هذا كافيا البتة ، فهو الى الجهل القرب منه الى المعرفة .

ثم اسعدني الحظ بالاطلاع على الدراسة التي كتبها صديقي الأستاذ خليفة التليسي في كتابه «رفيق شاعر الوطن» عن تطور الادب الليبي . وعلى الرغم من الفصل الضافي والعرض الشامل الذي قدمه التليسي في كتابه ، فان عدم اطلاعي مباشرة على نفسه من الادب الليبي لم يسمح لي بشئ من المعرفة الصحيحة للحركة الأدبية في هذا القطر العربي الناهض .

والواقع ان الادب الليبي - وعلمه الادب التونسي ، والمغربي عامة - ما يزال الى اليوم بعيدا عن الوصول الى القراء الشرقي ، حتى ليخيل لي اننا لم نيس في القرب كله ادب يستحق الذكر ، ولا ادباء جديرون بالعرف . وبغض النظر الى الاتصال المباشر بالبيئات الأدبية الغربية التي يعرف الحقيقة التي تخالف هذا الاعتقاد . وهذا فعلا ما وقع لي في تونس ، أولا ، ثم في ليبيا من بعد ، فقد كنت في البلدين حركة أدبية ناشطة ، وعرفت اديبا جديدين يان نرفهم في الشرق كما يعرفوننا هم في الغرب ، والتهفة التي رايتها يعني لن لبث ان تصل قريبا الى الشرق ، وتدخل في تاريخ الفكر العربي الحديث بقوة الى جانب نهضة الفكر الشرقي .

الجبل المائي من ادباء ليبيا يقف على رأسه ثلاثة شعراء : هم الشيخ احمد الشارف ، ورفيق الهودي ، وابراهيم الاسلي عمر . وكان هؤلاء الثلاثة يقدون بشعرهم حركة النضال الوطني ضد الاستعمار الايطالي ، ويلهون به مشاعر الجماهير .

ولقد اخذت ليبيا الناهضة اليوم في الاهتمام بأثار هؤلاء الشعراء الزاينين الثلاثة ، ووضع المؤلفات الموسعة في دراسهم ، وتحليل ادبهم ، وتيسير وصوله الى القراء . فقد اصدر الأستاذ خليفة التليسي ، وزير الاعلام والثقافة ، كتابا ضخما عن الشاعر رفيق الهودي ، دعاه «رفيق شاعر الوطن» ، درس فيه آثار الشاعر دراسة نقدية واسعة مفصلة ، ودرس في سياقها تطور الحركة الأدبية في ليبيا بكثير عن التفصيل التاريخي الجري ، والبحث المتع النافع . وذلك اصدر الاديب الليبي علي مصطفى المصراي كتابين عن الشاعرين : ابراهيم الاسلي عمر ، والشيخ احمد الشارف : في الاول درس شعر ابراهيم وسيرته ، وقدم من قصائده نماذج عديدة مع الشروح والتعليقات التي تبين اهداف هذا الشعر ورمائه ، ومزايا أسلوبه . وفي الثاني جعل مثل ذلك ايضا ، ولكنه زاد ان قدم قصبا كبيرا من شعر الشارف او لعله قدم ديوانه بشكل واسع يكاد يكون وافي .

اما ادباء ليبيا الاحياء فان من ابرزهم واكثرهم انتاجا وانتشارا في الاقطار العربية الاديبيين «علي مصطفى المصراي» و«عبدالله القويوني» ولكل من هذين الاديبيين عدد كبير من المؤلفات التي تجمع بين الدراسة الأدبية ، والقصّة ، والمسرحية . وقد نشر بعض مؤلفاتها في مصر ولبنان ، وبذلك استطاعا ان يخرجوا من محيطهما الليبي الى العالم العربي الواسع عن طريق دور النشر والتوزيع المصرية والسليمانية

وجدير بي ان اورد في ما يلي اسماء بعض مؤلفات كل منهما :

١ - علي المصراي : ادب ، ومؤرخ ، ونافذ ، وقاص . وكان غسقا في البرلمان الليبي . له اكثر من سبعة عشر كتابا ، قسم كبير منها عن ليبيا ، واعلمها ، وادائها . ومن مؤلفاته : «اعلام من طرابلس - لمحات أدبية عن ليبيا - صحافة ليبيا في نصف قرن - ابراهيم الاسلي عمر - احمد الشارف وديوانه - ابن حمديون الصقلي - المجتمع الليبي من خلال امثاله - اسد بن الفرات ، فاتح صقلية - السعدون ، البطل الشهيد» . ومن مؤلفاته القصصية : «مرسال - الشراخ المزرق - حفنة من مراد» .

٢ - عبدالله القويوني : ادب قصصي ومسرحي . ومن مؤلفاته المسرحية : «عمر المختار - العانة من اجل شئ - الجانب الوضي - الشعاخ» . ومن كتبه القصصية : «حياتهم - العبد في الأرض - قطعة من الخبز - القرعة والقصاص» . اما اول ادب ليبي عرفته شخصيا ، وعرفت مؤلفاته ، فهو الأستاذ خليفة محمد التليسي ، ولد واغتته مدة ستة اشهر من عامي ١٩٦٦ و ١٩٦٦ في ايطاليا ، اذ كان ما في بعته ادبية على نفقة منظمة اليونسكو الدولية للتعرف الى الادب الايطالي واربابه عن كتب . وذلك العين كان خليفة قد اصدر كتابين ، هما : «الشباب وجيران - وصوت في الظلام» وهذا الكتاب الاخير مجموعة افصيص للكتاب الايطالي الشهير لويجي بيرانديللو ، ترجمها عن الايطالية مباشرة . وفي هذا العام ١٩٦٦ صدر كتابه الثالث «رفيق شاعر الوطن» .

وهناك ادب ليبي كبير ، متعدد الواهب ، يعرف لغات متعددة ، يكتب بها ويترجم اليها وعنها . وهو يجيد الايطالية كما يجيد لغته العربية ، ويكتب بها باستمرار . ذلك هو الأستاذ فؤاد كمباري - وزير البترول الآن في ليبيا - وقد عرفته باديه قبل ان اعرفه بشخصه ، فقد كنت اطالع ابحاثه الايطالية النفيسة ، ومقارنته بين بعض الشعراء العرب وبعض الشعراء الايطاليين . وله كتاب بالاطالية بعنوان «هاوير من الشعر العربي المعاصر» ترجم فيه عددا من القصائد العربية ، لشعراء مختلفين . وهو ينظم الشعر بالاطالية ، كما يكتب في صحف ليبيا العربية والاطالية . وهو الى جانب ذلك رسام بارع ، وذو شغف بالموسيقى . والجدير بالذكر ان الطوايع اللبية جميعها في رسومه . واشير ايضا الى الشاعر علي صدي عبد القادر ، وهو من عشاق المذهب المستحدث في النظم - النظم الميتر ، ذي الدمايك المتناثرة . وهو مؤمن بهذا اللون ، شديد التجسس له . وقد اصدر اخيرا كتابا صغيرا بعنوان «صرخة» يحتوي على عدد كبير من منظوماته الوجدانية . وقد صدر الكتاب عن مؤسسة المعارف في بيروت في اخراج جميل اتقي . في هذه المجموعة العاطفية المتنوعة لم يخرج الشعر عن حدود ثلاثة ابجر شعرية ، او اربعة ، ككل الشعر المستحدث الذي يقبل بطلاة ويلف ضمن بحور «المتنارب ، والرمز ، والكامل ، والهزج ، والرجز» ، لانه لا يستطيع ان بعد اجتمعت الى حدود ابدع من هذه ، ويستبدت من الفني الموسيقى الوافر الذي تقدمه بحور الشعر العربي العديدة وسائر مجزواتها . وفي هذا الكتاب لمحات مشرقة ، وخفرتا جميلة ، التي جانب ما فيه من صور وخيالات جاذبة الى الافراق والرمزية المنقلة التي لا يخلو منها عادة هذا اللون من الشعر المستحدث . وعلى عبد القادر واحد من ادباء ليبيا الذين خرجوا عن الحيط الليبي الى العالم العربي الواسع حين اصدر كتابه «صرخة» في بيروت ، ليوزع عن طريق دور النشر والتوزيع فيها .

وهناك اديبا آخرون من الشبان لم يتح لهم الخروج بعد من بيتهم ، ولكنهم يكتبون في الصحف اللبية ، وينشرون مؤلفاتهم في ليبيا ،

الحمد الجحراي .

هـ - «الموسيقى : فواعد ونثر» - دراسة في الموسيقى ، لمحمد مرشان ، وقد اصدرته الوزارة كذلك .

وهناك عدد من المؤلفات الشعرية والنصصية والمسرحية لدى الوزارة تنتظر دورها في الصدور ، كما ان الكثيرين من الادباء الليبيين قد اخلوا بصنوعهم بتأليف والنشر بعد ان صدر النظام الذي يلزم وزارة الاعلام والثقافة بشراء كميات من المؤلفات التي تصدر في ليبيا . اراتني اعطيت صورة عن الحركة الفكرية في ليبيا ؟ لا ، انسي لم افضل اكثر من التي اشرت الى تبشير نهضة مباركة ترعاها وزارة الاعلام والثقافة ، وتقودها اللجنة لرابعة الآداب والفنون . والمستقبل القريب هو الكفيل بان يجعلها تفرح وتسر طيب الثمر ، بادن الله . غير ان هناك شيئاً اود ان اقله بعد هذا الذي لمسسته بنفسى من بوادر النهضة في تونس وليبيا ، وما عرفته من نشاط الادباء في المغرب ، واقتني مخطوئا مغاليا فيه .

يبدو لي ان الخطى القاعمة في نهضة الفكر العربي ستوقدها بلدان المغرب العربي ، بعد ان تخلط طويلا عن ركب النهضة فسي الشرق . وهناك شعور منيف عميق لدى المغاربة باننا نحن الشرقيين قد تأسناهم طويلا ، او اهلناهم في مسيرتنا - كما يخيل اليهم - وهذا الشعور يدفعهم بقوة وحساسة الى ان يبرزوا نفوذهم وجدارتهم بقيادة النهضة . انهم مصممون على ان يتزعروا الراية من يد الشرق . وهذا التصميم لا يعتمد على الادباء وحدهم ، بل تقوده حكومات المغرب نفسها ، وبديل في سبيله الكثير من كثير من المال والعناية والرعاية . ويستحسن في هذا - انا واثق من نجاحهم - فهم ينتجون بكثير من الحرية ، ويعتمدون على ثقافت واسعة ، تفذت بالثقافة العربية القديمة ، ومزجتها بالثقافات العصرية ، والاطلاع الواسع على آداب الغرب ، وامكانات النجاح لديهم كثيرة ، والشعور بالتخلف الماضي اوجب النشوق في العواض عميق لديهم . وهذه كلها عوامل عظيمة الاهمية في بروزهم قريبا في الصف الامامي .

عيسى الناعوري

عنان

صديق شيبوب

عرفت صديق شيبوب بالاسكندرية قبل وفاته بعدة سنوات . كنت قد نشرت بمجلة «الادباء» ، هـ في نوفمبر ١٩٦١ ، كلمة بعنوان «الادباء يجب ان نعرفهم جيدها» ، عبرت فيها عن اعجابي البالغ بتأنيدها وانتاج نقولا يوسف وعبدالطيب الشارح ما اتبع لي الاطلاع عليه في مواقع متفرقة . ثم سمعت اليه في مكتبه بجريدة «البعصر» ، بشارع ادب اسحق ، اقدم له نفسي . وكان صديق قد تفرغ للكتابة المستمرة بها منذ ١٩٥٠ ، اقدم له الفاء الحاكم المخططة التي اشتمل بها فيما بين ١٩١٦ - ١٩٢٩ ، نلتها سنة اخرى في الاكاديمية استقال بعدها . وهناك طاعمني رجل طويل القامة شيئا ، متعدل الجسم مليئة في غير زهره ، ابيض البشرة حليق اللان خفيف الشارب ، يرتدي زي رجال النصف الاول من القرن العشرين التائقين ، على قدر من الحيوية والنشاط تبعه عن لفتك انه يقترب من السبعين ، بما يرتبط بها من امراض الشيخوخة . وليست قد ملاحقتي وحدي ، فلي الخطاب القنوح الرقيق الذي

وجهه اتور الجندمي الى «الفقيه صديق شيبوب» ، في عدد يونيو ١٩٦٥ من مجلة «الادباء» ، بمجب «كيف اذك ولدت عام ١٨٩٤ وكانك قد بلغت اليوم عاما فوق السبعين ، وما اظنك كذلك ، واعتقد ان هذا التاريخ

وله فيها فراؤه . ومنهم الشعراء ، وكتاب القصة ، والمسرح ، والقائل ، والمغنيون بالتلف الادبي . وقد اصبح المجال مفتوحا امامهم للتأليف ، وممارسة نشاطهم الادبي في الصحف المختلفة التي تصدرها وزارة الاعلام والثقافة ، وفي الادباء ، وفي الجرائد الحظية اليومية . كما ان وزارة الاعلام والثقافة قد اصبحت لهم مجالات شاسعة في المخططة ، سواء بما تتولى هي نشره وكثافة اصحابه نال ، ام بما تشجيعهم على نشره لدى الناشئين ، او على نقفهم الخاصة ، وبديل هي نفسها بسفاه لتيسير نشره ورواجه لغالبية المؤلف الليبي .

والى وزارة الثقافة والاعلام اليوم كبير جدا في رعاية النهضة الادبية الليبية . ومنذ ان تولى الاستاذ خليفة التليسي هذه الوزارة شاء ان يحول اسمها من «وزارة الاعلام» الى «وزارة الاعلام والثقافة» لكي يعطيا الصفة الرسمية والقانونية للمنايا يخلق نهضة ثقافية واسعة . ثم اهتم باصدار عدد من الصحف والمجلات الراقية للمساهمة الفعلية في تطوير الحركة الثقافية . فهناك الان مجلة «الرائد» الشهرية ، ومجلة «المراة» ، ومجلة «الاداءة» نصف الشهرية ، ومجلة «ليبيا الحديثة» . واذا كانت هذه الاخيرة ذات اهداف اعلامية رسمية ، فان المجلات الثلاث الاخرى خاصة بالابحاث الفكرية والاجتماعية . وهي تدفع المكافآت المالية السخية من كل ما ينشر فيها ، بغية تشجيع الانتاج الفكري في ليبيا بمختلف الوانها .

ولم تكف الوزارة بهذا وحده ، بل اصدرت نظاما لتدعيم حركة التأليف والنشر ، وانشأت جوائز مالية سنوية لكل لون من الوان الانتاج الفكري ، واخذت تجري المسابقات الادبية ، ونمذج الجوائز المالية للكتب الفائزة في هذه المسابقات : الشعر منها ، والرواية ، والمجموعات القصصية ، والدراسات الادبية . وتقوم الوزارة بنشر الكتب الفائزة على نقفها .

ويضم النظام الجديد الذي اصدرته الوزارة على ان تشري الوزارة الف لنسقة من كل كتاب ليبي ينشره صاحبه على نقفها الخاصة ، وخمسة نسخة من كل كتاب تقوم على نشره احدى دور النشر . ولكي تستطيع الوزارة رعاية النهضة الادبية على اوسع نطاق ممكن ، واتت عليها بالجنة باسم «اللجنة العليا لرعاية الادباء والفنانون» برئاسة الاستاذ عبداللطيف الشويرف ، وزير الاعلام السابق . وهذه اللجنة هي التي تتولى الاشراف على تنظيم حركة المسابقات ، والتأليف ، والنشر ، والنشاطات الثقافية ، والمواسم الادبية ، وما الى ذلك .

وعلى الرغم من ان المسرح الليبي ما يزال في دور التكوين ، فان وزارة الاعلام والثقافة تعرض على هيئة المجالات نهضة مسرحية نشيطة . وهي في سبيل انشاء المسارح في مختلف اتحاد ليبيا ، لاجل تدعيم النهضة المسرحية ، وترسيخ الفن المسرحي في حياة المواطنين الليبيين . بهذه الوسائل السخية من التشجيع والرعاية برز عدد قليل من الادباء الشباب ، واخذت حركة التأليف والنشر في النمو ، فظهرت المؤلفات في كل لون من الوان الادب والفكر في ليبيا . وفي ما يلي طائفة من الاسماء والمؤلفات الحديثة التي ظهرت خلال العامين الاخيرين ، عدا بعض المؤلفات التي ورد ذكرها في ما تقدم :

١ - ديوان «الركب النائم» للشاعر حسن السنوسي (اصدرته وزارة الاعلام) .

٢ - «العدوا» - مجموعة الفاصيص ليبية للقصص الشاب المرحوم خليفة التليبي . (وقد توفي التليبي في شهر ايار المنصرم من هذا العام ، بعد فوزه بجائزة القصة الثانية من وزارة الاعلام والثقافة ، وقبل ان يصدر كتابه من الوزارة باربعين يوما فقط) .

٣ - «الجدار» - مجموعة الفاصيص ليبية للادباء الشاب يوسف الشويرف ، وقد فاز بجائزة الثالثة القصيدة ، وصدر من الوزارة .

٤ - «(البلاد يا صالح» - مجموعة مسرحيات للادباء الشاب عبد

لا يمثل الحقيقة ولعلك قد جاوزت الستين ، ولكنني لا اعتقد أنك بلغت السبعين » .

اما أنا فبدل لي صديق شيبوب في تماسكه في نحو الخامسة والخمسين على الاكثر. واذكر انه دعاني ، في هذه المقابلة ، للكتابة في «البصير» التي كان يقدم فيها ، لاكثر من ثلاثين سنة خلت - منذ ١٩٢٨ على التحديد - مقالة اسبوعية في باب اطلاق عليه «الحياة الادبية» ، فوجدت فيها نافذة واسعة للانطلاق الى الكتابات الاجتماعية والقصصية وتقدّر تراثنا العربي القديم ، والمشاركة في بعض القضايا التي تشغل الحركة الادبية ، عدتها - لقلة توزيع هذه الجريدة وفقدانها - بمثابة التمرس نحو السيطرة على التعبير بالكلمة ، والاهتمام الى الطريق الذي احسب اني احسن المضي فيه .

الا ان صديق شيبوب ارادني ان اخذ حذوه ، وأؤدي الدور الذي نهض ولا يزال ينهض به حتى هذا الوقت ازاء الحياة الادبية بالاسكندرية ، فاخذ بكلفني بكتابة موضوعات يعينها انابع بها النشاط الثقافي في هذه المدينة ، من ندوات عامة ومحاضرات ومهرجانات ، وجدت في عرضها والتعليق عليها فرصة للسجال الهيت عزيمي . كما كان يقدم لي بعض الكتب لاداء الاسكندرية بنسقي وقته من نقدتها ، مثلما فعل مع ديوان «باباس» للشاعر الحزين كناري ، وكانت سببا في عقد صداقة بيني وبينه .

ومنذ سنة ١٩٦٢ غدت ، طالما كنت في الاسكندرية ، القاه كل يوم على وجه التقريب. وعندما كانت احادثه تشارك ذكرياته مع ادباء الجيل الماضي او المعاصرين - في مصر ولبنان والمهجر - يطلع السراء لهب من الانتمال لا يجده في احداثه الاخرى. وخلال هذه الاجاديات عرفت مجرد لمحات من تاريخ حياته ، اذ كان ضئيلا يمس بخصه ، لا يسبح يذكرانه الا اماما. اغلب الظن انه يتنفسها على الورق في قصصه ، ويدعها تتسرح على تفكيره وتاملاته ، فلم اشأ من ملأني ان اقم عليه الملكية الخاصة. وقد وجدت هذه اللوحات عند من كتب عنها ولا تخرج من مولده بالذات في ٢٦ يوليو ١٨٩٤ ، ولديه التعليم الابتدائي والثانوي بمدارس الفرير بها ، وشغفه الجبر بمطالعة السير الشعبية ، وكان اعزها ولقا على نفسه «سيرة عنترة بن شداد» التي منحت لفتة هذه النكهة التاريخية القيمة .

ولا تخرج سنة ١٩١٠ عمل مدرسا لثلاث سنوات . وبعد وفاة ابيه واما في سنتين متتاليتين (١٩١٢ - ١٩١٤) هاجر في خريف نفس السنة وهو في العشرين والحرب الكبرى الاولى قائمة ضمن المهاجرين الذين فروا من ظلم السلطان عبدالحميد وولاه . وقصد الاسكندرية التي سبقه اليها شقيقه الشاعر خليل شيبوب ، لينتظا سوا ، في النشر المصري الذي استبدل بالثبات اللبناني ، رحلة الجهاد الادبي والخدمة العامة ، وبصباح - عطاء بعباء - من اعلمها البارزين .

وبفضل هذه اللقاءات المنظمة تكشف لي ان صديق شيبوب اكثر

عصرية مما قدرت ، وان افقه الحرب حماه من الجمود . فاي غربة ان ترسخ الوشائج بيننا مع الالام ، وازداد التراب من نفسه وامتلا بمقيم الحب له والتقدير الشوب بالاسي. ذلك انه لو اقام في القاهرة لتبوا الكاتبة التي يستحقها ادب جاد مثله ، بمسكة ثقافة رحيمة وعقيدة ، ويعزف عن الزيد الذي يذهب جفاء . وهي مكانة يفسمها له جلده ومواجهه وفدراة على الكتابة بنفس الوحي الربيع في الياض المنوثة للادب والثقافة ، في مختلف العصور والبيئات والتاريخ ، والمجتمع ، والترجم ، والترجمة الدقيقة عن الفرنسية التي كان يتقنها اثقانا كاملا .

وتحت تاثير هذا التقدير ، وبايداء الذي اخذ نفسه به ، باطلاق الحركة للكتاب ومقابلتها بحرية مبالاة للناقد (وهي حرسه احدثها بالالتزام) ، استقبلت بعض الكتب التي اصدرها هانيك الايام (١٩٦٢ - ١٩٦٤) بما تستحق من عرض وتقييم ، اشار اليها محمد رجب البيومي في مقالته عن «صديق شيبوب» («الادب» يناير ١٩٦٥) ، وغفني فيها بفضله ، اذ استثنائي مع ودع فلسطين من نعمة العقوق ، ووصف كلماني منه بانها توات (في حيدة والخاص) . ولكنه اساء الى صديق شيبوب ، في هذه المقالة ، من حيث اراد ان يعتدجه ، حين ذكر انه «لم يكن مقيدا بمنهج خاص في مقالته الاسبوعية بالبصير بل كانت المناسبة الطارئة كثيرا ما تحدد موضوعه» .

ان هذا الموقف الذي يقفه كان في حد ذاته منهجا اصيلا ومثمرا ، سائر به الحركة الادبية والفكرية في القاهرة والعالم العربي ، وعلى المستوى العالي احيانا مثل مقالته عن تطورات التي كتبها بمناسبة مرور مئة عام على ميلاده ، وعن أبرز ادبيات عصرها ، جورج ساند ، التي كتبها سنة ١٩٥٤ في ذكرى مرور مائة وخمسين سنة على تاريخ ميلادها . وتسير على نفس الخط دراسته عن «خليل مطران» ، «المجسري» ، «ابن اللاتسي» ، وما حواء كتابه «الشخصيات العربية» ١٩٦٤ ، وغير ذلك كثير ، لا يختلف به عن ان يافت تصدى للحياة الادبية الترمية ، وركز على ما يتخرجها الخاطيع من كتب عرض في غشونها اراده وافكاره ، وله جهوده في النطق بالترجمة .

ففيما يزال ادبنا او مفكر او فنان جائزة تشجيعية او تقديرية ، تعد اهم حدث ادبي ، يكتب مقالة ضافية عن جهوده وخصائصه . وما من كاتب او مفكر او فنان عربي ذى اثر اوروبى فقدته الحياة ، او اتت ذكره ، او كتب عنه صديق يعرف به وباتاره ودوره ، في نحو ما كتب عن فيليكس فارس ، اسماعيل ادهم ، اوسكار وايلد ، جيان ارفشي ، احمد زكي ابو شادي ، القاصه كوليت ، يوسف كرم ، عيسد الرحمن شرقي ، محمد امين حسونة ، عثمان حلمي ، بشر فارس .. وغيرهم كثير ، ان احد على صلة متينة بالمشخصية تحولت كلماني التي يفي بها الذكرى الى تار وتور . وتؤلف هذه المقالات وحدها دائرة معارف صغيرة الحجم لإبراز الادباء والفنانين والفلاسفة - قدر ما يتسع لها جهد رجب واحد - ارجو ان يطم المسؤولون عن النشر في وزارة الثقافة ببلدان ان تركها بمثرة في «البصير» وغيرها من المجلات خساسة فادحة ، لانها تؤرخ تاريخا علميا مبدعا للحياة الفكرية في مصر وخارجها على مدى العصور ، فضلا عن مقالته عن ادبنا القديم والادب الاربوي ومرتجماته والعصره والألفة والمصلحة التي تملأ جميعا عدة مجلدات .

وقيل اعداد هذا المقال عدت الى مطالعة مجموعة كبيرة من مقالاته ، فلفت نظري اهتمامه البالغ بنقد ادب الشباب وتوجيههم . وهو اهتمام يصدر عن رغبة حارة ان تسدد خطاهم. بهذه الروح لم تخرج صديق شيبوب عن كتابة تعليقات على اراء اديبينا في «البصير» ، بقلم الاديب الناشء الذي تجاوز العشرين بسنتين او ثلاث ، وهو الذي قطع اكثر من صفه من السنوات في كتابة الفنون المختلفة ، نشرت في اشهر مجلات العالم العربي مثل : «المطبعة» ، «الكتاب» ، «الثقافة» ، «الرسالة» ، «الكتاب العربي» ، «الحدث» ، «الادب» . وربما رجع

اشتركوا في مجلة

الارباب

تساهمون في نشر الثقافة

السبب الى انه كان يعتبرني افضل الادباء الشباب الذين اتصلوا به واكثرهم جدية .

وعلى الرغم من ان صديق شيبوب عاش عزبا ، فلم يكن من اولئك الذين يستقنون ان الحياة قائمة على البني ، ولم يكن الفن لديه مزلقا للبهيمية والتحلل من السجاياء الطبية والانحراف ، بل احتفظ بالمداد والنظر وسلام النفس ونقاء السيرة ، بشكل يثير الإعجاب والزهو ، نماها المجتمع السكندري المؤتنب الذي اتاه ، الفلاس يشتي السادات من تحرر وتزمت وبين بين . يقدّر في المرأة عفتها ، ويصون لصدافه الجنسين اواسرها ، ولا يشي عن تقديم يد العون والخدمات الاجتماعية العامة . وكان يرى ان الزواج هو قانون الحياة الطبيعي الذي يجب الالتزام به .

ولا شك انه عانى كثيرا بسبب عدم الزواج ، ولانه - من قبل ومن بعد - لم يستوطن المحيط الآخر في بحار الادب ، ويخلق لنفسه المكانة التي تستحقها . سوى انه لم ينفذ لواقفه مع الحياة . ولدى الشخص الوحيد الذي كان يلجأ ، خلف الوجه البسام ، سحاب الحزن العميق مطوية في صدره ، بنوه بها كما بنوه الانسان تحت نخل باهظ .. اقرب ما تكون الى حزن الوجوديين وباسهم . وللا يدع احدا يخفف عنه كان يردد : الم يكن من الجائز ان تكون الحياة اسوأ ؟ دون ان يعني هذا التساؤل انه عاش مجبر اللب . لقد كان يبدو لي دائما في صورة الانسان المستقر ، الذي وجد اجابة متبسطة وشافية على كل شيء ، وبضاهي ما يجد على هذه المعرفة الكاملة .

كل ما في الامر انه تلقى قدره المقسوم قليل الاكتران ، يمثل ما كان يقف امام الصيت والماريات . فهاش يرمل الاسكندرية مع الحقبة مد الله عمرها والههما العصر في وحدها - في شبه عزلة ، في قلب الحركة الادبية الخافتة في الاسكندرية ، بعيدا عن الاضواء في القاهرة ، يحفظ لنفسه كبريائها ..

ولو انه كان من اولئك الادباء الذين يتهاونون على الصيت والمناجاة ، ويفسحون في سبيلها بكبرياء الانسان ، لكان له ما فاجأوا اكثر مما افادوا . ويكفي ان اذكر ان مقالته الرائعة من اخيه «خليل شيبوب» في «البيان القاهي» في مهرجان الشعر الرابع بالاسكندرية ، تلت تسعة اشهر في مجلة «المجلة» قبل ان تنشر في سبتمبر ١٩٦٣ ، لانه عفا ان يذكر بها صديقه رئيس التحرير . وبعد دراسته الممتعة عن الشاعر الالامي «جونيه» ، في سلسلة اقرا عدد ٢٥ اكتوبر ١٩٤٥ ، لم يصدر له اي كتاب الا يقرب من عشرين سنة ، على الرغم من كثرة اصدافه ومعارفه في «ادار المعارف» وغيرها من دور النشر . صدرت له في الفترة ما بين ١٩٦٢ - ١٩٦٤ اربعة كتب طبعت طبعة تجارية لم ينفذ لها احد من النقاد على الرغم من موضوعاتها الهامة .

وفي احد ايام صيف ١٩٦٥ ، في ٢٢ ابريل ، دق التليفون في البيت - في فترة الظهيرة العادة - فاحسست ان وراء الرنين الترحج نذيرا بالسوء . غير اني لم اتيه لهذا الاحساس القامض عندئذ . رفعت السماعة . يا عجبيا ولما للام الوجع : صوت احد الاصدقاء يتهدج وهو يعني صديق شيبوب ، الذي كان للادباء جميعا موعد معه في المساء كنت اتأهب له . اختطفته يد التنون بعلة القلب على فجأة في الفجر ، وقبل ان تلقي عليه نظرة وداع حيا . القيناها عليه وهو في تابوته الخشبي ، في ظهيرة اليوم التالي ، يبدأ الرحلة المجهولة ، اشرق ما يكون وجها ، اعقب ما يكون عدودا ، اشد ما يكون جسارة .

ويجاوز قبر صديق شيبوب في مدافن الروم الارثوذكس بالشاطبي قبر اخيه خليل ، بعد «الفرقة الكبرى» - على حد تعبير صديق - التي وفقت بينهما في ٢ فبراير ١٩٥١ تفعلهما الله برحمته .

نبيل فرج الاسكندرية

تسعة يسيرة مريحة وخدمة ممتازة

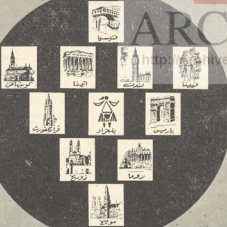
واقصد في ساعات سفرك



أخطوط أجوية الإغوسلافية
I. A. T. A. عضوية
membro I. A. T. A.
سفرات متفرقة على طرادات

كارافيل
الفاهرة

الى البلدان التالية:



ساحة رياض الصلح - تلفوت ٢٢٤٤٠١

JAT

- الاقلاع من بيروت صباح الارباء الساعة
٨٢٠ الى اثينا وبلغراد

- الاقلاع من بيروت صباح السبت الساعة
٩٢٠ راسا الى بلغراد بدون توقف

في اتجاهه السرى الرفاء وكشاجم والخالديان والوداوا
الدمشقي والراهي والناشئ والنامي وعبد الحسن
الصوري وابو الفرج البغدادى وابنا ورقاء والخزاز البلدي
والاساني وغيرهم ممن تحدثت عنهم بتيمة الدهر بافاضة
واعجاب ! وكان الشعر الحمدي في هذا العصر الذهبي
يسطر صفحة ذهبية للادب العربي في القرن الرابع ،
ويحدث تأثيره المدوي في شتى الامصار العربية ! اذ
كانت دواوين شعراء بني حمدان تصل الى الاندلس ومصر
وفارس وبغداد فيعكف عليها الوراقون نسخا ، لتباع
بمغريات الائمان وطالما عقدت مجالس الادب ببغداد في
دار الوزير المهلبى ومحافل الشعر باصبعان في حضرة
الصاحب بن عباد وكلها تدور حول شعر بني حمدان .

تقدم الصنوبري شعراء عصره في الهيام بمحاسن
الطبيعة ، فاكثر الحديث عنها اكثرنا لا يقف عند حد ،
حتى لقد قسم القول فيها الى ابواب متميزة ، فباب
للروضيات يتحدث عن سحر الحدائق والبساتين وباب
للزهرات يصف الاقحوان والسوس والشقيق والبهار
والاذريون والترجس والخيري والسنبلين والورد والنيلوفر
والياسمين ويقيم المناظر بين نوع ونوع ويفضل صنفا
على صنف ، وقد تقدم ابن الرومي الى نحو شئيل من
ذلك ، ولكنه على يد الصنوبري واضرا به قد اصبح بدعة
العصر واسلوب الوصف ! حتى عرف بعض الشعراء
بالتعميم لنوع معين من الازهار ، يبدى في امداحه
وعبد كما عرف الواوادة بحب الترجس والسرى الرفاء
بحب الورد الاحمر واشتهر ابو بكر الخالدي بوصف
شقائق النعمان ! هذا في الزهرات اما الائمان فما اكثرت
الحديث عن النارج والليمون والبطيخ والتين الاسود
والنفاح والشمام واما المائيات فما اكثرت الحديث عن
السحاب والانهار والسواقي والبرك والاسماك والشجيرات
واما الفصول فقد دخر الشعر في الربيع والصيف والشتاء
والخريف ! هذه الاشعار الطبيعية جميعها قد انتقلت الى
الاندلس واحداث اثرها النفاذ !

ونحن حين نقرأ ما لدينا من هذه الاشعار ، نجدها
تشابه وتتقارب فهي تقوم على الصورة الحسية ! ويقبل
بها ما سميناها بالتعاطف الجواني ! ولا تكاد نجد فروقا
واضحة بين شاعر وشاعر ! فالصنوبري على زعامته قريب
مختلط بالسرى الرفاء وكشاجم في منحاه وطبيعة جوه وتقييد
انطلاقه ! ولا ادري لماذا اضييق بأشعار الطبيعة الوصفية
التي المس فيها اصرار الشعراء على ان تكون اشعارهم
نماذج للتطبيقات البلاغية والبديعية ! فهي معرض حسن
للتشبيه والاستعارة والطباق والجناس ! ولكن الصورة
الناهضة خلف الاستعارة والتشبيه باهتة الملامح ،
ضائعة القسيمات !

لقد قال الصنوبري كثيرا في الانهار ، واختص نهري
(قويق) باكثر من عشر قصائد ، ولكن احدها لا تبلغ من



محمد رجب البيومي

الاصالة في شعر الطبيعة بالاندلس

بقلم محمد رجب البيومي

قلنا في صدر هذا البحث أننا نتساءل عما اذا كان شعر
الطبيعة في الادب الاندلسي موازنا لآخيه المشرق في
القيمة الفنية لم يكده يزد عنه شيئا ام انه احتذاء بدها لم
استطاع ان يسير في طريق التقدم الابتكاري خطوات
وثيدة واذا فعل ذلك فالى اي مدى سار ؟ وهذا السؤال
لا يزال يتطلب الاجابة فيما يختص بالطبيعة الصامتة !
وهي المتبادرة الى الذهن بداعة حين نتحدث عن شعر
الطبيعة بالاندلس ! فيماذا نجيب ؟

اذا كان الادب الاندلسي بعامه قد اخذ يستقل ويتميز ،
ويدعم كيانه الذاتي منذ عهد الخلافة في زمن الناصر ،
فاننا نجعل من ادب هذه الفترة وما تلاها من العصور ،
مجال الحديث عن شعر الطبيعة ، فاذا اردنا ان نلتفت
الى المشرق اذ ذاك فانا نجد انه ايضا قد استقل باخصب
عهود الطبيعة في ترانته ! اذ ان البلاط الحمدي يخلط
قد جمع حوله من عشاق الطبيعة نغما غير قليل ! وكانى
بهؤلاء ومن جاء من بعدهم راوا المتنبي يسد عليهم منافذ
القول في المديح ، وينهض صرحه الشامخ امام سيف
الدولة فيكاد يحجب عنه من سواه على كثرتهم الزائدة
وجهدهم الحفيل ! واذا ذاك وجدوا في الطبيعة عزاء
وسلوى . فانطلقوا يصفون هذه البيئة الترفه الناضرة !
وقد برع منهم من حمل اللواء ، وتقدم الركب ، وهو
شاعر الطبيعة الوصف ابو بكر الصنوبري فتابعه وزاحمه

لنسمعه يقول :

انظر الى لون الاصيل كأنه لا شك لون مودع لغراق
والشمس تنظر نحوه مصفرة قد خضت خدا من الاشفاق
لافت بحمرتها الخليج فالفا خجل العيا ومدامع العشاق
سقطت اوان غروبها محصورة كالغمر خرت من اتمل ساق

فلون الاصيل يوحى بأنه مفارق مودع ! والشمس
عاشقة حزينة تخمش خدحا من الاشفاق ثم تسقط في
الماء لترى في شفقها الدامي خجل الصبا بين مدامع
الماشقين ! تصوير يقترب من الحياة قليلا ، ويكاد ينفخ
الروح فيما يصف ! وانه لجيد رائع لو لم يكن سبقه ابن
الرومي بقوله المجز :

وقد رنقت شمس الاصيل ونفتت على الافق الغربي ورسا مزعزا
ودومت الدنيا لتلقي نجيها وشول بالي عمرها فتشعشا
ولاحت التوار وهي مريسة وقد وضعت خدا الى الارض افرعا
كما لاحت عواده عين مندم توجع من اوصابه ما توجعا
وظلت ميون الودي تغل بالندي كما المورقت من الشجي لتدما
براحتها صورا اليها روائيا ويلطآن العاطا من الشجو ختما
وبين اغصاء الفراق طليهما كأنهما خلا صفاء تودعا !!

واذا كان فيما تقدم لاين خفاجة وابن سهل ما يذكر
بالتعارف المودع ، فليبتعد قليلا عما نعرف ، ولنمض
وقبلنا الى الطرف الجديد !

نرى الان في الاداب العالية الرفيعة ان السيب العاطفي
لا يكاد يذكر الا من خلال الطبيعة لانها الاطار البديع لصور
اللقاء والسير ! فلي شفاف الانهار ، وتحت مشيتك
الاغصان ! وفي الليلة القمراء ومع النسيم الهادي الوئيد
يحل تواجي الابداح وتهامس الاثفدة وامتزاج النفوس !
ومظاهر الطبيعة هي البريد الامين الذي ينقل عن الحب
لواعجه واحاسيسه فللشربين المتقاطر ، وللشفق الودي !
وللدر التجمد في اعالي الفصول ، وللفحات الزهور
واختلاج المياه رموز عاطفية تكشف من معاني الحب
نفوس العشاق ! وما افصحها من رموز تشافه الاحساس
وتنقل المعاني دون حروف وكلمات !! وقد وجدنا لدى
ابن زيدون وهو العاطفي الصادق اللوعة الجياش الحنين
قصيدة في وصف الطبيعة من خلال نوازهه واشجانه
تقرب كثيرا من الادب العالي في عصرنا الراهن وما سبقه
من عبود الابتداع والتجديد ! وهي خطوة بدئية في ادب
الطبيعة العربي ولعشاق الادب الاندلسي ان يعتبروها
مظهرا من مظاهر التجديد العاطفي المصور وقد اعتبرها
بعض النقاد دليل حيوية ابن زيدون ومظهر ارتقائه الفكري
في معاصره فهو يقول موجها حديثه لولادة :

ابن ذكركم طلق ومرار الارض قد رافا
والنسيم اعتلاني في اصائله والافق طلق ومرار الارض قد رافا
والروى من ماله اللفي ميتسم كأنه رق لسي فاعتل اشفاقا
يوم كايام لذات لنا انصرفت كما شذقت عن الليث اطواقا
تلهو بما يستميل العين من زهر تتسا لها حين نام الدهر سرا
كان اعينه ال عانيت ارفي جال التدي فيه حتى مال اعناقا
بكت لما بي فجال الدمع رافا بكت لما بي فجال الدمع رافا

نفسى على كثرة صورها الحسية مبلغ البيت الاخير من
قوله في هذا النهر وكان يعمر بالماء شتاء ، ويجف صيفا
فتصبح فيه الضفادع :

فويق اذا شم ريح الشتاء الهمر تيهها وكبرا عجيبا
وان الجبل الصيف ابصرته ذليلا حقيرا حزينا كئيبا
اذا ما الضفادع نادينه فويق فويق ابي ان بجيبا

وابو العباس النامي اطال القول في السحاب وجرى
مع شعراء بني حمدان في اوصاف التدفق والانصباب
وبكاء الزن وضحك الرياض ! ولكنه ابدع حقا حين قال :
خليلى هل للمزن قلة عاشق ام النار في احشائها ولا هي تدرى
اشارت الى ارض العراق فاصحت وكالؤلؤ المتبول ادمعها تجرى
سحاب حكمت تكلى اصيبت بواحد فاجابت له نحو الرافى على غير
فوضى بل رقم ونفش بلا يد ومع بلا عين وضحك بلا نغز
ابعد عن تعدى الصورة البصرية الى استكناه السحابة ،
ومحاولة استبطانها ، وخلق الحياة عليها ، وهذا جدير طريف ،
انتقلت هذه الثروة من ادب الطبيعة الى الاندلس !
واذباء الاندلس مولعون بعد بكل شرقي شائق ! وطبيعة
بلادهم الزاهرة الناضرة مما يوجب الاحتفاء بهذا اللون
واقتفاه ! بل ان ابن خفاجة وهو اكبر شعراء الطبيعة
بالاندلس كان يسمى بالصنوبري تشبيها له بابي بكر !
وكان فخورا بذلك ، وقد عكف على ديوانه واقتفاه ! ولا
نريد ان نقول ان الشاعر الاندلسي كان مقلدا يقتصر على
المحاكاة ولكن نريد ان نقول انه وجد عند الصنوبري ما
ليس لدى غيره مما يوافق مزاجه ، فهو يروي احاسيسه
فتشرب روحه ثم انطلق الى اجواء الشعر ليوقع على
قيثار جديد !

تقرأ شعر الطبيعة في الاندلس فتأخذ عينك روضة
فسيحة ذات ازهار متشابهة وتماز متقاربة ! واغصان
مورقة لا تطالعك غالبا بما لا تعهد ، ولكنها تنقل اليك
صورة تعرفها ومع ذلك تهش لها وتقف عندها وترحب
بها ! وبين هذه المشبهات المتقاربات ترى على ابعاد متفاوتة
شيئا طريفا كأنك تراه لأول مرة ، فتسرع خفيقا اليه
وتطيل عنده الوقوف !

ترى زهرا متشابهة يعجبك بروائه ، تراه لا يقل عن
نظائره ، فهو مما تعهد وتعرف ! ويمثله قول ابن خفاجة :
وكما صد الصباح فاناها عن صفحة تتدى من الازهار
في ابطح رصمت نفور افاحه اخلاف كل غمامة مدرار
نشرت بجر الارض فيه بد الصبا در الندى ودرامم التسوار
فطلعت حيث الماء صفحة ضاحك جمل وحيث التوت بد مذار
والريح تنفخ بكرة لم الرسي والطل ينفسج اوجج الاشجار
متقسم الاعلاف بين معاصن من ردف رابية وخضر قرار
واراك سجع الهديل بفرعها والصبح يسفر عن جبين نهار
هزت له اعطافا ولربما خلت عليه ملاءة التسوار
الصورة كثيرة ، والنظم قوي متماسك ، ولكن الشاعر
صانع ماهر لم يعطك من عنده الكثير ، وانما قدم لك
نموذجا متقاربا مما نعلم ! ولنبعد عنه قليلا الى ابن سهل

وان نك للخلين نسب التقاء فياليت شعري اين او كيف لتلتي
بعض الناس لا يعتبر هذه القطعة الغدة من شعير
الطبيعة، وربما فضل، عليها قصيدة كقصيدة ابن خفاجة :
له نهر سال في البطحاء اشهى وودا من لب الصنار !
متعطف مثل السواد كالتسك والزهر يكفكسه مجر سماء

ولكن الذين يعلمون ان الطبيعة ملهم مؤثر ! ومذكر
يقظ بشجون الامس ، وسوالف العهد يعرفون كم كان
الشاعر موقفا في استلهاها ! واظنه نظم هذه الابيات في
سهولة متيسرة حيث لم تجبره على انتزاع الصور البيانية
من تشبيه واستعارة لينقل بها حديثه - كمهدنا به - وانما
انطلق مع طبعه في غفوة من سيطرة التصوير الحسي لينقل
عن خاطره دون تكلف ! ولقد كان ابن خفاجة مفرغاً
بالطبيعة حقاً ! ولكنه مع ذلك كان مغرماً بأن يقال انه شاعر
الطبيعة الاندلسي ! فكان يكثر تمعنا من شعر الطبيعة
دون موجب ملح ! مات بعض اصدقائه فراه بقوله :

في كل ناء منك روي نساء وبكل عين منك جدول ماء
وكل شخص هزة الفصن الندي لب البكاء ورنه الكساء
وهذا تليف ذهني مقفل ما كان اغنى ابن خفاجة عن
نسخه لو لم يعان بنفسه انه شاعر الطبيعة فلا بد ان يتحدث
عنها في الرثاء ! مع ان عاشق الطبيعة يتحدث عنها عفوا
دون سبق الاسرار ! يتحدث عنها في كل غرض من نسيب
ورثاء ووصف وعتاب وحكمة فترى روحها تملأ الابيات ،
وتطلعي شغافة رافعة من خلال الفكر والتصاوير ! اما
ان يتعمدها الشاعر تمعدا في الرثاء فهذا ما يوحى انها
عجالة اظهار عجزه عن شمرية يتوق ابن خفاجة ان يتحدث
بها الناس !! كانت جريدة الاحرام تنشر اثناء الحرب
العالمية الثانية وما قبلها بقليل مقطوعات في وصف الطبيعة
بالريف المصري بامضاء شاعر البراري ، وهو - رحمه
الله - صديق مخلص ، وقد زرته مصادفة يوم وفاة
جبرائيل تقلا صاحب الاحرام ، فقال لي انه سيرني الفقيد
ولكن بأسلوبه الخاص ! فاستفسرت عن مراده فقال : لقد
عهدني قراء الاحرام اكتب عن الورد والياسمين والنهر فلا
بد ان يكون رثائي كذلك ! وسترى براعتي ! وهكذا قال ،
ثم نشرت الاحرام بعد ذلك من رثائه ما لا يخرج عن قوله
ان الندى قد اقتطع فمال الياسمين الى الارض ليعزبها !
ولو كانت الابيات لدي لذكرتها ! ولكني تذكرتها الان وحين
قرات ابيات ابن خفاجة في رثاء صديقه !! لان الشزع
واحد بين الرجلين على اختلاف الزمان والمكان !

وستنصف ابن خفاجة انصافا يرتفع به عن شعراء
الطبيعة لمعهده حين تذكر حديثه عن القمر والجبل ! فقد
كان اذ ذاك شاعر الطبيعة بحق ! انه لم ينظر الى القمر
في اكتماله فيراه قرصا من لجين ! ولم يتذكر طفولته
وهو هلال بعد فيعده زورقا من فضة قد اقلته حمولة
من عثر ! ولم ير شحوبه قبل المحاق فيراه حسنا مريضة

ورد تالق في صاحبي متابعه فازداد منه الفحي في العين اشراقا
سرى ينافحه نيلوفر عبق وستان يبه منه الصبح احداقا
كل يهيج لنا ذكرى تشوقنا اليك لم يعد عنها الصدر ابن عافا
لا سكن الله قلبا عن ذكركمو فلم يطرح الشوق خفاقا
لو شاء حلمي نسيم الصبح حين سرى وافاكمو بقتى انشاء ما لافا
لو كان وفي الله في جمعا يكمو لكان من اكرم الايام اخلافا
كان التجاري يعضى الود من زمن ميدان انس جربنا فيه الاثلافا
فالان احمد ما كنا لمعهده كمو سلوتم وبقينا نحن عشافا !

فهذه الصرخة الهللية قد ارتفعت على جناح الطبيعة
الى افق وضيء ! اذ يتضائل جوارها اكثر ما نهده من
الوصف البصري الذي يقف عند الجزئيات دون ان يفرغها
في روح كلى عام ! وهي شبيهة بما نهده لدى شلسي
وتينسون وودولر من كبار شعراء الانجليز بل انها لتذكرنا
بمثل قول شلي : « ان رجع الاحسان بعد خفوت الصوت
يبقى مرددا في الاذنة ، ولنشر البنفسج بعد موته طيب
في الانوف ، واوراق الورد بعد ذبولها تنثر على فراش
الحبيب ، وهكذا ذكرياتك تظل بعد ذهابك ماثلة !! »
تماما والله كما خلدت ذكريات ولادة في الزهراء ينفع بها
النسيم في الروض المتسم عن مائه الفضي ويعبر عنها
الندى الجائل في احداق الزهر حتى مالت منه الاعناق !
والورد الابيض المتفتح في الضحى تفتحا زاد ضوء النهار
اشراقا اي اشراق !

ولا ادري لماذا تذكرني هذه القصيدة الفريدة باخت لها
قالها ابن خفاجة شاعر الطبيعة بالانديلس والقصيدة ان
ليست في موضوع واحد حتى يجوز لي ان اغمد القصيدة
بينهما بهذه السهولة ! ولكن اختلاف الموضع عن الموضوع
اتفاق الاطار ، والاطار ها هنا هو الطبيعة الفتن ! فقد
نزل ابن خفاجة ايكه غناء فذكرته عهده بالانس مع حبسية
قعيدة ودعت الحياة ! وقد هاجت الذكرى شجونه فبكى !
وجعل النسيم يراوجه فينشقه متحسرا ، ولكنه لا يجد
الميق الذي كان يعمده مع حبسيته ! وقطع الشاعر يومه
بالاينة ، فلما همت الشمس بالمغيب وعلت وجه النهار
كأية كابية تذكر مغيب حبسيته بمغيب النسيم فسار
الى قبرها باكيا ! بالله ان الطبيعة هنا ذات روح غير
معمود في اكثر ما نظم شاعرها الكبير ! فالايكة والريح
والارج ومغيب الشمس ! كل ذلك متزج بعاطفة اخرى
تهز كيان الشاعر وتقوده قرا في الظلام ، وهناك يصرخ
صرخته اليائسة ويتسائل عن اللقاء الموعود متى واين بعد
ان صدمت الشمل ايدي الحوادث !! انه يقول :

الا اذكرتي العهد بالانس ايكه فازكرها نوح الحمام المطوق
واكبت ايكى حين وجد اتاح بي حديث وعهد للشئيبه مغبوط
واتشوق انفسا الريح تمللا فاعدم فيها طيب ذاك التنشق
ولما طلت وجه النهار كايكة ودارت به الشمس نظرة مشفق
علقت على الاجداث اجش تارة واتسم طورا ترهبها في تشوق
وقلت فلما يهب من الكرى وفد من وجه من جيل الزورق
لقد صدمت ايدي الحوادث شملنا فهل من تلاق بعد هذا التفرق

طال عليها الهجر كما نسعم من بعض الشعراء ! ولكنـه يصيـح الى نجواه ويـتمنى أن يـحادثه في سـمائه عن شـجونـه وآلامـه ! ويـقول أنه لو تـحدث لحـاز الجمـالين من خـبر ومن خـبر وان سـكت فأنـه صـاحب الصـمت البليـغ الواعظ وان بـكى فمـن شـجوا يـفجر عـين المـاء بالحـجر ! استـلهم يـديـع حقـا ومـحاولة شـاعرية لفـهم هـذا الكـوكب المـتألق ! واستـيطان عـميق لمـشاعره ، ونـبش حـصيف عن خـوافيه يـفصح عـنه قـول الشـاعر :

لقد اصغيت الى نجواه من فخر وبث ادلج بين الوسي والنظر
لا اجتلي ملحا حتى اعسى ملحا عدلا من الحكم بين السمع والبصر
وقلا صلت سواد العين من وضع فطر السمع فطر الانس من سر
فلو جمعت الى حسن محاوراة حزت الجمالين من خير ومن خير
وان صمت ففي مراك لي غلظة قد اصبحت لي منها الن العبر
فمن من ناقص طورا ومتكسر كورا ومن مروق طورا ومتكسر
والناس من معرلي يلهو وتلفت برعى ومن داهل ينس ومدكسر
تلهو بساحات اقوام تحدثنا وقد فقسوا ففصوا اتا لي الازر
فان بكيت وقد بكى الخليل فمن شجوا يـفجر عـين المـاء في الحـجر !

هذه نغمة شاعر طالع عبده بالطبيعة ومارس القول في افانيتها المختلفة مقلدا تارة ومبتكرا تارة اخرى حتى استطاع بعد لاي ان ينفذ الى الباب من جوهر الاشياء وان يرى في المظاهر الخارجية دلائل سافرة عما يستكن تحتها من معان ورموز !! وربما كان ابن خفاجة على استعداد ان يبدع في هذا المجال لو رأى من ناقدى عصره من يشد على يديه ويهتئ بمنهجه الجديد ! لكن طبيعة الجو الادبي اذا ذاك لم تكن تسمح بوجود هذا النائد الحبيب على ان يواظب على الاستيطان كانت لدى الشاعر في وقت ما من اوقات حياته اقوى واعظم من ان تشاغل به بالوصاف الحسية دون تأمل واستشفاف ، وقد وقف ابن خفاجة امام الجبل مرتين ! فكشف له في الاولى عن بعض سره حين قال عنه في ايجاز :

وصهوة عزم قد تطهيت والنبي مك كان الصبح في مدره سر
واشرف طماح النؤابة شامخ تمنطق بالجوزاء لبل له خسر
وفور على سر الليالي كاتمتا يصيخ الى نجوى وفي انه وفر
تهمد منه كل ركن راتمة فلتبط اطرافا وقد فطحت البدر
ولاذ به نسر السماء كاتمتا يحن الى وكر به ذلك التسر
فلم اذن من حمت له وسكنة اكبره سن وفرت منه ام كبر
اما الوقفة الثانية فلا نرى من شعراء العربية الى الان من حاول ان يأتي بأبداعها البليغ ، فقد استطاع ابن خفاجة ان يتسمع صوت الجبل عن رهافة اذن ولطافة حس ، فحدثه الطود باكيا متأثرا ، ذاكرا تاريخه الحافل مذ كان ملجأ لقاتل او موطننا لتاسك عابد ، ومذ بات فيه المدلجون بالليل واستظل بجناحه المقيلون بالنهار ، فالهيم والفوه واستطاب مقامهم واستطابوه فما خفق اليه الان غير اضلع راخفة وما نوح حاسته غير صرخة نادب يكي فراق احبته فالى متى يبقى ليستقبل حبيبا ثم يودعه بعد حين والى متى يبقى ليرعى الكواكب فمن طالع اخرى الليالي وغارب !! لقد نقل الشاعر حديث الجبل ففسح

الناس وادهشهم حين قال :

وارمن طماح النؤابة بساذخ يسد مهب الريح عن كل وجهة
وفور على ظهر الفلاة كاتمتا يسلو عليه القيم سود عاتم
اصكت الاله وهو اخرس صامت اصكت لي السرى بالعالمات
وقال الا كم كنت ملجأ قاتل رستم مر يي من مدالج ومؤوب
ولاظم من تكب الرياح معاطفي وزاحم من خسر الجبار غواربي
فما كان الا ان طوتهم يد الردى فما خفق اليكي غير رجة الصلع
وما يغيب السلوان دمي وانعما فحتى متى ادرى الكواكب ساهرا
فرحماك يا مولاي نسوة فسارح فرحما من وظه كل عسيرة
فهل بها اكبرى وسرى بها شجا فقلت وقد تكبت عنه لطية

تعد هذه القصيدة ذروة اكمال شعر الطبيعة فسي الاندلس ! وقد بلغ التشخيص فيها مبلغا لا نجده الا عند كبار الشعراء في الشرق والغرب ، ولو ذهب جميع ما قال ابن خفاجة ، وبقيت وحدها لكانت معجزة ابداعه ودليل تفوقه ! بل ربما قلنا ان جميع شعره من هذا الطراز ! وقد وجد من يقول ان ابن خفاجة قد استلهم قول المجنون في جبل التواب :

وبهرت للتوباد حين رايته وكبر للرحمن حين راني
فقلت له قد كان حوافك جيرة وهسي بذاك الصرم منذ زمان
فقل مقبوا واستوفوني زمانهم وكان له الذي ينس على العدنان
فقلنا بعبدا يقول المجنون خطرة عابرة ، لو وقف عندها ابن خفاجة ما بلغ هذا النفاذ ! اما قصيدة الجبل فنسق شعري متكامل ذو شباب وافانين .

ولو كان المجنون - على سبيل الاحتمال - موجيا موجها ، لكن لابن خفاجة فضل الير ان يكون موضع هذا الايحاء ، وقد عبرت القرون خلف المجنون وتوالى عشرات الشعراء في العربية شرقا ومغربا دون ان يبدع احدهم في وصف الجبل ما ابداع ابن خفاجة !! فياتي بهذا البيان . هل لنا ان نقول في ختام هذا البحث ان شعر الطبيعة بالاندلس قد خطا نحو التجديد خطوة اولى مع ابن زيدون وخطوة ثانية مع ابن خفاجة فانفتح الادب العربي لبعض الطريف من الجديد !!

الفوم - دار العلمات

محمد رجب البيومي

اشتركوا في مجلة

الاريم

تساهمون في نشر الثقافة

طبقة الفهماء

بقلم حسن الكرمي

من « العروة الوثقى » في لندن

كانت الغاية في الاصل من كتابة هذه المقالات تحت عنوان « طبقة الفهماء » شرح الادوار التي لعبها المفكرون intellectuals عامة والفهماء intelligentsia خاصة في تاريخ العالم على العموم وفي التاريخ العربي على الخصوص قديما وحديثا . وما بدأت في الكتابة حتى شعرت بالاضطرار الى الدخول في موضوعات ليست من صميم البحث ولكنها اساسات لا يفهم البحث الا بها . فتعرضت للفلسفة الاغريقية القديمة وبعض فلاسفة القرون الوسطى، ثم لما اتيت الى بحث الوضع الانساني بعد الثورة الصناعية وجدت نفسي مضطرا الى التعرض لقضية الانسلاخ alienation وفلسفة هيكل وماركس ، ثم من هيكل الى كيركيور ، ودخلت في بحث الوجودية ولا ازال فيه . وهذا التنقل من موضوع الى موضوع على هذه الصورة قد يكون مدعاة الى الانتقاد ، وقد يكون المنتقد على حق من جهة وعلى غير حق من جهة اخرى . فان من يتعرض لبحث الحركات الفكرية في الغرب لا بد ان تتجلى امامه حقيقة لا مراء فيها وهي ان هذه الحركات سلسلة مترابطة الحلقات لا يمكن فهم واحدة منها الا بفهم الحلقة السابقة لها ، وفهم هذه الحلقة مرتين بفهم سابقتها ، وهكذا ، ففهم الفلسفة الوجودية يقتضي فهم الحركات الفكرية في الغرب ليس فقط في القرن التاسع عشر والقرن العشرين ، بل في القرن الثامن عشر والقرن السابع عشر ايضا ، حتى الى افلاطون . ولذلك قال وابتدأ الفيلسوف الامريكي المشهور (١٨٦١ - ١٩٤٧) عن الفلسفة الغربية بانها سلسلة من التعليقات على فلسفة افلاطون . وقال بركون الفيلسوف الفرنسي (١٨٥٩ - ١٩٤١) ان تاريخ الفلسفة الغربية في جوهره عبارة عن تنشئة وتطوير للفلسفة الافلاطونية . وهايدكر الالمانى (١٨٨٩) يبرى مثل هذا الراى في مقالته عن عقيدة افلاطون عن الحقيقة . فافلاطون فسي راي بركون جمد الحقيقة بدلا من ان يراها سلسلة او سيلا من التغيرات . وهو في راي هايدكر مسئول عن جعل الحقيقة مستقرة في الذهن بدلا من ان تكون موجودة في كينونة الانسان . وهذا راي لا يستغرب من احد اساطين الفلسفة الوجودية .

وهذا علمى ما اعتقد دليل على تماكب حلقات الفلسفة الغربية وترابطها منذ القديم حتى الان . فانك لا تستطيع فهم

فلسفة عصر من العصور فهما صحيحا اذا كنت لم تفهم فلسفة العصر السابق او العصور السابقة . فالفلسفة الوجودية مثلا رد فعل للفلسفة المثالية idealism من جهة وللوضع الانساني الحائز في المجتمع الغربي الحديث من جهة اخرى . فلا بد للنظر في الفلسفة الوجودية من معرفة الفلسفة المثالية اولا ، وهذا يسوق الى معرفة الفلسفة في القرنين السابع عشر والثامن عشر حينما كان العلم النظامي متقدما وحينما كانت تبني الفلسفة على الرياضيات ، وهذا بدوره يسوق الى معرفة الفلسفة قبل ذلك وفي القرون الوسطى وهكذا . ثم ان الفلسفة المثالية في اوربا كانت في الغالب يدافع ديني ، وغرضها الاول القضاء على المادية وازرار ميلا اساسي وهي ان الحقيقة ليس لها وجود خارج عن العقل البشري وانما هي من صنع هذا العقل فقط ، اي ان الاشياء التي نراها ونشعر بها في هذا الوجود ليس لها حقيقة ولا هي موجودة بالفعل ، وانما هي خيال في خيال . وكان من زعماء هذه الفكرة الفيلسوف البريطاني باركلي (١٦٨٥ - ١٧٥٣) وكان من كبار رجال الكنيسة . فهذه الفكرة لا يمكن ادراك قيمتها الا بفهم الحركة العلمية الجديدة في القرن السابع عشر ، لانها كانت بتأثير الدين رد فعل لهذه الحركة . ثم انه لا بد ايضا من دراسة الطريقة العلمية ودراسة الفلسفة الظاهرية phenomenallism معها ، واهم من ذلك دراسة الفلسفة الواقعية realism بصورة عامة ودراسة فلسفة الحي العالم وغير ذلك . وهنا ينتقل البحث الى فلسفة هوبز الواقعية phenomenology التي كانت حلا وسطا بين الفيلسوفين الكيموتيين المثالية والواقعية وحلقة الوصل بين كيركيور والفلاسفة الوجوديين ، وهكذا وهلم جرا ، الى ان يصل الانسان في البحث الى الفلسفة الماركسيّة والفلسفة الوجودية والفلسفة اليقينية المنطقية Logical positivism التي تزعمها وكنتشيان وغيره من طبقة فلاسفة فينا في النما . وهنا يصل الانسان الى انصراف الفلسفة عن الموضوعات القديمة والعكوف على التحليل المنطقي واللغوي بصورة مفعدة . ومن هنا يلاحظ ان الوجودية واليقينية المنطقية رد فعل للاتجاه الفلسفي السابق ، ومنه يلاحظ ايضا كيف ان الفلسفة في جميع ادوارها عبارة عن اراء تسود مدة من الزمان ثم يخلفها اراء مخالفة لها . وهكذا الى ان وصل الحال في الوقت الحاضر الى الاعتقاد بافلاس الفلسفة عموما .

وعلى كل فان الباحث في اية حركة فكرية غربية لا بد له من الوقوف على الحركات السابقة والملاسة لها ، بالنظر الى الترابط الوثيق بين الحركات الفكرية . ولهذا السبب ارجو ان يجد القراء في علدا اذا انا ضللت فسي شعاب هذه الحركات . وخرجت عن المحجة وسلكت بنيت الطريق . ولا بد لي من ان استمبح عذرا من القارىء في ان يوسع صدره مرة اخرى فيقرأ لي بحثا او بحثين في

تواحي الحركة الفكرية الغربية قبل أن اعود الى بحثي في الوجودية . وكنت في المقال السابق قد عرضت صورة عن الفلسفة الظاهرية Phenomenalism ولم تكن. هذه صورة واضحة ، ولذلك فاني عارض في هذا المقال تلكا لذلك البحث ، لان معرفة ذلك تعرض لنا صورة من اهم صور الفكر الفلسفي الغربي . وايدا بالفيلسوف الفرنسي كونت (١٧٩٨ - ١٨٥٧) صاحب الفلسفة البقينة Postivism كان اوكوست كونت المذكور في زمان تضاربت فيه الاراء الفلسفية . فكان بعضهم ينكر ان يكون للاشياء حقيقة خارجية في الكون ويرى ان الحقيقة في الذهن وحده ، وهم المثاليون . والبعض الآخر يرى رابا مشابها لراي اللاادريين Agnostos ويقول ان الاشياء وان كانت مدركة بالحواس فانها في حقيقتها تعتمد على شيء خارج عن طبيعتها لا يمكن الوصول الى معرفته ، وهؤلاء هم التجريبون Empiricist . وفريق ثالث ينكر وجود اي شيء خارج عن طبيعة الاشياء ويرى ان التفكير في امور متافيزيكية هو من بقايا الماضي العتيق ، وهؤلاء هم البقينيون postivism ، ومنهم فيلسوفنا كونت الذي نحن بصدده . ويقف في الوسط بين هؤلاء وهؤلاء جماعة الفلسفة الظاهرية phenomenalism فانهم يؤمنون بوجود الاشياء الواقعة تحت الحس ولكنهم يشترطون لهذا الوجود ان يكون تطابق وتوافق بين القوانين الطبيعية . وستشرح ذلك .

لم يكن كونت في الاصل فيلسوفا بالمعنى الصحيح ، وانما كان دارسا للتاريخ ولا سيما تاريخ العلوم المختلفة ، وتوصل بهذه الدراسة الى استنباط بعض الأفكار التي كان هو يعتقد بانها دستور لتطور الفكر البشري ، لا في ميادين العلوم المختلفة فحسب بل وفي نشوء الانسان الفرد من الطفولة والخذانة الى سن الاكتمال . وقسم هذا التطور الى مراحل ، فالمرحلة الاولى هي المرحلة النفسية Animism التي يتصور فيها الانسان ان لكل شيء نفسا ، او روحا يحيا بها ، وان الحوادث الطبيعية تجري بفعل هذه النفس او الروح . فكما ان الانسان من تجربته الخاصة لا يتحرك له عضو ولا يقوم بعمل الا بدافع داخلي من نفسه ، فكذلك الشجرة مثلا اذا تحركت اغصانها او الماء اذا جرى في مجراه او المطر اذا سقط من السماء لا بد لكل منها من وجود محرك فيها كوجود النفس او الروح في جسم الانسان . وهذا التفكير من خصائص الانسان البدائي ، بل هو من خصائص الاطفال والاولاد ، كما يلاحظ حينما يحدث الطفل لعبته او يغضب عليها . وفي هذه المرحلة الفكرية نشأت الاديان في نشأتها الاولى ، على راي كونت ، حينما كان الانسان يصور القوى الطبيعية باشكال وصور بشرية ، ويعطي الاله او الالهة الوثنية صوراً انسانية واصافا هي اقرب ما تكون الى طبيعته . وهذه هي المرحلة الدينية . ولكن

الانسان في تطوره الفكري ينتقل الى مرحلة اخرى هي المرحلة الميتافيزيكية ، حينما اخذ الانسان في تطوير القوى المحركة للاشياء في هذا الكون من صورها الشخصية البشرية الى صور مجردة ، واخذ يتكلم عن وجود حقائق على شكل افكار مجردة كالتكلم عن الماهيات وعن قوانين ذهنية خارجة عن الاشياء نفسها ، وصار يقول بالمثل العليا كما قال افلاطون وبالصفات الكلية كالشجاعة والانسانية والعدالة وغير ذلك كما قال ارسطو . وتتفق هذه المرحلة وتحل محلها المرحلة البقينة او العلمية ، وفيها يقلع الانسان عن تفسير الحوادث بتفسيرات ميتافيزيكية خارجة عن الاشياء نفسها ، وينصرف الى اكتشاف القوانين الطبيعية عن وجود الاشياء كما هي وعن ترابط الحوادث بعضها ببعض .

هذه هي المراحل الثلاث لتطور الفكر البشري ، وقد اطلق كونت على قانون التطور هذا اسم « قانون المراحل الثلاث » ، واورد للتشثيل عليه استشهادات عديدة من توارخ العلوم المختصة . ومن ذلك تاريخ علم الفلك ، فان هذا التاريخ بدا بافكار وخيالات خرافية عن النجوم والسيارات والشمس والقمر خاصة والصفاق ارواح او نفوس بها ، ثم انتقل الى المرحلة الدينية في اعطاء هذه النجوم صفة الالهوية ، ثم آل الامر الى الاعتقاد بان للنجوم تأثيرا في حياة الانسان ومجرى ميعشته ، ومن ذلك نشأ علم التنجيم وظل سائدا مدة طويلة من الزمن ، الى ان جاء علم الفلك الصحيح ونقض هذه الافكار جميعها الا ما كان من اعتقاد لا يزال عالقة في اذهان كثيرين حتى الان . وفي تاريخ العرب ، وفي اجاهليتهم واسلامهم ، شيء كثير يدل على هذه المراحل الثلاث ، ومع ان الاسلام نفى ان يكون للنجوم علاقة بمصير الانسان على الارض او ان للظواهر الفلكية تجاوبا مع الحوادث البشرية كما جرى في حادثة موت ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم ، غير ان العرب ، تحت تأثير ما ورثوه من الفرس واليونان من افكار ومعتقدات فلكية ، ظلوا يؤمنون بتأثير النجوم ، وظهر بينهم عدد من المنجمين المشهورين ، وكتب كثيرون منهم في ذلك كاخوان الصفا مثلا .

ولا شك ان التفاعل بين العلم والفلسفة كان له اكبر الاثر في تجدد الافكار والنظريات في القرن السابع عشر وما بعده في اوربا ، كما كان للتفاعل بين الدين والفلسفة في القرون الوسطى . فتنظية كوبرنيك في الفلك ونظرية نيوتن في الجاذبية الارضية ، ونظرية دارون في النشوء والارتقاء حولت المجرى الفلسفي البحث وعملت على ايجاد نظريات فلسفية جديدة في اكثر من ميدان واحد . لناخذ مثلا نظرية النشوء والارتقاء وهي احدث النظريات التي ذكرناها . فهذه النظرية ، كما هو معلوم ، ترتكز على مبدئين اساسيين وهما : (١) التطور والترقي من البسيط الى المركب و (٢) بقاء الاصالح . فالبداء الاول ادى مثلا

الى نظرية فلسفية جديدة وهي نظرية ماباخ (١٨٢٨ - ١٩١٦) المعروفة باسم « اليقينية الانتقادية » والتي كان لها تأثير كبير في نظرية « اليقينية المنطقية » لفلاسفة فينيل المتأخرين التي اشرنا اليها . هذه النظرية ترى ان الفكر البشري عبارة عن تكيف ومواءمة كما يتكيف الحيوان او النبات بحسب المحيط ويتواءم معه ويتطور وينمو كما هي سنة الشئ والارتقاء الطبيعية . فلا تفكر في الاصل عبارة عن احساسات بالاشياء ، تألف وتترابط بعضها ببعض بصورة تزاد دقة واكتمالا . ولهذا فان ماباخ ينكر الافكار الميتافيزيقية ، لان هذه الافكار من طبيعتها ان تكون منتزعة بطريقة التجريد من الاشياء المحسوسة . لناخذ مثلا فكرة (الشجرة) ، فان هذه الفكرة ليس لها وجود منفصل عن الاشجار ، ولا يوجد شيء مثالي او صورة مثالية تسمى (شجرة) ، وكذلك فكرة (الشجاعة) فانها لا وجود لها ، لان الذي له وجود هو شجاعة فلان او فلان فقط . ثم ان الانسان في هذا العالم عبارة عن افراد ولا وجود لتلك الصفة المثالية التي يسميها فلاسفة الاغريق (الانسانية) . ولا وجود ايضا لفكرة (الماهية) ، بمعنى ان كل شجرة فيها ماهية الشجرة ، وان كل شجرة تشترك في صفة (الشجرية) وهكذا . جميع هذه الصفات المجردة عن الاشياء المحسوسة هي اعتبارات ميتافيزيقية وليس لها وجود الا في الدهن فقط . ولذلك فان ماباخ يتفق مع كونت في الفلاسفة اليقينية والفرق بين الاثنين هو ان كونت يرى ان التفكير الميتافيزيقي الذي يعتقد بوجود افكار خارجة عن الاشياء المحسوسة ليس الا من بقايا العهد الديالكتيكي في افلاطون والارسطو . ولا بد للانسان من ان يطرح في نموه العقلي التطوري . اما ماباخ فانه يعتبر التفكير الميتافيزيقي من امراض العقل التي تقضي على التفكير وتمنع الانسان من ان يتلاءم مع محيطه .

وادت النظرية الداروينية الى فلسفة اقتصادية واجتماعية ، مهد اليها الفيلسوف الانكليزي هربرت سبنسر (١٨٢٠ - ١٩٠٣) ، وسميت هذه « الداروينية الاجتماعية » وتتلخص هذه في ان المجتمع كالكاكائيات الحيوانية ينمو ويتطور بحسب نظرية الشئ والارتقاء وان الافراد فيه في نزاع دائم حيا في البقاء ، فالاصح في هذا هو الذي يحق له البقاء . فالنظرية الجديدة اذن ترى المجتمع كما لو كان ساحة للقتال او للصراع ، فالقادرو على الصراع بذلك او دهائه هو احدر بالبقاء والتقدم من غيره . ومعنى ذلك ان المجتمع يجب ان يترك على طبيعته ، يعمل فيه مبدأ بقاء الاصح ، فننتقدم فيه جماعة دون جماعة ، ويحق حينئذ للجماعة المتقدمة بان تحكم وتسيطر ، وعلى الجماعة المتأخرة ان تخضع لهذا الحكم وهذه السيطرة ، بدون شكوى لان هذا هو المقدر لها . وكانت هذه النظرية تدعينا لفكرة الاقتصادية الاجتماعية المعروفة في أوروبا

وامريكا باسم Laissez-Faire والتي ظهرت اول ما ظهرت على ايدي جماعة من الكتاب السياسيين والاقتصاديين في فرنسا عرفوا باسم فيزيوكرات Phytocrats . في اواخر القرن السابع عشر وفي القرن الثامن عشر كانوا يقولون ان النظام الطبيعي للحرية هو ان يترك الفرد في المجتمع يسير كما توحى اليه مصالحه الخاصة لان هذه المصالح في النتيجة تؤدي الى صلاح المجتمع بأكمله وكانوا يقولون ان الدولة ليس لها ان تنفذ من القوانين والانظمة الا ما كان منها يحافظ على هذا النظام الطبيعي فقط . وما زاد على ذلك فهو افتئات من الدولة وتجاوز منها . ولا يخفى هنا ان معنى هذه الفكرة هو ان يترك الناس يتصارعون في ميدان الحياة فمن برز ومن نجح فقد غلب وتسيطر ، وان معناها ايضا ان الفقيه هو الذي قصر في الميدان فيجب ان لا تلوم الا نفسه كما كان يقول الكاتب الانكليزي الاقتصادي مالتس (١٧٦٦ - ١٨٢٤) . ولا يخفى ايضا ان هذه الفكرة Laissez-Faire كانت قد انتشرت وتمكنت في فرنسا وبريطانيا قبل ان تنتشر نظرية داروين (١٨٠٠ - ١٨٨٢) عن الشئ والارتقاء لان كتاب عن اصل الانواع ظهر في ١٨٥٩ وكتابه عن اصل الانسان في ١٨٧١ . ولذلك يصح ان يقال كما قلنا انفا ، ان نظرية الشئ والارتقاء كانت تدعينا لفكرة Laissez-Faire التي كانت بدورها اساس الفكرة التحررية الأوروبية في القرن التاسع عشر وهي الفكرة التي انتقلت الى امريكا بعد ان تموت وتغيرت بنظرية داروين ونظرية سبنسر في الداروينية الاجتماعية واراها هكلي وغيره . وقد لعبت هذه الافكار والاوهام والنظريات ، ولا سيما نظرية سبنسر عن التقدم ومعناه ارضا خصبة في الولايات المتحدة وكانت سلاحا قويا استعمله المحافظون ضد دعاة الديمقراطية والمساواة . اقول ان هذه لعبت ارضا خصبة لان معظم ما جرى في الولايات المتحدة من عمران وتنمية وتحضير كان بمجهود فردي لم تتدخل فيه الحكومة ، ولذلك مال المفكرون هناك الى الاخذ بفكرة Laissez-Faire حتى قبل ان تتغير هذه الفكرة في شكلها الفلشي ، ولعل النظام الاتحادي القائم في الولايات المتحدة اعتراف ضمني بهذه الفكرة ولكن على نطاق اوسع . بل ان الصراع الفكري القائم الان في الولايات المتحدة بين الاحرار والمحافظين هو في الاصل صراع بين دعاة الديمقراطية والمساواة على اساس الدستور الأمريكي وبين المحافظين الذين يريدون ان يتركوا المجال حرا في المنافسة الفردية على اساس بقاء الاصح وان يحدوا من سلطة الدولة وتدخلها سواء كانت هذه السلطة سلطة الدولة الاتحادية او سلطة الدولة المحلية . وقد قرأت في المدة الاخيرة كتابين امريكيين عن هذا الموضوع : احدهما مؤلفه سدنلي فاين عن Laissez-Faire ودولة الصلاح العام Welfare State وعن الصدام الفكري في الولايات المتحدة في المدة من ١٨٦٥ الى ١٩٠١ ،

ليلة الرحيل

انايـا جيب القلب
لا تبعث الاهات حـرى
قلبي سائرـه لـديـك على
قـد يسـالونـي عنـه اين
دمـعي جـواب سـؤالهم
فـي طـريقـي للـرحيل
ان بـعـدي لـن يـطـول
الـهـوى يـبـدي الـدليل
تـركـه مـاذا اقـول
والشـوق لـيس لـه مـثـيل

وغـدا سـارحـل لـست
وانـا اذـا لـم يـلقـني
واذـا تـاخـر لـحـظـة عـن مـوعـدي
كـالطـير اذ مـا غـاب عـنه الـيفـه
فـقـد الصـواب
تـذوب بـسـمائي و يـسـألـني فـلا يـلقـي الجـواب

وغـدا يودعـني جـيبي
فاكـفـف الـدمـع الـهـتون
واخـاف لـو انـي بـكـيت
ويـظـل فـي لـهـف عـلي
فاصـون آهـانـي
قائـلا ومـع السـلامـه
فـلا يـرى غـير ابتـسامـه
بلوعـة اذ كـى ضـرامـه
اذا بـدا دـمـعي اـمامـه
وطـي جـوانـحي اخـفي غـرامـه

سـيمـر اسـبوعـان نـم
احـكي حـكاية رـحـلـتي
وحـكاية الحـب الـكـبير
قـد كـنت فـي قـلبي
واقـول مـا فـارقـتي
اغـسـود لـهـفي للـقـاء
للـشـرق فـي عـرض الفـضاء
وما يـقـبـلـي مـن وفـاء
فـي عـيني و فـي سـمـي نـداء
ابـدا صـباحـي والسـاء

ستـعـيش اسـبوعـين
فـي وـحـدة لـهـفي الـي
وتـتـوق للـاخـبار اـروـبـها
صـن دـمـعك ، الفـالي عـلي ،
سـاعـود بالـقـلب الـذي
مـن غـيري عـلى حـر الـهـب
مـع الحـينـين المـرقـب
بشـوق مـلتـهـب
فـلا سـيـل الـي الفـضـب
اضـتـه اشـواق المـحـب

روحـية القـلبي

مصر الجـديـدة

الاصلاحيات الديمقراطية. وهو موضوع واسع متشعب اتركه لفرة اخرى . واخشي انني بهذا الاستطراد قد خرجت عن جادة البحث ، ولكن خروجي هذا وانماضي عن اتمام البحث في الفلسفتين الظاهرية والوصفية ، كما وعدت في اول المقال ، دليل على ان الباحث في الفكر الغربي لا بد له من الانجرار الى هذه الاستطارات . لان هذا الفكر عبارة عن شبكة معقدة وسلسلة محكمة الحلقات.

حسن الكرمي

لندن

والثاني مؤلفه هنري الموزو ماير بعنوان « هل الناس سواء ؟ » عن معنى الديمقراطية الامريكية . وفي كل من هذين الكتابين بحث مطول عن الصراع بين المفكرين حول معنى الديمقراطية والمساواة وحول نظرية النشوء والارتقاء ونظرية سبنسر في معنى التقدم من جهة اخرى ، وحول فكرة Laissez - Faire التي ذكرناها والتي اسميها (الاستهبال) وترك الناس وشأنهم بدون تدخل كبير من الدولة بقصد اصلاح الاجتماعي وحول حقوق الانسان وغيرها من

ولسدة دهشتي ، كثيرا ما حدثت نفسي
متوتعا : « اسك الخشب ... سترى ...
لن تستمر على هذه الحالة ... اسك
الخشب » .

وفي احد ايام الصيف دخلت كمادني احدى
الحانات لابذل الصناديق وشاهدت الفرقة
وقد افسط افرادها على شكل حلقة بداخل
الحانة وجعمت كل ما بقي لي من شجاعة
وانجيت نحو صاحب الحانة غير مكترث
بالاخرين فناداني ادهم : « متشرد .. تعال
.. لترى من معنا » . وتناشيت لكنه اقرب
منسي واسك بذراعي ، ودفعني بقوة داخل
الحانة بين مقاعد وموائد قديمة واكوام من
الصناديق والزجاج وكانت المفاجأة .. مغلول
ادمي على الارض تنتابها حالة هستيرية بكسي
ويصر بخرى ويشد شعره ويخبط راسه
برتمى بظنونا مهلهلا وقالته شتوية تصلح
للصيف لكثرة ما بها من ثوب وبنين لي بهد
ذلك ان يقوم بكل هذه الحركات بيد واحدة
اذ ان الاخرى كانت مبتورة ورفع وجهه الذي
اسود من كثافة لحيته ، ولاحظت انه يعين
واحدة . وكانت لامعة بغيرها الدهاء ..

ايقتت على الفور لماذا استدعاني افراد
الفرقة لهم لمجد وجدوا من يوقني نحا انه
ليس يتما لخب ، بل وبذراع واحيدة
ويخيل واغور وفوق ذلك كله كسبح . وايقتت
انه متشرد الجديد في التشرد فوسايعزون
له عن مكان للنوم وسيقوم بقضاء بعض
الخدمات .. وقال لي احد الصبية : « اسمع
يا متشرد قد تنصك الذئب وفيل ممن
المدل اما هو تنقصه يده وعينه وربما قلله
باكملة .. بل وكسبح ايضا .. لقد فافك
بمراحل » . وهمت بالانصراف وجذني
ادهم وسألني ان اصافحه واتعرف عليه
لانا اعظم متشردين في الشارع وتضافنا لم
يدا من جديد في البكاء والاتيان بالحركات
العصبية صاخبا : « دعوني اموت .. دعوني
لااقي نفسي في نهر التبر » . وراعلت لي
سماع هذا الشهد الدرامي المغفل وضقت
لرعا بحركاته فاجبت : « لن تلقى بنفسك
في التبر فكل منا بغير الاخر جيسدا » .
ونزل الي بعينه الوحيدة قائلا : « ان اللي
بئسي ! سترى الان .. في الحال » وقف
واجبه ناحية الباب ، فنهز التبر لا يبعد من
الشارع كثيرا واوقفه العصبية وشجوه بعض
الكلمات والبررات . تركني الصبية لانصراف
وتوجهت لصاحب الحانة وطلبت الزجاجات
الفاقة واجابني : « صبرا ... سيحملهنا من
هو انص منك » .

سمير الفخوذ

القاهرة

الحب والشقة واخرى لا تحل لي لا حب ولا
كرهية اما الثالثة فكانت حقا بنفستي ونسخر
مني . كان التجار واصحاب الدكاكين
والحانات يحبونني لاني في متناول يدهم عند
الحاجة الي كل طباهم ، وكانت بائعات
الخضر والفاهم واصحاب دكاكين الخضروات
والروائح والصيدلي لا يبدون لي حبا او
كرها لان كلا منا ليس في حاجة الى الاخر
اما فرقة الصبيان الذين انخلوا من احدى
الحانات ملغني لاهم فكانوا يسخرون مني ..
وهم صبية كلهم رياضيون يقفون وقتهم في
اقامة مباريات كرة القدم او سباق الدراجات
ويعلم الله ان كانت الرياضة تزيد من قوة
الانسان ليتاصر الاقواء ولغيرتي على من هم
اضعف منه ام العكس ! وكنت احد الضعفاء
فكلما ولقت عيونهم على اشيعوني استهزاء
واسموني اغنياتهم الشارة وينادون علسي



تأليف البروق مورايا

ترجمها عن الإيطالية : سمير الفخوذ
<http://Archivebeta.Sakhrif.com>

بالتشرد . فذات يوم دخلت الحانة والجريري
على الشرب حتى التالة وخانتي لساني بعد
غفوتي وقص عليهم تاريخ حياتي وسبب نحي.
كانوا يسخرون مني قائلين : « من اجل
متنصك اطلق لحيتك ولن يدرى احد بهدم
وجود ذللك » . يا لها من نصيحة قاسية
لان لحيتي لا اعلم لاي سبب لم تبت بعد كل
ما هناك برة طويلة ملتوية تشبه الشعرة .
وتحملت مصايقات هؤلاء الشياطين فقد صرت
ميسور الحال ونجحت في الحصول علسي
تكاليف معيشتي وشعرت بخلاوة الشرب والتعب
والنوم والغذاء وبعض الليرات المدخرة ..



اصبت بالنحي منذ ولادتي بسبب وجهي
الذي اخفت منه ذفني ومع انها ليست
اهمية العين او الذنبي الا ان عدم وجودها
كان يوحى للناس بانني مغلول ولا ادري لماذا :

استمر لاجلتي النحي حتى الثالثة عشر
من عمري وزاد بموت والدي اذ صرت يتما .
لجأت الى خالتي بالريف وهناك عشت في
حظيرة الحيوانات وسأوت بهم ولم ينفذني
من حالتي الا التشرد عندما دمرت الحبوب
بيت خالتي وكومت ليلة باكلها تحت الانقاض
وعظمت الاحداث من شان تشردني فلقد عاصرت
الحرب والالان والحلفاء والخراب والجوع
لم انتهاء الحرب ... لو كانت الدنيا على
شكل سلام وهناك من يصدها ومن ينزلها
فانا ليومي هذا مستمر في التزلزل ...

تصادقت منذ عام مع بواب في احد شوارع
روما ودخلت جيبتي بعض الليرات جزاء ما
فعلت به من خدمات لاصحاب الحانات وشعرت
حينئذ اني ساصعد هذه السلالم ولأول مرة
في حياتي ..

لن تصدقوني .. من الافضل تكلمة حكايتي
حتى نقتنع سويا بالسبب الحقيقي في نحي ..
ازدهم هذا الشارع بدكاكين عديدة للبقالة
والطعارة والجزارة وخلافها من صالات الطعام
وحانات الخمر وكان يتردد على هذه الاماكن
كثير من الزبائن الذين يحتاجون لن يحمل
حاجياتهم ومشترياتهم الى منازلهم كذلك يبحث
اصحاب الحانات عن ينقل بضاعتهم من مكان
لاخر ويستبدل لهم صناديق زجاجات المشروبات
الفاقة بغيرها الملوثة ... شغلني عطف
الجميع واحسنت طعم الشقة فتارة افزع
صناديق هذا التاجر واخرى ارضي الزبائن
واحمل ما استروده الى منازلهم كما استطعت
ادخار مبلغ لا ياس به حصلت عليه لقاء هذه
الخدمات . كنت افوم من حين لآخر ببعض
الزبائن لاصحاب الحانات والطعام والمطابخ
فانهم يطلقوا ساخن من الصعاء او الاسياجين
كما اهداني ادهم « جاك » مزق المرفقين
اردينته فوق قميصي الاسفر وينظوني الممزق
عند ركبتيه واعطاني احد حذاء منها لكلا زال
نعله . وقصني على عيشتي هذه ما يقرب من
الشهر وفرحت لان النحي كان قد فكر اخيرا
في الابتعاد عني . قد يمر الناس في هذا
الشارع سيرا على اقدامهم او في سيطرة
ويبدو لهم كأي شارع اخر في المدينة دون
ان يعيشوا فيه مثلي انا . كنت ابدا يومسي
قبل ان تدب الحركة فيه وانسحب للنوم
في بدوم احد المنازل بالطبع بعد ان تلقى
اخر حالة ... فهذا الشارع هو عالي الذي
افسى به حياتي وقد تصادقت مع كل كلابه
وقلظه اما عن جرياتي فهم مجموعة تكن لي



عبد الفتي المطري

البزء.. في ذكرىات وخطرات

بقلم عبد الفتي المطري

في الثالث الاخير من العام ١٩٥٥ نجحت دمشق بواحد من اربعة شعراء فحول ، بحملون جميعا الى حد الانحياز المتنازعون - لقب « شاعر الشام » . اما الشاعر الذي نحن بصدد الحديث عنه ، من هؤلاء الاربعة ، فهو المرحوم محمد البزم .

عندما يذكر البزم تتسابق الى المخيلة ، صور شتى لذلك الشاعر الفحل العملاق ، استاذ اللغة العربية ، الذي كان يقسو على تلاميذه الى حد الافراط ، ويحاسبهم حسابا عسيرا على كل تقصير او هفوة في اللغة . وربما انهم وانزل بهم صارم العقاب ، من اجل فتحة او ضمة او كسرة . ولعلنا كان البزم يخاطب تلاميذه بغير اللغة الفصيحة ، او يسمح لهم بمخاطبته بغيرها ، حتى ان ذلك كان موضع تنذر بعضهم ، وسخرية الآخرين ، ولا سيما ان شاعرنا كان يعتمد اختيار الالفاظ الغريبة ، ليشرحها لهم ، ويدخلها في قاموس افهامهم . ومهما كان الامر ، فان الجيل الذي تلمذ على يدي المرحوم البزم ، طسوال العشرين عاما ، التي قام خلالها بتدريس اللغة ، كان اقوى جيل درس اللغة وقواعدها واصولها واسرارها . كان البزم شاعرا فذا ، ولكنه كان يعني باللغة وحوشى الفاظها ، عناية كبيرة ، تصرفه في كثير من الاحيان ، عن ابتكار المعاني - كما يقول خير الدين الزركلي فسي

اعلامه - من اجل ذلك نرى قصائده تحفل بفرائب الالفاظ ، ومعنى التمايز والكلمات . انه شاعر الجزالة والفحولة والقوة ، حتى لنجد فيه فتحة جاهلية تجعله يقف احيانا الى جانب امرى القيس والنخل الشكري واضرابها من شعراء الجاهلية . وكذلك نجد في بعض شعره اثر المتنبي ومئاته قوافيه .

والبزم يلجا الى هذا اللون من الشعر ، ليرهن على تضلعه من اللغة ، وتمكنه من المعاني البدوية ، التي ماتت مع الجاهليين ، ودفنت منذ قرون عديدة . فاذا ما عاب شعره ناقد او شاعر ، رد البزم عليه قائلا :

يعيبون منى لهجة بعرية ونهجة صدق اعوزت من يرودها
ولو عن هدى قالوا لاسمع قولهم ولكنها الاحشاء نارت حنودها
ولي من براعي صاحب غير خالذ اذا دهمتي للخطوب وفودها
او اجاب بقوله :

يريدون منى غير طبعي نخشأ وما انا والشعر البليد المخش
يريدون شعرا اعجيبا معكسا يعيت بذات الصاد جهرا ويعيت
وراهم فصل الكلام كانهم وقد نفروا من سمعه قد ناتوا

والشاعر كثير الاعتزاز بلغة الصاد ، عظيم الحب لها ، والتعلق بها ، اشاد بها وصلى في محرابها في كثير من قصائده . لنستمع اليه على سبيل المثال يقول :

لنا لغة عن سالف الجد عرب فله ما ابقى معد وعسرب
كسها بشان البقرة طيبة تعيد لها غلب العقول ونطرب
وقد بلغت قديما بها العرب المعلى وافلتت على كل الاقاليم شرب
واكثت لسان الحميرين ادسرا وباهت بها في غابر الدهر مارب

والبزم شديد التباهي بشعره ، كثير الهجوم على خصومه ، هاجمهم نثرا ، وهجاهم شعرا ، وطالما ندد بهم في مجالسه وندياته ، والصق بهم صفات التخنيث والضعف والشعوبية والسرقة ، حتى خسر معظم صداقاته مع الشعراء الذين عاصروه . لنستمع اليه يقول مثلا :

زعموا للاخرك السا فسون شيطانا وشعرا
وهو لو عمر عمر الد همر لن يحكم شطرا
يا عبيد الشعر قد ابرتمتم الليل ديبيا
وافترتم فترتم شاعر القوم سليبا

ولنستمع اليه يسخر من شاعر لم نعرفه :

خل القريض لقوم ان دعوه سعى مزيئا بكرم الدرك مكنوسا
فليس يتطير حر الشعر غير فتى بنحو القريض سيف الطبع متوسا
ما زلت تهذي باوزان ترتلها حتى حبتك - وايم الشعر - مجنونا
حاوته - وظلام الليل مكنر - فبت تنف في اللقائم عثونا
قرات شعره في « ب » ففيل لي اتي القلب في احشاء « كانونا »

ومثل هذا الهجاء اللاذع للشعراء كثير في ديوان البزم ، ومثل دله بشعره واعتزازه بقوته وفحولته كثير ايضا .

ولعل اطرف ما في شعر البزم ، انه يخلو خلوا تامسا من الغزل ، ويكاد يخلو من ذكر المرأة ايضا . انه لم يتغزل ولم يعرف الغزل ، ولم يذكر المرأة الا في مناسبات قليلة ،

اهمها وصفه لروسية في مرقص ، وفي ذكره للحجاب ، وفي رائحته « رية الخدر » التي يدافع بها عن المرأة ، وعن حقها بالعلم والحربة والحياة . ان اليزم - فيما يبدو لنا - لم يحب ولم يعرف الحب ، ولا عرف لوعته وعذابه ، ولم يقدح حالوته وشهده ، ولو احب وعشق بالمعنى الصحيح ، لترك ذلك اثرا بارزا في شعره ، كما هو شأن جميع الشعراء ، المتقدمين منهم والمتأخرين . ولعل اليزم كان قوي الإرادة ، مسيطرا على عواطفه ، يمنعا من ان تتعلق بحب امرأة ، ودليلا على ذلك قوله :

ان الهوى هوان وذله الهوان
فلمه هوان وسخطه رضوان
وسره هوان بفطاته سهوان
حامله نهوان يدري به الاخوان
فتسارة اسوان ومثلها شهوان

وهكذا يبعث الشاعر الى نهاية أرجوته ، منددا بالحب والهوى ساخرًا ممن يحبون ويعشقون .

قلت ان اليزم شاعر فحل ، فيه نفحة جاهلية ، ولكن هذه النفحة تبلغ حد التقليد والتشبه واقتفاء اثر الجاهليين . وكيف لا تكون كذلك ، ونحن نجد في كثير من قصائده الفاظ عفى عليها الزمن ، وكلمات طويها الأيام ، وباتت ذكريات في بطون المعاجم والكتب الصغرى . لنستمع اليه على سبيل المثال ، وما اكراه الامثلة لو اردنا :

نازلي تفرجي ليس بشك الدرجي
وفي الجموع الدرجي وادبني واستدرجي
في هرم مدرج وان هببت برججي
وربني وشعرجي وفزعني وخرججي
وردنجي ودعرجي وصمدي قبي الدعرج
وان غضبت اشرجي او ارتضيت عرججي
ما دهمني بهرجي ولا اتنا بكعرج

ولا ريب ان من يلقى نظرة فاحصة على هذه القصيدة - وامثالها كثير في ديوان اليزم - يدرك حق الإدراك ان الشاعر قصد ان يختبر بها قدرته اللغوية ، وسعة اطلاعه على اسرارها وخوافيها ومنسي الفاظها ، قبل ان يحاول قول الشعر ، او يدلي بفكرة ، او يبتكر معنى . انه يريد ان يبرهن على سعة اطلاعه وعلو كعبه في اللغة بامثال هذه القصائد . انه واثق من شاعريته . لقد اعطى اليزم الدليل القاطع على فحولة شعره ومثانة قوافيه ، وطول نفسه في عشرات القصائد ، فلا بأس في ان يثبت للملا سعة اطلاعه على اسرار اللغة والفاظها التي يجعلها كثير من ادباء العصر المرموقين .

من الظلم الفادح للشاعر اليزم ان نتحدث عن شاعريته وادبه ، دون ان نشير الى غرامه بوطنه ، وتفزله ببلاده . لقد سلبته دمشق كل قلبه ، واسرته غوطتها ، وطار بفؤاده بردها ... انه شاعر وطني منتم يجب ببلاده

وأثارها وتاريخها . ولعل اروع ما قال ونظم لا يتعدى باب وطنياته . لقد صدر ديوانه بقصيدة تزيد على مئة وستين بيتا عن « دمشق » بداها بالحديث عن « ماضيها » ، وانتهى الى وصف « جمالها » ، وأعقبه بالكلام على « أخلاقها » ، ثم عن بني امية فيها ، وعن حبشوها ، وشبابها ، وعن بردى وفقره ، وعن غوطتها الفجاء ، وختماها بعودة الى دمشق . يقول اليزم في مطلع هذه القصيدة الكبرى :

رفعت على حرم الغلود بنودا ومضت تلقي في الآباء صغودا
بنت العمور الحاليات نوحورا بالزهر تسع ما عرف خمودا
القت اليها الارضي مقود اهلهما وورمت الى ابطالها الاقليدا
وعفاها الفلك المدار فسيرت خطواته فيما تريد بريدا
ربحانة الدنيا وقلل نعيمها من قبل مولد يعرب ونمودا

ولهذه القصيدة الخالدة قصة طريقة ، ما احب ان تظل طلي النسيان :

لقد نظم المرحوم اليزم رائعته هذه ، وارادها ان تصدر ديوانه . وكنت في اوائل العام ١٩٤١ ازوره في داره بحي السبي ، حين حدثني عنها ، واسر لي بموضوعها ومبلغ اعترازه بها ، ثم اعطاني نسخة عنها مع طائفة مختارة من جديد شعره ... وما هي الا شهور حتى اصدرت مجلة « الصباح » الادبية ... وهنا ذكرت الكنز الثمين الذي يعتز به اليزم ، فدمت بقصيدة « دمشق » الرائعة التي نشر في عدد « الصباح » الثاني ، بعد ان زينتها بصورته ، وقدمت لها بطول انثيت فيها على الشاعر والقصيدة . وحين اطالع اليزم عليها نار ثأره ، وحمل عصاه التي يتوكل عليها وهو في شيخوخته ، وذهب يبحث عني في منزلي ، وكان اليوم يوم الجمعة - فلما قرع الباب ، وعلمت بمقدمه ، هربت اليه لاراح به ، ولكنه كان متجهما الوجه ، مقطب الجبين ، فلما دعوته الى الدخول وتناول القهوة ، رفض وطلب ان اعطيه ما لدي من شعره غير المنشور ، لانه لا يرغب بنشره ، قبل ان يعيد النظر فيه ، ويشرح بعض الفاظها . وكان يوجه الي اللوم بشيء من الجفاء ، لاني نشرت رائعته عن دمشق ، دون ان استأذنه ، ودون شرح لها ... ولانه كان يؤثر ان يحتفظ بها لتنتشر في صدر ديوانه بكرة لم تر النور ...

وكانت هذه الحادثة اخر العهد بيني وبين المرحوم اليزم .

وبعد ... فقد كان اليزم شاعرا فريدا بين الشعراء تميز - كما قلت - بفحولة شعره ، ونفحة جاهلية في بعض قصائده وبرزت في ديوانه حماسه لوطنه وعروبه . لقد ظهر اليزم عملاقا في أسلوبه ولفته حين قال الشعر ، وتطاول اليزم اقزام ، وضعت اللغة ، وشاعت الركاكة والميوعة بين الادباء ، وصح في شاعرنا ما قاله في وصف نفسه وشعره :

انا النعل في صوغ القريش مجرب وان سلا ان يران الجرب

المركة

وكفن الدهر نجماني ووارها
من نافع السم تدعوني لنعمها
سوداء يعدو بها عدوا جوادها
وسوطه شعلته بالحقن اذكاها
فيه المعاني فما تبدو خفاياها
كهفين قد ففرا للنور افواها
لا شيء او غاية قد شط مرماها
ان احتسبها وشيء في بابها
وارفق بروحي فان الدهر اشقاها
لها الخطوب فما تنفك تقشاها
ممن تحب فترعاه ويرعاهها
على المشيب فتلقى فيه سلواها
روحي وقد كربت تجتاز دنياها
شعناء يخفق من شوق جناحها
والكأس قرب في او كاد بلقاها
فتون دنيا على الحرمان اهوها
وقال يخدع عن نفس تشهاها
تدعوك فاركب ولا تجزع لرأها
فقد اسوت كثيرا من ضحاياها
وليس بنجيك من بلواك الاها
فيها الظنون وضلت في خياها
وخل روحي ولا تعفل ببلواها
بمن اجنيء به الايام عباها

تطاوالت ليلتي واشتد غيهاها
وفي يدي جرعة حمراء قانيها
وثم فوق الطريق الرحب مركبة
حوزيها هيكل من رمة بليتها
ووجهه بارد كالثلج قد جمدت
ومحضره بلا عيتين خلتهما
اعمى يطير بها عبر الزمان الى
فصحت والكأس في كفي تراودني
يايا السيد اليمون هاجسدي
اذلها الدين بعد الفقر واحتشدت
وزادها وحشة ان لا يلف لها
ولا صديق يواسيها ولا ولد
فمد من رحمة كفيه محتضنا
وحومت بومة فوقي على عجل
لكن كفي بعد العزم قد رجفت
اذا هممت بها لاحت على بعد
فاستضحك الباق الوحي من جزعي
يايا المتعب المكدود مركبتي
وخل ارضك لا يفرك بارفها
وهذه الكأس في يمينك شافية
فقلت يا طلعة النجوم التي تعبت
اليك عني وان ناديت مستمعها
ساطرح الكأس ارضا غير مركبت

جلي العماية عن قلبي محياها
فراح يشدو من الالمان اشجاها
في الليل اشتاقها حينا واخشاها

واسفر الصبح عن غراء ضاحكة
وبليل قد رأى عبر الشتاء رؤى
وطيف مركبة سوداء قد عبرت

عمر ابو قوس

حلب

للاستاذ خير الدين الزركلي .. كما نشرنا في صدر
الدوان رسالة بخطه الى الاستاذ احمد عبيد ، لم يكن من
الناسب قط ان ننشر ! ..

ان اليزم شاعر كبير فحل ، وان اعوزه ابتكار المعاني
احيانا ، او ظهر في شعره طابع التقليد احيانا اخرى ...
ولا بد ان دارسي الادب ومؤرخيه سينصفونه في المستقبل
القريب او البعيد ، وسيؤرخون حياته ويحللون شعره ،
ويحلونه المنزلة التي يستحقها بين الشعراء البارزين في
النصف الاول من القرن العشرين ...

عبد الفني العطار

دمشق

وانني افسى الشعر احمي ذمارة اذا دبث الفراء للشعر عقرب
وبالرغم من هذا كله فقد ظلمه عصره ومواطنوه ، والجمع
العربي ، والشاعران الاديبان اشرقا على طبع
ديوانه ... اما هذا الظلم فمرده الى ان الجمع العلمي
لم يقم لليزم حفلة تابين ، كما اقام للكثير من اعضائه
البارزين بعد وفاتهم ، ولان ما كتب عن اليزم نزر يسير ،
يل هو اقل من النزر اليسير ... وكذلك لم يشرح ديوانه
الشرح الكافي ، ولم يشر فيه الى مناسبات القصائد
وتواريخها ، ولم يقدم شارحا للدوان المرحوم اليزم الى
القراء ، باكثر من سطور قليلة ، قسماها عن كتاب الاعلام

الحبة اعظم ما في الوجود

بقلم حبيب الخوري



شيء في هذه الدنيا اجمل من الحياة ، ولا شيء في هذه الدنيا اصعب من الحياة ذلك لان الحياة بما يلابسها من انسجام واتزان هي فن من اجمل الفنون واعودها على الانسان بالجدوى . غير خفي ان الفلسفة الادبية قدمت لنا من روائع الاخلاقيات ما اصطلح على تسميته « الفضائل » وهذه الفضائل تمد بالعشرات ، على ان رجال الفلسفة الاعلام كادت تحصرها في سبع ، اربع منها اساسية ، هي الاعتدال والشجاعة والعدل والفضيلة ، وثلاث دينية هي الإيمان والرجاء والمحبة . وهذه الثلاث اعلى قمة واسمى مقام من الاساسية الاربعة ، ليس من الناحية الدينية فحسب ، بل من الناحية الدنيوية ايضا . وهذا جلي كل الجلاء في الاسفار الدينية وفي الكتب والرسائل الفلسفية من هندية ويونانية وفارسية الخ ، وفي تلك الاسطورة الهندية الدائعة الصيت عن الحيات الثلاث التي هي ليست سوى رمز جميل للإيمان والرجاء والمحبة . وغني عن الذكر اننا عالجت هذه الفضائل منذ عهد قريب في الصحف والمجلات وتناولناها في بيبي من التحليل فخلصنا منه الى القول : ان الاعتدال هو الحارس الامين للفضائل جميعا ، والحافظ القوي لتوازن كل منها ، وان الشجاعة هي دافعا القدير والحافظ المثير لكل منها ، وان المحبة — وهذا هو الامر الجوهري — تاج الفضائل دون نزاع .

المحبة اعظم ما في الوجود

ان ثلاثي الفضائل الدينية هذا هو من اركان الدين الاساسية ، ومن اركان الدنيا ايضا اذ ليس في مقدور المرء ان يحيا ساعة واحدة في امور دنياه من دونه . ثم انه وان ظهرت اركان هذا الثلاثي متكاملة في الفضل ، لا يسعنا الا ان نجد مجالا للمفاضلة بين فضائله . ويؤيد قولنا هذا قول قديم مشهور : اما الان فيثبت الإيمان والرجاء والمحبة ، هذه الثلاثة واعظمهن المحبة . وما ذلك الا لان اختي المحبة تستحق وجودهما وقوتهما من تلك الاخت المتميزة في عظمتها ، وهما مدينتان لها في فضل كل منهما . هذا من جهة هذه الدار التي نحن نازلوها ، واما من جهة الدار الاخرى فلسوف يحل «اليمان» محل الإيمان ، و «التحقق» محل الرجاء ، فلا يبقى لهما من محل في دار الخلد اطلاقا ، لان هذه الدار تتدفق المحبة

فيها كتدفق شلالات نياغارا احدى العجائب الحديثة للطبيعة . وهذه المحبة العارمة يتمتع بها اصفياء الله ومختاروه الابرار ، في حضرة تلك « المحبة الكلية الشاملة » . اصف الى ذلك ان الله محبة ومن ثبتت في المحبة ثبت في الله والله فيه . وما دامت هذه المحبة ، هي كما راينا ، اعظم ما في الوجود ، يقرها على ذلك الدين والفلسفة ، كان لازما علينا ان نتناولها في شيء من التحليل العميق الموزون ، حبا بالوقوف على سر تفوقها في العظمة على سائر الفضائل ، متوخين الإيجاز الحامل بين ثناياها جوامع الكلم .

ان ادراك الجمال — وقد قال فيه قدماء الفلاسفة ومحدثوهم — اننا لم تكن لتقبل الخير لو لم يأتنا عن طريق الجمال — هو اساس المحبة ، والمحبة هي مفتاح المعرفة ، والمعرفة هي تعاقب العقل مع الشيء السذي يتعرف اليه بحيث يأخذ شكله ويتطابق معه ، ولا تقارب بينهما ولا تعاقب من دون المحبة . اذ الجمال والمحبة والمعرفة في النهاية ، كما في البداية شيء واحد ، التربية الصحيحة الكاملة هي التي تؤدي الى ادراك وحدة الجمال والمحبة والمعرفة . ان هذه المعرفة الكاملة من دنيا وعليا هي التي تتيين بها وحدة القلب المحب والعقل الخبير وحسية الانسجام بينهما . ومن هذا الانسجام يأتينا الانوار الخلقية متقاددا . والاتزان هو القمة المشرقة في اية شخصية كاملة . وعن طريق هذه المعرفة يسعنا ان نمثل النظام الكوني والحياة . وعلى ذكر الامثال هذا يسعنا ان نشير الى ان من يعاند هذا النظام يستعبد نفسه ، ومن يطاعه يتحرر . وينتقل من صف المسيرين الى صف المخيرين . وبسبب كل ما ذكر عن فضل المحبة ورد القول المشهور في زمن كان الحرص فيه على حفظ التواضع والقوانين والعمل بها جد خطير لاجراز سعادة الدنيا والغور بنعيم الآخرة « المحبة هي تكميل التاموس » . ذلك لان المحبة الحقيقية تفني الانسان عن الجهاد المرير في تنفيذ عالم من الحدود والاحكام ، ولا سيما « الوصايا الادبية العشر » وتطبيق المنة وصية ووصية المشتقة من تلك العشر ، وهذا فضل عظيم يؤتاه المرء في دار الجهاد هذه .

حل المحبة الى عناصرها

ان المحبة شيء مركب كالنور ، وكما ان العالم فيسي مقدوره ان يحل النور الى الوانه السبعة — وقد اضيف اليها اثنان — هكذا حل علماء الدين والفلسفة المحبة الى عناصرها السبعة — وقد اضيف اليها اثنان — وهي الصبر والطف والنزاهة عن الحسد والتواضع وانكار الذات والنزاهة عن الحدة او الحلم والاركان . وما احرانا في هذا الموقف ان نقصر بحثنا على ثلاثة منها : ١ - اللطف ٢ - النزاهة عن الحدة او الحلم ٣ - الاركان او الثقة

بالغير .

١ - اللطف : ان اللطف معنى ، ومعناه المحبة العملية او النسيطة . قال احدهم - ان اعجب ما اراه في الارض قصورنا ان يكون رفقنا اوفر منه في الواقع ، فان العالم اشد حاجة الى الرفق منه الى غيره ، وهو من اهل الامور على الانسان . وسأل بعضهم العالم « يكون » الذي قلب الفلسفة اليونانية عن القاعدة الخاصة التي تتبعها في حياته اليومية ، فاجاب ان قاعدة حياتي هي ان اكون لطيفا ، لان اللطف لا يخسرن شيئا بل يربحني كل شيء . على ان هذه الفضيلة قد اعتورها شيء من الانحراف ، فامست في عرف طائفة كبيرة من الناس مجاملة فارغة تحمل في بردها شيئا من الرياء والمخادعة والمنفعة الشخصية . ان الفرق لعظيم بين من يحاول ان يرضى الناس وبين من يقدم لهم الرضى فعلا . وهذه ظاهرة نلاحظها في المدن اكثر منها في القرى . ولقد انتاب اللطف ايضا شيء من اساءة الفهم لدى طائفة من ادعياء الفلسفة الادبية او علم الاخلاق ، فارتأوا انه مظنة للضعف واستشفوا منه المزوف عن اقدام . على رسلكم ايها الادعياء ! ان اللطف الحقيقي هو عنوان القوة وموئل الشجاعة ، ولنا على ذلك امثلة عديدة ١ - خصومة الشمس والرياح في ايها اقوى ومحاولتهما ان تجعل الرجل المار كما تقول الاسطورة - يخلع عيابه ، فكان النصر للشمس الهادئة على الريح الهادئة ٢ - ان زيادا بن ابي حاكم العراقيين والحجاج بن يوسف لهما فضل غير قليل في تثبيت الحكم لبني امية ، على ان التاريخ يعطي زيادا الانصاف اللطيف ويعطي الحجاج خمسين بالمئة من الحجاج في تثبيت الحكم بالئة من السيثات لانه يبطشه مهد السبل لاذلال الامة العربية . ٣ - حادثة الاميرة الفرنسية وهي سائرة في موكبها الرائع الى الاكليل والتقاؤها بموكب لا يبعد بضعة نفر يحملون طفلة الى ميثاها الاخير ، واخذها ضمة من ازهار عرسها ووضعها على نضش الطفلة بيدها . ولما جاءت الثورة الفرنسية هربت الاميرة وزوجها وطفلهما ولما صاروا على مقربة من الحدود التي كانت يرابط فيها رجال الثورة اقبل عليهم رجل منهم وقبض على اعنة خيل المركبة وسار بها في طريق جانيبة وامرهم الحدود ، وكان هذا الرجل والد الطفلة التي وضعت الاميرة الزهور على نضشها . نرى من كل ذلك ارباب اللطف الحقيقي لا يجارون في الكياسة والركة . قال كارليل في روبرت برنس « ليس في اوروبيا لطف واقوى من هذا الشاعر الفلاح » . ومثله كان شاعرا البهاء زهير الذي تميز بالركة والظرف وقد طبع ديوانه مرارا وترجمه المستشرق بالر الى الانكليزية نظما في مجلدين وعلق عليه الحواشي والشروح .

٢ - النزاهة عن الحدة او الحلم : من اجزاء المحبة ذات الشان النزاهة عن الحدة ، ولا شيء اعجب من ان

تأخذ النزاهة عن الحدة مكانتها في مركب المحبة . فقد اعتدنا ان ننظر الى الحدة كمرض بسيط من اعراض الطبيعة البشرية لا ضرر منه مع ان المزاج الحاد ينقص من كمال ذوي السجيا الكريمة وينزل من مكانتهم ومقامهم الاجتماعي فهو رذيلة الافاضل . ان اجتماع هذه الرذيلة باسمي السجيا الادبية من اقرب المسائل في الفلسفة الادبية او علم الاجتماع . ليس بخاف ان النفوس لا تحلو بنزع الحوامض منها فحسب بل يوضع شيء اخر فيها مثل الموم ، فلما حلت المحبة فينا حلت اخلاقنا وطهرتها ، فهي الموم لكل عوج فينا ، وهي الالفة الكيمية المقدسة التي تتحد بها عناصر المحبة . ولا ندحة لنا عن القول اننا لا نقيم وزنا لرجل لا طبع له سدها الميعة ولحمته الفتور ، على شرط ان يحفظ هذا الطبع في قفص ولا يطلقه الا عند خشية الانتقاص من حرمان الفضائل والمبادئ العالية . من راي منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فليقله ... الخ » . ان التاريخ حافل بابطال الحلم ، ولا حاجة بنا الى ان نذهب بعيدا فنعدنا بحمد الله ابطال كثير نخص بالذكر منهم معاوية والاحنف بن قيس ومعين بن زائدة فقد خاطب عبدالله بن الزبير في كتابه الاول معاوية « الخليفة » متناثيا عن كل كياسة بقوله يا معاوية ومهددا بقوله والا كان بيني وبينك شان . وخاطبه في كتابه الثاني « وكانه يبايعه بقوله : اطال الله بقاء امير المؤمنين الخ . وقد جيء الى الاحنف بن قيس بابنه مقتولا فلم يقل للقاتل شيئا سوى « اضعفت نفسك بقتلك ابن عمك » . وجاهد رجل يمشي حلم معن فقال فيه قصيدته المعروفة وكان في كل بيت فيها قول قبيح يثير الحفيظة والموجدة الى اقصى حدودها ومع ذلك لم يخرج معن الامير عن كماله الخلقي الاقلا .

٣ - الاركان او الثقة بالغير : ان الاركان نعمة المراتين ، وامتلاكه سر التأثير الشخصي . واذا انعمنا النظر قليلا رايانا ان ارباب التأثير فينا هم ارباب الاركان اليينا والثقة بنا . ان اهل الريبة هم في اقتباس مستمر ، وان اهل الاركان هم في انبساط مستمر والفة حسنة توسعهم شجاعة وتهدئها . ومن عجب اننا لا نرى في هذا العالم الواسع الا قلة ممن لا يسيئون الظن بسواهم . واذا اردنا التأثير في الغير واصلاحهم وجدنا ان احرازنا لهذه الرغبة على قدر تقههم باركاننا اليهم وثقتنا بهم . لان اعتبار الانسان لغيره هو اول وجدان لما يقدمه من اعتبار ذلك الغير له . ان هذا الاركان هو من اهم مركبات المحبة التي تصنع المعجزات وتمهد السبل للمصلحين ايا كان نوعهم اراء المستحيلات خرجت زمرة من القتيان للنزاهة على شاطئ نهر ، وفيما هم يسرحون ويمرحون ، سقطت ساعة احدهم في الماء فبحث عنها حتى تعكر الماء وتوحد . فلم يكن من احدهم الا ان جاء بزعاجة وصب منها زيتا فوق البقعة العكرة ، فصفت وراقت وامكن انتشال

دخان الجوع

الى روح ابي في ذكرى انتقاله الثانية من صحراء الدمع والجوع

*

كنت يا حب مترعا بشقائقه
ويقتات من طوى كبرائه
لسهام الامال ، ملء فضائه
كارتحال الصباح في اذوائه
دهاقا ، تفيض مرمى جوانه
عطاش ، والنور من اينائه
لا تموت الاصداء خلف ندائه
فضياء يشع بعد انطفائه

هي للنار حالات دمايه
في عيون الربيع نشر شتائه
وعلى النهر صرخة لانتشائه
وقوافيه مسيحات ارتوائه
بوعد الطياء ، غب انقضائه
أحرقته الامم في صحرائه
رصدته الرياح دون سمائه
هو الصبح في انفتاح سنائه
تحتويه الفصول قبل انتهائه
« انه الحب منتهى شعرائه » !

موسى العلوف

نشر الحب موسما في غنايه
شاعر يحصد الشقاوة في الارض
علق الحزن خلف جفنيه قوسا
قلبه ترحل المشاعر فيه
كم لينوعه عروقا وآيات
يا امتداد الهادي سطوعا بابناء
يطلع البشر عاصفا قدسيا
واذا انكر الظلام ضياء

صدره الحقل والفلوع غراس
في خوابي الجمال منه عتيق
وعلى الصخر زفيرة لهواه
ظامء تسكب الحروف رؤاه ،
كلتله الافاق في السفر البكر
فاعتلى حلمه صليب امكان
يحضن الرمل من بقاياها كنزا
هو الليل في عشاق وضوء
هو للارض ختمها ، اي سبى
جسدته الالوان متحف زهر

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

في نفوسنا والحالة هذه ؟. ان الحبة مسيب ولا يمكن
امتلاكها الا بسببها . ان طريقها طريق الايصال ، فاذا
وضعنا قطعة من الحديد قرب جسم مكهرب تكهربت بعد
قليل ، واذا الصقناها بمغناطيس دائم صارت مغناطيسا
وقتها ، وما دامت مجاورة لذلك المغناطيس تظل مغناطيسا .
فلنتقل على مقربة من تلك « الحبة الكاية الشاملة » نصير
مغناطيسا روحيا ونجذب الناس اليها . كما فعل الفزالي
الذي هام في حب الله والتعطش الى معرفته والبقاء
بالقرب منه وصورته مغناطيسا روحيا هاما . ليت شعري
لماذا نهوى الحياة ونود ان نعيش الى الغد ؟. اليس من
اجل الذين نحبهم ويحبونا ؟. واذا لم يكن للمرء من محبين
ومحبوبين فالحياة لا معنى لها اطلاقا وقد يكون الموت
خييرا منها . قال الشاعر :

ومن السعادة ان تحب وان يحبك من تحبه
ومن الشقاوة ان تحب ولا يحبك من تحبه
حبيب الخوري

اربعا - الاردن

الساعة . اذا سكب رجال الدين والمصلحون والمربون زيت
محبتهم القلبية الحارة اكتشفوا جدوة الخير في أحط
الناس واقر بهم الى الدمار الخلقي وربحوا نفوسهم .

الخاتمة

ماذا عسانا ان نقول عن المحبة « ومجال القول ذو سعة »
فاننا لم نذكر الا النور اليسير من عناصر المحبة . ولكن
العناصر لا تبين حقيقة ما تركب منها ، والمحبة ليس
تحديدتها من الهيات الهيات . ان النور شيء اكثر من
مجموع بساتنه ، والمحبة امر يربو على مجموع عناصرها .
والنور يزيد على مجموع تلك البساتن بانه لامع متأللق
مترقق ، والمحبة تزيد على مجموع عناصرها بانها شيء
ذو حس واختلاج وحياء . والانسان بجمعه كل الالوان
الاصلية يمكنه ان ينشئ البياض لكنه لا يستطيع ان
ينشئ النور . وجمعه الفضائل يمكنه ان ينشئ فضيلة
ولكنه لا يستطيع بذلك ان ينشئ المحبة . كيف ننشئها

التضامن الاسيوي الافريقي وأثره

بقلم محمد جميل بيه

كما كان العرب قدوة لساير الاسيويين الافريقيين فسي المبادرة الى مكافحة الاستعمار فقد كانوا كذلك اول الامم في التفكير بحاجتهم الى مؤسسة تجمع بينهم ، وتنسق اعمالهم ، وتؤيد كفاحهم ، وتكون في الجملة رمزا لوحدهم . واعني بها جامعة الدول العربية التي تالفت سنة ١٩٤٥ .

وفي العام نفسه نقرر في مؤتمر بالطا دعوة الدول الحليفة الى اجتماع يعقد في سان فرانسيسكو لتنظيم شؤون العالم بعد الحرب العالمية الثانية ، وذلك على الاسس التي اقترحت في مؤتمر دمبرتن اكس . وقد عقد هذا الاجتماع الدولي في سان فرانسيسكو ابتداء من ٢٥ نيسان ١٩٤٥ ، واشتركت فيه خمسون دولة وقامت على ميثاق جمعية الامم المتحدة ، وكان بينها سوريا ولبنان ، ومصر ، والعراق ، والعربية السعودية .

ومنذ قيام جمعية الامم شعر ممثلو الدول الاسيوية الافريقية بحاجة ملحة للتكامل ولم يكن بعد ذلك الشعور الى اشتراكهم في الالام والامال فحسب ، بل لانهم حملوا على التفكير في التكامل اذ راوا الدول الكبرى تحاول الهيمنة على هذه الجمعية بالتعاون بينها لتجلبها اداة

صالحة للحفاظ على الاستعمار . وقد اجتمع هؤلاء في اذار ١٩٥٢ ، ووقموا ميثاق الكتلة الاسيوية الافريقية في نطاق هيئة الامم . ثم تكاثرت عدد اعضاء هذه الكتلة تباعا حتى اصبح الان يزيد عن نصف اعضاء جمعية الامم .

وقد اضطلعت هذه الكتلة منذ تاسيسها بابعاء تاييد الشعوب في نضالها على احسن وجه ، وكانت تؤدي لهذه الشعوب خدمات اوفى واجل كلما ازداد عددها حتى كان لها الفضل الكبير في تقويض اركان الاستعمار .

وفي الجلسة التي عقدتها جمعية الامم المتحدة في ٢٤ ايلول ١٩٥٨ فوجيء المستعمرون بما لم يكونوا ياقفون سماعه من افريقيا . فقد نهض احد وزراء الدول الممثلة بهذه الكتلة ، واعني به وزير خارجية الحشة وطلب بصرحة ان ترفع الدول المستعمرة ايديها عن هذه القارة ، وان تترك لها حقها الطبيعي بممارسة حريتها واستقلالها . وفوجئوا ايضا حينما انتصب واقفا مندوب غانا وايد بكل جرأة زميله الحبشي ، وحمل بشدة على الاستعمار وقد ثارت هذه الكتلة على نضالها من اجل تحرير الشعوب ، ونتيجة لهذا النضال قررت جمعية الامم

تأليف لجنة لتصفية الاستعمار ، فجاء هذا القرار بمثابة اداة تنفيذ لمبدأ حق كل شعوب العالم في المساواة ، والحرية ، والحكم الذاتي .

على ان الدول الاسيوية - الافريقية كانت ، خلال ذلك ، لا تتكل على هذه الكتلة فحسب ، بل كانت تعتمد على نفسها بتكتيل اخر خارج هيئة الامم المتحدة شعورا منها بأن مشاكلها متشابهة ، وان الخطر الاستعماري لا يفتأ يهددها بأساليب جديدة ، وان استقلت . لذلك كان اول عمل قامت به الهند ، في اعقاب احرازها الاستقلال عام ١٩٤٧ ، توجيه الدعوة الى جميع بلاد اسيا المؤتمر عقد في دلهي ، ووضع قواعد التعاون الاسيوي .

وفي العام الذي تالفت فيه الكتلة الاسيوية - الافريقية في هيئة الامم حدث انقلاب في البلاد العربية كان له اثر كبير في التكتيل ضد الاستعمار وفي قيام كتلة ثالثة غير التكتلين الشرقية والغربية ، واعني به ثورة مصر التي وقعت في ٢٣ تموز ١٩٥٢ .

فبعد انتخب سيادة جمال عبد الناصر رئيسا للجمهورية المصرية في ٢٥ حزيران ١٩٥٦ انصرف همه الى تحرير الشرق علاوة عن انثارته القومية العربية . ومد يده الى البانديت نهرو في الهند والسيد شكري القوتلي في سوريا فأعلن بالاتفاق معهما مبدأ الحياد على اساس « الصداقة بين بصادقنا ، والمادة لن يعادينا . »

وقد تجاوب الشرق لهؤلاء الاقطاب ، واقضى هذا التجاوب الى عقد مؤتمر باندونغ باندونيسيا ابتداء من ١٦ نيسان ١٩٥٥ ، فكان فاتحة المؤتمرات بين القاريين . وقد اشترك في هذا المؤتمر ٢٩ دولة كان بينها ١٤ دولة اسلامية - ١١ منها اسوية و ٣ افريقية . وكان هذا المؤتمر حدثا تاريخيا مهما ليس لانه كان يمثل اكثر من نصف عدد سكان العالم فحسب ، بل لان الدول التي تمثلت فيه لم تتورع عن ان ترسم لها سياسة الحياد الايجابي . وقد نصت عليه المادة السادسة من مقررات المؤتمر على الوجه التالي : « الامتناع عن استخدام التكتلات السياسية والعسكرية لخدمة مصالح ذاتية خاصة لدولة او مجموعة من الدول . »

بعد ان مقررات المؤتمرات تبقى حبرا على ورق اذا لم يقدر لها من رعاها ، ولكن مؤتمر باندونغ ظل من بعد على كل لسان ، وعاش في كل ضمير لان الداعين له لا سيما جمال عبد الناصر حملوا لرايه ، واخذوا على اعناقهم تحقيق ما تقرر فيه . ولان سائر المؤتمرين تبينوا باخلاقهم مقرراته ، وتضامنوا لتحقيقها .

وكانت الدول الغربية تريد ان تضع حدا لتحدي جمال عبد الناصر ، ولكنها كانت تردد خوفا من العواقب . ولكن ما ان اعلن الرئيس المصري بأميم القناة حتى انقضت عليه ائتلكترا وفرنسا وراء اسرائيل في تشرين الثاني ١٩٥٦ غير آبهة لكل عاقبة . فاذا بالدول الاسيوية

يشمل في الجملة مصر للنظر في الشؤون الافريقية ،
وللدفاع عنها . فاذا بؤتمر افريقي اخر يعقد لمدة اسبوع
في اكرا عاصمة غانا ابتداء من ١٥ نيسان ١٩٥٨ . وقد
اشتركت فيه ثماني دول افريقية مستقلة ، وهي غانا ،
والجمهورية العربية المتحدة ، وتونس ، وليبيريا ومراكش ،
وليبيا ، والودان ، والحبيشة ، فضلا عن مندوبين من
الجزائر ورئيس جمهورية مالي . وكان شعار المؤتمر :
« يا شعوب افريقيا وحدوا انفسكم » .

وكان لهذا المؤتمر شأن كبير ليس لان عدد الشعوب
التي تمثلت فيه بلغ ثمانين مليون انسان فحسب بل لان
عواهل هذه الشعوب شهدت بنفسها : فحضره محمد
الخاص (المغرب) وعبد الناصر (مصر) وسيكتوري
(غينيا) وكيتا (مالي) فضلا عن نيكروما (غانا) .

وفي الخطاب الترحيبي الذي القاه الرئيس نيكروما
عند افتتاح المؤتمر استهله بالاشارة الى ان هذا الاجتماع
هو الاول في التاريخ اذ يجتمع ممثلو الدول الافريقية
المستقلة لتوثيق علاقات الاخوة والصداية والتعاون بين
بلادهم . وختم خطابه بقوله موجها الكلام الى المستعمرين :
« انزعوا ايديكم عن افريقيا » .

على ان الرئيس نيكروما لم ينس البلاد التي وضعت
تحت الوصاية بعد الحرب العالمية الثانية . فقال عنها في
خطابه : « ما زالت افريقيا في انتظار تحرر اخوان لنا في
توغرلاند الافرنسية ، والكامرون ، وافريقيا الغربية ورواندا
وروياندي ، وبنجاليا . ولا يمكن ان يستتب سلام دائم
ما دام الاستعمار قائما على أي شكل من الاشكال » .

وقد وافقت الدول الثماني المشتركة في هذا المؤتمر
مبدئيا على اقامة منظمة افريقية مهتمة ، علاوة على
تحقيق انسجام هذه الدول في السياسة الخارجية ،
السعي لمساعدة الدول غير المستقلة على نيل استقلالها .
على ان الدكتور نيكروما لم يلبث ان تبني ايضا مبدئا
الحياة الايجابي اسوة بالانديت نهرو رغم ان بلديهما
عضوان في الكومنولث البريطاني . وفي غضون زيارته
لبعض البلاد العربية في مطلع صيف ١٩٥٨ حطت به
الرحال في القاهرة . فاجرى محادثات مع الرئيس جمال
عبد الناصر صدر بعدها بيان مشترك جاء فيه :

المادة (٦) اتفقت الحكومتان على مساعدة شعوب
الاقليم الخاصة للوصاية في تحقيق امانها المشروعة ،
كما اتفقتا على العموم على ان تنال جميع الشعوب الافريقية
غير المستقلة حريتها واستقلالها .

المادة (٧) تعلن الحكومتان اتفاقهما على ان سياسة
الحياة الايجابي وعدم الانحياز هي السبيل الوحيد دون
استمرار الزلل بالنسبة لمختلف الدول في الصراع القائم
بين القوى الكبرى .

وقد تضمن البيان توثيق العلاقات الاقتصادية بين
البلدين ، وخص الجزائر وفلسطين بالتأييد .

الافريقية التي اشتركت في مؤتمر باندونغ تخف لتأييد
مصر ، وتعتمد بالقاهرة ابتداء من ٢٦ - ١٢ - ١٩٥٧
مؤتمرا اخر اسمه مؤتمر تضامن الشعوب الاسيوية
الافريقية وقد ضم ممثلين عن ٤٤ قطرا يبلغ عدد سكانها
مليارا وخمسمائة مليون نسمة ، اي ثلاثة اخماس سكان
الكرة الارضية . وقرر ما يلي :

(١) تأييد الاماني العربية ، ولا سيما في فلسطين
والجزائر والعقبة .

(٢) حق تقرير المصير لجميع الشعوب على اعتبار ان
السيطرة الاستعمارية امتناع لحقوق الانسان .

(٣) تحريم الاستعمار بكل صوره واساليبه ، والتعاون
على الكفاح ضده .

(٤) تحريم الذرية ، والاخر الى موسكو بضرورة توجيه
الي الدول الغربية ،

والبحوث الذرية لخير الانسانية .
وخلال هذا المؤتمر هاجم اردني مشروع ايزنهاور
وحمل عرائي على حلف بغداد ، وندد لبناني بفكرة الاحلاف
التي تبنتها وقتئذ حكومة بيروت .

ومن جهة اخرى فقد تصدى الدكتور فاضل الجمالي
بالتفد لهذا المؤتمر في جريدته العمل التي تصدر ببغداد
وقال بان مقرراته لا يمكن ان تكون معبرة عن وجهة نظر
دولية كما كان مؤتمر باندونغ ، لان الاشخاص الذين
شهدوه لا يمثلون الا انفسهم . وخص الجمالي المؤتمر
بالتقد لمساهمة روسيا فيه متسائلا « اما لا نلقي كيف
يكون هذا مؤتمرا للتضامن الاسيوي الافريقي بينما ناهم
فيه روسيا الاوروبية وهي اكبر دولة استعمارية ؟ »

والواقع ان روسيا لم تكن عاملا في هذا المؤتمر ، وانما
شهدته ، كما شهدت من قبل مؤتمر دلهي (١٩٤٧) ،
وعرضت فيه مساعدتها غير المشروطة شأنها في محاولة
اكتساب الفرص ، اما نقد الدكتور الجمالي فلم يكن
مصدره الا الفرقة التي كانت بين حكومتى مصر والعراق
في حين ان الشعب العراقي كان يهلسل ويكبر لكل
بادرة اتفاق .

هذا وكانت غانا الشاطئ الذهبي بافريقيا سابقا قد
احزت استقلالها في اذار ١٩٥٧ بفضل رئيسها كوامي
نيكروما ، فاذا بصوت جديد يرتفع من غربي افريقيا
مطالب بالاستقلال الى جانب صوت الرئيس جمال عبد
الناصر الداعي الى الوحدة العربية والى صوت الرئيس
حبيب بورقيبة الذي كان يدعو الى تكتل مراكش وتونس
وليبيا والجزائر بعد استقلالها لتأليف رابطة عربية افريقية
هناك تقف بوجه الاستعمار ، وتتكايف من اجل ادراك
القوة والازدهار .

ولم يتورع الدكتور نيكروما حينما كان يمثل دولته في
دورة الكومنولث التي عقدت بلندن ابتداء من ٢٦ حزيران
١٩٥٧ ، لم يتورع عن التصريح بالدعوة الى حلف افريقي

نظرة البكاء

✧

في لحظة البكاء
وانت والدموع واشكت نفاذ الفلوع للراء
والنفس في انتظارها على رجاء
لكي تلون الدموع في الخدود بالصباء
في لحظة التطهر العظيم
في لحظة انفرادك النبيله
في لحظة الصفاء
وانت قد خلعت نفسك القديمه
في لحظة المطاء
والنفس لم تعد نجيله
السم بان تظل مظلما لغارس الاسى
للفارس الذي كساك ماسكا
اعطاك من حمايته
وصد عنك زحمة الدين يرفلون وجدتك
وانت قد مشيت تحت رايته
حتى خسيت فرحتك
لفارس الاسى
الفارس الذي اعطاك روحه
يحب ان يراك ساعة الالم
في حالة من القسم
للملحة البكاء عنده مقدسه !!

مجاهد عبد المنعم مجاهد

القاهرة

http://Archivebeta

التي تبقى الباب مفتوحا للتعاون ، ولا تقضي على الصداقة . ولكن ذلك لا يمنعي من حمل السلاح اذا اقتضت الضرورة ذلك ، ثم كانت سنة ١٩٦٠ حافلة بمؤتمرات اخرى من هذا النوع اهمها مؤتمر الدار البيضاء في كانون الثاني ، مؤتمر القاهرة في اذار من ذلك العام كما ان بعض المؤتمرات التي تكلمنا عنها كورت اجتماعاتها في تلك السنة وما بعدها فبذت اسيا وافريقيا بهذا التكتل والتناصر صفا واحدا ضد الاستعمار والمستعمرين وهذا التكتل الاسيوي - الافريقي بالاضافة الى جامعة الدول العربية ، والكتلة الاسيوية في جمعية الامم المتحدة كان خير مساعد للشعوب في نضالها ضد الاستعمار ، وكان من جهة اخرى افضل مؤيد للدول الفتية التي احرزت استقلالها وذلك خلال الازمات التي واجهتها في اعقاب استقلال . وهكذا فان غرسة الحرية التي نبئت في القرن التاسع عشر ، وترعرعت خلال الحربين العالميتين ، والتي وجدت من يرعاها ، من بعد ، في الداخل والخارج ارتفعت في السنين الاخيرة ، وورفت اغصانها ، فاظلت الشعوب المستضعفة ، واعطتهم اسوة بغيرها ، اطيب الثمرات . » واذا اراد الله امرا يسر له الاسباب . »

محمد جميل بهيم

ولما وضع الرئيس ديغول دستوراً لاستفتاء المستعمرات الفرنسية عما اذا كانت يود البقاء في نطاق الوحدة مع فرنسا ، ام تريد الاستقلال ، على ان يجري الاستفتاء في ايلول ١٩٥٨ ، ذهب الى افريقيا في ٢١ اب ١٩٥٨ بغية اقناع المستعمرات بان تصوت بنعم اي البقاء في نطاق الوحدة الفرنسية فتنادى وقتئذ بعض رؤساء الدول الافريقية الاسيوية لمؤتمر عقد بالقاهرة في ٢٢ اب من ذلك العام ، باسم « مؤتمر الرابطة الافريقية » وقد ايسد مؤتمرات بانديونغ والقاهرة ، واكرا السابقات . واعلن تأييدهم للانتفاضات العربية في كل مكان ، وطلب سحب الجيشين الانكليزي من الاردن والاميريكي من لبنان اللذين نزلا في البلدين عقب الثورة ببلتان ١٩٥٨ . وتكلم في هذا المؤتمر رئيس اتحاد الكومون ملعنا خطورة الحالة فسي بلاده ، وان الشعب هناك ، سواء في المنطقة التي تحتلها انكلترا ، ام في المنطقة التي تقع تحت الاحتلال الفرنسي ينشد الاتحاد والاستقلال . وتعرض لدستور ديغول فشجه ، ووصفه بأنه مناورة يرمي بها الرئيس الفرنسي الى الحفاظ على الاستعمار . بيد ان الدول الاسيوية - الافريقية لم تصرفها السياسة عن واجباها الاخرى . وفي كانون الاول من ذلك العام عقد في القاهرة ايضا المؤتمر الاقتصادي الاسيوي الافريقي الذي اشترك فيه ٤٥٠ مندوبا يمثلون ٢٩ بلدا ، فضلا عن الاعضاء المراقبين وبينهم بعض الاجانب ، وبحث هذا المؤتمر موضوع التضامن الاقتصادي حيال الاستعمار الغربي في مقابرة الجديد من وراء السوق الاوربية المشتركة ، وغيرها من التكتلات . ثم عقد مؤتمر اخر لهذه الغاية بالقاهرة في نيسان ١٩٦٠ باسم « مؤتمر التضامن الاسيوي الافريقي » واتخذ عدة مقررات طالبا فيها تحرير افريقيا اقتصاديا من الغرب ، كما طالب بتوسيع الروابط الاقتصادية مع الدول المناهضة للاستعمار . فكان هذان المؤتمران ، وما عقد بعدهما من مؤتمرات لهذه الغاية دلالة على وعى الشعوب الاسيوية الافريقية .

هذا وقد نشطت الدول الافريقية في سنة ١٩٥٩ - ١٩٦٠ لعقد مؤتمرات خاصة بها ، فعقد في عام ١٩٥٩ مؤتمران احدهما في كوناكري عاصمة غينيا ، والاخر في منرويا عاصمة ليبيريا . وقد اشتركت الجزائر فسي المؤتمر الثاني وكان علمها يخفق بين الاعلام الاخرى . وصرح السيد حسين ذو الفقار صبري باسم الجمهورية العربية المتحدة ، بان المؤتمر اكد عزم الدول المشتركة فيه على التعاون مع جميع الشعوب الافريقية على محو الاستعمار من كل افريقيا . ولما شرعت فرنسا تجسري تجاربها اللديرة في الصحراء الجزائرية دعا الرئيس الحبيب بورقيبة الى مؤتمر عقد في تونس خلال شهر كانون الاول سنة ١٩٦٠ . وفي الخطاب الذي القاه عند افتتاح المؤتمر كرر دعوته الى الوحدة الافريقية ، وقال : انها ضرورية لازالة الحدود الاصطناعية ، ونحن الان في عصر تحرر افريقيا ، وانني شخصيا اؤيد الوسائل السلمية

ساردانا بولوس بين الحقيقة والخيال

بقلم الدكتور سامي سعيد أحمد

استاذ الدراسات الشرقية بجامعة دنفر بالولايات المتحدة الاميركية

تحدثنا الاساطير اليونانية عن الرومانية عن ان اخر ملوك الامبراطورية الاشورية كان ساردانا بولوس الذي تصوره لنا كشخص قلب عليه صفة الانوثة وضعف الشخصية ، منغمس في حياة الدعارة والترف محب للظهور بمظهر النساء . وترينا المصادر الكلاسيكية من ان ما ورد عن هذا الملك من القصص قد اثرت على الكثير من مؤرخي تلك العصور وذوي العقول الكبيرة منهم فأخذوها كحقائق ثابتة . ولكن هذا لا ينفي من ان هناك من شك في صحتها فأرسطو يسميه « ملك آشور النصف الخرافي الذي يقرب اليونان اسمه بالتurf والتبذير الشرقيين » (١) وترك لنا فئات تلك العصور صوراً وتمائيل لسردانا بولوس هذا نراها الان معروضة في بعض متاحف أوروبا (٢) . وظل الكثير من مؤرخي العصور الوسطى والحديثة يأخذون ما ورد عنه مأخذ الحقيقة وقرنوا اسمه منذ منتصف القرن التاسع عشر ، أي بعد اكتشاف المعالم الاشورية في شمال العراق بالملك آشور بانينبال ملك الاشورية الاشورية المتأخرين (٦٦٩ - ٦٢٢ ق . م) . ولكن لو قارنا بين ما نعرفه عن هذا الملك الاشوري الذي قضى اكثر سني حكمه في الحرب والاعمار ، وبين ما تسرده لنا المصادر اليونانية والرومانية عن ساردانا بولوس نرى بان من الصعوبة بمكان قبول آراء الكثيرين باقترانها . وان من الصعب جداً بل من المستحيل قبول أي رأي يقول بكونه هو الملك الاشوري هذا . فهناك فرق شاسع بين شخصية الملك آشور بانينبال وبين ما ترويه الاساطير اليونانية والرومانية عن ملوكهم الاشوري .

فدودورس الصقلي يخبرنا بان « ساردانا بولوس

هو الملك الثلاثين بعد نيئوس مؤسس الدولة الاشورية ، وهو اخر ملوك آشور الاثوية . وكان على ولع عظيم في الترف والطرب اكثر من حكام آشور الذين سبقوه في الحكم . وليس هناك شخص خارج القصر الملكي يعرف هيئته او رأى شكله . عاش كالمرأة : جمال وجهه بالساحيق ، غير صوته وكان يحوك وينسج مثل نساء عصره . ويقال ايضا من انه قد امر بان يكتب على قبره في لغة غريبة بربرية (٤) . ويحدثنا نقولا الدمشقي من ان « ساردانا بولوس لم يحمل في حياته السلاح قط ولم يذهب الى الصيد والقنص » (٥) . اما اريانوس فيقول : « ان قبر ساردانا بولوس يقع قرب اسوار اتيكياوس وفوق القبر تمشال الملك نفسه ويديه على بعضهما وكأنه يصفق ومكتوب في لغة اشورية : ساردانا بولوس ابن اناكين دارا كيز الذي بنى مدن اتيكياوس وطروش في يوم واحد ، وعلى هذا فانت ايها الغريب كل واشرب ورح نفسك لان جميع عموم الدنيا لا تساوي خردلة » (٦) . ويروي سترابون ، لنا نفس ما رواه اريانوس ويضيف في القول بان « ساردانا بولوس كتب ايضا ما نصه : ان ما ملكته هو ما وضعت في معدتي ومباح لي الحياة التي تمتع بها نفسي واما النعم المتعددة الاخرى فقد تركتها وراني » (٧) . ولكن ما يسرده لنا كاسينيوس يختلف عما اوردها اعلاه حيث يقول بان هناك شخصين يحملان اسم ساردانا بولوس احدهما ذو عفة ونبل والاخر يلقب عليه الترف والتخلف . وقبر الاول في تينوي مدون عليه « ساردانا بولوس ابن اناكين دارا كيز بن طروش واتيكاوس في يوم واحد » . وقبر الثاني في اندريالوس قرب طروش (٨) . ويصور اتيكاوس نهاية ساردانا بولوس بان غلب عليه الهلع عندما حوشر قصره فاضرم النار في بيته والقي بنفسه ونسأله واثاله في النار (٩) .

والصادر الرومانية تعطينا صوراً أخرى من حياة هذا الملك الاشوري فكاسينيوس ديو . وكثير من الادباء والمؤرخين الرومان صوروا حبه للمتعة والطرب وكيف ان الشعب الاشوري ضجر من سلوكه الشاذ وقاليوس يصور لنا كيف ان السلطة قد انتقلت من الاشوريين الى الميديين

الذين شكوا في صحة الاخبار الواردة في الاساطير الكلاسيكية عن ساردانا بولوس وحذر المؤرخين من اخذ ما ورد بها كأمر تاريخي . انظر كتابه :

W. C. Koopman, Disputatio critica de Sardapapale, Amsterdam, 1819. (4) Diodorus Siculus, II, 23-29 (5) Pauly-Wissowa, Real-Encyclopadie der Classischen Altertumswissenschaft, p. 2439 (6) Arrianus, Anabasis of Alexander, II, v; N. Streck, Assurbanipal und die letzten Assyrischen Könige bis zum Untergange Nineveh's Leipzig, 1916 pp. CCCXCVI-CDIII (7) Strabo, Geographica, VI, Bk. XIV, 9. (8) Edward Meyer, Forschungen zur alten Geschichte, Vol. 1, Leipzig, 1892 p. 203; see

(1) Aristotle, «On Man in the Universe», New York 1943, p. 229.

(2) له تمثال نصفي في الفايكان وثلاثة تمائيل نصفية أخرى في متاحف نابولي ، فلورنسا ورمين في روما تمثله في لحية متدلية على صدره وشعر مسترسل طويل . وهناك صورة مرسومة على اثار ترجع في تاريخها الى القرن الخامس ق . م معروضة في المتحف البريطاني بلندن تصوره على جمل في ملابس نسائية ولحية مسترسلة تقوده امرأة وامامه ووراءه جمع من النساء برقعن ويسفرن الطيور والفتيات . انظر مقالة الاستاذ Ludwig Curtis بعنوانها Sardanapal المنشورة في Jahrbuch des Deutschen Archäologischen Institut, vol. 43, 1928, pp. 281-296.

(3) يعتبر الدكتور كوبمان من مؤرخي القرن التاسع عشر الفاتلس

من عبيد القصر الذين هام الملك في جهم هياما جنونيا .
 وصار لهذا العبد في البلاط الملكي نفوذ كبير شأنه في
 ذلك شأن الكثير من العبيد أمثاله والذين وقع الملك في
 جهم . ولكن هذه الأعمال انارت السخط عليه من قبل
 جنوده والناس اجمع دفعهم اخيرا الى الثورة وخلع الملك
 وقتله . وهكذا راح ساردانابولوس وذبح بيد من كان
 واقفا في جهم (١٠) . وقصيدة الشاعر الانجليزي
 جورج جوردون بايرون « ساردانابولوس » تعطينا فكرة
 عن الرأي السائد في عصره عن قصة ساردانابولوس
 وشخصه . ففي هذه القصيدة يظهر ساردانابولوس لنا
 تقيا ورعا قتل بشاعة واحب في حياته النساء كثيرا
 بينما كان متزوجا بصورة شرعية الى امرأة واحدة انجبت
 منه اطفالا وكان لديه جارية هام في جهم . وجوهسر
 قصيدة بايرون يدور حول عدم كون ساردانابولوس
 شخصية قوية يتمكن بواسطتها من ادارة الامبراطورية
 بحكمة وقوة . نعم لقد ذكر لنا بايرون رذائل هذا الملك
 ولكن ما سردوه لم يصل الى الدرجة التي نراها في
 المصادر الكلاسيكية . وبالاخير راح ساردانابولوس ضحية
 مؤامرة فسد دبرت بين جنوده انتهت بانتخاب
 ملك اكثر قوة منه ليدير دفة الامور المتوردة ويحل مشاكل
 الوضع الراهن انذاك . وصار ساردانابولوس يخسر
 اتباعه ومعبيه الواحد بعد الاخر حتى حوضر قصره اخيرا
 وما كان منه انذاك الا ان اضرم نارا حول عرشه احرق
 بها جميعه القضاة ثم نفسه . وهناك الصورة التي رسمها
 ديلاكروا والتي تصور ساردانابولوس مضطجعا على فراشه
 في حلة اللذة ومجوهراته وحوله نسائه المحبيات وقد
 احضر حصانه اليه والى الخلف كانت النيران تشتعل في
 ارجاء القصر والجنود المهاجمين قد تمكنوا من دخول
 القصر الملكي للفتك بالماهل الخامل .

والان وبعد ان استعرضنا كل هذه الآراء ننسأل : هل
 ان شخصية اشور باتييال كما نعرفها الان تماثل ما ذكره
 لنا هؤلاء المؤرخون والادباء عن ساردانابولوس ؟ وما هي
 الاسباب التي جعلت الكثيرين حتى في وقتنا الحاضر

بسبب كون الاشوريين انذاك تحت حكم ساردانا بولوس
 الذي لم يكن له هم سوى الانس . فديو كاشيوس يخبرنا
 بان ساردانا بولوس دخل مدينة انطاكية يوم سقوطها
 واعد جنوده بان يعطي كلا منهم (٢٠٠٠) قطعة
 نقدية اذا حفظوا المدينة من التخريب وفي انطاكية اعلن
 نفسه امبراطورا وقيصرا . وشيد ساردانا بولوس
 امبراطورية عظيمة ضمت الكثير من البلدان والاقطار
 بناها على اساس سلمي ولم يبدل في تشييدها قطرة من
 الدم ودون ان يجبر الرعية على اتباعه بالقوة والجور .
 ولكن سرعان ما انغمس في حياة خزي وعار . وانه ،
 على حد زعم كاشيوس ديو ، هو المسؤول عن دخول عبادة
 الاله الاجابالوس الى روما ووضعه بنفسه امام تمثال الاله
 جوبيتر وحفه بانواع العظمة والابهة واخيرا اقنع الناس
 وائر عليهم في انتخابه كاهنا لمبد هذا الاله الانجسي
 والدخيل ويبدية خشن نفسه حيث الختان كان من
 المتطلبات والشروط التي يجب توفرها في كهنة معبد
 هذا الاله . وسردانابولوس كما يروي قصته لنا كاشيوس
 ديو قد تزوج الى نساء كثيرات واحتفظ بالكثير من
 القيان والجواري في القصر . وكان يرتدي ملابس النساء
 ويتصرف مثلن الى الحد الذي حف نفسه بالمجبن
 والمجبيين . وكان قد اقترن بزوجه الاولى كورتيلا ببولوس
 لرغبته في ان يكون ابا . وحفلات الزواج كانت على اتم ما
 تكون عليه من الابهة ولكن سرعان ما افترقا على اساس انه
 وجد عيبا في جسمها لم يلاحظه من قبل . ثم انقلب
 بصورة غير مشروعة مع كاهنة معبد نسيما الهامة كولا
 سيفيرا حبا في انجاب اطفال تغلب عليهم الصفات الالهية
 بعين الذكر منهم كاهنا اعلى والانشى كاهنة عليا . ويزيد
 كاشيوس ديو بقوله « وفي انهاء الليل كان ساردانابولوس
 يتردد على حانات الخمر بملابس النساء ويمش على
 العاهرة وقد خصص غرفة خاصة في قصره لاجل ان
 يجلس فيها لغازاة المارة بالدخول بها واللهو معه وكأنه
 زوجة من زوجاتهم او جارية من جواربهم . وكان
 لساردانا بولوس الكثير من الازواج منهم هيروكليس وكان

also Pauly-Wissowa, op. cit. p. 2443 (9) Athenaios, Bk. XII, 528-530. (10) Cassius Dio, Loeb Library, Vol. IX (11) Streck, op. cit. vol. 1 and II; D.D. Luckenbill, «The Annals of Babylonia and Assyria Chicago, 1927, Vol. II. (12) انظر القطع الاشورية في المصادر التالية خاصة ما يتعلق منها

من الواح اشور باتييال :

A. Parrot, The Arts of Assyria, trass by S. Gilbert and J. Emmons, New York, 1961 H. Frankfort, Art and Architecture of the Ancient Orient, London, 1958; R.D. Barnett, Assyrian Palace Reliefs and their influence on the Sculpture of Babylonia and Assyria, London, 1958; G.J. Gadd, The Stones of Assyria, London, 1936.

(١٣) انظر كتب Streck و Luckenbill المارة الذكر اعلاه .

(14) F.E. Peiser, Texte Juristischen un Geschäftlichen inhalts, Berlin, 1896, No IX, pp 142-146

وهي عبارة عن نص رسمي اهدى بواسطته الملك اشور باتييال قطعة ارض الى الجنرال لخدماته العسكرية ولتدريب اياه في صفه عيسى السلاح والحرب . (١٥) من الصعوبة ان نعتقد بان اشور باتييال فعلا قد اتقن اللغات القديمة انظر :

A. Adams, and C. Kraeling, City Invinible, Chicago, 1960, p. 108, 118. see A. Leo Oppenheim, Assyriology how and why?, Current Anthropology, I, 1960, p. 412 ff.

(١٦) المعهد الشرقي وثيقة رقم ٢٤٨٨ وارسلام ١٠١٤١ و ٦٥٩٤ (17) A. Parrot, op. cit. p. 20, plate 24

(١٨) انظر كتاب الاستاذ Streck المار ذكره صفححة CLVIII; CCCLXXXVI

النجمة والمقرى

قبل قبل تحت العتمه
يبين الفتيات الملمه
تتراسق في وسط الزحه
والشمس العارضة الاطراف
في الشارع تسال عن كلمه
في تلك النظرات النهمه
قبل قبل تحت العتمه
اكوام الذاث على الانفاق
تساقط من وهج القمه
وتثن لرعشتها الاحداق
يا ويل المشتاق المشتاق
يبحث عن شبه للنجمه
والنجمه غابت في الافاق
يا ويل المشتاق المشتاق
في الشارع يسال عن كلمه
والنجمه لا تحكي للنجمه ؟

الرباط

علي العبيدي

القوس واستعمال السلاح . وتعرف ايضا بان والده الملك اسرحدون قد خصص الجنرال نابو - شار - او صور لتدريبه على العمليات الحربية والطعن والقتال (١٤) . والى جانب ذلك فقد ذكر لنا اشور بانيبال بانه قد درس علوم الفلك والرياضيات والفب واللفات القديمة على ايدي الكهنة . وتعرف بانه قد جمع في عاصمته اعظم مكتبة في عصره وارسل الرسل والمبعوثين لجمع الكتب لها من كل مكان . وان معرفته القليلة في اللغات القديمة التي تعرف الان يبلغ صعوبتها تبين لنا حبه العميق للعلم والتعلم وصرفه الوقت الطويل فيها (١٥) . الى جانب كونه غرم في العمران والبناء سواء في مركز عاصمته اشور او في جنوب العراق . ولهذا فلا يمكن ان يكون ساردانابولوس هو الملك اشور بانيبال .

ولكن يظهر لي بان قصة الملك ساردانابولوس قد نجت من عناصر متعددة . فان بعض الانار التي تشبه ما وصفه لنا سترابو واصحابه من اسلفنا ذكرهم في قبرس ساردانابولوس قد اكتشفت فعلا في بلاد الاناضول (١٦) . وبغض الوقت فان انارا تشبه ما وصفه اريانوس قد اكتشفت في بلاد اشور (١٧) . ومن المحتمل ان ساردانابولوس الاسطوري هو بالواقع شخصية مركبة من حياة الملوك اشور بانيبال واخيه شمش - شموكين وولده الملك اشور - ايتيل - ايلاني والتي اختلفت مع بعضها بمرور الزمن وامتزجت امتزاجا قويا وصارت ملصقة بحياة واعمال ملك واحد . فان نهاية ساردانابولوس التي صوّها الكاتب الكلاسيكيون مطابقة لنهاية شمش - شموكين ملك بابل واخ اشور - بانيبال (٦٦٨ - ٦٤٨ ق.م) حيث تعرف بانه قد رمى بنفسه الى النار التي اشعلها قصره بعد ان سقطت عاصمته بابل بايدي جيوش اخيه المنتصر (١٨) . وتعرف ايضا بان الملك الذي خلف اشور بانيبال وهو ولده اشور - ايتيل - ايلاني لم يذهب الى حرب ولا صيد قط وارسل الى الجنوب اخيه سن - شار - اشكون لقمع الثوار البابليين . ولولا المساعدة العسكرية التي اسداها الجنرال سن - شوم - ليشير له بعد وفاة ابيه اشور بانيبال لكان من الصعب عليه الحصول على العرش الاشوري . ومنذ صعود اشور - ايتيل - ايلاني على العرش بدأ عصر انحطاط دولة اشور واخذت حكام المقاطعات بالاستقلال عن الامبراطورية الاشورية . واخيرا نرى بان اخ هذا الملك يزحف على البلاط وياخذ الملك بقوة السلاح . فربما ما روته الاساطير الكلاسيكية عبارة عن قصص مبالغ فيها من حياة اشور - ايتيل - ايلاني الذي صورت نهايته كنهاية عمه ملك بابل ونسبت قصصه وموته خطأ الى والده اشور بانيبال الذي هو فعلا اخر ملوك آشور الاقوياء .

سامي سعيد احمد

دنفر - الولايات المتحدة

الروائي هول كين

للكتاب الانجليزي باتريك بونتون

ترجمة مبارك ابراهيم

ولد « هول كين » عام ١٨٥٣ وتوفي عام ١٩٣١ . وقد نفدت اليوم طبعات كتبه كلها ولما يمض على وفاته خمسة وثلاثين عاما .

كان « هول كين » يفخر دائما بأنه كسب من رواياته اكثر مما كسب اي رجل امك بالقلم . وهذا حق فان رقم المال الذي جمعه من بيع كتبه ومن اجور اقتباسها للمسرح والسينما كان رقما خياليا .

ولن يستطيع كاتب من كتاب اليوم مهما بلغ مكانته من الشهرة وذويع الصيت ان يكون ندا لهول كين فيما ربح وذلك لان كتاب هذا العصر قد جعلتهم الضرائب الباهظة كساحا مقعدين . ولقد ظل هذا الكاتب سنين ذات عدد يدر عليه ثلثه خمسمائة جنيه في كل اسبوع .

اما مولده فكان في مدينة وتكون من اعمال مقاطعة « شيشير » وذلك منذ اكثر من قرن بوقت قضى الكثير من ايام صباه في الاحياء الفقيرة بمدينة (لفربول) ومن مناظر البؤس في تلك المدينة استمد جنونه على القديس والبائسين كما استمد ذلك الحنو على الكلدوينس والمجهودين من ان اياه كان حدادا قد اجبرته البطالة على ان يغادر قريته في جزيرة مان سعيا وراء القوت .

وقد ارسل « هول كين » يوم كان طفلا ليعيش مع جديده في كوخ اتخذ سقفه من البوص في قرية في شمال تلك الجزيرة . وكانت جدته تجيد قص الحكايات الشعبية التي كان يتوارثها الاباء فيورثونها ابناءهم وبناتهم . وكانت تجد في هذا الصبي مستمعا يجيد الاستماع . ومنصتا

يحبس الانصات كلما جلست واباه الى جانب الموقد فسي ساعات الفسق . وكان الناظر اليه يومئذ يرى في عينيه برقاً يتلألا وهو يستمع الى الحكاية الاسطورية التي تقصها جدته . وهي حكاية بلغ من روعتها انها كانت تذود النجوم عن اجفانه . وانها جعلته ينسج في مخيلته الخيوط لقصص الجنيات والساحرات وملاحم الابطال الاسطوريين .

ولما عاد الى لفربول عاش حياة قوماه رياضة النفس على احتمال الجهد وعلى العيش عيش التقشف والكفاف . . ولما بلغ الخامسة عشرة من عمره تتلمذ لاحد رجال المعمار ولكنه لم يبد الا ميلا قليلا لتلك الحرفة . وكان بدلا من الجلوس الى لوحة الرسم يقرأ في نهم زائد كل ما تقع عليه

عينه . وكان اذا جف الليل طاف بالنوادي الادبية يشند القصائد ويلقي المحاضرات في مختلف فنون الادب . وكان يقوم بمحاولات غير محددة الهدف بكتابة المقالات . ونظم القصائد . وانشاء المسرحيات والقصص التاريخية . وكان قليل النوم كثير السهر فساءت صحته واعتلت بنيته . وعاد الى قومه في جزيرة مان ليسترد العافية . وكان هناك واحد من اعمامه يعمل ناظرا لاحدى المدارس فلما مات اخذ (هول كين) مكانه . وكان ذلك على غير ما يقضي به القانون . ولم يكتف بهذه النظارة بل حمل معها اعباء كل عمل خارجي يتصل بها - كما جرت به العادة في ذلك الحين - ككتابة الوصايا لجيرانه من الفلاحين . وكتابة رسائل الحب والفرام لشباب القرية . وهي الرسائل التي كانوا يبعثون بها الى حبيبائهم اللاتي كن يعملن في القرى الاخرى من قرى تلك الجزيرة . .

وفي اثناء ما كان يعمل كمدرس مؤقت عثر لأول مرة على قصائد من شعر داتني جبريل روستي - وهو توفي عام ١٨٨٢ - وقد فتن كين بالخيال المبدع الذي كان يشيع في قصائد ذلك الشاعر فظل يلتهم تلك القصائد التهاما . ولما استقر به المقام في (لفربول) مرة اخرى طفق يحاضر الناس في حماسة بالغة مشيدا بفضل بلطفه الجديد . ثم بدأ التراسل بينهما . وكان ثناؤه قد ملس عاطفة الثرور عند ذلك الشاعر المكتهل الذي انكه المرح واخرت به المخدرات وعجلت به الى نهايته . وظلا كذلك شهورا عديدة وقامت بينهما اصررة عجيبة من اواصر الصحة . وكانت خاتمة المطاف لتلك الصحبة ان سافر جبريل كين الى مدينة شلي حيث يقوم منزل روستي باثائه القديم . وبمجامرته النحاسية . وبكؤوسه ومصابيحه وصليانه . واقام هناك في تلك الغرفة التي اقام بها من قبله الشاعران جورج ميريديث وسونبيرن وظلا صديقين متلازمين الى ان مات روستي بعد سنتين من تلك الإقامة وذراعا هول كين تحيطان به . . وقد سجل هول كين قصة تلك الصحبة في كتابه الذي سماه « ذكريات عن داتني جبريل روستي » . وهو الكتاب الذي نشره عقب وفاة صديقه . . ومما جاء في ذلك الكتاب ان عندما كان النوم يجافي عيني روستي كانا يجعلان من الليل نهارا وكانا يجلسان معا يناقشان موضوعات المقالات التي كان هول كين قد بدأ يبعث بها الى الصحف والمجلات . وكانا يقومان معا بعملية التشریح الدقيق للحبكة التي اطلعتها هول كين لروايته التي سماها « خيال جريمة » . .

وكان روستي يشجع صاحبه ويستحثه على الضمى قدما فيما هو يسبيله ويقول له : ولم لا تجرب قلمك انشاء رواية تدور حوادثها في جزيرة مان فتصبح بعد ذلك محدث الجزيرة وقصاصها . وانه لشرف تتناول له الاعناق . .

وتردد صدی تلك الكلمات في اذني هول كين بعد موت

الحلفاء في الحرب العالمية الاولى .. وكان من فسرط عتابه بملزمة جانب الدقة في تأليف رواياته انه كان يزور كل مكان يرد ذكره في رواياته . ولذلك فقد طاف بانحاء جزيرة ايسلند وبارجاء ايطاليا ومراكش وروسيا . وكان يتحدث الى الرؤساء والامراء والملوك . وقد حظي مرة بقاء البابا ..

وقد بلغ من فرط صراحته انه قال ان كل حبكة روائية في كل رواية من رواياته انما هي منقولة بحذافيرها من اسفار العهد القديم فروايتها The Manx Man انما هي قصة « داود » و « اوريا » ، و « اوريا » هذا هو اوريا ابن حنان الذي غلبه داود على زوجته . وذلك بحجة غيبته غيبة منقطعة . وضمها الى زوجاته الاخرى ليلبغ عدهن المائة ..

ورواية « المدينة الخالدة » انما هي قصة « شمشون ودليلة » . ورواية « المستبد » انما هي قصة « عيشو » و « يعقوب » . وهول كين كان يرى ان المشكلة الدائمة في هذه الدنيا هي الاقتتال الدائم بين الهوى والواجب . ولذلك فقد كان وكده وهمه في كل رواياته هو التنفير من الرذيلة والكشف عن معاييبها ونقائصها . وكان جمهور القراء يلتهم كل ما يكتبه التهاما .. وكان هول كين يزعم انه قرا اسفار العهدين القديم والجديد قراءة تبيست ودراسة سبع مرات . وكان اشهى امانيه ان يوفق الى كتابة كتاب عن حياة المسيح . وكان يريد ان يوفق بذلك الكتاب ثلثه الادبية كلها . وان يجعله خير مختتم لايات نبوة وصيرورة .. وهو لذلك قد شمر عن ساعد الجد وطمح في ارجع الكتاب المنتظر . وظل ثلاثين عاما من اعوام حياته وموضوعات ذلك الكتاب تداعب خياله . ولكن هذه الامنية الغالية قد فاتته ادراكها . واعاقه عن بلوغها ما انتابه من مرض وسقم .. وعند موته ترك لخلفه مخطوطا ضخما يكاد لا يقرأ في كثير من نواحيه .. وقد بلغ عدد كلمات ذلك المخطوط اربعة ملايين كلمة .. واستخدم ابنائه خبيرا من خبراء الكتب ليختصر تلك الموسوعة الى السدس من حجمها . واخيرا نشر هذا الكتاب عام ١٩٣٨ ولكنه نشر كتب له الدوروهو لما يفرق جدران المطبعة .. ومات هول كين في جربيا عام ١٩٢١ وكان قد بلغ الثامنة والسبعين من عمره . وقد خلف ثروة قدروها بخمسين ومائتي الف جنيه اقتسمها ولده فيما بينهم . وهما اللذان كانا عضوين في مجلس النواب يمثل كل منهما جبهة غير تلك التي يمثلها اخوه فكان احدهما من نواب حزب العمال . وكان الآخر من حزب المحافظين .. وكان هول كين كان ينتابه في حياته احساس بجحود الناس ونسيانهم فكان يردد دائما في لهجة بخالطها الاسى : اني اعرف حق المعرفة ان اختلاف النهار والليل ينسى ..

مبارك ابراهيم

القاهرة

صاحبه فبدا يحيك نسيج حبكة لقصة جديدة فكتسب روايته التي اسلفنا ذكرها وهي « خيال جريمة » . ثم اتبعها برواياته الاخرى « ولد هاجر » . وكلتاها لم تلقيا عند الجمهور الا نجاحا ضئيلا .. وقد جعل مشاهد القاصين تقوم فوق مشارف جبال كمبرلند حيث ولدت امه ..

وبدا له بعد ذلك - وقد كان به دائما شوق شديد الى النجاح - ان يهتدي بمشورة روستي في انشاء رواية تدور حوادثها في جزيرة مان فالف روايته التي سماها « قاضي الجزيرة » وقد بلغ بها - في فن الرواية - غاية المجد البعيد . وكانت تلك الرواية اول كتاب يكتب عن حياة اقوام تلك الجزيرة . وقد صور فيها العادات والطقوس الغريبة التي كانت لا تزال تخطو خطواتها فسي ارجاء تلك الجزيرة .

وظل رقم المبيع من كتبه يقفز ثم يقفز ثم يعمد فسي القفز . فقد بيع من روايته MANX MAN التي ظهرت في عام ١٨٩٤ اربعمائة الف نسخة في بريطانيا وحدها . وهذا عدا ما بيع من ترجمات تلك الرواية في مختلف اللغات .. وهذا الرقم بعد رقما منخفضا اذا قيس الى ارقام ما بيع من رواياته التالية فقد بلغ المبيع من رواية « المدينة الخالدة » مليوناً من النسخ .. ولم يتوان هول كين في انتهاز كل فرصة لبلاغ صيته الحد اقصى . والدواعي فقد كان يعد من ابرع البارعين في فن الاعلان والدعاية . وكان لا يتوانى في التحدث عن نفسه .. وما عرف عنه يوما وانعرض للتحدث الى واحد من الصحفيين . وكذلك لم يترك فرصة اثبتت له للخطابة الا اغتنمها . وكان هول كين شخصية قد اوتيت من الغرابة والغموض نصيبا موفورا . ومن امارات تلك الغرابة انه لما تزوج واستقر به وبزوجته المقام في قصر جربيا بالقرب من مدينة دوجلاس - في مدينة مان - بدا يظهر بمظهر النبلاء اصحاب المزارع والقصور . وكان يلذ للمنتزهين من رواد تلك الجزيرة ان يعمروا بتلك الناحية ويجوسوا خلالها ليشهدوا ذلك المؤلف النابغة وهو ممتط حصانه .. وكان هول كين فيه مشابه من شكبير . وكان هو يبذل كل ما يستطيع من جهد ليلبغ من تلك المشابهة غايتها فكان يجعل لحيته مستدقة الاطراف كالحيه شكبير وكان يترك شعره غير مرجل تشبها بشكبير . وكان يتخذ لنفسه هيئة الاقوام البوهيميين ويتزين بزبه حتى انه لما زار امريكا كان الناس ينظرون اليه متعجبين وهو يسير بينهم مهرولا يتمايل ذات الشمال وذات اليمين وهم يحدجونه باصابعهم في زبه الغريب وقبعته العريضة وسراويلاته التي لم تعرف طريق « الكواء يوما » ولم يلق هول كين في حياته يوما بلغ فيه الغرور عنده اقصى غايته اشد من ذلك اليوم الذي منح فيه لقب « الفارس » جزاء له على ما قام به من دعاية في سبيل انجاح قضية

المجيد من منهم ، لا يقرأ شعرهم ولا يطرب لبيانهم الا الصغرة المختارة من الشجبة المثقفة ، ولذلك نرى اثرهم ضئيلا في استنهاض هم الامة العربية وحياء انارها ونشر فضائلها وامجادها ، وبث روح التضامن والوطنية بين ابنائها ، لان الشاعر منهم اذا نزل الى مستوى فهم العامة رعى بالضعف والركاكة ، ولان عامة الشعب العربي لما ترتفع بعد ، بالثقافة العامة والتعليم الاجباري ، الى مستوى تفهم معه اولئك الشعراء المحافظين على تراث امتهم النفيس العريق .

والى ان يجيء الزمن الذي فيه نرى هذه الامة الكريمة وقد ارتفعت فيها نسبة المثقفين بين ابنائها بفضل فرض التعليم الاجباري فلا بد لنا ، بل من الواجب علينا ، ان نفسح مجالا بين ظهرائنا للزجالين ، شعراء الشعب ، الذين تدين لهم البلاد العربية ، ولا سيما لبنان ، بكثير من الروائع الادبية التي اثارت حنين المغتربين عن لبنان واذكت روح الوطنية بين ابنائه ، والهبت نار الثورات بين رجاله ، وارخت لامجاده واثاره ، ومكنت العامة من تذوق معاني الشعر العربي الفصيح والسير في مسارب خياله . قال بعض شعراء الفصحى :

لو كان لي قلبان عشيت بواحد وتركت قلبا في هواك مذهبسا
وقال صديقنا احمد رامى لا فنى فوه :

فاذا ضحكتم فكل شيء ضاحك واذا بكيت فكل شيء باكم
اخذ هذين المبتئين تقيد الادب المرحوم رشيد نخله
فمنعنا روحه الناز ، فقال في المعنى الاول :
لو كان لي قلبان حبس بعيش فيه وقلب ثاني في هواك بعددبو
وقال في المعنى الثاني :

وان بكيت الكون من اجلك بكى وان ضحكتم انتز عرش الملكى
كل شى ربه خلق حسن وجمال اطفى البشر فيراط والباقي لكى
الا ان الاف اللبنانيين يروون زجل رشيد نخله ولا تجد عشرة من الادباء يروون فصيح ابيات الشعارين .

وقد كان لشعراء الزجل في لبنان اثر ملموس فسي توجيه سياسة الدولة والحكام وقد كان امراء الجبل يقربون هؤلاء الزجالين اليهم ويستعينون بهم على التكاية باعدائهم والتيل منهم وعلى التثني بماثرهم والدعابة لهم ، شأنهم في ذلك شأن الخلفاء الامويين الذين قربوا اليهم امثال الشاعر الاخطل ، بل ان بعض الامراء امثال فخر الدين المعني وابن سيفا كانوا يتفاخرون بازجالهم ويتهاجون ، وقد نقل البنا التاريخ زجلا بعث به ابن سيفا الى فخر الدين المعني ، يعيره فيه بقصر قامته فيقول :

جونا الطوال يا نعلية السكين يا سليلي مذهبي يا سيف على الدين
جونا القصار لا شوق لا تدبير صفادح تنقع في فرائي اليسر
فرد عليه الامير فخر الدين المعني بقوله :

نحننا فصار وفي عين العدو كبار اتو خشبحور واحنا للخشب منثار
وحق طيبا وزنمنا والتبي المختار ما بعمر الدبر الا من حجر عكار



بولس غانم

الزجل اللبناني

بقلم بولس غانم

لكل امة شعراء موهوبون يحملون طابعها الخاص بها المميز لها ، يحسون باحساسها وينطقون بلسانها ويحسون بلهجتها التي تبسوها اطفالا من اقواء اهلها وتبادلوا الفاظها غدية شجبة مع اترابهم ، فتشابهت هذه الامة والمصطلحات لغة طبيعية غير مصطنعة ولا مكتسبة ، تعذب في القلوب وتخف على الاسماع وتسير على السنة عامة الشعب الذي يفهمها دون ما حاجة الى الرجوع الى معجم يستشير او معلم ينيره .

بهذه اللغة المحبة المفومة تذكى ثيران الوطنية وتشتار الهمم الخامدة وتوقظ الشبيبة الغافلة ، وتخلد الامجاد والافكار ، وتحفظ القومية بكيانها .

وباللغة العربية الفصيحة خاطب الشعراء والبلغاء معاصريهم من العرب الخلف ، فاسمعوهم يوم كانت هذه اللغة هي لغة التخاطب المفومة ، وبهذه اللغة الفصحى خاطب الله العرب بلسان قرآنه الكريم ، فهداهم بعد ضلال ، ورددهم اليه بعد غواية .

وبلغة الاغريق القديمة التي كانت لغة التخاطب هز هوميروس قلوب الشعب الاغريقي برائع بيانه في الياذنة ، فتداولتها الالسنه وسحرت بها الباب ابناء الامة ، ولو نشا اليوم في اليونان شاعر يمز بيلافتسه وسحر بيانه هوميروس ، فوضع باللغة اليونانية القديمة ملحمة تسمو على الالياة لما قراها قارى ولا تفتى بها مفن .

والشعراء الناطقون اليوم باللغة الفصيحة على كثرة

وزميله الشاعر الزجلي المبدع خليل أيوب الحني
الدوموري مؤسس الصحافة الزجلية الذي يعود اليه الفضل
في احياء هذا التراث اللباني العريق .

ومن نوايع الزجاليين فارس نصار الذي امتاز على اقرانه
بحسن اختيار الفاظه وجمال ثورياته . رأى ثرية في موقف
مريب فحرص على كتمان سرها ، ثم رآه في حفلة زجل
حافلة ، فازدرت ، ففطر عليها وقال :

كان لي زمان وكنت في عز الصبا كنت فرك جوج عا العالم جيا
يا لابسين الجوج لا تكبروا يما سترنا الجوج في ذيل العيا

ومن الزجاليين المعاصرين فتى متقد الذكاء هو يوسف
طائوس عبدالله الملقب بزغول بكاسين ، على انه يؤخذ على
زجل شعراء الفصحى انهم يساقون طبعاً الى تضمين
ازجالهم كلمات فصحي تشوب جمال قصائدهم ، كما
يؤخذ على اكثرهم اقتصرارهم على التشبيب بالنساء
وصف المناسبات واعتمادهم على المحسنات اللفظية
واغفالهم دعوة الشعب الى النهوض الى مستوى اخلاقي
وطني كان يذكره بعادات قومه ، ويشيدوا بمآثر ابطال
لبنان ورجالاتهم وحث ابناءه على التمسك بتقاليد
ابائهم ، والعودة الى القرية ، تلك الام الروم التي يقوم
عليها مجد الوطن وريخاؤه والتي غداهم بها ، واسكرهم
كرمها ، وظلمهم زيتونها وصنوبرها ، واغناهم توتها قبل
تفاجها ، تلك القرية التي خلقت منهم رجلا شجاعا ،
ذوي سواعد مفتولة وجنبته شر المدن وذلائها .

« ديوان خير وخير » وقد حدا بي الى هذا البحث
الذي هو ديوان وضعه بين يدي فتى من مواطني غرض
الاهاب مغتول الساعدين ، حبي الناطرين ، مشتعل
ذكاء ووطنية هو الشاعر الزجال سعيد يوسف حروفش
الذي ارتوى من عين ذكاء بكاسين واستظل بقبىء
غابته ، فآلمته وحيا وغدنه وطنية .

عاش في مزرعته الرمان في بيت « فلاح مكفى
وسلطان مخفي » فأنطعت في ذهنه صور الصخور
الصلدة واشجار البلوط الخالدة واوكر النصور ومروج
الغار والبنفسج المطلة على بحر الفينيقيين اجداده ، وقد
كان قد اندمج في سلك الجندية فثار به الحنين ودعا
الى مسقط راسه فالقى بالسيف ، وتقلد المحراث ،
اداة السلم والحياة ووضع ديوانا من الزجل الرقيق
البلغ ، دعا به الى المحافظة على تقاليد لبنان الموروثة
واخلاق ابناءه الحميدة ، ومن هذا الديوان نقتطف
المقاطع الاتية :

قال في وصف حقل له يدعى جوار البنفسج :

والفاشي غفوة شهر عصغورد واوما وفلف للحو زهورد
وفرط على هالاري زعزورد وعبي بقبلي صوت عصغورد
ودعي الدني ع جفنة طيسورد وتكون كرمي وكون ناطورد
وقال في وصف « نحلة الشير » :

ولما اوشكت الفتنة ان تقع ، في اوائل القرن التاسع
عشر ، بين الشيعة والدروز كاد احد الزجاليين وهو ابو
نجم الفطاري قيودم الدروز يحل السلام محل الخصام
اذ كتب الى زميله زجال الشيعة يقول :

يا بو علي خلي الصداقه بيننا قبل ما العمر انقضى خليه بسم
قصدهم بيتناش يرمو البسلا مثل ما الشيطان طفى حوا وادم
وكان من الاسباب التي دعت الى انتشار الزجل ، جهل

الشعب العربي في القرون المتأخرة باللغة الفصحى .
وكان من اقدم الزجاليين في لبنان ابن القلاعي المشهور
الذي كتب تاريخ الامة المارونية بالزجل مما ساعد على
اقبال ابناء الشعب على حفظ تاريخهم ، ثم تلاه كثير من
الزجاليين فتنفوا بمآثر ابطالهم امثال فخر الدين ويوسف
بك كرم وابي سمراء غانم البكاسيني كما لجأوا الى
استنهاض الهمم والدعوة الى التفور من الظلم بالزجال
كانوا يسمونها « الحدا » طالما ردها الدروز في ثورتهم
على ابراهيم باشا وعلى العشائين .

ثم انتشر هذا الفن وقسمه اربابه الى انواع اكثرها
على وزني الرجز والرمل ، واشهر هذه الانواع « المعنى
والقراي » .

وكان على راس طبقة الزجاليين المتأخرين رومانوس رعد
حنيته الملقب بابي علي البكاسيني الذي ارخ له وجميع
ازجاله وطبع ديوانه الاديب المدقق جرجي نصر البكاسيني .
ومن زجل « المعنى » المأثور « المطلع » الذي جادت به
قريحة الشاعر خليل اليازجي في الحنين الى لبنان
ذلك حيث يقول :

يا طير صوب بلادنا خذي معك جسمي ارق من النسيم شو يبعثك
فني بتمتني ومومك والبكا خاف ليل جاني من مدمك
قللو نيران قلبي من الجوى بتنتف البليل وما بتلدمك
وقول الشيخ ناصيف اليازجي مشبها بغادة جميلة :

سوسختني في ميلة عطاك عسود القنا يتبارك الخلاق
سوسختني في ميلة عطاك مرخي جدابيل سود عاكافك
خصره شكا من تقل اردافك يا بوالعيون السود والعاجب القرون
خط القلم سطرين حروف الالف والذنون
ما متهم سطرين في الازراق

وتلا هؤلاء كثير من الزجاليين اسموا انفسهم بالنسور
والشحارير والزغاليل احقهم بالذكر عبدالله غانم مؤلف
ديوان « العندليب » الذي تنغني بزجله فيروز فتقول :

دفت على قلبي وفالت لي افحتو لتشوف قلبي اكان بعدو مطروح
ثم صاحب « اغاني الضيعة » اميل مبارك وميشال
طراد مؤلف ديوان جلتار واسعد الخوري الفغالي الملقب
بشحرور الوادي الذي امتاز بحسن السبك واختيار
الالفاظ ، وسبق معاصريه باجادة فن « القراي » ومن
قوله يخاطب دمعاء حوراء :

عن صدي ردي جفونك لا تزني رمياح
ربسي مدود بعونك فبركة صلاح

كلمات من القلب

ولا تمنيه بما يشتهي
ومن جحود ، وهو ان ينتهي !

ينش عن دنيا طواها التراب
يوم مضى العمر وولى الشباب

لانه يشقى بغير النمو
فجرحه حب وشوق .. وجوع

وحاذري ان لا تكوني امراه
والنار في أعماقه مطفاه !

وفجري في جانحه الامل
وهو يمضي روحه بالعمل

يتوق ان يرقى اليها الفؤاد
أريده يطلق خلف الرماد

او مستهام بالرؤى ، واهم
بقوة ... وانفها راغم

كالشمس رغم الموت رغم العذاب
كأمة الارض وحزن السحاب !

راضي صدوق

ان يخفق القلب ، فلا تابهى
ما زال يروي قصة من اسى

قد كان جوعان الهوى ، حائرا
جفت رؤاها ، وانطفئ وهجها

وان بكى لا تمسحي دمعاه
وحاذري ان تسعفي جرحه

كوني له اما كونى ابا
فهو شقى .. تاله .. حائر

وهدهدي آماله .. بالتمنى
فروحه منهوكة بالرؤى

يا أنت ، لو تدرين أي الدنى
وأي فجر غامر بالضيما

لقلت : هذا شاعر كاذب ...
لكنني سوف اشق الحياة ...

وسوف ابني عالمي شامخا
فالشمس لا تظلمني نيرانها

الكويت

http://Archivebeta.Sakhril.com

ومغتيري بها الارض من جبل البعيد
جيل العرف السود وكواخ المخور واللقش والقفصون قبل المعصرا

وخيز الحق مع كواكك هالبيد

وعتملي بها الرب وتكافى المعور وفنود بها الجو تمعد قنطرا
مع كل صبح ولسماع تملي مواعيد

وتشتلي طرايين خضرا للشهور شمسي ورق بالشمس في مدورا
زود بخصور ، نهود بفوق عنايد

وقدش عا قريمك لعبوا النور ويكمكو بالليل حد المشعرا
وتطفوا بها التلم ويطلوا الوعيد

الا ان هذا الشاعر الرجال وامثاله من دعاة الشعب الى
العودة الى الريف واستغلاله ، والاستمتاع بجسوه
وجماله ، لجديرون بالتشجيع ، وبان تنشر الحكومة
دواوينهم على عامة الشعب اللبناني ، ليعود المزارع الى
محرائه في زمن اقفر فيه الريف اللبناني ونزلت الغافة
بأبنائه .

بولس غانم

بكاسين - لبنان

وهونيك نطه غادي بكير قبل الشمس والجو عصف رياح
بحمي جوانح سعيها العائير وصبح ومضي تغلد الفلاح
وقال في وصف معبور النور :

دخلك يا ربي ليش هالمبور صبح لوحود متم ومهجور
لا صوت ، لا خشي ، لا ريشي لا نسر ، لا حسون ، لا شعور
وبدارنسا لا عبيد لا رفص لا غنائسي
لا عرق لا نبيد لا فسادح لا فنانسي
لا سلال لا زوايد تصببت السندانسي
وهاكنا يغدي عالمكم دغشي مات وبايدو حامل المعذور
القيمي لحافو والعشب فري ربيعة ليايو الملك والبخور

أفلا يهز الفلاح اللبناني وتوف هذا الشاعر على معبور
النور ملعب صباه ومهد احلامه ، وقفة امرء القيس
على الرسوم والاطلال ، بل الا يشجيه ويتحنه على
العودة الى حقله وكرمه ، وصف هذا الفلاح لصاحب
الكرم الذي مات ومعوله في يده .

ويقول في وصف سندية البدار الجبارة :

يا واقفي عاكون بعلوك ناطور قدش صرلك عالياد ناطرا

جورج انطونيوس - القس اسعد

منصور - جريس الخوري ابوب

بقلم البدوي المسم

١ - جورج انطونيوس

ولد بالاسكندرية عام ١٨٩٢ وتلقى علومه الابتدائية والثانوية في كلية فكتوريا ثم في جامعة كمبردج ببريطانيا، وحصل على شهادة بالهندسة وعمل في بلدية الاسكندرية. وبعد الحرب الكبرى التحق بالخدمة في حكومة فلسطين وكان المساعد العربي الاول لمدير المعارف ، وسرعان ما هجر عمله في حقل المعارف وانتقل مساعدا للسكرتير العام وارتبط به مباشرة في سائر اعماله . وعندما قصد السير جليبرت كلايتون ، السكرتير العام لحكومة فلسطين ، المملكة السعودية لابرام المعاهدة البريطانية - السعودية اختار انطونيوس رفيقا له في هذه الرحلة . وخلال السنوات التي امضاها موظفا في حكومة فلسطين كان يجاهر بمقتفه للسياسة التي انتهجها البريطانيون لتهويد فلسطين ، وتشريعها لصالح اليهود ، واغراقها بالهجرة المشروعة وغير المشروعة . وعاش انطونيوس معتمدا بعرويته ، مفاخرا بالامة التي تحدر منها، مشيدا بالخدمات التي قدمها العرب للحلفاء في الحرب الكبرى التي شنها على الانراك طمعا بتحررهم واستقلال بلادهم ، وكان يعتبر واحدا من كبار الكتاب البريطانيين الخمسة في حكومة فلسطين .

وفي عام ١٩٣٧ ادلى انطونيوس بشهادة امام اللجنة الملكية البريطانية التي جاءت فلسطين للبحث في بواث الاضطرابات والثورات التي اجتاحت فلسطين منذ وضع البريطانيون اقدامهم فيها لقيام الوطن العربي . ولقد تميزت شهادة انطونيوس بالعمق والصراحة والمعلومات الدقيقة .

وفي عام ١٩٣٩ انتخبته الهيئة العربية العليا في فلسطين سكرتيرا للوفد الذي مثل عرب فلسطين في مؤتمر سان جيمس « بلندن واعد مذكرات قيمة عبر فيها عن الوجة العربية .

من آثاره القليلة : ولما ايقن انطونيوس ان ربح السياسة الهوجاء تمصف بالحق العربي في فلسطين هجر العمل في حكومة فلسطين وكرس قلمه للدفاع عن القضية العربية

عامة والفلسطينية خاصة ووضع في عام ١٩٣٩ كتابا قيما باللغة الانكليزية عنوانه : The Arab Awakening « يقظة العرب » . ويعتبر اهل القلم ورجال السياسة هذا الكتاب من شوامخ المؤلفات التي عالجت القضية العربية معالجة حكيمة رصينة .

وليبغ انطونيوس القمة في عمله الجبار هذا شدد الرحال الى الاقطار العربية والاسلامية وقابل كبار الشخصيات العربية والاجنبية الذين عاشوا احداث القضية العربية وقرأ العشرات من المراجع والموسوعات . وعندما ظهر هذا الكتاب النفيس للايدي في عام ١٩٣٩ تصدى لنقله الى العربية السيد حيدر علي الركابي وراى النور في عام ١٩٤٦ . وفي عام ١٩٦٢ ترجمه الى العربية الدكتور ناصر الدين الاسد والدكتور احسان عباس وتولت طباعته واخراجه دار العلم للملايين في بيروت وزنته للقارئ العربي في حلة بهية فاخرة .

وضع انطونيوس دليلا تاريخيا للمسجد الأقصى والحرم الشريف بالانكليزية والفرنسية لافادة السياح وتولى الاستاذ عادل جبر وضع الدليل بالعربية مترشدا بما وضعه انطونيوس .

وفي عام ١٩٤٢ توفي انطونيوس في بيت المقدس مكيبا على وفاته بالمعهد المسؤول لامته ودفن في مقبرة صهيون التي آلت الي المدعو مع ما آل اليه من وطن مفصول ، وشتم مغلوب ، وحق مصلوب .

٢ - القس اسعد منصور

والذي ولد في بلدة اعمر « بفلسطين » عام ١٨٦٢ وتلقى مبادئ القراءة والكتابة العربية في مدرسة الرسالية الانكليزية ثم اصططحه شقيقاه ليساعدهما في فلاحة الارض فلبى رغبتهما مكرها وبكى بكاء مرا لتعطشه للعلم وتطلعه الى المعرفة .

وفي ساعات فراغه كان ، في ليالي الشتاء ، يتصرف الى المطالعة وزاده الاوحد نسخة من التوراة واخرى من كتاب « الافتخوس » وسراج ينيره زيت ضئيل !

وفي شفاعمرو كان اسعد يتردد على المبشر خليل زعرب وعلى الكنيسة الانجيلية طمعا بتسهيل تعليمه ومساعدته على دخول « مدرسة الشبان » الانكليزية بالقدس لكن المبشر وراعي الكنيسة الانجيلية عجزا عن تحقيق امنيته . وذات يوم غادر اسعد قريته الى احدى قرى نابلس وهناك لقي تاجرا جولا يبيع كتابا دينية فكاشفه برغبته في الانتساب مجانا لـ « مدرسة الشبان » الانكليزية فاشفق الوراق عليه واصطحبه الى القدس وفي طريقهما البها طرا ما حمله على العودة لشفاعمرو .

وفي نهاية ايلول ١٨٨٤ اخذ شاب من آل زعرب بعد العدة لدخول « مدرسة الشبان » بالقدس فحز في نفس اسعد ان يحرم العلم وهنا توسل بالرجاء والدعم المبشر

(١) مرشد الطلاب الى جغرافية الكتاب . طبع في عام ١٩٠٥ . (٢) تاريخ جبل نابور او طور التجلي . (٣) تاريخ الناصرة . طبع في عام ١٩٢٤ . (٤) رحلة الى بلاد الانكليز . طبع في عام ١٩٣٠ .

٢ - جريس الخوري ايسوب

ولد في كفر ياسيف (بفلسطين) عام ١٨٧٤ وتلقى دروسه الاولى في مدرسة قريته وليشبع وغبيا نفسه العطشى للعلم التحق بمدرسة صهيون الانكليزية بالقدس فلكية الشباب الانكليزية . وتلقى العربية بفروعها على استاذ الجيل المعلم نخله زريق ، وكانت اسمى امانيه ان يكون (معلما) فحققت السماء امنيتها هذه وعين استاذا للعربية في مدرسة الطران الانكليزية بالقدس ، وبعد ان اغلقت ابوابها في سني الحرب الكبرى عاد الى قريته كفر ياسيف هربا من الخدمة العسكرية .

وعندما وقعت فلسطين فيرسة في قبضة الاستعمار البريطاني عام ١٩١٨ عين المترجم له مديرا لثانوية عكا ، ويطلب منه نقل الى القدس في عام ١٩٢٠ وعين استاذا للعربية في المدرسة الرشيدية .

واخيرا هجر التعليم في المدارس الاميرية وعمل استاذا للعربية في « كلية شمت » الالمانية للبنات بالقدس وظل يؤدي رسالة المعلم الامين الغيور الى ان تقاعد عن العمل . وفي ١٧ نيسان ١٩٤٣ توفي بالقدس ودفن في مقبرة صهيون . وفي صدر شبابه نشر الكثير من نقاشات قلعه في الصحف والمجلات الفلسطينية وفي طبعاتها « النقاشات العصرية » و « دار المعلمين » و « الحكمة » . وتتميز العقيدة بحفظه المزان الكريم وديوان المتنبي واشتهر بشعر الهجاء وشعر الدعاية . وهذه نماذج من شعره :

اتمنى لانتي غفلا سليما
بنيد الوهم ويهدبها ابيلا
اتمنى اللطف فيها يتجلى
لبنات العصر صبحا واصيلا
ذات قلب مغصم طهرا وكبرا
ولسان كاره فسال وفيلا
ذات علم وذكاء ونشاط
وخصال صالحات لن تزولا
واذا فل بنات العصر يوما
اتمنى ان ترى خير مثال
اتما الحسن لها لا اتمنى
اذ حباها الله حسنا لا مثيلا
وحبها زلفة العين سماء
وحباها الورد حونا لن يحولا
وحباها الرشا الفسق الويلا
والشمس شعرا ذهبيا مستطيلا
فاذا ما جازني يوما جهول
ساجيا في المال والجاه ذيولا
وابتسني مني امرا مستحيلا
لست ارضاه بتعليها بديلا
ومن شعره الفكاهي قوله مداعبا صديقه المرحوم بولس شحاده صاحب جريدة « مرآة الشرق » المقدسية يوم زواجه بالريقة الشعرية التالية :

عم صبحا يا صاح واعلم باني
لست ان قلت كلمتي بالمادحي
تعيب كلها النساء فمسا
اعجب الان من رادف في الزواج
وعندما عابته الادبية الثقيلة السيدة ماري بولس

(التمة في صفحة ٢٧)

زعربا ليزوده بكتاب توصية لرئيس المدرسة لقبوله مجانا نظرا لفقره فزوده المبشر بتوصية ، وفي اليوم المحدد امتطى فرسه وسافر مع الشاب الزعريبي الى القدس وبعد ان بلغها دفع اسعد كتاب التوصية للقس تيودور ولترس ورجا قبوله طالبا مجانيا ، لكن الرئيس تردد في الامر عندما رآه في زيه القروي وان تعليمه بسيط ، لكن اسعدا الح في الرجاء فاشفق الرئيس عليه وقبله في المدرسة وسرعان ما باع اسعد فرسه وشمر عن ساعد الجد والنشاط ليعوض ما فاتة في السنوات التي امضاها فلاحا وثار على طلب اللحاق بزملائه ، وصرف في « كلية الشبان » اربع سنوات كان خلالها مثلا اعلى للجد والاجتهاد ، وشرع في تعلم الانكليزية التي كان يجهل ايجديتها ، وما زال مكبا على درسها حتى تضلع منها واستطاع بعصاميته ان يكتب ويخطب بها . ولم يكن اللاهوت مادة رسمية في « كلية الشبان » الانكليزية لكن القس ابراهيم باز كان يدرس التوراة والانجيل وبعض الكتب الدينية ويزود الطلاب بدروس تؤهلهم لان يكونوا اساتذة .

وفي ربيع عام ١٨٨٨ عين اسعد معلما في المدرسة التابعة للارسلانية الانكليزية بيفا ، وفي سنة ١٨٩١ رشح للرئاسة فعاد الى القدس . وبعد فترة عين واعظا في يافا تحت ادارة القس ولترس . وفي مطلع عام ١٨٩٤ سيم شماسا . وفي عام ١٨٩٩ سيم قسما . وبقي في يافا يعمل مع القس ولترس الى ان نقل في صيف عام ١٩٠٥ راعيا للطائفة الانجيلية في الناصرة خلفا للقس خليل الجمل فخدم الطائفة تسعا وعشرين سنة قبل ان يغادر راعيا للطائفة الانجيلية في رام الله .

وبعد ان سكنت نامة الحرب الكبرى زار بريطانيا فاحتفى به الكثيرون من رجالها ومنحته « جمعية المرسلين الكنسية » بلندن لقب « نائب الرئيس » . لقد تميز القس اسعد منصور بالعصامية والدواعية والشجاعة وشدة البأس والايمان بان الصعوبات التي يواجهها الانسان في مراحل عمره امر لا مفر منه لكن بالايمان يمكن التغلب عليها . لقد تاجر هذا الراعي الواعي بالوزنات التي تسلمها فافلح وريح اذ ادرك قيمة الوقت فلم يعيب به بل احسن استعماله الى ان حققت الايام امانيه فصار واعظا قديرا وكاتبا بارعا سهل الاسلوب منسج العبارة وباحثا واسع الاطلاع ، وخلف للخرانة العربية طائفة قيمة من الكتب المفيدة وأشرف على تحرير « مجلة الاخبار الكنسية » اربع سنوات فقام بهذه المهمة خير قيام .

وفي ٢٣ نيسان ١٩٤١ توفي هذا المؤرخ المؤوب ، والخطيب الموهوب ، في مدينة رام الله ودفن في المقبرة الانجيلية وقد اوصى بمكتبته الخاصة لمجمع الطائفة الانجيلية الاسقفية العربية وآل القسم الاكبر منها لكلية ييزريت . ومن آثاره القلمية :

مسدس ، كان يمسكه بيمناه ويضغط على الزناد قائلا « السيد عبيد المجيد » بلساطة : « أنا أكرهك لانك سبب بلائي ولهذا ستحق الموت » . طبعاً سيسترجمه « عبد المجيد » لكنه لن يابه له ... سيمتّع نظاره وهو يراه مرتجف الاوصال زائغ النظرات .. يريد ان يعذبه قبل ان يموت .. طبعاً لن ينسى ان ييصق في وجهه قبل وبعد موته .. وأزعجه صوته وهو يقول بصوت مسموع « آه .. لو كان معي مسدس ؟ »

أخيراً استعبد فكرة القتل ، فهو اولاً لا يملك أية اداة يستطيع بها تنفيذ ما يريد ، ثم لو كان لديه ما يريد فهو لن يستطيع القتل ... لن يستطيع القتل ، لم لا يسرقه .. ؟ سار خطوة واحدة ثم وقف ... عاودته فكرة السرقة ، يسرق وهو الذي لم تمتد يده الى شيء محرم في حياته ؟ . وأخيراً اقنع نفسه بان ما سيقوم به ليس سرقة بل استرداد ماله الذي سرق ، فهو لم ينس ما فعله به عبد المجيد ، قبل سنوات ست طرد من الشركة التي يعمل بها بحجة تضاول الانتاج لقلّة الطلب ، فذهب الى صديق له ليعينه في إيجاد عمل ، وهكذا تعرف « عبيد المجيد » الذي اقترضه ثلاثمئة دينار لمدة خمس سنوات على ان يتقاضاها خمسمائة ، وأتى الموعد المحدد فلم يستطع « حمدان » الا سداد الثلاثمائة دينار . وهكذا حجز « عبد المجيد » على دكانه الصغير وباعه بالمراد العلني حتى استوفى دينه مع الفائض ، ومنذ ذلك اليوم استقبلته الطرافات متشرداً جديداً انضم الى زمرة المشردين .

وبعد هذا اعيد سارقاً ان قام باسترداد حقه .. ؟ ان كان قانون الارض يعتبره سارقاً فالسماة لن تعتبره كذلك .. بالطبع لن تعتبره كذلك « هكذا فكر ، وهو لا يريد قانون الارض ... يريد السماء .. يريد السماء »

سيجارة كان قد وضعها منذ الصباح ، وبعد برهة خرجت يده تحمل عيداناً صفراء اللون صغيرة ، ولكن ايسن الورقة التي تغلفها ؟ وينظرات زائفة اخذ ينظر الى الرصيف على بعد ورقة يلف فيها ما اخرجته من تبغ ، فوقعت عينه على عقب سيجارة طويل نسياء ، فكر « لا بد ان صاحبا غني والا ما رماها وهي بهذا الطول » .

وضع كفه على الارض وتحامل على يده لينهض ، سار بضع خطوات ثم انحنى ملتقطاً عقب السيجارة باشمئزاز ، زخر بعنف مردداً في نفسه « لعنت من زمان اغني فيه ملتقطاً عقب سيجارة » .

أخرج « القداحة » من جيبه



يقلم قاسم جودة
http://Archivebeta.Sakhr.it.com

وبصوعية اشعل عقب سيجارته ، اخذ نفساً عميقاً فشرع ببعض النشوة ، امتدت يده ثانية الى فمه ليأخذ نفساً آخر ، ولكن فجأة وقعت عيناه على منظر جعلت يده تجمد في مكانها قبل ان تصل الى فمه ، أحس بجسمه يضعف فجأة ويتهاوى على الارض ، ولكن يده امتدت الى بناء قريب فمنع جسمه من الاستمرار في السقوط .

ردد بعنف وأسنانه تصطك « يجب ان اقتله .. انه سبب ما وصلت اليه من بلاء » . وتمنى لو كان معه



ييد مرتجفة يمسك « حمدان » ذيل جاكته الممزقة ويضمها بعنف الى جسمه الهزيل ، ولكن عيشاً فالبرد ما زال يخز في عظامه ممعناً فسي تعذبه وابلامه . الا من مكان يستطيع الالتجاء اليه في هذه الليلة الباردة . وتذكر الفرقة التي يسكنها ، فارتمش بعنف .. لا .. لا يذهب ، فهي - الفرقة - والخارج سواء ، بل هنا اقل ابلاماً من هناك ، اطفال يتضورون جوعاً وتلتحم اجسادهم محاولين جلب بعض الدفء الى اجسامهم الهزيلة ، وام في زاوية الفرقة شبه عارية تدرف الدمع ، لا .. لن يذهب . وتذكر ولده الصغير ، كيف امسكه من بظالته قبل ان يخرج وعيناه ترتفعان اليه برجاء ، صائحابه : - ابي ، احضر لنا خبزاً ولحماً يا ابي .

اجابه وهو يدير وجهه بعيداً : اجابه وهو يدير وجهه بعيداً : حاضراً يا بني .

وتلقته الطرافات منذ الصباح وبدأ جولته المعتادة بالبحث عن عمل ، والجواب واحد منذ سنة كاملة .. لا .. لا يوجد عمل ، واضطر لان يمد يده ، ولكن الناس لا يرحمون ... « أنت رجل .. ابحت لك عن عمل » .

رغيف خبز لم يستطع الحصول عليه منذ الصباح ، كيف يعود الى البيت خالي الوفاض ؟ كيف يستطيع سماع بكاء اطفال صغار ؟ اي قلب لا يتفتت حزناً ازاء نظرات تنطلق باليأس والشقاء .. لا .. لن يعود .. سينام على الرصيف ان استطاع النوم .

سار يتهمل في الشوارع المظلم الى ان وجد زاوية فيه اكثر ظلاماً من نفسه فوضع جسده فيها ، ملقياً ظهره الى الحائط ودافعا فخذه في بطنه ... اغمض عينيه محاولاً النوم ولكن اتى له ذلك ... بطنه خاوية منذ يومين ، وجسمه يرتعش برداً ، فتح عينيه ثانية وامتدت يده الى جيب جاكته البالي بحثاً عن نصف

في زوارق الرجال

« الى عبد الحسين .. صياد في الناصرية »

✻

ليالينا هوى سكران .. ينسج حولها القمر ..
ضبابا متصب الانفاس .. جرح صدره الشهر
وانقلعه الاسى بالموت .. ليت الموت يطوينا
فقد يا ليل ما اعطيت .. ما نملك بكفيننا
بقايا من زوارق .. من شباك ..
من رجال .. خطت الزمن ، على جبهاتها الماء
وجرعنا كؤوس الموت والسقم
ومد يدا متلججة لنا وفمنا
فصحننا آه يرهقنا .. ولكن ليس بنهينا
فقد يا ليل ما اعطيت .. ما نملك بكفيننا

انا موسم الخيرات ، مات الفقر والسغب
انا انا كنت ارتقب
وعلمت الحناجر .. صق البردي والقصب
ستهرع كل فرتنا .. ستاكل وجبات السحب
سيولد ذلك التنور .. ما اقضى به حطب
ستعجب هاء هذا الهور .. ندفن فيه ماضينا
وما تركت ليالي الفيق .. ما القى ليالينا
اعمدى الزورق المروك ، حمديته
وفتيها .. فكل الممر اغنيته
سكن لم نمر ما فيها .. ولم ندر
كان عيون من ولد .. اسى تجري

عبد الحسن اطهيش

http://ArchiveBeta.Sakhril.com

لا يدري أي قوة وتصميم هائل
اتاه في تلك اللحظة فاخترق الشارع
الى البيت الذي كان يحقد فيه
النظر ... تلفت حوله بحدق وهدهوء
.. لا أحد .. الكل نيام ... السور
مرتفع بعض الشيء لكن لا يهم .

بعد لحظات كان يسير في الممر
المخوف بالأشجار داخل السور ..
ويبحث بعينين حمرأوين عن نافذة
مفتوحة يدخل منها الى البيت ،
واخيرا وجدها ، نافذة لا تعلق كثيرا
عن الأرض ، وبساطة تسبقها وبهدهوء
فقر داخل البيت ... اجال عينيه
في المكان ليتبينه فتأكد انه المطبخ ،
توجه الى الباب بهدهوء وسكون واتجه
الى الغرفة التي ينام فيها « عبد
المجيد » حيث يضع تقوده ... ان
يستيقظ « عبد المجيد » بسهولة فهو
مصاب بالارق ولا ينام الا بعد ان
ياخذ اقراصا منومة ... ولكن يجب
الحذر فربما يكون قد كف عن هذه
العادة ... قال بصوت منخفض
« الحمد لله » فقد فتح الخزانة دون
صوت ... وامتدت يده الى الداخل
وبدا يبحث ... اخيرا اصطلمت
يده بكتلة صلبة نسبيا فتحسبها
على ضوء المصباح الداخل من
الشباك .. ذنانير .. ذنانير ..

ذنانير تنوف على الالف ... وضعها
في جيبه وهم بالخروج ، ولكن قدمه
تسمرت في الأرض .. وفكر بعنف
« اني لص » . اخرج اللفة من
جيبه ثانية ونظر اليها نظرات تائهة .
مجنونة ... لهفي .. هل يتركها هنا؟
أخرج دونها ؟ ولكن اطفاله .. ابدعهم
يموتون ؟ كلا .. لن يكون هذا ، فكر
برهة « لن آخذ النقود كلها .. يكفيني
ان استرد ما سرقة مني .. وبسرعة
كبيرة عد عشرين ورقة زرقاء اودعها
في جيبه ثم اعاد اللفة الى مكانها
واغلق الخزانة واتجه الى الباب ..
قبل ان يترك الغرفة نظر الى سرير
« عبد المجيد » كان يغط في نوم
عميق .

سار في الممر وقلبه يرقص فرحاً ،

لن يقف .. ما زال سائرا ولكن
بخطوات اسرع ... وسمع الصوت
يقول ثانية : قف ..

خطوات ثقيلة تقترب منه ...
يجب ان يركض ... وترك لساقه
العنان . انقضت لحظة قصيرة قبل
ان يسمع صوت ثلاث طلقات متتابعة
وصوت انين مكتوم ... واطلعت
الرؤوس من النوافذ .. ودار همس
بين الجيران .. وبعد برهة اتاهم
الخبر اليقين « لص سرق السيد
عبد المجيد » .

وعادت الشبايك تغلق من جديد ،
واطفئت الانوار ، وعاد الى الشارع
ظلامه وسكونه .

طوكرم - الاردن قاسم جودة

وقبل ان يتسلق السور وقف برهة
حتى يسترد انفاسه ... تنفس بعمق
« سياكل الاولاد لحما بعد ستة شهور
كاملة ... سيرتدون الملابس بعد
عري .. سوف .. سوف .. » .

واستعجل لقاء اطفاله فغفر عن
السور الى رصيف الشارع دون ان
ينظر حوله ... وما كان يسير خطوة
واحدة حتى سمع صوتا قويا يقول :

— قف .. من انت ؟

وبنظرة عجلي تلفت حوله ..
ارتجف بعنف .. رجل يلبس الواد
.. انه شرطي .. هل يقف ؟ الجن
بانتظاره ، ثم تقوده .. سوف
يسرقونها ثانية .. « لن ياكل الاطفال
لحما .. لن يرتدوا ثيابا جديدة .

بين ذكرياتها ، ولم تدعه يستبدل به شقة تلاث معاشه الشهري الذي لا يملك غيره ، فلما ان حان يومها عام ١٩٦١ ، ود ان يموت فيه مثلها ، ولحق بها يوم عيد ميلاده في ٨ من ابريل ١٩٦٤ ، شيخا في السابعة والستين ، انقلته حاملة من تجارب الايام ، ومشاهد الاقطار ، ووفرة الثمار ، ومشاق الوظائف ، ونوبات المرض ..

وهناك في غرفة تزينها لوحات الفنان ، وتطل شرفتها الفسيحة على حديقة خلفية صغيرة ، كان محمود سعيد جالسا يترقب .. لم تزل السنون كثيرا من وسامته وحيويته .. وما كنت احسب انها جلسة الوداع فلمب جئنا بعدها الى تلك الحجرة ، كان شخصه قد غاب عنها الى الابد ، وبقيت روحه تسامر جموع المعزين .. وكانما جاء من وراء هذه المقابر التي صورها يوما في لوحة حزينة ، وكانما تجسد القرى المرتل أي الذكر الحكيم في الصورة الأخرى التي ابدعها عام ١٩٦٠ .

كان يومذاك يعاني أكثر من علة نقصت عليه سنيه الأخيرة ، من ربو في الصدر ، والام في الساق .. ولكنه كان صابرا متجلدا ، محتفظا بهدوئه وبشاشته ، يحدثك في الغاشية وفي حياة عن ماضيه وحاضره ، وعن الفسيفس ومذاهبه ومدارسه .. وكان بعد ذلك يتنقل في خفة بين الفرف والقاعات ، ليشرح ويفسر بعض المعروض من لوحاته .. والحق ان سجل حياته كان معرضا غنيا بروائع الآثار والتكريات ..

وقد يحيط لك ان تعد اوجه الشبه بين عبقري التصوير محمود سعيد ، وبين سميح نابغة القصة محمود تيمور .. فهما فنانان متقاربان في السن والسمات ، والمواهب والطباع ، ترسم على وجه كليهما السمح اشراقاة الوداعة والبراءة .. وقد نشأ كل منهما في بيئة ارسقراطي ، وكان ابنا لباشا كبير ، ولكنه نزل السى الساحات الشعبية ، وشارك الجماهير حياتها . وحسن معها اعيادها ، وصور الاول كفاحها بريشته في مئات اللوحات الخالدة ، والثاني بقلمه في مئات القصص البازعة .. لم يعرف احدهما الحرمان المادي ، ولكنه عرف الالم والشوق ومحبة الناس ..

ويروي لك محمود سعيد قصة مولده في الحي الشعبي . يشارع ابي العباس المرسى من صميم الاسكندرية ، يوم ٨ من ابريل عام ١٨٩٧ ، ونشأ في حى « النفوسى » بجوار البحر ، وصخب الموج ، وقوارب الصيادين ، وفي ظل مساجد الاولياء واضرحة الصوفيين ، ووسط موكب العمال وبنات بحري والملاحين - البيئة التي صدر عنها انطباعاتها في الكثير من لوحاته - مثل : « الصيد - العجيب » (لوحة عن صيادي السمك معروضة لدى السفارة العربية المصرية بواشنطن) و « صيادين فى شاطئ - السلسلة » و « صيد في زوبعة على الكورنيش »



محمود سعيد

محمود سعيد رائد الفن التشكيلي

بقلم نقولا يوسف

على ربوة بحى « جناكليس » في رمل الاسكندرية ، وفي طريق هادى عتيق ، غير بعيد عن حلة المدينة العظمى (شارع محمد سعيد باشا) ما زالت تعتكف صومعة الفنان السكندري الراحل ، منطوية على ذكرياتها الانريسة ، وذخائرها الفنية ..

والباب الخارجى العريض مفتوح على مصراعيه ، تجتازه الى حديقة عجوز تتقدم القصر الضامت .. ودليل كهل يقودك من غرفة الى طرقة ، ومن دهليز الى ردهة .. والقاعة القديمة في مكانها خالية تطوي صروف السنين واحداث العصر .. واللوحات الكبيرة تحجب الجدران ، والتماثيل الصغيرة تربض في الاركان ، صور تجوب بك وادي النيل من البحر الى مشارف السودان ، وتنقل بك بين اسبانيا وايطاليا ولبنان ، وبين فرنسا وقبرص ويونان ! . وتطالعك وجوه الوالد والزوجة والابنسة والاصدقاء ، وتزاحم في القاعات عشرات اللوحات المعروضة ، وتخزن عشرات اخرى حجرة فسيحة تحجبها عن النظار ، عاشت طويلا تترقب خروجها الى الاضواء ..

ها هنا المسكن ، والمرسم ، والمتحف . حيث عاش وعمل طويلا رائد التصوير التشكيلي ، واحد اركان الفن الرواسخ محمود سعيد . والقصر الذي بارحه الى ربه والده محمد سعيد عام ١٩٢٨ ، وشاعت امه ان تموت فيه

لتلقي دروس النحت والتصوير والمعمار ، على أيدي بعض الاساتذة من الفنانين الاوروبيين ، ومنهم : لا بلان ، وكولون ، وبيرون ، وفورنسيلا .. وتخرج فيها خلال عشرين عاما عدد كبير من المشتغلين بالفنون والمدرسون بالمعاهد قبل تطورها عام ١٩٢٧ الى مدرسة عليا للفنون بالقاهرة ، وكان من خريجيه الاوائل : محمود مختار ، ورأغب عياد ، ويوسف كامل ، ومحمد حسن ، واحمد صبري .. وقد ظهرت بوكر اعمالهم في اول معرض لهم بالقاهرة عام ١٩١٢ .

وهناك في الاسكندرية فيما بين ١٩١٦ - ١٩١٨ كان الطالب محمود سعيد وعدد من هواة التصوير بهذه المدينة (كان منهم شقيقه المهندس حسين سعيد ، وابن عمته الشاعر السكندري احمد راسم ، وشريف صبري ، والقاضي هيريروس ، والفنان سبستي) يترددون على مرسوم الفنان ارتورو زانيري في احدى عمارات الاسكندرية ، حتى قضت ظروف بأن يطلق هذا المرسوم بعد ثلاث سنوات .. وكان محمود سعيد في تلك الفترة يحاكي استاذ زانيري في أسلوبه ، وما لبث ان استقل عنه مستلهما طبيعته وبنيته ، ثم مؤثرات العالم الفسح الذي راح يطوف بارجائه ، وهو في ذلك لم يشذ عن فنانسي الدنيا ، حيث تتلقى الموروثات والمكتسبات ، ويمتزج القديم والجديد ، ويتولد من هذا كله المستحدث والمبتكر . وبعد فتره مشابهة ، كان يرتحل الى صعيد مصر ، وينتقل بين الاقصر واسوان والنوبة وشواطئ البحر الاحمر بآلة مفرقة ، واخرى عضوا في لجان الانارة .. وهناك كان يدرس المابد والنقوش والاعمدة والتفاصيل ، ومن وحي تلك البقاع السحرية خرجت لوحاته على توالي السنين ، ومن ذلك : « الاقصر قرب وادي الملوك » و « صخور اسوان » و « جزيرة الفنتين » و « اسوان جزر وتلال » و « النيل عند بني حسن » و « عند جزيرة فيلة » و « الاسيوطية الصغيرة » وغيرها .. كما استوحى لوحات من « محجر التلك بجماطة » على البحر الاحمر ، ومناجم الفوسفات في القصير ..

ومن رايه : ان مبدئي « الدبر البحري » في طبيه ، و « بو سميل » في النوبة ، وضعا في مكانهما الطبيعي الفريد ، وانهما من قم الفن المعماري الذي احتفظ بروعته وقيمته طوال العصور ...

ومثل شجرة باسقة مثمرة ، بنمو محمود سعيد مشدودا الى تربة بلاده وجوها وهو الفنان العربي المصري والسكندري المعصري ، الذي تبلورت في اعماله العوامل الروحية والمادية ، تراث العصور الذي ثبت منه الفن في ارض الشرق وتفرع ..

ويرى محمود سعيد ، وقد بلغ الثالثة والعشرين ، ان يستزيد في الغرب من ثقافته الفنية ، فسافر الى باريس عام ١٩٢٠ وهناك التحق بالرسم الذي اطلق عليه صاحبه

و « بائع العرقسوس » و « الدراويش » و « جميلات بحري » و « حلقة الذكر » و « العودة من الصيد » و « المسجد الابيض بكم الدكة » و « تصميم السباحات » .. وامثالها من السكندريات ...

وهو في تنقله بين ضواحي الاسكندرية ، يستلهم الصور الطبيعية في « مرسى مطروح » ، و« مرسوط » ، والعلمين ، ما بين البحر والصحراء ، ويعرضها في اكثر من عشر لوحات اخرى . وتدل مجموعته السكندرية التي تشمل اكثر من ٢٥ لوحة ، من مختلف قطاعات المدينة ، والتي رسمها فيما بين شبابه وشيخوخته على ان سحر بلدته ظل مهيمنا عليه الى النهاية ..

ثم يقص عليك كيف التحق ابوه مذ كان طفلا في السابعة « بكلية فكتوريا » (كلية النصر الحالية برمل الاسكندرية) كما كان يفعل الخاصة بومذاك .. فظل بها فيما بين ١٩٠٤ - ١٩٠٨ .. ثم بمدرسة اليسوعيين ليمكث بها ستة اشهر .. وكيف وضع لايه ان تلك المدارس لم تكن في ذلك العهد المناهج الوطنية - وبخاصة الدروس العربية والاسلامية - فأخرجه منها ليتشرف بالمنزل على يد معلمين مختارين ، كان يذكر منهم بالفضل المرحومين الاستاذ الشيخ محمد الخضري وكان يعلمه التاريخ الاسلامي واللغة ، والاستاذ احمد امين يدرس له الترجمة ، وتوفيق افندي يعلمه مبادئ الرسم الى جانب من كان يعلمه الفرنسية والانجليزية ..

وتقدم الصبي من بيته الى امتحان « الشهادة الابتدائية » عام ١٩١١ ، ثم الى « شهادة الكفاءة » في العام التالي ، فنجح فيها بتفوق .. والتحق بالمدرسة السعيدية الثانوية بالقاهرة ، ثم بالمدرسة العباسية بالاسكندرية ، وحاز الشهادة الثانوية (البكالوريا) من قسم الاداب عام ١٩١٥ وكان ترتيبه الثاني بين الناجحين .. ثم دخل « مدرسة الحقوق الفرنسية » ونال منها عام ١٩١٩ « ليسانس القانون » .. ونزل الى معتزل الحياة يتدرب على المحاماة بمكتب محام بالقاهرة ، واخر بالاسكندرية .. ومع ذلك فقد ولد فنانا وكان الرسم هوايته المفضلة منذ صباه .. فكان ينقل عن الطبيعة حوله اينما سار ..

وهو فيما بين ١٩١٢ - ١٩١٤ يتلقى دروسا في الرسم على يد الفنانة الإيطالية « كازاتانو دافورو » التي جاءت الى مصر بعد تخرجها في اكااديمية فلورنسة ، واستوطنت الاسكندرية حيث شاركت بلوحاتها في بعض معارضها الخاصة ومعارض القاهرة العامة ، ثم عادت في شيخوختها الى بلدتها قرب « فينيسيا » ..

وكان هذا النهج من الدراسة الثانوية والقانونية الذي اراده له ابوه رئيس الوزراء ، ما باعد بينه وبين التفكير في الالتحاق باحدى كليات الفنون ، وكانت « مدرسة الفنون الجميلة » بدرب الجماميز بالقاهرة قد فتحت ابوابها عام ١٩٠٨ لدوي الواهب الفنية من الطلاب ،

المثال « انطوان بورديل » اسم : « ليجراند شومبيير »
أي الكوخ الكبير ، وهناك كان يقضي مساءه مع زملاء
مكبين على رسم انموذج بشري (موديل) .. واما صباحه
فكان يمضيه في المتاحف والمعارض ، وبخاصة في
متحف اللوفر ..

وما لبث ان اعرض عن « ذلك الرسم » والتحق بمعهد
يسمى « اكاديمي جوليان » حيث زامل الفنان ب. ا.
لونس .. ثم لم ترق طريقة هذا المعهد ، فتركه بعد شهر.
واحد .. وكان قد تنقل بين اثار باريس مدة ستة اشهر ..
وحل يوم عاصي بارد مطير ، وقد انغرد فناننا في غرفته
الشحيحة الضوء ، فاحس بحنين جارف الى شمس
بلاده الضاحية وسمائها الصافية حيث تتلاألوان في
الحقل والبحر والصحراء .. وهب بفتة ليرحل على أول
باخرة تعود به الى وطنه ..

ولكنه عاد مؤقتا بان في عالم الله الوسيغ صورا للجمال
طبيعية ومصنوعة لا ينفرد بها مكان دون الآخر ، وللغنان
ان يسعى وراءها حيثما وجدت .. فتبها لرحلات اخرى
في الشرق والغرب كلما سحت له الفرصة ..

عاد محمود سعيد الى الاسكندرية ، واختار شريكة
حياته التي عاش معها بقية العمر .. ورأى قبل ان يصبح
رب أسرة ان يجد العمل الذي يكفل لها العيش ، ولم
يكن التصوير موردا للرزق . فقبل الوظيفة التي هيأتها
له دراسته القانونية . ودخل في سلك القضاء . وعين
عام ١٩٢٢ مساعدا في نيابة المحاكم المختلطة بالمنصورة .
ثم رقي فيما بعد رئيسا للنيابة في محاكم المنصورة
والاسكندرية والقاهرة .. ققاصيا ، فمستشارا بمحكمة
استئناف الاسكندرية المختلطة وهي آخر وظائفه القانونية
التي استعفى منها عام ١٩٤٧ .. وقد عرف في قضائه
بالعدل والحكمة ..

غير انه كان فنانا طليقا يحس ، وقد تقسم بين
مسئوليات الوظيفة ، ومسئوليات الاسرة ، انه يتوغل
يوما بعد يوم في رمال لينة تحت قدميه ولا يستطيع
الانطلاق في قضاء الفن .. فكان اذا حلت العطلة الصيفية،
واغلقت ابواب المحاكم ، عبر البحر وضرب في الافاق ..
فزار في سنى الشباب والشيخوخة : إيطاليا واسبانيا ،
والنمسا والمانيا ، وهولنده وبلجيكا ، وسويسره ولبنان ،
وبرص ويونان ، متاملا اعمال عمالقة الفنون في المتاحف
والمعارض والقصور ، ومصورا مناظر الطبيعة في البحار
والجبال والسهول ، وفي القرى والمدن والجُزر ..
ويقول : « .. واما ليونارد فنشي فكنت احبه دائما ، واما
انجلو فكنت احس امامه بالخشوع .. » وكان يستهويه
ايضا فن روبنز وبليني ورمبرانت ثم كان دائما ابدا عابدا
لجمال الطبيعة في مختلف اوضاعها ، حية وجامدة ..
وفي الكتيب الذي نشره الفنان الناقد بدر الدين ابو
غازي ، عن محمود سعيد عام ١٩٦٠ وزينه بعدد من

نماذج لوحاته يقول « انه كان اكثر ميلا الى فان ايك ،
وميلنج ، وفان دير . فاقترب منهم ، وعمل على ايديهم مر
فته بمرحلة تحول واضح . ومن خلال اعمالهم ادرك معنى تماكب
التكوين والعنق والتوازن بين البناء والفناء في العمل الفني ..
وعرف من خلالها كيف يضيء بالتفاصيل لهؤلاء الاساتذة .
وانما هو استفاد لفنه من صياغة فنه . وعاد فنانا مصريا
يقدّم صورة لمصر من خلال مضمون اعماله واسلوبه بعد
ان طاف باتجاهات المدارس المعاصرة التي كانت تزحف
على ميادين الفن خلال فترة تكوينه . ولقد وجد هذه
الاتجاهات بعيدة عن ان تتجاوب مع نفسه وفطرته الفنية .
واستوقفته النزعة التآثرية لحظة فاخرج بعض اعماله على
غرارها غير انه لم يلبث ان هجرها ... »

وكان محمود سعيد خلال السنوات ١٩٢١ - ١٩٢٦
مهمته بتصوير الاشخاص ، وبعض المناظر الطبيعية ،
والموضوعات الميثولوجية ولم تزل في نفسه بعض الانطباعات
من بليني والاباطيين الاول ، حتى استقل بأسلوبه
الخاص ، وشخصيته الفنية في السنوات العشر التي
تلتها . وفي ذلك الطريق الذي اختطه لنفسه ، سار
قدما بقية حياته ..

وعاد فنانا الى مدينة المنصورة عام ١٩٢٧ قاضيا في
محكمة المختلطة ولم تكن هذه البلدة الجميلة غريبة لديه ،
اذ جاء اليها عام ١٩٢٢ مساعدا في نيابتها المختلطة ،
فرنسيا لهذه النيابة .. فكان ينطلق ايام العطلة الى
اطراف الدقهية وعلى ضفاف نيلها ، ليصور اللوحات التي
ارتأى ان يتركها بعد : « حمام الخيل بالمنصورة » و « المؤذن
في المنصورة » و « الجزيرة السعيدة » و « ذات الرداء
الازرق » .. وغيرها ..

والقطار فيما بين المنصورة والاسكندرية يحمل فناننا
مرة او اكثر في كل شهر وسط الريف حقوله وقراه ،
وزعره وسواقيه ، وفلاحاته وفلاحيه وتشده هذه الصور
الى قلب بلاده النابض ، وتصبح حياة الشعب شغله
الشاغل ، وابن الشعب وكفاحه اهم اعماله ، فاذا كان في
المنصورة خرج الى ريفها وعبر النيل الى حقول طلخا ،
واذا عاد الى الاسكندرية فهناك الصيادون وقواربهم ،
والملاحون واحيانهم ، و « اولاد البلد » وكفاحهم ..

ومنذ عام ١٩١٩ ، و « اولاد البلد » وكفاحهم ..
اهتمام الكتاب والصحافة العربية .. وراينا مي زيادة
تكتب عن « معرض الصور المصري » ، والمازني يكتب عن
« معرض الفنون عام ١٩٢٢ » ، ومحمد حسين هيكل
ينقد معرض « جماعة الخيال » عام ١٩٢٧ .. ويزداد
انتاج محمود سعيد كما وكيفما منذ عام ١٩٢١ ، ويرى
الناس مما ابدعته ريشته في شتى المعارض فيما بين
١٩٢١ - ١٩٥٠ نحو ١٤٠ لوحة متنازلة ..

وكان قد اقيم بالقاهرة عام ١٩٢٧ معرض « جماعة
الخيال » التي انشأها المثال محمود مختار ، وعدد من

الفنانين العرب والإجانب المقيمين .. وكانت النزعة القومية في الفن والأدب تسير وتتناول الحركة الوطنية الداعية إلى الاستقلال ومكافحة الاستعمار ، واستلهم الفن المصري القديم ، والفنون الشعبية لتوكيد الشخصية القومية والإبقاء على تراثها ، واندماج الفنانين جميعا في هذه الحركة .. وفي ذلك المعرض كان لـ محمود سعيد لوحات تمثل السمات الشعبية ، كما كان بينها لوحة مستوحاة من الأسطورة العالمية المشهورة عن « صراع مار جرجس والتنين » (١٧ ديسمبر ١٩٢٧) وقال أنها انارت عنده ذكرى قديمة عزيزة على المصريين جميعا هي صور الوزير سالم ، وأبو زيد الهلالي واساطيرهما متصلة في النفس المصرية بتاريخ مصر القديم إلى حد كبير .. قال : « ولكني لما رأيت هذا القول (التنين) لم في صورة غير افواننا الشرقية الكثيرة الصور ، لم ينقص امجاسي بمقدرة محمود سعيد وقوته .. وبحسب هذه الصورة ان يكون لها من الفضل ان تبعت في نفوس رءاء جديدا يحققه معرض جماعة الخيال في العام القادم ... » ثم اضاف انه تحدث عن ذلك إلى الممثل محمود مختار - اي في بحث فنوننا الشعبية وتسجيل اساطيرنا الشرقية .. وعاش الكاتب ليرى في لوحات محمود سعيد - وقد نيفت في اواخر حياته على ٥٥٠ لوحة - الكثير من اساطيرنا وتقاليدنا وترانا إلى جانب الالهامات العالمية التي تتقاسمها الانسانية جميعا ..

وهناك على شواطئ الاسكندرية حيث ولد وشأن من الفنانين المحدثين : محمود سعيد ، ومحمد ناجي ، وأدهم وسيف والي ، ومحمود موسى ، وغيرهم ..

وحيث قام « مرسوم زانيري » فترة ، و « جماعة الانبئية » زما ، بدأت بدور الوعي الفني تنمو وتتفرع .. وفي ذلك العام (١٩٢٧) افتتح حسن كامل مدرسة مسائية اهلية للفنون ، يتدرب فيها هواة الفن على التصوير والنحت والعمار ، وبدأوا بإقامة معرض سكندري عام ١٩٢٨ ثم افتتحت هذه المدرسة في يولييه ١٩٢٩ ودعى إلى معاونتها عدد من الفنانين على رأسهم محمود سعيد الذي تطوع إلى توجيه طلبتها ..

ثم اقيم بالاسكندرية في مايو ١٩٣١ معرض عام للفنون اشترك في معروضاته عدد من كبار فناني الشرق وناشئيه ، وعرض محمود سعيد هناك لوحته : « دكتور حماده » كما عرض مختار تمثال « الفلاحة والجرة » ..

ولم يعد محمود سعيد يتقيد بالنهج « التاتري » كما فعل قبل ١٩٢١ ، او يقتصر على تصوير الأشخاص في مواقف ثابتة (كما في لوحاته الكبيرة عن والده وزوجته وشقيقته واصدقائه ...) او مناظر الطبيعة الصامتة - في الاعوام ١٩٢١ - ١٩٢٦ - ولم يلبث ان اهتدى إلى أسلوبه الخاص في السنوات العشر التالية (١٩٢٧ - ١٩٣٧) وتوالت شواحه التشكيلية في عشرات من

اللوحات ، ومن ذلك : الجزيرة السعيدة ، و حياة ، وذات الرءاء الأزرق (١٩٢٧) ، والدراويش (١٩٢٨) وليلة الدفن ، وذات الرءاء الوردي (١٩٢٩) ، وحاملة القل ، وتحليل نفسي (وهي تمثل الفنان في حالة المرض) ١٩٣٠ وبائع العرسوس ، و الامومة (١٩٣١) و الدعوة إلى السفر ، و ذو الصديري الأخضر (١٩٣٢) و عارية والسباحات ، وفاطمة ، وذات الجداول الذهبية ، ونادية ، ونالمة (١٩٣٣) والشواذيف ، والصلاة ، و شراع على النيل ، وكوبري اللؤلؤات (١٩٣٤) وبنات بحري ، وزروعة على الكورنيش ، وجارية على ارضية حمراء (١٩٣٥) وذات الهفاف الاسود ، وحلقة الذكر ، والراقصة ، وعقد المرجان ، واحمد مظلوم (١٩٣٦) والقط الأبيض ، والمدينة ، وذات الاساور الحمراء (١٩٣٧) الخ ...

وفي الثلاثينيات اثار فن محمود سعيد اهتمام الفنانين والنقاد ، وراح يصفهم بنوه في الصحف عن رايه ، كتبت المصور المرحوم سند بسطا (١٩٠٨ - ١٩٦٤) بجريدة الاهرام عام ١٩٣٣ يقول : « ... اذا تكلمت عن الفنانين المصريين ، فانما ابدأ بزعيم النهضة في هذا المعرض وهو الأستاذ محمود سعيد انني لم احظ بمعرفته بعد ، ولكنني شديد الإعجاب بفنه ، وبشاركتي في هذا الإعجاب اصداقائي من الفنانين الأجانب .. دفعت دائمي التطور والتقدم .. بل اعتقد انه أقوى مصورينا .. يعجبني فيه قوة الابتكار ، وهذا صوره عن الابتداء والتقليد .. فهو فنان في اقلال نفسه من يصورهم ، وما احتوت عليه نفوسهم من طبع وشهوات ... »

وفي عام ١٩٣٦ نشرت « المجلة الجديدة » التي كان يصدرها المرحوم سلامة موسى ملحقا بعدد يولييه من تلك السنة به بحث مهيب عن فن محمود سعيد ونماذج من لوحاته . ومما جاء به من آراء الناقد الفنان الذي لم يوقع القال :

« ان تصوير محمود سعيد يستمد مصرته من صفاء الجو وشفافية الألوان ، ومن عظمة الكائنات السليمة التي لا يحجبها عن العين غبار أو ضباب ، ومن ذلك اللون الخمرى الذي يستمد خمرته من الطمي - ذلك اللون الذي ينعكس على العين من ضياء قطع الارض الصغيرة المشعرة بالمياه ، ومن ارتعاش اشعة النور الفوسفورية ، ومن تلك الاشعة الوضاءة القرونة بالالوان القائمة التي نعرش عليها دائما في حوار مصر ... ان هذه الالوان هي عينها التي تملو وجوه النساء الوطنيات اللاتي يتصدى سعيد لرسمهن ، وهي نفس الالوان التي تتمثل في تجاعيد شعورهن وعلى اهاب اذرعهن ... وتنبت من جميع لوحات محمود سعيد عظمة ووقار كبيرين .. فكان جميع نماذجها تكتم في صدرها خواطر رصينة تحدثت عليها من اجيال عديدة ، سبقت جميع صوره مفعمة بوقار شامل

وروح مؤثرة ... وظلت صورته مصبوبة في قوالب الفن النموذجي الذي يسس المصورون من الوصول إليه أو اللحاق به .. ذلك لانه من اول عهده بالتصوير قد حافظ على ميالته في دقة الرسم كما يحافظ العابد على عبادته ... وانه لم يظهر الجراة في فنه الا بعد حياة مدرسية طويلة ... »

وخرج محمود سعيد الى المجال العالمي منذ عام ١٩٣٧ ، فاقبل له في تلك السنة معرضان في نيويورك الاول بنادي الهندسين المعماريين لمركن روكفلر ، والثاني في « ستديو جيلد » .. وفي العام نفسه اشترك سعيد في « المعرض الدولي للفنون والزخارف بباريس » ، ونال منه « وسام الشرف » . وكان بذلك المعرض بناء خاص بالفن المصري ، وطلب من محمود سعيد ومحمد ناجي بعض لوحاتهما . وفي العام التالي ١٩٣٨ اشترك سعيد في « بينالي فينيسيا » مع فتاتي ١٨ دولة وهناك عرض لوحته الاسكندرية المشهورة « بنات بحري » .

وفي مارس ١٩٤٢ اقامت له « جماعة الايتالييه بالاسكندرية » اول معرض شامل لاعماله ، كما اقامت له « جماعة الصداقة الفرنسية » عام ١٩٤٥ معرضا خاصا .. وكانت تلك الفترة فيما بين ١٩٣٧ - ١٩٤٧ مرحلة اخرى اتقيا فيها الفنان من الرمز الى التعبير المباشر ، واستقر اتجاهه في الاسلوب والموضوع ، وظل يسود فنه ايضا الاهتمام بتصوير الطبيعة والاشخاص .. وخرجت في تلك الاعوام لوحاته : الزاوية الصيادون في رشيد ، شيخ بصلي ، خليج السلام ، مرسى مطروح ، قناة السويس ، ذات الحلق اللؤلؤي ، الريح طيبة وغيرها .

قبرص بعد العاصفة الخ .. لم يستطع الفنان ان يزواج بين الفن الذي ولد معه واستحوذ على نفسه ، وبين الوظيفة التي تعينه على العيش ، فاعتزل الوظائف في ابريل ١٩٤٧ وكان في الخمسين من عمره ، قبل اغلاق المحاكم المختلطة بسنتين ، وقد بلغ منصب المستشار .. وهنا تفرغ للفن وحده .. واتيح منذ ذلك العام نحو مئة لوحة جديدة التي جانب عضويته في لجان الفنون وهيئاته ومناخه .. وفي عام ١٩٤٩ اشترك محمود سعيد في « معرض مصر - فرنسا » بمتحف اللوفر بباريس ومعه بعض الفنانين العرب . وكان الاعلان عن المعرض صورة افتاتون مستوحاة من تمثاله ..

وفي ١٩٥٠ عرض بعض لوحاته في « بينالي الدولي للفنون بفينيسيا » .. (وفي بينالي فينيسيا اشترك محمود سعيد في الاعوام ١٩٣٨ و ١٩٥٠ و ١٩٥٢ ، و ١٩٥٤) .. وفي العام نفسه ١٩٥٠ عرض مع « جماعة محبي الفنون بالقاهرة » في قاعة الجمعية الزراعية بالقاهرة .. وفي معرض « اليونكو » للفنانين العرب ببيروت .

وفي ١٩٥١ عرض لمحمود سعيد « سراي الجزيرة بالقاهرة » ١٤٥ لوحة مختارة من انتاجه خلال حياته الفنية السابقة ..

وفي يناير ١٩٥١ منحتة الجمهورية الفرنسية وسام « اللجيون دونير » تسلمه في حفل بالقتصالية الفرنسية بالاسكندرية تقديرا لفنه ، واعترافا بخدماته القضائية المقرنة بالنزاهة والعدل ..

وظلت صورته تشاهد بعد ذلك في المعارض الدولية : في « بينالي فينيسيا » ١٩٥٢ وفي كل من « معرض الفن الحديث » بالخرطوم ، و « معرض الربيع » بالقاهرة ١٩٥٣ . وفي « بينالي فينيسيا » للمرة الرابعة ١٩٥٤ .. وفي معرض الفن بموسكو ١٩٥٨ ..

وفي ٢٦ يولييه ١٩٦٠ في عيد الثورة الثامن للجمهورية العربية المتحدة نال محمود سعيد جائزة الدولة التقديرية للفنون من يد الرئيس جمال عبد الناصر .. واقبل له في تلك المناسبة معرض شامل احتوى على ١٢٠ لوحة مختارة تمثل تطور فنه ، وافتتحه محافظ الاسكندرية في « متحف الفنون » بالشر ..

ولم تقتصر جهود محمود سعيد على انتاج تلك الثروة الفنية من الصور الخالدة التي سجلت الكثير من مظاهر الحياة الشرقية في عصره ، والكثير من صور الجمال الطبيعي في وطنه ، وكان فنه دعاية حسنة للفن الشرقي والفنان العربي في شتى اقطار العالم .. فان حياته كانت ايضا مقسمة على الخدمة العامة - فالى جانب خدماته العمالية في انتاجه للقانونية اكثر من ربع قرن ، كان عام ١٩٢٧ عضوا في « اللجنة الاستشارية للفنون الجميلة » ..

وكان منذ ١٩٣٧ عضوا في « اللجنة الاستشارية لمتحف الفنون بالاسكندرية » ، وظل بها لآخر حياته .. وكان نائبا لرئيس « اللجنة الاستشارية للفنون بمصر » عام ١٩٥٠ (وكان يرأسها محمود خليل) .. واختير عام ١٩٥٦ عضوا بالمجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب بالقاهرة . ومقررا للجنة الفنون التشكيلية ، وعضوا بلجنة الفنتيين (المعارض والمتاحف ونحوها) ، ولجنة التفرغ .. ولكنه لاسباب صحية طرأت عليه في من الستين، استقال عام ١٩٥٧ من معظم تلك اللجان وتفرغ للتصوير وحده ..

واستطاع عام ١٩٦٢ ان يحقق رغبة قديمة في نفسه ، فارتحل الى بلاد اليونان وجزرها حيث قضى سنة اسابيع متنقلا بين الانار والاطلال وجزائر بحر ايجه ، ومصورا الكثير من المناظر ، وسجلا المذكرات و«المودات الاسكشتات» والرسوم التخطيطية ، التي استكمل بناءها حين عاد الى الاسكندرية ..

ومحمود سعيد الانسان ، رجل دمث الخلق ، على كثير من النزاهة والحياء والتواضع ، ووب أسرة مثالي ، يميل الى التفرد في صومعته وفي هياكل الطبيعة ، ليتأمل

ويدرس ويصور .. وكان الى جانب ثقافته القانونية ، يقرأ الكتب المختصة بالفنون ، وحياة عابقتها ، ويدرس الآثار القديمة ويتنقل بين الشرق والغرب لرؤيتها أو تصويرها .. كما كان يقرأ الكتب الأدبية وبخاصة القصص العالي ..

وأذكر من احاديثه الخاصة هذه الشذرات : « لحياء كل منا ادوار ومراحل له في كل منها ما يهيمه وما لا يهيمه .. وهناك اعمال فرغ منها عبر عنها ولا يعود اليها .. وانني اذا رجعت اليوم لأؤدي ما عملته منذ ثلاثين سنة فأنما أكرر ذاتي ، اذ ليس الانسان بالشخصية الجامدة المتوقفة .. ولقد كنت مثلاً في سن العشرين اثنا عشر ، ثم حدث في حياتي ما جعلني اتفائل .. ومن المحال ان تظل الشخصية على وتيرة واحدة ، بل هناك تغير مستمر وتطور وتقدم .. وأرى ان هناك ازدواجاً في الطبيعة الإنسانية ، وانه ليس هناك خير محض ولا شر محض ، ولا رقي مطلق ولا انحطاط تام .. واني اعد قصص ديسوتوفسكي من قسم الادب الحديث لانه عرف كيف يحل الطبيعة البشرية ، ويكشف عن دخالها وعن متناقضاتها. وقد كان له مقلدون بعده بل ومن قبله ، ولكنهم لم يواو الى قمته ».

« والفن المعاصر في نظري هو المعاصر لجميع الاجيال .. وطبيعته تستدعي الحاجة اليه ، وتقل الحاجة اليه دائمة ابدية .. فالقيم المعينة الحياة لها طبيعة الخلود خذ مثلاً معبد « ابو سنبل » ومعبد « البار الحصري » بالاقصر ، واكروبول اثينا فانها من الاعمال التي لم يفصل مر العصور من جديتها وعظمتها .. حتى في الكهوف والمقابر تجد فيها احيانا الحياة والجدّة لان بها تعبير وبها صفات تستدعي البقاء .. ولكن هناك ايضا اعمالاً وقيمة طارئة تنتهي بعد حين قصير ، اذ تموزها صفات الفن الخالد .. »

ثم قال لي : « ان أساس الفنون على وجه عام هو كفاح الانسان وادارته ، كفاحه لمأساته الكبرى ، فهو ليس بدائم وهو سيموت .. والفن وسيلة لتكون رحلته فسي الدنيا ذات اثر دائم ، انه صراع بين الانسان وبين شعوره بالموت صراع بين قصر الحياة ، وارادة البقاء وهذا معبد « ابو سنبل » يمثل هذه الإرادة فكان عملاً خالداً » . وقال : « لا اميل الى الفن التجريدي لانه يجرد الانسان من القيم الشكلية . ولكن هناك في بعض الاعمال التجريدية ايقاعاً مدهشاً .. وفيه احيانا تكوين غامض لا يظهر للعين اول وهلة .. ولم أرسم صورة سيربالية أو تكيفية أو مزمنة بل ارجب في التعبير .. وطريقتي فني التصوير صادرة عن طبيعتي ، تبدأ بشيء خيالي غامض ثم يتبلور ويتمدد وينتهي بتحقيق الرغبة التي في نفسي ، وصحيح انه ليس للعمل نهاية ، ولكن يأتي وقت يفصل فيها الى نتيجة .. »

وعندما ابدا في صورة اعمل في كل مرتبط معا ، ثم في طبقات وادوار .. وتسير التطورات نحو كل شامل غير مجزأ .. »

ويقول عن الفن الحديث : « ليس من السهل التحدث عن الفن الحديث في اي بلد معين ، كفن له شخصية مستقلة بين فنون سائر البلدان . فان الحديث عن الفن بعامة ، متأثر الى حد بعيد بدراسات الفنون القديمة ، والنظريات المستحدثة ، في التعبير بالنحت والتصوير .. والواقع ان الفن عامة لا وطن له ، وهو لا يعرف حدوداً ولا قيوداً .. ومن العبث محاولة حصره في اصول محدودة ، او قياسه بمعايير خاصة .. وكل ما ظهر من مدارس او مذاهب في الفن ، لم يقيد الفن نفسه ، وانما كانت اوعافاً لاساليب مختلفة في التعبير الفني . والفن لا ينسب الا الى القطرة .. »

وقال : « عندنا كثيرون من المعاصرين وصلوا الى درجة من الفن والتبوع يقارنون بها بفناني العالم الكبار سواء في التصوير ام في النحت .. وعندنا مثلاً مختار والسجيني وغيرهما .. ولكن من الصعب الحكم على من يعاصرون الان . وختم محمود سعيد - رحمه الله - حديثه بقوله : انه يسأل الله « ان يحفظ له في عمله عينيه وسأفقه كسبي تابع رسالته في فن التصوير . والساقان ضروريان في الحركة « في المسافات ، وفي الاقتراب والابتعاد ... » غير ان المرشد هد قواه وأعجزه عن العمل حتى استراح في دار البقاء في الثامن من ابريل ١٩٦٤ مخلقا أكثر من خمسمائة لوحة فنية واثانة كما سلف .

نقولا يوسف

الاسكندرية

(تمة المنشور في صفحة ٢٩)

شجاده على التشاؤم البادي في البيت الثاني قال على الفور :

بسم كلهم النساء فما أعجب الا من زاهد بالزواج ! وذات يوم شهد في أحد حوانيت القدس سيدة شمطاء قبيحة المنظر ترتدي معطفاً أيقاً فاخراً فتفت من أعماق قلبه بلسان ذلك المطف (المظالم) بقوله :

نزلت ربة الشفاعة بوسا تبكي حلة الحرير الثمين فاشترتها وحالاً لبسها صاحطة: اشلحني اشلحني! وداعب يوماً شيخاً يعلم حسناء اللغة العربية تغفر عليها لفظ (الفساد) فكانت تقول (الدلال) بدلاً من (الضلال) بقوله :

يا ايها الشيخ العليم غادة صعبت عليها (الفساد) في الوالها حل (الفلال) لاهله واتمم بمن سبت العباد بعسها ودلالها لا خير في (عساده) اذا هي بدلت يوماً جميل (دالها) بـ (غلالها) من آثاره القلمية : (١) القراءة للصفار . (٢) كتاب الصرف . (٣) مجموعة اشعار البنات .

البدوي الشم

عنان

القلوب حتى امتلات به ، وجنوا على الناس في كل شأن من شؤونهم وفي كل مرفق من مرافقهم . غير ان النخبة الصالحة من الادباء الاحرار لم تستطع صبرا على هذا البلاء الذي حل بساحتهم كانه الطاعون الاصفر ، ففروا من بلدهم هربا الى ملاذ بلودون به في ارض الله الواسعة . الا ان هربهم لم يكن عن جبن في جبلتهم او حطة في نفوس او وضاعة في خلفهم ، بل هم فعلوا ذلك لعرفانهم حق العرفان ان الطوفان لا بد مرفقهم ومفرق شعبهم قبل ان يكون لهم يد في انتقاذه من محنته ولا سيما والظلام الدامس يهدد القارة الاوروبية بسيل العرم الجديد ، سيل الوباء والدم وعقونة الابادة الجسدية والقضاء على زهرة شعوب باسرها ، لان لونها كذا ودينها كذا ، ولان الدم الازرق لا يجري في عروقها ، او لان اترتها قليلة الاثر في المختبر العلمي الذي يديره الدكتور العالم فلان . هكذا وبكل بساطة وسداجة غبية حقا افنت الملايين والملايين من النفوس البريئة لا لسبب جنته الا لانها جاءت الوجه في فترة الوباء والبلاء والعمى تلك وفي بلد ابتلي بهذه الآفات جميعا .

ولا شك في ان برخت حمل كل هموم شعبه على كاهله وهاجرا ، تحت طائلة الموت ، مجبرا وانتقل من بلد الى آخر ، جريحا ينز قلبه دما ونفسه هما وصدره قيحا ، وهو الذي عرف بالرفقة والطف والباشاشة ، فتحولت هذه السمات اللطيفات الى سخرية عاصفة تشدت كلمسا اشتد الزمان سادة ، وكلما ازداد الشر واقلمت اعمدة الخير الواحدة تلو الاخرى ، واصبحت القيامة على قارب بين الواقع الموضوعي (حيث يعيش الناس في ظل السواستيكا المربع المخيف) وبين المستقبل الذي كان يرئو اليه برخت بحرارة وامل ورجاء . وفي هذا التناقض العاري تكمن عبقرية مسرح برخت ، لانه - اعني المسرح البرختي - تعبير شعبي ملحمي ، ابطاله البشر الاسوياء الاعتاديون الذين يعانون البرحاء معا هم فيه من منساء فيحنون الى عالم غير عالمهم الذي فيه اكثرت جلودهم ووجودهم باسره حتى استحالوا الى قطع يقاد السى المجزرة وهو لا يدري . وهذا المسرح الجديد الذي ينتفي فيه الابطال بالمعنى المعروف من الكلمة ، مسرح هو العالم لانه يناهض الارسطية ووحداها الثلاث ، ويناهض شكسبير واطاله الذين يسكون بتلابيب المشاهد بقوة وعنف . والى هذا اشار احد البرختيين السوربيين حين قال : « اذا كان في العالم شخص استطاع ان يعطي المسرح معانية التوجيهية والشعبية والانسانية .. فهو برتولد برخت . ان برخت يمتاز على شكسبير باختياره ابطال شخصياته من عامة الشعب لا من طبقة الملوك و الامراء الحقيقيين او الاسطوريين . وعندما استعمل كلمة (بطل) بالنسبة لمسرح برخت اخطىء ، لان فكرة البطل غير موجودة عند



يوسف عبد المسيح ثروة

برتولد برخت : العاصفة والبرق

بقلم يوسف عبد المسيح ثروة

للادب الالماني الحي مكانة سامية في الادب الاوربي المعاصر ، ويعود سبب ذلك الى قدرة هذا الادب على معالجة الشؤون الانسانية والوطنية معالجة فيها معاشة حقيقية ، سديتها ولحميتها المشاركة الوجدانية الحارة والاندفاع الواعي في مسايرة روح العصر والمناهضة الجديدة لكل النفايات الفكرية المتحجرة والانظمة المتهرئة المبنية على العاطفية الفوغائية الجوفاء التي اراد الفوهر ان يخلق منها نظاما للعالم الجديد العتيد ، فياد ونظامه بين ليلة وضحاها وظل الادب شامخ الرأس ، عالي الصدر ، رفيع الشان . يتناول سموا ورفعة وقدر على حين دفعت دومة التاريخ بالفوهر واتباعه الى حيث قمامة الظالمين مسن الطفاة المتجبريسن .

ومن الادباء البواسل الذين ناجزوا ذلك الطاغية توماس مان وهنريك مان وفوخثانغر وريمارك وبرتولد برخت ، وكان للاخير القدر الممل في مضمار القراع الفكري الذي اشتد اواره وامتشرى امره وازداد خطبه في طول المانيا وعرضها بعد ان قبض قواد رواد حانات موتنيخ على مقاليد الحكم في بلد هررد وشلر وغوته ، فساموا الناس سوء العذاب واذاقوهم مر الكؤوس دهقا ، واسلموا الكتب للنيران نهارا جهارا وحطمو الارواح وازرققوا النفوس وشئتوا الاسر والعوائل ايادي سبا وبعثوا الربيع في

ادانة للحرب في الادب المسرحي وبخاصة الالمانى منه ، وهل ابقت الصراحة والمكاشفة والمواجهة على شىء من هذه المناظرة بين الامبراطور لوكولوس والمعلم والاول في هذا الصدد يمثل هتلر الرائد الاول لحنات مونخ ويمثل الثاني سائر طبقات الشعب الالمانى .

« لوكولوس : يا لكم من رومانين ! اتفقون تحببة لعدوكم ؟ اني لم اذهب الى الحرب لاجلى ، بل ذهبت تنفيذاً للأوامر . روما هي التي ارسلتني .

المعلم : روما ! روما ! روما ! من هي روما ؟ هل ارسلك البنائون الذين يشيدونها ؟ هل ارسلك الخبازون والصيدون والفلاحون وسائقو الثيران . وعمال البنايين الذين يقدمون لها الغذاء ؟ هل ارسلك الخياطون وعمال الفراء ، والنساجون وحلاقو الخراف الذين يقدمون لها الكساء ؟ هل ارسلك العمال الذين يصقلون الاعمدة ؟ ام ارسلك الملاك وشركات الفضة وتجار الرقيق والبنوك التي تسرقها ؟ (٣) .

اما الجنود الذين ذهبوا ضحايا وقرباين وسالت دماؤهم انهاراً في سبوح الشرق الاوروبي وسهول الغرب فانهم يدينون هتلر ادانة صريحة لا لبس فيها ولا ابهام ويقولون في نفس واحد :

« في رداء اللص ، في البرة التي اغتصبها القتلثة السفاكون سقنا صرعى ، نحن ابناء الشعب . آه اجل ! فلتسلوه للحجيم ! كمثل الذئب ، الذي يتسلل الى الحظيرة ولا يلد له ان يقتل ، قتلنا نحن ايضا في خدمته . آه نعم ، فلتسلوه للعدم . لبيتنا انضمامنا الى صفوف المداغرين ! (٤) » .

وفي موضوع الحرب والمناجزة بمآسيها وكوارثها ومنافعها الاقتصادية لطبقة الطفيليين الذين يمتصون دماء الناس ، سائر الناس باسم القانون في ايام السلم ويرفون هذه الدماء في ايام الحرب باسم القانون ايضا ، في هذا الموضوع كتب بريخت راعته « قصة القروش الثلاثة » وهو في هذه القصة الفريدة النظم الام اجتماعي القائم تقداً ناريا قطعياً ، لان كيانه الاقتصادي بنهار حتما بسبب الازمات المتواليات اذا لم يكن له صمام امان ينفس عن غليانه وغلوته وينفق الفائض من انتاجه وهل صمام الامان سوى الحرب ببشاعتها وقطاعتها وشناعتها ؟ ففي خطاب القاه السيد الدلال وليم كوكس قال : « .. من الذي يشعل الحرب ؟ الجندي ورجل الاعمال... رجل الاعمال هو الذي يجهز السفينة والجندي يبحر فيها . رجل الاعمال انسان واسع الحيلة داهية والجندي بطل لا يشق له غبار ... وفي مصلحة البلاد لا داعي للاهتمام بمشاكل المال وكيفية حلها ... الحكومة تحتاج الى وسائل ومواصلات ونحن نستطيع تجهيزها اذا نحن نعرف كم تكلف ، الحكومة لا تتسوم (معنا) لانها

بريخت ، وشخصيات مسرحياته هي نماذج من شخصيات الحياة فصب واذا كانت الحياة مسرحاً فالانسان هو الممثل فعلا عند بريخت ، بينما يكون البطل هو الممثل عند شكسبير (١) . وهذا الامر نفسه هو الذي حدا بعبد الفتاح الديدي (الكاتب المصري) الى ان يقول « ولا شك ان بريخت قد نجح في اعطاء مفهوم مغاير للمسرح . ولا شك ايضا في انه استطاع ان يمشي بهذا المفهوم الجديد جنباً الى جنب مع مسرحيات ماريفو وشكسبير وهو موجود . واستطاع ان يشير بتقليداته المستحدثة عاصفة من اللقيع العنيف ضد المسرح التقليدي » ولكنه يستدرك فيقول : « وعلى الرغم من انتصاره الى حد كبير ... وعلى الرغم من انه حقق نجاحاً حقيقياً بمسرحه اللحمي الى جانب المسرح التقليدي فانه لم يستطع اقفال الابواب ولو جزئياً في وجه المسرح التقليدي » (٢) .

والخلاص من الايلاط المعروفين ، في المسرحيات الكلاسيكية بعد نفسه عملاً فنياً جديراً بالتقدير والاعجاب لانه افصح في المجال للناس الاعتياديين ليحلوا محل الايلاط الاسطوريين وغير الاسطوريين ، ولانه بهذا العمل لم يفعل ذلك حسب بل جعل النظارة يواجون الصنيع الفني ويدرسونه من طريق الاغراب وقد شرح ذلك الدكتور عبد الغفار مكاوي في ترجمته الممتازة لـ « القاعسدة والاستثناء » و « محاكمة لوكولوس » فقال في مقدمته الزايفة : « الاغراب يجعل الممثل (يرضى) دوره على المتفرجين بدل من الاندماج فيه ، ويخفهم على الدهشة من الواقع الذي يصوره لهم ويدفعهم على تنده والتسوية عليه . » ومن هنا فان نقد الواقع الحي الاجتماعي الذي يتخبط به انسان بريخت هو مفتاح مسرحه وادبه بأسرها ، وهو المسار الذي ينبغي تلمسه ذهنياً في جميع ما كتبه سواء في المسرح ام في الفن المسرحي ام في القصة . والنقد متى ما اشد ساعده تحول الى ضربين : احدهما هدام يقتلع الجذور الفاسدة المتهرئة كالعاصفة ، والثاني نور يكشف القالبق يساعداً على رؤية ادق العواطف والمشاعر الانسانية بلطف ولين وتؤدة . وطبعي ان تكون السخرية العارمة محور النقد الهدام ، الذي عدل بريخت على موله للقيام بواجبه الاول في وجه اوروبا البليدة التي قضت على ابنائها البريرة في حربين لعنتين ، بل آفتين اكاليتين بين نهاية الاولى وبداية الثانية احسدى وعشرون سنة وحسب . وقد كان لسخريته هذه اثرها الفعال في هز النفوس من هجمتها شبه المميتة واتسار كوامن الخواطر وشحذ الهمم لصب الغضب المقدس على الحرب ودعاتها ومموليها وكشف زيف المجتمع الذي لا يقدر على حل مشاكله الاقتصادية والسياسية بغير الحرب التي هي تمة او تكملة للخطى السياسية المعروفة ولكن بأسلوب اخر كما قال عالم الحرب الالمانى كلاوتزه في كتابه « الحرب » : وهل اردوع من محاكمة « لوكولوس »

العوبة بيد المشعوذين والدجالين من الشعراء والكهنة اليونانيين في معبد دلفي وما سواه من معابد وهياكل ، بل هي القوة الاقتصادية ، هي الربح المادي المعروف المحض ، ولذلك يقول المجرم البطل ماركيت المعروف (بالسكين) : « ليس من شيء غير الربح المادي ... ان البشر هم بشر وليسوا ملائكة والقوي منهم يقبل الضعيف وهذه سنة الطبيعة . » وهذا البطل هو القاتل بفضب وعنف عندما واجه احدي شقيقاته المدعوة فاني : « لماذا يحاول كل الناس ان يخدموني ؟ انا اعمل ما يوسمي لاصح محترما ، واحاول الابتعاد عن استعمال العنف وانا احاول كذلك ان اسابر القانون ، انني ارفض ماضي . وساعدت عقد زواج رايح مفيد ... لكنهم يرشدون ان يسلبوني اشيائي » .

اما فيلسوف « قصة القروش الثلاثة » بطل المؤامرات والمغامرات والتاجر بالعاهات الكاذبة ، وصديق الشاذين والفلسين والاغنياء المترفين ، وخدين الحكام المختلين المتلاعبين بارواح البشر ، فانه « يفلسف » الحرب باللوب طبيعي هادي ، كانه عالم طبيعي يصف ظاهرة طبيعية اعتيادية من الظواهر التي اعتاد على وصفها كثيرا فيقول : « الحروب والاعاصير والزلازل ومشاريع الاعمال ، والمجاعات كلها امور لا يمكن تجنبها . وكل من يعرف الطبيعة الانسانية يعرف ايضا ان جهاد الانسان مقضى عليه بالخيانة والافخاق . وهذا ما يقول به الكتاب المقدس كذلك وهو ما ينبغي ان يفارق ذهننا ابدا . » ثم يستطرد ببرودة الممود قتالا : « ليس في استطاعة ايقاف المراء ايقاف الحروب كما ليس في استطاعة ايقاف الازمات . فحين نتعدم القادة من تشغيل الناس ينفي ويمهم الى الشوارع والارقة » .

والحرب واستغلالها اقتصاديا هما ليسا موضوع مسرحية « القاعدة والاستثناء » كما هي الحال مع « قصة القروش الثلاثة » لكن يمكن رؤيتهما عن بعد ، لان المنافسة الاقتصادية هي التي دفعت بكارل لانجمان الى ان يعبر احدي الصحاري الهندية ليسبق منافسيه الى الحصول على امتياز البترول ، وهذه المنافسة هي تمهيد طبيعي للحرب . وفي هذه المسرحية نجد العدالة تنتصر لاصحابها (الشرعيين) ومن هم هؤلاء الاصحاب الشرعيون غير

تعرف ان المال سيبقى في هذا البلد (٥) . هذه سخريه باردة قتالة تنبئك بالف خير وخبر وتكفيك عن تلمس المعنى العميق لان الوضوح الصريح مائل امامك لا يومئ ولا يشير ، انما مجرد مثوله امامك كاف لمعرفة العلة والمعلول في ارتباط دهائين المال برباب السياسة ومن ثم الحرب واناغيها ، واذا ما تذكرنا ان هذه القصة تحدثت عن حرب « البوير » في مطلع القرن العشرين لكفانا ذلك مشقة الاستزادة من المعلومات عن الحروب ، اذا ما قيست الحرب تلك بالحربين العالميتين الاولى والثانية . ومما له دلالة الخاصة ما جاء في القصة الانفة الذكر عن قادة رجال المال الذين يمولون الحروب ويدفعون للناس زرافات وحذانا الى اتونها فقد ورد فيها : « ثمة اناس قادرون على عدم التأثر بصورة قطعية بمشاعر الآخرين ، وهم يستطيعون الابتعاد عن واقعة الحياة ، والجرير بافكارهم بحرية وصراحة بغير اعتبار للزمان والمكان . اناس مثل هؤلاء ولدوا ليكونوا قادة . » وطبعي ان ينطبق هذا الوصف على قادة الحرب ومشغلي فتائلها والذائدين عن حيائز جرائمها ومن دار في مدارهم .

اما الاعداد للحرب والعمل جهد الطاقة على اشغالها ابتغاء السحت الحرام فقد اوضحهما بيرى (احد أبطال قصة القروش الثلاثة) بقوله : « علينا ان نعمل جاهدين على اشغال الحرب ففي اشغالها فرص غير محدودة لاكتناز المال وتوفيره .. ستجري حركات غير متوقعة اطلاقا وما عليكم الا ان تستفيدوا منها القادة الصحيحة لتصبحوا من اصحاب الملايين . » ولا شك في ان السبب الرئيسي للحرب هو المنافسة الاقتصادية فيما بين الدول المتقدمة من جهة وبين تلك والدول الناهضة المتطلعة الى النور والحرية ، وهذه المنافسة هي جوهر فلسفة الكون على ما تذهب اليه « قصة القروش الثلاثة » على لسان فيكومبي حيث يقول : (ان تطور الحياة باسرها على كوكبنا هذا يمكن تفسيره بكلمة واحدة : المنافسة » ومن هنا فالنقاء محتم على البشر ذلك « بان النقاء شامل للكون كله . وهو الحالة الطبيعية لمجريات الامور . العالم شقي تماما كالشجرة حين تكون خضراء » و « ذوو العاهات والمتعقدون والنفائات المهجورون يريدون قبل كل شيء زيادة عددهم . ذلك بان النعاسة تمتلك دائما غريزة لا تقاوم من اجل الانتشار والذيوغ » والبطة بولي تحدث عن فلسفة ايها السيد بيتشوم فتقول : « طبعاً هو يعرف ان الفنى هو الوجه الثاني من الفقر فما اغثنى احد الا من فقر غيره » وزوجها السيد ماركيت (السكين) يعلل الحياة باسرها بقوله : « الرجل المريض يموت والقوي يبقى يصارع . هذه هي الحياة . » ومما يقوله بهذا الشأن ايضا : « ان الضعيف هو الخائف ، وعليه ستدور عجلة القدر وبعد ان تهشم وتحطم تمضي في سبيلها ... » وليست هذه العجلة هي بمحلة القدر الغيبية التي كانت

(١) حول المسرحين الشعبي والتوجيهي بقلم شريف خزنداد - مجلة المعرفة السورية ع ٢٤ سنة ١٩٦٤ (٢) مسرح بريخت - مجلة الثقافة القاهرة ع ٩٥ سنة ١٩٦٥ ، (٣) ، (٤) (الاستثناء والقاعدة ومحاكمة لوكولوس) ترجمة الدكتور عبد الغفار الكاوي . (٥) قصة القروش الثلاثة : برنولد بريخت ، ومن المؤلف الا ترجم هذه القصة الى العربية حتى الان . (٦) و (٧) «القاعدة والاستثناء ومحاكمة لوكولوس» ترجمة الدكتور عبد القادر مكاوي. (٨) انا مدني في هذا الراي الى ديز موند . اي فيزي مترجم المسرحية من الالمانية .

اصحاب الكلمة والنفوذ والمال والجاه ؟ ومن غيرهم من سواد الناس غير بضاعة تشرى وتباع تبعا لقانون العرض والطلب في سوق النخاسة الاقتصادية ، وكيف لا يكون الامر كذلك والقاضي العادل يقول : « الحق ان الاجير ينتمي الى طبقة من الناس تحس دائما انها مظلومة ومهضومة الجانب . فلم يغيب عنه ، وله الحق ، انه لن يحصل على نصيبه من الماء ما لم يقتصبه بالوقفة . بل اني اذهب ابعده من هذا فاقول ان هذا النوع من الناس ضيق الافق محدود التفكير ... انهم لا يرون ابعده من انوفهم ولا بد ان الاجير كان يرى ان انتقامه من جلاده امر طبيعي لا غبار عليه .. ان التاجر من طبقة غير طبقة ... فمن الطبيعي ان ينتظر خيرا من جانب الاجير بعد ان عامله ، على حد قوله ، معاملة وحشية وهذا تفكيره الى ان هناك خطرا محققا يتهدد به وخطو الصحراء من اي اثر للانسان قد مالا قلبه ذعرا فلا يوليس هناك ولا محاكم ... من هذا يتبين ان التهم كان في حالة دفاع مشروع عسى النفس (٦) » . وهكذا برئت ساحة القاتل من مسؤولية القتل بالشك الذي هو باب اليقين ورفضت الدعوى المرفوعة من زوج القاتل ، لانها لا تستقيم ومنطق العدالة المبني على اساس تساوي الفرص بين المدي والمُدعى عليه . ومن هنا (فالقاعدة) هي الظلم و (الاستثناء) هو العدل ، فالخير شيء لا يمكن الا ان يساء فهمه من قبل المستغلين المتنفذين وبخاصة اذا ما قديمه ضغفان من سواد الناس ، كرماء طبيعتهم ، يساء لا يفرقون بين جلادهم ومستغليهم ، وبين اخوانهم في انسانيتهم المماناة ، وهذه البلاهة الساذجة الزعناء هي التي تحول المبادئ التي هي « القاعدة والاستثناء » على القول مخاطبين النظارة والمتفرجين :

« لا تقبلوا العادة المتوارثة على ما هي عليه ، بل فتشوا عن وجه الضرورة فيها . نحن نناشدكم على الدوام الا تقولوا (هذا طبيعي) .. ففي زمن يسوده الاضطراب وتسيل فيه الدماء ، ويدين بالفوضى ، ويقوم العسف والطغيان في مقام القانون ، وتفقد الانسانية انسانيتها ، لا ينبغي لكم ان تقولوا (امر طبيعي) حتى لا يستعصى شيء على التغيير والتبديل (٧) » . اليس هذا النداء الذي صدر عن بريخت نداء عجيبا ، ذلك بانه صدر في سنة ١٩٣٠ وجاءت الاشتراكية الوطنية ، العاصفة بكل القيم الى الحكم في سنة ١٩٣٣ . وكان ما كان من امس الالمان وما اتقنوا به من نيران احرقت الحرث والنسل وابتلعت عشرة ملايين منهم تنفيذا لنزوة الطاغية .

اما مسرحية « اوبرا القروش الثلاثة » فهي تحلو جذو « اوبرا الشحاذ » لجون فاي الكاتب المسرحي الانكليزي المعروف ، وقد كتبت تلك المسرحية قبل اكثر من قرنين من الزمن . لم يغير بريخت حتى اسماء الشخصيات لكنه وسع الدلالات والرموز وذلك من طريق عرض المفاهيم

البرجوازية عرضا لم يقتصر على مضامينها حسب بل الطريقة التي عرضت بها ايضا (٨) . والمسرحية هذه ضرب من اليجاز يلخص الحياة تلخيصا يريد المسرحج مشاهدته ، انه لا يشاهد الاشياء التي يرغب في مشاهدتها حسب بل هو يشاهد الاشياء التي لا يريد ان يواجهها ايضا ، ومن هنا فهو يرى رغباته في حيز الصيرورة واليجاز ، ويراهم معرضة لتفادع مر كذلك ، وهذا النقد هو القوة الدينامية السحرية التي هي عصا الساحر بيد بريخت الساحر الآخر . و (البطل) الرئيس في المسرحية هو نفسه (بطل) « قصة القروش الثلاثة » السيد جونانان بيتشوم ، وهو انسان وغد لا شك في ذلك ، وهو كذلك في عرف المسرح القديم ايضا . اما جريته الرئيسية فتكمن في فهمه للعالم بصفتها قوة معتمدة لا هم لها غير ايقاع الشر وانزال الضرر بابناء البشر ، ولذا فهو يعد العاتبة بضاعة من البضائع يستغلها لآمره الخاصة . ولما كان العالم شرا محققا بنا جميعا فلا بد من التوجس منه والابتعاد عنه وكلا الامرين سبب من اسباب الخوف الذي يسيطر على نفسية بيتشوم سيطرة تامة ، ومن هنا نرى ابتعاده عن العمل واقتصره على الاحراف على العاملين لديه . اما صوره ماكهيت ، قاطع الطرق المعروف ، والمجرم العائد ، فهو يمثل خسر تمثيل النفسية البرجوازية ، مع فارق واحد هو ان قاطع الطرق لا يعرف عادة معنى من معاني الخوف . وماكهيت هذا مسيطر سيطرة كلية على اعصابه فتراه يقتل ببرود عجيب وفرادى يمثل اتعاب اتباعه من العصابة استغلا لا يشبه الملاحقة من غير اهتمام بعصائره وقد يدفع بعضهم الى الموت ببسر وسهولة كما يدفع بالآخرين الى السجن وكأنه يدعهم الى وليمة . وهذا التناقض بين نفسيته بيتشوم وصوره ماكهيت هو تناقض بين الخوف الرعدي الذي يمثله الحمى والجرأة الوقحة الباردة التي يمثلهما الصبر . وعلى اساس هذا التناقض الدينامي بنى بريخت مسرحيته الشامخة « اوبرا القروش الثلاثة » . وليس ادل من خوف بيتشوم من تقلبات الزمن من قوله وهو يحاور بنته بولي : « بيتشوم ، طبعاً ، والدك العجوز محق ، العالم فقير والناس اشرار ... قد يكون اخوك محبا لك ، لكن ما ان ينقطع رفدك عنه حتى يجتثك من مكانك . قد تكون زوجتك خفية بك محبة لك ، الا ان حبك ان لم يفدها في شيء اقلعتك من موضعك . قد يكون اولادك متعلقين بك ، لكنهم ، اذا ما قطعت عنهم المونة قطعوا عنك سبيل الحياة » . ويضيف بيتشوم الى ذلك قائلا : « العالم فقير والناس اشرار ، آه لو كنا صالحين ولم تكن طالحين لكن هذه الدنيا العجوز ليست اما صالحة » .

بغداد

يوسف عبد المسبح ثروة

الاضواء الباهرة تتلألأ في كل مكان ..
في ليلة رأس السنة ، العالم كله
يرقص منتشيا على نغمات موسيقى
حالة نبعث من كل صوب ومكان ،
والسماة من بعيد تتشبع ببعض
الحب ، والاضواء الزاهية تترافق
على صفحة بردى الساحر ، وئمة فرحة
طاغية تغمر النفوس ثم تنعكس على
الوجوه وتترافق على الشفاه ، انها
ليلة العيد ، عيد رأس السنة .. ليلة
فرحة .. حينما تدق الساعة اثنتي
عشرة دقة سينصلت من عمر العالم
عام اخر لينضم الى قائمة السنين
التي طواها الزمن ، وهناك سؤال
حائر يضارب في كل خاطر ، وبلغ
على كل مخيلة ترى ماذا يحمل العام
الجديد ؟ ...

وانا قابع في سيارة تاكسي انيقة
تشق بي شوارع دمشق التي احتشدت
بها الجموع الصاخبة تشهد بفتوح
العالم على مولد العام الجديد .. وفي
جيب سترتي اليمنى علبة انيقة تضم
التم سوار في المدينة من اشهر محل
في البلد كله .

لقد استطعت بأعجوبة ان اخفيها
عن اعين زوجتي الطيبة ، ظلت اتقلها
من جيب الى اخرى ، ومن درج
الكتب الى درج (الكومودينا) ..
الى درج المكتبة .. الى .. الى ..
حتى استطعت اخيرا ان اواربها عن
عينها . وعندما وقت اودعها قبل
ان اخرج من المنزل كانت تبضات
قلبي تتسارع كأنما كنت اخشى ان
تطل العلية من جيبى لتفضح سري ،
وتخبر زوجتي الطيبة اني ذاهب
الى الموعد مع ...

وكان في عيني زوجتي في تلك
اللحظة نظرة غريبة ، تمزج فيها
النشوة بالتساؤل ، ولكنه كان تساؤلا
صامتا . وعندما وقت اقبلها قبلتي
الباردة قبل ان اغادر المنزل ، كنت
احاول ان ابتعد بنصفي الاسفل عنها
حتى لا يصطدم جسدها بذلك الشيء
القاسي الذي يتربع في جيب سترتي .
وتلقت زوجتي قبلتي الباردة فسي

صمت ، ثم لما افلتتها من ذراعي قالت
لي وهي توملني الى الباب :

— حاول الا تتأخر .. ساضل
ساهرة بانتظارك ..

فاستدردت اليها وبدي تمسك
بالعلبة الفضية ، وقلت وانا اربط
على كفها بيدي الثانية :

— لا تزعجي نفسك يا حبيبتي ..
قد اتأخر قليلا .. فالفضية كما
قلت لك جد مستعجلة ، ويجب ان
انتهي منها في هذه الليلة ..
— ولكن ..

ولم تكمل زوجتي سؤالها ، فقد
كنت قد استدردت مسرعا نحو الباب
لكن كلمتها استوقفتني ، فوقفت



بقلم وليد قصاب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhril.com

عند الباب وقد وضعت نظفي اليمين
خارج المنزل ، ثم واجهتها وسالت :

— ولكن ماذا ؟ ..
وترددت لحظة ثم قالت : — انها

ليلة العيد ..
واسكتت لحظة ، ثم اكملت

عبارتها :
— ليلة فرحة .. ويجب ان نحفل

بها ..
وتذكرت فجأة كأنما كنت قد

نسيت ، انها حقاً ليلة العيد .. عيد
رأس السنة ، ومع ذلك فانا اكاد
انطلق من المنزل حتى بدون كلمة
حلوله اهمس بها في اذن زوجتي بهذه



المناسبة ، وتذكرت العلية ايضا ،
والسوار الثمين الذي فيها ، فشدت
اصابعي الضغط عليها كأنما كنت
اخشى ان تغير ، ثم طوقت زوجتي
بذراع واحدة ، وطبعت على جبينها
قبلة باردة وقلت اعتذر :

— عدم المؤاخذه يا حبيبتي ..
لقد كنت انسى .. انها حقاً ليلة
العيد .. ولا بد لي من ان اقدم لك
التهنئة بهذه المناسبة السعيدة ،
وارجو ان تكون ايام عامك كلها فرحة
وسعادة واشراق ..

واينسمت زوجتي بحزن مسالم ،
ثم اطرقت براسها الى الارض ،
وعندما تطلعت اليها قبل ان اغادر
المنزل ، كان ظاهرا بوضوح انها
تطلب شيئا ، ولكنها لم تحاول ان
تفصح عنه في اول الامر ، وعندما
سالتها :

— هل تريدن شيئا يا حبيبتي
قبل ان اخرج ؟

ترددت لحظة قبل ان تقول :

— اليس من هدية في رأس السنة؟
ولست ادري لماذا خيل الي
لحظتك ان الاشياء بمكنتها ان تتحدث
في كثير من الاحيان لتفصح اسرار
الانسان . خيل الي ان العلية تطل
براسها من جيبى اليمنى لتخبر
زوجتي كل شيء ، على الرغم من
ان يدي كانت تقبض على العلية في
قسوة ، وكان جنبي الايمن كله
متواريا خلف الباب ، الا انه قد
خطر لي ان زوجتي تستطيع ان ترى
العلبة ، ومن ثم فانها تعرف انسي
انطلق الى ..

تلعمت افكاري ، لم ادر بماذا
اجيبها ، ولكنها قطعت علي حيرتي
وتبلبلت افكاري بضحكة مرحة
اطلقها ، ثم قالت في بساطة الطفل :
— لا عليك اني امح .. ان خير
هدية تقدمها الي .. هي الا تتأخر
على بالعودة .. فعضضت شفتي ،
ولم اقل شيئا ، وانطلقت الى الشارع ،
ثم القيت بنفسي في سيارة انيقة
واعطيت السائق عنوانا . جعلت

الى حانة

في صمت هذا السلق العقيم
ميناؤه .. في أيديهم
لصحة الدرب .. ولم يلجم

انقمتين منه ؟ .. لا تلقى
غدا لنا .. زوارق المومس
وتترك العلقم .. للعلقم
يفرنا بوجه الله
والشمس .. والأوراق .. والمرسم

لرؤية الليل .. ونستلمى
الجذاب .. في أفعاله المؤلم
فوق الدجى والريح .. والاتجم

فكسري .. فكسري فقمسى

ادوار الزغب

باهتة العينين ! .. لا تحلمى
زورقنا المبهم ... مفسورة
في أيدي يركض ... لا يقف

لا تكسري الجذاب .. في وجهه
ديعه للرميل ... فما هنا ؟
يحلنا الطيب .. الى داره
غدا على السطح .. شعاع الضحى
وتكفى .. لا شيء غير المدى

مصفرة الاجلجان ! .. لا تدمعى
هالك يدي - هاتي يدك - اركبي
نغير فوق الريح .. للتمهى

ليبية الحلم ! .. اتنا مارد

انطلق من زجاج السيارة ، كانت
المدينة الكبيرة تموج بأضواء الفرحة ،
والوجوه الباسمة ، والأشياء الجديدة
في كل مكان ، والأزدحام في الشوارع
على أشده ، وحركة المرور متوقفة
في أكثر من شارع ، ومع ذلك فقد
كنت ألح على السائق أن يسرع ، فإن
الموعد يكاد يفوتني ، وثمة صورة
جميلة تطل علي من خلال الأضواء
الباهرة والجموع المحتشدة ، انها
صورة (مزين) تلك المرأة الساحرة
التي تعرفت عليها من ثلاثة أيام فقط ،
ومع ذلك فقد استطاعت أن تغلبني
بإبتسامتها الساحرة ، وقامت بها
الملقوفة ، وعينها الرماديتين -
الضافيتين ، حتى انني نسيته زوجتي
وولدي ، وما كنت أقبض رأيتي في
نهاية الشهر حتى أسرعرت الى أشهر
محل في البلد كله ، بعد ان استدنت
فوق مربتي ميلفا آخر لاشترى لها
هذه الهدية الغالية التي أحملها الان
في جيبى ، وأسرع بها اليها ...
تحسنت بيدي العلية الثمينة ، ثم
أخرجتها من جيبى وفتحتها ، وورحت
أطلع الى السوار الجميل بأعجاب ..
انه تحفة .. تحفة نادرة .. وانني
لأنصو تلك الفرحة التي تستغمر وجه
(مزين) حينما امسك بيده البضة ،
لاضع في معصمها السوار الذهبي ..
عصفت بقلبي الفرحة انا الآخر ،
فقطعت الى الساعة ، ثم وضعت
يدي على كتف السائق الديدس ،
وقلت استحقه :

- أسرع أرجوك .. انني مريض
بمعد هام .. والوقت يكاد يفوتني ..
فألتفت السائق الي ، ورمقتني
بحدة ، ثم قال لي في شيء من اللفظة :
- لقدقلت لك ان الطريق مزدحمة
جدا بالمارة .. ولا يمكنني ان أزيد
السرعة أكثر من ذلك .. لان هذا
يخالف لوائح المرور من ناحية ،
بالإضافة الى انه يعرض حياة المارة
للخطر ...

ولكنني لم أحفل بقول السائق ،
وعندما اجتزنا منطقة الأزدحام ،

علبة انيقة غالية الثمن ..
في اليوم الثاني عندما حضرت
زوجتي لتزورني في المستشفى كنت
في حالة انغماء فلم أشعر بدخولها ..
ولكن عندما فُتحت عيني بعد ذلك ،
كان باب الغرفة مشقوقا ، ومن خلال
الباب ، لمحت زوجتي ، كانت تقف
مع الممرضة ، وكانت الممرضة
تقول لها :

- امس مساء في حوالي الثامنة
وقع الحادث .. وقد نقل الى
المشفى على اثره ..

اما زوجتي الطيبة فقد كانت دمة
حزينة تنحدر على وجنتها الشاحبة ،
وكانت تمسك في يدها بتلك العلية
الثمينة والى جانبها وقف ولدي
الصغير (منذر) يتطلع الى امه في
دهشة وتساؤل ، ثم رأيتة يشير الى
العلبة ويسألها : - ماهذا يا امه ؟
ومسحت زوجتي دمة انحدرت
الى وجنتها ثم أجابته بصوت حزين :
- انها هدية أحضرها لي والدك
امس ليلة العيد ...

وليد قصاب

دمشق

وضعت يدي ثانية على كتف السائق ،
وقلت له في حدة :
- قالت لك أسرع أرجوك .. لقد
اجتزنا منطقة الأزدحام ..
فألتفت السائق الطيب في عيني
المرة .. أطلق لي الجوارح ..
فمضت السيارة تشق بنا شوارع
دمشق المزدحمة كأنها الهم الماروق ..
ولكن .. حدث فجأة .. ان برزت
سيارة من أحد المنطفات .. صرخ
السائق بجزع .. ثم أحسست بعد
ذلك بصدمة قوية اهتز لها جسدي
كله من الفرع حتى القدم ، ثم شعرت
بحالة انغماء شديدة ، ولغني بعدها
ظلام قائم ...

عندما فتحت عيني كانت الام عنيقة
تضع يداي اليمنى ، فيهنز لها
جسدي كله ، فأحس اني اترشح
تحتها في أعباء ميت ، وعندما
تطلعت الى ساعة الحائط ، كانت
عقاربها تشير الى الثانية عشرة عند
منتصف الليل وبعد لحظة ، دقت
انثني عشرة دقة رتيبة متتابعة ...
كنت وحيدا في الغرفة ، والى جانبي
كانت طاولة صغيرة ، وضعت عليها

مكتبة الاديب



حديث عيسى بن هشام

تأليف محمد المولحي ؟ - صفحة - مطبعة (؟)

من هو محمد المولحي؟ مؤلف حديث عيسى بن هشام هو محمد المولحي، ويجب ان لا نخلط بينه وبين ابيه ابراهيم المولحي. ويلفتي الانتان : الوالد والولد في انهما اشتركا في تحرير جريدة « معيان الشرق » التي انشأها الاب في اواخر القرن الماضي . وهي الجريدة الاديبية السياسية التي كان لها حظ ظهور كتاب حديث عيسى بن هشام على هيئة فصول متتابعة . فقد كانت العادة حينذاك ان ينشر الادباء كتبهم مسلسلة في الصحف ، ثم يجمعوها بعد ذلك بين دفتي كتاب . ولم يكن هذا غريبا ولا عجيبا ، فقد نشر محمود طاهر حتى روايته « عذراء دنشواي » متتابعة في صحيفة ، ثم نشرها مستقلة بعد ذلك ، وكذلك فعل اكثر الكتاب في ذلك العهد ، بل ان ابراهيم المولحي الوالد قد نشر كتابه « امرأة العالم ، او حديث موسى بن عصام » متتابعة فسي « امرأة الشرق » .

ولقد كان محمد المولحي من ابناء الذوات في فترة ذلك العصر ، فاسرته عربية بارزة ظهرت في ميادين التجارة والسياسة والادب ، وقد كان عبد السلام المولحي احد افرادها ، من عظمى الحياة النابية في مصر ، وان كانوا جميعا يستقلون بظل الاسرة التي حكمت البلاد ، فقد كان الجد الاعلى لمحمد المولحي كاتب سر لمحمد علي ، كما كان في ذلك الوقت نفسه سر نجار القاهرة . وترجع نسبة هذه الاسرة الى مدينة « مولى » ، وهي احد الثغور الواقعة على البحر الاحمر في شيبه جزيرة العرب ، وكان مقامها في الاصل هناك ، وفي عهد محمد علي وقد جدوا الاعلى الى مصر ، وزاول فيها التجارة على مقياس واسع ، وساعده الحظ ، ففجع من التجارة ثروة طائلة ، واتصل بولاة مصر .

وكان هو واولاده من القريين اليهم . وعلى الرغم من هذه النشأة اليسيرة فقد كان لكثير من افراد هذا البيت نزعة شديدة الى الاصلاح والعدل ، وحكم البلاد على اساس سيطرة خالية من التسليطة والاستبداد . ولهذا ما كانت الثورة العربية تشب نارها حتى رأينا المولحي الاب يشترك فيها ، فلما اخفقت بمساقلته فيها الخيانة - عزل من وظيفته مع من عزلوا من مناصبهم ، وآر الهجرة الى اوروبا ، ولحق به ولده محمد - مؤلف عيسى بن هشام - بعد ثلاث سنوات . واتقى الاب والابن في الاستانة حيث كانا من القاقزين للمهد الحميدي الذي اشترى بالقاد والرشوة وكبت الحريات . ولقد تقلبت بمحمد المولحي احوال كثيرة ، ما بين رفع وخفض ، ولجدة وحرمان ، وتقريب وتباعد ، ولكنه مع ذلك ظل صابرا عاسي ونفسه متفعلا ، لا يشكو حوادث الزمان ، ولا يتبرم اذا ما عثر جده او فل حده ، وظل على ذلك حتى لافى ربه عام ١٩٢٠ ، فاشتركت كبار الشعراء والادباء في تاييبته . وما زلنا نذكر مرثيه شاعر النيل : حافظ ابراهيم له التي يقول في مطلعها :

دعته من دعوى عهد التجسب كنت خيائها ليوم المصاب
ليت اليوم يا محمد لما راضني نعي اكتب الكتاب

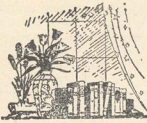
اما الشاعر شوقي فقد رثاه بقصيدة اشار في اكثر ابيانه الى منزله في البيان قائلا في مطلعها :

كاتب جمال الدين الافغاني

استفاد العقول حينما براعه
تقليد حميد : ما تكاد تنشق الصفحات
الاولى من حديث عيسى بن هشام حتى تقرأ رسالة خطية مطبوعة بالزكوة وشراف او « الاوفست » يعث بها حكيم الشرق والاسلام السيد جمال الدين الافغاني الى محمد المولحي

يشجعه على استكمال فضائل النفس بالسمي نحو الحق ، والبعد عن غرور الباطل ، وتجنب اهواء النفس ، والمضي في طريق الفضيلة حتى نهاية الشوط ، لو كان لطريق الفضائل نهاية ... وهي رسالة تمثل ادب الرسائل الخاصة في الادب العربي ، فتحت نغمة رسائل من هذا النوع للامام علي ، ولعلي ، والخوازمي ، والعمري ، والقاسبي الناضل ، وابن العميد وغيرهم في القديم ، كما تعرف رسائل خاصة لصديقه فكري ، وازهارهم البازجي ، والشيخ محمد عنبه وغيرهم في الحديث . وقد يقال ان الرسائل الخاصة لم توضع للشرق ، ولسم ترسل للتداول ، ولكن الحق انها واجبة النشر اذا كانت تنطوي على فضيلة ، فانها حينئذ تكون كالنور يهتدى به . وقد حرص محمد المولحي على نشرها مصورة بفظ كانها الامام ، ثم اشار اليها فسي المقدمة قائلا : « واهدي هذه الرسالة ، التي اختصني بها المرجوم الاستاذ جمال الدين الافغاني بخطه الكريم منذ خمس عشرة سنة ، الى جماعة اهل الفضل والادب ، لما تقسمته من الخ على طب العلم وادب النفس ، ولحسن اسلوبها في كتب الموائد ، وهي لا تزال غننى امامي بهتني ، ونورا استضي به ، فارتدت ان اشارتهم في هذه الذخيرة التي بقيت الى الان بها ، والعرض عليها ، ونقلتها هنا بصورة خطه الشريف ، وتقليداً لغير ذلك اليد الكريمة » . ولا يتسع المجال هنا لنشر رسالة الامام جمال الدين كما كاملة ، ولكننا نجتزئها بعبء هذه الاسطر : « ولا تكن كالذين غرهم انفسهم باطل احوالها ، وساقطهم القنون الى ميوة شقاها ، وخسبوا انهم يحسنون صنعا ، ويصلحون امرا . وكن عوناً للحق ولو على نفسك ، ولا تقف في سيرك السي للفرغان ، وانت بغيرتك السامة اولى بها من غيرك والسلام » .

على طريقة المقامات : حديث عيسى بن هشام هو الكتاب الحديث في القرن التاسع عشر واولائل العشرين الذي كتبه صاحبه على طريقة المقامات القديمة : مقامات الحريري ، ومقامات بدیع الزمان الهزلي ، ومقامات الزمخشري وامثالها . وعلى الرغم من كتابة هذا الكتاب على طريقة كتابة قديمة ، فان الكتاب قد فتحا جديدا في الادب الروائي القصصي في العصر الحديث . فقد كان من المحاولات الاولى الكتابية القصصية الحديثة . وقد بلغ من اعجاب الاستاذ علي ادهم - كاتب المقدمة لهذه الروايتين المصيريين الذين جاؤا بعده ... وهو تحمس من ادبنا الناقد لا يوافقه عليه من ارجوا للقصة العربية في العصر الحديث . واذنا كان حديث عيسى بن هشام صورة حية للمجتمع المصري وللجوانب المصرية في القرن الماضي الذي طوى كثير من معالم حياته ، واحل الزمان محلها صورا جديدة ، فانه يستعمل على عصر روايتي بها اضاء المؤلف على الواقع من خيال ، حتى لقد خلق شخصيات خاصة ، واصفى عليها الحياة ، وجعلها تدور على مسرح الحياة بكثير من العوالت التي تشبه القصة وهي صور ناطقة من المجتمع ... ومن هنا جاز لبطي الادباء ان يعدوا الكتاب اول محاولة في الرواية المصرية . على ان المتصفين من النقاد لا يعمنون فضل محمد المولحي في بدر البدرية الاولى للقصص



الارباب

لا يقبل الاشتراك الا عن ستة كاملة بدونها شهر

يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك الصادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢ دولار بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد

الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

تليفون : ٢٢٣٨١٩ الإدارة ٢٢٣٨١٩
Diz : 223819
Tel : 225139
Dle : ٢٢٥١٣٩

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب - صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت - لبنان

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البيير ادب

خلال تصوير المجتمع ، ولكنهم يذهبون الى ان محاولة الموليحي هذه لا تدخله في حظيرة الروائيين التي تبدأ فيها اسماء طاهر حقي ، ومحمد تيمور ، وشحاتة عبيد ، وعيسى عبيد ، والدكتور محمد حنين هيكال ، ومحمود تيمور ...

والذا كان محمد الموليحي قد سلك في حديث عيسى بن هشام طريق المقامات من حيث الاسلوب وطريقة الكتابة ، والسجع ، الا انه كسان مجددا في الموضوع نفسه ... فلم يحاول محاولة اصحاب المقامات من حشو كتابه برصيد من الالفاظ العربية المصجية تبياناً للقدرة ، وعرفا لحفظ كثير من الفاظ اللغة ومفرداتها ... ولم يلجأ مثلا الى احدى طرق اللعب بالكتابة ، من التعبير مثلا بجمل تظلو حروفها من حروف الاعجام ، او جمل كل حروفها من حروف الاعجام - اي الحسروف المتقطعة . ولم يلجأ مثلا - كما لجأ الحريري في براعة فائقة الى صناعة وتلاعب بالالفاظ ، كالصياغات التي تقرا طردا وعكسا : اي تقرأها من اول حروفها كما تقرأها من اخر حروفها تماما : كهذا البيت التالي :
مودته ندوم لكل هول
وهل كل مودته ندوم ؟!

فافرا هذا البيت من اوله ، او اقراء من اخره فان العبارة لا تتغير حرفا واحدا : لا ! لم يفل محمد الموليحي شيئا من هذا وامثاله ، مما جعل من مقامات القنداء مبعجا خافلا لفرادات اللغة ويدائع التعبير واللعب اللغوي ، ولكنه فسد في كتابه الى هدف اجتماعي فني رمى اليه ، وهو تصوير مجتمع عصره تصويرا بارعا ملونا بالوان مطبقة خفيفة الظل ، مع معالجة المشكلات والامارات بطريقة فصصية متوقفة تجعل النفس تنقل على قراءتها ، وتمتع بمعرفة ما وراءها .

وللمصلحين في الاصلاح والاخذ بيد الامة ونقد المردل من عاداتها طرائق مختلفة ، ففهم من يلجأ الى الوظف عن طريق الدين ، ومنهم من يلجأ الى الشعر يرسله واعظا حكيميا اذا كان يستطيع ان يفصول الشعر ، ومنهم من يلجأ الى القائل المتطلي يعالج المشكلة بمعالجه الطبيب ، ويعطها تحليل الفيلسوف ، ويخرج من المقدمات الى نتائج سليمة لهاها تصادف هوى في افئدة القراء ... ومنهم من يتخذ طريق الحكاية والخيال حتى لا يكون ثقلا بالنتقد المباشر . ومن هذا الفريق الاخير كان محمد الموليحي الذي لا ننسك مطلقا في انه كان رجلا يحب الخير لامته ، والاصلاح لوطته ، وقد رأى فيه الفساد منتشرا ، والشتر فاشيا ، فحاول ان يسهم في اصلاحه على طريقته ...

طلب الوظائف في ذلك العهد : بصور لنا الموليحي كثيرا من غرائب الحياة في مصر القرن التاسع عشر ، حيث خرج من القصور رجل كان دفيناً في ظلام الزمن ، اسمه « أحمد المتكيلي باشا » ، وقد جعله المؤلف ناظرا للجهادية المصرية ايام محمد علي . وبلغ هذا الدفين عيشته على مصر اخر القرن التاسع عشر واولائل العشرين ، فيسرى الحياة غير الحياة ، والتاس غير التاس ! ثم يظن له المؤلف شخصية عيسى بن هشام ليكون مرافقه فيما يمر به من احداث بعضها مؤسف غاية الاسف ، وبعضها مضحك غاية الضحك ، ولكنها جميعا - بيس عوامل الاسف والضحك - تصور لنا مجتمعاً مصرياً جديداً لم يكن للبشاش المدفون المشهور من القبر : عهد .. وهي صورة على كل حال تصور لنا في براعة وخفة نواحي كثيرة جدا من مصر الماضية يسود المصريون المعاصرون لو انهم عرفوها على حقيقتها ... فقد كانت الوظائف مثلا تطلب اكثر ما تطلب للمال والجاه والمشغلة ... اما خدمة الوطن فلم تكن تخطر لسان على بال... وبصور لنا الموليحي طلاب المال والجاه بقوله على لسان احد اشخاص الكتاب : « تنقسم الرغبة في خدمة الحكومة الى اربعة اقسام : القسم الاول : الرغبة فيها للمال ، اعني لسد العوز وكفاف العيش . وصاحب هذا القسم يكون في حال المصطر الذي حكم عليه الدهر باحتمال الهوان للفرودة الرزق ... والقسم الثاني : الرغبة فيها للجاه ، اعني غرة التصب ، ونفوذ الكلمة ، ومفاء الحكم . وهو ميدان بعيد الشاؤ واسع الاطراف ، ليس لشوطة نهاية ،

ولا لحدوده غاية ، ولا بد للجواد فيه من كبرياء ، وللسيف من نبوة طالما كان اعتلاء المنصب ، وارتقاء الراتب ، داعية للزلايا والمصائب ، ومجلبة للبلايا والتوائب ... ولو سلمنا ان صاحب المنصب سلم من العاطب ، ونجا من الخطوب ، فهو لا يزال حياه في هم ونصب ، كعمد الرشيقي المنصب درجه ، وجد فوقها درجه اخرى ، يصعدن ليها ، ويعدن على من يتكلمها ، ولا يفتا مستغظا لما فوقه ، طامعا فيه ، مستصغرا لما في يده ، رافيا عنه ، فهو في دخول دائم عن التمتع بلذة الحياه التي يصور روادها ، غير راض عن نفسه ، ولا الناس عنه راضون ...

وقد نزع طربوسه ، وخلع نعليه ، وحل اذار ليايه ، وبجانيه انسان من الفلاحين ، انقذهما من افرائيه ، يشاهدان ما يتبع به من لذة الامر والتهني ، وسعة سلطانه على الكبير والصغير في عاصمة القطر ، وقاعدة الملك ، وما في قدرته من حبس اي شخص كانا من كان ، وشهادته عليه بما يجري في دعواه ...

ومتهم وكيل النيابة الذي تشاغل في حديث مع ضيفين له عن القضايا التي امامه ، وظل الثلاثة يديسون حديثا ناهيا حول « مدموازيل » فلاة الفنية ، وفلان القمار ، وفلان العاشق الذي تزوج مشغولة ، وفلان الذي اشترى اومبيليا جديدا ، وفلان الشاب الذي اشترى لا فضلا في الفرام ، ولا الاخفا في المال ، ولا ياسا من مرضى ، ولكنه فعليا تقليدا لثنيان بارس ... ومنهم « كاتب المفتوحة الشرعية » الذي احتاج الباشا الخارج من القبر الى بعض اوراق الوفق من عنده ، فلقني من رفاقته وبراعته في ابتزاز الالى بعض اوراق المؤلف تصويره ، وادق طوبه ...

المحامون وسماسرهم : لقد اضطر الباشا المبعوث من قبله الى دخول المحاكم ، وفي لم تكن في عهده - لعدة مخالقات ارتكبتها ، ونهم اتهم بها ، فقد اتهم - باطلا - بالاعتداء على ملكي « حجلان » ضيق ملح في الطلب ، كما اتهم - زورا - بالتمدي على واحد من رجال البوليس اتنا نادته وظيفته ... وكان لا بد للمفسكين من محام بوليسي الحاشية عنه . وقد اوقعه سوء الحظ في سمسار ضيق الجاهلين اوقعه ان المحامي يدبر القضاة في يده بما يريد ، فثبتت التهمة على من يشاء ، ويبرى من يشاء ، والته - يعني السمسار - يعرف له صاحبيا محاميا معروفا بين طائفة بالصدق والامانة ، وبين القضاة والمستشارين بسمو المقام ... ويطلب السمسار من الباشا ان يدفع ما يستطيع دفعه من مقدم الاعايب ، حتى ينتهي الامر الى تبرئة والى الخلاص ممن نهته ... وهنا يمر المحامي المقصود امام الاثنين كالبرق ، فيتقدم اليه السمسار على هيئة المتوسل الراجي ان يقبل الدفاع عن الباشا .. وهنا يعتذر المحامي بان الباشا متزوجة ، متزوجة ، والقضايا متزاحة ، فلا يستطيع ان يتولى قضية الباشا ، وهو غارق في القضايا الى الابد ، الى درجة تجعله مهمل امر طامعه وشرايه ... ويتوسل اليه السمسار بحق الانسانية ، وحرمة المروءة ، وبما فطره الله عليه من نصرة الضعيف وعون المظلوم ، فيفتسل المحامي ويتنازل بالقبول ... ! ويودر بعد ذلك حوار بين السمسار وبين صاحبنا « المتكلمي باشا » على هذا التوالي :

- السمسار « لباشا » : هلم دافع عشرين جنيتا !

- الباشا : ليس عندي الا ان شيء من الدرامه !

- السمسار : اعطني حونلا !

- الباشا : اتا لا اهتم لك كلاما ، فاذهب عني فقد فقت بك ذرعا !

- السمسار : كيف اذهب عنك ، وقد تم لك الاتفاق مع حفسرة المحامي اماسي ؟

- الباشا : اتا لم اتفق مع احد ، فاتركني وانصرف .

- السمسار : كيف تترك اتفاقك مع المحامي بعد ان وضعت يده في يده ؟ وما ابرع محمد الويلحي في تعوير السمسار هنا وتحويل تمثيله على الباشا ، واتهامه اياه بان المحامي مشغول - مع انه عاطل عن

القضايا ... وما ابرعه ايضا وهو يجعل من مصافحة الباشا للمحامي انخفا على عنقه الصفقة !!

صورة لكتبة المحاكم الشرعية : ولقد كان محمد الويلحي دقيقا قوي الملاحظة في كل صورة من الحياة المصرية تناولها بالوصف في ذلك العهد . وهي مقطرة لا تاح الا لكتاب موهوب ، وذاق مرموق . وما ابدع هذه اللوحة الطريفة التي رسمها المؤلف - او رواية عيسى بن هشام - لكتبة المحاكم الشرعية في اواخر القرن الماضي . يقسول الراوي : « وسرحت طرفي في بقية الانحاء ، فرايت الكتبة المهيمن يتكافون وتشارمون : هذا يلت في يده افيونه ، وذاك يذوق بيسن اصابعه معجونه ، والفلمعان مشغولون نارة باوراقهم ، وطورا يتباحسون في اذواقهم ، وارباب الحاجات بين ايديهم يتناسون سوء الرد ، ومطل الوعد . وسمنت احد الكتبة يخاطب صاحب قضية ، بالفاظ بذينة ، ويقول له : كيف تطمي الفلام هذا البليغ الزهيد ؟ انقذه كان لك من العيب ؟ تريد ان يكتب لك وتنب ، وهو لا اجرة له في المحكمة ولا مرتب ، غير ربح ولا مكسب ؟ ان هذا لن اعجب العجب ! وجاء رسول القضاة يطلب احد الكتبة الرؤساء ، فوجده راقدا لتناقص ، فيقبضه اشار تنبيهه من غفلته ، وقال بعضهم : لا بل اتركوه في رقدته ، يستمتع حكم عاتده ، بانه لا يقين من غفوته ، قبل ان يسيل الافيون مع الدمع في دورته ... »

صحافة ذلك العهد : ولم تسلم صحافة اخبارات القرن التاسع عشر واولال القرن العشرين من نقذات محمد الويلحي ومن تصويره لها على حريضة امرها ، ونفاضة شاتها ... نعم ! كان هناك صحف مختصة بمسألة عن الهبوط الى مستوى اللق الرخيص ، والتزلف للناس ، ومصانة الحكام ومعاونتهم على الفساد ، ونشر الاخبار الرخيصة التافهة التي تدور حول همة سعادة المدير ، ونشاط سيادة المأمون ، وعظمة خضرة العمدة ... وقد عرض المؤلف - على سبيل التمثيل - نماذج لهما الكلام الرخيص ، كالذي جاء في جريدة لذلك العهد من كتابها في الزنازيق ، قائلا : يتني الصوم بلسان واحد على حشرة مأمون (التي) اهتمت بالكتس والرش ... ! كالذي جاء في صحيفة اخرى من ان « سعادة القضاة الويلحي في السكة الحديدية يسافر الى الاسكندرية في هذا المساء ، ويحضر سعادة مدير اليوسنة الى العاصمة على اكبريس الصباح ... » واشباه هذا الهراء الذي ليس من الصحافة المحترمة في شيء ، وانما هو تنقل الى الرؤساء ، ونصائر الى الكبراء ، واهتمام بالاشخاص ، وعبادة الذوات ، مما لا تزال منه رواسب نرجو الله ان تخلص منها جملة لتفرغ الى الجد في حياتنا ، والى تقدير الاعمال ، لا عيادة الابطال ...

وصف في انتهي بغيضة : ولقد ابدع الويلحي في وصف ليلة عرس لاجد ابناء البلد ممن اجتمع في بدهم المال ... فصنع وليمة عرس ولية زفاف على غرار اهل المدينة المقلدة ، ووصف لنا الزفة ، والمادة والرقص ، واللقاء ، والوان المدعويين والوافدين في « الفرع » من اصليين ومنظليين ... ثم انتهى كل ذلك بمشاجرة بين الاصحاب ، تقالفا فيها التناثم والسباب ، ثم انتقلوا بعد ذلك الى التنازب والتكلم ، وانتهى الامر الى تدخل البوليس ، ولولا لطف الله لما سلم من الحركة العروس والعريس ... !

القاهرة

محمد عبد الفني حسن

منزل الافنان

مجموعة شعرية - ليدر شاك السياب - ؟ صفحة - مطبعة (؟)

عاش قلبا ينهض بالحياة يتحدى الام المرض فتفتي بالشر حتى الرق

الآخر لينس عن عذابه .. فكسى كلماته بفلاحة من احساساته وسقاها بعصارة تجاربه ليقدمها للناس جميعا خيرا وحقا وجمالا .. وكسم لقد ذابت الامة في تراب ارضه المقدسة التي نشأ عليها .. وكسم تغنى بها وحدث الناس عنها ، ودعاهم الى ان يمنحوها الحب ، وان يحرسوها ويحموا كيانها . والسياب والسياب في رحلة عمره التي انقطعت من عمر الزمن اربعين عاما سليما معافى لم يرفس طريق الفراش تركه عدة دواوين « ازهار ذابلة » و « اساطير » و « ملحمة حجار القبور » و « الاسلحة والاطفال » و « الشؤدة مطر » و « منزل الاثنان » ، و « العميد الفریق » .. وهذه الدواوين تمثل مراحل تطوره الفنية والفكرية التي مر بها .. كما انها مرآة تعكس مشاعره واحاسيسه بكل صدق وعمق .

فالسياب بدا حياته الفنية شاعرا رومانتيكيا في « ازهار ذابلة » ثم رومانتيكيا رمزيا في مجموعة « اساطير » و « ملحمة حجار القبور » ورمزيا والافيا في « الاسلحة والاطفال » . وانتهى اخيرا الى التسمر الوافسي التصويري .

والشاعر عاش واقع بلاده المرير الذي نقلت فيه سنين طويلة من احضان ظلم الحكام والاستعمار .. وكان لمسة فلسطين التي تكب يوما اخواننا العرب اثر عميق في نفسه . وهو لم يكن بعيدا عن هذه الاحداث التي تولد في وطنه بين لحظة واخرى بل شارك فيها وتعاطف معها وذابت مشاعره في مشاعر الجماهير العربية التي اختنتها جراح الظلم والاستعباد .. وراحت تبحث عن وسيلة للخلاص من هذا العبء الثقيل .

ولقد اخرج السياب ديوان « منزل الاثنان » وهو يمثل مرحلة من مراحل تطوره الفنية الاخيرة ، ويمتاز عن سابقيه من الدواوين بسان قصائده الثماني والعشرين التي يتصفها نقلت جميعا في الفترة التي كان يعاني فيها الآلام الرهيبة وترحف عليه النهاية ، فتمسك في هذه القصائد الاحساس المأساوي .. فهي اغان يغنيها انسان يشعر بالخيابة تسرب منه دماغا عنه فهو يجها ويريد ان يعيش في اجلي زوجته وولده غيلان ويود ان يوقف تسربها ولكنه لا يستطيع ان يرد فضاء الله وقلده فلا يملك الا الصبر كما صبر ايوب على بلواه حتى شاء الله :

لك الحمد مهما استظل البلاد
ومهما استبدت الالم
لك الحمد ، ان الرزايأ عطاء
وان المصيبات بعض الكرم
الم تعطيني انت هذا اللام
واعطيني انت هذا السحر ؟
فهل تشكر الارض فطر الطير
وتغضب ان لم يجدها الفم ؟
شهور طوال وهذي الجراح
نمزق جنبتي مثل المدي
ولا يبدأ الداء عند الصباح
ولا يمسح الليل اوجاعه بالردى
ولكن ايوب ان صاح صاح :
لك الحمد ، ان الرزايأ ندى

في الواقع اتنا لا نحس في هذه القصائد بتشاؤم .. بل نحس فيها بينساته حية وبدمائه تتدفق في كل سطر حارة تحمل حبه لوطنه الكبير ولبيته في جيوكو حيث زوجته وولده غيلان ، تحمل كل ذكريات الماضي كما انه يعطي تجاربه الحياتية لبني بلده .. ففي قصيدة « وصية من مختصر » يوصيهم بحب بلدهم والتضحية من اجله ولا يكفروا بتمعه ، وعظيمه ان يمتنعوا بشمسه المشرقة وسمائه الصافية ، وخضرته الناضرة ، ومائه الرقراق .. ويقول لهم ان ما يخبرهم به ما هو الا رؤية انسان ميت والميتون لا يكذبون :

يا اخوتي المتناثرين من الجنوب الى الشمال
بين المقابر والسهول وبين غالية الجبال
ابناء شعبي في قراه وفي مدائنه الحبيبة
لا تكفروا بنعم العراق
خير البلاد سكنوتوها بين خضراء وماء
النسيم من نور الله ، تغرها بصيف وشتاء
لا تبغوا عنها سواها
هي حبة فحذار من افس ندب على تراها
انا ميت ، لا يكذب الوتي ، واكفر بالعلماني

وليس الحديث عن مظاهر جمال العراق وخبرها الكثير وبيان فاسلها ونصيحة اخوته العراقيين بالتفاني في حباها مقصودا على هاتين النقطتين ولكن تكرر هذه المعاني في معالم قصائد الديوان والسبب في شيوع هذه الروح هو ان السياب فقس فترة بعيدا عن وطنه فسي لندن للاستشفاء رقيق الوحدة ، رهين الفراش ، ما يحس ببطة الزمن ونقله على كتفيه .

وكما تغنى بوطنه وعبر عن شوقه وحنينه اليه تحدث ايضا عن بيته في جيوكو حيث زوجته وولده ينتظران عودته ويقضيان الليل يستمعان وقع اقدامه ويتصانن الى دقات اصابعه على الياب والمصباح ساهبر معهما بنفث الامة ، وينتظر عودة صاحب البيت في شوق ولهفة ..

وينقضي الليل .. لا يعود ، ويذوب الامل ويستسلم الصغير للشوم ولكن يبقى هو في لندن مسهدا ياكله الشوق الى العراق وتقبيل مفيره والتمتع بمدايعانه .

من هذا نرى ان السمة الغالبة على الديوان هي الشوق والحنين الى وطنه العراق وبيته الصغير في جيوكو نلاحظ ان حبه لوطنه قدس تلك عليه احساسه الامر الذي جعله يكثر الحديث عنه ويقدمه على زوجته وولده لانه يعرف ان بيته ما هو الا جزء من الوطن الكبير الذي يعرف بفضل .. ويقدر ان امينته الوحيدة هي ان يعود الى وطنه ليقبل نواحه ويطلق كل ثمة صغيرة فيه ، ويعيش في كوخ صغير وسط الحقول . وعلى الرغم من ان السياب كان يعرف بنهايته الحتمية فاننا نجد شجاعة .. لم نصف روحه امام الموت ، ولم تنه ، بل كان يستمد من مساهة طافات شاعرية كانت تتدفق منه تصارع الموت وتذيب الامة واحزانها ..

طالعوا كل شهر

المجلات الثقافية اللبنانية

الحكمة

الاداب

العلوم

المرفان

فهي تحمل اليكم التناج الفكري الرصين والابحاث

القيمة بالقيام خيرة الكتاب والادباء

إيماءة من ذات ذلك الإنسان الذي تعيش البساطة في قلبه وروحوه ،
ومن واقع حياته العام ... فيه حيوية ونداف ، ووضات فنية مشرفة ،
ومعان سامية .

فهو أدب واقعي ، و « الأدب الواقعي » كما يقول الدكتور محمد
مندور - الذي يستهدف تصوير حقائق الواقع - وليست اللقطة
الآ وسيلة للتعبير ، والأدب يختار الوسيلة الأكثر اسعافا في صدق
هذا التصوير . »

ومن بين المنشورات التي طاعتنا مؤخرًا في هذا المجال ، كتاب
الاستاذ عامر رشيد السامرائي « مباحث في الادب الشعبي » .

يتناول الكتاب بالدراسة والتحليل الشعر الشعبي ، مركزا بصورة
كلية على مواضيعه العامة ، كالقول ، والرثاء ، والهجاء ... الخ ،
مقلبا نظرة على صفاته ، ميّنا ميزاته ...

يقول المؤلف ، بأن الأدب الشعبي ما هو إلا تعبير « عن انفعال عاطفي
أو فكري ، يتخذ للجهة العامة اسلوبا في التعبير ، تظفي على معانيه
الساذجة التي يتميز بها ابن الشعب المحروم من الثقافة ، ولتكنها
ساذجة لا تظن من أحوال الحس ، وبرادة غلوية في اطلاق المشاعر
والاحاسيس ، وصدق في استعمال الالفاظ والاساليب واختيارها . »
(ص ١٥ - ١٦) .

وهو في هذا انما يبين لنا اهمية دراسة ادبنا الشعبي ، وضرورة
العناية به ، وتسجيله ، ويقر بأنه مخاض تجربة حياتية ، ووثيقة
وجدانية تعرفنا بنفسية انسان الريف ، وحياته ، وتجارب ، مهما تحمل
لكل التجارب من ساذجة ، فهي صورة امينة لواقع بحياه ، وانعكاس
كلى وواضح لنفسية التي تركت البيئة فيها أثرا ملموسا ... فهو
الوسيلة التي يعبر بواسطتها عن كل ما يدخل نفسه من احساسيس
ومشاعر ، أولا ... و « ظاهرة فكرية واجتماعية .. ودراسة لتلك الظاهرة
باعتبارها تعكس تعين على تفهم احوال المجتمع ومعرفة نفسيته والتغيرات
المؤثرة فيه » . (ص ٩١) .

لي ملاحظات على الكتاب ، اود تسجيلها هنا :

١ - انه لم يحاول تحديد ظهور هذا النوع من الادب ، علما بأن
الموضوع لا زال موضع أخذ ورد بين الكثيرين ... فهو جدير بالاهتمام،
على ما أرى .

٢ - لم يتناول في كتابه فنون الشعر الشعبي المعروفة في العراق ،
فبدرسها أو يحاول اعطاء فكرة عنها ، لتعميم الفائدة .

٣ - لم يتم المؤلف الفاضل بشرح كلمات الاييات التي وردت في
التنصيص التي انتهت كشواده في البحث ، علما بأن شرحها في هامش
الصفحة امر على جانب كبير من الاهمية ، فربما تشكل معانيها على
اكثر القراء .

الا ان هذه الملاحظات لا نقض من قيمة الكتاب ، فهو ، كما ارى ،
اول دراسة من نوعها عن ادبنا الشعبي في العراق ، استطاع المؤلف
فيها ان يرصد ابعادا جديدا في البحث بهذا المصار ، معتمدا في ذلك
على التسبع وتنصي الحقائق ، والتحليل النقدي ، في بعض الاحيان ،
وفق المنهج الاستقرائي في البحث ، والذي يعتمد على جمع المعلومات
والحقائق ، وتصنيفها ، والاستنتاج منها ، واطلاق احكامه على فئتها .
ولعل هذه الدراسة ، والدراسات التي ستقبلها معتمدة مثل هذا
المنهج السليم ، هي وحدها التي ستلوثر المفاهيم السائدة عن « الادب
الشعبي » ، وتلقي افواه جديدة عليه . آمين ان نرى شيئا اكثر من
هذا في المستقبل ، خصوصا دراسة ما يتصل بالتواحي الجمالية والفنية
في الشعر الشعبي .

ولا نقولنا هنا الإشارة الى التنصيص التي ألحقها المؤلف بكتابه ، فهي
على جانب كبير من الاهمية ، لانها نماذج عالية ، ولا اضافة اليها من
شروح وتفصيلات وافية ، اوضح بواسطتها معانيها ومدلولاتها .

ماجد صالح السامرائي

العراق - سامراء

لقد احب السياب الحياة ولكنه زهدا وعاف نفسه كل شيء ، لانه
يحيى ان حباله تتلطف الواحد تلو الآخر .. لقد تبلورت كل امانيه في
المودة الى وطنه ورؤيته ابنه وزوجته .. انه لا يريد من الحياة الا كوخا
صغيرا وسط الحقول يخفي فيه ايامه الاخيرة في هدوء انه يريد ان
يذهب الى الموت بلا ضجة وبلا نال . ففي « نداء الموت » يقول :

جراحي بقلبك او مقلتيك ولا تحرفني الخطى عن طريقي
ولا شيء الا الى الموت يدعوني وبصرخ ، فيما يزول

خريف ، شتاء ، اصل ، افول

وباق هو الليل بعد انطفاء البروق

وباق هو الموت ، ابقي وأخلد من كل ما في الحياة

فيا قبرها افتح ذراعيك

اتي لات بلا ضجة ، دون اه !

وفي قصيدة « الشاهدة » يطلب من بني وطنه ان يذكروه دائما
عندما يعمرون بغيره والا يفلتونه ويدعونه في وحدته تؤنس الدبدان ،
وان يقرأوا شعره دائما وان يتذكروا « جججور » مسقط راسه القافية
تحت لعمون التور تعلم بالسحاب .

ان يكن السياب قد رحل عنا فانه ترك شعره الذي يحمل روحه
ويذكرنا به ويتفاسسه الخرى .. فالذكرى للانسان عمر ثاني :

فارفع نفسك بعد موتك ذكرها

فالذكرى للانسان عمر ثاني

والسياب بما تركه من انتاج شعري قد رفع ذكره وخلد اسمه ولا
سيما ديوان « منزل الاثان » الذي وضع فيه الكلمات الاخيرة في
قصة حياته مزوجة بأحاسيسه والمزج الصادقة النابعة من قلبه وما
خرج من القلب يصل الى القلب .. لقد اعطى الناس جميعا الحب
والامل ولم يطلب منهم الا ان يتروكه في هدوء وسلام وان يقرأوا
شعره .. اهلا قرأنا شعره تنفيذًا لوصيته .

ابراهيم عيسى سفيان

القاهرة

مباحث في الادب الشعبي

تأليف عامر رشيد السامرائي - ١٥٧ صفحة - منشورات وزارة
الثقافة والارشاد - بغداد - المطبعة (٢)

شء يبعث الارتياح في النفس هذا الاهتمام المتزايد بالفنون الشعبية
(الفولكلور) ، الذي ابداه بعض الادباء والباحثين في الآونة الاخيرة .
فقد استقطب هذا المجال عددا من الدراسات التي اسهمت اسهاما
كثيرا في الكشف عن الوجه الاصيل للادب الشعبي .

وهذه المحاولات التي تجري اليوم في تسجيل التراث الشعبي ،
والبحث في مجالاته الكثيرة ، هي في واقعها محاولات هادفة ، توحي
ايجاد حلقة اتصال بين « ادب الريف » وذوق المثقف العربي . وقد
اتبع الباحثون في ذلك وسيلة تقرب مغايرة هذا الادب الى ذهنية ابن
الهدنة ، الذي هو غالبا ما يعيش بعيدا عن الريف ، وعاداته وادبه ...
وفي هذا ، امر ييسر للقراء والباحثين الاطلاع على جانب من جوانب
حياتنا الادبية في الريف العراقي ، قد يكون مجهولا بالنسبة لاكثرهم .
وانا ارى ان الادب الشعبي مهم ، وخرى بالدراسات الواعية التي
تقيم على اساس موضوعي سليم ... فهو ادب قطاع كبير لا يستهان
به في مجتمعه . اضافة الى ذلك ، فلنا نجد في المدن ، وبين طبقات
الثقفيين من يعنى بهذا اللون الادبي ، ويتفنن به ، او ينظم فيه . ولا
تفسره في شعره لفته « العامية » التي لفة هذه الطبقات المعروفة
اجتماعيا ... فهو ادب صادق ، اصيل التجربة في غالبه ، يستمد

اكتشف الدكتور جورج يونج استنساخ التبرع بإحدى جامعات لندن ، أن خلايا الخلية ليست كلها من نوع واحد كما كان شائعاً حتى الآن . وإنما بينها نوع آخر من الخلايا يقوم بإفراز مادة توقف الإشارات التي تنعكس في خلايا الخلية إلا أن شأن هذه الإشارات أن تدفع الجسم إلى عمل ما قد يعود عليه بالفرد . وقد اكتشف الدكتور يونج هذه النظرية خلال أبحاث أجراها على عدد من الأخطبوط ، ولكنه يرى أن نتائجها لا تقتصر على الأخطبوط فقط وإنما تشمل جميع الحيوانات الأخرى بما فيها الإنسان .

ظهرت لآلة ملوسة على وجود ميل وراثي للإصابة بأمراض استئصال الرئة . تبين من دراسة أجراها الطبيب بن هول وكارلغان فاسرحان بجامعة ستانفورد على بعض العائلات ، وجود التاركوموسومية ذات صفات تختلف عن الصفات العادية . رجح الطبيب أن يؤدي هذا الاختلاف في حاملات العناصر الوراثية إلى عدم بقاء النسبة الرئة في حالته الطبيعية إلا أن تكرار جرح الرئة بعوامل مضايقة مثل التدخين وتلوث الهواء .

اعلن اثنتان من الأطباء الهولنديين أنه ليس صحيحاً أن الأشخاص الذين يدخنون عدداً كبيراً من السجائر يعيشون بالفورورة فترات أقصر من أولئك الذين لا يدخنون إلا قليلاً . وقال الطبيب أن الأشخاص الذين لا يدخنون يتعرضون لغفر قصير العمر أكثر من المدخنين لأن الإحصاءات أظهرت أن غير المدخنين يكونون عادة أكثر سمنة .

وقد بنى الطبيب الهولنديان هذا الرأي على أساس معلومات جمعت من ٢١٨ ضابطاً وجندياً في الجيش الهولندي .

أعلنت شركة سيبا لصنع العقاقير الطبية في لندن أن علماء سويسريين اكتشفوا عقاراً لمعالجة البهارياس وهي مرض استوائي يعاني منه ملايين البشر . وكان وراء البهارياس الذي يعتبر إحدى مشكلات الطب في العالم قد اكتشف لأول مرة في مصر . وهو ينتشر الآن في أمريكا الجنوبية والشرق الأقصى وجزر الهند الغربية ومنطقة البحيرات الكبرى في أفريقيا الشرقية والوسطى . وذكر بيان لشركة سيبا أن عقارها في بل بسويسرا صنعوا عقاراً يدعى امبيالان يستطيع القضاء على الديدان التي تسبب المرض . وقالت الشركة أن هذا العقار الذي سيجرى إنتاجه في عمل الشركة في بريطانيا يتفهم على جميع أنواع المرض بعد تناول ٢١ بقصة من هذا الدواء خلال أسبوع . ومن المعروف أن

البهارياس هي الثانية في الانتشار بين الأوبئة بعد الملاريا ويقتل عدد المصابين بها بحوالي ٢٥٠ مليون شخص .

دلت الأبحاث على أن غاز أول أكسيد الكربون والغليخ بفرج مع العادم من المداخن والمصانع ومركبات السيارات ، وهو مادة سامة ، قد زادت كميته بقدره بالغة في السنة الأخيرة . كما زادت كمية بخار الماء والأتان سيميلان أيضاً على زيادة حرارة الجو مستقبلاً . وهناك اتجاه لسدى الدول الصناعية للعمل على إيجاد حل لعدم زيادة المادة الدخانية في الجو . لا خوف من ارتفاع درجة الحرارة . ولكن انقراض لضرر التسمم إذا ما زادت النسبة .

أفاد البروفيسور هاس ، مدير معهد علم الاجتماع بجامعة فرايبورج بالمانيا الاتحادية ، في مؤتمره « يوم الكيمياء » الذي تم عقده بمدينة هانوفر بأنه تم تركيب مصطنع جديد في الأنسجة الإحصائية لكي يستخدماً ضد مرض الحصبة . ويستند المصل الأول منها في تركيبه على جراثيم الفيروس الميتة ، ويستند المصل الثاني على جراثيم الفيروس الحية . ويكون تركيب هذين المصلين الجديدين قد عمل على مكافحة مرض في أخيراً أمراض الأطفال في جانب مرض شلل الأطفال الذي أصبح يمكن مكافحته مكافحة فعالة أصلاً الآن . كما

قال البروفيسور هاس بأنه تم صنع مصل آخر يستخدم في مكافحة مرض الترموم الذي ينتشر في أخيراً أمراض البصون الذي ينتشر في منطقة الجبال العالية بين الصين والهند . وقد يصار العالم بخصماته مليون نسمة . وقد صارت تستخدم هذا المصل في القارة الأفريقية بصورة خاصة الآن بسبب كثرة انتشار هذا المرض بين سكانها .

فرت وزارة الصحة الأمريكية إعطاء ٢٨ ألف دولار متحة لجامعة كاليفورنيا الجنوبية لعمل « أبحاث ساعية » وهو نموذج للإنسان العادي يعمل « بالأجهزة الحاسبة » ويكون بمثابة « المريض المثالي » لإجراء التجارب والتجارب الطبية عليه . وستنوب عليه جميع مظاهر الحياة من التنفس والتبلي وخفق القلب ، كما سيتمكن من فتح عينيه وإغلاقها وتحريك أصابعها وفتح فمه وإخراج لسانه وتقليب حاجبيه و « تلويز » أحواله الصوتية وتحريك عضلات الكف والسعال وتغيير لون البشرة !

اكتشف الدكتور أندريه ماسرات ، رئيس المصلحة الصحية في منظمة الإيزانوم دواء شفي الحروق الناجمة من الإصابة بالاشعاعات النشطة واسمه « كاليكراين » . والدواء هو عبارة عن مصل مستخلص من القند وسرير منذ ثلاثين عاماً . غير أنه لم يلقى على خواصه

في التأثير على الحروق التي تحدثها الاشعاعات النشطة قبل الدكتور ماسرات . وقد نجح الدكتور ماسرات بتجربة المصل للمرة الأولى لدى شاب من التكنييين الذي كان قد أصيب بحروق من الاشعاعات النشطة وقطع الأمل من شفاؤه . وتمت بعدها معالجة ١,٢ حالات من حالات الحروق النسيجية من الاشعاعات النشطة بالكاليكراين بعد ذلك ، وكان يعود إليها إلى عدم إبداء الضرر أثناء استخدام المواد ذات الاشعاعات النشطة ، وأمكن شفاء ٨٢ حالة منها شفاء تاماً .

عقد مؤتمر للأطباء في لندن ، للبحث في أسباب نشوء السمنة ، وتخلص أعضاء المؤتمر إلى أن أسباب السمنة الأصلية تعود إلى الإفراط من الطعام وعدم سلوك الأنظمة فسي تناولها ، بالرغم من أن هناك ٢٧ سبباً أصلياً للسمنة أيضاً ، تتناول عملية تمثيل المواد الغذائية في الجسم وبعض الأسباب الجديدة التي ترتبط بالدماع . وقد كتبت الدكتورة لوب نيكال في مجلة « الطب والتغذية » عن أسباب السمنة بالتفصيل ، وقالت بأن تهرل الجسم واتساعه ببطء كثيرة من الدهن ، يعمل على امتصاص الطبقة الدهنية هذه ، لكمية كبيرة من السكر فيشعر الإنسان البدن والحالة هذه بالجوع ، وينتال على التهام الطعام بلا حساب . ويزيد ذلك في وزن جسمه وينتال الدورة الدموية ويحدث الإضطرابات في توازن المواد الزلالية في الجسم بصورة ملحوظة ، ويقوم الجسم في نفس الوقت بالاحتفاظ بالدهن والمواد البنية . وتكون نتيجة ذلك فتور حركة الجسم وتدنّي حاجته للطاقة بموجب ذلك ، فتكثر الطاقة الفائضة فيه ويدخل تغير نفسي عليه . ومن الغريب في الأمر أن البدنيين يعمدون دائماً إلى الإفراط من الطعام اعتقاداً منهم بأن ذلك يفيدهم في التخلص على موزعهم فيزداد تهرل الجسم بذلك . وكثيراً ما يكون سبب الإفراط من الطعام البحث عن العفد الجنسية أو التخلص من الأحقاد في الحياة الزوجية ، أو عدم الشعور بالراحة داخل الأسرة أو من الشعور بالإنعزال الداخلي .

وأحسن شيء للتخلص من السمنة بلا أفراد ، هو الإفراط من الطعام بقدر المستطاع .

أضافت وزارة البريد الأمريكية روح الفعالي التي الصمغ الذي يوضع على ظهر طابع البريد حتى يكون طعمه أحلى عند لعضه على الخطابات .

قالت جريدة برافدا السوفياتية إن خمسة من أبقار كوزموس الصناعية التي أطلقها الاتحاد السوفياتي دون أن يكون فيها إنسان ستبقى في مدار الأرض أكثر من ١٤٠٠٠ سنة . وقد أطلق الاتحاد السوفياتي ١,٢ أبقاراً كوزموس لتحمل أجهزة علمية كجزء من برنامجها لإترياد الفضاء .

أفاد كوزموس الصناعية التي أطلقها الاتحاد السوفياتي دون أن يكون فيها إنسان ستبقى في مدار الأرض أكثر من ١٤٠٠٠ سنة . وقد أطلق الاتحاد السوفياتي ١,٢ أبقاراً كوزموس لتحمل أجهزة علمية كجزء من برنامجها لإترياد الفضاء .

مجلة الهدى في ستر



البيروت الذي يتربع اليوم فوق ستين عاما من الجهد والذي لا «يطلع» من البيت حتى يمكن «الاديب» ان «يطلع» كل شهر ، لا يتنقل مكافاة. ان «الاديب» الذي وضع كل طموحه فيها هي مكافاةه الاولى ، الذي نحن الكثيرين من الذين عرفوه واحبوه وقدروه نأمل ان تشاركنا الدولة في مكافاةه. فلننا نرى اليوم اكثر منه

استحقاقا لكل هذه المكافاة .

مجلة «الاديب» بعد ربع قرن

لندوب «الحياة» الثقافية :

كان مفوض الدعاية لـ « عصبة العمل القومي » وساهم مع كمال جنبلاط في تأسيس الحزب التقدمي الاشتراكي وكان امين سر الحزب العام وساهم في تأسيس « كتلة التحرر الوطني » التي ترأسها عبد الحميد كرامي وكان سكرتيرها العام ، وبرغم قصر تاريخ البيروت الاديب السياسي فان السياسة دخلت في نفس الاديب وادبه وصار للاديب عنده بعد تأسيس مجلة «الاديب» سياسة ويحدث ان السياسة ولاول مرة في لبنان تخدم الاديب . فكيف حدث ذلك .

كانت «الكتشوف» ابرز مجلة ادبية صدرت في لبنان قبل الحرب ، تركت على لمساتها كما كانت زميلتها « الرسالة » في مصر تركت على مصريتها ، وهكذا كان حال المجلات في البلدان الاخرى : العراق وسوريا والمغرب وغيرها .. كانت الاقلية السياسية تعكس ظلها على المجلات الادبية وكان الاتصال الادبي بين بلد عربي واخر ضيقا يقتصر على التعمدين الاطلاع على نتائج هذا البلد او ذاك . فاجرت «الاديب» تحمل سياسة صاحبها العربية المتفتحة ، متخطية الاقلية مكافاة الى رفع الحواجز بين النتاج الادبي في مختلف الاقطار العربية ولقوية الاتصال بين اديبانها فاتحة ميدان الحوار الواسع من لبنان نفدت ورسائل ، ومن عرض اساليب ادبية واراء وعقائد ، من مصريين وعراقيين وسوريين ومغربيين ولبنانيين .

ولم تقتصر «الاديب» على التعريف بالادباء العرب ، بل ساهبت في خلق اجيال جديدة وخاصة في عالم التعمدين بالادب والادب بالادب وتنازلت الملائكة وعبد الوهاب البياتي وبلند الحيدري وغيرهم اصبحوا فيما بعد رواد الحركة الشعرية الجديدة في العالم العربي وذلك للنفس الشعرية الجديد الذي كان يحاول ان يتنهى صاحب «الاديب» نفسه منذ ان كان في مصر ، والذي نشر بعضه فيما بعد في ديوان سماء «لن» وهي مجموعة شعرية لا تخضع لوزن او قافية وتختلف عن مقطوعات امين الريحاني الشعرية في كونها اكثر اقترابا من السر الشعري.

في سنين العام الثالث «للابدب» في كانون الثاني عام ١٩٤٥ كتب البيروت ادب يقول : « انها اعجوبة ان يستمر «الاديب» على الصدور في مطلع كل شهر غير ميل بشئ العراقي المادية وغير المادية».

فعادا نقول نحن عن «الاديب» وقد شارفت على اتمام ربع قرن وهي تصدر في مطلع كل شهر فإبرية الهمم القياسية بين المجلات الادبية العربية في تحمل مصاعب الشيخوخة المتعوية والمادية ، واذا عرفنا ان «الاديب» تستمر في الصدور دون اية مساعدة من الدولة او من مؤسسة تتق عليها كما يحدث عادة ، عرفنا اي اخلاص من قبل البيروت ادب لهذه المجلة التي جعلها قضية حياته الكبرى .

الاخ لاف اليوم حاسي الرسالة الاولى في «الاديب» وطلعيته النفس الجديد في الادب ونحوها «الاديب» الى مجلة كلاسيكية تقليدية فانها تشارك مصر المثل المجلات الكبرى في الغرب في كونها اصيحت مرجعا سجل ربع قرن من الحياة الادبية ليس في لبنان فحسب بل في الاقطار العربية ايضا. لقد تنازلت «الاديب» عن بعض الربيع في ميدان ترويضه في ميدان اخر واهلها ما يبرر كونها المجلة الوحيدة التي لم تمنع من الدخول الى اي بلد عربي طوال عمرها المديد .

جريدة «الحياة» - بيروت

عسرقنا ب «الاديب»

البيروت ادب ، الذي يتربع اليوم فوق ستين عاما من الجهد ، والذي لا «يطلع» من البيت حتى يمكن «للابدب» ان تطلع كل شهر . لا يتنقل مكافاة .

ان «الاديب» الذي وضع كل طموحه فيها هي مكافاةه الاولى . توفقت عنه هذه الاسطر من مقالة في مجلة «الاديب» وصاحبها البيروت ادب ، بمناسبة قبولها الفضي ، فقد مضى على صدورها شهريا وبانتظام ربع قرن ...

لكن ، سرعان ما امحت السنوات كانتا ساعات ورايت نفسي ، الضحية النهم ، مفتوحة العينين والاذنين ، استمع والتفت واخبر كل ما كان يقال ، ونشد ، ويحادل به ، في مكتب الاديب ، عهد ذاك ، يوم كانت الاديب يستأن الفكر في اوج انطلاقها ، وفي عنوان اولها اسمع الادباء والشعراء ...

لعلني كنت القاء الوحيدة الموقاة كل يوم على مكتب الاديب ، واثان كلفني ان افعل تلك الفرصة لي ، يعود الى المفور له نور الدين بيهم ، الذي كان ينشئني من مقطوعاته في دار الكتب الوطنية ليصحبني الى الاديب وهو يقول لي :

— على من تصبصح صحافية ان تعلم من «هنا» ...

و «هنا» كان يستأن الاديب .

وكم كان البستان باثما اخضر ، وكم انا مدبنة لما فطمت من ندوات الاديب. اكترها يوميا ، وكنا كانت للرواد غذاء الروح ، هنا يجلس باستمرار عفوي ميدالله العلاوي .

وهناك الدكتور نقولا قياض ، ومقابل الياس خليل زخريا ، وهنالك نور الدين بيهم ، وهنا وهناك الصيوف الادباء والمفكرين من مصر وبغداد والشام وحلب وخلف الكتب الطويل «معرفا» القول والفكر البيروت ادب ، وانا قابعة ، كتلة من السمع والبصر ، انطم واحفظ واستوعب ، كم اثرتي ادب الجلال ، وذكاء المحاورة واعجبت بقوة الالتقي ، وبجمال الكلمة .

وكم انتشيت بالشعر وطربت لطرفته ...

ان صاحب «الاديب» لا ينتظره مكافاة . ومضى كان الادباء من مصعد «اديب» باليون وينتظرون المكافاة ؟

اريد ان اقدم هدية «للابدب» بعيدها ... باقة ورد ؟

لا ، فالورد يبدل ويضئ لكن عرفانا متي بالجميل .

فما تعلمته من الاديب ، لا يزال اخري وزادي !

جاكلين نحاس

جريدة «الحياة» بيروت

عيسى .. ((الإديسب)) !

مجلة الآديب .. مجلة افردها صاحبا الاستاذ البير ادب ، لتكون مجلة الآديب .. خالصة للادب دون سواء ..

ومضى على هذه المجلة ، تؤدي رسالتها دون انقطاع ، مدة ربع قرن من الزمان ، لم تتحدر يوما عن مستواها الرفيع ، ولم ترض يوما ان تنحرف ذات اليمين .. او تنحرف ذات الشمال ..

لم ترض ان تغفل ذلك .. او قل : لم يرض صاحبها الاستاذ البير ادب ان يغل ذلك ، وهو يرى بام عينه ، ان من يغل به مثاله من الخبير العميم ، ما يمكن له من ان يبني العمارة الشائعة ، ويسكن الدائرة الانيقة ، ويكون له الاتباع والاشياع ، ويكون له الخدم والخدم ، وتكون له السيارة الفارغة ، والرصيد الذي لا ينقطع مدده في المصارف ..

نعم .. لم يرض ان يغل ذلك ، وهو يرى من اثاره ما ذكرت ، ويسمع من اخباره ما تلتقي به اذناه .. بل لم يرض ما هو دون ذلك .. لم يرض ان تكون للاديب دار نشر ، تصدر او تبتني نشر ذلك النوع من المطبوعات التي امتلات بها الاسواق ، ونهات المراهقون وغير المتفنيين على تلقفها .. لم يرض ان يغل ذلك ..

لانه ان كان الادب رسالة اسمى من ذلك بكثير .. اسمى من التجارة الرخيصة ، وترويج ما لا خير فيه ، مما يثير .. ولا يثير .. ومما يداعب المواقف ، ولا يصفل الذهن !.. ثم انه لم يرض ما هو اهن من هذين ..

لم يرض ان تكون «الاديب» وهي مجلة الادب الرفيع ، مسرحا للاعلان الرخيص ، ومجالا للصورة المتبدلة .. وان في الاولى ما يفسد الزيج الوافر ، والكسب الفزير .. وان في الثانية ما يستندج الكثرين ، من يخدمهم البهرج ، ويجتذبهم كل برق خلب ، وكل مشهد جذاب ..

وبغيت «الاديب» حيث وفقت منذ اليوم الذي انشئت فيه .. وظل صاحب «الاديب» في مثالياته السامية ، لا يتكامل فيها فقه .. وظل يبالغ ويتنافع .. وظل يتناضل ويساوم .. واستمرت «الاديب» طيلة ربع قرن ، نزل مع نهاية كل شهر ، بالكلمة المشرفة ، والقول الرزين ، والادب الموجه الى اسمى الغايات .. وظلت مشرفة الجين .. عالية الراس ..

فلا تدور حولها ربة ، ولا يهسى الهامسون عنها بما يجري من وراء حجاب ، مما لم تعرف اليه سبيلا .. !

ومن اجل ذلك نداني الكتاب ورجال الفكر في لبنان ، لتكريم وصاحبها الاستاذ المجاهد بقله «البير ادب» .. وان «الاديب» وصاحبها .. لجديران بان يكرما ، وان يغالي في تكريهما .. ولما كانت «الاديب» للوطن العربي كله ، ولم تكن وفقا على لبنان والكثير ، فان من حق هذا الوطن ، يمن فيه من رجال الفكر ، ومن فيه من مسؤولين يرعون الادب واهله .. ان يسهموا جميعا بتكريم «الاديب» .. وصاحبها ..

وحيا الله هذه المجلة الرفيعة ، وهي تجتاز ربع قرن من عمرها المديد ، وتاريخها المنسرف ..

جريدة « فلسطين » القدس محمد سليم شيدان

الفاجة بكتبا بعد الفاجة بقصيدة !

ما اظن احدا نال مثلي للاديب راضي صدوق عندما اعلن جزعه

على قصيدة له حبسها عنه صاحب «القيم» المرافية الذي طلبها من الشاعر صدوق ولم ينشرها ، بسبب كون المجلة على حد قوله لم تصدر ، ولكن هذا لا يمنع الاستاذ صاحب القيم من رد لهفة الشاعر صدوق بغضه القصيدة الية وهو صاحبها ، بعد ان ينسخ الاستاذ خسر لثافتها صوية .. ولعله يكون الان قد فعل بعد ان قرأ كلمة الاستاذ راضي في عدد «الاديب» السابق .

واما امتياري انا على غيري بهذا التلم ، فسيب ان صديقي الاستاذ انور الجندى الاديب المصري المعروف كتب لي عن فاجة ادبية كبيرة فضحة اصيب بها من دار النشر للجامعيين في بيروت ، تعاقبت معه على طبع ونشر كتابه الثمين «امال الادب العربي المعاصر» بشروط وواعد لم تنفذ منها دار النشر المذكورة سوى الطبع والنشر والبيع ... واما حقوق الاستاذ الجندى كمؤلف سهر الليالي ، واديب امين لغته ، وناسخ وخطاط امضى الاشهر في الافتياش والنقل ، ومفكر عصر مدافعا واسعد عينيه في الدرس والتحليل والمقايسة والمقايسة ، ثم واصلت الوساطة فافقت ، لان دار النشر التي نحن شيئا .. وقد كتب لي الاستاذ الجندى من القاهرة بوسني لمدى دار النشر للجامعيين يطلب حقوقه وانمايه قائلا انه لا يزال منذ عشر سنين يكتب تلك الدار طالبا حقوقه فلا ترد عليه ، ثم كلني بمراجعتها ففطت ، لم واصط الوساطة فافقت ، لان دار النشر التي نحن يصدها نقول انها لم تبع من الكتاب شيئا ، فلم يسعني بعد هذا الجواب سوى تصديقي ، والرضى بالتيانية من القاهرة الجندى بان تؤدي له دار النشر المذكورة قيمة اصابه وحقوقه نسخا من الكتاب ، بدلا من المال التقدي ثم تعهدت ، بان اتولى انا بالتيانية عنها ارسال تلك النسخ الى القاهرة .

هذا يعني ما كان مع دار النشر للجامعيين .. ولكن هل نجحنا ... كلا ، لان صدر من اين صاحب الدار الجامعة ما يستوجب الواحدة القانونية ليس فقط نحو مؤلف الكتاب ، بل نحو وسيط الغير الذي افترض انه يتحدث مع دار نشر وثقافة وعلم ... الخ .

يقال عليه يا صاحب الرائد : اذا كان الشاعر راضي صدوق يكاد يقين حقوقه على قصيدة واحدة ، وهذا حق لا ذوب فله - ، فماذا يصنع الاستاذ انور الجندى المفجوع بكتابه المؤلف من ... صفحة ، وليس بقصيدة واحدة ... لا القول هذا استصغارا لثمن قصيدة قد يكون الشاعر قد نسجها في بضع سنين ، وقد تساوى عنده او عند مدحه ، عند عشاق الفنون الجميلة الاف الجنيتهات ، ولكن قلنتها لتصور فداحة المصيبة التي وقع فيها الاستاذ انور الجندى وهو ايضا بعيد عن قلدة فله ، الذي هو كتاب ادبي غصم نصيب عليه الليالي الطويلة ثم يراه في ايدي الناس جميعا الا بين يديه هو الذي اتجه وسواه .

اتي اسبغ تلك القصة من الناحية المقافية والناحية الادبية فقط ، واما الناحية القانونية ، سارتها لاهل القانون والى «جمعية محبي الكتاب» في العالم العربي ، والى جمعية «اصفاء الكتاب العربي» بلبنان على الاخص . كما ان الدولة تحفظ للخبازين والطباخين وصناع الاشخاب ومكاتب السياحة حقوقهم على المجتمع مكلفة الان بعمل شيء لحماية اهل الفكر والثن .

ولا ادري ماذا يقول الدكتور عبداله الطباع ووالده الحاج اتيس الطباع ، وهما الركان المسان لدار النشر للجامعيين في تصرفات نالتهما ، الا اذا كانا قد انسجيا من هذه المؤسسة ، وعند ذلك يتعين عليهما اعلان تصلها . ولكن بعد نسوية امور العقد القائم بيسن مؤسستهم وبين زميلنا وزميلها الاديب المصري الاستاذ انور الجندى ، الذي وثق بهما وبلبنان وادبا لبنان .

جريدة « الراصد » بيروت واسيط محتار



بنك انترناشيونال ش.م.ل.



ARCHIVE

يتقدم من المواطنين ومن زبائنه الكرام في جميع البلاد العربية والاسلامية

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

باحر التهاني واصدق التمنيات بعيده الفطر المبارك سائلا الله

ان يعيده عليهم بالخير والبركات .





عبدالعزیز جادو

كيف اوفى الى العمل المناسب ؟

بقلم عبدالعزیز جادو

من الامور التي نبحث على التعجب والاستعجاب لذلك العديد من الرسائل التي ترد الي يسألني فيها عن العمل المناسب . ومن هذا السؤال الذي جعلت منه عنوانا لهذا المقال . ومن المشاهد ان اكثر العاملين يريدون سطوهم وتبرهم من الاعمال التي يزاولونها ، ويخيل الى الفرد منهم - رجلا كان او امرأة - انه بلغ غاية الكمال ووصل الى اعلى درجة من العلم والثقافة ، ومن ثم سيكون سعيدا الى اقصى حدود السعادة اذا التحق بعمل اخر غير عمله الحالي الذي يشغله . اما ماذا يمكن ان يكون هذا العمل الاخر ، فهذه هي المشكلة ! .

ان امثال هؤلاء الناس الذين يستنفدون طاقة تفكيرهم في هذه الامور يتوقفون في الصباح وهم في حالة من الخوف والوجل من اليوم الذي سيأتي عليهم ، ويتجدد الخوف والوجل مع صبح كل يوم جديد . فتصبح الحياة بالنسبة لهم رتيبة مملة ، تسير على وتيرة واحدة ، وتمضي متأنية على نسق واحد ، فرعان ما يناقون مع التيار على غير هدى ، ويستسلمون الى التفكير الملل ، ويفوضون عميقا في حماة مضنية . . « آه لو امكنتني ان اوفق في التوصل الى اسلوب العمل الذي يناسبني . . كم اكون سعيدا حينذاك ! » وما يتفكرون يبحثون عن دليل للحرف عند كل من يعمل النفس بالفرج . ولكن الفرج لا يحقق املا ولا يشفي غلة . وان شخصا متمكنا من نفسه وعلى قدر

كبير من الحدق والفطنة قد يستطيع ان يمددهم بفكرة فيما يتعلق بما يلحقون له او بما يناسبهم ، ويسدي اليهم النصيحة بما يفيدهم في حياتهم ، ولكن غالبا ما يكون هؤلاء الناس سلبيون الى اقصى حدود السلبية في تاترهم بهذا المرشد او الدليل ويمر العام بعد العام وما يزالون في نفس الورطة . ونمة نسبة معينة من هؤلاء الناس لهم همة وغيرة ، وفيهم جد واجتهاد . وانهم ليرغبون بغبة اكيدة في البحث عن معين ، فاذا ما استوثقوا من صحة الشيء وافقوا من انه قائم في وضعه الصحيح ، ومن انه ثابت على اساس سليم ، بذلوا جهدا كبيرا لعمل التغييرات اللازمة . ونمة طراز اخر تكونت لديه عادات الكسل والخمول ، وعندده رغبة فائرة لاصلاح حاله ، وتحسين نفسه ، ولكن هذه العادات الممضعة لا تسمح له بذلك ، فهي دائما تجعله يؤجل الى القد ما يمكن عمله اليوم .

والطراز الكسول ينشد باستمرار وعلى الدوام الطريق السهل الذي يغيره بقدرة قادر من حال الى حال دون ان يبذل اي مجهود . ويود هؤلاء الناس لو كان في امكانهم ان يذهبوا الى منوم مفتطسي ليوحى اليهم ببعض ابحاث تجعلهم ينصرفون من لدنه وقد تغيروا تماما . ولكن هيئات ان تحدث مثل هذه المعجزة .

جاءني ذات يوم شخص من هذا الطراز الاخير لمساعدته . جاءه الرجاء بحدوده والامل بمؤده ، وبعد ان ايقظت فيه روح الهمة والامل وحساسة وحمية ، ونهت رغباته ، وعيني بان يخرج من عندي ليقم الدنيا ويقدها ، ولكنه لا يستطيع ان يفعل شيئا البتة . وحين لقيته بعد ذلك سألته عما اذا كان قد التحق بعمل احسن من الذي كان يزاوله ؟ فاجابني بان شيئا ما كان يتدخل في شؤون حياته ، وما كان هذا الشيء في الواقع الا مجرد عذر يتدرع به ليسانده وجدانه ويسعف ضميره . فلقد كانت عاداته راسخة عميقة الجذور ، لانه اضاف الى عادة الكسل والخمول عادة الخجل والحياء . وانني شخصيا اشعر باسف عقيق لهذا الشخص ، وساعمل جهدي لتغيير وجهة نظره .

لقد علمتني تجاربي الكثيرة ان المتاعب كلها في مثل هذه الحالات انما تكمن في ذوات الاشخاص ، وهي تنشأ عن الافتقار الى فهم وادراك وايمان مما يجلب الشك والارتباك الى عقولهم . و « الشك » هو الذي يقم امامهم سدا منيعا لا يستطيعون اجتيازه .

وهؤلاء الناس لا يستطيعون ابدا ان يبنوا قوى عقولهم او فكرهم او حكمهم او تخيلهم او ايمانهم بالقدر الضروري الذي يمكنهم من القيام باعمال او اشياء لها قيمتها في الحياة . انهم يقعون فريسة لاحلام البقلة وشروذ الدهن - انهم مجرد مفكرين ، لا عاملين .

ولا يزال ثمة طراز اخر لا يمكن بآية حال ان يحصل على النجاح ، يتمثل في ذلك الشخص الذي يخاف الافراط في العمل ، من ان يؤذي نفسه بضر بصحته . وهذا

عدة أشياء قبل أن تقتنع تماما بأن نوعا معينا من العمل هو الذي تحبه وترتاح إليه ، وأنه هو العمل الوحيد الذي يحتمل أن تنجح فيه .

ولكن قد يقول قائل : « انني لم احب ابدا اي عمل حاولت ان ازالوه ، ولقد جربت في ذلك كثيرا من الحرف والاعمال المختلفة » . ، والجواب على هذا هو انك لم تفهم بعد نفسك ، وانك لست على صلة بذلك « الشخص الداخلي » ، ولذلك فقد اخفقت في ان تجعل العمل ينمى مع الاتجاه العقلي السليم .

انني اعرف اناسا عديدين بعد ان وجدوا انفسهم احبوا العمل الذي كانوا من قبل يكرهونه ولا يعملون اليه . ومصدر القلق والاضطراب عند معظم الشباب ان ليس يوسعهم ان يتخيروا ما يشاءون ، ولكنهم مضطرون لقبول اول وظيفة تصادفهم فيشغلونها لقاء أجر بسيط يتقاضونه مقابل العمل الجاد الذي يقومون بادائه .

انهم يهتمون بدواحيه الطبيعية التي يمتلكها والتي يدخل في نطاقها : التعليم ، والتدريب ، وحقوق الاختيار ، والقدرة .

ومن المحقق ان الفرد يجيد العمل الذي يحبه . واذ كان العمل لائقا ومدعما بما يشعر الفرد بانه هو التعليم الكافي او الوائي بالفرض ، والكفاية ، والصلاحية الطبيعية ، فعلى صاحبه ان يباشر بكل طاقته واهتماماته ورغبته المكنة ، التي يستطيع التسلط عليها والتحكم في قيادتها وتوجيهها .

وإذا أراد الفرد ان يحقق نجاحا يتعين عليه الا يرضى بصفات الطموح ، ولا ان يقبل الوقوف فسي منتصف الطريق . فالأشخاص الذين ارتفعوا الى اعلا قمم النفوذ والشهرة وحسن الصيت هم في الغالب اولئك الذين نجحوا في اي مهنة او حرفة من الحرف الكثيرة ، او الذين كانت توجههم الى مجريات معينة من النشاط : مصادقة صغيرة ، او مميزات خاصة ، او انطباعات البئية التي نشأوا فيها .

لقد سمعنا ان هناك بحيرة يتفرع منها نهرا يعرف كل منهما منبعه . احدهما يصب غربا ، وتصل مياهه في النهاية الى المحيط الهادي ، بينما يتدفق الآخر شرقا وتأخذ مياهه طريقها في خليج المكسيك الى المحيط الاطلسي . وليس عند منبعهما الا تنوء في الارض صغير هو الذي قرر مصير كل منهما .

وهناك عند احد طرفي البركة التي تكونت في فوهة بركان اكوئان بجزر افوشيان تطفو جبال الجليد ، وعند الطرف الاخر تصل حرارة الماء الى درجة الغليان ، وفيما بين الطرفين يسبح الطير الرائع افاغاديا وهو سعيد بدفء الماء . فاذا ابهرت سفينة نحو الشرق ، واقلعت اخرى تجاه الغرب ، في نفس الوقت الذي تهب فيه عليها ريسع واحدة . فان مجموعة القلاع وكيفية تربيها ونظامها وكيفية

الخوف ليس له مبرر اطلاقا ، فهو شيء مخالف للعقل ، واني ارى ان الناس انما يدركهم التعب من عمل صغير جدا اكثر مما يتنباهم من عمل كثير جدا . والعقل الناشط يجب ان يشتغل ويعمل بطريقة فعالة ، وان يكون في عمله بناء ، انشائية ، والا سيفقد مستبطننا من صفاته التخریب والتدمير . والرجل الذي يخاف من الانفراط في العمل انما يكون عادة الاستبطان التي من شأنها تدفد شيئا فشيئا من المنصات التي تزيد في مضايقته .

ولقد زارني شخص يبلغ من العمر ٢٢ سنة وكان ناجحا في باكورة جهوده الجادة ، القوية . ومنذ حوالي سنتين تقريبا بدأ في تكوين فكرة مؤداها انه في حالة ما اذا كان يمكنه ادخار مبلغ كبير من المال فانه يتكاسل ولا يشتغل كثيرا . ولكن عقله الذاتي ، التشيط ، لم يتوقف عن العمل ، حتى ظهرت عليه بعد لاي حالة من حالات التأمل الباطني جعلته يعاني شيئا من ضعف الاعصاب . وانه الان يكافح كفاح المستعيت للشقاء من هذه الحالة ، ولا بد انه سيتقلب بالتدريج على ضعفه هذا حتى يسيطر على نفسه تماما .

اذكر ان الحياة حركة . ونحن لا يمكن ان نتوقف عن الحركة او نفل في حالة سكون . ان قولنا جميع الوظائف المختلفة التي فينا انما تؤدي عملها باستمرار وبدون انقطاع . واذ انت اخفقت في توجيهها بطريقة انشائية ، بناءة ، فلا بد من ان يحرفك التيار الى حال غير طبيعية ستجد فيها الكثير من المتاعب . وتحقق هذا على الخصوص عند الشخص الذي تعمل بطيعة الى سرعة التأثر والانفعال والحساسية .

وارجو ان تذكر اني لا احاول هنا ان ابط هيئت او اوهن من عزيمتك في محاولة البحث عن الجو الذي يلائمك وعن طبيعة العمل المناسب لك ، ذلك لاننا جميعا ليست لدينا نفس الميول ونفس المواهب ، فهي تختلف من شخص لآخر . فالميكانيكي الذي يشتغل بالالات لا تطوع له نفسه الاشتغال بالنقش او الادب ، كما ان الفنان ذا الذوق الفني لا يناسبه الاشتغال بالاعمال الميكانيكية . واذ كنت حين تصفو سريزتك وتطيب نفسك وتسو روحك ستغدو في مركز يتيح لك ان توجه حيائك كما تشاء .

والذين احرزوا نجاحا في حياتهم هم الذين استطاعوا ان يتعاملوا مع ذلك « العملاق الذي يكمن في اطوائهم » - مقولهم الباطنة . ففلك الباطن اقدر من اي شيء اخر على توجيهك . واذ كان هناك من يستطيع ان يساعدك في التوصل الى العقل الباطن وان تكون على علم ودراية به ، فستغدو خير حكم لما هو خير لك .

ونمة لا يزال طراز اخر - هو الشخص الذي ينتابه الوهن والفتور والضعف بسرعة . وهناك ايضا الاف ممن يخفقون اخفاقا ذريعا في احدى الوظائف وينجحون نجاحا باهرا في وظيفة اخرى . وقد يضطرك الامر ان تحاول

اتجاه المسير — ليست الانواء او الريح الهوجاء — هي التي تقرر المسير في الطريق الذي يسيران فيه .
كذلك اذا لم يكن يعرف الانسان بمنتهى الدقة ماذا يلائمه ويصلح له ، او ما يكون هو مناسباً او صالحاً له ، فلن تجده يحاوله تجربة الاشياء قليلاً . فالشخص الذي يتخذ الحرف او الصناعات تجارب تتلو الواحدة الاخرى فهو بكل تأكيد لا يحب شيئاً . وهذا ناشئ ، كما اعتقد ، عن الحقيقة التي تؤكد انه مجرد « مجرب » كالمرضى الذي يجرب طبيباً بعد آخر فينتهي به الامر الى اليأس من الشفاء .

كوة لكل انسان

والانسان ، سواء اكان شاباً ام فتاة ، حين يسعى في الحصول على ما يتخيره من العمل يستحم عليه ان يصغي جيداً لصوت حوافز وجوده العميقة ومثيرات كيانه . ويعمل بالمثل الذي يقول : « عصفور في اليد خير من عشرة على الشجرة » فهو مثل صحيح ، ولذلك فالعمل الحالي يجب ان يتم انجازه ليطابق غرضاً عاماً شاملاً ويساعده . واذا تحمس شاب واهتم بالسعي الدائب لطريقه فانه حتماً سيجمده . وكما في العالم من اناس يفقدون وظائفهم لانهم لا يعرفونها ، ولكن لانهم لا يسمعون لمرئيتهم ، ولانهم لا يستمدون الى حوافز نفوسهم الهادئة ، ومثيرات ذواتهم اللا شعورية .

فإنك كوة لكل انسان يملؤها ، وهمل يمكن لكل فرد ان يؤدبه على خير ما يكون الاداء . وليس يكفي ان يحتفظ كل واحد بعمله او ان يكون لكل فرد عمل يشغله او وظيفة يقوم بادائها ، وانما يجب ان يقوم بالعمل الذي يشغله مع مقدراته ، ويكون جديراً بكفافته ، حتى لا يمكن ان يقوم بانجازه اي شخص آخر سواه على الوجه الاكمل .

لقد رايت اناساً يشتغلون في تهديد الطريق ورفضوا ، كان يمكن ان يكونوا ممن يسون القوانين . وصادفني في الحياة اخرون يشغلون مراكز عالية كان في تقديرهم ان يكونوا سائقي سيارات نقل فالاولون ادت بهم الحال الى هذا الوضع لافتقارهم الى الثقة والمبادأة . اما الاخرون فقد كانت لديهم حاسة الكرامة الحقيقية والشعور بعزلة النفس والاستقامة في السلوك الانساني .

فلا تسبج مع التيار على غير هدى .. لا تجعله يجرفك حيث يشاء .. ولا تظل ساكناً ابدًا .. فالحياة حركة ، ومن الافضل لك ان تتقدم الى الامام مرتكباً الاخطاء عن ان تظل ساكناً ، جامداً ، عديم الحركة . واعلم ان الذين يحسنون استغلال مميزاتهم ويسعون بكل نشاط وهمة الى تحويل كل قواهم الى تعبير اعظم وارحب ، هم الجديرون حقاً بالمراكز العالية ، وهم الذين لهم الصفات التي تؤهلهم بلوغ منزلة الرفيعة والمكانة اللائقة بهم في الحياة .

وئمة اناس يحسبون ان ليس من الضروري ان يهتموا

بالناحية التجارية او المالية في دنياهم ، فتراهم ينهمكون في امر انفسهم وفي شؤونهم الخاصة وينسون كل شيء ما عدا ذلك . وهذا عين الجهل والغباء .. فالطبقة او الهيئة الاجتماعية التي نعيش فيها ، انما يقوم نظامها على خطوط متباينة ، والذي يركز الى الحظ ويعول على سخاء الذين من حوله ممن تربطه بهم صلات شرعية لا يلبث ان يزول عنه بكل اسف الوهم الذي كان يتوهمه ، ويتبدد الامل الكاذب الذي كان يامله .

طالب بما تعتقد اعتقاداً راسخاً انه من حقك . فالناس لا يقدرون قيمة الاشياء الرخيصة مهما كان قدرها من الجودة او الندرة او الاثقان . انك اذا ادبت عملاً اي احد الناس وتقاضيت عنه نصف ما تستحقه من اجر متنازلاً عن النصف الاخر فيخامره الشك في انك بذلت مجهوداً يذكر في هذا العمل ، وسيظن انك لم توفه حقه من العناية والاهتمام .

ولا تخش شيئاً من المطالبة بكل ما ترى انك تستحقه لقاء عمل قيمت بادائه . فاني اعرف طبيباً اسنان بدأ ممارسة عمله في آن واحد بعد ان تخرجاً مما . وكان كلاهما اهلاً لهذه المهنة ، وكانا ماهرين متمكنين من عملهما . احدهما بذل كل ما وسعه من جهد في ان يجعل الناس يدفعون له اجرا معيناً فهو لا يملك الكثير ، في حين ان الاخر كان يأخذ في اكثر الاحيان اي اجر يقدم له ، ولذا فهو يعيش حتى الان حياة افضل .

ولقد مر مشهورون عاماً طويلاً منذ بدأ الانسان يمارسان المهنة ، لا يزال احدهما يحصل على اعاب بسيطة من عمله الاخر ، حتى انه اعترف لي ذات مرة بان ليست عنده الجراة لطلب اجر اكبر ، في حين ان الاخر قد وصل الى قمة الشهرة في مهنته ، وغداً محبوباً من مرضاه واصبح موسراً وافر الفنى .

والاختلاف او التفاوت هنا ليس في الصنعة او فني المهارة الفنية او العملية ، وانما هو بكل بساطة في الفرق بين اسلوب عقليتهما . احدهما تنقصه الجراة والثقة بالنفس ، اما الاخر فامكنه ان يحدد لنفسه اجرا عالياً بعض الشيء يتناسب مع الشهرة التي نالها طوال الاعوام السابقة .

وانت اذا تهمدت او تكفلت بشيء ، او اخذت على عاتقك عمل شيء ، يجب ان تقدر لهذا الشيء قيمته المالية . فلا ترخص قدرك في عين نفسك او في عين الآخرين بخوفك من طلب امور معينة تعتقد انك تستأهلها بحق . والدرجة او المنزلة التي تستحقها انما تتوقف الى حد كبير على مقدار الثقة التي نالها ، والكيفية التي تنجز بها عملك . والناس الذين يفقدون الثقة هم الذين ينتهزون الفرصة دائماً .

فاذا افترضنا انك وقلت في الالتحاق بعمل او وظيفة كوسيلة للعيش ومطلب من مطالب الحياة . فليس اقل من

نكسة النار

على مرايا الظلمات العبرت
من روح تدمر ... فماذا جنيت ؟
هذا الكسح ... أعيني قد غمضت
الزجاج . الستار الضفرت
أنسا يا ضوء . أنت الفهميت
عرفتها... وما اسمها ؟ قد نيت
ما أحيلاه ... به قد ولدت
في حجب غلومي... ومنها انطلقت
من غير نوة بيتي ... افتقرت ؟
دنا ... ولا ... ما جاءني . قد وهمت
بذكراتي . ثم انسي بكييت
لا ما ندمت . علي يا ندمت
من الحبر الذي قد وضعت

اوغلت ، اوغلت ... جدارا كبرت
بوابية تهدمت . لم تزل
عرفت ... يا جنيتي انقلي
ماذا اري ؟ رسالة . الفصيل .
صرخت : انسان أنا . لا تشوهني
هذي التي تضميني ما اسمها ؟
نافذة ؟ .. لربما . الصفاء
نافذة ؟ .. ضيقة ... هالتي
الصمت يسوي . سرر كلها
ومن بعيد جاءني ... جاءني ...
نظرت . اسبلت جفوني . مورت
عادت . ندمت . اثمرت دمعتي .

يا ارض ، ما اصغرك الان ! نقطة

علي الزبيق

ARCHIVE

حلب

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

الناس ، وليس في الناس من هو معصوم من الخطأ .
والهزيمة انما تأتي في الغالب من الاغراق في تصور
الاشياء بأكثر مما تستحق ، والنهول في الامر بكثير من
المبالغة . ومع ذلك فالكفاح العنيد ، والنضال المكافح ،
مع الايمان العميق ، سيسمح لك بأن تنمو قويا متينا
خلال هذه التجارب . وسيتيح لك بناء اعمال عظيمة
واقامة مشروعات عجيبة على انقاض هذه الهزيمة المؤقتة .
ان المثائ من الناس - رجالا ونساء - ممن قاموا باعمال
مجيدة قد اخفقوا عشرات المرات قبل ان ينجزوا ذلك
العمل الفذ الذي جنوا ثماره وذاقوا قطافه . وليس منا
من لم ير مثل هذه الحالات بنفسه .

واني اذا سئلت عن الصفة الوحيدة التي اعيرها اكثر
الاهمية في اختيار عمل العمر ، وفي سلوك عمل الخير
في الحياة ، فاني اجيب بانها « الثقة » لا شيء سواها .
فعلينا اذن ان ننق بأنفسنا كل الثقة ، ولا ندع اية
عقبة مهما بدت امام ناظرينا كبيرة ، ان تقف في سبيلنا ،
فتبعدنا عن القصد وتناى بنا عن الهدف .

عبد العزيز جادو

الاسكندرية

ان تعتبر هذا العمل هو الشيء الوحيد الذي يطمح عليك
ان تنتظم فيه مؤقتا .. فندرس جيدا تفصيلات هذا العمل
المعروض عليك ، ونفوس في اعماقه ، ونسبر غوره ،
ونبحث فيه عن « ذاك الباطنة » لان خير المعلومات
وافضلها هي التي يمكن ان تعدك بها ذاك الا شعورية .
وعندما تقتنع تماما من كفاءتك وصلاحياتك ضع نفسك في
العمل بكليتك ، وافرغ له تماما ، وصمم على انك حتما
ستنجح .

سبب الاخفاق

ان التردد والتذبذب وتقلب الرأي ، وعدم الثبات على
امر من الامور ، والطيش وعدم الاستقرار ، من العوامل
التي تؤدي حتما الى الاخفاق والخيبة والخسران . فاذا
انت اعترفت مرة واحدة - حتى ولو بينك وبين نفسك -
بانك ارتكبت خطأ او وقعت في زلل ، فانك بذلك تكون
قد بلدت في نفسك جرثومة الشك والخوف وتبسيط
الهمة . فبدلا من ان تنظر الى بعض الهفوات الصغيرة او
بعض الهنات الهيئات على انها مجموعة اخطاء فادحة ،
اشعر نفسك بانها واحدة من اقل الاخطاء التي يرتكبها

رائحة السنديان

هنا كانت يدها

تلتف على رأس العصا

ما اطمأنت الا لها

حملتها بمض الهموم

والعصا تشد في الزاوية :

« كم اود لو اثور

اجلد كل من أنقلها

بسمتها ازالتي عني الشقا

وردت نقل الهموم الى قلبها

فصمت الى الابد

كم اود ان اجلد من انقلها !

« وتوكل » يا جني يا روح الدني

بالختاس والوسواس

غرب قلب كل انسان

موطن الرطب واليباس

ما الذي يوسوس في الصدور ؟

وما الذي يخور في البحور ؟

يا ليت لي خاتم لبئك !

مدينتي خراب في خراب

ينفق فيها البوم والتراب

زاهلي خيوط مفتولة

وتدتها الصخور الى صخور

ويدي صفر على صفر

وعصا ابي صفراء من الهموم

يمر الزمن فلا نحس زمتا

والساعة مثل اخرى تؤز عفنا

قدماي سحلتها اشباح السنين

وحروف تكفر بالسنين

واخرى تصرخ ، تفلت علينا مثل تنين

وموج الهواء يطوي لسان الثور

تنن لسانه ، عينه كهف خنزير

وقع القدم

او صوته

حوال القلب الى اصطدامات القدر

والمد فيه والجذر يتبعه برق ورعد

نبحت عن حروف

لكي نصنع منها الكلام

فنعبي ونعبي الحروف ونعبي الكلام

وتصرخ في الزاوية

مرآة عتيقة كانت لجديتي

وجدتي ما رأتها ابي

وغابت ابي معها

فصارت المرأة مثل صوان «حوران»

وابيضت العين مثل تلج « صين »

وعدت الى عصا ابي

صامتة عصا ابي فقيرة مثلها

سحلتها بيدها الليلة

فصتها من شجر السنديان

في حديقة بيتنا شجر من السنديان

رائحة السنديان في عصا ابي



طموح يريد ان يكون ذا هبة واستقلال ، وقد دار بعينيه فيما حوله فوجد مظاهر الجمود والخمول لا تسعفه بما يريد من تطور وانطلاق ، فصمم على ان يقيم نهضة عسكرية علمية ، يستطيع بها ان يجد الجيش الناصر ، والجند المتهاب ، لذلك اعد البعثات وانشأ مدارس الطب والصيدلة والهندسة والادارة والالسن ! واخذ يستعمل الايام ليرى آماله تتحقق على يد هؤلاء المبعوثين الى الخارج والمتعلمين في الداخل ، وقد تكون هذه البعثات الحربية العلمية ذات فائدة كبيرة دون شك ، ولكن الاهتمام بالدراسة العلمية وحدها ، واغفال الدراسات الادبية والانسانية قد ابطأ في تكوين رأي عام مستنير ! فلو ساندت هذه النهضة العلمية نهضة ادبية ترمي الى محو الامية بدءا ثم اثارة الازدهار بما يجب ان تكون عليه الشعوب الناهضة من تقدم وانتعاش ولوب الشعب وثبة ظافرة ، ولما استطاع امثال عباس الاول وسعيد ان يفلحوا المدارس بجرة قلم دون اعتبار انهم ولكن جنديا كمحمد علي لا يطرأ على باله جدوى الادب والفنون في ايقاظ الشعوب ، واثارة المشاعر والاحاسيس ! وانما همم الاول ان يجد جيشا يحفظ به ملكه ، ولن يتحقق ذلك دون البعثات العسكرية والعلمية ! اما اليقظة الادبية فمما اقل جدواها في منطق رجل حربي هيأت له المقادير ان يسود ، ولعله لو فطن الى جدوى النهضة الادبية وانرها النفاذ لا لتعمد كتبها واغفلها ، ليطل الشعب غافلا عن حقوقه ومطالبه ! ذلك الشعب الذي صرخت فيه دماء الحرية فثقت على سلاسله مختصرا ، ووقف في وجه الخليفة العثماني ليعلم عليه ولاية محمد علي على مصر ! وان اشبه اليوم هذا الاحساس الحر رغم ما اعترضه من مصائب واحوال لجدير ان يسبق الى العزة والاستقلال لو وجد من يقو بالعهود ويحفظون الوعود !

على ان الحملة الفرنسية على مصر قد كانت صيحة عالية دوت في اذان الشعب النائم فنبه مدعورا بفتح عينيه على ما لم يكن يتوقع ! انذ كان يظن ان الحياة لا يمكن ان تسير على وجه غير الوجه الذي يعتاده ، فليس هناك احسن مما كان ، فالحال ان ذو القوة الغالبة والبأس المتجبر ، سادته والو الراي في امره يتنازعون ما يتنازعون فيما بينهم دون ان يرى له الحق في التدخل لاجالة المظلوم وقمع الظالم ، والوالي التركي يجلس بفطرسته وكبريائه في القلعة عاما او عامين ليسلب ما يقدر عليه فوق القرية المفروضة على المسلمين لامير المؤمنين ثم يرسل ليلخفه سواء ! وكل ذلك شيء طبيعي في نظر الشعب كما تشرق الشمس في الصباح وتغرب لدى المساء ! حتى اذا قدمت الحملة بعدافعها واسلحتها وجنودها واباطالها ، هوت اسطورة المماليك حين قتل منهم من قتل ، وهرب من هرب ، فتنزقوا ابايديهم وسمع من الشعب الذي اعتقد فيه السطوة والجبروت ، كما فر الوالي التركي بالقاهرة وساعد زميله بالاسكندرية على الخيانة والهزيمة



محمد رجب البيومي

فجر النهضة الادبية بمصر

بقلم محمد رجب البيومي

اذا نظرنا الى نهضات الشعوب الاوروبية نجد انها كانت ثمرة تجارب متنوعة في اساليب الحكم والتدبير اخذت تتطور منذ شروق عصر النهضة حتى قامت الثورة الفرنسية فكانت مفتحة ما تلاها من نهضات في ايطاليا وبلجيكا والمانيا وامريكا وسواها من شعوب العالم المتحضر ! وكل نهضة رائعة من هذه النهضات قد بشرت بها الادب والفن قبل ان تولد ، فتهفت بها احلام الشعراء ، ورسمتها الواح المصورين ، واخذ جيل ما قبل النهضة يشرب لها في غدواته وروحانه ويسرح بذهنه ذاهلا عن واقعه المض الى حياة اخرى تعبق بالحرية والعزة والاستقلال وتتألق بمصاييح الحضارة وفتوحات العلم والتقدم والازدهار ، حتى اذا وقعت الواقعة وانبتق فجر النهضة في ثورة كتكس اطلال القديم التعفن لتبني فوقها قصورا ذات حدائق وجداول وجدت هذه الثورة ملايين الافراد يرحبون بها وينضمون اليها في شوق وانجذاب ، اذ صادفوا فيها تعبيرا عن خوالجهم ، وتحقيقا لامالهم ، واذا ذلك تسير النهضة قدما الى النجاح وقد وجدت الشعب المؤازر والساعدين !

ولكن نهضة مصر في عهد محمد علي لم تكن تلبية حارة لآمان تجيش بها صدور الافراد ، ولم تسبق باعلام كثيرين يمهدون لها طريق الفلاح بل فوجيء الشعب المصري بحاكم

والعار ، فتبدد السراب الخادع للعيون ، وإذا انزاع والماليك لا شيء !

ومع ما قوبلت به الحملة من القاموس العنيف المضطربة في القاهرة وشتى أنحاء القطر المصري حتى ارغمت الفرنسيين على الانحلال ، فقد نحت عيون العقلاء على الباهر الرائع حقاً ، فالكاتب التي تجمع فنان المجلدات ، والمطابع التي تخرج المنشورات والمسارح التي تبذل التمثيليات ! والمدارس التي تعلم اولاد الفرنسيين على ظلام شائق دقيق والمراسد التي تنبأ عن الحرارة والبرودة وتكشف الافلاك والكواكب ، والنقوش البدئية في صالات الاجتماعات ، ومجامع البحوث في الكيمياء والرياضة كل اولئك كان طريفا نادرا امام من شاهده وتاملوه من اعيان البلاد وعلمائها ، بل كان فطنة السحر والشعوذة وعلامة اقتراب الساعة لدى قوم ، وموضع الاسى والالتعاب لدى مفكر متأمل كحسن العطار ! وانت تطالع وصف الجبري لبعض العمليات الكيميائية التي وقعت امامه في حجرات المعامل فلا تدري انصفه بالسذاجة ام تلعده عذر المشفق الرحيم ! مهما يكن من شيء فقد كانت هذه الصيحة الدويبة باعثا قويا على التفكير في شؤون التعليم والتربية لدى العقلاء من المصريين ، وانت تطالع ما كتبه حسن العطار في انهاء التعليم لعهد فتجد اثر الحملة الفرنسية قويا مضطربا في نفسه ، وكأنه به وقد عجز عليه ان يتقدم الفرنسية هذا التقدم المذهل ، على حين يتوارث الاهلويون حواشي المتأخرين ومتون المتخلفين فيدون نقاشهم حول اخراج محترز او الاعتراض على لفظ ، او تاويل جملة ، او تكلف وجه الاعراب لبيت شاذ ، وقد تؤمّد فريق من مؤرخي النهضة الادبية الحديثة ان يجعلوا جمال الدين الافغانى من الرجال غارسي بذرتها وباعت حياتها فوق عواملها الاخرى من صحافة وكتب ومدارس وبعثات ! وفي رأيي ان جذور النهضة الحديثة تضرب في الارض الى مدى بعيد يرجع الى حسن العطار ، ولئن كان جمال الدين صاحب فضل لامع لا يجمد فقد تقدمه فضلاء ماجدون لا نرى من غير التاريخ الادبي ان نسكت عن كفاحهم الرائد الواعد من خيال وحده هو اول من ثار على الطريقة التعليمية في عصره ، واول من دعا الى دراسة الفلسفة وآراء الخصوم ، واول من ألح في اعادة تدريس هذه العلوم لانها كانت من قبل موضع اهتمام كثير من العلماء ، فقد وجد في اجازات بعض الاهريين ما يشير الى ذلك اشارة واضحة ، فانت ترى في اجازة العالم الكبير الشيخ احمد عبدالمتم المنهوري (١١٩٢ هـ) بياناً للدروس الذي حضرها والف فيها ومن بينها « دروس الحساب والميقات والجبر والمقابلة والمنحرفات واسباب الامراض وعلاماتها وعلم الاسطرلاب والزيج والهندسة والهيئة وعلم الارتماطيق وعلم المزاويل وعلم الاعمال الرصدية ، وعلم المواليد الثلاثة وهي الحيوان والنبات والمعادن وعلم استنباط المياه وعلاج

البواسير وعلم التشريح وعلاج لسع العقرب وتاريخ العرب والعجم » وقد يستغرب القارئ المعاصر هذا الحشد من العلوم ويزعج انه شذوذ على المألوف المشاهد ، اذ لو درست هذه العلوم حقاً في ذلك الزمن المظلم ، ما تهافتت البلاد هذا التهافت المتهين ، ولكن الواقع ان هذه العلوم كانت من جهة اولى تخص الفلة القليلة من المعنى الطلاب فليست مما يتداوله عامة الاهريين حتى يعم بها النفع والاصلاح . ومن ناحية ثانية نجد هذه العلوم تدرس في كتبها العربية القديمة فهي تصوّر علوم العصور السالفة . وقد جد من الازدهار في القرب ما جعل حقائقها العلمية في حاجة الى تطوير سريع وتعديل دائم ، اما انها كانت تدرس حقاً فعملاً لا شك فيه لاننا نجد بعد المنهوي من عكف عليها مثل الشيخ حسن الجبري والد المؤرخ الكبير ، ووجود امثال المنهوي والجبري وغيرهما يدل على وجود اساندة بشرحون ويفسرون ! غير ان ذلك في نطاق محدود اشبه ما يكون بالدراسات العالية المتخصصة في هذه الايام ! والدليل لا يقبل الشك على وجود هذه العلوم وانتشار مؤلفاتها القديمة - ولو في اضيق نطاق - ان اعضاء البعثات الطبية والعلمية في عصر محمد علي ، قد وجدوا كتاباتهم منها عند التعريب العلمي فكفوا على امثال مفردات ابن البيطار وقانون ابن سينا وكتابات ابن رشد ! وقرءوها في سهولة ويسر ! فمصر اذن لم تقفر اقفاً لاجاباً من هذه الدراسات ، ولكن ظلام العصر ، وجعل الاتراك وعرب الممالك قد جعل هذه الجهود المباركة فردية خاصة يقوم بها الطالب والمدرس دون تشجيع ! وهي بذلك اخرى ان تنقطع بين الفينة والفينة حتى تمتح حرات مصلح كبير كحسن العطار ، فيمنع على زملائه هذا التهافت الشائن ، ويرسل صيحاته الدويبة في كل مناسبة ! حتى في مجال التعليق على كتب الفقه والاصول فهو يقول في حاشيته على شرح الجلال الحلبي على جمع الجوامع بالجزء الثاني عند الحديث عن القياس الاصولي « ومن تأمل ما سطرناه وما ذكر من التصدي لتراجم الائمة الاعلام انهم كانوا - مع رسوخ قدمهم في العلوم الشرعية والاجام الدينية - لهم اطلاع عظيم على غيرها من العلوم ، واحاطة تامة بكلياتها وجزئياتها حتى في كتب المخالفين في العقائد والفروع ، يدل على ذلك النقل عنهم في كتبهم ، والتصدي لدفع شبههم ، واعجب من ذلك تجاوزهم الى النظر في كتب غير اهل الاسلام ، فاتي وقت على مؤلف للقراني رد فيه على اليهود اشبهها اوودوها على الملة الاسلامية لم يات الرد عليهم الا بنصوص من التوراة ، وبقية الكتب السماوية حتى يظن الناظر في كتابه انه كان يحفظها عن ظهر قلب ، ثم هم مع ذلك ما اخلوا في تثقيف السنتهم وترقيص طباعهم من رقائق الاشعار ، ولطائف الحاضرات ، ومن نظر ما دار بين المصنف رحمه الله وبين الاديب الصلاح الصفدي من المراسلات البليغة والاشعار الرقيقة علم انه

آخرون نيفوا في العلوم المختلفة فان حديثنا الان يتجه الى الناحية الادبية اللغوية ! واثر مدرسة العطاف في هذه الناحية لا يزال خفي الملامح ضائع السمات ! مما يسمح لنا ان نتحدث بعض الشيء عن تلاميذها الرواد .

اما الشيخ الطنطاوي فاول من درس المعلقات والمقامات بالازهر قبل رحلته الى روسيا ، وذلك خطوة هامة في الالتفات الى الادب بنثره وشعره اذ ان جمهرة العلماء لعهد كانت ترى التدريس منحصرًا فيما يسمى علوم الوسائل والمقاصد ، وليس من بينها الادب كما يجزمون ! فكان حدثا رائعا ان يجمع الشاب تلاميذه في صحن الازهر ثم يظل عشر سنوات يشرح لهم المعلقات ويهتف بأشعار امرئ القيس وزهير وعنترة وطرفة ، ويملي تعليقات بدعية على شرح العلامة الزوزني لها ، وفي وقت كان شعراء العصر وأدباؤه لا يلتفتون لغير أشعار المتخلخين من ابناء المدرسة البدعية ، وفي وصفهم بالشعراء تجاوز متسامح لانهم لا يخرجون عن النظم العروضي الى روح الشعر وجوه ، اما تدريس المقامات فمهما قيل في الاعتراض عليه ، فهو خطوة اولى لدراسة النثر ، ومحاولة لمرش نمط من الاسجاع والمحسنات يرتفع عما تعورف لدى ادياب العصر العثماني ومن وليهم الى عهد الاستاذ ! ولا شك انه انشا من التلاميذ من فهموا مذهبًا جديدًا في الشعر ، وابنه طالب تخرج على يده هو الاستاذ حسين المرصفي صاحب المسيلة الادبية وسلم به بعد حين ! هذا تلميذ فذ من مدرسة الطنطاوي ، اما زميله الشيخان محمد قطة العدوي (١٨٩٤ م) وابراهيم الدسوقي (١٨٩٣) فلا ادري ماذا فعلوا في الادب من تعداد ما ترهما النافعة ، وهي مما لا يجوز انكاره ، حيث ترهب كلاهما رهبانية جادة في تصحيح الكتب الادبية ، وتقديهما الى المطبعة العربية لاول مرة نقلا عن الاوراق المتأكلة والصحف المظومة ، والسطور الباهتة المضطربة ، دون كسل او فتور ، لقد تعودنا ان ننظر الى الطبعات الاولى لامهات الكتب التي صدرت في النصف الاول من القرن التاسع عشر نظرتنا الى عمل تجاري يقوم به وراق محترف دون ان يتسلح بعلم او مران ، مع ان الانصاف الدقيق يفرض علينا ان نتذكر ما كانت عليه اصول هذه الكتب من تحريف وتشويه واهمال ، فنقدر كم بدل مصحح الكتاب من عقله ووقته حتى استقام له النص على وجه من الوجوه ، ثم هو بعد لا يملك من ادوات المراجعة والتدقيق ما نملك الان بعد ان ازدهرت حركة النشر في جميع اقطار الامة العربية ، حتى يقابل بين نص ونص ، وبوازن بين عبارة وعبرة ، وفوق ذلك فانه لا يقتصر على اخراج كتاب او كتابين او ثلاثة وانما ولف مصححا بالطبعة لتراكم حوله الاصول المختلفة عن يمين وشمال ، وهو بعد مطالب في الحاح سريع ان يقوم العبارة في اقرب مدى يتاح !

اقول لو تأملت فيما نشره العدوي والدسوقي

رحمه الله ممن تخضع له رقاب البلقاء وتجري في مضماره سوايق الادباء ، وكذا ما دار بين سلطان المحدثين الحافظ ابن حجر المسقلازي ومن عاصره من فعول الادباء ، من لطائف الاشعار والتكات الادبية ، وكذا العلامة المماميني بل وبين الحافظ السيوطي والساخوي من المناقضات وما افه من المقامات ، وفيما انتهى اليه الحال في زمن وقعنا فيه ، علم ان نسبتنا اليهم كنسبة عامة زمانهم فان قسارى امرنا النقل عنهم بدون ان نخترع شيئا من عند انفسنا ، وليتنا وصلنا الى هذه الرتبة بل اقتصرنا على النظر في كتب محصورة فيها المتأخرون المستمدون من كلامهم تكررها طول العمر ولا تطمح نفوسنا الى النظر في غيرها ، حتى كان العلم انحصر في هذه الكتب ، فلزم من ذلك انه اذا ورد علينا سؤال من غوامض علم الكلام ، تخلصنا منه بان هذا الكلام من كلام الفلاسفة ولا ننظر فيه ، او مسألة اصولية قلنا : هذا من علوم اهل البطالة ، وهكذا ، فصار العذر اقبح من الذنب ، واذا اجتمع جماعة منا في مجلس ، فالمخاطبات مخاطبات العامة ، والحديث حديثهم ، فاذا جرى في المجلس نكتة ادبية ربما لا تنفطن لها ، وان تفتننا لها بالغنا في انكارها ، والاشماش عن قائلها ان كان مساويا ، وايدائه بشتاعة القول ان كان ادنى ونسبناه الى عدم الحشمة وقلة الادب ، واما اذا وقفت مسألة غامضة من اي علم كان ، عند ذلك تقوم القيامة ، وتكثر القالة ، ويتكدر المجلس ، وتتملى القلوب بالاضواء ، وتضيق العيون على القذى ، فالرموق بنظر العامة المومض بها يسمى بالعلم اما يستتر بالسكوت حتى يقال ان الشيخ مستغرق ، او يهذر بما تمجج الاسماع (المستغنى عن الفصاح فحالنا الان كما قال ابن الجوزي في مجلس الوعظ ببغداد :

ما بالبادر اخو وجد تطارحه حديث نجد ولا خل تجارسه
وهذه نغمة مصدور فسئال الله السلامة والطق »

ارأيت اي شعور حاد يخلق في نفس هذا الصلح اواي نغمة غاضية كانت تملا جوانحه اسفا على ما بلظه لدى علماء جيله ! .. واي دعوة قوية الى الادب والشعر والنظر في كتب الديانات والمنطق .. ان مصلحا كذلك الصلح لا بد ان ينشئ تلاميذ يؤمنون براه ، وينسجون على منواله ، وقد اتيحت له الفرصة فتولى اكبر منصب علمي في البلاد اذ صار شيخ الازهر الشريف اربع سنوات وكان لديه ميل اي ميل لدراسة العلوم الطبيعية والرياضية حيث اتصل بعمال الفرنسيين واطلع - كما تحدث عن نفسه - على الآلات الفلكية والهندسية ، وتجول في البلاد شرقا وغربا من القاهرة الى البانيا ، وقد عاد ذلك بالنفع على روحه المتوثب وعقله المتفتح ! ولكن النفع الاكبر قد عاد على تلاميذه حين وجه ناهيهم الى الادب واللغة فكان منهم محمد عياد الطنطاوي ومحمد قطة العدوي وابراهيم الدسوقي ، ورفاعه الطنطاوي ، ولئن كان للرجل تلاميذ

وتلاميذهما من المصححين لوجدت ان المصحح الواحد قد نشر من المؤلفات في عمره المديد اكثر من اربعين كتابا وقف منها امام كل لفظ ، وناقش كل عبارة ، وفكر في كل معنى ، كما قدم جهده الى المطبعة دون ان يجد له حقا في ذكر اسم ، اذ انه - كما يعتقد - موظف يقبض اجرا على التصحيح والتحرير فلا مجال اذن لتسجيل ما يشير اليه من قريب او بعيد ! ثم تقدم الزمن قليلا فرائنا من تلاميذ هؤلاء الرواد من يذكر في اخر الكتاب نبذة موجزة تعرف بكلمة المصحح بيتنها غالبا باسمه ، ولكن من عرف من هؤلاء اقل ممن جهل ، اما يجب ان ندخل في حسابنا اثر هؤلاء المكافحين الكماء ! مبتدئين برالدي التصحيح المطمعي بعد ان عرفنا الدفاعهما الخلس في نشر الكتب الادبية ، ومقدرين ما غرسه العطار في نفسيهما من حب للادب والشعر اذ لولاه لاقتصرا على الكتب العلمية دون انباه الى مؤلفات النثر والشعر والتاريخ !

ونعرج على الطهطاوي ، وهو انبه تلاميذ العطار قدرا ، وابعدهم صيتا ، واعلام همة وقد اتبع له ان يسافر في بعثة علمية الى باريس باشارة العطار وتوصيته بعد ان لس دلائل نبوغه بالازهر وعرف من امارات جده واجتهاده ما جعله موضع الاستفادة والافادة في تقديره ، ولك ان تعجب حين تعلم ان رفاة قد اختير ليكون اماما للبعثة فقط ، ولم يكن من المقرر عليه ان ينهل من حياض المعرفة الحديثة مع مرافقيه في رأي صاحب الامر ، ولكن العطار يدرك الظما المتسمر في نفس تلميذه الى المعرفة والثقافة ، فيفسر عليه ان يقبس من العلوم والمعارف فضلا عما يستطيع وان بدون خلاصة واقفة لما يرى ويسمع في بلاد الحضارة والمدنية ليقتف المصريون على بعض ما هنالك من مظاهر الرقي والازدهار ، وقد رحل الطهطاوي عاقدا العزم على الكفاح والنضال ، وبادر باثاق الفرنسية في زمن لم يمتد على اكثر من ثلاث سنوات ، وكان كالجائع الذي عصفه الطوى شهورا طويلا ثم نظر فجأة الى خوان الذي يمتلئ بمئات الاطعمة وشتى الوان المرغبات ، فبهر عينه ما رآى ، وتحير فيما يأكل وما يدع ، ولكنه اندفع الى تذوق الكثير من الاطباق المترصة دون تحديد هادف لنوع هاهن المأكلا ! هكذا كان رفاة ! يسمع عن علم من العلوم فيسرع الى دراسته ، ويرى كتابا من الكتب فيبادر بقراءته ، حتى ذكر مترجموه انه عرب نحو اثنتي عشرة رسالة في مختلف الفنون والعلوم من هندسة معادن وطبيعة وتاريخ وتقويم ومثلوجيا وعلم الصحة والاخلاق ، وحتى شهد له استاذة شواليه بالاكثار من الدرس والتحصيل حتى اوشكت عينه اليسرى ان تكل ، كما ذكر انه كان يشتري اكثر الكتب من مرتبة الخاص ، ويدفع كذلك اجر معلم اضافي يقتضيه من نفقته ليوقفه على ما لا يستطيع ان يدركه بمفرده ! وقد امتد نهمه الى كتب الاداب الفرنسية من سياسة وادب

وتاريخ واجتماع فقرأ مؤلفات روسو وراسين ومونتسكيو وفولتير . واجهد نفسه في دراسة معجم الفلسفة ؛ ودرس القانون الفرنسي وعرب اكثر مواده ! كما وصف نظام الحكم الفرنسي وروح الثورة التي شبت سنة ١٨٣٠ . وكان قد شهد حوادثها من تلاها من سقوط ملك وقيام اخر ، وانتقد موقف شارل العاشر انتقادا صائبا حين اختار قائد عسكره من اعداء الشعب ومنافضي الحرية ، وحين لجأ الى الاضطهاد والعسف دون ان يجعل من الغفو ليلما لجراح شعبه! ، ونقول عن يقين ان هذه الدراسات السياسية القانونية هي التي جعلت رفاة وطنيا غيورا ، فقد ادرك الهوة السحيقة التي تنحدر اليها الشعوب الشرقية وفي مقدمتها مصر اذ فورت بباريس ، واخذ على عاتقه ان يقوم بدور المصلح الموجه وعاد الى وطنه ، وكانت ميادين الإصلاح امامه تتسع وتمتد حتى لتحتاج الى العصبية الاولى القوة من المناضلين فماذا سي يقوم به فرد واحد ، والحكم باتش حذر ، والامة غافلة راقدة ، والحاسدون كثير.. لقد بادر بالثورة على طريقة التعليم في مصر ، ودعا الى منيح بسير خفيف المؤونة موازنا بين كتب الدراسة الفرنسية وكتب الدراسة الازهرية قائلا في رحلته الشهيرة :

« ومن جملة ما يعين القرائية على التقدم في العلوم والفنون سهولة لفهم سائر ما يكملها . فان لفهم لا يحتاج الى معالجة كثيرة في تعلمها فان اي انسان له قابلية ومادة صحيحة يمكنه بعد تعلمها ان يطالع اي كتاب كليل ، واذا اراد المعلم ان يدرس كتابا لا يجب عليه ان يحل الغلط (بدا) ان الانفاط مبنية بنفسها ، وبالجملة فلا يحتاج قارئ الكتاب ان يطبقه على قواعد اخرى برانية من علم اخر بخلاف اللغة العربية مثلا فان الانسان الذي يطالع كتابا من كتبها في سائر العلوم يحتاج ان يطبقه على سائر الات اللغة ويدقق في الانفاط ما امكن ، ويجعل العبارة معاني بعيدة عن ظاهرها واما كتب الفرنسيين فلا شيء من ذلك فيها فليس لكتبتها شراح ولا حواش الا نادرا ، فالتون وحدها كافية في افهام مدلولها ، فاذا شرع الانسان في مطالعة كتاب في اي علم كان تفرغ لفهم مسائل ذلك العلم وقواعده من غير محاكاة الانفاط فيصرف سائر همته في البحث عن موضوع العلم وعن مجرد المنطوق والمفهوم وعن سائر ما يمكن انتاجه منها واما غير ذلك فهو ضياع ، مثلا اذا اراد الانسان ان يطالع علم الحساب فانه يفهم منه ما يخص الاعداد من غير ان ينظر الى اعراب العبارات واجراء ما اشتملت عليه من الاستعارات ، والاعتراض بان العبارة كانت قابلة التحسين وقد خلّت عنه وان المصنف قدم كذا ولو اخره كان اولي وانه عبر بالفاء محل الواو والعكس احسن ونحو ذلك ! » (للبحث صلة في العدد المقبل) .

محمد رجب البيومي

الفيوم - دار المعلومات

آمال

ان كان ما بي فوق ما بك
لغريبه مثل اغترابك
اهرقها لك في غيابك
بين اليتامى واضطرابك
اعلى مصابي ام مصابك
فكشفت عن هول ارتعابك
اليك شيئا من صوابك
عن هشي وخز من عتابك
عينيك لونا من عقابك
سوى المتيم من صحابك
في النزول على طلابك
كنت مدعاة ارتيابك
اضعاف دمعك وانتعابك
طول النهار امام بابك
رفيق شعرك او ثيابك
كاسي واشرب من حبابك
حين اطعم في رضابك
النون على حسابك
والفضل من ترابك
لتشبع من ملايك
وكنت في حجر ارتعابك
طول انشغالك وانكبابك
بصحبة بعد اصطحابك
في شذاك وفي اهباك
اجتدي عطف اقترابك
المفاجيء من ذهابك
له السرور ففي ايابك
اكذب عليك ولم احبابك
بالصبر خفف من عذابك
وحلو ثفرك في خطابك
في كل حرف من كتابك
ولئى وكان فدى شبابك
وتبسمي لي في جوابك

ماذا ارد على اكتئابك
الله يشهد ما جزعت
حسبي من العبرات ما
يا ساعة امضيتها
لم ادر ما ابكى بها
اتراك هالتك النوى
عشا احوال ان اعيد
كيف التفت بسمت لي
حتى لظلت الدمع في
(آمال) هل انا لو علمت
واعيد قلبي ان يكابر
اذا بكيت بغير دمع
ولم الدموع ولوعتي
يا ما وفقت مولها
على اغازل ان خطرت
اعيا فاترع بالهوى
ولكم اخذت عليك بخلك
وانا الذي لو شئت عافرت
وجعلت من عيني طامعك
وطالما عريت نافذتي
ولحيت مقدمك الاغر
ارنو اليك وانت في
(آمال) لاجاد الزمان
مثلت لي طهر العذارى
ما كان اسعدني بقربك
كم مجلس عطرت روعه
ان كان من امل يرد
(آمال) يا حلمي ولم
ما كان غير دعاك لي
فبت صوتك في دعاك
وشممت مسكي الهوى
ما همتي عمري اذا
فضي دموع رسالتني

حافظ جميل

بغداد

نعاما ، قام المعلم بوضع فضيب الرصاص داخل النار على مشهد من الكونت ، وحينما رفعت القارورة من تحت الرصاص وجد الذهب في قعرها .
مد ذلك بدأت متاعب المعلم ، فقد اخذ الكونت يلح في طلب المزيد من الذهب .

وقال الكونت : « حتى الان كنت اعتقد ان سوبربولنجيريانوس كان اغنى ثور في الوجود . اما الان فقد بدأت اكتشف انه ليس غنيا ، بل هو بجوز نذل ، يعرف كيف يصنع الذهب ، ولكنه لا يريد ان يصنعه . فاذا لم اجد في صباح الغد كمية مقبولة من الذهب في الفرن سأقضي الاجيال المقبلة - التي سترميني بالندالة حتما لهذا العمل - فانتزع شاربيك من مكانهما ، ابها المعلم ، وأمر بجر كل الى قمة اعلى ابراج قصري وندفك من علاه . وهذا الذي اقله سافذه دون ريب . »

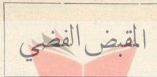
قال ذلك ودار على عقبه ، ومضى فتناول مشاءه ، ونظر الى روزنامته ليري في اي قرية من قراد كان يمكن ان يقضي ليلة هنيئة . ورش بعض المطر على ثمره شاربيه الاحمر القليل ، وركب جواده خارجا من القصر .

اكرر القول ان هذا قد حدث في الليل . وفي فجر اليوم التالي كان المعلم ما يزال يهرش راسه .

تهدد المعلم تهدة اليمه وهو يتعبد ممتعضا من خلطته العجيبة الرائحة ، وقال : « واحسرتاه ! لم يعد في وسعي شيء ، وليس من الممكن ان اتوصل الى صنع الذهب ، حتى نحاس المطالي لم يعد لدي شيء منه ، وكل النقود التي استطلعت ان احصل عليها من الكونت سكارليت بيعت بها الى ابني غير الشرعي . لقد جاهدت مائة وثلاثين عاما فلم يرافقني فيها غير الاخفاق الدائم ، وها انا الان لا استطيع ان اتقد نفسي من هذا المأزق . ان سكارليت الوجد سينفذ ويميده حتما . ومنذ خمس سنوات فقط ، ولسبب كهذا ، سمر صديقي المحترم

كثيرة النفوس ، تحت غطاء زجاجي على مائدة مخملية صغيرة ، كانت قطعة ذهب صغيرة اصفر حجما من نصف حبة الارز .

كان المعلم ينظر الى قطعة الذهب هذه ويهرش راسه . لقد استولت على الكونت سكارليت نسي الليلة الماضية نوبة غضب عنيفة ، فلقد تب من حمل هذا المعلم على ظهره مدة عام ونصف العام ، فكان المعلم يأكل ويشرب ويحيا حياة حسنة الى جانب المبالغ الهائلة التي كان يتفقها على تجاربه ، ولم يستطع ان يصنع اكثر من هذه القطعة التافهة من الذهب . في احدى المرات في العام المنصرم كان الكونت قد صمم على



للكاتب المجري فيريش مولنار

معدة الى الصبي الكبير عبد الكريم حزامي

ترجمها عن الانجليزية عيسى الناعوري

ان يقذف بالمعلم خارجا ، وعند ذلك نجح المعلم ، لحسن الحظ ، في خلق الذهب . والصحيح انه لم يستطع ان يتوصل الى ذلك الا بان يدخل الذهب - وكان قد اشتراه بنفسه - في داخل الرصاص الذي كان مفروضا ان يحمله الى ذهب . غير ان الكونت سكارليت ، على الرغم من انه كان وغدا داهية ، لم يستطع ان يكتشف ذلك ، ففي ادهي نوع من الطقوس السحرية المؤثرة وفي منتصف الليل



اخذ شريط ضيق من الدخان يشق طريقه خفيفا من واحدة من المداخل العديدة في القصر الاطعاني القديم . لقد برز في وسط الفجر الخروفي الغائم والشمس ما تزال في بدء شروقها . وان اي قين عارف بالامور ، حين يرى الدخان من الوادي تحت ، ليعرف جيدا ان هذا الدخان لا يعني ان الطهاء قد شرعوا يعدون القطور للكونت سكارليت ، او كما يدعونه في الوادي ، الوجد الاحمر . لقد كان الطهاء في قصر الكونت مهذبين ولم يستيقظوا قط قبل الساعة صباحا . وكل قين عارف بالامور كان جديرا بان يعرف ما يعنيه ذلك الشريط الصغير من الدخان . لقد كان المعلم كورناد سوبربولنجيريانوس هو الذي استيقظ مبكرا هكذا . فلقد كان الكيمائي الفني لدى الكونت ، وقد جاء من ويرزبورغ قبل سنة ونصف ، ومنذ ذلك وهو يعمل في مختبره الكيمائي دون ادنى تقدم .

الواقع ان المعلم كورناد كان قد نهض اذ ذاك الى عمله . كان واقفا امام ناره مرتديا معطفا طويلا اسود ، وفوق النار كان يقف مزيج عجيب من مواد ملفقة ذات روائح غريبة . كانت لحية الرجل الطويلة البيضاء تتدلى الى ركبتيه ، وحين كان يريد تمسيد لحيته (وكثيرا ما يفعل هذا) كان ينحن حتى يكاد يلامس الارض ، وحتى هذه الانحناء لم يكن يصل الى طرف لحيته الا نادرا .

لقد كان محاطا بكل انواع الادوات العجيبة ، وعلى الجدران كانت خرائط عجيبة معلقة تشير الى حركة النجوم ، وكل السموات مجزأة الى تلك الدوائر الكروية التي يستطيع المرء ان يقرأ فيها تقلبات الاقدار . وفي كل مكان تنتشر افران قوية الرائحة مبنية من الطوب ، وقوارير قوية لا تؤثر فيها حتى نيران الحميم ، وقطع مسن الرصاص ، ومكاييل برافة ، وكور هائل كان يلهث كرائي تنثين مقتول حديثا ، وفي احدى الزوايا على قاعدة

كل الاكاذيب التي كنت تخدعني بها
لكي تطيل اقامتك هنا ، ايها اللطخة
الوچه في سماء العلم ؟ .

ان الارتياح نصف التصديق ،
كذلك قال المعلم في نفسه . وجعل
ينمئ كذبه باعظم ما يستطيع من
الاطمئنان ، فقال :

— في اثناء تجاريسي اكتشفت
الطريقة التي يمكن بها الاستيلاء على
قلوب النساء .

ففتح الكونت عينيه الواسعتين .
لقد كان معروفا بشدة الاعجاب بحر
النساء ، الا انه لم ينجح قط مع نساء
طبقته . فاشرق وجهه بالهبطه .

وتابع المعلم كلامه : لقد مزجت
الفضة بالتراب وغلطته في عصير
الاسبيرولا المعطرة ، ثم في عصير
جدور الزعرور الاوروبي . هذه هي
مواد التركيب ، اما السب الكيميائية
التي ينتج عنها البحر العجيب فهذه
هي سري الخاص . هذا هو ...

ثم رفع غطاء احد الاوعية . كانت
هناك فعلا كرات صغيرة من الفضة
تقلي في عصير شيء ذي رائحة هائلة
الغريبة . لقد كان يطبخ ذلك الخليط
كله طوال الليلة السابقة كآخر محاولة
للنجاة .

وسال الكونت : ثم ماذا ؟ .

— ومن غير الفضة هذا ساصنع
لوحا رقيقا من الفضة ، وبهذا اللوح
الرقيق ستفضل بتغطية مقبض
سيكف . وحين ترافق السيدات لا
تدع يدك اليسرى تفارق مقبض
السيكف . ولن تجد سيدة عظيمة ،
او بارونة ، او كونتيسة ، او دوقة ،
او حتى ملكة تستطيع ان تقاوم اغراء
هذا البحر . بهذا السيكف ستنجح
مع اية سيدة في الدنيا .

فهمم الكونت : هم : ! .. هل
استطيع ان اتق بهذا كل الثقة ؟ .
— لن تعرف ذرة من الاخفاق يا
سيدي ! .

ثم قال المعلم في نفسه : انني بهذا
اكسب بعض الوقت . ولكي يتجنب
مساء الانحاء الى الارض رفع لحيته

— قف يا سيدي !
فاجل الكونت ، وقال : ماذا
لديك ؟ .
فتاوه المعلم قائلا : ليس هنالك
ذهب ، ولكن ثمة ما هو افضل من
ذلك ! .
— ماذا ؟ .

في هذه اللحظة بلغ المعلم سوبريو
للتجرب ياتوس ريقه بلعة هائلة، ولكنها
في هذه المرة لم تعد جافة ، فقد ابتل
فمه بالتفكير في كذبة لطيفة خطرت
له في تلك اللحظة . لقد احس بانه
قد نجح .



عيسى الناعوري

وعاد الكونت يكرر سؤاله : ماذا ؟ .
— شيء افضل من الذهب .
— حجر الفلاسفة ؟ .
— كلا .
— ماذا اذن ؟ .
فقال المعلم : سعادة الحب الدائم .
ثم بلغ ريقه من جديد .
فاخذ الكونت يتحسس انفه ،
وكان هذا علامة الارتياح . وسال :
— هل ينبغي علي ان ابليع هذا
ايضا ؟ ابئلت هذه الكذبة ايضا كما
ابئلت ، مدى عام ونصف العام ،

وزميلي بافوشيوس رانواينيس من
اذنيه على بوابة القصر ، حتى اصبح
اشبه بخفاش ضال . واحسرتاه !
كيف استطيع ان اتقد نفسي ! .
هكذا بكى المعلم وهو ينحني مرارا
متعددة الى الارض ليمسك لحيته
الطويلة .

وجأة ، من خلال مصيبته ، سمع
في المر وقع اقدام . وفي هنيهة
قصيرة فتح الباب . وفي وسط
المطبخ الجهنمي وقف الكونت سكارليت
بحاجبين يرقص الغضب والتوعيد
فيهما . كان الكونت طويل القامة ،
نحيفا ، انمش ، ذا شعر قصير احمر ،
ووجه عظمي شري . وكانت يده
كقطعتي بوفتيك كبيرتين ، وركبته
نافرتان من بنظونه المحكم كأنهما
بشران خيشان . ورفع يديه
الارستقراطيتين المغطائين بالشعر
الاحمر ، وراحت عيشاه الصغيرتان
الشبهتان بعينسي خنزير تبحثان
متسالتتين :

— والان ايها المعلم ؟ !

فتخاذلت قوى المعلم فجأة ، وحاول
ان يجلس على الهواء . وبلغ ريقه
بلعة كبيرة جافة ، واصطبغ وجهه
بلون العقيق الشاحب وهمس :

— والان ، ماذا تمنسي هذه ال
« والان ؟ » .

كانت لحظة رهيبة . وكانت جدية
الموقف تتمثل في ان الكونت قد نهض
في هذه الساعة المبكرة جدا على
خلاف عاداته . كان واضحا ان ما
يزال مصمما على تنفيذ تهديده
فخيم على الغرفة صمت مثل صمت
الموت ، لا يقطعه غير الرائحة الغريبة
النبيحة من خليط الاشباب التي تقلني
غليا مستمرا في صمت الغرفة .
واخيرا قال المعلم : « ايها الكونت ،
ليس هنالك ذهب ! » .

فصرخ به الكونت : « اذن هات
لحيتك وشاربيك لاتنفها » . ثم
تقدم من المعلم ، فاسرع هذا يقذف
بلحيته الطويلة على كتفيه لكي تتدلى
على ظهره ، وصرخ يائسا :

المقبض. وكان الكونت الأحمر يتحدث حديثاً غيبياً ، ولكن السيدة لم تصغ إلى شيء مما كان يقوله . وقالت في نفسها : « آه ! أن الأمر وهم بليد كله ، فلماذا ينبغي أن ادبر بالي إليه » ولكنها ما كادت تدبر عنه بصرها حتى حدث ما أجبرها على معاودة النظر إليه . لقد سحب الكونت مقعده المنخفض وأقرب منها وهو يضغط على مقبض السيف بكل قوته . فذهب الخوف في نفس السيدة . وقال لها الكونت مبتسماً : لماذا تخافين مني ؟ انني لا أريد أن أسيء إليك ! على العكس ...

فهمست إحدى النساء خلف الستائر : لعل الأفضل أن نبتعد الآن ونتركهما وحدهما ... وسمع صوت ناعم يتسلل بخفة حين انسحبت النساء من خلف الستائر وأصابعهن على شفاههن . وقال الوند الأحمر بلهجة ذاتية : لقد أحبتك منذ أمد طويل ! فأجبت السيدة بأن شيئاً قد وقف في حلقها ، ولكنها قالت لنفسها أن هذا مجرد وهم .

— انني أعبك ! ولم تستطع المرأة أن ترفع عينيها عن يده . فقالت محتجة : أن كنت تجنني فأرفع يدك عن مقبض سيفك . فصرخ الكونت في فورة غرامه المحتدم الحار ، وقال وهو يقرب مقعداً إليها أكثر من قبل : كلا ، أبا . كانت السيدة ترمش كورقة في الريح المسائية . وهتف سكارليت : انت رائدة الجمال . انك جييلة كنجمة الصبح . وأقول لك بصراحة انني سأعجبك حبي الوحيد ...

واشدت قبضته على السيف . فقالت المرأة في نفسها مرتبة : أنه لن يدع مقبض سيفه ... لن يرفع يده عنه ... لقد ضمت ... وحاولت أن تنهض ولكنها في تلك اللحظة عينها أحسبت بشعرات شائكة من شاربين يحفيين تلامس شفاهها . فاردت أن تصرخ ولكن الكونت كان

بعد أن كانت حتى تلك اللحظة لا تجرؤ على أن تنظر نحوه ولو نظرة خاطفة . فدهشت لرؤيته . ذلك السيف الذي كان مرصماً بالجواهر والحججارة النفيسة ينتهي بصفحة فضية بسيطة جداً . أن مرآة ليعتد على الحيرة وهو يشع في ضوء الفرفة الضئيل كالأنوار الروحانية القريبة .

ولم يكن في وسعها أن يراها النساء الثلاث والثلاثين يختلسن اليهما النظر من خلف الستائر والسجاجيد الصفيفة . ولكن هؤلاء النسوة أقتنعن بأن الكونت كان ذا قوة لا يمكن مقاومتها ، على الرغم من أنه كن يعتبرنه مثيراً للضحك والسخرية قبل ذلك .

وقال العظم الأحمر : أطقس جميل !

وقالت السيدة : نعم ، جميل جداً . وأجبت كثير من الزائرة حين رأت أن الكونت لم يضع يده على مقبض السيف . وارتدت الكونتة لا عن حار جداً ولا بارد جداً . وقالت السيدة : لطيف جداً في الواقع .

وتابع الكونت كلامه : عند الظهر حار وفي الليل بارد . أما الليلة فإن غروب الشمس أروع من كل شيء آخر ، وأروع ما يكون إذا ما قضى المرء وقته في صحبة امرأة جميلة . قال هذا ووضع يده الضخمة على مقبض السيف . وكانت السيدة تنظر إليه بعينين واسعتين ، فأخذت ترمع قليلاً . وشرعت الستائر الثقيلة تتحرك ، وسرى في أوصال السيدة شعور لذيذ .

وقالت النساء اللواتي في الصف الأول اللواتي يقفن خلفهن : لقد وضع يده عليه ...

وسرى الهمس بين الجميع : لقد وضع يده عليه ... لقد فعل ذلك حساً ... !

ولم تستطع سيدة القصر أن ترفع عينها عن اليد التي تستريح على

على ذراعها وراح يمسحها شارد الفكر . وسرعان ما انتشرت الإشاعات في المنطقة كلها ، وفي القصور والقلاع الجاورة أخذت النساء ذوات اللابس المطرزة بالذهب يتهامن ويتبادلن النظرات ذوات المعاني . وفي كل مكان كانت تدور الإحاديث حول سيف الكونت سكارليت ذي المقبض الفضي . ولم تكد تمضي ثلاثة أيام حتى تلقى المعلم سويربولنجير يانوس ثمانية عشر عرضاً من سادة عظماء متعددين آخرين يعدونه فيها بوظائف دائمة ، وبأبي مبلغ يشاؤه من المال ، السى جانب المنام والطعام ، إذا ما رضي فقط بأن يعلمهم سر التركيب الكيميائي للمقبض الفضي . غير أن الكونت سكارليت عرض أكثر من أي واحد منهم ، ولم يسمع بأن يفادر المعلم قصره .

في اليوم الرابع عشر شرع الكونت يحالو الغزو بمقبضه الفضي . وقادته المغامرة الأولى إلى القصر المجاور . وكان رب القصر مسافراً إلى بلاد أجنبية ، ولم يكن في القصر سوى سيدة القصر الجميلة في صحبة وصيفاتها الثلاث والثلاثين . لقد كانت هذه الأرض عزيزة السيد زمناً طويلاً على الكونت سكارليت ، أما الآن فإن النساء كن يترقبنه بغضول غريب مستشار . كانت النساء الثلاث والثلاثون جميعاً يرغبن في استقبال الكونت ، وقد أصدرن كلهن على أنهن لا يخشين المقبض الفضي . غير أن سيدة القصر صرفتهن جميعاً ، واستقبلت الكونت على أفراد ، وهي التي كانت مثال الأخلاق والفضائل النسائية .

كانت تجلس على أريكة كبيرة حين دخل إلى الفرفة « العظم الأحمر » — كما كن يدعون الكونت سكارليت فيما بينهن — فنهضت ومضت لتلقيه ، وقدمت له كرسي . فجلس السيد العظيم على مقعد منخفض ، وكعادة الفرسان حينذاك ، وضع السيف بين ركبتيه . فنظرت إليه السيدة خجل



وجه الحبيب

يا موجع القلب كاد القلب ينصق
ما أروع الليل يغفو في ظلالهما
يا ملهي الشعر حبي من مناهله
تكاد روحني اذا قبلت مبسمه
كانها بتلات الورد مثقلة
وجه تبارك من سواء مكتملا

وديع ديب

ARCHIVE

ونكتك بنفسك ، واخلاصك تتجمع
كلها في ذلك الشيء عينه .. وأما
الآن ، وقد قلت لك هذا ايها البارون
الازرق الداكن ، فانك ستذهب الى
النساء بمقبضك الفضي دون فائدة ،
لانك لن تؤمن به بعد الآن ، وستشعر
النساء بانك لم تعد تؤمن بقواك
الذاتية ، ولهذا ستهزم في كل مكان
ايها البارون الازرق الداكن ..

ولم يستطع ان يتم عبارته ، لان
البارون الازرق الداكن ضربه على
راسه ضربة عنيفة . لقد كان لا بد
له من الموت على كل حال بعد عشر
دقائق ، ولكن البارون رأى من الافضل
ان يعينه بهذه الطريقة السريعة ...
وهكذا توفي المعلم كونراد سويريو
للتجربانيوس ، الفشاش ذو الشعر
الرمادي ، والحقيقة على شفثيه .

عيسى الناعوري

عمان

الماضية كان وأقرا بسبب ما في مقبض
سيفه الفضي من سحر عجيب .

— ماذا كانت الوصفة ؟

فجار المعلم من فراشه : — اقسم
بنيران الجحيم انه لم يكن هناك اي
وصفة ... وسواء اكان ما هنالك
مقبضا فضيا ، ام زرا نحاسيا ، ام
علبة صفيح ، ام مسمارا ذهبي في
حذوة حصان ، فالامر كله سواء . كل
ما في الامر ان سلوك الرجل ينبغي
ان يوحى بثقتك من نفسه . هذه هي
الوصفة كلها ، وليس ثمة مهروب من
الرجل الواثق من نفسه . ولكن ينبغي
ان تؤمن انت نفسك بالمقبض الفضي ،
والا فان النساء لن يستطعن الايمان
به . فانت اذن ، سواء اآمنت بمقبض
فضي ، او زر نحاسي ، او علبة
صفيح ، او مسمار ذهبي في حذوة
حصان ، فان مزايك ، وجمالك ،

قد حبس كتفها بين ذراعيه الطويلين
القويين ، فسقط رأسها الجميل
كالزهرة ، واحتسب بان سكارليت
يمسك رأسها الدابل براحة يده
الضخمة . وراحت القبلات تنهل
متلاحقة كالطر على شفثيتها .

وكان الكونت يقول بين القبيل
العديدة ، وهو ما يزال يشد على
سيفه بيسراه : انك لي !... فهتقت
السيدة لاهثة مثله : اني لك !...!

— لماذا كانت الوصفة ؟

القي « البارون الازرق الداكن »
هذا السؤال على المعلم وهو يحتضر
بعد عشر سنوات ، وكان قد جاء
بذلك العالم من قصر سكارليت بعد
ان دفع مئة الف قطعة ذهبية . لقد
كان عاشقا كبيرا للنساء ، وقد رأى
ان حصاد الكونت سكارليت مسن

الخزاف

دون وعر من القفار وسهل
كمر يد جهل الزمان بهل
عن مراد او كان يعيا بقل
حساما فصلا جلته لفصل
وفاء لربيع منه محل
وخزة اللوم في العذاب كنصل
وفروع الاشياء تنمى لاصل
ويطوي ما شيئوه كظلل

هب سعى والصبح يحبو كظفل
شحن المزم وانبرى يتحدى
ليس تشنى يد له كجبان
صقلته الارزاء صقل يد القين
واستساغ الحرمان في المربع المخل
وتساوى لديه صبح وليل
عالم الناس للزوال تراب
ويهيل القضاء ما رفع الناس

كرام في مطلع الشرق غفل
نفض صبح ينداح عن مثل كحل
ولوى الجيد دونها عن جهل
جاد مستونه بواكب طل
لم تنقط ولم تزين بشكل
من كتاب الزمان تشجي وتسلي
وتراها قد أسهت قيد رمل
لجود ومحمل عن كل

كتل الطين في مفاور غفل
وكان الظلام ذر عليها
من راما أشاح عنها ازدرأ
حما لازب كاطباق ليل
في ثيابا أطافها صفحات
عظلة الغابر السحيق فصول
فتراها قد أوجزت دون سهل
ليس هذا التراب غير زفات

او توابت بدله عن شغل
دون كفيه كالاسير بغفل
في يمين الخزاف رشا كصل
من فتوق الغمام لبنا كويل
مثلما راحت الوسواس تملئ
كامان في حسن سمت وشكل
بيد لا تضيق ذرعا بحمل
وتراها قد استدفقت كظلل

ما استخف الخزاف يوما بشغل
تجد الطين مسلما بقياد
سال كالشمع طيما وتلوى
او كخيط من ذائب الفجر بهمي
قطع تستلين دون يديه
قطع تستجد حسنا لراء
فهي حينا تدور مثل كرات
وهي حينا قوراء مثل هلال

لفتات من الفضاء بذل
بحرص شحيحة وبخل
كانلاج الاصباح ليس ببطل
من تراب على صحائف رمل
او حقيرا حتى يداس برجل
عن عصور وموجز عن كل

ويمد الخزاف كف سقيم
وجرت كفه تمر على الطين
فانجلي الطين دونه عن يقين
وتجلت له الحقائق سطرا
ليس هذا التراب شيئا زريا
ان هذا التراب مجمل فصل

عدنان مردم بك

دمشق



محمد ادب العامري

تطور الثقافة في الاردن ومستقبلها

بقلم محمد ادب العامري

الرجل المثقف

ان عنوان كلمتي هذه يحدد تقريبا مضمون الكلمة كلها ، فانا اتوي ان ايسط في لمحة سريعة ما كانت عليه اوضاع الثقافة والإجوال في الأردن منذ مطلع هذا القرن ، وكيف تدرجت هذه الأوضاع عبر السنين ونفرت وتطورت حتى بلغت الإزراع التي نعر بها الآن . وسأفقه على ذلك بكلمة فيما استشعر انه ستكون عليه حالة الثقافة في الأردن في المستقبل القريب .

وحين احدث عن الثقافة هنا اذكر ما كان يعنيه العرب في زهو حضارتهم للإدب . فقد كان «الإدب» عندهم هو الإخذ من كل علم.طرف. ولم يكن يوصل استعمال معلوم لكلمة «الثقافة» بل كان الأدب هو الرجل المثقف الآن . فالثقافة على هذا هي الإخذ من كل علم او فن بنصيب عام.غير اننا نصيف الى ذلك اليوم الاختصاص في ناحية من المعرفة تعتبر مطلقا للثقافة او اساسا لها . وليس الاختصاص في ناحية بعينها هو المطلوب بل هو أي اختصاص ، سواء اكان ذلك في التاريخ ام الطبيعة ام التجارة ام الجندية ام في أي علم من العلوم او فن من الفنون.على انه يظل للنظرة العلمية في هذا العصر اهميتها الخاصة في الثقافة . وليست الشهادة العلمية لازمة للرجل المثقف ، فمن الناس غير المتعلم ، ولكنه ارب الى الثقافة من نوع من الرجل يدري كثيرا من حقائق العلم .

والمثقف على كل حال يكون قد مر بشيء من العلم النظم في المدرسة او الجامعة ، او بنحو من هذا كله ، ولكنه كمثقف يؤمن بالفصائل ، ويعزف عن الانانية وشوائب الحقد والفيغنة والكالب المادي . وهو كما قال الدوس هكذا رجل « يخضع اعصابه لإرادته ويعكم عقله فسي عواطفه ، فلا يجيش ولا يبيض ولا ينفجر ، وان غسب لشيء فانه يغسب للحق » .

فالإنسان المثقف اذا اردنا الإجمال هو انسان ذو الهام بجملة المعارف

العامه ، وصاحب نظر علمي الى المسائل ، ورجل ميذا في الحياة يقوم على فكرة اصيلة من الحق .

ونحن في الأردن ، ولو اننا بلد صغير ، قد اخذنا باباب الثقافة اخذنا نتج ثقافة «أردنية» ذات طابع مميز يمكن التحدث عنه وتحديد معالمه والتنبؤ بمستقبله .

بواعث الثقافة العامة ومقاييسها

عندما يتحرى المرء عناصر الثقافة في امه ، لكي يستطيع البحث عن اصولها ويتتبع مراحل تطورها ، فانه يبعد اول ما يبعد الى النهضة التعليمية من حيث المدارس وعددها واتواعها ، والمعلمون وكفايتهم ومناهج التعليم ومحتوياتها والكتب المدرسية ومستوياتها . ونتيجة ذلك كله هو الطابع الذي تولده هذه النهضة .

وهناك بالطبع حركة التأليف والترجمة والنشر : ناليف الكتب المدرسية وغير المدرسية على شتى انواعها والصفحة اليومية والاسبوعية والمجلات الشهرية وسواها . وهناك ايضا نهضة المسرح والتهنسة الفنية جميلة والسینما ، والان التلفزيون . ولا ننسى في هذا الجال السوادي الادبية والاجتماعية والعلمية التي تشارك في انشاء حركة الثقافة العامة ونواكها . واعتبر الموسيقى عند الامم الرفاقية عنصرا هاما في تكوين الثقافة ، ويجب علينا ان نضمها نحن للعناصر الاخرى التي تولد الثقافة وان كان حلقنا منها قليلا ، وقليلا جدا .

وتقاس الثقافة في بلد من البلدان بمدى انتشار هذه البواعث والمصادر التي تبني صرح الثقافة . فالزيادة نسبة التعليم وانتشار حركة التأليف واستيعاب الحركة الفنية - كل ذلك يعتبر مقاييس للثقافة ويجري بها المقارنة بين بلد وآخر .

ومن المقاييس الاساسية الموجزة التي تصلح وسيلة عامة للتعبير عن مدى القابلية لانتشار الثقافة وتعمقها هو نسبة المعلمين في البلد ازاء نسبة الالبيين . ويؤخذ للمقياس عادة للذين بلغوا سن الخامسة عشرة وحاجوزهم . ويعبر عن هذا المقياس حسابا بالطلع الى انه ذو دلالة مقبولة على ان نحن بصدد الكلام عنه ، لان التعليم (أي ازالة الامية ازالة دائما) هو اساس لمدرة الانسان على التقدم في العلم والتاريخ فيه والى التمكن من التزود من مصادر الثقافة ووجهها الاخرى .

تطور الثقافة في شرقي الأردن لعام ١٩٥٠

في تتبع هذا الموضوع يطيب لي من اجل المقارنة الواضحة والمعتمنة في ان ما ان اعود الى مطلع هذا القرن فيقبل انحسار الاستعمارالتركي عن هذا القسم من العالم العربي الذي اصبح فيما بعد شرقي الأردن وفلسطين . ويمكننا ان نقسم هذه الفترة الى فترتين : الفترة الاولى تقع قبل سنة ١٩٥٠ والفترة الثانية تقع بعد هذا التاريخ . وتقع الفترة الاولى التي سنتناولها بالبحث ما بين سنة ١٩١٨ حين غادر الترك هذه البلاد وبين سنة ١٩٥٠ . والفترة الثانية تقع بين ١٩٥٠ ووقتنا هذا . وسنة ١٩٥٠ هي السنة التي وقع فيها انقسام فلسطين ، شرقي الأردن والجزء الشرقي من فلسطين .

لقد ترك الترك في البلاد وضعا مشابها في الضفتين الشرقية والغربية من البلاد ، وكانت العوامل التي اثرت في الناحيتين متشابهة بشكل عام ، لولا ان حلق فلسطين من الحركة التعليمية والتهنسة الثقافية كان اكبر من حلق شقيقتها شرقي الأردن في عهد الترك وعهد الانتداب على السواء .

فاما في التعليم : فقد تسلمت امارة شرقي الأردن من الادارة التركية نظاما خاصا به ، اذا صحت التسمية ، يتألف من عدد قليل مسن الكتابية وبعض مدارس ابتدائية مدة التدريس فيها ثلاث سنوات ، واربع مدارس « رشدية » مدة التدريس فيها ست سنوات ، ولا شيء غير ذلك . وكانت المدارس الاربعة في السلف والكرخ وعمان وايرد .

هذه الفترة «الأمالي السياسية» (١٩٣٩) و «الغزكري» (١٩٤٥) للمرحوم الملك عبدالله، وكذلك «تكملة المفردات» (١٩٥٠) كما ذكر كتاب أخرى منها كتاب نموذج الفضائل الإسلامية للشيخ نديم اللاح، وتاريخ شرفي الأردن لبيك وخمسة أعوام في شرفي الأردن للمرحوم المطران بولس سلمان وغيرهم. وظلت جريدة الأردن تظهر منذ تلك الأيام الأولى إلى الآن وظهر فيها بعد ذلك من الصحف يومية واسبوعية وشهرية، ومن مجلة الحكمة للشيخ نديم اللاح.

وظهرت قبل سنة ١٩٥٠ كتب أخرى معدة لمؤلفين اردنيين منهم عبد العظيم عباس وحسن زيد الكيلاني وعيسى النابودي ويعقوب العودات كما ظهرت بدايات لكثايف المدرسي لعدد من الاساتذة المعلمين . واما حركة المسرح : فلم تعد نطاق الفرق المدرسية وقرى النوادي والجمعيات . ولم تكن المرأة خلال القسم الاول من هذه الفترة تظهر على المسرح ، اذ كان هذا متنفذا ، فكان الرجل يقوم بدور المرأة . وكان مضمون المسرحية في الغالب موضوعا يدور حول البعث العربي او الروح الإسلامية او حول البطولات التاريخية . واما الموسيقى : فلم تزد على عمل الفنانين والحدا والمافيسين الشمين غير المعلمين ، يعزفون على الناي والآلات اخرى محدودة ، مع الفناء والحدا للقطيع العامة او العربية المسورة ضخمة اللقة غريبة التركيب .

وفي أثناء هذه الفترة الفت فرقة الجيش العربي الاردني لتعزف على عدد غير قليل من الآلات ، لكن الامر فيها ظل مقتصرا على المراثيات العسكرية والقطع الموسيقية الغربية والأجنبية المتبسة ، دون تأليف أو تطوير . ولما نورد هذا في معرض الفن من قدر الفرقه فان هذه الفرقة تطورت وكرت عدد افرادها إلى حد ممتاز بالقياس إلى حاجات الجيش.

تطور الثقافة في فلسطين إلى سنة ١٩٥٠

خللت الأزمات وراهم في الجزء الغربي من البلاد الذي سمي بعد ذلك فلسطين وقسم في التسليم واسباب الثقافة الأخرى من تأليف وتنشر ان تطور . ولما نورد هذا في معرض الفن من قدر الفرقه فان هذه الفرقة تطورت وكرت عدد افرادها إلى حد ممتاز بالقياس إلى حاجات الجيش.

لقد تركوا البلاد وفيها عدد من الكتابات منتشر هنا وهناك في المساجد وغيرها . وكانت هذه كالمادة تعلم القرآن الكريم والديسين والخط والكتاب ، كما تركوا فيها عددا من المدارس الابتدائية يبلغ «٩٥» مدرسة حكومية يتعلم فيها ٧٧٥٨ تلميذا وتلميذة ، أي عشر الاطفال الذين كانوا اذذاك في سن التعليم الابتدائي ومجموعهم ٧١٩٢٢ » .

ولم يكن في جميع أنحاء فلسطين عند اندلاع نيران الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ «غير مدرسة ثانوية كاملة واحدة» في الكتب السلطاني في القدس . وكانت هناك مدرستان ثانويتان متوسطتان (مكتب إعدادي) أحدهما في عكا والثانية في نابلس .

وكانت المدارس الأهلية والطائفية في فلسطين أكثر عددا ، فقد كان هناك سنة ١٩١٤ (٥٠٠) مدرسة ابتدائية أهلية وطائفية ، وكان بين المدارس الأجنبية «مدارس أمريكية وألمانية وإنجليزية وفرنسية وإيطالية وروسية ، بينها عدة معاهد ثانوية ومدرسة للمعلمين وأخرى للمعلمات بدرها الروس ، ومدرسة للمعلمين بدرها الألمان » . وتعود هذه الكثرة إلى عهد «الامتيازات» التي تنازل بها الإنجليز للدول الأوروبية ، التي تسابق هذه الدول لتكوين طلائع القزق والكسب .

وفي أواخر العهد التركي في فلسطين استست في القدس (خلال الحرب العالمية الأولى) الكلية الصلاحية . وكانت مدرسة دينية عالية عصية ، واعتنى فيها باللغة العربية غاية كبيرة بسبب محاولة تركيا في آخر عهداها إرضاء العرب الذين أرادتهم في الحرب إلى جانبها . ولحق الانتداب البريطاني سنة ١٩١٨ محل الحكم التركي في فلسطين فسار التعليم زمن هذا الانتداب بخطوات وثيدة ظل الأمر انهاء سجالا

ومن المعلوم أن المدارس الابتدائية ، مثل الكتابات ، لم تكن تعلم الا القرآن الكريم والدين والنظ والكتاب والكتاب العربية . اما المعوق الرشدية وعندها ثلاث فوق الابتدائية فكانت تعلم التاريخ والجغرافيا والبيانات ومبادئ الهندسة باللغتين العربية والتركية .

وعندما استست الدولة الأردنية عام ١٩٢١ كان ذلك ايدانها بيزوغ نهضة جديدة عربية في البلاد ، فما تقدمت الشهور في تلك السنة حتى اصبح في البلاد (٢٥) مدرسة يقوم بالتدريس فيها ٥٢ معلما و ٦ معلمات ، وميزانية المعارف قدرها نحو ٦٠٠٠ جنيه في السنة . وفي سنة ١٩٢٣ اصبح في البلاد ثلاث مدارس ثانوية متوسطة في السلط واربيد والكرك ، ثم ما عتقت مدرستا السلط واربيد ان اصبحنا ثانويتين كاملتين .

وبعد هذا تطور نظام المعارف تطورا حديثا وان جاء ونيذا ، ففي سنة ١٩٢٠ مثلا اصبح عدد المدارس في شرفي الأردن نحو ٦٥ مدرسة واصبحت ميزانية المعارف اذذاك نحو ٢٠ ألف دينار . وهذه ارقام بسيطة اذراء ارقامنا الحالية ، ولكنها تمثل بدايات النهضة التعليمية التي ظلت مستمرة متزايدة منذ ذلك الوقت إلى عهدنا هذا . وما يجدر ذكره ان مدرسة عمان الصناعية كانت قد استست منذ البداية لتعليم الطلاب المتخرجين من المدرسة الابتدائية من التجارة والحدا والخزيران وغيرها .

ومنذ بداية هذه النهضة سنة ١٩٢١ دخلت العلوم الحديثة إلى المدارس ، ومعه روح التعليم المصرية والبرامج الحديثة ، فاصبحت الدراسات على العموم شبيهة بما نعهده الآن . فهناك مختلف المناهج اضافة إلى الدين واللغة العربية . وكان يقوم بالتدريس معظم الوقت معلمون وفدوا إلى شرفي الأردن من الافكار العربية المجاورة وبخاصة فلسطين وسوريا .

وكانت روح التعليم عالية ، فقد كانت نفوس المعلمين اذذاك تلي بالحقد على الاستعمار وترشيد إلى نهضة وطنية واسعة بعيد وحيدة العرب ومجتمعهم التاليد .

وبعد سنة ١٩٢٠ كما انما شملت شرفي الأردن نهضة علمية على نطاق اوسع واسرع . نعم ظلت البلاد متأثرة بالآثار البريطانية التي كانت تعين البلاد ماديا وتحدد خطوات نهضتها الثقافية ، غير أن الملك عبدالله الملك العربي العالم رحمه الله ، والحكومات الوطنية والشعب الاردني كان لهم اندفاع اقوى . لذلك نجد انه بعد ان كانت الحكومة تلتزم الاهالي في بعض الحالات بإرسال اولادهم إلى المدارس ، اخذ الناس يرسلون هؤلاء الاولاد فلا يجدون لهم فيها مقاعد . وعم هذا الضغط على الحكومة في المدن والقرى ومغارب البدو ، فكان يصل إلى سنون كثيرة إلى حد الازمة حقا .

واخذ عدد المدارس والمعلمين يزداد ، فما وصلنا إلى عام ١٩٥٠ حتى بلغ عدد المدارس الابتدائية (ومعه رياض الاطفال) ١٠٠ مدرسة وبلغ عدد المدارس الثانوية الكاملة (ومعه الإعدادية) ٨ مدارس . اما في (١٩٤ / ٦٥) لو عدت مدارس الصفقة الشرفية الحكومية وحدها فان عدد هذه المدارس يزيد على ٧٠٠ مدرسة .

اما عدد المعلمين والعلماء في المدارس الحكومية والأهلية معا فهو ٥٠٨٥٨ في حين ان عدد التلاميذ والتلميذات بلغ ما يتفاد إلى ١٩٢ ألفا . وكان عدد المدارس الأهلية أول الامر يعادل عدد المدارس الحكومية ، بل يزيد . اما الآن فان عدد هذه المدارس يعادل ثلث المدارس الحكومية، وذلك في المدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية على السواء . واما حركة التأليف والنشر في شرفي الأردن : فقد ظلت محدودة إلى وقت انضمام الفلسطينيين في أوائل سنة ١٩٥٠ اذ كان عدد الكتب المؤلفة قليلا ، كما ان عدد الصحف اليومية كان يتراوح بين صحيفة واثنين ، والاسبوعية مثل ذلك . وكانت المجلة الشهرية تظهر آنسأ وتختلي يظهر غيرها .. وهلم جرا . نذكر من الكتب التي ظهرت في

العربي الاردني الى البلاد وانضمت الفضة الشترية منها الى المملكة الأردنية استقاما وفيها تدريجيا حتى أعلن هذا الانضمام رسميا مطلع سنة ١٩٥٠. وفي هذه الفترة بعدها سارت الفتنان معا وخافتا معركة نهضة تعليمية ثقافية تعتبر نموذجا في التطور ، على الرغم من ضيق الرفعة وقلة الامكانيات .

والخليفة في ان شعور الناس بان حكومتهم أصبحت عربية منهم ولهم حذرهم الى الضغط على وزارة التربية والهيئات التعليمية لنفتح المدارس على اختلاف انواعها من ابتدائية واعادية وثانوية وفيها ولم يتيسر ذلك الضغط على فتح المدارس في المدن بل تجاوزوا الى القرى ، حتى القرى الصغيرة ، وضارب اليهو . وقد ساعد على ابلاغ صوت الشعب الى الحكومة نواب البلاد واعيانها في مجلس الامه .

ومما دعا اليه الاندفاع في سبيل التعليم الصانعون الفلسطينيون الذين شعروا بالحاجة الى التزود بمادة كوسيلة للفصح ، واندفع الاردنيون جميعا في هذا التيار فارغنت ميزانية التعليم . ولم تكف مدارس الحكومة فانفتح الطلاب الي سائر انواع المدارس الاولية من وطنية واجنبية ، وفي فترة وجيزة بعد انضمام الفصحين ازداد عدد المدارس ازديادا مفاجئا وازداد مع ذلك بطبيعة الحال عدد الطلاب من بنين وبنات . وتوالت مع هذا التمو المدارس ، وافتتحت دور المعلمين اولا لم يبرز الحاجة الي التعليم المهني فادخل على المنهج مزيد من التعليم الزراعي والنشاط الصناعي والتجاري ، ورفع مستوى التعليم التجاري . ثم انفتح المدارس الصناعية وصوفوا خاصة بالتعليم التجاري .

ومع اندفاع التربية والتعليم في هذه النهضة النادرة المثال وفيها بتعليم ٧٠ بالمائة من طلاب المدارس والهيئات ، قامت جهات رسمية وغير رسمية بجمعية خيرية للمشاركة في هذه الخدمة وتحمل فسط من العبء . بذلك اخذت مدارس القوات المسلحة تعلم نحو ١٠ بالمائة من طلاب المملكة وطالباتها . واخذت وزارة الشؤون الاجتماعية ودائرة الاوقاف العامة تدير بعض من المهمة . وقدم وكالة الفوت تعليم نحو ١٧ بالمائة من الطلاب والطالبات . وهناك الهيئات الوطنية التي تعلم بالمائة والهيئات المحلية الاجنبية وتعلم ٣ بالمائة .

والا عن ان الاموال التي تبين عدد المدارس والمعلمين والطلاب ووجدنا عدد مدارس وزارة التربية والتعليم بلغ في سنة (١٩٤٠ / ١٩٤١) مدرسة . وقد أصبح عدد مدارس البنات الآن اعلى نسبة بكثير مما سبق ، فمن هذه المدارس ٨١ ، للطلاب ٥٨٨ للبنات . ومعظم هذه المدارس في القرى ، فان العدد هنا ١٠٧٢ مدرسة . اما عدد المعلمين والمعلمات فيبلغ (٧٢٨٨) ونسبة عدد المعلمات أصبحت اعلى من قبل ، فالعالمون (٨٣٣) والمعلمات (٢٤٤٩) . وارتفع عدد الطلاب والطالبات ، فهم الآن في مدارس الحكومة ٢٤٠ الف لثلاث مئة سن وغيرها . بلغ عدد الطلاب والطالبات ٢٥٣ الفا ، اي ان ٢٠ بالمائة من السكان هم من الطلاب الذين يخفون الى المدارس ، وهي نسبة نطل على النسبة التي تعرفها الدول الرافية .

وتعتقد ان عدد المعلمين بين الرجال في الاردن أصبح نحو ٤٠ بالمائة اما بين النساء فربما أصبح ٢٠ بالمائة وربما كانت هذه اعلى النسب في افكار العالم العربي ما عدا افرا واحدا ، هو لبنان . وهناك ظاهرة في هذا التوسع لا بد من التنوير عليها لن تهمه هذه الدراسة من ناحية الاثر الثقافي في المجتمع . فالحقيقة هي ان هذا التوسع الثوري في التعليم لم يرافقه ارتفاع في المستوى العلمي والثقافي للخريجين من الطلاب والطالبات . والذي وقع هو ان عدد المعلمين من ذوي الكفاية اللازمة لهذا التوسع لم يواكب عدد التلاميذ الذي تصاف مرات كما ذكرنا . كما اجل ذلك اخذ خريجو المدارس الثانوية يملكون في هذه المدارس نفسها . وقل نسبيا عدد الجامعيين الذين يجب ان يتألف منهم ملاك التعليم في المدارس الثانوية ، وكانت النتيجة هبوطا عاما في المستوى التعليمي والمستوى العلمي والثقافي للخريجين . ويقدّر هذا الهبوط بنحو ستين دراستين او يزيد على

بين الاهالي والهيئات الوطنية من جهة وبين حكومة الانتداب من جهة اخرى ، اذ كان التعليم طوال هذه الفترة مقصورا على عدد قليل من المدارس الابتدائية (مدة التعليم فيها ست سنوات) . وفي سنة ١٩٢٠ تصاعد عدد المدارس العربية ، وما زال هذا العدد يزيد حتى بلغ حين ترك البريطاني البلاد سنة ١٩٤٨ نحو ٢٥٠ مدرسة . وكانت المدارس الاولية والوطنية والاجنبية اكثر من مدارس الحكومة عددا . وكان التعليم في جميع هذه المدارس حسنا على العموم ، وان قل نطافة ازاء مطالب البلاد ضيقا .

وكذلك كان الحال في المدارس الثانوية متوسطة وكاملة . فقد كان عدد هذه المدارس قليلا ، وان كان مستواها على العموم حسنا ايضا . وقد انحصر التعليم الثانوي المتوسط الي سنة ١٩٤٨ على نحو ٢٠ مدرسة موزعة في أنحاء البلاد . اما عدد المدارس الثانوية الكاملة فلم يزد على خمس ، ولكنها كانت متنوعة . فقد كانت المدرسة المارونية بيافا ثانوية كاملة تميل الي التعليم التجاري . وكذلك مدرسة خوري في طوكم ، اذ كانت تميل الي التعليم الزراعي ، ودار المعلمين في رام الله . اما المدرسة الرشيدية في القدس والكثيرة العربية فيها فقد بلغ التعليم فيها مرحلة تزيد عن الدراسة الثانوية الكاملة التي مدتها اربع سنوات بعد الدراسة الابتدائية .

(ويبلغ من الطلاب والطالبات في مرحلتى التعليم الثانوي الحكومي في نهاية العام الدراسي ١٩٤٥ / ٤٦ ١٢٥٨ طالبا و ٢٢٦ طالبة فقط .) وزاد هذا العدد قليلا عند انتهاء الانتداب فبلغ نحو ٢٥٠٠ طالب وطالبة . فلما اتراح الانتداب البريطاني من فلسطين انطلق التعليم من عقالة ، وادخل نهضت نهضة واسعة ، ويدت يواذن هذه النهضة واضحة بصورة خاصة حين انضم الجزء الشرقي من فلسطين الى المملكة الأردنية وساروا معا في حركة سريعة هي اساس النهضة التعليمية الحاضرة في المملكة . اما حركة الفكر والتأليف والنشر : والحكومة الفنية في فلسطين في هذه الفترة ، اي منذ اخر العهد التركي الي سنة ١٩٢٨ . فقد كانت ايضا اوسع وافضل من مثيلتها في الاردن . لقد نشرت هذه الحركة بنشر من شباب العرب الذين اصبحوا يهتمون في المدارس الثانوية « السلطانية » في القدس وبيروت وطرابلس الشام . وكذلك الذين امنوا بتعليمهم في الاثر الشريف بمصر والكتبات العالمية في الاستانة . وكان هؤلاء رواد نهضة ثقافية ، وان كان اثرهم ضعيفا لان عددهم قليل وكانوا ، ولانهم توزعوا في افكار مختلفة . ومع ذلك فقد كان عدد من هؤلاء الكتب والنشرو الصحف والنوادي والجمعيات حتى في العهد التركي نفسه .

وكان رواد التأليف والنشر في تلك الحقبة خليل بيديس والشيخ يوسف النبهاني . وصدرت في القدس في مطلع القرن ، بعيد اعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ ، مجلدات الاصمعي والقدس والنفائس والعصرية والنهل والتفكير وغيرها . وصدرت جريدة فلسطين في يافا سنة ١٩١١ واستمر صدها الى الوقت الحاضر . وكان من رواد التأليف والفكر في تلك الفترة (١٩١٨ - ١٩٤٨) مؤلفون وجمعون مثل الرومانيين عمر الصالح البرغوثي و خليل طوطح واحمد سامع الخالدي واسماعيل النشاشيبي و خليل السكاكيني وغيرهم مثل خليل بيديس وعادل زعتر ولا يسع المجال هنا لذكر غيرهم . وظهرت آنذاك جرائد الجامعة العربية والجامعة الاسلامية والدفاع وغيرها ومجلات الفجر والكتبية والعربية وغيرها .

ولمخرج نهضة المسرح : انما هذه الفترة من النطاق المدرسي ، ولكنها ظلت ضيقة تدمعها وتذكيها زيارات الفرق المسرحية المصرية بين اوقاف واخرى مثل فرق يوسف وهبي وفاطمة رشدي وعلي الكسار . ويمكن ان يقال باقيايس والتقدير ان نسبة التعليم بين الرجال في فلسطين في هذه الاونة بلغت ٤٠ بالمائة .

الحركة الثقافية في المملكة بعد سنة ١٩٥٠

في سنة ١٩٤٨ وقعت حوادث فلسطين كما هو معلوم ودخل الجيش

المستوى الذي كان يلمه التعليم في فلسطين وشرفي أردن على الوفاء، وقد ارتدت هذه الظاهرة وما رافقتها من مؤثرات أخرى على المستوى الثقافي للتعليم، فنشأت الجهات المسؤولة على معالجة هذا الأمر الخطير، فاستمرت إلى افتتاح دور الجهات التعليمية والعلامات كسما فلنا، وإرسلت المئات، وأخيرا ظهرت الجامعة الأردنية .

وليس هبوط المستوى التعليمي وحده هو الذي ارتأى على المستوى الثقافي في الثمانينيات خلال الخمسين عشرة الأخيرة ، بل كان للكتاب المدرسي غير الجيد وللصحيفة المصورة غير المؤونة وللسينما والمؤثرات الأخرى الأجنبية والحالية أثرها في المستوى الثقافي، الخطي الذي أثيره علينا أو اتهمنا إليه ،وهو مستوى يقلق عن حق الفكر المصلحين وذوي الشعور بالمسؤولية من رجال هذه الأمة .

السلطنتي بالحكم الوطني العربي الذي ساد بلاده فكانت من ذلك شخصية وإن لم تتمتع بالمستوى الثقافي الذي بلغه شقيقه من الصفه القريبة إلا أن اساتذته في الطلق العربي والفروسيه لم يمسسها فر ، فتطورت ثقافته وعرويته متمدجة بأرواح الاسلاميه . وهذا كله في النهضة الحديثة امتزج بشيء من النظرة العلمية مع التشبث بالتقاليد العربية وتماكست الصفات الخلقية ، وإليل الى النزعة القبلية ، وهو مثل شقيقه القططيني جدي الاطوار موزج القصد شديد النشاط . فلما اندمج الشقيقان بضم الشفتين اخذت تتبلور من ذلك شخصية الاردني ، وتكاد الآن صفات الشخصية الأردنية تكون مسئلة واضحة، تجمع بين الحسينيين في الوطنية الحديثة والإيجاز في الأداء ، يزين ذلك كله خلق يرتكز الى الإصالة العربية دون اكراه او رياء ، ويتعلل بظاهر الحضارة الحديثة دون اسراف في المظهر او انحراف في العادة او خروج على التقاليد العالية . تلك هي ثقافة الرجل الأردني، وكل ما نأمله خلال التطور القادم ان لا يتحجر في تيار المظاهر السخيفة بالانصراف الى البذخ او اللغو ما أدى قرته بفر في حفات غيقة من بعض الأساط التثرية او الجديدة على التراث ، كما نأمل ان يرغوي الشباب عما اخذ ينساق اليه بعضه من مظاهر المراهقة الخلقية التي زلخت من الغرب ، وقد شكنا منها الغرب ، ونشأت من ياس الحرب ونجونا نحن من الحرب.

ولست انكر القاريه الكريم اني اجد شخصية الاردني ، وقد علمت فيها هذه العوامل التي ذكرنا ، حدا وسطا بين شخصيات الرجال العرب في ثقافتهم المختلفة . ولعلي اتمنى ان تتبلور شخصياتهم على مثال ما تم عندنا في هذه البلعة من العالم العربي لتتأثر فيما بعد بالتطور الجدي وحده .

مستقبل الثقافة في الأردن

بعد ان بلغنا هذه المرحلة من الحديث عن بوأنت الثقافة في الأردن ومراحلها وصفاتها لم يستوف القاريه الكريم مستقبل الثقافة في الأردن فيستأمل عما سيكون عليه مسنها وانماجها . وفي الحقيقة اني اجد الثقافة الأردنية ، شأنها شأن الاحاديث في البلاد العالم ، تتأثر باتجاهاتها وجاهدهم ، كما تتأثر بما يتفاعل معها في البلاد الاخرى .

فحتى لو لم يمتد نطاق المملكة الأردنية الهاشمية عن نطاقها الجغرافي الحالي ، فاني اوقع امتدادات اخرى للثقافة في الأردن بسبب انتشار التعليم على نطاق اوسع حتى يعم افراد الامة الأردنية كلها . ان هدف التسليم كما تنهضهم من اندفاعه الى العلم هو ان يحصل على هذا العلم كل فرد في امة ذكرنا كان ام انشي . وقد برزت منذ الآن احاديث وخلف عن ازالة الامية في الأردن خلال عشر سنوات . ومن اجل ذلك لا يتجه التفكير الى فتح المدارس الكثافة لاستيعاب جميع الذين هم في سن التعليم بحسب ، وانما يتجه الى تعليم الكبار ايضا . وتعليم الكبار وهي قديم جديد في بلدنا ، ففتح لا تزال نذكر منذ الصغر كيف كانت بعض الجمعيات الخيرية تفتح صفوفاً ليلية لآزالة الامية يختلف على اساس كبار السن . غير ان تعليم الكبار سيستبعد بعد اليوم شكلا منظما تقوم الدولة بالانقاص الاوفر منه لاساعدها في ذلك الهياآت الدولية .

واني اعتقد انه لا يمر جيل (٢٠ سنة) على هذا الوقت حتى تكون قد تخطت كل الخطر من مشكلة الامية وما يلازمها من مظاهر التخلف . وازالة الامية في مفاصل التطور . وما صدق ما قال « ه » لو ان الناس جميعا يقرؤون ويكتبون !» ومعنى ذلك انهم بعدئذ يندفعون في كل سبيل للتطور والخروج من حالة الجهالة الى حالة الحضارة . ويعلم الناس يتخوفون من انتشار التعليم . ولو كنا اول امة تهدي جميع انبيائها علمها لكان للخوف سبيل ، ولكننا اذا نتلعت الى الامم التي كانت جاعلة الجهل كله او بعضه ، وكانت بذلك ضعيفة

الوارد متخلفة المكانة ، نرى كيف ادنى اخذها بأسباب العلم الاولى (الذي ازال امية الناس) الى زوال النصف عنها والذل واستبدال القوة والثمة بذلك الوضع الاولي الكريم .

وستتوون الجامعة الأردنية والمعاد العليا ، التي تتبثق عنها ونظهر معها ، حركة التأليف القوي ، كما ستتوون حركة البحث العلمي الذي يولد في كتا الحائزين رجالا يتبارون ورفصاهم من الدول العربية والاجنبية فيؤدون الامانة للحضارة الأردنية والعربية والعالمية على النحو الذي اداه اسلافهم من قبل.

ومن اجل ذلك كله اتق ان الانتاج الأردني في كل باب من اسوَاب المعرفة والثقافة سيظهر دفا ويرفع سوية حتى يباري الانتاج العربي فسي مصر ولبنان وغيرها ، وفي الانقشار الأوروبية والأمريكية . وسيزداد عدد المكاتب الناجية سنويا بافلام كتاب اردنيين تلقف دون اتجاههم الان حواجز الشهرة والمقدرة وتسهيلات النشر والحواجز العادية . وفياسا على ذلك سيعرف شأن الصحفية بومية كانت ام اسبوعية ام شهرية الى الدرجة التي تقرا فيها الصحف على قدم المساواة مع مثيلاتها في الشرق العربي وفي الغرب . وحركة اخرى من مظاهر الثقافة الأردنية اتق ان سيكون لها متجاوب باهر جدير بالاردنيين ان يعرفوه ويتشبهوا به وبظواهره . وهو ايجاد المعلمين او رحلتهم الى الاقطار العربية الشقيقة . ان هذه الحركة تشمل في معظمها الآن معلمي المدارس الابتدائية ولعلها بعد زمن تشمل معلمي المدارس الثانوية والعالمية كذلك . واني لاعتقد ان الأردن بما آناه الله من موقع مناسب في العالم العربي ، وبما انصف به الأردني المتف ، مهيا نهضة ملائمة ، لإرضاء التسويع العربية في اوضاعها الخلقية والعلمية . وكل ما ارجوه في هذا السبيل هو ان يظعن الاردنيون الى مستهم هذه ، والا يتساقوا مع تيار الانحرافات والتحييزات الخفية الاجتماعية المختلفة التي قد تغد عليهم هذه العفة

وتحريم هذا الامتياز الذي يرضى عنه العرب جميعا . وحركة اخرى اعتقد انها ستأخذ بالتطور على نحو لم يلقها الى الآن . وذلك بفضل عوامل الانتشار الادبي والوعي العلمي والمستوى الثقافي العالي (القومي / الوطني / الاجتماعي) . لقد كان حث الأردن مع الاسف من هذه المؤسسات قليلا الى الآن ، وقد كان لها نشاط في فترة قصيرة في فلسطين قبل الحرب العالمية الثانية ، وكذلك كان الشأن في شرقي الأردن في الوقت نفسه ، لكن هذه الحركة اصيبت بنكسة ، واتق ان تستال من عثرها وانه سيكون لها مستقبل زاهر في الأردن الجديد .

اما المسرح فسوف يزدهر اثر مما ازدهر في المائي ، ولعل العوامل التي اكتشفت نهضة المسرح المحدودة في الأردن ، وحددت هذه النهضة ، تزول وتضمحل وتحل محلها عوامل اخرى تنهض بهذه الناحية . ويبرز ايضا ان وزارة الاعلام بعد المدة للقيام بهذا المعب . وعندئذ ان هذا هو المخرج الصحيح في الأردن للثقافة بالمسرح وبما ينشئه المسرح من الانوار الجديدة في افاق الفكر ورفافة الحسى . ومع ان مساعدة الدولة للمسرح ما هي الا افرقة ، فاني على شبه اليقين بان هذه الفكرة ستتحقق . اما كيف تفتح الوحدة سبيل الرقي لهذه النهضة الثقافية بابوابها جميعا ، فليست احاج الى بيانه فيما اعتقد . وبكفي ان نلاحظ في التاريخ المائي وفي العصر الحاضر كيف تهى الدول الكبرى بطبيعة الحال السبيل لهذه النهضة ، بسبب من تمدد الكفايات وامكانيات التبوغ واحة المناخ الطبيعي للكتل اللازم للمظاهر الثقافية المختلفة، ومن المسرح والفن والتوازي والجمعيات .

ولسنا اننا يسبيل البحث في المعنى المقصود من الوحدة العربية . غير ان كتلة واحدة على الاقل تتألف ، تكفي من حيث عدد السكان والثروة العادية قهية الجو الضروري للتطور الثقافي في سائسر اشكاله وابوابه .

عُثمان

محمد اديب العامري

طبقة الفهماء

بقلم حسن الكرمي

من « العروة الوثقى » في لندن

والكيسانية . والامر متروك لكل انسان على حدة ، يفعل كما يترأى له ، وليس لاي انسان ان يفرض رأيه على انسان اخر ما دامت الحقيقة لا وجود لها وما دام الناس غير متفقين على حقيقة او مبدا مقبول . ويقول بروتاكورس لا يوجد شيء على الحقيقة . والاشياء التي تشعر بها تختلف باختلاف الاشخاص . فالذي اراد انا واعتقد بحقيقته ، انت لا تراه ولا تعتقد بحقيقته فلا وجود اذن لحقيقة كلية ، وانما تختلف الحقائق بالنسبة الى الاشخاص ، فهي ضائعة مفقودة . والفرد بنفسه هو مقياس كل شيء في هذا العالم . ويقول كورجياس لا يوجد شيء على الحقيقة ، وان وجد شيء ما فلا سبيل الى معرفة وجوده ، ولو عرفنا بوجود شيء فلا يمكننا نقل هذه المعرفة الى غيرنا . ومعنى ذلك ان كورجياس ينادي باستحالة المعرفة ، وينادي تبعا لذلك باستحالة الاتفاق على مبادئ اخلاقية .

هذه باختصار آراء الفسطانيين الاغريق في هذا الوجود وحقيقته وفي اماكن معرفة الاشياء . وقد تعرض هؤلاء لهجوم عنيف شنه عليهم افلاطون وارسطو . ولكن هذه الآراء عادت الى الظهور في القرون الوسطى تحت اسم الفلسفة الحقيقية Realism واسم الفلسفة الاسمية Nominalism وجرى ما جرى بينهما من نزاع مرير ادى في بعض الاحيان الى المضاربة والقتال بين اتباع هذا المذهب واتباع ذلك . وكان الفيلسوف العربي ابن رشد دخل في نزاع اخر ، لما كان يقول فيه من عدم بقاء الروح ومن الآراء المادية . فقد ذكر في كتابه عن تاريخ الاديان ان ابن رشد يغفل فلسفته الشديدة ادخل فكرة الفلسفة المادية الى أوروبا أو مهد لها . كما ان هذه الفلسفة احدثت انشقاقا في صفوف رجال الدين في القرون الوسطى ، مما اضطر الكنيسة الى محاربتها . وهو بحث خارج عن صددنا ، وانما نشير اليه على سبيل المناسبة .

اما البيت الثاني المتهني فله علاقة ماسة بفلسفة افلاطون وارسطو . ولعل القارئ الكريم يذكر من نفسه او ما قلناه في مقالات سابقة ان افلاطون يرى ان الجزئيات لها كليات تجمع بينها في فكرة ذهنية جامعة . فالانسان على اختلاف افراده يشترك في كلية جامعة وهي الانسانية ، وكذلك الحيوان على اختلاف انواعه يشترك في فكرة جامعة هي الحيوانية . وكذلك النبات يشترك في النباتية وهكذا . ولكن بعض الكليات اعم من بعض ، كالحيوانية ، فانها اعم من الانسانية لان الحيوان يشترك فيه الانسان والحيوان الصحيح . ولذلك فان الحيوانية جنسية والانسانية نوعية ، والجنس اعم من النوع ، او النوع اخص من الجنس . والجنسية هي ماهية الجنس essence والنوعية ماهية النوع . وجميع افراد الجنس يشتركون في الجنسية . وجميع افراد النوع يشتركون في النوعية . فالانسانية مثلا جامعة تعم جميع افراد الانسان على اختلافهم ، ويرى افلاطون في نظريته المثالية Idealism

للساعر المتنبئ المعروف بيتان من الشعر يؤتى بهما أحيانا عند بعض الشارحين والمفسرين للتدليل على غنايته بالفلسفة وأقوال الحكمة ثم للتدليل على فساد عقيدته . ولا أعلم ان أحدا من الشارحين أو المفسرين قد تعرض الى تلك المألق في معاني هذين البيتين أو الى تبيان اصل الأفكار المضمنة فيها . والذي يظهر لي ان هذه الأفكار وامثالها كانت معروفة لدى الخاصة من الناس في ذلك الزمان ، سواء كان المصدر افرقيا أو فارسيا أو هنديا أو من الاسكندرية . ومن يقف على آراء بعض الفرق الإسلامية وبعض الزهاد والشعراء والفلاسفة بين المسلمين عموما والعرب خاصة في العصور العباسية يجد ان هذه الآراء كانت معروفة في امكنة أخرى وانها كانت مدار بحث وجدل عند اصحاب العقول والفكرين . فمن الصالحين مثلا الجنيد ، كان ملما بالفلسفة الاثلاطونية المحدثة . والمعري الشاعر كان متأثرا بفلسفة هندية فارسية جاء طرف منها في مقدمة كلية ودمنة ، والفرقان الإسلاميان الحسائية والكيسانية كانا يقولان بشيء من أقوال الفسطانيين الاغريق . وهذا المتنبئ يقول باقوال لعلها مستقاة من اقوال الفسطانيين واقوال افلاطون وارسطو . اما بيتا المتنبئ فهما :

١ - هوئن على نصر ما شق منظره فانما بقلبات العين كالحلم
٢ - فليل تسلم نفس المراء بالية وقيل تشرك جسم المراء في العطب
البيت الاول في معناه ، كما يبدو لي ، يمكن ان يفسر بأن الحقيقة لا وجود لها في هذا العالم . وان الذي تشعر بوجوده في حال اليقظة انما هو من حيث الحقيقة كالحلم الذي لا وجود له في خارج ذهن الحالم . وهذا هو رأي الفسطانيين الاغريق وعلى رأسهم بروتاكورس (٤٨٠ ق.م) وكورجياس (٤٨٠ ق.م) . فهم يقولون ان الحقيقة في هذا الكون وهم باطل ، ولا وجود لشيء على الاطلاق ، وان ما تشعر به يختلف باختلاف الشاعر وباختلاف الوقت والزمان . فالذي اشعر به انا خلاف الذي تشعر به انت ويشعر به زيد او عمرو ، فلا يوجد شيء حقيقي نتفق عليه . وليس في امكاني ان افهمك ما لدي انا من شعور او احساس بالموجودات ولا في امكاني ان تفهمني ما لديك من شعور او احساس . فالامر متحلل من كل ضابط . وهذا هو رأي الفرقتين الاسلاميتين الحسائية

الأمور ، ولم يشرحه لنا أحد من الذين تولوا شرح إشعار المتنبي ، على ما أعلم . ولعل الشارحين العرب كانوا يشرحون المعاني من ناحية لغوية صرفة بغض النظر عن الأفكار الفلسفية التي تنطوي عليها هذه المعاني . وقد يكون هذا الاتجاه اللغوي المفرط هو السبب في ضياع كثير من الأفكار التي كان الشعراء يسترونها بألفاظ وتعبير خاصة أو كانوا يعيدونها لنا بصورة لغوية خاصة . ولا أدل على ذلك من تفسيرين وجدتهما في شرحين مشهورين لديوان المتنبي للبيت :

هوّن على بسر ما شق منظره فانما بقلبات العين كالعلم
فالشارح الأول لهذا البيت يقول : « هو من قول الحكميم « كرور الأيام هذا » وغذاؤها اسقام والام . » ولست ادري ما معنى هذا الكلام المنثق المسجع ؟ أما الشارح الآخر فمفسر البيت بقوله : « فان ما تراه هي البقطة شبيه بما تراه في النوم ، لان كلا منهما بلبث قليلا ثم يتقضي فكانه لم يكن . » هذا التفسير يقطع على الدارس سبيل البحث ويغفر الفكر .

وقد جرتنا البحث في معنى هذين البيتين الى التعرض الى الفلسفة الاغريقية القديمة ، ولا سيما ما يتعلق بفلسفة افلاطون وارسطو والوسطانيين من قبل . وقد ذكرت انفا لمحة عن فلسفة افلاطون بشأن الافكار المثالية او الافكار الاصلية . وهذه الافكار لها علاقة بالنفس في رأي افلاطون . لان هذه الافكار تعرفها النفس من الاول وهي منفصلة عن الجسم . فاذا حلت في الجسم عادت اليها هذه الافكار عن طريق التذكر ، وتكون هذه الافكار في حالة تجسد النفس عبارة عن صور كلية ذهنية منتزعة من الافكار الاصلية التي كانت تعرفها النفس قبل حلولها في الجسد . اما الافكار المثالية او الكلية الاصلية فهي ليست ، في رأي افلاطون ، صوراً ذهنية لا تقوم الا في العقل ، بل هي اشياء حقيقية روحية موجودة خارج العقل ومستقلة عنه . واهم هذه الافكار المثالية واسماها فكرة (الخير) ، وهي متطابقة مع فكرة الاله الواحد . فالنفس اذن في رأي افلاطون كانت موجودة قبل اجتماعها بالجسم ، وكانت تعيش في حالة تمكن معها ، اما بالالهام واما بالمباشرة ، من معرفة الاشياء على حقيقتها او في ذاتها . مثال ذلك ان النفس في حالة التجربة هذه كانت تعرف الجمال الكلي لنفسه ولا تعرف الاشياء الجميلة بمفردها . وكانت تعرف الدائرة المظلمة ولا تعرف الدوائر المظلمة التي ترسمها على الورق او على اللوح بأبديننا او بالفرجار . فلافكار الكلية ثابتة لا تتغير ، في حين ان الصور الدينية لهذه الافكار الكلية عرضة للتغيير . وحلول النفس في الجسم معناه ، في رأي افلاطون ، نسيان النفس للافكار المثالية الروحية ، واستعادة هذه الافكار تكون عن طريق التذكر اولا وعن طريق تكوين الصور الذهنية من جديد ثانياً بواسطة الاحساس الجسمي . والاحساس هو الذي

ان هذه الماهية هي الشيء الحقيقي الصحيح في الوجود وان الصور المختلفة منها الحالة في كينونة الافراد صور منسوخة عن الاصل ولا تمثل الحقيقة الا وهي ناقصة ممسوخة . هذه المثل هي التي تعرف بالكلية Universals فهي افكار موحدة وصورها المختلفة افكار مفرقة . وتوجد هذه المثل في العقل الاسمي او العقل الكلي وهو نفس هذا العالم او روحه . واذا هلك فرد من افراد النوع ، فان ماهية النوعية لا تهلك معه . ومعنى ذلك ان نفس الانسان خالدة .

ولكن ارسطو ، الذي لم يترك فكرة لانلاطون الا ناقضا ، فقد خالف افلاطون في مسألة خلود النفس ، وقال ان النفس لا يكون لها وجود شخصي بعد الموت ، ولو اسه جعل الباب مفتوحا امام فكرة الخلود وامام فكرة الفناء على السواء . وهذا هو السبب في ان بعض الباحثين يعتبرون ارسطو بأنه يأخذ بفكرة الخلود وان البعض الآخر يعتبرونه بأنه يأخذ بفكرة فناء النفس بفناء الجسم ، ومن هؤلاء ابن رشد العربي الذي لم يؤمن بخلود النفس ، وكان لارايه هذا تأثير كبير في الفلسفة الدينية المسيحية ، مما أحدث انشقاقا في صفوف رجال الدين ، كما ذكرنا ، وادى الانشقاق الى خلق طبقة من المفكرين الاحرار ، ولعل هذه الطبقة اول من سن سنة التفكير الحر في اوربا . وقد قرأت مرة في احد الكتب قول احد المؤلفين وهو ان المسلمين الان يجب ان لا بغضوا اذا رآوا العرب كاشطين في حركة التبشير الديني لان ابن رشد العربي المسلم كان سببا في خلق تشويش في افكار رجال الدين في اوربا قبل ذلك .

وعلى كل ، فان هذه الخلافات في مسألة خلود النفس وقتالها بين فلاسفة اليونان على اختلاف ازمانهم وبين الذين نسجوا على منوالهم من بعد كانت كما يظهر معروفة في بلاد الشرق الاوسط بجامعه تقريبا ، حتى قبل ظهور ابن رشد في القرن الثاني عشر الميلادي ، او القرن السادس الهجري ، وقبل ظهور المتنبي في القرن الرابع الهجري . وبدل على ذلك عبارة وردت في ترجمة ابني القاسم عبدالله بن عبد الرحمن الاسفهاني لحياة المتنبي . فالاسفهاني هذا يقول عن المتنبي : « وهو في الجملة خبيث الاعتقاد ، وكان في صفه وقع الى واحد يكفى ابا الفضل بالكوفة من المتفلسفة فهو سهو واسله . » ثم يشير الى ابيات من شعر المتنبي ويذكر البيت الاول الذي ذكرناه ويقول انه على مذهب السوفسطائية . وهو قول صحيح وبدل على معرفة الاسفهاني ايضا بالفلسفة اليونانية . ولكنه عند اشارته الى البيت الثاني يقول : « فهذا من يقول بالنفس الناطقة وبتشعب بعضه الى قول الحشيشية . » وعبارة النفس الناطقة في الاصل من ارسطو . اما قول الحشيشية الذي اشار اليه الاسفهاني فلم اقف على تفاصيله في كتاب من الكتب المعروفة التي تبحث في هذه

الاشياء المفردة كالكرسي بعينه او الطاولة بعينها او المقعد بعينه وهكذا . فالصور الذهنية المجردة في رأي افلاطون اثبت في الوجود الحقيقي من الاشياء نفسها ، وكلما كانت الصورة الذهنية اعم فاعم كانت اثبت فاثبت في الوجود الحقيقي ، الى ان نصل الى اخر درجات التجريد الذهني وتكون هذه الصورة المجردة الاخيرة اثبت الصور في الوجود الحقيقي ، بل يكون وجودها مطلقا وتكون واجبة الوجود .

على هذه الافكار المثالية التجريدية بنيت فكرة (الكليات) ابتداء من القرن السادس الميلادي او نهاية القرن الخامس . فاذا قلنا (كرسي) فهل معنى ذلك وجود صورة ذهنية كلية لهذا الشيء المعروف ام ان كلمة (كرسي) عبارة عن (اسم) لا غير ولا يدل على وجود صورة ذهنية فالتدبر قالوا بوجود صورة ذهنية سموها بالحققيين Realists لانهم يعتقدون بوجود تلك الصورة الكلية فعلا ، والذين قالوا بوجود الاسم فقط ولا وجود للصورة الذهنية الكلية بالفعل سموها بالاسمييين Nominalists والذين قالوا بعدم وجود الصورة الذهنية بالفعل وقالوا فقط بقدرة الذهن على تحصيل الافكار العامة من الاشياء المفردة سموها بجماعة العلم الحضوري Conceptualists فالحققيون يرون ان الصورة الذهنية لها وجود فعلي على شكل الماهيات . والفكرة الخاصة بالانسانية مثلا معناها وجود شيء حقيقي اسمه (الانسانية) يشترك فيه جميع الافراد ، وهو الذي يسميه الحققيون باسم (الماهية الانسانية) والاسميون ينكرون ذلك ، ويقولون ان هذه الصورة ليست الا اسما ، ولا وجود للماهية . اما جماعة العلم الحضوري فلا يؤمنون بوجود صورة ذهنية كلية ، ولكنهم يقولون ان الفكر الذي يجمع في الذهن الاشياء المفردة ، ولا وجود على الحقيقة الا للاشياء المفردة . ومن هنا يتبين ان الحققيين اقرب الى افلاطون والاسمييين ابعد عن افلاطون وان جماعة العلم الحضوري وسط بين الطرفين ، وكانت الكنيسة في القرون الوسطى تناصر الحققيين ، وتغضب على الاسمييين ، ودام النزاع حول فكرة الكليات في اوروبا مدة لا تقل عن الف سنة ، حتى ان احد رجال الفكر في القرن الثاني عشر قال ان هذا النزاع قد استنفد من الوقت ما استفده القياسرة في فتح العالم ومن المال اكثر مما كان لقادرون . وقد اختلطت القضية النزاعية هذه بالقضايا السياسية . وانتهى الامر بها الى ان دخلت في الفلسفة الحديثة على يد الفيلسوف ديكارت ، وظهرت فيما بعد بالية مختلفة ، وكان منها الفلسفة الحضورية الحديثة Idealism المتخلبة عن الفلسفة الحقيقية السابقة Realism ، والفلسفة المادية الماكسة لها التي هي اشبه ما تكون بالفلسفة الاسمية السابقة Nominalism والفلسفة الظاهرية الحديثة Phenomenalism التي هي وسط بين الطرفين . وترك البحث في الفلسفة الحضورية والفلسفة المادية ، وتعرض للفلسفة الظاهرية تمهيدا لبحث الفلسفة الوصفية Phenomenology التي كانت هي تمهيدا

يحرك العقل فيحمله على تذكر الافكار التي كانت لدى النفس من قبل . وهذه الافكار الجديدة لا تكون الا صورة ناقصة للافكار المثالية الاصلية . فاعلم ، اذن ، في رأي افلاطون هو تذكر لا غير .

وخلاصة نظرية افلاطون في المعرفة يمكن وضعها باختصار كما يلي . فالاحساس يدرك الاشياء على انفرادها ، والفهم يجعل الاحساسات في صور ذهنية جامعة . لناخذ مثلا على ذلك عددا من الدوائر المرسومة على اللوح بأشكال مختلفة . هذه الدوائر متباينة من حيث الحجم والموضع ، وقد تكون ايضا متباينة من حيث اللون وتخن الخطوط او دقتها . فالاحساس هنا يربنا كل دائرة بانها تختلف عن الاخرى من حيث الحجم واللون والموضع والرسم وغير ذلك ، ولكن الفهم يعطينا صورة شاملة تنطبق على جميع هذه الدوائر وهي فكرة (الدائرية) او صورة لدائرة مثالية تكون هذه الدوائر المرسومة صوراً لها على وجه التقريب . فصورة الدائرة المثالية هي التي تعرف بالصورة الكلية للدائرة او الصورة المثالية لها . والسؤال الذي يمرض على البال هنا هو : من اين يحصل الفهم على هذه الكليات ؟ فافلاطون ، كما ذكرنا آنفاً ، يرى ان هذه الكليات تأتي عن طريق التذكر ، وارسطو يقول انها موجودة في الفهم من الاصل اودعها الله في الانسان .

وكما ان نظريات الفلاسفة الاغريق في النفس قد احدثت اضطرابا في اراء فلاسفة القرون الوسطى ، كذلك هذه النظريات بشأن المعرفة والكليات والجزئيات احدثت اضطرابا اخر وشقت فلاسفة القرون الوسطى الى شطرين ، اشربنا اليهما سابقا باسم «الحققيين» و«الاسمييين» وكان بينهما فريق ثالث متوسط بين الطرفين يعرف بفريق «العلم الحضوري» Conceptualism ولفهم هذه الانواع الثلاثة من الفلسفة لا بد من الرجوع الى افلاطون مرة اخرى ، مع تذكر معنى (الكليات) الذي اشربنا اليه آنفاً . لناخذ مثلا شيئا ما كالكريسي . فان الانسان اذا رأى امثلة متعددة من الكريسي فانه يجد منها جميعا صورة واحدة تنطبق على الجميع ، وذلك بان يتذكر الصفات المشتركة بين هذه الكراسي واغفال الصفات الغير المشتركة . ثم اننا نرى طاولات عديدة في اشكال مختلفة ، فتكون في ذهننا صورة كلية للطاولة ، وهكذا . فاسم او كلمة (كرسي) او (طاولة) دلالة على الصورة الكلية الذهنية للكرسي او للطاولة . ولكن لو اردنا ان نجتمع بين الكريسي والطاولة والمقعد وغير ذلك في صورة كلية واحدة ، فإنا ننظر في الامور المتشابهة بينها ونجمع بينها فتكون صورة عن (المادة الخشبية) مثلا او (الجوهر الخشبي) . وقد نسير في طريقة هذا التجريد خطوة ثالثة ورابعة وهكذا . وكلما امننا في التجريد الذهني وصلنا الى كليات معينة تكون اثبت في حقيقة الوجود من الكليات السابقة لها ، وهذه اثبت من التي سبقتها وهكذا الى ان نصل الى

الشعر والحب

كنجمة مسافره
وقطرة من الندى باعين الورود ساهره
وفرحة تموت في الشفاه كانت مزهره
وأهه مسلوله ، كثره تصفر فوق مقبره
قد صرت بعد هجرك الالم مثل ليلة الشتاء ممطره
ان غادرت سفينة ميناءها تظل خلفها عيوني مبحره
أرى انا شيئاً نبيلاً في عيون كل مومس تبدو كناجره
احس أنه النسيم عندما تصعب في العواصف التزمجره
والمس الجروح خلف كبرياته وبسمة بوجهه مقدره
ان اطرقت مع المساء زهرة أحسها مهمومة مفكره
امد اعيني باضلع المساء حتى آخره
وآكل الاحزان اعب الظلام مثل خادم اطاع أسرّه
وانسج الدموع حتى في الليالي المقمره
اخط في المساء أسطري ، يمزق الفؤاد في الصباح أسطره
فان مررت مرة على الديار زرت القاهره
فاذكر بانني أعيش خلف ليلها كفرحة الشماع من الملول ضامره
ومر .. ولو كنجمه مسافره
فربما ليلته أعيش من دم ولحم ، لا كرشه حزينه ومقبره
http://Archivebeta.Sakhril.com
مجاهد عبدالنعم مجاهد
القاهره

وهي تشير الى المظاهر او الى الاحساسات التي نقول عنها انها (كرسي) ولا تعني اكثر من ذلك ، ولا تثبت او تنفي وجود الشيء المادي حقيقة في خارج العقل او عدم وجوده. هذه الفلسفة هي الفلسفة الظاهرية ، وهي ، كما قلنا ، وسط بين الفلسفة الحضورية والفلسفة المادية . وخلاصتها ان جميع ما نتكلم به ونقوله عن الاشياء يمكن ارجاعه الى كلام او قول عن الاحساسات او المعلومات الحية . فاذا قلت (كرسي) فاعني بذلك مجموعة الاحساسات الارتسامية عن ذلك الشيء من مسافات مختلفة ومن اتجاهات مختلفة وفي اضواء مختلفة ومن اللمس والصوت والشم وعند الحاجة وغير ذلك . وفضيلة هذه الفلسفة انها تجعل الاحساسات والشيء المادي شيئاً واحداً ، بعكس من يعتقد بان الاشياء موجودة فعلاً بوجود منفصل عن الاحساس بها . ولا تفرق هذه الفلسفة بين المظهر والحقيقة بل تجمع بينهما .

لندن

حسن الكرمي

للفلسفة الوجودية وصلة الوصل بين كيركيور والفلاسفة الوجوديين .

فالفيلسوف الانكليزي لوك Locke كان يؤمن بوجود مادة حقيقية خلاف الصورة الذهنية لشيء من الاشياء ، ولكن الفيلسوف الاخر باركلي كان ينفي وجود مادة حقيقية لاي شيء ترسم صورته في الذهن ، وكان يقول ان كل ما في الامر هو وجود الاحساس لا غير او وجود الصورة الذهنية . ويمكن تطبيق ذلك على الاستعمال اللغوي . ثم اننا اذا كنا نعلم ولدا لغة من اللغات وقلنا كلمة (كرسي) فاننا نشير الى هذا الشيء المعروف بالكرسي فبراه الولد ويترسمه في ذهنه بالنظر او عند الحاجة باللمس ايضا . وهكذا اذا قلنا (طاولة) ، فان الولد يفرق بين الشيئين بواسطة الفروق التي يلاحظها . فكلمة (كرسي) اذن تعني صورة حسية جاءت الى الذهن عن طريق النظر واللمس وغير ذلك . فالكلمة تصف لنا مجموعة الاحساسات الخاصة بهذا الشيء التي تشعر بها ، والتي اكتسبناها بالتكرار .

وعندما بلغ الخامسة عشرة ، انتقل والده الى بيروت للعمل في البريد ، فاستدعاه اليها لمعاونته ، وهناك تعرف بأدائها ، وكان له معهم مطارحات شعرية ومراسلات ادبية .. وفي السابعة عشرة توظف في جهرك بيروت .. غير ان ميوله الادبية ما لبثت ان دعتة الى الاشتغال بالصحافة ، فاخذ يكتب المقالات في صحيفتي « ثمرات الفنون » و « التقدم » .. وترجم عن الفرنسية مسرحية « اندروماك » لراسين يتخللها مقطعات شعرية منظومة ، ومثلت بضع ليال في بيروت لمعاونة التجمعات .. واشترك في « جمعية زهرة الاداب » التي انشأها هناك سليمان البستاني - وكانا في سن واحدة - والتي بها الخطيب والقصاصان . وكانت باكورة مطبوعاته كتابا سماه : « نزهة الاحداق في مصارع العشاق » . كما اشترك في تأليف كتاب بعنوان : « اثار الدهور » ١٨٧٥ مع الادبيين سليم شحاده وسليم الخوري ، وله في اجزائه الثلاثة فصول تمتاز بالاداء الحديثة والتعبير الواقعي وله عدد من القصائد في « ديوان يوسف الشلقون » .. (١)



نقولا يوسف

أديب اسحق

بمناسبة مرور ٨٠ عاما على وفاته ١٨٥٦ - ١٨٨٥

بقلم نقولا يوسف

وكان لمطالعانه كتابات الاحرار من العرب والافرنج ، وبخاصة كتاب الثورة الفرنسية الهانفين « بالحرية والاداء والامانة » ، وملاحظته ما ساد العالم العربي في عصره من تاخر وركود ، ان شعر بحاجة العرب الى ثورة سياسية تخلصهم من الاستعمار الاجنبي ، والى ثورة فنية تحررهم من الاساليب والافكار الرجعية .. ثم حدث ما دفع مجرى حياته في واد فسيح ، فانطلق هناك مدوي الصوت ..

فقد تولى في الجهاد : « سليم النقاش » ، بفرفته التمثيلية الى الاسكندرية عام ١٨٧٦ بعد ان قام بتمثيل بعض المسرحيات في بيروت ، مقتفيا اثر عمه مسارون النقاش - ١٨١٧ - ١٨٥٥ - رائد المسرح العربي ، الذي القم والفن ، والفرق التمثيلية والفنانية .. وكانت بعض الروايات - واستدعى «سليم» اليه صديقه اديب اسحق لمعاونته في مسرحه بالتأليف والتمثيل ..

وكان اديب في نحو العشرين من عمره يسوم هبط الاسكندرية ، وكانت كسائر مدن الاقليم المصري ترحب بالنازحين اليها من احرار الاقطار الشقيقة ، وبخاصة اهل القلم والفن ، والفرق التمثيلية والفنانية .. وكانت مصر في ذلك العصر الانتقالي - كما يقول المرحوم دكتور محمد مندور - (٢) : « قد وصلت الى نوع من الاستقلال الذاتي عن الحكم التركي - بجعله وتعصبه ، وظلمه وظلامه - واستطاعت بفضل هذا التحرر ان تفتح ابوابها للحضارة الانسانية التي آلت الى الغرب ، وتبدد بعض الظلام الخيم عليها ، وفتحت اذهانها الى تلقى في جديد كفن التمثيل ، حتى راينا خدوبها نفسه اسماعيل بيني في عاصمتها دارا لاوروبا . وكان ذلك بينما كان حكام الاتراك في البلاد العربية الاخرى لا يزالون يناقشون ما اذا كان

كاتب حر ، وصحفي مصلح ، وشاعر مجدد . ولد في سورية ، وتعلم في لبنان ، ولج في مصر ، ولجا الى باريس ، وشغل الناس اينما حل ، ولم يلق قلعه المشتغل ، حتى احرقه قبل ان يبلغ الثلاثين من عمره ..

وفي الاسكندرية كان يجول ويصول ، قبيل الثورة العراقية وفي اعقابها ، في فترة مضطربة عاصفة من حكم الخديوي اسماعيل وابنه توفيق ، فاصدر بها الصحف ، وكتب المقالات الوطنية ، والكلمات النارية ، داعيا الى اصلاح والنهضة ، والتجديد واليقظة ، وفيها دائما لسانه جمال الدين الافغاني ، ولصديقيه الامام محمد عبده ، وعبدالله النديم ، ومخلصا دائما لمبادئه ورسالته .

وكانت ولادة اديب اسحق في دمشق عام ١٨٥٦ في عصر ساد فيه الولايات العثمانية ، فساد الحكم ، وتحكم الرجعية .. وتعلم بمدرسة « الابهاء للغازيين » مبادئ العربية والفرنسية ، وتعلق منذ صباه بالادب والمطالعة ونظم الشعر ..

واضطر الى الخروج من المدارس للسعي وراء الرزق ، والالتحاق بمدرسة الحياة ، فاشتغل منذ الحادية عشرة من عمره في « الجهرك » بأجر يسير يساعد به أسرته ..

الاسلام يجيز فن التمثيل او يحرمه كما حدث في رواية هارون الرشيد التي فيها مارون النقاش وقيل انه تعرض فيها لتلك الرشيد للبرامكة ، فغضب لذلك الحاكم التركي متظاهرا بالغيرة على سمعة الرشيد ... » (٣)

ونزلت فرقة سليم النقاش الى الاسكندرية في ديسمبر ١٨٧٦ ، مكونة من ١٢ ممثلا واربع ممثلات (٤) ، واخذت تمثّل على مسرح «زبرينيا» من مساء ٢٣ ديسمبر ، وبدأت برواية « ابو الحسن المغفل وهارون الرشيد » لـ مارون النقاش ، واعقبته بروايات ترجمها سليم النقاش او اقتبسها - ومنها : « عائدة » و « هي وهوراس » و « متريدات » او الفها مثل « الظلوم » .. وعاونوه اديب اسحق وراح يترجم ويؤلف للفرقة ، ومن ذلك مسرحية « اندروماك » لراسين التي نظم بها اياها شعيرة جديدة ، و « شرلمان » المترجمة ، و « غرائب الاتفاق » المؤلفة ، وما زلنا نرى هذين الاثرين الاولين : « اندروماك وشرلمان » مطبوعين في كتاب « الدرر » الذي جمع فيه الكثير من اثار اديب اسحق بعد وفاته (٥) ، كما ترجم من الفرنسية رواية سماها : « الباريسية الحناء » بها بعض المعلومات

ولكن يبدو ان فرقة «النقاش واسحق» لم تلق بعد ذلك ما املت من نجاح مادي ، فتركها الاديبان الى « يوسف الخياط » ، وأرتحل الى القاهرة فترة من الزمن ، واشتغلا بالصحافة ، ثم عادا بعدها الى نشاطهما الصحفي بالاسكندرية .. اما فرقة الخياط ، فظلت تمثل على مسرح زبرينيا حيث لاقت رواية « حبيب الجليل » بعض النجاح ، ثم انتقلت الى القاهرة لتعمل عام ١٨٧٨ على «الظلوم» للنقاش بدار «الابواب» . وكانت هذه الدار مقصورة على الفرق الاجنبية ، واغضبت هذه الرواية الخديو اسماعيل اذ ظن بها تعريضا بكرامة الملوك ، وغمزا الى مظهره ، فطرد الفرقة من القاهرة ، ولكنها عادت الى الظهور بعد سنة لتمثل على مسرح زبرينيا (٦) .

ومما يروى عن اديب اسحق ، في اشرافه على « فرقة اسحق والنقاش » ، انه لما سمع بالشيخ سلامة حجازي المطرب الكندي المروف ، ومقدرته على تمثيل المعاني فيما يلقي من قصائد فثنائية على « التخت » ، ذهب لاقناعه بالانضمام الى فرقته ليكون مطربها الاول ، وممثلا في الوقت نفسه ، ولكن سلامة حجازي لم يقبل الاستئصال بالتمثيل لما راه من امتنان الناس يومذاك ، هذا الفن واهله ، وتلقبهم الممثل « بالمشخاني » .. غير ان يوسف الخياط استطاع بعد ذلك اقناع الشيخ سلامة بالوقوف على المسرح عام ١٨٨٤ لينشد القصائد ، وكان ذلك بدء نزوله الى ميدان التمثيل الفئاني الذي خلد ذكره ..

والمعروف ايضا ان اديب اسحق ، كان خلال اقامته بالقاهرة ، يحضر مجالس الاغاني ويلزاهم وتعجب بتعاليمه ، وهناك تعرف بعدد من رجال الفكر والقلم وعلى راسهم الشيخ محمد عبده ، وعبدالله النديم ، وابراهيم

الموليحي وغيرهم (٧) . وكان الاغاني وقتذاك في زورته الثانية لمصر ، بعد مدة قضاه في تركيا - فكان يستقبل مريديه في بيته نهارا ، وفي « قوة البوسطة » بالازبكية ليلا ، وتداول المناقشات في شتى المسائل السياسية والدنيوية والفلسفية .. وكان لخصيصة الاغاني الفوية ، وصراحته في الحديث عن الحرية ، وعن نقشي الطغيان والرجعية ، ودفاعه عن الحياة النيابية ، ودعوته الى وحدة شرقية تكفل لام الشرق ، استقلالها وحريتها ، والى نهضة دينية روحية منزهة عن التعصب والخرافات ، كان لثل هذه الاراء التقدمية ، اثر بالغ في نفوس المستمعين اليه ، وكانوا يرددونها في حياته وبعد وفاته (في ٩ مارس ١٨٧٧ باستنبل) ، ووجد فيها اديب اسحق تجاوبا مع ما يطوف بحلامه ..

وكان من رأي الاغاني ان تشيع هذه التعاليم بين الجماهير عن طريق الصحف ، فاوحى الى اديب اسحق ، وقد رأى فيه من المواهب والحماسة ، ما يمكن توجيهه الى خير العالم العربي ، ان ينشئ جريدة : « مصر » لتكون لسان هذه الجماعة . واصدر اديب عدداها الاول في ٣٠ يولييه ١٨٧٧ اسبوعية (قبل عزل الخديوي اسماعيل بنحو سبعة) ، ثم نقل الجريدة بعد بضعة اشهر الى الاسكندرية (١٨٧٧) وعاونوه في تحريرها وادارتها زميله سليم النقاش . وفي الاسكندرية اصدر اديب اسحق وسليم النقاش يوم ١٥ مايو ١٨٧٨ جريدة « التجارة » اليومية ، على ان تصدر جريدة « مصر » اسبوعية فنالنا رواجاً حتى اغلقتها رياض باشا رئيس الوزراء حينذاك ..

وكان الاغاني يكتب في هاتين الصحيفتين (مصر ، والتجارة) حينما باسمه ، واحيانا بتوقيع «مظهر بن وضاح» كما كتب بهما الشيخ محمد عبده ، وابراهيم اللقاني (٨) ثم عبدالله النديم ... وغيرهم ..

وكان أسلوب الجريدتين (مصر والتجارة) صريحا عنيفا ، معبرا عن الام الشرق واماله في ذلك العصر ، منتقدا تصرفات الخديو اسماعيل (وكان يحكم من ١٨٦٣ - ١٨٧٩) ، وما جره اسرافه وبذخه من افلاس للخزينة ، وبؤس للفلاح ، وتدخل الدول الاجنبية في شؤون البلاد ، وفرضها قابين ، انجليزي وفرنسي ، على ماله الدولة ، فوزيرين مثلها في مجلس الوزراء .. وكانت حكومته اقلت كاهل الشعب بمختلف انواع الضرائب والقروض ، واقتن ناظر ماله اسماعيل باشا المفتش في ارقام الفلاح الفقير على دفع تلك الضرائب في غير نظام ولا رحمة .. ويقول دكتور عبداللطيف حمزة في كتابه : « الصحافة المصرية في مائة عام » : - (٩)

« كان اديب اسحق يصف « في جريدة مصر » ، الحريات التي تتمتع بها الدول الاجنبية ويحاول ان يشرح للشعب المصري حقوق الحاكم وحقوق الرعية ، كما تعدى في هذه الجريدة لشرح المعاني الجديدة على اذهان الشعب المصري ، وهي معنى الوطن والوطنية ، وتقرى لوصف المذاهب السياسية والاجتماعية في اكثر البلاد الاوروبية ، ومن اهمها

الدولتان الإنجليز والروسية، وهذه كلها أشياء كانت غريبة على الذهن المصري كل القراء. فجاء شاب كاديب اسحق نهل من الثقافتين الشرقية والغربية، وتولى بنفسه تلقين الشعب من هذه الناحية، وكتب مقالاته كلها بأسلوب يذكر بأساليب الأدباء الكبار في تاريخ النثر العربي من أمثال ابن السيد، وبديع الزمان، والقفاي الفاسل وغيرهم...
ويقول:

« ثم هذه جريدة «مصر» وهذه زميلتها «التجارة» وكان يحررها ادب اسحق، وسليم النقاش، أما إزها فتدافع دفاعا مجيدا عن كرامة المصريين الذين لا يعاملون معاملة الأجانب القيمين معهم في بلادهم. وأما الأخرى فتهاجم قانون الطبوعات، وتعجب كيف ان هناك ادارتين: واحدة منهما للصحف الأجنبية، والأخرى للصحف الوطنية، ولكن الجريدة شاسع بينهما في معاملة الصحف... وانظر الى ادب اسحق في جريدة «مصر» وهو يقول في الانتقازات الأجنبية: (لا يدب في ان امتياز بعض الناس عن بعض في وطن واحد، يلحق بذلك الوطن الضرا العظيم حسا ومعنى... وقد حان لهذه البلاد ان تنتهز من عثرتها، وتلقت من ربقتها... الى آخر هذه العبارات التي استغر بها الشيبا المصري ضد هذه الانتقازات الأجنبية، وما أشبه هذه العبارات بما كان يردده السيد جمال الدين الأفغاني في هذا المعنى... »

ومن ذلك قول ادب اسحق بجريدة مصر في ٢٩ يناير ١٨٨٢:

« ارد ان يكون المصري في مقام الانسان، مستقلا بوجوده، متمتعا باستقلاله، فإلّا يبقوه، ناهضا بواجباه، يستغل زرعه، ويستعبد ضرعه... »
وقوله:

« يا أهل مصر اني محدثكم حديثا غريبا: اذا كان امراؤكم خيارك، واغنياءكم مسخريكم، واموركم شوري بينكم: فظهر الأرض خير لكم من بطنها، واذا كان امراؤكم شرارك، واغنياءكم بخلاكم، واموركم الى ناسكم، فبطن الأرض خير لكم من ظهرها... »

وكان عبدالله النديم خطيب الثورة المصرية، والكاتب الصحفي (١٨٤٥ - ١٨٨٦) بعد عاد الى مسقط رأسه الاسكندرية في أوائل ١٨٧٩ بعد طواف طويل في المدن والقرى، مكافحا في سبيل العيش، مختلطا بجميع طبقات الشعب، ومتعلما على الأفغاني بالقاهرة... ولما عاد الى الاسكندرية في ذلك العام، وجد جوا جديدا في مجالسها وصحفها، مخالفا لما عهده من قبل... وكانت المناقشات تدور حول ما لحق الأحوال المالية للبلاد من تدهور، وما يستتبع ذلك من مطامع الدول الأوروبية في الشرق، وما يجب على العرب من اليقظة والانتفاض... كانا كانت ترهض الثورة الوشيكة النشوب بعد عامين. وطلب ادب اسحق من صاحبه عبدالله النديم، التحرير بجريدة «مصر» و «التجارة». وكتب النديم فيهما المقالات الاجتماعية والسياسية في أسلوب مرسل متدفق، بعيد عن طريفته البديعة السابقة، ونالت مقالاته اعجاب القراء كما بدأت شهرته تدب في ميدان الصحافة الى جانب شهرته في الخطابة... ويقول «النديم» في مذكراته عن هذه المشاركة في تحرير الجريدتين: (١٠).

«ومن اتوا الى جمال الدين من الافاق، الكاتب النشيط ادب افندي اسحق. فراه فقير الحال، لا يملك شيئا من المال. فساعدته بنفسه

وماله، وفتح له جريدة «مصر» لسان حاله. واجتمع اليه ادباء مصر، وكتبه مصر، فزفوا اليها من الادب، ما تنورت به الالباب. وعندما انتقلت الى الاسكندرية، اجتمع «اديب» بي في جلسة ادبية، وطلب مني ان يكون لي عيادة، في «مصر» و «التجارة». فالتزمت تحرير الظهما، اكون مشربي من مشربهم... »

وكانت الاسكندرية جمعية سرية، تهدف الى القضاء على حكم اسماعيل، وتدعو الى الإصلاح الشامل، وتسمى «جمعية مصر الفتاة» على غرار «تركيا الفتاة» التي انشأها مدحت باشا بتركيا لتناوئ دكتاتورية السلطان عبدالعزير، وتطالب بالدستور (١١). وكان من اعضاء «مصر الفتاة»: جمال الدين الأفغاني، واديب اسحق، وسليم النقاش، وعبدالله النديم، ونقولا توما... وغيرهم. فرأى النديم ان تستبدل هذه الجمعية بأخرى تعمل في وضع النصارى، وتنشئ المدارس لإنشاء الشعب وبنائه، وأطلق عليها اسم: «الجمعية الخيرية الإسلامية». وأخذت جريدة «مصر» الاسكندرية تنشر انباء نشاطها وحفلاتها، وتدع خطب النديم واقواله، ومن ذلك خطبته في حفل افتتاح أولى مدارس الجمعية في ٨ يونيو ١٨٧٩. كما عاون ادب اسحق، زميله النديم في احياء الحفلات التمثيلية التي اقامتها مدرسة الجمعية...
وانقضى حكم الخديو اسماعيل بعزله يوم ٢٦ يونيو ١٨٧٩ ورحيله الى إيطاليا... وتولى مكانه ابنه الخديو توفيق في ٨ أغسطس ذلك العام... ولم يمض شهر على توليته حتى امر بالقش على السيد جمال الدين الأفغاني وهو عائد الى منزله، فمؤثر حيله الى الويس، فذهب الى الهند ثم الى باريس... وتوفي بتركيا في ٩ مارس ١٨٩٧. وكان توفيق يعارض آراء الأفغاني في الشورى والدستور والمجالس النيابية...
٢

- (١) انظر: فيليب طرازي - «تاريخ الصحافة العربية» ج ٢ ص ١٠٥. (٢) محمد مندور: «المسرح» - ١٩٥٩ ص ٢٩. (٣) فؤاد رشيد: «تاريخ المسرح العربي» ص ١١ و ١٨. (٤) جرجي زيدان: «شاهير الشرق» ج ٢ ص ٧٥. (٥) كتاب «الندرة» مخازن لاديب اسحق - جميعا جرجي النحاس - الاسكندرية ١٨٨٦ ط ١. (٦) د. محمد يوسف نجم: «المسرح العربي من عام ١٨٤٧ - ١٩٦٢». (٧) كان بين مريدي السيد جمال الدين الأفغاني، والتردد على نمواته بالقاهرة: الشيخ محمد عبده، واديب اسحق، وسليم النقاش، وعبدالله النديم، وسامي البارودي، وإبراهيم الموليحي، وسعد زغلول، وقاسم امين، وإبراهيم اللقاني، وعلي مظهر، وابو الوفا القوي... وغيرهم... (٨) كان الكتاب الصحفي ابراهيم اللقاني يحرر جريدة «امرأة الشرق» لصاحبا سليم عنجوري الدمشقي، وكانت تصدر بالقاهرة مرتين في الاسبوع (١٨٧٩).
- (٩) ص ٤١ و ٥٠ - (الكتبة الثقافية بالقاهرة) ١٩٦٢ - وإبراهيم عبده: «شور الصحافة المصرية» (١٠). كتاب «تاريخ مصر السياسي ومذكرات عبدالله النديم» ١٩٥٦ ص ٥٣ - ٥٤. (١١) كتاب (عبدالله النديم) للدكتور علي الحديدي ١٩٦٢ ص ٨١. (١٢) طرازي: ج ٢ ص ٢٥٦. ومجلة «النحلة» للويس صابونجي (لندن) عدد ١٠ سنة ٢.

العين السخية

في ذهل وهمس
فافاقت روعة السحر الذي قد جنحه
وهفا الوجد
ورفت مروحه !
خبثي الاشواق يا فينوس
يا اظهر طفله
خبثي لي
للفد الزاهي الجميل
قبل الثغر الشبيه
والنعيم الشاعري
ولكن تفرك لها يا سخيا
مثلما كانت سخيه
عينك الخطوة في تلك العشيه !

فؤاد الخشن

عينها الخطوة كم كانت سخيه
حينما عانقتها
ذات عشييه
اغضبتها
بدلال اثوي
قدمتها
بسقاء شاعري
لغم يشواق نهله
قالت الاهداب
في همس كهمس الظل ،
خذها
من جناح مخلي الريش
وقبله
ومسحت الجفن

هذا الزواج ما دفعه الى نزق الشباب . وكثيرا ما ندد بسياسة رياض باشا رئيس الوزارة المصرية ، فحمل عليه ، وعلى سياسة السدول الاوربية في وادي النيل ، حملات شديدة ، ثم حول المجلة الى جريدة اسبوعية . ولكنها قبل بلوغ الحقول الاول من العمر ، اصيب اديب بطله بالجد ، فزال باريس . وكانت هذه الصحيفة تصدر مطبوعة على الحجر ، ومكتوبة بخط يد منشئها ، او بخط عبدالله مراه الطيبي المشهور بالابلا وبجودة الكتابة . وعادته في اخراجها شقيقه عوني اسحق . وصدر اديب اسحق جريدته : « مصر القاهرة » بهذه الكلمة الجامعة :

« الحمد لله وحده ، هذه صحيفة (مصر) ما تغيرت الحقيقة بتغير الرسم ، ولا تغيرت الحقيقة بتغير الاسم ، بل هي (مصر) خادمة مصر طوامها الاستبداد . فماتت شهيدة ، ثم احبتها الحرية فماتت سعيدة . ارسل الى الميردين والاولياء ونهائء القراء ، منهية اليهم انه قد اتاني الله نعمة الحرية . ومن اوتي هذه النعمة فقد اوتي خيرا كثيرا . ولسوف ارون في رواية العاقب ، في راي الامل ، في غم الآيس .. حاول رياض باشا المتصدر في بلاد مصر افشاء نوري ، وابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الظالمون . امانتي بدعوى الحرس على الخواطر ان اتريها للفتنة . بل خاف ان اكشف الحجاب عن حقيقة احواله . فزعم اني ناصيته الثور - نرة منه ونشيعا لسواه . وما انا في شيء من ذلك . فاني اتم نفا ، واتبل قصدا من ان تنتميني الى الأشخاص . وانما اميل مع القاصد ، فما كان منها ملاما للشرب الذي احسه حقا :

فذلك من دون التشارب مشربي . وذلك ما بين المذاهب مذهبي . واما ما كان منها مقابرا للعباد الذي اراد عدلا : ريمت به من حاق رضى حائق . متى يرم لم يخطئه وان يبع يداب على اني لا لصد الانتقام ، وانما اردم مقاومة الباطل ، ونصرة الحق ، والمداخلة من الشرع وآله ، وعن الفضل ورجاله ، مسلكي ان اكشف حقائق الامور ملتزما جانب التصريح ، متجاوبا عن التعريض والتلخيص . وان اجلو مبادئ الحرية ، واداء ذوي التقد ، وان ابين ما يظهره البحث من عواقب الحوادث ، ومقاصد اهل الحل والعقد .

وعندما استقال شريف رئيس الوزارة ، وحل مكانه رياض باشا ، وبدأ يشتغل في احكامه ، استلزم له اديب اسحق وقاومه . وحاول اغراءه بالمال والنصب . فرفض .. وعندئذ اغلق رياض جريدتي مصر والتجارة ، وبدأ يدبر التهم لاديب تمهيدا للقبض عليه . ولكن اديب اسحق استطاع الافلات ، وهاجر الى باريس ، وكانت يومذاك ملجأ للاحرار ، والباها قصد الصحفي يعقوب صنوع عام ١٨٧٨ عندما حمل على اسماعيل وبطانتة في جريدته « ابو نظاره زرقا » ، كما لجأ اليها الافغاني ثم محمد عبده فيما بعد ..

ونزل اديب اسحق بباريس في خريف ١٨٧٩ ، واقام بها نحو تسعة اشهر ، وفوت على حكومة توفيق القبض عليه ، كما فعلت مع الافغاني قبله بنحو شهرين ، او كما فعلته بعده مع المتهمين بانارة الثورة العربية من سجن ونفي وتشريد ، وكان بينهم الشيخ محمد عبده الذي حكمت عليه بالنفي في ديسمبر ١٨٨٢ فلجأ الى بيروت حتى استدعاه الافغاني ليلجأ به في باريس وليصبرا معا صحيفة « العروة الوثقى » ..

وفي باريس اصدر اديب اسحق جريدته : « مصر القاهرة » التي يصفها فليبي طرازي في كتابه : « تاريخ الصحافة العربية » في قوله : (١٢)

« جريدة (مصر القاهرة) هو عنوان مجلة سياسية شعاعها : حرية ، مساواة ، اخاء . ظهرت بتاريخ ٢٤ كانون الاول (ديسمبر) ١٨٧٩ في ١٦ صفحة ، لمنشئها اديب اسحق ، وقد اسمعها على التفاض جريدة «مصر» التي كانت تصدر في وادي النيل ، لتشر ما يعود بالتلف على البلاد العربية .. وكتب فيها فعولا متناهية في البلاغة ، وحواية من انار

وان اوضح معايير اللصوص الذين نسميهم اصطلاحاً - اولي الامر - ومثالب الفئونة الذين نعوهم وهما - اماء الامة - ومغاسد الظلمة الذين تلقبهم جهلاً - ولاء النظام - وان اعين واجبات الانسان الشرقي بالنسبة الى نفسه ، وإلى قومه ، وإلى بلاده ، وما يقابل تلك الواجبات من الحقوق . ومفصلي : ان اثير بقية الحماية الشرقية ، واهيج ففالة الدم العربي ، وادفع الفشاعة عن اعين الساذجين واحيي القيرة في قلوب الدارين ، ليعلم قومي ان لهم حقاً مسلوا فيلتموه ، ومالاً مشهوراً فيلتموه ، ليتخرجوا من خلة العسل ، ويتبدوا عنهم كل مدلس يشترى بحقوقهم نمناً قليلاً ، ويدبقوا الخائنين عذاباً وبليلاً ، وليستغفروا الانفس والنفاس في جنب حقوقهم ، وليستغيثوا في مجاهدة الدين ببيعهم ابدانهم واموالهم واوطانهم وآلهم من الاجانب بما يطعمون فيه من رفعة القام . فمن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون اهله فهو شهيد ، ومن عاش بعد اولئك الشهداء فهو مسيد ... !

وفي باريس تعرف اديب اسحق على عدد من الادباء الفرنسيين الاحرار ومنهم الشاعر الكبير فكثروا هوجو الذي كان يقدّر مواهب اديب من مناقشته معه في السياسة والادب ، ويروي ان هوجو قال عنه مرة لن كان معه عقب انصرافه من مجلسه : « هذا نابغة الشرق » !

وفي باريس حضر اديب اسحق بعض جلسات النواب وتروّد على المكتبة الاهلية ، واطلع فيها على مخطوطات عربية قديمة ، ولف كتاباً سماه : « تراجم مصر في هذا العصر » ضاع مع كثير من آثاره .. ثم كان يتراسل من باريس مع جمال الدين الافغاني ..

وعندما ظهرت بوادر الثورة المنتظرة في الثورة العربية (١٨٨١ - ١٨٨٢) التي مهدت لها مثل تلك المظاهرات والمناقشات ، عاد اديب اسحق الى مصر ليكون وسط المعركة .. واعاد اصدار صحيفته السابقة : « مصر » .. وراح ينتقل بين الاسكندرية والقاهرة .. ثم اشترك عام ١٨٨٠ مع سليم النقاش في اصدار جريدة : « العصر الجديد » التي ظهر عددها الاول في ٨ يناير ١٨٨٠ ، ثم جريدة « المحروسة » في العام نفسه ..

فكانت مقالاته الكثيرة قد تفرقت فيما بين صحف مصر ، والتجارة ، والقاهرة ، والتقدم ، والمحروسة ، والعصر الجديد ، ومصر الفتاة ، واما خطبه واحاديثه في منتديات الاسكندرية والقاهرة وبيروت وباريس فلم يبق منها شيء .. واما رسائله الخاصة فلم ينشر منها غير النذر اليسير ..

ولكن الثابت ان هذا الكاتب ، الذي افنى حياته القصيرة في الدعوة الى مبادئه ، كان صاحب رسالة في الإصلاح والتجديد والنهضة وتحرير الفكر ، وكان مخلصاً لرسالته ، يخص الشرق بعامة ، والشعوب العربية بخاصة ، بجل اهتمامه .. من ذلك قوله مخاطباً زعماء العرب في عصره من اجل الوحدة العربية :

« .. ما ضر زعماء هذه الامة ، لو سارت بينهم الرسائل بتعيين الوسائل لم حشدوا الى مكان يتلاقون فيه ويتحاورون ، ثم يتنادون باصوات متلفة المقاصد كأنها لم واحد ... فنحن في الوطن اخوان

نجمعنا جامعة اللسان . وكلنا وان تعدد الافراد انسان .. احييوا ان ذلك الصوت لا يكون له من صدى ، ام يخافون ان يذهب ذلك الاجتهاد سدى ، ام لا يعلمون ان مثل هذا الاجتماع منزوع عن المقاصد الدينية ، منحصر في المعصية الجنسية والوطنية ، مؤلف من اكثر النحل العربية ، يترائل الدنيا اضطراباً ، ويستميل الدول جذبا وازهايا ، فتعود العرب الفسالة التي ينشدون ، والحقوق التي يطلبون ، ولا خوف على زعمائهم ولا يحزنون !»

وكان يدعو الى حياة انبياية ، وإلى اقامة مجلس للامة يمثل الشعب .. فلما تكون هذا المجلس ، بالرغم من معارضة الخديو توفيق ، كتب اديب اسحق يقول فيه : « .. وكيف لا ؟ وهو حاجة النفس ، وامنية القلب ، منذ توجه خاطر الى السياسة الوطنية ، وانصرم العزم الى احياء الهمم ، واتخذت التنية الى حفظ الحقوق ، واتخذت الوجبة في القيام بالواجبات ، وهو التنية التي كت الوطن رداء الفتوة فشييا ، وهو اليقية التي غرست لامة غصن الامل رطيبا ، وهو ما رجوانا زمانا ، وادافنا الزمن فيه ونهنيانا اوعاما ، وغالبنا الحذلان عليه ، فيا حسنة من يوم رد فالت البهاء ، واجيا مالت الرجاء .. !»

وكان اديب اسحق في مقالاته الصحفية والادبية ، يتوخى دائما الاسلوب العربي السهل الرصين ، الخالي من اللكئة التي شابت العربية الفصحى في العهود التركية . حين دخل في اللغة الفاظ تركية وتركيبات غير عربية .. وكان ينظم الشعر احيانا - ومن شعره :

قتل اسرى في غايبة جريسة لا تغتفر
وفشل شعب امين مسالة فيها نظر !
والحق للفقراء من يضاه الام لا تفر
في حالة الدنيا لكون من شرها على حد !

وجمع بعض آثاره المنشورة والمخطوطة ، مع ترجمة موجزة لحياته ، ومراثي الشعراء فيه في كتاب سماه جامعة « الدرر » في نحو ستمائة صفحة تكفل بجمعه بعد وفاته زميله في تحرير صفحه المرحوم جرجس النحاس ، وطبعه بالاسكندرية عام ١٨٨٦ كما سلف ، ثم اعيد طبعه بعد بضع سنوات .. وللباحث في آثار اديب اسحق ان يرجع الى تلك الصحف التي اصدرها او كتب فيها ، على ان يقرنها باحداث العصر الذي عاش فيه والذي يطوي النصف الثاني من القرن التاسع عشر .. وكان ذلك الكفاح الشاق ، والجهاد المرير قد هدا قواه ، واصيب بمرض الصدر .. وفي اعقاب الثورة العربية ، اودع في السجن بضع ساعات ، ثم بدل السجن بالنفي .. فارتحل الى بيروت ، واقام بها فترة تولى فيها تحرير جريدة « التقدم » للمرة الثالثة .. ولكن العلة اشتدت عليه ، فجا الى مصر للاستشفاء ، واقام بالقاهرة اياما ، ثم عاد الى الاسكندرية وقضى في « الرمل » بضعة ايام .. ولم يرج الاطباء شفاه واشاروا عليه بالانتقال الى جبال لبنان ، ثم لم يمض غير شهر واحد ، حتى وافته منيته بقرية « الحدت » في ١٢ يونيه ١٨٨٥ شابا في التاسعة والعشرين .

نقولا يوسف

رمل الاسكندرية



يوسف عبد المسيح ثروة

مناظر من وادي البؤس

بقلم يوسف عبد المسيح ثروة

جان انوي كاتب فرنسي مسرحي ولد في يوردو سنة ١٩١٠ وسط عائلة من سواد الناس ، فابو كان خياطاً وكانت امه عازفة كمان محترفة . وهذه البيئة المتواضعة التي رأى بين احضانها النور جعلته يتعرف منذ نعومة اظفاره - على معاني الفاقة والحرمان ، في مسارب باريس المظلمة ، بعد ان انتقل اليها والده طلباً لشيء من نعمة العيش التي افتقدها في يوردو ، وجان لما يزل في الثامنة من عمره الغض . ومع انه اتم دراسته في مدرسة كولبير الابتدائية ، ومن ثم اكمل دراسته الثانوية في كوليج شابتال ، فانه لم يستطع - اثر النحاق بكلية الحقوق - الا ان يقضي فيها سنة ونصف فقط ، ذلك ان قلة ذات اليد اضطرته اضطراراً لا رحمة فيه الى العمل في إحدى مؤسسات الاعلان ، لكي يقيم بأود نفسه ، ولكي لا يكون عائلة ثقيلة على من يستطيع اعالته ، ومع ذلك ، فان قطع ما وصل من دراسته الجامعية لم يفت في عهده ، بل هو استغل دار الاعلان التي انتهى اليها ، في تدريب نفسه على التركيز على الجمل القصيرة ، وهذا ما افاد منه اكبر الفائدة في تقوية حوار ، وهو الاساس الرئيسي للعمل المسرحي الذي اجتذبه منذ بواكير حياته ، ثم وانه الفرمة لان يتصل بالخرج المعروف جوفيه ، بعد ان كان قد شاهده على المسرح يمثل « سيجفريد » لجان جيرودو ، الكاتب الذي كان له فضلاً عن برناديشو وبيرنديلو اكبر الان في نفسه . وهكذا تضافرت هذه المصادر الثرة على رفده بنبع

لا ينضب من الحيوية المسرحية ، ذلك النبع الذي اصبح - بمرور الزمن - معيناً يتدفق وعينا تتفجر وينبوعاً يفيض فينحدر من كل ذلك سيل جارف من المسرحيات النابضة بالحياة العنيفة الصاخبة ، بالمواقف التي تهز القلوب والاذهان والاعصاب معاً ، المفعم بالروح الانسانية الحلوة الحزينة ، بالانفاس المتقطعة المبهورة ، بالنفوس الضائعة المهجورة ، بالشخوص التي تنزوي الى العدم والحق والبراءة والصدق والصفاء والنقاء ، على حين يهوي بها الفقر الكافر الجبان الانيم الى الهاوية ذات القرار السحيق ، حيث مقر المذلة والعار والرذيلة والختل والفش والنفاق . وهل ارض الواقع الابله المتوه غير هذا القرار السحيق ، غير سقر المذلة هذه؟ وكيف لا تكون الحال كذلك ، والواقع هو نتيجة طبيعية للوجود الاجتماعي ، الذي لا يعترف لا بالنظام ولا بالقانون ولا باي سنة من السنن او شريعة من الشرائع . ففي وادي البؤس لا تنمو الا الطفيليات والاعصاب الفارة ، ولا تعيش الا الحيوانات الحشوية ، كالضباب والنمور والذئاب ، ولا تطير في اجوائه الا الكواسر من الطير كالقور والنسور والبرا ، اما ما عدا ذلك مما يهب ويدب ، فيحيوانات اليفة تساق الى المسالخ اذا كان لحبها مما يؤكل ، وتساق الى العمل الشاق المرعب اذا كان لحبها مما لا يؤكل ، على حين يستفاد من كدها المروء ، الذي يمكن ان يتحول في بوتقة الصناعة الحديثة ، الى اكداس مكدسة من الذهب والبلاتين .

ومن هنا تتضح المارقة في شخوص انوي ، انها قوى خيرة نبيلة مطلقة ، تريد ان تحلق عالياً في الاجواء النظيفة ، لكن سمعها الكامن فيها يؤثر في قوة اندفاعها ، فيشلها عن الحركة ، ويجبرها على الهبوط هبوطاً مأساوياً فظيعاً . وليس هذا الضعف غير الفقر الذي يحطم النفوس ويقتلع بدور الخير منها ، ويدس انوف اصحابها في الرغام ، ويحمل الناس ، كل الناس المبتلين بطاعونه الى النفاق والكذب والاحتيال ، والضعة والمكنة . انه يدفع الى الرذيلة ، فيجعل منها مصيدة للرجال والنساء على حد سواء . فيضيع الشرف بما فيه من نقاء وصفاء ، وتنجحر الشيم والكارم الى حضيض التزلف واغتناسام الماثم . وتمتد يد الفساد الى كل مرفق من مرافق الحياة ، لتستشري الطعنة والانانية والتفلال في النفوس حتى تأتي على اثر فيها مما تبقى من معالم الخير والروعة والشهامة والكرم .

وخير من يمثل قوى النبل والانطلاق والصراحة هي تيريز بطلة « المتوحشة » فهي عنزة صغيرة تنظر في اعماق عيني خطيبها فلوران ، وهي حين تهتم بالسعادة تهتم بها على اعتبارها حياة داخلية نظيفة لا شركاً لصيد الحيوانات الادمية الغنية ، لهذا لم تستطع ان تغفر مما هي فيه من بؤس وشقاء وتعامسة الى ما كان يمكن ان تكون فيه من رغد وبحبوحة وسعادة . ذلك ان هذه العنزة الصغيرة مثلولة

...انها فيحيه... اليس كذلك ؟ كم تكون حقيرة عندما
تنشد هذه الاناشيد المتذلة ..

لكن والوالدين بصران على ابتزاز مال فلوران ، بهذه
الحجة او تلك ، ولا يعيران بنيتها وكبرياءها بأي
التفات انها يقام الخطة بعد الخطة ، لكي يحصلوا على
المال ، بأي وسيلة كانت ، ولذا تبادلها تيريز قائلة :
« لا تطلب هذا المال ايضا .. لقد اساءتم الي بما فيه الكفاية
... اراكما تتمعجان .. لانه رضى ان يتزوجني ... انتي
جميلة وابلغ من العمر عشرين ربعا .. وانا احبه .. وكل
هذا لا يقل عن مجده وماله .. الا ان هذا اللهب من الكبرياء
لا يفيد في شيء في احراق جشع والوالدين ، لذا نرى
تيريز تنتفض الما وثورة وجوها ، اذ ترى كرامتها تداس
بالنعال ، وترى نفسها طعاما لصيد دسم ، فترمي بالاوراق
النقدية التي قدمها فلوران على قدميه ، بعد ان يكون
الخجل قد شلها وجعلها لعبة جميلة يلهو بها فلوران .
وعلى الرغم مما قاله فلوران تهدئة لروعها ومما فعله لتوكيد
ذلك ، ووعده بان يبعد المال عن سعادتها القليلة ، حتى
لا يتربصا عليه ابدا ، نراها تترك فلوران بقلها وتنفض
شرا الى والديها (وهما يرتجفان من شدة الجشع)
وتقول والحق بكاد يخفتها : « انظر اليهما .. ان هذه
الاوراق لعديدهما .. كم كنت لطيفا وانت تلقي بهذه النقود
يا فلوران ، ولحظة سيكون ثم تصرخ فجأة : انتي حمقاء
لانني بدأت هذه الميزة بولني ان ارى هذا المال على الارض ..
ذلك انما كثيرا ما شكتك اصابعها بابرئها ! وكثيرا ما
بقيت مخفية على اقنعة حتى امها جنبها لكي تحصل على
الفلان من والديها .. لقد اردت ان تتظاهر بالكبرياء لكنها
كانت تكذب وهذا ما حملها على ان ترمي الى ركبتيها
وتقول والياس يقطع اوتار قلبها تقطعا : « على ركبتي ..
على ركبتي .. يجب ان التقطها .. وانا راكمة على ركبتي
حتى لا اكذب .. انني من هذه الفصيلة » فما يكون الصدق
مع النفس ان لم يكن هذا؟ وما تكون الصراحة ان لم تكن
هذه؟ هذه صرخة الجنون تعالي الى السماء ، هذه لكمة
الافعى التي لا علاج لها . انها حقيقة الفصيلة الادمية المكتوبة
بمعدن الدلة في سفر الفقر الذي يجمع بين فتيته غافلين
الشور واغافل الخزي والشنار . انها الواقع كما يبدو ،
في عربه وبشاعته وتغزاه ، في هوله واماسانه ، في ندائه
الداوي لكي ينتشر الصدق ، في موطن الكذب والنفاق
والاحتيال ، في جرحه الدامي ، الغافر الذي ينز تسمما
وقيحا ، في وجوده العفن الآسن بصفته وجودا مستمرا .
ومع كل هذا الذي حدث فان فلوران يابى ان يسرك
خطيبته ، وبابى الاب ان يسرك سعادته الى حد انه لا يجرؤ
ان يعترف لنفسه بهذه السعادة ، انه يعرف مبلغ حقارة
الام ويعترف بجشعه ، الا انه لا يرى في كبرياء ابنته الا
صفة وثيقة الصلة بكبرياء اسرته . وحين تبلمه تيريز
بثورتها على فلوران ، يصاب الاب بالذهول والتبلد ، فهو

القدمين بسبب قيود الفقر واصفاده . ومع ان الفقر لم
يستطع ان يجردهما من كبريائهما ، الا ان هذه الكبرياء ظلت
متوقفة في دخيلة نفسها . اما ابوها تارد فرجل تاجر
ولكن بغير راسمال سواها ، ومن هنا فهو يعرض بصفتهما
بضاعة يمكن ان تشرى وتباع ، وكذلك امها ، فهي - في
جشعها وخستها وشراستها - تدفع بنيتها دفعا السي
الزواج بالمال ، لان المال هو اصل السعادة ومنبتها الوحيد
ومن كان بغير مال ، لا بد ان يكون شقيقا بالسا ضائعا في
هذه الحياة الكدنا .

تيريز تريد ان تتفاهى مرة واحدة عن المال على الاقل ،
غير ان والدها لا يرى معنى لذلك ، اذ ان تيريز نفسها
تاجر شائها شان والديها وشان الناس اجمعين .
والام ، بطبيعة الحال ، تلج على تيريز الا تترك هذه
الفرصة الذهبية تمر من غير استغلالها الى ابعاد ما يكون
الاستغلال ، انها تطلبها بالا تتركه بفلت منها قبل ان يضمن
لها مستقبلها ، لكن تيريز لا تريد ان يتصورها اله يمكن ان
تزودهم بالمال متى ارادوا ذلك ، وهم يريدون ذلك في كل
وقت وفي كل زمان .

وفي غضون هذا الصراع المتأزم بين كبرياء تيريز وسفالة
الوالدين يظهر عشيق الام جوستا ، الذي يمثل واقع هذه
العثالة من البشر ، العثالة التي تزحف الى المال على
بطونها سحفا ، والتي تبيع كل القيم الانسانية لقاء دراهم
معدودات ، والامر البارز - في شخصية جوستا - هو
الصراحة العارية ، هو الواقعية المكشوفة ، هو الاعتراف
المنبثق من اعماق النفس الانسانية ، ومن هذه الصراحة
تتدفق الكلمات الجنيمة بوحشية غريبة .
جوستا يواقع فلوران ، ويريد ان يعرفه بنفسه تعريفا
صحيحا يقول : « لست شيئا .. لست اي شيء .. لست
الى رجلا مكينا رايتها تترعزع حتى تصعب ما هي عليه
الان ولا اريد ان تصعب موسا .. (١) » ودفعها لكل التباس
يوجه خطابه الى تيريز قائلا : « كنت اتصورك طاهرة ..
ولكنك كنت تتشممين رائحة المال بانفك الصغير القدر .. »
ولما نصر تيريز على انها تحب فلوران حبا صادرا من
اعماق القلب ، يلتفت اليها جوستا ساخرا ويقول : « تحبينه
بالتاكيد كلنا متأكدون من انك تحبينه .. انه اولى غنى ..
كيف يمكن الا تحبينه .. واعتقادا منه انها ما اندفعت الى
محنته والتشبث به الا بسبب ماله نراه ينتفض في وجه
فلوران كالمجنون ويحاول بكل ما اوتي من قوة ان يحول
بينه وبينها حتى كاد العنف ان يتدخل في الامر لولا تمكن
الوالدين من ففض النزاع وابعاد جوستا عن الميدان . وهنا
تعتزف تيريز بحبه لها وببساطته وعنفه ويتصوره انهم
يدفعونها اليه لا حبا به .. بل استسلاما منها من اجل
« ماله » كما تعتزف بانه عشيق امها من امد بعيد . وتيريز
لا تكفي بهذا الاعتراف بل هي تحدث خطيبها براياها في
امها قائلة : « انتي اخفيها .. اخفيها بسرعة حتى لا نراها

امامه .. وازاء هذه الام الحنون الرؤوم تضع تيريز امها وتقول متحدثة اليه والغيرات تخفقها : « امي امرأة قاسية .. جامدة العواطف .. كنت اخجل منها .. وكانت تضربني .. وبعد ان يعجز فلوران من التهورين عما بها من الام مرحية ، وهوم كاسحة ، وبخيب في اطفاء تيران لواعجها ، يجد نفسه ملزما الى ان يستمع اليها وهي تقول : « انني اشعر الان بالام هائل .. يجب ان تسمح لي بالرحيل .. لن تستطيع ان تفهم .. ان شيئا يقلى في اعماقي .. انه يتضخم .. وهو على وشك الانفجار .. »

ثم ما يلبث الاب الا ان يتدخل ليكون طرفا في الصراع المأساوي الجارف ، الامر الذي يحمل تيريز على القول : « ابي .. ابي العزيز .. كم انا سعيدة .. ان تكون بهذه القذارة .. بهذا المظهر المخك .. وبهذا الانحطاط .. » وتستطرد : « لا انسى الحقيقة انني ابنتك .. ابنة هذا السيد القصر ذي الاظافر السود الذي يتساقط القشر على ملايه .. ابنة هذا السيد الذي يحسن الكلام وان كان قد حاول ان يبيمني في كل مكان منذ ادركت السن التي يمكن ان يعجب فيها الناس بي .. »

هذه الكلمات الكبريتية التي تتطابر من فوهة واحدة من بطن وادي اليوس ، هذه الام المتفجرة غضبا وكيدا ، هذه التيران المحرقة الماصفة التي تئن اثينا وحشيا ، هذه البراكين الثائرة حملا لا تستطيع جميعا ، بما اوتيت من حيرت الصغير والحرق والابادة ، ان تنال من هدوء فلوران .. فلوران الذي الجاهل ، الذي لا يعرف معنى الفقر ، ولماذا يقول له تيريز : « اني لست في متناول يدك .. حيث لا

تستطيع ان تتبعني لكي تلحق بي .. انك لا تعرف معنى شعور الانسان بالالم .. ومعنى الانغماس في الاحوال .. انك لا تعرف معنى ان يفرق الانسان .. وان تطلعه الاقدار .. انك لم تشعر ابدا بالالم حقيق .. بالالم مخجل .. بما يشبه الجرح الذي يتقيح .. ثم انما نلعل هذا الجهل الفاضح الذي يبدو جليا على وجه فلوران ، بان سببه هو البعد عن الفقر والدناءة والخزي والعار ، بينا (هذه البغضاء التي تحفر الاخاديد في وجهها وهذا الصوت الذي يصرخ وهذه التفاصيل التي تسمش منها النفس تجعلها ولا شك قبيحة كالبلوس نفسه وتجعل وجهه خطيبها شديد الشوب لان الذين همزتهم الحياة قوم مخيفون حقا) على حين ان غنى فلوران ليس غنى المال ، بل هو تجسد في البيت الذي ترعرع فيه ، في الطمانينة الطويلة التي عاش فيها ، والتي عاش فيها اجداده ، في حبه للحياة ، في عدم اضطرابه الى ان يهاجم احدا او ان يدافع عن نفسه ، في موهبته الفنية ..

اما هارتمان ، صديق فلوران ، هذا الانسان الطاعن في السن ، الذي ذاق حظال الحياة ، فتجشأ عصير مرارتها ، ثم حمل حملا على تجربها ، فقد ابي الا ان يشارك تيريز

لا يفهم كيف تثور فتاة في مثل مستواها على شاب غني في مثل مستوى فلوران ، ولذا تظفر تيريز الى ان تشرح له معنى ثورتها عليه وعلى بيئته فهو - في سعادته وغناه ، في نبله وشهامته ، في اعتزازه بكرامته ، في علو مقامه الاجتماعي في واد وهي في واد اخر .. وهذا يتجلى في بيتها الذي يبدو فيه الجو صافيا رائعا لا لشيء الا لكي تنفر منه ، فتهرول من هنا الى هنا وتجري عبر قاعة الاستقبال فريدة وحيدة وكل مقعد فيها يؤنبها على رغبتها في البقاء ، وكذا المكتب الصغير الذي كان يكتب عليه واجباته المدرسية ، يذكرها - على براعته - بانه متآمر معه ، لانه يجعلها تحس بايام تشردها في الشوارع ، وهي طفلة ريانة الاهداب ..

لكن تيريز كلما امنت في النور من السعادة ، وجدت نفسها في دائرة مغلقة منها ، تضيق بصورة مضطردة ، بتضايقها وتبرمها ونمردها ، حتى انها تنفر في وجهه هارتمان صديق فلوران وتقول وكلها ثورة وجموح : « انني اشمئز منك جميعا .. انتم وسعادتكم .. كانما لا يوجد على الارض شيء الا السعادة .. حسنا ، انني اهرب من هذه السعادة .. انني لا اريد ان تملكتني السعادة وفي عرق بينض بالحياة .. انني اريد الاستمرار في هذا الشعور بالهداب ، في الصباح .. انه امر عجيب ليس كذلك ؟ » هذا امر عجيب ، وهو كذلك بالقياس الى هارتمان وفلوران ايضا ، لكنه ليس كذلك بالقياس الى الذئبة الجروحة ، الى قلبها المتفتت بحجارة الرجم ، وصخور الفقر الصلدة ..

ويستمر عواء الذئبة عاليا ، ويستمر فلوران متعلقا بها حتى تضطر الى الاعتراف بالقائه كتبه له كي يعطيه النقود ، على صورة امه واطحاح ابنيها وتركها له كي يعطيه النقود ، ودفعها لايها كي يشرب وينقي ، ومقتها للاغنياء جميعا ، وكل ذلك صدر منها بقصد وسبق اسرار املا منها في استدراجه ليهتدي الى السبب الذي دفعها الى مثل تلك التصرفات ..

ولما يعجز فلوران عن لمس السبب ، وبيته في مفازة لا اول لها ولا اخر ، تنفجر تيريز ملثاعة وتقول والرفعة العارمة تهز كيائها بل تعف به عفا : « نعم .. اني ارتجف .. ارتجف لاني الوحيدة التي لا تعرف الانتماس في هذا البيت .. لاني القدرة الوحيدة هنا .. وانا الفقيرة الوحيدة .. الوحيدة التي تخجل من نفسها .. » وهنا يحاول فلوران ان يخفف عن لومها بقوله : « هل تصورين انني ساسمح لاي نوع من الام ان يبقى في نفسك .. الا يبدو علي اني اقوى من هوم الدنيا جميعا .. » وبعد ان يشرح لها اهمية كتبه (القدرة) وكيف انها علمته كيف ينتظرها ليحبها ، ينجي صورة امه ويقول والجزن العميق يجتذب مشاعره جميعا : « لقد كانت تتألم يا امامه .. ولكل لم تقولي لها شيئا .. انت التي كنت ماهرة في التخفيف من الام الاخرين .. الم تجدي ما تخفين به الامها ؟ حقا يا

في مشاعرها الثائرة حتى انه قال مخاطباً فلوران وفصلته من الغنياء المحظوظين : « عندما عرفتك يا فلوران كنت رجلاً قد تقدمت به السن... رجلاً يتقب دون أمل بآصابعه التي تنفق الى المهارة في مادة صماء . كنت شيخاً هالماً على وجهه يبحث باعياء عن هذه الاصوات السماوية التي سبق ان اهدتكم اليها انتم بدون عناء حينما ولدتُم . » وبالتالي لها مغزى اي مغزى ، ويرفق فيه مسحة من سخريه تصدى تيريز لفلوران وتحداه قائلة : « هل يمكن ان تحاول مرة واحدة ان تكون كالآخرين .. جبناً .. شرباً .. انانياً .. فقيراً .. مرة واحدة .. اما يمكنك هذا؟ » وهنا يسقط في يدي فلوران فيقول : « لا ليس هذا في مقدوري . » و أخيراً تفر تيريز من حفلة الزفاف بعد ان تكون قد عجزت عن الملامه بين نفسيها وبين البيئة الجديدة . اما جاستون بطل « المسافر بلا متاع » فهو انسان متارد على المجتمع لا يعترف بماضيه ولا يقر بحاضره ، لان ماضيه كان ماضياً حالكا دنساً ، فيه قسوة وحشية ، وفساد خبيث ، وافاعيل دنثية ، وتصرفات انانية بئسة . انه كان خنزيراً يترغم في الاوحال الاسنة ، بين ام غفنة الاخلاق متبرمة ساخطة ، جافة الماطفة ، شكية وبين اخ مففل وعشيقه فاجرة ساقطة ، خانت اخاه معه ، فكيف لا تخونه مع غيره ؟

فقد جاستون ذاكرته في الحرب العالمية الاولى ، وبعد ان ظل في احد اللجوء ردها طويلاً من الزمن ، وهو في سبات عميق ، جاءت به الدوقة دييون المنفور الى آل رينو تلك الاسرة التي فقدت ولدها جاك في تلك الحرب اللعينة ، ليتعرف جاستون على افراد هذه العائلة الجائفة ان يكون هو جاك بعينه . غير ان جاستون سرعان ما يجد صعوبة في هذا الدور الذي يقرض عليه فرضاً ، لانه كان مرتاحاً الى البال في اللجوء .. وكان قد ألف نفسه وتعرف عليها بثقة وامان . اما الآن ، فان عليه ان يفارق نفسه القديمة وان يجد نفساً اخرى . وتفتيماً لهذه الصعوبة تصمحه الدوقة قائلة : « جاستون ، حاول الا تفكر في شيء ، اترك نفسك على سجيبتها ، دون بذل جهد ، امنع النظر فسي جميع الوجوه . » (٢)

وهذا ما يفعله من غير جدوى ، ثم تذكره مدام رينو بصدقه الذي (دفعه من على السلم ، وفي اثناء سقوطه اصيب في عموه الفقري) لكنه لا يتذكر لان (ماضي الانسان لا يباع له بالتجزئة) . وبعد ان تمنع (الام) في استجوابه يرى نفسه مضطراً الى استجواب جوليت الخادمة ، التي تبرعت بان تقص له حكاية صديقه وقلته القبيحة معه .. فتعترف له بأنه كان اول رجل في حياتها وكانت في الخامسة عشر من عمرها ، وانها لم تكن الا خادمة صغيرة مهملة ، لكن ذلك لم يمنحها من ان تشرب ذلك

- (١) الشواهد من ترجمة الأستاذ يحيى سعيد لسريحية (المتوحشة) .
(٢) شواهد (المسافر بلا متاع » من ترجمة الدكتور انور لولوا . (٢) شواهد (ادريد) من ترجمة الدكتور محمد زهير - في (المسرح) ١٤٠ س ١٩٦٥ .

الام القليع حتى الثمالة ، الم العتيقة المقهورة .
ثم يحدثه جورج (اخوه) عن المشروع التجاري المربف والاصولات الزوجة ، التي كلفت الاسرة مئات الاولف من الفريكات ، ذلك المشروع الذي ابتكره من العدم وجعل من نفسه وسيطاً له ، ومع ذلك فان جورج ما ان يمن النظر فيه حتى يخنق حوته ويقول : « انك تشبهه كثيراً . هذا وجهه ، ولكن كانما مرت به مسحة عذاب . » ثم ما يلبث ان يستطرد وكانما يتحدث عن شخص غائب : « لقد كرهته ، نعم كرهته ، لم بسرعة كبرى ، نسيت كيف احفك عليه . »
وحين يلجم له جورج بما فعل بامراته ، يتبادل جاستون برهة ويقول : « هل اخذتكم امرأة ؟ امراتك ؟ (جورج يوميء بالايجاب ، جاستون ، بصوت مكتوم) . « الدنيء » الكلمة الاخيرة ليست كلمة ينطق بها انسان ، انما هي شرارة يضعها ملقف اليلس في احدى غابات وادي البؤس اليابسة ، لتحولها الى عاصفة من النيران الهالجة التي تلتهم الاخضر واليابس في الوادي بأسره . انها تقمة خفية تحل على البشر الجبناء الذين لا يعرفون الا الخسة والدناءة ، والظلم في الظهور . انها علة فساد المجتمعات وشر الافات التي تغزو النفوس المريضة فتحيها ، بين ليلة وضحاها ، الى خنازير بجلود آدمية .

وعندما تذكره (امه) بحماقة محاولته الزواج (بنت خيطة لقيها في حفلة راقصة ، ووقوفها في وجهه واغلاله عن كرهه لها ، يسألها العفو ويتكى على فقدان ذاكرته قائلاً : « انك تذكرين ان ماضياً بأكمله ، بالنسبة لرجل بلا ذاكرة ، انما هو عيب باهض اقل مما يطبق ظهروه ان يجعله ذنباً واحدة . »

ثم تأتي فالنتين ، عشيقه جاك ، ذلك الشبح الذي يبرهه من يحم بان يتقصه ، فتكاده بالذكريات المرة ، ذكريات الخيانة والجريمة وايام الحرام . فما يكون منه الا ان يقول : « انك تكلمين شخصاً يكاد يكون فلاحاً من فلاحى الدانوب .. انني رجل متقدم في السن ، ولكني اصل الى الحياة جدد الصفحة . » وبعد ان توغل في استشارة ذكرياته معها ، تصل في اقوالها السى حد القول « الا يوجد في شيء مما يناسب شيئاً مما في مخزن بضائعك الترفيهية ، ابتسامة ، نبرة ، ؟ » وهنا يقطع حبل كلامها المدغدغ بقوله « لا شيء » . غير ان هذا الجواب القاطع لا يقنمها ، انما يدفعها الى مزيد من التشبث ، فتقول : « ان حياتنا كلها وما بها من مبادئ الاخلاقية الكريمة وحرينا العزيزة ، انما قوامها في اخر الامر ان نتقبل انفسنا كما نحن . » هذه الفلسفة الواقعية الاجتماعية التي تدفع المجتمع المتفسخ ، هي نفسها التي يسير خلف لافتتها المهترئة القليع كله من امثال هوسبار المحامي والدوقة النبيلة ورئيس الخدم ومن هم على شاكلتهم من آل رينو ، ولهذا السبب بعينه ترى جاستون يبرد عليهم قائلاً : « انا .. انا .. انا موجود ، انا ، برغم حكاياتكم كلها . » وعلى الرغم من الدليل القاطع الذي تشير اليه فالنتين ، فان جاستون بصر على رفضه لماضيه ، لانه لم يعد قادراً

على تحمله ، ولانه لا يريد ان يعيد هذا الماضي الاسود ،
اذ انه ولد من جديد ، انه انسان اخر غير ما كانه ، انه
اختار وجودا جديدا غير وجوده السابق الالم ، ولذلك
نراه يقول مخاطبا فالتين : « نعم . اني اقوم الان برفض
ماضي ، وشخصياته - بما فيها انا - ربما كنتم اسرتي ،
وعوامياتي ، وفتي الحقيقة . نعم ، ولكن هناك شيئا
هو انكم لا تعجبوني . اني ارفضكم » .

اما بيت الدنس ، بيت ارديل اخت الجنرال ، فهو
بؤرة الفساد الاستقرائي ، فالجنرال يعشيق خادمتها
آدا ، والكونتيس اخت الجنرال عمق فيلاردو ، والكونت
زوج الكونتيسة يعشق احدى الخياطات ، ونيكولا الابن
الثاني للجنرال يعشق ناتالي التي تزوجت اخاه الاكبر .
وهكذا نجد الانحلال مستثريا في هذا الماخور ، والتفخ
ساريا فيه ، بحيث لم يبق منه موضع لم ينله الشر بانياه
السود ، ان الجو ذاك بل اسود ، تتطير منه روائح
النش والعفن ، كل فرد من الاسرة غارق الى اذنيه في
الاحوال الخبيثة ، الا توتو الابن الاصفر وماري كرسين
ابنة الكونتيس الصغيرة ، والدا العمة ارديل الحدياء التي
تجاوزت الاربعين من عمرها . تجاوزته وهي لم تدق طعم
الحب ، اما لانها حدياء قبيحة ، وهذا هو المرجح ، واما
لانه جاء الى قطار الزمن متأخرة ..

وذات يوم حل في دارهم رجل احبب هو الآخر ، وهو
موسيقي بارع جاء ليعطي دروسا في هذا الفن الجديد
لارديل ، وبسبب الصلة الوثيقة بين الاسناد وتلميذاته ،
يصبح الجو ملاملا لحب عفيف بين الاختين ، حب عفيف
ظاهر غريب على هذه البؤرة الشريرة . لما لبث هذا
الحب الا قليلا حتى شير عاصفة ، بل اعصارا مدمرا يقترب
تدريجيا من اسس بيت الجنرال ، مهددا متوعدا .

ولما كان الجنرال رجلا حسيقا متروبا لا يجد مقرا من
عقد مجلس عالي للدراسة مشكلة حب اخته لها الموسيقي
الفقير ووضع الحلول المناسبة لها ، وراي الجنرال في
الحب واضح فهو يقول : « ان الانسان يعتبر وحيدا في
الحياة ، لذلك فانه يكون في حال افضل اذا لم يشغل نفسه
بحب شخص اخر ... وان للحب عدوا كبيرا ، ذلك العدو
هو الحياة (٣) » . اما العشق فهو شيء يرتاح اليه كل
الارواح ، فحين تنفي الكونتيسة ذلك باعتبارها حلما حلوا ،
وتقول له ساخرة : « لها عشيق ! لا بد انك تائم وانك
تحلم » . يجيبها اخوها الجنرال : « كم اتمنى لو كان الامر
كذلك ، ولكنني منذ ثلاثة ايام اقرص يدي احيانا واشكها
بديوس احيانا لاناكد مما اذا كنت مستيقظا او غير مستيقظ
حتى تورمت يدي ، ولم يظهر ما يدل على انني تائم .. »
هذا تلبط طبيعي يصيب مثل هذه الفئة من الناس ، حين
يواجهون الحقائق عارية من النفاق والرياء والدجل ، ذلك
انهم بطبيعة الحال لا يحاولون شيئا غير المحافظة على
المظاهر ، على ما ذهب اليه الكونت . اما ليليان الفيور
على زوجها « فهي مستعدة لكل تضحية في سبيل
الحيولة بينه وبين عصوفته ، فهي لذلك ترسم خطتها

على الا يفارقها طوال اليوم ، وهذا ما يجعلنا انا وهي
وهو متلازمين دائما اشبه بدورية واحدة » . هكذا يقول
عشيق الكونتيسة بالحرف الواحد ، وهو في هذا القول
يمر عما في نفوس سكان وادي البؤس ، من توتر فظيع
يشعل الانصباب شلا ، ويجعل من كل مسام الانسان
عيونا راصدة ، وغيرة قتالة فاجرة ، « غير من نوع
استقرائي جديد ، غير المرأة العاشقة على زوجها العائق .
وفي هذا ما فيه من قيم مدنية حديثة تنبؤا مكانها في
راس الهرم من الكيان الاجتماعي الحديث .. لكن الكونت
العاشق لا يرى راي الاخوين في اختها ارديل . فحين
تنباهي الكونتيسة بانها حرة تنصرف بحياها الخاصة كما
تشاء يرد عليها الكونت بيرود قائلا : « وكذلك العمة ارديل
من حقها ان تكون حرة في تصرفاتها ... ان امركم لعجيب
لماذا تحلون لانفسكم شيئا ثم تحرمونه عليها هي ؟ » وعلى
الاخر تكاشفه زوجته بالحقيقة بقولها : « يا جاستون حاول
الا تسرف في البهالة .. انت تعلم ان كل هدفا هو
محاوله تجنب الفضيحة بقدر المستطاع » . وهنا يجيبها
الكونت بقوله : « هذا كلام فارغ .. ومن اين نتاح للناس
موضوعات للتفكه والتسلية ؟ »

اما العمة ارديل ، فهي بعد ان اكتشف امرها ، لم تر
بدا من الاعتماد بفرقتها والاضراب عن الطعام ، انها قررت
ان تواجه مستقبلها بشجاعة ، ولو كانت - في تلك
المواجهة - فضيحة كبرى ، تهبط على الاسرة كلها بهبوط
كارثة مدمرة .. الجنرال يريد ان تنزل من غرفتها من
غير جدوى ، والكونت يحاول مبثا اقناعها بالافلاخ عن
عزيمتها ، وهو حين يقول : « يا عمتي ارديل مطلوب مني
ان اتحدث اليك عن الجواب » لا يلبث الا لحظة ليقول :
« اتريدن الحق ، نحن لا نملك في الحياة سلوكا محترما ،
ولولا شعورنا بالواجب لظهر لك قبح سلوكنا في صورة
ابسع واشنع » . ومن حذب على الحدياء غير الكونت
نيكولا ابن اخيها ، ولذا نراه (يصعد السلم بسرعة كبيرة
وبدق الباب بكتنا يديه ويقول) : « اصعدي يا عمتي ..
اضحكي للدنيا اضحكي .. ما هذا الذي يسمونه فضيحة ؟
انهم اذ لم يقولوا انك عجوز ، وانك شوهاء قالوا انك
صغيرة وطائشة . انهم على كل حال لا بد ان يبختوا عن
شيء يشوهون به الشعور بسعادة الآخرين » . وكل كل
هذا العطف لم ينته الى حل لمعضلة ارديل ، لان المجتمع
الذي تعيش فيه عدوها ، بتقاليدته المائبة المناققة ، ولذا
لم تجد بدا من ان تنتحر هي وجبيها في الغرفة التي
اعتصمت بها ... وهكذا خرجت من عالم الموتى لتدخل
الى عالم الموت ، ولكنها خرجت منه برفقة من احبب لاول
مرة ، وهكذا يكفيها ، انهادجت نافوس الفضيحة فرن
صوته عاليا في وادي البؤس الذي كتب عنه جان انوي
الكثير من مسرحياته الرائعة ولا سيما طرفته « انظيفونا »
التي تعد قمة شامخة من قم الادب الغربي المعاصر ، كما
كانت انظيفونة صوفكليس في العهد الاغريقي الغابر .

يوسف عبدالمسيح ثروة

بنفاد

روحي الخالدي — طاهر الطبري

بقلم البدوي المشم

١ - روعي يس الخالدي

ولد في بيت المقدس عام ١٨٦٣ وتخرج من أسرة «الخالدي» المتصل نسبها بخالد بن الوليد البطل العربي الكبير، وولنا في بيت عريق انجب القضاة (١) والعلماء والنواب . وفي عهد راشد باشا والي سورية الشهير انتخب والد المترجم له المرحوم يس بن محمد علي الخالدي عضوا في المجلس العمومي ببيروت عن القدس ثم عين لنيابة طرابلس الشام وكان ينتقل بين هاتيك البلاد بأسرته و « روعي » في عدادها .

ولما عزل راشد باشا تزعزع مركز انصاره والمتنبيين الى « حزب الإصلاح » فعاد المرحوم يس الخالدي الى القدس وأرسل ولده « روعي » الى الكتائب والمدارس الابتدائية الاميرية ، ولما تولى مدحت باشا زجل الإصلاح ولاية سورية اخذ يجمع من يثق بأخلاصهم وزاد اهتمامهم وبعيدهم الى مراكزهم الاصلية ، وأرسل المرحوم يس الخالدي قاضيا شرعيا لمدينة نابلس فادخل « روعي » المكتب الرشدي ثم نقل قاضيا شرعيا الى طرابلس الشام فبعث بولده الى المدرسة الوطنية التي انشأها عهد ذاك في طرابلس المرحوم الشيخ حسين الجسر وادخل عليها وسائل التعليم الحديثة .

الى الاستانة : وفي اثناء ذلك صحب « روعي » عمه المرحوم عبد الرحمن نافذ الخالدي الى الاستانة ، وكان شيخ الاسلام عهد ذاك عرياني زاده احمد اسعد افندي فقباله عبد الرحمن وقد اراد ان يزيد في رغبة ابن اخيه في طلب العلم فانعم شيخ الاسلام على « روعي » برتبة علمية وعند ايابه الى القدس اخذ يحضر حلقات الدرس في المسجد الأقصى ويتلقى علوم الفقه والتوحيد والحديث والصرف والنحو وسائر العلوم العربية ويتردد على مدرسة الالانيس والكلية الطلاحية للاباء البيض ليتقن اللغة الافرنسية . روى عن نفسه انه في احد المواسم صحب اياه واعمامه ونخبة من وجوه القدس الى اربحا ومعهم الات الطرب ، ففرضت لهم الخيام على « عين السلطان » وقضوا اياما على الطريقة الشريفة وجوههم سكان اربحا واعرابها ، واذا بفوج من السياح الاجانب قد نزلوا على العين فشاهد « روعي » نظامهم وحركاتهم وسكناتهم واختلاط نسايم

برجالهم ، واستقراءهم طبيعة تلك البلاد ب « دليل » مطبوع . ورأى احدهم واقفا ازاء مائدة وهو يشرح للسباح تاريخ الاراضي المقدسة ، وما كانت عليه من العمران في العهد الفابرة ، فادرك الفارق بين الحياتين الشرقية والغربية ، وقرر ان الحياة الاولى قائمة على النفوذ العالمي والعصبة القبلية وان الحياة الثانية قائمة على العلم والحرية والاعتماد على النفس .

وانظم روعي في سلك موظفي العدل وعمل في القدس لكنه ذات يوم قرر السفر الى الاستانة للالتحاق باحد معاهدها العالية ، لكن والديه حالا دون سفره ، واخيرا اشترى تذكرة سفر على ظهر باخرة اقلعت به من ثغر يافا لكنه اكره على العودة وعين رئيسا لكتاب محكمة غزة ، ورغم هذا الاثرأبى الانتحاق بعمله الرسمي هذا بل سافر الى الاستانة ودخل المكتب الملكي وسلخ فيه ستة اعوام نال في نهايتها الشهادة العالية وعاد الى مسقط رأسه فعين معلما في المكتب الاعدادى لكن طموحه ابى عليه قبول هذه الوظيفة مؤثرا ان يتولى وظيفة ذات شأن فعاد الى استانبول يطلب وظيفة قائم مقام وكاد يتم تعيينه لو انه تربث قليلا .

الى فرنسا : بارح روعي الاستانة الى باريس ودخل مدرسة العلوم السياسية فام دروسها في ثلاثة اعوام ثم انتقل منها الى دار الفنون العالية (السوربون) ودرس فيها فلسفة العلوم الاسلامية والاداب الشرقية ، وكان يتردد على ندوات كبار المستشرقين فدعوه للقاء المحاضرات العربية ، فلي الدعوة وكانت باكورة محاضراته « الاسلام في عصر العاقل » وقد تناقلتها صحف مصر وسورية وباريس ، وبعد روعي اول مثقف عربي القى محاضرات بالعربية في ندوات باريس .

وفي باريس عين روعي مدرسا في جمعية نشر اللغات الاجنبية في فرنسا وكان ينشر خلاصة مباحثه وتحقيقاته في كبريات المجلات والصحف واسهم في مؤتمر المستشرقين المنعقد في باريس عام ١٨٩٧ والقى فيه احصاءات دقيقة عن العالم الاسلامي .

في السلك القنصلي : وفي عام ١٨٩٨ عاد روعي الى الاستانة فصدرت الارادة بتعيينه قنصلا عاما للدولة العثمانية في مدينة بورودو بفرنسا وانتخب عميدا للسلك القنصلي فيها ولما اقيم المرض (٢) البحري العام في بورودو عام ١٩٠٧ كان روعي من المسهمين في اقامته ، وجزاء لجهوده اهدته بلدية بورودو وإدارة المعرض هدية نفيسة ومنحته الحكومة الفرنسية وسام المعارف الذهبي ووسام جوقة الشرف .

وخلال تلك المدة كان ينشر المقالات الوافية في كبريات المجلات العلمية الفرنسية عن اثار الشرق العربي وعاداته وتقاليده ويوقعها بتوقيع « المقدسي » ولما اعلن الدستور العثماني عام ١٩٠٨ عاد الى بيت المقدس وانتخب نائبا

قلبك عز الحق ، واودع صدرك برد اليقين ، وطرد عنك
ذل اليأس ، وعرفك ما في الباطل من الزلّة ، وما في
الجهل من القلّة ! .
فهو بعيد عن القلق والحيرة ، وثبت في الفكرة ،
وتأليف الكلام على طلة النمط يسمى - طريقة الجاحظ -
وهي مخالفة لطريقة السجع » .

٢ - الشيخ طاهر الطبري

ولد في طبرية بفلسطين عام ١٨٩٥ وانهى دراسته في
مدرستها الاميرية وتلمذ على الشيخ سليمان العابودي
ورسم شيخا واعتم. وهو في الثالثة عشرة من عمره .
والتحق الشيخ طاهر بجامعة الأزهر الشريف حيث
درس فيها الشريعة والعلوم وبعد ان تخرج منها قصد
استانبول والتحق بجامعة واتم فيها دراسة الشريعة
الاسلامية والقضاء .

وفي اوائل عام ١٩١٤ عاد الى طبرية وانتخب مفتيا
خلقا للشيخ عبد السلام الطبري (٣) ، وفي العهد الفيضي
انتخب عضوا في المؤتمر السوري الذي اعلن استقلال
سورية وبايع فيصل بن الحسين ملكا شرعيا عليها في
شهر اذار ١٩٢٠ .

وظل الشيخ طاهر يستغل مركز الافتاء في طبرية
بالإضافة الى تعيينه قاضيا شرعيا حتى تاريخ حلول
الكتبة الفلسطينية (١٩٤٨) .

وخلال الحرب العالمية الثانية نقل من قضاء طبرية
الى قضاء عكا قضاء الناصرة . وعندما اجتاحت فلسطين
الكتبة الكبرى كان يقيم في الناصرة وبعد ان استباحها
الملج الصيوني انتحر « خير » ولده البكر وكان ، رحمه
الله في طبيعة المجاهدين الذين قارعوا الخصم وهو لم
يتجاوز الرابعة والعشرين من عمره .

وعلى الرغم مما صاحب الاحتلال الصهيوني من ارباب
وتحد فقد كان للشيخ طاهر مواقف صلبة مشرفة في وجه
اولئك الاعداء الفاجرين .

وتتميز الفقيه بنشاطه ومواقفه الجريئة في القضية

(١) انجيت اسرة الخالدي رهنا كريما من الإدياء والعلماء والفقهائ
والمرين والمؤرخين ، كان منهم في القرن السابع عشر صلاح الدين خليل
بن ابيك الصفدي الخالدي صاحب « الوافي بالوفيات » في ثلاثين
مجلدا و « تاريخ الأمير فخر الدين المني الكبير » الذي نشرته وزارة
التربية والتعليم اللبنانية . ومنهم يوسف غيا باشا الخالدي عضو
مجلس النواب العثماني الاول وكان من صفوة اصفاءه واكثرهم غيرية
وعاما وادبا ، ومنهم الشيخ خليل الخالدي مؤسس « الكتبة الخالدية »
الشهيرة في بيت المقدس والوصوف بالاطلاع على الخطوط العربية
النادرة . (٢) اقيم هذا المعرض الكبير بمناسبة مرور ١٠٠ عام على
تأسيس الاسطول البحري الفرنسي . (٣) هو والد الوجه الفلسطيني
المعروف الاستاذ صفدي الطبري . (٤) بمناسبة خروج الاستاذ البيبي
من معتقل عكا ١٩٢٩ - ١٩٤٠ .

عنها في مجلس النواب العثماني ، ولما اعيدت الانتخابات
عاد مواطنوه الى انتخابه مرتين آخرين نائبا وفي مجلس
النواب العثماني انتخب نائبا للرئيس .
وفي آخر زورة قام بها روجي الى استانبول توفي في
السادس من آب ١٩١٣ اثر اصابته بالتيقودى فقضى
ميكبا على علمه وخلقه .

من آثاره القلمية : (١) تاريخ علم الادب ، عند الافرنج
والعرب طبع عام ١٩٠٤ . في هذا الكتاب قارن المؤلف بين
الاداب العربية والاوروبية ، وذكر ما اقتبسه الافرنجي من
الاداب العربية ، ونشر هذا الكتاب فصولا في مجلته
« الهلال » بتوقيع « المقدسي » وطبعته هذه المجلة على نفقتها
غفلا من توقيع صاحبه ثم اعادت بنشره بتوقيعه الصريح .
(٢) المقدمة في المسألة الشرقية : في هذا الكتاب تناول
المؤلف المسألة الشرقية منذ نشأتها الاولى الى الربع الثاني
من القرن الثامن عشر . (٤) العالم الاسلامي : نشره
فصولا في جريدتي « المؤيد » و « طرابلس الشام » وفي مجلة
« الهلال » ، ولخصت جريدة « طرابلس الشام » من فصوله
رسالة نشرتها في كراس . (٤) الكيمياء عند العرب :
نشرته دار المعارف بالقاهرة عام ١٩٥٣ . (٥) رحلة الى
الاندلس : وصف فيه المؤلف الآثار العربية في تلك الدار
(وما زال هذا الكتاب مخطوطا) . (٦) الانقلاب العثماني
وتركيا الفتاة : ألف هذه الرسالة في الشهور الاولى من
اعلان الدستور العثماني ونشرتها مجلتي « الهلال » و « المنار »
القاهريتان وطبعتهما « المنار » رسالة على نفقتها . (٧)
تاريخ الشرق وامراته : نشر فصولا في مجلة « الهلال » .
(٨) علم الاسن في مقابلة اللغات : (٩) تاريخ الصهيونية :
لقد عاجلت المنية المؤلف قبل
اتجاهه . (١٠) ترجمة بترلو العالم الكيمائي . (١١)
تراجم اعلام الاسرة الخالدية .

نموذج من نثره : « فاذا تأملنا كلام « المعري » ومن
سلك مسلكه من الشعراء نجد فيه اهتماما زائدا بأمر
الآخرة وبما بعد الموت ، وتفكرا عميقا في خلق السموات
والارض ، ودهشة وحيرة زائدة وانفعالا نفسانيا واحساسا
غريبا ، فكان كلامه يدخل تحت التعريف المتقدم ذكره
للطريقة الرمانية . ولكن بسبب فقدته حاسة البصر ،
التي لها المكان الاول في هذه الطريقة ،
لم يتيسر له وصف الطبيعة وصفا لاقتبا بها
وبفصاحة لسانه ، ولا حاجة لإيراد مثال من كلام المعري
فان كل كلمة من « اللزوميات » تشعر بهذه الدهشة
والخشية والحيرة والانفعال والاحساس والتألم لما بهون
معه الموت ولا يحسب بجانبه مصيبة ، وهذا بخلاف
الجاحظ الذي يقول في اول كتاب الحيوان : (احنك
الله الشبهة وعصمك من الحيرة وجعل بينك وبين المعرفة
سببا ، وبين الصدق نسيا ، وجبب اليك التثبت ، وزين
في عينيك الانصاف ، واذا فاك حلاوة التقوى ، وأشعر

طيف

وانار فيه كامن الذهب
ما يبين مضطرم ومنسكب
فتحليني فيهما من العتب
او ما زرعت التلج في الذهب
مالى ودنيا الحب والتصب
للمتها بسرور اعش الذهب
فاضيع بين الجد واللمب
عبث تغطي فورة الطرب

طيف جلته صحوه الحب
او ما ارفقت لخافتي السقب
او ما سلكت الوعر للارب
برؤى الاحبة طائف الكذب
امكابر في الصدق والكذب ؟
طيف الم بخافتي التنب
نعشو لديه اسطع الشهب
في الصلبي موصولة النسب

سلافة العامري

طيف الم بخافتي التنب
فانسابت المرات في خفر
صور من الماصي لروح لي
او ما بترت خيوطها بيدي
عود على بدء يورقني
هي ذكريات عشتها زمنا
لا لن اعود اليوم احضنها
ولطالما اهوى بصاحبها

لكنه قد لاح معتذرا
فعلام اطفى حدة وجودي
او ما جعلت الذنب مفسدة
حتى اذا ما جاء بفرني
ابعدته عني مكابرة
ساذيب عمري في توجهه
طيف سيبلي العمر مؤثقا
ستقل ذكرى حبه ابدا

دمشق

نعمت الان يا قلبسي
لطف طاب يعتصمه
صفي التبت يا زنبسي
وؤللت كرتسي قسي (٤)
لقد قرئت بكم عيني
بوجهه حسنه يسي

وفي خريف عام ١٩٤٠ فجع العرب بمطران العرب
المفتور له غريغوريوس حجار ، رئيس اساقفة عكا وحيفا
والناصره وسائر الجليل فرتاه كبار الشعراء العرب
واشادوا بجهاده المتواصل في سبيل نصفه فلسطين
وخلاصها من محتتها الكبرى ، ووصفوا الخسارة التي
اصابت الارض المقدسة بوفاته . ومن رثوه صديقه الشيخ
طاهر بطريقا ومن قوله :

نصبوك بطريقا ام تركوك مطرانا
او الهسود وفالوا في كنانهم
او قلدت ، او قلت ، او ارشدت ببيع
لا يزودك ولا يعجيبك ما فعلوا
ومن مرثاته :

يا ايها الناس كفوا عن سلالكم
حتى الصواير التي كنا نعيرها
ومن شعره في بحيرة طبرية :

فل لفتسون بخمر الاندلسا
فاعتزل كاس حيتا وسرنسا
فرد البحيرة واملاها حنيئا
يا حمامات البحيرة اراوني
فاذا جئت لها املا دنسي
واملاي سمي بترجيع وغني !

البوي المثلث

عنان

الفلسطينية خاصة والعربية عامة ، فمنذ حط الاحتلال
البريطاني رحاله في فلسطين قاد الشيخ طاهر الحركية
الوطنية في طبرية وقضاها وترأس « الجمعية الاسلامية
المسيحية » واشترك في سائر المؤتمرات الفلسطينية
والعربية التي عقدت في فلسطين وخارجها ، وظل يردد
عذبا للمجاهدين الذين قاوموا الاستعمار البريطاني واسرائيل .
وكان رحمه الله اديبا لبقا وشاعرا رقيقا وخطيبا
مقوها ، وخلف ديوان شعر مخطوط اعده للنشر قبيل
النكبة ، ولا شك في ان المأساة الكبرى وما رافقها من
مأس ومن شجذت شاعريته وحركت في نفسه مشاعر
قومية صاغها شعرا ونثرا . وفي شهر اذار من عام ١٩٥٩
توفي بمدينة الناصرة عن حياة حافلة بالجهاد والرجولة .
نماذج من شعره : اقترح الأستاذ طلعت السيقي مدير
المدرسة الثانوية الاميرية في طبرية على صديقه الشيخ
طاهر وصف بحيرة طبرية شعرا فاستجاب وأنشد فيها
قصيدة منها :

الاس ان سالوك عنه قل لهم
واللؤلؤ الوضاح في صفحتها
والشمس ان عكست اشعتها بها
واثر نقل الأستاذ طلعت السيقي من ثانوية طبرية الى
ثانوية صفد أنشد الشيخ طاهر مداعبا صديقه بقصيدة منها:
ما شعرنا بوحشة واقتراب
والفرى الذي عهدت عصانا
يا نجاشي لند فيك التصابي
صفد العيثرين فيك اتيسس
فاجابه الأستاذ السيقي بقصيدة منها :

« حلّ معقول . ولكن كيف انخلص منها ؟ اقتلها . وبعدها ؟ .. ادفنها في حديقة الدار ، الى عمق عشرة امتار . واذا طرق احدكم الباب وانا ادفنها ؟ لا افترض ان الجيران سمعوا الضجة .. ماذا افعل ؟ يجب ان تكون الخطة محكمة . اذا حل الليل انقضت عليها واشق صدرها ، فوق القلب تماما ، تموت حالا .. يجب ان تموت . الدم ! آه .. الدم مشكلة . لونه .. اثاره مشكلة .. مشكلة . » دخل منير المقهى ورأسه محشوة بهذه الافكار الغريبة . وبعد ان صافح صديقه بصمت ارخى جسمه على الكرسي وراح يربط نظراته بما وراء رجاج المقهى ، وقد شبك اصابع يديه فوق الطاولة .

مرت لحظات صامتة .. قدم له بعدها الصديق لفاقة ، فانتشلتها منه ليعلقها بين شفتيه . امتص طرفها ثم نزعها بحدّة ونزق ومسح لسانه بطرف أصبعه ، وهو يشد عضلات وجهه ويجمّعها . قال له الصديق :

— ردّية !

لم يجب عنه ، اذ أثر الصمت ، وعيناه مغلقتان بسببهما القاعة التي تعتقد فيها سحائب دخان اللغات .

داعبه الصديق :

— الا تلعب ؟ انا اليوم متحمس للعب .. اريد ان اربح .

فتش منير جيوبه بكلتا يديه ، وراعه انه نسي سخته ، فتمتم بكلمات غامضة ثم قال بصوت خفيض :

— انا ايضا اريد ان اربح . ابتسم الصديق وطلب من النادل احضار رقعة الشطرنج . همهم منير ثم همس :

— الدنيا كلها لعب .. لعب بلعب . ووجد الصديق فرصة للحديث : — انت منذ مدة على غير عادتك .. اقصد .. تغيرت .

واسرع منير يبرء نفسه من هذه التهمة :

— انا لم اتغير .. الايام وحدها تتغير .

ودارت الافكار في رأسه .. ماذا اقول للناس ؟ اختفت . اجل ، لقد اختفت . احببت رجلا .. شابا وهربت معه . الى اين .. لست ادري . اختطفها .. اختطفته ، لا قيمة لذلك . ذهبوا الى جهنم . ولكنها عجزت قطعت الخمسين . فكسرة مجبونة . الدم لا زال مشكلة . لون الدم يفرغني . لو كانت هناك طريقة اخرى ! وضرب برأسته على حافة الطاولة فأحدث صوتا نبّه بعض الرواد القريبين منه ، فأغرقوه بنظرات فارغة . قال له الصديق :

— صرت عصيبا .. متاعب في البيت ؟

تشاغل منير بفرك جبينه وتلميس



بقلم جهاد الكاتب

http://ArchiveBeta.Sakhril.com

شعره الأسيب .. « يجب ان اهيء كل شيء حتى لا يحدث خطأ . لو راموا بانني اريد ان اكمل حياتي طليقا .. سعيدا ، لساعدوني على اخفائها ، بأي شكل كان . لو اخترت الة اخرى .. القتل ! المسمى لا . له صوت . صوته يكشفني . الخنق معقول . فكرة عظيمة .. سهلة . احط المخدعة فوق رأسها دقائق .. ثم اخفيها .. وينتهي كل شيء . كيف لم افطن الى تجاعيد وجهها وبياض شعرها ؟ عندما تزوجتها منذ خمس وعشرين سنة كانت تبدو جميلة . خدعة لعينة ، جميلة تتقلب



الى عجوز . تلك حقيقتها من البداية .. منذ ولادتها عجوز . ادخل عليها . احاورها . ابتسم . انام . انظاها باليوم . تمام هي مطمئنة بعد ان تنزع اسنانها الصناعية . انهض واخفقها بالمخدة .

احضر النادل رقعة الشطرنج وزلقها على الطاولة ، فبادر الصديق يقول :

— الحجارة البيض ، ام السود ؟ واجاب منير على الفور ، ودون تفكير :

— البيض .. يجب ان اربح . — دوما تلعب بالحجارة البيض ودوما تخسر .

ويبدو ان منيرا كره اللون الاسود ، فهو بيعت في نفسه ذكريات اليمّة تصل به احيانا الى حد الشتم واللعن . عندما توفي والده قبل خمسة عشر عاما امر منير زوجته بلبس الثياب السوداء حدادا ، فرفضت ، وأصر هو على ذلك . واصرت هي على رفضها . ان كملتها لا زالت تطن في اذنيه « الناس كلهم يموتون . نحن ايضا سنموت . والدة كان هرما . عجوزا . اتمنى ان اصغر نصف ما عمر ! » ويومها احتد غضبه . صفعها وصرخ في وجهها :

— اذا مات انا ، لا تلبسين الثياب السوداء ؟

واجابته على الفور ، وبلهجة ساخرة : — لا اعتقد ان الميت يبكي اذا رفضت .

صف الصديق حجارته في مربعاتها وانتظر ان يقوم منير بنفس العمل . ومرت فترة غير قصيرة ومنير يحدق في الحجارة يريد ان يفترسها ، فاستدرجه الصديق :

— اذا كنت تشاجرت مع زوجتك ، قم اصالحك معها .

ولم يرفع منير رأسه .. « اذا طلقتها انخلص من الدم .. كل جمالها كذب في كذب . الصورة المعلقة على الحائط في صدر البيت لنا ، انا

وهي ، يجب ان تمزق . كنت يومها شاباً ، ولا زلت . انني شاب . ومن قال انني كهل ؟ آه لو انجبت طفلاً واحداً ! حتى الانسان لم تحظر على بالي . اسنان صناعية في فم واسع ، وشغتين متدليتين ! يجب ان اوقف هذه اللعبة . كانت تمثل فخدعتني ، والان نسيت التمثيل . طيب ، والله غدا تصبح عرجاء .. اكبس السكين في قلبها ، لن تنطق حرفاً . المخلدة معقولة . اسهل في العمل . وفجأة انتصب منير واقفاً وقد تصلبت عضلات وجهه وبدت عليها دلائل الارهاق . واحسن الصديق ان منيرا في ازمة . فما كان منه الا ان قام وحاول ان يقعه :

« اخذ الشيطان . لا حول ولا قوة الا بالله . يعني اليوم .. اليوم بالذات طلع جنونك ! احوالك غريبة . ساكت .. ولا تلبس .. وعصبي !
قعد منير على كرسيه وهو يحاول ان يكون هادئاً . ويبدو ان الاكتئاب الخبيث كانت قد تنفذت بارادته وعقله ، فما كان منه الا ان صرخ ، وهو يضغط على اسنانه :

« حرام .. حرام .
ناوله الصديق لفافة فرفضها ، واقسم الصديق عليه ان يتناولها ويدخنها حتى يروق ذمته ، فانصاع للقسمة والاكتار تصارع في راسه .
« .. دفنت نفسي معها .. لو انجبت طفلاً واحداً .. قرداً .. اي شيء كان لكنت الان ايا . لن يدكرني احد بعد موتي . كنت اعيش في حلم . تقول لي انت صاحب المشكلة .. العطل منك . ترمي كل الحمل على ظهري والناس يعلمون انها لا تنجب . الطبيب قال هذا . هي عجزت . كل صبية تلد . زوجتي تلد ايضاً واماذا تلد ؟ لا كلمة في الدقيقة مثل المطر تماماً .. » افاق منير على صوت صديقه يقول له :

« اسمع .. منذ بعيد واتمنا تشاجران واصالحك معها . يعني القضية تحتاج الى حل . حل نهائي .

طلقها يا اخي .

واجاب منير وهو يديق على صدره بكفة المتعشى :

« بعد كل الذي حدث اطلقها ؟
انهي القصة بهذه البساطة ؟
« طيب . تزوج امرأة ثانية .
« اتزوج ! كل الناس يعرفون انني صاحب المشكلة .

« كم عمرك الان ؟
« وارتيك منير . وبدا كأنه يواجه نداء المصير ، فبان الحرج على وجهه وغلبه الصمت ، فانتشله الصديق من اربابها :

« نحو ستين سنة ، صحيح ؟
« ابداً .. ابداً .
قالا محتداً ، فابتسم الصديق وتابع حديثه مسترضياً منيرا :

« طيب . نحو خمس وخمسين ، صحيح ؟
قال منير صارخاً ، وقد ضغط بقبضته على الطاولة :

« اسئلة سخيفة .. ثلاثين .. اربعين .. خمسين ، المهم انني لست عاجزاً مثلها منوانع ذلك بكلمات بذيئة ، ثم هذا ..
« اعاد الصديق بعض حجرات الشطرنج وانصرف منير الى فك ربطة عنقه وخلخله الهواء عبر رقبته الى صدره :

« لا اريد تعيثه عيني بمنظر قبجها . في الصباح والظهر .. والمساء نفس التجاعيد والشعر المنفوش . قردة تخرج .. تهرب من السرك . ابداً . اراهن ان للشيطان دخلاً في الموضوع . شيطانة في هيئة اسنانه . ساحرة خنزيرة . انتهى كل شيء . لن اناقش عملي بعد الان . يجب ان اكون شجاعاً » . وممرت بينهما دقائق صمت ممتلئة ، رفع بعدها منير راسه وقال متباطئاً :

« اذا سمعت عني شيئاً غدا ، تصدق ؟

دفع الصديق جنده الاول على رقعة الشطرنج مربعين ، واجاب :

« استطيع معرفة هذا الشيء ؟
« قد يتهوموني . انا لست مجرماً .

وسكت منير .. « صحيح ان اسناني بعضها يتخلع ، ولكن يجب ان يزول هذا بمجرد ان اخفيها . تختفي ، وتعود اسناني الى قوتها ، اكسر بها الجوز والبندق . كل شيء الا الفضيحة . واذا فُلتت ؟ لن افشل . اخلع ملابسي ، لا اشعل اي مصباح . ضوء القمر يساعدني على معرفة قطريتي الى حديقة الدار . آه لو كانت هناك طريقة اجبرها على حفر الحفرة بنفسها ثم .. عشرة امتار طويلة تستغرق ساعتين .. ثلاثاً ، اربعا .. المهم ان احفر . كل سنة يمشي . خمس وعشرون سنة بخمة وعشرين متراً . معقول . الجنونة تميزنسي بضغط الدم . يعني انا مثلها .. اني واصيح .. وامرض ، واتجرع الادوية والشرابات القوية والبلع اقراص الفيتامينات ! هي وحدها تفعل ذلك . ومع ذلك فهي تحيقة مثل خطوط المياه . ملعونة . ملمسون انا ، اذا تركتها ترى شمس النهار . عشرة امتار بعيداً عن الارض تكفي . »

وجد منير نفسه فجأة على رصيف احد الشوارع . ولم يتذكر ان كان قد ودع صديقه في القهى . وشعر انه في حاجة الى شيء يضغط عليه باصابعه فاشترى جريدة ولفها كالعما وراح ينقر بها كفه .

كانت الشمس قد اخفت منذ ساعات . نظر منير الى ساعته وايتسم .. « الان تدفن نفسها في الفراش . اغطي بالمخلدة وجهها . اقمدة فوفة دقيقة .. دقيقتين .. الى ان تصمت . انا كانت متيقظة فعني هذا انها تعلم مسبقاً بفكرتي لعينة . اعرف خبثها . تتعامل مع احد الحرة . كل مرة انظر اليها ارى الموت امامي . لا احد يطيق الموت . هذا فظيع ! الموت للعجائز معقول . انا لست عجوزاً لذلك يجب ان اعيش . »

دخل الى البيت متلصصاً . اختلس نظرة الى غرفة النوم عبر النافذة المفتوحة فسره ان زوجته نائمة .

يا ظالماً

يا ظالماً ما أخبرك
ونجوت أنت من الشرك
فلم تراه اليوم رك ؟
لكنني لن أهجررك
فالقلب عهدك ما تركه
غداً عداً مشترك
لا ذقت نار المعترك
وحبها قد أمرك
ولي أنا ان أعذرك

سعيد العيسى
من « العروة الوثقى »

أنا لي ثلاث لم أرك
أوقعت قلبي في الهوى
بالأمرى رقي القلب منك
وجفوتني ... وهجرتني
وأذا تركت مودتي
ما بين جفني والرقاد
ومعارك ... أصلى بها
أنت الأمير على القلوب
لك ان تجور كما تشاء

لندن

وبعد ان سمع شخيرها اطمانت نفسه،
ودبت فيها نشوة الانتصار . مسح
عرقاً تجمع فوق جبينه بطرف كفه،
وقال مع نفسه : النوم مثل الموت ..
احفر الحفرة اولاً .

خلع سترته وحذايه ، وجسمه
يرتجف ، لا من الخوف وانما من
النسمة الباردة التي فلظها قد لفحت
فخذه . ودخل الحديقة على رؤوس
اصابع قدميه . لعن القمر والغيوم
وهو يقتش عن المول . وخيل اليه
ان شبعا اسود طويلاً يهسى في اذان
شجرة التين همسا ناعماً متحسراً
كانه يخرج من اعماق مقبرة مهجورة.
وترامى الى سمعه نباح كلب صيد
فارتجفت ساقاه وراح يحرك حذقي
عينيه فقط . ومن أقصى العتمة
التي تغلف الحديقة تراءى له موكب
زفافه .. هو بجانب عروسه في ثياب
قائمة جليدة .. بسمتان على
شفاههما . ايديهما في تلاصق .
الكتفان متلاحمان . وخيل الى منير
ان وجوه المحتفين بالزفاف تنقلب
غاضبة .. كأنه يسمع العويل والصراخ
والنجيب . واراد ان يتخلص من هذه
الايهام فاسرع يضرب الارض بهدوء
ضربات خفيفة بدون تعيين للمكان .
ثم لم تلبث ضرباته ان قست ، وبدت
مشبعة بالنفخة .

اهتزت كتل جسمه ، وسال عرقه
حتى ذقنه ، وظهر جانب من القمر
المتخفي وراء القيم الاسود فلتمه منير
من جديد وهد بجده في الحفر .
« عشرة امتار .. عشرة امتار ..
عشرة .. امتار .. ادفنها .. في عشرة
.. امتار . يجب ان اعيش . عشرة
امتار تكفي . الغيم اسود . القمر
العين من الغيم . »

طرق سمعه مواء القطلة الزيتونية .
ولمح عن بعد قطعتين من الجمر
تقتربان ، وفجأة قفزت القطلة الى
شجرة التين في ثياب الاغصان .
اراد ان يناديه .. ولكنه ادرك ان
الوقت بدركه وهو لما يقيم بعمل شيء
من مشروعه . وخطر له وهو يحفر :

لعبتي فقد كشفت في اقل من ساعة .
ماذا اقول لها ؟ احفر لازرع شجرة ؟
ولن اغرسها ؟! لي ، لها ، لاولادي
الوهيمين ؟! الا يمكن ان ادفعها الى
الحفرة ثم .. اطمرها ؟! ولكنها لم
تكتمل . لماذا لم تكتمل ؟! دخلت
الزوجة الحديقة وهتفت على الفور :

— انت اهل ! ماذا تفعل في الليل ؟
— احفر الارض .
— انت مجنون !
— كنت مجنوناً !
— مسح وجهه بطرف كفه، وهمس :
— الحفرة لم تكتمل .

ونارت الزوجة : — ادخل الى
الغرفة .. والا جمعت الجيران
كلهم ، فاهم يا مخمور !

وكل هدوء قال : لست مخموراً ..
رمى منير المول ، وهم ان يدخل
الى الغرفة ولكنه تشجع وقال لزوجته :

— علي ان اكمل الحفر .
— حتى الان لا اعرف لماذا تحفر .
— اذهبي . سالحق بك بعد
دقائق .

— امامي في الحال .. امامي !
وتظاهرت بالاعياء ، فأسرع منير
اليها :

— طيب .. اهدئي .. كل شيء
يهون . وبسرعة تناول المجرور وراح
يردم الحفرة .

حلب جهاد الكاتب

« غدا تنتهي السيدة المصونة .. القطلة
الزيتونية مسكنة . ان تجوع بعد
اليوم .. يمكنك ان تلصدي وتربي
القطط هنا . لن يضطرك احد الى
الهرب . يا حذر لك كل شيء اكلاً . »
ورغم ان منيرا قد ادركه الخور الا
انه ظل مصمماً على تنفيذ خطته
ومتابعة العمل دون توقف . ومرت
ساعة كاملة وهو يعمق الحفرة ويجمع
التراب جانباً . ووقع ان ياتي بمصباح
من الكهف ولكنه عدل عن ذلك .
وفضل ان يستفيد من الدقائق ..
وظل يضرب الارض .

فجأة فتحت النافذة ، وكان ظهره
اليها . وسمع صوت زوجته يخترق
السكون :

— رجعت من المقهى ؟
ظل صامتاً .. « من ايقظها وهي
في بداية نومها .. كان مغروراً ان
اختفيا . » وتردد صوتها من جديد
فيه رنة الارتياب :

— ما لك تقف مثل العمود ؟
واسرعت تنزل الى الحديقة :
— ان شاء الله تكون مخموراً ؟
والله المص عينيك .

كان القمر قد كشف الحديقة بكل
وضوح . ماتت القطلة .. ارتجفت
شجرة التين .. اهتزت ساقا منير ..
« مضت خمس وعشرون سنة ولم
تكتشف لعبتها الا في النهاية . اما

اضحك مع الموكلين

بقلم جان بول لاكروى

ترجمة سمير شيخاني

ان اشد خصوم المحامي عنفا هو موكله ... فالموكل كذاب : انه يخفي عنك بناية ودقة كل العناصر التي تدبته في قضيته . وحتى لو انك صدقت تقضي ما يقوله لك فانك لست واثقا من الحصول على الحقيقة من بين شفتيه . والموكل حذر : فهو لا يستطيع ان يتخلص من الشعور نحو المحامي بما يغذيه السائح من شعور تجاه صاحب الفندق التابولياني ، مثلا ... ذلك بأنه يخشى ان يكون ضحية سرقة او سلب ونهب كما لو كان في الغاية . والموكل ، كذلك ، خبير عليم بكل شيء : فيحجة المحافظة على شرفه او ماله ، تراه يرغب في اسداء النصائح اليك حول الطريقة التي ينبغي الدفاع فيها عن هذا الشرف او المال . وقلما لا تسمعه يقول لك - كما قال ذلك « المرشح للدفاع » (الزبون الموكل) لمحامي بعد ان افاض في شرح قضيته واستنتج المحامي انه لا يجب ان يكتف بدعواه - اذن فليس ثمة خطر في رفع هذه الدعوى ؟! ان ما عرضته عليك الساعة كان وجهة نظر خبيثة !

والموكل لا يرضيه شيء قط - فاذا ما كبت له دعواه ، قال لك : « هه ، قضيتي لم تكن قط خاسرة » . ولكنه اذا خسرها فان الغلظة التي غلظتلك - كن واثقا من ذلك ! . وهذا قول لاحدى الموكلات : « آه ، لا تحدثنني بعد الان عن المحامين ... فقد صادقت من المتاعب في قضية ارث زوجي بحيث انني اتساءل عما اذا لم يكن افضل ان يبقى في قيد الحياة ؟! »

وهذا قول لاحد الموكلين المزمنين : « استاذ ، لقد اتهمت مجدا بالاختلاس ... فقال له المحامي : « هه ، انك ذو سوابق ؟ اخشى ان يكون عقابك اشد من المرة السابقة ! » وعندها صاح المتهم الموكل : « ماذا تقول ؟ لم تحقق تقدما مد ذلك ، يا استاذ ؟ »

ونضيف الى ما تقدم ان الموكل ذو روح لاذعة . فهو يجد لذة كبرى في ترديد الاقوال التي تسيء الى المحامين ، وذلك على سماعهم موكله ... من ذلك شوهر لبرانتو : « لقد شهبوا المحاكم بالعليق حيث يلتجئ الحمل هربا من الذئب ، فاذا ما اتيح لها الخروج تركت في العليق قسما من صوفها ... »

واسمعوا هذا المثل الايطالي : « الفارة في امان في فم

القطعة ، اكثر مما هو الموكل بين يدي محاميهِ ! »

والخلاصة ان الموكل امرؤ لا يحتمل ، ولا يطاق ! ومن هنا نجد مبررا لقول بيير لويي الشهير : « لكم تكون مهنة المحاماة جميلة لو كانت تقتصر على الدعاوى . ولكن ، هيئات ، ليس فيها الا موكلون ! »

ولكن لحسن الحظ ان الاساتذة الاعزاء لهم دفاعهم : فهم يقدمون السخرية للرد على حذر موكلهم وظلمهم : - قال المحامي برناردو لماونو عندما رن جرس مكتبه : - هه ، هوذا واحد يقع في الفخ ! .

- انحنى المحامي جواكيم على اذن موكله بعد ان لفظت المحكمة حكمها عليه بالاعدام ، وقال له : - قل شكرا للمحكمة ! انها افضل طريقة لجعل المتهم المسكين يعتقد انه نال ما يستحق ! .

- كسب المحامي ديني دعوى اثر مراقبة غاية في القصر . وبدلا من ان يهتبه موكله على ذلك ، قال له بكل جدية انه لم يبدل الكثير نسبة المبلغ الذي قبضه منه . فقال له المحامي اذ ذلك : - على رسلك ، يا هذا ... ساكمل لك مرافعتي .

وحصل الموكل الى احد الاركان ، واحتجزه مدة ساعة كاملة !

- اما المحامي ريمون هيس ، فقد كانت السخرية حقا سلاحه الدفاعي . فقد اتفق ان كان مرة يقضي عطلته في الريف ، فتمسك من احد موكليه - ولم تكن برأته مؤكدة - برقية هذا نصها : « القضية الصالحة انتصرت ! فكان وفاة الزوري »

وليس ثمة ما يشط من عزيمة المرافعين ، المحبيين للدعوى . فالواحد من هؤلاء « يحب ذلك » ... فهناك الترافعة الكونتيس دو بامبيش التي خلدها راسين في احدي رواياته : « سابع قميصي في سبيل ذلك ، فانا اريد لا شيء ، او كل شيء ! » .

وهناك الترافع الذي يتحدث عنه الكاتب ميناج : « لقد منحه الملك ملبغا ضخما من المال شريط الا يتراجع بعد ذلك . ويقال انه ، وهو يشكر الملك ضنيعة ، رجاه ان يعد له شخص دعوى او سنا للء وقت الفراغ ! »

وهناك النورماندي الذي يذكره فلوثير . فقد قال له القاضي : « يمكن تجنب الدعوى ، يا هذا ، عليك بالاتفاق مع خصمك والمصالحة ! » فكان جوابه : « انا لست بمثل هذه القباوة .. فالجميع سيسخرون مني اذ ذاك ! »

والترافع - على حد قول الاديب الاميركي الساخر امبروز بيرس - امرؤ يتأهب لترك جلده على امل انتقاذ عظامه . »

والترافع سيء النية ... فالمنشد غوبيل ، خلال الثلاثينيات من هذا القرن ، اقام الدعوى على مدير « مسرح الامبراطورية » . وفيما يلي ما شكاه منه : كان قد حجز مقعدا

خزامي

اي بشرى من سحيق الفور من عمق الجراح
ارجمت للصبح اشراق الصباح
حملتني فوق متن القيم سكرانا ، وسكرى
هي مني ، ليس وهما صوتها الداوي يبيتي
هي يتي ، ليس احلاما وذكري
وحصادي من جبين الشمس دهر
ايقظت في الصدر اشواقي وصمتي
وهياما ملا الدنيا غراما
اي بشرى ، اي بشرى يا خزامي
سكر الرفض على سكر الندامي
وترامى ... !!
صونك الطفل كابامي كاشعاري القدامى

مرحبا بالثيا الغالي واهلا الف اهلا
ما ساعطي للبشير الوالف ، اهدي
اصوغ الماس عقدا ، ازرع الاجواء فلا ..
انتشر التيجات في كل طريق ليس يجدي ..
ليس اهلا

يا اميش والتوق كاد التوق يخطو ..
ليلم اخطو كشاعر
من زمان ضيق الازماد داج
وانا لا اعرف البشري ولا طعم البشائر
اجهل البسمة ، لا اقوي لماذا الانلاشي كراج
هزه ربح وللي كشهاب او يريق لم ناما
يايبي الاطفال تستول التاجر
يجزف الموت له فترا وفيرا
اي بشرى ، ضاع فبري اي بشرى
مات موني لم اضحي بعض ذكري
اي بشرى !!
حولت ناري لاني التيران بردا وسلاما
ارجمت فبري اصيبها للخزامي
ونهايا اسكر الدنيا ضياه

مروان الخطاري

المباين - سورية



فانا ليس لي شرف الاهتمام بدعواك !!
فصاحت السيدة بغیظ : - ماذا ؟ انت لست الكاتب ،
وقد داعبت قطنك طوال هذا الوقت ؟!
والمترافع لا يرحم ... في سنة ١٧٤٠ ، دعا الكونت
دو مونيمور الى قصره على ضفاف نهر ايزر ، رئيس
محكمة شامبيري ، ويدي في دو فيسيني ، الذي سبق
ان حكم عليه في احدى الدعاوى . وبعد تناول الطعام ،
جعله يمثل امام محكمة صورية حكمت عليه بالاعدام .
فقطع رجاله رأس القاضي بالفأس ، وحملوه الى القضاة
في محكمة شامبيري !.

سمير شيخاني

له في الصالة . فلما وصل متأخرا رأى سيدة تجلس
مكانه . وصيحت انها اعادت اليه المقعد من فورها ، الا انه
رفض الجلوس وطلب ان يعاد اليه رسم الدخول ، مرددا :
« انا لم استأجر مقعدا ساخنا ، بل استأجرت مقعدا
باردا ! » وانتهت القضية امام المحكمة ، فحكمت على
غوبيل بعدم صحة دعواه ، وغرّم بالمصاريف .

والمترافع لا يتراجع امام اي شيء ... ففي القرن الثامن
عشر ، ذهبت احدى النساء - وكانت طرفا في احدى
الدعاوى - لمقابلة احد المستشارين وقد قيل لها انه كاتب
الدعوى . وكانت طوال حديثها معه تداعب القطة ! واخيرا
قال لها الكاتب : « سيدتي ، لقد اخطاوا في ما قالوه لك :

مكتبة الاديب



لتفليها على الفصحى .
ولك ، لمصرى ، ظاهرة طرح خطرها المؤلف
بين عين قرانه في العالم العربي ، ليبدو
صاحبا ، لما تخرب لفة قوم ، هو الإبداء
لهم في الجنس والجنس ، فما شيء يجمع
الامة على وحدة مثل لفتها ، فاذا اصاب اللفة
حيف ، فقد هبت ربح الامة ، وكتب عليها
المغاء ..

وفي المقدمة إبان المواقف المعادية
التي وفقتها قوى الرجعية الغربية

والعدوان الداخلي الذي انكب على اللفة العربية تعطيل حياتها ،
وإدخال النسيم عليها ، فذكر حوادث جرت في الجامعة المصرية ، بين
جذب ودفع ، في قبول رسائل قدمها اصحابها ، اثار جدلا ، واهدنت
فتنا ، كان موضوعها اللفة والفن والادب ، وكيف برز رجل من رجال
التدريس الجامعي بقرود من البلية التي ابتكرها لهم بلفة عبدالقاهر
الجزائري والكناتي والرافعي ، فقلد المستشرقين الغربيين ، وهجم
على حصن العروبية بفاس ليوقوه ، وقد صك حجرا منه فارتد عاجزا
ناطحا ، واخذ ذلك الرجل بيت العامية حيثما وجد ، وبدعو لها ،
وهي دعوة مكرمة ينبغي على الجامعة العربية ان تفتح عين المعرفة
السبل الى دنها عن حمى الامة العربية المعاصرة ، فان التماسك
اللغوي هو الذي بقي بين ايدي العرب المعاصرين ، فاذا فقدوا هذا لم
يبق في ايديهم شيء ، ولجروا الى سماع الأرض وبصرها .

والاستاذ المؤلف النابع يبدأ كتابه بفصل يناظر فيه ببسبب الادب
والاخلاق والدين ، فيرسم كل من هذه المجالات الثلاثة مجالا ، وخطة
سير رسالة ويغطي الادب حتى من الزعامة فيقول انه « من اكبر القوى
في الوجود » ، وقد جلا ما للادب من نوبة في معاصر الامم ، وما قدرة
الكلمة في حياة الانسان ، والتأثير في الجماهير .
وفي هذا الفصل التي على سرد للحوادث القريبة في مآثر الهجوم
على لفة الفداد ، والدفاع منها فيما كان يثور من العظام بفسفاد
التنكيل ، ويؤثر في لفة على العالم العربي ، كالذي نشب بين سلامة
موسى والدكتور زكي مبارك ، ومواقف الخصوم والمريدين في كل جانب
من جوانب الحركة الفكرية .

وفي الفصل الثاني ، وقف البحث على دعاة العامية الذين يحاربون
الفصحى ، فاورد أهم مدعاهم بأن « العربية – كما يقولون – لفة
صالحة ، وان قواعدها معتدلة ، واغرابها صعب ، وانها تراث بدو لم
يكن لهم نصيب من العلم والثقافة والحضارة » .

وقد بسط الكلام على هذه الحفلات منذ القديم ، وكيف كسان
للمصممين ايدي الانام في توجيه تلك الدعوة الهامة للعربية باشاعة
العامية ، اذ اشار يحاربون لفة الفداد في البلاد التي حكموها من ديار
العرب والاسلام .

ثم جعل يطفل البحث على طريقته ، في عرض المسائل ، ثم لفة
التنازع بينهما واصدار حكم او تبين علاج للداء ، فعرض تاريخ المجادلين
والداعين الى العامية من الغربيين والشرقيين ، وكشف عن مزاعم كل
واحد منهم ، وكان باتباع طريقة الكشف عن مثالب كل واحد فيهم ،
كما يفسح هؤلاء الامين في غراء من النظر السند ، ليبراهم الجهول
ويبرف فيهم اعاده الاداء ، الذين يريدون ليوقوه الدار التي يسكنها
فكره وادبه وتراثه البعيد ، وهو اللغة الفصحى ، لفة القرآن .

وجاء دور الحروف اللاتينية ، وكيف هبت فتنتها من ايام عبدالعزيز
فهمي باشا سنة 1914 الميلادية ، وسنة 1926 الهجرية « حين نادى
الدكتور ابدو الحلبي الوصلي باخاذا الحرف اللاتيني بدل العربي ،
ودعا الى استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية ، ذكرا مزاي
الاولى ويعيوب الاخرى » .

الزحف على لفة القرآن

تأليف احمد عبد الغفور عطار - ٢٠٤ صفحة - حجم كبير - طبع دار
المعلم للملايين - بيروت

لقد عرف قرائي وقرائني في «الاديب» الاغر ، منذ اكثر من ربع قرن ،
انني منذ كنت اكتب لهم ، افني بنفسي على سجيبتها . فلتست اصيل
الى التصنع وعدم ، ولا ان افعل مغلغلا لديهم ، فم عشيرة فكري
ومثابة نظري ، وموضع ودي . واني اليوم اقدم اليهم كتابا خطيرا بهز
كيان الادب والفكر ، ليجردها في هذا الكيان من زيوف الباطل ، ودعوة
الهدم والانهار ، ومن بث الشك في الدرب الكبير الذي ينبغي ان
تمشي فيه مواكب العروبية ، في القرن العشرين ، حفيظة على لفة
الفداد ، وهي في ظليل وارف من حمى القرآن .

هذا الكتاب الخطير هو « الزحف على لفة القرآن » ومؤلفه الكاتب
الكبير الفيلسوف الاسلامي احمد عبد الغفور عطار . ولقد عرفته بفسفاد
التنيل في طويل من السنين ، وداره متراد الادباء واهل الفكر ، حين
نزل بالقاهرة محققا لكتاب تلخيص الصحاح للنجاشي من نسخ فريدة ،
عكف طويلا عليها حتى اخرجها من ظلام غيارها وبزوة وقرعها في
الاقبية ، الى عالم الطابعة الحديثة ، وكان هذا العمل منه بده معجيبا
مضى بعده الى ساح اعم ملاها بجهده ، حتى اخرج « الصحاح » نفسه
في طبعة علمية معاصرة ، وكتب مقدمة لهذا المعجم العظيم في تفصيل
عجيب في علم المعجمات وفرونها ومدارسها تشهد برسوخ معرفته بأسرار
العربية والبيان العربي وجاءت هذه المقدمة جزءا ضخما لنته .
وكان مثل ظافر في معركة خرج منها حديثا ترف عليه اعلام التنصر
المبين ، حين اخرج للناس في هذه الفترة كتابه هذا الذي بعد بحث
رائعة مؤلفاته حتى الان ، وكل من يقرأ هذا الكتاب من مقدمته الى
خواتيمه ينساق في دراسته والتبحر فيه بمزيد من الرغبة ، لانه واجد
بين يديه صراحة مؤلف لم يالك مله في الصراحة كثير من المؤلفين ،
الذين يبتزمون التيقن ، ويدبرون كلامهم وراء درق من التوريات ،
فكانوا مندتي مشبهين من يتكفى وراء متراس من متراس كيايس الرمل
ليقذف عنها ويتوارى .

اما المؤلف « عطار » فقد بدا صاحبا ، امام خصوم العربية
والزاحلين ويابدهم معاول التهديم لمجدها الابدي ، وقد تستموا
بالنسوبة ودعاة العامية ويغشاهم اللفة والبيان ، فسماهم باسمائهم ،
وبرز لهم في ساحة الجدل تارة والقتال تارة ، وكان محاربا وحيدا
فتح لنفسه جيها عديدة - كما نقول بلفة عمرنا في الكلام على العرب -
واظفرو اخلاصه لفة العرب وبيان القرآن ينصر ميين يدحر خصوم
هذه اللفة السخمة التي ملات الفول ، وعمرت القلوب ، واعلت
التفوس اسرار الفصاحة والبليغة ، فشقت بها الالسة بالسحر
الطابع والتعريب الذي يزعم الفكر الالهى ، والبدائع الرسولية .

اهدى المؤلف كتابه الى انصار الفصحى المجاهدين من اجل لفة
القرآن وادابها وطولها . والى المحاربين دعاة العامية وموقفي
لفة العرب ، ومنتوجها في الاداب والعلوم والفنون ، باشاعة العامية ،



الارباب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بنوعها شهر

يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد

الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

الادارة : ٢٢٣٨١٩ Dir : 223819
لبنون : النزل : ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139 Tel :

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب - صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت - لبنان

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير ادب

ثم بصور لقرائه فداحة ما وقعت فيه اللغة التركية من التعتيل ، بعد اتخاذها الحروف اللاتينية بدلا من العربية ، فقلقت صلتها بالعرب ولم تستطع ان تعانس الاتصال الوثيق بالعالم الغربي .

وقد دخل المؤلف في نطاق علمي واحصاء دقيق تتبع فيه الحوادث ، واحدا بعد واحد ، في هذه الدعوة القاسية لتبديل الخط العربي وتدمير ، مفرونا بحثه بالتاريخ اليومي والسوي والمكاني .

وفي الفصول التوالي تناول الرد على من اتهم العربية بالقصور عن المعارف الانسانية ، فذكر بالتشواهد والمصادر القديمة والحديثة غناء المؤلفات العربية في نطاق العلوم والمصطلحات العلمية ، واعمال المجامع اللغوية والعلمية ، فيما افادته من لغة العرب والسامع معانيها وقبولها للتطور العلمي وعلامة المعارف الانسانية جميعها . ثم سرد اسماء المؤلفات في لغة العرب كانت علمية صرفا صدرت في عصرنا لتثبت بها قدرة العربية على سلوك الحياة العلمية السليمة . وانتي في هذا المجال ذكر الامير مصطفى الشهابي رئيس الجمع العربي يدمشق ، وما كان له من الجهود الثابتة في تاريخ العلم العربي ، وإثبات قدرة العربية على صوغ المصطلحات وبخاصة ما جاء به هذا الرئيس العالم واللغوي المشهور في معجمه الزرائي وما اوجده من الترجمات والمسميات العلمية التي وجد اللغة الفسادية - كما يسميها في بحوثه - ذات ملامحة نامة لسيرة العلم ، ونقل تعابيرها الى دنياها سالقة مكينة .

ثم خرج الاستاذ المؤلف من الدفاع عن اللغة الى المتابعة عن الادب عند من اكروه وحججوا به . وقد شق على نفسه بتتبع مجاميع من الصحف يدلث فيها على المقال في صفحاته وتاريخ صدرها بالتاريخين الهجري والميلادي ، حتى يبلغ في آخر الاستقصاء ، وكانت العرب تقول في الاستقصاء هذا المثل : (الاستقصاء فرقة) فوجدت القليل عند الماكر العطار الذي جعل من الاستقصاء الفقه وجمع شمل ليحبه ودرسه . ويطلع المؤلف الودود بصفحات الود في خلال الدفاع عن الادب تنجلي لديه في كلامه على الكاتب العظيم عباس محمود العقاد - عليه رخصات المرحوم - واذنا تكلم الاستاذ العطار على المقادير والامام المارسل لمجمله سنين طويلا ، والمتان له في مجلته كل اسبوع والذي راح وجد اليه فكان بقاء العقاد يبشر وحلاوة ، ويعرف للعظيم دور في العلم والادب ، ودفقة حكمه وغيرته على سمعة العربية ونقاء الاسلام ، فيعرض لك العقاد في فصله هذا بمعارض خصومة الابالسة له ، واستشراهم حوله ، وفراوة ما لقي من عنفهم ومكائدهم . ولقد كنت بمصر اثور صديقي لي من اعداء العقاد ، وكان هذا الصديق من ذوي المكاينة والحكم واهل النوذ العالي ، فكلمه بالهاتف عدو لدود للعقاد ، فرا ذلك اليوم في صحيفة « اخبار اليوم » مقالا للعقاد فاصما للظهور بمسه من قرب فهاجت غواتي ، واخذ يذوق العقاد بالهاتف مكلفا صديقه ليدخل السرور على سمعه وكان صديقي هذا يتحرك في مجلسه يعنف ويعقق بقبضة يده على مائدة كتبه ، مهتدا جبار الادب ، متطلعا الى يوم يزول فيه .

وقد وجدت الاستاذ العطار يصور لقرائه اشياء هذه المواقف التي عرفتها بنفسي ، ويحطل نفوس الشامتين بهوت سيد النقد واكبر ادب عربي في هذا العصر والعصور السواقي ، فيسميه اللغة الشامخة الفكر الاسلامي .

ويصفي المؤلف الجاهد في الباج كتابه وهي امواج خلف امواج ، حتى يعتور بوحنا خاصة بشانه وشان الارض التي يعيش عليها ، حتى ينهي كتابه بخاتمة دعائية وابتهاالية .

ولعل قرائي في « الاديب » الاثني يسألون انفسهم ، اين يجدون الاستاذ الكبير احمد عبدالقادر عطار . ولقد كان منذ شهر في بيروت واقفا نفسه على طبع كتابه ، متكبرا مالا جسيما في سبيل سفرته من اجله ، وانجاز ظهوره ، في حلة القشيبية . فكان مثل قائله معركة مهتد موفوها ثم خاضها بنفسه . وهو بعد من المجاهدين المكافئين في هذا

العصر اعداد اللغة العربية والميرين على الاسلام . ما اشبهه بالقطار
فريدالدين الفارسي التامل ، وان كانت الصوفية بعيدة عنه ، حيث
يؤثر السلامة من التكيد ، وهو يسكن مكة ودارته فيها ، وله فلم وفكر
مشهوران في دنيا اللغة والادب وعالم الصحافة ، وهو الذي بعث
اسماعيل بن حماد الجوهري من مراند مجعته ينشره منذ عشر سنين
في طبعة وقف لي تعقيتها وكتب مقدمة له في مجلده - كما ذكرت -
حوت علم المعجمات ومدارسها في لون من الانجاز وطول الانتداب ، فاذا
نار في كتابه هذا الجديد الذي سماه « الزحف على لغة القرآن » فاما
لثقل اعتدت لغة الثورة الفكرية من اجل لغة العرب ، ولولا ما نسخ
الافراد على اطراف السنين رجالا ذوي ياس شديد ، يتاضلون في
سبيل هذه اللغة الخالدة ، لكثرت البلاد ، وعثر النجاء ، ونذر الوفاء .
كذلك فسمعت الأستاذ الجليل المطار لغة الرواية يعطون من علمه
وفلسفته واخلاصه ، في وقت عيبت فيه بهذه اللغة الجميلة الخالدة
الانسان نقر ، قال فيهم ابو الطيب المتنبي ، وكأنه عرفهم في اعقاب
الزمان ، كما عرف امثالهم في عصره :

ما يقبض الموت نفسا من نفوسهم الا وافي يده من ننتها עוד

مكة المكرمة زكي المحاسني

فلسفة اللغة العربية

تأليف الدكتور عثمان امين - 11 صفحة - المكتبة الثقافية - الدار
المصرية للتأليف بالقاخرة

الحديث عن اللغة العربية يتكى على دافعين ، يستند الى مبررين .
اولهما : خشية الارضى الخسارة ، وثانيهما : عشق الاهد الفخوذ .
اما الخشوة فانها بها الثورة التي لا تعد لها قوة ، وهي تلك التي
تكمن في لغة الفساد التي تعتبر وثيقة دولية بركة . ولما العشق فهو
عشق هذه اللغة ولا يبعها الا من فهم حقيقتها ، واحس بترانها
الغنى العظيم .

ولقد خاضت اللغة العربية مجالات متعددة متنوعة في ازمان متفاوتة
متعاقبة ، وفي النهاية كان النصر ملء يدها ومن بين ما خاضت :
حركة (التحرر من قيود الماضي) رغبة في التشكك او التصاعا للفنوذ
الاجنبي وتمثل ذلك في حملات التغريب التي شنها الغريون في
اواخر القرن المنصرم .

ورائنا من بين الحملة التبشيرية كمرجليوت وزوبر وغيرهما كما
رأينا من يتصدى لرد كلافاتييا ومحمد عيده وغيرهما من المشرق
وجنوبيه وغيره من الاوربيين . ولقد استشهد السيد المؤلف بما
تحدثه اصابع الاستعمار في السنة التسع الموريتاني وان كان قد
أسلف من حسابيه التجربة المماثلة في الجزائر .

واللغة باعتبارها وسيلة استكناه خصائص روح الامة اقوى ما يصير
الانسان كائنا اجتماعيا وهذا جزء من وظائفها الاجتماعية كما يتحدث
علماء اللغة ولهذا فان المؤلف يتكى الى ان « لفتنا العربية ارا في
تكوين عقليتنا وتدريب تفكيرنا وتصريف افئلتنا وهديت سلوكنا يقوى
كل اثر سواء » ص ١٩ . ولها سمات فلسفية اهمها الحب الذي
يصل الى درجة العشق الالهي الذي تناوله افلاطون كما ان لها وهي
لغة القرآن ميزة التزعة الثالثة .

وأدوع ما يعطل به الكتاب هو تفصيل الحديث عن مثالية اللغة
العربية حيث لا تحتاج لفعل الكثرة ، لانها تفصل شهادة الفكر على
شهادة الحس وان « الماهية متقدمة على الوجود » . ويتناول الحضور
الجواني في اللغة العربية فهي لا تعني بايات « الابه » فنحن نقول
افكر ، وليس انا افكر وتشك وليس انت تشك .. الخ . فاللغة

العربية تساعد الذهن على الانتقال سريعا مما هو معطى وظاهر الى ما
هو خفي او باطن ، وتسير بمقتضى صاعد من الأدنى الى الأعلى ، ومن
البراني الى الجواني . واللغة العربية تهتم باللفظ من أجل المعنى ،
ففي الخصائص يقول ابن جني : « فاذا رأيت العرب قد اصلحوا
الفاظها ، وحسنوها وحسوا حواشيها وعلبوها ، وصقلوا لغوتها
وأرسلوها ، فلا ترين ان المعاني اذا ذاك انا هي بالالفاظ ، بل هي
عندنا خدمة منهم للعلماني ، وتبويه وتشريف .

ومن الالفاظ ما فقد الدلالة الحسية : فاطفل ففسى معناه حكم
واصله للقطع المحسوس ومثله قتل ، وأدرك ، وبلغ ولا غرو اذا رأينا
الاعراب ميزة اللغة العربية ، واذا رجعنا الى معنى اللفظ وجدنا
اعرب من الشيء : أوضحه وأبان عنه ، وكثير من الصيغ لا يؤدي
معناها الا بالاعراب ، لهذا حرص ابو الاسود الدؤلي على ان يتبى
ابنته الى ان تفتح فاهها تفرقة بين التعجب والاستفهام .

يقول بروكلمان : « لقد تعزمت لفت الشعر العربي هذه بشرة عظيمة
من الصور النحوية ، وبلغت من حيث دقة التعبير عن علامات الاعراب
والنحو الذروة التي لم يأتها في اللغات السامية » . وثروة اللغة العربية لا
تقف عند حد ، فوفرة الفاظها ، توافيك بعديد من الصور اللغوية
للمعنى ، فالصدا والصدى ، والأوام والياهم .. كلمات تدور في فلك
المعنى ، لا انها تتفاوت من حيث الدرجة والقوة ، ولهذا فان قدرة
اللغة على التامل الداخلي قدرة عجيبة كما يقرر ماسينيون . اما
الحركة والقوة فمن مميزات اللغة العربية ، فالعرب يظلون ليحفظ
عنهم ، ويوجزون ليحفظ ما يقولون ، ولهذا فان زهير يقصد ان :
« لسان القتي نصف ونصف فؤاده » . وهذا احتل الشاعر منزلة
عند العرب ، ربما لم يتح له ان يحتل ما يدانيها في يوم آخر .

واللغة العربية مشروعا شاق رهيب ، حتى ان عبدالمالك بن مروان
رغم شهرته العلمية يقول : « شيبني ارتقاء التمار وتوقع اللحن »
بعد امسح في نقل الطرزين صموية النطق بالفصحى ، وقراءتها ،
وتعلم ذلك على الطياري ، وقاسم امين ، ولكن الدكتور المؤلف
يردنا من اوجع من صموية ليس بعبء ، بل انه ميزة اللغة العربية ،
لانها تتطلب الوفاء والتميز ، ويستشهد بنص قوي للمرحوم الاستاذ
الفقار برد على ذلك الزاعم .

ولكن ما مصير اللغة العربية ؟ ما مصير اللغة العربية في الهجر
الامريكي ؟ ما مصيرها على السنة اللذين واقدام الكتاب ؟ . ان
الدكتور المؤلف يشير الى شكوى سامي الكيالي ، وشكوى كل من
تجرح سمعه اخطاء الازاعة والمحال ، وغيرها من الجالات حتى قول
الشاعر : (سيد الامر كله فارل الاعراب ان البلاغة اليوم لحن)
واذا كان الدكتور قد ذكر تناول هذه الظاهرة الا انه تناول ممتاز
خطر . فذلك الهبوط يرجع الى قلة العناية بالتعليم في المدارس
والمعاهد المصرية ، وخاصة المدارس الابتدائية . واذا كانت المعاهد
العلية للغة العربية متعددة ما بين جامعة القاهرة ، وجامعة عين شمس
والاسكندرية ، والازهر . فان هذا التمدد لم يحن علينا ثماره ، فما
سر هذا التمدد ؟ « اما ان لنا ان نعتي بالجوهر دون العرض ؟ » وما
السبيل الى الإصلاح ؟ .

ان المؤلف يرى التزام الشجاعة والصدق ، ووضع اساس جديد
لبناة المستقبل ، ولهذا فعلى وزارة التربية والتعليم بالجمهورية
العربية المتحدة ان تسع منهاجا جديدا لتعليم اللغة العربية ، تخار
له اسالة من ذوي الكفايات والخبرة باللغات الاوروبية يسطغون
يوضع البرامج لتعليم اللغة العربية لتلاميذ المدارس الابتدائية والثانوية
وواجب وزارة التعليم العالي ان تقصر التخصص في اللغة العربية
على كلية واحدة او اثنتين ، وعلى هذا الامر يتوقف مصير اللغة
العربية في الشرق العربي بل في العالم الاسلامي كله .

والى اي حد تكمن المثالية الفلسفية في اللغة العربية ؟ . لقد صاح

ديكارت بقوله الشهير : أنا افكر فانا موجود ، وقد سبقه في ذلك ابن سينا في مثاله الذي يعرف باسم الرجل الملق في الفضاء . ولقد عقد المؤلف فصلا عنوانه بين ابن سينا وكوجيتو ديكارت ، وراى ان من المحتمل ان يكون ديكارت قد اطلع عليها فسم ما ترجمه الى اللاتينية من العربية ايان المصور الوسطى ، وبيل على ذلك تشابه كبير بين الالية السنيوية ، والكوجيتو الديكارتية فاللغة العربية كما يقول المؤلف مثالية قبل مثالية ديكارت بمئات السنين .

وفي خاتمة الكتاب يركز المؤلف خصائص الفلسفة الكائنية في طبيعة اللغة العربية : المثالية الميتافيزيقية والحضور الجواني وصداقة المعنى والإعراب والإبانة ورسم القلال والالوان والحرص على الإيجاز والتركيز مع دقة التعبير والدعوة الى الحركة والاتجاه الى القوة وتوخي الوعى والفهم قبل التلق والسمع والكتابة .

يقول ادوارد فانديك منذ اكثر من سبعين عاما : « ان اللغة العربية من اثر لغات الارض امتيازاً وهذا الامتياز من وجهين : الأول من حيث ثروة معجمها والثاني من حيث استيعاب آدابها » . ويقول بوركلمان : « بفصل الفراء بلغت العربية من الاساس مدى لا تكاد تعرفه اي لغة اخرى من لغات الدنيا » . ويقول الدكتور عثمان امين : « ان عزة الاسلام في المحافظة على عزة العربية ، وعزة العروبة في المحافظة على الميزات الفريدة التي تميز بها اللغة العربية » .

وبعد : فهذا عرض سريع لكتاب دكر احسن تركيز وناقش الامور بدقة وسرعة . ووضح ذلك تناول الفلسفي الذي يبدو اول ما يبدو في عنوانه ثم في ص ٨ حيث يقول ان اللغة العربية لغة التماسك الداخلي نامل الفكر والروح وانها ذات خصائص جوانية وانها تعشق عشقا فلسفيا . ثم يبدو اخيرا في الفصل الاخير وعنوانه : « اللغة العربية والثالثة الفلسفية » . والحديث عن اللغة العربية مبعثه عشق وتقدير وتحسس لها فهي سلسلة الكنتيت الثقافية ملاك كتب من عزة تلك اللغة وكان اعظم ما كتب ما افتتحت به السلسلة وهذا : الثقافة العربية اسبق من ثقافة اليونان والعبرين والروميين المتألف فكان دفاعا عن العربية واحقا لها . وهنا يسمح لي السيد المؤلف ان يقرر ان الفصل الاخير في الكتاب معجم يبدو غريبا عن جسم الكتاب حتى لتسعر بعد ذلك انك مضطر الى ان تحكم على الكتاب انه عدة مقالات متناثرة راي مؤلفها وشيجة تشد جمعها فضعها بين دفتي كتاب لانه اذا كان الحديث عن المعنى الفلسفي الكائن في اللغة ، فصحات الكتاب تؤيد ذلك الى ص ٨٥ فقط . اما اذا كان بعنوان : دفاع عن العربية او سبق العربية او الفلسفة العربية فيمكن ان يدجج الفصل الاخير .

ويسعدني ان اسم صوني لصوت السيد المؤلف فيما اتاه واشترت اليه بخصوص هبوط مستوى العربية ص ٨١ وما بعدها وذلك اخطر نقاط البحث في نظري واعلمها واكثرها واقعية وهي نقطة وان كانت قد اثرت من قبل لدى الكثيرين ولعل على راسهم الدكتور طه حسين الا انها حجة تتجدد مع الزمن .

وفي الفصل الذي عقده بعنوان الصداقة للمعنى تراه يؤمن بما يقرره ابن جني في الخصائص رغم ان بعض ما يقوله ابن جني لا يخلو من المبالغة التي سبق ان لاحقها من قبلي كثيرون من اساتذتنا الذين بحثوا في علم اللغة ، وعلى راسهم الاستاذ الدكتور ابراهيم انيس عضو مجمع اللغة العربية والاستاذ بكليدة دار العلوم . ومن ذلك على سبيل المثال الحديث من مادة قول ومادة لزم وكما انتقلت عدوى هذا الايمان فرى السيد المؤلف يطبق ذلك على اللغة العربية والانجليزية واللاتينية .

وفي النهاية يبدو الكتاب بعد هذه الملاحظات العابرة التي لتستقر نظري كقارء ، يبدو اسهاما كبيرا بشفاف الى ما حلت به الكتب العربية من ذخائر في الدفاع عن اللغة العربية مثل البلاغة العربية

واتر الفلسفة بها لامين الخولي وحياء النحو لابراهيم مصطفى وتاريخ العرب وادابهم لادوارد فانديك واللغة العربية واصولها التسمية لعبدالمعز بن عبدالمجيد . الى اخر ما هنالك من ذخائر عديدة تصدى للدفاع عن لغة الفاد .

يوسف حسن نوفل
بور سعيد

المتقن في أخبار بلد الاندلس

تأليف ابي مروان ابن حبان القرطبي - تحقيق عبدالرحمن علي الحجري
- قدم له الدكتور احسان عباس - ٣٢٨ صفحة - المكتبة الاندلسية ، دار الثقافة ببيروت

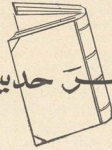
لقد اتبع لي ان اطلع على مخطوطة هذا الكتاب فلاحظت انها مشوهة تشوها بالغا ، غير واضحة في كثير من فقراتها فاندرت الجهد الكبير الذي بذله السيد عبدالرحمن الحجري في احياء هذا اثر النادر تعقيقا ودراسة .

رجب بهذا الكتاب وقدم له الدكتور احسان عباس استاذ الادب الاندلسي بالجامعة الامريكية ببيروت : « لا للكتاب نفسه من قيمة » وتقديرا للجهد الكبير الذي بذله الحق تعقيقا وتعليقا ليجعل منه نعا جليل القادة مسيرا للدارسين » ص ٩ من مقدمة الدكتور عباس التي جاء فيها ايضا : « لا لب ان العاملين في التاريخ الاندلسي سيحبون في هذا الكتاب مسعفا على جلاء كثير من الجوانب التاريخية في عهد الحكم المستنصر ، بما حواه من مادة وافرة غزيرة شأن كل ما كتبه المؤرخ الكبير ابو مروان ابن حبان » ص ١٠ .

ان كتاب المتقن بجزأه العشرة اهم آثار ابن حبان التي فقد مظهرها وقد ارجعها بعض المؤرخين الى خمسين مؤلفا ، ودرس البعض على المؤلف وخاصة كتاب المتقن الذي يتناول تاريخ الاندلس منذ الفتح الاسلامي حتى زمن المؤلف الملوك الطوائف » ، « ان على هذا الكتاب تعتمد بالدرجة الاولى شهرة ابن حبان ومعرفته له » ص ١٢ ، ثم يذخر بالفصل الاجزاء الموجودة من هذا الكتاب وما حقق ونشر منها وما هو سبيله الى التحقيق والنشر ، ويتناول هذا الجزء من المتقن الحوادث التاريخية المهمة التي وقعت في خمس سنوات (٣٦٠ - ٣٦٤ / ٩٧٠ - ٩٧٤ م) في عهد الحكم المستنصر في كثير من هذه الحوادث طرافة تنهوي القارئ والمؤرخ وما وليس هناك استطرادات كثيرة او خروج عن الموضوع الفناء في بعض الكتب القديمة ، ويلزم المؤلف بموضوعية الحوادث التي تناولها بشرح واف دون ان تنصيع اهميتها في اخصيص مختلفة او تفصيلات غير ضرورية او مبالغ فيها ، ولعل الخطة التي اتزها ابن حبان في كتابه هذا في الاسلوب المتبع الا ان في اشهر الجامعات التي تدرس على الباحثين الاندلسي الوفوي ، وبالرغم من ان ابن حبان كان احد كتاب المنصور ابن ابي عامر فان كتابه بعيد عن المبالغات التي اضطر اليها احيانا بعض من كتب للحاكمين ، وهذا دليل واضح على ان الرجل عالم كبير وان ما عرف منه بأنه شيخ الادب والمؤرخين في الاندلس امر لا بمبالغة فيه ولكن ابن حبان لم يحظ بعد بدراسة موضوعية تتلام ومكانته العملية المعروفة وبأسف الحق لذلك وبما ان يقرر مؤرخنا الكبير بما هو اهل له من تنويه وتقدير ودراسة واقعية .

لقد بينت لنا الاستاذ عبدالرحمن الحجري كيف اهتدى الى المخطوطة والصعوبات الكثيرة التي لاقاها في سبيل تحقيقها : « راجيا ان يكون ذلك اسهاما بسيطا في خدمة تراثنا الاندلسي العظيم » ص ١٨ ، هذا التراث الذي يتطلع دوما الى جهود الدارسين ولا يكون البحث فيه غربا من التنقيب عن الآثار القديمة اذ ان في ذلك دراسة تاريخية

ظهر حديثاً



- المعاصرة والنظرية البشفية - تأليف برنارد رسل - ترجمة سمير عبده - مصمم الغلاف عيسى عيسى - ١١٦ صفحة - حجم كبير - منشورات دار الأنوار ومكتبة العباسية بدمشق - (لم يذكر اسم المطبعة).
- فوق الضباب : نياحة من الشعر الاجتماعي - عبدالله غانم - تقديم ميخائيل نعيمة - ١٣٦ صفحة - حجم كبير - منشورات مكتبة ربهون الجديدة ببيروت - مطبعة المطبعة بوجونية لبنان .
- فصول في اللغة والآداب - تأليف طاهر القاسمي - تقديم شفيق جبري - ٢٤٨ صفحة - حجم كبير - منشورات دار الكتاب الجديد ببيروت - مطابع دار الكتب ببيروت .
- مذكراتي : صفحات من تاريخ سورية الحديث ١٩٢٠ / ١٩٥٨ - تأليف حسن الحكيم رئيس وزراء سورية سابقاً - الجزء الأول - ٤٠٨ صفحة - حجم كبير - منشورات دار الكتاب الجديد ببيروت - (لم يذكر اسم المطبعة) .

- المؤرخون المتهتمون في العهد العثماني وآثارهم المخطوطة - تأليف الدكتور صلاح الدين المنجد - ١١٢ صفحة - حجم كبير - منشورات دار الكتاب الجديد ببيروت - (لم يذكر اسم المطبعة) .
- شعراء سورية - تأليف احمد الجندي - ١٦٠ صفحة - منشورات دار الكتاب الجديد ببيروت - مطبعة دار الكتب ببيروت .
- عشر سنوات في الدبلوماسية في صميم الأحداث العربية والدولية - تأليف الدكتور نجيب ارمنازي سفير سورية سابقاً - ٢١٢ صفحة - حجم كبير - منشورات دار الكتاب الجديد ببيروت - (لم يذكر اسم المطبعة) .
- المطرق في نظر الحضارة والإنديميين في القرون الوسطى - تأليف الدكتور صلاح الدين المنجد - ١٢٤ صفحة - منشورات دار الكتاب الجديد ببيروت - مطبعة دار الكتب ببيروت .

- العمود المتقلبة بالوطن العربي ١٩٠٨ / ١٩٢٢ - تأليف وجيه علم الدين - ٢٣٦ صفحة - حجم كبير - منشورات دار الكتاب الجديد ببيروت - (لم يذكر اسم المطبعة) .
- استقلال ليبيا بين جامعة الدول العربية والأمم المتحدة - تأليف سامي كحيم - ٢٨٨ صفحة - حجم كبير - منشورات دار الكتاب الجديد ببيروت - مطابع دار العلم للكتاب ببيروت .

- تحقيقات فولكلورية من وادي الفرات - تأليف الحامي عبدالقادر عياش - الجزء العاشر - ٦٦ صفحة - مطبوعات مركز الدراسات التاريخية والجغرافية بدير الزور سورية - (لم يذكر اسم المطبعة) .

في الكتاب ، وإلى جانب الأهمية التاريخية للكتاب هناك أهمية أدبية لما حواه من نصوص أدبية ونماذج شعرية تربو على تسع وعشرين قصيدة ومقطوعة شعرية بعضها لشعراء غير مشهورين أو معروفين ، وقد الحق المحقق في آخر الكتاب فصلاً يقسم عشرة صفحة يشرح فيها ويعلق على محتوى الكتاب ، وقد اعتمد في تحقيقه وتعليقه على خمسة وخمسين مرجعاً عربياً واثنين وعشرين مصدراً أجنبياً بلغات مختلفة وختم الكتاب بفهارس للنظم والأدباء والأعلام والأماكن والأسماء والأشعار ، ويقوم المحقق الآن بدراسة موسعة في جامعة كيربنتل تناول العلاقات الدبلوماسية والسياسية بين الدولة الأموية في الأندلس والدول الأوروبية القائمة آنذاك ويشرف على هذه الدراسة المستشرق الإنكليزي المعروف الدكتور جون هوبكنز ، وستكون هذه الدراسة فريدة من نوعها إذ لم يسبق إليها الباحثون ، ويؤمل المهتمون بالتراث الأندلسي من المحقق أنجازاته رائعة في هذا الحقل ، ولا يستغني إلا أن اشتهى على جهوده الدأبية في إحياء التراث الأندلسي الخالد .

جلال الخياط

كيمبرج - إنجلترا

- ابراهيم المحري : حياته وأدبه - دراسة تحليلية - تأليف فوزي سليمان - ٨٤ صفحة - مطبعة النصر بالقاهرة .
- ... وانتظر - قصة - تأليف أمية حمدان - ٢٧٨ صفحة - منشورات المكتبة المصرية في صيدا وبيروت - (لم يذكر اسم المطبعة).
- احاديث العشبات - تأليف عبد السلام المجيلي - ١٦٠ صفحة - حجم كبير - منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي بدمشق - مطابع وزارة الثقافة والإرشاد القومي بدمشق .
- أنا والثاس - تأليف حسن عبدالله القرشي - ١٧٦ صفحة - منشورات دار العلم للكتاب ببيروت - مطابع دار العلم للكتاب ببيروت .
- رسائل في حضارة البؤس - تأليف ندره اليازجي - ١٤٤ صفحة - مطابع الف باب والأدب بدمشق .
- المسير الطويل - مسرحية - تأليف هدى فؤاد زكا - ١٣٦ صفحة - منشورات المكتبة المصرية في صيدا وبيروت - (لم يذكر اسم المطبعة).
- صور غروية - تأليف رياض مطوف - الربوهم بريشة أسعد زكي - ١١٢ صفحة - منشورات دار الكتاب اللبناني ببيروت - مطابع دار الكتاب اللبناني ببيروت .
- الأيام اللينة - قصة - تأليف احمد ابو رخاب - ٢٠٠ صفحة - المطبعة الخفوية (٤) .
- مشاكل نمو الأطفال - تأليف إيمانويل ميلر - ترجمة سمير عبده - ٨٨ صفحة - منشورات دار الأنوار ببيروت ومكتبة العباسية بدمشق - (لم يذكر اسم المطبعة) .

وأدبية رائعة تكشف لنا امتزاج الحضارات الشرقية والغربية والجهود التي بذلها العرب في إقامة عهد أندلسي زاهر ما تزال عوالة تتمتع في أرجاء اسبانيا الكبيرة .

إن حركة إحياء التراث الأندلسي بدأت في مطالع هذا القرن ولا يمكن أن تغفل جهود الكتاب العرب والمستشرقين في إحياء هذا التراث ، وكان الأستاذ عبدالمعطي العبادي من الأوائل الذين نهضوا إلى الاهتمام بالتراث الأندلسي ثم توالى بعد ذلك البحوث القيمة والدراسات المتسفيضة التي قدمها الأساتذة محمد بن عبدالله غانم وإحسان عباس وحسين مؤنس مهدي الطريق للدارسين والباحثين . إن الجمهورية العربية المتحدة أول دولة اهتمت جديداً بالتراث الأندلسي فافتتحت معهداً للدراسات الأندلسية في مدريد وبدءوا المحققون الدول العربية أن تنهج ذلك النهج أو أن تخصص في جامعاتها المسماة مستقلة تهتم بذلك التراث .

ليس هذا الكتاب تحقيقاً لمخطوطة وحسب وإنما هو مقدمة علمية في دراسة ابن حيان ، حياته وآثاره ، وقد بذل المحقق جهداً واضحاً في شرح كل اسم ورد في المخطوطة والظروف التي لا يستتبعها المصادر العربية والأجنبية التي تعين الباحث على اطلاع أوسع لما جاء

مجلة للفكر في سمر



شقاء العمل وشقاء الفكر

انني ، كواحد ممن يعنون بشؤون الآداب والفكر في الدرجة الاولى ، لا ارى في تنظيم سديتنا الخارجي (التطهير ، المشاريع ، ... الخ) قيمة حاسمة في التهوف والتقدم والاصلاح الا اذا اقرن بتنظيم سديتنا الداخلي . فلست ممن يعتبرون الامر الطبيعي حدثا ، او ممكن يرون الصديق ، مثلا ، بطولة في المجتمع الذي يسوده الكذب ، ذلك ان الصديق مزية ، لا يكون الانسان ، دونها ، انسانا . هكذا لا اجد ما اقول له ان اطالب الدولة بالمزيد من هذا التنظيم الخارجي ، والمزيد من الصديق والجرأة والاخلاص في هذا التنظيم . فهي بذلك ، لا تمارس الا اكثر واجباتها ضرورة وبساطة .

ولئن كان من البهاجة الغلاص من شقاء الجسد والعمل والحياة ، فمن الأكثر بهاجة الغلاص من شقاء الفكر والقيم والروح . والتسكك بالواحد دون الآخر يمزق وجودنا ويترده شقاء .

فماذا نعمل ، دولة وشعبا ، لتنظيم سديتنا الداخلي ؟ ما هي اهتماماتنا الثقافية والروحية والانسانية الكبرى التي تكمل اهتماماتنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية ؟ ما هو نصيب القيم العليا - الفن ، الجمال ، العدالة ، الحرية ، العطفة الانسانية - الخ - في هضمنا ونظمانا وتخطيطاتنا ، كدولة وشعب ؟

الافراد ، المؤسسات الفردية لم تعد قادرة على القيام بمهام تقيم بعض الاجوبة من هذه الاسئلة . والثقافة ، هي كذلك ، وجدت فيمن الامراء واخلفت من الزوايا ، واخلفت تتحول في الهواء الطلق ، في الشوارع وبين الناس . لهذا صارت العناية بها تتطلب وسائل جديدة بمستوى الحياة المعاصرة ، والوسائل الجديدة تتطلب امكانات جديدة . بعبارة ثانية : صارت الثقافة ، بالضرورة ، من مهام الدولة ، تندرج ضمن خطتها ومشاريعها وسياساتها العامة . والثقافة التي اعنيها ليست التربية ، ولا الجامعة ، ولا الاذاعة ، وليست ، بالطبع ، مراكز النشر . الثقافة التي اعنيها هي التي تتمثل بالابداع : هي الشعر ، الموسيقى ، المسرح ، التمثيل ، التصوير ، العلم ، الفلسفة .. الخ ، والتي هي جوهر الانسان وجوهر الحضارة . فما هو الناتج الفكري والحياتي ، الذي نتخلله كدولة وشعب ، من اجل ان نتفجر هذه البنايات المحيية ، او من اجل ان نتردد نفجرا ؟

نحن ، كشعب ودولة ، ماخوذون بالثقافة العملية - لا التكامل مع الثقافة النظرية بحيث نجني تعبيرنا من حاجات الفكر المبدع ومقولة من مقولاته ، بل الثقافة العملية كناية بعد ذاتها - الثقافة التي توجهها حوى الفكر ويحركها سكر الرخصة ، دونما نظام ولا غاية انسانية .

الثقافة التي نخضع الانسان لآلية العمل ، مما يبعده عن طبيعته الانسانية ، انما كما تبعده حوى العزلة والانقطاع عن الناس الى الذات والى عتالة الضياع الذهني . الثقافة التي تحول الحياة الى دوامة لعب ، الى ارمية ترد : الى حياة رقمية ، حسابية ، تجريدية ، باهية ، ولا انسانية .

الانسان في مثل هذه الثقافة يفرغ من جوهره الانساني : لا يعود انسانا بقدر ما يصير لاعبا ، يقامر بنفسه وبالاخر وبالشعب كله . يتقلص ، ويستدير حلقة في سلاسل اللعبة الدائرة ، الدائفة ، وتتقلص اهدافه

وغايانه كلها في حركته اليومية ، ويستعصى عن لغة الانسان الفكر ، بلغة « الانسان » الشاطر ويستبدل ذاته واعمالها ، بالاشياء ومادتها . والنتيجة هي ان العلاقات الانسانية تفرغ ، هي كذلك ، من جوهرها الانساني . لا نعود علاقة انسان مع انسان ، او شخص مع شخص ، بل علاقة آلة بالآلة ، او تابع بمتبع .

علاقة حاجة ومصلحة . ويرتفع المال هيكلا يرفض الذبيحة الا اذا كانت انسانا .

هذه الثقافة تشوه الانسان : لصحو فيه صورة الله ، ونحل محلها صورة المال ، فيغيب القياس الانساني ، ولا يعود هناك معنى للانسان او الحقيقة او الفن او العدالة او الحرية ...

لا أقول ان هذه حالتنا ، لكنني اقول اننا نواجه خطرا حقيقيا . ويقدّر ما نستعر في افعال الثقافة الابداعية ، ثقافة القيم والاخلاق والفكر والفنون والعلوم ، يزداد هذا الخطر قوة وطبائنا . وبكفي ان نستشعر مدى هذا الخطر حين نسمي في ذات الفسنا : اذا كان لكل شعب شكل خاص من العقيدة والحكمة ، ففي اي شيء تتجلى عظمة شعبنا وحكمته ؟ هل نراهما في حاجس العدالة ؟ في حاجس الاخلاق ؟ في حاجس المساواة ؟ الحرية ؟ التقدم ؟ الحقيقة ؟ الانسان وفداسته ؟ العقل ؟ الفن ؟ الفلسفة ؟ العلم ؟

ان الشعب ، ككل ، بعيد في اتجاهه ووضعه ، عن الاهتمام اليكابي ، الاسمي ، الاخلاق ، المباشر ، بهذه القيم والفضايا مجمعة او منفردة . انه ماخوذ بحكمة الزدهار والاستقرار والسياسة ، وهذا ، على الصعيد اليومي العابر ، واقع ناجح ، وقد يكون فريدا . الا انه ، على الصعيد الانساني العميق ، واقع خيف : انه نوع من الفشل الناجح او النجاح الفاشل .

اذ حين يحضر المائدة مسالة دور الشعب في التقدم والحضارة ، مسالة الانسان والقيم ، لا تقدم تلك الحكمة الا ازدهار العيش الهزيل ، لا (خبطة) (الخريف) من الحياة . فهي حكمة خالية من التطلع صوب اكتناء النفس واغنائها بفتحات وابداع انسانية وحضارية جديدة ، وصوب الغايات الانسانية العليا ، وصوب المستقبل والمطلق والجهول : صوب ما يعتبر المحك الاخير لانسانية الانسان .

صحيح ان العصر الحاضر عصر تخطيط ، الا انه قبل ذلك عمار ابداع . ولئن كان التخطيط هو ان يغير خريطة الحياة ، فان هدف الابداع ان يغير خريطة القيم . وطموح الشعب المعاصر الذي يعيش حقا في النصف الثاني من القرن العشرين ، طموح ابداع وتخطيط في ان . ان النضال ضد الجاعة والحرمان في الحياة وفي الفكر ، نضال لا يتجزأ ، انه ، بامتياز ، نضال الانسان في هذا القرن العجيب حيث لم تبلغ ثنائية الانسان في اية مرحلة من تاريخه هذا البلق المتناقص ، الشوه ، ولم يظهر كما يظهر الان ، في لحظة واحدة ومكان واحد : ذروة التخلط وذروة التقدم ، وحشا وملانا ، لصا وتيبا ...

جريدة « لسان الحال » بيروت ادونيس

يوييل مجلة « الاديب »

يتنادى فريق من الادياب الذين عاصروا مجلة « الاديب » وكتبوا فيها منذ صدورها سنة ١٩٤٢ ، وعقدوا مع صاحبها الشاعر الاستاذ البير ادب صدقات ادبية يتنادون اليوم للاحتفال بيوييل هذه المجلة الادبي .

كانت « الأدب » ولا تزال متيرا لكل عربي ينثر وينظم الشعر ، وبواسطتها يتعرف العرب الى نتاج الفكر العربي المعاصر ، وعن طريقها يتلمس المستشرقون تيارات هذا الفكر ويستمدون اليها في دراساتهم وتحقيقاتهم .

« الأدب » والبير اديب هما كيان واحد ترعاه زوجة فاضلة هي ابنة الموسيقار الكبير الروم اسكندر شلفون .

لم يغادر لبنان منذ ان عاد من القاهرة في سني الحروب العالمية الثانية ، انه اسير منزله ولقما يفرج منه ، فهو بذلك منقطع عن الناس ، ومنصرف الى تحرير مجلته والرد على عشرات الرسائل التي يتلقاها من كل قطر ومصر ...

لقد لبثت «الأدب» خلال ربع قرن ، فهي تصدر بانتظام وتصل الى قرائها بانتظام .. اما كيف تمكن هذه المجلة من نقطة نفقاتها فلا اذيع سرا ان قلت ان اجار بيت البير اديب قديم وانه هو هيئة التحرير بكاملها ، وليس للأديب اي مصدر مالي لا داخلي ولا خارجي ، لولا هبات الانصار .

ان صاحب مجلة « الأدب » ملتزم مبدأ الادب من اجل الادب ، فلا ينشر على صفحاتها اية دعاية لحزب او لفلسف او لدولة ان «الأدب» بهذا القنى عربية عامة ، وبوسعه ان تصدر في حلتها الراهنة في اية عاصمة عربية كانت .

فالاتزام هذا ايجابي ولا شك ، ولكن لا بد لكل مجلة ان تلتزم بالاتزام المتقنيات الوطنية المحلية والتجاوب معها ، والأديب تراعي هذه المتقنيات دون المساس بالخط العربي العام الذي تنتهجه .

وفي رأيي انه لا بد من اسهام الدولة والمؤسسات الثقافية العامة في تنظيم الاحتفال باليوبيل الفضي لمجلة « الأدب » اما ترك امر تنظيم هذا الاحتفال الى فريق من الاصداغ قليل الجدوى ، وبخشي ان يحمل طابعا « عاليا » فيقأ .

للأديب جمهور من الكتاب والقراء العرب ، وينبغي ان يعكس الاحتفال مشاعر هذا الجمهور وتقديره .

جريدة « الحياة » بيروت

نحائي صدف

« الأدب » القنديل الذي اضاء ربع قرن

تدعاه الاوساط الادبية ، في الوطن العربي ، هذه الايام ، الى تكريم البير اديب ، صاحب ورئيس تحرير مجلة «الأدب» المعروفة بكفاحها الطويل ، على مدى خمسة وعشرين عاما ، من اجل خدمة الادب العربي ، بصمت وبثبات ، بعيدا عن ضجيج الدعاية والاعلان .

وفي الحق ان هذا الرجل ، يستحق كل تكريم من مجلة الافلام العرب ، في كل مكان . ذلك انه افرغ نفسه ، ببصافه واخلاصه مخلصين ، لإصدار مجلة « الأدب » بشكلها الكلاسيكي الذي يكاد يرسخ في الذاةن ، منذ خمسة وعشرين عاما ، بالتمام والكمال .. كما فتح صدر مجلته للادياء العرب من كل مكان ، دون ان يمايز بينهم بسبب من اسم براق او ثروة او جاه .. او بسبب من عرق او دين .. بل كان مقياسه الوحيد الذي يزن به الادياء ، هو اديبهم ونتاجهم ولا شيء غير ذلك ، حتى نشأ وترعرع في رحاب «الأدب» مئات الادياء العرب ، من الجيل الى الجيل .. حتى انه يمكن القول ان ما من اديب عربي معاصر ، الا وقد نال من «الأدب» نصيب من الرعاية والتشجيع ، بقدر ما يؤهله لذلك استعداده الادبي وفطرته وقدرته على الابداع .

والذي يبعث على التقدير لآثير اديب ، انه ظل ينق على مجلته بنفسه ، بكبرياء وشمم ، ودون ان يتزل منازل لا تشرف الاب او الابن .. بل ظل يغذي هذه المجلة الرائدة من اعصابه ، ودم شرايينه ،

ونهار عييه ، ربع قرن كامل من الزمن ، وحيدا في ميدان الحركة .. دون ان يطاير هاته التسامفة لاصفة او زوجة ، وكم من مجلة ادبية ظهرت في الحركة لكنها لم تصمد امام التيارات العربية المتنافسة التي تعالت على الاجواء العربية طوال هذه الحقبة التاريخية من عمر امتنا ، لان الادب الحقيقي عندما اخرج ما يكون الى سدة خليفين من حلة الرسائل ، اذا اريد له ان يمر فويلا ، وسط الاتواء والاعاصير ... ان «الأدب» تدخل معها السادس والعشرين ، الان ، وهي القوى ما تكون شيئا وحيوية ، في حين ان صاحبها تيف الان على السنين ، فيما هو يصير على ان يكون محرر المجلة ومصنعها ومصرف شؤونها ورئيس تحريرها ، في وقت واحد ، مما !..

« الأدب » تدخل معها السادس والعشرين !!! . تلك هي المعجزة بحق وحقيق .. في الوقت الذي ترق فيه دولا كبيرة ، بكل ما لديها من امكانيات ، تسقط فيها مجلات الفكر والادب ، الواحدة اثر الاخرى ، بسبب من ضعف السوق - في اوساط القراء ..

تحية للأديب ، القنديل الذي ظل يصير في عالم الادب ربع قرن ، وهما هو لا يزال قوي الوهج ، سخي الطاء ..

وتحية لصاحبها الرجل الزاهد ، الذي ترفع عن كل الاوسمة والنياشين - الرسمية - والتقديرية .. فكان خير وسام له انه لم ينل وساما - رسميا - قط !!

جريدة « السياسة » الكويت

راضي صديق

المأساة الصحافية المهجيرة

اذا كان لا بد من ميزانية لنتيجة كل عمل ، نقديرا كانت ام حسابا عطائيا لمرة السيد روجا او خسارة - رائنا - والمجلة تغطي بهذا العدد نسبة منها الزاهية - ان نصيب الميزان وكثافة متوازنة - والتعصب بيننا وبينكم ، على اعتبار اننا (شركاء) في الاخذ والعطاء ، فكلنا اصدقاء لكم ولجميعكم ، وماذا اعطينا نحن - كتابا وصحافيين - وماذا اخذنا .

اتمم تجار وصناعيون وملاكون ومزارعون ، جمعت ثروات ضخمة او متوسطة ، بالجد والتشاطر وبذل الجهد والعمل المستمر وفي اكثر الحالات بالشرف والاستقامة ، ومعظم ما جمعت كان نتيجة لتعصب عرق جباهكم وصبركم وفي كثير من الاحيان بالحرمان ، فوفكم الله وكانت هذه الثروات من حكم ونصيبيكم مكافأة على اجتهدكم .. هذا من جهة .. اما نحن - مجلة الافلام المنتجة - الذين سكننا دمانا في كل عرق فلم وافئنا وجودنا مع كل نقطة حبر وكذا ايماننا وليالينا لا تكفي لحصد الفكر وتصويب الكلمة والاطلاق الحرف نحن ، هذه الفتنة التي قيل عنها (واية) قد افرغت كل وعيها في هذه التطلعات لتبقى مستفورة بالندى معطرة باربع الرياحين ، ولتظل الحياة جميلة والمقل مستيقظ ..

نحن لم يبق لدينا متسع للركى وراء جمع المال ، فقد غفلنا غراثر صورت لنا السعادة بالوان زاهية لا تتبين من وراءها شبح التماسه ، وغلقت فينا فكرة (الخلود) فاسرعنا وراء اوامهم جعلنا حقيقة منذ وجدت كلمتا (خلود) و (فناء) ... وهذا من نحن ... فكنتم انتم يا الزياء الجالية اكثر ذكاء باقتناص مقومات الحياة ، وكنا نحن اوفر عبقريه منكم في تسخير الامكانيات لخدمة الحياة نفسها . والواقع انتم ايها الاثنياء راوا- ان ثرواتكم لا تكفي بلوغ السعادة ، واذا ن هم يحتاجون الى التوفد ليطلوا على بعض ما في الكون من جمال وما في الحياة من عز ، ففي امعافهم اصالة يجب ان تبرز وفي نفوسهم خفي يجب ان يشع ، فتلغوا اليشا وكنا بالانتظار والنظقت الافلا لا

الكلي من غار على جبين ((الاديب))

ليس جهاد الإبطل في ساحات القتال باعظم شأنا من جهاد الادباء في دنيا الفكر ، ورسالة الاديب في جهاده ابدى مدى وايقي ارا لانها مرآة تبرز الصور الجييلة وتسقط منها انوار المعرفة التي لولهاا لظلت مظلومة في السطور محتجة وراء الستور .

وها هي مجلة «الاديب» الرصينة تجتاز مرحلتها الصحفية الخامسة والعشرين ، سالكة سبيل الصدق في القول ، والامانة للجمال ، والوفاء للادب والادباء ، لقد تلاقى في سماء العروبة الصافية نهجها الساطع ، واستمدت حيائها من الاخلاص بالقول والعمل ، والفيرة على الادب الصحيح ، والبحوث النافعة ، في عصر لا يزال فيه الادب العربي في نشاته ، ولا يزال متلوقوه فلة تعد على الاصابع ، ولا تزال فيه الحكومات غافلة عن تشجيع رجال الفكر والقلم ، ومناصرة القائمين بالابلاغرسالتهنم الى العالم العربي .

ان مجلة الاديب مقسمار يتبارى فيه نوايغ حملة الافلام في دنيا العرب بما يتجولة ويتفقدونه من درر البيان وما يذيعونه على قراء العربية من حقائق علمية ، وروائع فكرية ، فهي النظام الذي تنظم فيه عولواديب، وهي مجلى الفكر ومجمع الآراء ووسيلة التعارف بين الادباء في مختلف الطائر الشرق ، بل هي مدرسة يجد فيها كل ناشئ ما يهدهي الى الادب الصحيح وما يعلا به ذاكرته من كنوز المعرفة .

فهنيئا للاستاذ البير ادب منشئ الاديب بعيد مجلته الفضي ، مد الله في عمره واسع عليه نوب العافية ، ودام له صفاء التفرحة والوفادة والفيرة الممتدة ، ليظل قائما على خدمة الادباء والادباء ، ولكي يتاح له ان يعثقل هو ومعارفه وفراؤه بعيد الاديب المالي ان شاء الله .

جرجي نصر بكاسين - لبنان

مطلوب من الدولة مليون ليرة لاجل الادب والادباء

عندما نبعت في جوائز الكتاب ، والجهود التي تبذلها جمعية اصدافاء الكتاب في هذا المجال ، فان قضية الكتاب كلها ، كما قلنا قبل اليوم، تطرح على صعيد البحث ، ولا سيما من زاوية موقف وسياسة وزارة التربية الوطنية .

لقد اعتادت وزارة التربية الوطنية في لبنان ، تخصيص مبلغ عشرة الاف ليرة لبنانية سنويا توزعها « مكافآت ومساعدات » للادباء اللبنانيين كل عام ، وفقا لاعتبارات لم يظهر في مرة واحدة انها كانت دائما اعتبارات ادبية صرفا ، فكان يعلى الادباء يعطى بيسن التكميلية او الخصمسية ليرة لبنانية سنويا .. فقط لا غير .. دون اي تبرير او معنى .. هكذا .. الى ان بدلت وزارة التربية موقفها لهذا العام فقصمت المشرة اليرة الى اربع جوائز بمعدل الفين وخمسمائة ليرة لكل واحدة منها ...

ومع ان البائدة تشكل تطورا نسبيا في مفهوم التقدير وفي رفع قيمة المساعدة المادية عما كانت عليه ، فان القضية الكبرى تبقى حيث هي ، من ناحية ضرورة تخصيص مليون ليرة لبنانية سنويا في موازنةالدولة - لا عشرة الاف ليرة لبنانية وحسب - لمساعدة الادباء على نشر نتاجهم، وتوزيعه ، وعلى توفير الحياة الكريمة لهم ، معيشيا واجتماعيا ...

تقافيا .

اما اذا بقيت موازونات الدولة اللبنانية ترتفع سنة بعد سنة ، بمعدل عشرات الالافين دون ان يرصد مبلغ المليون ليرة المطلوب ، لاجل الادب والادباء فان قضايا الادب والادباء ستظل يتيسع وستظل الدولة على تقصيرها .

كرمي لميوتهم وطعما بمشاركتهن في ثرواتهم ، بل شعورا بواجب ايراز هذه الامكانيات وتوجيه فاعليتها لخير المجموع والوطن ، فكلت الافلانا اكثر خصيا من جهدهم في جمع المال . وبين لحظات ولحظات برز في الجالية محسنون وغيورون واسخياء ووجهاء كانوا لولا الافلانا في زوايا ما يشبه النسيان ، ومدحاهم لاعتبارنا انهم لم يعودوا ملك انفسهم بل اصبحوا ملك المجتمع ، ونقشيتا بمحاضهم وسرت في الاجزاء الناشيد المتناخر بهم ، ولقدماههم عليتا في الصدرات وتعدت شهرتهن حدود هذا المحيط الى سواء ، فكلت هذه الثروة الخفية التي جلبتها الافلانا اعظم وايدع وابلغ اثرها واسمى منزلة من كل ما جمعه من اموال .

هاكم يا الزراء الجالية كفتي الميزان ، فلتلمسوا ايها اخذا تخرج. نحن في ميادين الكفاح نلود من كرامتنا وهي كرامتك جميعا وهي قبل كل شيء كرامة وطننا وقضايانا العليا . نحن عرضنا صدورنا لسهام الامددة فسال نجيحها مزروجا بجعر الافلانا ، ودمائنا دماء اعزاء لا دماء الالاء .

ونحن في المؤسسات اداة تنظيم وايواق دعابة ونقاط انطلاق ، وكلما شئت عليكم غارة ضربتم الدوبنا ، فكنا دائما القليلة المتخيرة والصوت المدافع المستغرق والصرخة المدوية والسهم الناشب .

لقد استغرق كتابة هذا المقال سبع ساعات من وقتي برحمت اسمم خلالها ثلاثة الاف او لثلاثة الاف واو ثلاثة ملايين ، نوفر لكم سماعت هيتية في بيوتكم العامرة وسيارات فخمة للتمتع بمتع الحياة وهي من حقم . ونبيي نحن فاعين وراء مكائنا الصغيرة نلود اعيننا من التطلع الى الازرار وقد اخترقنا بياضها بخطوط كدروب النمل ، عليها لفتح مما تكتب ونشطب ، ونركفي في صفحاتها خيالات تصيح بالفكر والاممال والاحلام ، ونظلل نبعت من معين لسد فراغ ما سفهنا من دم القلب وجحير ورجو وجهد العقل .

بعضكم اعطى . ولكن هل بمقدار ما اخذ وبأخذ .. وربما تقولون انها لقاء خدمة ؟ ونحن لسنا خداما لاحد ولا نسير في ركاب احد . في متاجرهم ومصانعهم عشرات ومئات المواطنين والعمال يتناحروكم ما يفرقه قانون العمل كميات وافرة من حقم لقاء اعاليهم في زيادة ارباحكم المادية ، فهل يصيبنا ما يصيبهم ؟ ونحن نبني لكم فيهم الجدية والجدية لكم عليها الد راية ولقدكانت الاف الالوسمة من الاعتزاز والتناخروالجاه اطبقوا فدانركم ايها الزراء ، فقد رجحت كفة القيم الروحية ولا يمكنكم التناضي عنها ، ففي اعماقكم اصابة وفي نفوسكم خير . مع كل ذلك يا زرايتنا الكرام ، يا مؤسسانا المحترمة وسفاراتنا الوفرة ، مع كل ذلك ، يقوم من يقول اننا لم نعمل شيئا وانه كان الاخرى بنا ان نتاجر بدلا من ان نضع الوقت مسودين الصفحات ودائرن على الابواب ... وهذا ما حملنا على ارسال هذا المقال .

نحن نلركم بالواجب الادبي النشع به في اعماقنا وانما نعمل ذلك لاننا نقيم وزنا لا لكتب.والاديب وان كاتر اساله المعنوي العقل الجاهد والمداعف اللادبي ، فكيف ايضا لمن لقاء انفاق الفوى واستنزاف القفدره . كما نعملون انتم ركضا من مكان الى مكان او جلوسا نعدون التلود ، وليست (صفة) القلم ولا (فيكرة) الكلام باقل تعيا مما نلاظون .

لقد لجسنت عاطفيا من نايتيه والويل لن رفدناه يوم نصب على راسه لعنة تحطه الى اسفل السافلين ، وطالما رفعت الافلام عروشا ودكت عروشا . دملت جراحاتي بغسل نمرسي ولانها كويت بنود ابائتي ولان علسة ما يشير نمردي اعراض خلاني وجود وفائتي المايشون حافية بمودنسي وانسا الذي نشرتهنم بولاني الجاحدون وقد نصبت لفرهم في كسل مرتفع اعز لواء الخائفون الموت جوعا اتهم فيسوى صلاتك لعنة البخلاد فاذا انتهت الى الهيكل فلنكنس

الْيَانَصِيبُ الْوَطْنِي اللَّبْنَانِي

مُؤَسَّسَةٌ حُكُومِيَّةٌ مَرَصَدٌ رِيغَمَا لِأَعْمَالٍ لِالْإِسْعَافِ الْإِجْتِمَاعِي

تَعْدِيَاتٌ هَامَّةٌ فِي جَوَازِ اصْطِدَارَاتِهَا

- | | |
|-----------------------------------|-------------------------|
| ٢٠ اصْطِدَارًا شَعْبِيًّا | الجائزة الكبرى ٢٥٠٠٠ ل. |
| ١٨ اصْطِدَارًا شَعْبِيًّا خَاصًّا | الجائزة الكبرى ٤٠٠٠٠ ل. |
| ٤ اصْطِدَارَاتٌ سُويِسْتِيكَ | الجائزة الكبرى ٥٠٠٠٠ ل. |
| ٧ اصْطِدَارَاتٌ عَادِيَّةٌ | الجائزة الكبرى ٦٠٠٠٠ ل. |



تُدْفَعُ أَجْوَازُ فِي الْمَدِيرِيَّةِ
مُعَفَاةً مِنْ كَافَةِ الرُّسُومِ وَالضَّرَائِبِ



— صحفيان تريد مقابلة اختك لتجري معها حديثاً ...

— اهلاً وسهلاً ... نفضل ...

ثم قادنا الى غرفة ضيقة على عيين الباب ، اصطفت على جدرانها خزائن الكتب ، افردت احداها للكتب الانكليزية فقط ... وعلى طاولة هرمة تكسدت اصداف بحرية كبيرة ، واحجار مخرومة ، وتماثيل عليها مسحة من القدم ... كل ما في الغرفة يوحي اليك بالبلد ، حتى الستائر الازرقية واللوحات الملقة .

دقائق معدودات عادت الإخت بعدها لتستأنف حديثها ، ونهت من الباب قائلة : هنا .. هنا .. وفي هذه الغرفة بالذات كان يجتمع ادياء الطليعة في الشام ... على هذا الكرسي كان يجلس الشاعر الكبير خليل مردم بك ، وعلى ذاك المنفذ كان يجلس الشاعر ابو سلمى (عبد الكريم الكرمي) واخوه المرحوم احمد شاكور ، وشفيق جبري ، وفارس الخوري وغيرهم وغيرهم ... اين هم الآن ؟ اين نغرفوا ؟ كيف اتفصوا عنا ؟ لم يعد احد يطرق بابنا ، بابنا الذي ما اعتاد ان يستقبل غير الادياء لكن ...

وما اكثر الاخوان حين نلهم ولكنهم في النأياب قليل

الف شكر لكما تسالاني عن أختي المنسية ... أختي التي جهرت بالحق يوم كان قول الحق دونه الموت الزؤام ، وزارت السجن ، واتقدت الاحرار من جبال الشناق ... انها اليوم متروكة ، مهملات ! ... وعلى هذه الصورة ودعنا الأخت ، دون ان نلطف برؤية ماري ، ولما استأذنت بمشاهدتها فوبلت بالاعتذار ، ذلك لان رؤية الآخرين تؤذيها ، وتترك في نفسها نوبات الحقد والغضب والكراهية !

ثم وحت الردد على ذلك المنزل الضام ، بقوس ضلوعه على فتانين الشين في خريف العمر ، ويخون عليهما ، كيف لا ، وفيه تربنا مع عدد من الأخوة والاخوات كلهم نالوا ... هذا الذي مات في ميعه الصبا ، وتلك التي انطفت اخبارها في القبره .

وإما يوم البحث على النكتة ان تقدمي لاختها الادبية ، ولكتها اعترفت هذه المرة بـ « استغفار » واعادت على مسمي النعم القديم نفسه ... ولكي لا تسد في وجهي كل منقذ زينت لماري ان تغادر غرفتها الى غرفة اخرى في البيت المقابل ... وكان عليها ان تجتاز صحن المدار لتصلها ، فربنا من حيث لا نراي . وكانت تلك أول مرة أرى فيها ماري عجمي في الرابعة والسبعين من عمرها .

ثم التفتدني الى غرفة اختها ، فاذا ثم منظر عجب ، خلق في ذهني مشرات الاسئلة : سرير معلق كالارحوجة ، وضع عليه فراش ولير ، تمام عليه اذا نمرت عيناها على الادياء ، وفي فجوة الشباك الكبير بنمتب جهاز تلفزيون ، وقربه مذبح متوسط الحجم ، وعلى الديوان المقابل انتشرت مجلات قديمة ، فيها احاديث وروايات كتبت عنها ، بينها اعداد قديمة من مجلتي « المروسي » التي عاشت احد عشر عاما متقطعا ... كلها تريد ان تسترجع ماضيها الداهب ، وتستعيد ذكرياته الخنونه ، وتود لو يعيش اسمها في يومها ، ولكن عيناها ان يعود الاسم ، فما مفسى فسات !

ليس في الامر غريبة ، فالانسان عندما يبلغ هذا السن ، ويدركه الكبر ، يرتد منكفئا الى اقصيه ليجدنا عنه حديثا متعنا ، وبخاصة اذا حرم ، فيما بعد ، مما كان له في صباه ، كتبه يمتنى ان يحافظ على مرحلة واحدة من مراحل الحياة ، هي مرحلة الغطاء والخشب والثناء ، مرحلة التفساة ايام كان العود رطيبا ... ان الزنداد الى حالة من حالات الطفولة أو الشباب شيء معروف في علم النفس عن البشر ، منها تنزل بهم التوازل ، ونحيط بهم الالتزام من كل جانب ، فلا يرون مهربا غير اللجوء الى هذه العملية التراجعية .

يا ... كنت ، وأنا انامل صور اللوحي في كل زاوية من زوايا الغرفة التي تبعث منها روائح الطعام ، وانظر بقايا الاكل متناثرة على منضدة مطبخها الصغير ، ضرب عليه بستان ، اقول كنت وأنا اعمل



عيسى فتوح

ماري عجمي

بقلم عيسى فتوح

علق يدهني ، وأنا طالب صغير اتلمذ على كتاب « الشوق » اسماء لاديبات من لبنان وسورية ، ما زالت صورهن تطبع في ذاكرتي حتى اليوم ، لا ادري لماذا ؟ هل لان الرسام كان يجيد في ايداعها وتلوينها او لان النصوص التي كانت تختار لهن مشوقة وجذابة ؟ ... فقمنا آنس لان تلك الصفحات التي عرفني بكل من : مي زيادة ، ووردة البازجي ، ولبيبة هاشم ، ونجلا ابي اللصع ، ونظيرة زين الدين ، وسلمى صائغ ، وعاري عجمي ... وهم كانت فرحتي كبيرة يوم عثرت على كتاب « النسمات » لسمي صائغ ، وعلى رواية اسمها « قلب الرجل » للبيبة هاشم ، فافنتيهما افتناء فشين !

وراحت الاعوام تنظوي ، وتزيديني الحاحا على المعرفة ، اسقط نتاج المرأة الادبي باهتمام ، على حدالة سني - حتى عام ١٩٥٥ اذ اتبع لي ان احضر دروس الشهادة الثانوية في معهد قريب جدا من منزل الانسة ماري عجمي بدمشق ، فاستأنف في خاطري ذكريات الطفولة مع « الشوق » ، وفز من بينها اسم ماري عجمي !

يا للمعاجة الغريبة الحلوة تغزو قلبي ، فتحملني على البوح بالامر لصديق دمشقي يحب التقني ، ويوى التابعة ... وما هي الا ساعات بين ولادة الفكرة وطرحها ، حتى كتا - انا وهو - نقرع بالمطرفة بابا قديما من تلك الابواب التي يكثر وجودها في « الحارة الجوانية » من زقاق « طالع الفضة » ، فتخرج اليها امرأة قصيرة القامة ، بيضاء الشعر تسالنا عن مرادنا ...

— هل حضرتك ماري عجمي ؟

— كلا ... انا اختها ... من انما ؟

نعم ... ماتت ماري عجمي في ٢٥ - ١٢ - ١٩٦٥ بدمشق ، ماتت دون شجيع او جلية ، حتى انه لم يرافقها الى القبرة سوى ١٦ شخصا من اقربائها ليس بينهم اديب الا أفراد الشايب .

ذلك ، اسع الانحان الشجيرة نفتحتها تأمل الشاعرة العجوز ، وهي تلمس مفاتيح البيانو ... وهكذا تبدد الالم الشيوخة كل يوم ...
ولدت ماري عيسى في ١٤ ايار (مايو) سنة ١٨٨٨ من أسرة حموية الأصل ، نزع جدها الى دمشق منذ مئتي عام او اكثر . وتلقت علومها في المدرستين الروسية والارثوذكسية ، الى ان نالت شهادتها في الثانية عام ١٩٠٢ ، وبعد ان مارست التعليم عاما وحدا تخصصت بالكتابة الاميركية في بيروت لتدريس التعريب ، الا ان حالتها الصحية لم تسمح لها متابعة الدراسة ، فعدت الى دمشق لتلقى اهلها كاسفة الابل ، فلكة الخاطر .

ونظي فترة ، واذا ماري استاذة للادب العربي في معهد الفرنسيسكان ، تدرس طالبات الصفوف العليا المادة التي شغفت بها منذ ان شبت عن الطوق ، فظهر من سلامة المتطق ، وقوة العبارة ، وعمق التحليل ، واتانة العرض ما جعلها تنلقل قلوب تلميذاتها ، وتأسر اسماعهن ، وكيف لا تؤني ماري كل هاليك الصفات ، وهي الادبية الذوقية ، والشاعرة الرفعة الحس ، اذا سمعتها تتحدث عن المعري او الجاحظ خلت نفسك امام استاذ جامعي افني عمره في الدرس والمطالعة والبحث والتقييم . لقد نالت نلس ماري ان تتعرف الى بلد غير بلدها ، وعادات غير عاداته ، فسافرت الى العراق مع من سافر لتتابع هناك دروسها التي بدانها في دمشق ، الا ان المقام نيا بها ، فهاضت فيه سنوات ، لم تطل ، ميزوجة بالصدق والندس والكيد ، ليس لسبب الا حسد بني قومها في الشام الذين ساءهم ان يروا ماري تلقي الاكرام ، وتنال بسروعة حلقا وافرنا من الشهرة والاعية ، ولذلك فكلت راجعة لنحل في نفسها شخشا وتاقل من الفيلب التكموم ، والالم الصامت ، والوردوة العذبة ، وانزوت في بيتها مقفورة على الاشتراك في الجمعيات النسائية والخيرية ، كانها لم تكن بالاسي القريب بنت دمشق المناضلة التي عرضت نفسها للذلال مرة من اجل شعبها الجاحد .

لم تقتصر ماري على تعليم بنات قومها يوم لم يكن في الشام تلميها « امرأة تحسن الاملاء والانشاء بله حمل القلم » بل شاركت في التلمية النسائية والادبية بمجلتها « العروس » التي اشاعتها عام ١٩١٠ بعد ان نظمت جميع العنايت ، واولها عية والدها الذي كان يقتنلها . « دعي هذه المجلة يا ابنتي ، فقد كانا الله سر الاستجداء والهوان » ما دام الاب يدب في بلادنا ما يبرح من قبيل الاحسان » وحملت اعيابها نفسها لا تنتظر المون من مخلوق الا دابها وعلو معنها ، تدعو من ورائها الى تحرير المرأة وتثقيفها ، ورفع شأنها ، وتسدد فيها الظمن للمستعمر التركي مرة لو مرة ، غير هياة ظم الطاغية جمال باشا ، ولا مكتزته بمشائفته التي كانت تززع الساعات .

عاشت « العروس » اربع سنوات لم توفقت بسبب نشوب الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤ ولانها رفضت كل معونة يقدمها القاصب ، وامتنعت عن قبول اية مساعدة تهدف الى جعلها يوقسا بنفخ بانواق الطلقة ، ومعية بركونها للوروس في مآربهم الخفية ، بينما عاشت صحف ماجورة اخرى على هذا المون الرخيص ، تفرق اصحابها بالتممة السابقة ، والترف الباذخ ، ولو تبعت دروبهم الموجة لكان لها من مجلتها خير وفيير .

كان ماري التي حملت اعياء هذه الرسالة ابنت ان تنام على ضيم ، فما كان يد يغيب شيع الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٨ حتى عدلت مجلتها الى الصدور ، تقاسمها لقمة العيش ، ونسقيها ذوب العينين ، آية هذه المرة ايضا ان نفتح فيها لريز بابنها من طرق غيسر مشروعة ، محققة فيها قول عنتره المصي :

ولقد ابنت على الطوى واطله حتى اتال به كريم الماكل

ونروي ماري لقصة هذا التابي عندما استعمل المستعمر الفرنسي - وبرت المستعمر التركي - هذا الاسلحة في شروا الفصائل القبول : « بعد ايام قليلة انقضت على استيلاء فرنسا على دمشق جامتي شرطي

برفقة يدعونني فيها رئيس الوزراء الجديد الى اجتماع اراد عقده ، فخططت عني كلمة « تلبفت » وابنت ان الي الدعوة ، وبعد انعقاد الاجتماع سالت عن القصد منه ، فقيل لي ان مدير ادارة المطبوعات الفرنسية خلب في العصور ، وهم الكتاب ، وعلمهم (كيف يكتبون) ووزع عليهم ورقا بلا يمن ، وودعهم بالأسادة ، ولم يمر روح طويل على ذلك حتى جعل احد معارفي يتردد الي مساء محالوا افتاعي : باتي اذا هتفت لفرنسا ، واتشأت المصقول ، معددة الاصلاحات التي تقصد الانتداب علينا من اجلها ، فزت باجر شهري ضخم من الذهب الهواج . وشهد منه ذلك بعض معارفي ، فحاولوا مساعدته على افتاعي بالبول ، ثم طفقوا يسخرون معه مني لاصراي على الرفض ، الى ان فاجانه يوما بقولي : ما هي الاصلاحات التي تريد ان اكتب عنها ؟ قال : علي ان اتيك بالقائمة مرة بعد اخرى ، وعليك افتاع القوم بها شافها وخفاية وكتابة . قلت لتتجز فرنسا اولما ما تعدنا به من الاصلاحات ، فارتسم بذكرها جعانا ! فكان جوابي له آخر عقده به .»

عاشت مجلة العروس في صدورنا الثاني سبع سنوات حتى توفقت نهائيا عام ١٩٢٥ ، وبذلك يكون مجموع السنوات التي صدرت فيها احدى عشرة سنة ، فقاب بقياتها كل نشاط صحفي للمرأة في سورية . ولنا كل الامل ان تتألف هذا الصيب سيدة او آمنة ابويت همه ماري وعزميتها لسد الفراغ الذي كانت تسده .

لقد رزقت ماري موهبة شريفة فلة قلما نرى مثيلها عند شاعرات اليوم ، ولولا انصرافها للصحافة احدى عشر عاما ، وللتدريس ومناهضة الفاصيين ، لكان لنا من فريحتها القياصة اكثر من ديوان ، ومع هذا فان ما نظفته من الشعر يربو على ما كتبه من النثر ، او يعادله ، بعضه سرق ، وبعضه - وهو قليل - نشر في مختارها التي اصدرتها الرابطة الثقافية السنية بدمشق ، وبعضه الثالث ما زال مغلوبا بعلوه القمار ، وينظر يدا امينة مظلمة تزحزحه من مكانه ليري النور .

ان شعر الماري يوشك ان يكون القاسم المشترك الاظم للمختارات التي بين ايدينا ، فدمت التي الهمت بيطيبتها الفاتنة اكثر من شاعر زارها ، او عاش في احضانها ، من البدعي ان تعد شاعرتها الذوقية بالاف نظارة العذبة ، واذا هي لم تفرح الى الفوفة ، فدارها الفيجة الشجرة غارة في قلب غوفة ، تزدهي بالورد اشكالا والوانا . ومن هنا كان للربيع في شعرها اكثر من قصيدة تذكر فيها الشام التي ترتبط - في ذهنها - بالزهر والميرير والشجر والفلال والثمار :

خل اللواصج والفكر
وامرح بوجنات الشكر
حيث الربيع مخيم
والوج يعبت بالسدور
معال اللجين يمانه
فومن احب لنسوده
اشهى السي من اللا
انا اغشق الانهار ما
اهوى الخزام وما روت
واحب ترسرة الشبوا
من لا تشوقه النسي
جهل الشوقه وفنته
وغدا كفصن قد لذي

وهي اذا تصف الربيع لا تنسى ان تذكر قومها القاطنين بان يربوا من رفاهم ، وينفصوا من جوفهم آثار النوم ويستيقظوا من سباتهم العميق كما يستيقظ الربيع بعد الشتاء . فان هم من مجدهم القديم ، وتاريخهم الحافل بالامجاد والبطولات :

بقا فوم اينس بريكمس
اين الصفاء واين معبد
ليست وباسكم الحدا
اين الروائع والقرى ؟
اين القديم وما هو
ايسى على حظ عشر

لم لا تصود مع الربيع
يخسر فيه رجسؤه
ومن يمن في اوصافها يدرك اعتماده الكبير على المزيّنات دون
الخلجات والتنبّات والتأثرات التي تعدها فينا رؤية المناظر الخلابة ،
فهى بهذا واصفة وضعية ترسم من الطبيعة ما يبدو لعيناها الباصرة
فقط . وشعرها مدى لاجاب العين ، وليس صدى لاجاب القلب
والنفس ، كلها لم تدرك حى الطبيعة ، شأنها شان اكثر الاندلسيين
وكابن خالدة وابن حمديس وغيرهما ، وبقرها منهم ما نهم بتدليجة
القفلية ، والتزييق الكلامي اكثر مما نهم بتعميق الفكرة ، والفوص
على المعاني ، كأنها تريد ان نطفي فقر هذا يهجرة ذلك ، عذرها انها
عاشت في اعقاب عصور الانحطاط التي اقامت بناء اللغز شامخا قولها :

نصا الزوى عنه رداء النام
والقى عليه وشاح الزهر
افاحسوا للربيع المقام
فقد اجبل الموكب المنتظر
على السهل منه بساط نصير
توشى بهلى فنون الخيال
تفرق لى لجين الفدير
وسدست اليه الطيور الرحال
لقد حشد الزوى جيش البديع
وزاد الحماى احمرار الشقيق
وما وفا السود ذيل الربيع
ولكن حياة سرت في العروق
ومن غريب الصدف ان تلقى ماري في احدى قصائدها التي تصف
فيها الربيع مع شوقي ، فيقع الخاطر على الخاطر ، كما يقع الحافر
على الحافى ، وتتفق المقطوعتان بالوزن والقافية والوصاف والتنبّهات :

يقول شوقي :

مرجبا بالربيع في ريعانه
وبتسواره وطيب زمانه
زفت الارض في موكب اذا
ر وشب الزمان في مهرجانه
نزل المهل حاكك البثر يمني
فيه شتى الاير في سباته
يعزى الخيال زاد على الطيف
واربى عليه في الوانه
صيفه الله ايسن منها
فراثيل ومنقاسه وسحر بياته ؟
وتقول ماري عجمي :

مرجبا الزهر في ندى جنتاه
واتنسى القلب من رحيق دنياه
طربا بالربيع ان هو غنى
او بكسى عاكشيه في ليلانه
لم يبق وجهه الجميل ولكن
كان في القلب مالا يقيانه
الجل السوسن المشمم يبدي
لاجع الشوق في ندى اجفانه
مزق الوجد عن سناه نقايا
فيدا في ارتعاشه وافتانه
ان ما اخذه العفاد على شوقي في هذه القصيدة ، من انه وصف
الربيع وصفا خاليا من كل احساس « فلم يهتم بالالهام والاصداء »
ولم يبن بسكانته الخفايا ، واصطاد الاطياف والارواح ، وتصوير
تزعزعة التسود ، وخفقات الاحساس ، واشباه هذه الاشياء التي يشغلها
الربيع ، ويعطى كل شاعر منها بمقدار « اقول ان ما اخذه العفاد على
شوقي يمكن ان نأخذها هنا على الشاعرة ، لان الشيء الوحيد الذي
كان يشغلها عند النظم « هو الايمان بتنبّهات ، تقف العين عندها ولا
يقف القلب ، تومض في افق النفس لحظة ، ثم تغيب كما شئت منها
لم يكن ، فالبراعة - كل البراعة - ان يقال عن الزهرة ما هي ، لا ماذا
تنبه ، ما دامت عملية قرن الاشياء بنظائرهما من السهولة بكمكان .
ومهما يكن من امر الشاعرة بولمة بالقيمة ولما غريبا ، حتى
لتمتني دائما ان تمر المدينة وموضعاها ، وعواهلها المشجونة باليفس
والكرامية تمتعش في احضان الرضا ، تام وتصعد على نظريب
المصافير ، وهيئة التسانم ، تداعب الزهر ، فيرسل الزهر غيره ،
وتدعو الفرائس ليكون رسلها الى الحبيب البعيد ، تحمله شوقها
ولهفتها وحيتها... ومن اخف من الفرائس لطير ويكون الرسول الامين :

ما رايت الفصن الا
كساد لبيبي ان يطير
اتسره اذا جنح
من خفوق وذفير
ليت لي عشا هنشلا
عند سفح وقدير
وهزار السود جباري
يملا الجو صغير

وفرش الحقل من رسل الى الخلد الاير
افطح الافاق شوقا في حمى البند المير
كلما داعبت زهرا
ارسل الزهر العبير
ان تلاحظ شافية هذا الشعر ولطافته المرفة ، يتسلل مصحوبا
بموسيقى كانتية ، عذبة الجرس ، جميلة الوقع في النفوس ... ان
فيه طاقة فائقة هائلة ، مصدرها هذا القلب الذي اوتي الفن والالهام
صغيرا ... اياك في ان نصيح السمع لعزف الريح وسقسقة الجداول ،
وتفرد الصافير ، وحفيف اوراق الشجر تداعبها الانسام ، لنتملك
اكثر طاقة شعرية وموسيقية ؟

سالوا الشاعر المهجري الياس فرحات : عن اخذت القزلي ، ومن
تعلمت النظم ، وابن درست العروض وتلقيت البيان ، وانت لم تدخل
المدارس في طلب العلم ؟ فكان جوابه :

فقلت : علم القزلي صيبا
عن الطير وهي تقني السحر
وعن خرافات طيل التسييم
بصر فيشفي عليل البشر
وعن حركات مياه الجداول
شوق الجلامد بين الشجر
افسأل الشاعرة بعد هذا من اين لها كل هذه الفاتية ، ونحن نعلم
ان الطبيعة سيدها الشعراء ، واستاذة الفنانين ، وربة المهتمين ... من
هنا ندرس سر ولها دراسة الصامتة ، حتى تعتبر اقتراس الارض ،
وشرب عذب المياه ، اطيب العيش عندها :

واطيب العيش اقتراس الترى
بشرسة من سليل عجب
في ظل دوح عابق بالندا
بهتر في الاصباح والعندليب
فالذا طوبى هذا اللون من شعرها ، برز الينا لون ثان الصن بالنفس ،
والهرب الى الطبيعة الفيزيولوجية للكرة من اي لون آخر ... فالحه
خلق الشجرة لتزهر وتثمر - وكل شجرة لا تثمر لمرأ جيدا تقطع وتلقى
في التان كما قال السيد المسح - وخلق المرآة لتجيب الاولاد ، فالحه
حزمت نعمة الامومة ، استلحت نفسيها ، وتغير مزاجها ، الا اذا
استطاعت ان تصعد فوقها القزلية في آفاق الفن والادب ، والهويات
الآخرى ... وقد تنصّر هذه المجالات كلها عن امتصاص تلك البيول ،
فتقع عندك فرصة الاشراس النفسية ، ومن بينها « جنون العواص »
كما حدثت لي وانا في اواخر ايامها ، ولا نستبعد ان الامر نفسه وقع
لماري عجمي التي حاولت ان تسعد بالاطفال ، ولكنها لم تجد حولها غير
اطفال القرياء :

هم الاطفال في الدروس حلوا
كصفو الراح في كأس الشراب
خفاف كالطيور اذا اطمأنوا
وان جزعوا انقضا اثر التهاب
خيماهم على جنتات عدن
وماؤهم على متن السحاب
وتزعمهم الهوى واللفظ در
وجهم هوى اهل اللباب
ولذلك لا غرو اذا راينا الشاعرة تجزع على الاطفال ، ويعضاها
ان يعصيهام مكروه ، وتمتني لو في استطاعتها ان تقدم اطفال الانسانية
جمعا ... هذه الاحاسيس نفسها هي التي جعلتها نصف اليتيمة
فتعبد ، وتنفق مع الرضا في طيبة الشعراء الانسانيين الذين وسعت
قلوبهم الكبيرة يؤس التيامي والارامل ، واثات الجروحين والتامسين
والكوكبين .

وبراعة ماري في انها استطاعت ان تنقل الينا حركات الطفلة اليتيمة
وهي تسال الوساد عن غاب طبعه ، وتلقبها بمرارة ، لعل فيها شيئا
من ذاكى مبيره ... ولكن لا احد يجب السؤال غير الخيبة ، وغير
الفسراق :

تاتى الوساد تدعوه مقلبة
هذب الوساد وقد خابت امانها
هنا... بنام حبيب القلب والدها
هنا... الاغاني التي كانت تغنيها
هنا... فراغ... لا ماذا ؟ اين طمته
وبعن الليل والاشجان تكويها
اين اللراع التي كانت توفيقها
اين التسفا التي تموي لقلبتها
ما للمغاني سكوت لا تتاجبها
امات (بابا) فلا اقل له اترا
وهل توارى عن الازهار شادها

لم يترك الموت حينئذ منه أو كيدا
نفسي بالقرع الزاهي بظلمته
وبالبراسيل نالوس مفردة
وادمع الفجر تجري فوق وجنتها
إن عينا لا تندی بالدمع لتسمر كهذا ، عين لا تعرف الحزن أبدا ،
وان قلبا لا يرق وينفطر ، قلب من رخام أو جليد أولى به أن يكون
مفككة للماه ، من أن يكون قلب إنسان يحس ويشعر .
ولكي تكمل ماري هذه الحلقة من الانعطاف النفسي ، والمشاركة
الوجدانية للشيء والاطفال لا نسي أن تراق الفلاح إلى حقله ، والجندي
إلى معركته ، ترسم لوحة لهذه الأشياء الكبيرة ، والمهام الجسيمة
والمسؤوليات العريضة التي يسطع بها كل منهما ... انهما عماد الأمة
- كل أمة - ودمعها الوافية ، وحصنها الحصين ، وقلوبها الشامخ ،
ومع ذلك ترانا نعيم الفلاح يفتشونه كفيه ، وفسادة جلده الذي حرته
اشعة الشمس ، ونثني انها سقته العافية والنفاسة ، وقلوب الصبر ،
وشدة الاحتمال ... تنبه عليه ، ويا ليت لنا مثل صفاء باله ، ونقاء
قلبه ، واطمئنان نفسه ، وسلامة طويته :

لئن خنست منه الديان فكف
سماح، وان الجود بسط الأمان
يتبه عليه المتفرون بما لهم
وليت لهم مثل ابتسامة عامل
فان افروا لم تعرف الهدى عينه
وان بطروا أتني على خير واصل
وأحلى تشديد في الليالي سماعه
تشيد غيوم الاق تقهي بوابل
هو الساعد المختول لا يعرف الوئى
هو الهممة الفصاء دون تضاؤل

أما الجندي فكفاحه ادنى وأمر ، وذرره في حفظ كيان الأمة اعظم
وأجل ... فلماذا تقول بالذي يجعل مغاليت الموت يديه ، واشتمال
الطلق يعينيه ، ويرغمي تحت الشظايا تهرع عليه كالطير ، فيخني في
تجاويف الصدور ، أو يختر صرعا بين ظلام الشقوق :

ويكفيه مقاييس الردى
ويبعينه القصاد الهاجر -
وحزام كسرت أسنانه
بغوى شبهة الضى ذاتيرة
وهي نثار كلفت اشعلها
أفطت ثار الخلد التافه
وإذا صر به الموت ارتضى
راكدا تحت الشظايا المظفرة
أو توارى عند سفع التخصي
أو هوى بين الشقوق الباقية

وقيل أن النفس يدي من هذه الدراسة لا بد أن اشير إلى قصيدتين
الاولى ردت بها أمير الشعراء أحمد شوقي ، والثانية ردت بها فيصل
الاول ، فبلغت في الانتئين اللدوة ، وإذا نحن تجاوزنا الاولى ، فلا
يسعنا الا أن نقف عند الثانية ولو وقفه قصيرة ، نأمل فيها دلجانية
النحيب ، والحداد القافية ، وخطابية اللفظ ، ثم كيف راحت نتاجي
الطيارة التي حملت جثمان اليك الكبير ... ولعل روعة القصيدة في
هذه الفجوة التي تذكرنا بفجوة المتنبي ، وهذه الهوليات التي لم
يقدر عليها إلا أبو تمام في رثائه لاحد بن حميد الطوسي . تقول :

تواجه الشوق للراق طيفي
وتشري راية الخيل الكبير
أية أنت فهو فيك مسجي
وجناحه بين عصف ونسور
معدى في الفضاء ، في الصحرى ، في الحب ، ويميل على دروب البدر
والبري والرياح من كل هواءه نوساها يثقب صلد الصدور
ثم نادي البروق والرعد حتى
يستثير الفضاء حر الزفير
إن الحديث من ماري عجمي كشاعة فحسب لا يعلي لها إلا صورة
نصية ، أما النصف الآخر فيمكن في فكاحها السياسي والادبسي ،
كفاحها من أجل الوطن أولا والراة ثانيا ... جرت بالحق ، واستغشت
بالظلم ، يوم كان سيف جمال باشا مسلط يفرى الرقاب ، ومشايقه
منصوبة في دمشق وبيروت تستقبل الرؤوس بالعثرات ، ونسادت
بالحق ، يوم كان قول الحق دونه الموت السزائم ، وزارت السجون
مستعينة بفلوذ الفضلاء وأصحاب العطفات ، فلتسهمها تتحدث عن
سجن جامع العلق ، يوم جاءت تحمل رسالة إلى أحد الادياء من ذوي
فنتقول : « وجامع العلق جامع قديم ، يجري تحت ردهته الرحبة أحد

فروع نهر بردى ، وكانت تقسم ٢٠ سجينا من كل طبقات الأمة . وكانت
التوافد محكمة الؤفة ، قصيرة في باب الجامع الخشبي الحفير ،
يخال لناظرها انها فؤفة مدعنة ، لا احشود فيها من البقرة المتفحمة .
وكتبت انهم من محادثة من اريد من الشهداء بارشاء الخيل ، فيعدوه
لي ، ويخرجه إلى الجوى ... وكتبت اذا وفقت أحدث احدا من الادياء
السجنا سددت آتني بالتبديل لتنتاة الروح التي يستشوقونها ولا
يمزؤون ، وقد رأيت الفقراء يخرجون حنة من السجن مضى عليها اربع
وعشرون ساعة ! . وكان الادياء يفتشون الكراسي في الليالي الباردة
مخافة راية البوصى المتساب مزحما على تلك الفرش البالية الملهقة ! .
وكم مرة ضربت ماري الخفير بيديها ، ودخلت غير حافلة ، فيسبحك
الخفير من جرأها ، وتلع على ذلك بقولها : « نعم كنت جريئة ، وما
نال الخوف مني الا يوم قيل لي : ان هنا سجن النساء ، فبعصمت
من ثقب الياء وشقوفة ، قرابت منظرًا لثفت العرب في قلبي ، وتعودت
معها اني مسافة يوما للرجع مع اولئك النساء الماجرات ، اذا التي آتفت
من معاشره التألفات الخاليات من كل معنى ، ولو كن اغنى النساء .
أجل كم مرة كانت ترشو الخفير بربع مجيدي ، فيسمح لها برؤى من
نساء ، وبعد هذا كله كان يقال عنها : انها تلبس الاجور على مساعياها ،
لان الادياء يبنوا . كما تقول - قد تعود ان يقتل المروءة بتقصيه سهام
الظنون الى ذوي النخوة بدلا من تسجيهم ، والإعجاب بهم ، فكيف
لا تكون الزامات ، وتبقي الألف ، وتبعد الهمم .
هذا بعض ما كانت تطفله ماري ازاء اخواتها الذين اقتادهم
السلطان الى الآلية المظنة الهواد ظلمًا وعدوانا ، حتى اذا لم يسعها
الحظ فأخرجه ، واعدمو راحت تزييه قاتلة :

أما يرحون غارقين في رقادكم ايها الثائون ؟
أما تعبت اجنايتكم وملت من الصلوق بالرمال ؟
قوما ! فند نغم نوما طويلا !
إن نغمت الربيع نغلا الفصاء
والاطيار تساقط على الافئدة
والجدول تتادىكم ان حيا هوذا النبا
قد ركن الى الؤفوة وجدنا آتينا .

وبعد ... من غير ماري عجمي قاد المظاهرات نجتاح شوارع دمشق ،
تهتف ومن ورائها مئات الطالبات يهتفن : « فليمت الطالبة واثوانه ،
ولتكن سورية حرة اية عززة » . اقول من غيرها كان كيش المحرقة ،
استطلاع ان يصف بدقة وامانة مشاعر الادياء الذين حكم عليهم بالاعدام ،
كيف كانت تسقط اللقمة من شفاهم اثر مساعهم قول الدكتور حسين
حيدر : « انسيتم المشتقة يا اخوان » فيلتجئون إلى زوايا حجراتهم
فالدنين الشهية ، تاتين في دافد تلك الحقيقة الموجبة » .

من منا لا يدعش اذا عرف انها كانت تستعمل قسطل الماء ،
لتوصل رسائلها الشفوية الى اولئك الادياء من اعيان البلاد ، الذين
اتي بهم الى الشام من كل اطراف سورية وشواطئها ، ليلقوا اليها
غياية السجون ، ويلاقوا جزاءهم من محكمة الموت العرفية ؟ هذا ما
ترويه لنا ماري يوم جاءت تزور نغلة ناسا عفران فرأته « جالسا عند
الباب في مدخل مقراته القصبة المتخلفة السفك ، امامه سلسلة
ضخمة معلقة الى قدمه تزن ثلاثين رطلا ، لتفتقها كلما تحرك صدق
أجش ، وكان يرفعهما بيديه اذا مضى ، ولا رأي رفع يصمره الى وأشار
على الصامت ، مخافة الجواسيس والرقباء ، وانا أعجب لحامتة
وتجلده ، بعد ان نال تلك الاهانات ، ولطف وجهه بالاذلاء ، ووضف
مئات من الصفات الباقى آتاس لم يكن يرصى ان يكونوا له عبيدا ...
بلى عجبت وايم الحلق عجبا شديدا كيف لم يقع مريضا في الفراش على
الافل ، ولم ار من سبب لتسجنته النادرة ، وتجلده الفائق » .
واضفى من ذلك ان تصف لنا الخفير ، وهو يخفر بأتماله القدرة حفره
في قصعة من اللبن - ارسل أحد اصداقائها السجنا في طلبها - يخفر

بقطة الموت

يا صباح العيون فيك ارتحالي
واطوي القلل اسر القلال ...
ان اغني للفجر ذكرى الليالي
فيروي العيون دفق الانلالي
نحوال يعبو لجنسي نحوال

فيحيي العبير محل التلال
يوما عن فلفها للدوالي ؟
في حيا الكؤوس مرمي الخيال
بمعيير ميتهم الامال ؟
لجسوم نموها للزوال
معيدا للارض شتى القلال
تجذب الروح لامتناق الثال
معيدا عمره منى الاجيال
ونفسي الانوار سر الليالي
الهي بضميه للمحال ...

موسى العلوف

رد عن مقتني طيوف الجمال
ابدا انسج المشيبات بالحلم
كل همي ان غار في الافق نجم
يجرع اليدر من ذكاء فيها
انها سنة الاله على الارض

هوذا الورد بعصر الطيب في الفخ
انرى نعال الكروم يد القطاف
ان عقوده اذ مات يحييا
ام ترى تحلم الخراف مساء
انها في الصباح تفقد حياة
هكذا الدهر يحصد الناس في الارض
جنة الموت بقلقة ومثال
انا كم صفت من نجوم الاماني
ستزول الجبال والوحى باق
غير حلقى فانه طيف وهم

خناجرهم الجاه ! ولم نفيس عنها عما نرى ويرى غيرها ، وتقفل
سمعا عما يحدث كما فعل شوقي ، بل نزلت الى الساحة ، الى
البدان ، بلجها ايمان رايح الجذور ، وبقي عقيق بحق قومها المؤود !
ولا تحزن ان هذه النفس النائرة تبقى دوما نائرة مضطربة ، كما
بل لها خلوات وشطحات لا يعيش فيها احد غير فردتها ، تطلق العنان
لها اجسادها وملائكتها ، واسواقها ، ونمر ذاتها بمخاض فكري عنيف فاذا
بعصوت وجدانها بصح :
- انت يا شوق احلى واروع من كل ما يتفنى به المرء ، ويستنير به
من الاضواء .

- انت تبثنا انفاس الحياة ، وتعلمها اليانا من مقرها المجهول ،
وانسا لا اريد ان اموت .
لنكم هي الالة ماري عجمي التي اغفص الموت اجفاتها في الخامس
والعشرين من كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٩٦٥ ، والناس منصرفون
عن الموت الى مباحج الميلاد ...

لنكم هي اديبة الفيحاء التي قال فيها الشاعر الكبير المرحوم خليل
مرد بك : « لا احب من غواية المرأة الا غايتها في الادب ، وانما ما
يعجبني من ادب المرأة سحر الحياء ، وهذا العنيان مائلان في الالة
ماري عجمي » .

وقالت فيها السيدة وداد سكاكيني : « ان ادبنا النسائي المعاصر
ليزهو بشعر «ليلي» وما ليلي الا ماري عجمي التي اعادت الى الخواطر
ذكرى شاعرنا العريبات في عصور الجاهلية والاسلام ، على تفاوت في
الفكر والزاج والانتماء ، وان شعرها الرقيق يليق من حسنها الدقيق ،
يوحيه اليها ملاك لا شيطان » .

وقال فيها فقيه السياسة والادب المرحوم فارس الخوري :

يا اهيل البغريه سجلوا ههذي الشهاده
ان ماري العجميه هي مسي وزياده

عيسى فتوح

اللاذقية

للتبت مما فيها ، ثم كيف كان يلحس انامله لتظيرها مما علق بها ،
ومثل ذلك يفعل في غيرها من اللصاع !

ولكن الوصف لم يكن يجدي فتلا والناس فربقان : احرار وصفوا
في الزنانات او ابعدوا وشردوا ، وعبيد ياغوا القسم للفرير بيع
اللذ والصفار ، فلهؤلاء راحت تقول وتجار :

- ان نوبا وخطيا تهديه اليكم بلادكم يستقي لكم الفاعل
- قل لعبيد يتكروا بملابس الملوك ، واحرار برافصون على انقام
السلال والافلال ، انهم سيطلقون الى ما شاء الله عبيدا .
- ان نوبا وخطيا لا وشي له ولا بهاء ، لافضل من تلك الهارج السائرة
فباجة الفقر والجمود .

- الى مصنوعاتكم ايها السوربون فانها لراية لبلاد لم تبق لها راية .
- قل لهم ان امه هان على ابلاتها بدل الدماء ، ان يصعب عليها
الاتصار في ميادين الاممال .

- عار علينا يا شام ان تكون من ابتلاك الذين حيوتهم كل نعمة ،
ثم تلجا الى القريب وتنف امامه موقف الاستمطاء ليسخو علينا بفسالة
ماتنا الخاص .

- ذاك يوم تستعبدن فيه يا شام مجدك ليعود اليك النازحون من
ابنالك فلا تقلل بهم الدبار ، ولا يطردون من ابواب المهاجر .

ان امرأة تقول مثل هذا القول الحر الصريح الجريء ، وتتفانى كل
هذا التفاني في سبيل نفقة امها ، لاجدر ان توضع في صف المتاضلين
الخالدين وصانعي التاريخ امثال : الكواكبي ، واديب اسحق ، ومحمد
عبد ، ومصلطي كامل ، وسعد زغلول ، وجمال الدين الافغانسي
والريعاتي وچبران ... صحيح ان سلمى صائغ ، ومي زيادة حنسا
السوربين والبنياتيين على المقاومة والشعور بالقلم ، غير اننا لم نقرأ
لهما ادبا لاهيا ، توريا ، مزقولا ، كهذا الذي نقرأه عند ماري عجمي
فيعصف ويشير ... الا يكفي انها لم تعصم في برجها العاجي وهي
تسمع صرخات قومها تلهب السياط اجسادهم ، والابن الكبوت تعده



محمد رجب البيومي

فجر النهضة الادبية بمصر

بقلم محمد رجب البيومي

تحدث رفاعة الطنطاوي عن عيوب الطريقة الحشوية التي تعلم بها في الأزهر فكان أول آثار تعليمية عرف مكان الداء عن خيرة اليمه ، وكل من تار على هذه الطريقة تابع له ومقت أثره ، ولست بذلك نضال من جهود زعماء التجديد في الأزهر ، ولكننا نضم اليهم رائدا جعل مكانه في هذا الصغار ، وقد أتبع لرفاعة ان يكون فينا بعد مدرسا فويلا فنانا فمعيدا لمدارس ابتدائية وعالية بمصر والودان ، فاجتمع بعشرات المدرسين ، وأنجب مئات الطلاب ، وان مسلحا يحمل هذه الثورة بين جنبيه لا بد ان يترجم عنها في دروسه معلما ، وفي توجيهاته ناظرا فمعيدا ، وقد مهد بذلك لظهور طبقة من تلاميذه تعد الى الاسلوب المباشر في الدراسة حتى في دراسة الفقه والاصول وهما الصق العلوم بقبول المحتررات ، والاختلاف بين المنطق والمفهوم ، والملاحة في التعبير يعرف دون سواء ! فهايت كتابة تلميذه فدري باشا الفقهية - مثلا - ذات نمط متحرر سلس ! واذا كان ذلك في التاليف الفقهية فانه في غيره من ابواب العربية ادعى وأحرص .

واذا كان زميله الشيخ محمد عياد الطنطاوي قد رأى في اسلوب القامات نمطا بليغا يرفسيه فاززم نفسه بشرحها وتدرسيها للطلاب ، فان رفاعة قد حرص على اسلوبها المسجوع في كثير مما كتب ، اذ لم يستطع ان ينظت دفعة واحدة من قيود عصره مع ما رأى من اساليب كبار الادباء في فرنسا ، لان الانسان قبل كل شيء ، ولبد يمشيه وتربيته فمهما نار على بعض القيود والاضواغ فهاك ما لا يستطيع التحرر منه الا بمشقة تتطلب العزيمة الصارمة والاصرار المكين ، على انه وقد قرأ كتب الكبار من ادباء الفرنجة ، قد فهم ضروريا من الاحاسيس التيلية له لكن مما بهجس به شعور مصري قبله ، فهدى ذلك نظرتنا في اثر التربية الادبية في اذكاء مشاعر التحرر والاستقلال ، لقد نهض رفاعة نهضة فكرية ادبية حين قرأ فوثير وراسين وروس وميتسكيو ، ففرع معاني الوطنية والحربة وكره قيود الاستيصاد والتسلط والحكم الفردي ، ولو قدر لملانه من اعشاء البعثات الحربية والصناعية

والطبية ، ان يقرءوا ما قرأ لرجعوا الى ديارهم ليكونوا رابا عاما بعث التائمين من الرقاد ! ولكن الرجل رجع باحساسه الوطني ، كما يرجع الابن القرب الى ام عاجزة حرمت مموته وقتا طويلا ، وتشوقت الى لقائه في فلق ، فحين اذنى بين احضانها حاله ان يجد بؤسها قد تضاعف وسنها قد تنفقت ، وضعفها قد تكاثرت ! وهكذا رأى رفاعة محمد علي يغصب الاعلين اراضيهم ، ليجعلها جميعها في قبضته ويولي اعدائه الاجانب شئون الادارة والحيابة والسخرية في القرى والمدن ! فتصاعد زفراته الحبيسة ، وينشر لأول مرة تراتيم الوطنية وقصائد الحرية ، وينفض على تلاميذه وزملاته احاسيسه المثقلة ، فيبهون في الاحساس يشجون مصر ، ويطلعون بحربتها المرتقبة واستقلالها المأمول ! وقد اتجه الى الجبل الجديد بمصره بمكانة مصر ويدعو الى حب الوطن واقتدائه فالف كتاب المرشد الامين للبنات والبنين ، ومن صلفاحه هذه السطور : « فالوطني المخلص في حب الوطن ، يفدي وطنه بجمع منافع نفسه ، ويخدمه ببذل جميع ما يملك ، ويدفع عنه كل من تعرض له بفرض كما يدفع الولد عن ولده الشر فينبغي ان تكون نية ابناء الوطن دائما متوجهة في حق وطنهم الى الفاصلة والشرف فلا يرتكون شيئا مسا يخل بحقوق اوطانهم فيكون ميلهم الى ما فيه النفع والصالح كما ان الوطن نفسه يحمي ابناءه من جميع ما يضر به . الوطن هو عني الانسان الذي فيه درج ، ومنه خرج ، يجمع أسرته ، ومقطع سرته ، وهو البلد الذي نشأته تربته ، وغذاء هواؤه ، ورباه نسيه ، وحلت عنه التمانين فيه !! »

وقد أدرك ما للاناشيد الحماسية من اثر في ارتفاع الروح المعنوية ، وجذب على الأقدام والتاسحية متاثرا بتشيد فرنسا القومي « المارسيي » الذي احبه واعجب به فترجمه الى لغة بلاده ، ثم والى النظم على متواله ، فالى ياغاريذ جميلة سلسة تترنم بالوطن والجيش وتطلع الى الحرية والغزة كان يقول :

يا صاح حب الوطن	حلية كل فطن
مسلط البيردوس	تلفد للتفوس
تلقب كل بوس	عنا وكل حزن
ومصر ابهى مولد	لنا واژهى محتد
ومرربع ومعهده	للسروح او للبدن

الكون من مصر اقتبس	نورا وما عنه احتبس
فصر قديم يؤلصر	عن سادة وينشر
زهور مجيد تشر	منها العقول تجتس
او يقول من تشيد :	

وعزب الوطن تخدمه	برضا في النفس تحكمه
مسال المصري كذا دمه	ميدول في شرف الوطن
نقدس العيين ناظرها	والنفس يغير ناظرها
نهدي في نيل ناظرها	بشرا العليا القلى لمن

وامثال مدين من نطقه كثير ، وقد كتب الاستاذ عبد الرحمن الراهي مؤلفا عن شعراء الوطنية بدءا برفاعة وافاض في الحديث عن اثره القومي بما يسجل سببه الرائد ويقادته من تلاه من شعراء الكفاح ! وحين نفي هذا المصلح التحرر الى الودان بمشيتة عباس الاول ارقه ان يستبد هذا الفاشم المتفطرس بالامة فيؤسد المدارس وينكل باعضاء البعثات من المثقين ، ويحاول ان يرجع بالطلاب الى بلد دامتة اشمة الفجر واخذت نهض الطريق للصباح فعكف على ترجمة « مقامرات تليماك » لفيكتور ، وقد كان قسا فرنسيا وكل اليه لويس الرابع عشر تربية حفيده « اللوق دي بورجوني » ، ولكنه كان ساطعا على استبداد لويس واسلوبه الدكتاتوري في السيطرة والقمع ، فوضع هذه المقامرات ليتنقل بتلميذك بين البلدان المختلفة ، ويريه من اساليب الادارة والحكم ما يتقد به من

وراء ستار سيطرة لويس وأربابه وتحكمه الفردي دون معقب ، « ذلك عرى النافذون في هذا الكتاب صورة للحياة في فرنسا في القرن السابع عشر ، وعلى القارئ أن يعرف مسائل لويس الرابع عشر في الحكم والترف ليحفظ المفارقات على وجهها »

وقد ترجعها رفاة يعرف باستبداد عباس ، وإذا كان فيتلون قد استوحى الأدب اليوناني حين اختار ليلياك ووالده ألويس أحد أبطال طروادة ، ليعبر عن أفكاره السياسية في إطار من جوداته الأسطورية ، فإن رفاة بتمريه هذا الكتاب قد بدأ أول محاولة في العربية لنقل ما يشير إلى الأدب اليوناني القديم ، مما يجب أن يلتفت إليه الباحثون !

تنتهي من ذلك كله إلى أن بلور نهضة فكرية أدبية قد غرست في عهد محمد علي أو قبله ببسیر اباں الحلة الفرنسية ، وأن من طبيعة هذا البلد أن يبقى مدفونا في الأرض امدا غير بسیر ، حتى يشب وترعرع ، وأن نظر الناظر فيما فوق السطح فلم يجد خضرة تلوح ، الا ان البردة تنمو وتكامل ، حتى اذا مضى الوقت المناسب لتفتح الأرض من عيائها الخضر ، وقد يكون ائاه راذلا لا يسعف بالبري الكامل ، ولكنه يستطیع ان يحفظ للبردة عنصر البقاء ، وقد مضى عهد محمد علي والأرض توشك أن تخرج فرسها النافر فما استطاع اعصار عباس ان يقتله مهما عنف واشتد ، فقد اوصدت المدارس ، ولتلفت الوظائف الادارية اعضاء البعثات وأرجهم السلطان فكمسوا افواههم وحيدوا الله ان تجاوزهم الخطر بل على علمه بالاستعصال ، ولكن قوانين الحياة لا تظل باستبداد فرد ، فالطبيعة القادرة أقوى من أن تسلط عليها متسلط طال امده أو قصر ، وقد انتهى حكم عباس وسعيد ، وجاء اسماعيل مشرب الحق في مفارقة تزهر في الغرب ، ببدل ما ببدل لیری مصر وقد أصبحت قطعة من أوروبا المتحضرة وما هو ذا الفرس يشق الأرض وزهر ، وما هي ذي المدارس والمصحف والكتب والمطابع والمارح والبعثات نفیض وتكسح ، لقد انتهى عهد البعث والبعث عهد الانطلاق !

اراد اسماعيل ان ينشئ دولة مزدهرة الحضارة ، كما اراد محمد علي ، وأن اختلفت نظراتهما في الاسس والطرق التوخاة ، وقد نهضت الامة في عصر اسماعيل نهضات واثية ، لا تكونه أضدق نظر ، وأبدت تفكيراً ، واقوم سبيلاً ، بل لان الأرض قد أصبحت مهددة مستقيمة صالحة للفرس والري بعد ان انتسحت حركة البعثات السالفة ما فوق السطح من صخور واشواك ! وفي هذا اصدق دليل على ان الإصلاح لا ينبعث من فرد واحد ، بل لا بد ان تكون البيئة مهیة لقبول الإصلاح والتوجيه وان اعظم المصافة لا يستطيع ان ينهل باعة ما اذا كانت بمنى شاسع عن ارثائه ومثله ، وكمن من المصلحين من فلقوا بأرثائه إلى القمة ولكن أصواتهم لاثلاث في مهب الريح ، وقد مالوا بخصرائهم حين ابصروا عوامل الرجعية وقوى التزمت والجودوت نقلت افكارهم الحرة الناعضة ، وحين سمعوا عبارات السلف والعجنون والفردوس تصمد اسماعيل من معارضهم الكثيرين ، ثم والى الزمن سيره ونخب جيل وجيل ، وجاء من الناس من عرفوا الحق فاندكروا الفاضل العقلي الشاسع والواجب والنسبي البعيد الذين كانا يمتحان أوجه الاصلاح بين المصلح والواهب والتفتي المتفجرة ، لذلك شاء اسماعيل ان يجعل مصر قطعة من أوروبا فوجد من اعلام الامة من ظاهروه وساروا معه إلى ابعاد مسا يستطيعون ، وجد اعلام التربية الذين انشأوا المدارس العالية ، ولقوا الكتب المتنوعة وقاموا بالتدريس عن جدارة واستعداد ، ووجد حملة الافلام الذين فلقوا بالصحافة إلى مستوى لاقى فسي مدى لا يتسع لخطوات التطور الموحدة ، ووجد مؤلفي المسرحيات وترجمي الروايات الذين اسفوا المسرح النافذ بما يريد ، ووجد من الوزراء وفادة الامة من ساعدوه بدما وخالفوه خلافا بارزا حين مال إلى الاستبداد ونزع إلى الفردية المستطلة ، بل وجد مجلس الامة يقف في وجهه ، ويقبل رئيس وزرائه ، ويحدد السلطات ويناقش حدود الحاكم ، وجهات

اخصاصه !! هذه المعارضة الصائفة العاصفة دليل البظة الفكرية ، واية التقدم الانبي ! واليه يرجع الفضل فيما يقال من وثية الامة وتطلعا إلى اسدب الحضارة والعمران ، وسيرها في هذا الطريق إلى مبعيد !

وما يقال عن اسماعيل يقال عن جمال الدين مع الرابع الشاسع بين من يريد التندم للشرق والاسلام والانسانية وبين من يبني المجد لشخصه ، والتقدم لآسرته ، حتى يقول الناس انه عاقل مصر الواجد ! ورأسها المبر ! فان هذا المصلح الافغاني العظيم قد طاف ببلاد الشرق : نزل إلى فارس بعد اعطاضه بملك الافغان ورجل إلى الهند والحجاز مشيراً الغزائم ، وواصل السياحة حتى اعتقل بالاسانة ، ولم يجد في كل مكان يؤمه بيته مستنيرة تهش لتعاليمه ، ويشير بأماله غير مصر ، فمصر وحدها كانت مهد افكاره ومعتصم ارثائه سارع ابتناؤها المتفنون من الائتلاف حول رايته ، والارتشاف من معين اصلاحه ، فتوافد السباب زرافات ووحيدان إلى درسه بالبيت ثم إلى حديثه بالمقهى ، وقد نظر الركب العظيم فيمن حوله فرأى نفوسا منتظمة والانما متاهية ، وهما طامحة ، فلم ان جهاده ان يفسح ، وبحت من النشئ الفصح لاأفكار للاميذه فوجد الصحافة ميداناً صالحاً للركش والجهاد ففترس في لاميذه ، واخار ذوي السبق منهم للكتابة في حقوق الشعب ، وواجهانه ، فكان يحدد الموضوع ، ويشرح العناصر بدما ثم يتروك للكتاب ان يسير وفق استماده ، وتماقت بصحات الانطلاق مستهلمة روح هذا الداعية النائر ، فاربعث الأرض وصحا الناثون ...

جاء الحكم الافغاني ليوفد شملة الحرية في بلد أحس معاني الحرية ، فالحظ يضرب على وتر من تهو إلى الاذان ، وتتعلق به القلوب ، ونظم الخواص حين نصدق من يقول انه هو - وحده - الذي يث اقباس الحرية بحثاً ، فلم تكن كتابة الطهاولي قد ملأت بقاع الوادي قبل ان ينفذ هذا النائر الطموح ؟ او لم يكن رجال البعثات قد عادوا من أوروبا وفي نفوسهم نزوع وإمال ، فلذا كانوا قد اتروا العصمت في عهد اللامع الباشي فلم زال الجبر يتوجه خلق الرماذ حتى اذا انتفعت مياميدن الكلام في عصر اسماعيل طار الرماذ على حية ورسع عاصفة والتهب الفرام : ألم يكن شيخ ضرير آخرى تعلم الفرنسية ويعصر كتابا فيما سببه « الكلمات الثمان » يتحدث فيه عن الوطن والحرية والامسية والعدالة والظلم والسياسة والتربية والحكومة ! هذا الشيخ هو صاحب الوسيلة الادبية الأستاذ حسين الرصفي وقد افاد الفكر في ناحيتين هما الناحية القومية حين تشرب مبادئ الإصلاح ، ووقف على آثار مفكري الغرب سواء في لغتهم الاصلية او فيما ترجمه رفاة ولاميذه الكثار ، فيكون اول ازهرى قمع بلج موالج السياسة والاجتماع ؛ وحين عكف زملاؤه على تأويل عبارة أو تحرير تقرير أو تخطيط جملة ، او التماس تجنيس ، كان الرجل يعيش نائر الانعصاب متوفز الاساسي في عصر اسماعيل ، يلص تحكمه الدكتاتوري وغلطرت الباشية « فروح إلى طلبة في دار العلوم ، ويميل على قرأته برفسة المدارس لبيدته حين عن الوطنية والحرية والامة والعدالة والظلم وحيناً آخر عن مقومات الادب الحي ، وعناصر الاسلوب الجديد !! وهذه هي الناحية الثمانين جاهد الفكرى كنف الف كتابية الباشية ليزيح عن الطريق كابوس الظلم البديهي ، ويحل محله الديباجة العربية المصححة ، وإذا كان البارودي رحمه الله اظهر لاميذه في مجال الشعر ، فانه لم يكن ليوالي الظلم على هذا الشؤد السطرب بين شعراء عصره الا ان تعفيسد الرصفي تشجيعه ! ونحن نعلم عن يقين ان الفنان مهما بلغ من الجودة والدرية والانفان لا يطعن إلى جودته واتقائه دون رائد بصير يسعفه بالثناء والتعجب ، ولم تحركت مواهب رافة ، ثم توبت فافرة طافرة ، ولكنها عدت لتندرج تحت النشج ، فالحادث تتماثل وتكسح ، وفقدت ثقها اللوية ، ففعل اليها انها لا تسير في اتجاه صحيح ، ولكن موجبة البارودي لالت من الرصفي الكبير مقدرا ومعظما ، فانرجت لهاثها عن نغم غلب طريف ؛ وما فلك باستاذ يحتفل بتلميذه ؛ فيسجل شعره في

شفرة العقل

لولا نزوح العقل ما احتدم الاسي
في النفس مهما جد من احداث
شعر الخطوب لدى الانام اخفها
وقسا على الخبوس والملتات
والعقل ميراث الكرام وربما
شقي الكريم بطيب الميراث

القاهرة سلامة خاطر

وحاولوا ان يتبنوا جدارتها ، وهبها ان يغوصوا بها كل مغاض !
اضف الى ذلك ان ازدهار الكتب المطبوعة من الادب القديم كمقدمة ابن
خلدون واغاني ابي الفرج واجايه الغزالي ، وكليلة ودمنة والنفوس الفريد
قد هاجمت بظرفيتها الادبية ، اسلوب القرون المتأخرة ، واهيمنت الناشئة
ان التحرر البياني والانطلاق الادبي يمتان باقوى الاسباب الى عصور
العربية الزاهرة ، وان ادب الحسان قد كان عرسا طارنا فهو لا يقرب
بجذوة الى ادب الصميم ، ولم يمن به غير قليل من ادب العربية
فصير شعهم يادى ذي يد مطبوعا غير متكلف ثم خلف من بعدهم خلف
امتهنوه بالتكلف ، وابتذلوه بالتلفيق ، حتى اخفت المعاني وراء ازدواج
او طباق ! ثم ان الكتاب الحديث لم يسكنوا من مهاجمة ادب الصنعة ،
فجعلوا على المسجع حجابات كثيرة وجعلوا الفهم اسانلة نقد وبلاغة قليل
ان يكونوا دعاة تحرر وانطلاق ! وليس هنا مجال الفصل في الاسلوب
المسجوع ، ولكننا نشأ نقر ان هذا العصر الادبي شاهد الوانا مختلفة
الاسلوب ، وراى جريا طاحنة بين انصار التحرر ، ودعاة الرونق
اللفظي والضحك الكيانى ، وقد نشأ الجيل الادبي الجديد ليرى طرقا
مختلفة في الاسلوب ، وقد نهيا لكل ناشئ من الدراسة والتوجيه ما
حبب اليه لونا خاصا من الوان التعبير ، فلدينا مدرسة ادبية متحررة
يتزعمها محمد عبده ، وتقسم بين انصارها امثال عبد الرحمن الكواكبي
واديب اسحق وفاسم امين واحمد فتحي وظلوم ومدرسة ملتزمة يتزعمها
عبدالله فكرى وتجمع بين انصارها محمد المولوى والسيد توفيق البكرى
وحفنى نافى وحجزة فتاح على اختلاف مراتب الانفاق عند اولئك
وهؤلاء بحيث لا يمكن ان يكون كاتب من الكتاب صورة مماثلة لزميله
في المنهج بحال ، وهذا في التثر وحده اما الشعر فقد استنطق البارودي
ان يفتن على آثار الحسان بشخصيته الفذة الجديدة بحيث تسوارت
او كانت ان تتوارى في اشمه ضلال من خالفوا مشربه من شعر جيله
كالبيشي وعبدالله فكرى وعلي ابي النصر والساعاتي ، وتقدم وحده قائدا
لجيلة رائدة برعش في ميدانها شوقي وسبري وحافظ والبكرى ومعمور
والكاشف ويبريم من الشاعير على اختلاف شافع في مذاهب القول
ومناحيه ، وكل هذا التباين المختلف نثرا وشعرا ولید عصر منظوم
مختلف يجمع بين اياته الطائر بتناحيه والسائر على قدميه والواقف
المثقت ذات الشمال وذات اليمين لا يدرى الى ابي اتجاه يسير !
هذه اشعة نلقها على الحجب التي في مفتاح الحاضر العديث،
لتفهم على سؤلها التيارات الادبية التي كانت تلاطم اذ ذاك ، ولنتبين
الجو الفكرى الذي تفتحت عليه عين صاحب الترجمة في نشأته الاولى
فعلم من بصيرة واعية كيف اختار لنفسه طريق المسير !

محمد رجب البيومي

الفيوم - دار الملمات

كتابه ويعلق على ابيانه مفسرا وشارحا ، مما يذكرونا بصنيع الواحدى
مع تلميذه ابي الطيب !! وهذان الجهدان المختلفان للمرصفي قد نهيا
له باطلاعه الخاص واتجاهه التميز فهو بهما باحث سباق .

لقد جابت هذه النهضة الفكرية في عصر انتقال منظور ، وعصور
الانقلاب الى كل زمان ومكان تجمع المظاهر المثلث ، والمجدد المبكر ،
ونفس الوانا مختلفة من العمليات المتبادلة ، واذا كان التطوران البياني
او الاقتصادي يمتان في سرعة عاجلة ، بان تكون الدولة في مساء يوم
ما ملكية ثم يصبح الصباح فاذا هي جمهورية ، او ان تكون الدولة في
الصباح ارسالية ثم لا تلبث الشمس حتى تكون اشتراكية بعد تهديد
مستتر او ظاهر تتجمع عوامله قريبا او بعيدا حتى يتم التغيير فيظهر
وكانه فجأة بسرعة ذهلت العين والسمع ، فان التطور الادبي لا يمكن
ان يتم بسرعة حاصفة ذات فاصل محدد ، بحيث يصير يوم معين ميذا
لتحول الفكر او الاسلوب من نمط الى نمط ، لذلك كان عصر الانتقال
هذا عجيبا في اتجاهه الادبي والفكرى مما ، فكانت نجد ادباه متحريسين
بوايونو النقد وغفزون الى المستقبل في تطلع ، وادباء مقلدين يجمعون
على ما تواروه من اساليب الكتابة البديعية ؛ وقد راينا من مؤرخي هذه
الفترة من يجعل ادبياهما طبقتين مختلفتين وفق التزام القيود البديعية او
التحرر منها ، وهو تقسيم ظاهري لا يتغلغل الى ارب من السطح
الظاهر ، واقرّب منه ان نجعل الادباه طبقتين او طبقات مختلفة وفق ما
يعالجون من الاغراض ، فالذين عكفوا في اتناجهم النثرى على كتابة
الرسائل الاخوانية ، والافئنان في الوصف الحسى ، ومحاكاة المدرسة
الفاصلية في اغراضها البيانية قد التزموا الاسلوب البديعي ، ونشروا
الحسانات نشرا انتقل من كتاباتهم الى احاديثهم ، وجرى في ترويضهم
مجرى الدم ، والذين انتهوا الى الاصلاح السياسى والاجتماعى ،
واتخذوا الصحافة منابر عالية لافكارهم المتطرفة قد لجئوا الى الاسلوب
التحرر ، وحاولوا على المسجع حالات قوية اخلفت فضائل في قيمته ،
وتنظر اليه كحيلة زائلة كان الناس يظنونها من المذهب الخافى ، فاذا
هي لا سادى فيلا او كثيرا في السوق المعاصرة ، وقد يقول قائل ان
اسلوب عبدالله نديم وهو ناثر سياسى ومصلح اجتماعى يلتزم الحضان
في اكثر ما يكتب من مقالات الثورة والاصلاح ، والحق ان التذمب شاذ
في بابيه لانه دخل المقالة والشعر من طريق الخطابة والمثير فيجات مقالاته
القلبية خطابة مثيرة ذات اسجاع ، وهو فيها اقل تأثرا من موقفه
اللساني ، وقد ذكر العلامة احمد تيمور في تراجم اعيان القرن الثالث
عشر ص ٧٧ « ان شعره اقل من نثره ، ونثره اقل من لسانه ، ولسانه
القابة النقصى في عصرنا هذا » على ان اجود آثاره القلمية مذكراته
السياسية ، وقد تحدث فيها بأسلوب متحرر من مقامات عباس الاول ثم
نظر الى عهد سعيد نظرة رافضة فاسفخ عليه حلل التجلة وانتقل الى
عهدي اسماعيل وتوفيق ليرسل شوافه الناري تزييم نوري وخطيب
شعبي ؛ وهو في انطلاقه البياني ونحدره التصويرى آية الايات في السالة
والابداع فليكن التذمب اما وحده في مناهج الكتابى كما هو اما وحده في
نورته العارمة وهشام مع هاتين الطبقتين طبقة ثالثة ، لتكتفها الحيرة
فلم تدبر في اى سبيل تسير ، فهي تكتب الرسائل مسجوعة ومرسلة
ومعروية لتواحي الاصلاح كذلك مقيدة ومطلقة ووجوهها الحتمى في هذا
المجال المتضارب امر لا مفر منه فالادب صورة النفس ، والنفس لا تعدم
التزوي للفق الذي لا يستقر وقد كانت القلمية دون شك لانصار التحرر
البياني لعدة عوامل ، اهمها ان الاغراض الجديدة من مناهضة للاستبداد
السياسى ووقوف امام المستعمر الانجليزى ، ومحااربة صاردة للافات
الاجتماعية من فقر قائل ومرض غشال وجعل فاضح ، هذه الاغراض قد
صاغت ميول القراء وحررت على اوتارهم الفلكلوا بتلمسوها وبحاوتوها!
وقد كانت حرارة الكتاب الملمطين اقوى من ان تسجن في سجع او جناس
فاندفع اسلوبهم القوي يشق طريقه الى القلوب مجردا عن الحلى
والاصباح ! ولكن اسانلة المدرسة اللغوية قد تمسكوا باساليبهم ،

طبقة الفهماء

بقلم حسن الكرسي

من « العروة الوثقى » في لندن

في القرآن الكريم خاصة وفي اللغة العربية عامة عبارات تستوقف الانتباه أحيانا لما فيها من الماني البعيدة التي ليس لها ما يعادلها إلا في الأقوال الفلسفية العميقة . ولا أدري إذا كان ما يتراءى لي في هذه العبارات يصح ان يعتبر شيئا من الفلسفة كما نعرفها فسي ماضيها وفي حاضرها . ولكن رجال الظاهر والباطن وبعض الفرق وأصحابها تعرضوا لأمور فلسفية لها علاقة بهذه العبارات وكان بعضهم كالكليانية والحانية يقولون اقوالا لا تختلف كثيرا عن اقوال « باركلي » و « كانت » في انكار القدرة على معرفة الأشياء بحقيقتها وذاها في خارج العقل وفي هذه المعرفة هل هي حقيقية ام ظاهرة ام هي من صنع العقل وخلقه .. فالذين يقولون بالمعرفة الحقيقية وبأن الأشياء لها وجود حقيقي مستقل عنا هم (الماديون) ، والذين يقولون بانها ظواهر لا يستدل منها على وجود أشياء خارجة عن العقل او على عدمه هم (الظاهريون) كما فني الفلسفة الغربية ، والذين يقولون ان الأشياء لا وجود لها في الحقيقة وانما هي موجودة فسي العقل فقط هم (المثاليون) (المثاليون) والاصح تسميتهم بأصحاب العلم الحسولي أو (الفكرين) برعامة باركلي .

من هذه العبارات مثلا ما جاء في القرآن الكريم بقوله تعالى : « عالم الغيب والشهادة » وقوله : « انها لا تعي الابصار ولكن تعي القلوب التي في الصدور » . ومنها في اللغة التفريق بين البصر والبصيرة ، وبين المعرفة والعلم . ويظهر من العبارتين الاوليين في القرآن الكريم ان الأشياء على نوعين : مشاهد ومغيب ، وان الابصار انما ترى اشياء هي خلاف ما يراه القلب ، او ان حقائق الأشياء قد لا تظهر للابصار وانما تظهر للقلوب . وفي القول عن البصر والبصيرة ان البصيرة ، بحسب تعريفات الجرجاني ، « قوة للقلب النور بنور القدس يرى بها حقائق الأشياء وبواطنها بمثابة البصر للنفس يرى بها صور الأشياء وظواهرها وهي التي يسميها الحكماء العاقلة النظرية والقوة القدسية » . والقول من المعرفة والعلم ان المعرفة ، بحسب تعريفات الجرجاني ايضا ، « ادراك الشيء على ما هو عليه وهي مسبوقة بجهل بخلاف العلم ، ولذلك يسمى الحق تعالى بالعلم دون المعارف » . ولعل الجرجاني اراد ان يقول في ترتيب درجات المعرفة والعلم ان الجهل يأتي

في الدرجة الاولى وان المعرفة تأتي في الدرجة الثانية وان العلم يأتي في آخر الدرجات . فالعلم شامل للمعرفة ولكن المعرفة لا تشمل العلم بحكم الضرورة . ومع ذلك فقد اختلفوا في ان يكون الجهل تقيض المعرفة او تقيض العلم . وقد ذكر الجرجاني نفسه ان الجهل تقيض العلم ، وهو الجاري على السنة الناس وفي عرفهم .

من هنا يتبين في واضح الامر ان الانسان يعيش في عالم الشهادة وقد يشترك في عالم الغيب فسي قليل او كثير بإرادة الله ، وان الانسان ، اذا لم يكن جاهلا ، يكون عارفا وقد يكون عالما في قليل او كثير بإرادة الله . ثم ان الحواس لا تكون أداة العلم ما لم تكن الاداة روحانية خالصة كالبصيرة . هذه الأشياء التي نستدل عليها من تلك العبارات الدينية واللغوية لما يشابهها في الفلسفة الغربية القديمة والحديثة . وتقتصر في البحث هنا على الفلسفة الظاهرية التي طالما وعدنا القاري والكريم بالكلام عنها . قلت ان الماديين ، كما ذكرت آنفا ، يؤمنون بوجود الأشياء حقيقة خارج الدهن ، وان (الفكرين) او (الدهنيين) ، كما تشاء ، ينكرون وجود الأشياء كما يعتقد الماديون ، ويقولون ان الأشياء لا وجود لها الا في الفكر او الدهن . والصراع بين هذين المذهبين قديم ، وله صلة بالدفاع عن الدين او بالتهجم عليه في العصور الحديثة بصورة خاصة . وكانت تجري بين الفلاسفة مناقشات في الموضوع . ومما يذكر في هذا الباب ان الدكتور جونسون الانكليزي كان اذا سمع اصحاب المذهب الفكري يحذرون عن عدم وجود الأشياء حقيقة في الخارج يقول ان الذين يقولون ان الأشياء لا وجود لها في الحقيقة وانما هي موجودة فسي العقل فقط هم (المثاليون) (المثاليون) والاصح تسميتهم بأصحاب العلم الحسولي أو (الفكرين) برعامة باركلي .

وعلى كل فان هذه التطورات الفلسفية جميعها مترابطة الحلقات نشأ بعضها من بعض بصورة متتابعة متسلسلة . فاذا رجعنا الى الفلسفة الاغريقية وجدنا ان هذه الفلسفة قد اظهرت الى ميدان الاستعمال الفاظا وعبارات تجريدية معنوية كانت في حاجة الى التحديد في مدلولاتها ، وكان من نتيجة الاضطراب الفكري في تحديد هذه المدلولات ان قامت طبقة من رجال الفكر عند الاغريق عرفت بالسوفسطائية ، اشتهرت بتلاعبها بالماني والالفاظ تحورها كيفما تريد لتصل بهذا التحوير وهذا التقلب الى الفرض المطلوب . وكان السوفسطائي ، بفضل هذا الفموض في الماني ، يتمكن

« المعلومات الحسية Sense-data او هي العلم الحسولي او الانطباعي الذي تكلم عنه العرب . وبحث لوك في مشكلة فلسفية عويصة ، وهي مشكلة الافكار المتكونة في الذهن هل هي اولا صورة صادقة للاشياء في الخارج وهل هي ثانيا دليل على حقيقة وجود هذه الاشياء . مثال ذلك اننا اذا راينا امامنا كرسيًا ، فهل الكرسي في حقيقته كما اراه في مرآة الذهن ، وهل الكرسي موجود فعلا في الوجود الحقيقي .

اطلق لوك على نظريته الفلسفية عن العلم الانطباعي او الحسولي اسم « النظرية التمثيلية » بمعنى ان الانطباع في مرآة العقل ليس الا صورة للاشياء في الخارج . وقال ان هذه الصورة لا تدل على وجود حقيقي للاشياء الظاهرة في الذهن ، ولكنه استثنى من ذلك بعض الصفات التي سماها بالصفات الأولية Primary Qualities ، وقال ان هذه الصفات ، مثل الطول والحركة ، لها ما يقابلها حقيقة في العالم الخارجي المادي ، وان الصفات الاخرى التي سماها بالصفات الثانوية مثل اللون والصوت والحرارة والظلم والرائحة ، ليس لها وجود حقيقي وانما هي من ابتداء الفكر .

وخلف الفيلسوف البريطاني باركلي (١٦٨٥ - ١٧٥٣) خطوة اخرى كانت استنتاجا طبيعيا من النظرية التمثيلية ، فقال ان الصفات الأولية ليس لها وجود حقيقي ايضا وانها كالمفاهيم الثانوية هي صنع الفكر لا غير . وقال انه لا وجود لاشياء مادية خارج العقل بل ان وجود الاشياء يتوقف على الفكر او العقل ولا يمكن تصور وجود الاشياء منفصلة عن الشخص . هذه هي النظرية الفكرية Idealism ، وكان يجب ان تسمى Idea-ism ولكنهم اضافوا حرف اللام L اليها سهلا للفظ . وبهذا انكر باركلي وجود شيء مادي في العالم ، واقر فقط بوجود العقل ، خلافا لديكارط ولوك اللذين آمنوا بوجود شيئين في هذا العالم : جوهر الفكر وجوهر مادي . وجاء الفيلسوف الانكليزي هيوم (١٧١١ - ١٧٧٦) فوافق باركلي في عدم التحقق من وجود المادة ولكنه تشكك في وجود الجوهر الفكري او الروحي الذي آمن بوجوده باركلي . ثم جاء كانت الفيلسوف الالماني (١٧٢٤ - ١٨٠٤) فوجد امامه تخطأ فلسفيا واراد ان يضع حلا له ، فخرج بنظرته القائلة بوجود معلومات ظاهرية Phenomena ومعلومات غيبية noumena وقال ان الانسان لا تمكنه معرفة ذاتية الاشياء لان هذه المعرفة غيبية عنه ، وانما يعرف فقط ما يتراءى له من المظاهر ، وليس له سبيل الى معرفة الحقيقة . هذه النظرية هي التي كانت دعامة الفلسفة الظاهرية التي يؤمن بها الكثيرون في الوقت الحاضر ويسير على نهجها التقدم العلمي . وخلاصة هذه النظرية ان معرفتنا بالماضي ناشئة عن الاحساسات والتجربة ، ولا يهمننا ان نعرف اذا كانت هذه المعرفة صورة حقيقية للاشياء او دليلا

من اثبات اية قضية او نقضها . وادت الحاجة الى تحديد المعاني وتقريرها الى ابتداء طريقة جدلية تعرف بكلمة Dialectic استعمالها سقراط وافلاطون ، ثم استعمالها بعدهما بزمان طويل فلاسفة القرون الوسطى ، ثم استعمالها الفيلسوف الالماني هيكل . وكانت الغاية التوخا من الجدلية هذه بلوغ هدفين : الاول توضيح المعاني وتوافق الافكار التي تدل عليها الالفاظ والمعارف . والثاني التوفيق بين الأشخاص المختلفين ، كما يفعل القاضي والمحامي عند مناقشة الشهود والمتهمين للوصول الى نتائج متعارف عليها بين رجال المحكمة والمحلفين من جهة وبين المحكمة والمتهمين والشهود من جهة اخرى . ولكن هذه الطريقة الجدلية لاقت نقدا شديدا من بيكن الانكليزي اولا ثم من ديكارط الفرنسي ، وهذا على اثر قيام علم جديد هو العلم الطبيعي . فالطريقة الجديدة في العلم الطبيعي هي ان الوصول الى المعرفة الحقيقية لا يكون عن طريق الجدل والمحاورة وانما يكون عن طريق المشاهدة ، اي عن طريق مراقبة الظواهر الطبيعية . وكان انتقاد بيكن للطريقة الجدلية على اساس انها لا تؤدي الى المعرفة ، ولا سيما المعرفة الطبيعية . وندد ديكارط بها على اعتبار انها لا تؤدي الى هذه المعرفة ، بل انها لا تؤدي الى اليقين . واليقين او التحقق في رأي ديكارط هو الهدف الذي يجب ان يسعى اليه ، ولذلك فقد ترك هذا الفيلسوف تعاطي الالفاظ والمعارف وانصرف منها الى ما يتعلق بها وهو التفكير . واعتبر ان هذه الالفاظ والمعارف لا تخرج عن كونها مظهرًا خارجيا لشيء باطني اساسي وهو التفكير ، ومن هنا فتح له البحت والتأمل ان الشيء الحقيقي في العالم هو الفكر ، وان الانسان متيقن من حقيقة امرين اساسيين هما : (١) افكار الانسان نفسها (٢) الانسان المفكر نفسه .

وكانت الفلسفة في اوربا في ذلك العهد تهتم بايجاد تعليلات عقلية لمعالجة المشكلات التي اثارها حركة الاصلاح الديني في القرن السادس عشر وفيما بعده ، في حين ان الفلسفة في بريطانيا ، ولا سيما بعد بيكن ، كانت تهتم بالمعرفة دون الايمان الديني ، وخصوصا المعرفة العملية النافعة . وقد وجد هذا الاتجاه تشجيعا من الاراء الفلاسفية الجديدة التي اثارها ديكارط ، واخذ لسوك الفيلسوف الانكليزي (١٦٣٢ - ١٧٠٤) تلميذ ديكارط في بحث التفكير الذي قال عنه استاذوه وفي محتويات هذا التفكير ، اي في بحث الافكار التي تقوم في الذهن وتكون فيه . ونفى لوك ان تكون الافكار متصلة في الذهن او مخلوقة معه ، كما كان الاعتقاد لدى اصحاب الفلسفة المثالية تحت زعامة افلاطون ، وقال ان الذهن عبارة عن لوحة مسحاة تتلقى الانطباعات من الخارج التي هي اساس الافكار عن طريق الالاحساس او الادراك . وهذه الافكار التي تتكون في الذهن عن هذه الطريق تعرف احيانا في الفلسفة باسم

على وجود ذاتيات الأشياء ، لأنه لا يمكننا التحقق من ذلك كله على أي حال . ولكن الذي يهمنا هو أن العلم الانطباعي هو كل ما نعرفه وهو كل الحقيقة ، بدون أن نتعب أفكارنا في المحاكات عن وجود المادة أو عدم وجودها ، وأن ماسميه بالعالم الحقيقي ما هو إلا عالم المظاهر لا يختلف عنه ، والشيء الذي نسميه (حقيقيا) هو (الظاهري) كما تصوره لنا مرآة العقل .

ولكن اصحاب الفلسفة الظاهرية يفهمون شيئا واحدا من كلمة (حقيقي) وهو أن يكون الشيء متطابقا مع الأشياء الأخرى . وتكون الأشياء حقيقية موضوعية اذا كانت علاقاتها مع غيرها من الأشياء ثابتة وعلى نظام واحد ، وكذلك مع المشاهد لهذه الأشياء . ولتأخذ مثلا على ذلك رؤية قرص الشمس . فإن مرأى قرص الشمس هذا هو مرأى ظاهري ، وإذا اعتبرنا محض الرؤية فقط فإنا قد نستنتج أن قطر الشمس لا يزيد عن ملمترت معدودة . ولكن هذا يتعارض مع امرين ثابتين : الاول أن الأشياء تظهر صغيرة وهي بعيدة ، ومعنى ذلك أن قطر الشمس يجب أن يكون اطول من ظاهره ، والثاني أن علماء الفلك تمكنوا بالعلوم الرياضية والطبيعية الموثوق بها من حساب المسافات الفلكية بقدر عظيم من الدقة ، وقد وجدوا فعلا أن قطر الشمس يجب أن يكون أكثر من ثماني مئة ألف ميل . فنحجم الشمس إذن في حقيقتها لتتوقف فقط على رؤية المشاهد وحده وإنما تتوقف على علاقاتها المتبادلة مع اشياء أخرى . ولتأخذ مثلا آخر من إحدى روايات شكسبير . وقد يذكر الذين قراوا رواية شكسبير مكبت هذا رأى خنزيرا سابحا في الهواء اسماع عينية ، وسرعان ما أدرك أنه وهم باطل ، وذلك لأنه يعرف أن الخنزير انقل من الهواء فلا يمكن أن يسبح فيه بدون أن يسقط في الحال . ولما شك مكبت في ذلك ، قبض على الخنزير فلم يجد شيئا ، وذلك لأنه يعرف أن الأشياء الحقيقية يشعر بها الإنسان اذا امسك بها . ومن هذا القبيل بساط الرمح الذي تقرا عنه في ألف ليلة وليلة . فالاشياء التي تثبت علاقاتها مع غيرها في معلومات وديسابير منتظمة هي الأشياء الحقيقية ، وكلما ازدادت هذه العلاقات رسوخا في المعرفة وتوسعت ازدادت حقيقة الأشياء . وينقل الشيء ظاهريا اذا كانت علاقاته بالأشياء الأخرى غير مقررة . ومن هذه الظاهريات المعجزات والخرافات ، كالتي تقرا عنها في ألف ليلة وليلة مثلا أو في اساطير الاغريق القدماء . فاذا رأيت مثالا أن الاغريق تصوروا حصانا برأس انسان ، أدركت على الفور أن هذا المخلوق لا يمكن وجوده لأن رثة الحصان تحتاج الى ثم أو حلق أكبر وأوسع من ثم الانسان أو حلقه . ولكن هذا المخلوق يظل في نطاق الظاهريات الى أن تثبت سخافته ، فينبى أو يوضع موضع الخرافات . وأكثر الحقائق التي نعرفها الآن على صحتها بغض البحث العلمي كانت فسي

بادئ الامر من قبيل الظاهريات أو الوهميات . وعيب هذه النظرية أنها لا تعتمد على معيار مستقل تقاس به صحة الأشياء ، لأن المعيار هنا هو الشخص لا غير ، وأن كان الاعتماد من جهة ثانية على العلاقات مع الأشياء لان هذه العلاقات تعتمد في النهاية على الشخص ايضا . واذا تذكرنا نظرية كانت في تقسيم المعرفة الى معرفة ظاهرة أو شهادة وإلى معرفة غيبية ، وعرفنا منها أننا لا نعرف الغيبيات البتة ، أدركنا أن العلوم النظامية جميعها تعتمد على الظاهريات لا غير في رأي كانت .

هذه هي الفلسفة الظاهرية ، ولها شبه بالفلسفة الوصفية Phenomenology التي كانت صلة الوصل بين كيركيور الدانمركي والوجوديين الاولين . والشبه كائن في أن الفلسفتين تعتمدان على الانسان نفسه ، فهو المحور وهو المعيار . وهذا الاتجاه نحو اتخاذ الانسان مقياسا للحكم على الأشياء قديم يرجع الى الفلسفة الاغريقية قبل سقراط ويرجع في دور التجدد الى النهضة في أوروبا ، ولكنه اتخذ شكلا فلسفيا على يد ديكارت ثم على يد كانت . اما هسرل زعيم الفلسفة الوصفية فقد حدا حدو ديكارت في اعتبار الشعور الانساني مبدا للفلسفة ، ولكنه لم يشغل نفسه بمبحث مشكلتين فلسفتين عويتين وهما أولا هل للأشياء وجود حقيقي في خارج ذهن الانسان وثانيا هل توجد عقول أخرى غير العقل الذاتي للفرد ومستقلة عنه . وبرزت البحت في هاتين المشكلتين انصرف هسرل الى بحث ما يجري في شعور الانسان في أثناء اتصاله بالعالم ، ومن هنا كانت البحت وصفية ، تصف حالة الشعور . ولكنه لم يأخذ برأي ديكارت عن الشعور بأنه جزء منفصل عن الانسان وعن العالم حوله وبأنه عبارة عن وعاء يمتلىء بالاحساسات والمشاعر أو بأنه ، كما يفهم من لوك ، شيء مادي تنطبع عليه الاحساسات كانبطاعها على لوححة الطابعة ، بل ربط ربطا وثيقا بين الشعور والعالم . وقال ان الحالات النفسية كالسلام والشرع الصدر مثلا التي هي ابعد ما تكون عن الأشياء والعالم الخارجي ليست الا صورة من صور التأثير بالعالم . فانغماس الانسان في العالم واحاطة العالم به من كل جانب معناها أن الانسان موجود في العالم ، وكونه موجودا في العالم يفرض عليه أن يهتم بوجوده هذا . ومن هنا جاءت وجودية هايدكر ووجودية سارتر . فان هايدكر اتجه اتجاهه معاكسا لديكارت فيما يتعلق بالشعور . فقد قطع صلته بالعالم وخرج عن طوقه ووصل نفسه بالعالم الذي نعيش فيه . وهذه خطوة انقلابية خطيرة ، ولا سيما بعد أن كانت الفلسفة بعد ديكارت منصرفة الى الشعور وتحليل الشعور ومهمته بالعقل والانطباعات الذهنية . وهكذا فإن الانقلاب الذي أحدثه ديكارت في الفلسفة الغربية لاقي انقلابا ضده في القرن العشرين ، وهو انقلاب الوجودية . فالانسان في رأي الانقلابيين في القرن العشرين لا يعيش في نطاق

عيون الشوق

لم يزل يطرق بابي
أتري ما زال نهر الشوق ... دفاقا
ولما يتكبر !!
أتري ما زال ظلي
في رحاب البيت يسهر
وباحداق صفاري يتناظر !!
يحمل الطوى .. ويحني التين .. والورد المعطر
ينثر الطيب
ويروي ظما في قلب أسمر
يخرق الصمت ... فيشدو
نفرك الحلو الدور
بقد ... أشهى ... وأنصر
أتمناه ... فأسكر

أنا ادري
ان كاس الورد ... قد أضحي هشيما
وتبهش
وربيع الامس ... امسى
باهت الوجنة ... اصفر
وغيوم الليل ما عادت ...
على الرسوة تمطر
والاغاريب تهاوت ... عبر غابات الرزايا
ونسيم الفجر ...
قد غازل عينيك لحظات ... وادبر
غير اني عائد ... مهما تمطى
الرعد في الافق ... وكبر
في غد ... أشهى ... وأنصر
أتمناك ... وإياه ..
فأسكر

الفريد سماعيل

بغداد

وترقبت بريد الصباح ساعات واكثر
واخيرا
بعد ان كادت صخور الصبر في اعماق قلبي تنكسر
وعيون الشوق تزداد ... وتمتد ... وتكبر
ومضى عبر فيافي الفيب فكري
خائفا بعدو ، فالفي كل شيء يتغير
بين ساعات امانى الحب تقدو
غيمة سوداء تنذر
جاءت الاحرف جذلى
ترتدي مسكا ... وتعتبر
وعلى صفحة حقل ... مروع ريان أخضر
تتهادى ... اي منظر
أتمناه ... فأسكر

لو عتسي؟
انسي بعيد عنك يا روضة امسي
يا هوى يفهم نفسي
جفت الافداح الا رغوطة تملأ كاسي
وعلى ثفري من نفرك أسكر
موجة تملو واخرى
في صفافي ... تتسمر
في حنايا الليل تبتو
مقل الذكرى نجوما
تختفي حيناً ... وتظهر
وعلى مضجع صمتي ... نفحات العرس
... احلام الليالي
وغدي يزهو ... ويكبر
أتمناه ... فأسكر

وسؤال

الى مجالين : مجال عقلي ومجال جسماني ، مع انفصال
الواحد منهما عن الآخر انفصالا تاما ، وجعل الاتصال عن
طريق الله فقط ، تطورت في الفلسفة الحديثة الى ازالة
الحواجز بين المجالين لدى هسرل والى الخروج من
المجالين جملة الى العالم والوجود الخارجي لدى هايدغر .

حسن الكرمي

لندن

الشعور يحيط به من كل جانب ، وانما يعيش في نطاق
الكيثونة والوجود يتفاعل معه ويؤثر فيه . ومعنى ذلك كله
الانصراف عن الفلسفة الفكرية والانصراف بدلا من ذلك الى
الفلسفة الوجودية والرجوع الى الانسان نفسه ولكن بصورة
عملية مادية . ويتجلى هذا الاتجاه في فلسفة بركسون
الفرنسي ونفي فلسفة وليم جيمس الامريكي وديوي
الامريكي . والفكرة التي اتى بها ديكرت في تقسيم الانسان



سعد صائب

لوقيانوس.. الكاتب الساهر

بقلم سعد صائب

لم أشعر بأن ثمة رابطة تشدني إلى أدب من أدبائنا، أو مفكر من مفكرينا القدامى، أوثق من الرابطة التي تشدني إلى الأدب السوري «لوقيانوس السمساطي».. فمنذ أن وقعت بين يدي آثاره عام ١٩٤٠ نفش له فؤادي ورفعت إليه نفسي، فلم أمل صحبته أو اجف عشرته إذ رأيت قلبا كبيرا يتوامض أمامي، ولمست نفسا كبيرة تتفتح لي وتصبو إلى قلبي. كما أذهلني قدرته على تهيئة أسباب هذه الالفة، وأعجبني كتاباته السالفة العذبة التي تمتزج بالاقئدة وتسري عن الخواطر. ولكم زهوت.. أجل زهوت بما فاضت به أقلام الذين ترجموا له من الغربيين، من أطراء قلما أجزلوه لمفكر من مفكرينا، أو كاتب من كتابنا قدامى أو محدثين. وإحال ان قوة خفية فيه اجتذبتهم إليه كما اجتذبتني، دفعتم إلى هذا الأطراء الذي يزجونه كلما كتبوا عنه، أو أروخوا له.. وليس من شك في ان «لوقيانوس» المولود في «سمساط» على الفرات في القرن الثاني للميلاد، والذي خص باسمى صفات المفكر، لو عاش - كما يرى اميل شامبري مترجم آثاره إلى الفرنسية، الذي اعتمدنا عليه في مقالنا - في الحقبة التي بلغت فيها المعقبرة اليونانية أوجها، لنافس بأبداعه، دون ريب، أعظم مفكري وكتاب القرن الخامس والرابع

قبل الميلاد. ولعل لهذه المنافسة ما يسوغها، لان ثمة عوامل جمة أسست له، أهمها ثقافته اليونانية العميقة، وذاته المتحمسة، وقلبه الذي يحس بالجمال، وتفكيره السديد، وعقله النير. وبالتالي تمثلته وهضمه نتاج المفكرين والكتاب اليونانيين العظام، بخاصة ذوي الاسلوب الانيق، واللفظة الموحية، الذين ظهروا في عصر الاغريق الذهبي، فأسمى هو نفسه ذا اسلوب انيق، ولفظة موحية على الرغم من انه لم يكتب بلغة عصره، بل كتب بلغة القرن الرابع قبل الميلاد، بعد ان ارتضخ لثمة هذا القرن، فكانما جاء وأياها على نسق واحد.. ومن مميزاته ان لفته وان شأبتها محاكاة من تقدمه من المفكرين والكتاب، بيد انها ظلت أصيلة نابعة من صميمه. ولئن رأينا فيها جملة «الافلاطون» أو التقينا بصيغة «لديموستين» أو مررنا بذكرى «لهيودوت» بيد انه استطاع ان يصورها كلها في بوتقة اسلوب نادر المثال، قوي السبك، له نكهته الخاصة، ورتينه العذب، يرفده توقد مخيلة، وتدقق عاطفة، وشدة احساس تنسب القلب وتصبى المشاعر.

ولعل لهذا الضرب من الكتابة مثيله مما وقع لبعض الكتاب الغربيين في عصر متأخر «كانتول فرانس» واغوايه من ذوي الاصاله والموهبة، ممن اتوا اثر جماعة من الكتاب العظام، فأكسبوا اللغة الفرنسية مرونة وغنى.. وليس من شك في ان «لوقيانوس» ادب فنانا ولغوي عظيم شب مكرًا - حسب تربيته السفساطية - على سقل جملته، ومزجها مرونة وفنا ممكنين. فبيانا نرى مواطنه «زيتون» مثلا لا يتورّد - حين تعوزه اللفظة - في إعادة استعمالها فباتها مرات عدة، نرى «لوقيانوس» يذو في تنوع الفاظه، وإبتكار جملته. ومرد ذلك عند مؤرخيه ودارسيه، إلى غناه بالمفردات اللغوية، مما جعله يسمو عليه، وعلى الكثيرين من الفلاسفة والكتاب اليونانيين، كما أدى به لتلمذه على «افلاطون» من نحو، وعلى «السفساطيين» من نحو آخر، إلى ان يعنى أشد العناية باعطاء الالفاظ كل ما لها من جرس وقيمة، وان يضعها في موضعها اللائق، ولذا اتت جملته، وكانها تسيل من براعه مسيل الجدول، بعد ان تجلت في ذهنه على ابداع مسان تنفص الاوان والصور، وبعد ان رتبها ترتيب الحاذق الخبير..

ولئن تذوق «لوقيانوس» بعمق، محاورات «افلاطون» فلرضاء عنه، وأعجابه يصدق شخصياته وبعدها عن التكلف، مما جعله على الجري على متواله، وأقتباس شكل الحوار الذي تبناه في معظم اهاجيه، والسير على سجيته فيها. ولقد قسر لنا «لوقيانوس» في أحد مصنفاته المفابرة التي اجراها على الحوار الافلاطوني اذ

✽ سيلاير قريبا كتاب يضم مختارات من كتابات لوقيانوس ومعاوراته نقلها إلى العربية سعد صائب ومفيد غرنوق.

حلم

لم أزل تهمني الغربة في ارض بعيدة
متعبا اذكر حلو الامسيات
وشتات الذكريات
وليالي صوفيا القراء اذ تغفو المدينة
والنجوم الحمر تبدو كفوانيس حزينة
كنت نائم
كنت كالزورق حالم
شرع اسكرته في دجى الليل نائم
فاذا انشودة خضراء في لون البراءم
أيقظتني ...
بذرايين من النور احتوتني ..
وبشوق عانتني ..
سالتني !
أي يوم ستسافر ؟

صوفيا بدر الحبيب

والواقع جزيرة الاحلام تلك ، والتفاصيل التي يروها عن حال سكانها ، وقد بدت هذه التفاصيل عجيبه في دقة سردها ، غريبة في سخرتها ، رواها في تدفق وثقة في النفس لا حد لها ، دلت على خصب خياله وبراعة وصفه وروعة سرده .. ولقد استلهم « قصة حقيقية » كتاب غريون كثر ، كالكاتبين الفرنسيين « فنيون » في كتابه « جزيرة اللذات » و « وابلية » في كتابه الطريف « غارغانتوا بانتاغرويل » . كما استلهمها الكاتب الانكليزي « سوفيت » في كتابه « اسفان غوليفر » ..

هذه لمحة موجزة عما اداه هذا المفكر السوري الذي شعر له الغريون فرابطوا آثاره وعرفوه منها فاحبوه وانسوا اليه ، واحتقوا به فافتنوا من عبقرته ، ولم نشعر له نحن فاعلمناه فضاقت من يدنا ثروة فكرية قل مثيلا . ويكفي ان الفيلسوف الالماني « هردر » اوصى بها الشاعر « غوته » كما افاد منها « فولتير » و « آنانول فرانس » في نهجهما الساخر ، واسلوبهما اللاذع ، اذ اقتفيا اثره ، وقللدا اسلوبه ، ونسجوا على منواله حتى سمي « فولتير » بلوقيانوس الغرب ..

سعد صائب

دمشق

قال : « بدأت اتعلم منه السير على الارض ، كما يسير الانسان ، بيد اني غسلت ما علق به من اوسار ، واوغمته على الابتسام ، وجعلته اكثر قبولا لدى المشاهدين ، كما اشركته في الملهاة بخاصة ، واوجدت له بعد تحالفنا ، عطف السامعين ، اولئك الذين كانوا - حتى ذاك الحين - يخشون الاشواك التي كان يتسلح بها ، فتراهم يحترزون من لمسها تحرزهم من لس القنفذ » ..
اما شأنه مع « السفسطائيين » فلم يكن من طبعه تحري الالفاظ النادرة او البالية كما يتحرون ، بل كان لشدة شعوره بمواطن اللفظة ، ومدى ادراكه كتبها لا ياتلي ينكر اشد الانكار الفخفة والتكلف ، ويتذوق الالفاظ الطبيعية السليمة ، فيعبر اصدق تعبير عن افكاره فسي وضوح واشراق نادرين ، ومهما امن في الهول او اغرق في الجد فان اسلوبه يظل مرصعا بالفكاهة ، مزينا بالالفاظ الساخرة اللاذعة ، ترفده بديهة وقادة ثبات القاريء من حيث لا يدري فتستأثر بلبه ، وتأسره ، وتأخذ بمجامع قلبه . ولعل ثقافته الشاملة في « الميثولوجيا » اليونانية قد زودته بجملعة من الكتابات والمقارنات السارة ، صهرت كلها في اسلوب شفاف ، يعج بالالوان الزاهية ، ويشع بالقرينة الوقادة ، ويزخر بالكاء الحاد . واذا كانت طريقته في الحوار تهدف الى السخرية والاضحاك « فقد غدت قدرته على التفنن بالحدث من اهم الركائز التي اعتمد عليها حواراه ، الذي اعتبره النقاد مثالا يحتذى ، وهما لمكانة مرموقة بين المشاهير من ذوي الاساليب المبروفة . ولعل اهم ما اسدها « لوقيانوس » للحوار استخدامه اياه في الملهاة ، وفي الموضوعات ذات الجو المرح ، وفي المواقف مبدع عهد جديد بتاريخ الحوار ..

ولا بد هنا من التنويه بانني بارز من آثاره - الى جانب محاوراته في الموتى ، والالاهة ، والحجارة والحظايا - وهو « قصة حقيقية » خالف فيها ما درج عليه في كتابة المحاورات . وقد اشتمل هذا اثر على محاكاة اقاصيص « هولييس » الخرافية وقلبيها ، اذ صور لنا فيه عاصفة هوجاء دامت تسعة وسبعين يوما ، دهمته وصحبه فحملتهم الى جزيرة سواقيها من خير ، ثم صعدت بهم الى القمر ليحاربوا الشمس ، وما لبثت ان اسكنتهم بطن حوت ، ثم انزلتهم بعدها جزيرة من جبن ، تزودوا بمائها . وقد التقوا خلال اقامتهم في هذه الجزيرة بقوم ذوي اقدام من فلين يسرون فوق الماء ، وما عتوا ان زاروا جزيرة تدعى « جزيرة السعداء » يقطنها « ادونييس » وجين التقى بهم تعرف الى « لوقيانوس » فحمله رسالة الى حبيبتة « كالبيسو » عروس الماء في جزيرة « اوجيجيا » وهي التي اطلقت سراحه يأمر من كبير الالهة « زيوس » بعد ان احتفلت به سبعة اعوام . بيد انهم لم يسلما من مغامراتهم الغريبة هذه فالتقوا جميعا الى الفرق ...
ولعل اغرب ما في هذه المغامرات ، وصف « لوقيانوس »

الشيخ الريمائي - الادب ابو هنا

فضيل النمر

بقلم البدوي المثلث

١ - الشيخ علي الريمائي

ولد في بلدة « بيت ريماء » بقضاء رام الله سنة ١٨٦٠ وتلقى دراسته الابتدائية في مسقط رأسه على والده الشيخ محمود الريمائي أحد علماء عصره وبعد ان وقف على اصول الفقه واللغة علم في « المدرسة الرصاصية » بالقدس ونشر مقالات وقصائد في جريدة « الانصاف » (١) المقدسية لصاحبها المرحوم بندلي الياس مشحور . ثم انتسب لآل زهر الشريف وتخرج منه بعد دراسة اثنتي عشرة سنة .

وفي مصر اشتهر بقرض الشعر وارتجاله في مختلف المناسبات ونشر نغماته في بعض صحف القاهرة وفي مجلة « المنهل » (٢) المقدسية لنشئها المرحوم موسى المغربي ، وسكن بيت المقدس وعين مدرسا للفقه والعربية في إحدى مدارس القدس الاميرية وتولى تحرير جريدة « القدس الشريف » (٣) الرسمية .

وفي عام ١٩١٦ ذهب الشيخ علي الى الاسكندرية مع بعثة علمية تمثل علماء فلسطين برئاسة الشيخ اسعد الحصري وعضوية الشيخ علي الريمائي والشيخ العثماني .

وفي سنة ١٩٠٧ اصدر جريدة في بيت المقدس باسم « بيت المقدس » ولما اقلعتها السلطات العثمانية اصدر جريدة في القدس باسم « النجاة » كانت تفيض اعمدها بنغمات قلعه نثرا ونظما . وفي شتاء عام ١٩١٩ اصيب الشيخ الريمائي بنزلة صدرية فمضى نجبه في « بيت ريماء » ودفن فيها .

نموذج من شعره : نظم الشيخ الريمائي قصيدة بمناسبة قدوم مارك بونيه الطيار الفرنسي الى القدس في ٣١ كانون الاول من عام ١٩١٤ ، وهي المرة الاولى التي حلقت في سماءها طائرة رآها الاهلون ، وقد قطع المسافة من بيروت الى القدس في ساعتين وعشر دقائق :

طار في الجو فاستثار العقول وانتهى للسماء الا قليلا
طار حين نراه للشمس طيفا او تسراه لطيفها الكليلا
طار كالنسر اي رويدا رويدا ثم رام الفضاء ميلا فيسلا
وصل الشام من بلاد فرنسا في ثلاث فلولوا تهللا
مصر كالبرق بالفرات فينشا ان تلتفت كان ام اللبلا
نظن قوم ان السماوات غشي فاستشاطت وهولت هويلا
ذلك العلم لا سليمان كم لك ملم فينا من معجزات اولسلا

ليس في العلم مستحيل ولا صبح لقوم ان يحصروا التفصيلا

ايه يا علم ما احيلاك لولا اني غاصب عليك (طويلا)
انما انت الحياة فلم انت انت تبيد الوري فيبلا فيبلا ؟
انما انت للسلام فلم انت لهذي الحروب كنت الرسولا ؟
انت لسولا ما راينا بوقت (ددونطا) ومن يرى المستحيلا
شيد قصر السلام لكن بقوا تك يا علم لم يكن ماهولا !
يك منا غلت ببلاد ولولا لما اصبحت فسادا ظلولا
لست وحدي غصيان قبلي (تلنو) كراي يراك امرا مهولا
انت اهلكت قومه في سبريا ومسلات البلاد منهم عوبلا
لو هنا قد وفقت هان ولكن بك (طوفو) قد افرق الاسطولا
هذه منك في الوري سيئات قيل هذا فهل ترى تاويلا ؟

قال هذا مني صحيح ولكن ان طبع الوجود ما قد قبلا وكشفت العلوم والمجهولا (ر) وكل يهدي الي البيلا فدا عند قومه فليبلا او ما قد انرت هذي الفعولا ؟ او ما قد عمرت في القرب والثر يسي هذا الانسان اصبح انسا يسي طار الطيار (بونيه) حتى سوف يلقى الريح يوما فيمي ذاك قطي وهذه حسناسي (بونيه) كم علوت جيلا وجمارا صادفتها ام رايحا انما انت باقع كيف اصبح قمت بالجد والجهاد فجالدت في القوي فبقي لفرنا هكذا هكذا التوب فان طار ايه يا شرق كم تنام تريد الحج دونك المجد في الساء فان طر انت تلهو بالاختلاف ويلهو كيف تلعو ولا تريد العبادا ؟ كل قوم لهم سبيل الى الحج قد عذرناك بالخبط فهل انت

٢ - الاب تقولا ابو هنا

ولد في قرية « بطة » من قضاء الشوف بلبنان سنة ١٨٨٨ وتلقى دروسه الابتدائية في مدرسة قريته وفي مدرسة « المختارة » موطن آل جنيلاط ، ولما بلغ العاشرة دخل مدرسة سيدة البشارة في بيروت وبعد عام انتقل الى مدرسة اخوة المدارس المسيحية في رأس بيروت وبقي فيها سنتين . ولما بلغ الخامسة عشرة من عمره انتسب عام ١٩٠٣ الى الرهبانية المخطية وسلك في دير المخلص ، قرب صيدا ، سبع سنوات ونشر مقالات عديدة وبعض القصائد في مجلتي « المرأة » و « المشرق » . وفي عام ١٩٠٩ سيم شماسا وانتدب معلما للصرف والنحو والبيان في مدرسة الرهبانية المخلصية وبعد فترة سيم كاهنا فعاد معلما للعربية وآدابها في المدرسة المخلصية حتى عام ١٩٢٦ .

وفي اوائل العام الدراسي ١٩٢٦ - ١٩٢٧ انتدب استاذاً للدروس العربية في الكلية البطريركية ببيروت وقضى فيها سنة كاملة .

وفي عام ١٩٣٠ شخص الى بيت المقدس لتدريس البيان والخطابة في الكلية الصلاحية وفي هذا المعهد الاكليريكي امضى ثلاث سنوات ونقل الى القاهرة كاهنًا ومكث هناك سنة واحدة وفي عام ١٩٣٥ عين نائباً اسقفياً في ابرشية عكا بفلسطين ثم اعيد استاذاً الى كلية الصلاحية في القدس وفي عام ١٩٣٨ قام برحلة الى ايطاليا وفرنسا وزار اهم مدن الفن فيهما ، وعرج على اليونان حيث شاهد آثار اتيلا العريقة في قدمها .

كان الاب ابو هنا اماماً من كبار ائمة العربية وشاعراً فذا من شعرائنا المعاصرين وناقدًا كبيراً وخطيباً موهوباً ورواية لا يشق له غبار ومؤلفاً مسرحياً اسهم في رفع شأن التمثيل ، ومربياً خرج العشرات من الطلاب النابهين ، واخيراً كان انساناً ادبياً عمرت نفسه بالحس الرقيق ، والشعور الدقيق .

وفي الحادي عشر من اذار ١٩٥٦ فجع الادب العربي بعل من اعلامه ، وخسرت القاديه ركناً من اركانها المشهود لهم بالتضلع من آدابها وعمق تفهم قواعدها وسعة اطلاع على اسرار مفرداتها . من آثاره القليلة :

- ١ - تصوير كلوفيس : رواية عربية عن الافرنسية وهو لا يزال طالباً سنة ١٩٠٧ .
- ٢ - قسطنطين ومكنس : رواية من وضعه .
- ٣ - امثال لافونتين (في ستة اجزاء) عربية من الافرنسية نظماً وعلق عليها شروحا وتفسيرات لغوية وتاريخية وميثولوجية وحواشي انتقادية وقارن بين ما قاله « لافونتين » وقاله العرب ، وبقيت السة الاجزاء الثانية مخطوطة والشرح المختص بها غير كاملة لان كتابين من الامثال لم يضع العرب لها شرحاً ولا تفسيراً .
- ٤ - البيان العربي : وضعه على النمط الاقروني .
- ٥ - اختصر « ارجوزة النحو » للمرحوم الشيخناصيف اليازجي .
- ٦ - بناء دير المخلص : رواية من وضعه .
- ٧ - دعوة القديس متى الرسول : رواية عربية عن الافرنسية .
- ٨ - البرج الشمالي : رواية عربية عن الافرنسية .
- ٩ - العفو عند المقدرة : رواية تمثيلية الفها ابو هنا ١٩٢٨ وحضر تمثيلها الشاعر خليل مطران وقرظها بما تستحق ، وقرظتها مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ،

- (١) - سفر العدد الاول منها في ٢٢ كانون الاول ١٩٠٨ . (٢) - سفر العدد الاول منها في ٥ آب ١٩١٣ . (٣) - سفر العدد الاول منها في اليوم الاول من ايلول ١٩١٣ ثم توقفت واستأنفت سبوعها في ١٨ كانون الاول ١٩١٣ . (٤) - سفر العدد الاول منها في ٢٤ كانون الاول ١٩٠٨ .

وفي هذه الرواية تعابير عربية لم تجر على اقلام كتاب اليوم ولا على سنتهم .

- ١٠ - الامير بشير بين يونابرت والجزار : رواية الفها ابو هنا وضمنها تمنع الامير بشير عن مساعدة نابوليون والجزار حين اراد القائد الفرنسي افتتاح عكا .
- ١١ - ايمان آباءنا : عربية عن الفرنسية .
- ١٢ - تاليه الالم : عربية عن الفرنسية .
- ١٣ - حديث عن العذراء : عربية عن الفرنسية .
- ١٤ - فوضى الاقلام : بحث لغوي انتقادي مسهب على ما طبع من ديوان ابي تمام .
- ١٥ - وثقة بين الماضي والحاضر : مجموعة خمس قصائد في نحو ٣٨ بيتاً في وصف الحرب .

نموذج من شعره : (١)

نحسب يا محفزة الهوام
ورجس الارض ويحك من امامي
كذا زجر البعوضة لبث غاب
فاغضبها فهبت للصدام
فهما كان باسك فهو عندي
قليل غير اهل لاهتمامي
فان الشور اهدر منك باسا
وطوع هواي يهلكه اعتزامي
وقد نغخت بصور الحرب فورا
ومنها الصور والبطل الحامي
لشر قد توفرت (٢) ابتداء
وهيات الزمان على انتظام
ولم اليك ان انقضت سرعا
على عتق الفانفسر لانتقام
فكاد بين من ازباد سخف
وفي عينيهِ ارجع الى القصرام
فزمجر باغيا في الفاب رعبا
فقلل امله بين الاجسام
بسلا فصره عزم النواصي
الارثة البعوضة في احتدام
لنقط (٣) فبابه نجت هماما
يلسع ميات اغشاء الهمام (٤)
فنادى خطمه باللسع داميا
فنادى خطمه باللسع داميا
ودخل نافذة في مخبره
ان صار في احمى عرام (٥)
فهو الفانفسر اعتر نصرنا
فانفجرت اناجيا والفرح صرا
رأها حاتجا والفرح صرا
فما وفاء حق دماء صونا
من اليتام والالفار حمام
ولكن كلها كانت عليه
سلاحا متخفا داميا الكلام
فيا مكين ذلك الليث امي
يمزق نفسه فرط اضطرام
يشل اللبيل حوليه فغصوا
مقارعا الهوام بالالتحام
ولم يك للهوام يد يسوء
كذلك عجيز قواوت العقلام
لقد بلغ الهياج به مصيرا
ان تصب الى خور تمام
الا فانظر اليه ليث غاب
اكب لثابه فوق الرغام
وان بعوضة الحرب استمرت
بجهد التصر في ذاك اللغام (٨)
كما نادت الى الهياج نادت
بنصرتها على الاسد الحمام (٩)
ودارت نبتة البشري اعترزا
وتقرر طبلها بين الاسام
فهرت قرب ممكن عتكبوت
فلافت عتده شير الغتام

نرى بين الغنى عدى صفارا
وقد ياتون بالكرب الجسام
وقد يتجو اللثى من شر خطب
وفي انفسه يمشر بالجمام

٢ - فضيل النمر

ولد في الناصرة بفلسطين سنة ١٨٨٨ وبعد ان اتم دراسته

- ١ - أحد امثال لافونتين وقد عربها المترجم له شعرا ٢ - توقرت : تهيأت للشر ٣ - السقط : الولد يولد لغير مأم - ٤ - الهمام : الاسد
- ٥ - العرام : النمراسة - ٦ - السخاف : القصور - ٧ - الالتحام : الغرر .
- ٨ - اللطام : التقتال - ٩ - الحمام : بضم اوله هو الاسد .

حينما العلم سلاحا اتبه خير سلاح
وانحاء العرب طسرا هو مرفاة التجاح
ولنا في الصبر لمون كلما هبت رياح
فنجوم الليل في الظلمة تزداد الفساح
واذا ما الليل ولسى اشرقت شمس الصباح

وفي شهر ايار من عام ١٩٤٨ احتدم القتال بين العرب
واليهود في القدس وفي غيرها من المدن وشلت المواصلات
في فلسطين ، وذات يوم زار الشاعر مدينة بيت جالا
ووقف على مشارفها ليرى القدس العربية الحبيبة لقلب
كل عربي وراح يتخيل ما يجري في شوارعها ، مما اراده
لها الفاصيون من قتال وتشريد وسفك دماء ، فجمل
شاعره بهذه الابيات :

على احدي روايتي بيت جالا ولقت اشاهد البحر الحلالا
وقد لعب النسيم بجنايبها وسار الفكر منطلقا وجالا
فما احلى الدساق وهي تبسو غلاية وما احلى الجبالا

وهذي الطائرات تحوم فوقني وقد وفدت بمن فيها عجالا
اراه في الفضاء نذير شوم فكم فكت وكم افنت عيالا
اراه وهي تصلاه اربوا كبركان اذا تسار اشتعلا

ونك (القوس) يا ويحي تراث
وما زالت عمادا مشعرا
ويطقت في عروبتها منارا
وقلت للبلاد بشيخ هدي
وعيدا للمجد الانصبي خطيب
وكم نحو الكنائس من حشود
وما هو ذا (الصليب) اما انراه
هناك روعة وهناك صمت

وفت اسائل التالين عنها
فيا عجيبي اذ هم قد تانسوا
تلاثة اشهر حدث وجادت
وها هي في سبيل النمر نخفو
اصار البعد عندهم انفصالا ؟
تلاثة اشهر كانت تقبالا
بصرعها ولم تدع التفصلا
الى ان يبلغ التصبر الكفالا

بكيت القوس في عهد غريب
وما شلت منازلها ولكن
ولن تلقى السلاح وقد شدنا
فلا نرغى لانفسنا هوانا
فمن غرس السلام جنى سلاما
ومن غرس القتال جنى قتالا !

ومن يواكير شعره في وصف (العيون) قوله :

ان (العيون) رسائل متوحشة فافرا لملك نغم المعنى الدفين
كم حدثني وهي صامتة بما اخفته في الاعمال من سر مصون
فيها ترى معنى الجمال وغاية الإبداع يسر فيها نغم الشعر المبين
سجناك اللهم كيف تكونت هذه العيون النجل من ماء وطن ؟

البدي المثم

عمان

الإبتدائية دخل دار المعلمين الروسية التي اقامتها في
مسقط رأسه الجمعية الامبراطورية الروسية للبنين ، كما
اقامت دارا للمعلمات في بيت جالا بفلسطين ، وبعد ان
امضى في دار المعلمين ست سنوات حصل على شهادتها
وكان من زملائه فيها : مخايل نعيمة ونسيب عريضة و خليل
بيدس واسكندر الخوري وسليم قبيص وغيرهم من
الكتاب والشعراء .

وبعد ان حصل « فضيل » على شهادة دار المعلمين تولى
ادارة المدارس الروسية بزرحة ، وكانت المدارس الروسية
عهد ذاك منتشرة انتشارا واسعا في فلسطين وسورية
ولبنان ، وكان التعليم في تلك المدارس مثاليا .

وبعد ان وضعت الحرب الكبرى اوزارها ، وكانت
المدارس الروسية قد اوصدت ابوابها ، انتدبه الاستاذ
ساطع الحصري وزير المعارف في سورية ابان العهد
الفيطي ، لادارة مدرسة نموذجية بدمشق . و اثر معركة
ميلون بارح فضيل دمشق الى القاهرة مع رجيل من
اخوان له في الثورة العربية الكبرى وبعد ان اقام مدة
قصيرة هناك عاد الى فلسطين خلال الانتداب البريطاني
وتولى ادارة مدرسة بيت لحم الاميرية مدة اثنتي عشرة
سنة وادارة مدرسة رام الله الاميرية مدة تسع سنوات ،
وخلال عمله في حقلي التربية والتعليم نشر نثقات قلمه
نظما ونثرا في الصحف والمجلات العربية كالإخاء المصرية
والإخاء الحمصية والنفاثس المقدسية . و انتهت اجمل
الانتداب البريطاني على فلسطين عام ١٩٤٨ اقتطع عن
العمل وسكن اريحا شتاء ورام الله صيفا ، بقرا وبدون
خوابه ، وفي ١٩٦٥-١٩٦٣ قضى نوبة في اريحا فقرر
نوبة قلبية حادة ودفن في مقبرة الطائفة البروتستانتية
برام الله .

نماذج من شعره : وبعد وقوع النكبة الفلسطينية تلمس
طريق الفلاح لامتته المشردة فوجده في (الاتحاد) وفي
(العلم) الذي هو في الواقع خير سلاح فانشا يقول :

ايها الناس ايقظوا واتهفوا فالدرك صاح
هوذا الليل يشدو وجمال الفجر لاح
ويخيط الشمس بانبت واربج البروق فراح
هكذا الارض استغاثت ترتدي ابيها وشاح

والى الاعمال هبوا يا بنهناج واتشعرا
خلق المرو ليمسى في ميادين الفلاح
وليمسى في سبيل الله والحصب الصعرا

لا تقولوا اقتصب الغصم حمانا واستعرا
وطفى العدوان جهرا في مقاتيتنا السلاح
وجولنا عن ربوع سهول ويطاح
يس تجدي هذه الاشجان نفوسا والعياح
انما الدنيا جهاد وسبيلك كفاح

ابو القاسم الشابي

الذي الشاعر هذه القصيدة في مهرجان « أبو القاسم الشابي » في جلسة الافتتاح التي عقدت يوم الخميس ١٩٦٦/٢/٢٤ في مدينة تونس

ساطع الفرة مراح اليد
ويصوغ الدر كالزهر الندي
لمعة الشهب وفوح المبد
وانتشي الكون بلحن المنشد
وهو من مهجته في صفد
يرتدي من حمده ما يرتدي
يا لزاد من ابي اصيد
بعد اللهو فما من مسعد
غير شعر عهري منجد
سادر الاخلام ضاوي المشهد !

موغلا في موطن لم يقصد
ورماه بالمقيم المقصد
وعذاب من يثقه بسعد
جرها ان ينطفئ يتقد
ركواه قال : يا شعر اشهد !

قد تفنى بالقريض الاجود
خلف ريم لك خافي المقصد
وتفنى في ضلوع همم
بحما من بيان مفرد
وتنزلت بحال الهجد
واستلنوا مفرات الرقصد
وهي ملك للدؤوب المصعد
وهم اهل الهدى والرشد
يجتدي سامعه ما يجتدي
هي شوك في فم المزدرد
واللظى ان تلتب لا تخمد
ووقاهها شر يوم اسود
فتمشت في الطريق الاقصد
هادر مثل العباب المزبد
قد خلت من كل باغ معتد
من يخض غمرتها لا يهتد
وتنأى عن عربن الاسد !

سندا يتبع ظل السند
كيف يسخو والد بالولد ؟
يعلنا في غدنا المفقد !

من سما كالكوكب المنفرد
كلت عيذك بالزهر الندي
رافلات في ضياء سرمدي

غرد ملء صباه الاغيد
شاعر يفتن في انغامه
عقري مارد في فنه
ان تفنى سكب النفس هوى
هو من لوعته في صيب
كلف بالمجد من اطرافه
الاباء المر من حصته
لا يرى في اللهو ما يسعده
يومه ولي فما ينجده
يا له من صادق مكتشب

ومشى الحب الى خافقه
فاحتواه وارفضاه سكتا
والهوى الاول شهد وضني
وبراه الشوق والشوق لظي
كلما حرقه جرح الهوى

يا سري القول والفكر ومن
كم تغزلت بازام الحمى
قد توارى في اناشيد الهوى
كم تغنيت قاصيت النبي
كم هزرت العرب في غفوتهم
ضقت ذرعا بهم ان رقدوا
تركوا عليهم في غربة
رمت ان يحيا حياة حرة
رب قول لك فصل محكم
جمع العرب فكانوا قوة
اجج الثورة في انفسهم
ورعى الاوطان في نكبتها
وهداها سبلها قاصدة
صاغه راق الى اسمى الذرى
قد تمنى ان يرى اوطاننا
وتمنى ... والاماني ضلّة
ثم اغفى في غيابات الردى

يا ابا القاسم قم تلف الحمى
ليس فيه مارق يخلده
انه في حزننا ان نعلنه

يا ابا القاسم يا فد الحجي
هذه (تونس) في فرحتها
النجوم الزهر فيها والمنى

قد تأسفوا بالنشيد الفرد
فشدوا بالذكريات الجدد !

صيحة الحق وظل الأبد
تتخطى بالجنى والرغد
لؤلؤها من ضحاه الأسعد !

عزة العبد وذل السيد
هو ذوب القلب فوح الموقد
وعزاء لقريب مجهود

تجعل الفدقد غير الفدقد
في رباهها ساحرات القيود
خلعة ، واستل شوك الحصد
ما يجليها جلاء الأئمة
درا عزت على ذي العمد
بقربى نافذ كالزرد !

وهو ما زال أسير الخرد
فاتنات بالصبا والسود
من فؤاد مستطار مشهد
فانشى ظمآن لم يترد
تفتلي وجدا فيا للكبد
ومناجاة حبيب مبعود
ببصر اليوم بأفغان الفد

فاختفى الموت وراء الموعد
من كالورد قصير الأمد !
من قوافيك الحيات الشرود
يتغنون بها كالرصد
بعدت شأوا عن المتقصد
قد سما وهجا على ذي رمد
وانشرح في الخلد صدرا وأسعد !

منزلا ينأى عن المجتهد
بك طمأحا لها من يقتدي
أين منه نوافث القعد
تتقي غير نبيل الولد
راح يزري برفيف المسجد
غير شعب عربي المحتد
لم يفر عرضا ولما يزهد !
ظله يهفو له في كبد !
خير أهل ان تنأى بلدي
من حمى الضاد وغاب الأسد
لم يغب شاعركم عن خلدي
مهبط الوحي وماوى (أحمد)
من شريف الذكر حر أنجد
بشريات جمعت من بيد

رحمة الضاد والشعر هنا
ذكروا الشاعر ينبوع شذى

انما الشاعر في آفاقه
دوحة سامقة مورقة
ومنار يملأ الدنيا سنا

يا معنى بالهوى في بوحه
جوهر من كلم او نغم
فيه روح لشريد مصحر

ريشة اودعها الله يدا
روضة فينانة الحسن شدت
جعل الخير شعارا ، والندى
وهفا يهدي الى ابصارنا
ومضى بسكب في اسماعنا
وانبرى للقاصب المستعد

اي عان شفة داء الجوى
زمر القيد تسخن له
فأراق الدمع قربان هوى
يعشق الحسن وكم هش له
كبد تصلى من الشوق لظى
لم تنزل تحيا على وعد المنى
هكذا الشاكي جراحات الهوى

وعند الشورى إعراسه
يا له من عمر مختصر
يا أبا القاسم لم عن شرد
وأترك الخلق حيارى سحرها
انها من ملهم مبتكر
انها نور ذكاء في الضحى
فتنها يا فتى الشعر بها

يا فتى الآداب أحرزت بها
وعريقا في المعالي يقتدي
سمرك الوسمي سحر كله
روعة في اللفظ والمعنى فما
سلسل يختلب اللب وكم
لم يكن يعينك في جهد المنى
وأفر العرض وكم من شاعر
همه الدينار عبدا عاش في
يا بني أمي وفي « تونس » لي
جئت من (مكة) من (أم القرى)
جئت من أرض الهوى أبكي الهوى
بلدي الطيب نبراس الهدى
اتهادى الشعر سحري السنا
من زها ناديه واخضرت به

في مهرجان الشابي

القيت في مهرجان « أبو القاسم الشابي » بمدينة « توزر » في تونس :

يا بلادا ملء قلبي وفمي !!
للإبادة الصيد ، من منهم دمي
تنشر العز لنا في الامم
والنهي يجترها في العلم !
بشذى الطيب وزهر العندم
توجت (بالاطلس) المعتصم
قلت : يا نفر تمهل والشم !
ورؤى من امننا المنصرم ؟
أنجبت مثل (زياد) اللهم ؟
يا رؤى من فجرنا المتسمم
خالدا مثل خلود الانجم
شرف الحرف ، وحلو النفس
فوق ليل مدلهم مظلم
حركت كل فعيد ملجم
ومضة الفكر ، ووحى القلم
كل لحن خالد مستلهم ؟
جر اذبال السنا في القمم
مرة اقناها .. كالملة
علمتي .. كبرياء الالم
انا منها في دجي في عيلم
بد اني حائر لم انعم
انت فوق الموت ، فوق العدم !

تونس الخضراء .. طيبي واسلمي
أمتي العرب .. وانت موئل
قد عشقت اليوم فيك نهضة
كل امجادك تستهوي الدنيا
الثرى فيك جنان عيقت
والمروج الخضر فيك قلعة
كلما لاح لعيني .. منظر
كيف لا اعشق فيك مشهدا
لم لا يكبر قلبي .. أمة
تونس الخضراء .. !! يا مهد السنا
جئتك اليوم احبي شاعرا
شاعر من عبق أمجاد
مر في الدنيا ، كما مر السنا
صيحة للحق منه انطلقت
لا تقل مات .. فلن يفني الردى
كيف ننسى بليلا اسمعنا
أيها الشاعر .. يا من مجده
جئتك اليوم لاشكو غصة
جئت اشكو من حياتي قسوة
مثلما كنت تعاني غربة
انت عنها ناعم في غفوة
يا (أبو القاسم) يا صنو الحجي

مقبل العيسى

جدة

وسراها للطريق الجدد !
انت ما زلت هنا فخر الندي
فاليك الوجد لما يرقد
يتراءى فيه اجلى فرقد
هو للفصحى ندى واسترقد !
من « عكاظ » زاهر او « مرند »
ركزوا للمجد اقوى العمد
هو كالروح سرى في الجدد !
كلها للشعر عطشان صدي
من عماليق القريض الابدد
وتسلفتم لها اسنى يد
بالعلى واستشرفت للسودد !
فابتهج بالمجد ، واهنا ، في غد !

حسن عبدالله القرشي

هي تجوى (العرب) في وحدتها
يا ابا القاسم هل من نفحة ؟
يا ابا القاسم قم من رقدة
محفل الشعر تصباك فتى
فارقد الحفل بشعر رائع
مهرجان الشعر احييت لنا
ما ادى الا الهاليل الالى
جددوا للشعر عهدا يانعا
يا بني امي شفيتكم اكيدا
كرموا في كل حين نانعا
دنتم الفصحى تراثا خالدا
فرعى الله ربوعا اخضبت
يا ابا القاسم ايقظت الحمى

الرياض

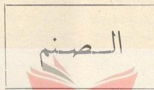
رفيقة هادئة ، وبدا كأنه يخرج من حلمه ، فتشجعت الزوجة وافتتبت منه ورفعت رأسها إليه مفتوحة العينين ووضعت يدها على خدها تنتظر حديثه في سكون ولهفة .

وقال محمود : اشعر الان كأنني تلميذ في لجنة امتحان ، ولكن السؤال سهل والجواب عليه هو الذي يحتاج الى جهد ، وقد أحسست عندما قلت اني قد اريح نفسي اذا حدثتك عن سر زينب اني سأستريح فعلا اذا تحدثت مع اي انسان عن ذلك ، فكيف اذا تحدثت به لك انت ، وشعرتين بعد قليل تفسر ذلك واني اشعر بانني أحمل كثيرا من الوزر في ان زينب بقيت عانسا الى اليوم ، ولكني فعلت ذلك « عن حسن نية » كما يقولون ، أو بتعبير أدق ، كنت في حالة عدم توازن وفقدان للشعور بحيث لا اعرف الخطأ من الصواب . وسأبوح لك الان بكل شيء - وليس في ذلك ما يزعجك أو يعينني - لأريح نفسي من التفكير والإحساس بالذنب ، ولتقولي لي : هل أحسنت فيما فعلت ، أم أسأت الى فتاة منكوبة عن غير قصد مني .

تقدمت الزوجة بمقعدها في حركة سريعة حتى لاصق مقعد محمود مواجهة له واقتربت منه حتى الصقت ركبتيها بركبتيه ، ووضعت مرفقيها على ركبتيها وخديها فوق يديها تنظر بعين فاحصة وتسمع بكل وجودها وقد ركزت كل احساساتها ومشاعرها في اذنيها وعينيها لتسمع : « عرفت « زينب » في صبيان صبيين في مطلع الشباب ، وفي صباها كانت الحواجز والموانع ، التي لم يدرها جيلكم ولم يحس صرامتها وقسوتها وجبروتها ، هي التي تتحكم في صلة الفتاة والشباب ، ولكن ذلك لم يمنع من قيام علاقة ساذجة بين شاب وفتاة ، حتى لو كانا في قرية ، على اننا كنا بعد الاجازة تنتقل الى القاهرة ، ولم تقم بيني وبين الفتاة علاقة خاصة لسبب واحد : هو ان اخي سبقني

في الهرب من الجواب وتشفق الزوجة من الاحاح في هذا الحديث ، فهي تعرف شعور زوجها الرقيق واحساسه المرهف ، ولكنها في هذه المرة استبدت بها الرغبة في معرفة ما عنده عن هذا الامر ، فهي تعرف بفريضة المرأة التي لا تخطيء ان عنده شيئا يعرفه ويحرص على كتمانها .

وكان « الجو النفسي » والماعطف بين محمود وزوجته في ذلك اليوم يسمح لها بالتقدم خطوة اخرى في الحديث عن هذا الموضوع ، فسان الزوج لم يظهر عليه الضيق الذي كان يشمل وجهه كله ويسيطر على



بقلم محمود الشرفاوي

http://archive.etaarbakim.com

في كلامه ، الذي يعبر عن الزوجة كبر حركتها منها وتذكر دلالتها . كان محمود في تلك الساعة يندمج في حلم من احلام اليقظة . وقالت الزوجة: تريحنى يا محمود وقد تريح نفسك لو أخبرتي عن السر في عدم زواج زينب الى الان ، وعن المعاملة اللطيفة التي تخصها بها ، والتي اشعر ان ورادها شيئا ما ، وأؤكد لك صدق احساسي وبقيتي باخلاصك لي وان هذه المعاملة لا تبطن اي معنى من المعاني التي تخافها المرأة ، او هكذا هي على الاقل الى الان . . !

وظهرت على وجه محمود ابتسامة



خرجت « حفرة الناظرة » وودعها محمود وزوجته الى باب المنزل الخارجي ، ثم عاد الزوج مسرعا فجلس حيث كان يجلس في « الاتريه » وعلى وجهه دلائل التغير وسحابة خفيفة من الالم ، ولحقت به زوجته ، وقبل ان تجلس الى جواره قالت تحدثني :

لماذا لا تتزوج « حفرة الناظرة » كما كنت تناديهما تطلقا ومزاحا لست ادري لماذا لم تتزوج الى الان مع اني سمعت منها ومن غيرها ان كثيرين من الرجال خطبوها . . . حقيقة ليست جميلة ولكنها ايضا ليست ديمية ، وفوق ذلك لها مركز ووظيفة ومرتب كبير : اربعون جنيه ويمكن اكثر ، وبعد فترة قصيرة من السكوت استأنفت تقول : يظهر ان المرأة عندما تكبر في السن وتفوتها الفرصة تصبح مترددة وموسوسة تشك في كل شيء ولا تقدم على شيء ، فقد حدثتني « حفرة الناظرة » عن اسباب رفضها بعض خطاها ففهمت منها انها تخاف من كل شيء ومن كل رجل وانها « خلاص باه » رضيت بذلك .

كانت زوجة محمود تتكلم بهذا الحديث وهي غير ملتفتة اليه ، بل ترتب بعض المفارشات التي اختلت اوضاعها من اثر الجلوس وشرب الشاي ، ثم نظرت الى وجه زوجها وقالت :

الاحظ انه كلما زارتنا « زينب » تحدثت اليها في مرح وتلطف يخفي وراة بعض الاضطراب ، فاذا خرجت تولاك سهوم وتفكير وشيء من الكآبة، هل انا مخجلة في ملاحظتي . . وهل يضايقك مني هذا الحديث . . .

ونظرت الزوجة الى وجه زوجها واطلت بعينيها الجميلتين الغويتين على اعماقه تنتظر الجواب .

ولم تكن هذه هي المرة الاولى التي يجري فيها مثل هذا الحديث بين الزوجين عن « حفرة الناظرة » وعدم زواجها ، وفي كل مرة يتلطف الزوج

الى هذه العلاقة فاستلحت له الطريق وكلفت نفسي وحجزتها ، واستطلعت : كتب لي كلمة صغيرة على ورقة صغيرة مرفقا من كراسة : « انها تحبني » . وكان لا بد لي ان اكون على صلة بهذه العلاقة ، او هذا الحب ، بين اخي وبين « زينب » ، بل على قسط من المشاركة فيها ، فقد كانت في مدرسة داخلية ، الرسائل التي الطالبات فيها متنوعة بناتا ، وكل غريب يقابل تلميذة لا بد ان تكون معه رسالة من ابوها او ولي امرها للنظر . وكان والد زينب ، لامر لا اعرفه ، يضع ثقتي في دون اخي ، ربما لضر سني ومظهري الهادي الحذر ، او لان حاسته كآب ادركت ان شيئا قد يقع بين بنته وبين اخي .

المهم اني ، بحكم هذا الوضع ، كانت فرصتي للاجتماع بها اكثر من فرص اخي ، وكان - هو وهي - يتقانا في خلقي وكنمائي . لذلك كله كنت مطلما على علاقتهما ، وكنت ، في نفس الوقت ، اصف عند حدي واعرف ما تسمح به الظروف والضرورات من هذه العلاقة ولا احول ان اعرف اكثر من ذلك ولا اطلع .

ودامت هذه العلاقة بينهما ثلاث سنوات لم تخرج عن حد الاخوة والصداقة ، ثم سافر اخي الى فرنسا ، وكانت رسالته اليها تصل الي اولا داخل خطاباته لي فتصل اليها مقلدة ثم تقدمها الي مفتوحة ، بعد ان تقرها فاحتفظ لها بها ، لا تحدثني نفسي بان اقرأ ما فيها ، وربما لم يكن سبب ذلك الامانة والسيطرة على النفس فقط ، بل كان من اسبابه اشفاقي على نفسي مما فيها ، فلم يكن قلبي خاليا من « شيء ما » نحو زينب ، ولا تؤاخذيني الان على ذلك يا زوجتي .

قاسرت يد الزوجة تربت على خد محمود ولم تتكلم ولكن لمعت عينها ببريق لا يخلو من اثر الدموع ، واختلجت شفتاها .

وقال محمود : ثم كانت التوبة التي تعرفنيها ، في جنوب فرنسا ، وحلت الفاجعة بنا جميعا : اخيه واخشته وزوجة ابيه التي لم يعرفوا غيرها اما ولم تر لها ابناء سواهم ، وزينب معنا : وقعت مضى عليها عندما جاءها الخير وليست السواد ولم تخش احدا ، وهزلت واضمحلت حتى لامها الناس واشفقوا عليها وعجبوا لامرها . وكنت انا وحدي الذي يعرف سرها ويدرك مصابها وبلوها ، وكانت في ذلك الوقت مدرسة تؤمل وتحلم بالبيت السعيد وعشرة الشاب الذي احبها واجتته خمس سنين ، بقيت تنتظرها ليلة بعد ليلة تجالذ وتفكر وتصبر .

وجاءت « صناديق » اخي وكتبه وحاجياته من فرنسا فلم افتحها ولم استطع ان امد لها يدي او يقع عليها بصري ، لا انا ولا احد منا . وبعد شهرين تلقيت رسالة احتر كنياتي كله عندما وقع بصري عليها واستولى على العجب عنهما قرأت العنوان المكتوب عليها : كانت من فرنسا ومرسلتها الى شقيقتي ، وكان لابد ان افصحها .

صفحة من كتاب « صناديق » اخي ، صفحة ، من زميلة لآخي في الجامعة تقص فيها على اختي ما كان بينهما ، وبين اخي من الحب المظلم العنيف ، وكانت الرسالة تفيض بالحب والحزن الى درجة مثيرة ، ومع الخطاب صورة الصديقة الحزينة وعزاؤها لشقيقتي التي كانت تسمع اسمها منه كثيرا في احاديثه ونجواه .

وقرات الرسالة مرة ومرة وانا في عجب وحيرة : هل كان ذلك حبا حقا ؟ ام انها اوامام فتاة من بنات السن ٤٠ ؟ ولكن حرارة الرسالة وصدق عاطفتها كانا يشعراني بان الامر اكثر من وهم .

وفكرت في « زينب » الحزينة المنكوبة التي تقاوم وتقاالب ولا تستطيع ، ولكنني لم احداثا بشيء طبعيا ، لاني لم اكن استطع ان اذكر اسمه او المح الى سيرته معها ولا مع

غيرها . كانت الفجيعة جرحا ممضا عميقا عميقا لا استطع ان اسفه ولا ان يمر به نسيما ولا ذكر ، ولاني - كما قلت لك - كنت في حالة من التلاشي والانهايار بحيث لا استطع ان اعرف الخير من الشر ولا الصواب من الخطا ولا النور من الظلام .

ومرت الايام والسر الجديد الى جوار القديم لا يعرفه احد ، حتى اختي التي جاءها الخطاب من فرنسا لم تعرفه .

ومضت سنون لا ادري اليوم كم هي ، حتى استطعت يوما ان اضع يدي على « الصناديق » التي ظلت في ركن حجرتي هذا العدد من السنين منذ وصلت من فرنسا ، واستطلعت شيئا فشيئا ان افتح بعضها وانسا اثر فق وانلمس ، كانما هي نار تحرق ، ووجدت في بعض هذه الصناديق « كتكولا » كثيرا عرفت فيه خط أخي الذي جعلته القربة - وربما غيرها - قلنا مسرعا مضطربا ، ولا ادري كيف استطعت يوم ذاك ان افتح واقرأ . ووجدت بين احاديث اخي تلك الصفحات من تلك الفتاة التي راسلت اختي وحدثتها عن حبا لآخي وحبه لها ... وبين تلك الصفحات من الكشكول صور كثيرة لها ، وله معها في نزهات وخلوات .

لم تكن اذن اوامام فتاة من بنات السن ٤٠ . ففرت الى ذهني صورة زينب الحزينة المنكوبة التي تقاوم وتقاالب وتعيش مع الاحلام والذكريات والتي جاءها في تلك السنين ، التي نسيت عددها ، كثير من الراغبين وهي تردم وتقدم : وجهها منكفيء الى الماضي الذي ولي . لو تعرف ... لو تعرف المسكينة هذا الوهم الكبير الذي عاشت فيه وضيعت ما ضيعت من عمرها وشبابها ... ولكن : لعلها سعيدة بالعيش في هذا « الوهم »

✽ كتاب « اعصار ونسائم » مجموعة من القصص والشعر العاطفي ، تحت الطبع ، يصدر من بيروت .

رائعة

حبها ، يا حكاية لانوجاعي
يا دوام اشتياق حلمي المعنى
عند رفات طيفك انهار بسوح
شاقني التيه رفرف الوصل صوب
اي آه تمادت اللقطة المفنـاج
اطفـعتك الالـعان خمرا واوخت
غصة انت جمعت في مدى لح
جودج رجي

لست ادري ، فهل تستطيعين ان
تجيبى ؟
ولم تجب الزوجة وبدت كأنها هي
لم تسمع سؤاله . واستأنف «محمود»
يقول : احيانا اشعر بأنني مذنب احمل
وزرا ثقيلا يضيق له صدري وينوء به
صبري ، واحيانا اشعر بأنني بريء
برأءة طفل ، واحيانا اشعر بأنني في
تيه لا استطيع ان احكم على شيء ولا
ان اميز شيئا من شيء ، واحيانا
احس بأنني ضحية ، جنى عليه .
كل ما اعرف الآن اني بدأت استريح
شيئا ما بعد ان بحثت بما في نفسي
وانزلت عن قلبي حملا ثقيلا ووجدت
من يشاركني بعض هذا الحمل الذي
شقيت بحمله وحدي دهرًا طويلا .
قالت الزوجة - وقد بدأت تنهض
متكة على كتفه : لا استطيع ان اجيب
يا محمود ، انك كنت اداة في يد
القدر ، رشحة في/مهبط الريح ،
« شيئا » مدموم القصد والارادة ،
انسانا معدبا مسكينا بلا ذنب ولا
جريرة . وكل الذي اقولهُ : انك
يا زوجي ملاك ...
ووضعت على خده قبلة وهي
تسرع تخفي عنه دمعها .

مصر الجديدة محمود الشراقوي

الكبير » ، لعلها سعيدة سعادة المرأة
التي احبت انها ضحت وجاهدت
واخلصت وصبرت وتجردت ، ولكن:
اخلصت لاي شيء ؟.. لمن ؟..
اخلصت لوهمها وذاتها واحلامها
وماضيها ، وهي تشعر بمثل تلك
السعادة التي تحسها الشهيدة وهي
تلقى في النار او تواجه العذاب
والموت . انها تؤمن « بفكرة » وتحبها
وتخلص لها وتعيش فيها وتراعها
« نصيبها » المحتوم من الحياة ، وهي
راضية بهذا التصيب بل لعلها سعيدة
به ، « عيب » نصيبها « هذا قائما على
وهم ، وهل الحياة الا وهم كبير ؟..
وهل اذا اخرجتها انا من هذا الوهم
اخرجها الى وادي النسيان والسعادة؟
ام اخرجها الى وادي التيه والعذاب؟
فتفقد اعتقادها بأنها شهيدة المقادير
والحياة وعزائها بأنها ضحت واخلصت
وصبرت وضربت للوفاء مثلا ، ثم
لا تكذب عوفا عما فقدته سسوى
الشعور بالهوان والمذلة وانها كانت
هزاة وسخرية . لم تكن سوى فتاة
مخدوعة .

ومن العجيب - ولعله ليس
عجيبا - ان مذكرات اخي تلك كان
فيها ذكر « زينب » وجبها الى جانب
فتاة الفرنسية وجبها ؟.. ولكن
ذلك ان يعبر من الامر شيئا ، بسـل
لعله ان يزيد سوءا وشرا !
هل احدث « زينب » بأسر تلك
الفتاة وامر اخي معها لعلها تنساه
وترضى بغيره فتتزوج وتعيش كما
يعيش الناس ؟.. وهل تفعل ذلك اذا
حدثتها ؟.. ام انها تكفر « بالصنم »
والحياة معا بعد ان فقدت « عبادتها »
وجوهر حياتها وروحها ، وان كان
هذا الجوهر هو الحزن ، وهذه
العبادة هي الوهم الكبير .
لعلها هي في وهما وحلمها أقر
عيننا مني انا الذي يعرف « الحقيقة ».
ظلت اياما واسابيع « وربما
سنوات ، اردد في نفسي وخاطري
هذه الاسئلة وهذه الفروض ، وكلما
تقدم لها خاطب دعوت الله ورجوت



محمد سليم رشدان

في مسالك الدروب

بقلم محمد سليم رشدان
المحاضر في كلية الآداب بالجامعة الأردنية

هؤلاء الدعاة

العامية التي يتحدث بها الناس .. هي لغة ؟ .. أم هي لغة ؟! ما هي بالنسبة للعربية الفصحى ؟! أنها تختلف عن الفصحى دون شك ، واختلافها واضح ، نستطيع ان نحدد ، ونبين صفاته ، دونما جهد او اعمال فكر .. وان زعمنا ان هذه العامية لغة قائمة بذاتها ، تختلف بين قطر وقطر ، من بلاد العربية الواسعة ، فما نحن وهذه اللغة ، التي تختلف عن الفصحى ، الرابطة الوثيقة ، التي تربط العرب بعضهم ببعض ، من الخليج الى المحيط ؟!

كانوا يقولون : ان هذه العاميات اللبنانية ، في اطار الوطن العربي الكبير ، بقايا بقية ، من اوزار عهود الانحطاط ، التي فُرِست على العرب ، بعد ان غلبوا على امرهم ، واصبحوا نهباً مقسماً بين الدول التي اجتاحت ارضهم ، والغزاة الذين قهرهم ، واستمر ذلك حيناً مديداً من الدهر ، استمر منذ دالت دولتهم في بغداد ، وتوالى حتى الامس القريب في الجزائر ، وما زال يتوالى في انحاء كثيرة من بلادنا ..

كانوا يقولون ذلك .. ويشيرون الهمم لكافة هذه

العامية ، لتعود للعرب لغتهم الفصحى ، ويعودوا امّة واحدة ، ذات لسان واحد ، وتاريخ واحد ، ووطن واحد. ولكنها بدأت تغلو في الاونة الاخيرة اصوات ، من العرب التحريرين في اوطانهم ، وليست من المستعمرين ، وانغاضهم لا تخفى .. هذه الاصوات تنبعت احياناً ، تدعو الى الابقاء على هذه العامية ، ما دامت قد سجلت نصراً مؤزراً ، في المسرح والسينما والاذاعة ..

وتنبعت احياناً .. تدعو الى مزجها بالفصحى ، والخروج من ذلك بلغة مبسطة ، يسمونها (الفصحامية) ، اي الفصحى ممزوجة بالعامية ، ويبسدون لهذه الدعوة حماساً بالغاً .. بل تكتب في ذلك ابحاثاً مطولة ، مجلات اسماءها بارزة ، ومن كتاب معروفين .. وتصدر في ذلك كتب بين شعر ونثر ، وكان اجرا هذه الكتب ديوان (بارا) بالعامية اللبنانية ، والحرف اللاتيني ، وهو لسعيد عقل .. ويلي في الجراة ، ديوان (اليش) ، وكله شعراً عامي ، باللهجة اللبنانية ، وفيه تمرد مطلق ، على قواعد اللغة العربية ، وهو لميشال طراد ..

تري .. اية بداية هذه ؟! والى اين المنتهى ؟! انرانا ستكون بذلك كالساعي الى حتفه بظلفه ؟! انراها دعوة مبطنه الى خلق (مالطا) جديدة ، في كل قطر من اقطار الوطن العربي ، تنقلب فيه عاميته ، الى لغة خاصة به ، ترفع لها اسلوب جديد في الاملاء ، او تكتب بالحرف اللاتيني .. كما هو الحال في لغة (مالطا) التي هي لغة عربية ، لا تختلف عن لغة اهل المغرب العربي في شيء ؟! ابشيري .. الى اي هدف يهدفون ؟! .. والى اية غاية يتجهون .. ؟! هؤلاء الدعاة !!

غاية .. وطريق

قال لي وهو يقف امام لوحة من الرسم التجريدي : هل تستطيع ان توضح المدلول من هذا الذي تراه انت ، واراء انا ؟! حذار ان تتوهم بانني اختبرك .. حذار ان تتوهم هذا .. فانا - نفسي - لا استطيع ان احدد هذا المدلول ، فهل تستطيع ذلك انت ؟!

واذهلني مفاجأة السؤال .. فلقد كنت احقد بذلك الرسم التجريدي ، ولكنني لم استطع ان اوضح المدلول ، الذي يشير اليه .. ومن اين لي ان اعرف ذلك المدلول ، وما في اللوحة لا يزيد على الوان متشابكة ، وخطوط يعارك بعضها بعضاً ، وفجوات من الضوء هنا وهناك ، تتوزع في جوانب تلك اللوحة ..

وقفت ابتسم في وجه سائلي ، وانا ارد عليه بقولي : ان من سيقنا من الناس ، حكموا بان المرء لا يمكن ان يحيط بأسرار شان من الشؤون ، ما لم يستوعب قواعده ، ويعرف اصوله ..

فقال يقاطعني : ارجو ان لا تصل بي الى مدرسة (المشائين) من الفلاسفة ، وحسبك ان تذكر لي مثالا على

ما تقول ..

قلت : المثال على ذلك بسيط هين ، ولن يصل في مدها الى حافة الفلسفة ، لا عند (المشائين) ، ولا عند (الرواقيين) ، ولا عند سواهم .. وانك تعلم ان المرء ، لا يمكن ان يتذوق الشعر ، ويتفهم معناه ، ما لم يكن له المام بقواعده واسسه . فاذا ما كان له ذلك ، استطاع ان يدلك على مواطن الجمال في ذلك الشعر ، ان كان في ذلك الشعر ، شيء من مواطن الجمال .. وفيما عدا ذلك .. فان الشعر عنده يتساوى بالشعر ، كما يتساوى بأي شيء عداه ..

قال : هل افهم من كلامك ، انك تريدني ان اتعلم هذا اللون من الرسم ، حتى اصل من ذلك الى تفهم اسراره ، وادراك ما يرمز اليه من مدلول ؟؟

قلت : لست اريد ذلك ، وانما الذي اريدك ان تفعله ، واريد ان افعله كذلك ، هو ان تقرأ شيئا عن هذه المدرسة ، التي ابتدعت هذا اللون من الرسم ، وعندها سوف يهل علينا ان نقدر الجهد الذي بذل في انجاز مثل هذه اللوحات . قال صاحبي : وذلك امر بطول .. ويطول .. قلت : وهل ظننت احدا ينتهي الى غاية ، ما لم يقطع اليها الطريق ؟؟

لو فعلت ذلك

حين تستقبل يومك مع الصباح الجديد ، يكون بالغ همك ان لا تصل اليك مساوئ الناس ، وكأننا لسان حالك يردد :

وان امرأ يسي ويصبح سالما من الناس الاما جنى .. تسليفا ؟؟ ويظل همك الاول والاخير ، ان لا تصل اليك مساوئ الناس ، وان تبقى سالما من شرهم ، بعيدا عن اذاهم .. ذلك شيء بلغ حد اليقين في النفوس ، ولست وحده تنفرد فيه ، بل يشاطرك فيه الناس جميعا ، وليس ذلك وليد يومك او امسك القريب .. لا .. ليس ذلك كذلك .. بل هو قديم .. من ايام حسان بن ثابت شاعر الغسانة ، ثم شاعر الدعوة النبوية الكريمة من بعد .. ومن ايام سبقت حسان بامد طويل .. فاناس هم الناس ، وتطاحتهم في ميدان الحياة ، بدا منذ بداوا ، وما اقدم ذلك العهد . فليس في الامر اذن مجال للنفي والاثبات ، ما دام قد وصل الى حد اليقين ، الذي لا جدال فيه ، ولا اجتihad ولا تأويل ..

والشيء الذي بقي بين يديك ، هو ان تسأل : عن اسباب هذا الشر ، الذي يخبئه الناس ، ويفاجؤوك به من حيث تدري ، او لا تدري .. وان تسأل نفسك قبل ان تسأل غيرك ، ولسوف تسمع منها اذا ما تجردت عن الهوى ، انك شريك مع هؤلاء الناس في كل ما يصيبك منهم . وهذه المشاركة اسهمت بها دون ان تفكر بعواقبها .. اسهمت بها : حين رايت نار الشر مضطربة في وجه

زيد من الناس ، فزدها ضراما .. حين قابلت شره بشر من مثله .. حين سمعت الهجو على لسان عمرو من الناس ؟ فاضفت اليه هجوا ، فاستحال الى ممركة .. حين لمحت التحفز من حاسد او حاد ، فتهيات له بتحفز وترقب فكان صدامكما عنيفا حين وقع ..

اسهمت بهذه المشاركة ، حين فعلت ذلك كله .. ولو انك وقفت عند الآية الكريمة ، التي تقول : « ادفع بالتي هي احسن ، فاذا الذي بينك وبينه عداوة ، كانه ولى حميم .. » ، لو انك وقفت عند هذه الآية الكريمة .. ولم تتجاوز حدود مدلولها .. لو انك فعلت ذلك .. لكبحت جماح كل شر ، ينحو نحوه اليك .. ووقفت كل معتد عند حده ، فارتدت عقبية ، وانك قادر على ان تفعل ذلك .. فما لك لا تفعله ؟؟

غذاء الجسد .. وغذاء الروح

انه عائد من المنفى .. المنفى الذي كتبه على نفسه ، بعد ان دفعه طيش الشباب الارض ، وحماس الفتوة الحمقاء ، الى ان يباشر من الاعمال ما يضع القانون فسي آثاره ، يقتضيه ان يجلس به مجلس العدالة ، ليحاسبه على ما قال او فعل ، حين مال عن الجادة ، وتخطى الصواب .. وقلت له اسأله : كيف مرت بك هذه الغيبة الطويلة ؟؟

فغام وجهه ، وتقلبت اساريره ، وزم جوانب عينيه ، كأنما هو يتخلف في بعيد غير منظور ، ويقرأ من صحيفة طواه الزمن ، ووقفت عليها الايام ، وقال : لماذا تسميها غيبة طويلة ؟ ما لك لا تسميها تشردا ؟ ما لك لا تسميها ضياعا .. نعم يا اخي .. انها كانت تشردا .. وكانت ضياعا .. كاني بك تعجب .. بل كاني بك تتساءل : كيف تكون كذلك ، واهلك ذوو يسار ونعمة ، وما كانوا ليفعلوا ويتخلقوا عن امدادك بما تحتاج اليه .. كاني بك تفعل هذا .. ويفجب عنك ان الحياة لا يغني فيها جانب واحد عن سواه من الجوانب ، وان قوام هذه الحياة لا يمكن ان يتكامل ما لم يتوفر فيه غذاء الروح وغذاء البدن .. ومن اجل ذلك قالت تلك البدوية في بعيد ايماننا ، حين وضعوا في حياة الرفاهية ، في قصرها الشامخ في دمشق .. قالت وهي صادقة كل الصدق :

ليست تغفك الارياح في احد الي من قصر منيف
ولا عجب ان تقول هذا .. فبي لم تجد في ذلك القصر غير غذاء واحد .. غذاء الجسد وحده .. وما كان الانسان ليعيش في غذاء الجسد وحده ، ثم يكون مستمتعا في حياته ، مهما كانت هذه الحياة منعمة مرفهة ، موطأة الجوانب .. وذلك ما تذوقته انا .. تذوقته بكل ما فيه من غصة ومرارة والام .. وما كان ليحجيني هذا ، ما يصلي من مدد ، وكفي حاجتي وزيد ، فاحسست بتلك الحرقعة ، التي كنت اسمع الناس يتحدثون عنها ، وهم يصفون حينئذ الى الديار .. وتذوقت حرارة الفضة ،



الريفية المهاجرة

يا جنة الحرمان
ما فتحت
لتيسم غنى لها قبله
يا صعبة
بالنفر باخلة
انا لا احبك في الهوى
سهلة
يا حلوة
عن ريفنا اغتربت
وجفونها بالدمع
ميتة
فاتل حور
كان يفمرها
ويمد فوق جبينها
ظله
عودي لبيت
صار منفردا
متلهف القريميد
في التله
فؤاد الخشن

يا حلوة في الريف
قد اخذت
في اللين عن شربينه
دثه
طلعت
فقيل الروح مطفرة
بالسحر والاغراء
منهله
وبسفحنا صفافة شهقت
للفتح والايقاع
في النقلة
يا طفلة
ففي ما تسألني
عما تزال بعلمه
طفله
الحب
من اوحى لشاعره
وعلى دروب الوجد
من دثه ؟

ذلك مجمل حالي خلال غيبتني الطويلة .. وحين اذن
لي ان اعود الى الوطن ، احسنت انني انسان جديد ، يعود
الى حياة الناس ، بعد ان يس من هذه الحياة او كاد ..
فقلت للرجل : حسبك ذلك .. وانه لكثير ...
عمان
محمد سليم رشدان

التي يتجرعها كل غريب ، حين تبعد به الدار ، وينأى عنه
المزار .. وكان لسان حالي ما يفتأ يردد :
وارحمة للغريب ، في البلد النازح ماذا بنفسه صنعا ؟
فارق احبابه فما انتصوا بالعيش من بعده وما انتصوا
يقول في نابه وغربته مدل من الله كل ما صنعا

والتعب بمعناه الواسع ، هو حالة عقلية . انه حال من الضجر اكثر من ان يكون اجهادا ، عقليا او بدنيا . والشخص السوي - سواء اكان رجلا ام امرأة - يمكنه ان يعمل في الغالب بغير حدود ، حين يكون هذا العمل مصدر لذة شخصية للقائم به !! .

الكراهة العقلية

ذلك الشعور بالتعب في الصباح ان هو الا كراهة او نفور عقلي للعودة من جديد الى العمل الروتيني . هل تشعر حين تنهض من نومك لتذهب الى عملك بنفس الشعور حين تصحو لقضاء نزهة خلوية في اطراف المدينة مع جمع من الاحباب ؟ . ان الفرق في ذلك لا بد كبير !! . ذلك الشعور بالتعب في العمل يزول حتما ويمحي اثره بمجرد سماعك ان رئيسك قد انتابته نوبة كرم ومروءة مفاجئة ، كان من نتيجتها ان امر على اثرها بمنحك نصف يوم اجازة .

او اذا كان العمل الذي امضيت عدة سنوات تعمل فيه مع رجال كبار في السن تغيرت الاحوال فيه فجأة بتعيين مجموعة من الموظفين الجدد من الشبان الصغار والفتيات الصغيرات ممن تخرجوا حديثا ، فكم يكون الفرق في مقدار العمل الذي يمكنك القيام بتأديته دون ان تشعر بنأي تعب ؟ . ان ذلك الشعور بالتعب اذا كان في المنزل سرعان ما يختفي حين ينظر اليك في الاق مشرور نزهة خلوية مع مجموعة من الصحاب باتون اليك فيطلبون منك ان تريهم مسكنك الجديد ، ثم تدخل معهم في مباراة في الشطرنج او الترد او اي شيء اخر من الاشياء الكثيرة التي تتطلب منك بذل مجهود كبير . فاذا كنت تحب ان تقوم بهذه الاشياء ، فستشعر بلذة شخصية وسيغدو الاجهاد وكأنه احد الحقوات التي تناسب مزاجك .

طاقة لا تنضب :

وفي تعمين في المائة من الحالات سيثير دهشتك مقدار الطاقة البدنية والعقلية التي يمكن ان تستنفدها بعد ان تكون قد وصلت - في الظاهر - الى نقطة القطع (١) ، اذا كان هذا الذي شرعت في عمله في حينه سيهيئ لك المتعة لتأديته ، او تشعر بالارتياح والسرور لانجازه . والشخص الذي يناله التعب الشديد من القيام بتأدية بعض اعمال بسيطة صغيرة في بيته بعد الانتهاء من عمل يوم شاق ، يمكنه ان يقضي وقتا في السباحة او في لعبة الجولف او ممارسة اي نوع من انواع الرياضة البدنية الاخرى التي تتطلب بذل طاقة او مجهود اكبر بكثير من الاعمال التي قام بتأديتها من قبل . ومع ذلك فلن يكون



عبد العزيز جادو

ذلك الشعور بالتعب

بقلم عبد العزيز جادو

ذلك الشعور بالتعب ... وخاصة في مثل هذا الوقت من هذا الزمن .. زمن الانتاج !! .

هل تشعر بالتعب حين تصحو من نومك في الصباح ؟ هل تشعر بالتعب الشديد في اثناء تأدية عملك اليومي ؟ وحين تلهو مع اطفالك في المساء ؟ وحين تقدر مباحج الحياة حق قدرها ؟ وحين يغتر بفركك بابتسامة لجميع اصدقائك ومعارفك ؟ هل انت في غاية التعب من التعبير عن شخصيتك بشئ، من البهجة والانبساط في بيتك ، وفي مكتبك ، وفي الطريق ؟

وفي غاية التعب من ترتيب نفسك واعدادها في اثناء لحظات فراغك من اجل تحسين مركزك ، حتى يمكنك ان تحصل في يوم ما على مزيد من الراحة ، وعلى كثير من متع الحياة ومسرانها ؟ كن صريحا مع نفسك !! . حلل نفسك !! . اذا صبح انك تشعر عادة بالتعب الشديد من تأدية هذه الاعمال اليومية التي تسر اليك نفسك الطبية بضرورة ادائها ، فلا تخف من ان تفشيها او تدع سرها .

ان كل انسان تقريبا عنده ذلك الشعور « بالتعب الشديد » في كثير من الاوقات . والشئ الوحيد الذي يجزلك حقاً ان تبوح او تجه به هو اخفاك في ايجاد السبب ووضع يدك على موطن العلة ، واستعمال العلاج السريع ، الفعال .

وحين يحدث هذا نرى كامن من امور التجربة العادية ،
انه بقدر ما نستغله من الطاقة ، بقدر ما تمدنا الطبيعة في
الظاهر من قوة شديدة لاستعمالها .

ابحث عن السبب العقلي

فإذا شعرت بتعب شديد من تأدية عمل خاص فابحث
عن السبب العقلي !.. وانظر لماذا لا يكون هناك لذة أو
متعة تستشعر بها عند انجاز أو اتمام نوع النشاط الذي
تؤديه ؟.. ولماذا يضيقك ؟..

اجب على هذه الاسئلة ثم اشرع فوراً في إيجاد طريق
يكون مناسباً لهذا النوع من النشاط الخاص الذي يمكن
أن تجد فيه شيئاً أو بعض شيء من السرور والبهجة .

نه اهتمامك !.. واستغفر ربك ! وأوجد منبعاً للنشاط
والبهجة والسرور في النشاط ! وارغب رغبة أكيدة في
عمله .. عندئذ ستجد أنك تملك طاقة كافية لإنجاز كل
واجباتك اليومية ، وستظل مليئاً بالحياة والحيوية صباحاً
وظهراً ومساءً ، في العمل ، وفي البيت ، وفي نشاطك
الاجتماعي .

والنشاط هو العملية الحيوية الوحيدة ، المعروفة لدى
الطبيعة بأنها « الباعث على الحياة » ، لاننا في الوقت
الذي نكون فيه قاعبين في أحد المقاعد أو مستلقين على
أريكة ، يمكن أن نهى تخفيفاً لطيفاً ، وأراحة حلوة لشخص
مثقلاً من النشاط . وتكون النتيجة توتراً في الأعصاب ،
وجسماً خاليماً من الجهد ، ليس فيه من حول ولا قوة .
وتكون الناس هذه الحالة خطأ بـ « الراحة » .
وما هي براحة ولكنهم لا يعرفون .

والنوم وظيفة طبيعية وضرورية لجعل الجسم قادراً
على تجديد بناء خلاياه البالية ، وانسجته المستهلكة . أما
الهمة والعافية ، وأما القوة والقدرة ، وأما الطاقة ، فهي
ثلاثي جميعاً عن طريق النشاط فحسب .

وهناك وجهة نظر تقول أن كل الراحة التي نحتاج إليها ،
انما هي في الحقيقة : النوم العميق الهادئ في الليل .
وهمة وجهة نظر أخرى تقول : أن الراحة التامة التي
تأزمن ، والتي تنقثر إليها انما هي التغيير في النشاط أو
هي التغيير في الاتجاه العقلي نحو النشاط الذي ترتبط به
أو الذي نباشره .

أما السر في امتلاك طاقة غزيرة وافرة ، وقوة قديرة
مقتدرة لا حد لها فهو : الرغبة في العمل ، أو الشعور
بالرشاء واللذة في تأدية الواجبات ، أو الاقبال بارتياح على
جميع الاعمال التي يطلب اليها القيام بها ، وادائها بنفس
راضية مرضية ، وروح طيبة ، ومحيا تبدو على قسماته
البهجة والبشر والاشراق .

لذلك من اثر الا الإبتهاج والسرور لها يظهره من براعة
ومقدرة ، ولما يديه من ذكاء واستعداد .

حتى الكادحين الذين يذهبون الى بيوتهم وهم في حال
من الابعاء والتعب الشديد ، يمكنهم مع ذلك أن يجدوا
لديهم طاقة للعب بعنف لدرجة « الشقية » مع اولادهم ،
اكثر من الطاقة التي استنفدوها في عمل يدوي لمدة سبع
ساعات ، ويشعرون بعد ذلك بصفاء وراحة .

والمرأة التي تشعر بتعب شديد في تأدية عملها المنزلي ،
وينالها الإرهاق من واجباتها التي لا مفر منها ، يمكنها أن
تمضي مساءً يومها هذا في الزيارات أو الذهاب لمشاهدة
رواية سينمائية أو مسرحية ، وتشعر بعد ذلك وكأنها
خلقت من جديد .

والطالب الذي يناله الابعاء والتعب الشديد من السير
الى محل عمل والده ، يمكنه أن يزاول لعبته المفضلة بمزاج
معتدل - ويذهب الى البيت مصاباً بالتواء في الرسخ ،
ورض في عظم الكعب ، وكدمات في الانف - ومع ذلك
تجده وقد ردت اليه الروح ، وقام بنشاط عجيب لمجرد
سماع صوت زميلته في الجامعة وهي تحدنه بالتليفون
تطلب منه قضاء بعض الوقت لمراجعة إحدى المحاضرات معاً .

فهل رأيت شخصاً أدركه التعب الشديد من القيام
بعمل ترتاح اليه نفسه ، أو يكون له في نفسه متعة ولذة؟
أن هذا ليس فيه اجهاد للبدن ، وانما هو مجرد « تعب
شديد » .

خذ مثلاً لنفسك من نفسك دوساً للابعاء المنظورة
فالتف أن تتواني لحظة واحدة عن عمل أي شيء بحسب الواقع
أن تؤديه ، وتريد بالفعل أن تنجزه ، وانما هو مجرد « تعب
مكدوداً ، أو مجرد أنك تشعر بالتعب والابعاء . أن هذا
بكل تأكيد لم يحدث لك قط في الماضي ، ولن يحدث في
أي وقت في مستقبل حياتك . انعم النظر في هذا جيداً !
وطبق هذه القاعدة على نفسك ! . طبقها كصورة تحليلية
مع اسدقائق ومعارفك .

أن عقلك الباطن يقوم فيك بدور مزدوج ، فهو يقوم بعمل
المعجل (٢) وعمل كراحة الطارئ (٣) في وقت معاً .
فحينما يكون الجسم مشغولاً بتمثيل الفاعلية وانجاز
الانشطة التي لا يمكن الفرد أن يتوقعها أو أن يجد أية متعة
فيها لنفسه ، فحينئذ يعمل العقل الباطن كفرملة ، ويجهد
الجسم نفسه حتى يخور اعياء في الكفاح ليحقق تقدماً ،
ولكن الفرامل « مربوطة » بثبات .

وعندما يتغير نوع الفاعلية أو النشاط الى حال يجد
فيها الفرد شيئاً من المتعة . أو عندما يتغير الاتجاه العقلي
للفرد نحو نوع مضجر أو مزعج من النشاط ، فعندئذ يحل
العقل الباطن « الفرامل » اوتوماتيكياً ، ويدوس على المعجل .

(١) نقطة القطع : اصطلاح طبي . (٢) المعجل : دواصة البنزين .
(٣) الكماحة : الفرملة .

ها هو الخريف يعود ثانية الى حديقتنا .. يكتشفها .. ويلبها .. ثم يرددها .. واراني ثانية لا عمل لي سوى الجلوس وسط هذه الغوض ، متراخية تماما في استلقاء ذاتي كتيب .. اراقب هذا الغناء البطيء لحياة دبت منذ اشهر في نفس هذا المكان .. وما اسرع ما ذوت .. وستزول .. وحياتي تبدو لي كهذه الفصول .. دون هدف تدور على نفسها .. الى بعضي تشدني .. شرقة عشا احاول ان امزق خيوطها وكأنها حيكت منذ الازل ..! ففي الامس القريب كنا صفارا .. صبايا في عمر الزهور .. تنطلق نفسانا في حب صامت كنوم لا نهاية لسانعه .. كم كانت الايام حلوة آنذاك ... كل شيء يبدو سهلا يسيرا .. واحلامنا تبدو واضحة المنطلق .. سيرة التحقيق ... فلا حاجة لان نفرط في عواطف تبدو اكبر من واقعنا .. فما يكم اليوم سيأتي غد قريب ليقال ..! كانت امان كبيرة قد ضاعت .. ما اقسى الايام في دوراتها .. فكان طريقنا لم يكن الا ظلا لدربين تفرقا ما ان برقت شمس الحقيقة عالية .. وكل منا سار في دربه المرسوم وكان شيئا مما كان لم يكن .. قد يكون طريقي مفروشا بالورد .. وقد تبدو وروده زاهية .. لكني ما احسبت بعبرها يوما شدا اسكرني ..!

انا الان ميتة تماما .. لكن صدي في هذه اللحظات تتصارع فيه خلجات لا حصر لها .. تتلاطم في قسوة ، اراني اوهي من ان اصارعها .. وكاني اعاني المرض منذ اعوام ، فتشغمني المشاعر وتوغل في خدلاتها فتهرب بي .. بكياي كله الى حيث لا ادري ولا اريد ...! ومنذ يومين وانا انتظر المطر .. فالقيوم تملأ السماء وانسا اجلس الساعات الطويلة هنا .. اريده ان يفهمني .. ان ينفذ الى اعماقي ويسحقني وهو يطير بي على اجنحته الوردية عبر عالم موغل في اليمد .. هناك حيث لا شيء يحوي غير كلينا

... يشدني بقسوة الى ايام مضت لي ملك .. فاعيش في احلام .. مراقة .. للبدلة .. مفعمة بالحنو .. يعيدني اليك .. الى يوم من ولن يعود .. يوم بعيد جدا .. كبعدك عني .. احسها لتوي وكأنها تجري الان .. وكاني واياها لم يفلنا القدم! عصر يوم كتيب ممطر .. شعرت فيه بنفسي تكاد تطير اليك .. تعانقك وها انذا اهرع .. لا شيء يمكن ان يقف حائلا بيني وبين رغبتي فسي رؤياك ..! اسحب صحيفة من تحت السرير ، عتيقة ومتربة .. اضعها فوق راسي واسرع .. اقطع المسافة ركضا خوفا من ان يفقد المطر نظام شعري .. اواه لكم تؤلني الذكرى .. خيل الي ان الارض دارت حولي



يقدم رسالة داود سليمان

حين شعرت ان حديثا كان يجري انقطع لدى دخولي .. لم يصل سمعي شيء مما قيل .. لكني بحاسيتي ادركت ومن التقطعية التي اوتسمت فوق جبينك انه كان بشأن دواء يحتاجه « عصام » ..! لقد كنت احب «عصام» .. فقد كان اخا لك .. وكان لي اكثر من ذلك .. كنت اغرق عليه عواطف مما لم اشأ ان ابدسه نحوك .. ولم تكن قد حدثتني ابدا عن مرضه ولم اسالك عنه قط .. فقد رايت عصاما ييصق دما امامي .. كل شيء احبه الان وكأنه يجري في هذه اللحظات ..! كان الجو فسي



الخارج عتما رطبا كثيبا .. وكانت الحجرة الضيقة اعتم منه واكثر كآبة ومفعمة بالغونة .. وفي احد اركانها انزوى المريض الضعيف .. وفي وسطها وقد مودق بالنس اوشكت ناره على الدبول .. وفي تلك النار الدواية دفن حتى وسطه ابريق الشاي .. وكنت مدفونا حتى وسطك داخل غطاء ، نضوته عنك وسارعت الى النهوض .. بكورك البارد .. وتسمرت في مكاني للحظات .. انطلع نحوك عابرة من اي عاطفة تشدني اليك .. كنت ترتدي معطفا بيتيا اغبر يصل حتى قدميك .. شعر راسك يتناثر في كل اتجاه دون نظام .. ليس هناك مسحة من جمال تشدني .. وهذا القتر ينضع من كل مكان ..! وتساءلت : ماذا يشدني اليه ..! واي حياة تنتظرني معه ؟؟ وجمال ناظري في كل شيء .. وجلست امامي .. وبدأت اتطلع فيك عن قرب .. والتقت انظارتنا .. وسرعان ما توقف كل شيء .. عينا وحشي تحلل طي اجفانها لغز الانسانية كلها ... واربتك ازاء عينيك .. وعرفت للمرة الاولى صلاة القلب .. وسرعان ما تحولت نحو عصام .. مزاحته ثم قبلته .. وكما تعللت باسباب لمجيئي تعللت باكثر منها لعودتي السريعة .. كنت اسير وانا مسحوقة تماما ، تتراقص امام عيني اشباح كثيرة هائلة ... تحاول ابتلاعي دون رحمة .. تبرز من بينها ميثان احبهما ، وفراش يحوي طفلا مريضا ، وتقود من فئات مختلفة ... كانت السماء قد توقفت عن لعبتها .. ومز رجل امامي ولكزني في صدي فشعرت بالقرق ... وهبت ريح باردة فتمسكت بأذيالي .. وتذكرت ان علي اليوم ان اذهب الى «اوروزدي» لاجلب معطفا كنت قد دفعت عليه « عربونا » امس .. وكان العيد قد قرب .. وتذكرت ان حقيبتني تحوي قبضة كبيرة من الاوراق المالية ... ومز خاطر في راسي : ماذا لو عدت

ادراجي ؟؟؟ وتوقفت خطواتي للحظات .. وساءلت نفسي : وماذا سأقول لك ؟! وكيف ؟؟ فانا ان احببت شيئا فيك اكثر من آخر ، فكرياؤك !.. وانا احرص الناس على الحفاظ عليها !.. وشعرت بالتفاهة تمنصني حتى الاعماق .. وتذكرت الموت .. واحسنت رائحته المغنة .. ثم عاودت السير ودوامه هائلة تدور في راسي .. وانجبت افكاري كلها نحو الحقيقة .. ثم تمنعها يدي .. فوجدتها تتسلل داخلها .. وتصلبت القبضة .. وترسبت رائحة الورق .. نثنة .. زنخة .. وكانها التفتلت من نقابات مطعم اختص بتقديم السمك .. اشمئزاز سري الى جدي كله وشعرت بغثيان .. لا سبيل الا ان اتقيا الان وعلى قارعة الطريق ان لم اتخلص مما احمل من قذارة ، وبأي وسيلة .. وتصلبت الاصابع .. واسرعت خطواتي ثم تعثرت .. هنا متسولة تفشرش الرصيف وحولها ثلاث بنيات عاريات .. قذرات .. تحمي جسد اثنتين منهن تحت عباءة كالحجة .. وسرعان ما توقفت .. وبخفة ووجل اخرجت قبضتي ودسستها تحت العباءة وكانني اخفي جريمة ارتكبتها .. ثم اسرعت راكضة واتقلدني المظن من نفسي حين اسرع واسرعت خطواتي تتسابق معه .. وشعور بالخوف يطاردني خشيته ان تلتحق المرأة بي فتحملي ما تخلصت من حملة !.. حين وصلت البيت كان الماء يقطر من كل شيء في .. ودخلت غرفتي واحكمت الرجاج .. واصبحت مرة اخرى داخل دنياي الصغيرة .. فيها افعل ما يحلو لي .. الف العالم حولي وانزوي في اي ركن منه حسب هواي ودون ان ينفض شيء علي متعتي .. وارتيمت فوق الفراش بكل بللي .. وفذارتي .. ووجل ، واستعدت صورة المرأة وهي تفغر فاهها على سمته !.. حقا لقد كان منظرا مضحكا .. ترى ماذا فكرت

المسكينة .. وكيف ستصرف ؟؟؟ واغرقت في الضحك .. ضحكيت طويلا حتى شعرت بالحم في خاصرتي .. ثم توجهت نحو النافذة .. تطلعت الى اعلى .. معتمة .. رطبة .. هذه السماء ! تقذف المياه بحارا .. تمشب الارض كلها .. وتزرع الخيرات .. هناك .. من الاعماق اللامتناهية .. لو كان شيء ما يدير هذا العالم الهائل بكل متناقضاته فلا يمكن ان يكون الا منصفا !.. كان شعور بعدم الراحة يتشعب في داخلي .. وتنبهت الى ان قبضتي لا تزال متصلة ..



سهيلة داود سلمان

فذكرت انها لم تعد تحوي شيئا .. فارخيتها .. وساءلت : الا يمكن ان يكون قد علق فيها شيء من رائحة السمك ؟؟ .. وبحذر شديد ادنيتهما من انفي .. وعاودني القرف .. فقبل دقائق كانت هذه اليد تحمل حفنة من القذارة .. وريقات صغيرة تافهة .. مليئة بالقذارة .. لكن من خلالها حياة تعيش ، وحياة تختصر .. ونفس تلد .. واخرى تتخلى عن كبريائها !.. وتراءت لي عيناك .. وشعرت بالدماء تتدفق حارة من راسي .. وجمعت قبضتي .. وتصلبت اسناني على بعضها .. وبكل قوتي ضربت الزجاج .. ثم

ارتيمت فوق السرير منهكة .. وكما ضحكيت طويلا قبل لحظات .. اجثمت بكاء هادئ عميق .. لا اعرف كم طال .. ولكنني استيقظت منه على وخزات محرقة في اصابعي .. كان الدم يلوث كسل شيء .. والزجاج يتناثر في ارجاء الغرفة .. بعد اشهر قليلة مات عصام الصغير .. وجئت في اليوم التالي اقدم التعازي .. كان الالم ينضج من مقلتيك .. وتمنيت لو اعانك .. اعانك الطفل الذي فيك .. اربوك بفيض من حنان لا ينضب !.. ومرت الايام تلو الايام .. وشاءت الظروف ان نفترق على امل ان يكون فراقنا قصيرا نبادل خلاله الرسائل حتى تحين عودتي .. فقد كان سفري لاجل الدراسة كما تعلم .. والتقينا للوداع .. ولكن الاقدار .. لا ادري اذا صح ان اسميها لذلك .. ام اننا نحن الذين اسطنعنا تلك الاقدار بايدينا .. قلت لقد شاءت الاقدار ان يكون الوداع الاخير !.. كان اللقاء جانبا .. والتوديع باردا .. كان الياس ينضج من مقلتيك .. وكانك ادركت باحساسك ان سفري يعني بداية قصة مضنية .. مليئة بالمرارة !.. ولم يكن بالنسبة لي يعني شيئا .. فقد كنت على نفقة تامة بانني اهي نفسي لمنطلق رحب بجمعي واباك !.. وطال الصمت ورايت وجهك يشيح عني .. وحز في نفسي تشاكك بانبياء اخرى .. واخرجت علبه سجائر من جيبك واشعلت واحدة .. حاولت ان اقطع الصمت فقلت : منذ متى تدخن ؟؟ فلم اتلق جوابا .. واستمر الصمت لحظات اخرى .. ونظرت الى ساعتى محاولة تنبيهك ان الوقت يمر .. ثم عاودت الكلام : الا شيء لديك تقوله ؟؟ وهزرت راسك نغيا .. واردفنت اقول : اريد ان اكتب لك .. ؟؟ وتطلعت الي لبرهة .. عيناك قاسيتان هذه المرة .. ولم تجب .. ثم اطلقت ضحكة مقتنضة مبتورة ..

وشعرت بالجفاف يشمل كل شيء..
لقد هزئت أذن من قلبي .. وكنت
أعني ما أقول .. فقد كنت أحبك
بكل قواي .. ولا يمكن لأي سبب
مهما عظم .. أن يبعدني عنك ..
أيقظ لك بعد هذا أن تسألني لم لم
أكتب اليك ..؟؟ لقد كتبت الكثير
الكثير .. ولكن واحدة منها لم تصلك
قط .. لاني لم أرسل إيا منها ..
ولا زلت أتذكر أول ورقة كتبتها ..
فقد كان الطقس في بيروت خريفا
.. غائما .. دبقا .. وعينيك تناديان
.. وأنا اشتاق إليهما .. فكتبت اليك
أقول : انني هنا وكل شيء حولي ..
ولكن النفس أبدا تنوق إلى انسان
واحد .. هو وحده الذي تحن إليه
بين البشر .. مشتاقا اليك يسا
حبيبي حتى لاكاد في كل لحظة أبكي
.. لكن العيون حولي كثيرة ..
والتساؤل يخجلني .. لكن الغيوم
تعمل السماء .. وسأنتهز ذلك ..
وأخرج لبرحة .. وإذا ما سئلت
فوق أعظم بالظلم .. ومع ذلك
فالدموع خاتمتني .. فهي أبدا سلاح
إذا ما هزني الشوق .. والتفتت
العيون حولي .. تستفر .. وحاولن
أضحاكي .. وأذكر ما قلته لهن
يومذاك .. قلت انني هنا في غربة ..
والدموع قد تساعدني على الاستمرار
في الحياة .. كان هذا ما قلت لهن
.. وكان أن مزقت ما قلت لك ..
انها الكبرياء دائما .. الكبرياء التي
جعلتك تمتنع عن توديعي بما يكافيء
عواطفك نحوني .. والكبرياء التي
تمتنع عن قول ما يمكن أن يشدني
اليك برباط أقوى من الزمن .. هي
نفس الكبرياء التي جعلتني أصمت
طيلة هذه السنوات ... وها أنا ..
وبعد طول اشتياق .. معذب .. قاس
.. والتنيك في بيروت .. ويا لقاء ..
أمرأة نصف ريفية تنابط ذرواك ..
وتسمرت أقدامي على الرصيف ..
وتغيرت سحنك .. وارتجفت
أوصالي كلها .. وكسدت أقم ..
ومرت لحظات مشلولة .. وقدمتها

إلى .. ابنة عمي .. وعلى الفور
تذكرتها، فما تغير منها غير الجسد ..
« ريمة » الصغيرة التي طالما مارحناها
وضحكنا لمدانيتها حين كانت تأتي
من الريف لزيارتكم بصحبة أمها ..
وأخترتني المفاجأة .. وذابت الكلمات
في حلقي وأنا أفتش ذاهلة عن مغزى
مصاحبها لك .. وسرعان ما جاني
الجواب حين التقطت من الأرض طفلا
لا يتجاوز الثالثة .. رفعتني بوجهي :
(اني عصام) .. ودون أن التحكم
في نفسي وجدنتني ألقاه بكتلي يدي
وأنا أتناول طفلا لي كنت قد أودعته
إياك ورأيت بعد ثلاث سنوات ..
ودفنت وجهي في وجه المستفيسر
وأغضضت عيني للحظات .. ثم أنزلت
عصاما وأنا أبلغ ريتي بصعوبة بالغة ..
فوجدتك تشير إلى آخر ينتظر دوره
ببلاهة .. فربت على رأسه .. وأسرت
أمد يدي أودعك إلى حيث أوصل
سيري .. وكانت الأرض تدور بي ..
وفي تلك اللحظات ولجت زوجتك
مخزنا .. وتبعها الطفلان .. كانت
كفي تمام في استسلام في قبضتك
.. وتطلعت اليك دون أن ألتفت ..
ما عينا ما كان .. ذات المظفر
التيين شغلنا حياتي كلها .. وهما
هو القلب يوشك أن يعاود صلاته ..
- كيف حالكم ..؟؟ ولم أجيب ..
كدت أصرخ : وما شأنك وحالي ..؟؟
وطال الصمت وكانك أدركت ما
يصطارع داخل نفسي .. سمعتك
تتساءل بصوت ينضح إلى مستسلما
مرا : ماذا علي أن أفعل الآن ؟!
أقبل الفتاة التي أحبيت .. أم
أصغعا ..؟؟ ألم تكوني السبب في
كل ما حدث .. لم فعلت ذلك ..؟
لم لم ألتق شيئا ..؟؟ ولم أفه بكلمة
.. دموعي هي التي أجابت .. وشغلنا
السكون ثانية وسمعتك تقول : اننا
أعرف انني ما عدت شيئا عندك ..
ولكني أكنم حديثا طويلا .. أن شئت
أختصرته لكنني أود إفضاءه لك فأين
سأستطيع لقاءك ..؟؟ وتطلعت
بأسفراق .. - يجب أن أدراك ..

وجاء صوتك هذه المرة مكتسحا ..
قويا .. مصمما .. وفقدت قيادي ..
ودون تفكير هزئت رأسي موافقة ..
فماذا عساني أن أفعل .. أذن في
الهورس شو ، الساعة الخامسة ..
- يا بأس وأفك هناك .. وخرجت
نبراني ضعيفة .. وتخلصت من
قبضتك وأسرت هاربة .. كنت
أسير وكلماتي تماردنني .. مطارق
تضرب في رأسي بقسوة : « ماذا
علي أن أفعل الآن ..؟؟ » أصغمني ..
فهذا ما استحق .. كان علي أن
أدرك أن للفقر كبرياءه .. بل ماذا
كان عصام لو قبيلتني .. وأن
شئت فسمعت الجميع .. كان أبك
أمامهم .. ألبت كلها عواطف وان
اختلفت وسائل التعبير عنها ..!!
وفكرت : غدا الساعة الخامسة ..
أجل سالفاه .. أن كان بحاجة إلى
لقائي فانا أحوج إلى ذلك .. أن لي
أنا أشعر بوجوده إلى جانبي .. ولو
مرة واحدة .. ولشد ما اتوق إلى
ذلك التعاطف الدافئ البعيد الغور
يشدني اليك .. في اليوم التالي
لمست أنتظر الخامسة .. كانت
تزعج ببطء شديد .. وكنت أنتظر
وصولها بكل تلفف حرمانتي اليك ..
فألقبت مشتاقا لممارسة صلاته منذ
ذلك اليوم الذي أضاع فيه قلبه ..
وهذه عينك تنادياني وسأجيب ..
وستري مني الكثير .. الكثير ..
سأغدق عليك عواطف لا ينضب لها
معين .. سأمنحك قبلا لو تعرف
الملك .. سأريك لطاردني لو تقيت ..؟؟
وفكرت : هل سأفعل كل هذا ؟؟
ودارت الدنيا بي .. لن أفعل شيئا
مما أقول .. فما كان الحب يوما إلا
متبعاً للخير .. ولم يكن أبدا معولا
للتهديم .. مهما وهت السود ؟!
« ريمة » فهل رأت دموعي ؟؟ قد
تحسب انني اقترفت ذنبا معك .. أذن
هالك وأخبرها عني .. قل لها : أن
ذنوبي معك أحبها .. لكنني لن اقترف
أقلمها ..
ولاول مرة أتحسس معنى الفراق

الحب الفاهر

حسنا اطلع وجهها قمرا
تهوى القريض وتعشق السمرا
الا الهوى العذري والنظرا
من قبل شعرا يلهب الحجرا
كيما ارى في وجهها الانرا

يشكو اليك الهم والسهرا
لو قربت اشجارها الثمرا
خان الحبيب العهد او غدرا
الف افيديه وان هجرا
شيء يحس به وان صفرا
عما جننى وارق منكسرا
كالارض ترعى طفلها القمر

في الحب لكن الهوى اقتدرا
وسع الوجود واغرق البشرا
قلب الحبيب وان يكن حجرا

وكذا يوس القيد من شعرا
من هذه ؟ انبثي الخبرا
بيضاء يهلك حسنها البصرا
لم يشك لا طولا ولا قصرا
من لون جنات الربى انرا
كالاحواء تورت سحرا
بيبتك طاهرة بما استترا
ان لم انل في جها الوطرا
ونسودت وجناتها خفرا
وتناظر الطرفان واتمرا

عمر ابو قوس

جلست الى المذياع سمعني
في سنها العشرين حالمة
تلك التي احبتها فابست
سجلت ما ابقي اذاغته
وجلست جانبها اراقبها

قلبي عليك مدته ابدا
يا جنة ما كان اطيها
وانا الوفي لمن احب اذا
ويدور حين يدور في فلكي
حتى يمود الي يدفعه
فاذل بين يديه معتذرا
واظل ارعاه واحضنه

يا متيتي ما كنت مقتدرا
وهواي لو تدرين يا املتي
فمن المروءة ان يحس به

لانت بشعري بعد شدتها
ومضت تسائل وهي عالمة
فاجبت : يا ليلىء ساحرة
ولها قوام لا تغير له
ولواحظ خضر كان بها
ولها فم عذب مقلة
ولها اديب ابيض يفتي
فلها حياتي وهي قاتلي
فتسبمت ليلىء ضاحكة
ودنا فم منا لرشف فم

حلب

الشجيرات تن من حولي .. كان
كاننا بشريا من يقوم بكل هذا العمل
الشيخ .. آثار تعذيبه تبدو في كل
بقعة .. انه حكم الطبيعة .. تقسو
بقدر ما ترحم .. فهو الخريف ..
اما انا فاسأل متى سأنتهي ..؟؟
وخريفي ما زال بعيدا .. وعيناك
ابدا تناديان .. وليس من هدف
يستحق ان اسمى لاجله .. وحياة
دون هدف من العنار ان تنتظر
الخريف ...

سهيلة داود سلمان

فتحتنا باصرار .. ثم انزلت الثياب
كلها .. حشرتها فيها كيفما اتفق ..
كبت ورقة الى اللواني يشاركني
« الشقة » اعلمهن بعودتي المفاجئة ..
واسرعت نحو المطار .. وبعد اقل من
اربع ساعات .. كنت في بغداد ..
اعرف انك انتظرتني طويلا .. وادرك
كم املك .. وقد اكون مخطئة ..
او اكون مصيبة .. من يدري .. ولكن
مثيرا من نوع جديد تكتنف نفسي
برمتها .. قد يسميها البعض
سعادة .. واسميها رضى واستسلام
.. فكل نصيبه في الحياة !!

بغداد

.. وابكي .. بكيت كما لم ابك من
قبل ابدا .. ولو كان هناك شيء
اعظم لغمته .. صدع هائل حدث في
حياتي .. كان العالم كله قد تغير
في عيني .. وكان كسوف حدث
شمل الكون كله .. وتوقفت عين
البكاء .. فجأة احسبت ان دموعي
نضبت حتى الجفاف .. ومشاعري
فاجعة تناكلتني حتى الغفاء .. وعيناك
تناديان باستمرار .. لا .. لن البى ..
سأهرب منهما اينما تكونان .. وديت
في قوة من نوع جديد .. وهرعت
بتصميم .. تناولت حقيبة الملابس ..



يوسف عبد المسيح ثروة

النار والرماد

بقلم يوسف عبد المسيح ثروة

جيرهارت هاوبتمان (١٨٦٢ - ١٩٤٦) كاتب مسرحي ألماني ، عرف اول ما عرف بالترجمة الطبيعية التي ترجمها في فرنسا اميل زولا ، وهي حركة نشأت من الواقعية ولكنها زادت عليها بان استهدفت تصوير المجتمع البشري تصويرا دقيقا وعرضه عرضا موضوعيا بالمعنى الحر في من الكلمة ، اي على اعتبار هذا المجتمع ، في حياة نساينه ورجاله ، موضوعا جديرا بالبوقة العلمية التجريبية ، من غير ان يكون المؤلف شأن يذكر في هذه العملية كلها ، لان السرد التفصيلي الذي يتناول بيئة الشخص و تفاصيل حياتهم الخاصة والعامة وامزجتهم وعاداتهم وصفاتهم البارزة و اخلاقهم هو الذي يحل محل شخصية الكاتب جهد المستطاع ، وكلما كان هذا السرد اعمق في الموضوعية وابعد عن الكاتب كان اقرب الى التحديد الصحيح للطبيعة بصفتها اتجاها ادبيا هائلا اجتاحت اوروبا في اواخر القرن التاسع عشر واستمر في الاستمرار والذوبوع الى اوائل القرن العشرين . ومن مثليه المعروفين في فرنسا بالاضافة الى اميل زولا وفلوير والفونس دوديه وموباسان . وشخص هذا المذهب الادبي شخص دكتنة من حضري المجتمع وحائلته ، كالومس الرقيقة الشأن في « نا نا » لزولا والزوجة الخائنة في « مدام بوفاري » لفلوير وصافو بالغة الهوى الفرنسية النموذجية في « صافو » لدوديه فضلا عن المتاجرات باللذة الكثيرات في قصص موباسان القصار . الا ان هذا لا يعني الاقتصاد على هذه الشخص ، بل هو

سمة بارزة في المذهب الطبيعي ، لا بد من الالتفات اليها ، لانه - في صميمه - انتفاض على القيم الرومانسية التي كانت تغازل النجوم وتضاحك الاقمار وتسبح في الافلاك بين هذا الكوكب وذاك النجم . فاراد المذهب الواقعي النزول الى الارض والهبوط من الجنة ، فكانت الطبيعة تنمة منطقية للواقعية ، لكي تفوس في باطن الارض ، في المسارب والتجاويف والمهاوي ، حيث تسيل المعادن الدائبة بسبب الحرارة الجهنمية هناك . فمن المعروف ان الطبيعة تتناول كل الطبقات في عرضها السري ، الاغنياء والفقراء على حد سواء ، لان المجتمع يضم كل هؤلاء على اختلاف درجاتهم ومراتبهم الاجتماعية ، ولانهم يؤلفون المادة الرئيسة في العمل القصي والمسرحي . اذ لا فرق في الشخص ما داموا بشرا قد يكون سوا او غير سوي ... الا ان الاهتمام بغير الاسوياء من البشر طابع مميز للمذهب الطبيعي بالنظر لانتشار العلوم في مختلف صنفها وتفرعاتها ، وانتشار الادباء في طوفان هذه العلوم ، فلما منهم انها سترفعهم بعميق لا ينضب من المعرفة المنظمة لتسريح المجتمع وفهم ادوائه وعرضها عرضا امينا ابتفاء الوصول الى الحقائق الموضوعية الرصينة في تفسير حياة البشر تفسيرا جديدا ، على ما فيه من غف الواسع ، وصخب الحياة ، وبرودها وبيوستها وعيشها ، وخبثها وسلامة طويتها وسداجتها وكل ما له صلة بصفة من صفاتها ومزاج من امزجتها .

والطبيعة دقيقة دقة ميكانيكية فسي العرض والاداء والتناول ، وهي تحاول ان تكون امينة محايدة امانة العلم والحيادة ، وهي تهدف كغير من اهدافها في كل ما قمته من مسرحيات وقصص ، ولكن سعيها هذا قد خاب احبانا ، وقد اصاب احبانا اخر ، فكانت النتيجة في هذا التماوج الهائل بين البرودة العاطفية والهيجان الشعوري ... اللذين نجد كليهما اثارا واضحة لدى كبار الكتاب الطبيعيين ممن ذكرنا ومن لم نذكر اسماءهم ... وفي صدد طلبها بالعلم يحدثنا فلوير قائلا في رسالة الى جورج ساند : « اعتقد ان الفن العظيم هو علمي لا شخصي ... لا اريد الحب ولا الغضب ولا النفقة ولا الغضب . الم يحن الوقت لادخال العدل الى ساحة الفن؟ اذ عندئذ سيصبح الوصف مساويا لجلال القانون (١) » . وبسبب من هذه الدقة العلمية التي تميز بها فلوير في راعته « مدام بوفاري » لم ير زولا وهو واضع كلمة (الطبيعية) بدا من القول : « ساعد فلوير الكلمة الصحيحة الحقيقية في الادب ، الكلمة التي كان ينتظرها كل الناس لاخرق (الاسوار) . ان « مدام بوفاري » هي من الصفاء والكمال بحيث انها تمثل نموذجا وطرزا رئيسا لهذا الشكل من الفن (٢) » . ومع ذلك فان زولا الذي يقول : « ان عصرنا هو عصر العلم » (ولذا فلا بد للكاتب) ممن ان يطبق فيما يكتب « اكتشافات دارون وكلود برنار وتعاليم

وبرنارد شو ، ولا يتفق عليه سوى شكبير (٧) .
وعلى الرغم مما يقوله فشر في موقف اضطراب هاوبتمان
من المجتمع البرجوازي ، ومن فردية هذا الموقف وجلاء
العنصر الرومانسي فيه ، فإن لوط أحد أبطال « قبل
الفجر » يحدث حبيبته هيلين قائلا : « ان كان المرء يشعر
شعورا حقيقيا بوزف الاشياء ، فلا بد له ان يصيح صراحا
اصبحت اليه . » و « ليس من الزيف مثلا ان يجوع من
يعمل بقرق جبينه ويعيش الرجل الكلالن في رقد من
العيش - وان القتل - في وقت السلم له قصاص وله في
الحرب ثواب ومكافاة » .

ثم لم تساله هيلين عن الفرق بين نضالها ونضاله يقول :
« نضالك لا يستهدف غير السعادة الفردية . يستطيع
الفرد ان يحقق ذلك ضمن نطاق امكانياته الانسانية . اما
معمركتي فهي من اجل سعادة كل انسان . ولن اكون قانما
الا حين يفتح كل الذين يحيطون بي . انا لا اود ان ارى
المرض والفقر والعبودية والوضاعة تحيط بي من كل جهة » .
وفي هذا الجواب الجامع المنع نجد ومضات من الوعي
الذي يسد الافق ويوارق من الادراك السليم ، في الطريق
اللاحية ، طريق التضامن العضوي بين الكاتب ومجمعه ،
وتلمس انسانية رفيعة تملو على توافه الانفرادية في عزلتها
الشرقية القتالة ، لتكون مثارة هادية في ظلمات ذلك
المال الذي كان يعيش فيه هاوبتمان في مطلع حياته الفنية
ان لوط يعرف الشيء الكثير من ماضي الحياة جراء
انقسام المجتمع الى طبقات متشعبة ، تطحن كل منها
الآخر تحت ارجلها - ابتداء من الاستغلال والتجارة بقوة
العمل - القوة الخفية قصد الاستزادة من المال من طريق
الربح (الحلال) .. وهذه المعرفة معرفة تثير اذهان الناس
جميعا فكيف لها ان تتوقف عن اثارة ذهن هيلين المتفتح
مع زهرة الحب في وقت واحد ؟ ولذا نراه حين يضرب
على هذا الوتر الحساس يجد ما استطاع الى الجد سبيلا
لكي يوقظ في حبيبته هيلين روح الانتفاضة الحقيقية
الواسعة الشاملة للانسانية لا الانتفاضة الفردية الضيقة .
فما مقدار نجاحه في ذلك ؟ انه يستطيع من طريق ضرب
الامثال اليومية ، ان يبين لها ، ان الناس يموتون في بلد
الفحم من وفرة الفحم ، يموتون ببطء ليخلفوا وراءهم
افواها عديدة لا تجد ما تبليغ به ، بينما اضطراب اهلهما
يعيشون في مباءة من الرذيلة والفسوق ، في بحيرة من
الخمر والمسكرات ، وتعيش كلابهم في احضان الدمقس
والارواح والدياب . الا ان هيلين لا تحتاج الى من يعرفها
بأهلها ، قابوها الفلاح الشري كراوس لا يفرق بين بيتيه
والحانة المجاورة ، ولا يفرق بين زوجته وابنته ، وقد حاول
كثيرا ان يلتصق بهيلين النضاعة سافلة ، الا انها ردت
خزيان بجر اذبال الخيبة وهو كالحوان يتشمم هذه
البقعة من الارض ، عله يجد فيها ما ينفع غلته . وزوجة
ايها امرأة سافلة تحيط بها الخدم والحشم ، لا يميها في

اصل الانواع وقانون تأثير البيئة الحاسم وقوانين
الوراثة (٣) ، هو الذي يقول : « التأمل اللاعاطفي للعالم
غير مرغوب فيه وهو في الحقيقة غير ممكن (٤) » . ومن
هذا التناقض الذي ابداه رائد الطبيعة يصح لنا ان نتفق
كل الاتفاق مع ارنست فشر الذي حلل ازدواجية هذه
الحركة تحليلا رصينا واثارا الى ابطالها اشارة ذات
معنى . فاذا تبين المرعب من كرمونة (باريس) يصبح
مبشرا لفن ديني محترم واذا بهويزمان يلتجئ في نهاية
المطاف الى حضن الكنيسة الكاثوليكية واذا بيول بورجيه
يلوذ بغسق مسيحية انفعالية ... اما اسن وجيرهارت
هاوبتمان فيحتملان - في اخر الرحيل - الرمزيسية
والصوفية ، ويزيد سترندبرغ عليهما في انغماس فني
الرومانسية الجديدة والخرافات الوحشية ، ويظل الرائد
زولا في مكانه ليتحول الى الاشتراكية (٥) ...

اما بريستلي الناقد الانكليزي الشهير فهو يتحدث عن
هاوبتمان بقوله : « ومن انجح هذه الجماعة (يعني اصحاب
المدرسة الطبيعية) وابعدهم شوطا هو - ولا شك -
جيرهارت هاوبتمان الذي كتب المسرح - في بواكير عمله
كتابات اخمدت بعنف الشاعر الرومانسي الذي في دخيلة
نفسه . وقدم في « قبل الفجر » و « الناجون » العمال
والفلاحين ، بأسلوب حياتهم ولهجتهم الخاصة ، بمحبة
واخلاص ومشاركة وجدانية عميقة فريدة في هذا النوع
من الدراما (٦) » . وقد ابداه فيما ذهب اليه ريموند ويغنر
في كتابه « المسرحية من اسن الى اليوت » اذ قال : « لفة
هاوبتمان لفة واقعية اصيلة . وقلما تكون مفتعلة . فهو
لا يرنو الى التأثير بالاسلوب الاعتيادي القوي ، ولكنه
يسجل » . ويستطرد قائلا : « وبسطرة هاوبتمان على
الكلام المباشر واستعماله التفصيلي للهجات المحلية كما في
« قبل الفجر » و « معطف الغراء » يحقق الشكل القصصي
المقصود والمدرس . ومع ان الكثيرين يعتقدون في الوقت
الراهن بان الكلام المباشر هو اسهل المهمات في الكتابة ،
الا انه - في الواقع - يقتضي نوعا فريدا من الاسالة » .
ثم يقارن ر.وليمز بين اوكيزي وهاوبتمان فيفضل الاخير
على الاول ، « لما امتازت به « الناجون » من مستوى رفيع
سواء اكان ذلك في الحدث الدرامي (الفعل) ام في
الشخص ام في الحوار ، فضلا عما امتاز به هاوبتمان من
اسلوب لطيف رصين » . ويؤيد هذا القول ملتون ماركس
في كتابه « المسرحية - كيف ندرسها وتلونها » . « اما
هاوبتمان فانه جمع بين الطريقة الموضوعية وبين المواقف
المسرحية المؤثرة ، ومسرحياته هي في طليعة اقوى
تمثيلات المدرسة الواقعية » . ويزيد على ذلك بان يقارنه
باسن فيجعله في مصفه « بيلغ اسن » (بصفته) مؤلفا
مسرحيا عالميا ، مستوى المؤلفين اليونانيين الثلاثة
« اسخيلوس وموفولكيس ويوريبيديز » وراسين وكوناري
وموليير من ارباب المسرحية الفرنسية ، وهاوبتمان الالماني

اما الطبيب شميلينغ ، صديق لوط من ايام التلمذة ، فانه يهبط على لوط كالصاعقة ، اذ يشرح له حال الاسرة ، بعد ان علم بنيتيه من الاقتران بابنتها الصغيرة هيلين ، فيقول : « ان قصتهم قصة طويلة من الادماء والجشع والفجور بالمحارم . والنتيجة انحطاط على طول الخط » . وبهذا القول يزلزل الدكتور (شميل) ثقة صديقه ، ويزرع في قلبه الشك والريبة اللذين يبدوان بسرعة مدهشة على تصرفاته ، الامر الذي تلحظه هيلين ، ومن اجل هذا السبب تخاطبه متوسلة : « الفريد ، كل شيء سينتهي . كل شيء اذا غادرت هذا المكان بدوني » . وبهذه الكلمات الناريّة يلهب قلب لوط من جديد ، فتثور في نفسه عاطفة الحب ثورة عارمة تجرف الشكوك والاوهام ، وتنطقه بلسنة نورانية رائقة صافية ، فيها جلال الحب العفوي التنظيف ونعومة لمساته الانسانية وحلاوة معانيه العميقة ، وسلامة منطقه الفطرية ، وفي هذا الحوار - سواء بين لوط وشميل ام بينه وبين هيلين - يطير الشاعر هاوبتمان بجناحين من نور ، ويواجه جبلة الشمس ببريق خالط من اللعنان ، في كلمات تقطر غلا شهايا في شفاء للنفس والروح ، وفيه عزاء لطيف لمن خابوا في الارض وغاب عنهم المواء . والر كل ذلك واضح في لوط في حياته السابقة وحياته الان ولذا فهو لا يتسورع من الاعتراف لصديقه الطبيب بقوله : « لم اكن لاشعر من قبل وبالتأكيد بهذا الوضع ، ان شيئا جافا ، شيئا ميكانيكيا تغلق في كل جدي التي قلت عارمة من الروح والحيوية والطبيعة السوية . ثم كنت املك ايمانا حقيقيا ؟ اليوم فقط رجعت الى نفسي ، الى فرحا وفرحا وبغيا كل هذه الوفرة وبهذا الضرب من الفزابة . لكن لا اناك لن تفهم ذلك » . وعندئذ لم يتمالك الطبيب من القول : « الايمان ، الحب ، العمل . هذه اشياء كلها بالقياس الى خداع . الموضوع واضح جدا : الانسانية في مخاض الالام ، ونحن بافيوننا نحاول ان نجعل الامور اكثر احتمالا » .

وبهذا المنطق الصارم ، بهذا الاسلوب العلمي الجاف ، استطاع الدكتور ريتيل ان يفتح لوط بوابه ، وان يبعده عن هيلين بعنف وقسوة ، واستطاع هاوبتمان الكاتب « الطبيعى » ان يتغلب على الشاعر هاوبتمان الرومانسي ، وينتججة ذلك قفت المكنية هيلين الفتاة الشريفة اللطيفة على حياتها ، وبذا ذلت زهرة ما كادت تتفتح على ايدي المدرسة الطبيعية الخشنة ، وهذا ما يؤخذ عليه هاوبتمان مؤاخدة جدية ، ولكنه تقصد ذلك من اجل ان يفصل بين عاطفة الكاتب والسرد القصصي المسرحي ، الذي يبنين ان تتحكم فيه برودة العلم ، على ما ذهب اليه جوستاف فلوپير . وهكذا تخمد النار التي اجبتها هيلين ليحل محلها الرما الذي يمثل خسارة مدام فويف ولاهه الحاكم فون فيرهان بطلي « معظم الفراء » وفي هذه المسرحية تبدو لنا سخريه هاوبتمان ، في نفاذاتها المضحكة و اشاراتها

الحياة غير ارواء ظلمتها بهذا العشيقي وذلك ، والان جاء دور ابن اخيها (كاهل) ليكون خدين فراشها وخطيب هيلين . اما اختها مارتا وزوجها هوفمان فهما في سكرة مستمرة ما دام في الحياة خمر وما دامت الايدي تتصل بيسر الى هذا الاكبر الذي يهون العذاب في دنيا العذاب وهذه . وفي هذا الحيز المشحون بكل ما سف من اخلاق وما انحط من مثل ، تعيش هيلين وهي الوحيدة التي تتسمر بفرق السفينة بين هذه الانواء العاتية والامواج الهوج المتلاطمة وفي هذا الظلام الدامس . ولهذا فان يد لوط حين امتدت اليها ، جاءتها كأنها زورق انقاذ في ساعة حرجة من ساعات حياة هيلين التي كانت تنحدر نحو الغيب بسرعة مرعبة ، نحو الجنون او الموت ، او الانجماع مع جوفة الفسق والتفجع . وهذا ما جعلها توج بسرهما من اول مرة لتلقى فيها بلوط فتقول : « كل شيء هنا فارغ ، لا شيء للذهن . وهذا امر يكفي لان يدفع باراء الى الجنون » .

وفي ذات مرة تصر زوجة الاب على طرد احدى الخاديات لعلقاتها الخاصة باحد الخدم ، تنصر هيلين على ال ا يتم ذلك على الرغم من امر السيدة كراوس المطاع ، ولما تجاهبها السيدة المحترمة بلطمة بمتقع وجهها امتقاعة الموت وينتد اصرارها الى حد التلويح بالفضيحة ، وهنا لا تجد السيدة كراوس مفرا من استبقاء ماري الخادمة .

اما صهرها هوفمان الذي لا يجد ما يمتعه في زوجته بسبب مرضها ، فلا يرى باسا من مغالبة هيلين عوضا عنها . وهنا نشور نائرتها عليه فتقول « انهم بالقياس عليك اطفال في المهد . وهذا ما اراد الان بصفاء كرامة النهار » . ولما يذكرها بانه رآها مع الفريد لوط ، ترد عليه بعنف : « لم لا تكلم احدا الاخر ، انه رجل ليس منا من هو جدير بالنظر الى وجهه ، اذا كان في العالم اية عدالة . » وطبيعي ان تكون هذه الصلة سببا للفرقة بين الصديقين هوفمان ولوط بالإضافة الى الواجب الذي الى لوط على نفسه القيام به ، في البحث عن احوال عمال المناجم ودراسة شروط معيشتهم وعملهم وهذا اما نراه بينا على لسان هوفمان حيث يقول : « اناك تريد ان تكتب كرامات من القدرة » ، وقد اخترت مناجم منطقتنا لموضوعك ، الا ترى من سيقاسي من اقوالك . انا الذي ساقاسي ... اما انتم فلستم غير غواة للشعب ... انكم تجعلون العمال متبرمين ، مشغولين ، ثورين ، اشقياء ، غير مؤدبين . وتنسجون لهم قصصا من كنوز من الذهب وفي الوقت نفسه تلبسونهم قرووشهم القليلة التي وقروها » .

(١) ارنست فشر في كتابه (هرودة الفن) (٢ ، ٣ ، ٤) المصدر السابق .
(٥) انا مدين بهذه الفكرة لارنست فشر . ي . ع . ثروة (٦) بريستي في كتابه « الادب والانسان الغربي » (٧) « المسرحية - كيف ندرسها وبتلواها » ترجمة فريد مدرر . (٨) شواهد « معظم الفراء » من ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوي .

فيليب ينزل ضيفا على بيت فولف ، وبعد مراسيم التحية والسلام يخبر الدكتور السيدة فولف بالخبر الجديد الذي تصعق منه : « لا اذن فلنترك هذه البلدة . انها عصابة لصوص ولا شك . لا يأمن الانسان على حياته هنا .. يا للناس . اكاد لا اصدق » . وهكذا فالارقة لا تصدق انها سرقت وتضع اللوم على الحاكم فتقول : « يا بالمصيبة . امر سيء للغاية . لو كنت فقط حاكمة . ان الحاكم غبي بل اغبي خلق الله . فانا ارى باصابع قدمي اكثر مما يرى هو بمنظاره المونوكل » .

وفي الاشارة الاخيرة ادانة صارخة للمنجحية البروسية المتمثلة في طبقة النبلاء (اليونكرز) الذين اذافوا الشعب الالماني انواع العسف والخف . ومع ان كروجر رجل غني ومن اوسع البلدة غنى فهو يحس بالمضايقات التي يسببها فيرهان ، وهذا ما نراه واضحا في قوله : « هناك شيء لم يدر فيه انه بعد ؟ » فتعقب اللصة الباردة على هذا : « انه يضع انفه في كل مكان ما عدا المكان الصحيح لها » . واذا علمنا ان مدام فولف على صلات قوية باسرة فيرهان ، وان عييد هذه الاسرة بالذات يعتمد عليها كل الاعتماد ، لانضع لنا بكل جلاء مدى خسة هذه الفسالة المكاره ، التي تعرف من اين تؤكل الكتف وكيف ومتى .

اما ميتلدورف فهو لى سداخته ينتظر حدوث شيء « اذا لا بد ان يحدث شيء . اذا لا يمكن ان تستمر الامور هكذا » . واجرا بيع المطف وتمت الصفقة بين فولفس ورئيس المراكب فولكوف ، وذهب الربيع الصافى الحلال الى جيب اسيرة فولف يهدو وسلام ، ومع انقاذ الحكمة واداء فلايتنر بتهادته المالية وكيف تم له ذلك في زورق آل فولف ذاته ، فان الحاكم لم ير في ذلك دليلا لان معاطف القندس كثيرة يرتديها سواد الناس لاثامها الباهظة ! لكن كيف اخذ على يد فيشر ، اخذ عليه انه لم يكن حاضرا في احتفال عذ ميلاد الفيسر . اذن « فهذا انسان قادر على اسوا الاعمال حتى ولو تظاهر بالقباء » . وهو يعرف هؤلاء الذئاب في جلود الحملان . انه لا يمكنهم ان يكسروا رجل ذبابة . لكن احيانا ما يدمر هؤلاء الكلاب اقايم كاملة وعلينا ان نضيق عليهم الخناق » .

غير ان الشكليات الرسمية لا تلبث ان تتدخل في الامر ، فيرتدع عن غيه قليلا ويعود ليتلاعب بميزان المنطق والعدالة والذكاء ، فيند منه هذا القول وهو يحاور الشاهد فلايتنر : « معظم المراكبية يرتدون معاطف من الفراء ، وليس في هذا جديد » . ثم يتساءل وكأنه اصاب الهدف اصابة مباشرة : « هل صادك شيء من هذا القبيل ؟ رجل غاية في الفناء .. مراكبي يرتدي معطفا من الفراء . هل جن الرجل فجأة ؟ انا نفسي امتلك معطفا من فراء القندس ، ولست بدون شك لسا ! » .

وتتمة للشكليات يؤتي بفولكوف الرجل الذي اشترى المعطف من اسرة فولف ، وحين وجهه بصاحب المعطف ،

المبررة ، وتلميحاتها الرائعة ، بأسلوب هادئ رصين ولهجة اقرب ما تكون الى اللهجة الشعبية . وفي ذلك ما فيه من دلالات على مدى تأثر هاوبتمان بالبيئة اللبزية الحميمية التي نشأ بين اكنافها وترعرع في مرايعها .. والمرحجية بجملها مهزلة تتناول تصرفات لصوص من اسرة فولف بقيادة مدام فولف الفسالة الحيالة المجتهدة الشغول التي لا تتورع عن اي سرقة من اجل صالح اسرتها والدفاع عن مبدأ (تنافع البقاء) من غير التفات لما يسرف بالوزاع الخلقى ، ولذا حين يعتذر زوجها يوليوس عن السرقة بحجة الخوف من القبض عليه تجيبه : « ... من لا يجازف لا يكسب شيئا . واذا ما اصبحت ذات يوم غنيا وجلست في عربتك ، سوف لا يسالك انسان من اين احضرت القنود » .

اما المبرر فموجود جاهز : ها ان فولكوف الصائد يشكو حاله ويقول : « .. انني اعمل منذ اربعين عاما ومساذا املك اليوم ؟ لا شيء غير الرومازم ، وعندما استيقظ في الصباح الباكر فأنني اعوي كجرو . منذ سنوات وانسا اريد ان اشترى معطفا من الفراء اذ نصحتني الاطباء بذلك لما اعانيه .. والمعطف كذلك موجود في بيت كروجر ، وهو ينتظر من يحمله الى الصياد المكين لقاء ثمن متفق عليه مسبقا . الخطة متيسرة وهي بحاجة الى التطبيق ، وبخاصة والحاكم بأمرة لا ينظر بعين الرضا الى كروجر لانه رجل مخطر يهدد سلامة البلدة على حد قول الارصاد والميون ممن يرقبون انفاس الناس ، قبل ان يرقبوا حركاتهم وسكناتهم ... وها ان احد هؤلاء المدعو موتس يتحدث مع مدام فولف عن كروجر : « انني منتظر حتى يمشي على الاثباتات » . وعليه ان يحذر مني هو وصديقه الحميم الدكتور فلايتنر .. ولو كنت قد اردت ، لكانت كلمة واحدة مني كافية ان تجعله الان في الاغلال وخلف القضبان » . وقبل سرقة المعطف تتم بسهولة سرقة كتل من الاخشاب من دار السيد كروجر كان بذلك استهلال لسرقة المعطف . ومع تقافة الامر ، فان كروجر يقيم الدنيا ويعددها لدى الحاكم فيرهان ، لكن الاخير يتذكر واجبه الاصلي « واجب تنظيف كل ما تراكم وتزايد في حى سلفه المحترم ، من اناس مشبهين ومجرمين سياسيين اعداء الوطن والملك » فلا يرى موجبا لان يلتفت للتفانة جذبة الى شكوى كروجر . ولذا يثور الاخير فتحدث مشادة طريفة بين الحاكم وكروجر ينهار على اثرها الحاكم فيقول متبرما متظاهرا بالاخلاص : « اقول لك يا سيد موتس ، انهم يجعلون وظيفتي صعبة ، ولولا انني اعرف طبيعة عملي لاضطرت احيانا ان اتخلى عنها ولكن شعاري ... تحمل بصير ! وما النتيجة آخر الامر ؟ لماذا تكافح ؟ لنصل الى خير الامة الاقظم » .

ثم تحين الساعة ويظهر معطف الفراء من بيت كروجر ، ويتدخل صديقه فلايتنر في الموضوع ، وبصحبة ابنه

« عينا سناء »

الى صغيرتي (سناء) في عيد ميلادها الثالث

عينا سناء زهرتان	في حقنا تنمايلان
ومع النائم ترقصان	تتوججان وتخفقان
عينا سناء وردتان	في روضنا تتالقان
تتضوعان وتشران	في أفقنا عطر الجنان
عينا سناء درتان	تتوهجان وتومضان
تتلاان وتعكسان	ما ليس بعكسه الجمان
عينا سناء بسمتان	نجمنا صفاء يشران
وتترجمان من الممان	ما ليس بعكسه الجمان
عينا سناء غنوتان	عبر الوجود تحلقان
فوق امتدادات المكان	فوق انطلاقات الزمان
عينا سناء همستان	لحنا حياة يسريان
مسرى الدماء ، يفنيان	نافورتان من الخنان
عينا سناء ضحكتان	في روحنا تتسردان
عبر الجوانح تبعثان	ما غاغ من عذب الامان
عينا سناء دعوتان	عبر الضلوع تصليان
واكداد اتصت لبالان	مترددا في كل آن
عينا سناء في حنان	عينا صفاء نشوتان
نايا صفاء يفران	من جولنا لن الامان

شبين القناطر ج.ع.م. عبد المصم عواد يوسف

الغبي واذا بها تحضر من تلقاء نفسها في احدى الجلسات وتتبرع بكل اخلاص وامانة ان تكون عينا له ساهرة ، ومن اجل ان تغطي هذه الرغبة غير المنجزة تتظاهر بسلامة الطوية وسداجة القلب ، فتقول بعد ان يشرح الحاكم مهمتها : « انا لا افهم ابدا في هذه الامور » . وعندما يسألها سائرا عن سلوك فلايش تجيبه : « انه ليس انسانا شريرا » . فيحمل الحاكم هذا القول على محمل الجد . لكنها تبادره بصراحة خبيثة عجيبة : « اطلاقا . انت تعرف يا سيدي الحاكم انني لا اصلي لذلك . فانا دائما صريحة . ولو لم افتح فمي هكذا حتى آخره واقول ما عندي لكان حالي الان احسن » . وتعليقا من الحاكم على صراحتها هذه يوجه كلامه الى فولكوف : « انها فساتلنا المجدة ونظن ان جميع الناس مثلها ، وفي الوقت نفسه تلتفت الى مدام فولف : « ولكن ليس الحال هكذا في العالم . انت تحكمن على الناس من الخارج ولكن امثالنا ينظر اعظم من ذلك . ولهذا العمق قيمته في سلامة النظر وقيمة النتائج التي تترتب على هذه السلامة ولا سيما في ميدان العدل حيث الاهداف البعيدة العميقة والقريبة متشابكة » .

يوسف عبد المسيح ثروة

بفداد

لم يبال - اعتمادا على موقف الحاكم - من القول : « تؤكد لك ان كثيرين يملكون اجمل المعاطف من فراء القندس . ولم لا ؟ فالجميع لديهم المال » . وهنا تنتفخ اوداج فيرهان ويمتلئ رأسه بشعور النصر والفخر ويضرب العدل في يافوخه لانه يصير على وجوده ، والحاكم لا يعرف معنى لهذه الكلمة لانها من مفردات الكتب التي لم يتنازل للاطلاع عليها .

ومع ذلك فالحاكم هو وحده المخول من امبراطور البشر ، قيصر الالمان ، ان يحمل ميزان العدل ، ولسدا نراه يوجه الكلام الى كروجر : « هيا اكمل يا سيد كروجر . مجرد وخزة بسيطة اردت بها فقط ان اريك مدى اهمية هذه الملاحظة . فالرجل يملك معطفا من الفراء ، ولا يخطر لنا حتى ولا في الاحلام ان نقول هذا الرجل سرق . والا اصبح كلامنا هوسا » .

وهذا حق لا شائبة فيه ، لانه صادر من الحاكم نفسه الذي يعتمد على « مخبر رائع يطلع ان يكون قاطع طريق » . اما الذئبة فولف ، فهي لا تجد مجالا احسن من هذه الروطة التي اوقع الحاكم فيها نفسه ، لتستفيد من هذه الفرصة ، ولتتقرب اكثر فاكثر الى قلب الحاكم الابله

يتغنى بها الطلاب في السودان تقول :

كرري تحدث عن رجال كالأسود الفارسية
خاصوا الذهب وشئتوا كل الفضة الباغية
والنهر يطفح بالفحاحيا والدماء اللثائية



اميل توفيق

صور وانطباعات من رحلتي في السودان

بقل اميل توفيق

١ - الرحلة الى الخرطوم

في اغسطس ١٩٦١ وصلت مع افراد اسرتي الى مدينة الخرطوم - العاصمة المثلثة - بعد رحلة تلبية ممتعة بيسر الشلال وحلفا . ولقد كانت مشاعري - خلال هذه الرحلة - وخاصة ونحن نقرب من حدود السودان - تتلوى بوجدان تاريخي . فعلى طول الشاطئ الأخضر الذي ارتفعه النهر التي تشبه الشريط (١) ، كنا نرى مشاهد عديدة لرجال القبائل المختلفة ومن بينهم هؤلاء النوبيين بمقاماتهم المديدة، وقد لوحث جباههم الشمس المشرقة وهم يفلحون الارض ويحرقون . وكأننا كنت ارى امامي اناسا خرجوا من اغوار التاريخ ، او كأننا هؤلاء باتارهم العظيمة يحيون حيوات جدودهم التي تحدث عنها المؤرخون . كانت الباخرة تنق عباب النهر الخالد وكأنها تنشق عباب التاريخ المصري القديم ، اذ كانت المشاهد امامي انما تمثل صفحات حية من كتاب النيل الخالد للكتاب الشهير « اميل لودفيج » . وكنت احس انني اشاهد الفصل الاخير من آثار النوبة قبل انقازها ، ومن حياة النوبيين والحلفاويين على ارضهم قبل تهجيرهم الى اوطانهم الجديدة .

بوصولنا لمدينة الخرطوم ، استقبلتنا أسرة سودانية كانت لنا بها صلة سابقة ، وكانت تقيم في أم درمان . وكان المنزل الذي نزلنا به يقع في شارع له اهمية تاريخية عند السودانيين اسمه « شارع كرري » . وترجع اهميته الى المعركة التاريخية الملهية الكبرى المسماة « معركة كرري » التي انهزم فيها الانجليز امام اتباع المهدي الذين كانوا يسمون « بالدرابوش » . واذكر ان هناك اغنية وطنية

مكننا تسعة ايام وسط هذه الاسرة الكريمة التي كانت تجمع بين التقاليد السودانية والتقاليد المصرية . وكان يقدم لنا من الوان الطعام اللحم القديد (ويسمونه الشرموط) ومن الوان الشراب مشروبان وطنيان هما (الحلو مر) و (الابريه) كما كنا نتناول السى جانب الخبز العادي ، الخبز الوطني المسمى (بالكسرة) . كنا موضع حفاوة وتكريم وعلى رغم ان المرء لا يمكن ان يخرج بدراسة للمعادن او التقاليد بمجرد اجتماعه بأسرة او المعيشة المؤقتة بين ظهرانيها . . ولكن فرصة الضيافة تعد فرصة اجتماعية نادرة لكي تطلق الطاقات الانسانية . . . اولاً من جانب المغرب لكي يتعرف على الناس ولكي يؤكد ذاتيته ، وثانياً من جانب المواطن المضيف . . ومن ثم فالضيافة تعد معياراً لقدر الطاقة الانسانية عند شعب من الشعوب لاستقبال الغرباء . والشعب السوداني من اكرم الشعوب واكثرها اطلافاً لطاقته في المروءة والاستقبال . فنحن لا ننسى بجانب كرم الضيافة ، ما قولنا به من « ايتاس الجيران » واقارب الاسرة المضيقة وعمارهم . فالسيدات يجتمعن عادة في الصباح ، والرجال او الاسر بكلمتها ، يجتمعون في الاسيات ، في جلسة هادئة تسمى (الوتة) . والوتة عند السودانيين من اهم الظواهر الاجتماعية المشرقة التي تألف حولها القلوب والانفهام . وقد شهدت لقاءات مقامي بعضاً من هذه الونسات او الجلسات الاجتماعية التي تتودها روح الالفة والمشاركة والتبادل والترويح . ففي العمارى ، بعد ان يرش الفناء الداخلي للمنزل بالماء ، ويكون الجو قد تلطف مما اصابه من حر قاتظ طيلة النهار ، تصف المقاعد في وسط الفناء انتظاراً للزائرين . استمعنا في تلك الونسات الى شتى انواع الاحاديث والطرائف والحكايات . منها ما كان يقصه كبار السن وخاصة الحويبات (الحوية هي الجدة) من حكايات تتعلق بالحن والمآزق التي مرت عليهم وعلى كثير من المواطنين والاجانب عند قيام الثورة الملهية ، وكيف غادروا ديارهم وكيف لجأوا الى اماكن اخرى ، وما صحب ذلك من مخاوف وانفعالات وتغييرات وما لقوه من مفاجات . ومنها قصص البطولات التي مارسها افراد مسن قبائل مختلفة في صيد بعض الوحوش في غابات الجنوب . او بطولات تتعلق بانواع من الرقى والسحر تحمي صاحبها من الاصابة بأي سلاح ، او تجعله لا يتأثر بلدغة العقرب او الثعبان . ومنها حكايات عن ولاء العبيد والجاريات ، بعد ان منعت تجارة الرقيق ، وردت لهم حرياتهم . وما الى ذلك من احاديث بعضها حق كله ، وبعضها تلفت فيه الحقيقة بأشعية من الضباب . وذلك عما ما صادفته من

أحداث ترتفع إلى مستوى الندوة (وهذا ما شهدته فيما بعد) حيث يناقش الشباب السوداني مختلف القضايا الإنسانية في السياسة أو الأدب أو الفنون وما إليها . حقاً ليس بالغريب وحده يحيا الإنسان . وفي المجتمع السوداني يتحقق هذا القول العظيم إلى حد كبير . فالسوداني يفضل الكرامة ويحب المناقشة وينشد الإناس ويميل للخدمة .

وكان لا بد لنا أن ننقل من أم درمان إلى فندق من فنادق الخرطوم حتى تستقر أمورنا ، وربما نعرف المصير . ويصل بين الخرطوم وأم درمان كوبري يقع على النيل الأبيض . وكل من يجتازه لا بد أن يشاهد المنطقة التي يلتقي فيها النيلان - النيل الأبيض (اللجني) ، والنيل الأزرق (الاسواني) - في عناق رائع بدیع طالما تفتى به كثير من الشعراء . وللشاعر الكبير الأستاذ عزيز أباطة قصيدة معروفة تفتى فيها بهذه المنطقة المعروفة باسم (القرن) أي التي تقترن فيها وتمرّج مياه النيلين وينتج عنهما « النيل » العابر من هذه المنطقة حتى الأراضي المصرية فالحجر المتوسط .

وقد استغلت منطقة « القرن » كمتنزه عام أنشئ فيه « كازينو » يضي فيه رواده وقتاً طيباً ييسر الخضرة والملعب ، والمنظر الساحر المطل على النيلين ، وذلك في أيام الجمع والأحد . وإذا تركت هذه المنطقة متجها في طريقك إلى العاصمة الخرطوم فلا بد أن تمر على حديقة الحيوان ، ومن بعدها لا بد أن تمر على الفندق الكبير أكبر فنادق السودان وهو يقع على النيل الأزرق ويعد ملتقى للساحين وكبار القادمين والمهاجرين ، وإبهاء الرحبة تستقبل الوفود الزائرة ، والحفلات الاجتماعية الكبرى .

وبهذه المناسبة يسأل البعض : ما الأصل في كلمة الخرطوم ؟ سمعت أن إذاعة سودانية تعزل هذه التسمية بواحد من التعليلين الآتين : يقول أولهما أن النقاء النيلين يحدد المنطقة برقة تشبه خرطوم الفيل ومن هنا جاءت التسمية . ويقول ثانيهما أن في العصور القديمة كان الناس في تلك المنطقة يجمعون ثمارا تنبت وحشا ، وكانوا يسمونها « كرم » . وعرفت المنطقة بهذا الكرم ومن ثم جاء إطلاق اسم النبات على المنطقة نفسها . ثم تحرف وتعدل مع الأيام إلى الخرطوم .

بانتقلنا إلى فندق رويال الواقع بجوار المستشفى الملكي ، قرب محطة الخرطوم ، أحسنا فلما بالفترة . أن المرء يشعر بالغتراب عندما يفتقد العنصر الهام ، عنصر الانتماء الاجتماعي . وفي أم درمان كان الناس ينتقلون إليها ، فيملأون في نفوسنا ما قد أحسنا من فراغ . .

(١) والتي غمرتها فيما بعد مياه الد العالي . (٢) من كتاب دراسات في شعر التجاني (من مطبوعات جماعة الأدب السوداني) .

وأما في الفندق فكان علينا أن ننقل نحن إلى الناس ، لنسد النقص ، ونملأ الفراغ ، ولكي نشبع هذه الحاجة النفسية الاجتماعية : الانتماء الاجتماعي والتأكيد الذاتي . وثمة فارق عام بين أم درمان والخرطوم ، هو أن الأولى تتميز بطابعها الشعبي العريق ، فهي تشبه في كثير من الوجوه حي السيدة زينب بالقاهرة ، لما تمتاز به من تجمعات شعبية في المقاهي وفي الأسواق وفي المحال التجارية . بل إنها منذ بزوغ الحركة الوطنية في سنة ١٩٢٤ ، تعتبر مركزا هاما باندوانها الثقافية واجتماعاتها السياسية أو الأدبية . وأما الخرطوم فتعتبر رقعتها المركزية بأنها مدينة مخططة ومن حولها « الدبوم » (أي الكفور الشعبية) . ولقد اتسعت الخرطوم فشلت - عدا الخرطوم بحري - عدة فواحي وقرى وامتدادات جديدة وأصبحت تقوم في شوارعها الكبيرة مبان حديثة وعمارات عالية تشغلها المؤسسات والبنوك والشركات الكبرى ، عدا ما أمتازت به من دور فخمة مثل القصر الجمهوري والجامعات والمستشفيات والمدارس والأندية الرياضية والاجتماعية والوزارات وما إلى تلك القصور التي شيدت على أجمل طراز ، واتسمت برحابتها الممتعة وجمالها المورقة الفخياء .

وخلال إقامتنا بالفندق ، عشرة أيام تقريبا ، خرجنا إلى المجتمع . انتدبت لدرسة الخرطوم الثانوية وتعرفت ببعض الزملاء ، وتكررت زيارتنا للنادي العربي ولبيت دعوة الزائرة لأسرة تقطن بالخرطوم بحري . ومع ذلك فقد كانت هذه الفترة هي فترة التطلع والترقب والانتظار .

إن المركز الاجتماعي هو الصلة الأساسية للانتماء الوظيفي لمجتمع ما . أنه عنصر الفاعلة في هذه الصلة . أما عنصر الانتماء النفسي أو الطمأنينة فيضمن تكوين الروابط الاجتماعية وتنميتها ، وهي الروابط التي تنصل بالعمل وبالإسرة . وقد صار علينا ، بعد انتهاء مقامنا بالفندق ، أن نحقق هذين العنصرين ، بانتقالنا إلى بور سودان ، وهي المدينة التي استقر رأي وزارة التربية والتعليم على تعييني بها بصفة نهائية .

غادرت الخرطوم إلى بور سودان ، وفي وجداني تلك الدكري الشعور للأيام الجميلة التي تملؤها الحركة والترقب والتطلع .

ولقد زرت الخرطوم خلال الأربع سنوات التالية أكثر من مرة . وأحسب أنني الآن بعد مفادرتي للسودان ، أرى في ذاكرتي الوجدانية صورة تجتمع فيها المتناقضات : فمن جزيرة توتي في النيل الأزرق بزورها ونخلها وحيوانها وشرعها ، إلى الصحراء القاحلة الممتدة في الأفق البعيد برمالها الحمراء وبشمسها القاطلة ، إلى النيلين العظيمين يلتقاهما الفائق الروعة ، إلى حدائق القصور والبيوتات بأشجارها الوارفة وطيرورها الصادرة

سدى

سدى .. لا تقل لي : احبك
 مات افتراق الفرام
 وجف العبير ،
 وناء الفد الواحد المرتجى
 وضاع الزمان
 وضاع المصير .
 كان لم يكن بيننا همسة
 كان لم يكن
 بيننا ما يثير
 وكل الذي قد بينناه امس ،
 نسجنناه
 من هينمات الشعور ،
 غدا قصة في شفاة العذارى
 واما طواه الاسى
 والفرور .
 سدى ما تقول فلا ترجي
 زمانا
 بعيد البنا الذكر
 فانت الذي قد سفتحت الهوى
 واسقيته
 من كؤوس الفير ،
 وانت الذي قد غدرت الفؤاد
 وليس الزمان
 الذي قد غدر .
 اما كنت تحثو عليه الرماذ
 وتشعل في جانحيك
 الشرر ؟
 ويعطيك من روحه

وكل الذي اضر ،
 ونجواي ،
 والحلم ، والذكريات ،
 وهمس جفوني ،
 وما اشعر .

خلعت عليك مصري
 وعمري
 فداء لعينيك يا منكر
 فلم تك عف الهوى
 والضمير
 ورحلت بنعماهما تكفر
 سدى ما تقول وما ترجي ،
 لقد حكم الحب :
 لن تستجاب ،

وسوف تظل جريح الضلوع ،
 شجي الفؤاد ،
 شقي الرغاب .
 وتمضي السنون ، وعمرك يمضي
 هباء ، هباء ،
 ويمضي الشباب ،

ويتركو عبير الهوى في الدنى
 ويمسح بالظهر
 شمس الهضاب ،
 وانت المرغ في رجسه
 فاما الجحيم
 واما العذاب .

راضي صدوق

الكويت

ما تشاء
 وتجس عنه رذاذ المطر ؟
 انقسم بالحب والحب وهم
 كفرت به
 واستبحت الحرم
 ولطخت بالرجس طهر الحديث
 ودثست

كل معاني القيم ؟
 هراء دموعك ، لا تستدعها ،
 واخل البكاء ،

وخل الالم ،
 فتلك معان لها قدسها ،

من ظلم .

فلا تكذب الدمع ،

ان الدموع طريق الخطايا ،

طريق الندم !

اتسال غفران قلبي الكبير ؟

.. وهل بعد كل الاسى يغفر ؟

وهبتك عطر شبابي الطري

وقلبي

ARCHIVE
 http://Archivebe.com

وعلى اروع ما اوجت اليه طبيعتها المشرقة ، قال فيها :
 تحسبها اغنية مطربة نفهها الحسن على نهرها
 مبهمة العائنه مطلقه رجسها الصيحه من طيرها
 وشمسها الغريرة المشرقة تفرغ كاس الصبوء في بديرها
 واذا اترك هذه الوجدانيات ، اجدني اترك باب
 الحديث عن بور سودان .

اميل توفيق

شبين الكوم - ج.ع.م.٢٠٠٤

.. اجمل صورة يجتمع فيها ذلك التناقض الجدلي او
 الحوار الدرامي بين الرحمة والقسوة ، بين حنان الطبيعة
 وجفافها ، بين خصوبة التربة وجدبها .
 وما هو جدير بالذكر - والشيء بالشيء يذكر - ان
 للشاعر الوداني الاصيل المرحوم التجاني يوسف بشير
 قصيدة وجدانية جاءت في ديوانه « اشراقية » (٢) ،
 ضمنها وصفه للخرطوم ، فدلّت على لباب الحب لبلده ،

مكتبة الاديب



احسان هانسم

مجموعة قصصية - ناليف الفقيه عيسى عبيد - ٦٨ صفحة - من الحجم الكبير - منشورات المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب بالقاهرة

تلتقي هنا - وفي هذه الحلقة المتممة من طلائع القصة العربية الحديثة - بنصاف من الرواد في هذا الفن القصصي ، ومن الذين وضعوا فيه لبنة بلى عليها من جوار بعده ، وخفا فيه خطوة سار على نهجها من كتبوا في القصة بعد ذلك ، هذا الراث هو « عيسى عبيد » القصص السوري المنصر ، الذي عاش في مصر زمنا ، وقد يكون ولد فيها . فنتحن لا ندرى على التحقيق واليقين شيئا كثيرا عن نشأته الاولى .

و « عيسى عبيد » هو شقيق القصص « شحاتة عبيد » صاحب المجموعة القصصية القصيرة « الدرس مؤلم » التي نعد بعرضها هنا في هذا الركن من عدد مقبل . وقد مضى شحاتة عبيد الى جوار الله ، لا نعرف كثيرا عن حياته الا ما تلقفه بعض مترجميه من افواه المارقين هنا وهناك ، فلم يكن الرجل ادبيا متغزا للاديب ، ولا قصاصا يعتمد على كتابة القصص في كتب عيشه ، فان الكتابة لم تكن سبيلا للحياة في ذلك الزمان التي لا تتجاوز اربعين عاما ، ولكنه كان بالغا مرة في احد حاجي القصص الكثرى ، ومدبرا لحل آخر في شارع آخر من شوارع القاهرة التي نعتلها بمناجر الازياء والاناث ، وهو شارع قصر النيل ، حيث انتهت اخباره ، وانقطعت ، فلم يعرف الدارسون لادبه بعد ذلك شيئا عنها على وجه التفصيل ...

ولم يكن حظ عيسى عبيد من المعرفة به احسن حالا من حظ اخيه شحاتة ، فكلهما مفقود من هذه الناحية ، وان كان كل منهما قد اسهم في القصة القصيرة بنصيب كان من الوفاء ان يشار اليه ، وان يتجه الاهتمام نحوه ، والعناية به . فان اصحاب الفضل في التفهقات والوليات الادبية وفي ارباب ميادين جديدة ، لا يدان بنصلا يوما من زمانهم ، ولا يدان لنجى السامع لاعتلاهم فقههم ، طال المدى بهم ام قصر . والاخوة المؤلفون والادباء والشعراء ظاهرا لم يخل منها دبا امة (١) . فهناك الاخوان « جبريل » في الادب الاناثي ، والاخوان الشقيقات « برثوني » في الادب الانجليزي ، وقد اشتهرت احداهن بالقصة الرائعة : مرنفات ودرنج ، وهناك الاخوة « ابناء الاثير » ، ومنهم المؤرخ والمحدث والبالغي ، وهناك ابراهيم البازجي واخوه ، والامير شكيب ارسلان واخوه ، والقصص محمد ليوم وشقيقه محمود مد الله في عمره .

غاية الرواية عند عيسى عبيد : لم يتركها عيسى عبيد في مجموعته هذه دون ان يقدم لها مقدمة طويلة بعض الطول . ولعل هذه المقدمة تدلنا على مكان الزيادة الذي اضطلع به مع زملائه في العصر الحديث . فان اغلب قصصنا اليوم يرسلون فهمهم دون حاجة الى التقديم لها . ولكن القصص الرائد يلجا الى المقدمة اذا رأى انه يريد ان يقول لنا شيئا جديدا . وقد رأينا هذه الظاهرة عند الرواد الأوائل من امثال شحاتة عبيد ، ومحمد ليوم ، وطاهر حقي ، وطاهر لاشين . كما رأيناها عند الدكتور محمد حسين هيكل ، فقد احس كل منهم ان مقبل على فن جديد في الادب ، وان هذا الفن بحاجة الى التعريف به ، وبطرائقه ،

وبضرورة تعليم الادب العربي ، وبوجوه المقارنة بينه وبين نظيره في الغرب ، وبمدى الافادة منه للتعريف بالحياة والمجتمع . ومن هنا وجدنا القاص « عيسى عبيد » يشتغل لقلمه ليكتب لنا مقدمة عن الفن والادب الحديث في مصر . وفي هذه المقدمة يحدثنا عن الفن القصصي الوليد في مصر ، وعن شخصيات القصة ووجوب دراستهم ودراسة المؤلفات الروائية فيها ، والظروف التي ساعدت على تكوينهم ، والتفرقة بين المذهب الخيالي والمذهب الواقعي ، وصيغ القصة بالطابع القومي المحلي حتى لا يشعر القاري انها مجتلية ، واللغة التي تكتب بها القصة سواء اكانت لغة سر ام لغة حوار ، والبعد عن الاسلوب العاطلي والتعمق المباشر في القصة .

ويبعد لنا القاص عيسى عبيد غايته - او غاية القصاص عموما - من كتابة القصص بقوله : « اما غاية الرواية فيجب ان تكون التحري عن الحياة وتصويرها بمانة وخلص كما تبدو لنا ، وجمع كمية كبيرة من الملاحظات والمستندات الانسانية بحيث تكون الرواية عبارة عن « دوسيه » يطلع فيه القاري على تاريخ حياة انسان او صفحة من حياته . ويجعل بالكتاب ان يدور فيها اسرار الطبيعة البشرية ، وخفايا القلب الانساني الفاضل ، والتطور الاجتماعي والاخلاقي ، وعوامل الحضارة والبيئة والوراثة في نفوس الاشخاص ، وذلك مع بعض التحفظ في ابداء حكمه او آرائه الشخصية ، لان مهمته الاساسية تشرح النفوس البشرية ، وتدوين ما يتكشف من الملاحظات ، نازكا الحكم في ذلك للآثر نفسه يستخلص منها القارئ الذي يرعى اليه بخفة ومهارة دون ان يتدخل مشقة التاداة به ... »

التعبر عن الشخصية المصرية العربية : من سمات الفن ان يكون صادقا ، وان يكون صادقا تصبير عن الحياة التي يصورها او يتلقاها الكاتب ، وافة الادب العربي في عصور احتضانه الى فقد عنصر الصدق والاصالة والتعبر الحقيقي عن الحياة... والتمسر الجاهلي مثلا قد يكون غرابا لظيفة بالنسبة الى لغتنا اليوم ، ولكنك متى عرفت معنى الناطقة الغريبة استنتجت ان تلمس عنصر الصدق والاصالة فيه . انه تعبير صحيح عن البيئة العربية في العصر الجاهلي بما كان فيها من عادات وتقاليده من خصائص عصر معين بذاته . فشعر الشعراء الجاهليين في وصف الناقة والحصان والابل والذئب والدمى والنساء ، والاولاد ، ونبات الصحراء ، والبرق والواصف ، هو شعر صادق التعبير عن بيئتهم ، ومن كان سر الجاهل سره ، وقد فقد العربي جماله وحيوته حين لجأ الشعراء - في عصور الضعف - الى الحكاية والتقليد والتشبيه بالقدماء ، فلم يكن شعرهم ولا تشبيهاتهم صسورة صادقة لحياتهم ، بل كانت صورة قديمة منقولة الى جو غير جوه ، والى حياة غير حياتها القديمة... وكذلك حين بدا في القصة والرواية يدخل الى الادب العربي في العصر الحديث ، فقد رأينا بعض الكتاب المقلدين ينقلون عن الفرنجة نقلًا حادًا ولو كان يصطدم مع واقعا العربي المحلي . لان الفن لم يكن عندهم اصالة ، ولقته كان نقلًا وصنعًا وتقليدًا ... ومن هنا جاء فقههم - اذا صح ان يسمى هذا فنا - مصوغا مشوهًا زائفا غير صادق ولا مطابق للبيئة العربية ، او للثقافة المصرية .

ولقد تنبه بعض الادباء ذوي الاصالة لذي خطر التقليد والحكاية ، وناذروا بضرورة اظهار الطابع القومي والشخصية العربية المحلية ، حتى تكون بارزة متميزة غير نافلة المعالم . ومن هؤلاء الفنانين الاصلاء كان عيسى عبيد ، وشحاتة عبيد ، ومحمد ليوم ، وطاهر حقي ، وطاهر لاشين ، والدكتور هيكل وغيرهم من الرواد في الفن القصصي . لقد ظلوا يتناولون باظهار الشخصية المصرية في القصة وتصويرها على حقيقتها بطابعها المصري القومي ، لا يوثبوا الاجنبي المستعار المجلوب ... ومن



الارباب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدونها شهر

ينابر ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد

الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

لاعلان تراجع ادارة المجلة

تليفون : ٢٢٣٨١٩ الإدارة Dir : 223819
٢٢٥١٢٩ المنزل Die : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب - صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت - لبنان

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البيسر ادب

تلازم عيسى عبيد في هذا الصدد قوله : « ونحن ان نقول ان الادب المصري المصري في وقتنا الحاضر غير مستقل ولا موسوم بطابع شخصيتنا فهو ما زال خاضعا للادب العربي الجامد المتشابه القديم ، او متاثرا بنفوذ الادب الاجنبي الذي اضطررنا الى درسه لتعلم منه اسرار الفن الصحيح الرائي ، وتاخذ عنه قواعده وقوانينه واسلوبه . فالروايات المصرية المؤلفة مغربة - وبلا للاسف - عن المرح الاجنبي . وفصلنا مأخوذة عن القصص الاجنبية !! وان قام كاتب ليؤلف رواية ، فهو اما ان يقتبسها عن رواية اجنبية او ان يصورها . ويتجلى في هذه الحالة اضطراب شخصية الاشخاص الذين لا يكون لهم غالبا وجود في هئتنا الاجتماعية ، ونعكس الألوان الغريبة بجلاء على روايته ، فتعدها المسحة الطبيعية التي هي سر من اسرار الفن الحقيقي . وكثيرا ما تكون الحادثة نفسها غريبة عن اخلاقنا ، وقد لا تقع على طي مرسج الحياة المصرية ، وذلك ناشئ عن ترسم الكاتب الروايات الاجنبية .. »

ارابت دعوة الى اظهار الشخصية المصرية اصرح او اوضح من هذه الدعوة ؟ ومن هنا لجأ عيسى عبيد ، ولجأ غيره من رواد القصة العربية الى تصوير مصر والحياة المصرية والانسان المصري والانسان المصرية بكل خصائصهم المميزة الاصلية فيهم ، واكد عيسى عبيد هذه الدعوة بقوله بعد ذلك : « فواجبنا - نحن الكتاب - ان نطعم ادبنا المصري المصري صفة حية ملونة خاصة به ويعرف بها ، ولذلك يجب ان نجهد بان نحرر لهُتنتنا من تأثير الادب الغربي ، بالا نخذ ممن الروايات الاجنبية قاعدة لرواياتنا التي يجب ان نشاد على اساس الملاحظة الصادقة المستخرجة من اعمال حياتنا اليومية » ...

والذا كان المرحوم محمد ليمور قد سبق الى اظهار الشخصية المصرية وايرازها مستقلة واضحة الملامح ، فان المرحوم الدكتور احمد ضيف استاذ الادب العربي بالجامعة المصرية كان من اشد انصار هذه الحركة دعوة لها وعتادة بها ، حتى لم يملك النقص عيسى عبيد ان يفل الاشارة اليه في المقدمة قائلا : « وقد جاء التكوين احميد عبيد . في كتابه « مقدمة في بلاغة العرب » مؤيدا لنا في نظريتنا ، اذ قال بوجوب ايجاد آداب عربية مصيوبة بصيغة مصرية ... »

الجد عن الوعظ والخطابة في القصة : لقد احدث اقطاع القصة العربية التي نهل « عيسى عبيد » شيئا منها ان يطلع على مناهج الاوروبيين في كتابة القصة. وهي مناهج البت التطبيق العملي صلاحها وسلامة قواعدها التي يمكن تطبيقها على أية لغة اخرى مع مراعاة الاحتفاظ بالشخصية والحياة المستقلة لكل امة . فتابيع القواعد الفنية والاصول المنهجية لكتابة القصص والروايات شيء ، وايراز الطابع الشخصي لكل امة شيء آخر . ومن هنا يستطع القاص العربي ان يلتمز حسود المبادئ ، والقواعد في الفن القصصي مع الاحتفاظ بتصوير الحياة العربية وتوضيح الشخصية المصرية بدون ان تختلط معالها مع شخصيات امة اخرى . ومن المبادئ التي افادها عيسى عبيد من القصص الاجنبية عدم مجاهرة القاص بايذاء حكمه او آرائه الشخصية . فعليه ان يصور المواقف ، ويشرح النفوس ، ويستخرج اخلق ما في كوامن النفس الانسانية ، ويعرض الخير في جماله ، والشر في قبحه دون ان يحكم او يعاقب باي كلمة يفهم منها انه واطق واقف على المثبر يقول لابنائهم ومستهمي : « ايها الناس ! الصدق منجاة ! والكذب مهواة » .

ومسألة تحفظ القصاص واحتفاظه بالحكم ، وبمده عن الوقوف موقف الواظف التامسح ، هي الطريقة الفنية السليمة لاستخراج العبرة من القصة او الرواية دون اقبال على القاريء او دون اشعاره بأنه يتلقى النصائح من المؤلف . فالرواية باحداثها يجب ان تأخذ مسارها وتجري مجراها ، وللقاريء ان يأخذ منها او يدع ما يريد او ما لا يريد ، فان فرض الواظف ثقيل على النفوس ، وفيه من الاثرام ما يستثقله القاريء المتحرر ولا يجد له مسانغا في نفسه . وقد عبر عيسى عبيد عن ذلك بقوله : « وانا لوفنون ان هذه الطريقة الجديدة ستصادف باديء يده

عروفي !

والأمم المهش أن هذا الخروج عن تقاليده لم يقابل بالاشتمزاز والاستهجان من جماعة المحافظين المميين... بل كثيرا ما كانوا يتجملون بالتصفيق والإنشام ، وأحيانا كثيرة يبالغون ... أن نورنا هذه ستؤثر بلا شك تأثيرا قويا في تقاليدنا ، وتؤدي بنا إلى التطور السريع في نظام حياتنا الاجتماعية ..

بحرمتك الله يا عيسى عبيد ! هذا بعض كلامك في سنة ١٩٢١ من ثورة سنة ١٩١٩ ، فعادنا كنت قلنا لو امتد بك العمر ، فلم يهتفكك الموت سنة ١٩٢٢ ، لتقول لنا ، أو لتصور لنا مصر الحديثة بعد أن خلقتها خلقا جديدا ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ؟

الولام بين عصري الأمة : لقد سمعنا وقرأنا كلاما عظيما للرئيس جمال عبد الناصر في الاحتفال بإنشاء كاتدرائية اللاقياط في يوليو سنة ١٩٦٥ . لقد جلى سيادة العلاقة بين عصري الأمة كاترم ما تكون العلاقات بين الإخوان في الوطن الواحد ، لا يفهم اختلاف دين ، ولا يميل بعض جوج إلى تعصب ، وإذا كانت ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ قامت على الحب بين أبناء الوطن الواحد جميعا ، بلا تفرقة ولا تمييز ، فإن ثورة عام ١٩١٩ قد دعت في دمي وتلميذي بصير إلى نبد الخلاف وتوكلدك الارتباط ، بين المسلمين والاقباط . ولم يشأ « عيسى عبيد » القاص المسيحي أن يترك هذه الظاهرة تمر دون تسجيلها في قصصه ... ففي في مذكرات « حكمت هاتم » لاحظت أن شجارا هائلا قد بين العلم مسيحية والتشيخ عبيد ربه ، وتنجرت بينهما العداوة بحكم منافسة مستحكمة بين هذين الباطنيين المتجادرين ... وكان من ذلك شجار بين الاسيريين جرح فيه من جرح ، وضرر فيه من ضرر ... « وكان قد خالف هؤلاء من تجار العلم والجيران نتيجة عداوة هذين الرجلين السياسي الادبان ، لئلا ينسب احدنا عداوتها الى التعصب الديني ، فتدخلوا بينهما مرارا لحسم النزاع ، وحملها على التصالح ... »

« هاتم » تعجبنا كيف تصالح الخصمان ، وصافى العدوان فالتة : « وما كنا نصل الى الشراخ حتى استرعى نظرا منظر مؤثر للغاية ، فقد رأينا الشيخ عبيد ربه يعاقب المعلم مسيحية قائلا بنشوة فرح اختلجت لها عضلاته : نحن اخوة يا معلم مسيحية ! لا يبق لنا أن نتشاجر .. ورأينا القبطي يقبله ويضمه الى صدره كأنه يعاقب اخا له لم يره منذ سنين عديدة .. الا ما اطيب فليك ، واكرم نفسك يا شيخ عبيد ربه : وما اكثر تعلقك بروح اسلافك ، في الساحة والحب والولام ... !

مواهب قصاص اصيل : تكشف لنا مجموعة « احسان هاتم » ، وتكشف لنا مقدماتها الواجبة عن مواهب قصاص اصيل لو كان العمر طاله لاند الادب العربي الحديث برصيد هائل من الفن القصصي الرفيع ، ولكن « عيسى عبيد » مات عن ثلاثين عاما .. ولقد صور صاحبنا البيئة المصرية بما اشتهت ارضها ، واطلقت سماؤها : فوصف حياة الاسر السوية المسيحية التي تمصرت وتأنست من مصر وثقافتها نائيا لها ، ووصف المراه في احوالها : محاطة بالصدرة . ووصف الام مكافحة ومربية اولادها حين فلدوا المائل والتيسر . ووصف الفتاة حين يطوف بها طوافها من الشيطان فيضلها عن سواء السبيل . ووصف بعض العادات في الرف ، وان لم يكن وصف الكبير ، وصور موجة التفرنج ، وحركة السور والحجاب ، والانتقام للعرض ... واتخذ في سبيل ذلك طريق السرد ، والحوار ، والمفكرات ، والرسالة ، والاعتراف ... وتب في لغة الحوار بين العامة والفصحي ، واتخذ في المحاوره لغة يتخللها بعض اللغات عامية ، ويطلبها بالمشقة المصرية ، واللوان المحلية ، اما المحادثات القصيرة فقد نقلها بلسان اصحابها ، بالفاظهم العامية ، ووظائفهم العجيبة ...

محمد عبدالقني حسن

القاهرة

اعتراضا شديدا من بعض كتابنا الذين يتوهمون أنهم أسألتهم مرشدون ، جادت بهم العناية الالهية لهذابة الامة وحملها على اتباع آرائهم ، فانا نخالف ذلك ونتمثل بعبه آرائنا ، فلا يبق لناكنا مطلقا ان يدعي هذا الاعاء لاننا مغرورون دائما للخطا ، فاننا نحكم على الامور حسب امزجتنا وميولنا والذائقا ، وامزجة الناس متعددة ، وميولهم متفادسة ، والذواهم مختلفة او متفادسة .. فلا يبع ولا يبق لنا ان نجبر ميولنا على قبول ما لا يبعه ولا يفهمه ، ثم انفس الذواقا وميولنا التي نتمند عليها في الحكم تتغير يوما عن يوم ، فقد نستحسن اليوم رابا ونتمشقه ونندافس ، وغدا يتفصح لنا اثنا اخطانا وسرعنا في استحقاننا له فنبتذله ونحاربسه ...

ولم يبع القصاص عيسى عبيد ان يبدي الكاتب القصي رابه او حكمه ، فهو صاحب حق في ذلك لا يبع منه ، ولا يحجب عنه ، ولكنه اجاز له ان يبدي الراي غير مباشر ، حتى لا يكون صارخا ولا لقيلا ، ويقول في ذلك : « ومع ذلك فاننا لا نقول بعدم حق الكاتب بالحكم وايداء الراي ، ولكننا نقصد ان يتجلى حكمه ورابه من نايانا لملاحظته وتحليله ، لا كما يفعل كتاب العهد القديم بمناذراتهم : ايها الناس ! ايها الناس ! ايها الناس ! اهلوا عن الرثائل ! ايها الناس ! تسكوا بالفضائل ! تلك القادة العظيمة ، التي لا تؤثر ادنى تأثير في نفس القاريه ، بل كثيرا ما تأتي النتيجة ضد رايه الكاتب ، اذ باخذ القاريه الضجر والملل ، فيتمساق في تلك الفضائل التي يحتونها عليها بقسوة وخشونة .. »

صورة جميلة للمظاهرات النسائية : ظهرت مجموعة « احسان هاتم » القصصية لأول مرة سنة ١٩٢١ ، فجات بعد عامين اثنين من قيام ثورة سنة ١٩١٩ التي قامت فيها مصر بطلب بالقاء الحياة الانجليزية ، وبهجتها الكامل بالحياة المصرية ، وبخروج جيش الاحتلال من ارضها بعد ان ظل جالما على صدر البلاد حتى ذلك الحين يصفه وللائين عاما . وكان طبيعيا ان تصور لنا القصاص عيسى عبيد - فيما يصور بقبصه - بعض طلائع من الحياة المصرية ، حتى يكون صفاها عن نفسه ومع المقدمة الواجبة لمجموعته ، ومع رابه في النصفي وكيف يكون مطابقا للحياة ، مصورا لها ، معبرا منها . فقد صرح في تلك المقدمة بصورته للحياة ، اي بمل حياتنا الاجتماعية والنفسية والوطنية .

ايجاد ادب مصري (ايتمل حياتنا الاجتماعية والنفسية والوطنية) . ولم يشأ عيسى عبيد ان يصفى نفسه عما كان يدور في مصر حينذاك من نضال في سبيل الحرية ، ومن غيان في الشعور الوطني ضد الانجليز عبر غير الشعب بطرق مختلفة . فتجد في مذكرات حكمت هاتم - وهي القصة الخامسة والاعيرة من قصص هذا الكتاب - صورة طريفة تصور المرأة المصرية وقد خرجت - كالرجل تماما - في مظاهرة خاصة بالنساء ، تعرضي صدرها لرضاص الانجليز الذين لا يرحمون ، وتهتف بصوتها لتفكري الجيل بحياة مصر وتفتدتها بانثيين من الانواح ... وقد تجلى احساس المرأة المصرية بروعة الاتحاد بين المسلمين والاقباط فجعلت الهتاف بحياة ذلك الاتحاد واحدة من نغمات التشيد ... وندع الرواية بحسب هاتم - نقول في مذكراتها : « ركبنا العربة فاخذت نتجاذب بينا والشوارع الوطنية ، ووقفت بنا زهاء ساعة كاملة في ميدان عابدين لتقدر المسير . وكان الميدان على سته محتشدا بطلبة الأزهر وطلبة المدارس العليا والثانوية يحيط بهم أبناء الشعب ... وكنا كلما مرنا بنافس وطشيان « بنات بلد » يستقبلننا بزغاريدهن ، او بلطف من الشبان يحسنا بهتناظهم : نحياء السيدات المصريات ! نحياء امهات المستقبل . ورفيقاني يهيمهم : نحياء التشبيبة المصرية ! نعيش احرارا او نموت كرما ! اما انا فليادي بده لم اكن استطيع مجاراةهم في الهتاف ، لشدة خجلي ، ولكن سرعانا ما تلاشى هذا الخجل وبني الحساس في

(١) في مرسوم « الاخوة المؤلن » انظر بحثا سابقا في مجلة « المجلة العربية - المعدادن ٥٢ ، وانظر مقالتي تعقبا عليه بقلم الاستاذ اكرم زمير في مجلة « الاق الجديدة » الاردنية ، ومقالات اخرى في المجلة نفسها بقلم الاستاذ يعقوب المعدادن سنة ١٩٦٢ - ١٩٦٣ .

مجموعة شعرية - إبراهيم خليل العلاف - ٩٦ صفحة - مطابع مؤسسة مكة للطباعة والاعلام

لم يعرف القدماء الدراسات التجريدية في الأدب ، وإن كانوا قد مارسوها في الفلسفة والقرولات العقلية . فما هو الإنسان ؟ وما ماهيته ؟ فمضايا فكرية عالج العقل البشري الخوض في بحارها الفؤادة التي لا تحد ولا تنتهي ، ولا يعرف احد حتى اليوم أين تكون شطوطها .

لكن الأدب المعاصر ، وبخاصة الأدب الغربي ، قد جاوز البحث في قضية الإنسان . وحين منح « البر كامو » جائزة نوبل كان السبب الكبير في تفصيله على أقرانه المتقدمين لئيلها ، أنه كاتب « غوار » على اسرار الإنسان ، استطاع ان يطو حقيقة العنصر البشري في قصصه وكتاباتنه .

فإنسان منذ كان وهو يبحث عن نفسه فلا يجدها ، فتضطره النظرة المتسائلة لبحث عن غيره بعد عجزه عن بحث نفسه . اننا حين نقف امام مرآتنا نلرى فيها شخصونا لا نرد لنا هذه الصفحات اللس اللوامع سوى طواهرنا ، اما مواطننا الانسانية ، فان مرآيا الادب وحده هي التي نمسك سجاياتنا التي تعيش وراء المنظور ، وتنتس حتى لا تكاد نرى بالجاهز الكاشفة التي تنمي الصورة الى مئات الالصفاء . ولقد جالت في ذهني هذه الخواطر وأنا أقرأ ديوان « الإنسان » الذي كتبه الكاتب النابغ ابراهيم خليل العلاف .

وتبأساد العلاف شاعر متمرس بالتأليف ، طلع في حياة النهضة الادبية في الديار السعودية بكتب خفيفة الظلال ، مكنية الاقوال ، كان منها هذا الديوان الذي سماه « الإنسان » . وهو يرمز في همدوه التسمية الى ان الشعر الذي فيه بين قصائد ومقطعات ، انما هو من فيض إنسان يمكن في الشاعر ، او الشاعر يمكن فيه ، وليس هو معالجة علمية او فلسفية لقضية الإنسان . وان يكن الشاعر العلاف افصح هذه المجموعة الشعرية بطلقة سماعها « الصواريخ الوجهة » فتنازل الكلام على عمر الفناء الذي نقل الحرب من الارض الى دنيا الآسفل والظلم في الشرق العلوية بين المجرات والتجمود !

لكنه يؤثر البناء في الارض ليعالج مشكلاتها في اعمال الإنسان نفسه ، فهو في قصيدته الفلسفية « الصلاة المنشودة » يطرخ هذا البيت :

لولا التناير في الاسماء لاختلطت على الحقن في تمييزه الصور
اذ يرد عناصر الوجود المتفارية الى عنصر واحد شامل لصفاتها ، لكن الذي يفرق بعضها من بعض هو اسمائها .
ومثل جراح ادبي لا متطبخ ذي مباحض حادة جارحة ، يقول في قصيدة « القلب » :

ومعلق في الصدر ملء حاله فيض الحياة على مدى اوصاله
ويختنمها بهذا البيت :

عدا وعمر يتقنسي استهلاكه التيشي فيه معبر عن حاله
ولقد سررت بهذا الوصف ، وإن كان وصفا طبييا لم انتهى اليها . وكان شعراؤنا حين يتكلمون على القلب يقولون الكلام على علم في دنيا العاطفة والحب . وقد ذكر الشاعر العلاف الصبراء ذلك لكنه انفرذ بجعل القلب آلة حاسبة (عدادا) كعداد السيارة او عداد الماوالكهرياء . وهل القلب الا كذلك ، منذ ركب في الصدر ، وعلق فيه بجياله ، انه فعلا العمر والسنين لا تقرا ما يسجل ويخط ، وانما القدر وحده هو الذي يعرف ارقامه ويقرأ دوراته ، ويدري بأحواله في الحركة والسكون . وفي الديوان مسامرات روحية وانبهالات مبادية لم يطو ديوان شاعر من اهل مكة من مثل هذا اللغيش الانساني الذي يتجلى فيه الإنسان على حقيقته عام البيت العتيق طوفا والها وعيدا فالتنا مظاهر القوة امام قوة الخلاق الذي ابدع الإنسان . ومن يقرأ ديوان « الإنسان » فهو

يهتدي وشيكا الى انجاه الشاعر العلاف الذي يجعل ظواهر الوجود وسائل للحكم وادارة الكلام ، ومزج الشعور بالمثل والتفكير بمبصر الكون . وختم ديوانه ببيتين مزمزين في اللطف لكتبتها قاسيان في حياصة الإنسان ، اذ طالما مارس مناعها الإنسان ، وكان هذا المعنى هو (العملة) المتداولة في دنيا الواقع الوجودي . ومعنى البيتين : ان دنيا السبل جعلت الحمار يسيق الحصان وان حوار الثور دل عليه فقدعه في الفانزين . ويجعل في حياة الادب المعاصر ان اعرف الشاعر بلساف التيسل واردا جامعة القاهرة صادرا بشهادة الليسانس في الفكر والادب عنها ، وفي اللغة والبيان ، قاسيا معنا حتى اوفى بعدئذ فيها على دراسة فن المكتبات منتقلا الى دنياه القدسة ليقيد مواطنيه فيما نلقه من الدراسة الادبية والمكتبية .

وجاء داري بصفاف بردي فسأل عني فقيل له : انه في (داره الوحي والالهام) .

وحين استمت بلقائه في داري في جرول بمكة وفي داره بجوار المسجد الحرام ، أحست بخان الاديب الى الاديب ، وعرفت صدق ما قال الشاعر العظيم « حبيب » في ان نسب الادب في الصحابة الاوى من نسب القراءة .

مكة المكرمة زكي المحاسني

١ - الفزالي والتصوف الاسلامي

تأليف احمد الشرباصي - ٢١٦ صفحة - منشورات دار الهلال بالقاهرة

ما تزال دراسات اعلام الفكر العربي الاسلامي تجد اهتماما وموالة في مختلف انحاء الوطن العربي ، فما زال هذا الفكر المتصل بفكرنا العربي المعاصر يعطينا اعين المفاهيم وابعود الاحاسيس ، ذلك ان التفافسة الانسانية العربية تستمد جذورها من مفاهيم اولئك الزواد الذين الروا فكرنا ونفقتوا الافقه وجدوده ، وكشلتوا عن جوهره ، وضافوا به طريق الوصول الى الحقيقة .

والفزالي واحد من هؤلاء الاعلام الرواد ، جاء على طريق العالم الاسلامي وفكره في فترة من ادق فترات حياته ، وسط صياحات ضخمة مدوية من الجمود والتخلل جميعا ، فانطى من جديد مفاهيم الفكر العربي الاسلامي الاصيل ، وفادام عناصر التخلل والجمود ، وهاجم الغارجين عن الطريق الاصيل .

ولذلك فان الفزالي ما زال يجد من الباحثين عناية واهتماما ، ولقد نشر عنه في السنوات الاخيرة عشرات البحوث في صحف الغرب ولبنان ومصر والعراق وفي صحف مختلفة بين صحف اسلامية خالصة وصحف ثقافية عصرية ، وقد ظهرت عنه دراسات ضخمة ، في مقدمتها هذه الدراسة التي كتبها الاستاذ احمد الشرباصي ونشرتها دار الهلال .

وليس الكتاب عن جانب واحد من جوانب الفزالي هو التصوف كما يوحى به عنوانه ولكنه دراسة كاملة شاملة عن شخصية الفزالي وفكره ومراحله شاملة آرائه ومواقفه وآثاره في اللغة والفقه والشعر والنثر . وقد اشار مؤلفه الى ان دراسة الفزالي ليست بالامر المستطاع لكل رائه ، وليست بالامر الهين النطوف لكل طالب ، ذلك انه خلف من ورائه كتباً كثيرة يرتفع بها المحصول احبانا الى الاربعمائة ، وهذه الكتب قد تنوعت في موضوعاتها وتنقلت بين اللغة والفلسفة والتصوف والاخلاق والتقد ، واختلفت في اسلوبها فتخللت بين الوضوح والقومض وبين القرب والبعد ، وبين الانهار والاضمار ، وتنوعت في طريقها ايضا ، فهو نارة يعتمد على البراهين العقلية ، ونارة على النصوص الدينية ، ونارة على الجدل الكلامي ونارة على التعمق الفلسفي ، ونارة على الاسلوب الصوفي .

وقد كشفت الدراسة عن افاق تلك الشخصية المصغرة ، التي اختلفت فيها الآراء ، فمن اتاسى برهونه حتى يتجاوز قدره ، واخرون يذمونه حتى ينهونه في عقله ودبته ، والمؤلف يرى ان هؤلاء هؤلاء بحاجة الى المراجعة والتثبت فيما قالوا والى تبين الدوافع الشخصية او الفهمية او البهيمية التي دفعتهم الى الاسراف في التثاء او الهجاء . ومن هنا فقد تابع المؤلف الجزائى في عصره ونشأته وحياته ونفكره واسلوبه وشعره وكلماته وكتبه ، كما تحدث عن الغزالي الصوفي . والمؤلف لا يرى ما يراه غيره من ان الغزالي هو كاتب الصوفية الاول ، ويرى مواجهة هذا الرأي بكثير من الاحتراس والمراجعة ، ويعسد ان يستعصى هذه المسألة بحثا يقول : « ان كتابات الغزالي مجتمعة غير مسبوقة بمثلا في ضخامتها ونسجتها وتحليلها ، ولذلك كان من حق الجانب الصوفي ان يتسع له المجال حديثا عن الغزالي ، خاصة وان الغزالي كان يرى في التصوف غاية لكمال البشرية الذي تبغله عن طريق البحث والتأمل ، اذ يرى ان الخطوة الانسانية السليمة الصافية هي يتنوع المعارف وان الذي يمنع النفس من الاعتلاء انما هي حجب المادة وظلمات الشهوة ، وان الغاية من العلوم هي بلوغ هذه النفس كمالها ، وكمال النفس هو مركز الدائرة التي يمثلها التصوف . كما اشار الباحث الى الآثار التي القى الغزالي بظلالها على من جاء بعده امثال الفخر الرازي ، الذي تأثر في تفسيره المعروف بالفزالي حيث يتبدى لنا فيه الصبغة الغزالية واضحة .

٢ - نهضة الجزائر الحديثة

تأليف محمد علي ديوب - ٤٤ صفحات - الطبعة المتأخرة بدمشق

يمثل هذا الكتاب طلائع موسوعة علمية عن النهضة العلمية والثقافية في الجزائر يحاول ان يقدمها الأستاذ محمد علي ديوب أستاذ الأدب والتاريخ في معهد الحياة بالجزائر ، وهي متصلة اتصالا وثيقا بدراسته عن تاريخ المغرب الكبير التي قدم منها في السنوات الماضية مجلدات ثلاثة . والحق ان هذه الدراسة تستاهل ان تكون عملا مستقلا يشته بخلافه عن منهج الدراسة التاريخية ، عن عصور المغرب كلف منذ فجر الاسلام . فهناك يجري الحديث عن الافكار المغربية الاربعة ومن تاريخ متصل بالحكم والدول والولاة ، وهنا يجري الحديث عن الجزائر وحدها في مجال النهضة الثقافية والفكرية والتربوية . وقد حرص المؤلف ان يصور كيف كانت هذه النهضة مقدمة للثورة الجزائرية ، وكيف ان هذه القوة الباسلة في كفاح المستعمر والقائمة انما كان مصدرها ذلك البناء الفكري والثقافي في مجال المدرسة والكتاب ، وذلك الدور الذي قام به الاعلام من المفكرين المتأملين امثال عبد الحميد بن باديس واطيش الكبير

طالعوا كل شهر

المجلات الثقافية اللبنانية

الحكمة

العلوم

الاداب

العرفان

فهي تحمل اليكم النتائج الفكرية الرصينة والإبحاث

القيمة بأفلام خيرة الكتاب والأدباء

وابراهيم بيوض . وليس هؤلاء وحدهم هو الذين عني المؤلف بالحديث عنهم بل انه بدأ مع الاحتلال الفرنسي للجزائر ١٨٣٠ ، وصور كيف كانت مدارس العلم في المساجد والزوايا في مصدر البقعة ، وكيف ظهر علماء اعلام عاشوا في اكناف القرى والبلاد ، وفي وادي ميزاب بالبادت ، حاولوا مقاومة الاستعمار عن طريق التنقيف والتعليم . وقد اشار المؤلف في مقدمة بحثه الى أهمية الكشف عن هذه المرحلة من تاريخ الجزائر ، وان هذه النهضة ليست مكتوبة ، وانها لا تزال في صدور الاحياء من الشيوخ ، ولما كان الامر مخوفا من ان يبقي اغلب هؤلاء الاحياء الى ربهم ، دون ان تستل منهم هذه المعلومات ، فقد دعاه هذا الى ان يركب كتابته هذه المهمة الهامة البارزة المجهولة من تاريخ الجزائر ، وان كل علم يمر بذهاب بمصادر كثيرة من علمائنا . « فهذا استاذنا البشير الابراهيمي يذهب الى ربه فتفقد مادة غزيرة من تاريخنا الحديث لا توجد الا عنده ، سيما تاريخه هو ، وهؤلاء مشائخنا من جيله الذين ندعو لهم بطول البقاء على اثره » .

وقد عمد الاستاذ ديوب من اجل ذلك الى ان يجمع مادة نهضة الجزائر الحديثة ويدون ما يروى وينقذ من الوثائق منذ خمس عشرة سنة اي من عام ١٩٥٢ الى اليوم . وكان يفتنم وجود العلماء الذين تركوا البقعة الحديثة او شاركوا فيها وحفظوا اخبارها فيروى عنهم . ومن اهم من روى عنهم المرحمة ابراهيم بن عمر بيوض ، وقد كان من زعماء النهضة الحديثة منذ اربعين سنة ، وادرك منشئها وحفظ اخبارهم وسراهم مع الاستعمار واذنابه . وكان المجلس الواحد يستمر اكثر من ثلاث ساعات . ولما وجد ان وقته يضيع بالتدوين اشترى مسجلة للصوت ، وقد افقره ذلك بمادة غزيرة في التاريخ لا يجدها في كتاب وكذلك فعل مع ابن البلقان ابراهيم عيسى ، والبشير الابراهيمي وابراهيم اطينش . وقد التقى بهذين الاخيرين في القاهرة ، وكذلك العلامة نعيم النعيمي . وفي فلسطين بالجزائر ، وعشرات غيرهم من الاعلام الذين التقى بهم . وقد اشار المؤلف ان نهضة الجزائر ثلاثة ادوار : دور نشأته وفنونها وصغر شبابها وهذا الدور يتبدى في اخر القرن الثالث عشر الهجري وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر السخي الى قيام الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ . ثم تطور النهضة وتوسع ويتم لها شبابها وتنشر المدارس العربية المصرية ، وتكثر البعثات العلمية الى الشرق واوروبا ، وهذا الدور يستمر الى عام ١٩٦١ . ثم تنشأ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وغيرها من الجمعيات الخيرية الثقافية التي هي نعمة الدورين الماضيين ، فتدخل النهضة في دور النضوج ، فتخلق للجزائر اجيالا من الشباب المثقف الذي ظفرت الجزائر منهم بجنداء وفادتها فثارت على الاستعمار فاستقلت .

وقال المؤلف « ان الدور الاول من النهضة هو الحلقة المجهولة لانعدام الصحافة العربية الجزائرية الوطنية في وقته ، وهي التي حفظت لنا الكثير من تاريخ الدورين الثاني والثالث . وقد شمل هذا المجلد دراسة هذه الفترة ، وسيوالي المؤلف البحث بمجلدين للمرحطين الثانية والثالثة ، الثاني عن النهضة حتى ١٩٥٤ والثالث من الثورة ١٩٥٤ حتى الاستقلال .

والحق ان الاستاذ محمد علي ديوب عالم مجاهد ، يشق طريقا وعرا وينشئ عملا غير مسروق ، ومن اجل هذا كانت المسئلة الباقية التي يلحقها في سبيل جمع معلوماته ، ثم هجرته من الجزائر الى مصر او دمشق لكتابة فصول كتابه وطبعه . وقد ألف مجلدات تاريخه الثلاثة « تاريخ المغرب الكبير » في القاهرة ، ثم اختار هذه المرة دمشق حيث ألف وطبع كتابه عن نهضة الجزائر الحديثة ، فجاء كتابه شاهدا بالجدد الفصح الذي بذله في سبيل الكشف عن هذا الدور الذي قام به القرون في الجزائر من اجل المحافظة على اللغة العربية والاسلام والقرآن ونشرها جميعا ، وحمايتها من مؤامرات الاستعمار التي كانت تستهدف القضاء عليها جميعا .

القاهرة

انور الجندي

في كلمات...

● طرا أخيرا تحسن كبير فيما يتعلق بوسائل معالجة المصابين بداء الجذام (البرص)، وذلك يعود لاكتشاف غلنار بريطاني جديد يرمز اليه باسم «ب ٦٦٣» وهو مشتق من غلنار سابق كان يعرف باسم «فينايزين». ولقد ادخله الى تجبيرها للمرة الأولى الاخصائي البريطاني الدكتور س. براون الذي تحدث لهذه المناسبة فقال: لقد حصل تحسن نهائي في مجموعة من المصابين الذين تناولوا شؤنهم ارسالية بريطانية في نييجريا ويعود عهد اصابتهم بالداء الى خمسة اعوام. بيد انه تحقق لديهم هذا التحسن الدلشي الدائم بفضل استعمال العقاقير الجديد. وكذلك جرت تجارب على غلنار ثان من مشتقات السلغا تستخدم مرة في الاسبوع. وجات التجارب مرضية جدا. وعولج بالعقاقير الاخير ٢٢ مريضا بدت عليهم بوادر التحن الاكيد بعودة مطمئنة.

● استحدثت في حديقة نيكيستي للنباتات في القرم (في جنوبي الاتحاد السوفياتي) طريقة للحصول على مضادات الحيوية من اوراق شجرتي الميرت والكاليتوس. ان مغلول الكاليتوس العلاجى ظهر في المادة البولورية التي استحصلت من كيميائيا. وهي المادة التي تقتل بكتيريا مرضى الالتهاب وغيرها لمسادات الحيوية التي حصل عليها من شجرة الميرت، التي تبنت فعاليتها في علاج مرضى السسل.

● صرح الدكتور جمال عبد التواب رئيس قسم كيمياء السرطان بمعهد البحوث الطبية بالاسكندرية بان البلهارسيا ليست وحدها سبب سرطان المثانة، وانما قد يسببه ايضا امراض سوء التغذية مثل البلاجرا. وقال ان الوحدة تقوم الآن بدراسة لمعرفة المبيدات الكيمائية التي ينتج عنها سرطان المثانة. وقد صرح بان سرطان المثانة في الذكور هو النوع الشائع في مصر.

● سيشيد في موسكو مبنى يضم نموذجاً للمدينة كلها. وسيشغل هذا النموذج مساحة التي متر مربع جمع جميع مباني وشوارع وميادين العاصمة. اما الغرض الرئيسى منه فهو تمكين المهندسين المعماريين من التعرف الى معالم المدينة كلها جميعا من ناحية من مجاميع هندسية، الامر الذي له اهميته. ذلك ان على المهندس المعماري الذي يفسح تصميمه له ان يرى كيف سيتناسب تصميمه ومنظر المدينة العام.

ونستطيع ان نتحدث الكثير عن تأثير اشعاع الالازر على الاجسام الحية، وافاق المستقبل. ولكن لنرى كيف تساعد الومزعات الكميات الطيارة منذ الآن.

ان كثافة اشعاع الالازر، نستطيع ان نقبها تقويا من مختلف الابعاد. والالازر هو انبعاث اداة مبتكرة لطباء الالازر، فالاعمال التي تجزئها ن. نونوكوفسكايا، العضو المراسلة لالانديسة الطب في الاتحاد السوفياتي، والمهندس ي. نيميرسكو، والطبيب ليتيك من معهد طب العيون، ومعالجة الانسجة «فيلانوف» هي مثال واضح لتعاون التكنيك والطب. ولقد ادى هذا التعاون الى انشاء المختبر العيني البصري الكمي من طراز «اول - ١»، فما هو هذا الجهاز؟

انه موزع كمي، له «قلب» من البلور، ينتج اشعاعا قويا يوجه بواسطة التور الى النقطه المراد علاجها في فم العين. ان القطعة الضرورية من اجل «لحام» التئامه لا تدمر سوى بصفة اجزاء من مليون من الثانية. فالجهاز العصبي للانسان لا يحس بالالم، ولهذا السبب لا يجري علاج خلال العملية بواسطة جهاز «اول - ١». وزدانة على ذلك، فان هذا الجهاز ينتج ارسنال الاشعاع الى مكان محدد تماما، ويسبب طاقاتها وفرتها. وينبع ايضا ان علاج فون اجزاء جرحه جراحة امراض خطيرة جدا كالفصل التئامه، والالبيوم وغيرها.

ولقد اخذنا في اشعة الالازر المستعملة في قبل اطباء الفم. واظهرت التجارب التي اجريت في المعهد المركزي لابحاث امراض الفم ان موزع التور الكمي يستطيع ان ينافس المتقب. وزيادة على ذلك انه يضمن التنقيب دون كل اللرس. ومن الصحيح ان القوة الكبيرة نسبيا والتي هي ضرورية لمنع قسي البداية الانتشار الواسع لهذه الاجزاء.

ان محاولات المراقبة البصرية لعمل القلب تدل دون اي شك اهتماما من الوجهة النظرية والعملية على حد سواء. فالتشخيص النظم لالازر، وفناشير وجهازا للتسود تتبع القضاء نظرة الى داخل القفص الصدري.

هل ان الالازرات تساهم في التماسك ضد الازرام الخبيثة؟ انه من الصعب حتى الآن تقديم جواب جازم. فيجب ان نبقى المعالجة المبيادة للاورام الخبيثة ابحاث دقيقة جدا، بالرغم من ان في عدة بلدان تجري تجارب من هذا النوع، ويدرس اطباء تأثير اشعاعات الالازر على مختلف الازرام. ولقد سجلت تجارب اولى مشجعة.

ف. فيتوشكين

ان مئات الالاف وحتى مليون جو، يكون السفط الكهرومغناطيسي الشديد الذي يتناثر كل جسم عندما يوجه الى سطحه ضوء مثناة كمية قوية. ولقد انشأت الالازرات فرسا جديدا في الفيزياء، علم التور غير الخطوطي. ويدرس هذا الفرع تفاعل الحزمات الفوتية الضخمة والمادة، هذا، والشئ الذي له اهمية كبيرة من اجل العلم هو معرفة كيف تؤثر اشعاعات الالازر على الخلايا الحية للجم.

ولكن حتى الآن، فان كل موزع كمي له تواتر واحد للاشعاع. ولكن اذا استخدنا بالفيث من قوانين علم التور غير الخطوطي، نستطيع ان نحصل على موجات شديدة من مختلف الالوان. ويسمى الفيزيائيون السى بناء موزع للتور من المتقاطع ضبطه بواسطة مقبض (ماتيليل) كجهاز الراديو، من اجل الحصول على موجة اشعاعية ضرورية لالاسع سلم للفوء. وهذا ضروري من اجل الحصول على موجة اشعاعية ضرورية لالاسع سلم للفوء. وهذا ضروري من اجل عمل الالازرات باقصى درجة مفيدة، لان الومزعات ذات التواتر السطوط تستطيع ان تؤثر بفعالية اكثر على هذه النسبة او تلك من الحزمات، وان نغزرها او ان تقني عليها. ولا تدخل في ذلك «الهجمات» الفوتية الرنانة على المواد، وبصورة خاصة على المواد البيولوجية، التي تتبع تكشف اسرار الاجسام الحية، والبقضاء على بعض الجينات وبالمساهمة في تطوير البقى الاخر، بده توجه العلماء نحو الوراثة الوراثية.

ولكن لا يجب ان يسهو عن باننا ان الالكترونيك الكمي ما زال حتى الان علما فنيا، وان جميع المقيات المتعلقة بعلامات انسجة الانسان او الحيوان مع «ابرة» الالازر من غير المتنازع اعتبارها الا كمقاييد اولية. الا ان الالازر يهتمون بالتطبيق العملي للالازرات في مجال العلاج، والجراحة، ومن اجل تعديد التشخيص. فالتعاون الوثيق بين الفيزيائيين والبيولوجيين هو ضروري في هذا الاتجاه، ويعرف الجميع في الوقت الراهن ان الالازر يستطيع ان يثقب نلقيا في موزع معنني فاس جدا، وحتى في اللاس. ولكن اذا وجد امام «الابرة» نسج حي فالى ماذا تؤدي؟ فسرعة الضوء؟

لقد اظهرت التجارب، ان كل ما يجري مع الانسجة الحية بعد الاشعاع، يختلف تماما عن النتائج، مثلا، الحروق. ان التفسير لذلك، هو مدة تأثير الاشعاع القصيرة جدا والكثافة الكبيرة لطاقته. ففي هذه الحالة نريد ان نقارن بين «الابرة» الفوتية والمبفع في يد الجراح.

مجلة الهدى في ستر



مهرجان ابو القاسم الشابي

في شهر شباط المنصرم اقامت تونس مهرجانا ادبيا ضخما لشاعرها الراحل ابو القاسم الشابي اشترك فيه الادباء والشعراء : محمد فائز الفول وعيسى التاغوري من الاردن ، وصالح الخرفي وعبدالله شريط من الجزائر ، ومقبل العيسى وحسن عبدالله القرشي من السعودية ، وموسى سليمان وعمر فروخ من لبنان ، وفاضل خلف من الكويت ، وعبد المجيد بن جلون وعبد الكريم غلاب من المغرب ، ومصطفى حبيب بخري ونوفيق بكار ومحمد الطيوي واحمد خالد وفرحات الدشراوي والمجلبي التسملي وابو القاسم محمد كرو ومحمد المختار بن محمود من تونس . وقد افتتح المهرجان وزير الشؤون الثقافية التونسية الشاذلي القليبي بكلمة ترحيبية اشاد فيها بأثر الشابي . وبعده التلى الادباء العرب ، طيلة اربعة ايام ، محاضراتهم وقصائدهم ، فحللوا فيها شخصية الشابي واتاره الغائلة وفارنوه من بعض الشعراء العالميين . وكان أبرز المواضيع على الشكل التالي : « القلب في شعر الشابي » لفاضل خلف ، و « الابداع الفني في شعر الشابي » لعبد الكريم غلاب ، و « الطبيعة وحس الامومة والطفولة في شعر ابي القاسم الشابي » ووليم وردسورث « لعيسى التاغوري ، و « تندر الشابي » لعبد المجيد بن جلون ، و « الجانب الفكري في شعر الشابي » لعمر فروخ ، و « شاعر من عبقر » لحسن عبدالله القرشي ، و « شعر الشابي ثورة وغربة » لوسى سليمان ، و « نظرات في ديوان اقاني الحياة » لحمد الطيوي ، و « ابو القاسم الشابي شاعر الوطنية » لقبل العيسى ، و « الشابي والرواية » لاحمد خالد ..

والى جانب المحاضرات والقصائد هذه اقيمت في جميع أنحاء الجمهورية التونسية امسيات شعرية اتنى فيها الشعراء على اثر الشابي . كما اقيم معرض فني رسوما ولوحات مستوحاة مواضيعها من حياة الشابي . اما في « الشابة » مسقط رأس الشاعر فقد اقيمت امسية ادبية في « نادي ابي القاسم الشابي » التي فيها قصائد وخطب كان الكلام فيها على ثورة الشابي ووطنيته واله .. وكان ان زار ادباء العرب قبر الشابي والتقى بعضهم كلمات قصيرة .

ولد ابو القاسم الشابي في ٢٤ شباط من عام ١٩٠٩ في قرية الشابة الواقعة على تخوم الصحراء وضمن منطقة تيج بالنخيل . وتنشأ في بيئة دينية لم ينسها عندما راح يقرض الشعر . فطعمه والده ، يادى ذي بدء ، اصول الفقه وقواعد الصرف والتحو . وعندما بلغ الحادية عشرة من عمره انتقل من الرب الى مدينة تونس حيث شرع بنهل العلم ، ويختلط بالادب والفكر . وبعدما انتهى دروسه الثانوية بدأ بدراسة الحقوق ويتعاطى الادب . فانضم الى « النادي الادبي » الذي كان يقوم على اكتاف نخبة من ادباء تونس ، واخذ يقرض الشعر ويعد المقالات ويثلي المحاضرات ، وهو دون العشرين . وقد ملا اسمه الاندية الادبية واداع صيته في جميع أنحاء البلاد . وقبل يمارس الاعمال الادبية باخلاص ونشاط حتى وافاه الاجل وهو في عهده الثالث . وبموته افتقد الشعر العربي ركناً من أركانه الالفاظ رغم قلة العطاء الذي تركه .

تعاطى شاعر تونس الاكبر اثر الشعر معا . على ان شهرته الادبية قامت على امعائه الشجيرة التي ظهرت انه لم يتو بمطلق شاعر قديما كان ام حديثا . لقد خاض الشابي ميدان الشعر وهو مغتال من تصوير ما تقع عليه عينه ، وما يختلج في فؤاده من مشاعر واحاسيس . نظر



أبو القاسم شابي

الى الرب الذي احتضنه قبل ان يقصد المدينة ويستقر فيها ، فوفعت عيناه على طبيعة اخاذة طبعته بطابعها فيما بعد . وكان لشبانه في بيته متعلقة بتقاليد الدين اثرى ظاهره في صوفيته ، لم يبع رغم انصاره في بونقة المدينة . والمدينة امدته بكثير من المواضيع . فوفق بغربلها ليتلقى الحي منها والدمس .

ترك ابو القاسم الشابي شعرا كان مرآة صادقة لمواقفه الجياشة . كان صورة جلية لنفسه التي تكبت بالاحزان وبالذكريات الباسات . ولا عجب فالشاعر عاش اياما مليئة بالنعامة والالام سواء في طفولته او في شبابه . وقد تحطم فؤاده على صخرة الحياة الجاحدة . اسمه نصف حاله بعد موت والده في ابيات تم من فرقه من الحياة الدنيا :

يا موت قد مؤقت صبري وقصمت بالارزاء ظهري
يا موت ماذا يعني مني وقد مؤقت صبري ؟
ماذا تود ، وإنت قد سودت بالاحزان فكري
وتركتني في القناتات اتئن متفردا بأصبري
وأجوب صحراء الحياة ، اقول : « اين تراه قيري ؟ »
ماذا تود من المصذب في الوجود بغير زور ؟
ماذا تود من الشقي بعيشه ، التكذب ، المفسر ؟
ان كنت تطلبني فهاك الكاس ، اشربها بصبر
او كنت ترفبني فهاك السهم ، ارشقه بنحري

وتتوالى عليه الهوم من كل حذب وصوب ، ويقض عليه الاسى بكثنا بديه ، فتتناثر اوراق احلامه ، ويقر من وجوده ، فطعمه والده من شبح الموت ان يأخذه الى حيث لا يدري به احد :

خذي اليك ! فقد طمئت لكاسك الكدر الامر ...
خذي فقد اصبحت ارب في فضاء الجون فيجري
خذي ، فما اشقى الذي يقضي الحياة بشل امري

وتظهر تعاسته من جديد في قصيدة اسمها « الدموع » بعد ان غدرت به الحياة وسقته علقم المذاب :

فسقمت الحياة ، الا غرارا تلاشي به اناشيد ياسي
ناولتني الحياة كاسا دعالفا بالاماني ، فما تناولت كاسي
وسقمتي من التماسه اكسا بآجرتها ، فيا قد نسيت
ان في روضة الحياة لاشوا كا بها مؤقت فانبسقي

ان الظروف القاسية التي واكبت حياة شاعرنا هي التي حملت له ايلما وايداء ، فجعلت شعره ، كل شعره ، يسبح بالصرخات بظلمة حادة ومدمية . ومن هنا بزغت فلسفته . له الشقاء بجباله ، فانتقله :

لم اجد في الوجود الا شقاء سرمديا ولذة مضطحكة وورودا نموت في قبضة الانسواء ما هذه الحياة الملهة !! والخداق دب في مجتمعه ، فسلل اتاسه ، وفقد نصيب الحق : كلما اسأل الحياة عن الحق ، تكف الحياة عن كل همسي ونقلت عليه بتاريخ الحياة، فنز فؤاده بالجراح ، ولقت الكتابة نهاره : لا تفتنني اغاريد الصباح بليل الافراح !

فؤادي وهو مغمور الجراح
بتباريح الحياة الباكية
ليس تستويه الحان السرور
واغاني النور

ولفت صوب شعره ، وراح يتاجبه صبحا ومساء على يزيل لهم من طريقه ، فتزبط ساعاته ، ولكن دون جدوى :

اتحصاه في الصباح ، لآتسى ما تقضى في امسي المفقود
واتاجيه في المساء ليلهنسي مراءه عن ظلام الوجود
ويقول ايضا :

يا شعر ! يا وحي الوجود الحي ، يا لغة الملائك
غرد ، فايامي انا نكيكي على ايقاع نالذك

ردد على سمع الدجى انات قلمي الواهيه
واسكب يا جلفان الزهور دموع قلمي الداميه

فلمل قلب الليل ارحم بالقلوب الباكيه
ولعل جفن الزهر اخفك للدموع الجاربه

وفتح ابو القاسم الشابي قلبه للحب . فحمل اليه حبه ، في اول الطريق ، الامال الطيبة والورود المذاب . وكان الجور يلا كيانه عندما كان يرى حبيبته ، وكانت اناشيد فؤاده تقود نسوي : اراك فتحطو لسدي الحياة . ويملأ نفسي صباح الامل وتتمو بصمدي ورود عذاب وتغضو على قلمي المشتعل . ويقول :

اراك ، فتخفق اعصاب قلبي وتهتز مثل اهتزاز الوتر
ويجري عليها الهوى في حنو ، اتمل ، لننا ، تزطبط الزهر
فتغضو اناشيد قلبي ، سكرى ، تفرد ، تحت ظلال القمر
ولملاسي نشوة لا تحسد كاني اصبحت فوق البشر
على ان حبه لم يعمر ، فاتي ملغيا مالت وهي يرغم ، فكان مونها
فاجمة فجرت في احشائه عوامل المذاب ، وانطوى قلبه على اسي رافقه
حتى آخر لحظة من حياته ، وتلكه الفراغ والقلق والوحشة والضياع

الوفود امام ضريح الشابي في مسقط رأسه بالشابيه



والسخرية بالوجود وبكل ما في الوجود . يقول :
بالاس قد كانت حياتي كالسماء الياسمه
واليوم قد استت كاتمات الكهوف الواجمه

قد كان لي ما بين احلامي الجميلة جدول
يجري به ماء الحبيبة طاهرا يتسلل

هو جدول قد فجرت ينوعه في مهجتي
اجفان فاتتة ارتنيها الحياة لتفتوتني
ابوجه كلامه الى الحب الذي جلب له الاما مرحلة فيقول :

ايها الحب ! انت سر بلاتي وهوموسي وروعتي وعنائتي
يا سلاف الفؤاد ! يا سم نفسي في حياتي ! يا شدي ، يا رخائي
وكما رسم صورا واضحة لحياته ، فانه رسم صورا واضحة المعالم
ودقيقة الخيوط لآبانه بلاده . لقد كان شاعر الامهم وافراحهم . وقف
بجانبهم في كل الحن والبلايا والصعاب التي تعرضوا لها . راهم
يعيشون تحت وطأة الظلم ، فاطلق هذه الصرخة :

الا ايها الظلم المصغر خدك دويك ان العسر يثني ويهدم
الفرح ان الشيب مفض على القذى لك الويل من يوم به الشر فتشم
وراهم يفرقون في الجبل وتتاكلهم الرجعية والافواه - ومن
ورائهم الخيل المتقصبة - يعقدون اصواتهم كلما هبوا مطالبين باصلاح.
فاطلق هذه الصيحة :

كلما قام في البلاد خيطيب موفقت شعبه ، يريد صلاحه
اخضعوا صوته الانبي بالصف ، امانوا صداعه ونواحه
اليسوا روحه فيص اضطرهاد فالك ، شالك ، يرد جماعه
ولا يساندون التقوي الذي يعمل على اعلاء شأنهم . ان رباح الشر
والهوان يتقدم في تقاضهم . واخيرا ينعون ، ولكن بعد فوات الاوان :
الناس لا يفتشون الضي بيئهم حتى اذا ما توارى عنهم لدنوا !
الويل للناس من اهوانهم ! ابدا يضي الزمان وريح الشر تتقدم
ويشال على طوحهم واحلامهم والهامهم يتساقل عن اقدامهم وزعمهم ،
في هجمتهم ويابهم . يتساقل على ايامهم الاخلا . فما من مريب .
انهم اموات . وانه يدور معهم في حلقات مفرغة . اسمعه يقول في
قصيدة ميمية بعنوان « الى الشعب » :

اين يا شعب روحك الشاعر الفد شان ؟ اين الخيال ، والالهام ؟
اين يا شعب فلك الساحر الخلا ق ؟ ايسن الرسوم والانقسام ؟
ان اسم الحياة يدوي حوا ليك ، فاين الفاسر القسام ؟
اين عزم الحياة ؟ لا شيء الا الـ موت والعتم والاسي والظلام !
عمر ميت وقلب خواء ودم لا تثيره الام
وحياة تنام في ظلمة الوا دي وتتمو من فوها الاوام
اي عيش هذا ؟ واي حياة ؟ (رب عيش اخف منه الحمام)
وهل يظل يشك بمقدرة هذا الشعب ؟ هل يثني يراه ضعيف الارادة ،
محطم القوى ، خائما ذليلا ؟ هل يثني الشعب مكمل الدين ، ورائحا
نحت ثير متصميه دياره وهاتكي حرمتهما ؟

اذا انتفض الشعب ... كل شعب ... حطم الاللال ، وذل معاقل
العيودية ، واهام الدروب المظلمة بمصاييح كاشفة ، واتي يعيش كريم .
وقد عبر الشابي عن مقدرة الشعب في تخطي الحن والنواب في فريدة
طويلة غنية المعاني ، جلية التصاوير ، تعتبر اشهر قصيدة نظم . وهي
وتردت كلما عصفت بامة صروف الدهر ودب شلل الضعف في عروقها ،
واشرتت على شفير الهاوية . وقد سماها « ارادة الحياة » ، وفيها
تبرز خيوط وطنيته بكل جلاء وقد جاء فيها :

ومن لم يعانقه شوق الحياة تبخر في جوهها واتدثر
فويل لمن لم تسقه الحياة من صفة القدم المتصمر
تلك قالت لي الكائنات وحدثني روحها المستمر

ويقول في نفس القصيدة :

وما هو الا تخلفك الجناح
فصدعت الأرض من فوفها
وبخاطب الطفاة مهيدا متودعا :
لك الويل يا صرح الظالم من غد
اذا حطم المستبدون قيودهم
يستدل من هذا كله ان الشابي كان ، بحق ، شاعر الشعب والحياة .
فما نظم من شعر دليل على انه عاش كل حياته - وان كانت قصيرة
الدى - يصور مأساها ونوابها ويؤسها وامانيها تصويرا صادقا حسياء
ويجسد حياة الشعب التونسي في شعر وطني حماسي ...

تونس

ابراهيم عبده الخوري

عبد « مجلة الاديب » الفضى

من غبطنا الصادقة ان ترى مجلة الاديب تبلغ المئتين من ربع قرن كامل
في جهاده العلمي والادبي وتدنون لنا الحركة الفكرية في البلدان
العربية في اواسط القرن العشرين الذي يزت خضارته فحارات القرون
الخوالي بل تجيئت فيها كلها فكانت صولتها دون ريب ، واذا ذكرنا
الظروف التي لايست هذه الحقبة من الزمن في شرقنا العربي ، بادرنا
الى القول في اعطينا وحزم ، ان عملها بفلس نتائج الباهرة ، ربما
كان اشبه بمجزئة . ولذا فاننا نتقدم من صاحبها ونزجي له من صميم
اقدتنا التقدير والشكر الخالصين - ولست القول التكريم - لان الكرامة
كانت ولا تزال تايه مفادة في كل عمل من اعماله المشكورة . وفي كل
خلق من اخلافة الكريمة . فلتنهذه هذه الاعمال ولكم الاخلاق . وماذا
سأى ان القول في المزايا التي تكثر منها هذه المجلة على اني اجتزى
منها بشتلات :

1 - انها خيرة مصلصة
الاخلاص هو سر قوة الاديب والكاتب والفيلسوف والعالم ، وموئل
جمالهم . ولقد ما اخفق الكثيرون من هؤلاء ، لا لشيء الا لانه اعوزهم
الاخلاص . ان هذه المجلة لم تعد عن جادة الصواب والحق في كل
سيرها الطويل وعمرها المديد ، ولم تفرها الغريات ايا كان نوعها . وهي
خيرة لانها كانت تقررا حينما كنا نقرأها ، وتكشف لنا عما فينا من
قوى واسرار . ولقد كانت تعطينا ولا تأخذ منا ، تمنعنا ولا تسلينا ،
تبيننا ولا تلبينا ونرضينا . ونزجته عن ان تكون سوقا للربح القديم
عن طريق الصور النائية عن كل حشمة وعن طريق الكتابات الفارغة التي
ليس فيها شيء من الفنى ، والروايات الملتصقة السلية تسلي غير برنة .

2 - انها مترنزة

ان العقل والقلب اللذين كانا ولا يزالان يعملان فيها كبريان مهذبان
تهديا حقا لم يتبع الفرصة للحرة والمعالجة بينهما ، بل كان التسليم
رائدا لهما . ومن ذلك انهما الاثران متقادا . اننا لم نلاحظ انحرافا فيها
ولا تطرفا الى هذه الناحية او تلك رغم التوجيه القائمة في المجتمع .
والفعل في ذلك للمعرفة الكاملة التي نالها صاحبها والتي جعلت ان تلقى
هذا القلب وتزود ذلك الفكر اشعة نيرة دافئة تهدي النفس سبيلها
الى الحق والجمال والاستمتاع بخيرات الحياة وتحولها الى سعادة
حقيقية .

3 - انها عامة الروح والتزعة

بفضل هذه الروح التازعة الى الخدمة العامة شغل صاحبها مركزا
خطيرا في مؤسساتنا القومية والاجتماعية مع نخبة ممتازة من اصنام
البلاد ولذلك لم تكن القومية بل عربية - دولية اذا جاز هذا التعبير -

ولذلك كانت سجلا للحركة الفكرية من علمية وادبية في البلدان العربية
كافة . وكان لها اتصال بكل عظيم من ادياء الشرق العربي ولا سيما
ادباء لبنان الذي لم تغل عاصمته بيروت من معهد علمي عال في اية
حقبة من ازمنتها . وبذلك صارت « الاديب » اكبر مدعاة لوحدة الامم
العربية عن طريق الوحدة الفكرية التي التبثقت منها . ولا خفاء ان
الوحدة الفكرية هي القوى رابطة من جميع الروابط التي تربطنا . ولست
اود في الختام ان يفتوني القول ان صاحب مجلة « الاديب » هو عظيم
في تدوانه العلمية والادبية التي عقدت ولا تزال تعقد في داره وخارجها ،
مثما هو عظيم في مجلته . ولما نلفطان اود ان اجعلها مسك الختام
ان هنالك ما هو اعظم جدا من كل ما قاله وكتبه وعمله الاستاذ البير
اديب وهو « البير اديب نفسه » . ان البير اديب قد كتب له الخلود
وفتح تاريخ البلدان العربية الحديث ابوابه لترحيب به اجمل ترحيب .

جريدة « الدفاع » - القدس

حبيب الخوري

اين دولة الثقافة ؟

اطلعتني احد اصدقائي - وهو اديب لبناني مشهور - على رسالة تلقاها ،
من مجلة رسائل عديدة مماثلة ، يطلب فيها صاحبها منه ان يهدي الى
مكتبة بلدته نسخا من جميع مؤلفاته ... هكذا على سبيل الهدية لوجه
الله ... وقد جاء في الرسالة ما نصه :

« صديقي الاديب الكبير :

وهل يفرغ الفلاح غلات البيدر في غير الاهراء ؟

وهل يفرغ الغياض رقائق الابيض المحبي في غير افواه الجيباع ؟
وانتريا ادينا الكبير يفرغ زاد الاجيال في مكتبات عامة وخاصة ليشبع
الجميع ويشكروا .
اود هنا ان اتقل لك شعوري كلما وفقت امام رفوف المكتبة العامة

التي انشئت في بلدة ابل السفي ، افق مفتحة عن شيء من مؤلفاتك
التيه - فهل تكروم بعض هذه المؤلفات ليكون لنا الكتاب اللبناني
الصميم والادب الخلاق الموجه » .
الامضاء : فؤاد الراسي .

سالت الصديق : ما آت فاعل ؟ قال : ان الرجل يوجه الي في طيه
من النناء والاعتجاب والافئاف ما يسمونه براءة الطلب . ومن الصعب ان
ارفضه . ولذلك سارسل اليه كتيبي وامري لله .
مسكين الاديب في دولة تدعي انها دولة الثقافة . يدفع على نشر
كتبه من ماله ، بعد ان يدفع من عراق جيبته ودم قلبه ، ثم تكون
النتيجة ما نرى .

جريدة « الحياة » بيروت

((عبده))

صدر حديثا في بيروت

معبد السور

المجموعة الرابعة للشاعر

فؤاد الخشن

المجلد الثاني

الزيتون: الزيتون هو ثمرة شجرة الزيتون، وهي من الفواكه الزيتية. يُستخدم الزيتون في العديد من الأطعمة، خاصة في المطبخ المتوسطي. الزيتون له طعم مميز وله فوائد صحية عديدة.

Abstract

الرموز	الرموز	الرموز	الرموز	الرموز	الرموز
١٥٧٠	١٥٧١	١٥٧٢	١٥٧٣	١٥٧٤	١٥٧٥
١٥٧٦	١٥٧٧	١٥٧٨	١٥٧٩	١٥٨٠	١٥٨١
١٥٨٢	١٥٨٣	١٥٨٤	١٥٨٥	١٥٨٦	١٥٨٧
١٥٨٨	١٥٨٩	١٥٩٠	١٥٩١	١٥٩٢	١٥٩٣
١٥٩٤	١٥٩٥	١٥٩٦	١٥٩٧	١٥٩٨	١٥٩٩
١٦٠٠	١٦٠١	١٦٠٢	١٦٠٣	١٦٠٤	١٦٠٥
١٦٠٦	١٦٠٧	١٦٠٨	١٦٠٩	١٦١٠	١٦١١
١٦١٢	١٦١٣	١٦١٤	١٦١٥	١٦١٦	١٦١٧
١٦١٨	١٦١٩	١٦٢٠	١٦٢١	١٦٢٢	١٦٢٣
١٦٢٤	١٦٢٥	١٦٢٦	١٦٢٧	١٦٢٨	١٦٢٩
١٦٣٠	١٦٣١	١٦٣٢	١٦٣٣	١٦٣٤	١٦٣٥
١٦٣٦	١٦٣٧	١٦٣٨	١٦٣٩	١٦٤٠	١٦٤١
١٦٤٢	١٦٤٣	١٦٤٤	١٦٤٥	١٦٤٦	١٦٤٧
١٦٤٨	١٦٤٩	١٦٥٠	١٦٥١	١٦٥٢	١٦٥٣
١٦٥٤	١٦٥٥	١٦٥٦	١٦٥٧	١٦٥٨	١٦٥٩
١٦٦٠	١٦٦١	١٦٦٢	١٦٦٣	١٦٦٤	١٦٦٥
١٦٦٦	١٦٦٧	١٦٦٨	١٦٦٩	١٦٧٠	١٦٧١
١٦٧٢	١٦٧٣	١٦٧٤	١٦٧٥	١٦٧٦	١٦٧٧
١٦٧٨	١٦٧٩	١٦٨٠	١٦٨١	١٦٨٢	١٦٨٣
١٦٨٤	١٦٨٥	١٦٨٦	١٦٨٧	١٦٨٨	١٦٨٩
١٦٩٠	١٦٩١	١٦٩٢	١٦٩٣	١٦٩٤	١٦٩٥
١٦٩٦	١٦٩٧	١٦٩٨	١٦٩٩	١٧٠٠	١٧٠١
١٧٠٢	١٧٠٣	١٧٠٤	١٧٠٥	١٧٠٦	١٧٠٧
١٧٠٨	١٧٠٩	١٧١٠	١٧١١	١٧١٢	١٧١٣
١٧١٤	١٧١٥	١٧١٦	١٧١٧	١٧١٨	١٧١٩
١٧٢٠	١٧٢١	١٧٢٢	١٧٢٣	١٧٢٤	١٧٢٥
١٧٢٦	١٧٢٧	١٧٢٨	١٧٢٩	١٧٣٠	١٧٣١
١٧٣٢	١٧٣٣	١٧٣٤	١٧٣٥	١٧٣٦	١٧٣٧
١٧٣٨	١٧٣٩	١٧٤٠	١٧٤١	١٧٤٢	١٧٤٣
١٧٤٤	١٧٤٥	١٧٤٦	١٧٤٧	١٧٤٨	١٧٤٩
١٧٥٠	١٧٥١	١٧٥٢	١٧٥٣	١٧٥٤	١٧٥٥
١٧٥٦	١٧٥٧	١٧٥٨	١٧٥٩	١٧٦٠	١٧٦١
١٧٦٢	١٧٦٣	١٧٦٤	١٧٦٥	١٧٦٦	١٧٦٧
١٧٦٨	١٧٦٩	١٧٧٠	١٧٧١	١٧٧٢	١٧٧٣
١٧٧٤	١٧٧٥	١٧٧٦	١٧٧٧	١٧٧٨	١٧٧٩
١٧٨٠	١٧٨١	١٧٨٢	١٧٨٣	١٧٨٤	١٧٨٥
١٧٨٦	١٧٨٧	١٧٨٨	١٧٨٩	١٧٩٠	١٧٩١
١٧٩٢	١٧٩٣	١٧٩٤	١٧٩٥	١٧٩٦	١٧٩٧
١٧٩٨	١٧٩٩	١٨٠٠	١٨٠١	١٨٠٢	١٨٠٣
١٨٠٤	١٨٠٥	١٨٠٦	١٨٠٧	١٨٠٨	١٨٠٩
١٨١٠	١٨١١	١٨١٢	١٨١٣	١٨١٤	١٨١٥
١٨١٦	١٨١٧	١٨١٨	١٨١٩	١٨٢٠	١٨٢١
١٨٢٢	١٨٢٣	١٨٢٤	١٨٢٥	١٨٢٦	١٨٢٧
١٨٢٨	١٨٢٩	١٨٣٠	١٨٣١	١٨٣٢	١٨٣٣
١٨٣٤	١٨٣٥	١٨٣٦	١٨٣٧	١٨٣٨	١٨٣٩
١٨٤٠	١٨٤١	١٨٤٢	١٨٤٣	١٨٤٤	١٨٤٥
١٨٤٦	١٨٤٧	١٨٤٨	١٨٤٩	١٨٥٠	١٨٥١
١٨٥٢	١٨٥٣	١٨٥٤	١٨٥٥	١٨٥٦	١٨٥٧

—

100

الدكتور قسطنطين زريق

بقلم سامي الكيالي



رجال الفكر المرموقين في العالم العربي . ولد في دمشق في ١٨ نيسان سنة ١٩٠٩ فما كاد يتخرج ويتم دراسته الابتدائية ثم الثانوية في مدرسة التجهيز الارثوذكسية حتى انتقل الى الجامعة الامريكية في بيروت فانتسب الى كلية الاداب والعلوم وظل اربعة اعوام يدرس في ذلك الجو الجامعي من سنة ١٩٢٤ الى سنة ١٩٢٨ ، وحسن ظفر بشهادة البكالوريوس في الاداب سافر الى شيكاغو فانتسب الى جامعتها ونال في سنة ١٩٢٩ درجة استاذ في الاداب . ومنها الى جامعة برنستون فمنح سنة ١٩٣٠ درجة دكتوراه في الفلسفة .

ولم يكد يرجع الى وطنه بعد ان استوفى دراسته الجامعية حتى دعي للتعليم في الجامعة الامريكية في بيروت حيث نيط به تدريس مادة التاريخ .

وظل يدرس هذه المادة من سنة ١٩٣٠ الى سنة ١٩٤٤ فعاش خلال هذه الفترة حياة الجامعيين يشغولهم البحث المجرد عن الهوى والذي يطمئن النزعة العلمية الخالصة . مادة التاريخ الذي نيط به تدريسها جعلته في ازمة تاريخ الامم ، ان يدرس تاريخ الامة العربية - عوامل نهوضها وبواعث انهيارها ولبائها المحيرة للعقول ، لم ركوذها وجمود تفكيرها ، ما ابدعته من تراث حي للانسانية ، وما تركه الطغاة في ربهوها وممالكها من اشلاء ودماء ومن تدمير وخراب ..

وقد خرج من دراساته بأراء حصيفة تتفرق واضحة في مختلف مقالاته ومحاضراته .. وهي مقالات ومحاضرات جمعت سنة ١٩٣٩ في كتاب بعنوان « الوعي القومي » وقد عرض فيه الوسائل التي تعزز نهضتنا القومية فرأى انها لا تستكمل شروطها وتؤتي ثمارها الا اذا نهجت ثلاثة مناهج :

الاول : بناء الاساس الفكري الذي تقوم عليه نهضتنا القومية ، اي يدرس غاياتها ووسائلها وتحديد معنى الامة والقومية ، وايجاب خصائص الامة العربية وميزاتها ، واظهار مقامها الفريد بين الامم ، والتعصيب الذي كان لها في الماضي والذي يرجى لها في المستقبل في تقدم المتمدن والحضارة البشرية ، او بكلمة اخرى ، انشاء « فلسفة قومية » شاملة واضحة منتظمة .

الثاني : ان تعصر هذه الفلسفة في فكرة مقطرة ، نقية ،

صافية ، يشربها ابناء الامة ، وتتحد بعاطفتهم المتوقنة وشعورهم الفياض ، فيحصل من هذا المزيج المبارك « عقيدة قومية » ، واخيرا يتخذ العاملون في الحقل القومي . الخطوة الثالثة : فيجاهدون لتنظيم الامة العربية وضبط نوازعها واخضاع شهواتها للارادة الوحيدة المنبثقة من « العقيدة الواحدة » .

على هذه الاركان الثلاثة : الفلسفة القومية ، والعقيدة القومية ، والتنظيم القومي - تقوم كل نهضة صحيحة ، واليها يجب ان يوجه العرب جهودهم في هذا الدور التأسيسي من حياتهم الجديدة .

في نطاق هذه المناهج واطاراتها الواسعة المدى كتب كثيرا عن الامة العربية - عن ماضيها وحاضرها المحفوف بالكاره ، موجها الجيل الجديد توجيهها قوميا يركز على اسس علمية وفلسفة واقمية لبناء مستقبل مشرق .

والى اعماله الدراسية كان وما يزال وافر النشاط في اعتلاء منابر النوادي والجمعيات يحاضر في القضايا التي تواجه العرب في مشاكلهم . وهو شديد الحرص على تأريخ مظاهر الوعي القومي . اريد مراحل تطور الامة العربية منذ بداية القرن الثامن عشر الى يومنا هذا ، ولا سيما في هذه الفترات التي اعقبت الحرب العالمية الثانية . ولازاله صدهاها القوي في الاوساط الثقافية لانها صادرة

عن انسان حر الفكر ، يريد لامته ان لا تكون مغمضة العينين في مواجهة الواقع ، وان تسير على اسس صحيحة وتوقن علمية فلا تعثر وتقع في الزلل .

من الواجب التلميح الى المحيط الدبلوماسي : فحين جلا الافرنسيون عن سورية وتآلت حكومة وطنية اختير الدكتور زريق مستشارا اول للمفوضية السورية في واشنطن ، فترك عمله الجامعي للقيام بمهمة وطنية ، وقد اعطى الامريكيين وغير الامريكيين اجمل صورة عن مواهب السوريين حين يمارسون تبعات الاستقلال ولا سيما حين مثل سورية في هيئة الامم المتحدة وفي مجلس الامن مندوبا متاوبا خلال سنتي ١٩٤٦ - ١٩٤٧ .

من البيئة العلمية يبحث في دياميس القرون الفابرة عن حقائق التاريخ المسربلة بالحكايات والقصص والاساطير الى اروقة هيئة الامم وملتويات السياسة التي قد تبطن غير ما تظهر .. وقد تظهر غير ما تبطن !

* كانت الادارة الثقافية في الجامعة العربية كللت الاستاذ سامي الكيالي بوضع كتاب عن « الادب العربي المعاصر في سورية » وقد صدر الكتاب منذ بضع سنوات . واذ حددت صفحاته انشد من الادارة الثقافية فقد شعر ان كثيرا من الادباء والشعراء والمفكرين لم يؤرخ لهم فكفكف على استمداد هذا النص بتاريخ سير ادباء الشباب والكهول ومن فاته من ادباء الشيوخ .. وبذلك سيكون الكتاب بجزئيه من اوثق المصادر عن الحركة الفكرية المعاصرة في سورية .

واذ يعتبر الدكتور قسطنطين زريق من ابناء سورية البررة فقد رسم له هذه الصورة عن نشاته ومراحل حياته الفكرية . « الادب »

فيغمر ويلغز ، ويوضح ويصرح ، ويضع النقاط على الحروف ، وتضع أراؤه أكثر فاكثر في كتبه الثلاثة : « نحن والتاريخ » و « في هذا العصر المتفجر » و « في معركة الحضارة » فهو يتابع التطورات بنزعة المؤرخ وحس المفكر المؤمن الذي يريد لأمته أن تستكمل جميع عناصر حياتها لتجاري الأمم المتطورة في سيرها ..
ففي كتاب « أي غد ؟ » يضع القضية العربية على أساس مصري .

وفي كتاب « نحن والتاريخ » يحل موقف الأمة العربية من ماضيها وتاريخها وأثر هذا الموقف في حاضرها ومستقبلها . فهو يهدف إلى أن تكون علاقتنا بالتاريخ علاقة تفاعل إيجابي مستمر ، وأن تكون تحدياتنا لنا حافزا مستثيرا ، وردودنا عليه رفيعا مبدعا . وأن يتمكن العرب في هذا الطرف الرهيب من حياتهم أن يردوا على تحديه الضخم الخطير بأصفي ما نمتلك من فكر ، وانفذ ما نقدر عليه من عمل ، وأدوع ما نحن أهل له من خلق وإبداع .
وفي كتاب « في معركة الحضارة » يتكلم عن ماهية الحضارة وشروطها وصورها ومظاهرها ومقوماتها ، وعن مقاييس التحضر وصور التقدم ، والوضع الحضاري المعاصر من جهة سماته البارزة ومنجزاته وإمكاناته ومفارقاته ونقائصه ، ويخرج من كل هذه الأبحاث ليحدد موقف الأمة العربية من الركب الحضاري موقفا يجعلها وثيقة الارتباط بشخصياتها وقضاياها وأبنائها بمركب الحضارة ..

أنه يريد من الأمة العربية أن تتورث ثورة عقلية تجتث كل ما يعوق سيرها ، ثورة تختلف كل الاختلاف عن أية ثورة أخرى بصفات وميزات مستمدة من طبيعة العقل ذاته ، فهي تبني الحقيقة أولا وتوفيق أن أي كسب منها يفوق كل كسب آخر ، وأن أي بناء يقام على غير أساسها لا بد من أن يعتريه الوهن والفساد فيتخلخل وينهار . « الثورة العقلية » في نظره ، الضمانة الضابطة لآلة ثورة أخرى ، وبها ، تدرك أن مشكلتها الأولى هي التخلف الحضاري ، وبها تقدم على محاسبة ذاتها ، وتحث إلى التحضر ، وتؤمن بالحقيقة والعقل ، وتطلع إلى المستقبل ، وتفتح للخير من حيثما أتى ، وتولد قدراتها الانتاجية ، وتحقق إمكاناتها البشرية ، وتنضبط ثورتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

أنها إن سلكت هذا الطريق ، بلغت في اعتقاده ، سبيل السلامة والنصر في المعركة الأم : في معركة الحضارة ..
وجميع أبحاثه تدور حول معالجة مشاكلنا القومية والخلقية والاجتماعية ، وهو صريح في معالجة هذه المشاكل ، يدرس الأسباب والعلة ، ويقترح الحلول العملية ليشيئ إلى النشء العربي الواجبات الملقة على عاتقهم في غدهم المليء بالخوف والخطار .

وقد اهلهت روحه الجامعية وتفكيره المتزن ودراساته المتتابعة في شتى قضايا الفكر — أن يكون عضوا في عدة

لا شك أن هذه الفترة التي قضاهي في ذلك الجوال السياسي المحموم تارة ، والهادي هودوا مشوبا بالانفجار تارة أخرى قد أفادته كمفكر مادته الأساسية لتدريس التاريخ ..
وكانت هيئة الأمم وما تزال مسرحا لشتى التيارات والمذاهب المضطربة حول مصير الأمم ، — ولا سيما الصغيرة منها الخاصة بسيطرة الأمم المتوفرة .. نعم ، لقد أفادته هذه التيارات المضطربة التي توقفت ضمير أي مؤرخ وهو يقرأ صفحات الماضي فتجعله كثير الحذر والحيلة ، فلا ينساق مع الأهواء ، ويجعل للواقع ، وللحقيقة نصيبها الأوفى من الدرس والبحث .
ولم تطل أقامته في السلك الدبلوماسي فقد عاد إلى جوه الجامعي حيث عين نائبا لرئيس الجامعة الأمريكية في بيروت ، إلى احتفاله باستاذية التاريخ .

وكان منصب رئاسة الجامعة الأمريكية لا يشغله غير الأمريكيين فدل اختياره لهذا المنصب الرفيع ، على الثقة التي يتمتع بها ، وقد برهن خلال هذه الفترة ، على كفاءة ممتازة جعلت الأمريكيين يقدرونها كل التقدير .

وحين فكرت الجمهورية السورية تنظيم جامعته على أسس ومناهج صحيحة استدعته وعينت رئيسا لها فاستلم مقدراتها سنة ١٩٤٩ وظل يدير شؤونها حتى سنة ١٩٥٢ استطاع خلال هذه الفترة القصيرة أن يغير الكثير من المناهج وأن يسير بها خطوات سليمة . ثم عاد إلى « الجامعة الأمريكية » ليتولى رئاستها بالوكالة فعملته الشؤون الإدارية من البحث العلمي . وما كاد يطل عام ١٩٥٧ حتى عاد إلى الناحية التي اجتذبتة وتخصص فيها وهي دراسة التاريخ ، يقرأ ويكتب ويحاضر وينشر أبحاثه ودراساته في المجالات العربية والاجنبية فأصدر — خلال هذه الفترات — بعد كتابه « الوعي القومي » كتاب « معنى النكبة » حل فيه تحليلًا بسلوكيا عوامل نكبة فلسطين فراج رواجًا كبيرًا وطبع أكثر من مرة . كما نقل إلى اللغة الانكليزية بقلم الأستاذ بيلي رايندر . كما أصدر كتاب « أي غد » . وهو مجموعة عدة أبحاث تدور حول تيمات الفكر العربي والمجتمع التقدمي وموقف العرب من الثقافة الحديثة ، إلى خطوط واضحة نحو ثقافة عربية أفضل ، تنبثق من صميم الشعب وتتجاوب مع حاجات المجتمع وتقوم على احترام الحقيقة — ثقافة متأصلة في ماضيها الإيجابي ، مشاركة في الحضارة والانسانية — بهذا النوع من الثقافة الحية الفعالة — يقول الدكتور زريق — بتكون المجتمع العربي الفعال ، المجتمع العربي القادر على البقاء ، اليافي فضلا في الإرث الانساني المشترك — المجتمع العربي الأفضل ...

ولم يهدأ نشاطه العلمي فلا يمر عام أو عامان الا وتتجمع لديه الكثير من مقالاته ومحاضراته ودروسه فينتظمها كتاب لا تنأى بحوثه عن الواقع العربي على ضوء التطورات العالمية ، ومدى الإبعاد التي تفصلنا عن هذه التطورات ،



صدي اغنية

* * *

عقمه ظل اشتهاه وصدي
ليلة اقتات منها ، وغدا
جمع القلب اليها وعدا
عبث الذكرى بجفني سدي
مبهما طوقت فيه الابد
من محجارك عطرنا وندي
كلما استندعها القلب اهتدي
عبث الشك به فاستشهدا
ترك الوجد بنا ما يفتدي
كلما طافت على قلبي شدا
لم يزل يتزف دعما اسودا
صفاء الحيدري

فتشي قلبي ان ابقيت في
الهوى لم يبق لي من ترفي
كلما شبت بعيني المنى
واستحالت ادعما ينحتها
كنت خمر في دمي كنت هوى
وسماء امطرت في اقصي
وصدي اغنية في مسمي
اي شيء ظل منها لهوى
نحن لا امسا تبيننا ولا
لم تكن احلامنا الا رؤى
سمرت اعيننا في موعد
بفداد

وحديثا « لاسماعيل جول بك . كما نشر المجلدات السابع والثامن والتاسع من تاريخ الدول والملوك لابن الفرات (١) . وبعد هذه خطوط سريعة من حياة الدكتور قسطنطين زريق وما زال في اكمال كهولته ، وهو في جميع كتاباته ، واضح الاسلوب ، بعيد عن التعمق ، قد لا تلمس في كتبه اساليب ائمة البيان ولكنك تلمس اسلوب المؤرخين الذين يلبسون الفكرة والاحداث القوالب التي تلائمها لتكون واضحة العبارة ، سهلة الفهم ، بعيدة عن الغموض ، تنال الافكار اثقالا يؤدي الى الفهم والاقتناع ثم الى التحفيز فالعمل .. وهذا في اعتقادي من ابلغ الاساليب التي تصل بين الكاتب وقرائه .

سامي الكيالي

حلب

مجامع علمية وهيئات فكرية فانخب عضوا مراسلا للمجمع العلمي العربي بدمشق والمجمع اللغوي في بغداد ، والجمعية التاريخية الدولية ، وعضوا للجنة الدولية لوضع تاريخ تطور العلم والثقافة برعاية الاونسكو . وعضو المجلس التنفيذي لمنظمة الجامعة الدولية ، ورئيس لجنة الخبراء الدولية لدراسة قضية القبول في الجامعات برعاية الاونسكو ومنظمات الجامعة الدولية .

هذا ، وقد ترجم ونشر عدة كتب : ترجم عن الالمانية بالاشتراك مع بندلي جوزي كتاب « امراء غسان من آل جفنة » لتيودور نولدك . ونشر كتاب « الزبدي قديما

(١) وقد اشتركت الدكتور عجل عن الدين معه بنشر المجلد الثامن والجزء الثاني من المجلد التاسع .

من بحث مغيب :

« تلك هي اللغة التي طالما وصفها الواصفون ، بأنها أغزر
اللسنة مادة وأوسعها تعبيراً وأبعدها للأغراض متناً ،
وأطوعها للمعاني تصويراً ، قد أفضت اليوم إلى حال لو رام
الكاتب فيها أن يصف حجرة نومه لم يكد يجد فيها ما
يكفيه هذه المؤونة اليسيرة ، فضلاً عما وراء ذلك من وصف
قصور الملوك والأمراء ، ومنزل الترفين والإغناء وما نسم
من آتية وملبوس ومفروش وغير ذلك من أصناف الماعون
وأدوات الزينة مما لا يجد لشيء منه اسماً في هذه اللغة ،
ولا يكون حظ العربي من وصفه إلا العي والحصر وطني
لسانه على معان في قلبه لا يتسنى له إبرازها بالنطق ولا
يجد سبيلاً إلى تمثيلها باللفظ ، كان المقاطع التي يعبر بها
عن هذه الشخصيات لم يخلق لها موضع بين فكيه ، وليست
مما يجري بين لهاته وشفتيه ، فعاد كالأبكم يرى الأشياء
ويميزها ، ولا يستطيع أن يعبر إلا بالإشارة ، ولا يصفها
إلا بالأبماء .

ويا ليت شعري ما يصنع احداً لو دخل أحد المعارض
الطبيعية أو الصناعية ورأى ما تمة من المسميات العضوية
وغير العضوية من أنواع الحيوان وضروب النبات وصنوف
المعادن ، وعان ما هناك من الآلات والأدوات وسائر أجناس
المصنوعات وما تتألف منه من القطع والأجزاء بما لها من
الهيئات المختلفة ، والمنافع المتباينة ، وأراد العبارة عن
شيء من هذه المألوفات ... لا ريب أن الكثير من ذلك
لا يتخلل به لسان ولا يعمد له بين أنواع معجمات اللغته
الفاصلة بين لغتنا ، ولا يفنيه في هذا الموقف ما عنده من
تأمين أسماء للسيل ، ومثني اسم للخمر وخمسائة للاند ،
والف لفظة للسيف ومثلها للبعير وأربعة آلاف للداهية ،
وما يغوث الحصر لشيء آخر حرص مؤلف القاموس على
استقصاء الفاظهم حتى لم يكن يذكر مادة إلا وفيها ما يشير
إليه ويدل عليه »

هذا كلام سطره الشيخ إبراهيم اليازجي بمجلة البيان
المجلد الأول سنة ١٨٩٧ وتحت عنوان « اللغة والعصر »
وقد ساقه توطئة لنقد ما اقترحه المجمع اللغوي الأول
بمصر ، وسلم بعض ما قال في هذا الفصل ، ولكننا
ننقل هذا الصدم من كلامه لنسجل حيرة كاتب كبير لقصور
العربية إذ ذاك دهشته لنقص علماء اللغة عن وضع
مسميات صحيحة تفي بحاجة الكتاب ، وذلك بعض ما
عقد من أجله مجمع اللغة الأول برئاسة السيد توفيق ! وقد
سبق اليازجي واليكري أناس لسوا هذا القصور ودعوا
إلى تلافيه ، وسلم هنا بتطور ما نسميه بحركة الوضع
اللغوي منذ بدأ الشعوب بقصور المعجمات عن تلبية العصر ،
مع أزدحامها المكتظ بما لم يعد ذا غناء كبير !

نرى المؤرخين لتطور المناواة بوضع الكلمات وإنشاء
مجمع لغوي يرجعون بالأولية في ذلك تارة إلى عبدالله
النديم فيما نشره بمجلة التنكيث والتبكيث مجلد سنة



محمد رجب البيومي

رئيس المجمع اللغوي القديم

بقلم محمد رجب البيومي

* * *

حين اتصل الشرق بالغرب بعد الحملة الفرنسية وما
ولها من الأحداث ! تتهبت عيون الكتاب اللغويين
الانتقاص من معارف أوروبا ، ومحاولة الانتفاع بحضارتها
المزدهرة ، وكانت اللغة العربية من الجمود والتخلف بحيث
لم تكن مفرداتها - على سعة معاجمها ذات الأجزاء
والمجلدات - قادرة على الوفاء بحاجة العصر ، وأدوات
الحضارة ! فاصحاب الأقلام يرون مئات المستحدثات
الجديدة ، وشتى الأدوات الحديثة تتخذ أسماء أوروبية
دون أن يجدوا لها نظيراً في اللغة العربية ! وأكثرهم يفتقر
إلى ذكرها بلفظها الأجنبي في مقالاته فتأتي مقالته الواحدة
حينئذ ككُتوب ضم سبعين رقعة - كما يقول شاعر النيل -

سرت لونة الإفرنج فيها كما سرى لعب الإفا في مسيل فسات !
وقد عكف السطحيون إذ ذاك على التفتي بسعة اللغة
وشمولها ، حيث أصبح للاند خمسمائة اسم ولل سيف
ضعف ذلك ! ولكن أولى النظر الناقد قد هالهم أن تقف
اللغة العربية موقف العاجز عن تلبية حاجات العصر ،
ورأوا في ذلك ما يؤذن بفنائها العاجل ، وينتج الفرصة
لأنصار العامية أن يجدوا من الأدلة ما يساعدهم على هجر
اللغة العربية إلى لغة لم تتصل برواة ، كما يقول حافظ ،
وقد أرسل الشيخ إبراهيم اليازجي صحبته المنفرة منها
إلى ما يهدد لغة القرآن من خطر ، فقال في مرارة أسفة

١٨٨١ - كما جاء في المجلد الرابع من مجلة الزهراء الصادرة سنة ١٢٤٦ هـ ص ٢٦٠ ، وتارة الى عبدالله فكري كما ذكر « الصحافي المجوز » توفيق حبيب في مقاله عن مجامع اللغة بالمجلد الثاني والسبعين من المقتطف سنة ١٩٢٨ ص ٥٨ ، !! ولكن تتبع المكان المختلفة يرشدنا الى غير ذلك ، فان عبدالله فكري يقول في الآثار الفكرية ص ٢٣٨ ما نصه :

« وانا لمحتاجون لها ايضا - جمعية علمية - للاتفاق على الفاظ حسنة من اللغة العربية نستعملها بدل الالفاظ الاجنبية التي احوجت الضرورة الى استعمالها في هذا اللسان الشريف مع استثنائه عنها ، لعدم الاتفاق على شيء يسد مسدها مثل فايور ، وتران ، وكيمياء فنان ما تبديل به هذه الالفاظ - وان كان حسنا في ذاته - لا يعم استعماله واعتماده ومعرفته الا اذا صدر عن جمعية كهذه وفوائدها كثيرة بطول استقصاؤها ، ويعجز قلم ابلغيح احصاؤها ، وقد رغب في ذلك وحث عليه في الجوانب حضرة الاستاذ الافضل الاكمل الاجل محب الخير لجميع البلاد الاسلامية والمغررم بهذه اللغة الشريفة العربية (فارس) ميدان البيان (احمد) من خضع بديع اللفظ لمعانيتها الحسان !»

فعبالله فكري يرجع بالسبق الى صاحب الجوانب احمد فارس الشدياق . وفي آثار الشدياق نشرنا ونظما ما يتعلق بذلك ، فقد ذكر مؤرخه الاستاذ مارون عبود (١) انه وضع الفاظا كثيرة للمخترعات الجديدة مثل خافضة المجد الاله والجانس والرتل للفاكنات والتفاف لوليس النجوي وسفينة النار للباخرة ، وكذلك الفاظ البريد والمطاد والسلك البرقي والمؤتمر وعشرات غيرها كما نقل عنه شعرا قال فيه :

ومن فاته التعريب لم يدرك ما الفنا ولم يصل نثار الحرب الا الحارث ارى الف معنى ما له من مجانيس لدينا والف ما له ما يناسب ! وقد كان الرجل اشهر اديب لغوي في عصره ينشئ مجلة صحفية ، فلا غرابة اذا اتجه الى هذا التعريب كما سماه في شعره ، ولكنه مع ذلك ليس ابا عدرة هذا الميدان ، ولا ادري كيف يتحدث كتاب مجلة الزهراء ومجلة المقتطف عن تطور الوضع اللغوي ثم لا يلتفتون في حديثهم الى رفاعة الطهطاوي وهو الرائد الحقيقي في هذا المضمار ، لقد برق اسمه في ذهني بدء تفكيري في تاريخ التعريب ، فهو اسبق من اصطدم بمشكلات الترجمة والتعريب ، فتذكرت اني قرأت له كلاما في ذلك سطره في رحلته التي اسمها « تلخيص الابرير الى تلخيص باريز » ، وكان مما قال في حديثه عن المسارح .

« لا اعرف اسما عربيا يليق بمعنى البيكتال او التياتر غير ان لفظ سبكتال معناه منظر او منتره او نحو ذلك ولفظ تياتر معناه الاصلي كذلك ثم سمي الملعب ومجله ، ويقرب ان يكون نظيره اصل الملعب المسمى خياليل بل

الخيالي نوع منها وتشتهر عند الترك باسم (كدية) وهذا الاسم قاصر الا ان تتوسع فيه ولا مانع من ان نترجم لفظ تياترو او سبكتال بلفظ خيالي ويتوسع في معنى هذه الكلمة ... » ثم نرى رفاعة في رحلته ينشئ الاسماء انشاء وفق ما يترامى له . فالصحف هي التذاكر اليومية والمسرح هو المقعد والمتحف هو خزانة المستغربات والمرفأ هو الموردة ...»

ونخرج من ذلك ان التفكير في التعريب بدا لدى علمائنا وكتابنا منذ عصر محمد علي وان رفاعة الطهاوي واحمد فارس الشدياق والنديم وعبدالله فكري قد نادوا بضرورته متعاقبين ، وجاء احمد زكي باشا ، فردد الدعوة بمجلة المقتطف (اغسطس سنة ١٩٠١) ونزل الى الميدان فقدم بالجلة عدة كلمات جديدة من اختياره كالسيارة للاutomobile والدراجة للسيكلت والصحافي لمحرر الجريدة ! فانضم شيخ العروبة بذلك لمن سبقوه في الدعوة الى امداد العربية بالكلمات المستحدثة وقد تحققت آمالهم جميعا بانعقاد اول مجمع للغة برئاسة السيد توفيق البكري بسراياه بالخرنقش ! وقد جاء استجابة لضرورة ملحة ، وردا عكسيا لحركة مضادة !

اما الضرورة الملحة ففي كلام اليازجي السالف الماع اليها بغني عن كل تفصيل واما الحركة المضادة التي كان للمجمع الاول ردا حاسما عليها .. فهي دعوة السير ويليام ولكوكس في سنة ١٨٩٢ الى نبذ اللغة الفصحى قراءة وكتابة والتخاذ اللغة العامية اداة للتعبير الادبي كما فعلت الامة الانجليزية حين هجرت اللاتينية الى لغتها المحلية ، ومع ان السير ولكوكس جاء مصر ليكون مهندسا للخدمة بوزارة الاشغال فمتمرفا على مدرسة الهندسة الا ان دعوته الى العامية لم تفقد حرايتها من نفسه طيلة اربعين عاما قضاه في ربوع النيل ، وقد ساعده اتساع الامد على ان يفلسف دعوته الى العامية فيجد من مزايها في رايه انها ليست ذات علاقة باللغة الفصحى فكل لغة معتما متميزة عن الاخرى ، ونحن لم نتكسبها من العرب بل من الهكوس الذين اقاموا في مصر نحو خمسة قرون بدليل ان طريقة النفي المزدوج في مثل قول العامي (انا ما عملتش) لا تعرفها لغة العرب وانما هي من اللغة الهكوسية ، ثم زاد السير ويليام فترجم الانجيل الى اللغة العامية ، وقد التقى سنة ١٩٢٦ خطابا مسجبا يدعو الى العامية ، بسط فيه مجمل آرائه بعد ان اختبرت اختمارا طويلا في صدره ! وقد رن صده في نفس الاستاذ سلامه موسى فكتب مقالا (٢) ضافيا في تأييده ، ذكر فيه ان قاسم امين واحمد لطفي السيد ممن تاتروا بدعوة ولكوكس ونادوا بها فنتلاشت صيحاتهم النافعة لدى من يجهلون طرق نجاحهم وارتقايتهم من عشاق اللغة العربية ! ومن المفيد ان نذكر ان هذا الدعوة التي اتاه بها ولكوكس سنة ١٨٩٢ تجددت مرة ثانية سنة ١٩٠١ على يد المستر ويلبور احد القضاة بمصر اذ

ويهو لكلمة الصالون وقفاز لكلمة الجواني ونمرة لكلمة نمر ووشاح لكلمة كوردون ...

كما تقدم السيد محمد المولحي بعشر كلمات جديدة أخرى لتحل محل عشر كلمات أجنبية وهي الطنفس ، اللبائكون ، والحرقاة لركب التوريد والجديلة للموضة ، وبطاقة الزيارة للكاتر ده فيزيت والمرب للكلوب ، والحذاقة لشادة الدراسة كالبكالوريا ، والمطفف للباطو ، وحصب الطريق لفرشها بالمكدام ، والشرطي او الجلوازي لرجل البوليس والشجب والشجاب للبورث ماتو .

وقد أقر الجمع هذه الكلمات العشرين وتناقشتها الصحف ، فدار حولها نقاش كبير ما بين تأييد واعتراض ، والطريف ان أعضاء المجمع لم يتولوا الدفاع عن كلماتهم المستحدثة بل اكتفوا بعرضها على الرأي العام ، اما الذي نافع عنها ففريق آخر من المعجبين لها وفي طليعتهم السيد عبدالله النديم ، واذكر ان جوري زيدان وابراهيم اليازجي كانا من المعترضين على كثير من اللفاظ وان كانت لهجة زيدان معتدلة منصفة ، ونبرة اليازجي عالية مرتفعة وسنحاول ان نقف على وجهتي المعارضة والتأييد.

بدأ زيدان نقده بمجلة الهلال (مارس سنة ٩٣) مثنياً على فكرة الجمع وهمة أعضائه داعياً له بالتوفيق والسداد ، وقد قال عن نفسه وعن لم يسموا في المجمع من الأدباء « على اننا لا نحسب انفسنا الا شركاء لحضرائهم في هذه الحومة بلومنا ما نلهم من الاهتمام بها فيجوز لنا بمقتضى ذلك ان نشاركهم في العمل ولو تذكيراً » .

ثم تطرق إلى نقد لغوي لبعض الكلمات البكرية نختار منه هذين الاعتراضين :

(١) ان لفظة مدره لا تسد مسد لفظة افوكاتو بكسل معانيها اذ ان هذا اللفظ في اللغات الافرنجية يفيد المدافعة عن الآخرين في كل الامور الشرعية وهذه لا تفيد لفظة مدره لان المراد بها زعيم القوم والمتكلم عنهم بما له من الرئاسة عليهم كما هو الحال في زعماء الاحزاب ؛ اما افوكاتو فعلى خلاف ذلك كما لا يخفى وايضاً فاننا قد اعتدنا كلمة أخرى اقرب كثيراً للمعنى المراد ، ما لوفة بيننا يفهمها الخاص والعام وهي كلمة محام فانها تعني أفوكاتو تماماً ولها منها اشتقاقات يسهل استعمالها فنقول حامى عنه ويحامي . قال الشاعر :

لقد احسن الدع الحاماة بعد ما اساء الاسى اذ جاور القلب داخله

(٢) كلمة نمره لا تؤدي المراد من نومرو الافرنجية بل هي في غير معناها لان نمره تفيد في الاصل السدد او الارقام ، وقد اطلقت على العلامات والارقام التي يستخدمها الكتاب وغيرهم ليميزوا بها اصناف السلع بعضهم عن بعض ، اما النمره فهي النكتة في اي لون كان ، والنكتة النقطة البيضاء في الاسود او السوداء في الابيض ، واذا جاز لنا استعمالها بمعنى نمره فينتقصنا الفعل منها اذ ليس

اصدر كتابا ينصح بهجر الفصحى قامت وراءه خجة لائمه! وقد ذهبت هذه الدعوات المتكررة الى هجر الفصحى رغم سيطرة الاحتلال ونفوذه ادراج الرياح .

وما كاد السير وليم والكوكس سنة ١٨٩٢ يدعو الدعوة الاولى الى العامية ، حتى نشط (٣) السيد توفيق البكري الى تأليف مجمع لضيافة اللغة العربية ، يعالج مشكلاتها ، ويضم ما يلزم من الكلمات الى معجمها ، فقد عدة اجتماعات تمهيدية لتكوين المجمع ، وقام باقتضالات متكررة لثلاثه ، حتى تقرر عقد الجلسة الاولى بسراياه ، اذ شهداها الاستاذ الامام محمد عبده والعلامة الشنقيطي الكبير والشيخ حمزة فتح الله والشيخ حسن الطويل ، وحفني بك ناصف ومحمد بك المولحي ومحمد عثمان جلال ومحمد بيرم ، وانفق الحاضرون على ان تكون رئاسة المجمع للسيد توفيق وسكرتاريته للسيد محمد بيرم ؛ واختيار السيد توفيق للرئاسة لم يكن في رأيي ما توحى به بطابع الاشياء ، فمره اذ ذلك لم يتجاوز الثانية والعشرين ، ومن المتبع عرفاً ان يتقدم الى ذلك اسن المجتمعين وهو الشيخ حسن الطويل ؛ فالرجل مع جلال الشيب ووقار الفضل استاذ الشيوخ جميعاً وفي مقدمتهم الاستاذ محمد عبده ، فكيف يرأس السيد مجمعا يضم اساتذته الكبار من امثال حمزة فتح الله والشنقيطي ومحمد عبده وحسن الطويل ؛ لعل قيامه بالدعوة الى انشاء المجمع وانعقاده بسراياه مع ما يتبع ذلك من نفقات الاجتماع واذاً به حوزته وحاضراته مما مهد الى ذلك ، وقد احس السيد الشاب بخطورة موضعه ، فكان يبدل في الجلسات السبع التي عقدها المجمع جهداً فوق طاقته ، وقد انتهت بعد الجلسات (١٠) في السابع عشر من فبراير سنة ١٨٩٣ ، ومما لا يتسع له المجال ان يفيض هنا في تتبع ما دار بالجلسات من بحوث ؟ وقد احتفى السيد عبدالله نديم بها احتفاءً شجعاً في مجلة الاستاذ فليرجع اليها من يغتبط بالمزيد ، ولكننا نسلط الضوء على مجهود السيد توفيق العلمي في جلسات المجمع فهو يصور غيرته العربية وحميته الادبية كما يفيض عن نشاطه الباكر في حقل اللغة والادب ، ويدل من ناحية نفسية على اهتمامه بالتفوق والتبريز .

لم تكن مهمة المجمع مقصورة على اللغة وحدها بل قدر منشئوه ان يكون مجمع لغة وادب معا ، اذ كان ما القى فيه من البحوث مما يعم الناحيتين ، وقد تقدم السيد توفيق البكري في الجلسة الرابعة المنعقدة مساء ٤ - ٢ - ٩٣ بحث لغوي ضمنه اختيار عشر كلمات عربية جديدة لتحل محل عشر كلمات اجنبية دائمة ، وهي مرعى لكلمة برافو ومدره لكلمة افوكاتو ، ومسرة لكلمة التليفون وعسم صباحا بدلا من بون جور وعسم مساء بدلا من يون سوار

(١) مجلة الكتاب المجلد الثاني ص ٥٦٦ . (٢) اليوم والغد ص ١٢٢ للاستاذ سلامه موسى . (٣) المقتطف مجلد ٧٢ ص ٢٨ للاستاذ توفيق حبيب

في اشتقاقها ما يقوم مقام نمر العامية ، وعندنا ان مادة رقم تؤدي الفرضين معا لانهم يقولون رقم الثوب خططه واعلم بان ثمنه كذا ومنه قولهم يجوز بيع الشيء برقمه فلنا الرقم بمعنى نورو ورقم مقام نمر العامية ، ولنا بهذا المعنى ايضا رقم ترقبما فنرى ان اختيار احد هذين الاستعمالين اقرب من الفرض المراد من اختيار النمرة . هذا ما ذكره المرحوم جورجى زيدان خاصا بكلمات السيد البكري ثم انتقل الى كلمات الموليحي فاعترض على اختيار الحرقاة والمرب والجديلة وساق تعليقات موفقة تشير الى مصدرها في هلال سنة ٩٣ اذ ان تلخيصها هنا مما لا يتسع معه المجال .

وقد سكت السيد توفيق فلم يعقب على نقد صاحب الهلال ، ولكن السيد عبدالله النديم قد طلع على القراء بالعدد ٢٩ من مجلة الاستاذ سنة ١٨٩٣ بتفنيذ لآراء زيدان وكان مما قاله النديم « ان لفظ مدره يقوم بالمعنى من افواكتو فانه كما يدل على السيد الشريف في قومه يدل على القدم في اللسان واليد عند الخصومة والقتال والمقدم في اللسان صفة جامعة لكل ما يخاصم فيه سواء كان حفا شرعيا او مدنيا او جنائيا له او عليه فهو اعم من لفظ محام الا في مادة حمى الشيء منعه ودفع عنه وليس فيه معنى المصالة بالحقوق ولا درء الحدود ولا رد الشيء ولا ابطال الدعاوى ولا تأييد سابق للدلة والبراهين ولا تأويل معنى قانوني ولا تخطئة قاض ولا تفسيق شاهد - وكله يندرج في الخصومة ، على ان كل معنى اريد من افواكتو فانه من معاني المدره .

اما النمرة فقد وافق النديم على مخالفة معناه فاقضى نمره اورانية ولكنه فضل لفظة عدد في الابانة عنها على لفظة رقم لامور رآها ، وقد تعقبه الاستاذ جورجى زيدان في مجلة الهلال ابريل سنة ١٨٩٣ بما يكشف وجهة نظره ، والحق ان كلمات البكري والموليحي قد اتاحت نقاشا لغويا ممتازا بين صاحبي الاستاذ والهلال ، فشرعت المناقشة اللغوية في الصحف ، وجرأت الاقلام على المشاركة في الوضع والتعريب ؛ وبكى السيد توفيق البكري فخرا ان يكون واضع هاتين الكلمتين الداليتين بيننا الان وهما المسرة للتيفون والقزاز للجوانتي من بين كلماته السابقة ، ولو اهتم اديب بعرض ما دار من نقاش لغوي حول المجمع الاول في بحث مستقل لامتع بالجيد الطريف !

وقد اذنا الاستاذ ابراهيم اليازجي مجلة البيان سنة ١٨٩٧ بعد انتفاء قرابة خمس سنوات على انشاء المجمع ، وبعد انتهاء الصراع حول كلماته المختارة في ميادين الصحف ، ولكنه اعاد الهجوم عليها بعنف بطل وشتد ، وكان الشيخ قد كشف عن غضبه لثغره حين قال عن اعضائه في مقدمة نقده

« اول ما يؤخذ عليهم في امر هذا المجمع انهم حصروا انتخاب المشتغلين به في عداد رجال مصر ، وحظروا ان

يشاركهم فيه غيرهم من سائر الناطقين بهذا اللسان وهو امر خفى علينا وجه الحكمة فيه بل لم نجد لهم عدرا يخرجهم من المؤاخذة عليه فانه ان كان ذلك عن مزيد اعتداد بانفسهم في كفاية هذا الامر حتى اداهم الى ترك الاعتداد بغيرهم فهي البوءة التي لا يسترها احسان ولا يشفع فيها فضل ولا رمزية بل هي السقطة التي تفتي وحدها على كل علمهم بالحيوط ، ومساميحهم بالاخفاق » .

ثم تعرض الى نقد كلمات البكري والموليحي بما يتفق مع زيدان في بعض مناحيه . واتباع ذلك بهجوم لاذع على دعوة البكري الى استعمال عم صباحا وعم مساء في مقابلة بنجور وبنسوار اذ ان الفاظ التحية في العربية اكثر من ان تحصر فلماذا تلجأ الى تعبيرين قديمين قد ماتا منذ ازمان مديدة ولم يعد يسوغها الذوق المعاصر ، وان اجهل العوام ليعرف كيف يلقي تحية الصباح وتحية المساء دون مشقة تحوجنا الى اختيار كلام عتيق ثم قال اليازجي بعد ذلك : « على انهم - اعضاء المجمع - لو مضوا على ما بدعوا به من ذلك وادمنوا الاشتغال بالبحث والتقييد لجاء فيما يضمنونه فوائد لا تحصى ولخدموا اللغة خدمة سنية كانت ترددها عليهم شكرا جزيلا ، وذكرنا على الايام جيلا ، ولكنهم لم يلبثوا بعد وضع هذه الكلمات ان تشاغلو بأشياء القاصد والقاله الخطب ، ثم ختم المجمع على هذا القدر » .

وهذا كلام ينطوي على بعض الغبن لاعضاء المجمع ، فانهم الخطب امر لا بد منه للتعريف بدور المجمع والحاجة الى التماسه وتنبيه الاذهان الى المهمة الكبرى التي تجثم فوق عاقله - في مناسبة انعقاده لأول مرة .

والآن نرى كيف اتبع اليازجي ان دائرة المجمع لا تخرج عن وضع الكلمات فاقى على الخطب بالتهجين ، ولو علم ان المجمع كان ذا ناحية اديبية فوق ناحيته اللغوية لوجد ما القى من المحاضرات والخطب من صميم اختصاصه ، فقد كان التعريف بأدب العرب ، ومناهج البحث في العربية مما يندرج في مهمة المجمع منذ انشائه ، وكانت الدوائر الادبية خارج المجمع ترى ذلك وتحت عليه حتى اقتصر الاستاذ عبدالله النديم بمجلة الاستاذ (مجلد سنة ١٨٩٣) ان يقسم الاعضاء بحسب اختصاصاتهم فقسم للغة وقسم للتاريخ وقسم لتقويم البلدان ورايع للترجمة وخامس للرياضيات على ان يقدم المجمع جوائز اديبية لمن يقدم اليه رسالة في اي مبحث ما يحقق مطلبنا بخصه ، وعلى ان تنشأ قاعة للخطابة يؤمها المثقون !! وجل هذه الاقتراحات قد اخذ بها الان حتى اصبحنا نرى في مجامع اللغة بالبلاد العربية ما يحقق كثيرا من آراء النديم على نحو مثير ذي منهج مضبوط !! وكان السيد توفيق البكري اول من اعان على توسيع دائرة البحوث الجمعية فقد تقدم الى المجمع - فوق بحثه الخاص بالكلمات الجديدة - ببحتين هامتين يتحدث أحدهما عن ما سماه الوفاقات والعادات بين العرب والافرنج ويفض الثاني في بيان اخلاق المتنبي كما يترأى

أرق

ارقتني والليل مرخ سدوله
ربة الحسن والعيون الكحيلة
ورماني بنبله السحر جفن
من دم القلب لم يبسل غليله
وتهادت علي طيفا سنيبا
كتهادي الشعاع فوق الخميله
قرحت مقلتي ولكن أعادت
لفؤادي ذكرى عهد جميله
عبدالله يوركي حلاق

والحديث عن المتنبي الآن من قبيل التكرار المستعاد فقد غمر الشاعر تحليلًا وبحثًا بحيث يتعذر على من يتحدث عنه أن يأتي بالجديد إلا أن يكون ذا بصير خاص يرى به ما لا يرى الآخرون ، ولكن حديث السيد في إبان كان مقبولا موفقا ، وإن كانت ناحية الطرافة والإبتكار به لا تقاس بإبداعه الموفق في حديثه عن الوفاقات والمعادات ، وقد أحسن السيد إذ قدم خلاصتها بالصهاريج فأتاح لنا أن نحكم ..

يختص الجليل إقباله بعد جلساته السبع ، ولئن كان السيد توفيق قد شارك في الوضع اللغوي بما قدم من كلمات وفي البحث الأدبي بمحاضرتين هامتين فقد بذل أقصى ما ينتظر من عضو نشيط ، أو رئيس متحفز ، وقد أخذ الناقدون على المجمع أنه لم يوال انقاده حتى تتحقق جدواه ، ولعل ظروفًا خاصة قد حالت دون أن يسير في تقدمه المرجو ، ولكنه مع ذلك كان صيحة عالية تؤذن بضرورة الاجتماع التكرار لانتقاد اللغة مما يتهدها من عقم وأسحال ، وقد شجع انتقاده ذوي الرأي بعد ذلك على تأليف مجامع أخرى للغة انفلتت متوالية في فترات متعاقبة حتى اختتمت في سنة ١٩٣٢ بإنشاء مجمعنا العظيم منذ أكثر من ثلاثين عاما فكان موئل اللغة وحسن العربية بما أجزل من نفع وأنضج من ثمار ...

لقد كان المجمع الاول - مهما قيل في نقده - ثمرة موقفة لبعض جهود مخلصه لاعلام من الادباء والعلماء وكان السيد توفيق رئيسه المختار ، وداعيته الحرص ، وأحد الأصوات الجبيرة التي دوت عالية من فوق منبره ! فوجب علينا أن نشير إلى دوره المجمع منصفين !!

محمد رجب البيومي

الفيوم - دار المعلمين

في شعره !

أما بحث الوفاقات والمعادات فقد كان مبتكرا جديدا يدل على اطلاع ناقد ، وتفتيق دؤوب ، وقد اطراه الأستاذ جرجي زيدان بالهلال مارس ١٨٩٣ فكان مما قاله عنه أن ذلك الخطاب مما تتنافس به المنتديات العلمية وتتفاخر به المحافل الأدبية ، وبأ حذا لو عثرنا عليه كاملا فنزين به الهلال إفادة لحضرات القراء ...

ومع حرص صاحب الهلال على نشره فقد تشاغل السيد عن تلبية رغبته ، وظل البحث مطويا في أضيابه حتى أذن لشارحي صهاريج اللؤلؤ بنشر خلاصته ، وقد نمت عن اجادة في البحث والمقارنة ، إذ تحدث السيد عن سبق العرب إلى التمثيل المسرحي معتمدا على ما رواه صاحب العقد عن رجل صوفي كان يجمع الناس في عهد المهدي ثم يختار منهم من يمثل اشخاص الخلفاء كأي بكر وعمر وعثمان وعلي ومن وليهم إلى قيام الدولة العباسية ، من رجال الدولة الاموية ، وهنا يسأل الصوفي كل خليفة عن أعماله ويأمر به في النهاية إلى حيث يأخذ مكانه من الجنة أو النار ! وقد كان استشهاد السيد البكري بهذه الحادثة التاريخية داعيا بعض مؤرخي المسرح العربي إلى متابعتها في استشهاده ! وإن كان البعض الآخر لا يرجع بأقدمية التمثيل العربي إلى أبعد من خيال الظل ، والقصة التاريخية التي استشهد بها البكري طريقة مشوقة ، ولو لا جلال الخلفاء الراشدين لصلحت أن تكون نواة لتمثيلية بارزة تظهر أعمال امية وما ارتكبتها من صفات وأوصاف خصوصها المترصنين !! ثم تحدث السيد المحاضر عن معادات الرقص بين الشرق والغرب وعن تصوير الوقائع التاريخية في القرون

الحربية في لوحات خاصة أشار إليها المقريري ، وراها السيد دليلا على الوفاقات بيننا وبين المتحضرين في الغرب ، ثم افاض البكري في نظائر هذه التشابهات في التاريخين الغربي والشرقي من مثل تصوير الملوك على النقود واتخاذ الشعارات الخاصة بالرؤساء والإبطال ، والاستئذان قبل الدخول ، وتقديم قائمة بمحتويات الطعام ليختار الأكل منها ما يشاء ! والتهادي بالزهو والرياحين في المواسم والاعياد ، مع الاستشهاد الجليل بروائع الشعر وتوارد الطرائف ... ولعل الناظر إلى هذا البحث من متفقي الجيل المعاصر يراه مما يسهل الحديث عنه بعد اتساع الترجمة والنقل وازدهار أدوات الإذاعة والنشر والإعلام ، ولكن الحديث عن ذلك في مفتتح سنة ١٨٩٣ قبل أن تطبع أكثر امهات المصادر من عربية وأفريقية يعد جليلا رائعا من شأب قريب العهد بالبحث والاستنتاج .

أما بحث السيد توفيق عن أخلاق المتنبي كما تتراعى في شعره . فقد نشرته خلاصته أيضا في هوامش صهاريج اللؤلؤ ، وهو مما ينبغي عن دراسة ديوان المتنبي دراسة نافذة بصيرة وإن كان السيد قد أكثر من الصفات الجزئية المتداخلة التي يمكن أن تختصر إلى صفات عامة شاملة ،

كان الريح

الحرف يتلو الحرف عمدا
من فك غول بقلت
نقط الحروف تنهار
بلا نهاية تطير كالشرر
تفنى على لسان نور
هديرها فار
امام هرة يختال
والدع بنفك حولي
زرذا في ذرى القمر
على صدي سواء
من العقدة وملوى الجبل
عقد عقد
تدور كالافاعي دمية
لسانها ذو شعيتين
تنور وخبز وماء
تلهم بطنين
ترقص القروذ لتنام
والفراغ سوط يهزني
والصدي لا اهل ولا وطن
قدمي ريشتان
ونفسي هبة
تطير في فراغ الابدائية
ولا نهاية
وصوت خالد يججلجل
في الفراغ
والصوت ياكل الصوت
يدور معا بلا نهاية
(على قلق
كان الريح تحتي
أوجهها
جنوبا او شمالا)
بلا وطن
ولا ام يؤوم
تهدني غدا او مساء
كتمثال قد من صوان
أوقف الحرف واللسان
اسحق الصخر والبيان
اطفىء الشمس
المن الساعة
لم خلقت من انسان ؟
في انفه شمس الغناء
وديدن التراب
وطين واوحال

ثريا ملحس



ARCHIVE.

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>



طبقة الفهماء

بقلم حسن الكرمي

من « العودة الوثلي » في لندن

الفكر الانساني من قديم الزمان مشغول في قضية واحدة وهي قضية الحقيقة الاولى او حقيقة الحقائق وهمه الوصول الى معرفة هذه الحقيقة التي هي سر هذا الكون ومفتاح مقالته . وقد وضع الانسان في اثناء هذا المسمى الطويل نظريات عديدة كانت كلها مرآة لروح العصر الخاص بها ، تتغير قرنا بعد قرن كلما ازدادت معلومات الانسان بهذا الكون . ومن جملة هذه النظريات تعليل وجود هذا الكون ، وكيف وجد ومن أوجده ، وكذلك تعليل حقيقة الكون ، ومن اية مادة هو وهل هو موجود فعلا ام انه يخيل الينا وجوده ، الى غير ما جاء من نظريات وحلول عن الوجود . وكان الانسان في جميع ادوار التفكير والفلسفة يسطلم بعقبة واحدة وهي ان هذا الكون مؤلف من مادتين او قوامين : مادة مادية محسوسة ومادة روحية تدرك فقط بالفهم ، فكيف يمكن التوفيق بين هذين الطرفين ؟ ومن هنا جاءت فكرة الوثنية في تعدد الالهة والاراء الخالوجية ، وكان الاساس فيها ان الانسان طبق ما يشعر به في عاله الصغير على ما يراه ويختبره في العالم الكبير الخارجي ، فلو ان الانسان يعرف مثلا ان يده لا تتحرك الا اذا هو حركها ، فالريح اذن لا تهب الا اذا اهيا احد ما وهذا الاحد يجب ان يكون كالانسان وان كان اقوى واعظم . وآلهة الاغريق القدماء لا يخرجون عن ذلك . ولكن الانسان ايضا في بعثه عن حقيقة هذا الكون في الادوار الاولى من تاريخ الفكر والفلسفة ، اصطدم بعقبة اخرى كان يعتبرها في السابق قضية مسلما بها ، وهي وجوده نفسه في هذا الكون ، فمن اين جاء ولماذا جاء ، وما هي علاقته بهذا الكون . وهنا ظهرت مثوية جديدة Dualism فالمثوية الاولى كانت بين الروح والمادة ، ولكن هذه بين الانسان من جهة كلام داخلي والكون من جهة اخرى كلام خارجي . وبهذه المثوية الجديدة اخذ الانسان يتساءل : هل العالم الخارجي موجود حقيقة ؟ وهل معرفة الانسان هي كل ما تمكن معرفته في هذا الكون ؟ وهل توجد اسرار خفية وراء هذه المظاهر لا يمكن للانسان المادي ان يصل اليها ؟ وفي الجواب عن هذه الاسئلة حدث اختلاف كبير بين المفكرين والفلاسفة . فاصحاب الفلسفة الحقيقية Realism امثال لوك الانكليزي وديكارث الفرنسي يرون ان الصورة الذهنية تدل على وجود اشياء حقيقية خارج الذهن . واصحاب الفلسفة

الفكرية Idealism يرون ان كل ما نعرفه عن هذا الكون هو في الذهن فقط ، ولا نعلم شيئا عن وجود حقيقي للعالم الخارجي . وقد تطرف بعض اصحاب هذه الفلسفة فقالوا ان الفرد وحده هو كل شيء في هذا العالم ، وانه لا وجود على التحقيق لاي شيء خارج عن هذا الفرد ، وهذا هو المذهب الذي يطلق عليه اسم Solipsism . واصحاب الفلسفة الظاهرية Phenomenalism وعلى راسهم الفيلسوف الالماني كانت يرون ان ما نعرفه عن هذا العالم هو ما نشعر به في ذهننا او شعورنا ، وهذا كل ما نعرفه وهو ما لا نستطيع ان نجزم بانه الحقيقة ، لان الحقيقة لا يمكن الوصول اليها بالعقل البشري المعروف . وهذا اساس تقسيم المروفات الى Phenomena اي مروفات ظاهرة والى Noumena اي مروفات خفية . وهذا التقسيم اقرب ما يكون الى النظرية الاسلامية في المعرفة والى النظرية الصوفية او الباطنية Mysticism .

وعلى كل فان الفلسفة في الغرب ، ولا سيما منذ ظهور ديكارت الفرنسي ، ظلت منحصرة بين طرفين طرف داخلي عند الانسان وطرف خارجي خارج عن الانسان ، وهذا ما يشار اليه دائما في الابحاث الفلسفية بالعلاقة بين المشاهد Subject والمشهد Object . فهل الاشياء المشاهدة مستقلة في وجودها عن عقل المشاهد ؟ ام انها من صنع هذا العقل وتصويره ؟ فالفيلسوف باركلي يقول انها من صنع العقل وتصويره ، كلاما مثلا . فان هذا لا وجود له الا في ذهن التام وشعوره . والمصاب بمعنى الالوان لا يقر بوجود اللون الذي لا يراه ، ولو ان غيره يراه ، فاللون باعتباره غير موجود . والانسان عموما مصاب بالعين من جهات مختلفة . فالاذن الانسانية لا يمكنها ان تسمع بعض الامواج الصوتية ، في حين ان الكلاب او الطوايط تسمعها ، وكذلك العين الانسانية لا ترى بعض الامواج الضوئية . فهل يصح ان يقال ان الذي يشاهده الانسان هو الحقيقة ؟ وكيف نجيب من يعترض بقوله ان الانسان يرى البعيد صغيرا ويرى العصا معطوفة في الماء ، مع العلم بان هذا البعيد لو اقتربنا منه لظهر كبيرا وبان العصا لو اخرجناها من الماء لظهرت مستقيمة ؟ وهل لدينا الا ان نقف موقف الحيرة من هذا الامر ؟ ولعلنا نفرق هنا ، فبعضنا يقول ان الصورة الذهنية لشيء ما قد لا تكون صورة كاملة ولكنها لا تنفي وجود الشيء ، وبعضنا الاخر يقول ان ما نعرفه هو هذه الصورة الذهنية ولا تمكن معرفة شيء غيرها ، لان وسيلة المعرفة هي هذا الذهن الذي نشك في صحة صوره . فكيف يمكن للذهن ان يكون متهما وحكما في الوقت نفسه ؟

فالمسألة تتلخص اذن في عوامل ثلاثة او فرضيات ثلاث : (١) المشاهد او العارف . (٢) المشاهد او المروف . (٣) حقيقة الوجود ، هذه الفرضيات الثلاث هي اركان الفلسفة او الفكر في الغرب ، ولا يمكن معرفة

ونحو التفاعل بين هذين الجانبين ، ونبه على نقطة مهمة وهي مقدار ما في معرفتنا من معلومات هي صورة صادقة عن الأشياء الحقيقية ومقدار ما فيها من معلومات هي من صنع الذهن او الشعور فقط ، أي هل معرفتنا الحاصلة في الذهن تخبرنا الخبر الصحيح عن الأشياء على حقيقتها في الخارج أم هي من صنع الذهن وانها لا تخبرنا الخبر الصحيح عن حقائق الأشياء في الخارج ؟ ثم ان الأشياء التي تقوم في الذهن ، هل هي الأشياء الحقيقية ، أم صورة محرفة عنها ، وهل يوجد لدينا ما يدلنا على ان الأشياء التي نشعر بها موجودة فعلا في الخارج ؟ وإذا كانت اشياء في الخارج فهل لدينا ما يدلنا على طبيعة هذه الأشياء وكنهها؟ هذه هي المشكلة التي تصدى اليها ديكارت، وهي المشكلة التي اشغلت الفلاسفة في الغرب مدة مئتي سنة ، حاولوا في اثباتها ان يفرقوا بين المعرفة الحسولية التي تقوم في الذهن وبين الأشياء التي توجد مستقلة عن الذهن وليست من صنعه . وبالتنبيه على الهوة بين عالم الذهن وعالم الأشياء كان ديكارت زعيم الفلسفة الحديثة. ولكن ديكارت لم يتحرر من التأثير الديني في فلسفته كما تحرر غيره . فقد بنى الجزء الاساسي من هذه الفلسفة على الإيمان بالله ، وآمن بوجود الأشياء في العالم الخارجي لانه لا يجوز ان ينسب الخداع الى الله اذا كانت المعلومات الذهنية لا تخبرنا الخبر الصادق عن حقائق الأشياء في الخارج . ثم انه لما اراد حل مشكلة العلاقة بين الجسم والنفس واعتبر ان الجسم يؤلف وحدة قائمة بذاتها منفصلة عن النفس التي هي تؤلف بدورها وحدة قائمة بذاتها لم يجد واسطة تقوم بالاتصال بين الجسم والنفس الا الله ، فقال ان الجسم لا يتحرك من ذاته وانما يتوسط الله بين النفس والجسم ويحرك الجسم . وهذا نوع من التنويه . والغريب في هذه القضية ان ديكارت استعان بوجود الله على اثبات وجود العالم ، في حين ان فلاسفة الدين وعلماءه استعانوا بوجود العالم على اثبات وجود الله .

وجاء مابراش تلميذ ديكارت ، وكان راهبا في أحد الدير ، فقال اتنا نرى الأشياء في الله . فان ديكارت كان قد رأى ان العالم مؤلف من ثلاثة جواهر : اثنان منها محدودان وهما العقل البشري والمادة وثالث وهو الله . وكانت مشكلة ديكارت هي التوفيق أولا بين العقل البشري والجسم المادي أولا والتوفيق بين الجوهر الالهي السامي وبين الجوهرين المحدودين الآخرين . وقد رأينا ان ديكارت وصل بين العقل والجسم بالقوة الالهية . فلما جاء مابراش اخذ يفكر في طريقة اخرى للتوفيق بين العقل والمادة او بين المحدود والامتناهي وقال ان العقل فسي الإنسان هو القوة الفاعلة في الجسم ولكن هذا العقل محدود ، فلا بد ان يكون هو خاضعا لقوة خارجة عنه غير محدودة وهي قوة الله . فاذا تغير العقل عند التفكير الرغبة او غير ذلك من الحركات النفسانية فلا بد ان يكون

روح هذه الفلسفة او هذا الفكر بدون الوقوف على تاريخ هذه الفرضيات وعلى مقدار تعلقها بالفلسفة الدينية فسي أوروبا بصورة خاصة ، وقد تطرقنا لهذا البحث عن الكليات والجزئيات في هذه الفلسفة الدينية في مقال سابق . وقد سبق ان ذكرت في هذه المناسبة شيئا عن النزاع المبرر بين اصحاب الفلسفة الحقيقية Realism المتطرفة واصحاب الفلسفة الاسمية Nominalism . وانتصار الفلسفة الاسمية في أوروبا وفي الغرب عموما كان من نتيجته ، فسي رأي الكثيرين ، بداية عهد التفكك في الوحدة الغربية وبداية ظهور الفردية ، لان انتصار الاسمية معناه من ناحية فكرية انتصار الجزئيات وانهازم الكليات Universals التي كانت تتمسك بها السلطات الدينية والرومنية على السواء في القرون الوسطى . ولهذا النزاع ارتباط وثيق بالنزاع المائل بين الفلسفة الحقيقية الجديدة والفلسفة الفكرية Idealism ، وقد حاول الكثيرون بعد ديكارت الجمع بين الفيلسوفين ، كما سعى سبينوزا (١٦٢٢ - ١٦٧٧) ولايبنتس (١٦٤٦ - ١٧١٦) وشلتك (١٧٧٥ - ١٨٤٥) ، وكما سعى فيما بعد هسرل في فلسفته الوصفية . وهذه الناحية من الفلسفة الغربية من امتنع النواحي لانها فتحت للفكر الفلسفي مناحي جديدة لم تكن من افراض الفلسفة قديما ، وكان الفائق الاول لها هو الفيلسوف الفرنسي ديكارت زعيم الفلسفة الغربية الحديثة . ولما يمر الباحث بهذه الناحية بدون ان يتوقف عندها للتأمل والتفكير . ولا يمكن للباحث هنا الا ان يدرك مبلغ التأثير الديني في هذه الفلسفة . من ذلك مثلا ان باركلي زعيم الفلسفة الغربية كان يقول ان الأشياء لا تكون موجودة الا عند الشاهدة وتكون موجودة في الذهن ، ولكنه حينما تساءل : اين توجد الأشياء اذا غاب الإنسان عنها ؟ قال انها توجد في ذهن الله . ثم انه لا يخفى ان التقليل من قيمة الحقيقة الخارجية والاقتصار على الصورة الذهنية تقلل من قيمة العلم النظامي Science وعودة الى افلاطون الذي كان يحتقر الاختبارات العلمية والابحاث الطبيعية . والنظرية الفكرية المتطرفة التي اشرنا اليها باسم Solipsism والتي تقول بان الفرد هو جماع كل شيء في هذا العالم وان الشيء لا يوجد الا اذا فكرت فيه ، هي اغرب ما ظهر من الآراء الفلسفية . وقد علق احدهم على ذلك فقال : « ان مصائب البشر يمكن اذن ان تزال من الوجود اذا انتحرت . »

وقد بحث الفيلسوف الألماني شوبنهاور (١٧٨٨ - ١٨٦٠) بحثا مستفيضا في تاريخ النزاع بين الفلسفة الفكرية والفلسفة الحقيقية في احدى مقالاته .

فالفيلسوف ديكارت هو امام الفلسفة الغربية الحديثة بحق ، وذلك لانه ارجع الى العقل مقامه بدلا من الاعتماد على الكتب الدينية من جهة ومن الاعتماد على اسرطو من جهة أخرى . وهو اول من فتح الباب امام الفلسفة الحديثة نحو العلاقة بين الذهن او الشعور وعالم الأشياء الخارجي

هذا التعبير عبارة عن تغير في العقل الالهي . وعلى هذا فان النفس البشرية ملقحة بفتاح سماوي الهى تعيش عليه ، وهي صورة مطابقة للنفس القدسية ، اي ان النفس البشرية والنفس الالهية شيء واحد ، او ان العقل الانساني والعقل الالهي شيء واحد . ومعنى ذلك ان الآراء او الافكار التي تقوم في العقل البشري تكون قائمة في العقل الالهي ، مع الفارق من ناحية الكمية فقط لا من ناحية الكيفية . وان العقلين يدركان الفكرة الواحدة نفسها ، ولكن العقل البشري لا يحيط بالفكرة بجميع علاقاتها المعقدة ، وانما يدرك منها ما يستطيع . والعلاقة القائمة بين الانسان في محدوديته والله في عدم محدوديته تساعد الانسان على كشف الحقائق الثورية وهي الافكار الكلية التي تكون موجودة في الكون قبل وجود العقل البشري . فالوجود والفكر ملتزمان معا ، على غرار قاعدة ديكارت في قوله : افكر فانا موجود . والفكر من جهة ثانية يجمع بين الوجود الانساني والوجود الالهي ، ويكون الوجودان متماثلين معا . وهذا هو مبدأ الوجود Pantheism في رأي باروخ سبينوزا (١٦٣٢ - ١٦٧٧) وفي رأي لايبنتس (١٦٤٦ - ١٧١٦) .

وكان سبينوزا في بادية الامر يدين بفكرة ديكارت في تقسيم الوجود الى جسم ونفس مع عامل آخر يجمع بينهما وهو الله . ولكنه انقلب على هذه الفكرة وقال بعدم وجود اله خالق للكون ، وان الطبيعة هي الله . وقال ايضا ان الافكار التي تقوم في الذهن عن الاشياء والاشياء نفسها خارج الذهن ما هي الا صفات لجوهر واحد هو الطبيعة وهذا هو مبدأ التطابق . وتبع المبدأ ايضا لايبنتس الذي كان يقول بوجود وحدات روحية مستقلة قائمة بذاتها تتألف منها جميع الاشياء المادية وجميع انواع الموجودات الحية ، اي ان هذه الوحدات الروحية التي اطلق عليها اسم **Monads** تأتي الى الوجود بأمر الله وتنتهي من الوجود بأمر الله . وقسم لايبنتس هذه الوحدات الى وحدات ذات شعور وهي النفوس ووحدات عديمة الشعور وهي الاجسام . ثم قسم النفوس الى نفوس عادية وعقول . فالنفوس العادية تحس وتشعر وتذكر وتتخيل كنفوس الحيوانات . اما العقول فانها تزيد على النفوس العادية بأن لها عقلا تميز به . والنفوس المادية مرآة حية للموجودات المخلوقة في العالم ، في حين ان العقول هي ايضا صورة للحفرة الالهية ، وفي استطاعتها معرفة اسرار العالم . وهذا يمكنها من الاتصال والتألف مع الحفرة الالهية ، وتكون في مجتمعتها كدولة او مدينة عقلية تحت حكم حاكم في اسمى درجات الكمال وهو الله . وعلى هذا فكما يوجد توافق بين عالم الاجسام وعالم النفوس كذلك يوجد توافق بين مالك الملك المادي الآلي ومالك الملك العقلي .

وهذه المحاولات من جانب الفلاسفة للتوفيق بين العلم الحاصل في الذهن عن الاشياء في هذا الكون وبين الاشياء

نفسها معناها في الحقيقة محاولات للتوفيق بين العلم والدين ، وكانت محاولة لايبنتس من هذا القبيل . بل ان هذه المحاولات بقيت مستمرة الى عهدنا الحاضر ، مع فارق واحد وهو ان رجال الدين وفلاسفته في الغرب تنكروا للعقل وقللوا من قيمته وانتقصوا من مقامه لما راوا ان التوفيق بين العلم والدين امر يكاد يكون من المستحيل . وقبل ان انتقل الى هذه الحركة الجديدة المخالفة للعقل اريد ان آتي على ذكر محاولتين اخريين للتوفيق بين عالم الفكر وعالم الطبيعة المادية ، او بين النفس والجسم ، او بين صور الاشياء في الذهن وحقيقة هذه الاشياء في خارج الذهن . فقد واجه الفيلسوف الالماني هيكل (١٧٧٠ - ١٨٣١) مشكلة عويصة في ابحاثه الدينية فاراد حلها بطريقة فلسفية . وتتلخص هذه المشكلة في ان الاوامر والنواهي الشديدة في العهد القديم من الكتاب المقدس تضع الانسان في موقف مقادوم لهذه الاوامر والنواهي بحكم طبيعته . فالتوتر النفسي في هذا الموقف بين الطاعة والمعصيان مثال على التعارض الجدلي Dialectic في رأي هيكل ، وهو الذي اوحى الى هيكل بالتفكير فيه وابتداء حل له . وكان الحل او التوفيق بين الطرفين المتعارضين عن طريق فكرة الحب المتجدد في المسيح . فالمسيح في رأي هيكل هو وسيط التوفيق . ومن هنا جاءت فكرة هيكل في التوفيق Synthesis بين الطرفين الجدليين ، فاعتبر هذا التوفيق عاملا يؤثر في مجرى التاريخ كله ، بل هو روح التاريخ وبما يفسد روحه كجسد المسيح . وبلاط في هذا شبه كبير بفلسفات ديكارت ومالبرانش ولايبنتس التي كان من جملة ما عانيت به معرفة الكيفية التي يحدث فيها التفاعل بين النفس او الروح من جهة والمادة من جهة اخرى ، وكيف يمكن لشيء مادي ان يؤثر في شيء روحي او لشيء روحي ان يؤثر في شيء مادي مع وجود التضاد الذاتي بينهما . ومن الامثلة التاريخية الدينية على حل هذه المشكلة نظرية الكلمة Logos التي قال بها الفيلسوف فيلو Philo الاسكندراني ، وكان في العصر الاول قبل الميلاد والعصر الاول بعده . واساسها ان فيلو كان يرى ان الله فوق كل شيء في عالم الحدوث وانه فرد كان بذاته ليس له صفات وهو عاقل ولكنه فوق كل عقل . فكيف يمكن لاله ، وهو على ما هو عليه ، ان تكون له علاقة مع عالم الحدوث وهو منزعه عنه ؟ وجد فيلو حلا لذلك وهو ان يكون وسيط بين العالم والله ، وقال بوجود ستة وسطاء او قوى من جنسها (الكلمة) وهي الاقدم والافضل والجامع بين القوى الست . وهذه القوى في مجموعها تعبير عن الذات الالهية ، ولكنها في الوقت نفسه هي التي تخلق عالم الحدوث وتخلق كل شيء مثالا كما في نظرية افلاطون التي هي اساس هذه الافلاطونية المحدثة .

لنن

حسن الكرمي

لم يكن يدرك من حياته معها وهي تودعه في مطار باريس الا ما كان يدايعها به عندما تتيه عيناه في مياه عينها الزرق :

— أمل ان تكون لي بنت لها مثل عينيك...
كان يذكر الي ذلك جوابها المكنك :
— ان تكون لك بنت في مثل جمال عيني
الا اذا كانت لك زوجة في مثل جمالي ...
ولم يكن هذا الاغراء الذي طالما التجأت اليه
لوسيان ليقتل محمودا بان يتزوج من فتاة
فرنسية ، ولو انه منحها قلبه واستأثرت بحبه
طيلة مدة دراسته في باريس ، فقد كان يعتبر
جهما تجربة شباب لا يمكن ان ينجح اذا خرج
من طور التجربة الى طور الحياة الدائمة
المستمرة . وهو بعد لم يكن يؤمن بزواج
الاجنبية لان فكرته عن الزواج كانت تختلف
عن الفكرة التي قدمتها اليه لوسيان رغم انه
كان يهيم بحبها وبحبب جمالها .

وعاد محمود الى الغرب يحمل معه ذكرى
عزيزة من عيني لوسيان ، فاعت لوسيان من
ذاكرته في خضم الحياة ، ولكن عينها كانتا
تظنان عليه دائما خلف سحب الحياة فكان
يرى فيها قوته على الاستمرار ، واصبحت
مداعبته للوسيان رفقة جارية في نفسه :
— أمل ان تكون لي بنت لها مثل جمال
عينيك .

وفكر في ان يتزوج . استعصرى امامه
الفتيات الاتي يعرفهن والاتي وفتح في
طرفه ، وهاها باحداهن من باخرى ، ولكنه
كان دائما يذكر جواب لوسيان :

— ان تكون لك بنت في مثل جمال عيني
الا اذا كانت لك زوجة في مثل جمالي ...
واولفته الصدفه اخيرا على ابواب الجامعة ،
فكانت خيرة اللون فائنة الالامح وشقية القد ،
ولكن شيئا من ذلك لم يلفت نظره وانما
اهتدى اليها من خلال عيني زرقاوين تيلان
عذوبة وجاذبية ، ولم تدب زرقه العيني في
آلوان الحمري ، وانما كانتا جوهرتين لناعمان
في افق اسمر كما تحتد زرقه السماء في
الضوء الباهت .

وكانت « زهراء » خطيبته الحبيبة ، وجد
فيها مثل نقالة لوسيان ولكنه لم يجد حيوية
لوسيان وحرمتها الفكرية ، ووجد فيها مثل
قابلية لوسيان للحياة ، ولكنه وجد حياة
الفنائه القبرية ، وعفة عينها وطهارة قلبها ،
ووجد فيها روعة جمال لوسيان ، ولكن بنكهته
الشرفية القبرية التي تجمع سمرة الشمس
البيظة الى زرقه السماء الالامه .

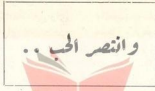
وذكر قول لوسيان مرة ومرات وهو يتحدث
الى زهراء ويسبح في مياه عينها الحالة :

— ان تكون لك بنت في جمال عيني الا اذا
كانت لك زوجة في مثل جمالي ...

ويكاد يلتهم زهراء بعينيها الفاحصتين وكأنه
يجيب :

— آرايت ؟ : لي خطيبة اخذت منك
اجمل ما فيك : عينيك ولكنها تفوقك صبي
وجلاا وسكون في بنت في مثل جمال عيني؟
ويحس بلهب الشوق الى البنت التي تشبه
لوسيان في جمال عينها ، ولكن زهراء كانت
مستعممة :

— الى ان تكون لي زوجا عند الله والناس ،
واسرع بالزفاف ، فقد كانت زهراء لا
تريد ان تمنحه نفسها بعد ان منحته قلبها
الا بعد ان تحتفل العائلتان بهما عروسين
شروعيين .



بقلم عبد الكريم غلاب

وجد في زهراء كل ما كان يريد ، ولم يجد
كل ما كان يحتاجه في لوسيان . كان
تسهر بانه الرجل الذي دأب احلامها منذ
ادركت ان من الرجال من يداهب الاحلام
الفتيات ، وكانت تحس بانه الانسان الذي
يستطيع ان يحملها الى عالم الواقع بعد ان
وجدت في الشعر والقصص والكتب كثيرا
من عالم النظريات وعالم الخيال ، وكانت
تقدر فيه انه الرجل الذي استطاع ان يعلا
في نفسها مكان ايها وامها وهي التي عاشت
بين احسان الامومة والايوة لا تعرف سلطانا
على نفسها غير سلطانها، ولا تكن ودا وتقدير
وحبا لفرمها ، ومنحته كل ما تملك من حب
وتقدير وود ومنحها ، ولكنه كان دائما يتطلع
الى صفاء عينها فينهت به الهائف :

— اريد منك بنتا في مثل جمال عينيك...
وكانت زهراء تحس بوخس ضمير وهي تسهر



بأنها استطاعت ان تمنحه كل شيء ، ولكن
البنت التي لها مثل جمال عينها ...؟
واحس برغبته تصبح مطلبا ملحا لا يشاء
الا ذكرته به العيتان السابحتان في الملكوت
الازرق ... وفكر :

اعطينها كل شيء ، ولكني ما ازال ميخوس
الحظ ... وما اريد منها غير تحقيق الحلم
الذي سادوني قبل ان اعرف عينها .
ولم تساعره فلم يرد ان يسهر زهراء
بانه غير راض عن حياته ، ولكنه لم يكن
ليخفي امله كلما تطلع الى العيني العاليتين ،
وكانت تبسم وهي تجيب :

— اني ادخرها لتكون ابهي جمالا واحلى
منظرا .

ولم يتطلى الامل ، فهو يعرف ان عمته
لم تجب الا بعد سنوات وكان يستمع اليها
وهي تحكي قصة انصرها بعد ان قرر زوها
ان يتخلص منها او يتزوج عليها .. قاومت ..
وودعت .. وامدتها العناية الالهية بالعم
فافترت حياة الزوجين التمسعين عن بنين
وبنات ، ولم تطلق العمه ولم يتزوج عليها
زوجها .

ولكن محمود لم يكن ليستقيم للافقدار ،
فهو يؤمن بالعلم ، وهو يعرف ان زهراء لم
تكن اقل منه ايمانا بالعلم ، ولم يجد غشافية
في ان يغني اليها بوساوسه ، ولم تجد
غشافية في ان تغني اليه . وهي لا تهتم
بنفسها ، فهي من عائلة لسم تعرف العلم ،
ولكنها لا تهتم ، فهو مثال الرجولة عندها ،
وشبابه وحيوته وايمانه بنفسه وبالمستقبل
لا يترك كل ذلك في نفسها مجالا للشك في
رجولته .

واقصيا الطبيب ، والتمسا عنده العلاج ،
ولم يكن ليوحى اليهما بالياس ، فهو حريص
على ان يكون طبيبا مداويا ، يعيش بالطب ،
ومع التطبيب الامل في الشفاء ، وهو حريص
على الا يهدم سعادة عائلته يمكن ان تسعد
بالحب ان لم تسعد بها انانية الاستمرار
وطبيعة الازر .

وعاش معهما الامل شهورا فعاما ، وعاشت
الى جوار الامل مخاوف نظير النوم من عيني
محمود ، ونصب الرب في قلب زهراء ،
ولكنه - وهو ينظر الى عينها بابل - لم يكن
يفكر الا في الحب الذي استطاعت زهراء ان
تغش به حياته . وظل يعجبها وظلت تحبه ،
ولكنه لم يكن يصم آذانه عن الكلمات المصولة
تعبير بها امه عن الامل الطافح في قلبها والتي
تجتاز كل الحواجز لتستقر في آذنيه :
— اريد ان ارى خلفي في ابنتك قبل ان
اموت

— مسكينة زهراء .. في حاجة الى دواء .
« موت » .. « المسكينة » .. كلمتان كانتا
نلتصقان الامل من قلبه الطالع بالامل ، وكانتا
تدنيان منه المستقبل بظلامه .. بانتظار الرجا
في استمرار الحياة من بعده .

وكان يقض طرف اذنيه خلف ابنتاسمه
يريد ان يطمعها مشرفة :

— في حياتك يا امي .. وبديعائك المالح .
ولكن الكلمات لم تعد مسؤولة ، ولم تعد
تنطق بها الشفتان الجيبتان فحسب ، ولكنها
اصبحت على كل لسان :

— وانت يا محمود .. متى؟

وتكشفت الكلمات عن الهدف :

— النساء غيرها كثير ..

ولم يعد محمود يعيش في ازمنة متطويا على
نفسه او محفويا بوساوسه الى زهراء ، وانما
اصبح يعيش في ازمنة مع الناس .. هم ان
يطرد الازمنة عنه ففكر :

ما لهؤلاء فاحتمون على الناس مشاكلهم
الخاصة ؟؟ الخاصة ؟؟ ولكنه استمرار
العائلة وارث الاسم والجد والعمل .. انه
المستقبل .. لا يعيش في شخصي ، ولكنه

يعيش في ابنائي من بعدي .. المستقبل ؟؟
انا الذي اصنع المستقبل فلم اعش في اسره؟
يكفي ان ابائي واجدادنا عاشوا في سر هذا
المستقبل : الجرافة .. الخرافة ؟؟ اكننت

انا نتاج خرافة عاشت في ضمير ابائنا
واجدادنا ؟؟ .. ولكنني مع ذلك احب ان
انمرد .. لم لا انمرد على الخرافة حتى التي
كنت نتاجها ؟ التاريخ سيذكرني وان لم يذكر

واحدا من ابائي واجدادنا .. اولئك ساروا
سلفين يحققون ما حققه الانسان منذ آدم ،
فلم لا اكون توربا احق ما لم يحققه احد من
اسلافي ؟ انا وزهراء نعيش حاضرا ومستقبلا

.. ونهيي مما خرافة الاستمرار التي عاش
لها البشر كهفد نافة .. هدف يفلق شبيقتهم
وشهوتهم الزلية .. انا وزهراء سلكون ذنبيك
الذين صنعا جديدا في التاريخ : انهيبا
الاستمرار الابدي .

وانتشلت من تفكيره كلمة عاشت في ضميره
قبل ان يعرف زهراء :

— اريد ان تكون لي بنت في مثل جمال
عينيك ..

مادت به الكلمات من المستقبل الى الحاضر ،
فلم يكن يريدنا للمستقبل بقدر ما كان يريدنا
للحاضر : بنت جميلة ذات عينيْن زرقاوين
عاشت في ضميره ستوات قبل ان يصفر
زهراء ، ولم تستطع زهراء ان تكون البنت
الذي اراد ، رغم انه عبق من مياه عينها

الزرقاوين حتى ارتوى ..
وظهروا اعراض الشفاء في افق محمود ،
فقد لفته الدوامه والامواج تنقله الى الخضم
الصاحب فيبتعد بقلبه واحساساته وعواطفه
عن زهراء وبكاد ينيسر اليها من بعيد :
الدوام ..

وتعود به الامواج الى الشاطئ الاميسن
فيستندى بالحب ، ونحن عليه العينا
الزرقاوان المغفلتان بدموع الالم وهما تناديان :
— عد .. عد الى كما كنت زوجا حبيبا ..
فقد وجدت فيك الحاضر وانت مستقبلتي ..

عن انية التفسيح من اجل حبك ، فهلا نظيت
في ظلالها .. خرافة ، خلقها الاولون ، وعاشوا
في ظلالها .. انا تغليت عنها من اجلك ..
كنت اريدك طفلا يلمس مستقبلتي واعيش فيه
جلا آخر ، او بنتا تحفو علي في شيقوتي
.. ولكنني فائمة بك ، فلم تغل علي فسي
شبابي ولم اخل عنك ؟

ولفت محمودا الدوامه في عنف ، وتردد
فسي سمع :

— اريد ان ارى خلقي في ابنتك قبل ان
اصوت ..
— النساء غيرها كثير ..

ولكن القوة التي كانت ليمده عن زهراء هي
نفس القوة التي كانت تشده اليها .
وعرفت زهراء الشفاء في اليد ، فقد كان
سافر فيستند على صفيح المساء ، حتى اذا

غلبه النوى عاد اليها .. وعرفت الشفاء ..
الثورة الفاصية .. ولم تالف منه ثورا ولا
غصبا حتى اذا ادركه الندم عاد كالحمل بعيم
في العيين الزرقاوين وكانه براهما لأول مرة

.. وعرفت الشفاء في كلام الناس فانتبذت
بنفسها مكانا قصيا لتسلم من محاصرة كلام
الناس وكانها انت امرا اذا يعز على الفراق ..
ولكنها كانت على استعداد ان تتحمل كل ذلك
في سبيل محمود .

وعادت الدوامه بمحمود الى البيت ثائرا
غاضبا كما لم يثر من قبل ، كانت تنظر اليه
فيوزر عن عينيها المستعطفتين .. وكانت
تحدث اليه فيديوي صوتهما الحنون فانتبذت

في اذنيه .. وكانت تقرب منه فيبتعد ،
وكانت تلمسه فكانها تلمسه بنار تثير الخوف
في كياه .. كانت تود ان تلام وجوده فكان
يود ان تتركه للفراغ ، فقد اصبح يشقى
بوجودها .

ولم تحتمل زهراء ، فقد ضغط محمود
بشدة على اعصابها فانفجرت في وجهه باكية ،
ولم يكن بكلاما نوحا ولا عويلا ، وانما كان
انجبارا اثبت من العيين الجميلتين فاخفت
زرقتهما الصافية وراء حمرة دامية ، وانبغت

من الصوت المتهدج وقد اخفت حثاته وحنوه ،
ولم تشرق بدمع ولم يكتم صوتها الوجه
المابس الثائر ، وانما انطلق متفجرا :

— محمود .. ما ذنبي يا محمود .. تزوجتك
وكلي امل في طفلي او طفلة تشعري بانوتتي ..
يكباني .. يوجودي .. تحفظ علي مستقبلتي ..
تمنعني اعتباري امام الناس .. ولكنت خيبت

املي .. رعتيني في ظلال الوحدة والفلسف
طريق المستقبل في وجهي .. وفتحت علي
بابا رباحه عاتية ، لم يكن احد .. من الذين
يتحدون عني .. يستطيع ان يفتحني في وجهي

ولكنني تغليت منك كل ذلك لاني احبك ..
ولاني اضع فيك كل امالي .. وانت ابني واثنت
ابني .. انت حاصري وانت مستقبلتي .. انت
وجودي ودينائي .. لا اتافك ، ولكنني اعيد
علي مسعك ما يؤمن به فليك .. لو استمعت
لقلبك لاحتديت ..

وهم محمود ان يتكلم ولكن الصوت المتهدج
ارفع نوحا حتى ملا كل افاق محمود فحفظي
راسه ، واستمر الصوت الجريح يهدر :

ما حدود مسؤوليتي وما حدود مسؤوليتك ..
كلانا مجرم من قبل البنت ذات العيينتين
الزرقاوين التي تريدنا .. انت وانا شريكان ،
وقد تغرق فتشقى واشقى ، ويكون ما بيننا

من عش جميل وما شدة من حب هو الضحية ..
اخلفت تسليتي واخلفت للحب ، لكن معارك
كانت تصف باخلاصي .. انا لا اكاف في سبيل
شخصي ولا في سبيل الابن الذي اريد ، وانما

اكاف في سبيل الحب الذي يجمع بيننا ،
اكاف في سبيلك انت كما اكاف في سبيلي
انا ، وسينتهي كل ما اكاف في سبيله اذا لم
تكن سعيدا بهذا الذي بيننا .. لا مستقبل
لنا فلم نحطم حاضرا ..

وخلفت الدموع الصوت المتهدج فاكبت
زهراء على كفيها تدفن وجهها بين راحتيها ،
وعلى شعرها البسط فاسدل ستارا كثيفا
في الوجه الاثاب الحزين ، ولم يعد هناك
غير آتين صامت تردد صدها الفقرة النسي
نشر الحزن ظلاله بين جدرانها .

ورفع محمود عينيته وانما اريج منهما ستر
كثيف كان يظللها بالسواد وتطلع الى زهراء
فلم ير منها غير تمثال بالسي صنعته يد فتان
متشائم ، ولم يطل به التفكير فقد كانت
دموع زهراء كافي لا فراع فكره قبل عاطفته ،
وطوق محمود زهراء بيدين حائيتين وهو
يهمس :

— سامحيني يا زهراتي فقد دفنا مستقبلنا
في حنايا حينا .

الرباط — المغرب عبد الكريم غلاب

سفر دمر

للهم ما حن من شوق فؤاد
ومن الاشجان كان المستجاد
ولسان الدمع كر وطراد
كان للقول من القلب مداد
من شرود الشعر للاوصاف زاد
فتن تعرى وآمال تشاد
من جوى والسفح ليل وساد
ظلمات من سجاياها العناد

سير تحكى والحن تمام
يعذب اللحن اذا شف الجوى
يجمع القول على فارسه
يؤثر القول على الدهر اذا
ويروع الوصف ما دام له
تنجلي دون الربى في (دمر)
وعلى السفح شواد بقممت
ضربت من دونه راتمة

* * *

وشوشات وحديث مستعاد
في صفوف مثلما اصطفت صعاد
لينا سمحا وللموج انقياد
كضرب الوجد اضواء السهاد
نفثات الشوق بذكىها البعاد
في حواشي الافق يطويه السواد
عصف الموج لنجوى تستعاد
كمصاييح ولم يقدح زناد

لقيان الحور عند المنحنى
كشفت عن ساقها وانتظمت
وجرى النهر على اقدامها
تجد الماء ترمى جانيها
رق حتى خلت من سقم
او كما دق شعاع ناحل
واذا النهر سرى في جدول
شعل تذكرو على صفحته

* * *

دون وادبها ولم يخل جماد
من اذى الدهر وللدهر اضطهاد
لم يجانبه على فقر فساد
مربع ياوي اليه ووساد
مئزرا في كل عين يستجاد
هالة فيها لماضييه معاد
من جلال وتولاها الرعاد
ومن الشيب وقار ورشاد

نشر الصخر جناحي رحمة
قام كالضيفم يحمي غيلة
صلح يرهب في روعته
تجد الماضي له من دونه
لبس الاحقاب في احداثها
صلح اصفى على هامته
ملا العين فانغصت رهبة
شاب من كر الليالي رأسه

* * *

ملء سمع الدهر تروى وتعاد
حن من وجد وللوجد انقاد
بالمادير سفوح ووهساد
لمروءات وللجرح ضمداد
صفحات وضحايا الممداد
عذبة في كل سمع تستجاد
ما انطوى فجر وما كر سواد

(بردى) لا تاتلي انغامه
تجد السفح على مزماره
بعث القابر حيا فازدهت
واذا الماضي كتاب جامع
مثل التاريخ في احداثه
سير من (عبد شمس) لم تزل
رددتها بخشوع اعصر

عدنان مردم بك

دمشق

مسرحية لطيف وخوشابا

بقلم الدكتور صالح جواد الطعمة

* * *



تزال المسرحية العربية في العراق متخلفة عما بلغته من تقدم ، وحققته من ازدهار نسبي في عدد من الاقطار الشقيقة كمصر ولبنان لاسباب مختلفة اهمها ان العراق لم يشهد التفاعل الثقافي مع الغرب الا في مرحلة متأخرة ، وقد سار هذا التفاعل سيرا بطيئا غير منظم يعكس السياسة المقصودة التي اتبعت في مصر مثلا خلال القرن التاسع عشر واولائل القرن العشرين في محاكاة الغرب في مجالات متباينة لا سيما في مجال الحركة الفنية ، يضاف الى ذلك ان البيئة الاجتماعية في العراق - بخلاف البيئة في لبنان ومصر - كانت اقل استعدادا لقبول « التمثيل » او اقل حماسة في الاقبال عليه ، وان الجهات المسؤولة فيه كانت تعتمد الى خلق العقبات في طريق المسرح بدل من الاسباب في تطويره لخفضها مما يقوم به من دور في نشر الوعي المناوئ لسياستها .

وكان من نتائج هذا التخلف ظاهرة ان الاصل الذي يلاقه النجاج المسرحي العراقي على ايدي المعنيين من الباحثين بشؤون المسرحية العربية ، فلا تجد في معظم ابحاثهم اشارة اليه او تقييمها له ، والاخرى طمس جذور المسرح او بوارده في العراق في القرن التاسع عشر مما ادى الى الاعتقاد الخاطيء ، كما بين الدكتور علي الزبيدي (١) ، بان المسرحية لم تدخل حياثنا المعاصرة الا بعد قيام الحكم الوطني عام ١٩٢١ ، فيذكر « ان اول مسرحية الفها عراقي ومثلها عراقيون هي مسرحية « وحيدة » للمرحوم موسى الشايندر التي كتبت عام ١٩٢٨ او ١٩٢٩ وطبعت في بغداد سنة ١٩٣٠ » (٢) ، او يقال بان اولي المحاولات للقيام بعرض مسرحي جدي جرت زمن الثورة العراقية او حوالى سنة ١٩١٩ حين مثلت مسرحية « النعمان بن النذر » في بغداد (٣) .

وبعني هذا ان المسرحية لم تصل العراق الا بعد مرور قرن او ما يزيد من نصف قرن من تاريخ ظهورها في لبنان وسوريا ومصر ، وهو ما يدعو الى الاستغراب والشك نظرا لان العراق لم يكن منزولا تمام الانزوال عن التيارات الثقافية او الفنية في الاقطار المجاورة كتركيا ولبنان ، ومن المحتمل ان بعض ابناءه من الذين زاروا هذه الاقطار قد

وقفوا على النشاط التمثيلي ، وتأثروا به ، وحاولوا تجربته عند عودهم ، لا سيما في المدن التي يقيم فيها ابناء الجالية التركية ، او الطاقة المسيحية (٤) .

وقد اثارت هذه الاسباب وغيرها اهتماما جديدا بأصول المسرحية في القرن التاسع عشر فكتب « الزبيدي » بحثا اعلن فيه عن اعتدائه الى مسرحية عراقية نشرت عام ١٨٩٣ بعنوان « لطيف وخوشابا » مؤلفها نعم فتح الله سحر (المتوفي عام ١٩٠٠) ولكنه لم يستطع العثور على نسخة منها مما جعله يستعين ببعض الرواة في تلخيصها تلخيصا لا يتفق ، كما سنرى ، والنص المطبوع ، فذكر انها الفت باللغة الدارجة ، وان موضوعها كان غراميا اجتماعيا « فقد احب لطيف خوشابه واجتبه وصعما على الزواج فاستطاعا بصعوبات ومشاكل بمعهما الفوارق الاجتماعية والخلافات بين عائلة الشابين العاشقين ولكن لطيف وخوشابه اصرا على الزواج وتقلبا على الدسائس التي استهدفت الايقاع بينهما ثم تزوجا في النهاية (٥) » .

والمسرحية اولا لا تمت بأية صلة الى موضوع الغرام ، او الزواج ، وان كانت تعالج جوانب اجتماعية اخرى ، وليس بين اشخاصها « امرأة » وما « خوشابا » - الذي ظنه بعض الرواة « امرأة » - الا احد الفلاحين ، وقد كانت امه مريضة « لطيف » ، وهي ثانيا ترجمة او تعريب لمسرحية فرنسية كما ورد في غلاف الكتاب ومقدمته وقد ذكر عنوانها *Parade et Cotes* في غير اشارة الى مؤلفها . او لفظة المسرحية التي تبث في الحقيقة « لغة دارجة » او « عامية » بل تمثل محاولة للجمع بين الفصحى البسيطة والعامية *Parade et Cotes* في منطقة الموصل .

وتقع المسرحية في نصها العربي في (٨٣) صفحة ، وقد طبعت في مطبعة الآباء الدومنيكيين (الموصل) سنة ١٨٩٣ ، ولا شك انها كانت موضع بحث لدى بعض الكتاب او النقاد في ذلك العهد ، فنحن نقرأ من مؤلفها او مترجمها « نعم فتح الله سحر » انه كان احد معلمي مدرسة الآباء الدومنيكيين بالموصل ، وكان ذا نشاط ملحوظ في حقل التمثيل ، او على الاقل مسؤولا عن تنشيط اعمال التمثيل على مسرح المدرسة المذكورة ، ويذكر له « سركيس » عددا من المؤلفات بينها مسرحية « لطيف وخوشابا » (٦) . اما كيف اعتدى الى المسرحية المذكورة ، او الى مؤلفها او لماذا اختارها لتقدمها على المسرح في الموصل ، فتلك امور قد تدعو الى التساؤل ، وليس من اليسير البت فيه ما لم تيسر لدينا معلومات اخرى . فالؤلف الفرنسي المعروف بعدام دينبوار (١٧٤٦ - ١٨٢٣) (٧) ليس من اعلام المسرح الفرنسي المعروفين خارج فرنسا ان قورن بأمثال «موليير» و «راسين» ، او من الذين ترجمت لهم بعض الاعمال الى العربية في القرن التاسع عشر (١٨) ، وهو الى جانب ذلك - ان قراته بيمول المترجم الدينية - عرف بموقفه المناوئ لسلطة الكنيسة ، لانه - عند نشر مسرحيته

الأولى (١٧٧٧) - عرض الى سخط مطران باريس -
لاحتوائها على اغنية مخلة بالآداب ، فطلب اليه ان يتبرأ
منها ، او يترك الخدمة الدينية فأثر الاستنحاح ، وبدأ
يكتب تحت اسمه «مدام ديبنيوار» (٩) .

ومهما يكن العامل الذي دفع المؤلف العراقي الى اختيار
هذه المسرحية ، فإنه على الأقل كان متأثراً بهدفها او
طابعها الاجتماعي ، وغلب الفن انه وجدها تعالج مشكلة
مالوفة في زمانه وببشئته ، وهي مشكلة العلاقة الاجتماعية
بين الفلاحين واسيادهم ، كما سنوضح ذلك بعد قليل .

المسرحية ذات فصل واحد مجزء الى مناظر قصيرة
بلغت « ٢٤ » منظراً ، وهي تبدأ بمقدمة مختصرة تحدد
هدف المسرحية او مضمونها تذكر نصها لما لها من قيمة
تاريخية : « ان مضمون هذه الرواية الادبية هو اولاً حث
والوالدين كي يحسنوا تربية اولادهم ولا يتركهم ان يفعلوا
بحسب هواهم وارادتهم مهما كانوا اعزاء عليهم ومحبيين
منهم بل يجدر بهم ان يردعهم عن الشر ويقاصصوهم
عندما يصدر منهم تقصية . وثانياً يعلمنا مضمون هذه
الرواية الصغح عما الحف بنا الفير من الضرر والاساءة
وخصوصاً ان نشفق عليهم عند مشاهدتنا اياهم حاصلين
في حالة الحزن والشدة .

وكانت هذه الرواية معنونة بأصلها الفرنسي بعنوان
«Fanfan et Colas» فدعوتها برواية « لطيف وخوشابا »

مثلما بدلت أسماء بقية الشخصين واختهلت باستحقاقها
الى اللغة العربية البسيطة رجاء ان يفهمها الجميع ، وجعلت
محاوره بتو وخوشابا ابنه وجو الفلاحين بالبرية المردة
التي يستعملها القرويون القاطنون في كردستان عند
تكلهم بهذه اللغة (١٠) .

ونرى من هذه المقدمة ان المؤلف العراقي يعالج مشكلة
الحوار بطريقة مماثلة لمعالجة رائد المسرح العربي مارون
نقاش الذي لجأ الى اللهجة العامية او العادات اللغوية التي
يتميز بها بعض اشخاص مسرحيته « البخيل » كوسيلة
يستعين بها على تحديد شخصيتهم او التعبير عنها ، فام
رثشا تتكلم بلغة تناسب مكانتها الاجتماعية كخادمة ،
وعيسى يتميز بلهجة المصرية ولغة غالي ونادر مزيج من
التركية والعربية (١١) .

وسواء كان المؤلف العراقي على علم بما حاوله « مارون
نقاش » ام لم يكن فإنه لم يجد حلاً افضل من الجمع بين
لغة فصحي مبسطة او تكاد تكون فصيحة في تركيبها العام،
يستخدمها على السنة المتعلمين من اشخاص المسرحية ،
وعامية موصلية على السنة الخدم والفلاحين .

ومن يتأمل بدقة لغة الحوار يلاحظ ان المؤلف يلجأ غالباً
الى اتمام خصائص العامية في حوار التمليلين او بعض
خصائص الفصحى كالاعراب في حوار الخدم او الفلاحين
ففي كلام المؤدب « ميخائيل » : « والى الان ما قدرت ان

اجني من هذه اعمالي كلها ادنى ثمرة ، سوى انه يحتقر
كل شيء وبهين تعاليمي نفسها فكيف يمكن ان اقيم هنا
بعد ازيد ؟ » - ص ٩ - نلاحظ محاولة لاضفاء تركيب
فصيح على تعبيرات عامية عراقية ك « بعد ازيد » ، كبت
نلمح في كلام الخادم « سموعي » ص ٢٥ « لا احد يخاف
من هذه القساوة . راينا كثيراً مثلها » استعمالاً عامياً في
قالب فصيح . وهناك امثلة كثيرة في المسرحية تدل على
ان الحل الذي اختاره « سحار » كحل مارون نقاش من
قبله ، او فرح انطون او ميخائيل نعيمة من بعده (١٢) ،
لم يسهم في حل مشكلة الثنائية اللغوية ، بل ادى الى
تعقيدها ، وارباك لغة الحوار بسبب الانتقال من الفصحى
الى العامية ، وعدم التزام الاشخاص باللغة التي اختارها
لهم المؤلف .

واذا انتقلنا الى محتوى المسرحية لوجدنا انها في
الحقيقة تعنى بمشكلة التمييز الاجتماعي او الطبقي غير
العادل ، وتكشف عن تدمير الطبقة المستغلة وشرورها
بالتمرد من اجل كرامتها ، وذلك عن طريق المقارنة بين
سلوك « لطيف » وابيه « يوف » الثري مثلين الارستقراطية
وسلوك كل من المعلم ميخائيل مؤدب « لطيف » و « منصور »
وكل ابيه ، و « بحو » البستاني ، و « سموعي » الخادم ،
و « بتو » الفلاح ، زوج مرشعة « لطيف » وابنه « خوشابا » (١٣)
وتبدا المسرحية بحوار بين يوسف بك والمؤدب يعلن فيه

- (١) علي الزبيدي : « المسرحية العربية في العراق في العهد العثماني »
مجلة الامام (مارس ١٩٦٥) ص ٤٦ . (٢) المصدر السابق ص ٤٦ .
- (٣) احمد فياض القرقي : الحركة المسرحية في العراق (بغداد :
١٩٦٥) ص ١٠٤ . (٤) راجع مقالة الزبيدي للوقوف على هذه
الاسباب وغيرها . ص ٤٦ - ٤٧ . (٥) مقالة الزبيدي ص ٤٨ .
- (٦) يوسف اليان سركيس معجم المطبوعات العربية والمغربية - (القاهرة :
١٩٢٨) جدول ١٨٦١ / ١٨٦٢ ، وراجع الفقرة الخاصة بالمسرحية
المذكورة في :

London, J. Studies in Arabic Theatre and Cinema (Phil. :
1958) P. 260

حيث نجد اشارة الى ان المسرحية مقبسة من الفرنسية ، وموسوعة
بالعامية العراقية . (٧) اسمه الحقيقي
Alexandre Lois Bertrand Robineau

- (٩) لمعلومات اضافية عن المؤلف الفرنسي راجع :
Bibliothèque nationale IX (Paris : 1849) PP. 542-547, La
Grande Encyclopedie (Paris : 1886 - 1902) V P. 1056,
Grente, C.G. et al.
Dictionnaire des Lettres Françaises 18e siècle Vol. I PP
161-162 (Paris : 1960) ,
Larousse, P. Grand Diet. Universal (19e siècle)
(Paris 1867) P. 445

Quérad, J. La France litteraire Vol. I (Paris : 1827) P. 242

- (٨) لقد اعتمدت في هذا الرأي على رجوعي الى مصادر غير قليلة تناول
المسرح العربي او الترجمة في القرن التاسع عشر ، بينها : محمد
يوسف نجم : المسرحية في الادب العربي الحديث (بيروت ، ١٩٥٦)

الثاني غيظه على سوء تصرف «لطيف» ، وإحساسه بضياع جهوده في توجيهه ، وبأن وظيفته أصبحت محتقرة في مجتمعه ، ويهدد بانسحابه من عمله :

« المؤدب : (أول ما يجر الستر يقول المؤدب مفتاظا) كلا يا يوسف بك ، أنا ما عدت أبقي هنا ولا يوما بعد هذا . يوسف بك : ولكن يا مؤدب افندي أما تهمد طبعك ، وتسكن روعك ؟

المؤدب : غير ممكن احتمال أكثر من هذا . يوسف بك : كلا ؟ أنا لا أرى شيئا يوجب ذلك .

المؤدب : أنا بالعكس أرى أن كل اعتنائي وإعنايي مع ابنك الخواجه لطيف ذهب هدرًا ودرًا ، وإلى الآن ما قدرت أن أجني من هذه إعنايي كلها أدنى ثمرة سوى أنه يحتقر كل شيء ويهين تعاليمي نفسها فكيف يمكن أن أقيم هنا بعد أزيد ؟

يوسف بك : ولكن أصبر بعد قليلًا وأنا أوكد لك ... المؤدب : كلا أنا ما عدت أصبر أكثر من هذا . لأنني أعلم

بأن ما طمعه بي الاكثر استعمالي الصبر منه . قل لي أنا يا شرف يصيني من تعليمه وتأديبه ؟ أم لا أكثر بأن وظيفة المؤدب هي أشرف الوظائف ، غير أنني لسوء الحظ أرى اليوم بأن هذه الوظيفة أصبحت هنا عندنا في فرنسا أدنى الجميع . » (١٤) .

وتستمر المسرحية بعرض نماذج من سلوك «الطيف» تجاه بقية الأشخاص ، فالخادم بروي اعتداء «الطيف» عليه (ص ١٢-١١) ، والبستاني «بحو» (ص ٣-٢) ، طبل في الأعراب عن شكواه من استهتار «الطيف» وعبثه المستمر بالبلستان ، ويذكر أنه لم يعد قادرًا على الاستمرار في عمله ، فيطلب إلى «يوسف بك» تصفية حسابيه لإنهاء علاقته به ، غير أنه يتراجع عن هذا التهديد بعد أن يعده «يوسف» بوضع حد لاساءة ابنه ، ثم ياتي دور «منصور» الوكيل فيشير إلى جوانب شريرة أخرى في سلوك «الطيف» مهددًا بأن الحل الوحيد الذي يجد فيه خلاصه هو

جلال ناجر : حركة الترجمة بمصر (القاهرة ، بلا تاريخ) جمال الدين النسيال : تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في مصر محمد علي (القاهرة ١٩٥١) والمراجع الأخرى المشار إليها في هذه المقالة . (١٠) راجع لطيف وخوشايب ص ٥ . (١١) مارون نقاش : اركة لبنان (بيروت ١٩٦٩) ص ٩١ . (١٢) حاول النون فرج في مسرحيته « مصر الجديدة » (١٩١٣) أن يستخدم النصفي في حوار اشخاص الطبقة العليا ، والعامة في حوار الطبقة الدنيا . راجع نجم : المسرح في ١٩١٣ - ١٩١٤ . (١٣) « نعيمة » حلا ممالا في مسرحيته الآباء والبنسون (١٩١٧) . الطبعة الرابعة - بيروت ١٩٦٢ ، ص ١٦ - ١٧ . (١٤) هذه هي الاسماء التي استعملها (سحرار) بدلًا من الاسماء الفرنسية ، وهي تمثل جميع اشخاصها ، غير أن تغيير الاسماء لم يرققه تغيير شامل لجو المسرحية فقلل يوسف بك يمثل « أحد متعولي فرج في فرنسا » والمؤدب يتحدث عن المجتمع الفرنسي ، وفي المسرحية ملامع أخرى ، لا تتناسب والجو العراقي أو العربي . (١٥) لطيف وخوشايب ص ٧٥ - (١٥) ايلي

أن يترك العمل ، وعندما يسأله سيده من سبب عدم اخباره من قبل ، عن أعمال ابنه ، يذكر بأنه فصل ذلك مرات عدة ولكنه تلقى ، بسبب شكواه توبيخًا بعد توبيخ آخر (ص ٢٣-٢٥) ، فيتظاهر «يوسف بك» هذه المرة بالغضب على ابنه ، واستعداده لتأديبه ولكن نفهم على لسان خادمه الساخر بأن هذا التظاهر ليس بشيء جديد (ص ٢٥) « لا أحذيكاف من هذه الفسافة رأينا كثيرا مثلها »

وسرعان ما يتحقق زيف هذا التظاهر بعد حضور ابنه الذي يتحارب في الدفاع عن نفسه ، والقاء اللوم على غيره ، مستثيرًا عاطفة الابوة ، ويوفق في اقناع أبيه بأنه بريء ، فيثور «يوسف» ملعنًا نفقته على مستخدميه : لانهم اساءوا الى ابنه ، واتهموه تهمة باطلة ، ويطلب اليهم أن يعتذروا الى «لطيف» والا فنصيبهم الطرد ، وعندئذ نجدهم يستلمون الى طلبه بشيء من الهزء او السخرية بعدالة يوسف .

ويمثل يوسف بك ، في المسرحية ، الاستقراطي القلق ، الذي يجمع في نظرته للناس والحياة مشاعر او مفاهيم متضاربة ، ويبدو متارجحًا بين العامل العنلي الذي يجعله يؤمن في قرارة نفسه بأن الناس سواسية ، والعامل العاطفي أو الذاتي الذي يدفعه الى أن يفض النظر عن عيوب الاستقراطي الشرير المتمثل في ابنه ، ولهذا فهو يظهر بمظهرين متناقضين : يدي في أحدهما تحيزه لابنه ، وفي الآخر تجده يطلب الى ابنه أن يعامل مستخدميه بوداعة لانهم اناس مثله (ص ٣٣) ، وهو لا يصرح بذلك مستنكرًا أن يكونوا اناسا مثله ، فيدور الحوار التالي بين المؤدب ولطيف وابيه : (ص ٣٣-٣٤) .

المؤدب : نعم يا خواجه انهم مثلك ، ما عندهم اموال ولكن اعلم انه يوجد غالبًا تحت ثياب دنية عتيقة فضائل اكثر مما يوجد تحت الذهب والحريز .

لطيف (مستهزأ) : ان مؤدبي العزيز يتكلم مثل فيلسوف

كذلك يا ابي ؟ (١٦) هذا الدفاع عن كرامة اللاحين والتأكيد على مبدأ المساواة بين الناس يتكرران في مواقع مختلفة كتقول البستاني «ليش أنا ما ابن اودام» ص ١٧ ، او قول بتو : « تعال نرجع للسمية ... بلا بالسمية ما يحتقرن الفقرا ... هوني ما اكو صدقة .. ما يعرفون قدر التيس ، وما يحسبون كل الاودام سوى .. » ص ٢٤ . او راي المؤدب على لسان لطيف «ان الناس الذين يستحقون غاية الاحرام هم الذين يلحقون الارض» ص ٢٨ . (١٧) نموذج لاستعماله القالب الشعري نذكر هذا الانشاد الختامي ص ٨٢ - ٨٣ :

المؤدب : يا هنيا يا مريسا انسا بلغنا المرام
انسا الان اصبحنا اسمد كسل الانام
يوسف بك : يا الهي يا الهي لك الحمد والتشام
انسا الان اصبحت اسمد كسل الانام
بتو : ايكنا انسا اشهد بفرح يا لطيف يا خوجات
اننا هر دالم يجيب لك بقللاوات بقللاوات

هواها معي ام لا فاني مفرم
وكلي بكل الجسد منها متيم
شجاني على الاحلام سؤل مخيب
ونجواي بالخييات والسؤل تطم
حيتني الى اللوعات والدفء مدفن
واظرب ذكراها وبؤسي منفسم
انسور عليها بانعطافي وان قسا
فؤادي فاغلى من فؤادي احطم
ندائي الى النشوات ان لوني المني
ليفرحها والرجع عندي معتم
حبيبة هي استرصد هتساوة
اذا تستطيع آله مني وتظلم
تمد بتعذبي فتخلو متاعبي
واهوى صدى اخلافها حين احرم
يرافقها صفحي واشقى رحابة
ويصرو بكائي في الاطياب مبهم
هواي وما طاب الهيام اذا رنت
الي موايدي ولا انما مصدم

جودج دجي

.. ما تمام يا ايي ؟ (١٥).

يوسف بك : اسمع كلامه يا ابني ان كنت تجنسي ،
استفد من تعاليمه ومشوراته الحكمة . انك مديون له
اكثر مما مديون لي . نعم ، انا صرت سبب حيائك ، ومنى
تحصل على القوت والكسوة ولكن هو يحرضك على الفضيلة
وليقنك المعارف والعلوم فانما اسلم بين يديه كل سلطاني
عليك وكل حقوقي . احببه مثل ابيك لانه هو ايضا مثلي
ما يريد الا مساداتك .

غير ان هذه النصائح تذهب سدى ، ويستمر الصراع
بين «لطيف» الذي يستهين بقيم العلم والعدل والمساواة ،
فلا يتورع من ان يقول لمؤدبه بان العلم لا قيمة له - ان
قورن بالمال والجاه - فهو لم يرفع من مكانة المؤدب
الاجتماعية ، وهو لا يتردد في ان يبين رضيعه «خوشابا»
عندما يزوره برفقة ابيه الفلاح «بتو» ، يحمل الحلوى هدية
له ، فيقبلها بشيء من الازدراء ، ويحاول ان يعطيه بعض
ماله ، فيعتبر «خوشابا» ذلك اهانته له ويرفض عطاءه الا
انه يكره على قوله بعد الحاج يوسف بك ، ويتكرر بعد
لحظات منظر مالفوف في سير المسرحية يطلب فيه «خوشابا»
الى ابيه ان يغادر المكان لانه لا يطيق ما يسمعه «لطيف» من
عبارات الاهانة والاحتقار ، فيشاركه الاب غشبه ويقول :
«نحنا تمام فلاحين لكن عندنا نفس .. عندنا قلب نظيف ..

ما مثل قلب لطيف الخائن ... ابدا ماكو سعادة للناس
المكبرين .. » (١٦) ص ٤٤ . فيضطر «يوسف بك» الى
قبول حل يقترحه عليه المؤدب يراد منه ان يلزم «لطيف»
بان يجرب حياة الفلاحين ، كفلاح مثلم ، ليقوم سلوكه ،
ويشاركهم احساسهم بكرامتهم وانسانيتهم «اذ ما يوجد
(حسب قول المؤدب) الا الحزن والتجربة بقدران ان يصلحا
طبعه ويجعلاه حليما وديما وما احد يحزن على حزن القريب
ويرثي لحاله ان لم يكن قد ذاق هو قيتلا طلع الحزن
والمرائر .. » ص ٤٦ ، فيوحى له بانه في الحقيقة ما هو
الا ابن «بتو» الفلاح ، وان خوشابا هو الولد الحقيقي
ليوسف بك ، وقد حصل سهو في تحديد هويتها خلال
فترة الرضاعة المشتركة ، فيرفض اول الامر ان يصدق
هذا الواقع المؤلم ، ولكنه يتقبله بتأثير قصة كان قد قراها
مع المؤدب حول موضوع مماثل ، ويدرك اخيرا انه لم يعد
صاحب مال وجاه ، وان اعتماده على امواله كان عبثا ،
ويلمس بنفسه طيبة الناس الاخرين الذين كان يعاملهم
معاملة قطة ، ويدهش لحسن معاملتهم له ، فيحس بعذاب
الضمير ، ويتبها للرحيل مصمما على ان يساعد ابيه
الفلاح ، ويطلب اليهم الصفع عن مساوئه . وهنا يتضح
ان الهدف من الحل قد تحقق ، وان «لطيف» المفقور بجاهه
وثروته قد اتمط واعتبر ، ولذلك فاجأ مرة اخرى بانه
لا يزال ابن يوسف فيسر وبعد اياه بتجنب ما يسيء الى
اسواه ، وتنتهي المسرحية بعد انشاد يشترك فيه بقية
الاشخاص مغربين فيه عن بهجتهم بعودة الامور الى
محارجها الطبيعية .

http://ArchiVebeta.Sakhrir.com

وليس من شك في ان المسرحية - كما توضحها
الخطوط العامة التي رسمناها - تمثل نموذجا من نماذج
المهارة او المسرحية الاجتماعية السائدة في العالم العربي
في تلك الفترة (اي اواخر القرن التاسع عشر) واذا كان
«سحار» لم يوفق توفيقا تاما في تخليصها من اسماء او
اشارات ترتبط بالبيئة الفرنيسية «كقصة «ليون»
الفرنسي) واشارة الستاني بعود الى لوسيفوروس كرمز
الشر وكالامثلة الاخرى التي ذكرناها من قبل) فانه حاول
ان يسبقها بطابع محلي متممدا على خصائص العامية
الموصلية ، والامثال الشعبية المألوفة ، وقد وفق الى حد
كبير في تفضيله اسلوب «النثر» المرسل غير التكلف ولكنه
لم يعرض من محاكاة «القالب الشعري» في مناسبات
قليلة تتطلب الانشاد وجاءت محاولاته مشوهة فاشلة ،
وان كان لم يرف اسراف كتاب آخرين سبقوه في
استعمال السجع او الشعر (١٧) .

ومهما كان حكما على مسرحية «لطيف وخوشابا» فانها
لا تفقد قيمتها التاريخية ، في القاء الضوء على النشاط
الفني المجهول في العراق ، وناحية مهمة من نواحي المسرح
العربي في القرن التاسع عشر .

امريكا - جامعة انديانا صالح جواد الطعمة

عجز عن هذه المحاولة .

وهذا رأي قريب من الحق فيما اعتقد عن تجربة ، وهو موصلي الى الحقيقة التي اردنا ان تكشف عنها ، بانه فيما سوى عشرة او عشرين او ثلاثين من الكتاب على الاكثر جمعوا اثارهم ، فان هذه الاثار ما تزال مدفونة في بطون الصحف والمجلات ، وان في هذه المرحلة التي انتعشت فيها المقالة الادبية والسياسية والاجتماعية يمكن ان يقال انه في خلال ستين عاما (تقريبا) ١٨٧١ - ١٩٣٩ باستثناء فترة الحرب العالمية الاولى عندما توقفت الصحف او تقلصت ، فانه قد كتب ما لا يقل عن مائتي كاتب ممن لم تجمع احدهم اثاره ، وان كل كاتب من هؤلاء قد كتب في عشرة موضوعات متنوعة على الاقل ، واننا اذ ذاك امام حيلة لا حد لها تضم التي بحث او التي كتاب .

هذا بالإضافة الى عشرات الكتب للملخصة ، والترجمة ، وذلك باستثناء المقالات الصحفية او السياسية ذات الموضوع المحدود او مقال الساعة او الفكرة العارضة .

واذا ظن بعض المراجعين ان في ذلك شيء من المبالغة فاني اذكر ان هناك اكثر من خمسين كتابا قد كتبوا خلال سنوات بلنت الثلاثين ، كل يوم ، امثال داود بركات وعبد القادر حمزة ، وهيكل ، والعقاد ، وطه حسين ، وخليل نابت ، وحافظ عوض ، وجباس حافظ ، واحمد فائق ، ومحمد مسعود ، وسيد علي ، ومحمود عزمي واحمد نجيب ، واذا اردنا ان نجتزي بمثال واحد او اثنين قلنا مثلا ان داود بركات رُس تحرير الاهرام ٤٠ عاما ، ونفترض انه كتب افتتاحية الاهرام ٣٠ عاما فقط فاما نجد ، نجد انه كتب ١٠٠٨٠ مقالا ، وهناك مثال العقاد او طه حسين او المازني او هيكل فقد كتب هؤلاء منذ ١٩٢١ الى ١٩٣٦ في هيكل ، و ١٩٤٩ المازني و ١٩٥٤ للعقاد (كتابة يومية) فاذا اخذنا بالاقل وجدنا ان هناك ٩٨٠٠ مقال لكل منهم ، ضاعت في بطون الصحف وهي غير المقالات الادبية التي جمعت .

وبعد هذا الاستطراد نعود لنقول ان صحفا كالمعظم والواء والمزيد والاهرام والسياسة والمير وكوكب الشرق والوادي والبلاغ والجريدة ، ومجلات كالنصار والضياف والهلل والمقطف والجوائب والزهو والبيان والجامعة والعصور والمشرق والزهراء والسياسة الاسبوعية والعصور وابولو والفجر والنهضة الفكرية والمجلة الجديدة والرسالة والثقافة قد اعطت محصولا ضخما لا حد لضخامته من الابحاث والدراسات المثورة الضخمة ، ولذلك فان مجال العمل الادبي الحقيقي هو فيما اعتقد ، في هذا التراث القريب ، للكشف عن حقائق التطور الادبي والفكري والثقافي والاجتماعي في العالم العربي ، وان جلاء هذه الحقائق مرتبط الى حد كبير باستخراج هذه الاثار التي حاولت ان اصور اهميتها وخطورتها .

ومن هنا فان تجربة العمل الادبي - كما قلت - تكشف



انور الجندي

تجربة العمل الادبي

بقلم انور الجندي

* * *

تكشف تجربة العمل الادبي عن كثير من الشقة والماناة ، فليست هي من اليسر بحيث يمكن ان يقال انها قدرة على الصياغة او بناء للدراسة ذلك ان هذا وحده ليس هو العمل في الحقيقة ، وانما هو الصورة النهائية له .

ان الحقل الادبي ليس مفتوحا على النحو الذي يحقق العمل ببساطة ، وبالرغم من كل ما قدم من دراسات فان هناك جوانب ما تزال غامضة ، ومعقدة ، وفي حاجة الى مجهود ضخم للكشف عنها ، ذلك ان اغلب الاعمال الادبية والفكرية قد بدأت على ايدي اصحابها دراسات او كلمات نشرت في الصحف ثم استطاع عدد قليل من الكتاب جمع اثارهم ، وابرازها على هيئة مؤلفات او كتب او دراسات ، حتى انه يمكن القول بان اثار اغلب الكتاب الكبار امثال : طه حسين والعقاد والمازني والزيات وجبران وميخائيل نعيمة وهيكل وسلامة موسى قد بدأت في هيئة مقالات نشرت في الصحف والمجلات ثم جمعت في كتب ، ولذلك امكن لبعض الباحثين ان يقول ان ادب الثلاثينات ومسا بعدها كان ادب مقالات مجمعة ، وربما امتدت هذه الظاهرة الى اليوم ، وانه فيما عدا الدراسات الجامعية والرسائل الاكاديمية فان كل اثارنا الادبية مقالات مجمعة ، وان كان بعض الكتاب قد استطاع في ذكاء ان يربط بين هذه المقالات المنوعة وان يبرزها في وحدة وانسجام ، وان بعضهم الآخر

كثيرا من كتابنا الذين عاشوا هذه الفترة من مطالع القرن
والذين ماتوا في السنوات الاخيرة ، قد خلفوا مكتبات
ضخمة عامرة ، تضم الوف المجلدات ، ومئات الجذاذات ،
والموضوعات التي لم تستكمل ، وعشرات الرمال ، وصفحات
لا حد لها من الذكريات والكلمات المحيية ، فابن هذه
المكتبات ، اغلب هذه الانار قد ضيعت بطرق تدل على عدم
التقدير وتجاهل خطرها ، فهي في الاغلب قد ضاعت عن
طريق الخدم ، او بيعت وصفيت بطريقة مؤلمة للنفس ، او
حفطت في بدرومات ، تنتظر حل الخلاف بين اهل الكاتب
عن طريق المحاكم ، هذه القضايا التي استمرت سننات
وانتهت بناية هذه الاوراق ، وقديما كان الرحمان احمد
تيومر باشا واحمد زكي باشا يقرآن كل يوم على عاصود
الولايات بالصف اليومية ، فاذا قرأ نعا ليل او ادب
اسرعا فاشترى مكتبته وآثاره ودفعوا فيها مبلغا مجزيا ،
اما الان فقد قلت هذه الرغبة في جمع الكتب النادرة ، او
الانار المتروكة ، واصبح جل الناس في الاعتساب على المكتبات
العامه ، ومن هنا ضاعت مكتبات كثيرة بالترسب الى باعة
القول والترمس والطغام على الاسف بضمن بخص .

واذا كان بعض اديباننا قد تنبهوا اليوم لفضل التوصية
بمكتباتهم لدور الكتب العامة او الجامعات فان الامر الشاق
هو لي « الاوراق الخاصة » فان هذه الاوراق قلما يعثر
عليها الباحث ، ولاني لاذكر كيف لقيت من جهد في سبيل
البحث عن بعض من الفصوص على شخصية رجل وصف
بانه الطبيب الثاني لجمال الدين الافغاني بعد محمد عبده .
ذلك هو « ابراهيم اللقاني » فقد حاولت ان اصل الى
بعض آثاره او صورته او مذكراته او شيء يكشف عن تفاصيل
حياته فلم اجد سوى بعض كتاباته في جريدة مرآة الشرق
(١٨٧٨ - ١٨٧٩) وقبل هذا وبعد هذا لا شيء ، الا مقال
رثاه فيه صاحب المنار ، فلما اتصلت باهله وجدت تحفظا
شديدا ، ثم علمت ان مكتبته منذ اكثر من خمسين عاما
مدفونة في (بدروم) احدى البيوت القديمة وان هذا
البدروم يفرق كل عام بارتفاع النيل ، وما تزال اوراقه
هناك !

اما فريد وجدي فقد حاولت ان احصل على بعض كتاباته
او رسائله او مذكراته او اصول مقالاته فلم اعثر عند اهله
على شيء مطلقا ، فقد ضيع ذلك كله وصفي ، اما كامل
كلياني فقد تفضل واوصي لي رحمه الله بقصاصاته ورسائله
التي انتفعت بها في كتابة دراسة عنه كشفت عن كثير من
الجوانب الغامضة في عصره وادب رسالته .

ولقد اسمعني ان اعلم ان السيد المصمم رشيد رضا
قد اعطى اوراق والده الى الاستاذ احمد الشرباصي الذي
يعيد دراسة عن صاحب المنار ، وانه قد وجد في هذه
الاوراق من الرسائل النادرة والمذكرات الهامة ما سيكون
بعيد الاثر عننا يذاع .
وهناك نوع آخر من هذه المشقة ، واجهتني في دراسة

عن كثير من المشقة والمعاناة ، لمن يريد ان يرسم صورة
كاملة او قريبة من الكمال للفكر العربي المعاصر في جوانبه
المختلفة (الادب ، التاريخ ، الاجتماع ، الدين ، السياسة ،
الاقتصاد) فليس هناك فهارس كاملة لهذه الصحف
والمجلات ، وليس من السير ان يراجع الباحث في موضوع
واحد كل هذه الصحف والمجلات .

هذا جانب من تجربة « العمل الادبي » ، اما التجربة
الاخرى فهي في مجال دراسة اعلام الفكر العربي المعاصر ،
فان كتابة التراجم من يحتاج الى حصيلة ضخمة من
الخامات التي تمكن من فهم نفسية الشخصية التي تدرس
اثرها واعمالها . وهناك يضع عشر شخصية في العالم
العربي ما زالت هي التي تستأثر بكتابات الكتاب وقد صدر
عن كل واحد منها كتاب وخمسة عشرة ، مثال جمال الدين
الافغاني ومحمد عبده وقاسم امين وشوقي وجبران ورفاعة
ومي ولطفي السيد وطه حسين والعقاد والمنفلوطي .

اما باقي شخصيات فكرنا العربي المعاصر ، وفيهم من
هو اعرق اثرا ، فان الكتاب يتحاشونها مع تقديرهم لفضلها
واثرها ، اما السبب فهو ان المادة الخام الموجودة عنهم
قليلة ، وذلك حق اذا كانت هذه المادة هي الموجودة في
الكتب المؤلفة ، اما في مجال الدوريات وفي بطون الصحف
والمجلات فان المادة ضخمة وكثيرة ولكنها في حاجة الى
ضئ وجهد في البحث عنها ، وان لدينا - كما قلنا - اكثر
من مائتي شخصية على الاقل ، كتب وتركت آثارها في
مدفونة في بطون الصحف ، وتركت اثارها في مجال الرحلة
او الترجمة او الرسالة او البحث ، غير ان عجزنا عن
العمل المجهد من اجل الحصول على هذه الانار هو الذي
يقف بنا دون العمل .

ولقد نظرت فرايت واحدا مثل احمد زكي باشا الملقب
بشيخ العروبة وله في الصحف اكثر من الف مقال ، خلال
اربعين عاما او اكثر ، منشورة في الاهرام والمؤيد واللواء
والقطم والهلال والمتنطف ، وهو بدون ترجمة شاملة ،
وكذلك عبد العزيز جوايش ، وفريد وجدي ، واحمد
وفيق ، واحمد تيومر ، وحافظ عوض ، والصحفي المعجوز
صاحب هامش الاهرام (توفيق حبيب) الذي كتب هامشا
يوميا لمدة لا تقل عن سبعة اعوام كاملة يوميا ، تضم اكثر
من الفى خاطرة وذكرى وحادث وموقف ، يمكن ان ترسم
من خلالها صورة المجتمع في عصره ، وهناك كذلك عشرات
اخرين جديرين بالدراسة والترجمة واثارهم ما تزال في
بطون الصحف .

واذا كان الكشف عن هذه الانار قد يصبح يسيرا
بالمعانة والعمل الشاق بين اضابير دور الكتب ، وبين
صحف قد علاها التراب ، الذي يدخل في الخياشيم ،
ويقدي العيون ، وبين صحف قد تاكلت اطرافها فان المشقة
الكبرى والمعاناة الضخمة هي في البحث عن « اسرة المترجم
له » فان هذا امر بالغ القسوة ، واستطيع ان اقول ان

لماذا؟

اسائل نفسي اذا ما رأيتك عبر دروب الحياة المبرره
وراحت طيوف الكآبة في نظرات عيونك ... تلك الكسيره
تناشدني ان اعود اليك لاجبي عهود امان نفيصره
واجمع اشتات ما قد تبعثر من ذكريات هناء قصيره ..
لماذا افترقنا ؟!

انحن التقينا وراء الورداء
ورحنا ، وفي مقلتنا حديث
نجدف في لجح عفيف
ونسمو الى الله ، والكائنات
ياحضان جنتنا الزاهره
معانيه علوية ساحره
قرارتها بالمنى زاخره
تبارك رحلتنا الطاهره
انحن التقينا ؟!

هنالك المسح تحت الظلال
واسمع دوما حفيف الفصون
تناشدنا ان نعود لكيما
ونسلمها اغنيات الحنين
مقاعدا لم تزل خاليه
وزقزقة الاطير الشاديه
نشاركها عرسها ثانيه
لاجواء علوية نائيه
نقول باننا وجعنا !

اعامان مرا ولما نزل
وما برحت مقله في انتظار
علام لعمري كرهنا الحياة
علام انتهينا ... علام انطفنا
نميش حياه الشقاء المخيفه
رؤى الفجر خلف الجبال النيفه
فارضى الزمان علينا خريفه
لائي ضعيف ، وانبت ضعيفه
والا لماذا ؟

عبد الرحمن سالم عاليه

عمان

كثيرون .

واني لاذكر كيف التقيت بخليل ثابت وهو على قمة
التسمين ، والشيخ فخر الدين استاذ العقاد وقد فاتني
لقاء الاب سرجيوس وفريد وجدي وغيرهم ، فان لدى
هؤلاء الاعلام علامات الطريق على كثير من الابحاث التي
تمكن من « مسح » الحياه الفكرية في العالم العربي خلال
هذه المرحلة . وحيدا لو نشرت المقابلات مع هؤلاء الاعلام
وحيدا لو امكن الانتفاع بمذكراتهم ورسائلهم او رسائل
الادباء اليهم .

وبعد فان تجربة العمل الادبي باللغة الاهمية ، كثيرة
المشقة ، ولكنها تحقق اخيرا تقديم موسوعة لمعالم الادب
العربي في العصر الحديث .

انور الجندي

القاهرة

احمد زكي باشا فقد كنت اعرف ان له اثارا وملفات
وقصاصات وغرفة كاملة لاثاره عند احد معارفه ، فلما
قصده في ذلك ، ابدى قبولا وراوغ وظللت اتردد عليه
لثلاثة اعوام آملا في ان استكمل صورة الرجل من خلال
بعض كتاباته او خطاباته او مذكراته ، والرجل يراوغني
على نحو عجيب ، حتى صدر كتابي ، فاقصص بي معتدرا
باعدار واهية .

وهناك جانب آخر على الباحثين موالاة الاهتمام به ،
وهو الالتقاء بالاعلام الاحياء الذين عمروا وما زالوا يعيشون
فان لديهم الكثير مما ينفع في هذه الدراسات وما تزال
في شرقنا العربي اسماء لامعة حية اطلال الله بقاءها ،
شهدت السنوات الاولى لهذا القرن وعرفت الكثير ، ومن
هؤلاء السيد احسان الجابري ، ومحج الدين الخطيب ،
ومصطفى الشهابي ، وحسن حسني عبد الوهاب ، وعشرات

جناح من الارز

يا جناحا ما لدنياه فضاء
وعلى الإحقان ترجيع السناء
يحصد الوحي اذا المجهول ضاء
جمع الشلال في عرق الصفاء
وتسامى الحب عمرا من غناء
فتملته عيون الأبرياء
من بنات النور في عيد البهاء
مادت الأجيال بالفر امتلاء
شك في الكون ليحيا ما يشاء
فيهما من نجمة الصبح اهتداء
بجناح الشوق لليليا ارتقاء
ان في الاصداء نار الانقياء
جاء يفزو الدر من شط الوفاء
دفقة حبلى بانهار العطاء
ويومئ الزهر في صيف الشقاء
قودة السم بمعسول السواء
عمد الإلهام بالنار انتشاء
اي كاس ، ما تروت بالدماء
سكر الدايح والحب افتداء
حلته لطوى القلب السماء
عاد للعين بمخمور الهناء
ماج افق في اراجيح الضياء

* * *

في جفون الصبح ، كم فجر مساء
ورحلتنا ، فلكننا طين وماء
ولطيفات على اللقيا وضاء
فله بعث متى هب الفناء
كوكب هاد ، وكم من حكماء
في صحارى الشر ما هلت سخاء
متحفا للمقم في ازهى رداء
هو للنار حلال ، يا شتاء

* * *

يا جنود الارز جاذبت العلاء
دحرج الموت واحيا الشهداء
عمره ملحمة ، عمر البقاء

موسى الملوغ

امن الارز سلالت الكبرياء
ربشة منه على اهدابنا ،
غاية الانوار في آفاقها
صخب الاكوان ام فيض رؤى
بشرت اغرودة قيثارها ،
جبل الكوكب في ليل الهوى
ولدته للعلى حورية
وبراه جبل في صدره
هو سهم من صباح ساطع
مقلته كوكبا مجد صفا
فاذا الجفن تهاوى شده
سل ضلوع الشرق عن اصدائه ،
بوجه يسطو على الموج الذي
جسد الفردوس في احلامه
آدم يقتات من اشواكه ،
هل لحواء ، باهراء اللظى ،
طلسم الشوق ، اذا أحرقت
فرماد النشوة البكر دم
ذبحت جنينة في هيكـل
رب جوع خـبـزه تقدمـة
لك منه سرخة الحـلم الذي
جمر الانفس بالحب فكم

لا تقل : اسطورة ان تلتقي
نحن زرنا في الدجى ابراجنا
نذرتنا للمذارى ازهر
عمرنا كرم جنته انفس ،
سره كالارض كم جاس بها
سرحت آياتهم لكنهما
هي اجراس لارواح سرت
كل غصن طلقته خضرة

غارت الذكرى وما غاب الشذا
رب شعر نظم الخلد به
عندنا نيسان من ابياته ،

سليمان الفاروقي - فايو عبتاوي

بقلم البدوي المثلث

١ - الشيخ سليمان التاجي الفاروقي

وفي العهد التركي نفي هذا الشيخ النابغة الى الاناضول لحاقا بشقيقه الاستاذ شكري التاجي الفاروقي الذي نفاه جمال السفاح الى قونيه في اقامي الاناضول لمشادة عنيفة جرت بينهما حول تموين الجيش التركي بالقمع الموجود لدى الفلسطينيين العرب ، لكن الاستاذ شكري عارض الاستيلاء على المحصول الزراعي لحاجة الفقير الى الرغيف في تلك الحرب الضروس .

وبعد وقوع النكبة الفلسطينية هاجر الشيخ سليمان مع افراد أسرته الى الاردن فاستوطن اولاً بلدة صويلح ومنها قصد مدينة الزرقاء وبعد ان اقام طويلاً فيها استقر في اريحا .

وفي العام الثاني من النكبة اصدر الشيخ في عمان « الجامعة الاسلامية » وصدر العدد الاول منها في ١٥ آذار ١٩٤٩ ، لكن معالجته اسباب النكبة وبواعثها ووضع النقاط على الحروف والصراحة التي عالج بها القضية الفلسطينية حملت المسؤولين على التبرم منه فاغلقوا الجريدة وعينوا الشيخ الفاروقي (عينا) في مجلس الاعيان وذلك في اليوم الاول من ايلول عام ١٩٥١ ، لكنه لم يبق فيه طويلاً فعزله ذوو الشان جزاء جرأته في قول الحق .

والرأداء شديد انتاب الشيخ الفاروقي في اريحا عام ١٩٥٨ دخل المستشفى الفرنسي بالقدس ، لكنه لم يقو على مقارعة المرض ففاضت روحه ودفن في مقبرة باب الرحمة شرق باب الاسود بيت القدس .

كان الشيخ (١) التاجي وعاء العلم والفضل ، ومثال النضال والضحية في سبيل عروبه واسلاميته ، وثروة الشيخ من هذا عند ربه ثروة واسعة ، فلقد لقي ربه عربياً مسلماً مؤمناً مجاهداً ، عاهد ووفى بما عاهد عليه ، وصبر صبر الاوائل الذين عرفهم الصدر الاول ، واحسب انه كان في اخريات ايامه هو بينه وبين ربه في ليله ونهاره ، اكثر مما كان بينه وبين الناس !

وللشيخ فضل على الامة في جميع مراحل جهادها ، منذ العهد العثماني حتى اليوم ، وهو من المجلين السابقين في هذا المضمار ، وهو عنوان صيحة الحق اذ وقف عليه وادبه وشعره وقلبه على خدمة العرب .

نماذج من شعره : تميز الشيخ سليمان بقوة عارضة وارتجال الخطب والشعر الفحل ، وله في هذا الباب قصائد نارية قل ان تجد لها صنوا في شعرنا السياسي المعاصر ، لكننا فقدت بسبب النكبة الفلسطينية وقلت الى العلج الصهيوني مع ما آل اليه من خيرات فلسطين وكثورتها .

وقبيل الحرب الكبرى ارسل الشيخ التاجي ، وهو

ولد في الرملة البيضاء بفلسطين عام ١٨٨٢ وتحدث من أسرة عربية عريقة في نسبها وتلقى دروسه الابتدائية على الشيخ يوسف الخيري وقد بصره وهو في التاسعة من عمره وحفظ القرآن الكريم قبل السنة العاشرة مع علم النحو على الشيخ البسومي الكبير ، ثم ارسله والده الى القاهرة للدراسة في الازهر الشريف برفقة خادم امين للناية به . ولغط ذكائه لفت نظر الامام الشيخ محمد عبده ، وكانت سنة حوالي الثانية عشرة ، فاعجب به ومحضه اهتمامه وعنايته ، وعين مكانه بجانبه واتخذته المتكلم باسمه في شروح الدروس لطلاب العلم .

وامضى (معري فلسطين) في الازهر الشريف تسع سنوات حيث استوعب ما كان يرغب في توارثه من العلوم الفقهية واللغوية والتاريخية وغيرها ، وعاد الى فلسطين ومنها الى الاسكندرية ملتحقاً بكبريات مدارسها وهناك اتقن في برهة وجيزة التركية والفرنسية والانكليزية . وكان يقوم بتفسير القرآن الكريم في جامع ايا صوفيا الشهير وبدأ آية في الابداع والجمال والسلاسة .

وتميز الشيخ الفاروقي بخطبه الارتجالية ونظمه القصائد ارتجالاً في كثير من الحالات . وعاد الشيخ الالمى من استانبول الى فلسطين متسلحاً بشهادة في الحقوق وزاول المحاماة مدافعاً عن الحق والمظلوم واليتيم . ومن النوادر التي يذكرها معاصروه انه وقف يوماً ليدافع عن قضية وطنية امام قاضي بريطاني ولما صدر الحكم ضد المصلحة القومية اتى الشيخ عصاه ارضاً وراح يتلمسها بيديه في قاعة المحكمة، وهنا سأل القاضي عما يقتض فقال الفاروقي:

« افتش عن العدالة ! »

وعندما استشرى السرطان الصهيوني في فلسطين وايقظان الهدف الذي ترمي اليه بريطانيا هو تهديد فلسطين اصدر جريدة يومية كبرى باسم « الجامعة الاسلامية » وقد صدر العدد الاول منها في ١٦ تموز ١٩٣٢ وكان يرسل ٧٠ في المئة من اعدادها الى الاقطار العربية والاسلامية ، لكن بريطانيا شاعت ذرعاً بهذا الشيخ الجريء وبالساسة التي انتهجها لجريده ، فعمدت الى تعطيلها والقاء الترخيص بها .

(١) من رسالة مؤرخة في ٢ - ٦ - ١٩٥٨ بعث بها الاستاذ مجاج نوبس الى الاستاذ شكري التاجي الفاروقي (نزيل القاهرة) وشقيق الشيخ سليمان التاجي .

نزول الاستانة ، صحبة فاروقية تزيد على السبعين بيتا
خاطب بها السلطان محمد رشاد بعد توليه العرش وعلان
الدستور وغمطه حقاً أبلغ يتنكره للعرب وعدم ادخال أحد
منهم في الوزارة التي تم تأليفها قبيل الحرب العامة ،
وهاك بعضاً منها :

العرب لا شئت في عهدك العرب
سجاء دولتك الفرس ومظلمها
هم الجبال فما حلتهم حملوا
هم الخفاف متى تدعو وأقم لو
كريمة أربحيات نفوسهم
ما ان يغف بهم فوز ولا بطر
سادوا فلم ينتج انسان دولتهم
كانت ريماء في الايام دولتهم
وكل فصل اتى فالعرب مصدرة
كنا نلعل بالستور انفسنا
حتى اذا جاء لم يحدث لنا حدثا
هذي الوزارات كم من مرة نشأت

لسانهم اخلق الافعال جدله
تعثت اللهجة المعجماء فيه الى
استدنان به والدين جاء به
بضع وعشرون مليوناً لهم لغة
وصفوة القول ان العرب قد حملوا
اغيد دولتك العليا واستمسكها
وان يشيروا حيليات النفوس فان
خير الممالك يا مولاي مملكة
والشعب لا يتغنى قسراً مودته
سياسة العنف لا تجدي وان نعت
وانت تحكم في قوم ذوي ميز
فاستوس بالكل خيرا واراع لمتهم
والعرب اكرم شعب انت تحكمه
ومن شعره قصيدة قبلت استغزازا لنواب العرب ، وقد
نشرت في جريدة « المفيد » - لسان الامة العربية مخاطب
ابنائها - وبترتيب « يدوي فلسطين » ومطلعها :

ييمس نواصيكم غدت الاناميا
بلى انهلوا واحبوا حياة عزيزة
بعد ان يحدثنا عن امجاد العرب يلتفت لآلية الى
النواب فيقول :

لا نهضة شرقية عربية
وتفسي كل امتياز واليرة
لا رجلا ذا ميرة فيلمكسهم
يقوم فلا يرتد او يبلغ التي
وفي عام ١٩١٢ عقد في مدينة (بال) بوسره مؤتمر
صهيوني شهير فنظم الشيخ الفاروقي تخميسا حذر به
العرب من اطماع الصهيونية المالية بفلسطين وشقيقتها
العربية وكان صريحا في الصراحة في قوله :

ايها الشعب نهضة وبسدارا
ايها الشعب اوسود احتقارا
هب يا شعب واصلمك منك ناراً
وار القوم نهضة عريسة

قم قياما يا شعب لا تسوان
ان هذا السكوت اصل بلانا
ان هذا النوى وذالك الكيانا
هناك تلك المصاعب الوحشية

غرم صيرنا عليهم زمنا
حاولوا علينا البلاد امتنانا
فاذا لم نمت ولم تنفان
سليونا والله تلك البقية

نمت يا شعب واستطبت النام
ورضيت الحياة ذلاً وذاماً
رحم الله في التراب عظامنا
عش من ما عش وارتنح كراما
انراها هانت على الذرية ؟

يا بلادي عدت عليك الصوادي
بت نهب الردى وسلب الاعادي
يا بلادي الا اسلمي يا بلادي
لك روحي ومهجتي وفؤادي
حبذا لو لقيت فيك المنية !

يا فلسطين هذا المظالم
وبع قومي اليس فيهم رجال ؟
يا فلسطين اعدائنا واستطالوا
رواوتنا نفوس الجفون فصالوا
واستأنسوا بنا وبأوطانهم !

يا فلسطين غشك الانباء
يا فلسطين ثم فيك البقاء
اترى الارض اعقمت والسما
ام لماذا لا تثبت العظماء ؟
رب رحماك بالبلاد الشقية !

٢ - فايق فريد عنتاوي

ولد في مدينة السلط بالاردن عام ١٨٩٦ واثم دراسته
الابتدائية وجزءاً من الثانوية في نابلس بفلسطين وانهى
دراسته الثانوية في سلطاني بيروت ودخل كلية الطب في
الجامعة الاميركية ببيروت لكنه لم يكمل دراسته الطبية
بسبب تضييقه الاجباري في الجيش التركي وتعيينه ضابطاً .
وبعد توالى الحكم التركي من سوريبة الطبيعية وبعض
اجزاء العالم العربي دخلت فلسطين تحت الحكم البريطاني
فصاروا يسمونها فلسطين الانتدابية واليهود بالوطن القومي
وانشأه في فلسطين فكان فائق في طليعة من قاوموا
الاحتلال البريطاني والصهيونية السائرة في ركابه فتفاه
الانكليز الى مصر حيث عاش في احد المعتقلات عامين
(١٩١٨ - ١٩٢٠) بعد ان عفى عنه عاد الى فلسطين
وزاول التجارة مع والده .

لكن تهويد وطنه الغالي على قلب كل عربي حر ظل شغله
الشاغل فأسهم في الحركة الوطنية منذ تشكيل « الجمعية
الاسلامية المسيحية » في نابلس واللجنة القومية فيها .

واستهدف مع المرحوم والده لاضهاد السلطات
البريطانية والتهديد بالقتل واشهار السلاح عليهما ونسف
منزلهما لتغذيتهما الثورة الفلسطينية ولما ساعدتهما الشوار
وابائهما ودفعهم للمضي في حلبة الجهاد .

وفي اعقاب عام ١٩٣٨ اعتقل البريطانيون فائقاً ووالده
واودعواهم معتقل المزرعة بالقرب من عكا ولينا في المعتقل
١٨ شهراً ثم نفى فائق لعمان عاصمة الاردن ونفى والده
الى لبنان .

وفي مطلع الحرب العالمية الثانية (في اليوم الاول من
أيلول ١٩٣٩) عاد فائق من المنفى الى نابلس وانبرى للكتابة
في الصحف والخطابة في الاندية والجمعيات ، مندداً

بالظلم البريطاني والظلم الصهيوني إيماناً منه بأن بريطانيا أصل الداء ورأس البلاء .

وبعد أن أعلن قرار تقسيم فلسطين في هيئة الأمم المتحدة بـ ٢٩ - ١١ (١٩٤٧) تألفت اللجان القومية في المدن الفلسطينية فكان فائق عضواً بارزاً في اللجنة القومية بنابلس وطاف ، مع وفد من أعضاء هذه اللجنة ، بمصر وسورية ولبنان لدعوة حكوماتها إلى تقدير الموقف في فلسطين ودعم المقاومة العربية وتزويدها بالسلاح والعتاد .

وبالرغم من حلول النكبة وتشرد عرب فلسطين لم ييأس بل ظل ينادي برباب الصدع وتوحيد الهدف لاسترداد الوطن المفقود ، والشريف المفلوب . وفي عام ١٩٥٦ خاض المعركة الانتخابية في الاردن ففاز بالنيابة عن لواء نابلس وظل فيها إلى حين وفاته .

وخلال نيابته تميز التقيد بدعوته إلى قيام اتحاد فيدرالي يضم مصر وسورية والاردن ، إيماناً منه بأن العرب لم يأخذوا مكانهم تحت الشمس ما لم يتحدوا ويصبحوا دولة واحدة تعيد رباً واحداً وتهدف هدفاً واحداً .

وفي شهر شباط من عام ١٩٥٨ اعتقل فائق وأودع سجن معان وبعد أن عفى عنه عاد إلى نابلس وتوفي ليلة ٢٤ - ٢٥ تشرين الثاني ١٩٦٠ ودفن في مهدي أجداده .

نماذج من شعره : قرض فائق الشعر بصورة متقطعة قبل وقوع النكبة غير أن قريحته تفجرت بعد النكبة عن طاقة هائلة من الشعر القومي . وظل يصور مأساة فلسطين شعراً إلى أن لحق بربه .

وكثيراً ما عمد إلى شعر التورية والرمز بلسان (الببل) تارة ولسان (عيلة) و (سماد) و (ليلي) و (قيس) تارة أخرى ، ودونك نماذج من شعره القومي الرقيق بعد وقوع النكبة :

أنا وببلي في سفينة

أنا :

سارت بنا وسط البحار سفينة الكسل منا سابح في لهوه ما كنت تسمع أو ترى في ظهرها وضائق كاس في أمان غداة لم تلق منا غير ملتحم الغصو الكل يرتع عابثاً وجميههم تمشي السفينة فوق بحر تائر من تحتها موج تحركه الربا صرخت نذيراً خلته في اعلى احسنت في جنبي رعدة واجف

الببل :

هلا صحت من الكؤوس وفعلها ؟ هلا صحت من الليالي الزاهية ؟ لم اد طم التوم مذ فارقتني أين الرقاد وكلنا في الهاوية ؟ عصفت رياح التارات دمردت برج السفينة فوفلها والارابه ! والركب مخمور يميل مع الهوى يخاف من جرف الهوى من عاديه ؟

أنا :

لم انت تضحى ان تعيد بك الدنيا ؟ لا تضحى من عصف الرياح الطاقية فالقوت آت لا تخف مما بدا لا تبشش ان الزوارق آتية ! افلا ترى شبح الفيت مسارعاً لا تضحى عاصفة طقت ماذا هيه

الببل :

اني اخاف من البحار وغدرها ومن الفيت وكيد و بالتاليه من ذا الذي يخش ؟ اليس محاذراً لم يلق من واع يكس او واعي

أنا :

هذي السفينة قد مفست مقطورة هذي السفينة قد مفست مقطورة لم انت في فزع يصارك الاسى فاخذت تهجى في امور واهيه

الببل :

بعدت مائل نلرنا يا صاحبي بعدت مائل نلرنا يا صاحبي اين الصير ادد نلادى زورق هلك الادلى ركلوا لنجدة غيرهم عودوا بنا ان الرياح معاديه

أنا :

يا ببلي كم آنت بلسم جرحنا كم آنت تعلم جهنم والخافيه ان كنت اخشى ان ابث سروري فاجهر بها هي صرخة بي داويه

أنا وببلي

أنا :

انا والطير كوخنا في مقاور انشا من الهوى تحاكسى وينسى اذا رانسي بوكوسي لا نلنى بوخشى من اسامر !

الببل :

انس متى ولا تكن بعن حزن انس متى ولا تكن بعن حزن انقلته جراحنا والجنازدر اغبر اللون ، لحنه لحن ساهر

الببل :

كيف البلى وفيه قيد بات ذئب كيف البلى وفيه قيد بات ذئب انا اسلو بجرعة كل هم انا اسلو بجرعة كل هم

الببل :

كيف اسلو وطيفه في فؤادي ؟ كيف ينسى دياره من بهاجر ؟ اينما عشت موطن لي فيه لا ابالي بما غدا نهب غادر

الببل :

فلنعدها بنائنا ونظفصر كيف نرعى بدليها خبز (١) ماكر ابخمر حياتنا وبكبر ؟ ابهدا صروحنا والمفاخر ؟ فليكن عهد شعبنا عهد ثار وليكن لحن شدوننا لحن تار ؟ ودعوا الكاس ان فيه شرابا حذرنا بعلقه فلنحاذر ؟ ودعوا الخبز ان فيه هلاكاً من افاع سمومها صنع ساهر ؟ ودعوا التوم وانتقصوا سيف عرب كان يوسا بوعدة سيف قاهر ؟

أنا :

ببلي انت في الدجى فجر بعث وببعت الباساء كم انت ماهر ؟ فكلم فان في الفم مساء ببلي كم بجرحتنا أنت شاعر ؟

الشقيقات الثلاث

عيله :

لم يا (سماد) اصبت فينا مقتلا وبلادنا في حربها المترافيه ؟

(١) اشارة الى المؤن الهزيلة التي تقدمها وكالة الاذاعة للاجئين الفلسطينيين .

انا والوهم

تحتاج عيني دمعاً مهادنة
لا ان تجف ويستحضر ضرامها
يا ليتني «ألبودي» يحرق باسمها
اذ قد عدته من الدني اوهامها
لكنتي والوهم فرعا دوحه
ما نال غير عنائه جرامها

علي الناصر

حلب

فجعلت ما بين الاشقا من جفا
او لست كبرانا وفيك رجاؤنا
مها (سعاد) تناولي بالرق جافيه
لم لا نحكم بيننا في خلقنا
سعاد :

يا (عيل) افديك ههذي فريسة
ان تعلمي اني لك الكبرى فلم
انت التي لم تدخل في جحنا
من ذا الذي رفض الاخوة واقفا
فلعلها تجد السبيل الشافيه
يا (عيل) احكي ما بيننا في امرنا
ليلى :

اختي اني من نزاع احبتي
ان كنتما من اجل (ليلى) حركيم
ان انكسي ان تنقذوني اولا
من ذا يفيد من المارد بيننا
ويشير بالسيف اللطخ حده
ويقول للعرب المفرق جهمهم :
هذه الديار لمن تشئت شملهم
اختي ما هذي سبيل خلاصنا
هذي تسب وذي نرد وهكدا
هذا نذير كل يوم صارخ
او لم تكن بالاس صرى فرقة ؟
من تمكنا تبدي التسامح اولا
يا (عيلة) هذي (سعاد) شقيقة
اني حكمت بما علمت وشرعتي

ابن الرجال العاملون لوحدة
اني احبب بهم بكل مقدس
التصر بين يديكو عند القفا

صرخة المريض العربي

يا آسي العرب هل فتشت عن الي
فهل سمعت ضلوعي وهي نائرة
وهل سمعت خلوق القلب مضطرا
اني لغوت ابيت الليل في ارق
وهل تبينت مني موضع الالم ؟
تعلو وتهبط من كبت ومن غرم ؟
وهل كتبت كمين للنفس من شمم ؟
احد التجم عن يؤسي وعن تقمي

اني اكابد ما لو قلت عنه اذي
لما شكوت مصابي خلتي تملأ
اني ساصرخ ملء الصوت عن محني
اني لاخشي اذا ما بحث عن عني
انا الجريح فلا خوف يساورني
انت الطبيب ودائي منك في كبدي

مسح فلسطين

قلت : يا (يليلي) مهلا
لا تقولني : طال ليلى
لا تقولني : اين اهلي
لا تقولني : اين انتم ؟
رسم الصرب خطوطا
لا تشككي في مقالسي
لست اتسنى حب (ليلى)
ستعودين فلسطين
(فيس) دعني من خيال
قد كفرت اليوم بالصو
ان نودو الفجر نار
لا تلقني ان شكوت الليل
قد سمعتم عن جراحا
ان يفتدي من حديد
(فيس) صبرا لا تلمني
ليلى « اسرائيل » خصمي
اين عهد بالاقلاص
اين حيفا ؟ اين يافا ؟
« رمله » اين « الد » ؟
ان زحلت الخصم يباد

بعض روج النكة يسى شاعرنا من عودة الشعب المغلوب
الى الوطن المصوب فارسل شعرا يفيض بالاسى والتشاؤم
وكان آخر ما نظم قوله :

ولى شبابي وانحلت كتابته
رايانه البيض تلونني مسلمة
تصدع القلب والكان قد رحلوا
ورجت ارقب رية القيد في الم
اني لاذت عهدا كنت فيه فتسى
وغارب الودود يحكي من اتامله
فاظهر منتشر والخضر متجم
واليوم اشعر ان الامر متكم
اذا ذكرت شبابي خلتي تملأ
بروح التمس من طيف غائبة
ليت الشباب يعود اليوم بذكرتي
كم ذا يؤزني ان رحت اذكره
يا دهر حبيك فاراق اني تعب
فهل ذكرت شبابي يوم غزوته
وهل رايت شرود العين نالهته
لا تحسن حديثي عن محاولة
استنقذ الله من ذنب ومعصية
اني وهبت فؤادي امتي ففدت

عمان - الاردن

البديوي الملم

المرء يجد الراحة والسرور في مكان الخلاص السيد فرنسيس، وهو دكان فخم في أحد الشوارع الرئيسية في وارسو. ولكن الدكان لم يعد الآن موجوداً. لقد اختفت في هذه الأيام في وارسو الأماكن التي كان المرء يجد فيها الراحة والسرور حقاً. وقد قامت مكانها أماكن أخرى لطيفة منها، ولكن لناس آخرين. إن دكان السيد فرنسيس لم يكن يعد دكان خلّاق، ولو كان تكن على الباب تلك السلسلة النحاسية الصفراء لم يخطر ببال أحد أن هذا مكان لمشي الشعر، والحلاقة، وسحب الدم، وخلع الأسنان، واستخدام الطلق لص الدم، بل لعل أول ما يتبادر إلى الذهن أن هذا مكان تربية الحيوانات، أو محل لبيع الطيور، أو متحف للتاريخ الطبيعي.

ولم تكن الواجهة الزجاجية على الشارع لتخلو من الفضوليين المتجشعين عندما، والذين كانوا ينظرون إلى الآلية المملأ بالطق والصفاء الخضراء، والسلاسل الصغيرة التي تزحف في التحف، والسحالي في علب زجاجية، والفتران البيض، والحشرات غير المألوفة.

وكان أهم ما يسلي المتفرجين دمية سنجاب بدور مع طاحون هواء، وواجه مصنوع من الورق المجون كان يخفي في كوخ، مصنوع كذا من الورق المجون، حينما يكون الطقس سيئاً.

كان باب الدكان مفتوحاً طوال النهار. وكان جميع الذين يأتون من السوق ويمرون من أمام الدكان يفلتو لحظة، ولو لحية صاحب الدكان فقط، ويقولوا له: «نهارك سعيد يا سيد فرنسيس»!

كيف حالك يا فرنسيس؟
- وجهك اليوم يا فرنسيس يبعج النفس..
- كيف صحتك يا صديقي العزيز؟
هذه العبارات التي كانت تسمع هناك. وكان السيد فرنسيس يبيع مفتاحاً دون أن يكف عن تجليخ الموصي، أو أرغاف الصابون، أو حلاقة ذفن الزئبوع.

- صباح النور يا سيدي المستشار..
- يسرني أن أدرك أيتها الشاب..
- أه! أه! طعمتك جميلة يا غريت..
- صحتي؟! اليوم فوق الأرض ولداً تحتها.
هذه العبارات كان يجيب بها مصحوبة بأصوات الطيور الصاخبة، فلقد كانت هناك افصاص عديدة معلقة على جوانب الدكان الكبير، وكانت الكارات، والشحارير، وأنواع أخرى من الطيور المفردة تصعد بأعلى أصواتها. وعلى الأرض يهدل وينقر زوج حمام ذو شكل غريب ولون لا يوصف. ومن حين

إلى آخر كان يبيع زوج الحمام أو يستبدل به طيوراً أخرى. غير أن المقام الأول في حديقة السيد تلك كان لبغاة عجوز يكاد رشها بسقط كله، ويرجع عندها إلى الثورة الأخيرة (١).

كان السيد فرنسيس يتحدث عنها فيقول: «هذه رفيقتي، لقد اختبأنا معاً، وجئنا معاً، وفرحنا معاً... والان نعمل معاً. كان تلك البغاة العجوز اسم غريب. كان اسمها «حكومة»، وكان الأجانب حينهم يسمون ذلك الاسم بـ «الوهم وبشادون»:
- حكومة؟ أي حكومة؟ حكومة من؟
فكان السيد فرنسيس ينتحي بهم جانباً ويهيمس في أذنيه بقايع واضحة مشددة:
- حكومتنا - الوطنية!
- أه! أه!
كانا يتهاهما بالعين، فكان المتحدثون معهما يفسحون على السيد فرنسيس وبغياته العجوز.



للكاتب البولندي فيكتور غوموليكسكي
ترجمها عن الإيطالية: عيسى التاعوري



كانت البغاة جادة دائماً وغامضة، تبدو الكآبة والوجود على وجهها. ولم تكن تسمح بالاقتراب من فقصها لغير صاحبها، أما الآخرون فكانت تهدم بمناقرها، تتقنص صانعة في وجوههم كمحور شيطان سليف. كانت تخاف كثيراً من اللابس العسكرية، فإذا ما دخل إلى الدكان سيد يرتدي بدلة عليها أزرار لامة، كانت «حكومة» تقفز إلى فوق، وتلدي في قرنة القفص مخفية مناقرها تحت جناحيها، وتتش رشها مرعشة. ولم تكن تعود إلى مكانها إلا بعد خروج لابس البدلة العسكرية.

في أحد الأيام كانت البغاة تثرثر على غير عادتها. ويقول السيد فرنسيس وهو يتحدث باعجاب عن بغيانه المحبة أنها في ذلك اليوم

«لم تلتقي مناقرها من الصباح إلى المساء». وفي مرة أخرى قال الحلاق: البغوات الآخري لا تفهم ما نقول. أما بغياتي نفهم كل شيء، ولا يقتصر فهمها على ما نقوله هي وحدها، بل يفهمها أيضاً إلى ما يقوله الآخرون. فليطقت أظني من مكانها إذا كنت أكسب!..

وكان هذا صحيحاً. كان تلك البغاة حكيمة، وقد سمعها خادم كتية الأياد الإلستيين، وهو صديق للسيد فرنسيس، مراراً متعددة في حالة النتيجة على الشكل التالي:

«في أحد الأيام... وإنت تعرف متى كان ذلك اليوم...! حين اعتقلوني وحملوني من هنا، رجوت السجائين أن يتركوا لي «حكومة». فرق لي الشرطي الأكبر سناً، ووافق على طلي. وهكذا كانت البغاة رفيقتي في غرفة السجن إلى سيبيريا. لقد مسوا بنا بعيداً، وكان البرد رهيباً والسامة أشد رهبة. لم يكن في وسعي أن أبادل كلمة واحداً مع أي إنسان. وعندك فكرت: قد اتجج وقد لا اتجج، ولكنني ساحول. يقال إن البغوات تعلم الكلام، فلاولاً مع بغياتي. فحاولت وألححت. في البداية كانت التمايرن عسيرة جداً. كانت البغاة تطلق عنيها وتدير رأسها، ولا تفهم شيئاً، ولكنها فهمت حين شرحت لها ما أريد وكزت الشرح جيداً. وبعد ذلك لم أعد أحس بألم، لقد كان لدي صديق افتح له قلبي، وأتق به، وابنه هومي. كانت البغاة تصفي السي باهتمام، وتبادلني المسودة، وتعتجب، وأحياناً تصرخ صرخاً مرعاً كأنها تفصح، وأحياناً تنتفض وتتش رشها كأنها تريد أن تقول: «أه! يا أولاد الكلاب! فلتنوتوا قتلاً بالرصاص!»

واخذ الطائي يتعلم الردي على شيئاً فشيئاً، كان يقول الفاظ قليلة ولكنها صحيحة دائماً. حقاً لقد كان لي تربية عظيمة. ليالي طويلة من الشتاء لم يكن عندي سوى الشاي والروم، وأحياناً الروم صرخاً مرعاً كأنها تفصح، وكذلك البغاة لا تسلي بالحديث معاً. وفي الخارج كان الصقيع، والتلج، وعواء اللئاب والقطط البرية. وليس من حولنا غير الرقعة المألوفة البغاة اللامتناحية، ونحن الكيتيين، الموزلين من الدنيا في القرقة الباردة إلى جانب النار تثرثر وتترسرس ولا نشعب لثرة. لقد كنا نتحدث عن كل شيء.

(١) يشير الكاتب إلى الثورة البولندية عام ١٨٦٣ - ١٨٦٤. تاريخ إعلان الدستور للشعب البولندي.



عن وارسو ، عن الوطن ، عن الاخوة الثائرين ،
والاخوة المسجونين . كنا نتحدث كما يتحدث
صديق الى صديقه ، كما يتحدث اليك الان .
قد لا تصدقني ! ان فلصيني ال ... »

يفقد مرحه وصونه شيئا فشيئا . في بادئ الامر كان يتكلم نادرا ، ثم خرس نهائيا .

كنت فيها تستدعي على صديري ، ولولا ذلك
 لتجدت من الصفيح ... انكر حين
 طلع الكاهن الروسي انك ذاكر كبير ،
 كيف تجمع اناس ملتفون بالجلود حول كوخنا
 قبل بردوا «الشتاء» معهم ، ولولا انني
 اطلقت بضع فطقات لا تركوكم حيا الى الان ؟
 وهل تذكر كيف انك طررت يوما ، دون ان
 احس بك ، وضعتني على بعيدا ، وبشعنا سرب
 الجسر الى قيد اذا بك تعود ومعك سرب
 من الطيور ، دخلت جمعك ام الى الكوخ ...
 انكر هذا ؟ استيقظ اذن ، يا صديقي ،
 وخابض صديقتك ما تعرف ان تتكلم ، وكما
 كنت تتكلم من قبل .. برفقتنا نحن ، بطريقة
 التآثرين البولنديين ..

دمعة على بطل

في نيسان ١٩٤٨ استشهد البطل عبد القادر الحسيني في معركة القسطل ، وهو يكافح ضد الصهيونية المعتدية على الارض العربية فلسطين .. وهذه القصيدة ذكرى للفاثلين ، ومهداة لروح الشهيد :

قبول الرزايا ، واحتمال الاذى يردي
حياتك محمولا على النذل والاذى
وحرمك في الدنيا على العيش ضلة
فان انت امضيت الحياة مقيدا
وان انت امضيت الحياة مجاهدا
حري على الايام ان تحمد السرى
فما الموت للإبطال في كل امة

فلهب بني الفصحى ، على خير قائد
لقد كان للأعداء سهما مسددا
رمته يد الاوغاد بالموت غيلة
فاصح .. لا حصن يقيه من الردى
لان ذاق طعم الموت من كف حائق
فكم جندل الباغي على حك الشرى
واصلاهمو نارا قريب حمامها

فيا مفتدي الاوطان بالنفس يا قفيا
ففي الخلد تلقى ما وعدت وتلقى
هناك توفي احمر ما قد بذلته
ستنسئ بها جور الحياة وظلمها
فراديس قد شاع الظلام باهلها
ترى كل ما فيها جميلا مقدسا
عوالم قد صيفت من الظهر والسنى
تود من النماء لو عدت كرة

فيا مفتدي الاوطان والاهل انسى
كانى من الاحزان اذ قمت رائيا
ترعنى الآهات مما احسسه
اجيل كليل الطرف حولي فلا ارى
فارتد لا نفس من الياس حرة
فبيحك قلبي من اسى الوجد قليلا
ولست من القربى ولكن لاننى
فمثلك من يرئى مدى العمر حسرة
ومثلك من يبكى دماعا وادمعا
تجردت تهدي الروح طوعا وغيرة
فهم في رحاب الخلد تحدد لنا السنى

محبك رغم الياس ، والسحب الربد
على فلك داجي الجوانب مسود
وتنتابني الاشجان من سورة الوجد
سوى التيه ، والاهوام ، والظلل المكدي
ولا القلب من هذا الظلام بمستهدي
تذيل عليك العين دمعا على الخد
من العرب الاحرار في القرب والبعد
فانت جدير بالخلود وبالمجد
فقد كنت صمصاما تجرد من غمد
وغيرك يهدى الزيف في الزمن الوجد
وتشعل درب المجد .. يا انبل الجند

مقبل العيسى

جدة



يوسف عبد المسيح ثروة

البركان الثائر

بقلم يوسف عبد المسيح ثروة

أوغست سترندبرغ (١٨٤٩ - ١٩١٢) كاتب سويدي ، علق بالمسرح منذ حداثة سنه ، فتنمى عليه ، واضطلع به من دون خلق الله صاحباً وخبديناً وخلفاً . حتى امتزجت الدراما ، وهي روح المسرح ، بروحه ، وقد أوجد هذا الانسجام بين الفنى والمرح مناخاً مناسجاً بينفينا هذا وملاذاً يركن اليه ، ومنفذاً لطاقته الجبارة ، طاقة الإبداع واجتراح المعجزات فى هذا الحقل الحيوي من حقول الادب ، الذي كان منذ نشأته على أيدي أسخيلوس وصوفوكليس ويوربيلز ، وإلى الوقت الراهن ، يتلقف بذور العبقرية فيحتضنها حادياً لتنبئ نباتاً طيباً يزدهى به الوجدان ، وتسمو بشماره النفوس ، وتنبع بازدهاره الأرواح .

ولد الطفل أوغست لابن ارستقراطي اشتغل فى وكالة إحدى شركات الملاحة ، وأم كانت تخدم عند أبيه ، ولدت له ثلاثة أولاد قبل زواجه منها ، فجاء إلى الوجود ، فى جو مضطرب عاصف ، وعلى أرض متزائلة تحت اقدام الاسرة . الأم إنسانة تافهة ، من عامة الناس ، ببذعة من البيادق ، والاب من أرومة عريقة الحب والنسب ، فلا يغفل أن يرتفع الدون بعقد الزواج ، ولا يعقل أن يهبط الرفيع بمثل هذا العقد ، وفي بلد مثل السويد ، فيه لاشجار الأرومات حرمت ، وفيه لنظام الطبقات تقاليد عريقة ، عميقة الجذور ، غائرة المسارب . وهذا التناقض الطبقي العنيف ، ترك فى الطفل أثارا فظيعة جعلته يهاب والده هيبه شديدة ، ويفطن إلى مكانة والدته فى الهرم

الاجتماعي ، منذ نومة أظافره ، فيتألم لمثل هذه المكانة وما تسبب فى النفس البشرية من شدة وانحطاط وضعف . وهكذا شعر أوغست بوطأة الفقر ، قبل أن يحل الفقر ضيفاً نقيلاً على أسرته ، اثر أفلاس أبيه ، وقبل أن تمررت والدته ، وهو فى الثالثة عشرة من عمره ، فتجرعه زوجة أبيه كؤوساً دهاقاً من الإهانة والتحقير والإزدراء .

الطفل يتألم بفظاعة ، الفقر المدقع يحيط به من كل جهة ، والحرمان يمتصه بمخالبه السود ، والأوهام تنتابه فى كل لحظة وجين ، والوساوس تأخذ بتلابيب ذهنه النفس ، والهموم تعنونه أثناء الليل وأطراف النهار . والصبي ، الذي كان طفلاً ، لا يرى فى تقادم الزمن ، إلا ازدياداً فى المحن والمآسى والكروب ، والأشغلا على النفس ، ووزراً يزداد فداحة ، وشراً يتطاوّل ويتطاير . وحياة عيب أن تسمى حياة ، لأنها سجن تنكمش جدرانها وتضيّق باحته كلما مرت الأيام ، حتى يعمى هذا السجن زرانة داكنة مريبة تبعث بوأبتها على الاستمزاز والتعزز والنفور ، قبل أن يبعث داخلها على ذلك . وفي هذه البيئة المظلمة ترعرع الصبي حتى بلغ أشده من غير أن ينال قطاً يعتد به من الثقافة المنظمة ، إذ أنه لم يستطع أكمل دروسه الجامعية فى إبلان ، لفقر حاله ، وسوء تربيته ، وتقتست مضيره ، بين هذه المهنة وتلك ، من تعليم وصحافة وتمثيل . وقد كان لتمرده على أحواله اثره الكبير فى تمزيق شخصيته ، لأن هذا التمرد انبثق تلقائياً من دخيلة نفسه ليغفقه رد فعل عشوائي على حياته اليأسه البائسة ، لا يصفقها حيلة مدروسة للحوال العامة التي تحتضن نفسه فريداً منعزلاً من المجتمع ، لا تربطه به روابط وجدانية ، تيسر له الخروج من ذاتيته ، وتدفع به الى معترك الحياة ، حيث العديد من أضرابه يعانون ما يعانى ويكابدون ما يكابد .

ومع أن سترندبرغ اراد أن يملأ هذا الفراغ فى نفسه بامتزاجه الاصطناعي بالمجتمع من طريق انضمامه الى العديد من الاحزاب المتنافرة والخروج منها ، فى قرف وتفرق ، فهو لم يتمكن من القضاء على آفة الوحشة فى نفسه ولم يستطع - رغم محاولاته كلها - من التخلص من تبعات الانتم الذي ورثه من امه . وتأثره الكبير بصادق ستراوس وأرنست رينان وأوغست كوت لم يجهه بما كان ينزع اليه من طمانينة وهدوء ، فى مجالات الفكر والعقيدة ، بل زاده ذلك بلبلاً ، إذ محا الاحاد الذي اثنى به هؤلاء كل معالم اليقين فى نفسه القلقة فاصبحت سدنيا خاويًا من الايماضات الباسمة النيرة ، وزادت عقدة الاثم والشعور بالاحتقار الذاتي ، وجنون الاضطهاد من فرديته بل انفراديته التي استعالت بمرور الزمن الى انعزالية بالسة مسكنية اضطرت - فى آخر مرحلة من مراحل حياته - الى التثبت المزري بالهلوسة (العلمية) والبحث عن اسرار الفيسب

كان له في النصف الثاني من القرن عشر دوي هائل كاد يصم الأذان ؟ : « ليست الطبيعية أسلوبا دراميا كاسلوب « بيك » طريقة فوتوغرافية سهلة ، تتضمن كل شيء حتى ذرة الغبار التي على عدسة الكاميرا . تلك هي الواقعية ، الأسلوب الذي أصبح مؤخرا فنا ، صغيرا ضئيل القيمة لا يميز بين الغاية واشجارها . تلك هي الطبيعية الزائفة التي تعتقد ان الفن يتألف وبكل بساطة من رسم قطعة من الطبيعة وتحديدها بطريقة طبيعية ، وهي بذلك ليست الطبيعية الحق التي تبحث عن امكان في الحياة تصلح ان تكون سوخا للصراعات العظيمة ، حيث تسعد ان ترى ما لا يمكن رؤيته كل يوم . » (٢) وبهذه الكلمات المعبرة المفرة ، يحملنا سترندبرغ على الاهتمام بتفسيره لمسرحياته وتقويمه لها ، وكل ذلك بتعقل مذهل ، وصفاء ذهني بلوري ، من العجيب حقا ، كيف انه تحول - وبسرعة - الى هديان محموم ، بل جنون مطبق بين وقت وآخر .

ومع صلة أسلوب سترندبرغ بالطبيعية ، بتفسيره الخاص لها ، فهو أسلوب متميز محكم فيه اصداء مروعة من حياته ذاتها ، وفيه حمم من بركانه الثائر من غير انقطاع . وهذه الدرامية العنيفة في أسلوب سترندبرغ هي التي دفعت بيرثولدا شو الى ان يقيمه تقييما خاصا ويجعل منه كتابا (شكسبيريا) لا مثيل له ، على الرغم من بعد الشقة بين الاثنين من حيث القدرة الفنية والشمولية الجامعة ، واتساع الافق ، وسلامة الأداء ، والبساطة الحوارية . وعذر شو - في ذلك - انه وجد كتابا دراميا حقا ، جديرا بهذا القرب ، بعد طول جفاف ، مرت به اوروبا ، فترة قاربت

اما الخاصية الفريدة في درامية سترندبرغ ، فهي قدرته الفنية العجيبة ، في استكناه النفس ، والفوص في اعماق اعماقها ، وتصورها بمهاويرها تصويرا امينا حيا صادقا يمتاز بدقته الرباعية ، وحسن سبكه المتن ، وجلال منطقته الرهيب . ومع ضرورة رفض كل ما له صلة بحياته الخاصة من شذوذ بل جنون واطوار غريبة ، في تقييم نتاجه العام ، فان الصورة المتبقية لدينا من سترندبرغ لا تكتمل الا اذا ادرنا عبقريته الفذة التي استطاعت ان تعبر عن مكتوبات نفسه المضطربة تعبيرا جديدا كل الجودة وان تعطي لهذا التعبير الجديد اشكالا طريقة مختلفة ، واسعة النناول ، عميقة الدلالة النفسية ، اصيلة كل الاصول . فكان بذلك التجديد الفريد ، المولود الاول القاضي على البناء الدرامي القديم المتداعي ، وكان - في الوقت نفسه - الاستاذ البناء الذي وضع حجر الاساس ، في الكيان الدرامي العصري . ولهذا حق لا ين ، وهو ما هو في الدراما المصرية ان يقول عنه معتزا ومتباهيا : « اني عدو له . ولكنني لا استطيع ان اكتب حرفا واحدا الا حينما يظل علي هذا الرجل الجريء بعينيه المجنونتين (٣) » . وفي هذا الصدد يقول يوجين اونيل : « كان سترندبرغ طليعة كل ما هو عصري

بقيادة اللاهوتي السويدي سويدنبرغ الذي لم يتورع من الاتصال الروحي بالسويات العلى من طريق الصوفية والوجه اللدني الرمزي ، المنبث من اغوار النفس ، في لحظات السمو الروحي على سفافات المادة وشباك اللذة ، وضياغ الذات في هذه الدنيا !

فالصراع الداني ، صراع التمزق النفسي الذي ينبعث من اتون الذات المحترقة ، هو الفتح الدرامي الذي يمكن ان نستخدمه في فتح مغاليق فنه الدرامي على مصاريعها ، والتعرف على كنوزه الادبية التي لم ترفع اسم السويدي - في عالم المسرح عاليا حب ، بل جعلت منه ، وهو ذلك الفتى المغمور - نجما لامعا ناصعا في هذا العالم ايضا ، وهذا الصراع ليس صراعا ذاتيا محضا ، انه نزاع عاصف بين شخصين ، يختلفان فكرا وعقيدة واجتهادا ، انه صراع العقائد المتناقضة المتنافرة ، الذي يمتاز بالغلف الدرامي والمواقف المثيرة الربعية الداهية في انارتها وارباعها الى اقصى الحدود ، ان عمقا في المشاعر المتفجرة ، او قسوة في الابعاء والاشارات والتلميحات ، او استنزافا للقوى المتقابلة في استمرارية نابضة بالحركة والقوة والعنف ، وبسبل غير منقطع من الحوار المتماسك الذي يغطي على المشاهد تارة ويفررها تارة اخرى .

وهذا ما يؤكد سترندبرغ نفسه ، اذ يقول متحدنا عن مسرحية « الاب » : ان مسرحية الاب تحقيق للدراما العصرية ، وبهذه الصفة فهي شيء بالغ الغرابة - هي غريبة لان الصراع ينشعب بين ارواح الاشخاص ، فهو حرب عقول لا خناجر ، ولا مدى ولا سم يوضع في عصر توت العليق ، كما في مسرحية « ذات الروح » التي اديها فرنسا لا يزالون حتى يومنا هذا يبحثون عن الصيغة الصحيحة ولكنني وجدتها . » (١) وهذا الصراع الروحي الشديد الوطأة ، الذي يأخذ بنواحي الفكر ، فيبعثر منها ما يتاهل البثرة والتشتيت ، لا تقوم له قائمة الا في جو متوتر ، متكهرب مشحون بالازمة النفسية فسي مختلف صورها والوانها ، في جذبتها وعرافتها ، فسي سيماها الظاهرة او في سماتها الباطنية ، التي لا تبدو على السطح الا عندما يكون بركان النفس الانسانية على وشك الانفجار . ومن القريب حقا ان يصل العمر بسترندبرغ الى الثالثة والستين ، وهو ذلك البركان الثائر الجهنمي ، الذي كانت حممه تطاير منذ كان في الثالثة عشرة من عمره . وليس من كاتب ، على ما اعلم ، يمكن ان تبدو شخصيته في كتبه ، كما يبدو سترندبرغ في جميع ما ديج من روايات ولا سيما تاريخ حياته الذي وضعه ليحرق نفسه من ماضيه من طريق تسجيل هذا الماضي وكان في ذلك دقيقا دقة خارقة ومنظما تنظيما بديعا . وكيف لا يكون كذلك وهو ذلك الفنان العظيم والوصاف الرائع .

صحيح ان سترندبرغ يعد من قادة المدرسة الطبيعية ، فاذا كان كذلك فما رايه في الطبيعية بصفتها مذهبا ادبيا ،

أنواع معالجة هذا الموضوع استنادا إلى الحقائق ، فإن سترندبرغ لم يزودنا بالحالة التاريخية الواقعية المؤيدة لنظرية فرويد فحسب بل أيضا بالفرض الاسمي الذي يستنده المذهب الرومانسي من التحليل النفسي للذات تبعا لمنهاج فرويد . مع العلم أن كتب السيرة التي دمجها سترندبرغ ظهرت في الوجود ، قبل أن يشتهر فرويد ويعرف أمره في العالم !

إن سترندبرغ ، نأثر على المجتمع البرجوازي ، وثورته على هذا المجتمع له ما يبررها ، من حيث كونها تمردا فرديا على احواله المرعبة التي عاشها في طفولته ، وعانى منها ما عانى ، وهي - بصورتها الفردية - تنفيس طبيعي عن حالة وجدانية مضطربة ، تحاول من طريق التعبير الكتابي أو المسرحي ، أن تنقل هذه الحالة الوجدانية لتخفيفها وتطهيرها من رواسب الخبث والسفالة والحقن الأعمى ، وتطعيمها بروح الشفقة والمشاركة الوجدانية والتسامي بها ، كما هي الحال بالنسبة إلى فكرة التطهير الاراسطية Catharsis أما كرهه للمرأة ، ذلك الكره الفظيع الذي يميز حثقا وغيفا ، فقد كان مرده ، في أرجح الوجوه ، هو وفاة والدته ، وهو في بواكير صباه ، واقتراح أبيه بمبدرة اعماله ، تلك المرأة الذئبية التي جرعتة العلقم بالوانه واشكاله وطموحه ، وصبت عليه جامات فضيها لانفه الاسباب ، وحملت نفسه الشفافة الرقيقة ما لا تطيقه ، واذلته اذلالا عبقيا وسامة الخسف والعف ، ومرده كذلك خيبة المرأة المتكررة في المرأة ، فسمع أنه تزوج ثلاث مرات من نساء رعبيات الشان والمحتد ، منذ كان في السادسة والعشرين من عمره ، فانما لم ير في أي منهن من هي جديرة به ، من حيث الثقة والامانة والاستقامة والاخلاص ، ومن هنا ، كانت نفرتة الطبيعية من النساء ومن جنسهن بصورة عامة ، ذات صلة بتجاربه الخاصة منذ حدثاته حتى كحولته .

واكبر شاهد على ما نقول مسرحية «الاب» ففي هذه المسرحية نلاحظ الزوجة المكرة لورا تستدرج بصورة ابحائية زوجها الكابتن للوقوع في هوة الوهم ، وهم الاعتقاد بأن ابنته «بيترتا» ليست منه ، ومن هذه الهوة دفعت به إلى هوة الجنون والوئ . وهذا الإيحاء المندرج ، يتساق من فصل إلى آخر حتى يصل إلى المنعطف المخطر بأسلوب درامي فيه أصالة ومثانة اخاذتين ، وفيه حوار فكري يتفاوت بين الجزالة والبساطة ، كأنه أمواج البحر حين تغزو السواحل وحين ترتد منحجرة ، وأول ما يبدو هذا الإيحاء يبدو على لسان المراسل العسكري « نجيد » وكان ليس للورا فيه شأن ، وذلك عندما يسأله الكاتب عن فضيحة عم الفتاة الخادم ، أنه يقول في معرض الجواب : « لكن كيف يتأكد الرجل أنه كان دائما الشخص الوحيد ؟ » (٦) . واذن هذا هو الخط الاول من الحبكة التي تستشعب وتتفرق وتلم فسي نسيج درامي يأخذ بالانفاس ، والفضيحة هذه خلفية واقعية (طبيعية) يستند

في مسرحنا الحاضر ... ولا يزال سترندبرغ من بين أكثر العصرين عصرية ، واكثر معبر عن خصائص الصراع الروحي الذي يشكل الدراما - الدم الذي يجري اليوم في شرايين حياتنا (٤) . وقد بلغ الهوس التقديري بشو حدا جعله يتبرع بجائزته نوبل فيما درته عليه من مال لتهيئة وسائل الانفاق على مشروع يتخصص بترجمة جميع أعمال سترندبرغ الأدبية ، على قول أريك بنتلي ، الناقد الامريكي المسرحي المعروف . وهذا امر ليس غريبا على شو وقد تبرع بتركتة لتحسين الإيجدية الإنكليزية !

وبينما كان إيسن - في أواخر مسرحياته - يحاول أن يرفع الضخور عن فوهة بركان اللاشعور ، وجه سترندبرغ ، وهو ساكن هذا البركان ، بل هو البركان متجسدا ، وجهه حممه إلى أطراف المعمورة من بلده الصغير السويد ، فكتبت في هذه الحمم شياطين من نار وأبالسة من قمار وهلوسات متأنسة ، ونساء متقمصات أرواح المردة والسمالي وجنيات متنازلات عن عروش الفتنة والأغواء ، ليختلطن بأبناء البشر ، فينفخ في أجسادهم روح التمرد والثورة ، والخروج على مفاهيم التقاليد والأعراف . وهذه الروح البركانية النارية العاصفة تجد لها أول منفذ في كتابي سترندبرغ «مذكرات مجنون» و«الحجيم» . ومع أهمية هذين الكتابين - فانهما لم يشتهرا النثرة اللافتة بهما - في العالم الأدبي ، ويعزى سبب ذلك إلى مذهب اليس ج. ب. بريستي إلى كثرة البيوغرافية (٥) ، غير أن هذا الرأي على وجاهته الظاهرية لا يستند إلى سند واقعي ، فكم من كتب السيرة قد تأملت أصحابها الشهرة المألوفة وبذلك سبقت كتب الأنواع الأدبية الأخرى بمراحل ومراحل ولنا ، في الأدب الغربي العديد من الأمثال !

وسترنديبرغ ، في صدد الكشف عن اللاشعور ، رائد عظيم من رواد علم النفس التطبيقي ، إذ أنه ، وقد فتح مغاليق هذا العالم المجهول ، جعل التسلسل إليه والخروج منه متيسرا لدى الكثير من الكتاب اللاحقين الذين لم يبلغوا شأوه ، في وضوح العبارة ، وصراحة العرض ، وأمانة النقل ، وجمال الصياغة ، فضلا عن فضل الريادة ، ومكانة الاكتشاف والاستكشاف الرفيعة الشأن . وهو - في ذلك ند وقرين لفرويد ، على بعد المسافة بينه بصفته أدبيا وبين فرويد بصفته عالما . وبهذا الشأن ، شأن الطلة القريبة بين فرويد وسترنديبرغ ، يقول أريك بنتلي فسي كتابه «المرح الحديث» : « إذا كان فرويد قد أعطانا أشد

- (١) المسرح الحديث : أريك بنتلي : ترجمة محمد عزيز رفعت .
- (٢) المسرحية من إيسن إلى اليوت : ريموند وليمز (٣ ، ٤) المسرح الحديث : أريك بنتلي : ترجمة محمد عزيز رفعت . (٥) اعتمدنا - في هذا الرأي على ج. ب. بريستي في كتابه العظيم «الأدب والإنسان الغربي» . ي. ع. ثروة (٦) شواهد مسرحية «الاب» و«الإنسة جوليا» من ترجمة الأستاذ عبد الحليم البشلاوي .

اليها سترندبرغ في تصميم كيان المسرحية وتشبيدها . ولما كان الكابتن ، على استعداد كل الاستعداد لتلقي الإيحاء بسبب من كرهه للمرأة بصفة عامة كما في قوله للقس شقيق لورا : « انني كما لو كنت في قفص مليء بالنور . فاذا لم اكن قفصا دائما بسبخ من الحديد المحمي تحت انوفهم ، قطعتني اربا اربا في نصف دقيقة . » فلهذه مكانها البارز من حيث كونها نفيرا للمعركة المصرية بين لورا او الكابتن . والكابتن يكره لورا كرها عفيفا لا بسبب من تأثيرها فيه ، فقد فاض النهر بما فيه من هذا الشاطئ ، بل بسبب ابعاد من هذا السبب ، انه تأثيرها في كل الناس حتى في اخيها القس ، ولهذا ما ان يتساعل القس عن حالته العصبية حتى يبادره قائلا : « لعل لورا هي التي ادخلت هذه الفكرة في راسك ؟ ففي خلال العشرين عاما الاخيرة تعاملني كما لو كانت قدمي في القبر . »

وتشتد المعركة اوارا بين الكابتن ولورا ، بحيث يتطابق شررها الى كل الجهات ، ويستمر استنزاف كل منهما لالاخر بصورة مستميتة الى حد ان المربية ، وهي تلك المرأة الساذجة تغفل الى الامر فتقول : « ... لماذا يستنزف كل منكما حياة الآخر ؟ . انتما شخصان تعاملان الناس بعمتني الطبية والعطف . » فيجيبها الكابتن : « نعم . اعرف هذا . هذه المعاملة لي وحدي . اسمي يا مارجرت اذا تخليت عني الان انزلت بي ظلما فاحشا ، انهم يتآمرون الان ضدي . » غير ان مارجريت لا ترى في فكرة التمس غير ابتعاد عن جادة الايمان بالله . فلك الايمان الذي يتحدث عنه الكابتن بقوله للمربية : « مع العجب انك بمجرد ان تبدئي الحديث عن الله والعجب انك تتعجبين من جافا ، وتمتلئ عيناك بالحقد والكراهية . . . انت بالتأكيد لا تؤمنين الايمان الصحيح . »

ولكن المعركة الحاسمة لا تبدأ الا حين تطرح قضية برتا على بساط البحث : هل ينبغي لها ان تنتقل من البيت الى مدرسة داخلية خارج البلدة ، كما يرى ذلك الاب ام تبقى في البيت تحت ارشاد والدتها ؟ هذا هو السؤال المباشر الذي تدور حوله المسرحية . ثم يحاول الاب ان يستبعد بانيته برتا قبل ان يدخل المعمة ، ومع ان البنت تطاوعه « اول وهلة - لكنها تعجز عن ان تقف بجانبه في الساعة الحاسمة . وابوها نفسه يعجز ، ذلك ان لورا (قوة الشيطان) كلما شاءت ان تنفذ ارادتها . وتبدأ المأساة بالتساق الى الذروة بقولها مستهدة بقوله : « لا يستطيع احد ان يعجز واذن فانت بالتأكيد لا تستطيع ان تجزم . » فيرد الكابتن : « هل هذه تكتة ؟ » وهنا تنبري له لورا قائلة : « لا . وانما انا اطبق نظريتك . ثم من اين لك ان تعلم انني لم اكن غير مخلصه لك ؟ » هذه عقارب الشك تطلقها لورا من مكانها لتنقض على الفريسة المسكينه ، الكابتن الذي يبدأ شاربها بالاعتزاز .

الدبة تمثل النساء جميعا ، ولذلك فالكابتن يعترف

بهذه الحقيقة : « لا نستطيع قتالكن » ويذهب به العجز الى اقصى الحدود ، حين يستفسر عن سبب جبروت النساء من المربية : « ... هل تستطيعين ان تفسري لي كيف تستطيعين اتيها النساء ان تعاملن رجلا كما لو كان طفلا ؟ فترد عليه المربية بقولها : « لا اذرا ، ولكن لعل السبب هو انكم جميعا اولاد نساء ، كل واحد منكم ، كبيرا ام صغيرا . » وبدلا من ان تستطرد المربية يؤكد الكابتن قولها : « بينما لا توجد امرأة مولودة من رجل . » ويزيد على ذلك بقوله وفيما فيه من شك مريب : « ولكنني انا والد برتا . قولي يا مارجرت ، انت تعتقدين هذا ، اليس كذلك ؟ » هذا الاستعطف وهذا الاستفهام المربع يقطران اسي وحزنا وفجيعة ، انهما يدلان اوضح ما تكون الدلالة على نفسية سترندبرغ ، تلك النفسية التي عصفت بها رياح الشكوك الهوج ، فحملتها كانها ريشة تتلاعب بها ما شاء لها اللعب . وبهذه الصورة الصادقة الامينة لواقع مجتمع سترندبرغ ، وواقع حياته الخاصة يبرز هذا الكاتب الفذ الكثير ممن سبقوه ومن جاءوا على اثره ، انهم بالبساطة والوضوح والرد الدرامي الفاجع ، بأسلوب شفاف لطيف ولغة متكاملة فريدة .

ولستمر مطرقة الشك تدق على ذهن الكابتن المتعب فنراه يخاطب مارجرت مرة أخرى : « مارجرت ، من كان والد طفلك ؟ » وحين ترد عليه المربية بأنه المحتال جوهانسون يصبر في السؤال المريب : « هل انت متأكد انه هو ؟ » وهنا لا يجد المربية مدحوة من القول : « انت تتكلم كطفل . بالطبع متأكد ، لانه كان الرجل الوحيد . » غير ان الكابتن لا يفتيح انفسه على طرح هذا السؤال : « ولكن هل كان هو متأكد انه كان الرجل الوحيد ؟ » وعوضا من ان ينتظر جوابا منها يجيب بنفسه : « لا . غير ممكن ، وحتى لو انك كنت متأكد . هذا هو الفرق . » وبهذا المنطق الجاف بدور الكابتن في حلقة مفرغة .

اما الطبيب الجديد الذي استقدمته لورا ، فينصح الكابتن بعدم الانجراف باوهامه السود وبلغ عليه بوضع الثقة في اصالة ابنته ، لكن الكابتن لا يرى بدا من القول : « وهل هناك محل للثقة عندما يكون الامر متعلقا بامرأة ؟ هذا خطير . »

ومما يزيد هذا الشك الدامي فداحة ، حيز لورا لكل مراسلات الكابتن التي كان يؤمل ان تتيح له فرصة للظفر بالصيت والشرف من طريق دراساته العلمية التي اولى بها اشد الولع ، ولذلك ما ان يتكشف هذا السر ، حتى ترى الكابتن يخاطب لورا بقوله المر : « كنت تعلمين حق العلم ان هذا العمل (يعني الدراسات العلمية) كان خليقا ان يسبق علي يوما ما من الصيت والشرف ما لا تحققه واجباتي العسكرية . ولكنك لا تريدني ان اظفر باي صيت او شرف ، لان ذلك يزيد من عدم اهميتك . » وهذه المرارة تشتت في دخيلة نفس الكابتن الى حد يضطره الى

الاعتراف المزري : « تصرفاتك معي نجحت في اثاره شكوكي الى حد ان قواي العقلية ستختل عما قريب وسبيدا عقلي بالسرود . وهذا يعني بداية الجنون الذي تنتظرينه . » ومع ذلك فان الكابتن لا يتكفي بهذا بل هو يتوسل بلورا : « انصرع اليك كما ينصرع الجريح الى ضربة الموت ... ان تقولي لي كل شيء . الا ترين انسي عاجز كالطفل ؟ الا ترين انني اناديك كما لو كنت امي ؟ » ثم ينهار الكابتن الملتاع الملسوع ويبكي وهو الرجل الذي تطيع امره الرجال والوحوش ، وهنا يمثل البكاء تخلي هذا الجندي عن سلاحه وعن رموز سلطته بصفته رجلا ، كما يمثل هذا البكاء انتصار المرأة المراوغة المحتالة الداهية التي فازت بما تريد ، لان زوجها لم يكن رجلا ، بل كان طفلا ، وكانت هي اما انقلب الى عشيقه . ومن هنا كانت المرأة عدوة وكان الحب بين الجنسين معركة ، وفي ذروة هذه المعركة يمسك الكابتن المجنون بمصباح مضئ ويرمي به في وجه لورا .

اما الصراع المزدوج بين المرأة والرجل بين الطبقة الفنية والطبقة الفقيرة ، بين الخادم جان وجوليا ابنة الكونت فتمثله خير تمثيل واجمله واروعه مسرحية « الانسة جوليا » . يتراءى لجوليا انها جالسة على عمود عال ، من غير ان تعرف كيف ان تنزل ، ومجرد نظرة منها الى الارض يجعل الاخيرة تدور بها . ومع ذلك فهي لا تستطيع البقاء حيث هي ، وهي لا تستطيع النزول لانها تعتقد الشهادة الضرورية لذلك ، فهذه الحيرة بين وجودها حيث هي في اعلى العمود وبين هبوطها الى الارض حيث العلمانية والهدوء والسلام تجدو بها لان تمنى لو ان تفوق في اعماق الارض . انها موجودة حيث شئت لها اسرتها الفنية ان توجد ، لكن حينئذ الارض يجذبها بقوة وعنف . ولما كانت عاجزة عن ان تفعل شيئا يخفف وطأة حيرتها ويبدد شكوكها ، نراها تلتفت الى جان وتشعر له حالتها القلقة المرعبة ، وتتساءل : « هل يتألمك شعور كهذا ؟ » فيجيبها جان : « لا . في احلامي ، ارى نفسي في غابة مظلمة ، ارقد تحت شجرة طويلة . اريد ان اصعد ... الى القمة ، حيث استطيع ان ارى المكان في ضوء الشمس ، اريد ان اسرق العشب الذي يحوي البهجة الذهبية ... حتى ولو لم يكن ذلك الا في الحلم . » الغابة المظلمة تعبير رائع عن الفقر الموحش الذي يقتل في النفس المطامع ويبعث الامال ، ويحكم على جهود الانسان بالضياع ، ويسلب منه كرامته وكل ما يعتز به .

وحين يشير جان الى ان التقرب منه لعب بالنار تجبيه جوليا وكلها اعتراف بمرتبته الاجتماعية : « هذا لا يسري

علي ... انا مؤمنة ضد الحريق . » وكيف لا يكون التعرب منه لعبا بالنار « وقد نشأ في زريبة مع سبعة اخوة واخت وخنزير . وكانت هذه الزريبة في الارض الجرداء حيث لا توجد حتى شجرة . » حقا ان هذا الامر عجب ، ان بنيت الملائكة تتنازل من عليائها وتقرب من شقيق الخنازير لا في المكان والزمان حسب بل في الروح والوجدان ايضا . لقد انقلبت موازين الدنيا والا « استطيع ابن فلاح فقير الدخول الى الحديقة واللعب مع ابنة الكونت ؟ » وهذا ما فعله جان عندما تيسر له ذلك بعد ان تمرغ في الاوحال والانرسة المتبللة القدرة ، وقد حكى ذلك كله بلسان متردد خجول متلعثم لانه ابن فلاح فقير ، فما كان من جوليا الا ان تلتفت بقولها : لا بد ان الفقر امر فظيع « وتعليقا على هذا الكلام يقول جان والنار تتطاير شررا من لسانه : « الكلب استطيع ان ينام على الاراية التي تجلس عليها سيده ، انفسه ، اما الخادم ... فانسان فقير فهو لهذا السبب وحده اقل شأنا من الكلب الاليف والحصان المدلل . وهنا يسترجل جان في حديث ينض بالالم الواخر ويدكرها كيف انه استطاع بعد مشقة وعناء ان يسرق نظرة من وجودها الفخم المطر في الكنيسة التي كان مهدها مدودا في سالف الزمان ، على ما يقال في الكتاب المقدس . ولما يصبح التعارب تماسا بين جوليا وجان ، لا ترى ابنة الكونت مانعا من سقوط الحواجز بينهما فتقول : « نادني جوليا » . « اوجد حواجز بيننا » غير ان جان يعرف مرتبته الاجتماعية جيدا فيقول : « لا استطيع . » يستغل الحواجز قائمة بيننا ما دننا نعيش في هذا البيت . انا لا استطيع ان انسى اصلي . ثم هناك الكونت . فما اكاد ارى قفازه على احد الكراسي حتى اشعر بضالتي . واذا سمعت دقة جرسه ، ففرت من مكاني كالحصان المذعور . » ومع قول جان هذا ، فهو يرى انه اذا ما خرج من هذا البيت ف « لن ينحني لاحد فهو لم يخلق لذلك ... وبمجرد ان يمسك باول غصن في الشجرة سيتسلقها الى القمة . » وبعد ان يتهاى كل شيء ، وتسقط ابنة الكونت على مبال والدها ، لتستطيع الفرار مع عشيقها ينتابها الخوف والتردد والهلع فتقول : « لا استطيع ان اهرب ، لا استطيع ان امعيش ، لا استطيع ان اموت . ساعدني . مرني ، اطعمك ككلب . » لكن جان سرعان ما يصبح ذلك الحيوان الاليف بدقة واحدة من دقات جرس الكونت فتحل الماساة وتقبل الشرطة بحثا عن اسباب الفضيحة ، وهكذا ينهار التلاقي بين الطبقتين المتناقضتين في هاوية الفضيحة .



اميل توفيق

صور وانطباعات من رحلتي في السودان

بقلم اميل توفيق

* * *

٢ - بورسودان

الذاكرة والمذكرات : ان هذه المذكرات التي ادرتها الان .. انما تعتمد - في اكثرها - على الذاكرة ، وفي اقلها على ما سجلته في حينها . ورب سائل يسأل : والذاكرة .. هل هي فردية ؟ هل اذكر الحوادث كما وقعت لي كفرد ؟ الحقيقة كما يؤكدنا العالم الاجتماعي شارل بلوندل مؤلف كتاب « مقدمة في علم النفس الاجتماعي » ان الفرد يتذكر ما وقع له وما عاناه .. بجانب احداث عاصرته وعاناه مجتمعهم .. احداث عرفها فتسللت ضمن الذاكرة الفردية كأنها قد عاناه هو .. ومن هذه الاحداث ، الوقائع التاريخية او الحوادث الكبيرة التي نسجم عنها في الاذاعة والصحف وفي احاديث الناس الذين نعاشرهم .. اذن فالذاكرة الفردية ليست فردية بحتة .. انها فردية-جماعية . وليست العبارة عندما نستلهم الذاكرة انها تعطينا هذا المزيح مما عايناه ومما قد عرفناه عن طريق الجماعة . المهم ان يكون المرء صادقاً في التعبير عن ذكرياته ، بحيث يبرز تلك الاحداث التي تتمثل فيها تفاعلاته مع مجتمعه ، وتنعكس « وجوده » وكيان خبراته الاجتماعية والمعرفية كما عاناه في وجدانه . وحسبي ان تكون هذه الصورة الانطباعية صادقة ، وبعد ذلك فليعذرني القارئ الكريم اذا ما اكتشف فيها بعض الاخطاء التاريخية او الجغرافية .

المدينة في احتفال : انضمت الى هيئة تدريس العلوم بمدرسة بورسودان الثانوية الحكومية . وتشغل هذه

المدرسة مباني تكنت الجيش المصري - سابقاً - وقت ان كان بالمدينة . كما ان منزل الناظر هو منزل قائد الحامية المصرية وقتئذ . ولقد كان اهتمامي بعد ان غادرت « فندق الزهران » (وكنا قد مكثنا به حوالي الشهر) ان اوثق علاقتي بمجتمعي الجديد ، وان اتعرف على معالم المدينة ، وان اتيكف مع جوها الطبيعي والاجتماعي على السواء . وكان ان اقبل يوم ١٧ نوفمبر من سنة ١٩٦١ وهو اول عيد قومي اشاهده يحتفل به السودانيون كذكرى للشورة التي قام بها الرئيس السابق ابراهيم عبود . وكان قد تقرر ان يكون الاحتفال امام مبنى المديرية الواقع على الميناء بشاطئ البحر الاحمر - وان يحضر - مع الرئيس السابق ، الزعيم السوفياتي ليونيد برجنيف . في الموعد المحدد كنت اجلس في السراقد المقام ، ضمن هيئة التدريس بالمدرسة . وقد اصطلفت طوائف من الشعب السوداني بجانب السراقد ، عدا سرايات من الجيش وفرقة موسيقية مبدعة . وبحضور الكبار المسؤولين مع الزعيم السوفياتي بدا الحفل بالموسيقى والتحيات العسكرية والوطنية ، وسط الهتافات الشعبية ، والاغاني التي كانت بعض النسوة يطلقنها في نغمات حادة مميزة بالمرح والحرارة . وانتهى الحفل بالكلمات التقليدية . بيد ان اهم ما شاهدناه بعد انتهاء الكلمات هو تلك المواكب التي كانت تمر امام المنصة الرئيسية . ذلك ان بورسودان تتميز بوجود جاليات كبيرة . فهناك جالية هندية واخرى مصرية وجالية سورية ولبانية وخامسة يمنية . وقد مثلت كل جالية مواكباً من المواكب اذكر منها مركبة كانت تستقلها هرات هندية (وهي يحمل رسماً لبودا ، وقادراً فخماً تحمله مركبة . وتستقله فتيات جميلات يونانيات تمثلن الملاحه اليونانية . ومركبة اخرى عليها فنانان سوربتان تمثلان فيما اذكر دمشق وحلب والتجارة السورية . ثم مواكب المدارس والاندية الرياضية ، ثم المؤسسات . ثم طوائف البجه وهم يمثلون ظهور الجمال ويندفعون امام المنصة بين جماعات متراعة متزاخرة تجري في سرعة فائقة تسابق الريح ، وهم يرددون تحيات واغنيات وطنية بلهجاتهم القبلية . ويعرف هذا الاقليم بأنه أحد المواطنين الهامة لطوائف البجه (ومنهم طائفة كبيرة تعرف باسم (لهندوه) . ومعظم هؤلاء من الرعاة الذين يرعون في السهول الجبلية بين بورسودان وسنكات . وعلى طول الجزء الشرقي حتى كسلا والاقليم المسمى «البطانة» .

«المدينة في لقطات : مدينة بورسودان تقع في منخفض تلتف من جوانبه عديدة سلسلة من الجبال او التلال ، كما يقع جانب منه على البحر الاحمر . وتعتبر المدينة - لموقعها هذا - انها منطقة الضغط المنخفض ، ومن ثم لمروية العالية والحرارة الشديدة ولا سيما ايام شهري يوليو واغسطس . وفي اثناء الشتاء وبعدد قليل يكون الجو العام دبيعاً ومع ذلك فان الجو يتفق مع القول المأثور عند

في قبة الاولب

واشبح رغبة عن الاغواء
مما الاقي في حمى الاهواء
بائس اعمافي وسر ندائي
ويثرتني من غمرة الاغفاء
وحطمت فيها رفعة العذراء
آيات شوقي مفعم الاغراء
باللون بالاخلام بالانسداء
همسات نجوى عذبة الاصداء
كف الهوى نبعاً من النداء
فيها المدي متلون الايحاء
ترنو الي سرائر الشعراء

سلافة العامري

كم ذا اغالب في هواله ابائي
واظل اوجس حيرة وتخوفا
وبطل طيفك عاتيا متلفعا
فيهز اعطافي ويهسر خافقي
فلقد جعلت الحب طعم سريري
وغمرت دنياي التي عشت بها
بالطيب بالهمس المصمخ بالرؤى
وحملتني نشوى تغفل في دمي
وزرعتني في قبة « الاولب » في
وغدت ارنع في مراع غضة
فانا العبر المشتى وانا الهوى

دمشق

انبشها الضخمة الممتدة في الساحة المنبسطة امام الشاطئ.
ونظرا لوجود تلك الجبال والمناطق العالية المتاخمة
للمدينة ، فقد تتعرض سفوحها للسيل الذي ينحدر من
القم اذا ما هطلت الامطار على المرتفعات . وهذا ما
تتعرض له المدينة وحاجاة الديوم . واذكر ان في يناير
١٩٦٢ نزل سيل جارف اكتمح ما امامه فمصر بعض
المزروعات (التي تعتمد على الامطار) كما غطى كثيرا من
الابنية الخشبية وانلف حاجيات كثيرة وامتعة واثاثات .
ولقد كانت هذه الكارثة حافزا لاطلاق الطاقات الاجتماعية
والفنية للاسعاف وللغاثة وتقديم المعونات . وقد اصاب
التلف اكثر ما اصاب سكان ديم كوربا . . حتى ان بعضا
من جماعات الصبية كانوا يذكرون في شيء من الانشاد
الراقص :

« يوفنا » الفعيس بالليل ديم كوربا شاله السيل

هذا - وعدا الشركات البترولية التي اشترت اليها - فان
بورسودان تتميز بوجود شركة لصناعة الزيوت المستخرجة
من بذرة القطن ، ومصنع الزراير ، وملاحات لاستخراج
ملح الطعام . اما الخطوط البحرية الودانية فقد دعمتها
الحكومة باثناء خط ملاحي تجاري منظم بين بورسودان
ولندن فشيئت ثلاث سفن جديدة ، شيدها في يوغوسلافيا
هي اركويت وستار وسواكن . وقد حفرت الاحفقال
بتشدين البخارة (سنار) في الميناء في اوائل عام ١٩٦٢ .
« للمذكرات بقية »

اميل توفيق

شبين الكوم - ج ٢٠٤٠م

سكان المدينة : ان اليوم الواحد تتمثل فيه الفصول الاربعة
من فرط ما تتغير خلاله الظروف الجوية . وتعتمد المدينة
على المياه الجوفية ، ومصدرها ينابيع مياه في بقعة عالية
تنحدر منها . وتسمى تلك البقعة (اربعات المياه) ويسون
المصدر (خور اربعات) . والمدينة حديثة العهد انشئت
كميناء بدلا من سواكن الميناء القديم نظرا لان سواكن يزداد
على شواطئها وفي اعماق بحارها ترسب التكوينات البحرية
من الشعب المرجانية . وكل من يزور سواكن يذكر لها
عهدها الاول بقصورها التاريخية المهجورة . ويقولون ان
البطل « عثمان دقته » (احد الابطال المهيدين الذين كانت
لهم معارك عظيمة دوخ بها الانجليز) . . قد احتفظ
السودانيون بسيفه في احد القصور بسواكن .

وقد صممت المدينة على اساس هندسي بحيث يبرز
المدينة الرئيسية بشوارعها الرجة ومبانيها الجديدة - ومن
حولها « الديوم » الوطنية التي تقترب من سفوح تلك التلال .
وهذه الديوم يسكنها السكان الاصليون وعامة الوطنيين
وقبائل البجة . ومن هذه الديوم : ديم كوربا ، ديم
شاطيء ، ديم مدينة ، ديم جابر الخ . كما ان التصميم
يخصص للمنطقة الصناعية ناحية بعيدة عن مركز المدينة
الى الغرب . ومبنى الجمرع يقع على البر الشرقي من
الميناء كما ان شركات البترول ومعمل التكرير الجديد
الذي تديره شركة شل تشغل اماكن بعيدة عن مركز
المدينة - على شاطئ البحر الى الجنوب الشرقي ، وكل
من ينفاد بورسودان او يقبل اليها بالطائرة او بالقطار
وخاصة في المساء يشاهد لها وادخنة عالية تتصاعد من
فوهة معمل التكرير البترولي . فتنبئ عن هذه المنطقة وعن

.. لماذا تقولين هذا ؟ أنت تعلمين أنك أحب
اولادنا البتة .

.. لماذا إذن هذا الإلحاح الشديد على
تزوجي ؟

.. أبوك متزوج من الحاج الخطاب عليك ..

.. ماما ، لا بد من إنهاء دراستي الجامعية .

.. أنت يا أميرة في نهاية الدراسة الثانوية

.. وفيها الكفاية لتقافة الفتاة .

واقسم لك بالله .. أنني عندما دلفت الى

غرفتي أصبحت ليلة رهيبة لم يغمض لي فيها

جفن .. كنت اسمع أصواتا خفية نغمغم حيناً ،

وتصيح حيناً لتنرني بشر بهم بي .. وفقوت

أمامي أشباح مخيفة في موكب غريبي ..

وبكت .. وبللت دعوي سريري .. واعتزمت

في الصباح أن ارفض هذه الخطبة .. يبدو

أن الظروف كانت أقوى مني .. وهل يستطيع

إنسان أن يغالب قدره يا سيادة القاضي ؟

وعرفت هوية خطيبي .. الذي جاء من بلد

بعيد لي مدينتنا يبحث عن زوجة عريقة

الحدث ، جميلة .. فاضلة .. مثقلة تليق

به .. ووجد فاضلته بي بعد أن سال كثيراً .

ودله أولاد العلال الي .. ورائي ، وأنسا

ذاهبة الى المدرسة ، فحين بي ، وتقدم الي

والذي يعمل ميزات ضخمة : .. أسرة

كريمة ، فاحشة الثراء .. وأخلاق كلها

فضائل .. وشهادة الحامسة .. وشباب

ذاق .. المهيم يا سيدي القاضي .. إن الذي

أعجب به .. وصمم على تزويجي منه .. فكان

القدر وضع لي عيني عصابة لا يرى من

خلالها سوى فضائل هذا الخطيب الجديد ،

ومزاياء الكريمة . وزارني في البيت ، ودعاني

والذي للتعرف به وأحببت ، ونوستل كثيراً

لأعفائي .. قلت : زوجوني دون أن أراه .

وأصر والسدي .. ولا أتمسك يا سيدي

القاضي التني أعجبت به لأول وهلة ، فقد كانت

شخصية اقوية واضحة ، والذكاء يشع من

عينيهِ ، والرجولة الحية تساب في جده ..

انه لاون خاص من الشباب الذي يأسر الفتيات ،

والذي يبدد الفتيات نحو الرجال . كانت البراة

تصع في محبته ، والحياء يبرق في عينيهِ ،

وثيرات صوته هفارة تتغلغل الى القلب لتعزف

على أوتاره لحن الحياة . ونفس العصابة

التي وضعت على عيني والذي وضعت على

عيني .. فقد تسلل الى خنابا فؤادي ، ولأول

مرة في حياتي أحسست بهذا الكيل القامض

الذي يجذب الفتيات نحو الرجال .. وجدت

فيه أملي .. كنت غيرة لم تتحكني التجربة .

وإني لي أن الج الى دخيلته ، وأنا لم أكمل

السابعة عشرة من عمري .

ولم أترجأ بسرعة .. في أقل من شهر ..

وأعطينا زواج عسل في أوروبا نعمت فيه

بالسعادة ، وحملت الله أن سأل الي هذا

متحدة عني .. لا .. يا سيدي . أنا تمثال
أجسد الفرح الحي ، والأمل الناضج ، لكل
فتاة يقضيها الرجل ، ويدوس على أناسيتها
بأقدامه التنتة كما فعل زوجي .

اليك مأساتي يا سيدي القاضي .. لا أدفع

الجريمة عني ، فلما اتوق الى الموت لا كسرة

عما تسمنونها جريمة .. بل كرامة من يؤس

الحياة . كان جميع زميلاتي يصدنني لجمالي

الذي وهبه الله لي بسفاه .. وعندما أسير

في الشارع لتحلق بي الصيون مأخوذة يسي .

ولست بمخالفة يا سيدي .. وأنت ترى بيقية

هذا الجمال الذي أذواه حزني .. وأكمل

الله نعمته علي ، فمتحتني ذكاء متوقفا ،

وطيبة قلب ، ووداعة روح ، حتى أصبحت

الفتاة المثالية التي يرى فيها أنوارها النفسية

مجمعة .. أضف الي هذا ثراء اهلي ، فقد

كانوا على بسطة في الجاه والمجد .. كل

شيء يعف بي بهج لا يفرى بي . وتكاسر



بقلم الدكتور محمد حاج حسين

http://www.alukah.net

الكتاب بعنوان : زوجة

قلمي لأحد .. نداء خفي يهيم بي أن أبتعد

عن الرجل .. كأنني أحس بالمساة الداهية

التي تربص بي . غير أن الزحام كان شديداً

وباستمرار بكلمتي اهلي عن خطيب جديد ..

كلهم من كبار الناس يتحلون بالمال والثقافة

والأخلاق الفاضلة . وكنت ادفع هذه اليلابا

عني ، وعائل اهلي برغيتي في أمام دراسي ،

فيصامون على مضى .. بعد أن يتفكسوا

زاعمين أن الفتاة لم تلحق إلا للزواج .

وذات يوم قالت لي أمي : جاهد خطيبك

جديد يا أميرة . وذويت ما بين حاجبي

وقلت : أنت تعلمين يا ماما ولبتي ..

.. لا .. يا أميرة . أبوك معصم على

تزوجك ، فالخطيب أعجبه ، وفيه كل الزايبا

الجميلة التي نهى لك السعادة الزوجية .

.. هل تعاليتنم مني ؟



لماذا هذا السيل من الأسئلة التي لا تنتهي ؟
يا سيدي قاضي التحقيق .. اعترفت لك

أنني قتلته ، ولويت الآن من قبره لا ترددت

لحظة في اقتراف الجريمة . هذا التحقيق

منى تفرغ منه ؟ المسألة بسيطة .. هل جزء

القتل الا القتل ؟ اقتلوني .. وكلائي أنني

انتمت لكرامتي الهمة ، وأصاحرا أنني

عندما رأيته يتخبط في دمه غمرتني سعادة

لا حد لها ، ودوت فضكتي ندبة تنشر عبق

فرحي الطالية .. وركلت بسفاهي بقدمي ،

وصرخت : ألي جهنم وبئس المصير .

وسارت الى الشرطة ، وصرخت : قتل

زوجي .

وحملقوا في مذهولين . وخيل اليهم أنني

مجنونة .. وأخذوا يتأملون سحتي المكفرة ،

وشعري المنمت ، والاحمرار الذي يترق في

عيني . ونهاكت على كرسي ، وتابعت

أنفاسي مبهودة .. وهدنت : لا تصدقوني ؟

نعالوا معي لتسره .. وساروا معي الى

البيت ، وتكاثر اللفظ ، وعلا الصجيج ،

وصرخوا : مجرمة .

وأمسك أحدهم بذراعي ، وتعلست منه ،

وزعنت : لن اهرب . خلوني الى الموت ..

ولكن أرجوكم أن تسمحوا لي ببعض الدقائق

لأناظر زينت ، وأرندني أجمل بول شعدي

لاستقبل عرسي الجديد ... الموت ..

وأبوا علي لتحقيق هذه الأمنية التي مارت

في أعماقي . ونصمت : ألا تريدوني أن أذهب

الى زوجي الجديد في جلوة ساحرة ؟

وأنالت الأسئلة من كبيرهم .. لماذا قتل

زوجك ؟ ما الأسباب التي حدثت بك الى

الجريمة ؟

ونمتشي في عروالي حق هائل . وصحت ،

وقد نجيمت كراهيتي في ثيرات صوني : أية

جريمة ؟ أشكروني .. لأنني أنقذت العالم من

وختي رهيب .

ورحت يا سيادة قاضي التحقيق ارفض ،

والفتي ، وأصوب نظرائي الشدة الى جنة

زوجي المسجاة متشفية ، واقتادوني الى

السجن ، وألميت ليلة هنيئة رأيت فيها

زوجي تنوشه الإفاقي في الجحيم . لماذا

يا سيدي القاضي ترافعتي بهذه النظرات التي

تلمع فيها الشفقة وينبئ فيها الألم الدفين؟

هل أنت حزين على شبابي الذي سيلهب قبل

الأوان ؟ لا .. يا سيدي .. لقد رأيت من

الحياة ما جعلني أكرهها .. وحجب لي الموت

الرحيم الذي جعله الله خاتمة المطاف لأنما

.. نحن القمبون في الأرض .. الذين يتجرعون

دنا من الآلام لتظلو فيها فطرة من الفرح ..

وأعبدك يا سيدي القاضي أن نأسي لجمال ..

هذا الجمال الساحر الذي تراه أمامك تمثالا

للأسي الرهيب ، كما كتبت إحدى الصحف

الى الارض .. الام الحنون .. وينتهي كل شيء ..

وترامى الى صوته .. واحسبت بالخنجر المسموم بقرق جسدي .. اميرة .. ارجولها .. افترض ..

وعدت الى سريري ، ودفت نفسي فيه .. وبعد قليل غراه الياس من استجابتي له .. وكف عن قرع الباب .. وهدأت الحركة فسي البيت .. ماذا افعل يا رب ؟ وبهتت على الامور .. وعدت ثانية الى النافذة .. وثية واحدة .. فيها راحتي الابدية ، وفجأة وعلمت في ذهني بارقة انارت لي الطريق .. وتراجعت .. ودوت في ارجاء القرفة سحكتي .. وجدت .. الخلاص ..

والبيت نظرة على ساعتى .. كانت العادية عشرة .. واهزئت سمي ، لا حركة ولا نامة .. هل خرج مع زوجة ؟ وتسلت من غلى الامور .. وتأكد حسدي .. لقد ذهب معها ، يزور لها الكلام حتى ترضى بالواقع .. وسيرقصان معا على اسلائي .. وطلقت ادب في البيت فافدة .. الوحي .. ورحلت افش في مكتب زوجي .. عن المسدس الذي كان يحتفظ به .. ووجدته اخيرا .. وتناولته بيد وثيقة .. وقيلته ..

ما اروع حديده البارد .. الذي يحمل السي الخلاص السئود .. وخرجت من المكتب ..

وردت في ارجاء البيت تسعني غصات متلاحقة .. متى يعود زوجي الوحي ؟ واقيت نظرة على المرأة ، وعزاني الحوف .. يا

الهي ما هذه السحنة التي تظلمني من خلال صفاها .. هل سمعت قصة القول .. لقد

تقمصت بي يا سيدي القاضي .. وخلفت من نفسي ، وانهلت على الرأى بيدي احطها .. ونفر الدم .. وفجأة سمعت الفتح يدر

في قفل الباب .. وامسكت المسدس بيد حازمة .. جاء زوجي .. دقت ساعة الخلاص .. ولم

تأرد عندما ابصرته .. وانطلقت الروصاات متتالية لها موسيقى اخاذة .. انتشت لها روعي .. وفادنتي الى عالم جميل وفيه ..

سيدي القاضي .. اتني في فجر عبرى .. ارملة متبوعة .. واريد الزواج .. بسرعة

فائلة .. اتوق الى عرس جديد .. فعجل به .. ارحمني .. اراه يدنو مني باسم الشتر

طق المحيا .. اهل وسهل بك يا حبيبي .. اهل الموت .. يا غريسي الجديد .. وق

با سيادة القاضي انه لن يخدعني كما فعل زوجي الاول .. اتقني يا سيادة القاضي ..

واسرع بالحكم .. لانتني بعريسي الحبيب ..

واستطردت بصوتها الممجج : هذا بيتي ، وسعيد زوجي ، وهذان ظلاله .. ونفر عرق اذرق في جبتي ، وصحت : كذابة ..

.. اتت .. تقولين هذا .. يا مغربة البسوت ؟ وعجبت علي ، وبداهة مهودنان

تود ان تخفقي .. وتعالى صراخي ، وهرع زوجي البتة ، واسرعت احتني به ، ودفت راسي في صدره ليدفع عني الشتر المتخز

لتدري .. وهممت : سامي هذه المجنونة غير انني سرعان ما افقت على الواقع المرير

عندما رايت الظلمين يسرعان اليه ، وهما بصرخان : بابا .. بابا ..

وتركتي .. اجل تركني يا سيدي القاضي وحمل الظلمين ، وراح يدايعهما

وبدللهما .. وانا فريسة لزوجة طرفت في خلوعي نعم فيها تزييفا وتقويضا .. وغامت عينا

بظلام شديد التعتيم .. واستطعت من خلال هذه الظلمات التي ترتق علي ان اسير على

اعصابي الذخيرة .. وقلت : ما معنى هذا يا سعيد ؟

.. اعني .. يا اميرة .. وفلتني بلهجة المترددة .. وصرخت : هل

هذه زوجتك ؟ .. اميرة .. ارجو ان نفهميني .. غشائي ..

.. اميرة .. سألني لك كل شيء .. ات باحاجة الى التوضيح .. هذه زوجتك

الاولى من الظلمين .. وانا الزوجة الثانية .. واخرجت المرأة يافان شديد .. لراك تقدر

ان تتلق على بيتين .. هذا ما حدث يا اميرة ..

وفجأة سمعت زوجة الاولى ترقق : اذن .. لهذا ارسلتني الى اهلي وطلبت الي ان امكث

عندهم اربعة اشهر لاضطرارك الى السفر الى اوروبا .. يا ظالم ..

وتعالى صراخها ، واخطط بكاءه الظلمين ، وجثم على كابوس مرير .. واسود الدور في

عيني ، وجف حلتي .. وكاد قلبي يقف عن الخفايا .. وركضت الى غرقي ، واوصدت

الباب خلفي ، وتجرعت الدموع في عيني ، وثلث لي هول الولف .. وجدته تكفيري ،

ولشت ارادتي .. واصبحت لوعة خرساء .. ولو اقتلعتني الاعاصير ، وطوحت بي في

الحميم لكان اندي علي من هذه الجريمة التي مثلها زوجي .. اليس قتل روح بريئة

بجريمة ؟ انا الذي نهالك على خيرة الشبان اصل الى هذه النهاية المفضة .. زوجة ثانية ..

ووليت من السرير ، ودوت من النافذة بخطي وثيقة .. وتطلعت الى الارض التي

تعج بالحياة .. لحظة واحدة واستريح .. فقرة

الزوج الكريم السجيا ..

وعدا الى بلده ، واسكنني دارا انيقة ، زهت باجمل الاثاث ، وافخره ، واندمجت

في حياتي الجديدة ، ومضت بي الى ايام هنيئة .. غير انها لم تزد عن ثلاثة اشهر ..

ذقت فيها نعيم الحياة الزوجية .. لم تصر غيمة واحدة في سعاتنا الصافية .. كان

يزداد لي يوم حيا لي .. وتراصحت امامي اطياف الهنا باجنحتها الذهبية .. ما اجمل

الحياة في هذه الالفة الجميلة .. لقد همت به حيا .. الحياة جميلة يا سيدي القاضي

.. ولكنني في الوقت نفسه فرارة غادرة .. انها تقدم لنا باقة السود ، وفي تلافيفها

الخنجر المسموم .. وذات صبيحة مشرفة نزلت الى حديقة البيت لالطف بعض الزهار

.. وعدت الى الصالون ، ورحلت انسق الورد الجميلة .. عندما رن جرس الباب ..

وفتحت للطارق .. ووجدت امامي امرأة لم تقع عينا عليها قبلا ، تدخل الى الصالون

دون ان تعيرني لغتة .. ومعهما طفلان راحا يقفزان ويركضان ويعرجان .. وشدمت

واستطعت ان افول اخيرا بلهجة باردة : اهلا وسهلا ..

وصبت علي نظرات تسلطرم بخقد قطع .. وديت الرعدة في اوصالي ، وخالطني شعور

مهم بان كاتلة توشك ان تقع .. وعلمت : ماذا تريدان يا سيدتي ؟ .. انت ماذا تريدان ؟

وانظفت راسي اليها .. لقد انخذ وجهها فنانا من الكراهية الرهيبة ، وسيطرت على

اعصابي وقلت : لعلك اخطأت الطريق .. صرخت بصوت مرئان : كلا يا سيدتي ..

انا اعراف مكاني .. هنا بيت الحامي سعيد ابراهيم ..

وتجرت منها قهقهة خاذرة وصاحت : وهل انا باحاجة الى من يدلني على بيتي ..

.. بيتك ؟ .. وزوجي يا سيدتي الفاضلة ..

.. زوجك ؟ .. انت غلطانة .. هذا بيتنا ..

.. لا .. يا سارقة الأزواج .. وتسرب الى الخوف الشديد .. ووضح لي

انها مجنونة .. وبحركة لا شعورية اردت الفرار منها .. الى مكتب زوجي ليتقني من

هذه التثنية .. ولكنها اسرعت الي ، وامسكت بي في فراوة وصرخت :

هذا بيتي .. يا خافطة زوجي .. وتطلعت منها بعد جهد ، وابتعدت قليلا

واكتسختني ليار بارد في جسدي ..

محمد حاج حسين مكة المكرمة



الفلكلور الفئاني عند العرب

تأليف نسيب الاختيار - 117 صفحة - حجم كبير - منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي بدمشق - مطبعة الجريدة الرسمية بدمشق

الذكرى قديمة بمعرفة الاديب الكبير الأستاذ نسيب الاختيار ، ترجع الى حوالي السنين ، وهي ترسم منذ كانت الخطوط الاصيلة في شخصيته الهادئة ، وصورته المظلمة ، فلقد كانت السنين تترك وتبتدل والأستاذ نسيب الاختيار ثابت على سمته الواحد ، تتبدل في عمره الايام والليالي ، أما هو فكان جوهرًا ثابتًا نقيًا ، لا يرمع عما عهد فيه من الصفاء والمودة ، والدادب الادبي ، في للال الصمت والهدوء .

اني حين اكتب عن رفاق النشأة والدراسة ، أحس بالنسبين عاتمة بي الى تلك السوانح النديا حين كان جيلنا يتطلع الى اعزاز الفكر بطلب العلم ، ومواصلة البحث والدرس ، والسير في جهاد الروح من أجل المعرفة ، دون رغبة في منصب او شهرة . وجيلنا يتي نفسه بنفسه ولم يتج له مشجوعون يوفرون في عمره انتقاد السنين ، فقد كان الادباء الكبار - وهم قليل - ذاهبين بأنفسهم فلم ينظروا اليها الا بلاعين فسبية ، وكنا نتوسل بالعبون دون الاقواء لنقتوا شأهم ، ولمه فلوننا كبار لهم واحترام . لقد كنا نحارب وحدثنا غير ممن ولا بدانا نكتب ونؤلف ونظهر اسمائنا في الصحف والمجلات شعرتنا بفرحة الظفر ، لاننا ادركنا بشيانا الادبي، منزلة برفعة ، انهم مفضلة .

واليوم حين قرأت كتاب اخي الأستاذ نسيب الاختيار « الفلكلور الفئاني عند العرب » اخذت استرجع تلك المشاهد الافة من تاريختنا الادبي لجيلنا في ديار الشام . والأستاذ الاختيار ذو ود صدق لاداب العربي وتاريخه يعيش في ظليلهما الوارف ، فاذا كتب فصحا حسبت التاريخ الادبي يسمى اليك ، من شدة استحضار حوادثه ، وتنشخصها في نفسه وفكره . وكتابه هذا الجديد ، يرد الماي الى الحاضر ، ويبرز بين افاق العروبية بفن واحد هو ان اللغة العربية في القديم والحديث . وهو لم يتناول التاريخ التكنوني للغة العربية ، فحسب ابي الفرج الاسفهاني ان يكون قد عرف سر لغائنا الدفينة ، ثم افلق على الزمان بابها وكسر مفتاحه ورماء في البحر - على حد من ندد افولنا في الإعجاز والمضيعة والتشيت ، وترك الداء بلا دواء .

بدا الأستاذ نسيب الاختيار كتابه هذا التقيس ، بالاعلام على ماهية التاريخ الموسيقي عند العرب ، وماذا يلهم منه ، ووجد لثقل سبيلًا في التقليد البشري لدواعي القبيبات السماوية في تحدر كل الواهب الفنية من الخلال وحده . وهذه الفكرة تذكرني بقولة قالها علماء الجمال بان مصدر الجمال المطلق هو الله تعالى . فالفن كما براه الأستاذ الاختيار منحدر من السماء ، وبذلك كان يقول المؤلف الموسيقي القديم « كمال الدين الفاضل » .

وقد عجبت كيف لم يقل المؤلف الى ذلك بان الفناء الهام الهي سيجت به الطور قبل الانسان ، وان الانسان قد فادها ، وركب على تنافيهما كلامه الوزون ، ثم افلق .

ثم افصح الأستاذ الاختيار للشعر مكانا الى جانب الفناء ، از

كانت كل الشعوب المتأدية قد بدأت شعرها بالفناء ، وعلى هذا كنت وجدت هذه الفكرة في حوار لي مع صديقي الدكتور شوقي صيف استاذ الادب العربي بجامعة القاهرة ، حين اخذنا في الكلام على الشاعر الجاهلي الاعشى يميمون فلما ان تسيمت بضاجة العرب دليل على ان كان يقني شعره بنفسه ويشده بتناغم نفسي مع اوزانه . وقد ذكر الأستاذ المؤلف في كتابه هذا ضربا من ذلك في غناء اسحق الموصلي لشعره وندائير وغريب والمقنية محبوبة . ثم خاض المؤلف خلال التطور الفئاني للشعر العربي حتى اعطاء طوابع فارسية ورومية ، واغريقية عتيقة . .

وفي الموضوع الثاني من كتابه تكلم على الاغنية الفولكلورية وهو يريد بها الاغنية التي تنبع من الشعب وتحضوي خواطره ومظاهره وسيرته وحكاياه ونقايد ، اذ ان كلمة « الفولكلور » التي دخلت عالمنا الادبي المعاصر أصبحت تحمل هدي المفاهيم الجديدة ، فمارس المؤلف التايغ المقالة بين الاغنية الادبية والاغنية الشعبية ، وكيف كانت الاداب القديمة تتجهم للاغنية الشعبية وتزري بها ، حتى استطاعت الاغنية الشعبية ان ترفى نفسها - كما يقول المؤلف - على المؤرخين فاعتروا بها ، ثم نما الفناء الشعبي حتى برز في اليهود العربية الحديثة في الوان متغاونة تزين كل قطر من افكار العرب بزهو خاص ، وطلاوة متغاونة .

وفي هذا الفصل جال المؤلف كل مجال في مزايا الاغنيات الشعبية وبخاصة المعاصرة التي اخذت تصوي على تعجيد البطولة وتاريخ الحركات القومية مع حفاظها على تسجيل التقاليد الفئانية في الطوابع الدائمة لكل شعب . والجدد هنا في منهج البحث لدى الأستاذ الاختيار انه يهوج في الموضوع على شوب الفكر المعامل لهووب النسيم ، فلا يشعر القاري بنفسه وأما يضى انه غير منفصل عن المؤلف فهو يعاوده ويحاسبه ويستوعب اليه يقول بال وانا . وكذلك شعرت وانا اسمع حلقها في سمر من اسماء الليل في اكناف صحراء او في تلايف غاية ، حيث مولد النار يتلهب وفناء سيدي الحامس مشورة الرطة والفلسار وفي اذنيها حلق ذهبي كيت ربيدي ، وهي ترفى على ميدان الانغام من سمها الجوال يثمن الاصابع على الاوتار بها شقيق لها ييده فينار ، وهي تغفر حافية القدمين خصرها دقيق وصدرها متدفق بحجم الهوى الذي نوزعه خطواتها الساحرة على القلبية الجواله .

ثم انخذ الكاتب الاختيار سبيله الى الكلام على الاغنية الراقصة فعمل الى الفناء الحركات ، واذا اقول اعطى الفناء عمقه الثالث ليكون مجسما . وقد ذهبت الى ان كلمة الرقص لم تكن معروفة عند العرب القدامى بهذه الحركات الايقاعية في الخطو والنتشي ، وانما هي ندد في كلام العرب المعجى على الانخفاض والانزاع في الحركة او السرعة . ولست من مذهبه في هذا الرأي فان شعر العرب في الجاهلية دل على الرقص بعينه في معناه المعروف فاذا كان قد قال قائلهم وقد ذكرت هذا الشعر : « رقص القلوص يراكب مستعجل » فاما عن الشاعر الاستعارة من الرقص القليلي الى ننتي العبد المستعجل والعرب وبخاصة في الجاهلية سكبوا على المطايا اوصافا خيرة قلائسي يميمون وصف ناقته بان راكبا يسكب نفسه في مجال الرعب ، في مروحته او تحسبه نلار من الشراوب ، من طول ما ينتنى فوق ناقته وهي تغلق به :

كان راكبا رهس بمروحة اذا تدلقت به او راكب لنصل والاختيار عرف حقا وقد استاذ التذوق من الشعر الفرنسي وعاشر كتب « فاليري » زما ما هي ماهية الرقص عند يسول فاليري جيسار الشعر القربي المعاصر فيما عناء بنظرته الرقصية في كتابه « النفس



الارباب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بمؤهل شهر

يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد

الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاطلاع تراجع ادارة المجلة

الادارة : ٢٢٣٨١٩ Dir : 223819
تليفون : ٢٢٥١٣٩ Die : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب - صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت - لبنان

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

اليسر ادب

والرفص « الذي كان يترجمها الى العربية عميدنا وصديقنا الدكتور طه حسين - وهي مني تحية اليه في هذا الحال وقد جد بي الشوق الى لقائه - .

وبحسب الأستاذ الاختيار ان يحسب البحث العلمي في الرفص من مقابله القديمة لدى العرب والشعوب حتى الرفص الديني في حلقات الذكر وحلقات الصوفية ثم الى ايمانها في رقصات الدبكة ، وتمشي في دراسته الفنية الشعبية ، متكلمة على الاغاني الخفيفة فالاغاني البدوية ثم عاد الى الوان من الفناء في العصر الجاهلي ، ثم تحدر الى العصر الاموي ، حتى توسع العصر العباسي بين مجندي الفناء والمحافظين على التراث القديم فيه ، وخرج باسم جديد « للموالي » وهي الاغاني النواحية التي كان ينوح بها الموالي على عبور البرامكة بعد البطشة الكبرى التي بطشها بهم الخليفة هارون الرشيد حين شاولوا العلوم عليه . ولم يكتف الأستاذ الاختيار بالترقى فذهب بقرانه الى الاندلس ليمسعه صدى الاغاني الاندلسية ، ومن لنا بها ، وقد رايتها قد ذهبت الفلظاها وباق في آحات الفناء الاسباني امتدادها فانمثل سماعه وانخيل رؤيته على صفق الصنبيجات الخشبية (الكاسانفيت) والضرب بالارجل على الارض ورفع الابدى في الهواء ثم وضعها وراء الظهر والخصور مع حركات الرأس وهزات القوام كله . لكن الأستاذ المؤلف تناول البحث من الوجهة الكلاسيكية فاخذ بالوشحات ، ولقد كنت وجدت في كتاب الادب الاندلسي الذي ألفه « خونثالت » اغنيات شعبية اسبانية ملائ بالكلام العربي الشعبي ، واستدل بهذا الكلام مؤلف هذا الكتاب القصم الذي نقله الى العربية صديقنا الكاتب البقري الدكتور حسين مؤنس ، على مدى التأثير العربي في الشعر الشعبي الاسباني المنسحب الى عصرنا الحديث .

وان الدارس لتاريخ الادب العربي حين يلم بمصور الانحطاط وبخاصة ما كان منها فيل النهضة العربية الحديثة ، ينبغي ان ينشئ البحث من الآثار الثنائية في هذه المصور فلا يبعدها مجموعة كلها في مكان واحد . ولا يشفيه منها شربة واحدة لكن المارسة لادب عصور الانحطاط سيجدون في موضوع « الفنون السبعة » بكتاب الأستاذ الاختيار مطلبهم من الوان الموشح والديويت والموالي والكانكان والظفورا . وما اجد علي من حرج اذ ارسلت تحية للعميد الثاني اخي الدكتور احمد مكي الذي يعرف مدى ما اعدت من الدراسة لمصور الانحطاط ، فمن حيث تلقني الان جبال مكة القرون اسمه بها ، احببه على رفيف الشوق والتوق الى اللقاء القريب بحول الله .

وقد ختم المؤلف الاختيار كتابه بالكلام على الاغاني الشعبية في سورية ومصر وفي لبنان والعراق .

وقد حانت كلمة التقيد بعد هذا التحليل والتجوال في المصرف فان الشاعر والمؤلف الموسيقي الروماني « دفورجراك » قد درس مثل الأستاذ الاختيار ، اغاني الشعب في قومه وعروقه السلافية ، وقد حار في امرها اذ لم يجد لها لونا خاصا وانما وجدها عامة الطوابع ، فجال في البلاد الرومانية سنين يجمع الفناء الشعبي ويسجله ، وكان موسيقيا موهوبا فملك على ترويق الاغاني التي سكبها في قالب خالد واحد ، فهي الآن تقى على صفاف البحر الاسود على نغمات من روح وطنه ودمه .

فليم لم يقترح الأستاذ الاختيار عملا كعمل « دفورجراك الروماني » ينهض به عربي من الموسيقيين الموهوبين ليروق الاغاني الشعبية العربية في عصرنا فيكون لها طابع خاص ، ولعل العراق ولبنان والقرب تحمل هذه الطوابع في الفناء الشعبي ظواهر ثابتة اكثر من سائر افطار العرب.

زكي المحاسني

مكة المكرمة

دمعة .. فابتسامة

ناليف يحيى حتى - ١٤٥ صفحة - سلسلة الكتاب الذهبي - مطابع
روؤى اليوسف بالقاهرة

كثيرا ما نغيب على الكاتب استطراده ، وكثيرا ما نغفل اعتداده المستطرد على مضى ، حالات قليلة تلك التي شغفنا فيها الاستطراد ، ونتمنى ان الا ينهي المستطرد حديثه ، وكاننا وسط عشرينا بالقاهرة تجلس على شوقنا بعد غداء يوم كامل - في مهنى ليلى على الجسر ، و « الشاعر » يتابع قصة لحامك ابي زيد والزباني وسيف بن ذي يزن ، تماما كما حدث لنا مع « مستر بيكوك » التي بداها تشارلز ديكنز باحسدى المجلات وهو لا يمر الى اي ارض يستلقي به ، او اي صحبة يختار . فجات تصويرا رائعا لشخصية جذابة سبقت الى عدة مواقف لكشف سموات الجميع .

ولا بد انك تسبح هذا الخدر اللطيد ، والنسوة الساهرة ، وانت تابع رحلة يحيى حتى التي لا تريد لها ، متى بداها ، انتهت . وحلته الصوفية المطرة في الفصل الاول من كتابه «دمعة .. فابتسامة» . فالكتاب رغم انه مجموعة مقالات متفرقة ، الا اننا نستطيع ان نقسمه الى ثلاثة فصول ، يشمل الفصل الاول منها تلك المقالات التي عنيتها اساسا بالحديث عن الاستطراد . فهو يبدأ بفترة من حياته ، كان فيها نبأيا يحرم اكل اللحم صفاء للروح . والا بصفا الروح يشده للحديث عن الصوفية ، ثم ينتقل من الصوفية الى مقابر استنبول ومواجهها ومقاهيها وذكرايتها بها ، فليلة القدر في مسجد ايا صوفيا ، فهدى مصطفى كمال واحلته المسجد الى متحف . ثم المقارنة بين مساجد استنبول ومساجد القاهرة ذات القاذن التماسيح الالهية ، لا كذاتية مسجد ايا صوفيا « السلوة الكاررة » . وفي النهاية يعود بنا الى المذهب النباطي ليجهره ، فيجرت حديث عذب على مدى سبع مقالات . ورغم التحاق يحيى حتى بالسلك السياسي ، واستغلاته في بلاد كثيرة (الحجاز وتركيا واطاليا وفرنسا وليبيا) الا ان تركيا كثيرا ما هذا الصنيع بذكرياته . هل لانه يحب بها في صدر شبابه ، ام لعينه لكل وحده ما ، ام لان الفرق يعد ، وفي امتداده حنين وشوق الى بلد اجداده ؟ .. ربما .. وربما لهذه الاسباب مجتمعة . ومهما تعددت الاسباب ، فالشيء المؤكد وفاء يحيى حتى ، الوفاء حتى للاطلاع . هذا الوفاء الذي دفعه للتاريخ لكثير من اصدفاته ، واكثر من حديثه عن امه . ولا شك ان هذه السيدة الجليلة هي مفتاح شخصيته والالتزام بدراساته . يمتدنا كثيرا على نغم كاتينا الكبير . فما صفاء ذهنه ودفته وسماحة خلفه - في نظرائه - الا امتدادا متدفق لشخصيته والبيئة المنزلية كثيرا ما تكون مادة ذكرايته كما نرى في « مولد النبي » ، بل وتدخل كذلك في صوره .. وتسميته « حقا ان به حالة - مسجدي ايا صوفيا - هي مضرب المثال في القباب ، لكنها كانت في نغم ذات غطاء منكشفا اشبه شيء بالكمية من الخوص فوق طبق تكسم نجساره » .

اما الفصل الثاني فلا رايك بين مقالاته ، يبدأ بالحديث عن فلسطين ، وينتهي « بدرى من غاندي » . واذا سمع لنا بالتقسيم فسنجد ان اقرب هذه المقالات اتخاذا لسمات البحث هي محاولة غوصه في نصية « الدنالي » . واكثرها طعرا «مولد النبي» واحتفال والدته وصدقيتها به . واخفا ظلا « ملايح جبل من خلال صيحة » و « زناد » سبعة . في الاول يسوق حديثا قويا عن مناقشة رسالة دكتوراه بالآزهر ، وفي الثاني يرثي ساقية تشلت منه مع بعض الآراء الطبية ، منها راي في التشلل يقول «التشلل سرقة واستنزاه ، سطو واستعباد» . واشد هذه المقالات مراة ، او نقدا مرا كشف لماسة الغنية

في بلاندا (اللجة !!) ويدخل هذا المقال ايضا في زمرة المقالات الساخرة ، وكثيرا ما يتداخل النقد والسخرية اللاذعة وخفة الظل في كتاباته . اما «واكازون» الذي يصف فيه تصرفات امرأة متصابية لا تعترف بالزمن في «واكازون» فهو رغم فكاخته صورة فديعة بالية لم يصف اليها الكاتب جديدا ، وهو في الجملة لا يرتفع الى كتابات يحيى حتى . ولا ريب ان مقال «تكبة روحية» يسفهم احساسنا بمأساة فلسطين ، ويزيد جرحنا ببول هذه الجريمة الانسانية وشاعة مظلماتها . غير ان الشكل الذي صب فيه هذا المقال يوحي بالعممة البرينة عنها التكية . ان الحديث عن فلسطين يجب ان يتساب كما يتساب الدمع الرفراق ، او يتفجر كما تتفجر براكين القضب . اما ان نخائر له شكل الموائد المستديرة ، ونخلق له محاورين ، ونبداه باهتبال مناسبة سفر امير او كبير، فشيء لم نقبله روحي ، وسالت على فوجدته ايضا بعافه .

ان القضية تتابى على كل قالب ليس لها ، كما انها اكبر من كل كبير مهم كبر ، وهي المتسابة دائما فلا تحتاج الى مناسبة . والمقال الثالث من اجل الفن ، ونقسمه الى ثلاثة محاجت :

١- الادب - ٢- المسرح - ٣- الفنان ..

واذا ابتدانا بالبحث الثالث فسنجد امامنا خمسة فنانين ، افرد لكل منهم مقالا خاصا . منهم اسماء عرفناها من «فجر النهضة المصرية» واسماء لم تكن قد سمعنا بها من قبل ، مثل فؤاد المريب صاحب البحوث القيمة في تاريخ الفنون الجميلة ، ومحمد الصادق حسيين الكاتب والمترجم الذي القى سنتين غير قليلة بالاشتراك مع الاب دي يوكوي من دير الدومنيكان ، ثم ترجمة الزايمير . ولا يفل وفاء يحيى حتى عند حدود الاسداء ، بل يتعداه الى حد الاشتراك في « تنسيق جنانة كازون » . السطور . وهذا المقال شاهد قيم على استطرادات يحيى حتى داخل المقال الواحد دون الشعور بالعمدة عن الموضوع ، فيبدأ بعمل الليلية وهو ياتي على الكازينو ، وبالحساب بالصره وشعراء العرب الباكرين على الاطلاق ، وتوفيق حبيب الصحفي العجوز الذي كان يرثي القاهي والودود اذا ما اطلقت ، او دمعت . وتاريخ هذا الصنيع وطرئته في الثانية ، ومن نهجوا نهجه .. فليخته زكي مبارك .. ونعمان عاشور خليفة زكي مبارك «المقالات نعمان كسرحياته بابها مفتوح على مصراعيه .. شان باب الكريم المصيف البهلي - » الا يصدق هذا القول ايضا على مقالات استنادا ولو الى حد او مفهوم ما ؟ - .. وعلى ذكر كلمة « البصور » ينتقل بنا الى استنبول ، واسباب اضطهاد الخديو عباس الثاني وسراة مصر بها . ثم ياتي على تاريخ الكازينو دون بئانه بعد الحرب الاولى ، والفرق التي مثلت على مسرحه ، وقصة غرام مؤلف بصاحبة فرقة . والكازينو ايان الحرب الثانية ، تاريخه الشريف وتاريخه المزجي . وفي نغول لاستنادا ان شكوى ظهر بعد الحرب الثانية لا قبلها او اياها - ، وقتل الرفاعة امتثال لوصي على خشبة مسرحه ، ايشع حادث قتل عرفته الاوساط الفنية بوزر ، وهكذا ..

ومصرح حتى لا يقوم على البوهيميكم كما حدث في بدء التهففة المسرحية دمندا - وان سمعنا ديبب الحنين اليهم في نفسه - فمفسر الرومانسية قد انتهى . الفن والبوهيميية . والتمثيل ليس اصواتا متهدجة ، وصرخات عالية ، واشارات نارية ، ونظرات حامية ، ونهته على البار « ليش هذا بمصرح بل بذكور مسرح ... انه ليس تمثيلا .. بل تمثيل لتمثيل ما ينبغي ان يكون عليه التمثيل ! » ان جوهر المسرح قد اختفى تحت كوم من رماد متعدد الاوان (مسرح الغلالة) ولا ينبغي ان يسمى المسرح الى الرابع وحده ، والا انحدر بالجديعة عن الفرض ، كما انحدر وحاد مسرح البصور الذي تحول الى كياربه في اواخر ايامه .

وإذا شئنا التصنيف فنستخرج أغلب مقالات هذا الكتاب ، ضمن ذكريات المؤلف التي بداها بكتاب « خليها على الله » ونرجو ان يتفرغ بعض الوقت لكتابتهما ..

حلوان - ج ٢٠٤٠ . محمد محمود عبد الرزاق

كتاب الاعرابيات

تأليف خليل مردم بك - تحقيق عدنان مردم بك واحمد الجندى - ٢٢٨ صفحة - حجم كبير - مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق - المطبعة الهاشمية بدمشق

لا بد لمن يزور دمشق من المدن البعيدة ، ان يقضي بعض الوقت ، منتقلا بين المكتبات ، يبحث بين رفوفها الكثيرة عن زاد يتشبع نهمه ، ويسعد فراقه ، ويروي غليله الى المطالعة ... ذلك ان المدن الصغيرة توفر كثيرا من الفراغ الذي لا تجده في المدن الكبيرة بقصبيه البعض في الاعمال الفكرية ، والبعض الاخر في المقاهي المحلة ، والبعض الثالث على الاوصاف الباهتة نسكاً وثرثرة .

وقيل عودتي من دمشق كان علي ان ازور مجمع اللغة العربية ، واجتمع بالاستاذ احمد الجندى ، لآتم حينئذ بكتابه ، واظفر بمرجه اللطيف المحب ، واتى بصفاء صراحته ، وبعد الزيارة دفع الي بكتاب الاعرابيات الذي وصل حديثا من المطبعة ، فطعنته معي في جملته ما حملت من كتب .. واقرت ان افراه قبل سواه ، رغم انه كتاب اكاديمي علمي ، يحملك الى هذا الزمن البعيد ، زمن الاعراب ، اهل الفصحاة واللين .. فهو كتاب قصة ، او ديوان شعر ، او مسرحية ... ومع هذا فقد اقبلت عليه لانود بالذكري الى سنوات الدراسة ... يوم كنا نلقى هذه المعلومات مكدسة كديسا ، ليس فيها شيء من التنسيق ، وحسن العرض ، فنشر منها ، ونعرض عنها ، وتنهافت على سواها مما يسوق التمتع ، ويربع الانصاب ، ويروح عن النفس .

فما هو كتاب الاعرابيات ؟ وكيف يعرض هذه المعلومات اللغوية ؟ يقول الاستاذ عدنان مردم بك - نجل الخليل - في المقدمة الجيدة التي كتبها عن والده والكتاب مما ، ان اباه الله في سن مبكرة ، بعد كتابه الاول « جهمرة المغنين » فجاء فريدا من نوعه ، اذ لم يسبق لباحث ان خص الاعراب بكتاب مستقل ، يستلقي بكل شاردة عنهم ، وانما كنت تطالع نتفا لخباير مبشرة ومجنزة في كتب شتى لا تعطى القارئ صورة واضحة عن اولئك الاعراب ، ولا تفهم حقهم على ما اسدوه للفتنة العربية من اباد بيشاء ، لانهم - كما يقول المؤلف - هم اساندة شيخو اللغة العربية ، ومادة الرواة .

لقد جمع الخليل هذه النصف المتناثرة في كتاب درس به الاعراب دراسة مكرمة ، وفاهم به حقهم ، وترجم فيه لاربعين رجل من الاعراب تقريبا كابى زيد الكلابى وابى محلم الشيباني ، وجهاد الاشجعي ، وابى مسحل ، والثاقبة الشيباني ، وشبيب برصاء ...

ثم يتحدث الكتاب عن أثر الاعراب في اللغة ، وبين انهم مادة الرواة ، ومرجعهم والاساندة الاولون لكل من الف او قرا ، او تفقه في العربية وطوعها ، ويذكر كيف ان الرواة كانوا يسيرون اليهم في قلب البادية ، مستهينين بالصعاب والمسافات ، ليسمعوا الاخبار الوافقة ، ويدنووها ، ويتلوا المعلومات الصحيحة من مصادرها ، وهكذا فعل كل

اما الادب فينتود بمقالين .. الفصل الاول « من اجل قصيدة واحدة !! » تاريخ للقصيدة « البردة » - للشاعر شرف الدين ابى عبدالله محمد بن سعيد البوصيري المصري تلميذ سيدي مرسي ابي العباس صاحب المقام العالي بالاسكندرية - من خلال الفجوة التي انبرت حولها حتى نهج شوقي نهجها . والثاني « ناناها » او كيف شغيت من الادب الروسي « فيه يحكي وله بالادب الروسي ، وعشقه بلطف قصصه الغائبة ، التي غالبا ما كان اسمها ناناها ، وقصة شغائه من (هوس) هذا الادب (وعشق ناناها) حينما تعرف بمعجوز مهيومة اسمها ناناها ، فاستيقظ من اوهامه وطلق الادب الروسي . ولا ريب ان الكاتب ما قصد غير الفكاهة ، او الذكري في اطار فكاهة . اذ لا يعقل ان يترك الادب .. اي ادب ، رجل كيحيى حتى من اجل سبب كهذا !! .. غير ان هذه الملحة التي ربما انجرف اليها الكاتب من اجل خاتمة طريفة ، قد اصابتنا بالثقة في بعض الوقائع الواردة بالمجموعة ، كشاهدته لمتناقشة الدكتوراه بالآثر .. خلع الاحذية قبل دخول الرواق العباسي حيث تجري المناقشة .. وقيام الجميع بقتة على صوت المؤذن يدعو لصلاة المغرب .. واقتاد طالب الدكتوراه لحدائه .. وصيحتة التي عبر بها عن ملاح جيل مضي : « يا خلق يا هو : اعملوا معروف ، لا يموئي على الحزمة ومشي عاوز الشهادة بتاعتكم ، الله الفتي منها .. »

ايقل ان يتصرف طالب دكتوراه هذا التصرف !!! كذا تصدق ، لولا الحديث عن ناناها ، الذي ادركنا منه ان الكاتب يضحى بالصدق ، عندما (تجك) التكتة . ائت معي في ان الانراق في الفكاهة .. كالغراق في أي شيء .. يذهب بالصدق .. بقرقه ؟

من الواضح ان الاستاذ حتى قد حل مشكلته مع اللغة ، فلم يعد يربط العامية ، ويختلها بالافواي . بل جاءت عاميته في السياق اصيلة . فهي ليست غريبة يخشى على الفصحى منها فيسقي عليها الخنالك وتحاط بالاسوار . ولو وجدنا لفظا في هذه المجموعة بين فوسق فليسبب آخر التاكيد عليه مثلا . غير ان الكتاب يتردد في بعض الايجان في ضم بعض الالفاظ العامية الى قاموسه ، فليجأ الى الافواي من جديد ، وان ظهرت بعد فترة متحررة منها . والعامية في سرده لا تظل عامية ، بل تلخص لكافة قواعد الفصحى .

طالعوا كل شهر

المجلات الثقافية اللبنانية

الحكمة

الاداب

العلوم

المرفان

فهي تحمل اليكم النتاج الفكري الرصين والابحاث

القيمة باقلام خيرة الكتاب والادباء

عبد الله القصيمي

كبرياء التاريخ في مازق

حينما كان في طوره الفكري الاول يصدر
كتبه المديدة قال رجال الدين : لقد دفع
عبدالله القصيمي ثمن الجنة ولن يصيره بعد
ذلك ما يصنع .

وفي طوره الثاني حينما اصدر كتابه « هذي
هي الاغلال » كتب عنه الاستاذ اسماعيل
مظهر افتتاحية « المتطف » - وكان رئيس
تحريرها حينذاك - وقال ان هذه هي المرة
الاولى التي يكتب فيها « المتطف » افتتاحية
عن أي كتاب يصدر في الشرق او الغرب .
وقال الشيخ شلتوت شيخ الازهر ان الذي
يعزّنه ان الازهر وعمره الفعّام لم ينل شرف
تأليف مثل هذا الكتاب .

وفي طوره الثالث حينما اصدر كتابه
الاخير « العالم ليس عقلا » قال عنه الاستاذ
مخايل نعيمه ، انه اعظم كتاب صدر عن
اللغة العربية في جميع العصور . وجاء عن
الكتاب في مجلة « العلوم » ، ان ذنب هذا
الكتاب انه اكبر كثيرا من المجتمعات التي
صدر فيها .

وفي طوره الرابع يصدر بعد اسابيع كتابه
الجديد بالعنوان الكبير المثير « كبرياء
التاريخ في مازق » .

فماذا يريد أن يقول في هذا الكتاب؟..

من الخليل بن احمد ، وخلف الاحمر ، ويونس القيسي ، والكسائي ،
والنفر بن الشميل ...

ومتعما كان سكان الحواجر يختلفون على مسألة ادبية ما ، كانوا
يقصصون هؤلاء الاعراب الفسادين في بطون الصحاري ، لينتوا لهم
فيها ، ويحسموا الخلاف ، ويفسر مثلا على ذلك « المسألة الزنبورية »
التي اخلف فيها سيبويه البصري والكسائي الكوفي بحضرة الخليفة
هارون الرشيد ، ولما استنحل الخصام بين المتناظرين ، وهما عمدة
بلدئهما ، ارنسبا بالاعراب حكما بفضل بينهما ، وكان بباب الخليفة
الرشيد من الاعراب : ابو مقبس وابو دنار ، وابو الجراح ، وابو ثروان .

وبقى الكتاب منظارا اخرى جرت بين ابي محمد اليزيدي ، وبين
الكسائي ، بحضرة المهدي العباسي ، وكيف فلى بينهما احد الاعراب .

ولم يفل الكتاب عن ذكر شروط الرواية ، ومن تقبل روايته ،
ويخصم فضلا لبحث اختلاف لغات العرب ، اعني لهجاتهم ، واخر
لفساد لغتهم بعد القرن الرابع الهجري ، اذا فشا اللحن ، وانقطعت
الرواية عنهم ، فصاروا يقولون مثلا « هذه عماني » والصواب
هذه عساي .

اما عن اسلوب الاعراب في الكلام فيذكر من خصائصه : حسن
السيك ، ومثانة الرفض والبعد عن الصنعة ، ومجاافة المحسنات
اللفظية ، واتواع البديع ، الا ما جاء عفوا عن غير كد ولا تعمد ،
والاسترسال مع الطبع ، ومثول المذاجة ، في كل ما يقولون ، ونصوير
الحوالغ والوجدانات .

يرى الشاعر الخليل ان لشعر الاعراب شدة الاسر ، وسمو
النسق ، ووضوح المعاني ، وكرم الدباجة ، وان شعورهم تصوير
خالص لامواهم ونزعاهم وامياهم ، ذلك ان الاعرابي لا يقول الشعر الا
بما يشعر ، وبهذا يأتي شعره صورة عن نفسه ، ونرجحان عن ضميره .
ثم ينظر لذكي افصح قبائل الاعراب ، لان الاعراب ليسوا على
مستوى واحد في الفصاحة ، وانما هم درجات ، ولذا اجمع الرواة على
ان قيس وتميم واسد وعليها هوازن وهم خمس قبائل افصح العرب ،
وكلما ابتعدنا الى اطراف الجزيرة العربية قلت الفصاحة ، ولم يؤخذ
عن حضري قط ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن اطراف بلادهم
المجاورة لسائر الامم كخلم وجذام لجاورتهم اهل مصر والقيط ، ولا عن
قضاة وغسان واباد لجاورتهم اهل الشام واكثرهم نصاري .. يقرؤون
بالعبرانية ، ولا عن ثعلب واليمن فانهم كانوا مجاورين لليونان ...

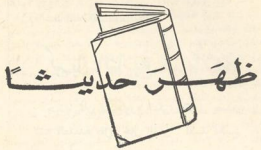
وفي الفصل الاخير الذي يسبق الترجمات ، نتحدث عن منازل
العرب وموقع كل قبيلة خارج الجزيرة العربية في مصر والمغرب والشام
والجزيرة والفراء والعراق ، ولم ينس الى منازلهم في الجزيرة
العربية لانها - كما يقول - بلادهم التي درجوا عليها ، معتمدا في هذه
الطموحات على كتاب « صبح الاعشى » للقلنسي .

اما الخاتمة فكانت مختارات للخليل في ابواب : الحكمة والادب ،
والحماسة والفخر ، والوصف ، والغزل ، والثناء ، والمدح ، والهجاء
... انتقاه بذوقه الدقيق ، وطبعه الصافي ، وحسه الرفيع ، ويكفي
ان نقول انها مختارات شاعر ...

ان كتاب الاعرابيات يعتبر خير مرجع لطلاب علوم اللغة العربية ،
ولمن يريد التبحر ، والتعمق في فهم ما في اللغة العربية قبل ان نفلنا
بهذا الشكل ، وما هي عمليات التنسيق والاصطفاة التي مرت بها خلال
عهودها الطويلة .

عيسى فتوح

اللاذقية



- العربية ببيروت - (لم يذكر اسم المطبعة) .
- ملامح المجتمع القومي : دراسة في العالم العربي - تأليف الدكتور لطفي عبد الوهاب يحيى - ٢٧٦ صفحة - مطابع النوري ببيروت .
 - قصائد الطوفان - مجموعة شعرية - امطانيوس ميخائيل - ٩٠ صفحة - مطبعة الشباب ، مكتبة دار اللواء في القامشلي بسورية .
 - التحقيقات المدة بختينة فسم جيم جدة - بالأفلام : عبد القدوس الانصاري ، عبد الفتاح ابي مدين وابي تراب الطاهري - ١٤٢ صفحة - كتاب المنهل - مطابع دار الاصفهاني بجدة .
 - الريحاني ومعاصروه : رسائل الادباء اليه - جمعها وحققها وقدم لها البرت الريحاني - ٣٧٨ صفحة - منشورات دار الريحاني للطباعة والنشر ببيروت .
 - سيرة ابواب - ذكريات - تأليف عبد الكريم غلاب - تقديم الدكتور محمد مندور - ٢٠٤ صفحة - منشورات دار المعارف بمصر - مطابع دار المعارف بمصر .
 - سلافة موسى وازمة الصمير العربي - تأليف غالي شكري - ٣٠٠ صفحة - حجم كبير - منشورات الكتبة العصرية في صيدا وبيروت - (لم يذكر اسم المطبعة) .
 - ادباء ومواف - تأليف رجاء نقاش - ٢٥٢ صفحة - حجم كبير - منشورات الكتبة العصرية في صيدا وبيروت - (لم يذكر اسم المطبعة) .
 - الانبياء المعصية للسلوك - تأليف موفق الحمدي - ٢٠٠ صفحة - حجم كبير - منشورات الكتبة العصرية في صيدا وبيروت - (لم يذكر اسم المطبعة) .
 - الانبياء المعصية - تأليف مارستون بييس - ترجمة جلال ذكي - مراجعة عبد الملك الناشف - ٢٨٤ صفحة - حجم كبير - منشورات الكتبة العصرية في صيدا وبيروت - (لم يذكر اسم المطبعة) .
 - مناهج البلاغ في العراق - تأليف مشعل حمودات - ٩٠ صفحة - حجم كبير - منشورات مجلة العلم الجديد - مطبعة وزارة التربية ببغداد .
 - المجاهد العربي محمد علي الطاهر - وصف بقلم الشيخ محمد طه الولي من علماء بيروت - ٢٠ صفحة - حجم كبير - مطبعة البيان ببيروت .
 - الكتاب الابيض - تحقيق عن رسالة الماجستير « دراسة في اصوات الله في التجويد القرآني » - تأليف حسن عوف - ٢٤ صفحة - حجم كبير - مطبعة المصري بالاسكندرية .
 - تدريب علمي الابتدائي ، بحث في التربية المقارنة - من منشورات اليونسكو - ترجمة الدكتور عمر شخاشيرو والدكتورة مارسيل عيسى والدكتور بدر الدين فاسم - ٢٨٠ صفحة - حجم كبير - منشورات مجلة العلم العربي بدمشق - (لم يذكر اسم المطبعة) .
 - سير ارباب الفكر والسياسة في لبنان - تأليف جورج عاراج سعادة - ٢٥٤ صفحة - منشورات دار وكالة النشر العربية - مطابع الانتصاف الحديثة ببيروت .
 - وصية هتار السياسية - جمع المعلومات وترجمها ابراهيم الطو - ١٢٠ صفحة - كتاب الجمهور - منشورات مؤسسة الجمهور للطباعة والنشر ببيروت - (لم يذكر اسم المطبعة) .
 - Islam et capitalisme - par Maxime Rodinson - 304 pages - Aux Editions du Seuil, Paris - Imprimerie Aubin à Ligué (Vienne), France

- اللؤلؤ وحارس القبرة - مجموعة شعرية - فايز خصور - لوحة الغلاف بريشة نعيم اسماعيل - ٩٦ صفحة - مطابع ابن زيدون بدمشق .
- احمد فارس التندباي - تأليف محمد عبد القني حسن - ٢٠٠ صفحة - الكتاب ٥٠ في سلسلة اعلام العرب - منشورات الدار المصرية للتأليف والترجمة - دار مصر للطباعة بالقاهرة .
- دراسات في الفلسفة الغربية الحديثة - تأليف الدكتور صادق جلال العظم استاذ الفلسفة المساعد في الجامعة الامريكية ببيروت - ٢٥٤ صفحة - حجم كبير - الحلقة الثانية من السلسلة الفلسفية - منشورات كلية العلوم والآداب في جامعة بيروت الامريكية - (لم يذكر اسم المطبعة) .
- كتاب الامريبات - تأليف خليل مردم بك ١٩٥٩ / ١٩٥٩ - وقف على طبعه وشرح حواشيه عدنان مردم بك واحمد الجندي - ٣٢٨ صفحة - حجم كبير - مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق - المطبعة الهاشمية بدمشق .
- الفترة العرجة - دراسات نقدية - تأليف وافي نجيب الزين - الغلاف تصميم لور غريب - ١٩٤ صفحة - حجم كبير - منشورات المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر ببيروت - مطبعة النطراف الحديثة ببيروت .
- من وحي السفر - تأليف ناجي جواد - ١٢٠ صفحة - حجم كبير - مطبوعات ابنانا ببغداد - مطبعة الارشاد ببغداد .
- الخطيئة البيضاء - رواية - تأليف ميخائيل موفى - ٢٠٨ صفحة - منشورات المطبعة الكاثوليكية ببيروت - المطبعة الكاثوليكية ببيروت .
- التلم الأزرق - مجموعة شعرية - حسن عبدالله القرشي - ١١٢ صفحة - منشورات دار الآداب ببيروت - (لم يذكر اسم المطبعة) .
- طريق آخر - سبع مسرحيات في فصل واحد - تأليف نور الدين فارس - ١٥٦ صفحة - منشورات مكتب الافلام السمعدون - مطبعة السمعدون ببغداد .
- تاريخ قطر العام - تأليف العميد محمود بهجت سنان - ٢٠٤ صفحة - حجم كبير - ساعد الجمع العلمي العراقي على طبعه - مطبعة المعارف ببغداد .
- العراق في الشعر العربي والهجري - تأليف الدكتور محسن جمال الدين - ٩٦ صفحة - حجم كبير - ساعدت جامعة بغداد على نشره - مطبعة الارشاد ببغداد .
- المعاجم اللغوية : في ضوء دراسات علم اللغة الحديث - تأليف الدكتور محمد احمد ابو الفرج - ١٥٠ صفحة - منشورات دار النهضة

مجلة للفكر في سحر



حديث مع موسى سليمان عن مهرجانات الشابي في تونس

احتفاء بذكرى شاعر تونس الأكبر أبو القاسم الشابي اقامت الحكومة التونسية مهرجانا كبيرا دعت اليه ادياء العرب وقد مثل لبنان بشخص الدكتور موسى سليمان والدكتور عمر فروخ والاستاذ ابراهيم عبده الغوري مندوبا عن مجلة « الاديب » . ليست هذه هي المرة الاولى التي ندعو فيها تونس البلدان العربية لزيارة توطد عرى الاخوة والتفاهم بين مختلف هذه البلدان فلقد سبق لها ان دعت الصحافيين العرب لزيارة ربوعها . كان من المقرر ان يكون مهرجان الشابي خلال السنة الواقعة بين ٢٤ و ٢٨ شباط الا ان الدعوة امتدت حتى ه اذار بعدما احتج عدد من المدن التونسية لعدم شمول برنامج المهرجان على زيارة ادياء العرب لتلك المدن وخاصة مدينة «توزر» مسقط رأس الشابي . اما ادياء العرب الذين اشتركوا بالمهرجان بالاضافة الى ممثلي لبنان فهم الاساتذة : عيسى التاغوري وفاتر القول عن الاردن ، صالح الخرفي وعبد الله شريط عن الجزائر ، مقيال العيسى وحسن القرشي عن السعودية ، فاضل خلف عن الكويت ، عبد المجيد بن جلون وعبد الكريم غلاب عن المغرب وفاضل الجمالي رئيس وزراء العراق الاسبق والاستاذ في جامعة تونس حاليا وعدد كبير من ادياء التونسيين كما اشتركت جميع الهيئات الرسمية التونسية في هذا المهرجان .

تحدث الدكتور موسى سليمان ، استاذ الادب العربي في الجامعة الاميركية وممثل لبنان في هذه الذكرى عن المهرجان فقال :
(١) لقد قسم المهرجان الى اربعة اقسام : (١) الايام الدراسية (٢) الحفلات (٣) الزيارات (٤) الرحلات .
القسم الاول من المهرجان ، اي الايام الدراسية كانت عبارة عن مواضيع وابحاث تدور حول شعر ابو القاسم الشابي وادبه وقد اشترك فيها جميع المشتركين في المهرجان ونظر كل منهم الى ناحية من نواحي ادب ابو القاسم .

والقسم الثاني اي الحفلات ، فقد كانت كثيرة متنوعة اقامها توكيما للوفود المشتركة كل من دار الاذاعة والتلفزة التونسية والمسرح التونسي ووزير الشؤون الثقافية والوقومية وغيرهم من الهيئات الرسمية ، وقد جابت هذه الحفلات متنوعة ممتعة من موسيقية وفنائية وتمثيلية وفلكلورية واجتماعية .

اما القسم الثالث ، اي الزيارات ، فقد كان على انواع منه ما هو للمتاحف والجوامع والانار التاريخية ومنه ما هو للاسواق والمكتبات ومناظر الاحياء .

واستطرد الدكتور سليمان يقول : ان اكثر ما يسترعي الانظار ويدلل على مدى اهتمام الحكومة التونسية بترانها الادبي هو متحف التصوير المخصص للوحات المستوحاة من قصائد الشابي والمتحف الذي يضم جميع مخططات ابو القاسم وما كتب عنه في الجلات والصحف والكتب .

وانتقل محدثي الى الكلام عن القسم الرابع من المهرجان وهو قسم الرحلات فقال :

لقد اصيف هذا القسم الى البرنامج بناء على طلب عدد من المدن التونسية ايت الا ان تشترك في توكيم ادياء العرب منها القيروان وزوغان والقصرين وقفصة وصفاقس ومنستير مسقط رأس الرئيس

يورقية وسوسة وتوزر التي انجبت ايسو القاسم الشابي

لقد كانت هذه الرحلة غاية في المتعة وزادها تاريخا كتاب وضعه اثناء الرحلة نفسها العالم التونسي عثمان الكفاك واسماء «الرحلة الشابية» وصف فيه بدقة جميع المدن التاريخية التي زارها الوفود وطبعه على الالة الكاتبة ووزعه على جميع المشتركين بالمهرجان . ولقد بلغت حفصاة التونسيين ادياء العرب حالا لا يصدق حتى ان جماهير الشعب كانت تستقبل الوفود في كل مدينة بالطبول والزوروم ومختلف الآلات الموسيقية . - سألت الدكتور موسى سليمان عن انطباعاته من خلال هذه الزيارة فقال :

لم اكن انتظر ان اري تونس على هذا المقدار من التقدم العمراني الفرح حقا ، فلقد لمست جوهر جبارة في جميع المرافق الحياتية للفلاحين من السكان الامتلاء بها فالت واجد في كل مكان قرية نموذجية تكاد تكون كاملة ، وجميع سكانها يعملون بجد ونشاط في سبيل تحسين احوالهم .

- هل لكم ان تحدثونا عن اكثر ما لفتكم في تونس ؟
ان اكثر ما يلفت النظر حقا في تونس هو توزيع الاراضي على الفلاحين بطريقة في غاية في التنظيم ، وبناء القرى النموذجية وتكليف الفلاحين من السكان الامتلاء بها فالت واجد في كل مكان قرية نموذجية تكاد تكون كاملة ، وجميع سكانها يعملون بجد ونشاط في سبيل تحسين احوالهم .

- والحركة الصناعية ؟
ان الصناع والمعامل التي زارناها تضاهي مثيلاتها في الغرب . فهناك مصانع القطن التي تحول الى غزل ومصانع الصوف والخشب الذي يعمل فيها اموال العمال ومصانع السجاد على اختلاف انواعه والوانه وكذلك معامل المنسوجات والجلد والخرف وجميعها تكاد تكون خلية من التحل يعمل كل فرد فيها بدفة ونشاط .

- هل اتبع لكم ان تطولوا على الاحوال الزراعية في تونس ؟
نعم ، ان انطباعاتي بدتني لمطر الزيتون الكثير الممتد في سهول تونس والبالغ ، على ما قيل لنا ، هـ مليون شجرة من الزيتون . وهذا ما يجعل من تونس البلد الثالث في العالم لجهة انتاج الزيت والزيتون . ثم ان هناك مشروع السنوات الاربع وبمايل التونسيون فيه ان توزع اكثر الاراضي البور على السكان لفرسها وزرعها . - لتونس تاريخ عريق ، ومناخ جميل ، فما هي اوضاع المرفق السياحي فيها ؟

- لم اكن اوقع ان اري هذا العدد الضخم من السياح الاجانب في جميع المدن التونسية ، خاصة وان زيارتنا كانت في فصل الشتاء . ولقد ادعشتني العدد الضخم والانيق من الفنادق الكبيرة مما يدل على ان صناعة الفنادق معتنى بها في تونس بصورة جيدة . اما الانار ، فحدث عنها ولا حرج ، ذلك انها تفوق الانارة اللبنانية بكثيرها وضخامتها وانها ، ولا عجب في هذا ، وقد عاشت تونس اربع حقبات من التاريخ ، ابتداء من الفينيقية حتى عصرنا الحالي ومرورا بالرومانية والعربية .

لقد اتبع لنا ان نوزر هذه الانار كلها والمتاحف التي تضم اكبر مجموعة من الموزاييك الارزي مرفوعة في العالم .

وانتقلنا الى الحديث عن المهرجان وابحاثه فقال :
لقد كان عدد الابحاث في هذا المهرجان كبير جدا واشترك فيه نحو ١٥ ضيفا وعدد يقوهم من ادياء التونسيين والقي كل خطيب بحثا مفصلا في ناحية من نواحي الشابي ولم يكن هناك متسع من الوقت لمناقشة هذه الابحاث لكنها تستشر جميعها في كتاب قائم بنفسه ، والحقيقة انها مناسبة مفيدة جدا اولا لكثرة هذه الدراسات شاعر

معاصر يعتبر من كبار شعرائنا وثالثا لانها اتاحت لعدد كبير من ادباء العرب ان يتعارفوا ويتبادلوا الافكار والآراء حول الادب العربي والنشؤون العربية والثقافية مما يزيد في عرى التآلف ويشد القلوب ببعضها الى بعض .

ومن اطراف الاجتماعات التي اقيمت ، اجتماع عند القائم بالاعمال العراقي الاستاذ الشاعر هلال ناجي وقد تكرم فيه الاخوان فاتنوبوني لادارة هذا الاجتماع وكان البحث يدور فيه حول العائلة من مثل هذه العائلات ، فكانت الاراء متجذبة في وجوب تكرار مثل هذه الاجتماعات وخلق المناسبات لها في مختلف الاقطار العربية لتعرف الى بعضنا البعض ولتشعر الفكر العربي في مختلف الاقطار .

هل اتيج لكم ان تزوروا فحامة الرئيس بورقيبة ؟
لقد تكرم فحامة فاستقبلنا في قصر فرطاجه مدة طويلة من الزمن خرجت عن حدود الوقت الذي يسمح به البروتوكول فكان يتحدثون بطلاقة لسان وقوة ايمان عن جهاد التونسيين في سبيل استقلالهم ومكافحتهم الاستعمار الفرنسي وعن صمودهم في الحركة التي لا يزال يعترها قاطمة حتى اليوم وعن ان تونس لن تخلى عن القيام بسدورها العربي الفاعل وأشار الى ان ما يحدث من خلافات في الراي بين الحكام العرب ليس الا غيوما زائلة باذن الله من سماء البلاد العربية . مصاص شجعتي وشجع بعض اخواني الحاضرين من الادباء ، على شكر فحامة وعلى لمني ادباء العرب ان يكمل كفاحه الى جانب اخوانه رؤساء العرب لارادة هذه القوم من سماء البلدان العربية .

جريدة « الصفاة » - بيروت جوزف نحاس

تحية اكار الى مجلة « الاديب » في يوبيلها الفضي

تنا نتظر ان يتأدى الادباء ، والمهتمون بشؤون الثقافة وقضايا الفكر في فطرنا العربي السوري الى المشاركة بتحية مجلة « الاديب » اللبنانية بمناسبة يوبيلها الفضي .

ان المشاركة في هذا الوبيل انما هو اعلان عن التجاوب الفكري والتعاطف حيال منشئة « الاديب » الاستاذ الشاعر البير ادب والمشاركة ايضا تعني الكشف عن ادراكنا الحقيقي لاهمية رجالاتنا الابرار الذين نعلق عليهم امالا كبيرا باعتبارهم رجالا مفكرين فسحا بكل ما يمكن ليجعلوا من حياتنا الادبية الفكرية حقيقة واقعة جميلة ، واشرافا افعل يدفع باماننا الى ان تحقق انتصاراتها الزائلة في مفسار الادب والفكر .
لقد تعود الناس على تفسير اكايل الفادر لرجال السياسة والحروب ، ولكنهم ما تعودوا لتفسير الاكايل لرجال القلم والفكر . ان الناس كثيرا ما يتجاهلون الفضال الادبي ونشاطات رجال الفكر وكفاح رواد الثقافة ، كان هذه الاحداث الثقافية ليست تكملة ضرورية للنهضة ، وكانها بمنزل عن تطورنا الحضاري الجديد .

ان قيمة مجلة « الاديب » ناتي من كونها مدرسة ادبية فكرية ، ساهمت مساهمة عظي في اشواق وجدل جيلنا العربي الشامل العميق ، وفي الاستجابة لروح العصر ومطالبه الفكرية والتحررية . وبذلك عملت على خلق جيل عربي جديد ، جيل يتحقق في مناخه نواحي التفكير السديد ، ومجالات التقدم الذي تمليه شروط الحياة الفكرية المعاصرة . ويكتفينا فطرنا انهم لم تتاجر بالمجالات الفكرية ، ولم تجعل من نفسها مجلة كرنفالية يوما ان يتوخى الى طول دعاية وابواق لهذه الفئة او تلك . اننا مجلة لا نسمعك اصوات الجنس البتلل ولا اصداه التبافض الاحقاد ، لكننا نسمعك كلمة العقل ، ومنطق الحكمة . وسبب ذلك اننا لسان الحقيقة والجمال والعدالة ، هذه القيم الابدائية الالافية منذ فجر الانسانية حتى ابديتها . هذه القيم التي ينشرها الاستاذ « البير ادب » المتوفى الكبير في صومعة الفكر والحقيقة !!

لقد ساقني الى كتابة هذا ، ذلك الطوفان من القصاصات التي تجرؤ ، وتدعي بانها مجلات ... وهي في حقيقتها قصاصات ورق هزيلة ، نعرف كلنا من يقذفها ماديا ومن يدمعها معنويا ...

ان صاحب « الاديب » قد ادى لدنيا العرب من الخدمات الفكرية ما كانت تقصر عنه السفارات العربية والمؤسسات الثقافية خارج الوطن العربي الكبير ، باعتباره ان « الاديب » هي المتبر العربي الوحيد وهي المبررة بصراحة ووضوح عن كافة التيارات الادبية الفكرية التي تصطرع في دنيا العرب . ولعلها السبب اصبحت مجلة « الاديب » هي الشهود لها في كافة الاساط الادبية والفكرية في جامعات اوروبا ، وامريكا ، وفي مؤسساتها الثقافية ، مشهود لها بانها المرجع الوحيد للحركة الادبية العربية المعاصرة .. ومشهود لها ايضا بانها المجلة العربية الوحيدة التي فتحت ابوابها الفضية لتبشر الشعر النثور ، والقصيدة النثرية ، والشعر الذي يعتمد على التفضيلة !!

ولولا فصائد الاستاذ الكبير « البير ادب » ، ولولا مجلة « الاديب » لما كان في الحركة الادبية العربية المعاصرة شيء اسمه « شعر منشور » .. وخشاما ، كان يودي لو اسهم مساهمة مادية في يوبيل « الاديب » الفضي . وبما انني لا امك سوى قلبي الطفل ، لذلك اكتفيت بارسال هذه الكلمة ، مشفوعة بدمعة ، وابتسامة ... دعمة على الافلاسي ، وابتسامة تطلق علم معجزة واكبار للاستاذ « البير ادب » الذي يصفي بجهوده وانعابه بشأن اخراج مجلته ، هذه المجلة التي اصبحت له قبلة الشاعر يعزف عليها افراحه واحزانه معا .

جريدة « البعث » - دمشق سليمان عواد

الفقيه ابراهيم معوض امين دار الكتب اللبنانية

الكلمة التي القاها الاستاذ محمد يوسف حمود على قبر الفقيه عند دفنه

يا شهيد الكتاب في بلد الكتاب ! انهم يعجبون كيف انفجر شريان قلبك ، وانت في شرح الرجولة ! اما نحن زملاؤك ، فاننا لا نعجب كيف انفجر شريان قلبك اس ، بل نعجب كيف لم ينفجر من زمان .. اننا لنعجب كيف لا انفجر شرايين قلوب الذين يخدمون الكتاب في لبنان ، بل يتقدمون للكتاب وبلاصك وتفايك !

اجل اننا نعلم ان الكتاب في بلد الكتاب ! منذ التين واربعين عاما ، تطوع بل نجد لخدمة الكتاب ، يعطيه من قلبه مجته بل دمه ، وباخذ منه لقلبه الفبار وجرائيم الحشرات ، ويعطيه حياته كلها ليللا ونهارا مقابل ذباك الراتب الضئيل ، مفسحيا متفانيا مستشهدا ، حتى سقط اس شهيدا باسلا رفض الاستقالة ، ورفض طلب صرفه من الخدمة ، شأن من يبارس حبه بهيام لا يتراجع عنه ولا يتسلسم حتى آخر رفق فيه: نعم ، وقدما لقد بقي ابراهيم معوض في الحركة حتى آخر رفق .
وامس ، اس بدون مبالغة ، كان قد بلغ وراء تحقيق مشروع له اذا تحقق يزجج لبنان مكتبات ، في المدن والقرى والارياف ، ويوزع خبض المعرفة اذا للحياة على اللبنانيين في منتهى وفراهم واريافهم ، في لبنان المجتاع الى الكتاب وهو الكبير الكبير بكونه بلد الكتاب والذي كان ملا الدنيا بعروقه مكتبات !

وان خير نرضية لابراهيم معوض في قبره تحفظ ذكراه ، تكون بتبني مشروعه ، وتحقيق طمانيه ، لا بوسام استحقاق ، ولا اكبر منه حجما واعظم منه قيمة ، كان قد استخذه منذ عشرات السنين ... فهلا تبنت الدولة مشروع ابراهيم معوض هذا لتطمئن نفسه وسنة سدة الكتاب والعرف والعرفه ، في بلد الكتاب والعرف والعرفه !

اما نحن زملاؤك ، فاننا اولي بتبني التعازي فيه ، لاننا نحن ايضا اشقاؤه وابناؤه واهله وجيرانه ولبنائه ، ولذا كان منا ومعا ولنا كبرنا ومعلمنا ورائدنا بمجته الفامرة وسيرته القدوة .. فباسم دار الكتب الوطنية ، نشكركم جميعا ، ونشكر الدولة التي منحتة الوسام بيد ممثل رئيس الدولة حضرة المحافظ . اما انت يا حبيبتنا ، فودعا ... ودعا يا خادم الكلمة وحاملي النلم ، رحلنا الذي في بلد كان الكلمة والذي علم الانسان بالعلم . والسلام عليك يوم ولدت ويوم مت ويوم تبث حيا .

محمد يوسف حمود

اليانصيب الوطني اللبناني

مؤسسة حكومية مرصدة ريعها لأعمال الإسعاف الاجتماعي

تعديات هامة في جوائز اصداراتها

- | | | |
|----------|----------------|---------------------------|
| ٢٥٠٠٠ ل. | الجائزة الكبرى | ٢٠ اصداراً شعبيّاً |
| ٤٠٠٠٠ ل. | الجائزة الكبرى | ١٨ اصداراً شعبيّاً خاصّاً |
| ٥٠٠٠٠ ل. | الجائزة الكبرى | ٤ اصدارات سوبيستيك |
| ٦٠٠٠٠ ل. | الجائزة الكبرى | ٧ اصدارات عادية |



تدفع الجوائز في المديرية
مُعفاة من كافة الرسوم والضرائب



العجيب وهذا النزوع الى التغيير والتبديل في السكن والإقامة ...

فهل كان هذا الشاعر ، ينزع على طول حياته ، الى تكوين عقله ، او مصارعة الحياة في مختلف شكلها في اكثر من بلد ، او اكثر من موطن ، ام هو الولوج بالتغيير والتبديل ؟

الواقع .. اننا نظلم الاديب الكبير ان نحن اغفلنا حياته الاولى التي عاشها في دمشق ، ونظلمه اذا نحن لم نعرف ان الشاعر اخذ ثقافته الاولى من موطن ولادته ، وخرج الى الحياة يتسلح بهذا السلاح الذي ظل يشهره في وجه كل من يمدو على لفته حتى اليوم ، وهو في بلاد تغاير لفته ، وتناى بكلمها عن ثقافة صيدح ، وان كان يزحمها بعلمه ، ويحاربها بثقافته ، ويتمارس مع اهله بالذل والتيه والعجب ، ان كان هناك ذل ، او تيه وعجب ..

فحياة جورج صيدح في « عينطورة » وهي يومئذ مقصد الطلاب من كل فج ، بلون ثقافتها الفرنسية بين المعاهد ، تعطينا المثل الرائع على التفوق والمثالية ، اذا عرفنا ان الكثير من نابني ذلك الجيل قد اخذ حظه الزاكي من المدرس على مقاعدنا ، ونال شهرته بين العلماء والادباء من عالمها ...

ولقد كان التفاعل الذي اتسم به ذلك العهد ، واستجاب له الاديب الكبير ، هو الدافع له على المضي في هذه المحاولات المتعينة التي جعلت منه انسانا لا يمل على طول سني حياته ، او يياس على كثرة ما قطع من نهزات الحياة التي جعلت بالمعظم في نفسه ، وتجمعت على هداها كيئونه .

نزل مصر ، وقضى بها شطرا كبيرا من حياته ، يدرس الادب ، ويتصل بالادباء ، ويعقد صلات واعية مع ادبائها وعلمائها ، وقادة الفكر فيها ، على عهده ، حتى امتلا وعاء نفسه وفاض كيله ، حتى لم يعد بحاجة الى المزيد او الاستزادة من محافل الادب ، او مجامع العلم ، او مجالس الفكر والمناظرة ، وان اتسمت تلك الاعوام التي قضاها بالعجب ، وغلب عليها طابع اليأس والاكتفـرار والعبوس ، فاتجه الى المهاجر ، ليقطع ذلك الشوط الذي قطعه انداده في حرفة ، تبعد عن ما خلق له ، وتباین مع اتجاهاته وميوله وما اعد نفسه له ...

اشتغل الشاعر الكبير بالتجارة ، ولما نال رزقه ، وازدهرت ثروته ، لم يرض فيها على طول الاغراءات التي اكتفتها او احاطت بنفس هذا الاديب .. فقد رجع الى حرفته ، واخذ في تعبئة قواه المستأنفة ، ليعلي من شان دولة الادب ، قوة ودفعا ، ويعمل ما وسعه على سيادة الكلمة وسؤدد قائلها ، ورفعة الذين يقولونها حرة كريمة تفيض بالحياة ، وتنبض بالحركة والحيوية .

يتسم ادب صيدح بالوضوح ، ويرتكز على الالهام



جورج صيدح

الشاعر جورج صيدح

بقلم ابو طالب زيان

(ان جورج صيدح منحوت من جوهر اللغة الصافي ، مصوغ بآدق تاثيرها والفاظها ، منسجم مع سجيته في الناعة والبساطة معا . تتهدى السمات الفسائية الشماء في برود شعره بكل اصالة فريش ، وعبقورية امية ... « فؤاد الشايب »)

من المجازفة ان يتصدى مثلي الى الالمام بحياة شاعر ، وأديب كبير ، كجورج صيدح ، ويحاول التعريف به في بضع صفحات او عدد من الكلمات ، فحياة جورج مليئة بالمفارقات ، متباينة الاتجاهات ، وان كانت مميّنة بالدرس الوفي ، حرية بالانصاف ...

ولد الشاعر في دمشق ، مسقط رأسه ، ونزع الى القاهرة ، ثم غادرها الى اوربا ، ثم انتقل الى المهاجر الامريكية ، ثم عاد الى وطنه ، واتخذ بيروت دار اقامة له ، ثم ارتضى باريس سكنا واقامة ...

ومن الخطأ كل الخطأ ان يضي المؤرخ لحياة جورج صيدح في التاريخ ، دون ان يسترعي انتباهه ، هذا التنقل

السروح نسمع ما يخالجهم والركن يلمس من شمازهم ما كان يوم التحرر يشهدهم طافوا ، ولولا انهم خجلوا ان الحجيج يتهمهم امس علم على الحرمين ذكرهم بلجدم الاقصى ، بجيرهم بخلاتق نحرنا وما سمع بفواجع في الدور نازلة حملت فلسطين الصدور الى تستشفع الاقصى وحرمة في امه البيت زاحفة والذين يعرفون جورج صيدح ، يعرفون فيه الوفاء ،

والصدق ، ويعتدحون مواقفهم الكثيرة الجليلة : فاذا ما رمى المناققين بالخيانة ، يرفق بهم ، ولا يقسو عليهم ، ولا يلجأ الى اقتضاح امرهم ، واكتشاف كنههم ، داعيا الى التسلسل ، والتجاوز عنهم كلما وجد الى ذلك سبيلا ، ولا يتحول الى التصريح الا نادرا ، عندما يتفعل الداء ، ويتعذر الشفاء الا بالمبضع ، عندئذ يلجأ على مضض الى هذا السلاح :

احببكم وبلوت نجتكمم فاذا الذي استجندته صنم فرقت بيدي منكم وما فرغت اقبى كان لباتني نسيم لم يبق فيكم من عروبكم ان العروبة يا بلابلها روح على كف الفتى دم ! وللوفاء في نفس جورج صيدح القام الانسي ، والخلة العبودية ، والمتاب كذلك وقات ووقفات ، لا يستطيع الرمن قتالها ، او نسيانها .. وبخاصة وهو يتناول بطون البليز تافان عن ابنائه التوابع الذين رحلوا عنه ، وفي نفوسهم المحبة له ، والاجلال لترابه ، والحنين اليه مهما بعدت بهم النوى ، او شط بهم المزار :

رب احجار من الشرق انتفت عظيم شباب في دار النوى لن تنلاني داره الا غمامه كمت الاوطان فاه فاعلمني منير المهجع يستوفي كلامه ولجورج صيدح ، قدرة عجيبة على تصوير المشاهد ، والتقاطها بين يديه ، ورسما في مخيلته ، وانراؤها ، محولة بثوب من البياض فضفاض .. فهو في « محبوبة القطار » يصور ما شهدته عيناه ، ويخيلنا بروائع بيانه ، ويجعلنا تلمس الصورة ونحسها ، كأننا كنا معه على سفر او مصاحبين له في تلك الرحلة :

نظرت الي ، ولم تنك تسكر طرفي على الزمر سكوتك احولة الشامتين فلا تعرجني موفقي ، ثوري ! حضرت وداعي وفكر ساه شريد ، كاتك لم تحفري فالشاعر في هذه الابيات ، ناعم اللمس ، لا يتكلف اللفظ ، ولا يلجأ الى المعنى الغامض ، بل يسكب في هذه المشاهد « حياة » من روحه ، وجمالا من ابداعه ، فضلا عن الامام بسائر الدقائق الخافية في هذا « الدواع » . ففي هذا المنظر البسيط ، يخلع الشاعر عليه من نبضات قلبه ما يجعله يثور تحت عيني القاريء الكبركان ، وان كانت

التابع من انطباعاته الاولى في دمشق في فجر الحركة العربية التي كان اهلها يعطون مناداتهم للترك في الظاهر ، ويختزنون في شرايبتهم ، حرارة البعث العربي في الباطن ، وحر الشاعر الكبير بهذه التجربة وهو في مقامه الدرس ، يمي ويرتقب الثور الذي طلع فجرا على نفسه ، وهو ينزح من بلد الى بلد ، ويهاجر من مكان الى مكان ، وفي جنباته التيه والعرز والفتن ، بهذه الانتفاضة التي وعها صيبا ، وجنى بلده ثمارها وهو بعيد عنه يجتر ذك الرحيق الذي يحلو له ان يتردد على شفتيه وهو في الاغتراب ، ويعاود الحنين اليه ، كلما تألبت على نفسه الملل ، او صارعته الامراض .

وهناك مصدر الهام آخر ، نبع من الاصوات الحرة التي صنعت « الدستور » ، او صاغت مواده ، تهدئة لثورتها ، وكبحا لجماح غضبها في المطالبة بحقها ، او عمل لها ، نتيجة غليان الوطنية في عروق ابناء بيروت ودمشق ، الذين عملوا جاهدين على خلق هذا الدستور ، للاعتراف بحقهم السليب ، وان اريق في سبيله الدماء ، وحصدت الارواح ...

على ان الحركة الوطنية التي قامت في مصر بقيادة سعد زغلول ، كانت التبراس الذي اضاء الشعلة في نفوس الوطنيين في جميع ارجاء الوطن العربي ، فضلا عن الثورة الكبرى التي ظهرت في جبل العرب ، لتجتاح العالم العربي بكهف وسددة ..

والواقع ان هذه الثورات الكبرى ، قد ولدت في نفوس الشعراء ، حركة متجاوبة ، وغرست في قلوبهم الدفاع عن اوطانهم ، بما يملكون من قول ، وما يستطيعونه من ترائيم هي افعال في نفوس اخوانهم من انتضاء السلاح او الوقوف في الميدان .

فالشاعر القومي الذي صاحب ظهوره هذه الحركات ، كان نتيجة لهذه الانفجاسات القومية على الاجانب الذين استعمروا هذه البلاد ، وعاشوا فيها هذه السنين الطوال ، دون حق ، حتى كان هذا الوعي العربي الذي استجاب له الشعراء في جميع الاراج .

فهل كان جورج صيدح ، المغترب ، بعيد عن هذا المد الثوري في الوطن العربي ، او هل كان غير راض عن قيام هذه الحركات .. او هل استجاب لهذه الحركات ، وهو يضرب في ارض بعيدة ، ويوغل في دنيا الافرنج ؟ في ديوان جورج صيدح « حكاية مغترب » يتجاوب الشاعر بروح عربية نزاعة مع هذه الحركات الثورية التي قامت في الوطن العربي ، ويمتدح ابناء وطنه الذين هبوا لهذا النضال ، ويبارك هذه المارك التي اسفرت عن هذا الانتصار الرائع في كل ارجاء الوطن .

وليس ادل على هذه المشاركة من قصيدة « الحجيج » التي قيلت و « فلسطين » في اشد نزيف واقي موقف : جحوا جناح الله واتصموا يا فاني الحاجات ، كن لهمو

سحر العيون

أدقنني والليل ساج وقلبي
موجع والقروح تدمي جفوني
ثم قالت وصوتها العذب لحن :
كيف يفوق أخو الهوى والشجون؟
عش خليا اذا اردت اديتياحا
ورقادا على مروج السكون
انما الحب في يقيني ودنبي
ان يذيب الحبيب سحر عيوني

حلب عبدالله يوركي حلاق

السذاجة تؤشك ان تلم به ، وتحيطه من كل جانب ، وهذا سر العبقريّة التي ترامت ظلالها على كل مكان .. يقول الشاعر العبقرى :

عهدك اوهسن مشى مراسا فكيف صيرت ولم اصبر !
اهز يدبك ولولا الحياء هجمت على فمك السكري
لم يجعل جورج صيدح ، حبيبتة في برج ، لا تبال فيه ، او عنقاء ، لا يتناول اليها الزمن ، وانما جعلها واحدة كسائر بني آدم ، تناول كما يتناول بسطاء الناس ، وان هي سلحت بالجمال ، وانفردت بالحن ، والله اعلم .
الازدراء :

ولما ضحكك ازدراء ودلا عيسيت وصرت انا المزدي
تحولت منك الى الاقربين اطب جرح الإباء الطري
ولقد سار القطار ، وانتهى ذلك الموقف ، وانصرف المودعون ، وسكنت ثورة الشاعر ، وهذات نفسه بعد ما انطبعت بتلك الاحاسيس الدافقة :

ومع القطار ومع البخار غاما على وجهك التبر
تقلص عرض الرصيف وغارت رسوم الحطبة والمشر
وطرفي يرود شوق الفصاح « الدمى » بفستانك الاحمر
وفي الضد فطرة دمع حبي تود الرجوع الى الحجر
على ان اهم خصيصة يمتاز بها جورج صيدح ، ان الخواطر مهيأة في ذهنه دائما ، وعلى استعداد للانطلاق ، وما عليه الا ان يلبسها حلتها من الكلمات ، ويخترع لها مخرجا ومدخلا ، وهي ميزة ينفرد بها الشاعر ، وقلما تتوافر لغيره من الشعراء .

ومواقف جورج صيدح ، او انفرادة بهذه الميزة اجل من ان يخصصها عد ، او يلم بها منتصف في باب من ابواب التاريخ الاخلاقي لكثير من الكتابين والشاعرين ، فكثير من استجاباته لمواقف فرضت عليه ، او فرض هو نفسها

عليها ، خير دليل ، واقمن شاهد على صون البيان وعزز اللغة في بنان هذا الاديب ..

فقد دعي الشاعر للمشاركة في حفل تكريم اقيم في « روساريو » للمجاهد « خليل بنوت » الذي كان ينشر مآثر العرب باللغة الاسبانية ، ولشد ما يروع المطالع لآليات جورج صيدح ، ويستوقفه هذا الوصف الرائع الذي وصف به صيدح ، حالة الاديب العربي ، لا في المهاجر الاميركية فحسب ، بل الاديب في سائر اجزاء الدنيا ..

يكشف الشاعر جورج صيدح في هذه الاستجابة المطوعة عن نفس شقيقة حانية ، ويصّب معاني في قوالب من باقوت ، مصوغة كلماتها بقطرات نفس متناعة على مصائر كثير من هؤلاء الابداء الذين يضربون في كل ارض ، ويعيشون في كل وطن ، يتغفلون باحداثه ، ويسعدهم ان يكلاهم برعايته ، ويشركهم في انفساه ، ولكن ... :

حسب الاديب وقد مشى بعليه ان لا يخر على الصليب قبلا او ان يعيش على الكفاف ويتنى قبالا بلفظه الصنول وقيسلا متفرجا في مسرح الاطعام لا ترك الكمان ولا وعى التمثيل لا تنفت له الدنيا دخيلة صدمها الى الصعود فلم يصاحب موكبا نحن النماة السائرون على الحصى ولقد تكون السابقين الى النسي لمجد نحلهم على اتاناسا ويزن في جريبلهم زربلا فتحوا الناحور في المهاجر ليتهم لو تعلم القضي مدى خدمتنا وطور ان الشاعر مشى به ما مشى بغيره في ديار الغربة ، ولا يرى عليه ما جرى لغيره من الابداء .. فيقول في جراحة عجيبة ، عندما افتتح المواطنون فرعا لمصرف في « الارجننتين » :

مشى بنا الدهر من حال الى حال يا دولة الشعر جي دولة المال وقد اصابوا نراء بعد افلال ! وكان عهدي بهم اسباع موال .. اسباع مال تلاقوا عند كمينه هذلي عكالك دنائير مفوضة تعرفت بحظوظ الناس قازنة لا زوت للعرى لم يلقو بوژنتها وجدت نغم غريبا عن منابرها في ندوة تجمع الرئيس ساجدة تنكب الروح عنها فهي في نظري وعمت من حقله التشئين انشدا

وليس شك في اننا ننظم الشاعر والاديب الكبير ان نحن حصرناه في هذه الجوانب ، وقصرنا جهوده في هذه التراثيم الخاطفة ، والتحليلات العابرة ، فهو احق بالتاريخ في كل جانب ، وأولى بالدراسة غير المتحيزة في كلمات متتالية ، وان كنت لا ادعي ابقائه حقه ، او الوصول الى كنهه ومبتغاه ...

ابو طالب زيان

القاهرة

الخبرة واستقطاب المجهول

بقلم محمود الحسنية

عندما نتجه الوسيلة النظرية الى جلاء حقائق الفراض البحث النزعة واعلاء شأنه ، يتجه جهاز التفكير الاستنباطي في ضرورته الملحة الى الادراك ، وينتج للاستنتاج اثر تنسيق عمليات التعريفات والتصنيفات ان يبين مكان القيمة الادراكية ويحدد موطئها ، وكثافتها وعمقها وفرة مائتها .

وهكذا تبدأ المعرفة بملاحظات نوعية في تحديد المشكلة المارضة ، وتنتهي الى تحليل الفكرة ومقارنته الاسول الصحيحة ، بوعي اكثر عمقا ، واوفر ادراكا . ولا غرر فالاهتمام الجدي بكل ما يعرض للانسان بين ان الاداة العقلية هي افضل وسيلة في تحقيق الهدف والغاية ، حيث يتبها العقل لمجابهة شتى الضرورات العملية التي قد تطرأ فجأة ، لذا كان التجريد في تطبيق بعض الاختيارات بالمقارنة او بالتصنيف عيسم القائدة ، فالأجزاء التي تطوعت لتقديم اللون معه ، تمثل عن الوجهة الغالبة الطريق الأمثل ، وهذا يعني ان خبرة معينة قد انطلقت الى خبرة أخرى لتزيد الانسان يقينا وادراكا ولتقل له نورا على ماهية الأشياء ، حتى اذا حدثت مشكلة كانت اداة الحل في بقعة معينة التي دون ان تلجا الى التخصيص وتنتظر الوقت الطويل ، بل تدخل فجأة في التجريد واستنباط المعرفة ، تدغم الاجزاء السلبية والاجبائية ، باللامعة والتخصيص ، والتنسيق ، تقارن بينها ، تسرع الفاسد وتقدم الجدي في عمليات اختيارية تستهدف حسن النوعية ، لم تدخل اشياءا الى مدار الرقي والتطور ، بقوة تأثير الحركات العقلية التي لا تلبث ان تسلط عليها الاضواء .

ويبدو ان يوازن المرء بين هذه الحالات المختلفة ليستنبط الافضل والاكمل ، فالمساويء اذا ما جمعت يظهر تأثيرها على الانسانية من فروب في الشتر والخسارة ، ويبدو جليا ما يقابلها من الصحة ، والتمسرة والاحتجاج ، والصفة ، والقدرة الطيفية ، والتقنية ، لا كلها ادوات ووسائل خيرة لا تخفف من حدة المعاناة والالم فقط ، بل تستخدم لتوطيد ركائز المجتمع وتطوره الحضاري على اسس ثابتة تشمل المرافق الاجتماعية والاقتصادية والعلمية .

ومع ان علم النفس الحديث اعترف ان بعض الاوهام والاحتمالات والتفكير التي قد يلجأ اليها الانسان احيانا تساعده على حل بعض معضلاته ، كما تقدم له بعض الحلول الرضية في تخفيف بعض الشعور

المرير الذي قد ينتابه ، يبقى الفكر العامل الاساسي في مواجهته الخلق ، يكشف ويحدد وجودها مع درجة الخير والشر فيها ، كما يستشير حسب الاستطلاع ورغبة التنقيب طمعا بما سيحدث من كمال وتطور ، فالإحاطة تشخيص ، والتشخيص ينطوي على اهتمام ما نرغب حوله ،

فالأداة والبيئات تشهد بالاستنتاج على حدوث شيء .

اما القلق الذي يساور انسان هذا العصر فاسبابه دون شك تتصل بالمعرفة ذاتها وبالانتماءات العقلية والعلمية والمادية التي خلقها ، وبما رافقها من قوة هائلة مدعرة يخشى منها ان تطيح به وتلقي على هذائه بظلمين او بتوجيه خاطيء شريع ، فهي كالوحش الاسير المحتاج يخافه حتى المرض ، لانها تحمل في كيانها الخير والشر كما تحمل اسباب الحياة واسباب الفناء .

والمعرفة في التوجيه المركز لا تقتصر على ادراك نفسها فحسب ، بل تعتبر وسيلة الى العمل الثمر ، والتطور المرتقب ، تستخدم القوة لتوسيع الخبرة وتجعلها ثرية ، حافلة ، تخلق نفسها بنفسها ، تنظم امورها ، تسير شيئا فشيئا ، الى هدفها نحو الخير والكمال .

وطبيعي ان ترى الانسان مع هذا الثراء القوي من الادراك والخبرة يفرز الكوابك والفناء ، حيث ضالت به حدود افق المعرفة على هذا الكوكب الارضي فوسعا واقام هناك حدود معرفته منتقلا الى عالم مشحون بالانغاز والاسرار الطبيعية .

وما دام العقل ذكاء يقوم على اجراء التجارب ، فانه في مجال عمله المتواصل الحديث سوف يحطم كل عقبة تعترضه ، ولكنه يضعف ويخو اذا ما اعتمدناه ليلقي الى الابد كشيء ظفريا به ، فهو كالولد يتزايد قوته بالعمل والحركة ، وتفتر بالتوقف والاهمال . وعندما تحركه قوة الإرادة الخيرة لدى كل عمل بناء ، يقدم بالخبرة المستنبطة وحلول العلم الحديث ، الوائنا من الحلول والابتكارات ، لا تنتهي مع الزمان والكان ، بل تسير دائما وابدا عبر المعرفة ، نحو المجهول تمنع السير وراده ، حيث لا نهاية لهذا السير الممتد الى اللانهاية ولا ادراك لذلك المجهول الكبير الرابض على حدود المعرفة . ومهما حاول الانسان جاعدا بقوة ادراكه ومعرفته في حل الاسرار المعلقة في هذا الكون فانه يعجز عن استقطابها كلها ولو كانت له مصيرة بقوة نور السنة الضوئية .

اذ يتسح لكل من اضمن تولا في حقول الخبرة والاستنباط ان وراء خبرته اسراراً معلقة ، ووراء معرفته اسوارا مجهولة ، وكثيرا ما يظهر المجهول في مجال المعرفة ، فيتحداهما ويقم فيها حدوده ، والمعرفة والمجهول نقيضان يلتقيان ولا يتفان ، يقوم الاول على وجود الاخر ، ويقوم الاخر دليلا للاول ، حيث تتلائم المعرفة اذا انتفى وجود المجهول ولم يعد له من اثر ، حيث يعرف الشيء بفسده .

ولا غرابة اذا وائنا طاقة المعرفة الديناميكية تفجر كل يوم الاف الاسرار المعلقة في هذا العالم دون ان تقضي نهائيا عليها ، وبدون ان تفت هذه المقاومة في عضد تلك الطاقة المتجرة ، وتفتر وتصف ، فالاسرار المعلقة تظهر باشكال مختلفة وفق الحالات التي تقوم عليها ، والزمان الذي تعيش فيه ، وكثيرا ما تولد تفجيرات المعرفة الكثير من هذه الاسرار المعلقة والمجهولات المتجزة .

لذا كان الاستقطاب والقضاء التام عليها ضربين من المستحيل ترفضهما المعرفة نفسها .

محمود الحسنية

افاقت الزوجة من احلامها على ساعة الجدار ، وهي تدق العاشرة ليلا ، وعصام لم يعد ، فقامت الى الساعة تمعن النظر فيها عن كتب ، وتنازل عقاربها ورقاصها ، ونصفي الى موتها الرتيب . كانت كل حركة من عقربها الكبير تزيد في مخاوفها ، وكل دقة من دقات ثوانها تضاعف وساوسها وظنونها .

مرت عشر دقائق ، وسميرة وقعت امام الساعة تتأملها دون ان تراها ، بل ترى وراء زجاجها صورة من الماضي الباسم الضحوك ، والى جانبها حوادث من الحاضر العابس . كانت اول الصور التي رأتها صورة عصام ، وهي الى جانبه في اول لقاء لهما . انها ما تزال تذكر هذه الساعة التي قلبت حياتها راسا على عقب ، وجعلتها تشعر بالسعادة ، وتسمى الدنيا ترقص بين يديها .

وتناوبت الصور ، وتكرر اللقاء ، وجهما يكبر يوما بعد يوم ، الى ان اكتمل ... ولكنه ابى ان ينقص . لم يكن وجهها نزوة من نزوات الشباب ، ولكنه حزن عميق ، نبيل في معناه ، شريف في غايته . ومن اجل هذا ما كاد عصام يحصل على اجازة الحقوق ، حتى شاء ان يضاعف فترته ، ويحقق الحلم الذي طالما تاق الى نفسه ونفس سميرة .

انقضت ثلاث سنوات ، وسميرة لا تزداد بغناها الا حبا وتعلقا ، فهي تبكي اذا غاب ، وتحزن اذا تاخر ، وتارق الليل بطوله اذا حضر فحقة او لبي دعوة صديق . ولكنه رغم ذلك لم يسبق له ان تاخر حتى الساعة العاشرة ، كما تاخر اليوم . ان عصام قد تغير ولا شك . لقد خرج من يدها ... لقد خسرت . من يدرى من هي الجريمة التي انتزعت منها ؟ وما كادت سميرة تصل بتفكيرها الى هذا الحد ، حتى شعرت بالدموع تبيل خديها الاسيلين . وفجأة تذكرت شيئا خيل اليها انها نسيته بالمرّة ، فقامت الى الهاتف تدبر القرص . وما هي الا ثوان ، حتى تهادي صوت عصام في اذنها يقول :

— سوسو ؟ انت سهرة ؟ آسف لتاخري .. كم الساعة الان ؟ فاجابته بخيرية مرة :

— وما الداعي لاسفك يا عصام ؟ ابق في مكتبك مع الفاجرة التي انتسك الوقت ، وانتسك زوجتك ودارك ! ولم تنتظر سميرة جوابا ، بل ألقت السماعة بعنف ، وانتهت المخابرة وجلست تبكي .

دهش عصام واضطرب لهذه الصاعقة التي وقعت في اذنيه ... لقد تعود من سميرة في الماضي غيرتها عليه ، ومراقبتها اياه ، وكان هذا يزعجه كثيرا ، ولكنه كان يحتمله بصبر وطول اناة ، املا بان تزول هذه الغيرة مع الايام ومرور الزمن .

قلب ونار

يقلم عبد الفتى القطري

http://Arabicetexts.Sakni.com

ولكن سميرة لم تكن لتزداد الا حبا وتعلقا ، وهي لا اليوم فقد طمع الكيل ... انه شيء لا يحتمل ... اليس رجلا صاحب عمل ، يتطلب منه السهر والملاحقة ؟ ثم انه في ذلك اليوم بالذات لم يغادر مكتبه في المساء . ولم يستقبل احدا ، بل أغلق بابَه وصرف موظفيه ، ولبت وحده بدرى قضية مصرع المزارع الشهير سعيد الحموي ، انها قضية واضحة ، ولكن كان لا بد لعصام من السهر على درسه للوصول الى خوافيها . فما معنى هذا الاتهام الصريح الذي صيته زوجته كالرصاص في اذنيه ؟ كان عليه ان يتصل بها هاتفيا ويخبرها عن اضطرابه للتاخر ، ولكن ساعة المكتب التي تعطلت فني ذلك اليوم ، جعلته لا يشعر بالوقت ،

قصّة

وهو غارق في اضارة المزارع القتيل . فويل يبرر هذا السهو البسيط انهاها الظالم ؟

وقام عصام فجمع اوراقه .. ولما بلغ المنزل وجد زوجته الشابة غارقة في بحر من الدموع ، فلجأ الى لبايته وكباسته ، يستعملها سلاحا للفضاء على وساوس سميرة . وقد وفق فيما اراد ، او هكذا خيل اليه عندما رأى سميرة تكفكف دموعها وتبتسم . ولكن الوساوس والغيرة عاودتها ، عندما ارادت ان تنام ، فاقضت مضجعها ، وجعلتها تحس بانها تنام على شوك ونار ، لا على فراش وثير . ونام الزوج ملء جفنيه ، وظلت هي تتقلب . وكلما صور لها الوهم ان زوجها كان قبل مجيئه بين احضان غانية سواها ، احسبت بالنار بكوي ضلوعها ، وتاكل صدرها ، فتصر باسنانها حيناً ، وتعض على اصبعها حيناً آخر .

وافاقت في اليوم التالي ، التفتت الى زوجها فلم تجد فيه نفس سريره ، فقامت كالجنونة الى الهاتف تدبر القرص ، فاذا بصوت ناعم يجيبها :

— من انت ؟ وماذا تريد من الاستاذ عصام ؟

وجن جنوبها .. انا سميرة ماذا اريد من عصام ؟ لعل لم يبق لي منه نصيب ، حتى تسالني هذه الفاجرة عما اريده منه ؟ ومن اجل هذه اللعينة ذهب عصام دون ان يودعني في الصباح ؟

واحسبت بالسماعة تقع من يدها ، دون ان تقوى على حملها ، ولحست نفسها على المتكأ العريض ، تسقط فوقه وتمزقه باسنانها ، وتبلله بدموعها السخينة .

وانتصبت فجأة ، وقد خطر لها خاطر ، فارتدت ثيابها على عجل ، وتوجهت الى مكتب زوجها ، وفي نيتها ان تصفعه وتقتل الخائنة التي شغلته عنها امس واليوم ، والتي جعلته يتأخر بين يوم وآخر . هذه الفاجرة ستركها وتحقق بقدميها . ستقضي عليها ، ولن تفعل بها الحكومة

ما تشاء . ان عصام لها وحدها . لقد احبته منذ سبع سنوات ، وتزوجته ، ويجب ان يظل لها وحدها . انها لن تسمح لاسنان ان يشاركها به .

ولما بلغت مكتب زوجها لم تجد فيه احدا ، بل لمحت امرأة بسيطة الثياب والمظهر ، تنظر الى الشارع العام من خلال الشرفة ، فتأملتها لحظة .. عن اجل هذه الحشرة يخونني عصام .. ومن اجلها اسهر الليل وتضيق سعادتي ؟ . ولم تتمالك نفسها ، بل هجعت على المرأة من خلفها ، وانهاالت عليها ضربا ولكما ، واخذت تكيل لها الشتائم ... ونظرت سمرية في وجهها ، فاذا بها امام عجزو قد جاوزت الخمسين ، لا يبدو عليها سوى مظهر الخدم . فخلعت من نفسها ، وذنت منها تطلب المعذرة والصفح ، حين عرفت انها والدة احمد خادم زوجها ، وانها حاضرت لتنظيف المكتب بدلا من ولدها المريض .

لم تهدأ سورة الفيرة في صدر الزوجة الشابة ، رغم ما حدث . وكيف تهدأ وهي تتخيل زوجها في كل لحظة يغيبها عن المنزل بين احضان غانية سواها ؟ . لذا ضاعفت رقابتها عليه ، وملاحقتها لكل حركة يقوم بها ، الى ان اقتضت منفعه ، واستبدلت سعادته بشقاء ، ونعيمه بجحيم . وصار عليه مساء كل يوم ان يجلس على كرسي الاعتراف ، ويخبر زوجته باسماء جميع زائريه ، وكل من تحدثوا اليه بالهاتف ، او قابلهم في الطريق ، او رآهم من قريب او بعيد ! .

كان عصام يجزل لها النصح ، ويتفاني في اظهار الوفاء والود لها ، ولكن سميرة كانت تقابل نصحه بوده ووفائه ، بسخرية واشمئزاز ، ظنا منها ان عمله هذا ، ما هو الا ستر لحياته التي يرتكبها .

وذات ليلة استيقظ عصام على موت زوجته ، وهي تهذي في نومها ، وسمعها تتأوه وتقول :

— يجب ان اعرف الخاتنة .. لا بد ان اقبض عليها ، وعندما اعرفها سأقتلها مهما كلفني الامر ، بل مهما

كانت النتيجة . عصام ... لقد تبدلت يا عصام .. انني احبك .

استمع عصام الى هذيان زوجته طويلا ، ثم نهض من سريره ، ودنا منها ، فرأى المرقق تنصب من وجهها . ولما لمس جبينها ، ادرك ان النار التي تشتعل في قلبها ، امتدت الى سائر جسمها ، وانها وقمت ضحية حمى خطيرة ، لا يعرف نتائجها الا الله .

حين كتب لسمرية ان تشفى ، كانت قد اصببت بنحول شديد ، وضعف عام في البنية . ان شيئا واحدا فيها لم يضعف ولم يعرض ، هو غيرتها على عصام ، وشكوكها في وفائه واخلاصه . لقد انخفضت حرارة جسمها ، وانطفت نار الحمى فيه ... ولكن نار القلب وحدها لم تنطفئ ولم تنخفض حرارتها ، بل لعلها تزداد اشتعالا وتأججا يوما بعد يوم .

واستيقظت ذات صباح ، وكان الفصل ربيعا ، والطقس دافئا ، فارت عصام يقف في الشرفة ، فانطلقت نحوه وهي تصيح :
— ألم أحرم عليك الوقوف في الشرفة وحده ؟

تنظر اليها شزرا ولم يجب . وتطلعت الزوجة الى بناء بعيد ، فلمحت وراء الشرفة خيال فتاة ، فاخذت ترغي وتزبد ، وتكرر عليه درس الاخلاق والحشمة والغضيلة ، الذي اعتاد ان يسمعه منها مرات عديدة كل يوم .

كتم الزوج غيظه واله ، وصبر على مضض ، واخذ ينظر الى السماء مستغنيا ، طالبا الراحة والرحمة ، راجيا انتاذه من الجحيم الذي يحيا فيه .

لم ينبت عصام بينت شفة ، بل ارتدى ثيابه على عجل ، واغتمت فرجة انشغالها ، فذهب الى مكتبه ، دون ان يودعها . وما كاد يبلغ مكتبه حتى اتصل هاتفيا ببعض زملائه ، لامور تتعلق بعمله .

بحثت الزوجة عن عصام فلم

تجده ، فالتفت الى الهاتف تدير القصر .. ولكن الهاتف ابقى ان يجيب . كان الرقم الذي تريده مشغولا . مرة واثنين وثلاث مرات ، والرقم المطلوب يشير الى انه مشغول دائما .

فاشتعلت النار من جديد سي صدرها .. ان زوجها ولا شك يغازل فتاة الصباح بالهاتف .. انها يتفان على موعد .. انها مؤامرة جديدة لخيانة جديدة بالله ... لم يعد عصام يستحي . انه يخونها كل يوم . يجب ان تكون معه اكثر حزما .. يجب ان تضع حدا لخياناته وغدره .

وانطلقت سميرة كالسهم ... وشعر عصام بان باب مكتبه يفتح بكثير من العنف . واطل وجه تائر معرب ، كانه وجه ايليس . وكانت غرفة الاستاذ عصام تضم سيده تصحبها امها ، وقد اتجهت السيدة اليه ، طالبة مساعدتها على الطلاق من زوجها ، لانه سيء الماملة شديد الفيرة عليها ، يشك في كل عمل من اعمالها ، وكل حركة من حركاتها ، حتى قلب نعيمها الى جحيم ، وهنأه الى لقاء الله .

تأملت سميرة في وجه السيدة الحسنة ، فلم تشك بانها هي ... هي التي يخونها معها .. فافتربت من زوجها وبصقت في وجهه ، واثنين الى السيدة فصغمت صفة كأنها من نار ، وانطلقت الى الباب تريد الذهاب . ولكن عصاما قرع الجرس لخدمه على عجل ، وامره بالقبض على سميرة ، وحجزها في الفرقة المجاورة بعض الوقت . وكتب عصام بيد مرتجة ، مطورا قلائل ، وضعها في ملف ، وخرج الى سميرة ، ودس في يدها الملف وهو يقول :

— ارجو ان تسلمي جوابا عمك ! وعاد عصام .. وقد شمر بانه تخلس من جميع همومه ومتاعبه .. ونظر الى السيدة الحسنة ، وابتم لها ابتسامة ذات معنى ! .

عبد الفني العظري

دمشق

لبنان

حافظ جميل



فما لك غير لبنان وتشفى
اطل على منيته واشفى
فلم تغفر باندى منه عطفاً
وحاطك في المشيب فكان كهفا
بارعى ذمة منه واوفى
وان نابتك نائبة فسيفا

ذر الدمع الملح يزيد وكفا
صبرت ولات مصطبر لنضو
بلوت الحادين عليك طرا
اظلك في الشباب فكان وكنا
ومن لك في التوازل ان المست
كفالك به لدى الازمات درعا

اذا خطرت له ذكراك رفا
يحيل عوافي لها مقفى
يحبره لك الشعراء زلفى
باصدق ما يخالجنى واصفى
فلم اترك به غشا وزيفا
لا وفى جميلك اذ يوفى

اغثنى واراع يا لبنان قلبا
وبت جوانحي نقشات شعر
واين من السعور المخض شعر
صدقتك فيه عاطفتي فافضى
وصفت لنظمه حبات قلبي
ولو فصلت فيه سواد عيني

لمن نصبت صباهه فجفا
لايام تريد الجرح نرفا
سنى لذاتها حرفا فحرفا
سوى خمس تقصت فيك طيفا
رضيت بتصفها وتركت نصفا
ولو عمرت بعد الالف الفا

حديث الحب يا لبنان مر
وهل يحي الحديث سدى اذكار
خلوت اعد من صفحات عمري
فلم اذكر من الخمسين منها
ولو كتبت بارضك لي حياة
فما دنيائي بعدك لي بعمر

فعاف لذائد الدنيا وعفا
سدلت به على عيني سحفا
كانني قد نزلت عليه ضيفا
احن لها وفى الخلان الفا
وتصبح ندوة الاحباب مثفى

تنسك في حنيف هواك قلبي
اراني حيث سرت ارى ضبابا
واحيا منك في وطني غربا
وهل ابقيت لي في الارض دارا
كفى بي ان يعود الود كرها

فما استخذيت للايام ضعفا
وقد ابقين لي لاراك طرفا
لظل هواك نورا ليس يطفأ
احاول حسمه فيزيد ضعفا
علي من الضنى واشد عنفا
وطبع الدهر انجازاً وخلفا
لموعود ولا كامطل حتفا
وماطل في لقاءك فزاد خفا
مصائب لا يطيق لهن وصفا
اجاري الدهر اخلاقا وعرفا
للبس من شتات الداء صنفا
لعمل وراءها فرجا ولطفنا

حليف صباية بهواك شفا
فما يستطيع غير الشجو عرفا
لحوم في رياضك واستدفا
وناطف كرمها ضما ورشفا
ومن اعدابه عمدا وسقفا

تصرف بشاشة وتنت عرفا
ويرققها الجنى فتميل عطفا
كشيف ضبايه وتمود تخفى
وتلبس من نقاب القيم شفا
تهزا بالجنانين واستخفا
توسد طيب نفتحته وانغفى
تقشفه ولا عاتبين صيفا
ولا مر الربيع بهن خطفا
وتلقاها على الحافات صفا
تناوله الصفا ذرا وندفا
ليجعلها على الشعراء وقفا
اوقيات الشباب وقد تغفى
على كاساتهم يحسون صرفا
ومن صايين يعتنقون خسفا
ابوا الا ندي التين قطفا
مضوا عنه وقد جمدا اكفا
ومن اهليه آدابا وظرفا
ولم تترك سوى الآهات خلفا
وجزنا بعدها لم ندر كيفا
سوى لبنان ان امعن عسفا
على الاطواد اشمخهن انفا

حافظ جميل

ذكرتك والشدائد فوق طوقي
ولا نددت بالاسقام تنسرى
ولو قدرن لي اطفاء عيشي
حماني عنك في الادواء داء
ونازعني هواك فكان اقصى
خبرت الدهر ايمادا ووعدا
فلم أر كاحتمال الوعد رزا
تطاول في نواك فهاج وجدا
وطال توجعي لك واحتوتني
كاني والمنية نصيب عيشي
فاخلع من ضروب الحزن لونا
واذعن للخطوب وقد توالى

ارح مضناك يا لبنان وارحم
نوى في سجن عزله غريبا
ولو عاد الزمان به طليقا
وعانق ارزها قبلا وشما
وشاد له من الزيتون بيتا

سقاهما الله جنات ظلالا
تناهضها الرنى فتتميه زهوا
ويغمرها الندى فتشقي عنها
تجر على طويل السجج ردا
اذا استدري بها رضوان ايك
وداعب من نسائمها ارجا
خمائل ما تعين على شتاء
ولا هتك الخريف لهن سترا
منشرة على الاكام شتى
مرفرفة على شلال ماء
كان الله اطلقها خيالا
زلت على مشارفها اناجي
واجبابا انست بهم عوكفا
فمن صادين يحتضنون زفا
ومنتجمين رمانا وكرما
ومعترفين من سلسال نبع
ومستوحين من لبنان شعرا
رعاهما الله احلاما تولت
المث كالخيال بنا وجازت
ومن عند الشدائد من ملاذ
سلمت الدهر يا لبنان طودا

بغداد

طبقة الفهماء

بقلم حسن الكرسي

من « العروة الوثقى » في لندن

يمكن عن صالح بن عبد القدوس أنه توفي له ولد صغير ، فحضر إليه أبو الهذيل العلاف ومعه ابراهيم النظام ، فوجده يتلفظ حزنا على ولده . فقال له أبو الهذيل : لا أرى لتحرك وجهه ، إذ الناس عندك كالنبت . فقال صالح : يا أبا الهذيل ، انما تحرفني عليه لأنه لم يقرأ كتاب الشك . فقال : وما هذا ؟ فقال : كتاب وضعته ، من قراه شك فيما كان حتى كأنه لم يكن ، وفيما لم يكن حتى كأنه كان . فقال له ابراهيم النظام : فابن انت على انه لم يمت وان كان قد مات وعلى انه قرا الكتاب وان لم يكن قراه .

وهذه الحكاية تذكرني بحكاية أخرى من هذا النوع . فقد دخل رجل من الحسائية (وهي فرقة من الوافضة) على المأمون ، وكان ثمامة بن أشرس حاضرا ، فقال له المأمون : كلمه . فقال له ثمامة سائلا : ما تقول وما مذهبك ؟ فقال الحسائي : أقول ان الأشياء كلها على التوهم والحسبان ، وانما يدرك الناس منها على قدر عقولهم . ولا حق في القضية . فقام إليه ثمامة تلطمه . فقال الحسائي : يا أمير المؤمنين ، يفعل بي مثل هذا في مجلسك ؟ فقال له ثمامة : وما فعلت بك ؟ قال : لطمتني . قال : ولعلمي انما دهنتك بالباب ، ثم انشأ يقول :

ولعلمي آدم انشأ والاب حوا في الحساب
ولعلمي ما ابصر من يبي الطيور هو الفراب
ومسا حين لمعدت فمت وجين جئت هو الدهاب
ومسي التفسج زنبق ومسي البهار هو السداب
ومسا ناكل من .. . وانت تحسبه كياب
وأقرب شيء لهذه الحكاية والحكاية السابقة ما

يقال عن الفيلسوف البريطاني باركلي الذي كان لا يؤمن بوجود الأشياء خارج الذهن ، ويعتبر الذهن هو المصدر لما نشعر به من وجود الأشياء حولنا . فقد جاء باركلي يوما لزيارة صديق له ، فطرق الباب عليه ، فاطل صديقه عليه وقال له : لماذا طرق الباب ؟ ولماذا لا تدخل ، وأنت تعلم ان الباب لا وجود له .

وكان الفيلسوف الانكليزي هيوم شكاكيا ، وانكر ان يكون في الوجود شيء يقال له علة أو اثر ، أو ان يكون ارتباط بين العلة والأثر كما هي الحال في الحوادث الطبيعية . فقد كان هيوم يقول انني لو دفعتك من على رأس الدرج فانت تندهور الى الأسفل من نفسك - أي بدون ان يكون لدفعي إياك أي تأثير في هذا التدهور .

ومع ان الفيلسوف الفرنسي ديكارت زعيم الفلسفة الغربية الحديثة هو الذي استعمل الشك للوصول الى قاعدة يمكن ان تبنى عليها فلسفة معقولة ، غير ان الشك في اشد مظاهره قديم جدا ، سبق اليه جماعة الشكائين في الفلسفة الاغريقية ، بل اليبوذون من قبل ، ثم تدرج الى القرون الوسطى والديكارت وباسكال وهيوم وغيرهم . ويقال ان الذي اوجد فلسفة الشك في اليونان القديمة الفيلسوف بيري Pyrrho في القرن الثالث قبل الميلاد وكان من الفلاسفة الشكائين « كورجياس » و « بروتاكورس » والسوفسطائيون . وكان كورجياس يقول : « لا شيء موجود في العالم ، وان وجد شيء فلا قدرة لنا على معرفته ، وان عرفناه فلا نستطيع ان نخبر غيره عنه . وكان السوفسطائيون يزبدون الحقيقة حتى انما كانوا يعلمون الناس لقاء بعض الاجر كيف يشئون امرا من الامور ويتقصونه في الوقت نفسه . فالشكاكون اذن لا يؤمنون في امكان المعرفة ، ولذلك فانهم كانوا يحجمون عن ابداء رأي او حكم نهائي . وهذا ادى بهم الى عدم البلالة . والشكاكون العرب او المسلمون بصورة عامة في اوائل العصور العباسية بصورة خاصة كانوا بالطبع متأثرين بهذه الافكار الاغريقية القديمة ، فقلوها عنهم واخذوا بتادون بها ، ولو انها كانت تتعارض مع الدين . والغريب في امر الفلاسفة المسلمين عموما انهم لم يكتفوا بتقيدون بالدين الاسلامي على الدوام ، كما كان الفلاسفة اليهود يتقبلون بالدين اليهودي والفلاسفة المسيحيون بالدين المسيحي . ومع ان العصور الوسطى الاسلامية كانت عصور تحرر فكري ، حتى من سلطة الدين فسي بعض الاحيان ، فان العصور الوسطى المسيحية كانت عصور ايمان خالص ، بحيث ان الايمان كان يعتبر فوق العقل ، وان العقل اذا تعارض مع الدين كان الايمان هو الحكم الفصل ، ولا حكم للعقل ، ومع ذلك فقد اخذ الشك يتسرب الى العقول منذ القرن الحادي عشر . واذنا تذكرنا ان النظام الفلسفي الديني في القرون الوسطى في اوربا كان قائما على الفلسفة الحقيقية Realism التي تقول بوجود الكليات Universals وجودا حقيقيا عرفنا بالاستنتاج ان الشك بدأ يتطرق الى هذه الفلسفة وان الميل اخذ يتجه نحو الفلسفة الاسمية Nominalism المناقضة لها ، وهي الفلسفة التي تقول ان الكليات ليست الا اسماء ولا وجود لها في الحقيقة ، وان الجزئيات او الفرديات هي الموجودة في الحقيقة دون غيرها . واول من قام بالدعوة الى الفلسفة الاسمية وكان له خطرته الاسقف روسلينوس Roscelinus في عام ١٠٩٠ . فقد أعلن هذا الاسقف ان الكليات لا وجود لها ولا حقيقة ، وانما هي مجرد اسماء لا غير او من قبيل الوهم . وقال ان الأشياء الحقيقية الوحيدة هي الجزئيات او الفرديات ولذلك فان الابحاث الدينية والعلمية على السواء يجب ان

يحدث في النفس مرضا نفسانيا يعرف بالخيل الدوري folle circulaire الذي من صفاته الكآبة وجنود النفس والسوداء والقلق . وقد يرافق ذلك أيضا حب المشاكسة ، وتفضيل الأشياء المتبدلة السخيفة .

فانهار جميع القيم في ذلك العهد في العالم الغربي وتحلل المجتمع وروابطه وضع ادى الى امر من امرين : الامر الاول التسليم للقضاء والقدر او الجبرية ، والامر الثاني عدم التسليم للقضاء والقدر او القدرية . فجماعة دن سكوتس Dun Scotus (١٢٦٥ - ١٣٠٨) استأذى « وليم اوكم » اختاروا الجبرية او التسليم للقضاء والقدر ، وكانوا يخالفون جماعة توما الاكويني اكبر علماء الكلام في القرون الوسطى (١٢٢٥ - ١٢٧٤) . فكان القوميون يقولون ان كل شيء معقول هو بارادة الله ، ويرد عليهم جماعة « سكوتس » بقولهم ان كل ما يريده الله هو المعقول ، ويقولون ان من الخطأ القول ان الله فعل الشيء لانه خير ، بل ان الصحيح هو ان الشيء خير لان الله فعله . هذا من بعض النواحي الدينية . ولكن زاد في البلبلة

ظهور جماعة من المفكرين الاحرار في غرب المانيا يعرفون بالكبارديين الجواليم Beghards كانوا يعيشون على التسول او البصا والسرق . وكان مبداهم الفلفي انكار القيم الاخلاقية واعتبار الانسان وحده مقياسا لنفسه دون اي شيء آخر . فهم في نظرتهم هذه اقرب ما يكونون الى فلسفة التحلل او الفلسفة العدمية Nihilism . وهم من هذه الناحية العدمية قريبون من فلسفة « سكوتس » . فسكوتس هذا يعتبر الفرد كية ضئيلة لا تذكر امام قوة الله (عظيمة) ، والكبارديون ، على العكس من ذلك ، يعتبرون الفرد كل شيء في هذا العالم . وقد يخطر في البال لاول وهلة ان « سكوتس » رجل على جانب عظيم من التدوين والايमान والثقة بالعقل الرباني ، وقد يكون هذا صحيحا ، ولكن المهم انه كان عديم الثقة والايمان بالعقل البشري . وهذا من جملة الكثيرين الذين شكوا في مقدرة العقل الانساني على تفهم الامور وحلها بالطرق المثلى .

وقد يكفي هذا العرض لاطهار الحالة التي وقعت فيها اوربوا قريبا بعد انهيار فكرة الكليات وانتصار فكرة الجزئيات . وقد بلاضح القارىء الكريم شها بين تلك الحالة والحالة التي سادت العالم الاسلامي او العالم العربي في القرن الاخير او حتى قبل ذلك بضعة قرون ، لولا ان هذه الحالة لم تكن نتيجة لتفاعل فلسفي داخلي كما جرى في اوربوا ، ولكن نتيجة لعامل خارجي على الاغلب وهو هجوم الفزاة الاجانب على الخلافة العربية او على البلاد العربية ، مما قضى اولا على العامل الجامع بين الشعوب الاسلامية والعربية وادخل الشك في النفوس حول الايمان السابق بقوة الخلافة وبقوة النظام الديني . فزوال العامل الجامع وفقدان الثقة احدثا شللا فكريا واراديا ، واسلم الناس امرهم الى الحوادث فتغل بهم

تقصر انفسها على هذه الجزئيات او الفرديات . ولا نريد هنا ان نفصل البحث في ذلك ، لان الفلسفة الاسمية كانت تهدد فكرة الكنيسة الجامعة وتهدد فكرة الثالوث وفكرة الخبيطة الاولى وغيرها . وبكفي ان نقول ان انتصار الفلسفة الاسمية كان من اعظم حوادث العصر الحديث ، بل هو اعظم من حركة الاصلاح الديني في القرن السادس عشر . فقد قلبت الفلسفة الاسمية عالم القرون الوسطى راسا على عقب وارجمت الانسان الى الواقع . ولهذه الفلسفة ناحيتان : ناحية ايجابية وهى التشديد على حقيقة الفرديات والجزئيات وعلى ضرورة اعتبار الانسان بمشاعره الخاصة وبمفرده دون اعتبار الفكرة الانسانية العامة والمشاعر او الافكار العامة ، وناحية سلبية وهى انكار حقيقة الكليات والافكار الجامعة والافكار التجريدية . ففي ذلك كربة من الناحية الايجابية من الفلسفة الحسية او الفلسفة المادية ، وقربة من الناحية السلبية من الفلسفة العدمية او فلسفة الشك . والذي قوى من عامل الشك فيها الفيلسوف وليم اوكم William Occam الذي يعتبر بحق موجد الفلسفة الاسمية . وقد قرر هذا الفيلسوف ان العلم والايمان شيان مختلفان ، وان تحكيم العقل في المسائل الدينية قد يناقضها ، ولذلك فان الفضيلة كل الفضيلة في الايمان . وهذا القول شبيه بقول كيركيكور الفيلسوف الدانماركي الذي يعتبر موجد الفلسفة الوجودية . وقد سبق لي ان ذكرت مرارا وراي هذا الفيلسوف في مسألة العقل ومسألة الايمان . واريد قبل ان اتقل البحث الى فكرة الشك عند هذا الفيلسوف الدانماركي ان اتمرض بايجاز الى تاريخ الفكر في الفلسفة على اثر انتصار الفلسفة الاسمية .

ان اول نتائج انتصار الاسمية نزول شيء على العالم الاوروبي يشعه الفسق او التور عند مغيب الشمس او بعده بقليل . فالناس كانوا ، كما قال بعضهم ، كالقارء في الفسق ، فان الظلام اقوى من نور الشمس المنكسر وان نور الشمس اقوى من ضوء الصباح ، فهو لا يقرأ بهذا ولا بهذا . او بمباراة اخرى ، فان الناس لم يعودوا يستطيعون ان يقرأوا بنور الدين ، ولا بنور العقل ، فالاول قد ضعف والثاني لم يكن قويا الى الحد المطلوب . وهذه حالة تخلق الحيرة وتشل حركة الفكر ، ومن بوادرها نشر التشاؤم في النفوس واشاعة عدم الثقة بالنفس او بكل مجهود يبذل ، سواء كان هذا المجهود فرديا او جماعيا . ومن البواد ايضا في الدرجة الثانية حدوث التجزؤ الفكري ، بحيث ان فقدان مركز الثقل والجزائية الذي كان مدارا للافكار وضابطا لها شقت الذهن وشرده في اتجاهات متشعبة ، فكان الاتجاه الفكري يتلوح في مهاوية وتبغلت من المركز بدلا من ان يدور دورته فسي النطاق او الفلك المعهود منجذبا الى المركز . وعدم وجود الدواع الجامع يشل العزيمة ويغت في الساعد ، وقد

هو العودة الى بحثنا الاول في الفلسفة الوجودية . ولكن يجدر بنا ونحن في بحث الشك ان نذكر بإيجاز طرفا من تأثير كيركيور في التفكير الديني في الغرب . وأهم اتباع كيركيور في هذا الميدان : كارل بارث Barth وأميل برنر Brunner ونيبور Niebuhr ونلس فرى Ferré وغيرهم . ويتجلى تأثير كيركيور في المقابلة بين الفلسفة واللاهوت ، بمعنى ان الفلسفة تتجرد عن العواطف والميول والاعتبارات الدائنية وان اللاهوت شيء خاضع لحركات النفس وانفصالها الخاصة ، وبين الاسلوب العقلي في التحقيق او البحث الفلسفي وبين الاسلوب الوجودي في اللاهوت . وقد جمع بين الاثنين على ما علم باحثان دينيان مشهوران : أحدهما بول تيلج Tillich والثاني رودلف بولتمان Bultmann ومن أشد هؤلاء تلمذة على العقل البشري وعلى الفلسفة خاصة أميل برنر ، لانه يرى تناقضا واضحا وتنافرا أصليا بين الايمان والفلسفة ، ويقول ان هذه المشكلة لا تزال تشغل أفكار علماء اللاهوت البروتستانت منذ الإصلاح الديني . وهي مشكلة تعرض لها علماء الدين المسلمون في أوقات مختلفة ، وكان الفلاسفة هدفنا للثقة والتفكير في العالم الاسلامي شرقا وغربا في القرون الوسطى . وهي من جملة ما تعرض لها او أصيب بها الفيلسوف الاسلامي الغزالي في القرن الحادي عشر الميلادي (١٠٥٨ - ١١١١) كما ذكر في كتابه « المنقذ من الضلال » . فهو ايضا ، كما يظهر ، أصيب كما أصيب كيركيور بمشكلة مسخنة من التشكك والتردد ، وعان جميع أبواب المعرفة ودرس الفلسفة ، وتنازعت عوامل الدنيا على عوامل الدين مرة أخرى كما تنازعت كيركيور ، الى ان أرسى أسفنته على مرسى الايمان . وقد يكون من الطريف لو ان أحد رجال الفكر والفلسفة من العرب أو المسلمين يدرس حياتي هذين الرجلين دراسة فاحصة ويربطهما بالمحيط وباللازمات الفكرية للمصريين .

وحياة كيركيور التي دامت اثنتين وأربعين سنة لها تأثير كبير في أفكاره وآرائه في الدين وفي الحياة . فقد عاش في طفولته او حداثته عيشة شقية ، تحت سيطرة والد كان شديدا عليه . وولد كيركيور وكان أبوه في السابعة والخمسين واما هي الخامسة والأربعين ، فجاء ضئيل الجسم ضاويا ضعيف البنية . وقد ورث عن والده خطيئة كبرى سودت حياة الاسرة . وهي ان والده كان يرضع غنما في احد المراعي في الدانيمارك ، فكان يوما مع قطيعه والبرد قارس والوحشة خائفة ، فصعد تلة هناك واخذ يجذف بحق الله لشدة ما عاناه من شقاء العيش . هذه الحادثة ألقت على جميع افراد الاسرة عبئا ثقيلا من الخطيئة والكفر ، وكان كيركيور يحمل في نفسه قسما كبيرا من هذا الحمل . يضاف الى ذلك ان افراد الاسرة كانوا في شقاق ونزاع ، وكان من بين الاقارب عدد أصيب بالجنون . ثم انه لم يوفق في حبه ، واضطر

ما تشاء . ولعل دور الجمود الذي مرت به أوروبا بعد القرن الحادي عشر شبيه بدور الجمود الذي مرت به البلاد الاسلامية بعد ذلك . والفرق بين الحالتين ان العرب والمسلمين كان لهم الفضل الكبير في انتقاذ أوروبا من جمودها بفعل النهضة ، مع ان الغرب خاصة والغزاة الأجانب عامة كان لهم الاثر الكبير في احلال دور الجمود في العالم الاسلامي والعالم العربي ، حتى ان جميع الحركات الوطنية في العالم العربي ، بل وتاريخ العالم العربي بأكمله في العشرين الاخيرين ، كانت رد فعل للسيطرة الأجنبية .

قلت ان « سكوتس » كان لا يؤمن بالعقل البشري . وقد يعود هذا الشك في سلامة العقل البشري ولا سيما في الحكم على الامور والقضايا الدينية الى قديم الزمان ، وقد بحث في ذلك رجال الكنيسة الاولون امثال تاتيان Tatian الذي كان يسخر من سخافة فلاسفة الاغريق ، وترتوليان Tertullian الذي رفض ان يعنى بالفلسفة على الاطلاق واوغسطين الذي كان يقول « اناؤمن لانه سخيف » وحتى لوثر كان يرى ان للفلسفة مجالا غير مجال الدين لان الدين ايمان صرف وكذلك كلفن Calvin الذي كان يقول ان العقل البشري قد فسد باسناد الخطيئة له ، فهو غير صالح لمعرفة الله ، وانما هو مفدة لا غير . ولكن الذي أحيا الشك من جديد في مقدرة العقل البشري هو الفيلسوف الدانماركي سورن كيركيور Søren Kierkegaard في القرن التاسع عشر (١٨١٣ - ١٨٥٥) . وكانت حملته في بادية الامر موجة ضد غلو « هيجل » الألماني واتباعه في المذهب المثالي الذي يقول ان الحقيقة

في هذا الوجود هي من خلق العقل او الذهن . وجهته في هذه الحملة ان التجريد الفكري والتنائي عن الواقع في الفلسفة المثالية بنسب ان الانسان الحقائق الوجودية . وقد دلل كيركيور على ذلك بالكلام عن شيء ما كالمطالبة مثلا ، فان الصورة الذهنية للمطالبة لا تمثل طائفة حقيقية في الوجود ، بل هي صورة تفقد المميزات الخاصة والصفات الحقيقية وتصبح رمزا خياليا لا غير ، ولذلك فان كيركيور يرى ان هذه الطريقة الذهنية لا تقرننا مع الحقيقة بل تبعدنا عنها وتنسبنا أننا موجودون من دم ولحم بين اشياء مفردة محسوسة ملموسة . ومن هنا نفر كيركيور من الفلسفة المثالية ودعا الى فلسفة وجودية . ثم انه لما بحث في الامور الدينية وقابل بين العقل والايمان وجد ان الايمان لا يحتاج الى عقل ، لان الانسان لو استعمل العقل لاستخف اشياء كثيرة ، ولذلك يجب على الانسان ان يتخطى العقل وان يقفز الى الايمان راسا ، وهو اقرب الناس في الراي الى « اوغسطين » حينما قال « اناؤمن لانه سخيف » . وكان تأثير كيركيور في ميدانين : الاول الميدان الوجودي والثاني الميدان الديني . وليس الغرض هنا الخوض في الميدان الديني لان هذا ليس من اختصاصنا وانما الغرض

انهما ملك يدي
جزيرتنا الزبرجد
قصبتان خلف بحر ليس تدريه الظنون
امواجه في صتب يوما ويوما في سكون

تاجاهما من الشجر
عزا على وهم البشر
يقوع مسكا زهره السحري ذو اللون العجب
وتتشني اغصانه مكملات بالذهب

شظاهما بر الامان
برويهما نبع الحنان
اليهما ريح الهوى سافت بقايا زورفي
وفيها سعادي لاحت كحل زبقي

يا درة بين المحار
يكنها قاع البحار
عمري ان ابذله كي القاك ترخص الهبه
اسطورة انت كنتك الجزة المذهبه

لا . . لست من نسج الخيال
وان بدوت كالخال
حقيقه انت كقلب نابض في اضلعي
لئن نالت قانت منذ ان كنت معي

الريح تملأ الشراع
وعنك يسقط القناع
الان ادري بعد سعي طال أين بقيتي
فانشئي في فرحة الوجدان نحو وجهتي

ان كان يقصيك السناء
فسوف يدنيك الفداء
لا بد لي يا درتي ان تمتلي منك يدي
موعد لقينا غدا بشاطيء الزبرجد

جزيرتا الزبرجد

الدكتور جمال مرسي بدر

الجزائر

يتطرق الى ذهن من يقرأ كتابات كيركيكور انها كتابات رجل فقد توازنه العقلي او اصاب بالحمى ، فهو يكتب احيانا كتابة هلبانية او كتابة ابعدا ما تكون عن الترابط والانسجام . وظلت كتاباته هذه مدة طويلة مهجورة مهملة الى ان ترجمت الى الالمانية اولا وتناولها رجال الفكر بالدرس وعرفوا قيمتها من ناحية الدين ومن ناحية الفلسفة على السواء .

حسن الكرمي

لندن

الى فسح الخطبة ، فعاش وحيدا في نفسه منصرفا الى تأملاته ، مما زاد من تافهه من محيطه . وكان يشعر بأنه «كصالح في ثمود» وفي مضيقه لا امل فيها . وكتب عن ذلك يقول (ولعله كان يشير الى ما فعله دانتي على غرار المري في رسالة الففران) : « اذا جاء شاعري فانه سيخصص لي مكانا بين اولئك الذين اعانوا في حياتهم بسبب فكرة لهم : سيقول عني : الشهادة التي اصابها هذا المؤلف هي لانه كان نابغة عاش في بلدة سوق تجارية » . وقد

في

احد الايام القديمة الماضية، حين كنت في التاسعة من عمري ، وكانت الدنيا ملأى بكل ما يمكن تصوره من آيات العظمة والجمال ، والحياة ما تزال حلما لذيذا عجيبا ، جاء ابن عمي مراد ، الذي كان يعتبر مجنونا في مودته لكل من يعرفه ما عداي ، الى منزلي في الساعة الرابعة صباحا ، وايقظني بالدفق على نافذة غرفتي ، قائلا : - آرام !

فقفزت من سريري ونظرت خارج النافذة ، فلم استطع ان اصدق ما رايت . لم يكن الصبح قد طلع بعد ، ولكن كان الفصل صيفا ، ومع الفجر الذي بزغ منذ دقائق في زوايا الكون كان الضوء يكفي لاتأكد من انني لم اكن ارى حلما . كان ابن عمي مراد على ظهر جواد ابيض جميل ، فاطلت براسي من النافذة وفركت عيني . فقال لي بالارمنية :

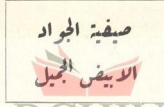
- نعم ، انه حصان . انت لست في حلم . فأسرع اذا كنت تحب ان تنتزه على ظهره .

لقد كنت اعرف ان ابن عمي مراد يستمتع بحياته اكثر من اي انسان آخر هبط على الدنيا خطأ . غير ان هذا كان اكثر مما كنت اصور . في الدرجة الاولى كان اقدم ذكر ياتي ذكريات الخيل ، واول رغباتي كانت الشوق الى ركوب الخيل . هذا كان الجانب الاروع . وفي الدرجة الثانية كنا نقرأ ، وهذا الجانب هو الذي كان يحول دون تصديقي لما ارى .

لقد كنا فقراء ، لا نملك شيئا من المال . كل عشيرتنا كانت مصابة بالفقر . وكل فرع من اسرة غاروغلانيان كان يعيش في اسوأ ما في الدنيا من حالات الفقر . ولم يكن احد يدرك من اين كنا نحصل على النقود الكافية لبقائنا احياء ، حتى اقدم شيوخ الاسرة سنا لم يكونوا يعرفون ذلك . ولكن اهم من ذلك كثيرا اننا كنا نشهر بامانتنا . لقد كنا مشهورين بالامانة منذ نحو احد

عشر قرنا ، حتى حين كنا اغنى اسرة في ما كان يطيب لنا ان نطعن انه العالم . كانت لنا كبرياؤنا أولا ، وامانتنا ثانيا ، وبعد ذلك كنا نؤمن بالصواب والخطأ . وليس فينا من يمكن ان يستغل احدا في الدنيا فيسرق منه شيئا .

لهذا كله ، على الرغم من انني كنت ارى طلعة الحصان الجميلة بعيني ، وعلى الرغم من انني اشتم رائحته الحلوة ، وعلى الرغم من انني احس بانفاسه المثيرة ، فاني لم استطع ان اصدق ان للجواد صلة بابن عمي مراد ، او بي ، او باي عضو آخر من اسرتنا ، وسواء اكنست



الكاتب الاميركي ولیم ساروبان
ترجمها عن الانجليزية
عيسى الناعوري

مستيقظا ام نائما ، فاني اعرف ان ابن عمي مراد لا يمكن ان يقدر على شراء الحصان . فاذا لم يكن قادرا على شرائه فلا بد ان يكون قد سرقه . وقد رفضت ان اصدق انه سرقه ، فليس في اسرة غاروغلانيان من يمكن ان يكون لصا . فنظرت أولا الى ابن عمي ثم الى الحصان . كان يبدو على كل منهما المرح وخشوع الصمت ، وقد سرني هذا من جهة ، واربعتني من جهة اخرى .



فقلت : مراد ، من اين سרכת الحصان ؟

فقال : اخرج من النافذة اذا كنت ترغب في نزهة على ظهره .

كان صحيحا اذن انه قد سرق الجواد . لا مجال للشك في هذا ، وقد جاء يدعوني لاركب معه أولا ، كما اريد . وطالب لي ان اتخيل ان سرقة جواد لاجل نزهة ليس شبيها بسرقة اي شيء آخر ، كالمال مثلا . ونتيجة لما اعرفه قد لا تكون هذه سرقة على الإطلاق . فاذا كان المرء مجنونا بحب الخيل ، مثل ابن عمي مراد وملي ، فليس في الامر شيء من السرقة ، ولا يمكن ان يصح سرقة الا اذا اردنا ان نبيع الحصان ، وهذا ما انا واثق من انه لن يقع ابدا .

فقلت : دعني ارتدي بعض ثيابي . فقال : حسنا ، ولكن اسرع . فارتديت ثيابي ، وقفزت من النافذة الى الحوش ، ثم ركبت الحصان خلف ابن عمي مراد .

في ذلك العام كنا نقيم في طرف المدينة ، في « شارع وولنت » . ومن خلف بيتنا يترامى الريف - كروم ، وبساتين ، وقنوات للري ، وطرق ريفية . وفي اقل من ثلاث دقائق كنا في شارع « اوليف » ، ثم اخذ الجواد يجري خبيا . كان الهواء رطبا لطيفا يحلو تنفسه . وكان شعوري بركض الحصان رائعا . واخذ ابن عمي مراد ، وهو معروف بانه اكثر اعضاء الاسرة هوسا ، بغني، انني كل جعل يجمع .

ان في كل اسرة خطا نابيا مهووسا في مكان ما منها ، وكان ابن عمي مراد معروفا بانه السليل الطبيعي لذلك الخط المهووس في عشيرتنا . ومن قبله كان كذلك عمنا كوزروف ، وهو رجل ضخم الجثة ، ذو رأس كبير قوي يجله الشعر الاسود ، وله اضخم شاربين في منطقة « سنان جواكين فالي » . وكان رجلا حاد الطبع ، سريع الغضب ، قليل الصبر ، اذا سمع احدا يتكلم بادر الى اسكانه

مجمعا : « ليس في هذا من ضرر ، لا تبال بذلك » . ذلك كان جوابه مهما يكن الكلام الذي يقوله الآخر . حدث مرة ان ابنه (أراك) قد ركض على مدى ثمانى عمارات حتى وصل الى دكان الحلاق الذي كان والده يشدب فيه شاربيه ، ليخبره ان النار تشتعل في منزله . فاعتدل كوزروف على جلسته على الكرسي وصاح به مجمعا : « ليس في هذا ضير ، لا تأبه له » . فقال الحلاق : « ولكن الصبي يقول ان بيتك يحترق » . فماد كوزروف يجمع ؟ كفى ! اقول لك انه ليس في هذا ضير » . وكان ابن عمي مراد يعتبر السليل الطبيعى لهذا الرجل ، مع ان والد مراد هو (زوراب) الذي كان رجلا عمليا ، ولا شيء غير ذلك . ذلك كان الوضع في عشيرتنا ، فقد يكون الرجل والدا لجسد ابنه ، ولكن هذا لا يعني انه كان والد روحه كذلك . ولقد كان توزيع مختلف انواع الروح في اسرتنا غريبا منذ البداية وغير ثابت .

كنا راجين معا على الحصان ، وكان ابن عمي مراد يبغي . وكنا ما نزال في البلد القديم الذي كنا ، على الاقل بحسب راي الجيران ، ننتمي اليه . وتركنا الجواد يركض كما طاب له الركض . واخيرا قال ابن عمي مراد : انزل ، اريد ان اركب وحدي . فقلت له : هل ستدعني انا ايضا اركب وحدي ؟ فقال ابن عمي : هذا من شأن الحصان نفسه . انزل . فقلت : الحصان سيدعني اركبه . فقال : سترى . لا تنس ان لى طريقة خاصة مع الخيل . فقلت : حسنا ، مهما يكن لك من طريقة مع الخيل فلي مثلها . فقال : دعنا نرجو ذلك لاجل سلامتك . انزل . فقلت : حسنا ، ولكن تذكر ، ان عليك ان تحاول ان تدعني اركب وحدي . ثم نزلت ، ففكر ابن عمي مراد

خاصرتي الحصان بعقيقه وصاح به : « اركض يا وزير » فوقف الحصان على ساقيه الخلفيتين ، وانطلق يركض بعزم وسرعة ركضا كان احب ما رايت في حياتي . وجرى ابن عمي مراد بالجواد عبر حقل من الشبب الجاف الى قناة الري ، ثم اجتاز القناة ، وبعد خمس دقائق عاد مبتلا بالمرق . كانت الشمس قد اخذت تطلع . فقلت : الان جاء دوري للركوب . ونزل ابن عمي مراد عن الحصان وقال : اركب .

فعلوت صهوة الجواد ، واذا ذلك عرفنا اللحظة قصيرة اقصى ما يمكن تصوره من الخوف . ولم يتحرك الحصان . فقال ابن عمي مراد : الكره في عقلاته ، ماذا تنتظر ، علينا ان نمود به قبل ان يرانا احد في الوجود . ففكرت الحصان في عقلاته . ولكن الحصان حرن ونخر ، ثم جعل يركض . فلم ادر ماذا اصنع . وبدلا من ان يجري الحصان عبر الحقل الى قناة الري ، نزل يجري الى كرم ديكرا (الاعلاجان اعليك) شراع يعبر فوق الدوالي . ولقد قفز فوق سبع دوال قبل ان اسقط عن ظهره ، ثم استمر يجري وحده .

فجعل ابن عمي مراد يجري نازلا الى الطريق ويصيح : انا لست مكترا لك ، ولكن علينا ان نمسك بالحصان . اذهب انت في هذه الطريق وماذهب انا في هذه الاخرى ، فاذا وصلت اليه فأمسكه بلطف ، ساكون قريبا منك . فقميت في وسط الطريق ، ومضى ابن عمي مراد عبر الحقل نحو قناة الري . وقد استفرق الامر نصف ساعة حتى استطاع ان يجد الحصان ويعود به .

ثم قال : هيا اركب . لقد استيقظ العالم كله الان . فقلت : وماذا سنفعل ؟ فقال : اما ان نعيده الى صاحبه ، واما ان نخيه الى صباح الغد . ولم يبد عليه الاكثر . فعلمت

انه سيخفيه ، بدلا من ان يعيده ، على الاقل سيخفيه مدة ما . فقلت : اين سيخفيه ؟ فقال : انني اعرف مكانا . فقلت : منذ متى سرت هذا الحصان ؟

لقد ظهر لي فجأة انه كان منذ مدة قد اعتاد ان يقوم بهذه الزهريات الصعبة على ظهر الجواد ، وانه قد جاء به هذا الصباح لانه يعلم كم اتوق الى ركوب الخيل . واجاب هو : من الذي ذكر شيئا عن سرقة حصان ؟

فقلت : على كل حال ، منذ متى بدأت تركبه كل صباح ؟ فقال : لم اركبه قبل هذا الصباح . فقلت : هل هذا الذي تقوله هو الحقيقة ؟ فقال : طبعلا ، ولكن اذا اكتشف امرنا فهذا ما يجب ان نقوله انت ايضا . لا اريد ان تكون معا كاذبين . كل ما تعرفه هو اننا بلدان تركب هذا الصباح فقط . فقلت : حسنا .

فسار بالجواد سيرا هادئا الى مستودع في كرم مهجور يبدو انه كان في زمن ما مفخرة لزارع اسمه (فتفجان) . وكان في المستودع بعض الشوفان والبرسيم .

ومضينا عائدين الى البيت ، وقال : لم يكن من السهل ان نجعل الحصان يتصرف بهذا الشكل اللطيف . لقد كان في البداية يريد ان يجري دون رادع ، ولكنني ، كما قلت لك ، املك طريقة خاصة مع الخيل ، وبوسعي ان ادعه بفعل كل ما اريد انا ان يفعل . ان الجياد تفهمني .

فقلت : وكيف تفعل ؟ فقال : لدي طريقة للتفاهم مع الخيل .

فقلت : التفاهم هذه ؟ فقال : طريقة بسيطة وشريفة . فقلت : حسنا ، اود ان اعرف كيف اتوصل الى تفاهم مثل هذا مع الخيل .

يقال : انك ما تزال ولدا صغيرا .
ومنى بلفت الثالثة عشرة فستعرف
ذلك وذهبت الى البيت وتناولت
فلطوري بملء الشهية .

وبعد ظهر ذلك اليوم جاء عمي
كوزروف الى بيتنا لشرب القهوة
والدخان . وجلس في الصالون
يرتشف القهوة ، ويدخن ، ويتذكر
البلد القديم . ثم وصل زائر اخر
اسمه جون بايرو ، وهو اشوري تعلم
الارمنية بفعل العزلة والوحدة .
وقدمت امي للزائر المتوحد القهوة
والسجائر ، فلف لنفسه سيجارة .
وراح يشرب القهوة ويدخن ، واخيرا
قال متنهدا : ان حصاني الابيض
الذي سرق في الشهر الماضي لا يزال
مختفيا . انني لا استطيع ان افهم
هكذا .

فغضب عمي كوزروف كثيرا وصاح
به : ليس في هذا ما بغير ! ما قيمة
ضياع الحصان ؟ ألم نخسر كلنا
وطنا ؟ فلماذا البكاء على الحان ؟
فقال جون بايرو : قد يكون هذا
صحيحا بالنسبة اليك ، لكنك تقيم
في المدينة ، ولكن ما قولك في
عربي ؟ ما فائدة العربة دون حصان
يجرهما ؟

فقال عمي كوزروف مجمعا :
لا تأبه لذلك !
فقال جون بايرو : لقد سرت عشرة
اميال على قدمي حتى وصلت الى هنا .
فصاح به عمي كوزروف : ان لك
سائقين .
فقال الفلاح : ولكن ساقلي اليميني
تؤلنسي .
فقال عمي كوزروف مجمعا : لا
تأبه لذلك !

فقال الفلاح : لقد كلفني ذلك
الحصان ستين دولارا .
فقال عمي كوزروف : انني ابصق
على المال .
ثم نهض وغادر المنزل وصفق
الباب خلفه بعنف .
فكانت امي موضحة اسباب تصرفه :
ان له قلبا رقيقا ، وهو بكل بساطة
يعاني الحنين الى الوطن في

شيخوخته .

ثم انصرف الفلاح ، فهرعت الى
بيت ابن عمي مراد .
كان جالسا تحت شجرة دراق
يحاول ان يعالج جناح مكسورا
لصغور لا يستطيع ان يطير . وكان
يخاطب الصغور .

فقال لي : ماذا لديك ؟
فقلت : الفلاح ، جون بايرو . لقد
زار بيتنا ، وهو يريد حصانه . ثم
اضفت : لقد استوليت عليه منذ شهر ،
وانا اريد منك ان تعطيني بان لا ترده
اليه قبل ان اتعلم الركوب جيدا .
فقال ابن عمي مراد : ستحتاج
الى سنة لكي تحسن الركوب .
فقلت : في وسعنا ان نحفظ
بالحصان مدة سنة .

فغفر ابن عمي مراد واقفا ، وقال
مجمعا : ماذا ؟ اترك تدعو احد
افراد السيرة غاروغلان الى السرقة؟
ان الحصان يجب ان يعود الى صاحبه
فقلت : مني ؟

فقال : خلال سنة اشهر على الأقل .
ثم قدب لي الصغور الى الهواء .
فحاول الصغور يصمونه ان يطير .
وبعد ان سقط مرتين ، استطاع
اخيرا ان يطير عاليا ويمضي بعيدا .
لشنا مدة اسبوعين نمضي في
الصباح الباكر ، انا وابن عمي مراد ،
فنخرج الجواد من مخبئه في مستودع
الكرم المهجور ونركبه ، وفي كل صباح
كان الجواد ، عندما ياتي دوري لركوبه
وحدي ، يقفز فوق الدوالي والاشجار
الصغيرة ، يقذف بي الى الارض ، ومع
ويمضي يجري وحده بعيدا . ومع
ذلك فقد ظلت امل ان اتعلم الركوب
كما يركب ابن عمي مراد مع مضي
الايام .

في صباح احد الايام كنا في
طريقنا الى كرم (فتفاجان) المهجور ،
فاذا بنا لتلقي بالفلاح جون بايرو ،
وكان هذا في طريقه الى المدينة .
فقال ابن عمي مراد : دعني اتحدث
انا معه ، فان لي طريقة خاصة مع
الفلاحين .

ثم قال ابن عمي مراد للفلاح : صباح

الخير يا جون بايرو .

فجعل الفلاح يتفحص الحصان
تفحضا لهيفا ، وقال : صباح النور
ما ولدي صديقي . ما اسم حصانك ؟
فقال ابن عمي مراد باللغة الارمنية :
اسمه (قلبي) .

فقال جون بايرو : اسم حلو
لحصان جميل . انني اكاد اقسم انه
الحصان الذي سرق مني منذ عدة
اسبوع . هل تستطيع ان انظر في
داخل فمه ؟

فقال مراد : طبعاً .
فنظر الفلاح داخل فم الحصان ،
وقال : الاسنان عيناها . ثم اضاف
قائلا : لولا انني اعرف ذوبكما
لاسمت انه حصاني ، ان شهرة
اسرتكما بالامانة والشرف معروفة
لدي ، غير ان الحصان هو تمام
حصاني . ان اي انسان متشكك
ليصدق عينيه بدلا من قلبه . طاب
يومكما يا صديقي الصغيرين .

فقال ابن عمي مراد : طاب يومك
يا جون بايرو .
وفي اليوم التالي اخذنا
الحصان الى كرم جون بايرو ووضعناه
في المستودع . فاخذت الكلاب تدور
حولنا ولكن دون ان يسمع لها صوت .
فهممت قائلا لابن عمي مراد : لقد
ظننت ان الكلاب ستنبع .
فقال : انها تنبع على اي انسان
سواي ، اما انا فلي طريقة خاصة
مع الكلاب .

فلطوق ابن عمي مراد الحصان
بدراميه ، ثم الصق انفه بانف
الحصان ، وربت عليه ، ثم انصرفنا .
بعد ظهر ذلك اليوم جاء جون بايرو
الى بيتنا بعرته ، وارى امي الجواد
الذي كان مسروقا . ثم عاد وقال
لها : لست ادري ماذا اكسر . ان
الجواد اقوى مما كان من قبل ، وقد
تحسنت طباعه كذلك ، فالحمد لله !
وكان عمي كوزروف جالسا في
الصالون . فاستشاط غضبا وصاح
به : اسكت يا رجل ، اسكت ! لقد
عاد اليك حصانك ، فلا تبال بذلك !

عيسى الناعوري عمان

الى رفيق ريفي

يا ريفي في دروب الريف ، هذي الدنيه
حرمنا عيشة الريف الهنيه
وحنان الارض ، ام الكادحين التعبين
سرتت منا السعاده

ومدى في الذات ما اغنى رؤاه وامتداده
نحن مذ جننا الى هذي الدنيه
لم نعد نحصي يوما بالسكينه
بصفاء النفس ... بالصحو المذاب
في كؤوس الزنيق المهتز في تلك الهضاب
ونجوم شتمت في لوزة او ياسمينه !
لم نعد نعب في القرس ، وفي فلف الجنى
هربت من عمرنا احلى المنى !
كل شيء ههنا سهل المثال !
سره جناه والقاب ومسال

ويسزل الرصد الوهمي ، ينهار المثال
وبعري زيف كان لكل الناس يدري ويقال !
يا ريفي ، اين في ضيقتك الليل وسهرات البيادر
اين ضوء القمر الدائب في ليل السرائر
والتساوير الى الكرم ... وآلاف الحكايا
والعنايف الشفيفات وهمسات الصبايا ؟
اين في ارض « الشويكات » خيلات « الفدير »

والمصاير ... ورفات العيسر
اين في صحرائها ، « الكرم العروس »
حيثما تروق بالآمال والحب النفوس
كلها غابت وراء الليل صارت ذكريات
يا ريفي يا رفيق الخطرات
والقلوب المائجات

اين اجملت بالاس آفاق الحياة
خدمت فيها جسام الشوق .. احلى الرغبات ؟
يا صديقي ، ان هذي الدنيه
حددت توق النفوس الشاعريه
اطفأت كل قناديل الامل
لم تدع في الخاطر الرجب لمجهول حين
واشتياقا لاكتشاف او سفر
شوهت حتى القمر

جردته من غلالات من السحر شفيفه
من نقاب السر ، من تاج الجيصال
فقدنا فيح لنوب وبراكيس مغيثه
بعدها كان لاهل التسمر ينسوع الغزل !
ومجسال

لافتراضات التمني والخيال !
يا ريفي في الدروب الهادئات
آه لو نرفس هذي الدنيه
آه لو نهرب منها
آه لو نرحل عنها
لجنان تلثني فيها نفوس البسطاء الطيبين
نحن يا صاح على هذي الدنيه
دخلا
نحن عما لنسج الظلمه فيها
غريباء !

فؤاد الخشن

الى احمد ابو سعد الذي كتب لي مرة الى « الفؤاد » يقول :

ايها الاخ الحبيب ، كلا ما نسيتك ، فانت في خلق الفؤاد
ورفيف العين ، لا تمر لحظه من غير ان اذكر ليلاليك ..
سقى لا يامك ... ولكنها الحياة في هذه الدنيه ... وحنيه
الحياة واستعداد الحاجة التي تلج علي بالانصراف عن كل
ما لا يقتلها ، يمسك علي الخناق ويحبسني في النفس ،
اود لو اتجو من حياتي ، واهرب من واقفي الى حيث احيا
في عزلة تردني الى البساطه في العيش والصفاء في الفكر ،
فارجع ظلا ، ظلا غريبا لوعيا يشرذ في الحقول ، يرتفئ
وراء الفراشات ويسرق اعشاش المصاير ، يرتكب على
التنوج ، ويسهر على التنبات في ضوء القمر مع البنات
البريئات ، علي بيادر الضيمه ، الضيمه التي حرمتمني
الدنيه من العوده اليها .. لمن الله الدنيه !

وسقى لا يام الكروم ومواسم الحصاد وصلبي الدبق
والليقة التي وعي الشمس كانتا تظهر لأول مرة من فوق للال
ضيعتنا فتوح « الفئبات » وتشرب فطرات التدي من حدود
العنايف ..

سقى لا يامك يا ريفي ، ذكرت اسم في موسم بهيج من
موسم العام المدرسي ، موسم الانتحانات ، اذكر ؟ .. يتطلع
الي الرفاق فيجدوني كئيبا . اين فؤاد؟ وتتقطع نفسي حشرات
وترجف شغفائي !

لماذا لا اجيب ؟ اخشى ان اقول « فؤاد » ليس هنا ...
فاشبح بوجهي .. « فؤاد » ليس غالبا .. « فؤاد » موجود ! ..
انه البسمات الفحاكة في الشفاء والبريق المشتعل في
العيون والنغم الساحر التساب في صدور العاشقين وقلوب
العاشقات « فؤاد » ليس غالبا .. « فؤاد » كل هذه الجمالات .

يا عزيزي : اغفر لي بحق عينيك هذا الانقطاع عنك ...
انه صاحبك الكسول ، اله الكسالي في ربوع هذا الشرق .

احمد ابو سعد



محمد رجب البيومي

نشأة وظلالها: محمد توفيق البكري

بقلم محمد رجب البيومي

ترجم السيد محمد توفيق البكري لنفسه في فصل من كتاب يستدعي ، فذكر انه ولد في فجر ليلة الجمعة ٢٧ من جادي الثانية سنة ١٢٨٧ هـ الموافقة سنة ١٨٧٥ م ، بمثل والدته المطل على النيل ازاء جزيرة الروضة وأنه في القرآن الكريم وسأله العربية في بيته ، ثم دخل المدرسة العلمية التي اشتملها الخديوي توفيق باشا لتجليله والحق بها أبناء الكبار من رجال الامة فقرأ التلميد بها طائفة سالحة من العلوم النطقية والعقلية وكان ترتيبه الاول ، وفي سنة ١٨٨٥ هـ اوقفوا السيد ابوابها وسافر الود الخديوي الى اوروبا للتعليم في معاهدها ، فكف السيد بمزله على اتمام ما بدا به من العلوم على مهرة الاساندة ، وفي سنة ١٨٨٩ تقدم لامتحان الكالوريا بنظارة المعارف فجاز الامتحان بتفوق اذ كان ترتيبه الاول ايضا ، ثم تقدم لتسج الاظهر العلامة الانبائي ليختره بنفسه فيما بقرا بالآزهر من العلوم فامتحنه واجازه ، وفي سنة ١٨٩٢ توفي اخوه السيد عبد الباقي البكري فولى وظائفه جميعها وهي (الشيخية الكبرى ومشيخة المناياخ الصوفية ونقابة الاشراف) .

هذه سطور معدودة اوجزها دون اخلال في النفل من كلام الرجل عن حياته الاولى منذ ولدت اصبحت شيخ المناياخ ، فلما اردنا ان نذكر ما تقتضيه على قلته ، افصحنا لنا في الشيء الكثير ، فالسيد قد ولد بمزله ابيه المطل على النيل بجزيرة الروضة ، ونحن نعرف ان والده علي البكري قد انتقل الى جوار ربه سنة ١٢٩٧ هـ فيكون ابنه قد انس برباعته عشر سنوات ! ولذا كان الوالد السيد علي البكري ممن رزقوا الخطوة الباقية - كما معنا الى ذلك من قبل - في الدولة لدى الرؤساء وصاحب الامر ، حتى كان مشايخ الزهر - وفيهم اسانذته - يصعدون عن امره ، وحتى ان شيخ الازهر وهو استاذة قد تسمي منصبه بمشورته ! ولذا كانت الاختلالات الدينية حثيثة في وحدها التي كانت تقام في مصر حيث لم تظهر بعد اعياد وطنية ، ولم تعرف الاجتماعات السياسية المتبعة عن الرأي العام فان هذه المواسم الكبرى لم تكن لتأخذ بهاها الرسمي والشعبي الا اذا اشرف عليها شيخ المناياخ فتصبر سرافله الكبير وليس كونه التشريعية وتوج بمعامته المظرة ، ثم تصد الممثل الكبير ، ليدل الى سرافله الخديوي ووزراؤه واصحاب

الكلمة في امور البلاد ! فاذا حضر ولي الامر جلس جوار شيخ المشايخ والنسب فنعاه وسأله الدعوات ، حتى اذا انتهى الاحتفال وذهب السيد علي البكري لشكر الخديوي دخل عابدين من السباب الخاص باعضاء الاسرة المالكة تكريما له ونجيلا ، وهي ميزة لم تكن تتاح لرئيس النظار ، اذا عرفنا ذلك لمسا مكانة شيخ المشايخ ورأينا اي منزلة يحل؟ وقد رأى الخديوي اسماعيل ان يستعين بجاهه حين نأزم الموقف بينه وبين وزارته ، فادعى اليه ان يعقد اجتماعا في منزله يدعو فيه اعضاء مجلس شوري النواب لمناقشة موقف الوزيران الاوروبيين ، وما كان من استبادهما بالامر دون سائر الوزراء وتجاهلها رغبات مجلس الشورى حتى اصبحا بمثلان سلطة دكتاتورية لا تخضع لاحد ! ولذا فاصمما على فنى المجلس وانها دورته ! وكان السيد البكري عند ظن صاحبه فقد الاجتماع الكبير بداره ، وترك للنقاش حريته الواسعة حتى لقبته الجرائد بشيخ الامة ، وطلعت على الحاضرين اسم الجمعية الوطنية ، وقد اسفر هذا الاجتماع وما لاه بدار اسماعيل راغب باشا عن اصدار لائحة وطنية فيها الخديوي على الفور واستدعى وكلاء الدول ليخبرهم بنزوله الصريح على رغبات الامة ، وذلك بعهد الزعماء الوطنيين وفي مقدمتهم السيد علي البكري وعبد السلام ابو اليحى وشريف باشا وراغب باشا وراغب باشا (١) ، ثم تطورت الحوادث بعد ذلك على النحو المعروف !

لقد كان الوالد الكبير ذا جاه بعيد دون شك ، وقد نشأ طفله بين اخصانه فاحش بالنعمة والعزة مذ طفولته ، فمزل ابيه لا يخلو من طوائف الزائرين يقبلون يد الشيخ ، ويلطفونه بنظرات الاكبار والحب وبعدون رضاء ذخيرته غالية وامنية عزيزة ، حتى اذا بلغ الطفل سن التعليم ذهب الى مدرسة الانجال ليجلس مع ولي العهد جنبه الى جنب ، ولى الاساندة بخصون لتلاميذه بعتاية خاصة ، يجهدون ما يجهدون ليدلوا كل حسب ، فيجعلوا حصص الدراسة بعيدة عن السام والارهاق !! حتى اذا اوصدت المدرسة ابوابها ، مكث التلميذ في بيته ليدل اليه كبار الاساندة فيملوه مختلف المواد وحده دون شريك !

كان الوالد توفيق طفل في العاشرة من عمره ! ولكن ذكرياته عن ابيه كانت اظلم خاطره ، فهو يمثل جاهه ومهاريته ، ويتذكر حاتسته وزوجه ، وما زال يحس في بعينه فطرات خافتة تحاول ان تنسكب حزنا عليه ، ثم اراد ان يبيع نفسه باسقاطها ، ففك بعد ان جاوز العشرين قصيدة الحارة في رثائه :

سقت رحمة الله الفريح وما فسا روت به هاما وروت به غظما
يعز على العلية ان يسكن السدى تريا وان تلقى به الحبيب الفخما

واقول بعد ان جاوز العشرين لان الحرية في نسجها القوي واسرها التين ، ان تتاح لشاعر في العاشرة او ما بعدها بقليل بل لا بد ان تصدر عن شاعر دون النظم واستقاد له الاسلوب ولن يكون ذلك في زمان السيد ويستهين له العشرين ، وليس من ههنا الا ان نكتم على القصيدة ولكننا نصور شعور الابن نحو ابيه ، وكيف ظل الراحل يعيش في اطواره ، حتى استطاع ان ينفس من صدره بعد حين ! على ان النجل الوفي كان في ترجمته لاين اعقل من ان يتورط في ذكر ما لا يقبل ، فلم ينقل عن ابيه مبارك مثلا ما ذكره في الجزء الثالث من المخطوط التوفيقية من ان السيد علي البكري قد ظهر في قدمه اثر اللدقة المتوارثة على اتباعه في بني الصديق ، حيث لا يوت احدهم الا اذا ظهرت في باطن رجله اثار اللدغة الثمانيات التي تنمها ابو بكر في الفار بصير وشجاعة ! ولا أدري كيف يحشد علي مبارك امثال هذه الغرائب في خطه ، وهو يعلم ملفها من الزيف ! ولعل السيد توفيق خاف على نفسه ان تظهر اثر اللدقة بقدمه حين ارتحاله قريبا او بعيدا ، فلم يسجل هذه الغارقة التادئة في آل الصديق ...

وقد ادعشنا ان يغفل السيد توفيق اسماء اسانذته في ترجمته لنفسه ، مع انه ذكر اساندة والده ! واكتفى بالقول عن دراسته المتزلية

بأنه درس العلوم والآداب على مهرة الاساتذة ! ان تحليل ذلك فيما أرى واضح ، فالسيد حين أصبح شيخ المشايخ في الثانية والعشرين ، وحين حمل اعظم الأوسمة واسمى الربيع ، وجد نفسه المقدم لرتبياً في المحلات الرسمية حتى على شيخ الأزهر نفسه ومن يليه من كبار العلماء !! فأسانده من اللغويين والآباء في رايه الخاص لا يلبسون ملبه ، وكأنه وجد حرجاً ما في ذكر اسمائهم ! فاعظمهم من قصد وهذا ما نخالعه ولنا تراه فالتلميذ مهما عظم فعرة أستاذة ، فلا كان قد تخرج لنفسه عليه ان يسجل اسماء أسانده وهم يعد من كبار المشاهير دون نظر الى أي اعتبار !!

أذكر بهذه المناسبة نادرة طريقة حدثني بها فضيلة الشيخ احمد شفيع السيد ، وكان صديقاً للطفوف له الشيخ عبد العزيز البشري ، فسأله ذات مرة كيف يتقدم شاب كالسيد توفيق الكري في شتى التسابير الرسمية على والده شيخ الأزهر واستأذنا الأكبر الشيخ سليم المشايخ ، وهو في سنة وعلمه وفاداه ومنصبه أحسرى بالتقديم ، فسكت الأستاذ عبد العزيز قليلاً ثم لجأ الى الفكاهة مكافئة فقال ان العيب في ذلك كله يرجع الى ابن مالك النحوي لأنه قال في الالفيه :

ونحو بشر تابع الكيسري وليس ان يبدل بالمرضى !
فصل البشري تابع الكري وكس الامر لتقدم ابى ، وابن مالك في كلام الشيخ عبد العزيز هو مرسوم السلطان بالوزارة العلمية للسيد توفيق ، فقد فتحه التقديم على سائر العلماء بمصر في كل احتفال .. وقد كان احساس السيد بمنزلته الرسمية قوياً غنياً ، حتى أوفسه في خصوصات كبيرة سئموا لها بعد ، ودعاها - في بعض ما دعاه - الى اغفال ذكر الاساندة والمدرسين ..

ومن السهل ان نسكت عن لقنوه مبادئ الدراسة في المواد المختلفة ، قبل مدرسة الانجال وبمعا ، لا ليسوا من الجهارة بحيث يتسع لهم الحديث ، وعلمهم بعد لا يحتاجون معلم مدرسي الوحشية الابتدائية والثانوية ولكن من الواجب ان نتحدث عن اسانده الكبار في اللغة والأدب وقد تم على ايديهم بناؤه الذهني ، وتحدثت بنحوهم وجهته الفنية ، وأظهر من تعلم من هؤلاء الاساندة ثلاثة أمثال هو الشيخ محمد محمود الشنقيطي والشيخ احمد مفتاح والشيخ حمزة فتح الله ! ولانهم يلبثون في الكلف باللفة ، وتبع شواربهم ، والحرص على سلامة مفرداتها نقلاً واغراباً ، ولكل بعد ذلك وجهته الخاصة في مجال التفرد والسموق .

فالخالف اللغوي الحقبة الحدث الشيخ محمد محمود الشنقيطي كان ارجل مصره باللفة وقد عرف له الأستاذ الامام محمد عبيده قدره فاجرى عليه الرزق من الأوقاف ، وعهد اليه احياء الكتب الأدبية واللغوية فصحب القاموس ، ونشر القصص ، وراجع أكثر المخطوطات في العربية ، وكان حرصاً كل الحرص على سلامة الفصيح ودقة الرواية ، اما رئيس القرب فأنى مرأته انه يرى المعاجم تتكلم به للثلاثه ، فاذا سئل عنه تدفق كالتيت الهام ، وقد بلغ من ولوعه بفصيح الكلمات صرفاً واغراباً انه كان يعد الخطأ في ضبط العروف كذا خلقياً يجب الاحتراز عنه ، فقد حدثنا المرحوم الأستاذ عبد الوهاب الذي سمع شاعر النيل حافظ ابراهيم في مجلس الشنقيطي يقرأ بيتاً من الشعر ، وقد كسر عين مفردان كان يجب ان نفتح ؟ فصاح به الشنقيطي كذبت واستفرد الله ، فسأل الشاعر عن موضع الكذب فصحب له الشيخ عين اللعل فقال حافظ متعجباً أخطأت ام كذبت فقال الشيخ الخطافي العربية كذب على اهلها ..

وقد تعهد الشنقيطي لتلميذه الكري امدا غير بعيد فحفظه اراجيز العرب ، واورثه اللوح الحاد بالقرى ، وارقاه امهات الكتب الادبية الى ان دبت الجفوة بينهما ، وقيل ان من اسبابها ادعاء السيد كتاب اراجيز لنفسه ، وهو من وضع الشنقيطي ، وقيل في بعض اسبابها الاخرى ما يرجع على اخلاق السيد بالتقيصة وهي امور تساق رجماً

بالقبي . دون ان تحقق ، والسكوت عنها افضل ، وحين ترجم السيد توفيق لابن اخيه السيد عبد الحميد الكري - في بيت الصديق - ذكر الشيخ محمد محمود الشنقيطي والشيخ حسن السقا من اسانده - ومعنى ذلك ان تردد الشنقيطي على دار الكري قد طال وامتد وانسه شاركه ابن اخيه في التقي عن الشيخ ، اذ انه قد سبق السيد عبد الحميد الى الحياة بغض سنوات فقط ! وحديث الشنقيطي في اللغة معاً بعيد البتة والدراير بل ما يقيد كبار العلماء ! فلا رأى دارسو ادب الكري ولوعاً بالأغراب وهياماً بالمهجور الجفو ! فللشيخ الشنقيطي نصيبه الكبير في ذلك وإن شاركه متحاذ الشيخ حمزة فتح الله ، واذا كان السيد توفيق قد اعلن في ترجمته الذاتية انه تخصص في الادب دون غيره ، فان اسناداته من الشنقيطي كافلت من كبار اولاد الحديث لم تنهأ له في شيء ! وما كان احرار بالحرص عليها وهو بعد نفسه لمشيخة دينية كبرى يزين صاحبها رواية الحديث عن لقائه المبرز !

اما الشيخ احمد مفتاح ، فقد قال العلامة الجليل احمد تيمور في ترجمته (٢) « واستقل - مفتاح - بعد عروجه من المدرسة (العلوم) بالكتابة في صفح الأخبار كالاملا والقاهرة ، وبالتدريس لبعض اناس منهم السيد توفيق الكري ، ولما اتصل به حس له خلق العمارة والوجه وإبداءها بالاساتذة الافرنجيين والفرش » !! وهذه العبارة تدل على سيطرة التلميذ على أستاذه فقد استطاع ان يغير زيه من معلم الى مطرئ ، وكأنه رئيس باع فرج قطع ! وقد استمر ذلك حتى اختير مدرساً للأشياء بدار العلوم فرجع مفتاح الى العمارة من جديد ! واذا كان من المروء في الاسناد بجره في اللغة والأدب فقد عاد على تلميذه من ما أزرعوه وشد غصده ، وقد ذكر العلامة احمد تيمور من مؤلفاته رفع الشام عن اسماء الفرسام ! وهو كتاب لفة جمع فيه الشيخ ما تنيف على خصامته اسم لاسد ، وكانت مفتاح الافكار في نشر المختار وهو مجموعة قيمة من الرسائل والطب منذ الجاهلية الى العصر الحاضر وكتاب مفتاح الافكار في الشعر المختار وهو كتابه مجموعة من المسائل منذ الجاهلية الى عصره أيضاً ، والكتاب الاخير لم يطلع ، كدوا على حياضته التي اختاره على غرار ابي تمام ، واذا كنا نعلم عن السيد ان اختار من الشعر العربي (فحول البلاغة) فربما كان ذلك بتأثير مفتاح كما كان اختياره اراجيز بتأثير الشنقيطي !!

ولم تحفظ لنا الايام من نماذج مفتاح التعبيرية ما يعدد مكانته الأدبية بوضوح الا ان ما بقي لدينا من رسائله يدل على احتذاء الكري لطريقته في الاستنباط بالامثال السائرة ، والتشخيصات التاريخية ، وقد كنا نقرأ في الكتب المدرسية نموذجاً للشيخ احمد مفتاح من رسالة اخوية في الهادي قال فيها : « الهبة غرقة الله بالعرفو تفسر بين المتحابين من الالتفاف ، بقدر ما تقطع بينهما من شجر الخلاف ، وما اتا فيما اهدى اليك الاستيعاب ثمك الى ارض خير ، او كواهب والمال للبحر ، وافوه البصر ، والسم لليمان ، والمال لقسارون ، والحلم لاحف ، والذكاء لاياس ، والتفسير لابن عباس !! » الخ ما جاء في هذه الرسالة التي تاتي بقرنتها لتلميذه الكري حين وصف ابا الهدى الصيادي بأنه كعب في الكرم والسمون في الغمم والتسمي في العلم وابن ابي ذؤاد في الحلم مما ينحو هذا النحو من حشد الاملا المعروفة في معرض الادلال بالعرفه والاطلاع !! وليس معنى ذلك ان الشيخ مفتاح ابو ملدة هذا الاتجاه فهو عريق موغل لدى كتاب الصفة من التدينين وعيايين ، ولكن انفس مفتاح كان مناهل الله تعالى امام عيني تلميذه فهو يعتد به من قريب ! ونستطيع ان نجعل اثره الادبي في تكون السيد أقوى من اثره اللغوي على تقيس ما يقال عن الشنقيطي ، وهو تخصيص تقريبي يوهنه ضعف الحدود بينين اللغة والأدب ، اذ اتنا نرى في هذه الحقبة من حياتنا الادبية تمازجها مبهما بين الادباء واللغويين ، بحيث كان كل الفريقين يدعي ما لاآخر فكل لغوي يظن نفسه ادبياً ، وكل ادبي يتباصر بالقرى واللفة ! وقد

انسق الجانبان في أسلوب البكري ولفاقته فاذا كان السيد لغويا دقيقا في شرح الارتاجيز فانك لا تدري في بعض كلماته الثرية القوي هو ام ادبى !

اما الشيخ حمزة فتحالله فكان - بعد ان اقلت مدرسة الانجال ونظر منها السيد - موزعا بين التدريس في دار العلوم والتفتيش وبخارج المعارف ، واذا كانت الواهب الفنية خلدته بدروسه بالدار مع صفحات من آثار المبرد والقالي والمرئسي - كما يقول الاسكندري - فان دورسه للسيد البكري - استنتاجا فقط - لا يمكن ان تعدى ذلك ، وقد كان للشيخ ولع زائد بتصريف الكلمات من اسماء وافعال ، وداب حرص على سلامة اللغة وتنقيتها من الدخيل حتى جاهر بالوقوف لدى السماع في كل استعمال دون العمل بالنايس ، واذا كان قد قدم لتلميذه بعض القصائد الجاهلية مشروحة فان اثره قريب من اثر الشنقيطي لدى السيد توفيق ، وقد حفلت لنا كتب الادب رسالة انشائية وجهها الاستاذ الى تلميذه وقد يرى قارئنا ان الشيخ حمزة فتحالله مغرنا مبالغاً لا يقف عند حد : ولكن اذا علمون ان كتابة الرسائل في تلك الايام لم تكن لتعبر عن حقائق صادقة او عواطف مخلصه بقدر ما كانت مجالاً لتباهي بالقول ، وانهارا للقدرة على تنسيق العبارات واخراج الماني ! هؤلاء يعلمون ان الشيخ حمزة قد سار في ميالفته على طريته الانشائية التي اختارها لنفسه فقط ، وان كان بهذه المبالغة الشديدة ، قد اترك موضعه التوجيهي من تلميذه اذا صار السيد البكري في راسه ببيانه المعجز دليلاً علياً على امكان البحث الاخرى لان الله الذي اعاد ببيانه قيسا وسحجان وابن العميد وعبد الحميد في الحياة الدنيا لدير على ان يمد هؤلاء في الحياة الاخرى ، ولعل القاري المعاصر يتفكه بهذه الرسالة حين يسمع منها :

« لكتني امنت عياناً ، ان الله تعالى يحيي الموتى اعراساً واعياناً ، اذ كانت كتبك زائدة في البيان والبرهان ، وان كان خير المصموم اوفى من الحس في الفقه فائدت الله امرأ شيمته العدل ، والقول القل ، ليست كتبك هذه حجة للموجب ، دافعة للسلب ، اليك ذلك البيان غاية شاول وسحجان ، ليس فمادى ابن العميد وحمادى عبد الحميد ، وبعد فقد اعيد العرفى الذي هو الكلام في الدنيا ، اقلني الاخرى اعزى فتراني يا ملك البرعات ، ويا قسور لكم القابات اسفيا على فسن الزمان بك الى الان ، فلو ان الله تعالى براك ، وخلقك فسواك حين استمر الخصام في هذا القام لا اختلف في شأنه اتان ، ولا انتطشع عزان (٣) . » ولكي نصف الانجال حمزة فتحالله نعلن انه بعد ثقافته الخاصة كان يرى أسلوب صهاريج الأولو أقوى أسلوب يجوز ان يقارن بالساليب عبد الحميد وابن العميد وقس وسحجان على ما بينهم من فروق بعيدة !!

فالرجل صادق فيما بينه وبين نفسه لا يرى - كما نرى نحن - انه بالغ فائق ! ولكن صدق حديثه لدى تلميذه قد صافى من تبه ، بحيث لم يذكر اساتذته في ترجمة حياته ، ومن يدكر ؟ والشنقيطي غاضب عليه يدعي في مجالسه ، واحمد مفتاح متظان بغير زيه بشاشة منه ، وحمزه فتحالله يقرنه بقس وسحجان !!

وقد كان للتدوات التزلية في هذه الحقبة من القرن التاسع عشر نشاط لا يفتقر ، في منزل على ميارد بالطلمية ندوة ليلية لا تقتصر على الوزراء والوجهاء بل تجمع اساتذة الادب وكتاب الصحافة وطلاب المدارس حتى انتدبه رياضي باشا مرات فما استطاع ان يستجيب له ، وفي دار الاستاذ الامام يعين شمس ندوة علمية تقسم الصفوة المختارة من اصقافه وتلاميذه وفي منزل احمد تيمور بدرب سعادة ندوة معاملة لا يستجيب منها طالب علم ، لان حاجات السمر ومطالب الانس لم تكن لتتاح للصفوة في غير هذه المجالس والتدوات ، فكان ما يدور بها من النقاش يلهم يومئذ مقام المحاضرات العامة للتدوات المستفيدة ، وكان في بيت البكري بالغرض ندوة معاملة ، يؤمها كبار رجال الادباء والدين ،

فيتباحثون ويتناقشون ، وطبعي ان يكون الغلام الناشء - وقد كلف بالادب والشعر حريصاً على استماع ما يقال ، وقد سجل الادب الكبير الاستاذ احمد حسن الزيات ملخصاً ثقافياً في منزل السيد عبد الباقي البكري في مقال له تحت عنوان كيف عرفت الشنقيطي (١) ، تحدث فيها عن مجادلة علمية دارت بين الاستاذ الشنقيطي من ناحية والشيخ سليم البشري والشيخ عبد الكريم سليمان من ناحية اخرى عن مشكلة نحوية تتعلق بصرف كلمة عمر كما يرى الشنقيطي باعتبارها جمعا لعمرة او منها من الصرف كما يرى جمهور النحاة لم انتهت الى الجدل في رواية بعض الاحاديث ، وبعد ان لخص الاستاذ الزيات فقه الحوار ولباه ذكر ان المجادلة قد انتقلت من منزل البكري الى دور الصحف فرد الشيوخ وكتب الشيخ واستطرد بينهم الخلاف اكثر العام ! والذي يعنينا من ذلك كله ان ندوة البكرين كانت حافلة بالنقاش ، وان الاديب الياقوت كان ممن يستمعون القول في حديثه ، ومن يوجهون النقاش بعد وفاة اخيه ، فاذا قلنا ان رواد هذه الندوة كانوا اساتذة للتي الناشئة لم نبعد ! واذا عرفنا ان جل هؤلاء الرواد كانوا رجال علم ورواية وادب امكننا ان نجزم باتهم القوي في تكوين السيد توفيق البكري ! وان نهدى الى اساتذته الحقيقيين من قريب ! وقد اورد السيد ان شيت جدارته العلمية فتقدم لشيخ الزاهر العلامة الابنابي ليخبره بنفسه - كما يقول السيد - فيما يقرأ بالازهر من العلوم ويجيزه ، فقام باختياره وكتب له اجازة قال فيها (٢) :

« ومن اعنتي بعد ما اقتنى ، وقطع المفازة فطلب الاجازة ، ولدنا النبيل العالم النقيب الجليل فخر السلالة الهاشمية طراز العصامة الضمنية السيد محمد توفيق نخبة نسل صاحب رسال الله ابي بكر الصديق بعد ان فرا على رسالة الاوائل للشيخ عبدالله بن سالم المبردي ونبذة من الاصول والفقه والحديث والتفسير وطرفا من العلوم العربية كالنحو والصرف والمعاني والبيان الالهي كوكب البديع مع جودة الالقاء وحسن التوضيح والتقرير لافعال في كوكب صلاحه وراح لي نشر مكملا للاحه ، ورايته املا تلك الصلابة ، وجديراً بتعاطي هاليك البصاعة ، حيث افاد واجاد واجاب ، وكشف عن المعاني النقا ، واخذ من الفنون بغاوى عرفى ، واورد الاحكام في اخذ الاسانيد بمن سلف ، فبادرت طلبه ، باعطائه بلوغ اربه . »

ولا بد من وقفة عند هذه الاجازة !

فالسيد توفيق قد تقدم الى امتحان البكالوريا سنة ١٨٨٩ ، واخذ شهادتها وكان ترتيبه الاول كما قال ، وتقدم عقب ذلك في تاريخ لسم يعينه الى مكتب الابنابي ونال اجازته ثم تولى مشيخة المشايخ سنة ١٨٩٢ ، فاذا كان ما بين سنتي ١٨٨٩ و ١٨٩٢ لا يتجاوز ثلاث سنوات تقدم اتناها الى الشيخ الابنابي ، فان هذه المدة الوجيزة لا يمكن ان تعد لدراسة علوم الزاهر شرعية وفلسافية دراسة تؤهله لدرجة علمية من الشيخ الابنابي في فرض انه تقدم في خاتمته ، اذ لم يعدد علوم تاريخ الاجازة ، وهي مسألة نقف عندها ، وطبعي انه قبل الحصول على البكالوريا لم يكن يدري العلوم الزاهرية الدقيقة كالقصة والاصول والمعاني ، منعا لظن بانه استعد لذلك منذ نشأته ؟ او وجهه التعليم المدني بمدرسة الانجال وفي الدراسة الهيئية للبكالوريا ان التقت بعلوم الزاهر في اوليات النحو والصرف والبلاغة فلن تلقى بها في كتب الدراسة العالمية التي تهوّل لاجازة شيخ الزاهر وتدعو الى (٣) :

- (١) عصر اسماعيل ص ١٨١ ، ص ١٨٢ للاستاذ عبد الرحمن الرافعي .
- (٢) تاريخ اعيان القرن الرابع عشر للعلامة احمد تيمور (٣) الوسيط ص ٢٢٤ ط السادسة سنة ١٩٢٧ ، (٤) مجلة المشرق ربيع الاخر سنة ١٣٨١ ، (٥) ط الصديق ص ١١ ، (٦) كثر الجهر ص ١١ ، (٧) في تاريخ الزاهر ص ١٤٨ ، (٨) في شرح المصاريح ما يشير الى ذلك .

وحين نرجع الى تاريخ الاجازات العلمية بالازهر نجد ان جموعها قد بطلت في مفتح عبد الشيخ محمد العباسي المهدي الذي تولى مشيخة الازهر سنة ١٨٧٠ ، وعمل على اصدار قانون الامتحان الاول مرة بالازهر اذ يعين لكل متحسنة سنة (٢٠) من اكابر العلماء يتداولون امتحان الطالب في احد عشر علما من العلوم المقررة بالازهر وهي الحديث والتفسير والاصول والتوحيد والفقه والنحو والعرف والمآني والبيان والبديع والمفتق فاذ انتهى الامتحان واجاب الطالب منع الدرجة الاولى او الثانية او الثالثة ، وكتب في سجل العلماء ، واذا لم يجب ناهب لامتحان آخر بعد عام ، وقد فُلس هذا النظام الجديد على مبدول الاجازات العلمية !! فعلام تدل اجازة الشيخ الانبائي ؟ وقد تولى مشيخة الازهر بعد صدور قانون الامتحان بعدة سنوات ؟

اذا كان المراد بها ان الطالب قد درس علوم الازهر جميعها ، واستحق ان يذكر بين علماء الدين ، فقد أصبحت اجازة رسميا غير ذات موضوع بعد ان صدر قانون الامتحانات فيقوده وشروطه ؟ اسف الى ذلك انها لا تنص على جميع العلوم التي ينبغي للزاهري ان يمتحن فيها بمقتضى القانون الجديد والتعير بقول الانبائي (نبتة من دلائل والفقه والحديث والتفسير وطقا من العلوم العربية) لا يعنى الاول صريحة على دراسة جميع هذه العلوم اذ فورنت اجازة الاجازة اجازة شخصية لا رسمية ! والسيد ان يذكر نصها في ترجمة حياته ولكن ليس للباحث ان يعتبرها دليلا على تحصيل العلوم الدينية والسانية بالازهر بحيث يصبح صاحبها من العلماء ؟ كما توهم ذلك مؤلف الجزء الثالث من الادب والتصوص وهم الاساندة السبائي البيومي ومحمد خلف الله وشوقي صيف وعمر الدسوقي حيث قالوا في ترجمة السيد توفيق الكيزي ص ١١٢ (وتلقى العلوم في البيت على ايدي معلمين كان يترقى بهم كلما شدا في العلم حتى نال الشهادة الكلاويبا سنة ١٨٩٩ وكان اول التاجين ، وعمل بالازهر حتى نال العالمية) والواقع ان الرجل لم يلتحق بالازهر ولم يزل طالبا وانما اخذ اجازة الشيخ الانبائي فقط ! نقول هذا ونحن نعرف ان النجاح في الامتحان القانوني لا يستلزم ان يكون متجازه عالما ، فكم من درجات علمية اعطيت بعد امتحانات متعددة لانسى دون ان يتقوا كثير من العلم ، ولكننا الان في معرض تقييم الاجازة الرسمي فقط ! ولا نمنع بعد هذا ان يصبح السيد توفيق البكري فيما بعد باطلامه الشخصي اكثر من عالم ، بل هذا ما نراه ونؤيده ، وان كان ذلك ايضا لا يمنع الحكم النصف على اجازة الشيخ الانبائي .

ثم اتبع للسيد في سنة ١٨٩٩ ان يأخذ مكان اجازة بعد وفاته فيصبح في شابه الباكر شيخ مشايخ الطرق وشيخ السجادة البكرية وتقبيل الشراف ، ويعين عضوا دائما في مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية ، ثم ينعم عليه الجناح العالي بكسوة التشريف من الدرجة الاولى ولتتأشأن المجدي الثاني ، وقبل ان يحول الحول يافى الى الاستانة لمقابلة امير المؤمنين فيدعوه مرارا الى حلسرته الشاهنشاهية ويقلده التشان العثماني الاول ، ويمنحه رتبة الوزارة العلمية وهي قضاء عسكر الاصول ، ويرجع الى مصر ليرى نفسه بها ارفع شيخ يتولى الصدارة بالقاهرة ويتأشأنه ! لقد سمعنا في الاساطير من خاتم سليمان الذي يعده الخطوط مدافعة فينبهه جميع ما يريد ! وبخيل الى ان خاتم سليمان لو تحول الى حقيقة ووقع في يد السيد الطامسح الى اعلى المراتك الدينية ما استطاع ان يزيده شيئا عما استولى عليه في عام واحد ، واذا كان من المتوفى ان يتال الشاهنشاheed مناصب اخيه والقائه واوسمته ! فان ما ناله من الجناح العالي بمصر لم يكن موضع استغراب ، فلم يزد الضويدي عباس على ان منحه حقوق سابقه من تعيين في مجلس الشورى واتعام بكسوة التشريف ولتتأشأن المجدي الثاني ، ولكن المستغرب حقا ان يرجع الشباب الشاهنشاheed برتبة الوزارة العلمية من الاستانة ، وهي لا تمنع لغير شيخ الاسلام .

فلا بد ان يكون هناك سر خطير ، والا فكيف يصير الشيخ الشاب بمنصبه التقليدي صاحب هذه الدرجة الكبيرة التي لم يلقها اخوه وابوه ، ولم يهد من أعماله المستخدمة ما يعجز ان يأخذ اكثر مما يريد ! وقد تبحت المظان الكثيرة التي يمكن ان تكشف هذا السر في حياة الشاب الطموح فلم ار غير العلامة احمد نيور يقول في ترجمة الشيخ محمد المهدي العباسي ان السيد توفيق قد توصل الى ذلك كما بمسما الى الهدي الصبدي ! صاحب الكلمة الاولى لدى امير المؤمنين وكلنا يعلم اعاجيب هذا الرجل الغارقة فقد نشأ في سورية ثم سافر الى الاستانة وربط نفسه بنسب علوي هاشمي قرشي . واصبح بعد امد يسير مستشار الملك ووصف بخامي الضمانيين وسيد العرب ، وغرف عدوه من صديقه فاذل واعز ، ورفع وخفض ، وقد يامر عبد الحميد يامر فيبطله دون مبالاة وقد ينهي عن شيء فيبطله على رؤوس الاشهاد . ومن كانت له هذه الخطوة فلا بد ان تور في وجهه الوصاف ، ومهما استطاع ان يظفر الشرور المتظار فللجهر في خلل الراماد اوان قريب يتدفع معه القهيب .

واذا كانت مغفرة ابي الهدي الاولى عند السلطان انه شيخ مشايخ الطرق الهاشمية في بلاد الاسلام فقد وجد في بغداد من يتبادهء المداوة ، فيفزع بنسب الهاشمي ويطن في اتسائه للمتصوفة . هؤلاء هم القادرية اتباع عبد القادر الجليلي بالعراق الذين شتوا الحرب على الرفاعية وابو الهدي الصبدي وقد اعياه امر القادرية ما استطاع ان يستميلهم ثم رأى ان يحصر الخطر في العراق اذ ان الشاشيين اتباعه ومواطوته ، فاذا ضم الى طاعته شيخ مشايخ الطرق في مصر فقد خرج بكسب كبير . على انه بعد في حاجة الى عون مشايخ الطرق بوادي النيل فجرد احد الاحتلال كالظم تشهر بونفوس صمدرا مقالات كثيرة فينتظها الافراء مرددين وتلاميذ الاقناني بالقاهرة ، قد فداق بهم ذمعا ، فاذا سمى الى انصاره شيخ مشايخ الطرق الصوفية بمصر فقد فاز بكسب كبير . هذا ما قاله ابو الهدي حين كتب من السلطان منع الشيخ الشاب رتبة الوزارة العلمية ، وقد صادفت منع اعظم موقع فرجع من الاستانة ليقول عن ابي الهدي الصبدي في كتابه صهاريج اللؤلؤ (٧) ص ٤ . (هو رجل فاضل العباد ، كثير الرواد ، رحب الصدر ، رحب الفؤاد ، قد صرفت اليه باطن البرة قسم بيته وبين الضعيف ، معطاء غفيرا يرى ان شقا في باطن البرة قسم بيته وبين الضعيف ، اباد قتلن دفرا والدمج بالفواصل ، فام دفرا والدمج ناكل ، غيات المرمل المحتاج ، وعصمة في الزلزال كراحي عريبي في سجايا مفسر وزيد مناة ، اجود باجاه من المال وبالمال من الجاه ، كعب في الكرم ، والمسؤول في الدم ، وعمور بن العاص في الراي ، والمقبرة في الدعي ، والتسبيح في العلم ، وابن ابي ذؤاد في الحكم ، في فصاحة لا لبلفها ، مقاول هذيل في آفلاها ، وفراصية نجد في بطحاها ، وقرني كاتال كل بيت شعر خير من بيت مال ، فكان ابيانه رماح والقواي اسنة ، وكان شطري كل بيت منه صمراحي ما قسر من قصود الجنة ، حماس وسماح كلاءه والراح ، وباس في جود كاتال في العود .

ودعاك حمدك الرئيس وامسكرو ودعاك خالفتك الرئيس الاكبرا » ولا نجب ان نستطرد فنذكر بعض ما قاله عبدالله التديم في السيد الفاسد جها لابي الهدي الصبدي ، فنقول السيد بالفرد وقد كتب التديم مساميره بعد ان خط السيد مقامته الصبدي وقيل ان يعجب عبدالله الى الاستانة ويرى ما دفعه الى اصدار كتابه .

نقول ذلك لان السيد عبدالله التديم كان اول الرحيمين بمنح السيد توفيق البكري رتبة الوزارة العلمية ، وقد قال في استقباله بعد عودته من الاستانة بجريدة الاستاذ « وقد اشرفت اتوار مجده السامي على رتبة الوزارة العلمية (فاسي عكر) فلزنا بتوجيهها الى السيد اتراف مقام سيادته على دروة سماك الرب ، ولطفت بدور فضله على التديم العثماني من الدرجة الاولى فحقق بوضعه على صدر مليء حكمة وعظما

حنان الام

عكفت تداعب طفلها
جدلي تطاوعها اللحن
ماما .. كايقاع الهديل
وبنفسها لوليدها
ترنو اليه بظرفها
وتبشه من روحها
والطفل في غمر الحنان
غاف على همساتها
في الظهر يرفل كالملاك
ويروح ينطقها بلطف
وبعيدها بتلثمهم

كاظم محمد حنين

الكوت - العراق

هل تاب الشاعر

من قال تاب عن الحسان الشاعر
من قال عاف الفيد او هجر الطلا
ابدا فان حنينه وغرامه
دمه يفيض هوى فكل عروقه
يقتات بالقبائل في ليل الهوى
يشدو ويهتف للهوى بنسبده
هو في الحياة كطائر متنقل
انى سرى غنى الجمال بركبه
حتى الطبيعة وهي مصدر وحيه
تندى الطيوب من الكمام في الربى
وتفرد الاكوان خلف ركابه
لا يزهر الوادي ولا تزهو الربى
هو لا يتوب عن الهوى فحياته
ما عاش الا للحسان وشعره

احمد محمد الخليفة

البحرين

الشاهانية الجليلة عن اهلية واستحقاق ، لا زال رايقا اوج النغم
وذروة العالي (.

هذا تفسير ما نعلم من حديث الرتبة وبواشعها ، وصداها لدى
الناس وقد رجع السيد الى القاهرة من الاستانة ليجد هذا الصدى
مجلجلا رنانا بمصر ، وكاتي به اذ ذاك وقد فارق عهد النشأة المتظلمة
ليأخذ دوره السياسي والديني والاديبي على مسرح الحياة المصرية وهو
دور متعدد النواحي وستجلى كل ناحية منه بما ينيرها من الاضواء .

محمد رجب البيومي

الفيوم - دار المعلومات

فتنهى الرتبة والتيشان بما تلاه من النسبة الى نسب تلو الفاخر
آيات حسية الجليل ومجده الابليل » .

وقد اضافت المؤيد المادرة بتاريخ ٢٢ صفر سنة ١٢١٠ في تعداد
مزية هذه الرتبة السلطانية فتحدثت عن درجتها ووظيفتها وتاريخ انشائها
باسهاب نقله السيد توفيق ص ١٥ من بيت الصديق ثم ختمت المؤيد
حديثها بقولها (ويمكن ان يقال انه لم يفلد هذه الرتبة السامية من
علماء مصر احد قبل سماعه السيد البكري ، ولم تعط لاحد دفعة
واحدة قبله ، ولا نالها احد وهو في سنه الذي لا يتجاوز الثنتين وعشرين
سنة ، وفي ذلك ما يغني عن بيان ما احرزه سماعته من نفعات الحفرة

عادل جبر - جورج متى شريف صبور

بقلم البدوي المثلث

١ - عادل جبر

في « يافا » عروس الساحل الفلسطيني ولد عادل جبر عام ١٨٨٥ وروى لصديقه الأستاذ عجاج نويهض ان اسرة (جبر) في يافا هي فرع من اسرة (جبر) في بيروت . تلقى دراسته الابتدائية والثانوية في فريز يافا وقبل الحرب العظمى قصد سويسره طلبا للعلم وعاد الى فلسطين بشهادة في الاقتصاد والعلوم السياسية .

وبينما كان عادل بفلسطين عام ١٩١٢ يقضي العطلة الصيفية ويهم بالعودة الى سويسره لانهاء تحصيله في فلسطين مولاي السلطان عبد الحفيظ ، سلطان مراکش (المقرب اليوم) في طريقه الى الحج ، بعد ان تنازل عن العرش خلفه مولاي السلطان يوسف ، وكانت ازمان المغرب تتوالى منذ عام ١٩٠٥ بين فرنسا والامانيا ، فعلى غدت من المشكلات الدولية ، فطلب مولاي عبد الحفيظ ، وهو في القدس ، ان يختاروا له شابا ذكيا يتقن الفرنسية ليكون امين سره في زيارته البقاع المقدسة ، فوقع الاختيار على عادل جبر ورافق السلطان في رحلته ثم عاد معه الى مراکش وهناك افترق عنه وتحوّل الى سويسره ، ولافتراقه هذا قصة طريقة نسطها تاليا للقارئ :

لما عاد مولاي السلطان عبد الحفيظ من الحج الى قصره في الرباط ، وعادل في حاشيته ، احب ان يستبقه امينا لسره ، واغراء له بذلك عرض عليه ثلاثة مغربات : ١ - قصر كامل الرياض والاثاث والزينة والخدم والحشم . ٢ - مال يكفي لزواجه في كنف مولاي السلطان ، هذا ما عدا مرتبه الدائم ٣ - امانته سر السلطان .

فشكر عادل مولاي عبد الحفيظ واكد له ان اعذب امانيه العودة الى سويسره ليكمل تحصيله ، وحين ودته لفلسطين والشهادة سلاحه كان يقول لاصحابه ، كلمسا ذكره بمغربات السلطان : « لم ادم ولله الحمد ! » .

قبيل نشوب الحرب الكبرى عاد عادل الى فلسطين واختصاصه الاقتصاد والعلوم السياسية ، ولما انشا جمال

السفاح الكلية الصلاحية في القدس عام ١٩١٥ لتكون اداة لتخريج شبان مسلمين للخدمة في آفاق الدولة العثمانية بعد النصر عن طريق المانيا ، تحقيقا للبرامج الطورانية التي كانت المانيا راضية عنها خدعا للطورانيين من الترك ، عين عادل استاذا فيها وكان الشيخ عبد العزيز جابوش (١) مدير الكلية الصلاحية والمهمين على برامجها وكانت لعادل جبر اليد الطولى في تنظيمها من الناحية العلمية .

واجتمع وقتئذ رهط كبير من رجالات العرب في الكلية الصلاحية يتولون التعليم ، وكان هؤلاء الرهط من حملة الفكرة القومية العربية ، وكان السفاح قد علق القافلة الاولى من الشهداء في بيروت .

وعمد هؤلاء المربون الى الحكمة والروية بحيث استطاعوا ان يقدوا الطلاب العرب بروح اليقظة العربية دون ان يتعارفوا في هذا معززة الشيخ جابوش الاسلامية ، ومن رهط الاساتذة الذين عملوا في الكلية الصلاحية خليل السكاكيني ورستم حيدر واسماعيل التشايشي وعبد الرحمن سلام (من بيروت اصلا) وفئة طيبة من دمشق وسائر البقاع العربية بلغ عددهم نحو العشرين .

اما الكلية الصلاحية فبقيت الى آخر عام ١٩١٩ ولما اقترب الجنرال النعبي من القدس نقلت الى دمشق وهناك بعد قليل انتهى امرها ، ومعظم الشبان الذين درسوا فيها كانوا من ولاء الحركة العربية فيما بعد من مختلف الاقطار . وبعد الاحتلال البريطاني وانشاء ادارة عسكرية في فلسطين عين عادل جبر مديرا للمعارف وبقي في هذا العمل بضع سنين ، وعني بتنظيم شؤون المعارف مدة الادارة العسكرية ، وكان لديه وقتئذ بضعة معلمين مصريين ، ثم استقال من عمله واشترك مع صديقه الحميم خليل السكاكيني .

وبعد عام ١٩٢٣ عينه المجلس الاسلامي الاعلى قيما على مكتبة المسجد الاقصى في بيت المقدس ومحافظا على المتحف الاسلامي ، ويعزى الفضل في تنظيم المكتبة والمتحف له . ولما انشأت حكومة فلسطين معهد الحقوق الفلسطيني في القدس عام ١٩٢٣ عين عادل استاذا للاقتصاد والعلوم السياسية فيه وامضى عدة سنوات في عمله هذا .

وبين ١٩٢٣ و ١٩٣٠ نذبه المجلس الاسلامي الاعلى لاداء عدة مهام تتعلق بالمصلحة الوطنية ، فذهب الى مصر مرات وانجز ما نذب له على خير وجه .

وبعد نشوب الثورة القومية في فلسطين المشهورة بـ « ثورة البراق الشريف » عام ١٩٢٩ احب عادل ان يمارس خدمة القضية عن طريق الصحافة فانشا في بيت المقدس جريدة يومية باسم « الحياة » وهي اول جريدة عربية صدرت يومية في فلسطين بعد جريدة « لسان العرب » (٢) لصاحبها المرحوم ابراهيم سليم النجار وهذه لم تعمر الا قليلا اول الامر بعد انشاء الحكومة المدنية في

فلسطين في تموز ١٩٢٠ ، ووفق «عادل» في أن يكون شريكه في «الحياة» الأستاذ خير الدين الزركلي أحد حملة الأولوية في الحركة القومية العربية وشاعرها السابق . وظلت «الحياة» تناضل نحو سنتين في أوقات حرجية وشدائد مرة .

وخلال الحرب العالمية الثانية بقي عادل في فلسطين ولم يتعاط علامينا ، ولما تفرق العرب بعد وقوع النكبة في ربيع عام ١٩٤٨ قصد عادل مصر وعاش فيها قريبا من صديقه خليل السكاكيني وأساعف النشاط السياسي ، اللذين حملتهما النكبة على هجر الوطن الفصوب .

ولما رجع عادل الى الاردن عين في أول شهر ايلول ١٩٥١ عضوا في مجلس الاعيان الاردني وظل عينا الى ان توفاه الله في اربحا شتاء عام ١٩٥٢ والثلوج تغطي السهل والجبل .

كان الفقيه هادي الخطي والكلام ، متزنا في عقله وفكره وفي كل حركة باتيها ، واديبا ناجحا ، ومحفوظه من ليال الادب العربي لا يقل عن محفوظ صديقه السكاكيني والنشاشيبي بالإضافة الى اشباعه من الادب الفرنسي . وصداقته مع خليل السكاكيني ومعروف الرصافي كانت مضرب المثل في الوفاء . « وخلق قطعة من الساحة والرضى ، وناسوته مشفق من ملاه كانه ملائكة! » (٣) . وعلى الجملة يعد عادل من صفوة رجال العلم والفكر العرب في النصف الاول من القرن العشرين من آثاره القلمية : رغم ابتلاء حوض المرحوم عادل جبر بالعلم والادب فانه لم يؤلف الا شيئا ضئيلا . فقد ترجم عام ١٩٢١ عن الفرنسية كتاب «روح القومية» لماكس نوردد وطبعه في مطبعة « لسان العرب » بالقدس لصاحبها ابراهيم سليم التجار .

ووضع المرحوم جورج انطونيوس دليلا تاريخيا بالانكليزية والفرنسية عن تاريخ المسجد الاقصى والحرم الشريف لافادة السياح الاجانب ، وتولي عادل وضع الدليل بالعربية مسترشدا بما وضعه انطونيوس .

ولعادل عدة مقالات وفصول نشرها في « لسان العرب » بلا توقيع صريح ، وخلال الحرب العالمية الثانية اذاع من دار الاذاعة الفلسطينية بالقدس طائفة من الاحاديث الادبية والعلمية المفيدة .

٢ - جودج متى

ولد في عكا الغافية على زند المتوسط عام ١٨٧٢ ، وهو من اصل يوناني ، وتلقى دروسه الابتدائية في المدرسة الارثوذكسية هناك على استاذ الجيل المعلم نخله زريق الذي كانت باكورة اعماله بفلسطين التعليم في المدرسة الارثوذكسية بذلك الشعر الجميل .

وبعد ان أنهى جورج دراسته الثانوية في كلية

الشباب بالقدس على المعلم زريق مال الى الادب بفطرتيه ونال حظا موفورا من الادب العربي والاغريقي ، وكل منهما معوان لاخر ، وقرض الشعر واشتهر بالفزل ، وله في هذا الباب شعر رقيق عذب .

ومما يروى عنه انه من ذات يوم بحسنا نافرة نسي احد احياء القدس فبهرو جمالها والصليب اللماع يرقص على صدرها المرمي فصاح من فرط ذموله :

لما رايت صليبها في ذلك الصدر اللبح

ناديت من فرط الجسوى يا ليتني كنت المسح !

بعد ان تخرج هذا الشاعر من كلية الشباب قصد دمشق واصدر فيها عام ١٩٠٠ مجلة ادبية شهيرة اسمها « الشمس » بمشاركة صديقه جورج سمان وقد عاشت سنة واحدة .

وفي دمشق عمل في الخط الحديدى بضع سنوات نظرا لالامه بلغات اجنبية ثم استدعاه البطريرك دميانوس الاول الى القدس ليعلم العربية في مدرسة المصلبة اللاهوتية فسلخ في التدريس هناك مدة سبع سنوات . ولتمكنه من اللغتين العربية واليونانية ، بالإضافة الى التركية والفرنسية والانكليزية ، عينه البطريرك دميانوس الاول سكرتيرا خاصا وترجمانا في البطريركية الارثوذكسية بالقدس .

واشتهر هذا الاديب بحفظه شوامخ دواوين الشعر العربي عن ظهر قلب ، كديوان المتنبي وديوان ابن الفارض ونشر قصائد ومقطوعات من نظمهم في مجلة « النفاثس » وغيرها من المجلات العربية ، وتميز في سني حياته بتقديره ونفاذ الفهم والاطمئنان على نفسه وعلمه عند ذكر الموت . وفي الخامس عشر من شهر كانون الاول عام ١٩٢٤ توفي هذا الشاعر الرقيق في طبرية ودفن في عكا مسقط رأسه .

نماذج من شعره :

وبدر سم قد دنته التنوى
فشمس الذيل لداعي السفر
قلت : « يا بدر كم بيتنا ؟ »
قال : « ههنا » قلت : « لا مطير ! »
فقلت : « نهار واحد لم يدرك »
قال : « نهار واحد لم يدرك »
اموت من قبل ان تقبل ليلة
ولما مضى المصيرين اقبل !
فهلا رحمت قبيل الهوى
بييت وتنويه نار سقر !

(١) - (١٨٧٦ - ١٩٢٩) من رجال الحركة الوطنية في وادي النبل، تونسي الامل ، ولد بالاسكندرية وتعلم في الازهر الشريف ودار العلوم وتولى تحرير « اللواء » ١٩٠٨ فحمل على الاحتلال وسجن ستة شهور لقال كتبه عن حادثة دنشواي ، وللاذاعة شعور لكلمة قدم بهما ديوان « وطنيتي » من نظم علي الغاياني (٢) صدرت في القدس وسدر الممد الاول منها في ٢٤ حزيران ١٩٢١ (٣) من رسالة للقاها كاتب هذه السطور من الاستاذ عجاج نويهض (توبل واس المن) بلبنان (٤) من الكلمة التي القاها المرحوم شريف سبيح في حفلة التكريم التي اقامتها بلدية نابلس على شرفه بمناسبة امتواله العمل .

من عيني

النار منجل . وأين الحصاد ؟
من قلقي الزهر ... يا للحصاد !
عسا برح المسارد في فمهم
وروحه الخضراء روح الحداد
الثمر الزمن . أما اسأ
يا الثمر الزمن ، صوت الرماد :
أحيا على الحب الذي مظلي
أحدي النجوم في ضمير السواد
أعش بالتلوين ... من ها هنا
أبدأ ... يا تلوين ، أني المراد
صيرت قلبي حرف شعبي ، وطرت
حاملا أغنية من وداد
لكنني رايت . ماذا رايت ؟
في النوى وفي الفجوات الجراد ؟
يا أرض ، يا شاعرتي ! لا تطيري ...
حسبنا نيسم تحت الضماد !!

علي الزبيق

حلب

حادثة قفازت روحه في المستشفى الوطني بنابلس ودفن
في القبرة الشريفة .
موقف من قرة : (٤) « لا ريب ان المواقف التي
تعش فيها العواطف تودع لها اخرج المواقف ، وأي موقف
تجسده فيه العاطفة بالعقل وتظهر بأجلى مظاهرها اعظم من
هذا الموقف الذي اودع فيه قوما احمل لهم بين اضلعي ما
يحمل الولد لوالده والاخيه والصديق لصديقه من
حب خالص وود أكيد .

نابلس ! هي امي الرؤوم ومسقط رأسي ، ففهيما
ولدت وتربيت وترعرت ولبانها تغذيت ... فكيف
انساهما وقد ابنتني نباتا طيبا وفي معاهدها تعلمت بينما
كنت اقاسي من شظف العيش وبؤس الحياة ما قاسيت
... فاصبحت بحمدالله غنيا بنابلسيتي معزتا بقوميتي
مفتبلا بحياتي .

كبر الحرب العظمى كنت في القدس فشعرت
مدبنتي الغرى بذبول نبئتها فأتت بها الي نابلس وسقتها
من موردها العذب فأبغيت التبتة وعاودها اخضرارها
واشراقها .

واذا كان للمرء ان يعتز بأسرته ويفخره بارومته
وتبته بمشيرته فاني اعتر واخاخر وآتبه بانني ابن نابلس
ولن اتوانى لحظة عن خدمتها وخدمة كل بلد عربي لانني
نابلسي عربي وهذا كل ما احزته في دنياي .»

البدي المثم

عمان - الاردن

يا بدر ! يا بدر ! لا تشغني عا كنت والله ارضى الجفر !
ارحم معنى عنده لوعنة وشله الوجد فلا مستقر !
وقصر الناي فيبي حرفلة لا تقس يا بدر فعل القدر !
وانشد جورج مني في ثوب الرياء الشفاف :

يلبس منه الكبرياء يتواضع ويخفي بما يديه ضحكا من الدفر
يقول : «انا العبد الفقير» وفده ملا «انا الولي الخبير» لن ينثي
كما قالت الصناء عجبا بنفسها : «انا انني شاعرا» تريد انظروا حني
ونظم هذا الشاعر الحكيم في الفرج بعد الضيق :
اصبر اذا الحضر عليك اعشى واثبت على مكروهه والحرج
فالدهر كالذلولاب في صرفه وليس بعد اللبيب غير الفرج
وكتب على رسم له اهداء الى صديق :

لقد بعتم قلبي بمحض ولاكم وكلفت قاضي الود للبيع بعقد
وذا الرسم في ايديكم هو حجة علي ونور الشمس بالرسم يشهد
وحر في نفس هذا الشاعر الحر ان يرى الدنيا
مقبلة على اناس هم من رواسبها ، وان يتوسد نفر من
الجهال اعلى المناصب واسماها ... فانشد من فرط المله
واحاساسه :

اهل المناصب مانوا فقلدهم العوجا
من قلة الخيل شيدوا على الكلاب سروجا !

٢ - شريف صبح

في نابلس مصنع الرجال وعرين الإبطال ولد شريف صبح
عام ١٨٨٧ وتعلم في كتابتها واعدايتها ، وفي المهمد
التركي عين معلما في المدرسة المأمونية بالقدس وانكب على
المطالعة والدرس ومارس اعمالا حكومية اخرى كمدرس
للمدرسة الرشادية في نابلس ومعاون لمدير التحريرات هناك .
وبعد ان وقعت فلسطين فريسة بين يدي الصليبيين

البريطاني ظل شريف يزاول التعليم كمفتش لمعارف نابلس
بالوكالة ومفتش اصيل لمعارف هذا اللواء ومفتش لمعارف
يافا ومفتش لمعارف القدس ، وفي سنة ١٩٤١ احيل على
التقاعد فاختره المجلس الاسلامي الاعلى مفتشا للمدارس
التي تقع تحت اشرافه .

وبعد وقوع النكبة الكبرى عام ١٩٤٨ انتقل مع
اسرته من بيت المقدس الى نابلس وعين معتمدا للارواق
الاسلامية في طولكرم وجنين وفي عام ١٩٥٠ عين مأمورا
لارواق نابلس وبعد عام انس « مدرسة روضة الاطفال
الخدمية الاهلية » بادارة كرماته واشرافه منشدا
بنس قومه :

بتعليم بنت الحى نحا بلادنا فلك الى نيل الترفي يد طولى
ولن ينج النشء الجديد بغيرها اذن علموها فهي مدرسة اولى
والجدير بالذكر ان هذا المربي العصامي كان عضوا
مؤسسا لكتبة النجاح الوطنية بنابلس. وفي حرب فلسطين
(١٩٤٨) كانت له يد طولى في تأسيس اللجان القومية
وتنظيم الدفاع عن بيت المقدس والدعوة الى مؤازرة
الجمعيات النسائية العاملة في الحقلين القومي والاجتماعي .
وفي صباح ١٤ - ١١ - ١٩٦٣ اصابته نوبة قلبية

من اوراق الغربة

بقلم عبدالله الشيتي

سكرتير تحرير « آصواء الكويت »

اسم ، حمل البريد الي ، رسالة من صديق بعيد ، وراء بحار الصمت والصفر .. هوذا يقول من خلال نموتنا ، واتسحافتنا المجنون :

لن تسقط ابدا يا عيد .. ما زلت خصباً خيراً ، رغم هذه المرأة التي تنز من حروفك الدماء ، ما زلت طيباً حنوناً رغم هذا الاسى الملمع الذي يطل من بين سطورك واحرفك . نحبك يا صديقي .. نحبك كيفما كنت ، وفي اي شكل نصبح فيه .. فدماعتك المصراوية لا تبهتنا .. رغم ان البهجة حملتنا ابدا ! هوذا تنين العصر يسحق انسانيتنا .. يسلبنا اشياؤنا الطلوة . امسينا على الجرح ولا ننزف دماً . فكيف نصبح وليس في اعيننا اي امل جديد .. لكن يجب ان نعيش .. ونحن نقول هذا الكلام ، فليكن كما نشتهي نحن ، لا كما يجب ان يفرغ علينا ! اجل يا صديقي العيد ، القريب .. شيء جديد طريف ، وفاجع هذا الشيء الذي نحياء . اننا نتنقل من الحفل الى الفرقة .. من التور الى الظلمة . من العلم الجميل والتألم البائي ، رغم انه سحري ، الى الواقع الصلب !

يا صديقي ! لقد انتهينا من التجارب الاحساسية والتأويلية والخيالية ، لنبدأ عهداً من تجارب الملموس والكتشوف ، والواقع ، واليابس .. نترك سراب الصفاء لنمسك بأيدينا .. لنشعر جيداً باننا نمسك بأيدينا واقعاً لا سراب فيه ، اي لا جمال فيه !

الحلم سفر مليء بالقيار والخار والمباب واللاوصول . والوصول الذي لا يتبع مليء بالاستزادة والاعجاب والدهشة والتوجع .. ولكن غالباً لا خيبة فيه . خيبتة نظرية خيالية ، ليست خيبة مؤسسة في ارض ميتة ، ليست خيبة مظلمة !

– الواقع يا صديقي ، هو الذي يسفر لنا عن وجهه ، والعلم نحن الذين نرفضه . فلماذا .. لماذا لا نمزج بين الاثنين ، فالحياة قصيرة ، لنعيشها بالامتلاء الذي نحب !

– خيبة معرفتك الجديدة لوجه الحياة يا صديقي ، تعرف من خلالها معنى الهلاك الحقيقي ، وترى وجه الذعر .. ونعاني شهوة الموت !.. الشهوة الصادقة للموت ، لا شهوة التحاليل المدلل للكتاب .

نترك الترف – مهما قيل ان المال قتال ، فهو ترف نسبياً ، نترك الترف الى القرف !

– وتصرخ بي من بئر عميقة راعية ، بصوت تشويسه المرأة والفيجيسة : « يجب ان نجد حياً فتجرح المعجزة يا صديقي ، اعتقد ان الحب يلف لكل مأسيتنا بالمصادف ، فيه تعيد خلق النفسنا . هناك اقول لك : ان ذلك عمل ممكن وعظيم وبه تبدأ من جديد ، كما بدأت أنا . – اننا احبنا نصاب بخيبة امل في الحب ! لا بأس ! خيبتة ستكون

معرفة الحياة اكثر .. اكثر .. اكثر ، وسنظل على استعداد لنحب من جديد !

انا لا اطلب لك المستحيل ، لكنني اعرف انك ستخرج من تجربة الفرية والتشرد ، مثلنا بالتجارب . غنيا بالنعب والسام والياس والخبرة . نحن نبحت عن التجربة ولو دفعنا حياتنا لنمنا لها .. اما وهبنا انفسنا للحرف ، للكلمة؟

هل اسو عليك واصوفر لك لحن الهرب والرفض والخوف ؟ هل انفشي لك صدري ؟ وفبور الحقيقة ، هل اخلع ابوابها جميعاً لاردك البنا؟ انا لا اسعد عليك ظنك الخائب ، لانني وكما تريدني لا اقرأ لك لاكون ناصحاً ، اقرأ لك لاجد نفسي في سطورك .. واكتب اليك تجدد نفسك في سطوري وفي صدري !

– وبعد ، فقد امضيت النواق ، واعتصرتني الفرية ! اليك الاول ، من بين الاسلاك الشائكة حول وحي ، دائماً هناك من لا يجتازون الا الطريق المجهول ... نحن هؤلاء !

انديري لماذا ؟ لان لنا القدرة دائماً على الكشف .. على التعرية . ولنا القدرة ايضا ، على ازالة الستارة عن مسرح الحياة بكل شجاعة وصلاصة وخيبة !

– اعرف ؟! اننا لا نبيكي الا عندما نريد .. وكثيراً بل ابدا ، نحن لا نريد ان نبيكي .. وهذا منتهى الرجولة ! ولذا اراك اللحظة يتسم التسمك العريضة الفرحة ، التي تعودنا عليها في دمشقنا العجيبة ، انفساً !

كيف اخبرك عن الخرافة والدموع الوهمية التي تطغى معورة من قوة تحترقها ؟ لم يكن لنا مكانا نستعين به على رد العاصفة ، لان خفتنا جبال الؤهم والظلام والسواد ...

نحن لسنا بدهة ! واتنا اراك الان يا صديقي العيد ، القريب ، فاحس الفرية غريبتين ! نحن انن حقيقيه ؟!

– تلك الارصفة التي بدانا نثردنا عليها مذ كنا صفاراً .. انذكر؟ انها ابدا موجودة في كل مدينة .. انت الان تحرك ضمير الحجر .. لقد بلغت في فرتك كل ما يصبو اليه ادب فنان .. بلغت حدة التجربة . انت ناعياها . تجربتها كؤوساً مرة . ومع ذلك تقول للناس العاديين : « ان الكاس حلو المذاق !.. نحن نكذب على الآخرين لاننا نرغب ان تكون تجربتنا مثلنا وحدنا .. ونحن اكثر الناس نزفاً والمأ في الحياة ، لاننا اكثر الناس احساساً بالمأساة الفاجعة !

والمأساة اننا نبحت من الحقيقة ، والحقيقة ورامنا تبحت عنا ، ونجلدنا بسيات من لهيب ؟

– اني انامل يا صديقي ! سحقتني الفرية . والتوم تقيسل على اهداسي !

راسي مثل بالنعاس .. وقلبي يش ويلهث .. وعلى ان ابقي في وجه العاصفة ، واقفا على قدمي !

صل من اجلي .. يا صديقي ، اذا كان هذا اصف الإيمان ...

عبدالله الشيتي

الكويت

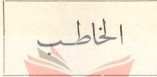
نشأت (دلال) في أحضان الرفاهية وتحت غيث النعمة فلم تعرف الهم والبؤس والعوز . لم يكن والداهما تربين بل كانا متوسطي الحال ولكنهما لم يزرقا من الأولاد سواها . لذلك دللاها وغمرهاها بالحب وتسليها بمداعبتها ليلا ونهارا . وما زال بها كذلك حتى كبرت وأصبحت شابة تحن الى الزواج والأولاد . وقد بلغ من عنابة والديها بها ان ظهرت للناس في مظهر فتاة نبتت من أسرة عريقة الأصل ذات عز وجاه وثراء . ولعل شعورها بأنها مدللة وأنها أنيقة الثياب كثيرة الصواب أوهها بأنها سلية أسرة نبيلة موسرة . وهذا ما بعث في نفسها طموحا خياليا من العسير عليها ان تحققه . طمحت الى ان تتزوج شابا مهنته الطب او الحمامة او الهندسة . لقد تزوجت صديقة لها طبيبا ناجحا ، فلم لا تتزوج هي طبيبا ناجحا ؟ وقد تزوجت صديقة أخرى محاميا معروفا ، فلم لا تتزوج هي ايضا محاميا معروفا ؟ ولكن صديقتها انحدرتا من اسرتين لهما جاه ونفوذ . وابن جاه اسرتها هي ونفوذها ؟ ومع ذلك فهي لم تياس . تريد ان تقيم لصاحبتها برهاناً على انها ناجحة في حياتها نجاحهما . بحثت وسعت وجهت ولكن بدون جدوى .

وكان لها ابن عم اسمه مروان كثير ما لاعبها وداعبها في أيام الصبا ، وكثيرا ما منى نفسه بالزواج بها في أيام المراهقة . أعجب بجمالها وخفة روحها وطلاقة لسانها . أنه يريد زوجة مثلاً . فلم لا يطلب بها ؟ ولكن امه أباسته من الزواج بها فهي اخبر من ابنها بسريرة نفس تلك الفتاة اللعوب المدللة .

وكان مروان يبلغ على امه في ان تزوجه فتاة حسنة تختارها له . وكانت امه تعدده بذلك . وكلما طال

الوفاء بوعداها قال لها في تلحف :
— لم لا تخطين لسي دلال ؟
فتجيب في هدوء :

— لا تفكر في دلال يا بني ، انها ليست لك .
بحثت امه في عدة دور عن فتاة لابنها فلم يقع نظرها على واحدة تليق به . فقال لها مروان ذات يوم :
— ان دلال ابنة عمي وصديقتي ولست اطمح ان اكون لها زوجا ولكن في امكانها ان تخطب لي فتاة جميلة فهي كثيرة الصاحبات محبوبة من النساء معروفة بالمسيرة والتأثير في النفوس . وقد رأيت ان تبحث لي عن فتاة تروقها . فهل تمانعين في ذلك يا امي ؟
— كلا . انني احب هذا الراي وارجو ان توفق في امرك يا بني .



بقلم عبد الحميد الانصاري

ARCHIVE
http://www.archive-beta.com

قال مروان لابنة عمه : قلبه حقيق
خفقانا غربيا :
— عزيزتي دلال ! لي عندك طلبية واحدة أرجو ان تجيبيني اليها ، فاحمر وجهها وقالت بصوت منخفض :
— ما هي ؟
فزاغ بصره الى ناحية واجابها :
— ان تخطبي لي فتاة تروقك .
اريدها فتاة جميلة الوجه حلوة الحديث جذابة اللامع مثلك .
فضحكت ثم قالت : مثلي انا ؟
— نعم مثلك ، انك ان فعلت ذلك صنعت الي معروفا لن انساه لك .
فرمقته بنظرة من مؤخر عينها



وقالت :

— لعلك فكرت في طلب يدي .
فاطلق مروان قهقهة جافة وقال :
— انت لا . لا . كلا . لم افكر في ذلك قط . انني اعلم انك لا ترغبين في اتخاذي زوجا لك ، ولكن فكرت مليا فوجدت انك اقدر بنات الاسرة على اصطيفاد فتاة حسنة لي بمسا وهب لك من حسن المسيرة وخفة الروح وقوة التأثير .
فابتسمت وقالت وهي تتمايل في دلال :

— حسن ! أرجو ان اكون عند حسن ظنك بي . ساسمعي لك . سآتسي بالمستحيلات من اجلك .
— اشكرك يا عزيزتي ! اشكرك !
واخذ يدها في يده وهزها في حراة .

بعد مضي اسبوع من تلك المكالبة دخل مروان على دلال وقال لها :
— بشري يا عزيزتي .

فقال في رزاة :
— لقد دلت على فتاة موسرة ورنت عن والداه بعض الحواثيت في سوق المدينة .

فقال في فرح : اصحيح مانقولين ؟ فاجابته في رزاة وهدهو :
— اجل ولكنها ليست من الجمال في شيء . انها الى الدمامة اقرب منها الى الجمال . انها قصيرة .
— هذا لا يهم .

— وفي عينها جحوظ .
فقبس وقال : جحوظ ؟
— وصوتها غليظ اجش كصوت الرجل .

الرجل .
فروى مروان وجهه عنها وقال :
— اوه ! ان فتاة تقيرة ذات جمال تفوق خمسين فتاة مثل هذه التي تصفين .

فتنهت دلال وقالت :

— ان الفنى والجمال لا يجتمعان في الفتاة الا نادرا . لقد غرتني صاحباني بها . وصفته لي وصفا شائقا ، فظننت انهن صادقات في اقوالهن ، فاسرعت الى زيارتها .

فضحكت وقالت : خبيث !

قضى مروان نحو عشرين يوما وهو يفكر في معبودته ذات الجمال المفرط مع قليل من العلم والمال . لقد تصورها فتاة مشوقة القوام قمحية اللون واسعة العينين حلوة الحديث جذابة ملامح الوجه سريعة التكة والجواب . وبما انه لم يعثر على فتاة من هذا النوع في حياته لم يجد بدا من الحوم في خياله حول ابنة عمه دلال . انها في نظره مثال المرأة الكاملة القريبة من القلب . كان يفكر فيها قبل نومه وعند اليقظة . كان يؤدي امام صورتها في ذهنه طولات القلب المعبود التيم . لم كل هذا البحث عن فتاة تخطب له والفتاة التي تروقه قريبة منه ووجهها في متناول كفيه ؟ انه ابن عمها فهو اولى بها من غيره من الشبان . لقد عاشرها مدة طويلة حتى القها والفته وعرف طابعها وعرفت طباعه وانطبع صورها على ذهنه وانطبع صورته على ذهنها . لم لا تكون له ، غير ان صوبنا حاقنا قطع عليه سبل تصوراته بقوله : « ولكننا لا تحبك ولو طلبت يدها لردك خائب انك لا تصلح لها زوجا » . وانه لفي مثل هذه التخيلات ذات يوم اذ دخلت عليه دلال ، فانتفض مستيقظا من حلمه وقال بنفمة فرحة :
- دلال ! خير ان شاء الله ! ارجو ان تكوني قد وفقت .
فابتسمت وقالت : كما تحب .
- ماذا تعنين ؟
- لقد وجدت سائلك . اهتديت الى الفتاة التي تريدنا زوجة لك .
- يا لله ! ان هذه خير بشرى في حياتي . صفيها لي .
- فتاة مشوقة القوام يجمع لونها بين البياض والسمر خلاصة ملامح الوجه مشرفة العنق ناهدة الصدر نحيفة الخصر عذبة الصوت بارعة في الحديث لا يفارق الابتسام ووجهها الجميل و . .
- كفى ! كفى ! حسبي منها ذلك . اخطيها لسي .

ولم يكد نظري يقع عليها حتى كدت اشفق اصطداما . ان للفتاة قرائب وصديقات ينشرون لها دعاية واسعة النطاق بغية التوفيق بينها وبين من تحدثه نفسه بطلب يدها . ولكن لي ابن عم واحد ، ولست ارضى ان اخذعه او تخدعه فتاة فيتزوج بين لا تلائمه .

- هذا املي فيك يا ابنة عمي . ارجو ان تهتدي الى الفتاة التي تريهك .

وبعد مضي شهر اجتمعت دلال بابن عمها وقالت له :

- بعد الكد والسعي وفقت الى فتاة متوسطة الجمال بضاء ولكن ليس في وجهها جاذب من خفة الدم ، غير انها مثقفة . انها تعمل معلمة في مدرسة ثانوية . فما قولك فيها ؟ اخطيها لك ؟

فكر مروان طويلا واخذ يفكر خديه وجبينه بأصابعه ثم اجابها شارد اللب :

- متوسطة الجمال ومثقفة . ثم ابتسم وقال :

- ولكنها ليست مثلك . اريد فتاة تشبهك .

فردت عليه بابتسامة مثلها وقالت :

- ان الجمال والعلم لا يجتمعان في النساء الا نادرا .

- لقد قلت لي من قبل : « ان الفنى والجمال لا يجتمعان الا نادرا » . والان تقولين : « ان الجمال والعلم لا يجتمعان الا نادرا » .

- اؤثر الجمال ام المال ام العلم ؟ فنكس راسه مفكرا ثم رفعه واجاب :

- اريد هذه الاشياء مجتمعة في واحدة .

فقاطعت دلال قائلة : هذا محال . - ان كان هذا محالا فالجمال مع قليل من العلم والمال .

- حسن ! اذن سابت لك عن فتاة تجمع بين الجمال المفرط وال . . والعلم القليل والمال القليل مثلك .

فقال بصوت منخفض وبنفمة قاترة :

- لقد طلبت يدها .

- وهل قبلت ؟

- فهزت دلال راسها هزة النفي . فقال متع الوج :
- رفضت ؟

- اجل . انها تريد شابا غنيا .

- فلطم خده بكفه وقال :

- ما اسوا حظي ! المنحوس يعيش طول حياته منحوسا .

وبعد قليل قال لابنة عمه بصوت قوي مرتفع :

- دلال ! اريدك ان تغري تلك

الفتاة بما لديك من حيل . انى على

استعداد لتقديم مهر ضخم لها .

سأقترض من اصدقائي مئات من

الدنانير . ساهدي اليها اثنى الحل

والجواهر . يجب ان تقنعها بانها

ستعيش معي في راحة وسعادة

وهنا .

فنهتد ثم قالت : آه يا مروان

ان صديقاتها يعبدنها حبا . وهي ان

قابت عنهن يوما سالن عنها في كل

مكان . انها غاية في خفة الروح

والمداعبة . وهي فضلا عن ذلك مدبرة

في البيت وحاذقة ومقتصدة .

فهب مروان من مكانه ومد اليها

يديه قائلا في حماسة :

- لا اريد فتاة غيرها . يجب ان

تزوجيني بها . نفسي تحدثني بانها

خلقت لي واني خلقت لها . محال

ان يتزوجها احد غيري .

فاندت دلال وجهها من وجهه وهي

تحقق في عينيها وقالت :

- ما هذا يا مروان ؟ هل جنت ؟

فاطلق تنهدة عميقة صارخة وقال :

- صفيني بالجنون ! صفيني

بالحماسة والجهل ! قل لي عني ما

تشاءين على ان تزوجيني بها .

ما زال وجهها دانيا من وجهه ،

وما زالت تحقق في عينيها في صمت .

لقد اتقت عليه نظرات عطف سلبت

فمه قوة النطق واذهلت عقله فلم يغه

الى بعيدة

من يا بعيدة - يسلم الصيف الحزين ودائع
الوعد القديم
من يعصر الفرح المفطر في دمي .. يرويه ،
حزن العين .. والقلب الشفوق
ويسيل افداح المحبة .. يسكب القدر الاخير
يخيط في مرقى .. الرسوق
ويحط في صدري يمامة عودة الفياض من
تلج .. الطريق
من - يا حبيبة - يدفع (القشاش) في البحر
البعيد لتلقي .. كف الفريق
ولي .. صوتك قادم نحوي كجبات من الرمل
المهاجر .. عبر صحراء النهار
ام تلكم الريح التي جنت على الابعاد تفويني
واشتجدي ايادها .. انهمار
من يا (.....) يمد طرفي المتعب الاهداب
نحوك .. يفرق الروح انتظار
ويقبض وجهي بين عينيك الرطبة الاسى لانام
كيلا .. استيقظ
لاظل انسج من خطوطها مداي المرقق الالوان
انهل .. من مياهما البريق
الله او مدت يدك الي ، يوما صادفتني في
الزحام .. بلا رفيق
لاعشوب الفرح الغمش في عيوني واتهي
حزن الطريق

عمر ابو سالم

اردب - الاردن

صمتي على المصباح ، يلهث والثواني ،
بحثة في الروح .. نقش بابلي
والريح مينة على الابواب .. تنقرها
ويهنئ توقفها بالوهم .. بالحرز النقي
ويلى - يعصرني الرحيل .. على يديه
ويدور بي ، اظلل اذرع في عيوني .. مقلتيه
لو جرعة .. تدني اشتياقي منك ، يا هدي الحبيب
لو ضحكة .. تنداح في نبضي .. وتبهر وجهي ،
القاسي الغريب
ضيعت - يا طعم الحنان - مذاق بسمتك الشهي
اغلقت ابوابي علي .. هجرت افراح الزمان
وسطعت ايامي .. على فتديل شمسك ارتجيتها ،
لو تؤوب
لتذيب ملح الشوارع المصلوب في قلبي ،
المعلق بالدروب
لو نظرة .. تروي جفافي .. تمنح الاعوام ،
في عيني .. اخضرار
وتسح .. تمسح ما تخلف في الجبين .. من النوب
أواه - لو القالك - يا مطرا يضيء ، بزحمة الطرقات
والريح .. الكنوب
لو ترتني شفتاي فوق تراب صوتك اذ يجيء
مع القروب
ويمر بي عبر الشواطئ .. والضفاف
واظل احمله .. اجوب الليل اذبح في حناجره ،
الهتاف
اذ ارتجيه .. واحرق الفصاة في حلقي ،
اواردها .. ارتشاف

لقد اضعت وقتك سدى وانت تبحثين
عن فتاة تخطبنيها لي ، انا الذي
كنت اسمي لا انت . واخيرا كال
سعي بالتجاح . كنت في سعيك
كالشمس تدورين حول نفسك .
وكنت في سعي كالارض ادور حولك .
ثم ضمها الى صدره وتبادلا قبلة
طويلة حارة .

عبد الحميد الانشاصي

نابلس

فقلت بصوت منخفض :
- ولكنك لم ترها قط .
يخيل الي اني رايتها فقد
رايتك .
فكسرت طرفها وقالت :
- مروان ! افكر في ؟
- اجل . دائما .
- هبني قبلت .
- اذن اصبح سعيدا . انني اريدك
انت . ما حاجتي الي تلك الفتاة ؟

بكلمة واحدة . لم تظهر الحياة الا في
عينيه اللتين تسرحان نظراتهما في
ذلك الوجه الساحر المقابل لوجهه في
ضراعة وخشوع . تجلى العطف عليه
في عينيها ، وتجلى غرامه بها في
عينيه ، فرقت نظراتهما وتصادمت
تنهداتهما . وبعد برهة تمت مروان
قائلا بصوت منخفض :
- انها مثلك . صفاتها كصفاتك
تماما .



محمود بن الشريف

محمود تيمور رابر القصة العربية

بقلم محمود بن الشريف

« وما نحن في انتاجنا القصصي الا عياد يزلزلون الى سماء اللث بالوان
القرابين والمحفوظ منا من تتبل قربانه السقاء ، فادفع يدك معني
نمال ملائكة الفن ان تفتح لي باب القبول فلدت من اربابا محموديون...
لم يكن في طريقه شوك وصبار .. وحسبك ... ومع
ذلك حطم القولة المأثورة التي تقول : « ان من ولدنا وكي
قمة معلقة من ذهب فنهاره ليل وليله نهار ، وحياته مجانة
وددن ولهو وجدة » واثبت ان الجوهر النقي والمعدن الحر
له وزنه وله قيمته في كل مكان ومجال ، وجعل من تلك
القولة السالفة اسطورة وحديث خرافة ، وجعل اسم
اسرته واسمه يدوي في الاوساط الادبية والحافل
الاجنبية بما استحدث وبما ابتكر ، وبما طوع من الفاظ ،
وبما ترجم وبما ترجم له ، وبما استحق من جوائز دولية
ومحلية .. انه محمود تيمور ، رائد القصة الحديثة في
ادبنا العربي ، وعملق اللغة الذي لا تجد في اسلوبه سقطة
لغوية او لفظة فضضة ، او قولة يتطرق الشك الى سلامتها
وصحتها ، ولا غرو ، فشخصيته : موهبة ادبية ، صقلتها
يد البحث والدرس ، والخبرة والتجربة والمران والمراس ،
واقاصيصه : اشياح من نظرات صائبة في الحياة والمجتمع ،
وشرائع منتزعة من صميم الواقع واقباس مما تمور به
أفئدة الاناسي ، وتموج به احلام البشر ، وانتاجه : معالم
على طريق الادباء والمتأدبين ، ومشاعل تثير سبل الانسانية
للسالكين ، ونفسيته : غدير صاف تنساب امواجه في
وسوسة اخاذة هائلة لم تعكرها موجات حقد او حفيظة او
غرور او تعال ، قالوا عنه : انه « ابن ذوات ارسطراطي »

وانا اقول : انه « ابن اصل » . نشأ في الاسرة التيمورية ،
تمهده يد عمته الشاعرة عائشة التيمورية فأقرانه الكثير
من شعرها ، وحفظ هو الكثير من هذا الكثير ، ثم اسلمته
الى ابيه يلدي فيه الموهبة الادبية بما يسره له في صباه
الباكر من الوان الثقافة والقراءة ، ثم خلص في النهاية الى
يد شقيقه الكبير « محمد تيمور » الذي وجه هذه الموهبة
الوجهة الانبغائية الواجبة .

وظل ادبنا «محمود» يكتب في مستهل حياته الادبية
نثرا رفيقا رشيقا اقرب ما يكون الى الشعر ، واخذ يدبج
مقالات ادبية كلها من الشعر المنشور ذي النزعة الرومانسية ،
ولا غرو ، فقد فتحت طاقته الادبية اول ما فتحت على
اشعار عمته وقصائد ديوانها ، وهو يقول عن الشعر :
« وكان نصيب الشعر وافر في مطالعنا هذه الشعر
بنوعيه : العربي والافرنجي ، وخاصة شعر المعاصرين ،
وكنت افضل منه غالبا ما كان خياليا مغرقا في الخيال »
واستقى محمود تيمور من روافد « فيكتور هوغو » زعيم
الرومانسية في فرنسا و « جان بول ريستر » و « الفريد
دي موسيه » وغدا انتاجه الادبي جلله اسير هذا التأثير ،
مصبوغا بالخيال المطلق عن الحدود والقيود .

وظلت طبيعته الرومانسية الشاعرية تغلب على انتاجه
.. وظل يقرأ قراءات مختلفة متنوعة ، وكان يهضم ما
يقرا .. فلا عجب ان تائر انتاجه بعد ذلك بما قرأ ولا عجب
ان بدأ يحول من ادب المقال الى ادب آخر قال عنه :
« يبدو لي ان تائري بما قرأت من ادب الفتيين : الفرنسية
والانجليزية قد أثبت علي شيطان الشعر المنشور فاذا هو
يتحلى علي .. شكرا لله له ما صنع ان كان للانسان ان يطلب
الشكر للشيطان .. وجرى قلبي بقصة قصيرة هي (الشيخ
جمعة) وعلى اثرها كتبت قصة اخرى هي (يحفظ
بشباك الريد) » .

وبدا تيمور اولى رحلاته الى الخارج عام ١٩٢٥ ومعه
جهاز لاقت حساس هو : ذوقه الرفيف واحاسنه الدواق
وعين الاديب اللماح ، ونظره الناقب النفاذ ، وفي يمينه
ريشة الفنان المبدع ، يصور بها خلجات حية ولوحات
نابضة لما يراه ولما يفعل به ، ولما يسترعي انتباه الاديب
في هذه الغاني والمجالي .. جاس خلال الديار في اوربا
واسيا وفي امريكا وفي المشرق العربي ، فشاهد عوالم
وحيات ونبثات واجواء لها تقاليدها ولها دنياها التي
تعينها .. وظل يلتقط ويسجل ويقارن ويفاضل ، واودع
مشاهداته بعض كتبه وتضمنت كتبه عن هذه الرحلات
زادا دسما وثقافة غنية بمعلومات جديدة مترعة بالسوانح
والخاطرات فياضة بالاحاسيس المشبوبة .

وظل محمود تيمور يكتب ويتأنق في ادبه ، ويتأقلم في
كتابه متطورا مع الاحداث متفعلا بالاتجاهات الحديثة ،
وكتب اكثر من لئامنة قصة قصيرة .. ثم ضمن عددا
من هذه القصص في مجموعات بلغت خمس عشرة مجموعة

هذا يشن .. وذلك دلا يشنسي
لحبستنا .. وكأنه .. وكأنسي ..
جلدي الامين لدى النوى قد خائني!
واذا قضى الله اللقاء فلا تن
مترفقا .. واكتب الي ونبسي !
ما بيننا ... يا ليت ما علتني !
لاقوله ، لسولاك ان علمتني
في اضلعي فخشت ان يفخحنني
من طيب ثغرك يوم ان ودعتني
فيها شذى شفيتك اذ قبلتني

سعيد العيسى

من « العروة الوثقى »

شبحان معتقان لفهما الدجسي
متجاذبان ... فلو شهدت وداعنا
خفق الحشا ، حيران ، مضطرب الخطى
سر في حمى الرحمن ، في كنف الهوى
انعلقت القلب الامين فسر به
علتني وقطعت اسباب الهوى
اوحيت لي الشعر الرفيع ولم اكن
نمت فوافيه الرقيقة عن هوى
خذها مطرة فيها نغمة
شفتاي تمتقا بها فبعثتها

لندن

والذرائع التي يتدرع بها المتذرعون ، وما اكثرها .. !!
وفريق آخر متمسك بلفته ، محافظ الى حد التعصب
اللغوي يرى ان الثروة اللفظية المجمية واللغوية لا يقصر
باعها ولا تعجز روافدها ان تمدنا بالدرر الكامنة في
اصنافها ، وما علينا الا ان نزيل ما ران على وجهها من
غلايات ترسبت فحيت رداها ، ومنعت عنها الحياة الى
حين .. وكان غواصا ماهرا .. تسبح بالدباب والصبر
والاناقة وطول البحث ، ففاص الى الاعماق .. وتوغل ..
واستخرج الكوامن .. وطوع مئات الكلمات العربية السليمة
الصحيحة لتقوم مقام الالفاظ الدخيلة المستوردة التي قدر
لها ان تغزو لغتنا وتعيش بيننا في مشافهاتنا وفي
محادثاتنا ، بل وفي ادبنا !!

بحث ونقب في بطون المعاجم والكتب وفي قصائد
المخضرمين والشعراء الذين يحتج بشعرهم ، ثم استخلص
واقترح .. ووضع « لبنات معجمية » لالفاظ الحضارة
تكون مرجعا للكتاب ومدادا لاقلام كتاب العربية يتيح لهم
ان يحدوا في بعض حاجتهم الى الانصاف في التسمية
والوصف والتعبير .

فأثبت تيمور ان لغتنا عملاقة لا تطامن هامتها امام
المخترعات والمصطلحات ، وسجل ما طوعه في مجمه
الذي سماه « معجم الحضارة » بعد ان جهر بالدعوة الى
استعمال هاتيك الالفاظ الفصاح وتلك الكلمات المربكة
العروية الخالصة النسب الى «عرب» ودعا الى احيائها في
احاديثنا وقصصنا وادبنا ، وردد صدى دعوته ابهاء المجمع
اللغوي وارجاء كل منتدى ادبي حاضر فيه .

محمود بن الشريف

القاهرة

قصيدة .

وقد خرج بالقصة القصيرة من السذاجة والسردي الى
الحبكة وقوة الربط وتركيز الاحداث وتحليل المشاعر
والاحاسيس مع الانارة والتشويق ، على ان « القارئ »
اللغوي او التاريخي ان صاع التعبير ، يجب ان يقتصر بالزوم
التعبير اللغوي الفصح منذ ان عالج كتاب اللغة ، هو قد كتب
في مطلع حياته الادبية قصصا عديدة بلغة التخلخل
والمشافهة .. ثم الزم نفسه بعد ذلك بالانضباط اللغوي
الصحيح الفصح ، واتخذ ذلك ديدنا له وناموسا ، وصل به
الى حد التعصب اللغوي ، لذا رجع الى ما كتب في صدر
شبابه فهذه وشذبه : هذه من ناحية التعبير فحسب ،
اما الفكرة وجوهر القصة وهيكلها فقد ابقى كل ذلك كما
هو ، وقفى على آثار الكلمات الدارجة الموهلة في العامية
التي لا تصيب لها من سماع او قياس واستبدل بها كلمات
صاحما فصاحا .

تطويع وافصح : وفي عصر اللذة والمواريخ وغزو
القضاء تلفت ابتداء الضاد الى امهم ، وهم يخبون في
سعيهم نحو التكمال والتسامي وتساءلوا : ما موقف اللغة
من هاته الحضارة الحديثة بما تحمل من مستحدثات
ومبتكرات في كل ميدان ومجال ؟ هل تقصر الفاظ اللغة
وتعجز معاجمها عن ان تمد اللسان العربي بكلمات تؤد
هذه المعاني الجديدة ؟ وهل لا مندوحة امانا الا ان نعتمد
على المستورد من الالفاظ والمرب من التركيب ؟ وتشتعت
الآراء ، فاستنام فريق الى المصطلحات الاجمية يطعم
بها لغتنا ، ولم يعدم حجة يبرر بها استنامته كالبسولة
والشيوع وكثرة الدوران على الالسة ، وخطا مشهور خير
من صواب مهجور وما الى ذلك من التعلات والتحملات

١ - حين قام الاسدام وهمد الانسان التي كان الناس يعبدونها من دون الله ، لينشر الهدى والنور ، دين الله والسماء وليبد الفكر البشري ثقافته . فانبعث الامة العربية من جديد ، ووجد فيها الفكر العظيم ، والعالم الرشيد ، والكتاب البليغ والفنان البعد والشاعر الملم والفيلسوف الحكيم . واخذت الدنيا تردد اسم الخليفة الصالح عمر بن الخطاب والامام علي والرازي وابن سينا والكندي وابن الهيثم وابن فصة وابن جني وابن خلدن .

٢ - استبشرت اوربا التي كانت تعيش الظلام من العلماء والفلاسفة العرب واليونان واخذت تستيقظ وتستفيد من علومهم في شتى ظروف الحياة . على انه سرعان ما تبدل الحال ، وانتقل الأوروبيون من طور الاستفادة الى طور العباداة ، واصبح ابن سينا وارسطو يسيطران على عقولهم ، فلا يقبل قول ما لم يكن مغفولاً عن احدهما ولا تصح نظرية ما لم تتفق مع نظريتهما ولا يقال عن امرء انه متعلم او عالم ما لم يكن علمه من علمهما . وبذلك تبلدت الاذهن وتجمدت الحركة الفكرية في اوربوا قرناً عديدة ، الى ان قام في اوربوا طبيب وعالم كيميائي سويسري يدعى باراسيلسوس (١٤٩٣ - ١٥٤١) فحطم صنم ابن سينا واعان عن علومه وادائه بكل جرأة واحرق قانون ابن سينا امام الشاهداء ، فكان ذلك بداية الانعاش العلمي في اوربوا .

٣ - اما الدور الثالث فهو حين قام الفيلسوف والرياضي الفرنسي رينيه ديكارت (١٥٩٦ - ١٦٥٠) بانهاجه المناهج الحديثة في الفلسفة وتهديمه صنم ارسطو بان وطأ بمنزل حالته كتب ارسطو امام اعين ياهده . فكانت تلك ديكارت بداية الاتصال الفلسفي والتحرر الفكري .

٤ - اما الدور الرابع فيتمثل بالانقلاب الادبي الذي احده الشاعر الفرنسي فيكتور هوغو (١٨٠٢ - ١٨٨٥) حين حطم صنم الكلاسيكية الذي ظل عشاق الادب يعبدونه منذ مئات السنين ولكنه لم يحرق كتابا ولم يطأ مؤلفاً قارئاً يتغير ، بل حطم الصنم بصريحته الشعرية الابداعية «هزائلي» وبمقدمة كرومويل .

استعرضت معك الادوار الاربعة الرئيسية في التاريخ لتخليص الاصنام ، ولا يجب اننا لانحلقنا مما ان الصنم يتكون من مرور الزمان كما ان طريقة تعظيمه تختلف من زمن الى زمن . ولكن ما يجب الاتفاق عليه هو الزئيق في ذلك وما هو الصنم الذي حطمه ؟ لهذا الموضوع اصول نجيب مراجعتها قبل اي شيء ، حيث ما زال الى الآن فريق بعد الغالبية العظمى من المثقفين ، فمد عن طلاب المجد والترقي ، وصاروا هم له الا تعظيم السابق والتسييح بجمده والاكتفاء بعزه والتفني بفصله . وجعل اكثر الشبان المثقفين من المهامي ودور اللهو امكنة للازمار والتجليل ولم يدركوا ان اجنادنا لم يفلحوا في مساهم لواء الجهد والاداب والتجديد المستمر وليس بارياد الهامي والتسكع في الشوارع !! ولسمع الشهاب ممي قول عامر بن الطفيل عسى ان يجلو الفضاوة عن اعينهم ويهديهم طريق الصلاح :

١٨٤١ - اما ان كرميت اوائلكما لنسأ على الاحباب نكسل نيشي كما كانت اوائلكا تني ونفعل متلفاً فعلسوا وكان في هذا الفريق من الشباب والتسوخ من اذا اشده به الانظام والاجلال لعقري راحل راح بقلده ونسج على مؤناله . فاصبح مجسدا كالصنم سيقمنا عن التقدم والتهوي . ولهذا جاء الشاعر على الزئيق لتحيي الصنم ، فشره بغاي شره الفرية الاولى التي تمكنت بقصيدته « مجسدا » ومنها هذه الابيات :

حياتنا قحط .. وما نزرع يحمده نسياننا البعد نتجنح التجوى باوجاننا وفي مقابر الدجى نطعم نحن الذين لا حنايا لنا نهوى بها ، ولغد نسترع في دننا ندفن احلامنا وفي زوايا الرجى نبيع ومجسدا ؟ خرافة مجسدا .. فتحنن في محرابه ركع ؛ هذه القصيدة هي فاتحة التبعة الثانية ، والضربة الاولى لصنم

المهامي ، والتي تدل على سمو الشاعر وابداعه وليافته في توجيه الفرية ! اما القربان الاخرى فقد تمكنت في اشعاره الجديدة بمصانيفها واشكالها ، وفي كتابه النقيض «التجديد في الشعر العربي» الذي اعتبره اهم موسوعة ادبية كتبت في عصرنا الحديث . اما عن بقية اشعار التبعة الثانية فقد وصفها الدكتور سامي الدخان احسن الوصف اذا قال : « ما اكاد المسامحة بعيني حتى تعطيني على اجتنابها في اسلاوات بعيدة فيها اليأس واليأس ، والصراع والتفصال ، تمنع بالعدم والدخان والجوى والاجراع والشكوى والفجر ، وتفسيح بالوسيا والصور والذاتة ، والتمت والصالق والمهيب . » ولكم انصف الدكتور سامي حين لم يصف في سياق وصفه لشعره في الزئيق صفة التجديد احيانا والسعادة احيانا اخرى ، او تلك المعاني الباشة المرحاة التي تفرج الميلة عن عزتها ، والواجد المقلب عن كربه وشجونها ! فاتبعة الثانية تغلو - او تكاد - من تلك المعاني السعيدة ، وتقتصر على ما ذكرته من افوال الدكتور سامي الدخان منها . وتكاد نجد الشاعر الزئيق في هذه المجموعة الشعرية بأكمله القحط والجفاف فتتكرر هذه التكمات وشبهاتها في العديد من قصائده ، ونسجمه في قصيدته « فزوان » بصرخ الصرخات العنيدة التي تدل على مقدار ما يكابده الشاعر :

وانا .. تصلع الجفاف عروفي ويعونسي مزروعة في الرمد اين ؟ اين السلوان ؟ لا وتر يروني .. والشوك والرمل زادي ايه يا كبرياء ! حمتنسي ارت ابي مؤسل الامجد يا بصراحي حقت ذاتي ، وحقت غرام البواصل الاجود فاخري يا زوايع القحط ما عري فعاي في حالته او لناد ! والقصيدة اول طولة ولكنني اشرت ان اتفني هذه الابيات والبقية في الاصل . وحين ينتهي على الزئيق بمحبوته يزول عنه الجفاف ويناديه بقوله (يا جدول حسي) فكسيدته «لقاء» التي مطلعها :

مطر الحب واخصاي بجنيتك التبدلين يا جدول حسي اي شكل اخر ابي صبيح بصمت الطير في افوار حديس ! ولا ريب ان التبعة الثانية تحتوي على اشعار عديدة املها على الزئيق خزان نفسه ومودعات فؤاده ، فانت تارة كالحنف وتحنف ، وتارة اخرى كالمرحى فيزوره ، وودد احيانا كالبحر ومكناته ، واحيانا اخرى كالروعي ونياياته . ولم يخلف اثنان الى الآن في ان الشاعر على الزئيق شاعر مجيد مجدد واصل .. ولكن ما هو خليق باهتمامنا الان هو آخر ما كتب من الشاعر على الزئيق في مقاله نشرت بمجلة الادب (عدد ديسمبر ١٩٦٥ صفحة ٥٠) لصديقنا الاستاذ حسين راجي جركس ، طالما ان موضوع البحث جديد من نوعه يبين اوجه الشبه بين علي الزئيق وساكوتو ملاذيتوف الشاعر البلغاري المعاصر

اول ما يتحدث عنه الاستاذ حسين جركس هو من مدرسة الشاعر ويقول انه من الانطباعيين ويمائل بينه وبين رسامي اوخر القرون المهامي من امثال رينوار Claude Monet (١٨٤٠ - ١٩٢٦) ، وديكا (١٨٤١ - ١٩١٩) ومونيه

Edgar Degas (١٨٢٤ - ١٩١٧) . وهؤلاء الرسامون الثلاثة هم من زعماء المدرسة الانطباعية في فرنسا والعالم . وعلى الرغم من ان نمة الانبساط بسيطة قد توفع الناقد في خط معرفة مدرسة الشاعر على الزئيق ، الا اني اختلف الاستاذ جركس كل المخالفة في وصفه على الزئيق بين الانطباعيين ، وادفني القول ان شعاره « على الفنان ان يسجل هذا الذي يراه ، وكما هو يراه بالذات » . فعلي الزئيق بعيد كل البعد عن الانطباع الذي هو رهن التأثير السريع ، والشاعر الزئيق لا يعكس ذلك الذي يراه بعد ان يمزج مشاعره المتفلة ازاء المشهد في الوقت الذي يتأخذ برويته . ولو عدنا لعام ١٨٦٢ ودخنا مرسم شارل كلير - وهو رسام فرنسي من اصل سويسري معتدل الانطباعية - ونظرنا الى التلامذة الذين اتشاوروا فيما بعد المدرسة الانطباعية ، فرائنا شابا من بينهم هو رينوار يقع في احد اركان الرسم وقد اتى اليه

المعلم شارل كلير لينبهه الى ناحية هامة في نظره قائلا : « ان المرء لا يرسم من أجل متعته ».

أندري بماذا اجابه رينوار حينئذ ؟ لقد قال كلمته المأثورة : « اذا لم تكن بالرسم من متعة لي ، فبهيات ان ارسم شيئا بعد اليوم » . وكل فن رينوار بل كل فن الانطباعيين مركّز في هذه الاجابة . واذا كان لنا ان نقول عن بعض ادبائنا انهم انطباعيون فاماننا المتطوّلون الذي اراه المثال الاثني لانه كان يحظر الى ما حوله فيصفه وهو في حالة التائر السطحي ليشبع غايه التمتع واللذة فنقول : انه انطباعي . وهناك في الشعر اماننا شوقي والبحرّي خير مثالين على الشعراء الانطباعيين في ادبنا العربي اما علي الزريق فهو ليس كشارل كلير الذي يعتبر الفن واجبا له اصول يجب التمسك بها فلا يحيد عن مبادئ الفنانين الانطباعيين من امثال انغر Ingres (١٧٨٠ - ١٨٢٧) او الرسّام العظيم دافيد او رافائيل او من اليهم او الى الاتباعية بسبيل . وهو ليس كرينوار الذي يسجل من أجل لذته ومتعته فقط ، بل انه يحقق بكتابه الشعر غاية طبيعية شأن الشجرة التي تنمر والريح التي تعصف والشمس التي تدفئ والياه التي تنساب والام التي تنجب الاطفال . فكل هؤلاء يكتب على الزريق الشعر البليغ المثبت من الاعمال ، والذي يصنّج به الماضي والحاضر والمستقبل في الحان ترافيق بعضها البعض وتمنّج بها المناظر الداخلية بالمناظر الخارجية ، بالافكار الحرة ، بالام والبفس والحب والعجاب ، والشهوة والتأوّل والياس ، وما لا حاجة لحصره ، فشعره بالوسيقى المتطورة اشبه ، تلك التي تتحقق فيها الهرمونية armonie الموقفة ، والكنترابنط Contrepoint المؤلّي والاستجمام البديع .

اما عن المقارنة بينه وبين تسالكو ملادونوف فالقارنة غريبة الشكل : فهي ليست مقارنة بين شخصيتي شاعرين ، او مذهبيهما او اسلوبهما ، ولكنها مقارنة بين ثلاثة قصائد لكل شاعر ! وليت هذه القصائد قد اتت في معرض الاستشهاد ، لكنها اتت مترادفة اذ يقول الاستاذ جركس : « يقول علي الزريق .. ويقول ملادونوف .. ويقول علي الزريق .. ويقول ملادونوف .. وعندما يقول علي الزريق .. يجيبه ملادونوف » . ثم يختم المقالة قائلا : « لا شك انه الانسان الواحد في كل مكان فوق هذا الكوكب ! » . اما عن التشابه بين القصيدتين الاولى والثانية فانه يكاد يتعدى لولا بسطة كلمات مشتركة (الخيال - وفي خيالي ، يتيسر المظهر - غريب المظهر) . اما القصيدة الثالثة لكلي الشاعرين فالتشابه ابرز لكنه مع ذلك تشابه ظاهري مختلف تمام الاختلاف في الجوهر . ومع ذلك فاني اطلب الاستاذ حسين راجي جركس بكتابة اسم الكتاب الذي نقل منه القصائد الثلاثة للشاعر البلقاري وذكر تاريخ نشره للقصائد الثلاثة فيما اذا كاتلا يد من المشرق على بعض اوجه التشابه بينهما . وهكذا نلاحظ ان الكثيرين قد اهتموا بشعر علي الزريق وكتبوا عنه وكان منهم فيما عدا من ذكرنا الاديب الصحفي عبد الوهاب فتال الذي يقول « انه شاعر طالا غنانا على المنابر احاسيسه وعواطفه التي كانت تعبر عن واقع مجتمعنا ومعاني امنا وحاضرها ومستقبلها الجيد » وقال الشاعر الكبير احمد الصافي النجفي صيف عام ١٩٥٨ في اجتماع تم في روة دمشق بحضور الشاعر مصطفى بدوي : « لقد صدقت نبوة الرصافي فيك » .. وقام الدكتور سامي النعناع بدعو الى مطالعة التبعة اليتيمة التي اخذ بها لوسيقى لفظها الرائع ، وبديع تصويرها ومجنّج تعبيرها بقوله : « وللراة ان يربلوا ما بين الدفتين لينتهوا معي الى اكبار الشاعر والثناء على خطاه القلمية ، وليهتوا معنا آلهة الشعر بآبن جديد يرفع لها منارا ويضيف الي قنارها اوتارا » . اما فاضيل علي هذه الاقوال ان الشاعر علي الزريق هو احد اولئك برهنوا على ما للفن العربية من مواهب في التطور والعمق والبلاغة والشمول .

محمود منقذ الهاشمي

حلب

الضباب البحري يتفجر على مهل .
والزروق يخفي واذية بنام في الرفا
النسيم الواطء يرصع قبور الوطنيين
فيما مضى ،
كنت احب الصيادين الذين يحملون بالرطان
والحسك والخرائش المفصلة .
بالتيك التي تقطس وتومم مملوءة بالقواقع .
بالزعانف التي تنق احلام الموج الزرق الفاج .
يا سمك القرش البديع بالذهن الابيض .
ان فراء مبدتنا الهابطة يتقلون اليك نضماهم
رائحة المجاذيف والملح المكسر والزبد تجذبهم
انهم يتظلمون بخدر .
العشائش البحرية تعرش ببرواة على
السطان التائب .

لحكم الطري كالاسفنج ،
يزهر بعيدا عن سواها الرجولة .
هزبك يهددهم بمجاعة فلسفة
والويس يرتكن خيمته في مكان مجلس
الصيد يتربص بصير ليصطاد حتميا
وانت تسبح منهورا كتاب مانع .
فأع الصخراء بعيد جدا ،
والبحر الواسع يبقع الأرض .
سيفزك عاجلا بالحرية المحبذة كمنقار الموت .
لا حمار في الشبكة .
الشبكة قطعها المد الهائج .
الصيد يشدد الحصار ولحمتك يسلط كالبرد .
حجمك يتطور ... يتطور ...
السمع يبع كدمن الفقرة المتمسس
القطب الشمالي يشرق في الاسفل .
فيما مضى كنت احب القطب الشمالي .
لكن شمس سفلت في البحر كاجاصة
والثلج يتوالب في الدهن بلا فجة ،
بلا فجة ،
بلا فجة ...

صالح درويش

دمشق

شعر البحر

بقلم الدكتور فؤاد جبور حداد

من «العروة الوثقى» في لندن

✱

هناك حقبة قصيرة في التاريخ كانت فيها غالبية الجزر في البحر الأبيض المتوسط تحت الحكم العربي . لهذا كان الشاعر في هذه الفترة يتنقل بالسفينة من جزيرة إلى أخرى للزيارة أو للمدح أو لطلب العلم ولم تطل هذه الحقبة ولعل مدتها لم تزيد على مدة حياة ابن حمديس . وتسهوني هذه الفترة لطرافتها الخاصة إذ فيها استبدل الشاعر العربي صحراؤه التقليدية واستعاض عنها بالبحر وترك الناقة والحصان والقافلة وحث المظي وسوق الإبل وأخذ ينتقل بالسفينة ويصف الأمواج والعواصف البحرية ، وهكذا في عشية وضحاها تغير الجو المحيط بالشاعر العربي تغييرا تاما فدخلت معاني جديدة وجاءت صور لم تكن معروفة من قبل .

يعتبر ابن دراج القسطلبي (٣٤٧ - ٤٢١ هـ) من أقدر شعراء الأندلس . وقد ركب مرة ابن دراج البحر إلى خيران العامري صاحب المرية سنة ٤١٧ هـ مع أهله وبنيه فوصف سيره والأحوال التي لاقاها في البحر وفي قوله في هذا الخصوص :

اليك شحنا تلك الهوي كاتها ، وقد ذرعت ، من مرقب الشمس غربان
على لجم خسر اذا هبت الصبا رامي بنا فيها تبير ولهبان
اذا يغى ماء البحر منها مددته بدمع عيون تهرطن الشجان
أقول دموع البحر والهيم والدجى تموج بنا ، فيها عيون وأذان
الا هل الى الدنيا نعاد وهل لنا سوى البحر فير او سوى الماء اكفان
وهنا رابنا معلم الأرض هل لنا من الأرض ماوى او من الانس عرفان
وأما الشاعر الأندلسي يحي بن حكم الجبائي الملقب بالفزال (١٥٦ - ٢٥٠ هـ) فقد ذهب أيام عبد الرحمن

الحكم إلى بلاد المغرب في سفارة خاصة ويقال في رواية انه ذهب إلى الدنمرك وفي أخرى إلى بلاد النورمان وقد جاء متقدما عن تلك الحقبة التي اشترت إليها أنفا . ولعله أول من وصف عاصفة في البحر فقال :

وجال لي يحي وصرنا فيمن موج كالجبال
دونلتنا رينباح من دبوس وشمبال
شكت القلعين واتبت عرى تلك الجبال
ونعيط ملك الموت اليثا عن حبال
فرأينا ألوت راي العين حالا بعد حبال
لم يكن للكموم فينا يا صديقي راسمال .

أما شعر البحر عند ابن حمديس فهو شعر كثير ولهذا ساقطصر في اختياري منه على الشعر الذي تعرض فيه لمواضيع جديدة .

قال ابن حمديس يرثي «جوهرة» وهي جارية له ماتت غريقة في المركب الذي غلب به في خروجه من الأندلس إلى إفريقية :

أما لك البحر ذو التيار من حسد لما درى الدر من حاسدا نكرو
أقول للبحر اذ اغشيتك نظري ما كدر العيش الا شربا كدرو
هلا كلفت اجاجا منك عن أثر من نكر لياء أول ضمعها أسرك
هلا نظرت الى تغتير مقلتها اني لأعجب منه كيف ما سرك
ان كان اسلمك المفطر عن قدر فلم يخنك على حال ولا غدرك
هل كان الا غريبا واقفا بده نهاء من شرب كأس من بها أمرك
وما نجوت بنفسي عنك رافية وانما مد عمري قاصر عمرك
ولعل ابن حمديس هو أول من وصف المراكب البحرية وهنا يصف معركة جربة ويوجه كلامه الى ابن يحي فيقول :

لأمر أدمت الحصر في حرب «جربة» وما حربها الا مداومة الحصر
يسير جيوش في الجور الهيم تحيط بهم زخاع من الد والجور
مجردة يبيض الخوف خوافها بها العذبات الحصر في اللجج الدفر
فلما راوا ان الخفق منهم سددت به مجرى التنفسي في الصدر
أتابوا وابوا عن ثوب تقدمت برغمهم من فطهم سبل البحر
فان نشروا ما بينهم لك طاعة وقد طويت منهم صدور على غدر
فمنك نادر ركب الماء نوحهم لها زند يبدن من زند بشر
ويصف ابن حمديس كيف كانت الاساطيل العربية تقذف النبط لحرق سفن العدو :

وجريه لها نفض حرب وبحرية لها نفض حرب
ترنمي في طلمات لبود كرباني نون فوق اكمام
فبي تجلو عرائس الموت سودا ترمي في عباب أخضر طام
يا لها من جحافل زاحلت بغوازي الاسود في الاجسام
وذبال على القنا حشلات مظنات الأزواح في الاجسام
ويصف ابن قلاش الاسكندري رحلته الى صقلية سنة ٥٦٢ هـ قائلا :

متها : لم استقلت بسي على علانها
هوجاء تقسم - والرياح تقودها -
حتى اذا ما البحر ابده الصبا
الفت به الكفار راحة عانت
وتكلفت سرفوسة بامانتنا
وتروي كتب الادب ان اسطول صاحب صقلية قد

أسر أحد بني رواجه مع عصابة من رفاقه فوقف أمام أسرهم وأثنى :
ابا ملكا جالت اساطيل جيشه فاعظمت القتل واكثرت الارى
واجربتها في لجة الماء اذ جرى فاسكرته جريا واجربتها بحرا
وكنا لا تجري المقادير عصبه وكنا به الموج نخطنا ذعرا
واحاطت بنا من كل ناحية قبرا فاقابلته قهرا فعاالجنا قهرا
وكان الشاعر البيروقي أبو جعفر البني شاعرا مستهترا في حياته فغناه ناصر الدولة من جزيرة ميورقة ولما اقلعت السفينة في البحر ثلاثة اميال نشأت ريح ردت فلم يتجاسر احد من اخوانه على زيارته فكتب اليهم :

اجتبا الأولى عشتنا علينا فاصولنا وقد اذف السوداد
لقد كنتم لنا جبلا وانسا فبا بالعيش بعدكم انشاع
اقول وقد صعدنا بعد يوم اشواق في السفينة ام نزع

الانتقام .. لا

بعد ماذا جئتني تطلب ودا
بعد ان اتيتني
بعد ان عذبتني
، وبأس الامس لن اعطيك ودي
لك صدي .. لك صدي .. لك صدي

ليست القسوة قصدي
لا ، وليس الشار ، فادفع
انها الرحمة ، الاشـ
كل ما ابغيه ان تشـ
كل ما ارجوه ان تطلـ
ربما يهواك .. يوما
عندها تدرك مقدا
سوف تدري اي حزن
نفس ما عانيت من حز
لم بعد عندي ما اعـ
بعد ياس ، انت قد هبـ
لم بعد في طاقية القلب
كيف بالشار ، اذن
مثلما طاف بيالك
كل هذا عن خيالك
غاق ما يدعوك لذلك
رب نفس الكاس مثلي
عم يوما بعض ذلي
عاشق غر سواي
ر أساء ، وأساي
عاصف يسعى اليه
ن ، فهل تقسو عليه
ظيحه غير التجربة
ات لى ان اشربه
ب احتمال للفرام !
لا ، ليس قصدي الانتقام

عبد النعم عواد يوسف

شبين القناطر - ج ٢٠٤

ان يله صدا فكم من صفحة مصقولة للماء تحت الطلح
في تلك الفترة من التاريخ احس العرب بان البحر
لم بعد بالنسبة لهم شيئا مرعبا فتغلبوا على خوفهم الغريزي
منه واصبحوا يجوبونه بثقة واطمئنان . ولكن لسوء الحظ
لم تطل تلك المدة وما لبث ذلك الخوف القديم المتأصل
الجذور ان عاد من جديد وتقلص سلطان العرب على
البحار . فهذا ابن حمديس يقول في اواخر ايامه ويروى
هذان البيتان للرئيس ابن سينا ايضا :

لا اركب البحر خوفا علي منه العاطب
فين انا وهو ماء والطين في الماء ذائب
ولما طلب المعتمد بن عباد ان ياتي اليه ابو العرب
الصقلي عن طريق البحر اجابه الشاعر :

البحر للرم لا تجري العين به الا على غرد والير للرمب
وبذلك انتهت فترة طريقهم تاريخنا وتاريخ شعرنا .

فؤاد جبور حداد

لندن

اذا طارت بنا حامت عليكم كان قلوبنا فيها شرع
وثمة امثال كثيرة تظهر كيف ان الشاعر العربي في
تلك الفترة قد خلف الصحراء وراهه تماما واصبح البحر
ملعبه والسفينة مركبه فهذا ابن حمديس مثلا يقول :
امطتك همتك الزميمة فاركب لا تقنص مصاك دون المطلب
وهو يقصد بكلمة « اركب » اي اركب السفينة وليس
الايل او الجياد ويظهر هذا المعنى من الابيات التي تلي :

فاطو المعاج بكل بعملية بها عوم السفينة في سراب السب
فلاء ياجن في الفارة راكدا فاذا عنك فدانك فتسرب
شرك تجلو عن غيبالك ظلمة فالتمس يعرض نورها بالحرب
ودخلت الصور الماخوذة من البحر في الامثال

والايات القليلة . قال ابن مكي وهو من شعراء صقلية :
من كان منفردا في ذا الزمان فقد نجيا من اللل والاحزان والقلق
ترويجنا كركوب البحر ثم اذا صرنا الى ولد صرنا الى الفرق
وقال ابن حمديس عن نفسه :

اصبحت مثل السيف ابلى نغمده طول اعتقال نجاده بالتمك

انا واقفة من انه سيأتي .. حذسي لا يخطيء ، وقلقي وخوفي لن يعيفا وصوله ... سيأتي ، متألقا بالشباب والرجولة ، بشغفه الباسمين وعينيه النافذتين ، بكل الثقة والحياة التي فيه ، بكل حبه الصادم غير المتزعزع . افر ! انكي !؟ ما جدوى هذا ؟ انه بالياب ! رنة واحدة من الجرس ، قصيرة وخفيفة ، كرفة الفراشة ، كلطفه وحزمه ، انه هو .

افتح انا !؟ لا ... فررت ، اختبات ، تحيرت ، ملكتي الدوار .. لكنه هو ! ادع غيري يفتح !؟ غيري يصب عينيه في عيني !؟ غيري لن يستشف روحه .. سيخيب امله ، حبيبي ، سيرجح جرحا بالغا ، سيضع . وانسلت افتح ، بهدوء وحذر .. ماذا كان يمكن ان يحدث لي لو لم يكن هو ؟ اما كان قلبي كف عمن الخفقان ، اما كنت هربت ؟؟

عيني لا تريان الا عيني ، اساه يذبح قلبي ، وجهه الحي يخلجني ، يجعلني احس بالضالة والصفارة والدناءة ..

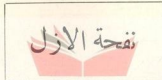
لك امه ، ولكم يطغى علي وجوده ! تقدمت خطوة الى الخارج ، لكم ارغب في شمه ، في تقبيله ، في الذوبان فيه ، في اسماعه الكلمات التي يحبها ، لكم ارغب في مداراته والحنو عليه ، ولكم ارغب في بذل ذاتي فداء لهوائه !؟ ميتة انا بذونه . مال راسه ، التهمت عيناه ، انفجرت شفتاه .. انه يرحمني ، يشملني برجولته ، معدنه معدن الايطال وجهه نور الشمس ، من انا تجاهه !؟ وبكيت .. وأشار بالدخول قدخلت .. شلال زاهر هو ، فليتنى الزبد الحي من اعتماله . تنهدت ، مسحت دموعي ، يتبعني بصمت ، رحت اصلح هندامي فسي غرفتني وانضم هو الى الآخرين ، امي واخوتي .

اصواتهم المرحبة به فتت احثائي ، انكفات الى سرير انتخب ، مرارة تخنقني ، تذكرت اياما من الحب

والدمع ، اياما من الترقب والوجد « دموعك يا حبيبتي امانة في عنقي احفظها الى الابد ، يذهب الكل وهي عندي باقية . »

وجات امي تضميني ، تقبلني ، كفكت دموعي وبكت :
- قد جاء ...

ونظرت الى يتوسل ، هي ايضا تثق بانه رجل ياتي ، رجل لا ينسى ، رجل فوق الرجال . وانهضتني فقبلتها ، اوبمكتني ان افعل غير هذا !؟ الم اتعلم منه ؟ انه ليسوءه مني الا اغفر ، وقالت وهي تشرق :
- انها ارادة الله يا بنتي ، ارادة الله .
واساءت كلماتها الى الصدق والبرادة والحق ...



بقلم فيليب عبد الحق

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

- ارادة الله تقولين !؟ من قال لك هذا ؟؟
لكنني ما لبثت ان اسلمتها راسي .. ما كانت يوما لتزيد غير سعادتي ، وان اخطأت السبيل .
- اذهبي يا ابنتي ، اجلسي معه .. اذهبي .

انا احتاج لقول كهذا !؟ انسا احتاج لدفع !؟ بلى ، انتي امامه مكشوفة ، ممرأة ، يعرفني كما يعرف ذاته ، كيف اكون معه ؟ كيف !؟ اخاف فهمه لتعاستي ، لا اخاف شماتته ، بل اساه .. اسي الرجل المكتمل الذي يرى الحياة مأساة



يجب ان تعاش . انتي اعرفه ، لم يحاول يوما ان ينسى انسانيته ومصيره ، انه عقدة محال حلها ! لم يكن كباني الشبان ، ولم يكن في متناولي اتذالك ، بين ما هو جيد فيه وما هو سيء ، لم استطع المفاضلة ، نعم لم اتمكن من اعطائه حقه ، ضعت انا ، وفتحت عيني لارى نفسي حيث لا اريد ان اكون ، ضعت انا فأمهلني ! اي خطأ في هذا !؟ خطأ بالنسبة الي ، ليته قادني من اذني وحطمتني ، من اذني اللتين يجهما !كنم غيظه وصبر ، ربما كان شيطاني قام بحججه ، اما كان عليه ان يقضي على شيطاني ؟ اهكذا يدعني مسلمة لاعصار التجربة ، الا يمد يده !؟ تنحي عن طريقني انا حبيبته ، تنحي ، واطنه وقف يتفرج ! يتفرج الاب وابنه يمزقه عكسر متوحش !؟ انا حبيبته ! من ينكر هذا ؟ املاتكة السماء ام ابالسة الارض ؟؟

لكنه قالها ، فكبت ولعنته ، « لقد اخترت مصيرك فدعيني لمصيري . » واغلق الباب ، جدران قاسية وعقيدة لاول مرة اقيمت بيني وبين الحياة ، اسبوع عشته كمجنونة ، مصيره !؟ وما مصيره دون مصيري ؟؟ اي مقف سيظله ؟ في اي مجلس سيكون ، اي امرأة ستلفه ؟ حبيبي هو ، ربحه انتسم كيفما هبت الريح .. يبدو انه يهم بالانصراف ! اي احمق هو !؟ اصوات امي واخوتي تلح عليه بالبقاء ، بالله اذهب !؟

ركض قلبي ، اما رجلاي فبطيشتان ، ثقيلتان ... الكل وقوف .. وساد صمت . نظرت فيه سؤال وندامة « هل اسأت اليك ؟ لقد آلمتاك ! ليتني ما جئت .. » بل اشكر الله حبيبي لانك جئت .. وجلست ، فنظر حوله ، وجلس ، وانفجرت شفتاه وفهمت :

- ارجو ان تكوني بخير .
- اطرقت وفكرت ! نعم ، انسا الان بخير .
- وفهمت : هكذا اريدك ، انها

قصتنا

أنا راهب فيه .. فمن يجحد ؟
قلب المعنى والهوى الامرء !
من وقعها .. نساننا عنقد ..

وبمرفأياها زورقي المجد
مخضرة نديانة المرفد
والفجر حارس بابها الموصد ..

يا صبحها ليل النوى أسود
جوع الهوى والشوق لا ينفد !
والشهد .. ما أحلاه ان أسهد ..
أسطورة .. في موسم المسجد ..

فتحي سعيد

معبود قلبي والهوى معبد
شرفاته الخضراء ضاجعها
في ردهة المحراب خطوته

عيناك جمعنا بشطيهما ..
شفتاك خمرتها وراييه
فالنجم متكأ لفرقتنا ..

يا قلبي المضي لبعدهما
ما زال بي جوع وبى ظما
طعم المعنا عذب على شفتي
يا سائلي في الحب .. قصتنا

القاهرة

ما بكما ! منذ سنة .. منذ سنة ..
وارتعدت وعبر طرفي على شخصه :
أقلت منذ شهر ؟
لم يجب ، إلا ان هالة من اللطف
والحنو كنت محياه .. وانحنى على
العربة .. اتسمحين ؟ .. ساقبل
بيده ..

صحت : لا .. لا ..
وكان موجة عارمة تفرمني وتقطع
انفاسي ! لكنه لم يابه ، أمسك بيد
طفلي وقبلها ..

— أقبل يده الآن .. وغدا ، عندما
يكر ، أقبلها ايضا ..
— انت ! لماذا ؟ هو الذي سيقبل
يدك ..

— لا بل انا ، انا ، لانني اعزه
كثيرا واوده ..

وابتسمت ابتسامة فيها لحن
التحبب وتداعيت جالسة ..

بودع الجميع ، اما انا فبقيت
مكومة في مكاني ، لم امد يدي اليه
ولم انظر . حبيبي هو ، في كل كياني
يا الله ، لماذا يذهب ؟ لماذا لا يبقى
معي ، لماذا ؟ !

فيليب عبد الحق

طرابلس

وابتسمت في سرى ، أنه هو ،
هذا الامر النهائي المضوب ، لم
يتغير .. ومرت في خاطري صور
غامضة لنساء كثيرات ، فتجملت :
والوقت عيناى بعينه فأصحت وقد
غاضت دماى وسريلتي الهزال ،
ووجدت نفسي أقول : لا أترك ان
تراه ؟ ..

— اراه ؟ نعم .. اراه ..
وقام بحركة تعني : اذا كان لا بد
من هذا ..

فقممت انكلف المرح . وجئت به
في عربته واخيتي تبني ، كان نائما
طفلي الصغير .. ولم يتحرك هو من
مجلسه ، كان ينظر الى العربته ووجهه
قطعة نحاس ، وقلت : هذا هو .
نفض وتقدم ينتصب فوقه ، بمن
النظر ..

— الا تحمله ؟ خذه بين يديك ،
خذه .. لا .. لا داعي لذلك ..
وبعد صمت قال : متى تكلمت ؟

منذ شهر اليس كذلك .
واجبت دون دراية : نعم .. منذ
شهر ..

فانبرت اختي تجهر : منذ شهر ؟ !

ايام مفروضة .
— وفكرت : في فلسفتك عزاء لك
على ما يبدو ؟
— وفهمت : انها واقع نعيشه يا
حبيبتى ..
— وفكرت : زمان طويل مضى ،
لم اسمعها منك ..
— وفهمت : اذن ، انت قد نسيتى .
— وفكرت : نيتك ؟! اجرو ؟
— وفهمت : لن استغرب ، لن
الومك ..

— وفكرت : انت تكذب . عزائك
ايضا ثقتك بحبي ..
وانسحبت امني وانسحب اخوتي ،
انهم لا يفهمون لغتنا ، وارتجفت ،
تمنيت ان يضمني وخشيت . وجمد
فكري ثم قلت :

— انني غير سعيدة في بيروت ..
هي مدينة لا احبها ..

فتمتته وفي صوته رنة غضب :

— لئنك كنت تحبيني ، كثيرا ما
لهجت باسمها ، اذكرين ؟

— لقد خدعت ، لقد خدعوني ..
— هذه مصيبتنا ..
— بل مصيبتى وحدي ..
— حسبك ، لا تتكلمي ..



اميل توفيق

صور وانطباعات من رحلتي في السودان

بقلم اميل توفيق

٣ - بورسودان والنشاط الترويحي

من الرحلات الترويحية .. رحلة بحرية قمنا بها مع بعض الاصدقاء . ركبنا زورقا بخاريا بلغت النظر بقاعه المصنوع من الزجاج السميك . ومن اجدي المراسي في الميناء خرجنا الى عرض البحر وتوجهنا نحو منطقة لا ترسو او تقترب عندها البواخر . ومن خلال الزجاج شاهدنا مختلف انواع المحار والقواقع والاسماك التي تتباين اشكالها واحجامها والوانها ، تتحرك في كل الاتجاهات فتستقر او تسبح صاعدة او هابطة او منحرفة فوق الصخور الطباشيرية او بين الاخاديد المرجانية وشعبها . وهذه تتميز ايضا بالوانها المختلفة من الاحمر القاني الى الازرق الفاتح او السماوي الى الاخضر او البنفسجي . وكانت تتخلل تلك الصخور الكائنات النباتية الخضراء الفاقمة او الحمراء الداكنة . منظر بدیع حقا يسبح بحمد المبدع الخلاق تعالى في علاه !! ولقد كان مما يسحرك ويسلب لبك ان ترى السمكة الواحدة تجمع مزيجاً من الالوان . ان اشواء الشمس التي تقع عليها خلال الوسط المائي ، تنعكس وتنكسر فتترد الى عين الرائي فتبهره من قرط ما ينسكب بعضها على البعض الاخر انسكاب قطرات المياه . ان الكائنات جميعها تشعرك انها سعيدة منسجمة متكافلة مستمتعة بالحركة الحية .. بالدغدغات .. والهدهدات .. والتيارات وسط الهدوء الحي ، لمستمرتها الجميلة القابضة تحت سطح الماء .

وثمة رحلة ترويحية اخرى قمنا بها برا الى «اربعت المياه» وتبعد حوالي ساعتين من بورسودان ، لمناسبة انتهاء العام الدراسي ١٩٦٢ . كان حشدنا هذه المرة في اوتوبيس الوزارة ، الذي اقلنا خارج المدينة عبر الصحراء الممتدة ، والتي تحيط بها تلال من الصخور النارية ، وكانت تقابلنا بين الحين والاخر تجمعات صغيرة او مراكز للرعي حيث تنبثق المياه من آبار جوفية ، وحول كل منها يرمى الرعاية ابلهم واغنامهم .

وكانت لهيئتنا طابع دولي يطعم الطابع السوداني .. فهناك المصريون والسوريون والهنود والانجليز ومن هنا فان كرم الزملاء السودانيين كان يغضى بالحفاوة نحو زملائهم . وعندما وصلنا الى المنطقة القريبة من محطة المياه ، بين جبلين ، حططنا الرحال ، وبسطنا الاغطية ، واستندنا الى الصخور ، ودار المسجل بالاعتقالات السودانية وموسيقاها الراقصة . وعلى بعد منا كان الاعرابي المختص قد ذبح الشاة المسكينة ، واعد مع زملائه العدة لتجهيز الغذاء على موقد الفحم والزلط . والحصى - بالطريقة الجبلية الروعية العتيقة .

كان الصبح مشرقا والجو ربيعيا وقد امتلأت المنطقة ببعض مجموعات الرحلات الطلابية وكنا نحتمي بالظلال التي تسطها التلال من فوقنا . ثم اختلطنا الى مجموعات تنسجم كل منها في نوع من انواع النشاط الترويحي . واخذ بعض الطلبة يتسلقون التلال وكان من المناظر المدهشة ان نرى هؤلاء المتسلقين فوق قمة التل وقد مرت من فوق حملاتهم السحب وكنا قد غطتها ملايات نائمة البياض . وثمة من الملاحظات عملية سحب المياه وضخها من مركز المحطة الكائن فوق درج عال ، كان قد حان موعد الغذاء ، وهواء الربيع الجاف ، في تلك المنطقة العالية ، قد حمل معه الى انوفنا ادخنة الفحم والشواء . وفي الغذاء قدمت لنا اطعمة سودانية بحتة اهمها « السلاه » وهو لحم قدد على شكل شرائح فوق القطن المسخن ، ثم قلب حتى انسلت تماما من دهنه ، وقطع اجزاء صغيرة تقدم في الصحاف . واكله اخرى تسمى « القرار » (يضم القاف) واحسب انه اللحم الذي يقدد بعد ان تحشى به امعاء الشاة . ثم « ام تفتت » وهي اكلة سودانية قوامها الكبدية النيئة والكلبي وعليها مزيج من الليمون وعصارة الحوصلة ثم اكلة « الكونية » وهي طبق من اللحم مع المرق المصنوع من الطعام والمواد الحارقة .

وكانت فترتنا الترويحية ممتعة حقا ، وبخاصة بما اثرت خلالها من مناقشات . وكان اهم ما اثير في نظري هو تلك المناقشات التي لها علاقة بالوجود وبالطبيعة .

نحن هنا بين جبلين . وجهنا لوجه امام الطبيعة . وحياة منتهية في البساطة . ترى مالذي يحرركا ويبعث فينا حب الكشف عن المجهول ؟ اهو شيء طبيعي تثيره الطبيعة في اعماقنا ؟ ام هو شيء اكتسبناه من ثقافتنا ؟

عنقوان

سب ينبع من مهجة شاعره
تزغرد في اضلعي نائره
واطفات جذوتها الساعره
وشيفت أحلامي الفابره
تأجج في مهجتي نائره

كثيب المقاطع لا يخفق ؟
يظل سخي الدما يدفق
ولا من يجيب ولا يشفق ؟
متة النرف لا تنطق
فما في البرية من يرفق

مع الحب في عالم واحد
وحطوا الكرامة من صاعد
يخرون للصنم الجامد
لصدر رخيص الهوى ، ناهد

كرسم المقاطع والعنقوان
نقوص مخاجره في الهوان
تصعد في الأرض مثل الدخان
تدقيق كالقور عبر الزمان
ويمسح أحزانهم بالحنان

القديس <http://Archivebeta.Sakhr.com> راضي صدوق

أنقصب ؟ .. ما اظهر العتد
ونسألني عن حروفي التي
كتمت الحروف وخبايتها
دفنت ليالي الهوى في الصقيع
ولكن جراح الهوى لم تزل

اما تسمع القلب في احرفي
يوقع الحان جرحي ، لنظي
ويروي الى الناس ماساته
وماساة روحي ان جراحي صا
سدى ايها القلب خل الاسي

شموذك يا قلب لا يلتقي
لقد ازلوا الحب من شامخ
أولئك من يعبدون التراب
يفضحون بالطهر ، بالكبرياء

وغن الحياة بلحن أبي ..
وصبب اللهب على عالم
وخل أناسيدهم في الضباب
تشيدك يا قلب ، صوت الخياة
يضيء الدروب ، يواهي الوري

القديس

والموسيقىين .

ان الانسان والطبيعة ، والانسان والتاريخ هما
محورا الوجود الانساني . حركة الانسان في مجتمعه .
وحركته في الطبيعة يؤلفان الشعور الحق بالوجود .

ان ظاهرة الخروج الى الطبيعة ، لظاهرة جديرة
بالتسجيل والاعجاب بالنسبة الى كثير من الشباب السوداني
على الشاطئ - مثل الكيلومانية او قلمنجو - قد اعدت
لكي تستقبل الجماعات المختلفة من ذوي الروح الشبابية
الذين ينطلقون في المناسبات العديدة او في العطلات لكي
يستريحوا نسمات البحر ، او لكي يمارسوا صيد السمك،
او السباحة ، او الالعاب الرياضية الطرية . وقد سمحت
البلدية باقامة الكابينات او الشاليهات في هذه الاماكن
ومن ثم فقد جعلتها مصيفا ومشتى في نفس الوقت .

اميل توفيق

شبين الكوم - ج ٢٠٤٠

الانسان يقاوم الطبيعة . يحاربها . يذل مصاعبها .
يرود مناهلها . يروض ضراوتها لصالحه . انه يريد
السيطرة عليها . ولكنه على قدر ما يبغى السيطرة ، يسعى
ايضا في نفس الوقت ليتوحد مع الطبيعة .. ينطلق اليها
ليندمج في وحدتها الكلية . ليرتبط بها . ليحقق ذاتيته
معا . ليصبح جزءا من اجزائها المتكاملة .

اتجاهان متناقضان في الانسان . السيطرة على
الطبيعة ، والاندماج في الطبيعة . والانسان يحل هذا
التناقض بالطريقة الوحيدة . بالانتاج والابتكار . بالاجابة
بالابداع . فالطبيعة حقا تستأثر باهتمام الانسان .. اعني
الانسان الذي يريد حقا الحياة . وكلما ازداد عنصر
المغامرة وازدادت الامكانيات الثقافية ، ازدادت وتنوعت
صور الاهتمام او صور الانتاج والابداع . بالكشف عند
الرحالة . والدرس والبحث عند العلماء . والتشييد
والاستقلال والاستثمار عند رجال الاعمال . وبالاندماج
والحب او المتعة والتعبير عند الرومانسيين والشعراء



التربية المتجددة

دراسة تربوية ، سيكولوجية ، فلسفية - تأليف الدكتور حنا غالب -
٥٥ صفحة تقريبا - مطبعة عيناتي الجديدة ببيروت

« التربية المتجددة » تسمية حارة المصعب ، مواكبة لمفهوم الحياة في جريها الذي لا يتوقف . بها يرد العالم العربي الدكتور في الفلسفة «حنا غالب» على أولئك الذين يعتبرون أن التربية ، أو شئنا الأساليب الأخرى الهادفة إلى تطوير الإنسان ، وتصعيد شؤونها ، نوع من الخطلوط التوجيهية ، والإنمائية يرسمها فيلسوف ، أو مرب ، أو مصلح اجتماعي في عصر من العصور ، ثم يقي هذه المراسيم دستوراً لا يحول ولا يزول للجنس البشري ، فكان التربية عندهم نوع من التجبر في قوالب ، والتجديد في الماضي ، وغل الأيدي والإقدام عن السعي ، والعيون عن التطلع .

إن قضايا الكائن الحي جميعها من إيمان ، وفكر ، وعمل ، وشكل ومحتوى ، من زمان ومكان زخعة مستمرة ، لا تلتفت إلى وراء ، ولا تتوقف . تدور حول نفسها ، وحول الألوام شأن الإفلاك ، شأن الجسم البشري ذاته . إلى أين ؟ إلى حيث تدفعها أشواقها من الداخل ، وأفاديرها من حولها . نحو مصير مجهول من جانب ، تلمح بعض شامسة في ضباب الأفاق من آخر ، فتنهمر جريا لترمي في أحضانها الكاروسية ، أو تنهار هلسا من عدمة الأزرق .

التربية كما يشير المؤلف العالم موضوع « الفرد في مجتمعه » وكاتبه به يرمي بدلالة بعيدة الغاية إلى أنها أيضا نخع المراحل التي يمر بها ذلك الفرد ، وتصوير الافاق التي يحقق فيها جناحها التربية لا تقف عند هذين الحدين ، أنها اطار عام لرسم ملامح الوجود الذاتي ، ثم هي اعداد شامل لجراه في الكون ، حسب مدلول فعل ربا يربو من جهة اللغة ، فالزيادة التي تعنيها هذه الكلمة مبنية على تربة مناخ ، ونعهد . جمع كتاب « التربية المتجددة » إلى جهود مؤلفه الشخصية على مدى تفرسه بإعداد الناشئة تعليميا ، وتوجيها ، وتربية ، بين دار المعلمين والمعلمات ، والجامعة اللبنانية ، في سنوات طويلة ، نظرات كبار الربيين في التاريخ القديم والمعاصر ، غير متخلف عن تناول خطرات المفكرين العرب كآين خلدون وإبن عبيدون وسواهما ، مثلما لم به خلاصة أبحاث مفكرتي الحضارة الحديثة ، والقديمة .

لم يقصر الدكتور غالب بحثه على التمادي في اطار التربية المتجددة ، متطلعا من أسس الجمع ، والفلسفة بأبحاثها المتنوعة ، وركائز التربية الراسخة علميا ، لا تناول قضية المصطلحات العلمية التربوية . وعالج بليتها بروح الربى ، العالم ، الدقيق فيلولوجيا ، البعير بهرامي كل مصطلح ، بصر الفنان ، وحماية المنطق . « أن المصطلحات العلمية ، صور رمزية لفظية ، لوائح الحقيقة الخارجية ، وليست مجرد رموز شكلية اصطلاحية اسمية . » « لا يمكن أن تؤدي لفظة «التنشيط» الجحري الآلي ، معنى التفاعل الناشط المتجدد الذي تؤديه لفلتنا «التنظيم والتنميط» .

لذلك عمد المؤلف الجليل إلى الإشارة

المنهجية في مؤلفه إلى الاصطلاح التدويني ، والمصطلح العلمي ، جريا على الفوائد الحديثة لفن تأليف الكتب ، دقيقا في تسجيل المفاهيم دقة يحمد عليها ذلك فيما يتعلق بهماجسه الكثيرة الدالة على سعة اطلاعه ، وعدي خبرته ، إلا أن لنا على مؤلفه ماخذين كان في مكتبته أن يتجافى عنهما ، بصدد المفاهيم ، هما خلط أسماء الموضوعات ، باسماء الاعلام ، وأنبات المرجع واسم مؤلفه وطبعته في أسفل كل صفحة ، مما اشغل حيزا من المكان ، والزمان ، وكان الأجدر أن يثبت ذلك في آخر الكتاب ، وأن يدل عليه دلالة موجزة في أسفل كل صفحة .

يقع كتاب « التربية المتجددة » في عشرة فصول ، وفيما يقارب الخصامية صفحة ، وهذا يعد ثلثة كتاب آخر سيصدر قريبا . يعالج المؤلف في الفصل الأول أهمية التجديد في التربية ، عارضا قضايا الاختلاف التعريفي للتربية ، واصفاها ب« طبيعة أركانها . » « أن الكون أجمع وما فيه من كائنات في تطور دائم ، ولا يمكن اعتباره في حالة سكوت وتجمد . » « أن النظام ، والاتحاد ، والاستمرار (في الكون) مفاهيم مختلفة الإنسان كما اختلق المفاهيم ودوائر المعارف . »

إن بعض أحكامنا العلمية ، غير نامة ، بل هي عرسة للتغير ، كل شيء يتحرك ، يسير ، وكل نحر لا يعرف نتائج قبل أن يحدث بكتبته . « أن الكون أجمع في تحول ، وتجدد ناشيء ، وتطور بازغ Emergent Evolution وإن هذا التطور ينظر كل ما فيه ، منندا من أعظم أجرامه إلى قلوب العناصر التي تؤلف الأجسام ، فإلى قلوب الذرات نفسها . » « حتى أن الجسم العضوي ، أي الكائن من أعضاء قد يصير واتحدا من عدة كائنات مكتكة ، الفلز الذي كان مرتفيا إلى بصير في جسم كوكبة ذات ، قد حول فعلا إلى راس كل وكل والانساق والانساق ، وكذلك إلى تحول الحمام إلى دجاج ، والدجاج إلى حمام ، مثلما يمكن تحول حيوان اليابسة إلى حيوان ماء . » « من هنا ، وعلى مثل هذا الأساس العلمي التجريبي يفر كتاب « التربية المتجددة » :

« أن مصير الأشخاص افرادا وجماعات ، يمكن تحويله وتغييره إلى حد بعيد ، بتغيير الأحوال والظروف والاختراعات ، والاكتشافات ، وبزيادة المعرفة ونشرها . » « يتضح مما تقدم أن الوجود ليس بوجود حتى في الجوامد ، ولا التجبر حتى في الاحجار . »

ويدرس في الفصل الثاني أحد أركان التربية الهام ألا وهو الركن الفلسفي ، مسكبا يبدئنا لنقوم معه برحلة مائة الأراجيح ، وادرفه التسائم ، كاته فنان يسلمنا عن واقعا ، مقدما لنا في الوقت ذاته تعاريف الفلسفة ، وصلتها بالتربية ، جاريا في جدول رحلته إلى الفصل الثالث حيث الركن الاجتماعي ، عارضا مختلف النظرات الاجتماعية في التربية من متفرقة وديموقراطية ، ومقدار تكيف الفرد في وسطه الاجتماعي ، وتكيف هذا المجتمع للفرد ، مثلنا إلى الفروق والروابط بين العقل والنفس أو الأنا ، أو الآبائي ، هذه السيارات التي تدور في افلاك الدات ، والبيت ، والمجتمع ، والمدرسة ، والكون ، والميد . ثم يسأل في الفصل الرابع هل يمكن أن تتلاقى أهداف الربيين توصلا إلى الأمل والأجمل ؟ محاولا رسم الطرق المختلفة وتصعيدا لذلك التلاقي الهادف إلى تطوير الإنسان وتصميده .

ويصل في الفصل الخامس من الرحلة إلى ادق بعونه المستفيدة ، مثلما يصل المؤلف السمووني إلى قمة التوحيد ، بتنظيمه شيتات الأصوات

في وحدة جمالية رالمة متناولا تطور العقل والفلسفة العقلية ، سرورا بالتالوت اليوناني الجبار : سقراط ، افلاطون ، ارسطو ، السى ده كارت ، فيكولوجيى الحضارة الحديثة من طراز فرويد ، ونت ، بيني ، غلتن ، هول وسواهم ، منعما البصر في تانمي نظريات السيكلوجيا وآثر بعض العلوم فيها ، كتنظرة النشوء والارتقاء ، والفيلسوجيسا ، والفيزياء، وآليا بترابض محكم الى دراسة التامل الباطني والغوارده العبيدة . ثم يتدرج مؤلفنا في غزل افكاره ونسجها حول علم النفس المكون وعلم النفس التانمي ، وتطور الولد ، وبلوغه ، وتوازن قوى النفس ، ميبتا اثر البيئـة والوراثة ، وتوازن قوى النفس ، وتفاعل جو البيت والوراثة ، واستعداد التلميذ لتعلم ، هذه هي أهم ابحات الفصل السادس ، وفي السابع يدخل المؤلف في جو الطفل قبل السادسة ، اي المرحلة المدرسية الاولى ، دارسا انفعالاته الذاتية ، وازاء الآخرين ، وخصوصياته الجسدية والعقلية ، ثم المرحلة الراقية وما يتنازم فيها من اشياء النوع ، والاستخدام بالوجود .

وبعد ذلك يتناول مذاهب التعلم السيكلوجية المختلفة ، وما يتربط على التعلم والتعليم من محاصيل ، وما يتفاعل من دوافع ، خاتما دراسته الهامة التي تعد في الحلقة الاولى الذهبية ، من سلسلة رواد التربية في لبنان والعالم العربي .

بهذا تكون عارفين ، معرفين بهذا الاثر التربوي الدراسي النفيس ، معلمين يتجاوز المؤلف الفواصل امكانياتنا في هذا الحقل ، الذي اختص فيه ، عابرين جسر المقارنة بين مخلفات ، ديوي ، ومل ، وروسو ، ولويساني ، وسواهم من اساطين السيكلوجيا والتربية ، مقتصرين على رحله ثالثة نادرة مع المؤلف الجليل الدكتور حنا غالب محرورين لمعد آخر قريب مع مؤلفه التالي .

علي شلق

الريحاني ومعاصره : رسائل الادباء اليه

جمعها وحققها وقدم لها البرت الريحاني - ٢٧٨ صفحة - منشورات دار الريحاني للطباعة والنشر ببيروت

بعد ان قام البرت الريحاني عام ١٩٥٩ بنشر رسائل شقيقه امين الريحاني وزادنا بذلك علما ببحاية هذا الرجل النابغة - بعد هذا العام الى نشر مجموعة كبيرة من الرسائل التي تلقاها امين الريحاني خلال الفترة ١٩٠٠ - ١٩٢٠ . ونشر هذه الرسائل تكتمل الوسائل الفرورية لمن اراد التوافر على دراسة الريحاني وادبه وحياته . ولا تعطينا هذه الرسائل فكرة عن الريحاني وعلاقاته بمعاصريه فحسب ، ولكنها كذلك تعطينا فكرة عن الحياة في تلك الحقبة ، عن صراع القرنين في سبيل الحرية وعن صراعه مع بعضهم البعض - احيانا - في سبيل الآراء التي يعتنقونها والمبادئ التي يدبثون بها .

يجد القارئ في هذه المجموعة اشتاتا من الافكار والاساليب الادبية والمناهج الفكرية . . يجد فيها الحب والوفاء الى جانب الحقد والبغضاء . يجد فيها لمحات عن الصداقات الحميمة التي عقدتها الريحاني مع معاصريه ، كما يجد احيانا نماذج من فدح البعض فيه واتهامهم له . ويبينا نجد اكثر من كتبوا اليه يكيلون المديح له والاعجاب به ويرفضونه الى السماكين تعظيما وتقديرا ، ترى البعض الآخر يبيطون به الى ادنى المراتب فينتقدونه التقد المريع ويهيمون بالتعالي والتعصب وقلة الادب وسوء التسمير وانه يكتب للحصول على الامجاد ويسير على طريقة خالف تعرف . وفي هذه الرسائل نجد نموذجا للخصومات الادبية التي اتارها الريحاني بسبب اعتناقه مبدأ « الحقيقة والحرية » الذي اعتنقه والبدأ



الاريب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بمؤها شهر

يناير ، كانون الثاني

تدفع فيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك الصادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل*ل .

•

في الخارج : ٢٥ ل*ل . او ما يعادلها بالبريد المادي

٥ ل*ل . او ما يعادلها بالبريد الجوي

في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد المادي

٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل*ل . كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل*ل . او ٢٠ دولارا كحد ادنى

•

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد

الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للإعلان تراجع ادارة المجلة

•

تليفون : ٢٢٢٨١٩ الإدارة 223819 Dir :
٢٢٥١٣٩ المنزل 225139 Dle : Tel :

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب - صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت - لبنان

•

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

اليسر اديب

ذو ذكاء وفاد ومعارف واسعة». وقيل ذلك بكتب له سعيد أبو حمزة عام ١٩٠٤ عن ظهور كتاب «الطابع الاستبداد» للكواكبي ويقترح ترجمته إلى الإنجليزية. ونفهم أن الريحاني استفاد من كتاب محمد كرد علي «خطب الشام» في وضع كتابه «الكتابات».

من من أبناء جيلنا سمع بالشاعر أنيس جريج؟ في هذه الرسائل نجد أنيس المذكور يكتب للريحاني في ١٩١٧ قائلا أنه فرغ من نظم قصيدته الكبرى الثانية المؤلفة من ألف بيت وبيت على طريقة «وهي جامعة بين الفلسفة وهداى، إعطائها ومتناقضاتها ومتوارداتها وبين الأمور التاريخية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية». ثم يسجل أيبانا منها فيها امتداد وفصح في الريحاني وجبران. وهذا أحدهم يكتب للريحاني أن أيليا أبو ماضي يرغب في السفر إلى العراق ليكون فيها شاعر الملك وملك الشعراء، على حد قوله. وإني لآسأل: ترى لو قبض لأبو ماضي تحقيق هذه الرغبة، أكتا نحقق بما أبدع فيما بعد ١٩٢٢ من تلك الروائع الإنسانية التي نظمها على سجيته؟

في رسائل مي زيادة إلى الريحاني أدب فيه من الرفقة والوحدانية والحلاوة ما يشبه العمل المصفى. وفي بعض الرسائل المتأخرة اعتراف بما كان للريحاني من جهود في سبيل إنقاذها من المحنة التي ألمت بها يوم أرسلت إلى الصفورية وحجر على مالها واتهمت بالجنون. وفي رسالة من الشيخ عبد القادر المغربي نموذج رفيع لأدب المنافسة بالنطق والروح العلمي. فقد نشر الريحاني مقالة أشار فيها إلى التواكل والاكال على الآيات الدينية القائلة بأن الله يرزق الإنسان. ومما جاء في رسالة المغربي قوله: «أحسبك قد رايت مسألة التوكل فرصة انتهت بها إعلان أنك لم تسلم بعد. نعم لم تسلم، فلتطشطن عجائز الفكرة وهرابين لبنان!! ولكن الست غريباً! الست تافخر بنبي العرب وبأمجاد العرب كما يفاخر قومك العرب بك؟ الست داخلًا في خطاب منزل القرآن للعرب (لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم) أي فخركم

الآخر الذي سار عليه « قل كلمتك وامش » . وخير مثال على ذلك رسالة مغايل نعيمة إليه ردا على رسالة كان الريحاني قد بعث بها لنعيمة عام ١٩٢٤ يلومه على الطعان التي وجهها لصديقه الراحل جبران خليل جبران . ويبدو لنا أن نعيمة غضب وثار لرسالة الريحاني فسرده عليه قائلا: أن جبران كان يكره الريحاني ويقتنه طوال السنوات العشر الأخيرة من حياته، وأن جبران حاجم الريحاني بعصاء ذات ليلة «فوق رأسك ولو لم يتداركه بعض الحاضرين لما كنت اليوم في عداد الأحياء». ثم ينهم الريحاني بأنه في الواقع لم يكن يحفل بأبد جبران، وأنه وصف يوما ما ذلك الأدب بأنه مفرز كربة الذاق وأنه عاطفة مائصة تصنع الرقة. ثم خلص إلى نتيجة مؤداها أن الريحاني يدل موقفه من جبران بعد وفاته، ووصف تصرف الريحاني في هذا الشأن بأنه «فحة خالصة العذار». ويبدو لي أن تلك الرسالة كانت بداية قطعة يسر الرجلين إذ لم تكن هناك رسائل من نعيمة للريحاني بعدها ولا من الريحاني لنعيمة، كما أن نعيمة لم يشارك في مهرجان الريحاني الذي أقيم في بيروت في الخريف الفائت (١٩٦٥).

على أن معظم الرسائل تنبع باحتياج الريحاني والاشادة بأدبه وشجاعته وتفتح ذهنه ومناصرته للحرية والحقيقة. فهذا شبل دموس يقول أنه في ترجمة رباعيات أبي العلاء المرعي خمس مرات، وهذا أحمد زكي باشا الذي كان يقبض شيخ العرب يقول أن كتاب «ملوك العرب» يعتبر مغفرة للعبقري العربية، وهذا المستشرق الألماني الكونت مولينون يقول عن الكتاب ذاته «حقا أقول إنني لست أعرف أوردنيا يحوي كل الصفات المجموعة في شخصك: أنها تجعل من كتابك آية من الآيات البارزة في الأدب». ومستشرق آخر يقول أيضا «لم أر كتابا أكمل وأحسن وانفع وأبدع منه وهو يوفق كل ما كتب إلى الآن في هذا المصنوع».

يبدو في هذه الرسائل نيا جانب من الجهاد الوطني لأمين الريحاني. فهذا الأمير شبيب أرسلان يكتب إليه فيصفه بأنه مغفرة لبنان وسورية والشرق، ويقول أنه وقف فلمه ولسانه على خدمة الحقيقة وصيانة الحق وبأنه أمين الأمة العربية وريحاني ووحها «أن هذا الماردوني عمل للعرب ما لم يعمل أحد من العرب. وأنه سعى بقلبه فعلا فاعا كتب بقلمه في هذا الموضوع قبلي وقيل كل عربي، ووضع في أدمغة العرب بزررة الوحدة العربية». وهذا حسين العوني يكتب للريحاني من جدة في السعودية فيقول له أن الأمير عادل أرسلان «تكلم وتكلم عن الريحاني الماردوني النصراني وعن أعماله في أميركا وما أحدثه من تأثير في اكتفرا وأوروبا والشرق في سبيل العرب أولا وأخيرا». وقال لأين سعود لقد خدمك الريحاني وخدم قضيتك أكثر من كل من خدمك... فالأمير معجب بالريحاني إعجابا خارق الحد ومحب للريحاني جدا لا يوصف. وقد سررت والله جدا من هذا لاني شخصيا أحب الأمير فاحب منه أن يحب من أحب وقد أحب». وهذا أمين الحسيني يشن على جهوده في سبيل القضية الفلسطينية ثم يقول «اتم الذين كرستم شطرا كبيرا من حياتكم في سبيل خدمة القضية العربية منذ أول دخولهم في البلاد وخارجها وصرفتم جهودا شاقة من أجل الفهم القرب مطالب العرب». ثم يدعو للذهاب إلى أميركا في وفد عربي لتفكيك الترامع الصهيونية. وعندما تطلب سلطات الإنتداب الفرنسية إلى الريحاني أن يغادر لبنان يدعو أمين الحسيني للإقامة في فلسطين. ويذهب أسعاف التشايب إلى مدى أبعد فيدعو الريحاني إلى ترك لبنان قائلا «مقام يا شيخ حيث أنت قاعد هو أساءة في عريتك، وإنما منترك اليوم في الدنيا مبدتبان لا ثالث لهما: مكة الرياض أو بغداد» وكان ذلك سنة ١٩٢٢... ومثل هذا كثير.

في هذه المجموعة الفريدة لمحات ترصد بعض جوانب النشاط الأدبي والفكري. فهذه هي زيادة تكتب عام ١٩١٦ «ظهر من أسابع كتاب يبحث في شخصية أبي العلاء المرعي للدكتور طه حسين وهو شاب كيف

مكتبات انطوان

فرع شارع الأمير بشير

تجدون فيها روائع الكتب من بينها :

أربع خمس كلمات	ليوناس الابن
الساق على الساق	أحمد فارس الشدياق
محيط المحيط	للمعلم بطرس البستاني
قطر المحيط	للمعلم بطرس البستاني
اساس البلاغة	للزمخشري
أحمد باشا الجزائر	للاب أنطونيوس شبل
الفرالي وابن رشد	لنجيب مخلو
ابن طفيل	لنجيب مخلو

تعلقت بي فاشفت على نفسي من كسر قلبها وهكذا تزوجت . اخبرني انت كيف نزل القضاء عليك .» اما شيخ العروبة احمد زكي فيكتب للريحاني مهديا بأنه سيفزوه في الفرقة وارثا « فخذ اهبتك وعزز حاميكت واستتجد جندك وحكومتك فكل ذلك لا يفيدك شيئا وقد انذرتك .» ثم يطلب منه ان يرسل نسخا من كتاب له الى بعض الامدفاء ويقول « فاصدق يا امين بما تؤمر ، والا ابصرت آية جديدة تفوق آية يوشع المسلمين ، المعروف عند المسيحيين والاسرائيليين باسم يشوع يهوه ، يعين ، هوشع ، يهوشع فاعلم يا امام المتقين ويا شيخ المؤمنين ان المسلم الكنان في بلاد الاسلام قادم باسم مهندس الكون الاعظم على تغيير الفصول بحيث يجعل الربيع في تشرين الثاني لم يهجم عليك وعلى ناديك ووديك بجند لا قبل لكم بها ، وحينئذ تدم ولات ساعة منكم ... » .

كتيرون كانوا يكتبون للريحاني يطلبون اليه ان يقرئ كتبهم او يكتب مقدمة لها . وقد رأينا في رسالته كيف كان يردد بعضهم دون هواة مصارحا بايهم برواية انتاجهم ، ولكنه لم يكن يتردد في الاشادة بما يجد فيه شرارة الاجادة والابداع. مثال ذلك اعجابه بمسرحية (المعترك الطريق) لبيشر فارس وكذلك بكتاب حسين فوزي « سنبدا عصري » الذي كتب للريحاني يشكو ما لقيه كتابه من بعض الكتاب في مصر ويقول « اما ان اؤنب لتهجمي على مفاخر الفلاكة الشرفية وضييق الدهن والتعصب وروح النل والاستياد ، فهذا مما لا يشرف امة اندي النهضة وطالب بزعم الشرق » .

ويا جيدا لو ان بعض الادباء الجهادية المعاصرين يقرأوا ما كتبه مصطفى حسين الى كاشف الفطاء الريحاني وهو يهدي اليه كتابه « الدين والاسلام » ويطلب اليه ان يقول كلمة فيه « قدمته اليك لتكرم فتكون به حقا وتنفقه نقدا صرفيا ، فلا تدع فيه عيبا الا ابدته ولا غشا الا فخصه ولا عواذ الا كسفته . وبذلك تكون عندي صديقا صادقا واخا كريما وكاتبا حيا . ولاشك انكم سوف تجدون فيه مجال واسعا للنظر والفكر فيكون ذلك ادبي لمصري » . ثم يقدم له كتابا آخر فيقبول « ولعلنا لنشفي ان نجعل في حروف الاطراء والثناء مما يسمونه التزييف وانما الذي يبعث اليك مني موفرات الشكران نقول فيه ما له وما عليه وتدلني على محاسنه وماويه واعد كلا الامرين فضلا منك ومعروفا . ولعل من يدل على العثرات مع سلامة التفسير ولطف التعبير اكثر فضلا من المادح القوي او الثمين الزري .» واسأل هنا مرة أخرى : كم من كتاب هذه الايام من يشكر لك عنايتك باطلاعه على هوائه ، وكم منهم من لا يقول لك - نصريحا او تلميحا - لقد ظلمني الآخرون بسكوتهم الناشء عن الحسد فيه تبه القائلين والناشئين الى ما في كتابي من محاسن ودرر وابداع .

من هذه الرسائل نفهم ان الريحاني وقع في سهو يقع فيه بعض الكتاب المعاصرين ، فقد ارسل الى القنصل رسالة بعنوان « ربيع الياس » فنتشرت ثم عاد يرسلها بعد عام ونصف العام فرد عليه صروف متعلترا . وخلصا القول ان هذه المجموعة اشبه ما تكون بالحدبة الفناء فيها فواكه وثمار مختلفة بعضها احل من السكر وبعضها اكثر حدة من الطفل والجتريل . والنقل لالبرت الريحاني الذي احتفل بهذه الرسائل ثم نشرها للناس وعرضها للود ، بكل ما فيها من متعة ذهنية وفائدة عقلية ونكر ما فيها من نقاء الارض البكر وعذوبة الطبيعة التي قام تشويعها ايدي الصناعة والرياء . ولئن قام بواجبه نحو اخيه ، فقد قام بواجبه كذلك للقراء المهتمين بدراسة امين الريحاني . فجزاه الله خيرا .

عمان - الاردن

سليمان موسى

وشرفكم ايها العرب ؟.. وبعد ، فاذا لم يتج لنا ان نفاخر بك مسلما فاننا نفاخر بك بالث عرب .» ثم ناقش القوي مقالته الريحاني عن طريق الريحان الحسوس مخاطبا اياه بالذ والحبوب ، دون فورة غضب او سورة حق ، متخذة له ذرا في مقالته من شدة غيرة على المسلمين وفرط تأثره لحالة الاكثاليين منهم في نفسه ، ذاهبا الى ان آيات القرآن الخاصة على العمل وجر النفع تحدد ونطوق الآيات المتشعبة بعدم فائدة العمل . والتي لتاسل اليوم وبعد مرور اكثر من اربعين عاما على تلك المناقشة ، كيف يمكن ان تناقش مقالة مثل مقالة الريحاني على بشرت في ايماننا هذه ؟ الا تقوم قيامة الكثيرين فوق راسه ليتهموه بالعمالة والقصد السيء والتخريب والكفر والنفاس للعرب والمسلمين؟ ثم أيجد العاقل في جو محموم فحلل المواقف بهذا مدخلا للعقل والمنطق والقصد الحسن واخذ الامر على وجهه السمع التسامح ؟ اجل ، انني اسامل باخلاص .

ولا بعدم القاري ان يجد معينا غزيرا للتأمل في اختلاف اساليب اولئك الذين كتبوا رسائلهم للريحاني ، فبينما اكثف كتيرون بمخاطبته بالاساليب العادية ، عمد آخرون الى اطلاق الاقلام المختلفة عليه : بعضهم اطلق عليه لقب افندي والبعض اطلق عليه لقب بك ، وهاد نموذجا : الأستاذ الكامل والفيلسوف الفاضل ، الوطني الكبير العامل ، المبغري ، الفيلسوف الاكبر لقرن العشرين الكاتب الاجتماعي والحرر القيود .. الخ .

وانك لتجد في الرسائل فكاهات ادبية وطرانف ذهنية ممتعة . فهذا نعم مركز يكتب له قائلا : « ان لم تكف من ذكر الاستصلاح والتنقيح والتثقيب وغير ذلك فاني انظم لك قرادبة يكون مظهرها : بحياة غليون الخياط . ولسانه ذاك الخراط لا تراجعني بالانصلاص . يصا يحييت بالخياط وهذه فافية مسككة لا سيما اذا قلنا « ذلوني وغري » ط . » وكان مركز هذا يصدر في المسجل جريدة الهدى الوثنية . وهذا ليكن فارس يكتب له قائلا « اقبلك مليون مرة يا امين انا الذي ذللتك ذللتك لم تثبت لي انك ادبي » . ويكتب له شبلي الملائ ويظهر انه كان معلم مدرسة فيقول في آخر رسالته « انتهى الآن وقت التدريس فدل الجرس فوفقت عن الزيادة ثلثا يتغير الجير قدمه لي احد التلامذة لاكتب به اليك » . اما الدكتور شبلي شميل الذي كان رديء الخط كما يظهر ، فقد كتب في حاشية رسالة له : « لا يؤاخذي على هذه الخبطة وما ذك الا لايزيد فضلا في حل رموزها » وعذر الشميل ان اكثر الدكاترة الاطباء يكتبون بخط سقيم . وهذا فيليكس فارس يكتب في رسالة اخرى بعيد زواجه وزواج الريحاني «انا متراح مع امرائي لاني عرفتها منذ 11 سنوات وكان عمرها 11 سنة فوضعتها بالدرسة وعلمتها ثم لحلت انها

صدر حديثا في بيروت

مجد السوء

المجموعة الرابعة للشاعر

فؤاد الخشن

ترانيم الليسل

ديوان علي الجندي - تقديم الدكتور شوقي ضيف - ٢٤٤ صفحة - منشورات دار المعارف بمصر

لها ، فهو يخلط بينهما في عرافة الايمان بامتنا وفكرنا وثراننا ، على مستوى الاصاله والعزلة ، وعلى مستوى الاستعلاء على الدنيا .

يقول : سئلت غير مرة : كيف تكون شاعرا ولا تجد متحلا ؟ ويجيب : لا ادري أي صلة بين الشعر والتحل ، مع ان اللفظ تقول : ان كل علم يسمى شعرا ، ولكن الشعر غلب على منظوم القول لشعره بالوزن والثاقفة ويقول ابن رشيق : الشعر اكبر علوم العرب ، ومن قول الرسول « ان من الشعر لحكماء » او حكماء ، ويكتب عصر رضي الله عنه الى ابي موسى الاشعري : « مر من فيك بنظم الشعر فانه يدل على معاني الاخلاق وصواب الراي ، ومعرفة الانساب » . ويقول علي كرم الله وجهه : « الشعر ميزان القول او ميزان القوم » والتاريخ يحدثنا : ان معظم الشعراء في القرون الاولى ، كانوا من الفرسان المفاويز ، والايصال الانجاد ، خاضوا المعارك ، وسعروا لظاهما بأسلحتهم واستلهمهم معا ، وما بعد رجال العامه وصناديد الوقائع ، عن خنث الطباع وتعميع الاخلاق ، والشعراء ينظرون الى فهم نظرة اجلال واكبار فيقول الاشعبي :

والشعر يستنزل الكريم كما ينزل رعد السحابة السبلا
هذا هو مفهوم الشعر عند علي الجندي كما عبر عنه في كتابه « خمسة ايام في دمشق الفيعاء » .

وعنده ان الشعر لم يقدم ما له من سحر وفنته وسلطان بالغ على النفوس ، وأنه سيقال الى الابد ، برغم استعلاء الروح العلمي وسيطرته ، منته الاذهان وبهجة القلوب ولغذاء الارواح ، ما دام للناس عواطف ومشاعر واحاسيس ، وسيبقى ما بقيت الفساد اجمل فنون الجبال ، وادنى لقد كشفها الانسان لتعبير عن خواص نفسه ، ومآربه العليا السامية ، وان امتنا العربية الشاعرة لم يتفقد نسلها من فحول الشعراء ، وان في هذا من الشعر عصا سحرية تستطيع - ان حسن توجيهها - ان تغلب بها المعانيب وتضع المعجزات .

وعندنا ان الشعر - وهو انفس الفنون - قد كان ايضا سيرا في العصر الحديث بحكم طبيعته من الفنون الاخرى ، ولكن التناقضات الامة العربية المتوالية هذه الاحداث لها هذا عميقا ، قد بعث قوى شعرها ، واولى فيهم الخففس ، وفجر فيها بتابع الانهال الثرة ، واهاب بهم ان يؤدوا امتهم ما لها فيهم من حقوق مفترسة ، فانطلقوا كالسيول

هذا ديوان جديد للشاعر الكبير علي الجندي الشاعر العربي الاسلامي ، اقول ذلك حتى احدد من اتحدث عنه ، فقد عرف بهذا الاسم كتاب وشعراء اخرون . اما شاعرنا فهو ذلك الجليل الذي ما زال يشهد الشعر منذ مطالع شبابه في ثورة ١٩١٩ الى اليوم ، وما زال ، احوال الله عمره ، شاعرا ، منفرقا شعره الى اخصى قدميه ، كانما قد وكل اليه امر الشعر العربي كله ، فهو حفظة له ، طوف به ما طوف وعرف قديمه وحديثه ، واستوعب غزله ورثاه ومدحه وهجاده ، على نحو مدحش رائع ، ولعل بقية من هذا الجيل الجليل الجليل الذي عرف بانك لا تكاد تطوف باناس او موضوع او حادث حتى تجد له القلي اليك من الشعر العربي ما يصور مشاعر الانسان ازيد كل موقف ، كانما لم ينفاد شعر النقاد من شيء ، وكانه كتاب الانسانية الكبير ، ولقد عاش علي الجندي شاعرا في حياته ، وفي دار العلوم التي تخرج فيها وعمل بها حتى ولي عمادها ، وتلمذ عليه وتخرج ، عشرات من الشعراء والشاعرات ، وما زال ، وات حين تراه في سمنه الكريم ، ووجهه الابيض المشرق بجمرة ، وفي مشيته وحرته ، وفي صمته وحديثه ، وفي خطابه والقاء شعره ، تصبى انه فارس من فرسان العرب الاوائل ، او واحد من ال البيت اتباع الحسين ، وما تزال حياة علي الجندي كلها قسم من بين الفروية والشعر ، فهو شاعر ومؤرخ للشعر ، لم ينفاد الشعر القديم ، حتى كتبت فنونه الثلاثة الكبرى : شعر الشعراء وشعر الفزل وشعر الطبيعة .

وقد كان تلميذا في دار العلوم الشرع الديوي محمد عبد المطلب ، وكان له به صلة روح وطبيعة ، فهو صعيدي من اتنى الاسباب العربية ، وبالرغم من انه جاء القاهرة منذ العشرينات فانه ما زال عربيا محييا بطبعه ، حافظا لكل مقومات الايمان والكرامة والوفاء والايام الذي عرف به اهنا في الصعيد ، لم تغيره القاهرة ولا الحضارة ، الا ذلك التلون الفكري الذي يجري معه العقل العربي في مجال النهضة والحياء ، اما طبيعته النفسية ، طبيعة الشاعر الفارس فقد عاشت معه وعاش معها ، فهو موثر للزلة مزروف من المجتمعات ، ومع ذلك فهو نابض بالحياة ، متصل في شعره بكل ما يصل للناس بالحياة ، مؤمن عميق الايمان ، في اسلوب حديثه ومناقشاته العادية طابع الاصاله والهمم والقدره على الاستيعاب والعرض واستخلاص النتائج .

ولقد رايت له في مظهراتي الكثيرة في الدورات العامة فصولا ويحونا ومقالات واثارا متعددة ضخمة ، لا حد لها ، ما زال مدفونة في اعماق الصحف ، لم تخرج ولم تنشر في كتب ، وهي على ما هي عليه غاية في الروعة ، فقد طوف استاذنا علي الجندي بالادب العربي ، منظومة ومنشورة ، فاستوعب عصارة هذا التراث في مختلف فنونه ، وعرضه قصصا واحاديث عرضا جديدا على نحو لم يتج لكثير من الباحثين ، وما زال هذه الفنون الرائعة جذيرة بان تبت من جديد في اجيالنا وشبابنا الذين لا يعرفون كثيرا عن ثرائنا وفنوننا ويخافسون الكتب القديمة ، ولا يستطيعون الاتصال بها ، وهكذا عاش الشاعر الكبير علي الجندي يعلم في دار العلوم ويعلم في صحف مصر ، ويكتب في جوه ادب العربي وعن لرائه وعظمته وقصصه وبطولاته ومواقفه ، وفي نفس علي الجندي يربط الاسلام بالعربية ، والصوفية بالشعر ، والحب بالجمال ، والناب بالحياة ، على نحو رائع وامتزاج دقيق ، فهو شاعر عاطفي رقيق الحب ابغ الرقة ، وهو كاتب وباحث له مطالعات وفهم لقضايا الفكر العربي الحديث ، وشؤون العالم الاسلامي والامة العربية في مجال الفكر والثقافة والحضارة ، وقد كان في مطالع حياته شاعرا ومبشرا ، وكاتبا وخفييا ، وامانة للشعر والاسلام لا حد

طالعوا كل شهر

المجلات الثقافية اللبنانية

الحكمة

الاداب

العلوم

المرفان

فهي تحمل اليكم التناج الفكري الرصين والابحاث

القيمة بالافلام خيرة الكتاب والادباء

ظهر حديثا

العامة يشعرون ازها ، ويجبرون كسرهما ، حتى ليكن ان يقال : ان الاشعار التي قيلت في محنة فلسطين والجزائر ، والاشعار التي قيلت في تعجيد القومية العربية والتبشير بالوحدة العربية وما قيل في معركة بور سعيد الخالدة تربي على ما قيل في عصر كامل من عصور الشعر العربي التاريخية الزاهية .

وبعض استاذنا علي الجندي فيقول : اننا يجب ان نكون على حذر دائم من الدعوات الهدامة المدمرة التي تريد ان تقطع صلتنا الوثيقة بعماضينا الحال بالآثر ، ونأتي على مفاخر ستة عشر قرنا من القواعد باسم التجديد الزائف المنكر ، الذي يجعل من المقالة درشة جوفاء ومن القصص اباحية صارخة ومن الفن تهريجاً وبهجراً ومن الشعر رقفا مهلهلة ممزقة ومن النقد حرماً وانتقاصاً .

وبعد فان ديوان « ترانيم الليل » آخر انتاج الشاعر علي الجندي المصري العربي المسلم ديوان صخم انيق ، يعد نموذجا رائعا للشعر العربي الحديث صيغ بأسلوب يمثل ديباجة الجحري اصدق تمثيل وقد سجل الشاعر في ترانيمه ما هو نفسه من حوادث وما راقها من مناظر وما مر بها من آلام واشجان ، ونفثي بالحس والجمال السامي غناء مهذب يوقظ ويطرب ، وتظم وقائع الحياة في صور قصصية مبتكرة توشحها الحكم الباقية والآراء الفلسفية والتفريات الاجتماعية ، وقد قسمه ناطقه الى ابواب : وطنية ، وعربية ، وصور من الحياة وزفرات ، وذكريات الصبا ، وخواطر والفكر ، وفي مجموعها تقسم حوالي مائتي قصيدة ومنظومة تمثل مختلف مشاعر هذا الشاعر الفنا في مرحلة السنوات الاخيرة ، وهو بالإضافة الى ديوانيه السابقين « اغاني السحر » و « الحان الاصيل » يمثل تطور شعره ، في مزاجه المختلفة ، خلال حياة خصبة طالعة باذن الله ، ومن خلال نفسية غنية الوطن ، تهتز لكل أحداث الحب والجمال والحياة ، وترتبط بالإنسانية والوطن والاسلام والعروبة ، ولا تنفصل ، وبذلك يكون هذا الديوان سجلا كاملا لتطور الحياة الفكرية والسياسية والاجتماعية التي يعيشها الشاعر الكاتب الخليل . تمثل شخصيته في (اصالته) واللافتة

وفي نبالة خلقه ، ووفاته ، ورقته ، وفي مروءته وفروسيته ، وارتفاعه عن المادة ، والحس ، كانما هو شاعر من اعماق العصر الاسلامي الزاهي ، ويقول الدكتور شوقي فيف في تقديم الديوان « نراه مولعا بكل جمال يملأ بصره ، ويملك عليه لبه ولكن في احتشام ، وفي تلفظ رقيق ، ولعلي لا ابعد اذا قلت انه من يجنون الجمال نفسه لا من يتجند فيه » .

واذا كان يسعدنا ان تقدم ديوان « ترانيم الليل » آخر انتاج الشاعر ظهورا ، فاننا ما نزال نتطلع الى اناره الاخرى الكثيرة التي طالما حرصنا على نشرها واعادة ابرازها من جديد بعد ان طوتها بطون ميلات وصفح البلاغ ، الرسالة ، الرابطة العربية ، وعشرات الاخرى وبعد للاستاذ علي الجندي بصور مذهبه على هذا النحو : « انني لا استطيع ان اضوع بيتا واحدا في عرض لا يطغى علي شعوري كله الى الحد الذي يستتطر الدمع من عيني احيانا فكل بيت فيفس الماطلة ونفسي الشهور ، لا فرق في ذلك بين الشعر الوجداني الخالص كالنسيب مثلا وبين غيره كالاماديح والتهنئات مما يسمى شعر المناسبات هو عندي خاصة من صميم الشعر ، لاني انظم بهذه الروح التي اغني بها آلامي النفسية من الاعمال ، اما رسالتي فمشتقة من ورائتي ونشائي وبشيتي ودراساتي وهي الاشادة بفخار العرب والاسلام وامتداد مصر الخالدة والتنويه ببرجالها العاملين وتخليد مآثرهم وتسجيل ما بهز النفس من أحداث »

انور الجندي

القاهرة

● الاصبع والزناد - مجموعة قصص - تأليف محمد كمال محمد - ١٧٦ صفحة - منشورات الدار المصرية للتأليف والترجمة - الطبعة الكليانية (٤)

● ادباء من الشرق والقرب : من الادب المقارن - تأليف عيسى الناعوري - ١٦٨ صفحة - منشورات عويدات ببيروت - مطابع منشورات عويدات ببيروت .

● لغ مشرفية - شعر - امين اليرت اليرباني - ١٢٤ صفحة - منشورات دار اليرباني للطباعة والنشر ببيروت - (لم يذكر اسم المطبعة) ● طاعى غير واحايج الفن : دراسة ، تحليل ، نقد - تأليف عبد اللطيف بونس - ٢٥٦ صفحة - مطابع مؤسسة الانتاج الطباعي في بيروت .

● البئر في حياة العرب قديما وحديثا - تأليف الحامي عبد القادر عاشق عضو لجنة الفنون الشعبية في المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب بطنجة - ١٠٠ صفحة - حجم كبير - سلسلة تحقيقات وفكرية من وادي القرات الكتاب ١١ - طبع في دير الزور بسورية (لم يذكر اسم المطبعة)

● على عاشق الادب العربي - تأليف جورج سالم - مصمم الفلاف كلود جاسي - ١٥٢ صفحة - منشورات مكتبة الشرق بطنج - (لم يذكر اسم المطبعة)

● ستر العرايا - مسرحية - تأليف بيرنيللو - ترجمة جورج سالم - مراجعة وتقديم اسعد فاضل - ١٢٢ صفحة - سلسلة عيون الادب المسرحي الكتاب ٦ - منشورات دار الشرق بطنج - (لم يذكر اسم المطبعة)

● جزيرة المزم - مسرحية - تأليف ابوفتي - ترجمة جورج سالم - مراجعة وتقديم وليد اخلاصي - ١٠٠ صفحة - سلسلة عيون الادب المسرحي الكتاب ٧ - منشورات دار الشرق بطنج - (لم يذكر اسم المطبعة)

● سفر الكليات - شعر - جورج غاتم - ١٢٤ صفحة - حجم كبير - مطبعة المطبعة في جونييه بلبنان .

● الصهيونية نشاتها وقيادتها ومنظفاتها السرية - تأليف عرفات حجازي - ٩٨ صفحة - سلسلة التوعية الفلسطينية - (لم يذكر اسم المطبعة)

● خالوند في الوطن - تأليف ابراهيم المصري - ١٦٠ صفحة - مع عدة لوحات - سلسلة اقرا الكتاب ٢٨١ - منشورات دار المصارف بعصر القاهرة - مطابع دار المعارف بمصر .

● صرخة - شعر - علي صديقي عبد القادر - ١٩٢ صفحة - منشورات مؤسسة المعارف ببيروت - المطبعة التجارية ببيروت .

● منتخب من قصائد بيكر - اختارها وكتب مقدمتها خواكين بنيتو دي لوكاس - نقلها الى العربية : كمال فوزي الشراي ، سامي ديب ، جورج سرحان - مقالة افتتاحية لتزار قباني - ٦٤ صفحة - منشورات المهد الاسباني العربي للثقافة في مدريد - المطبعة الوطنية بمدريد .



حدیث ادبی مع تقولا یوسف

يعيش في الاسكندرية اديب يقف في مقدمة الادباء الذين عرفته هذه
المدنة ، مارس الكتابة اكثر من اربعين سنة ، فقد صدر كتابه الاول
«الفردوس» سنة ١٩٢٦ . ومنذ ذلك التاريخ حتى هذه الايام والقيم لم
يقف في يده ، لان التفكير والبحث والحرارة والحوار هي تيس حياته.
بالاضافة الى الكتب العديدة التي اثنى بها الكتبة العربية ومهمها
في تقديري «الحياة الجديدة» الذي يقف سطين يرحا في مختلف
التشؤون الفكرية والادبية والاجتماعية على المستوى الوطني والعالمي ،
ومجاميع قصصه الثلاث « دنيا الناس » ١٩٥٠ « مواكب الناس » ١٩٥٢
« من وحش » ١٩٦٦ ، و «ديوان عبد الرحمن شكري» الذي قام بجمعه
وتحقيقه وكتابة مقدمة صافية تعتبر اوفى ما كتب حول هذا الشاعر
الروماني الملمه المختصر - اقول بالاضافة الى هذه الاعمال لنقولا يوسف،
فله عشرات المشرقات من المقالات والابحاث والدراسات بمعرفة في
الصفوف ، والمجلات المصرية واللبنانية ، نشرت على مدى هذه العصر
منها : الاحرام ، السياسة الاسبوعية ، انشاء ، البصر ، الادب
لحي، المجلة الجديدة، الادب، الفريال ، الادب ، العالم العربي. (١)
كما ان لنقولا يوسف مجموعة من الكتب المخطوطة المعدة للنشر
وقطعت اذن على بعضها .

ان مقالات نقولا يوسف المتفرقة وكتبه المخطوطة هي نتاج عمل
شغلي متفتح ، تم نموه في حديقة زهراتها من اجل من يحبهم
الاسيائية ، فهو يقرأ بالانجليزية والفرنسية يفتن القلوب التي تفرح بها
العربية . ويكني ان تعرف ان البحث الحذب عن العلوم العالسي ،
التجديد والاصلاح لجميع انشطة الحياة . كانت اهتمامات هذا الاديب
الاولي في وقت الحظ القام على ابلادنا ، وكان اوائل الذين يخلعون
المن الضالعة ، بالمعالة والحرية والسالسا ، يفرضون بيد من حديد .
وفني عن البيان ان طبع هذه الكتب وجمع هذه المقالات يشري
الجماعية الفائرة . وهذا هو نص الحديث الذي دار بيني وبين
نقولا يوسف .

أصبح لك أن تعاصر وتشارك جيلين من الأدباء والفكرين ، أو ثلاثة بلاغيًا الجيل الواسع في مصر الذي ينتهي إلى الخمسينيات : الجيل محفوظ ، الجيل حقلي ، لويس عوض . فما هي خصائص كل جيل الفكرة ، ومن كان أكثر استجابة لاحتياجات العصر ؟

يمكننا أن نتفق اصطلاحًا على أن الجيل الأول الذي عاصرته يبدأ بثورة ١٩ وينتهي في مبادئ الحرب العالمية الثانية . والجيل الثاني هو جيل الحرب العالمية الثانية وما بعدها حتى سنة ٥٢ ، ثم الجيل الثالث الحديث المعاصر ، جيل الثورة الراهنة .

يتميز الجيل الأول بحماسة القومية ، ودعوته الى آداب وفنون قلمية . وهنا اشتدت حركة الادب الجمعي ، واندفع بعضى هؤلاء الادياب لقتلوا بالعامية مثل محمد تيمور وجمعي ادياب القصة الذين كتبوا الحوار بالعامية وفتكوا مثل احمد خير سعيد ، ابراهيم المصري ، حسين فوزي ، الاخوان عيسى وشحاته عبدا ، وطارح لاشين . كلهم تبن الحوار بالعامية وسوا قصفهم قصفاً مصرعياً مستوحاه من السته مصرية ، سواء كانت الدينة او الريف .

وهذا الجبل اشتد انعامه في الوفرة
نفسه بالقافية المصرية وشعارات الحرية
والاستقلال وتحرير المرأة والجملاء .. وكانت
هذه الاهتمامات تهيئ الأدب : الشعر والسرحة
والقصص . كما سطع في عياديين الفن في هذه
الفترة تجميد سيد درويش ، بيمر التوسني ،
محمود مختار ، محمود سعيد ، ناجي .
والآن لك حل الثورة والتنهيم .

وكان للصحافة في هذه الفترة أثر بالغ . ظهر عدد كبير من الصحفيين الذين مارسوا الصحافة بسبب الحركة الوطنية وما خرج من هذه الحركة من أحزاب . ففي سنة ١٩٤٥ انشأ بعض الإدياء جريدة «السلور» ورأس تحريرها عبد الحميد حمدي ، وكانت مسرحا للأفلام شباب الدجيل ، وهو في سنة ٢٦ ظهرت جريدة « السياسة الاسوعية » وحررت بها ، وفي أواخر ١٩٤٥ ظهرت «المجلة الجديدة» وثلاثه عدة سنوات تعمل شمل التقدمية وتحرير الفكر ، وبخاصة بعد ان اطلقت جريدة لطفي السيد . وما زلت ترى من مجلدات «السلور» الحالات الاديبة الأولى لطف حسين وهيكيل ومصطفى عبد الرزاق واحمد سيف ومحمد ميمون .

ووسط هذه السجنة من الصحافة خرجت نداءات الى الاستقلال الاقتصادي واتشاء بكت مصر .

اما الجليل الثاني من الحرب الثانية الى الثورة ، فقد حدث انتظار نتيجة الحرب العالمية الثانية وعصر التطوير . كان موضوع الحرب من اهم الموضوعات في الصحف وفي الطبوع . مطبوع من الحرب والسلام . فلما انتهت الحرب نطق الادياب الى تحرير البلاد : تحرير وطنهم سياسيا واقتصاديا ، وبخاصة لانه شارك الحلفاء بلا عدو له مصعبه .

في هذه الفترة كتب شباب الجيل الماهي وترعوا الحركة الأدبية مثل طه حسين والفقاد ونوفيق الحكيم والمازني وهيكيل . وظهرت نهضة كبيرة في المسرح والقصة والشعر والترجمة . ولم يكن التيار التحرري واضحا ، بالعكس كان المحافظين يسل للرجعية سلطات واصوات . فما ان بدأت ثورة سنة ٥٢ حتى بدأت ابداء التقدمية تخرج من طور الغريبات الى طور التنفيذ .

وبذلك أصبح للادباء الذين كانوا يفكرون في تحقيق مثلهم العليا فيما سلف الجور الدعاية للادماج والانتاج . في جانب هؤلاء جيل الصاعدين ولودو الداعيا مع قيام الثورة، الذين ساروا مع الارهابيين فاتهم اللسان المعبر الشاب من القيم الجديدة مثل مقاومة الاستغلالية والاستعمار وفي القيم التي جسما كنا ننادي بها في الماضي كنا تلقى مناواة المحافظين والرجعيين واعوان السراي والاستعمار . وفي كل جيل ادبائه القديمون كان كل نجل جيل ادبائه رستميين . ولهذا وجب على المؤرخ ان يميز بين اصحاب الطريقتين . ويستطيع ان يرجع الى كتابات كل فئة منها على مر السنين ، فقاماتهم الاولى ، فانها تدل على الاستعداد الاعلى للتقدمية من عدمه .

— لك اهتمام بالغ بالادباء الاجانب الذين فطنوا الاستكبرية ، في
مقدمتهم كفافي والشاعرة بساراس وسيفيريس ، فالى اي مدى الرت
هذه المدينة في ادب هؤلاء الادباء ؟

كان للاسكندرية منذ عصر بطليموس الاول الى الان مؤثراتها الجيئية على ادبائها وفنائها، ولهذا امتلأت الكتب من مدرسة الاسكندرية في العصر الهلنستي، ثم المدرسة اللاقوتية في العصر المسيحي، ثم المدرسة الصوفية في العصر العربي القديم، ثم هذا العدد الجديد من الشعر والغنائين والادبياء عامة في العصر الحديث. ولما كانت الاسكندرية تضم كنيائهم عظيم اجناسا مختلفة من الناس كان من لفتات اذنهم فيها آدابهم من اليونانيين والاطالين ومن تنسوا في لغات

شئى . وكان للاسكندرية من جهة الجمال الطبيعي والمركز الاقتصادي والثرات الذي تمتد جذوره نحو اكثر من الفى عام اثر في مزاج اديانها وفناتها دائما . فكان في اديمهم الكثير من الجمال : جمال روحى واسلوبى وانطلاقات متحررة كالبحر الواسع الجياش كما نرى في شعر كفاي والشاعرة بترونده بالبولوغو (٢) والشاعرة بساراس والشاعر اونجرتي الايطالي ، ويلقبون في العصور الحديثة فقط نحو المائثة شاعر .

وقد كان لانشغالي في كتاب « اعلام الاسكندرية » الذي كلفني بوضعه هيئة السجدة ان حاولت حصر كبار هؤلاء الاعلام الى جانب بعض اخوانهم الوطنيين .

— يبيد الادباء من التراث الانساني قدر افادتهم من خبرة الحياة . فمن هم الكتاب الذين اثروا فيك ، ومن اي النواحي تعتبر مدينا لهم ، وما قدر الاصابة فيما قدمت ؟

— كان هناك عدد من المعلمين الوطنيين والاجانب من تأثرت بهم عن طريق المطالعات او عن طريق التعارف الشخصي . وقد بدأت افرا الكتب منذ تعلمت القراءة . ففي ايام الصبا تأثرت بكثيري من الطلبة بكتب المنطوي وجبران وادباء المهجر ، ثم تعرفت بسلامة موسى واشتغلت معه في « المجلة الجديدة » ، وتعرفت بالدكتور ميكل واشتغلت معه في « السياسة الاسيوية » . وعندما التحقت بمدرسة المعلمين العليا بالقاهرة درسنا هناك الادبين الانجليزي والفرنسي ، وعرفت عددا كبيرا من كتابهم وشعراتهم في مؤلفاتهم ، ولكنني كنت أعجب واقرا كتب هـ.ج. ويلز وبرناردشو وناجور بصفة خاصة ، وبمذهبيهم الانساني الذي يعتبر العالم كله السلبية واحدة .

وحدثت اناء لمدني كلية المعلمين هذه ان تعرفت بالمستشرق الاسياني جارلزا (٣) وكان فيلسوفا يقرأ ويتكلم في سبع لغات ومنها اللغة العربية ، فتعلمت عليه نحو اربع سنوات . ولكنني لم انتثر بآدابها وبالذات ، بل كانت لي آرائي ومثلي الخاصة منذ الصبا ، فقرأ بعضها بطريقة فج في كتاب « الفردوس » طبع سنة ١٩٢٢ وسني ١٨ سنة ، وفي كتاب كتب في سن العشرين وظهر سنة ٢٧ بعنوان « نسمات وزواجع » .

— عندما صدرت مجموعتك القصصية «هم وهن» كتب القصص حسن فتحي خليل في جريدة المساء يأخذ عليك انك لم تنشئ مدرسة ادبية في الاسكندرية ، فهل المرد الى اتجاهك الخاص في القصص القصيرة ، الذي يقترب فيه من اللوحة ، ام يرجع الى الوسط الادبي؟ — لا هذا ولا ذاك ، وانما يرجع الى اني لم اتخصص في القصة القصيرة او الطويلة بسبب اشتغالي بابحاث نقدية وتاريخية ، وكان الواجب ان اتخصص في فرع واحد من فروع الادب ، وبذلك نستطيع ان نرى ان كان هذا التخصص ينشئ مدرسة ادبية ام لا .

— ما نصيب الرحلات التي قمت بها في اوروبا من انتاج ؟ — زرت نحو عشر دول وعندي مذكرات اترعت ان اخرج منها كتابا في ادب الرحلات ما زالت مسودتها مكتسة عندي . وقد نشرت بعض مقالات وقليل من القصص القصيرة المستلهم من هذه الرحلات . — في كتاباتك استهداف واضح لافراس اسلبية عالية ، فهل مقصدك اصلاح المجتمع ام اصلاح النفس ، وما مدى العلاقة بينهما ؟ — اصلاح النفس هو اصلاح المجتمع . اذا صلحت النفس صلح المجتمع . وهذا هو هدفي في القصص والمقالات . اي انه ادب التزام وادب هدف وان كنت اعتقد ان ما يسوونه الفن للفن وما اشبه لا يخلو من هدف ايضاً .

— اسما فقصصك اسما اشخاص مثل : اتيسه ، الاستاذ بهلول، سوزي ، الناصر مزوز ، حسن البليبي .. بينما عناوين مجاميعك عامه : « دنيا الناس » ، « هم وهن » ، فما نصيب تصوير الجوع في ادبك من تصوير الافراد ؟

— كل عنوان هو بطل القصة ، وهو في العادة شخصية شبيهة من الفقراء والمحرومين واحيانا قليلة من التواضع ، لانهم كانوا غالبية الشعب . والمجموع تتكون من مثل هؤلاء الافراد . كل فرد يمثل طائفته وجمهورية . وفي الواقع كنت اشعر بعطف على بطل القصة ولو تعرض احيا لكتابة تقترب من السخرية . وهذه كانت طريقتي واقتنا سوف تستمر : تصوير الفقراء والضعفاء والمحرومين والمظلومين .

— بطل من اماتك النقلة في النقل عن الواقع ، ومن يعرفك عن كتب يعرف معظم الشخصيات التي صفتها بقلبك ، قالت كاتب غير واقعي ، لا مفر من وصفك بالرومانسية . شخصياتك تعذب بشدة ، وبها جانب من الخير جلي لا يؤثر فيه خضم ذلك العالم القاسم — وقدذاك . هذه النظرة تتركك .

اما الواقعية التي تنادي بها فمعصيا الفهم الصحي للانسان والمجتمع جميعا مع تغاؤل حتمي لسيادة التقدمية في بقاع عديدة من العالم .

ان التساؤل والمطالبة الزائدة والذاتية وعشق الطبيعة البرك التي تردد صورها الجميلة في فمك خصائص رومانسية بحتة .

— يجوز انني نشأت نشأة رومانسية ، متمسكا بالثعلب العليا كما ظهر في كتب الصبا : « الفردوس » و « النسمات وزواجع » و « الهام » ، ولكن يبدو لي اني نزلت بعد ذلك الى عالم الحقائق والواقع ، فكثبت عن رجل الشارع وصورت النساء والفقراء في مجموعاتي القصصية المذكورة . غير ان هذا التصوير لم يستطع ان يتخلص كلية من تلك النزعة الشاعرية الرومانسية الحالة التي نشأت معي منذ الطفولة . وبذلك شاعرا متنبو الخيال وكان الاصح ان استمر في معالجة الشعر . ولكن جرفتي الجارح : تجارب الستين ومرارة الواقع ، فكتبت اصور ما ارى بعيني وما احسه بنفسي ، وهذا ليس تجردا من الواقع الملموس وان كان مصغلا بحد من الاخيلة والاحلام .

— ولماذا لم تأخذت عليه من تغاؤل بتطور البشرية والمجتمع والنفس ، وروحانية الحياة العذبة في النفس البشرية على الجانب البشري ، كانت كما يكون هذه الافاصيص بل والمقالات بهذا التغاؤل وهذا الخيال الى الجانب الخير .

هذا الى جانب اني اعتقد ان من واجب الاديب الا يكون سيء الظن بالنفس البشرية ، بالناس من صلاحها ، متشائما من مصيرها .

— لم اقصد التغاؤل والتساؤل ، انما عنيت التصوير الموضوعي الذي لا يطمس مع ذلك موقف الاديب من الحياة .

— الذي اقلته ان في المجموعات الثلاث الطبعة والرابعة غير المطبوعة اكثر من مائة القصص تمثل كل منها صورة لحدث النفس البشرية . ثلاثان ان بقراها في زمن كما يستشرف الهادي رمى اليه الكتاب في الصورة . وبذلك لم يختلف التقاد في التنجيب والارجح ان هناك من التقاد من يرون اهداف المؤلف وموقفه من كل هدف . علما بانني اعتقد بوجود اقتران الحقائق بالاحلام ، والواقع الاليم بالثعلب العليا . هذا مذهبي في الكتابة ، ولكل شيخ طريقته . — لم اتحدث عن الهدف الذي لرمي اليه الصورة ، بل من كونها . مكونات العمل الادبي بجميع ابعاده . ان النظرة الموضوعية للعالم هي سمة الواقعية ، وعالم النافس الذي تذكره « اقتران الحقائق بالاحلام » والواقع الاليم بالثعلب العليا » ، سمة الرومانسية الذي يرتفع الانسان فيها الى اعلى عاليا او يهبط الى الدرك الاسفل .

— ليس من واجب القصص ان يكون مصورا فوتوغرافيا للحوادث المحلية التي تعرض له كما يفعل الخير الصحفي ، بل هو فنان او اديب يرى في حادث ما زوايا واعمالا والوانا لا يراها الخير الصحفي ، وتصويره لا يكون خروجا من الواقع كان ينقل الانسان من كوكب الى كوكب ، بل هو يصور الواقع كما يكون مع شيء مما يجب ان يكون .

— إذن قل لي ما الفرق بين شيلي وجوركي بغض النظر عن اختلاف القالب ؟

— شيلي شاعر حالم يعتمد الطيران بعيدا عن الواقع المموس . أما ماكسيم جوركي فنصاح قصاص يصور الواقع الآليم وغير الآليم بصورة قريبة من الحقيقة . ولكن جوركي يظل إنسانا قبل كل شيء .

— والفرق بين المنظوي ونجيب محفوظ ؟
— رومانسية المنظوي فيها كثير من المغالاة الشعرية العاطفية والتعبير البياني المزخرف ، في حين أن نجيب محفوظ مثلا يقترب كثيرا من الواقع المموس في التصوير والتعبير . ومع ذلك فيظل إنسانا أولا وأخيرا .

— قصدت بالقارنة إلى القول أن اتجاهك في القصة يتسبب في الضموم إلى المنظوي الرومانسي أكثر من اتناؤه إلى نجيب محفوظ ، إلى إحساس شيلي المتهيب أكثر من إدراك جوركي العقلي .

— لا اعتقد ذلك . وربما تكون رواية «الهام» التي كتبتها في صدر الشباب كثيرة الشاعرية أو الرومانسية . غير أن في المجموعات القصصية المنجذبة كثيرا في عالم الواقع ودنيا الناس . والفرق بين أسلوبني واسلوب استاذنا المنظوي رحمه الله — إذا جازت المقارنة — أن أسلوب المنظوي كان موشى باليدع والبيان والإستعارات والكتابات مما كان دائما في عصره . ولكني اعتقد أنني بعيد عن هذه الطريقة البيانية .
— ذكرت في التعريف الذي قدمته عن نفسك في نهاية كتاب «هم وهن» أن لك عدة كتب تحت الطبع منها : «الأياء الزوج» ، «البحث عن السلام» ، «أدياء عرفتهم» . هل تستطيع أن تذكر لي المحاور التي دارت حولها هذه الكتب .

— كتاب عن أدب الزوج (في العالم أجمع) قد يخفف من حدة التصيب الوطني والتمزقة العنصرية . هذا إلى أننا نشهد عصر اليقظة الأفريقية وطمس الفروق بين الألوان . وكتاب عن السلام قد يخفف الجروح إلى التسليح والاتجاه إلى الحرب . وكتاب عن أدياء عرفتهم هو تسجيل للذكريات أدبية عن أصدفاني الأدياء خلال نصف قرن . وهذه الكتب وغيرها لم تزل مع ذلك محفوظة لم تطبع بعد .

نبيل فوج
الإسكندرية

منصور أبي صالح وتبسيط اللغة

أدرك الأستاذ منصور أبي صالح ما يعتور قواعد اللغة من تغير وتعتت فما وثى عن إيجاد محاولات تبسط القواعد وتخلصها من شوائب غلام الصراف والنحو ، وذلك عن طريق درس اللغة أولا ، لأنها ما استنتاج أصولها منها لا مما قيل بها .

وفي سؤال له عن طريقة استنتاج أصول اللغة منها ، أجاب :
— نقول : قام زيد ، وعات زيد ، وبلى زيد ، وأغرب النحاة «زيد» في الألفاظ الثلاثة «للافعال الثلاثة» أي قام ومات وبلى . والذي أراء أن الجمل الثلاث هي لغة صحيحة فصيحة . ولكن قول التحوين القدماء والحديثين أن زيدا هو الفاعل لا أراء صحيحا ،

(١) احتجبت من هذه الصحف والمجلات ، السياسة الأسبوعية ، البصير ، الأدب الحى ، العالم العربى (٢) (٣) نشر نقولا يوسف في مجلة «الأديب» مقالات عن الشاعريين بالبولوغو وبساراسي والمشرق جلادزا في الإصداق الصادر بتاريخ ٦ - ١ - ٦٣ ، ٧ - ١ - ٦٣ ، ١ - ١ - ٦٥ ، على التوالي .

وذلك لأن زيدا إذا كان فاعلا لعل قام فكيف يكون فاعلا لمات وبلى ، فهل هو أمات نفسه ليسمى فاعلا لمات وبلى . وبغرض يقول ذلك فيجد موته هو الذى فعله البلى لتسميته فاعلا !

لذلك يجب الإخذ باللغة الصحيحة الواردة عن العرب ووضع أصول لها مبنية على المنطق العقول الذي يتلقاه التلميذ بكل سهولة فلا يتنكر لفنته .

مثال آخر : يقولون كل فعل على وزن «فعل» مثل أكل وصعد هو فعل ماضيهذا صحيح إذا بقي الفعل غير مسند إلى فاعل . ولكن إذا أخذنا الآية الشريفة «صدق الله العظيم» فهل يصح أن نعرب «صدق» فعل ماض ، وهل يصدق الله في الماضي فقط وتنقلب الآية من الصدق إلى الكفر والكذب على الله ؟

مثال ثالث : ويقولون كل فعل على وزن فعل يفعل هو فعل مقارع وممناه للحاضر والمستقبل ، ولكن إذا قلنا : زيد يقرأ ويكتب ، أو : لم يقرأ ولم يكتب ، فهل هذان فعلان مضارعان ، ومن لم يقرأ ولم يكتب كيف فعل القراءة والكتابة في المستقبل ، فقاعدة التحوين والعرفيين إذا غلط سريع .

— كيف إذا تبني قاعدتك الجديدة ؟
— ابتنيها كما يلي : كل ما تراه أو تسمعه أو تفكر به ، وبالجملة كل شيء هو كائن موجود له ذاتية واسم ، وهذا الذات يكون أما مخبرا عنه وأما خبرا ، وكل من الذات ، المخبر عنه أو الخبر مرفوع ، ولا عيرة بالتقديم والتأخير . وإذا كان الخبر حادثا منوعا أي فعلا ، فيجب التدقيق بإوزان هذا الفعل ، لأن لكل وزن معنى خاصا به ، فحسب (يكر الزاى) (غير حزن) (بفتحها) (وصرب غير ضرب ، وكل منهما غير ضرب ، وكذلك ضرب غير فعل جديد غير ما ذكرنا .

وقد قدمنا أن الذات أي الاسم المخبر عنه والاسم الخبر كلاهما مرفوع ، وإذا كان الخبر فعلا فيجب التدقيق بوزنه وأعرابه ، فعلا وصليا أو ضميا أو مجعولا ، وهكذا تنطبق القاعدة على كل اسم وكل فعل ، والتدقيق والتأخير مبرهما بالحرف المقصود ، ولا تأثير لهما بالأعراب ، فيبقى الذات أي الاسم مخبرا منه ، أو موضوع الكلام ، ويبقى الخبر خبرا سواء كان اسما أو صفة أو فعلا . وهكذا نستخرج من الفاعل ونائب الفاعل والفاعل الساد مسد الخبر والابتداء والخبر اللذان يتحولان إلى اسم كان وخبرها واسم أن وخبرها ، وما هما هذان «كان» و «أن» ليصح الأخبار عنهما : فالخبر لا يكون إلا عن شيء موجود له كيان حسي كالشئس الأرض والإنسان ، أو كيان معنوي كالدين والعلم والمعدل والظلم والقيح والجمال .

— وما هي طريقتك في الأعراب على ضوء هذه المبادئ الجديدة ؟
— أسمه إلى نوعين : الأول أعراب الكلمة بذاتها : اسم أم فعل أم حرف ، وهو ما يعرف بالأعراب الصرفي .

ثم الأعراب النحوي فالقول : الكلام يتعقد من ركنين لا ثالث لهما ، فتوكل زيد قائم ، أو قام زيد ، فالركن الأول هو زيد ، سمي مسندا إليه أو موضوعا أو فاعلا أو اسم كان وأخواتها الخ . وأنا أسميه موضوع الكلام . والركن الثاني هو الخبر وقد سمي محولا أو مسندا أو خبر المبتدأ ، وأنا أسميه خبرا ، سواء كان اسما أم فعلا ، موصوفا أو صفة . المرفوعات : الركنان متى كانا اسميين يكونان دائما مرفوعين وكذلك ما يعطف عليهما أو يبدل منهما أو أحدهما ، ويعرفان بالموضوع وخبره ، فنستغني عن كل ما سواهما من المرفوعات .

المضويات : كل ما زاد على ركني الكلام وكان اسما أو صفة فهو تمة منصوبة سواء سميت خبر كان أو اسم أن أو مفعولا ، على أنواعه ، أو حالا أو تمهيزا .
المجذورات : كل ما دخل عليه حرف جر أو أضيف إليه اسم آخر فهو مجزور بحرف الجر أو الإضافة .

اعراب الفعل : الفعل لا يكون الا خيرا عن موضوع الكلام سواء تقدم ، كقام زيد ، او تأخر كزيد قام ، او يقوم ، والفعل مبني على الفتح في الماضي والكسوك في الامر ، والمضارع المجزوم .

ـ هل كانت محاولة الأستاذ يوسف السودا موفقة ؟

ـ هذه قضية اُجبت عنها في كتابي «الباب الاول» صفحة ٦ حيث قلنا ان المجددين كلهم ومنهم الأستاذ السودا لم يتوقفوا لانهم بنسوا على اساس السالفين . فالصواب في درس اللغة لانها لا حفظ ما يقال بها . فما قاله سيويوه وابن هشام قاله السودا بترتيب ولكن واقع اللغة يخالف هذا كما قدمت لك في الامثلة .

جريدة «الحياة» بيروت

ابو الحسن والشعراء الثلاثة

زار الشاعر امين نخله مدينة باريس بمناسبة السنة الجديدة ١٩٦٦ فافام له صديقه جورج صديق الشاعر المهجري حفلة اخوانية انيسة ضمت بعض زوار باريس . فلما بالحديث يتحول نحو صديقهما الأستاذ محمد علي الطاهر نزيل لبنان . وما اصبح الصبح حتى كان الأستاذ صديقه في دار البريد ليخبر مجلة «الاديب» بما كان بالاسم ، مصحوبا بالآيات الثلاثة الوجهة الى صديقه القديم الأستاذ الطاهر ببيروت وهي:

ولقد ذكرت (والامين) منادمي وانا طروب الروح سكران النسي
بدأ الحبيب عن الحبيب حديثه وانا اعيد واستعيد متى انتهي
قبلت بالرؤيا حروف كلامه ان الحروف لها شفاة تشتهي !

جورج صديق

باريس

وبعد ان شرفت مجلة «الاديب» وغربت بتلك الآيات اللطيفة اذا بجريدة «البلد» العراقية ترفرف من بغداد ، وهي تحمل آياتا من نفس الوزن والقافية للشاعر العراقي الأستاذ جلال الحنفي نزيل الصين ، وهي موجهة الى الأستاذ محمد علي الطاهر يقول فيها :

لم يبرح اسمك - لا يعدت - مفعلا بالحمد ما بدا الحديث وما انتهى
عزى اليك المكرما جميعها والاعية والحصافة والنهي
ششان بين المدفنين ، فمدفد عشق الجهاد ومدفد عشق الما
ما كان بالشائي جهاده مدد عذواء ما امر الاوامر او نهى
ولرب محض ما صنعت اضله عظم الرصيد فكم اعداد ، وكم سها

(١) كان للأستاذ محمد علي الطاهر ندوة اجتماعية سياسية ادبية في القاهرة ، تنعقد كل ليلة ، في دار جريدته «النشور» بين سنة ١٩٢٥ و ١٩٥٥ وكان يخلط اليها ويتردد عليها امراء البيان وانضاب العالم العربي ، وفي مقدمتهم الامير شكيب ارسلان والوزير الحجازي الشيخ محمد سرور الصبان ، واحمد حلمي باشا ، والحاج امين الحسيني زعيم فلسطين ، واحمد حسين رئيس مصر الفتاة ، وشيخ العربوية احمد زكي باشا ، والدكتور محمود عزمي ، وخليل بك الطران ، والسيد عبد العزيز النعماني زعيم تونس القديم ، والزعيم بورقية رئيسها الحالي ، والامير عادل ارسلان ، والمؤرخ احمد شفيق باشا ، والوزير محمد صلاح الدين باشا ، وشاعرا مصر محمد الاسمر ، وعلي الجندى وغيرهم من اعلام الشعر والادب في تلك الايام ...

فزم رايت الدهر جاذب حبله جذب الغريم ، فلم يرك ولا وهي
اني وقد اسقيت ذلك القلما لاراك ما عشت اللذائ المشتسى

جلال الحنفي

يكن

وهنا ينهض اديب ذؤافة فيبحث بالقصديين لي شاعر الجواز الأستاذ فؤاد شاك ، لمساجلة صديقيه الشاعرين العربيين صيدح والحنفي ، على مصاولة صديقه «ابي الحسن» الأستاذ محمد علي الطاهر فيما تناوله به الشعراء من ذكريات الصداقة والحب ، ووجه الأستاذ شاكر الآيات الآتية الى صديقه الأستاذ الطاهر على صفحات جريدة الندوة الحجازية التي نشرت الجميع ، قال الشيخ فؤاد شاك الشاعر الحجاز :

نالله ما كذب الفؤاد ، مقاله فيما اشار به عليك وما نهى
فانهض اليه اليوم ، غير مدم حتى ولو بلغت مكاتنه السهى
واصعد الى افق الخيال مجنحا واستدن افاق التى ، واشهد بها
وارشف رجينا من شمائل «طاهر» هو من طلائته الرحيق المشتسى
ولقد رايتكما «جلالا» و«صيدحا» وسمعت شديكما الرنم ، يزدهى
فذكرت قلبا طاهرا يتبوعه لسر الخادم ، ما استكان ولا وهي
ان قيل عنه «مجاهد» فجهاده لسن ينتهي ، غير الزمان ولا انتهى
انسى لاذكره والذكر عهده في ندوة كانت غداة للثنى (١)
ايام كنا والتباب بفسمننا يوما ، وفيه الحسن «هي» او مها .
هي ذكريات في النفوس خلودها هيهات ما نسي الزمان وما سهى .

فؤاد شاك

مكة المكرمة

مجلة الاديب في عامها الخامس والعشرين

دخلت مجلة «الاديب» بدخول عام ١٩٦٦ عامها الخامس والعشرين ، مجازة خلال ربع قرن عثيات لا يعرفها الا من عاناها ، وقد استمرت في سبيلها ، على ارفع مستوى بين المجلات العربية حتى لكاد تكون واسطة العقد بين ادباء العالم العربي وشعراته ومفكره والفصل في ذلك لما تحلى به صاحبها الأستاذ الكبير اديب من ثقافة عالية وادراك واع لرسالة الاديب في امته ، وایمان راسخ بجودى كفاك الفرط المتفوق في سبيل انقاذ الامة وتوحيدها وتوجيهها الى ما فيه لها رفعة وكرامة وخلصو .

ولا غرو ، فيقدر ايمان المرء بصواب ما يعمل وجدواه يصيب فيه ويجدي ، وينقد نيانه في العانة ، تنهاى امامه العقبات ، وتكون له الظية عليها ، وهكذا كانت «الاديب» منذ ابصرت النور ، وهكذا كان صاحبها ، معمرها ، على وفرة من ايمان وثبات جعلته يقطع من طريقه الطويل مرحلة بعد مرحلة ، دون ان يستسلم للسهو او يتكئ لعشار .
وها هي الاديب في نصميمها تقبض على اذبال القفمة وتهم بلوغها ، في حين يتهاى الدين رافقوها بافكارهم وفلوزيهم واحصوا خطاوسها وتتبعوها معجبين ، للتعبير عما ينظرون عليه نحوها من احترام وتقدير ، باقامة عبيدا الفضى قبل انقضاء هذا العام .

تهانينا للزميلة الكبيرة المحترمة ، ولصاحبها الكريم الأستاذ البير اديب الذي نمحسه دعائنا وتمنياتنا بان يبلغ بمجلته الراهية الفسى ما يتفناه من غايات .

مجلة «الاماني» بيروت

اليانصيب الوطني اللبناني

مؤسسة حكومية مرصدة ريعها لأعمال الاستعاف الاجتماعي

تُعديّات هامة في جوائز اصداراتها

- | | |
|--------------------------|-------------------------|
| ٢٠ اصداراً شعبيّاً | الجائزة الكبرى ٢٥٠٠٠ ل. |
| ١٨ اصداراً شعبياً خاصّاً | الجائزة الكبرى ٤٠٠٠٠ ل. |
| ٤ اصدارات سوبيستيك | الجائزة الكبرى ٥٠٠٠٠ ل. |
| ٧ اصدارات عادية | الجائزة الكبرى ٦٠٠٠٠ ل. |



تدفع الجوائز في المديرية
مُعفاة من كافة الرسوم والضرائب



جلهم يخشون ان يعلقوا الجرس على رقية الهرة . وفي بدء القول لا ندحة لي عن ابداء ملاحظتين ، او بالبحر عرض فكريتين :

١ - ان لهذا الكون قانونا ، ولهذه الحياة سنة ، فاذا امتثلنا لذلك القانون وسارنا تلك السنة ، كنا نحن ولقنتنا بخير . ومن ابرز عناصر ذلك القانون - التمييز والتحول - وليس ثمة قوة في السماوات والارضين تعصمنا من عاقبة ذلك القانون او تجنبنا اياه .

٢ - اننا نعيش في اوقات لم تعهدها امتنا العربية منذ فجر تاريخها حتى الان ، ولنا امكانات وفرص ووسائل لم يحلم بها الاجداد والاسلاف ، ونظرتنا الى الامور ، ونحن في النصف الثاني من القرن العشرين ، الذي بذت حضارته حضارات القرون الخوالي باسرها ، لا تعدم تفوقا على نظرة الناس في زمن ابي الاسود والخليل وسيبويه والكسائي والزمخشري وابن هشام ، رغم عظيم احترامنا لهم وتقديرنا لاعمالهم العظيمة . فهي شخص الداء ونصف الدواء ، والبدار البدار الى الشفاء .

غير خاف انه منذ ان عرف امر اللغة السنسكريتية ، هب ابطال البحث والتنقيب في العالم المتحدين يولون موضوع - علم اللغة - عنايتهم الكبرى ، وقد بلغ شأوا ممتازا من التقدم ، ولا سيما في اخريات القرن التاسع عشر ، حينما اخذ العلماء في جعل البحث اللغوي يخضع

لمناهج البحث العلمي ويتجه الى الاهداف التي ترمي اليها العلوم . بل وفي جعل الغاية الاساسية من بحوثهم الوصول الى كشف القوانين الخاضعة لها الظواهر اللغوية ، وتطبيقها في المجالات الفلسفية القديمة الماثرة بالمتنازكية (ما وراء الطبيعة) وبفضل تلك الجهود الجبارة التي قام بها علماء اللغات العالميون انتضحت معالم الحدود والمناهج لكل فرع من فروع - علم اللغة - وارتقت اساليب البحث ارتقاء رائعا ، واخضعت العلوم اللغوية للقوانين العلمية ، شأنها في ذلك شأن كل علم من العلوم مثل الفلك والطبيعة الخ . وقد بدا انه ليس في استطاعة اي فرد او جماعة ، ان توقف تطور اية لغة الا على الطريقة التي يرسمها - علم اللغة - . ومن اكبر بواعت الفبغة انه توجد عندنا بضعة علماء اعلام ، قطعوا مرحلة تولد عما قريب ان تضع علوم لغتنا في محلها وتسير بها كما يسير باقي علماء اللغة في العالم . فلنتربق تطورات كبرى للغةنا العظيمة ننقلها من عملة الى عملة ان شاء الله .

اولا - علماء الصرف والنحو (القواعد) .

لست انوي الانتقاص مما لهذين العلمين من قيمة ، انما اقصد الى وضع القواعد في محلها ، ووضع عباد القواعد عند حدهم . اننا اذا نظرنا اليهما كصنعة كانت الفائدة منهما العصمة من الوقوع في الخطا في تحدثنا وقرائتنا وكتابتنا ، واذا نظرنا اليهما كعلم توافرت لدينا اؤفد عدة مثل ترويض ذهن الطالب وجلاء فكره وارهاف حسه



حبيب الخوري

مذهبي في الصرف والنحو

بقلم حبيب الخوري

بنيت مقالة سابقة لي في القراءة عمومية ، والقراءة العربية خصوصا - على البدا القائل « الناس انما يتكبرون ليقروا » او يقرأون لفهموا ، ولكننا نحن ينبغي ان نقيم الكيفية التي يقرأون بها ، ولقد صحت مني العربية ان ابني كلمتي هذه على البدا القائل « الناس انما يأخذون او يتعلمون القواعد من اللغة ، اما نحن فنأخذ او نتعلم اللغة من القواعد » وهذا يعني ان ما سرنا عليه منذ القدم حتى الان ، لم يعد اقامة الوزن للصرف والنحو ، اي - لصناعة اللغة العربية - وليس اللغة نفسها .

وانني اصرح مخلصا وجازما ان هذين المبدأين ، مضافا اليهما صعوبة - الكتابة - (التركيب والانشاء) لنا فيهما عقبتان كادادوان ، تشلان نجاحنا في تعليم اللغة العربية ، وفي افراح المجال لاكثر من ٧٪ من ابناء الشعوب العربية ، العامة منهم والخاصة . وهي النسبة التي سيستعان بها نقول انهم تعلموها حقا ، في حين ان البديهي والمتوقع (والواقع عند غيرنا) ان يكثر الملمون بها من العامة والشعب المامة موجزة بسيطة تسد لهم حاجاتهم في شتى نواحيها . ومن الخاصة من جامعيين ومتخصصين وعلماء ائمة ، المامة واسعة الافق تسد حاجاتهم وطموحهم من شتى النواحي .

وانني لعل مثل اليقين ، ان هذه الحقيقة تدررها وتشعر بها طائفة من ادبائنا وعلمائنا ، على ان كلمهم او

وايقافه على الاحكام الكلية المستخرجة من استقراء اللفظة ومفرداتها وجملها .

ولذلك دعا الروبيون القواعد - منطلق اللغة - وهذا الاستقراء للغة ينسجم مع قول بعض المناجيح القدامى ، ان النحو - علم - نضج وما احترق اي انك اذا تأملت في اي تركيب كلامي وجدته ينطبق على الاحكام الكلية المتضمنة في ذلك العلم . اما من جهة العصمة من الوقوع في الخطا فهي على الاغلب نظرية اكثر منها عملية . واما من جهة ترويض الذهن وما الى ذلك من فوائد فخلج بابناء القرن العشرين ، قرن الطائفة والتلفزة وارتياد العوالم الفضائية ان يرضوا عقولهم في العلوم الطبيعية والعلوم اللغوية الادبية ، فتكون منفعتنا مزدوجة اي تصحح رياضات رائعة وتفهم راسخا للمعاني والمعجزات التي يأتينا بها ذلك العقل الجبار .

وليس يخاف ان هذين العلمين استخرجا من كلام العرب بالاستقراء وتتبع الامور ومقابلة النظائر ، وكلمة - استقرار - تعني اكثر من استنتاج واستنباط ، وتطورا من عهد ابي الاسود ، مارين بمهود كثيرة تبلورت فيها المدارس النحوية الاربعة وهي البصرية والكوفية والبغدادية والاندرسية ، وبالفنن الدروية في عهد الزمخشري وابسن هشام ، وهما خير من كتب في هذين العلمين ، وكتاباهما « الفصل » و « الفنى » خير ما كتب فيهما . وقد يكون جبر ضومط استاذ العربية الاسبق في جامعة بيروت الامريكية خير من قفى على اثرهما بعمق العقيدة الطولية التي انقضت بينهما ، وكتابه « الخواطر العرب » خير ما كتب في القواعد في عصورنا الاخيرة على انه جاذب بصورة الى تنسيق وضم اجزاء بعض ابوابه الى بعضها البعض . وله كتاب اسمه « فك التقليد » وضعه بالاشتراك مع بولس الخولي رئيس دائرة التربية والتعليم بالجامعة الاميريكية ببيروت وهو خير ما وضع في علم الصرف وحده . ولعل كتاب فصل الخطاب لليازجي اذق ما كتبه المحذون في القواعد الابتدائية الاساسية حتى لم يتمالك بعض العلماء ان قالوا عنه انه شبه معجزة وليس تعليمه من الهبات الهينات بل يحتاج الى مدرسين اكفاء - لا اكفاء بل يحتاج الى معلمين اكفاء لا اكفاء وهي خطأ وقد درسناه على استاذنا العظيم نخله زريق وبقيت حقايقه خالدة لدينا دون الطولات من امثال « الخصري » و « الصبان » اللذين كنا نعتددهما تحت اشرافه ، دع عنك استظهار الفية ابن مالك وارجوزة اليازجي مع شرحهما وشواهدهما .

ولقد بقي الصرف مندرجا في النحو حتى افترزه وميزه ابو عثمان المازني المتوفي سنة ٢٤٩ هـ في كتاب « التصريف » . وليس يخاف ان ابن سيده الاندلسي المتوفي سنة ٤٥٨ هـ ، عرض في معجمه « المحكم » لاشتقاقات الكلم وتصاريقها ، لان « علم اللغة متمم لعلم الصرف » الذي استخرجت احكامه من استقراء وتتبع

مفردات وجمل لغة العرب . واذن فاللغة والصرف الفان متلازمان وصنونا لا يفترقان . وهذه مناسبة اغتنمها لاقول : انني تعلمت الصرف كله اسوة بما كان ولا يزال جاريا في لبنان وسوريا واستاذنا الثابتة زريق في الكلية الانكليزية بالقدس لم يعد عن ذلك قيد شعرة . ذلك لان الصرف يبحث في المفردات والنحو في المركبات ، فكسان طبيعا ولزاما ان تهاجرت وتلق على اشكال متنوعة قبل بنائها . ولست اكرر ان الصرف اهم من النحو على قدر ما تكون اللغة اهم من الصرف والنحو المستنبطين بالاستقراء منها ، وعلى وجود اعجوبة العربية عموما ، والقواعد خصوصا ، الا وهي « الاشتقاق » الكائن بين تنايا علم الصرف . وقد سار لبنان في مدارسه على هذا النهج . ولبنان لعب الدور الاكبر او على الاقل الاسبق في البلدان العربية في النهضة اللغوية والادبية . وقد اهل عندنا تعلم الصرف كوحدة مستقلة من الربع الثاني من القرن العشرين حتى الان الى درجة مستهجنة . وربما كان سبب الاهمال صعوبة علم الصرف واحتواءه على الاشتقاق والمشتقات التي هي من امجاد اللغة . وحينما داهمتنا عصور الانحطاط تغذنا واستخدمنا امام ابناء الاشتقاق ومزينا الفل المشر والماني الخطيرة والعديدة لكل فرد منها حق الاحكام والاقتان . وقد يكون لباني الادغام والاعمال وباب الجمع وشروطه ، والجمع المكسر الذي تربو اوزانه وصيغه على الثلاثين . ولا رب عندي ان هذه المجموع لم تكن صيفها واوزانها على الكثرة التي تشهدنا الان . والتي اقم مع ما مضى « المصدر الثلاثي الاصلي » الذي يربط الاربعة الى الثلاثين ايضا . وقد تكون المناسبة سائحة للقول : ان الحركة الصرفية او التصريفية خالدة ، على حين ان الحركة النحوية او الاعرابية قد لا يكتب لها الخلود ، او على الاقل يتندرر التشدد المهرق المضني في تلك الحركة الاعرابية التي لها العديد من التخرجات والتاويلات المجيرة والمفشة . يؤثر عن الزميل الصديق والاديب الكبير المرحوم اسعاف التشاشبي ، وهو من تعلم في حرسه المتناهي المخلص على لغة الضاد ، ونوعته القليلة الى القيم ، انه بحث برسالة دورية للمعلمين يرغب اليهم فيها ان لا يتشددوا في الحركة الاعرابية . وهو الذي سمعته بام اذني يقول في مؤتمر مديري المدارس الاميرية وغير الاميرية : ان شرح قصيدة شرحا وافيا قد بغضل في فائدته كتابا في القواعد . وهذا كان مذهب البصريين والكوفيين في بادئ الامر ، وهو مذهب بعض طلابع النهضة اللغوية المصرية مثل الاستاذ المرصفي وامثاله . وباليات الذين يتولون تدريس المحفوظات ينتهون الى هذه النقطة ويوقفونها حقها ، فان في ذلك عونا لتعليم القواعد . لقد شعرت طائفة من كبار الكتاب والشعراء ان الاعظم من طلبة المدارس الثانوية يثقل عليهم موضوع القواعد ، وتاخذهم شدة ارهاقه . وجاشرت طائفة كبرى

الاستعمال

ب - ينبغي ان لا يعلم القواعد الرسمية في القسم الابتدائي من التعليم بل تكفي ونحن ندرس القراءة والمحفوظات ولا سيما مبادئ الانشاء بالملامحات الاسمية السانحة والمعلم اللبق في مقدوره ان ينفذ على تلاميذه فيضا من الفوائد العلمية التي ترسخ في اذهانهم دون ريب اذا تحدث اليهم داخل الصف وخارجه بلفظ صحيحة سهلة متعنة ، وفي وسعه ان يعطي النقاط العامة اللازمة الجوهرية من القواعد التي تعرض للطالب وهو يعالج القراءة والمحفوظات والانشاء . وتلقين النقط الصرفية والنحوية عند حاجة التلميذ اليها واستعمالها يتيح له الفرصة لتدويعها واستمرارها فتصبح قطعة من قلبه وفكره . وهذا ما تجري عليه الامم الراقية في تدريس قواعدهم ولا سيما الامة الانانية التي تعلم شطرا غير قليل من قواعدهم في تدريس الانشاء .

ج - ينبغي ان لا ندرس كل باب من ابواب علمي الصرف والنحو دفعة واحدة . ان في ذلك غنا وارهانا للطالب واخفاقا في نيل الفائدة المتوخاة يحسن جدا ان نعلم القواعد على مراحل لا نفل من اربع ، جعلين المرحلة الاخيرة تستوعب وتستوفي كل النقاط التي مرت بالطالب في مزيد من الاجاز . والتعليم على مراحل يمدى عند الغريبين اليوم التعليم بالدورات والسواد الاعظم منهم يتبعونه الان ويتفخرون به ، غير علمين ان ابن خلدون سبقهم الى ذلك مئات السنين وقد يكون خير كتاب من هذه الوجهة كتاب الشرتوني لا ما فيه من ماخذ من خطيبين الاولين طريقة السؤال والجواب . والثاني : التعليقات والحواشي التي ياتي بها لا يخرج معظمها من شواذ وشوارد .

وقد نحسن صفا اذا جعلنا كتابي « القواعد الوافية » و « النحو الواضح » المشتهر بامثله الفريزة والطريقة كاتهما كتاب واحد لتعليمهما معا .

كما ينبغي ان نيسر التحديدات ونوضح الموجزات في قواعدنا الى اقصى درجة ممكنة من التيسير . فهناك حدود تكاد تكون الغارا او شبه الغار وقد لعبت الفلسفة القديمة المثارة بالميتافيزيكية - ما وراء الطبيعة - دورا ظاهر المالم من هذه الجهة . ولست انكر انني لحد الان لا اقوى تماما على تفهم المراد بتعريف المصدر الاصلي الثلاثي بانه « اسم الحدث الجاري » . ومثله مئات من الحدود الفلسفية الموجزة مثل تعريف اسم الفاعل بانه « ما اشتق لما قام به الفعل على معنى الحدث » وتعريف المبتدأ بانه « الاسم المجرى من العوامل اللفظية للاسناد » والمفعول المطلق بانه « ما فعله الفاعل » والتمييز بانه « ما يبين ايهام ذات واجمال نسبة » الخ الخ .

كان الله في عون الطلبة ومعظم المعلمين على هذه التحديدات المقتضية والموجزات التي يفرها الفموض .

وهي العلماء المحققين في كل عصر بقلة جدواها وغناها ، وهي على ما هي عليه من اساليب التدريس ولم يتورعوا ان صرحوا : « ان القواعد انما تعلم كيفية العمل لا العمل نفسه » . وفي طليعة هؤلاء فيلسوف العرب الاجتماعي واحد عظمة مفكرهم واحد اثنين من مبتكرهم (الثاني ابو العلاء) . فلقد جاء في مقدمته العظيمة : « ان العلم بقواعد الاعراب انما هو علم بكيفية العمل ، لا العمل نفسه ، ولذلك نجد كثيرا من جهابذة النحاة والمهرة في صناعة العربية المحيطين بتلك القواعد اذا سئل في كتابة سطرين الى اخيه او ذي مودته او شكوى ظلامه او قصد من قصوده اخطا فيها عن الصواب واكثر من اللحن ولم يجد تأليف الكلام لذلك والعبارة عن المقصود على اساليب الكلام العربي . وكذا نجد كثيرا ممن يحسن الملكة ويجيد التفين من المنظوم والمنثور وهو لا يحسن الاعراب الفاعل من المفعول ولا المرفوع من المجرور ولا شيئا من قوانين صناعة العربية . فمن هذا تعلم ان تلك الملكة هي غير صناعة العربية وانها تستغني عنها بالجملة » . ولست ارى هنا معدى لي عن التحفظ والقول ان كلام مفكر العرب الاعظم قد لا ينطبق على النحو نفسه ، بل على الاسلوب الذي كان لا يزال يعلم بموجبه ، ولذا كان لازما علينا ان نعالج الاسلوب في دقة واجاز .

ثانيا - في اسلوب تعليم القواعد .

١ - من بنا اننا كنا ولا نزال نأخذ ونعلم اللغة من القواعد وهذا ضلال مبين . يعلم الله ان ابناني الاجاء في الكلية العربية وطلبة الكليات والمعاهد الثانوية بسواد مني عكس ذلك وهو اننا نأخذ القواعد من اللغة ونعلمها عشرات من المرات حتى لقد كان الملل يأخذهم . وانني لعل مثل اليقين من ان خير اسلوب لتعليم القواعد هو الاسلوب الاستقرائي الذي سار عليه واضعو علمي الصرف والنحو الغطاء . فان وضع القانون او الحكم الكلي لم يسبق لديهم ابدا تتبع الامور واستقراء جمل عديدة من كلام العرب واستنباط الحقيقة بل كان دائما يتبع الاستقراء فلم يضعوا قاعدة او حكما كليا الا بعد فحص جمل عديدة وموازنة النظائر فيها ومن ثم اعطاء الحكم الكلي او القانوني الصرفي والنحوي . وان اللوح الاسود ودفاتر التمرين كان لهما المنزلة العليا - واكاد اقول الوحيدة - عندي حينما كنت ادرس القواعد في الكلية العربية وحينما كنت اتولى تعدها في أثناء التفقيش .

ان ميزان العمل - البارومتر - في تدريس القواعد هو الناحية المكتوبة على دفاتر التمرين التي كنت اصبر في عناد ان يكتروا منه وان يوضع الملل او النقطة المطلوبة في جملة صحيحة طالت او قصرت . ان السنة الطبيعية هي ان يستخرج المجهول من المعلوم والصب من السهل والبعيد من القريب ولقد قيل : ان نصف المعرفة مع مضاعف الاستعمال خير من مضاعفة المعرفة مع نصف

ومما زاد هذه الموجزات القواعدية تعقيدا نظمها شعرا، فقد نظمها اكثر من واحد من بين القدامى من أشهرهم - ابن مالك - في الفيته ومن المحدثين في عصرنا - اليازجي - . وقد كان حظي من هذا الإيجاز والنظم ان استظهرت الفية ابن مالك كلها وارجوزة اليازجي كلها مع الشواهد الموجودة فيها .

ثالثا - وجوب اختصار كل باب من ابواب الصرف والنحو الى عشرة ، دون التعرض للاصول والجوهر مطلقا وحذف طائفة من ابواب كل منهما . اما الاختصار الى العشر فهو امكن من الممكن لان النقاط التي تختصر هي - من الشوارد والشواذ ، وليست من الاحكام الكلية الجوهرية .

واليك بضعة من الامثلة :

١ - مزيدات الافعال : الاكتفاء بالمعنى الواحد الاثر لكل مزيد من المزيدات العشرة التي تتراوح معاني كل منها بين اربعة وستة على الاقل ، والاستغناء عن مزيدات الرباعي بالكلية .

٢ - المصدر الاصلي الثلاثي : الاكتفاء بعشرة من اوزانه التي قد تبلغ الاربعين ولا ريب ان الشعراء على الغلب لمعوا دورا غير مشكور في ايساله الى هذا العدد مثلا اوصلوا الى العدد نفسه اوزان او صيغ الجموع المكسرة بغضل جهود اكثرهم غير اللهمة .

٣ - تنسيق المصادر الاربعة والصفات المشقة مع الفعل مع تناولها بشيء من التقليل .

٤ - اختصار الجموع المكسرة الى عشرة بدلا مما يقرب من الاربعين ، وافساح المجال للجمع المتكسر وموثنا بعد ازالة معظم الشروط او القيود الخاصة بكل منها .

٥ - ادماج باب الفاعل باب المبدأ وجعلها بابا واحدا يكون عنوانه « المسند والمسند اليه » في اصلاح اللبانيين او « الموضوع والمحول » في اصطلاح الناطقة ، او المتحدث عنه والمتحدث به .

وقد قدمت هذا الاقتراح الى لجنة التيسير التي يقها وزير التربية المصري بهي الدين بركات بعد ان طلب الي وانا في ادارة المعارف الفلسطينية ان اعلق التقرير الذي وضعته تلك اللجنة . كذلك ينبغي الاستغناء عن مسوغات الابتداء بالنكرة الكثيرة .

اما الحذف فينبغي ان يتناول بابي الادغام والاعلال والاكتفاء بتعليمهما عن طريق التصريف مع الضمائر والتصريف عن المزيدات شقويا وخطيا . وبذلك نضع زوبعة هذين البابين في فئجان .

ملاحظة - يوجد كتيب مفصل لكل هذه التصاريف في مطبعة دير اللاتين بالقدس في مدارسه . وقد اصابوا كل الاسابة .

وينبغي حذف الابواب الالية :

« التنازع » « الاستغال » « وموانع الصرف » « وما ولا الحجازيتين » . وشبيهه بالاختصار الاكتفاء بثلاثة الى خمسة اوجه - لحرف - حتى - الذي بلغت تجربانسه وانواعه ما يرو على العشرين ، حتى يتمالك الغراء ان قال : « اموت وفي قلبي شيء من حتى » .

وبا لينا لتكتفي بتعليم قانون فتح همزة ان الفلسفي وما عداه الكسر لها ولقد مات سيويه وبقي في قلبه من فتحها وكسرها اشياء . وتكتفي من - الفاء - بالعاطفية والسببية . وقد مات الكسائي وفي صدره حركات من شتى معانيها . ومن - الواو - بالعاطفية وقد مات اليزيدي وفي راسه صداد واي صداد من كثرة معانيها . وليست الاختصار يتناول حروف الجر ، والقسم والمطف ، والاستفهام والجواب والنفي والردع والاستفتاح ، والتنبيه والتحضير والشرط والتفصيل والمصدر والتفسير والمفاجأة والاستقبال والتوقع والامات وحروف الزيادة . ولا سيما - ما - التي تزداد بعد - ان - اذا - كيف - متى - اين - حيث - اي الشرطيات . وبعد غير بين رب - الحروف المشبهة بالفعل - عن - كي - دغ عنك - ما - الاسمية وشتى معانيها فلنساعدنا السماوات على - ملأ الحرفية والاسمية .

كلمة الختام : لست اجد لي متصرفا وقد كدت انتهي من القول عن ابداء ملاحظات ثلاث .

١ - من غريب امور هذه القواعد انها اصطلمت منذ ان وضعت ولا تغفل تصطدم بحقيقة خطيرة هي ان كثيرين من الكتاب والادباء والشعراء من العرب وغيرهم لان لهم عيبا لا يبرأ من قبحه ان يعلموا قاعدة واحدة . بل اقرب من ذلك ان الذين درسوها في المطويات بحذافيرها كانوا على الغلب يعملون بها اتقيادا لما تلهمهم اياه السليقة التي هذبها الطالعة والاستظهار وصقلها المران والمزاولة تحدثا وكتابة اكثر جدا مما يتقادون اليها بدهى من القواعد نفسها . وما ذلك الا لانهم تعلموا اللغة من اللغة بفضل الاستقراء واستخراج الحقائق من تتبع الامور وموازنة النظائر على ما مر بنا . واني اجتزى بثلاثة من القدامى والمحدثين من بين المثات من امثال هؤلاء وهم - سرى الرفاء - وقد ابدع في الشعر من زمن سيف الدولة وهو يرقو ويطرني فكانه والبارودي الذي دعى المتنبي ، واديب اسحق الذي مهدت كتاباته منها كتاب الدرر للثورة العربية .

وتراودني النفس ان اتبع هؤلاء الثلاثة المشهورين ثلاثة آخرين لا اشراكا لهؤلاء في شهرة اولئك ، بل تايدا للمبدأ الذي نحن نعالجه . اذكر رجلا جمعي به رحيلا عن الديار في فندق حجار في مدينة سوق الغرب اللبنانية وهو رشيد الحاج ابراهيم من اسرة عربية مرموقة بحيفا . حدثني الصديق - والحديث ذو شجون - انه تلقى العربية في مدرسة اجنبية في حيفا ، ولما دعنا الاحتلال البريطاني وملحقاته هب للكفاح ولكنه لم يبق على التعبير عما نسي

لا تجرح الازهار

لا تجرح الازهار
لا تنزع الازهار
لا تقذف النمار بالبحار
لا تلعن القيوم والامطار
عالمنا ، يبدونها بنهار
يصببه الدمار !
فهذه الازهار
تصنعها الازهار
وهذه الازهار والنمار
تصنعها الازهار والانهار
وهذه الازهار
ملائك صفاء
تحب ان تعيش قرب النهر والازهار
فهل ترى يا صاحبي
عالمنا ؟ في وضوح النهار !

حب صباح الدين كريد

كتب الإبراشي والكلياني ومن روايات زيدان ومن اشهر روايات شكسبير المنقولة الى العربية نقلا مشهورا . وقد انجذبتني الصحف الفلسطينية في حملاتي فسي سبيل المطالعة وليس بخاف ما ذكره طه حسين في احد مؤلفاته من ان الذي قوم السنة الطلاب الثانويين في مصر ليس القواعد بل الصحف . ويسعدني كثيرا ان ارى محطات الاذاعة العربية وسواها تدبج يوما واكثر من مرة اقوالا عربية قد تكون من اقوى العوامل لترقية اللغة .

٣ - التحدث باللغة الصحيحة في المدرسة . ان عددا غير قليل من المدرسين في المدارس الحكومية وغير الحكومية تتملكهم نزعة الى التحدث الى الطلبة باللغة غير اللغة التي يعلمونها ويدعون اليها . وهذا العمر الحق ظلم صارخ للغة والطلاب . لان الطالب يحكي استاذة البطل في عينيه ويقلده اكثر من الكتب والخطب وغيرها فما باله يعلم لغة ويتحدث بلغة اخرى .

طلب الاستاذ سليم كاتول في الكلية العربية حصة اخرى لموضوعه فالتفت الى الاخ الاستاذ احمد سامح الخالدي الفتاة كل معناها - ان اعطه انت ، فقلت ولما علم طلبة الصف المنتهي تثاروا كثيرا وعزموا على الاحتجاج واطاعتهم . فقلت لهم عهدا على اني ساقدم لهم خير تعويض لحصة الانشاء التي انتزعت منهم ، وذلك بحسب اعطيتهم شغفوا في كل اسبوع موضوعين في يوم الجمعة والاحد وكنا في الشهر الاخير نصطنع شبه - مدرسة المشايخ - فنسبر في ساحات الكلية الرحبة ونتجاذب اطراف الاحاديث ونثابرها في شتى المواضيع وبخاصة المواضيع الاصلية . وقد حاولنا ان نهدف الى البلاغة في التعبير الى اقصى الحدود ولم نعتصم حينانا من الحداقة والتنطس والتنطع وكانت النتيجة ان نجعل كل منهم في امتحان المترك الفلسطيني الصعب في الانشاء والتلخيص نجاحا باهرا حتى ان الاخ الاستاذ السكاكيني اخذ نسخة لما كتب البعض اكبارا واعجابا فحدث الاستاذ مع طلابه يصنعون المجزات القوية .

٤ - لا ريب ان العرب في مشرقهم ومغربهم من علماء وادباء ومن اعضاء المجامع اللغوية والعلمية ووزارات التربية اذا اهتموا بتقديم اقتراحات بناءة يتوسم فيها الخير الى حكوماتهم وجدتها ملبية لاقتراحاتهم كل التلبية ولنا من ذلك فائدتان : ان الفرصة تتاح الى ٩٠ بالمائة لابناء الشعب والعامة الذين قد يبرغ من بينهم نجم يتالق متفوقا على العلماء والائمة في تبسيط قواعد اللغة وكتابتها والانتقال بهامن مجد الى مجد بل قد يظهر منهم دانتى- اخر يتقدم الامة كلها ويقودها الى لغة عربية سهلة ممتعة مخدلة تنسج للادب والعلم الحديثين على مرور الايام وكرها .

حبيب الخوري

اريجا - الاردن

نفسه تحدثنا وكتابة ، فعمل بنصيحة من ذوي الاختصاص والتحقيق وطالع العشرات من الكتب مما هو جزل وحسن الديباجة وعليه الحركات الكافية فحدثت المعجزة وحصل لسانه وقلمه من العقال فخطب وكتب المئات من الخطب والمقالات دفاعا عن الوطن المهدد . وقد اوانني مقالة مطولة فرغ منها في الفندق فاعجبت بها ايما اعجاب .

وثمة شاب عصامي يبيع الكتب والصحف خارج باب العامود مباشرة تعلم خارج المقاطع من الاولاد وقناة حروف الهجاء وتركيب المقاطع والكلمات وتابع بنفسه جهوده حتى اصبح الان يتذوق الادب ويستمرئه ويكتب مقالات موجزة في بعض الصحف والمجلات وهو لم يدخل مدرسة ولم يسمع بالقواعد .

وابني الحبيب شكري خريج جامعة بيروت الاميركية طبع ثلاثة كتب متوسطة الحجم قبل وفاته تاليفا وترجمة . وهو لم يحب القواعد حتى ان اولي الامر في تلك الجامعة قالوا لي لا فائدة من الضغط عليه لتعلمها . على انه عاش بين الكتب وطالع المئات منها وكانت النتيجة ان كتب ايضا ما يربو على مئة وثمان وسبعين مقالة في مجلة « المياه الحية » التي كانت تصدر في القدس وهي تصدر الان بصيدا لرئيس مديرتها اليها . وليسامحتني القاريء اذا ذكرت ان له مقالة في « العلم والدين » جديرة بان تقرأ من على منابر المآب ودور الندوة وتتمنى الصحف ان تقسح لها المجال بين اعمدها .

٢ - ان من انجع مقومات السننات وتهذيب ملكاتنا المطالعة - وقد تشددت في امرها كثيرا في المدارس الحكومية وغير الحكومية . وكان التلاميذ والطلاب يطالعون في السنة المدرسية ما بين سبعة كتب الى سبعين من

تيمم :

اسمعت عريضة القوي
وشهدت مصرع من فسي
فسي كل رايبة دم
وبكل ركن كنت للاحزان
وبكل ربيع مسرح
كنا به المأساة وظلنا

وصوته اقنوعدا
دون الحمى مستهددا
يجري ويعصف مزيدا
تبر مشهدا
للظلم طال مشيدا
المسذاب ورددا

نايف :

او كنت تعجب من قوي
وجزت ان تلقى الضعيف
والحق لولا السيف لم
بالسيف كان الحق مرجوا
عجز الضعيف عن الصراع
ما صبح عرض فسي ولم
دون الحقوقي دم كمسوح

ان يصلو مريدا
على الفجار مشردا
بنفع لذي ظما صدى
يهيب ويقتدى
اذاقه نفس الردى
يقض الحياة منكدا
اليم يعصف مزيدا

تيمم :

ما كان اغنى الناس عن
يتقالبون على حفير
وترى الرجال يخمرة
حبوا السعادة بالفرادة
فاذا بهم يتخطون
شكادوا على شلو البريء
ولم يسلو للهو اسبابا
عمور السوء مرردة
والشر ميثقه افتتار
ما فر من زوع الفناء
لوانه زرع العويل

ظلم وعن سفك الدماء
ليس فيه من غناء
الاطماع تلطم بالدماء
تقتنى والاعتداء
يدامس دون اهتمام
قبايهم ملء الفناء
يدمع الايريا
يعزى لجهل او غباء
في الصدور السى ولاه
لظلمت انوار الفناء
وداح ينشئ للبقاء

نايف :

عجبا اترجو من رجيم
لا ترج يوما من فسي
قد يثمر الفصن المصوح
ولكم تفجر مفدفا
وترى الرجال تفسيق

ان يمد يد الاخفاء
خيلا على كسر البقاء
بالرعاية والولاء
حجر على طلل بماء
بالمروف صدرا عن اداء

(نلظر غادة وتتقدم من تيمم ونايف وهي تقول :)

ايس لليل فجر
الى م نخبط وجبه
وتقطع الممر سعيها
والناس مثل ذئاب
هم حلكوا واباحوا
خالوا الحروب سبيلا
والجد كان ذمما
حيث ابن آدم تلقى

وللشقاء نهاية
الشرى بغير هدايه
في حالك دون غايه
فراوة وعمايه
محرما لتكايه
لكل مجد وغايه
ولم يكن بغوايه
يطل طيف الجنايه

تيمم لها :

علام آيت والخطار
مناظر تستثير الدمع
جليل ان يساق
ويؤذى الحر في اوطانه

فاصرة باشداق
من كبد وامناق
مكيلا حر باوناق
من دون اشفاق

من مسرحية غادة

يسير الجيش اللافر في ساحة المدينة
بعرى عسكري . وف في احد
الزقة تيمم ونايف ، يتحدنان وينظران
الى جث القتلى على الارض .

عدنان مرد بك

دمشق



طبقة الفهماء

بقلم حسن الكرمي

من « العروة الوثقى » في لندن

في الغرب اعرىوا فيها عن بغضهم للعقل وعدم الإيمان به. ولكننا اذا اردنا ان نجعل مبدا لظهور حركة تحكيم العقل في الغرب فقد يكون من المقبول ان نجعل هذا المبدأ حول القرن الثاني عشر ، حينما قامت الحركة الاسمية Nominallism ضد الحركة الحقيقية Realism في فلسفة القرون الوسطى ، كما اشرنا الى ذلك من قبل . وقد يجوز ان تعتبر ان الشعور بوجود تعارض بين العقل والإيمان بدأ في ذلك القرن ، ثم اتخذ شكلا محددا في القرن الثاني عشر في اسبانيا على يد الفيلسوف العربي ابن رشد (١١٢٦ - ١١٩٨) . فقد كان هذا الفيلسوف يقول من جملة اقواله الفلسفية ان الشيء قد يكون صحيحا فلسفيا وان لم يكن صحيحا دينيا ، اي ان الحقيقة على نوعين : فلسفية ودينية. والفلسفة ارب الى الصحة ولا سيما في امور الدنيا. فالشيء يكون صحيحا وغير صحيح في وقت واحد. وقد احدثت هذه الفلسفة الرشدية اضطرابا عنيفا في الفكر ، ولا سيما بين رجال الدين الذين شعروا بخطر هذه البدعة اذا تركت تنتشر في اوروبا جميعها كما انتشرت في فرنسا وخصوصا في باريس . فانبرى لمناجزة الفلسفة الرشدية عدد من المفكرين دافعا عن الدين ، وكان في مقدمتهم توما الاكويني المشهور (١٢٢٤ - ١٢٧٤) وكتب كتابه المعروف باسم Summa Theologica او «مختصر علم اللاهوت» ، فلاحظ ان يقامد الفلسفة الرشدية راي انه لابد له من ايجاد فلسفة اخرى تناقضها ، فوضع تلك الفلسفة على اساس المنطق الارسطي. وكان قبل ذلك قد درس فلسفة ارسطو واستعان بعالم آخر هو البرانس ماكينس Albertus Magnus او البرت الكبير (١٢٠٦ - ١٢٨٠) في تنقيح مؤلفات ارسطو وتنقيتها مما قيل انه قد دخل عليها من التحريف على ايدي المترجمين العرب. وكان قد درس ايضا الفلسفة اليونانية القديمة والفلسفة اليهودية والعربية وغيرها من فلسفات رجال الدين الاولين في القرون الوسطى كفلسفة القديس اوغسطين (٣٥٤ - ٤٣٠) .

بدا توما الاكويني فلسفته الجديدة على اساسات جديدة . فاعتبر مثلا ان كل علم له غرضان : ١ - غرض مادي و ٢ - غرض شكلي. فالغرض الاول او المادي هو موضوع ذلك العلم ومادة البحث فيه ، والغرض الثاني او الشكلي هو الطريقة او الاسلوب لمعالجة موضوع ذلك العلم. فالفلسفة والاوهوت علمان متحdan في شيء واحد وهو انهما يبحثان في الله وفي الانسان وفي العالم . فهما من حيث الغرض المادي او موضوع البحث متفقان. ولكنهما يفترقان من حيث الغرض الشكلي او طريقة المعالجة لموضوع البحث ، لان علم اللاهوت يبحث في موضوعه مستنيرا بهدي كلام الله وابعائه ، في حين ان الفلسفة تبحث في موضوعها مستنيرة بالعقل المجرد البشري وحده. ولذلك فعلم الفلسفة وعلم اللاهوت علمان متميز أحدهما

عند الكلام عن تطور الفكر في الغرب قد يعود الباحث الى العصور الاغريقية وما تلاها من العصور الرومانية ، اذا اراد ان يعمق في تقصي حركة الفكر وتطوراتها واقتفائها الى مبادئها واصولها . ولكن كثيرا من الباحثين يرون ان الفكر في الغرب يبدأ في اصح حالاته من القرون الوسطى ، ولذلك فانهم يضعون اساس البحث تطور الفكرة الدينية اولا وتطور الفلسفة الدينية المعروفة بالفلسفة الكلامية او بالفلسفة المدرسية Scholasticism كما يحب البعض ان يسميها ، ويتدرجون من عصور الإيمان هذه في القرون الوسطى الى عصر النهضة ثم الى عصر العقل والى عصر النور الفكري وبعده الى عصر الفلسفات المثالية واخيرا الى عصرنا الحاضر المعروف بعصر التحليل الفلسفي . وبلاحظ من هذا التقسيم للادوار المختلفة التي من بها الفكر الغربي ان في الامر عاملين مهمين كانا محور التطور ومدار الصراع الفكري كله ، وهما : ١ - الدين و ٢ - العقل . ففي القرون الوسطى المعروفة من الناحية الفكرية بقرون الإيمان كان السلطان الديني فوق سلطان العقل . وكان العقل ، حتى ولو عن طريق المنطق الارسطي ، لا يجري الا الى مدى محدود كان يقف عنده ، وذلك حينما يخشى من تعارض العقل مع الكلام المقدس او مع السلطة الدينية القائمة. فالتقليد او السلطان الديني كان له القول الفصل ، ولم يكن للعقل حكم مع وجود هذا السلطان . وكان الانسان يصدق بالاشياء عن طريق الإيمان الذي كان يقرب من إيمان المجازي. وأذكر مثالا على ذلك ان احد الروافضين من رجال الدين كان يعظ جماعة من الناس فقال لهم : ان الله خلق الملائكة ، وجعل كل ملك منها اصغر من النحلة واكبر من (الدبور) . فاعترض على هذا القول احد الحاضرين قائلا ان هذا غير معقول ، وان الملك يجب ان يكون اكبر من النحلة واصغر من الدبور ، اي بينهما . فما كان من الواعظ الا ان انتهره وقال : انت تنكر قدرة الله ؟ ولم يقتصر هذا على الشرق دون الغرب او الغرب دون الشرق .

هذا الخلاف بين السلطان الديني وسلطان العقل الذي اوجد الحركة الفكرية المعروفة بحركة تحكيم العقل Rationalism وحركة الفكر التحرر . وهو خلاف قديم جدا لا يمكن ان يضع الانسان لبدئه حدا ولا لمنتهاه . وقد اوردنا في مقال سابق اقوالا لعدد من كبار رجال الدين

عن الآخر ، ومجال البحث في كل منهما يعينه الفرض الشكلي أو طريقة البحث ، والفلسفة تخدم علم اللاهوت في أنها تساعد عالم اللاهوت على استنتاج النتائج العلمية من قواعد الإيمان ، وعلم اللاهوت يخدم الفلسفة في أنه يساعد الفيلسوف على أن يبتدي بنور الإيمان ويسلك الطريق السوي في إبحائه وفي معرفة محدودياته الفكرية . وبما أن الفلسفة واللاهوت علمان فإن المعتقدات فيهما صحيحة ، ولا يمكن أن يكون تناقض بين شئيين صحيحين . والحقائق اللاهوتية أثبت في الصحة من الحقائق الفلسفية ، لأن الحقائق اللاهوتية تركز على أساسين من الصحة وهما اليقين الإيماني واليقين العقلي . ولذلك فإن العلم اللاهوتي اسمى طبيعة ومقاما من العلم الفلسفي . وعلم اللاهوت هو ملك العلوم لأن الفرض منه مقدس سماوي . والفلسفة هي ملكة العلوم البشرية التي هي دون علم اللاهوت . ويمكن أن يقال للفلسفة أنها «خادمة علم اللاهوت» بسبب انحطاط مقامها ، ولكن علم اللاهوت لا يميل شيئا من الحقائق على الفلسفة ، وإنما ينير لها السبيل حتى تصل إلى غرضها بالبحث العقلي الرشيد .

هذا العرض الموجز لفلسفة توما الاكوييني من حيث الفلسفة والدين يوضح لنا أن الفلسفة في رأيه تختلف عن اللاهوت كما يختلف اللاهوت عن الفلسفة . ولكن اللاهوت لما كان مستندا على الكلام الرباني ، وهو كلام لا يأتيه الباطل في وجه من الوجه ، فإنه أقوى سلطانا وأثبت حكما من الفلسفة ، فيجب أن تكون الفلسفة تحت سلطة علم اللاهوت على العكس من رأي الفيلسوف العربي ابن رشد . ويظهر أيضا من كلامه أن العقل البشري هو بغير الله باهنا علينا لا يمكن أن يخدعنا إذا سرنا خلفه على الوجه الصحيح . وإذا استعملنا العقل وتوصلنا بهذا الاستعمال إلى نتيجة تتنافى مع الحقائق السماوية فإن الخطأ في ذلك ناشئ عن أسلوب التفكير وطريقته .

وأساس هذا الموقف أو الاتجاه التفكيرى لدى توما الاكوييني ومن اتبع سبيله هو الاعتقاد الدينى المتسم من الديانة اليهودية أو من الديانات السماوية عموما وهو أن الله لم يخلق هذا العالم عبثا وأنه سبحانه وتعالى خلق السموات والأرض والاكوان بما فيها من بشر وحيوان ونبات وجماد لغرض ولقصد وعن تصميم وتقدير . ثم إن الله كشف عن أسرار هذا الخلق وحقائقه إلى شعوب مختارة عن طريق الأنبياء والرسل أو عن طريق مباشر كطريق السيد المسيح بشخصه . هذا الاعتقاد يؤدي بنا إلى نتيجة منطقية تنجم عنه وهي أن الكتب السماوية تحتوي على الحقائق القديمة الإلهية ، وهي حقائق اسمى وأثبت من الحقائق الدنيوية التي يستعان في اكتشافها بالعقل البشري . ولا يمكن أن يكون العقل البشري أصح وأقرب إلى الحقيقة المطلقة من الإيمان ، ولا يمكن أن تكون الحقائق القديمة المنزلة في الكتب السماوية خاطئة أو

باطلة في وجه من الوجوه . وإذا لم يقبل العقل البشري بهذه الحقائق المنزهة عن الخطأ فالعيب لا يكون إلا في العقل البشري . والخطوة التالية بعد ذلك هي أن الكنيسة في القرون الوسطى أصبحت هي الحامية لهذه الحقائق من عبث العابثين والمفسر أو الشارح الوحيد لمعاني هذه الحقائق التي يجب أن لا يترك شرحها أو تفسيرها إلى أناس ليس لهم الإيمان الصحيح ، لأن الإيمان الصحيح كما يقول توما الاكوييني ، هو الهادي إلى سواء السبيل والمقوم لأعوجاج الفكر البشري وخطائه . ومن هنا أصبح للكنيسة الحق في أن تقي الحقائق القدسية من إخطاء العقل البشري التي قد يقع فيها إذا استعمل هذا العقل خارج نطاق الإيمان الصادق . ويلزم من ذلك أن العقل البشري يجب كبوجه وردعه إذا شذ عن الطريق القويم ، ولا سيما إذا استعمل الاستنتاج deduction بدلا من الاستقراء induction . ومعنى الاستنتاج هو التفكير من المبادئ الأساسية إلى النتائج الفرعية ، في حين أن الاستقراء هو الوصول إلى المبادئ العامة عن طريق الجزئيات ، كما هي الحال في الطريقة العلمية الحديثة .

وعلى كل فإن هذا الفعل بين الإيمان والعقل كان بنفسه عاملا على اقتراب مركز العقل ونهت الناس إلى وجود شيء آخر خلاف النقل والتقليد ، وفتح الباب أمام النزاع المبرر بين جماعة المنقول وجماعة المعقول ، كما حدث من قبل بين المسلمين على أثر ظهور المعتزلة الذين هم يمثلون التفكير الحر في الإسلام . ولكن هذا النزاع ، في رأي كثير من المؤرخين ، يرجع في ظهوره في أوروبا إلى عاملين من بعينين : وهما ١ - المدينة العربية في اسبانيا و ٢ - الحروب الصليبية . فإن الاتصال الفكري بين الأوروبيين والعرب عن طريق اسبانيا وصقلية أولا ثم عن طريق الحروب الصليبية ثانيا أفتح الكثيرين في أوروبا بآن الدين غير مقصور على أمة دون أخرى وبأن في العالم خارج أوروبا شعوبا أرقى من درجات المذتهنين الأوروبيين أنفسهم . فالتحرر الفكري بين العرب سبق التحرر الفكري عند الأوروبيين بأكثر من أربعة قرون . والنهضة الأوروبية المعروفة كانت ، على رأي بعض المؤرخين ، نتيجة مباشرة لاحتكاك الأوروبيين بالعرب . وقد حملت الأفكار التحررية الجديدة كثيرا من رجال الدين وغيرهم في أوروبا على السعي لإيجاد مخرج من مأزق التعارض بين المنقول والمعقول . فهدا يوحنا الايثوسى حتى في القرن التاسع كان يحاول التوفيق بين العقل والإيمان بقوله أنهما مهما تعارضا فإنهما ناحيتان من حقيقة واحدة وأن الحقيقة نور بالوان مختلفة ، تظهر ألوانها على هذا الاختلاف في عين الإنسان فقط وإنما هي نور واحد . ومع ذلك فإن هذه الفكرة لم تكتسب مدى استحسان لدى السلطات الدينية . وقد أسلفنا ما فيه الكفاية عن فلسفة توما الاكوييني في هذا الباب ، وهي الفلسفة التي كان الفرض منها ، كما

قلنا ، دحض فلسفة إبسن رشد وحماية الدين في أوروبا من تأثيرها .

ويذكر كولتن Coulton في كتابه عن مشاهد في القرون الوسطى أن أحد الرهبان الذين كانوا في عكا في الحروب الصليبية رأى امرأة عجوزا تحمل مجمر نار أو كانون نار في يدها اليمنى وقادورة من الماء في يدها اليسرى وهي تقول أنها تريد أن تحرق الجنة بذلك الكانون وأن تطفىء نار جهنم بقادورة الماء . ويعلق كولتن على هذه القصة بقوله أنها تدنينا كثيرا من الفلسفة الشرقية (أي العربية) وتذكرنا بما كان للحروب الصليبية من تأثير في إثارة روح التحرر الفكري في أوروبا . ويقول أن الأوروبيين رأوا بأعينهم أن العرب كانوا يتحلون بصفات فاخرة ، وأن هذه الصفات يمكن أن توجد عند شعب بدني بدني يختلف عن دين الأوروبيين . ولكلمات العجوز في القصة الأنفة المذكورة شبيهة من حيث الروح بآراء الفيلسوف العربي ابن رشد في هذا الشأن . فقد كان هذا الفيلسوف ضعيف الإيمان بفكرة الجنة في الآخرة وفكرة العيش في ظل الفضيلة والتقوى انتظارا للسعادة في الآخرة ، لأن الفضيلة في رأيه لا معنى لها إذا كان الإنسان ينتظر الجزاء والمكافأة على فضيلته هذه . ومن آرائه الفلسفية المهمة التي أدت هي وغيرها إلى النعمة عليه وعزله من منصب القضاء قوله ١ - بوجود حقيقتين حقيقة دينية وحقيقة عقلية أو فلسفية ، و ٢ - قوله بأن العالم يسير سيرا ميكانيكيا ولا حاجة لوجود الله يسيره ٣ - قوله بعدم وجود الأرواح الفردية وبعدم خلود الروح ٤ - قوله بأن المادة أزلية خالدة ، فلا وجود لشيء يقال له الخلق ولا لشيء يقال له فناء . فالأقوال هذه تتعارض مع الإسلام أولا ومع المسيحية ثانيا . وقد انتشرت هذه الأقوال في أوروبا ، ولا سيما في باريس لقربها من إسبانيا وحدثت انشقاقا خطيرا في الأفكار الدينية ، مما حمل الكثيرين على التصدي لقواومتها . ومن هؤلاء ، عدا توما الأكويني الكبير ، رجل عظيم من رجال الدين وهو اسقف باريس في سنة ١٢٤٠ . فقد خصص هذا الاسقف معظم كتاباته للرد على الفلسفة الرشدية ، وشكا من أن الكثيرين ممن المتفنيين يتلقفون أفكار هذا الفيلسوف العربي ويقتولونها من غير تثبت أو تحقيق . وقد لجأ معظم هؤلاء المتفنيين ، كما قال توما الأكويني ، إلى التستر في احتشاق الفلسفة الرشدية خوفا من غضب رجال الدين ومحاكم التفتيش ، وتدرع هؤلاء ، ومنهم أساتذة في جامعة باريس ، بفكرة ابن رشد الفلسفية عن أن الشيء قد يكون صحيحا من وجهة الفلسفة وإن كان باطلا في رأي علماء الدين ، أو قد يكون باطلا من وجهة الفلسفة وإن كان صحيحا في رأي علماء الدين . ومعنى هذا التدرع الخفي الذي يتم عن تشكك لم يظهر في أجلى مظاهره في أوروبا إلا في القرن الثامن عشر هو أن الفلسفة لها الحق في أن تصل إلى نتائجها

بحرية وبدون تقييد ديني وبدون تدخل من السلطات الدينية أو علماء اللاهوت . وانتشرت فلسفة ابن رشد في غير فرنسا ، ووصلت إلى جامعة بادوا في إيطاليا وأصبحت هذه الجامعة مقلا لهذه الفلسفة . وقد شكا الشاعر الإيطالي دانتي (١٢٦٥ - ١٣٢١) من الذين يتكبرون خلود الروح وخصص لهم دائرة بكاملها في جهنم . وشكا الشاعر الإيطالي الآخر بترارك Petrarch (١٣٠٤ - ١٣٧٤) من كثرة وجود الجاحدين للإلحاد الدينية . وقد بلغ من انتشار الآراء الرشدية ، ومنها إنكار خلود الروح ، أن البابا ليون العاشر بحث في مجلسه خلود الروح . وظل هذا الانتشار مستمرا حتى كان من أكبر العوامل على نشر مبدأ الجحود والتشكك في الفكر الغربي وبعث حركة التحرر الفكري . وكتب الكاتب الفرنسي المشهور أرنست رينان Renan (١٨٢٣ - ١٨٩٢) كتابه عن فلسفة ابن رشد ، وشكا فيه من أن ابن رشد كان يعرف في خارج بلاده أكثر مما كان يعرف في داخلها . وقال عنه بعد النعمة عليه واضطهاده أن الفلسفة لا تعيش مع التعصب حينما يخاف الحكام نعمة رجال الدين وغضبهم ، فقد أحرقت كتب ابن رشد ، ونفيت آثار فلسفته في مهبدة ، ولم يبق إلا العالم المسيحي يذكر أنه كان للمسلمين مفكرون وعلماء . ثم قال رينان أن الفلسفة العربية تعطي مثالا لا يكاد يوجد له نظير على ثقافة سامية جدا قد أحقت حال ظهورها تقريبا ولم تترك أي أثر لها ، حتى أنها توسيت جميعها تقريبا بين طهران الآلة التي ولدتها . وهذا القول من كاتب فرنسي في القرن التاسع عشر يجد أن يكون تقريبا للمفكرين العرب في العصر الحاضر على أعمالهم للثقافة العربية ، وتنبه عن احتمال الشاق في سبيل البحث والتفتيش عن آثار المدنية العربية وتراثها سواء في الشرق أو في الغرب . ولم أجد إلى الآن باحثا عربيا يسعى لحياء الأفكار الثقافية العربية أو الإسلامية أو يسعى مثلا لمعرفة تأثير العرب في النهضة الأوروبية بعد القرن الثاني عشر أو لمعرفة تأثير الشعر العربي في الشعر الفرنسي القديم وفي قيام جماعات التروبادور Troubadours أو الجونكلير Jongleurs أو التروفرير Trouveurs وغيرهم أو تأثير الشعر العربي في الشعر الإيطالي القديم أو في قيام شعراء البلاط في أوروبا . وتوجد أيضا ميادين للبحث عديدة للعرب فضل فيها ، كالفروسية مثلا ، تنتظر هم المفكرين العرب للكشف عنها ، بدون الاعتماد فقط على جهود المستشرقين وحدهم الذين لم تكن نية جميعهم خالصة في خدمة المدنية العربية . ومما أذكره في هذا الباب دليلا على الحق ضد المدنية العربية في أواخر القرون الوسطى وأوائل القرون الحديثة أن جماعة السوربون في باريس أرادت أن تتحقق من النهضة الأوروبية هل كانت عن طريق الكتب العربية الناقلة للمدنية الاغريقية والترجمة إلى اللغة اللاتينية أم عن طريق الترجمات

سقا لب

يا لعنة الإرهاق والقلق !
كاسي ، بلا اسف ، بلا حق
راد الضحى ، او حمرة الشفق
عريان من الم ومن رهق
نوم البري بلا خوف ولا ارق !
حب تهاوى كافر الرسق
ان تقربي للقاء تحترقي !
للحب توفك نائم الشيق !
زرقاء يحجب ظهها افقي
ويكاد يقطع حدها عنقي !!
يا نار حرمانى .. وبسا عرفي
جوفاء ، من طين ومن ورق !

حسين جليل

لا تشمتي بي ، يا ابنة الفسق
فاننا ، بلا حب ، اعيش على
انفس الدنيا ، واسبح في
واسير ، والافكار مله بيدي
وانام لا طيف ولا شبح
.... لا تحسبيني قد حزنتم على
فتنكبي عن مارد غصيب
... اني كبرت بكل اغنية
سخنا لحب . كان مقصلا
قد لوئت قلبي بظلمتها ...
لا تشمتي بي ، يا ابنة الفسق
جبل اتا ، هيهات نصرعي

بغداد

في الحب

نعائمه في قرب ، ونصلاه في بعد
مللا ، ولكن كيف والصبر لا يجدي
فلم يفتزع غير المدامع والسهد
وترجع منها بالازاهر والودود
فابنا بلوغ النحل ، لا قطع الشهد
خلاف الذي شناه في الحب من بعد
اعود بما اتقيته من سائق الود
بلغ الطريق يستضيئ سبيل من بعد
اعساني من الايام والزمن النكد
يقيدني ياسي ، وبطعنني وجدي

عبد النعم عواد يوسف

ففي الحب ان نشقى بما اشتد من وجد
ولو كان يجدي الصبر كنت انخدله
حبنا لديكم ما يطيب للنامي
وقلنا : رياض المشق نجني طفولها
اردنا اجتناء الشهد من حيث يجني
اردنا ، ولكن الماوير قد وات
لصدعت حبنا بالامامي ، علي
ولفت : ادبم الطرق على الذي بعدنا
وهاتذا واليباب ما زال موصدا
واشرب ايامي عذابا ولوعة

شبين القناطر - ج . ع . م

التقاليد الاوروبية القوية ان تكون متفوقة هذا التفوق ؟
ويجب ان لا ننسى كيف ان المؤرخين الاوروبيين اتركروا
ان يكون للعرب مدنية علمية في الرياضيات والكيمياء
والعلوم الاخرى . وعلى رأس هؤلاء المؤرخ الاتاري بتري
Petrie . وكنت في المدة الاخيرة اقرا تاريخ البابوية
لمؤلفه رانك Ranke الالماني ، فقال ان العرب درسوا
الفلسفة وكتبوا فيها ولكنهم لما ترجموا كتب اليونان
شوهوا الترجمة وادخلوا فيها آراءهم حتى افسدوها ،
وكذلك فعلوا بالفلك فقد جعلوه اقرب الى التنجيم وجعلوا
الطب اقرب الى الشعوذة - الى غير ذلك من مثل هذا
الكلام الساقط .

حسن الكرمي

لندن

اللاتينية عن اليونانية رأسا . وخصصت الجامعة لجنة من
الباحثين لهذا المشروع ، فشرعوا فيه ولكن مؤلف الكتاب
الذي اتقل عنه هذا الخبر لم يقف على النتيجة . ويجب
ان نذكر في هذه المناسبة ان المؤرخين الاوروبيين ظلوا
متمسكين بفكرة مفادها ان النهضة في أوروبا كانت بفضل
علماء القسطنطينية الذين فروا في القرن الخامس عشر
من الاتراك وحملوا معهم العلوم اليونانية ونشروها في
أوروبا ، الى ان ثبت لدى المؤرخين عدم صدق هذه الرواية
وصححو ذلك بقولهم ان النهضة الاوروبية مدنية للعرب .
ولا يخفى ان الغاية من طمس الحقائق واطهارها في غير
مقالتها هي الحط من قيمة المدنية العربية ومن فضلها على
المدنية الغربية ، اذ كيف يمكن لمدنية غير مبنية على



محمد رجب البيومي

محمد توفيق البكري نأراً

بقلم محمد رجب البيومي

نال الكاتب المعروف الاستاذ محمد رجب البيومي جائزة المجمع القوي بمصر هذا العام عن دراسته القيمة لحياتة السيد توفيق البكري وأدبه، وبسرنا أن ننشر اليوم حديث الكاتب عن نثر السيد توفيق في عديد من متواليين راجين أن ننشر بعد ذلك حديثه عن شعر السيد .

كان حفتي ناصف ومحمد الموليحي وتوفيق البكري تظهر ادياب الشعر المتطور في اواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن ! ولكل طريفته ومنحاه. فحفتي ناصف يقصر نثره الفني على الرسالة وحدها ، وهو فيها، سلس العبارة حلو الفكاهة ، ذو تنظيم بارع للاسجاع والفواصل ، يصدر عن نفسه في اكثر معانيه وخواطره فهو يتحسس عواطفه نحو صاحبه ، ويرصد حلاته ومشاعره ، ثم يختار الفاظ رسالته اختيار الشاعر الحرص على نصوص العبارة ، وحلاوة الجرس ، وطرافة التاترة ، فاذا قرأناها بعدد شاهدت روحا لطيفا يتحدث ، ورواء ايقظ ، وجرسا رخيما يرن ولك ان تقرأ شاهد ذلك مما تختاره من بعض رسالته ، وان كنا نعلم ان الحكم الدقيق على أسلوب ادب أو شاعر لا يكون باختيار شاهد واحد أو شاهدين من إنتاجه فلا بد من دراسة مستوعبة لما تعلمه من آثاره ، ولكننا في هذا المنصب الضيق من المقال ، نختار من آثار الاديب ما يقرب طابعه العام بعض الترتيب ، وذلك على قصوره اولى من ارسال الاحكام دون استنهاد ! على أنه يترك للقاسم الدارس مجال البحث والمقارنة ، يصل الى نتائج متفقة أو معارضة ، وذلك كسب للادب ينتج ما نسطر اليه من الاستشهاد الجزئي بحيث يضيف اللاحق الى السابق حلقة جديدة في سلسلة الدراسات الادبية وهي سلسلة موقلة لا تنتهي الى زمان ، قال حفتي في الرسالة البكرية : «

« زرت السيد ويعلم الله ان شوفي لقاته كحرمي على بقلته ، وكلتي بشوده ، كشغفي بوجوده ، فقد بعد والله عهد الخلاق ، وطال امد الفراخ ، ونصرم الزمان ، وانا من رؤيته في حرمان ، فسالت عنه فقتل لي انه خرج لتشيع زائر ، وهو عما قريب حافر. فانظرت

رجوعه ، وترقيت طلوعه ، ولم ازل اعد اللطحات ، واستطيل الاوقات ، حتى نغمت الانوار ، وارنج صحن الدار ، وظهر الاستبشار على وجوه الزوار ، وجاء السيد في موكبه ، وجلالة محتده ومنصبه ، فقمنا باستقباله ، وهينما بكماه ، ففر يتعرف وجوه القوم حتى حازاني ، وكبر على عينه ان تراني ، فنادني ومن على يساري ، واخذ في السلام على جاري ، وجر السلام الكلام ، وتكرر التقود والقيام ، وانا في هذه الحال ، اوهم جاري اني في داره ، واظهر للناس ان شدة الالة تسقط الكلفة ، من السيد بعد ذلك من امامي ثلاث مرات ، ومسن القرب انه لم يستدرك ما فات» .

فهذه خواطر صادقة لصديق عائب ، وصاحب غائب ، تسرأت في سلامة شفاقة وجرس مطبوع ، فصادفت قبول القارئ واستماعها لانها ترجمة انيقة عن احساس صدوق !!

اما الموليحي فلم يقتصر في نثره الفني على الرسالة بل تعداها الى النقص بمدلولها الساذج قووف ووصف ، وحلل وعلل ، وواوخص واستطرذ ، وغاص في القاع نارة ، وطفا على العباب تارات ، وهو في بعض احواله يرصد الهامسة الدقيقة ، ويصف اللمعة الطائفة ، ولكنه يطلق كثيرا حين يرسم المثلوث الحسوس ، ويصف بعض الشيء حين يلج الحوائل والسدود ، على ساحة في اللفظ ، ونعومة في الابعاق ، ولك ان تقرأ شاهد ذلك من فوله في وصف الحكمة الاخلاقية ص ٢٧ . « ولا حل يوم الجلسة راقت الياسا الى الحكمة ، فوجدنا في ساحتها القوما ذوي وجوه مكفهرة ، والوان مفعرة ، وانفاس مقطوعة ، واكفا مرفوعة ، وشاهدنا باظلا يندع ، وحفا ينكر ، وشاكبا يتعد ، وجانيا تلود ، وشاهدنا يتزدد ، وجنديا يتهد ، وحاجبا يستبد ، ومخامبا يستمد ، واما نتوح ، وظلا يصبح ، وفنات تلفف ، وشيخا يناف ، وسيمنا الفلانا متنافسة ، والوقلا متنافرة ، وربنا الحاميين عن الخصمين ، يشد كل منهما لسانه ، ويقدح جئانه ، استعدادا للزوال ، في ميادين القتال ، وناهيا للدفاع في مواقف النزاع ، ليخرج كلاهما منفتح البراءة في الحكم ، ورفع التهمة والجرم ، فازويت بصاحبي ، ومخامبا بجاني ، يذكر لنا احوالا مريية ، ومسائل فريية ، وظروفا وأحوالا ، وتكروحا واوقالا ، ثم يتصفح محاضرة ، ويغلب دفاثه ، ويقسم لنا بويكد الايمان ، ان الياسا من نهمته في امان ، وانا اوجب صاحبي عن كل سؤال بما تقتضيه الحال ، ولا سألني عن هذه اللحمة قلت هي الحكمة » .

وهكذا ترى ناصفا والموليحي - على اختلافهما في معدن الروح الفني - يرسلان نثرهما في غير تكلل متقل بالصنعة ، حافل بالقرىب مباح بسعة الاطلاع على امثال العرب وسواثرهم الشاردة ، ان السيد توفيق البكري فقد حان هنا موعد الحديث عن نثره الجليل . يقول السيد في مقدمة صهاريج اللؤلؤ « اما بعد فهذه كلمات من النثر وابيات من الشعر فسمتها نخباً من الحكم ، وافاقول من جوامع الكلم ، وذكرى من مفرقة الاخبار ونعوما لبعض الاناسي والانسار ، ومثلات في المواقف والاعتبار ، وشعثمتها بانظار الجهادية المتقدمين ، والحكام المتأخرين كما تستمع الراح بكتبان البلاط فيجابت بجماله من البلاغة في القرار المكين والركن الركين ، وقد التزمت في اكثر عبارتها فصيح الججاج ، ولسان رؤبة بن العجاج ، وانا اعلم ان من الادباء من ينفر من الحكم ، ولا ينفر من الدخيل ، لاستيلاء العمية على هذا الجيل فلم ينتهي ذلك عن ان ادوع كلام الاعراب بهذا الكتاب ، واحدو في اثر تلك الافراق ، بما في هذه الاوراق » .

وهذا القول يحدد الانموذج الفني للكتابة الادبية في رأي السيد ، كما اوضحه في مقدمة كتابه ان اكتمل هذا الانموذج باعتباره العريق يجعل الاسلوب الادبي من البلاغة في القرار المكين والركن الركين ، وطبيعي ان كل ما خالف هذا الانموذج من القول ، لا يوصف في رأي السيد بالبالغة الاصيلية المكنة ، وقد كان الرجل مخلصا في فوله ، اذ

وحر وولدان ، فإذا أتم حديثه تطرق الى وصف مرفص راه في (فيتا) فما ترقى معنى يلم بالطاهر دون ان يسطره موسى البراق من الخيال والرائع من الصور ، وقد اسهب على غير عادته ، ثم انتقل الى صلاح الدين فتحدث عن حديث المسلم العربي المتزجج يحيى العروبية وقاهر الصليبيين ، وشاء ان يعود الى منازل البهجة بوصف غائبة بولونيا بباريس ، وصور مشاهداته الرائعة في شتى اوقات الليل والنهار ، وتطرق الى حديقة الحيوان بها فتحدث عن الاسد والفيل والفهد والظلي والثافة وحمار الوحش ، وختم الصهاير بالحديث عن مولود نبأ له بالذكاء والاعم والمستقبل الرائع ، وتخليقه في غدة جليل الخطر عظيم الهابة ذا منزلة بين القصر والصويق ! واستشهد بروائع الشعر ومثلات التاريخ !

ذلك كل ما جاء في صهاير اللؤلؤ خاصا بالشعر المثور ! وإذا اردنا ان نحدد سماته الفنية فلا يسعنا الا ان نتمهل قليلا عند كل عنصر من عناصر أسلوبه ، لينحصر الرأي في مجال محدد دون اسراف يتزع بنا الى الشطط والجووح .

المعاني : نعرف جيدا ان الاديب ابن زمانه ، وريبت بهتته ، وليس من طابع الاشياء ان نطالبه بما لا تقتضيه عادة الزمن وسعة الحياة ، وقد كان الاديب الجيد في زمان الكبري يتجه الى المحاكاة المتقنة للشعر السابقين من امة النثر والشعر ، ففضل البارودي في تجديده الشعري يكتفي في محاكاته الدقيقة لاساليب الفحول من فرسان العصر العباسي ، والارتفاع بالشعر عن نهات النظم الجديسي ، وفضل مدرسة عبدالله فكري يكتفي من تزججه عن عيث المتأخرين من ليسر الاطلاق لمعانيه حيث تقع قولها من السجع المتكلف او الجناس الثقيل او التورية الباردة الى محاكاة امة النثر الفني في القرن الرابع ، حيث ينقل الكاتب عن صدره في رداء اتيق يتسم بالجودة والاصالة لا بالتكلف والاستعارة ، وإذا كانت هذه المحاكاة المتقنة من ابرز اهداف الكاتب ، فإلا اجتهد لا تنتظر منه كثير من الاحوال معاني طرفية او افكارا جديدة ، ولذلك نجد معاني السابقين مسطورة منققة في رداء متناسق منفس !

نظري : ان السيد البكري كان احرص زملائه على التمسك بمعاني من يحاكمهم من العلماء ، فبل الفكرة نقد الى ذلك حين نطالعه ، مألوفة معروفة ، وكأنك ترى اناسا تعرفهم بأسمائهم وصفاتهم ، فإذا عزك ان تعرف اسما لاحد هؤلاء الناس فإلا تذكر ملامحه ، وتسال نفسك ان أي زمان ومكان قابلت هذا الرجل وما تزال تذكر حتى تهدي الى ما تريد ، اذا ان مسألة البلاغة الكتابية في رايه مسألة تعبيرات جيدة ، وتنشيطات رائعة ، والافتخار بالخوف المستوجب من آثار السابقين !! وإذا كنا نقدر جهد البارودي في محاكاته الشعرية ، فنحن نقدر جهد مدرسة عبدالله فكري في محاكاته الادبية ، مع اعترافنا بأن السيد البكري افرق ادبائها في هذه المحاكاة ! وإخالفه قد فهم ما يتقال عن الاقتباس والتصنيف والعقد والخل على غير وجهه الصحيح لسدى البدوين اذ ان ذلك يما لحا بسيرة في الكلام ينظر به ، اما ان يكون أكثر الاسلوب اقتباسا فهذا ما تختلف الانظار في تقديره !

وقد قال السيد في مقدمة الصهاير ان شعث أسلوبه بانظار الجاهلية التقديمين والكماء المتأخرين كما تشعشع اشراج شبان البطح فجات بجمدالله من البلاغة في القرار المكين والركن الركين ، وهو بذلك يقرر ان البلاغة المكتبة تكون مزجج كلام غيره بكلامه كما تميزج السراج بالماء !!

ونافذ السيد من الادباء يقفون من هذا الاقتباس مواقف مختلفة ، فجورجي زيدان يقول في تزيك الصهاير بمجلة الهلال ١٢ مارس عام ١٩٠٧ :
ليخ ليتا ونحن نطالع منثورده اننا نطالع شعرا نثره بلفساء الجاهلية او صدر الاسلام على اسلوب وصفي لا نعرف احدا جاء بمثيله

ان قارنه الفاحص يجده يصدر عن هذا الرأي في نثره الفني ، لا يجده عن ولا يستداه ، فإذا ارد ان يصف مدينة ، او رجلا او منظرا طبيعيا فلن يتقيد بالسجع او التشبيه وحدهما كما نرى من الموليحي وانصاف بل يضيف اليهما الاقتباس المستطرد من آثار السابقين ، ليدل به على كثرة محفوظه وسعة اطلاعه مضافا الى ذلك الغريب العويص من الفاظ الفقه ، حيث لا يكون الاديب ادبيا في رايه الا اذا التزم فصيح الحجاج ولسان رؤية بن العجاج! وكأنه فهم ان الاقتباس الطويل في الاثاع الى حوادث التاريخ وامثال العرب ، والاشارة الى علماء الرجال وكبار الواقع في أسلوب عويص غامض مما يجعل النثر الادبي ميدان الاستئالة والمياهاة !! اما شعوره الدافع الى التعبير فياني ضائقا برما يهذه القيود والاتقال ، ولو تخفف كثيرا مما فرضه على نفسه من اصاد مرهقة لاتطقت خواطره مطردة مندفعة ، لان السيد يجده في نفسه ما يعبر عنه دون نزاع ، فله احساس متوجع ولديه نظر ونامل ، ولكن منجبه الفني يفتي كثيرا من عواطفه المتطلقة ، فتراها متمية لاهته تنج بما يظلمها من كيول ، لقد كان في استطاعته ان يكون كاتبيا مفكرا له نظرية البهجة في الحياة والاياء ، ووصفا يمدح له ريشته المصورة ذات التلون والافتنان وثقافته المتنوعة وخياله الجارح يرفدها بما يبرشحه للجودة الرائدة والالهام الحي ، وقد سبق كثيرا من الكتاب بصوره الجميلة الزاهية وآرائه الجريئة الثائرة ! وما كان اسبقها من آراء وائية لو نزع عنها الغلال الضميمة ، وسار بها سير الماء الطرد في النهر الواسع ، ولعل من تصالعه ان نعرض الى سمات أسلوبه بالتحليل ، مبينين ما يندرج تحت كل سمة من وجوه الاستحسان الجسد او الاعترافى الناقص !

على ان ما بقي لدينا من نتاج السيد في ميدان النثر الفلسفي محدد ومحصور في اسبق نطاق ان صهاير اللؤلؤ وحده هو كتاب آدبه ، وسجل فنه ، جمع فيه ما اختاره من بليغ شعرا ، وفصح نثره ، وقد بداه بوصف رحلته الى القسطنطينية حين ركب البحر (البحر من القاهرة ، فرأى من مشاهد الموج المتلاطم وصراع السفينة في غمره ، ونوال الصباح والظفيرة والاصيل والليل ، وتزجج الهلال وتورابه ، وما قدم اليه من مائل مشرب ، واوصحاب اكرال كماله لسناءه لرائي من ذلك ما سجله لقارنه في عبارات اتيقة مصقولة ! ثم ركب القطار الى دار السعادة ، فاشاهد مقاصرها ومبانيها ، وحداثتها وانهارها ، ومن تعج بهم من ذوي الاسئلة المختلفة والازياء المتباينة تخص بالحدث اعلامها والشاهير ، وفي مقدمتهم امير المؤمنين وابو الهدي الصيادي ! وبذلك انتهت اغراض الباب النثري الاول ، من الصهايرج ثم تلاه من النثر حديث تاملن عن ثابليون في حالتي صعوده وسقوطه ، وصف به معاركه الرائجة ، ثم بكى فيه غروب شمس مستشهدة بوجوآت التاريخ وآيات الشعر وظلال الايام فإذا فرغ منه تحدث فيما تلاه من النثر عن مزايما المزلّة في رسالة ادبية اتحف بها أحد خلصاته ، وقد رسم بها اجمل المناظر الربيعي ويجداوله وحقوقه وهيواته واناسه وصياحه وظهيرته وليله وفمره ، وشتائه وصيفه وخريفه وريبعه ، وما قرأ به من الكتب والاشعار مستطردا في ردال المدينة ومن بها من حاكم متسلط ، واصحاب ذوي قدر وثفاق ، وفتيان الزمان خاملتي النفس ياردي الحس ساطقي الهمّة يبدرون الاموال في الموبقات ، وقد اكروا حق التفكير في المال ، وصموا عن نداء الله في الزكاة ، تنحسرا على عاقبة من الدهماء ، وقد غصم الجوع وقلمهم الرضى ، واطغامهم الجهل مغفلان عزلة المدينة في الربف من مشاهدة هؤلاء في عيج المدينة وضجيجها الزمان ، وفي فصل تال يتحدث عن فيلد عزيز غربت شمس ، فيصف فريه ، ويرسم صورة تبرز قسفات الراحل وملامحه ويذلل عليه ما يستطيعه فلم في اوصاف الالامية والذكاء ثم يتطرق الى نبله والقادرة وكيف مزجت اسم بالدمس وعاجلت الذلة بالمال ، ونفد امام المقابر وفقة الشاعر التامل فيتحدث عن حوت من ملوك وحسان

من أمة اللسان في ذلك العصر إلا على بن أبي طالب فإنه جاء بشيء من الشعر الوصفي المنثور في بعض خطبه كما وصف الخفصاني أو الطائوس ، فلما نهض أهل القرن الماضي لحياء آداب اللغة العربية انتقاد بالافرنج كان في جملة ما تحدى بهم فيه من غروب آدابهم الشعر الوصفي المنثور ، وكنا نقرا ما نثره أديبانو من الخيال الشعري فترأه مغالاة أسلوب البلاغة العربية إلا ما قرأناه بالاسم لفقيدها الزنجي وفيلين لغيره ثم قرأنا نثر البكري في كتابه المشار اليه فإننا الشعر المنثور تقدم في نهوضه تقدما سريعا على غير المؤلف من حصول الارتقاء فظهر الكتاب في هذا العصر نهضة جديدة في الشعر الوصفي المنثور .

تلك مقدمة مهذبة مهد بها زيادان الحضيف لتقدمه ثم اتبعها بقوله (على أننا بعدما تقدم من إيلاء مساحة المؤلف حقه من ذكر حسنات كتابه ينبغي أن نفيه إلى مواضع النقد فيه ، ثم خلص النقاد إلى ما بهمن من كثرة الاقتباس فقال :

«رأينا بين لآلئ هذه الصهاريج كثيرا مما عرفناه لبعض المتقدمين من الأفكار والمآلئ وما مشاحة أن يعفوا توارد انفلاخا ولا سيما في الأمور البدئية والتصورات الطبيعية ، ولكن البعض الآخر مقتبس من المتقدمين ، ولم ينكر المؤلف ذلك ، واعتز به في مقدمة كتابه حيث قال «وشتمتها بنظار الجهادية المتقدمين ، والحكماء المتأخرين كما تستعمل الروح بشيخان البطاح» .

فأقار المؤلف بذلك بذهب بأسباب الانتقاد على أن الاقتباس إذا اقتصر على المعنى ، وصيغ صياغة تالية نجا من العيب ، فقد كان أبو العلاء يفضل المنثبي على غيره من الشعراء وسمى شرح ديوانه معجز العلاء ، وذكرنا أنه قيل له : كل معنى للمنتهي بعده متحولاً عن غيره ، فقال : هذه مأخذه من سواء لديكم فيلخص كل معكم مثل ديوانه أن كان ذلك في أمكانه .

وقال (ابو)الشاعر الفرنسي: «الشاعر جالس ينظف العذراء الجوهري حبتما وجده فيصوغ منه غراب الحلى ونفائس النيجان وليس عليه أن يغوس البحر على كل لؤلؤة ، أو يصعد الجبل لكل جوهرة» ، ونرى الافرنج يقتبسون الفصول برمتها وبعضهم يقتبس الكتاب كله كما فعل فرجيل باليادة هوميرس ، وكما فعل غيره من شعراء الفرنسية فيسي الاجيال الأخيرة من الفرنسيين والاطالين والان وان انتقدوا الشاعر الكبير إذا اكتفى بما اخترعه من المعاني ، ولم يقتبس شيئا من المتقدمين فإذا أحسن الاقتباس اتوا على براعته في التقليد والتحويل ، ولكن العرب لا يزالون يستنكرون من الاقتباس الكثير ، وإنما يفننر ذلك إن يحسن الصياغة كما فعل صاحب الصهاريج في أكثر مقدماته هذا كلام زيادان ! وهو كلام حذر دقيق ينبغي أن اخلاص صاحبه في هذه التماس من استطلاع الوجدان فيضاهم على تعجب ، وبخاصة إذا اتجه الحديث من ادب مسيحي مهاجر الى شيخ مشايخ الطرق الصوفية في نالقه الساطع ! وقوله في تقدم «على أننا ينبغي لنا بعد ما تقدم من إيلاء مساحة المؤلف حقه من ذكر حسنات كتابه أن نفيه إلى مواضع النقد فيه» هذا القول وحده يصور شعور صاحبه في دقة مسلكه ، وكيف احتياظه ، فإذا استشهد بعد ذلك لجواز الاقتباس بقتباس المتن من الشعراء فهو يعلم جيدا أن اقتباس من الفارابي لأن المنتهي لم يكن ينتزع أديانها من اصحابها ويصلها بصورتها الاصيلة ، ولكنه كان يقع على بعض معاني السابقين في أحوال قليلة فيصوغها صوغا جديدا يظهر فيه شخصيته الادبية بوضوح ، اما البكري فيعبر عن اقتباس المعاني والألفاظ كما جاءت دون تبديل ، ويرى أن ذلك يعال امتزاج الراح بشيخان البطاح ! وهو من البلاغة بالقرار الكين .

اما الاستشهاد ببووال الفرنسي فمما ذهب مذهب المنتهي لا البكري ، وما نرى احدا من الفرنسيين يجيز أن يقتبس فصولا برمتها من غيره الا اذا كان ساطيا نهبا ، وغائبا سلايا ، وفرجبل لم ياخذ

حديث هوميرس كما صافه شاعر اليونان ولكنه استلهمه بعض الموافقات والحوادث ، وكلا الشاعرين جوب وصوره واحداه فكيف يكون الإبداع والاستلهام اقتباسا كاقباس صاحب الصهاريج ! وقد افصح زيادان من نفسه حين قال ان العرب لا يزالون يستنكرون من الاقتباس الكثير ، ونزيد عليه بان نقول ان العرب وغيرهم في ذلك على حد سواء ! وإذا كان قد نقد زيادان في جملة ما يرضي السيد البكري ، فنحن نرى نافدا آخر ، يشير الى كثرة اقتباساته اشارة المؤيد المستجيد ، ذلك ان الدكتور زكي مبارك قد استشهد في الجزء الأول من النثر الفني ص ١٩٠ برسالة ابن العميد الشهيرة ومطلعها «وصل كتابك فصادفني قريب العهد بانطلاق من غت الفراق لم غلب عليها بقوله :

«وللقارئ ان يتأمل هذه القطعة فيسرى صورها جميعها منتبهة من غر الشعر القديم ، بحيث لا يبقى لابن العميد معنى واحد خلا من لباس معروف ومع هذا فمن ينكر انها من طرائف النثر القديم ، ان الكتاب افاض عليها من روحه كما تفيض الحسناء من سحر اللاحه على ما تحمل من دمالج واساور وقود ، وتستطيع ان تلغز مثل بعض اطياب الادب الحديث فهناك كتاب مهارج المؤلف للسيد توفيق البكري ، وهو كتاب نفيس لا يختلف في استناده انان ، ولا اقول لا ينتهج فيه عزوان ، فرارا من الكليشه !! وهذا الكتاب مع جودته قلما يقع فيه تشبيه الا وهو مسروق من القدماء وخاصة رجال القرن الرابع ، وما نظرت فيه الا لا ذكرت ما قاله احد النقاد المتقدمين في سعيد بن حميد «لو قيل لكلام سعيد وشعره ارجع الى اهلك لما بقي منه شيء ولكن هذا لا يمنع من اننا نقرا نثر السيد توفيق البكري كالمجاهدين بادباعه والشفاعة حتى تلحسب انه صاحب ما يطالعنا به من الصور والتشبيهات» هذا كلام الدكتور مبارك ، وممكن الصف فيه انه فاس الاقتباس ابن العميد بقتباس السيد البكري والاوان معتدل متقصص والثاني مسرف مبالغ فلا يستويان .

وقد تعرض الدكتور الى اقتباسات البكري مرة أخرى ص ١٧٢ من الجزء الأول من النثر الفني فنسب بعضها الى الثعالب ، ونسب البعض الآخر الى ادب كتاب ذلك العهد دون ان ينسب عليه ، ومما استشهد به فيقول المؤلف في هذا القول ادب الرؤساء ص ١٧٤ .

«كانه جاء براس خافان ، او ادال دولة بني مسروان ، او ان الايوان داره والهرمين آتاره ، وعصام بن شهيد حاجبه ، وعمر بن يحر كانه ، والحجاج غلامه والحمامة كلامه» .

فقد قال الدكتور انه مأخوذ من قول أحد كتاب القرن الرابع ! «قد اسكرته خمرة الكبر ، واستفرته لذة التيه ، كان كسرى حامل غاشيته ، وفادون وكيل نفقته ، وبليقس احدي داياته ، وكان يوسف لم ينظر الا بالقلعة ، وداود لم ينطق الا بنغمته وقلائع لم يتكلم الا بحكمته ، والشمس لم تطلع الا من جيئنه ، والفمام لم يبد الا من بعينه» .

والحق ان ما قاله البكري شيء ، وما نقله الدكتور شيء آخر ، فليس في المسألة اخذ وقياس ولكنه احتذاء وانتفاء ، ولو كانت اقتباسات السيد البكري على هذا النمط ما اتجه القول بالانقباس الى أسلوبه ، على ان الدكتور لم يمين لنا هذا الكتاب من القرن الرابع ، وكان الواجب ان يشير الى بعضه ، وقد واليت البحث عنه حتى اهتدت الى فصل عنوان (الاستغالة والكبرياء والحين) بالجزء الثالث من زهر الاداب ص ١٢١ ، حيث سرد الحصري الفاظا لاهل العصر في ذلك ومنها ما نقله الدكتور مبارك ! وهي ليست لرجل واحد ، ولكنها مختارة من عدة كتاب !!

ان وقوف السيد عند معاني القدماء قد ضال من شخصيته الفكرية ، وخاله على لقاظه الجيدة ، واحساسه البصير كان يجرد في نفسه من المعاني ما ينده وادا دون ان يفسح عنه اذ لم يجد النوب القديم اللائق لبراهه ، ولو قدر له ان يجد من يمتعه انتقاء اكيدا بان

وقد امتزج فيها الفن بالحدس ، فهي سكرى ولا مدام ووسنى ولا مدام .

إذا نظرت قلت بها ذلّة أو خسرت قلت بها كبر وفهم كأنه الخواطة لم تتسوخ ، ورددة لم تنتج ، يفسح عن جنان ، وتنتسج عن ربحان ، وينطق عن ألحان ، وخدود ، كمنار أخدود ، أو نفاع ، أو ماء وراج ، أو الشفق في الصباح ، ورد يفتحه النطق بوششمه الخمر ، كأن حيائه الجنان ، وبياضه ماء واقف جاد . إذا منيت على الحصاة صيرها شعاع خديك ياقلونا ومرجنا

وقد اشحن برودا من ابريسيم (٢٥) ، وخز ، واستبرق (٢٦) ، وفز ، كناهه السراب أو برود الشباب ، وكان الوانها اصبل شف عنه غمام ، أو اشعة الشمس في اطواق الحمام .

غراء فراء مصقول عوارضها تمشي الهوى كمايمشي الوجي الوحل سمع للطي وسواها اذا انتصرفت كما استعانت بريح غشرك زجل هرولة فسق دم مرافقها كان اخصها بالتسوق منتعل اذا تقوم بسوق المسك اصورة والزيق الود من اردناها شمل وعليهن الحلوى من اربة (٢٧) ، وراح (٢٨) ، وبارج (٢٩) ، ووشاح (٣٠) ، وقرم (٣١) ، وعضاد (٣٢) ، ونقرس (٣٣) ، وزداد (٣٤) ، وخام فارذ (٣٥) ، كانه طائر ، وسوار لام كأنه الهلال في المزارع (٣٦) .

تسكت فريقك تعديبا وما سحرا اخليت فريقك هارونا ومارونا فالسيد دون شك قد اعجب بالرفص قصرا وفناء وحجرات وانانا ورياشا ، كما افتن بحسانه التوامم وليده الفوان ، فالتجربة صادقة هنا ، ولكن التعبير عن التجربة ، قد كبل عاطفته بكيول ثقيلة مما هذه الذاكرة من الفطاف وتبسيهات وابيات عويصة ! فجاء وصفه صبح الثلج جامد الشفق ، نقرأ ما نقرأ فترى صورة والفاظا تدحها في مظاهرها للملحج وادب المقامات والرسائل ، ونسال نفسك عن احسانى الكاتب وعن مقداره عمقا ونفاذا واحاطة فيسر عليك أسلوبه لما لا تعجب للسيد الهوى !! لقد وصف المولى شمس الدين سراج المرافص ، بالثوق والظرب في حديث عيسى بن هشام فلم يرهفك بما ارفقك به السيد من آصار ، وهما بعد فرسا حلبة واحدة يجران في ميدان الخلد ؟

هذا هو شموري الخاص نحو هذه القطعة الادبية من آثار السيد ، ولكن الأستاذ عمر السوفى يرى غير ما أراه فيقول عنها في كتابه نشأة الشعر الحديث ص ١٨ :

« ومن طرائف وصفه لرفص في أحد قصود فينا كان قد دعي إليه ، وابتدأ بوصف ليالي الشتاء في فينا ثم وصف دور هذا القصر وما به من آتات ورياش وإوان وتماثيل وتصاوير ، ووصف المرأة والانساق والاصواء ، والغرد الحسان ، وما عليهن من الوشوش والاكسية والطلوى ووشوش الموسيقى والرفص والسماط والتراب وقواويره وكيف انتهى الحفل في طمة الفجر ووصف الفجر وطوق النهار وصفا دقيقا رائعا ، ولولا ما شاب هذه القطعة من تلك الكلمات المفعجية لكنت من ابرع ما قيل في الوصف في نثرنا الحديث وهي دون ذلك على شيء فلما تدل على حس مرهف ، وخيال ملحق ، ومعرفة بأسرار اللغة ودقائقها مما جملة احبائي ياتي بوصاف دقيقة لا تتناسب مع الموصوف . ثم ذكر الأستاذ عمر السوفى ما سبق ان سطرناه من وصف الحصان التوامم واتي به بقوله : « ونراه قد وفق في بعض اوصافه واخفق في بعضها ، ولندكر بعض ما اخفق فيه فاي فتاة تحب ان يوصف صدرها كتلعب النخل او صدر العنق وبان عينوها كرام من بني لعل ، او اسدين طرفاه واسل ، تلك الطرفة قديمة منزعة من بيئة مبتدئة صحراوية لا تتناسب مع موصوفه وقد جرت على اسلات قلمه من محفوظه حتى غلبت شاعرته وازدات به ، بينما نراه يوفق في كثير ، والموضوع كله جديد في الادب العربي » ؟

فالأستاذ السوفى يرى هذه القطعة من ابرع ما قيل في الوصف

استحسان المحفوظ في كل مناسبة ليس مجال الابداع الفني والتبريز البياني لانطق من عقل الذاكرة الحافظة الى فضاء الالهام والابداع ، على ان مما فساد من ابداع كثير من النثرين في عهد البكري انهم فهموا ان الافكار الدقيقة والمعاني العميقة وقد على الكتابة العلمية لا ينقل منها الى الشعر المثنوي او الشعر الموزون ، وكاتي هؤلاء وقد قنوا الادب منصورا على تصوير المواقف السطحية في تصوير براق اخذ ، ولو علموا ان العاطفة تكون منتفا سفيحا للافكار القوية اذ تصير نافذة نطل بالهوى المشوق على المعاني الغامضة فنزل جفافها ، ونجعلها مادة صالحة للاستمتاع الفكري ، والاشباع الوجداني ، واذ ذاك تقدموا القطعة الادبية ساحرة اخذة بفكرتها وصورتها البلاغية وجرسها الموسيقي ، لو علموا ذلك حق العلم لوجدنا فيما تركوه من النثر الفني مادة رائقة تكون مجال الاتعاف والامتناع معا ! ولكننا نتجاهل ظروف الزمن والبيئة اذا طأنا ادب القرن الماضي بذلك ، فحسبهم ان جدوا الدباجة ، وازالوا الركاكة ، وحاربوا التكلف والاستعراة !! ونحن نحكم هنا على السيد بصفاته محصوله الفكري في تراثه الادبي فلنا نقدر ظروفه الثقافية ، ولن نطالبه بما لا يستطيع ، الا اننا حين نقرنه بزملائه الذين يفتهم ظروفه وعلاياته قد نجد لديهم من التحرر النسبي اكثر مما نجده لدى صاحب الصهاريج !

ونسرب هنا مثالا واحد من أمثلة كثيرة لسيفرة الذاكرة الحافظة على معاني السيد ، لتري كيف وفقت حالا دون اكتشاف الجديد من الخواطر والافكار .

يشاهد السيد إحدى حفلات الرفص في بعض صراح فينا ، فيصف العاصمة المتساوية بما يجوز ان اوصف به كل عاصمة اوروبية دون تخصيص ، ثم يصف قصر الرفص بأنه (كقصر لعمدان ، أو خورسكي النعمان ، أو الدبر أو القصر الكبير ، أو الزاهر أو دار بن طاهر أو الجفري أو الابوان الكسري)

تتبع به البلاء واستوتوها كما ناحت بؤستها القواني وقد ارتفعت قبابه في الاجواء ، فكان ابراجه ابراج السماء ، وكان كل دحقة (١) بطحاء وكل دوش صنعاء بلاط وحقدق ، ودارات (٢) وديق (٣) ، وابها وجوسق (٤) ، وكهرايه فني الاراجة كلها يفلد العجور با ايا محلم لفتت الى القصر واشرف للبارق الصلاح ومثيلا يربك صنعاء نصا وهي خسراء من جميع التواحي

ثم يترك خارج القصر الى داخله فيصف القباب والمقاصير والسرادات والبست والديباج والصف والاواني بما يبره عن كثرة محفوظة وقلة ملحوظة حتى اذا انتهى الى اوائس القصر وعذاره وجن ما هن ، قال عنهن « ولم افرح الحسان ، كالتلوي والعقيان ، من كل عطلون (٥) وقلة (٦) ، او اسلانة (٧) ريله (٨) أو خليف (٩) بهتانة (١٠) ، أو ورهرة (١١) فيناته ، أو لافة (١٢) سيلانة (١٣) ، زجادة (١٤) ابريق (١٥) العش خول (١٦) ركافة (١٧) للبريد والمرحسل (١٨) يقصب قسم الظلم خذل ريسان لا عش (١٩) ولا مهبل (٢٠) في صلب لدن ومشي هو جل (٢١) تدافع الجدول السر الجدول

إذا خضرت لساود جانبها كما خضرت على الروض القبول يقوم من تنبها اعتدال يكاد يغال من هيف تحول صدور كالافري (٢٢) ، او صدور البزة البيضي ، وسواعد كاتها شامرخ من ماس او مرمر تحتة فداسي (٢٣) ، وعيون كان يبر اهدابها رام من بني لعل (٢٤) او اسد بين طرفاه واسل ، او انها ترجس عفتان ، او سيوف تقتل وهي في الافغان .

سلن من الحداد السود يفيش فما لندي فيان او فيسون فمن في مائم على العشايق ولينن السواد في الاحداد

من ثمرنا الحديث لولا ما شابهنا من الكلمات المجمية وهي في ربه نذل على سحر مرفه وخيال محقق ، وقد وفق في بعض أوصافه وأخفق في بعضها ؛ والطريف التادد الحق أن الأستاذ قد ذكر ثلاثة أمثلة لما اختلف فيه الكتاب من التشبيهات ولم يذكر مثالا واحدا لما اجمد فيه ، فهل يكون ما تلا هذه الثلاثة جيدا رائعا لدى الأستاذ ؟ الحق انني أجد هذه القطعة ما يتبرر من ذخيرة القلوب والبصائر ، ولكن ما يتبرر من الحس المرفه والخيال المحقق فشيئ شحيح !!

هذا مثال واحد نذكره للدلالة على سطحية المعاني والافكار لدى السيد البكري ، وقد يعجب القارئ حين يقرأنا نستشهد على ذلك بما يصلح ان يكون شاهدا على خيال الكاتب وتصويره لا على مداه الفكري شيئا وسعة ؛ والحق ان محاولة انفصال الصورة عن الفكرة لدى البكري مما يصعب على النافذ ، لان السيد لا يتصور ان يخلو سطر من سطوره او معنى من معانيه من تشبيه بلاغي ، فقد اعتقد ان الكتابة الفنية تشبيه واستعارة ؛ فكل ما يراه ويصفه ما لا بد ان يخلجه التشبيه ، واما هنا حين نستشهد بقطعة الرقص اوجه اهتمامي النافذ الى اكثارها دون تلك التي ليها الهواة ؛ وذلك ما قد فعل منه في هذا النطاق ليستثنى لي ان اقول ان افكار السيد ومعانيه ما لا تغيب في اكثارها عن كل مطلع على الأدب العربي ، انه اذا يقنص مخلوقه تقدسا يسيطر على أسلوبه ، وقد فطرت ذاكرته على مشاعره فخطا استكسا لديه من طريف المواقف وبمكتنر الاحاسيس الى ذلك استصمى لوقته وحويته على القمع والاسكات فاخذ يعلن عن نفسه على ابعاد غير متقاربة كما تفق امام النهر الجاري فطرد مياهه صافية امام عينيك ثم تسرى بين الفينة والفينة بعض اوراق وغصون ثم سرى ، فستسرى ابتهاكات ويسير النهر كعادته ليسمح بعد حين بمثل هذه الأوراق ليساقطها الهواء من اشجار الشاطئ على فترات فتأخذ مجراها كسابقتها ؛ ولكنها مع ذلك شيء قليل محدود !!

نستطيع ان نمثل ما استصمى عن القمع والاسكات من افكار السيد الصائبة ، ومعانيه الهادفة ، بما جاء في رسالته عن المرأة من حديث نافذ للحكام واثبات الايمان ، راث للعلماء واثبات السبيل ، داع الى التكافل المتساند بين طبقات المجتمع وطوائفه وكل ذلك يقال على لسان جيدة لمكتنر صائب الرأي ، كان من المنتظر ان تؤتي كلها الدلائل لو غرست في ارض قوية خصبة ، وكانت حرية ان نلجها لا - ولانها النافذة - الصفحات والابواب فتاني مسئلة الفصول ، بارقة المتأوين ، لا ان تساق سوفيا في رسالة ادبية تكتب الى صديق ؛ وتستعمل امامها لحظات ، تنرف عن يقين ان لدى البكري ما يقوله ، ولكنه تجاهل سبغات فكرة ، وصيق الخناق على خواطره ، ففلت تنوابع في قيودها

- (١) البيت الواسع - (٢) جمع دارة - (٣) الطريق (٤) القمر - (٥) الجميلة ذات المنق الطويل (٦) نجر ذيلها عجا (٧) طولية الشعر (٨) ممثلة (٩) اسبلت شعرها خلفها - (١٠) العنية النفس (١١) التامة البيضاء (١٢) القوة القلب (١٣) الطويلة الممشوقة (١٤) ذات حاجب دقيق (١٥) براءة في المين (١٦) التي تتخالف في موقفها (١٧) تسجد ذيلها (١٨) ثوب موركشي (١٩) ضعيف (٢٠) تفعل متفحج (٢١) مثل شتراف (٢٢) طلع الخلة (٢٣) معصود يوناني (٢٤) قوم يجيدون الرمي بالسهم (٢٥) الحرير (٢٦) الدباج (٢٧) القلادة (٢٨) السوار (٢٩) القلب والسوار (٣٠) كرسن من لؤلؤ وجوهر منظومان (٣١) شفاير من شعر (٣٢) العماج (٣٣) حلية على هيئة الورد (٣٤) الخفة (٣٥) منفرقة (٣٦) منزل للفر - (٣٧) القوة (٣٨) الفحل من الإبل (٣٩) الطيرة (٤٠) إشارة الى بيت له شعر ذكر في شرح الصهاريج (٤١) اللفت (٤٢) امرأة فاسجة (٤٣) كوكب (٤٤) اسم لهذا الكوكب (٤٥) الشراء معسر وبشائهم في الجبل الماضي في (٤٦) في الدرب الحديث الجزء الثاني ص ٣٩١

اللغظية متطلعة الى التهوؤ .

نظر السيد الى الحاكم في عهد المستعمر ، وقد صار دمية تتحرك على المسرح لا عن طوعية مختارة بل لتؤدي دورها الذي افه المحتلون ، فتردد ما يلقي اليها من الامر ان لا فلا او نعم ف نعم ، مع كبر وغطرسة ، واعوان وخدام ، وحراس وحجاب فاذا رأى سادته الانجليز تسامد وتصارف ؛ وكان السيد قد عرّك سياسة عمره وخبر متوابعها ومنعرجاتها ، فسطر ما سطر من خبرة واعية ، وبصيرة كاشفة ، ونطق بالصائب الصالح حين قال :

« اما الحاكم فآثر ما لقيت امرؤ ان اونس كبير ، وان اوحش تكدر ، وان قصد تخلف ، وان ترك تكلف ، افع لا يضر ولا ينفع ، فيه جوفاء ، ترد ما يلقي فيها من النعم ، ان لا فلا او نعم ف نعم ، القاب والاكالي ، على شخص مرجح التمثيل ، فان طرحت الاققاب ، ونزعت هاتيك الثياب ، ألقيت تحنها العجب العجائب ، ابالاسماء والالساب فيكم ينال المجد والشرف اليفاع لا اعد ولا عدد ، وملك اقامه الله لربا رجال كما رفع السماء بغير عمد .

ويقضى الامر حين تغيب عيسى ولا يستأنسون وهم شهود من ولا منه (٢٧) ، كالمهر (٢٨) في العنة (٢٩) ، واعوان وخدام ، وحجاب كحجاب (٤٠) ابي نام .

على سرير كالمشعل لأرهب يعلوه من هيبة ولا رهيب الى تيه وخلاء ، وعنجية وكبرياء ، كأنه جاء برأس خافان ، او ادال دولة بني مروان او ان الايوان داره والهرمين اكراه ، وعصام بن شهيد حاجبه ، وعمر بن بحر كاتبه والحجاج غلامه ، والحامسة كلامه ، ووداد ربحا علت الجيف ، وانحط الدر والمصدف ، وارتفع في الميزان ، جائب التقصان ، على ان الانسان اذا لم يكن فيه عيسر جثمان ، فكما لا يصغر بل ينظر وديما حتى الان لم تظلم الوتن .»

هذا حديث صايق يتبرر من سداد ؛ ولو ذهبت تعميم على علة سداده وتوفيقه وجعلنا في ان السيد قد رجع الى احساسه يصدر عنه فيما يشعر به نحو الحاكم القائم . وقد كانت قوة الاحساس بحيث لم يخلع ولا يترك الكتاب المصادف فيه ما يخرس عليه من عويس اللغظ وحوشيه ؛ واذا نجا السيد من البدع التكلف والحوش الغريب فقد اتجه الى نفسه يستنطقها ويصلح عنها ، ونفسه غنية ترة تفيض في سماح ؛ وما هي ذي في دغافات بالذبح القراح ؛ ثم ينتقل الى انباء الذوات في عصره فيصدق الحديث عنهم حين يقول :

« واما ابناء السادة فان ادهم غادة بنقصا الحجاب ، ينظر في المرأة ولا ينظر في كتاب ، انما هو لباس على غير ناس ، كما تصنع الباعة مهزم الثياب على الاخشاب .

وهل ينفع الحجاب الحبيب مفضلا وان ذكرت في القوم قيمته خيى ردام تخلف عن نار ، وحوش شرب اوله ، ولم يبق منه غير اكدار ، آباء واحباب وحال كشجر التتيم (٤١) احسن ما فيه ما كان تحت التراب ، (تري الفتان كالنخل ، وما يدرك ما الدخل) الى رطله بالجمعة بين الاعراب ، ابرد من استعمال التهوؤ في الحساب . لو كان ذا حيلة لتحول ، وهل عند رسم دارس من ممول . وفق توأصوا بترك البر ينهمو تقول ذا شرهم ببل ذاك بل هذا ميسر يلعب ، ومال سلب ، وخذق يخذع ، وقلب يتبع ، وعطر ينفع ، وفرس يلعب .

ابا جعفر ليس فصل الفتى اذا راح في فصل اعجابه ولا في فراشه برؤوسه ولا في نظائفه انوابه دنيا موجودة ، ونفس مفقودة ، وعقل اسير ، وهوى امير ، اليوم خمر ولدا امي ، فيناه على بئسك اذا هو فقير ينصلى ، فوت كبريا يعوت ، ومن ايوان كسرى الى بيت النكبتون .»

الحب

من كتاب « اعصار ونسمات » تحت الطبع في بيروت

وحباني ما تميت سنيها
غصة جن بها قلبي جنونا
بعدها ظل به الياس دفيها
ورجونا ، ويشنسنا وشقينا
ما وردناه ، فعشنا ظامينا
مترعات فابتأسنا وضينا
وقضينا سهادا وانيها
وناجيه عصيا لن يينا
ونناديه شفيها ومينا
خلته ، كالنجم نابا ، لن يكونا
وقضيت العمر أسوانا حزينا
وتناجيه ، ولا خلا امينا
واملا الدنيا غراما وفنوننا
وهياما ، وفنوننا ، وجنوننا
كنت فيه تملأ الكون شجوننا
واجمل الحب سلاما وسكونا

محمود الشراقي

جاد لي الدهر ، وقد كان ضنيها
قيلة « هائمة » من شفة
حل في قلبي منها أمل
كم تمينا وعشنا بالنسي
وظمانا للهوى في منهل
بسل تجرنا كؤوسا من ضنى
كم طوبنا الليل شجوا أو أسى
نشتهي طيف خيال زائر
نشهد النجم على احزاننا
ايه يا قلب ..! لقد نلت الذي
عشت في الدنيا وحيدا مفردا
لا حبيبا ترجيه الهوى
قد آنك « الحب » فاهنا وابتهج
اجمل الحب هوى متقدما
وانقم عما مضى من زمن
لا، بل اهدأ، واعف، واسعدبالهوى

مصر الجديدة

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

« ففي هذه الفترات وفي امثاله من نثره المجود موضوعات شعر ولغات شاعر ولكن الصنعة الصمدت الطبيعة ، والمحفوظ جنى على المحفوظ ، او لك ان تقول انك تلح هنا مجلس شاعر يسرب مواقع الماء من الارض ولكنه يقف عند حجارة من التقليد ولا ينفض بعدها الى النبع المضبو على مدى اصبعين من مجسه !! »
اما الاستاذ عمر الدسوقي فيفصح عن بواعث هذه الصيحات حين يقول (٤٦) :

« ان البكري في هذا نائر على اوضاع شاذة في مصر مع انه من ابناء العظمة الذين شيوا في حفن النعيم، ولكنه كان ذا نظرة ناقية ، وفكر سديد ، وقلب رحيم وعقل حكيم ولعله رأى من رحلاته الى اوروبا مبلغ ما وصل اليه الناس من المساواة ، وان ابناء الخاصة يعملون لتفخ امتهم كما يعمل ابناء العامة ، وربما كانت آراؤه هذه هي التي نادى منها عباس ، فنقلته الى الحكام والى ابناء الخاصة لم يكن يرضى عنها عباس وهو الذي اشتهر بجمع المال وبعداونه للنظم الديمقراطية اذ حرم الامة مجلسا نيابيا صحيحا » .
هذا قوله ، اما انا فالقول ان السيد البكري لم يكن يدعنا في متناه الاصلاحى ونقده الاجتماعى فمما قرأ نكثات جمال الدين ومقالات ادب اسحق ، وخطب عبدالله النديم واكثره بنج وجهه الاصلاح السياسى والاقتصادى ، ثم تأمل منى قومه فرأى من الاغيب الساسة وخلاصة ابناء الخاصة وغفلة العامة ما دفعه الى ان يصدر نكتة المصدر ! وهي بعدد اكية الصلة باحساس رجل ديني كبير .

محمود رجب البيومي

الفيوم - دار المعلمات

اما موازنته الشجية بين الفقراء والافتياء فمن انفس ما كتب الرجل وابدع وانه ليسرب على اوتار القلوب حين يسميها هذه الإلحان .
« فيبينما ترى قصودا ورائه ، وحجورا وسراء ، وعربات ترى ، يعدو امامها السليك والشنفرى ، ويقودها داحس والغيراء ، على بساط الفراء ، وخراج قرية او قريتين يذهب في لهو ليلة او ليلتين ، تجد امرأة صناعا ، وابتاما جيبا وشيخا يعمل وهو في اربل العمر ، يبعده العجز والفقر ، او عذراء كادت تبسع عرضها للاحتياج ، او مريضا عاجزا عن العلاج ، وبينما ترى (٤٦) رذاحي في جيبها فقد كانه فرود (٤٣) حفسار (٤٤) ، وفي اخمصها نعل من نفسار ، ترى بالسة في عنقها عقد من دموع ، وفي بنتها فقر وجوع ، حال نظرف الميئون وتيسر الشجيون . »

ثم يكرر هذه الإلحان المؤسية حين يعكف الفني الشحيح قائلا .
« انظن ان الدرهم حبيس مستقر ، ان خرج فر ، ام صديق منك واليك ، ان لم تعرض عليه لا يعرض عليك ، او ان بيت المال بيت فريسي ، ان نقض منه حرف ادركه التقويضى ، او ان شيئا عليه آية من القرآن او صورة لسلطان حري ان يكون نمويبة من لجين تدخر لدفع العين ، ليس ، ام اردت ان تعيش كمودة الفز او تكون كلطمس على كثر ، حتى اذا قضيت ، ومضيت ، القى بنوك ما تهرت في لتلك الهاوية ، وما ادراك ماهية نار حامية ! واطعم بئناك شحمة مالمك لغيرك » !!

هذه الصيحات الصادقة كانت موضع الاهتمام لدى ناقدى البكري ومؤرخيه فلاستأذ الفقاد بعدها من نثره الجود وبقول في التعليق عليها (٤٥) :

بدأت هذه القصة في قرية روتا . وروتا هي سفلى القرى الشقيقات الساحرات الانساني يتلقى منهم خليج غوادريكس شبه الدائري الواسع . وعلى الرغم من ذلك فانها لم تعدم بنصفه دوق أركوس كذلك ، يفاخر بأنها إحدى القرى تاجه التسمية ، وفيها يقوم قهره الذي ورثه عن آبائه ، وهو قصر اعرفه جيدا بحيث يستطيع ، لو اردت ، ان اصغه حجرا حجرا .

غير انني ههنا لا اريد ان اتحدث عن القصور ، ولا عن الدوقات ، بل بالاحرى عن الحقول والفيضان التي تحيط بروتا ، وبصفة خاصة عن بيتاني بالنسبة جدا سندسوه (العم مجازف) وان لم يكن هذا اسمه الحقيقي ، كما يبدو . ان حقول روتا - ولا سيما فيضانها - خفية جدا ، فهي تقل للدوق عدة اوف من اكرسال الحنطة ، وتزدول كل مجموعة تلك القرى بالتبديد - والناس هناك قليلو الاكتراث لماء الشرب ، ولا سيما ان الماء عندهم سيء للغاية - وزيادة على هذا كله نقل من الخضار والفاكهة ما يكفي لتزويد مدينة غوادريكس ، وغالبا ما تزود بها مدينة هويلغا ايضا ، واحيانا مدينة اشبيلية كذلك ، واهم منتجها البندورة والكوسا ، فان نوعيتهما المتفازة ، ووفرتهما العذبة ، وارتفاع اسعارهما الدائم ، لما يفوق كل تصور . وهذا ما جعل اهل اندولوسيا الجنوبية يطلون على اهل روتا اسم (كالباسيروس ، وتومايوس) اي : باعة التسمية والبندورة ، وكان هؤلاء يقيمون هذه التسمية مباحين فقورين بقدسية العمل وشرفسه .

وهم على حق في المفاخرة بهذه التسمية متى عرفنا ان ارضي روتا الخصبة ، التي تقدم كل هذه المحاصيل للاستهلاك والتصدير ، وتقل ثلاث مرات في العام او اربعا ، ليست اربا طيبا ولا ما يشبهه ، بل هي رمل بسيط خالص ، يتصل مباشرة بالبحر الهادر ، وتزفقه دوايح القرب الهوج ، ويتشتر في منطقة روتا كلها كمطار الرمال التي تسقط الحنطة ، وتزدول كل مجموعة تلك القرى على المناطق المحاذية لبركان فيزوف .

غير ان جهود الطبيعة هناك يكافئه الانسان فوق ما يستحق من نشاطه ومن عمله الحثيث التواصل . فلست اعرف - ولا ان في الدنيا - فلاحا يعمل بمثل همة فلاح روتا . هناك لا يري الفيضان والحقول ولو خيست خيف من الماء العذب ... ولكن ماذا بهم ذلك ... ان الكالباسيروس - باع الكوسا - قد جعل ارضه كالبرمال لكثرة ما حفر فيها من الابار التي يستخرج منها ، بواسطة التواوير والدواب ، في القالب ، ذوق الحريق

المتمين الذي يقوم مقام الدم للخضار . والرمل هناك ترمزه عناصر الغضب التي تتوافر في الارض الترابية ... ولكن ماذا بهم ذلك؟ .. ان التومايوس - باع البندورة - يقي نصف عمره في البحث وفي جمع العناصر التي يعكران نقيده في التسميد ، فيحول حتى الطحالب الجيرية الى سماد . ومتى امتلكت ابن روتا عصري السماد والزبل التبيين شرع بعمل بصير واتاة . قد لا يطلع الحقل كله - او ربما لا تتيسر له عناصر الغضب الكافية - بل يسمح منه في البداية ودائر صغيرة ، قد لا تزيد الواحدة منها على حجم الصحن ، وفي كل من تلك الدوائر يفرس بكرة بندورة او كوسا ، ثم يمضي في سبيلها باريق صغير كانه يقي قفلا .

ومن بدء الفرس حتى اوان الجني يظل يتلفد يوميا كل نبتة تنمو في تلك الدوائر ،

سجل الامم وابنتها

للكاتب الإسباني يسردو انطونيو دي الاركون ترجمها عن الإيطالية: عيسى الشاعوري

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وبدايعها يطفف واتياه لا يعادلها الا شفق الفتيات باذية زهارهن . انه يوما يضيف الى هذه الدائرة قبضة سماد ، ويوما يقي تلك برشة ماء ، وحينما ينقي لغراسه من البذبان والحشرات الفارة ، وحينما آخر يعنى بالربفا منها ، ويضع الراتز للسميغات والمكسورات ، وتارة يغطي بالقبض والاوراق الجافة تلك التي لا تطلق اشعة الشمس ، او المرفصة اثر من سواها لرياح البحر ، وطورا يحصي الجنود والاوراق والازهار والثمار التي تعمله النباتات البكرة والشبكة النج ، فيخطبها خطابا ودبا ، وبدايعها ، ويقبها ، وباربها ، حتى انه يضع لها اسماء معبرة ليميزها بها ، وليستخرج كلاً منها في ذهنه . من دون مبالغة : ان البستاني في روتا مصرب المثل - وقد سمعت هذا القول مرارا



في روتا - فهو يلمس بيده كل عرق من عروق البندورة وهو في بيستانه ما لا يقل عن اربعين مرة . وهذا ما يفسر لنا لماذا تتحني ارباب اصحاب الفيضان في تلك الجهات عند شيخوختهم ، حتى تكاد تلامس ركية الواحد منهم ذقنه ... ان هذا هو الوضع الذي قفصوا عليه حياتهم الكريمة الجديرة بكل احترام .

كان المم مجازف ينتمي الى هذا النوع من اصحاب الفيضان . ولقد بدأ ظهره ينحني في عهد الحادثة التي سأرويها الان : كان عمره حينئذ ستين عاما ، ففسى اربعين منها يعمل في الفيضان المحاذية لشاطئ كوستيلا . في ذلك المم كان قد تمهد بعض الكوسيات المعشبة . وكانت هذه الكوسيات كبيرة كانها كرات زخرفية في حواجز جسر نذكراري ، وقد بدأت تنضج وتناخذ في الداخل والخارج لونا جميلا كلون البرتقال . وهذا يعني ان حزبان قد جاء ميكرا . وكان المم مجازف يعرفهم معرفة تامة بأشكالهم ، ويعرف مدى نضج كل واحدة منهم ، بل انه يعرف كلاً منهم باسمها - وعلى الاخص تلك الكوسيات الاربعين النموذجية الاكبر حجما ، والاشد برقا ، والتي كانتا تقول كل واحدة منهن : ابخوني ! - وكان يمضي النهار كله ينظر اليهن برقة ، ويتابعهن تنبها : لا بد ان نقترب يوما ، وفي وقت قريب . واخيرا صمم في احد الايام على التضيعة . وبعد ان عين الكوسيات الناضجة من بين تلك الثمار القرعية اللذيذة التي كلفته الكثير من الجهد والقلق والانتظار ، نقل للمعبرة الرهيبية :

« غدا سأطلق هذه الكوسيات الاربعين ، وساحملها الى سوق غوادريكس . الا ، هنيئا لمن استطاع من نصيبه ! » وعاد الى منزله ثقيل الغمطي ، وفي الليلة في مثل مخاوف الوالد المقبل على تزويج ابنته في اليوم التالي . فقد كان احبائها ينتهدون دون ان تعرف اجافته التوم ويقول : - يا لكوسياتي المسكينات !

ثم يفر قفلا ، وينتهي الى القول : - وماذا يمكنني ان افعل غير ان ابيهم ؟ انني لهذا غرسهن ونهذهن : وساربح من يبيهن خمس عشرة قطعة من النقد على الاقل . بعد هذا يمكنني ان ندرك كم كانت دهمته ، وكم كان غصبه ويأسه حينما عاد في الصباح الى القيت فوجد الكوسيات الاربعين قد اختفت ...! اختصارا للكلام سأذكر ان المسألة في نفسه قد بلغت قمتها ، كاليهودي في رواية شكسبير ، فاخذ يهذي بكلمات (شيلوك) الرهيبة عنها ، التي يقال ان الممثل الانكليزي (كامليل) قد بلغ في ادائها منتهى الاجادة ...

عليك !
- آه لو وجدتك ! لو استطعت ان اعثر

تم جعل المم مجازف يفكر فسي هدوء ،
فاندك ان توزه الفالية لا يمكن ان يجدها
في روتا ، فما يمكن ان يبيعه السارق ههنا
دون ان يخشى معرفة صاحبها لها ، كما ان
اسعارها في روتا زهيدة جدا .

- يخيل الي انني اراها ! انها فسي
غواديس !. (هكذا قال في ذهنه) . الحخير ،
الصفال ، لا بد انه سلبني اياها
امس ما بين التاسعة والعاشر ليلا ، ولا بد
ان يكون قد هرب بفيمته في الساعة الثانية
عشرة ليلا في مركب البضائع . ساسافر اذن
الى غواديس هذا الصباح في مركب
الساافرين ، وسيكون من المستغرب جدا ان
لا اسلك بالحق الحخير واسترجع منه بنات
نعمي !

وبقي مع هذه الخواطر عشرين دقيقة على
ارض الكارثة ، كلما يداعب المرقق الشعراء
المجردة من ثمارها مؤاسيا ، او يرثي الكوسيات
الضالمة ، او يعد لآلة الهام لدعوى يفكر
في افتتاحها . وفي نحو الساعة الثامنة غادر
الكان متوجها نحو رصيف الميناء .

كان المركب يستعد لنشر الاشعة . وهو
مركب بسيط ، يغادر الميناء في الساعة
التاسعة تماما من صباح كل يوم حاملا
الساافرين ، بينما يسافر مركب البضائع في
الساعة العاشرة من كل ليلة حاملا الخضار
والفواكه . ويدعى المركب الاول « مركب
الساعة » لانه في ساعة واحدة - واحيانا في
اربعين دقيقة فقط ، اذا كانت الريح مؤاتية -
يقطع المسافة التي تفصل قرية اركوسا القديمة
عن مدينة هرقل - غواديس - التي لا تفل
عنها قدما .

كانت الساعة العاشرة والتصف صباحا
حين وفد المم مجازف امام بسطة خضار في
سوق غواديس ، وراح يقول لرجل بوليس
يرافقه متبرما :

- هذه هي كوسياتي! اوقفوا هذا الرجل!
ويشير الى البائع ..

واجاب البائع دهشا غاضبا :

- بولفونتي انا ؟ هذه كوسياتي .. انسا
اشتريتها بعالي !

فرد المم مجازف قائلا :

- هذا الكلام يمكنك ان تقوله لرئيس

البلدية !

- كلا !

- نعم !

- نعم !

- مختلس !

فتدخل رجل البوليس قائلا بهدوء :
- تخاطبوا كلام اكثر تهديبا ، ايها الاحمقان !
ان الرجال لا يجوز ان يفقدوا احترامهم بهذا
الشكل ! ثم فصل بينهما بدفشة على صدر
كل منهما بقبضة يده .
في تلك الاثناء هرع اناس كثيرون ، وظهر
كذلك حالا في المكان وكيل القاضي المكلف
بمساعدة البوليس في الاسواق العامة ، وهو
يلقب بقاضي الحالات الطارئة . فسلم البوليس
القضية اليه .

ولما كان القاضي سلطة شرعية ، وقد اطلع
على تفاصيل النزاع ، فقد سال بصوت رصين
وقصور :

- من اشترت هذه الكوسيات ؟
- من المم تيسيو ، التاجر في روتا .
فصرخ المم مجازف قائلا :

- لا بد انه هو ! لا شك في انه هو ! ان
يستائه لم ينتج له شيئا كافيا لانه بسان
ميت ، فعدم الى سرقة غيطان الجيران !
وتابع القاضي الاستجواب ، موجها كلامه
الى البستاني المعجوز :

سعد ان صدقتا ادعاءك انه سرق لك امس
اربعون كوسية ، من الذي يستطيع ان يثبت
لك ان هذه ، وليس غيرها ، هي كوسياتك
المسروقة ؟

فاجاب المم مجازف :

- شيء عجيب ! التي اعرفها كما تعرف
انت بذلك ! ان كان لديك بنات ! لا انكري
انتي ربيتهن بنقي! انظر هنا : هذه اسمها
(ممبروتا) ، وهذه (كورباشوتا) وهذه
(روسيتشا) ، وهذه (باتنشونا) ، وهذه
(منويلا) وقد دعوتها كذلك لانها تشبه ابنتي
الصغرى كثيرا ..

ثم انخرط الشيخ السكين في بكاء مرير ..
فرد القاضي قائلا :

- هذا لك حسن ، غير ان القاسون لا
يكفي بان تعرف انت كوسياتك . لا بد من
ان تتقنع السلطة كذلك بوجود امال المرقق ،
وان تثبتت منه بأدلة لا تنقض .. ايها السادة ،
هذا ليس مجالاً للفحاح .. انني محام !

وبين دهشة المتفرجين قال المم مجازف :
- حسنا .. اذن .. سترون الان جميعكم
كيف سأثبت لكم ، دون ان انخرط من هنا ،
ان هذه الكوسيات قد نمت في غيبي !

ثم التى على الارض بقجة كان يحملها ،
وطوى ركبتيه تحتنوجل فوقهما ، وراح يلك
عقدة متدبل معه بهدوء ولقة . وكان يجيب
القاضي ، والبائع الآخر ، والمتفرجين جميعهم
بتزايد في التاء ذلك باستمرار ، وجعلوا

يتساءلون :

- اي شيطان يسرخ من منديله ؟
في تلك اللحظة انضم الى الجمع فضولي
جديد ليبري ماذا يجري في وسطهم . فلما
راه البائع الآخر صرخ قائلا :

- الحمد لله لقد جئت في الوقت المناسب ،
يا عم تيسيو ! ان هذا الرجل يؤكد ان
الكوسيات التي تبعت اياها مساء امس ،
والموجودة الان هنا تمتع كلامنا ، قد سرفت
منه ، فاجاب انت !

فاثمق وجه القادم حتى غدا كالشمع ،
وهم بان ينصرف . ولكن القرابين متعاصكوا
به وحالوا دون انصرافه ، والقاضي نفسه
امره بالبقاء .

اما المم مجازف فقد واجه اللص بقوله :
- سترى الان كيف تكون فضيحتك !
فاسترد المم تيسيو دعاءه الباردة ،
واجسأ :

- انتبه جيدا لا تقول ، لاني اذا لم تستطع
اثبات ادعائك - ولن تستطيع ذلك بكل تأكيد -
فسأرسلك الى السجن لقاء هذا التحخير
والفتح . ان هذه الكوسيات كانت لي ، وقد
تهدمتها في غيبي عينه ، ككل ما حملته هذا
امام الي سوق غواديس . لن يستطيع ي
انسان ان يثبت عكس هذا .

فعاد المم مجازف بقول ، وقد انتهى من
فك منديله ، ونشره على الارض : - سترى
الان !

عند ذاك تاترت على الارض كمية من عروق
الكوسى ما تزال خضراء بظفر منها الرقيق ،
بينما كان البستاني المعجوز ما يزال جالسا
على ركبتيه يمسك متفقا بمسء الحور ،
ويوجه الخطاب التالي الى القاضي والمتفرجين :
- ايها السادة ! الم يحدث قط ان دفنتم
شراب ؟ او لم تروا السجل الاخير الكبير
الذي يحمله الجاني ، والذي يقطع منه
الاصالات ، ويترك لها اصولا موصولة به
لكي يمكن الرجوع اليها لتلك من صحة
الاصالات او زيفها ؟

فاجاب القاضي مؤكدا :

- هذا الذي لعينه يدعى « سجل الام
وبنتها » .

- حسنا . هذا هو بالفعل ما احمله الان
ههنا ... سجل الام وبنتها في غيبي .. او
الارومات الصحية التي كانت هذه الكوسيات
معلقة بها قبل ان يسرقوها من غيبي . ليس
عليكم الا ان تنظروا . هذه الارومة كانت
لهذه الكوسية .. هل فيكم من يستطيع ان
عشقه فيها ؟ وهذه ايضا . انظروا .. كانت
لهذه الكوسية .. وهذه اكبر قليلا .. انها
لتلك التي هناك .. تماما ! وهذه لهذه ..

ما لتلك الرؤى

يا جزى الله عاديّات الليالي
طال شوقي الى الديار فاين
اين ابن الديار اتقع فيها
كلّما شمت للسلاو سبيلا
قد ملّت الحياة اداّب سعيّا

ما لتلك الرؤى ترفرف حولي
وخيال الديار يلعب فيمّا
ولصوت الاحباب يطرق سمعي
ورياح الشكوك تدلف نحوي
ما عجب علي هذا ونفسي
ما سالت الزمان عسودي الا
جفت دمعنا الليالي فرحنا

ليت لي في نواي اجحة النسر
امتطي غارب الرياح وأرقى
ثم الوي الجناح للأرض خفصا
أغمر الأرض والسماء حنانا
عهد كنا نقش التلال لنلقى
انتحي تربة هنالك فيها
يوم بيت شبولة الشام تسقي
استثير الأرواح تبعث فينا
علّ ذاك الإباء يوقظ قومي
إن نارا اعتقد تعاهدوه يتادبهم

اين اين الاسود تدرأ عنا
تنشط الصرب للتوثب كيما
عريدي اليوم يا ذني الغرب ما
«نحن من شملة الجحيم خلقنا»

فاتق جبور

خوخوي - الارجنّتين

الشيخ المظفر - نقولا الخوري

المطران جبرمانوس مقدم

بقلم البدوي المثلث

١ - الشيخ عبد القادر المظفر

ولد في بيت المقدس عام ١٨٨٢ وتلقى دروسه الابتدائية والاعدادية فيها على مشاهير علمائها امثال الشيخ طاهر ابي السعود والشيخ علي الخطيب وانتسب الى الازهر الشريف واشتهر بين لداته بطلاقة اللسان وسرعة الخاطر وارتيال الخطب ، وعاد الى مسقط رأسه ليزاول التجارة وليعمل في الشؤون العامة ، وفي العهد التركي كان عضوا بارزا في « جمعية الاتحاد والترقي » ورئيسا لـ « جمعية الاخاء والعفاف » المقدسية .

وفي حملة القتال التي قادها « جمال » السفايح لطرد الانكليز والاستيلاء على قناة السويس انضبط العسكريون الاتراك شؤون الدعاية للجيش التركي والحض على التنازع في صفوفه بالشيخ المظفر للداقة لسانه وتأثيره في سامعيه اذ عرفه اولئك المسؤولون خطيبا شجاعا « الملقب » فرافق الحملة مع ليف من العلماء في عدادهم الدكتور عبد الحميد مع لفي ، وهناك الهب المناضلين والمتطوعين بخطب حماسية دعا فيها الى دعم الدولة العثمانية ومؤازرتها ومناجزة الانكليز وحلفائهم .

وبعد الفصل الذي منيت به حملة الاتراك على القتال عاد المظفر الى فلسطين وسورية داعيا لمحاربة الانكليز ومساندة الدولة العثمانية خشية دمار دولة الخلافة وانهيارها ، وله اثناء في هذا الميدان امثال الامير شكيب ارسلان والشيخ اسعد الشقيري والشيخ عبيد العزيز شوايش وغيرهم .

وبعد ان نفذ جمال السفايح احكام الاعدام بالعثمانيين من احرار العرب وساستهم تفاقت النعمة عليه في شتى الاقطار العربية ، وحدا من ليهيا اقال المسؤولين الاتراك « جمالا » الكبير من قيادة الجيش الرابع لفسحه وطفانياته وبطشه وعينوا « جمالا » (١) الصغير قائدا عسكريا مسؤولا فعمد هذا الى سياسة اللين والرحمة مع العرب فعين الشيخ المظفر مفتيا للجيش الرابع خلفا للشيخ اسعد الشقيري فاستغل المظفر مركزه الديني هذا فنعى سعيه حثيثا مع « جمال » الصغير وتحسين بك والى سورية

لاعادة العائلات العربية التي شردوها « جمال » الكبير وزبائنه الى مجالس الاناضول لتواجه الصقيع والمجاعة هناك فيقتضي افرادها تبجهم هناك .

وسعى المظفر للرفع عن الاحرار العرب المتقلين في سجون دمشق وعاليه وغيرها امثال الاستاذ محمد الشريقي والشيخ سعيد الكرمي ونجيب بليق (٢) ، فانتمرت مساعيه خيرا ، والى هذا اشار الاستاذ الشريقي في قصيدة مطولة له منها :

فف في المراجع واسمع انشادي فالتشر قد يروي غليل الصادي الى ان يقول :

كم من فتاة في الربوع ومطفل تربت كؤوس اليوس بعد تبعها صرفا بمحض سماية الؤساد لما قدمت النعام حين حجا بها وانجاب عنها ليل ليل فساد تلك المرأة لا مروة مثلها صون « الربايا » و « زينب » و « السعاد » اب الذي اظى الكرم وصالحها وسواك ارحمها بسوق مزاد يا بعد بين « يد » لكفك ادمعا و « يد » شق حشاشه الاكباد !

وفي عام ١٩١٨ هزم الاتراك والامان في الحرب العالمية الاولى فلاذ الشيخ المظفر ببرلين لاجئا سياسيا مع نفر من رجال العرب كالامير شكيب ارسلان وغيره .

وبعد قيام الحكم العربي في سورية والاردن برئاسة المظفر له فيصل الاول عاد المظفر الى دمشق وتولى ادارة « النادي العربي » واليب الكون انفس بخطبه الحماسية ودعا العرب الى مناجزة فرنسا الطامعة ببلادهم وكان النادي العربي مسرح نشأته !

وفي انقلاب معركة ميلون وتفرق احرار العرب زار المظفر اقطار تالية وما لبث ان عاد الى فلسطين فاختره سماحة الحاج أمين الحسيني ، رئيس المجلس الاسلامي الاعلى ، ليرأس وفدا فلسطينيا زار الهند لجمع التبرعات لاصلاح الصخرة المشرفة .

وبعد ان قامت حكومة « الشرق العربي » في الاردن عاد المظفر الى فلسطين وعمل في الحركة الوطنية وكان على صلات حسنة بالمفغور له الملك عبدالله بن الحسين وذات يوم غادر فلسطين هربا الى عمان ولجا الى حمى الملك الهاشمي فحال دون اعتقاله البريطانيون له .

واشترك المترجم له في الحركة القومية بفلسطين وكان احد ممثلي القدس العربية في المؤتمرات الوطنية التي شهدتها كبريات المدن الفلسطينية ، وفي السابغ والعشرين من شهر تشرين الاول ١٩٣٣ قاد رجال الحركة الوطنية الفلسطينية ، والمظفر في طليعتهم ، مظاهرة كبرى في باغا من الجامع الكبير وعلى راسهم المفغور له موسى كاظم باشا الحسيني رئيس اللجنة التنفيذية العربية فاعتدى البوليس البريطاني على رجال الحركة بهراوات غليظة ، وشج ادهم راس كاظم باشا فنقل الى المستشفى واحتدل رجال البوليس بقية الزعماء وادعواهم السجن حتى يقدم كل منهم كافلة (حسن سلوك) ، لكن المظفر لم يستجب لهذا المطلب وابتى ان يسجل عليه ارادة

(الكفالة) بل آثار السجن والاعتقال مدة ستة شهور ،
والى هذا الموقف المشرف اشار المرحوم ابراهيم طوقان
شاعر فلسطين في قصيدته البهامة « الشيخ المظفر »
بقوله :

انظر لما فعل (المظفر) انه
احب القلوب ، ودونهن ودونه
عرسوا (الكفالة) والكرامة عنده
ورأى التحير في التحير سبة
لم يخل ميدان الجهاد بسجنه
ولكم خلا بوجود جيش زاخسر
ان (المظفر) من حديد جسمه
نفع القضية غالباً لم يحضر !
غرف الحديد ، وحاميات العسكر
عيا ... عرشي يقاس بجوهراً ؟
فلدى كرامته بـ « ستة اشهر »
فلقد رماء بقلبه التمسعر
يمشي اليه يخطوه التمسعر
فيما أرى ، وجسومهم من سكر !

واشتهر الشيخ المظفر بالمرح والدعابة وتوقد الخاطر
وكان مطلقاً على الادب العربي قديمه وحديثه ، وفي
عام ١٩٤٥ زارني في عمان مهتماً بتحرير من « الوظيفة »
واغلاها واثنى عليّ بيتين لابي الطيب المنبي ، لم اجدهما
في نسخ ديوانه ، فيهما حض على التجارة وارتىساد
آفاقه .

وفي يوم الاثنين الواقع في الرابع والعشرين من شهر
شعبان ١٣٦٨ هـ (١٩٤٩) لحق بربه ودفن في مقبرة
باب الساهرة بالقدس .

نماذج من شعره : والشيخ المظفر ، بالإضافة الى غزارة
محفوظه ، شاعر مطبوع على الدعابة وخفة الروح ،
وبيته وبين المغفور له الملك عبد الله بن الحسين والمغفور
له احمد حلمي باشا عبد الباقي مساجلات ومطاحات
شعرية ، ومن اخوانياته التي وعها الذاكرة ما يلي :

في ربيع عام ١٩٤٥ هبط يافا المغفور له احمد حلمي
باشا مدير عام بنك الامة العربية لتفقد الأوراق بطلاقة
يصحبه السيد صدي الطبري والشاعر مصباح العابودي
والمرحوم سليم عبد الرحمن ، فقرروا « سرا » تكتية
الشيخ المظفر بوجبة الغداء ! وعند الظهيرة غزوا بيته في
ساقا وعلى رتاج الدار اشد حلمي باشا قوله :

فل للمظفر ان بيتت رحابه وحللت في ذلك الجنب الاسرع
يا طرد الاضياف ان طليوا فرد قد جئت ضيفا انما « الزاد » معي !
ورد المظفر بديهة وارتجالاً بقوله :

اعلا بمقدمك السيد ومرحباً ما كنت بالضيف الثقيل لتطردا
البيت بيتنا : ان حلت به فسحى واذا حلت القيل لست مضيقا
فاتبع يا سيدي متفصلاً « الزاد » يا مولاي ناكه معا !
وبعد ان فرغ الاضياف من تناول الغداء اشد حلمي
باشا :

رفعتنا للمظفر أي شكر وقد جاء الغداء كما يرام
فقالوا : انه بالجوهر فرد وقلنا : انه نعم الجواد !
فارتجل المظفر ابياتاً جاءت من نفس الوزن والروي
والقافية هي :

بنفسى سيدي الباشا المفدى ومن سوداده يزهو الوداد
دونك للغداء على الفرداد فجدت وجاء ارمصة شداد
ابادوا ما بيتني من طعام فحتد العسر والهلع الجراد
وهل برضى الدراري بيت شعور يقول بانى البطل الجواد !!

وبعد وقوع التكية الفلسطينية وتوحيد ضفتي الاردن
تحت التاج الهاشمي وجه الملك عبد الله رتبة « امير لواء »
لاحمد حلمي باشا عبد الباقي واقامه حاكماً عسكرياً على
القدس الشريف وحارساً للاماكن المقدسة .

وبعد ان ارتدى حلمي باشا البزة العسكرية وعلى كتفيه
سيوف ونجوم وتيجان تلمع سره هذا المنظر فداعب حلمي
باشا بقوله :

يا سيدي اتي سمعت بما جرى « سيفان » صولان فوق المكتب
فذكرتم وذكرتم حسن بلاكم وفتحت من فرح : صلاتك يا نبي !
وسكنتم « دار اليتيم » (٢) وداركم تشكو الهوان من الدخيل الاجنبي
من النفوس بان تفوق هنادها او تستدل بمظلم او مشرب ؟
يسا وبع امتنا ويوسع بلادنا ساعت وضع رجاء كل فتى ابي
ولو اتسنا كسا الضحايا وحدنا هانت مصيبتنا على التقلب !
ومن المساجلات الشعرية التي دارت بين حلمي باشا
والشيخ المظفر الابيات التالية وهي توضح واقع الحال
اشد حلمي باشا :

فل للمظفر قد اطال صدوده يا شيخ لا ادري لصدك تنها
الانني قد كنت ضيفك ساعدا اقسمت انك لن ترى لي وجها !
فرد المظفر بقوله :

يا سيدي لولا الذين صحتهم ما كان لي في الصد اي علاقته
فهم اذا سمعوا بضيف زارني دخلوا عليّ بخفة ورفاشه
مستألفون من الطعام للبدنه ويعملون الجبن (فوق الطالة) !
ولو انهم يعد الطام تودوا ان يتروا بيتي بغير (خفانه) !
لحدثت سرهم وحسن ضيفهم وشكرهم شكر الحب رفاقه !

٢ - نقولا الخوري

في « بيت حالا » جارة (المهد) ابصر النور وبعد ان انهى
دراسة الابتدائية في مسقط رأسه ارسله والده اللاهوتي
المرحوم جريس يعقوب الخوري سنة ١٨٩٦ الى بطرسبرج
ليدرس في جامعتها ، وبعد ان نال الشهادة النهائية
بارحها الى فلسطين وامضى بين ذويه فترة قصيرة ثم عاد
الى بطرسبرج ونال الدكتوراه فسي الاقتصاد السياسي
والمالى من جامعتها .

وفي عام ١٩١٢ عينته السلطات في روسيا في منصب
كبير بوزارة الاقتصاد ، وابتدى كفاءات حمل الحكومة
الروسية في اوائل الحرب العالمية الاولى على ان تسند
اليه مراقبة مالية العاصمة .

وعلى اثر الانقلاب الروسي الخطير ١٩١٧ اختارته
الحكومة عضواً في الوفد المنتخب لعقد معاهدة الصلح مع
المانيا في برست ليتوفسك ، ولكنه اعتذر عن الاشتراك
في هذا الوفد لانساب قنع بها المسؤولين فانتخبوا
سكرتيه الروسي بدلا منه .

(١) - من مارسين اصلا . (٢) - من بيروت اصلا . (٣) - يعني
بها « دار اليتام الاسلاميه » بالقدس التي لجأ اليها حلمي باشا خلال
تشوب الاضطراب الفلسطينية وابان وجوده حاكماً عسكرياً . (٤) - هو
(كتاب الكلام الجني) المطبوع في بيروت عام ١٩١١ .

وفي سنة ١٩١٨ اسندت اليه الحكومة الروسية مراقبة المالية العامة وهو في اصطلاح اليوم (رئيس ديوان المحاسبة) فاضطر بحكم منصبه هذا الى التنقل من ولاية الى اخرى على رأس رعييل لجب من الموظفين ، الى ان افضى به المطاف الى مدينة ايكاترينبرغ وفيها اصيب بنزلة صدرية حادة فتوفي صباح ١١ ايار ١٩٢٠ وعندما تناهى نميه الى شقيقه الشاعر الاساتذ اسكندر الخوري البيشجالي رثاه بقصيدة رفيقة خفيفة الوزن والظل هذه بعض مقاطعها :

يفجر ذكرى روسيا دموعي فوق خديا
دما من بين جنيبا فان عزيز عينا
ففي في ارض روسيا
ففي في ارض غربيته بعيدا عن اميته
ووالده واخوته وموطنه وامته
ففي في ارض روسيا
ففي كالقطن فامته وكالصمصام همته
ففي كاليدر طعته فتي خرفته امته
ففي في ارض روسيا

اخي ابيك ما كنت نجوم و ذكا طلعت
وما سحب السما هلك وورق في السما هلك
وما نور بعينيا

اخي لا شيء بطرني ويسمدي ويهتني
بعاد يا اخي شجي بكاد يتال من بدني
وما بين جنيبا

(اكثر نبرغ ، ان لنا عزبا فاحفظه لنا
بارفسك لي اغ سكتنا لكذا أصبحت لي وطنا
عدا وطني بسوريا

ضمنت فتي اخوا علم اخوا عزبا اخوا حزم
فكوني الام في الفم لمن يفتني كلام
اخي بل نور عينا

اليك احسن ما دمت من الاحياء وان مت
انا بشرك اولمت فلا انسك ما عشت
وحزني خالد فيا

غدا امشي اليك لكي اصلي فوق قبر اخي
اسد الى يديه يدي واحنو من لثراه علي
واتدب غيف روسيا

عيون الله ترعاه وبالرحمات تفشاك
غدا اسمعي للتيك كمجنون باحياك
اخي صيف روسيا

٣ - المطران جرمانسوف

ولد في دمشق وتلقى دراسته الابتدائية في مدرسة الروم الكاثوليك بباب المصلى وبعد ان أنهى دراسته الابتدائية عين كاتباً في حانوت تجاري فكان مثال الاستقامة والنشاط . وفي احد الايام امره صاحب الحانوت ان يقيد بضاعة على (زبون) لم يأخذها فأبى المترجم له ان يفعل ما يعذب ضميره فانتقل الى حانوت صائغ دمشقي وظل يعمل فيه ثلاث سنوات ، وسرعان ما خطر له ان ينتسب الى الرهبانية فولى هارباً على قدميه الى دير المخلص (بجوار

صيدا) وطلب الى رئيس الدير ان يقبله في عداد الطلاب لكن الرئيس حال دون امتيه ريثما يوافيه بشهادة مهورة بتوقيع آخر شخص عمل لديه وازاء بكتائه والاحاج استحباب لرغبة الفتى .

هام الصبي بالصلاة واذل نفسه وقهرها وعاش متقشفاً لتهيامه بربه وكتب على جدار غرفته بيتا لابين الغارض هو : اذا شئت ان تحيا سعيدا فمت به شهيدا والا فالغرام له اهل !
واسرف الفتى الدمشقي بارتداء الثياب الرنة ، وزهد بحطام الحياة الدنيا ، وتميز بروح التقوى والصلاح ، وبعد ان أنهى دروسه العربية بغنونها ثم الدروس الفلسفية واللاهوتية رسم شماسا انجيليا وارسل الى دمشق ليدرّس بضعة شهور في المدرسة البطريركية ثم انتدب رئيسا ليعلم الفلسفة في دير المخلص وسيم كاهنا لطائفة الروم الكاثوليك بالقاهرة وانتخب كاهن اصرار البطريرك غريغوريوس يوسف وبعد فترة اختاره نائباً بطريركيا في بيت المقدس .

وفي المدينة المقدسة رقي الى رتبة ارشمندريت وسهر على شؤون طائفته وسلخ في مدينة السلام سبع سنوات وسافر الى فرنسا ليستندي اكف المحسنين ويجمع صفات المؤمنين ليشيد المدارس ودور العبادة .

وفي ١٦ آذار ١٨٨٦ سيم مطرانا على ابرشية بعلبك فخدمها مدة ثماني سنوات بغيرة وحماس ، وبعد ان ادى رسالته الروحية على احسن وجه استقال من عمله وسمي اسقفا فخريا للاذقية سنة ١٨٩٤ واشتهر هذا الحبر العربي بجوارحه الخطابية وطلاقة لسانه .

وفي ١٣ حزيران من عام ١٩١٢ فاضت روح هذا العابد الزاهد الى الخدر السماوي .

من آثاره العلمية : ترك المطران معقد كتابات منها الدينية ومنها الخطابية والادبية ودونك اسماء الكتب التي قام بتنقيحها :

- (١) الميانون طبع عام ١٨٨٣ . (٢) مختصر الميانون طبع عام ١٨٩٧ . (٣) السوامي .
- وهاك اسماء الكتب التي صنفها :
- ١ - الكلام الهي طبع عام ١٨٩١ .
- ٢ - رفيق العابد الجامع لكل الغرائض .
- ٣ - تفسير القداش الالهي وخدمة الفصح الجليل .
- ٤ - لورد وفناها طبع عام ١٨٩٦ .
- ٥ - سبيل الصلاح (جزآن يشتملان على الخطب التي القاها في كاتدرائية دمشق) .
- ٦ - حسن الختام (يشتمل على مواعظ لكل احواد السنة) .
- ٧ - تحقيق الاماني لدوي الطقس اليوناني .
- ٨ - خدمة الفصح الجيد .
- ٩ - حسناء ببروت (رواية خيالية تدور حوادثها حول حادثة واقعية) .

عتبي

تسرى لـو جاني يوماً
ويبعد عن مخيلتي
ويصدق من محبتي
أصميتني مودنته
أيما سو جرحني الدامي
أفبيل منه أعذارا
وقلبي ليس يغتبه
وقلبي كم يعذبني
لماذا أخلف الوعد
وسيرني على درب القوايسة والهوى الأعمى

سلافة العامري

دمشق

غربة

الغربة دالسي .. والبعد
والوحدة تهشني أبدا
والغربة والاميل الذواي
فتهاوت في صمت خاوي
أسريت غريباً .. يا ولي
وحدي لا يرحمني ليلي
فلقد عاودت حكاياتي
ولقد أطلقني خيالتي
فتناهت .. وأزاد التكبد
وبقيت هنا لا يدركني

والوحشة تعصف .. تشتد
أبدا لا يراف بي سهد
وأمان .. اغراها الجعد
ونوارث .. إذ فصاع التصد
فتناحت أباي .. والهد
ويبوت بأعماقي السعد
والذكرى .. منذ كان الوجد
وبقيت هنا لا يشغلني
شغل .. إلا لاء .. أو نند
لا يدرك ما تناني فرد

ناصح محمود

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

هذا العصر الذي كثر فيه دعاة الخلاعة والفورور . وبمنا
اني احد خدمة الدين اقبلت على تأليف هذا الكتاب (١)
داعيا به الى الفضائل والتقوى ببيان محاسنها ، حاضا
على مجانبة الرذائل ومجافاتها ، بكشف اضرارها
ومساوئها . وكل ما فيه على اختلاف الموضوع وتباين
المعاني يعود الى هذين الامرين . وقد اودعته مبتكرات
القريحة الضعيفة ، ليكون له شيء من طلاوة الجديد
وتأثير المبتكر ، وارسلت فيه القلم على سجيته ، ليكون
خلوا من التعمل والتكلف ، واوجزت فيه ما شاء القام ،
دفعاً لسام التطويل وهو يتضمن خطيباً للصوم الكبير
وجميع اعياد السنة ، وقد دعوته « الكلام الحي » اي
الصادق لما تضمنه من صدق التعاليم وصحة المبادئ ،
فان كنت قد احسنت التأليف واصبت الفرض الذي
توخيت فذلك غاية ما كنت اتمنى ، وان كان لحقني الوهن
والتقصير فاني قد بذلت وسعي ! » .

البديوي المثلث

عمان - الاردن

- ١٠ - رحلة الفيلسوف الروماني (تتضمن ترجمة حياة
السيد المسيح على صورة لطيفة) .
- ١١ - السلوى (جزآن يشتملان على روايات لطيفة
ونوادر مستلحة) .
- ١٢ - اذكر الرب .
- ١٣ - نشائد روحية .
- ١٤ - زخيرة الاصفارين (مجموعة من اقوال اعاضم
أئمة الكتبة الاقدمين والمحدثين ضبطها بالشكل وطبعها
في بيروت عام ١٩١١) .
- ١٥ - روائيل خزامي .

نموذج من نشره :

« الحث على الآداب والترغيب في الفضائل وتقوى الله
من اهم واجبات دعاة الدين ، والنهي عن المنكر وكشف
مضار الرذائل من اجل فروضهم المقدسة . ينبغي لهم ان
يطلقوا في كلا الامرين لسانهم : على المنابر وفي المحافل
وفي السر والجهر ، اثناماً بأمر القائد العظيم القائل :
« علموهم حفظ جميع ما اوصيتكم به » وخصوصاً في

الحياة ، والنظر فيه خلوا من كل ضغينة وحسد ، تتمثل له الحياة ، بامتداد ابداعها ، وسحيق مناهاتها ، ونجتلي منه صوفية انسانية تشد اواصره بالكون ، وتربطه فيه ، فهو يخلق في اجواء طليقة رحيبة من اجواء الحياة ، ولا يكتفي بالتحليق في جزء ضيق فيها . فالحياة عنده حائلة بالشعر ، وفي محاربي الطبيعة جمال لا يبصره الا المتدمجون في الكون يرقون اليه على براق من بصيرتهم الحادة ، واحساسهم النفاذ .

والعقاد لا يكتفي بوصف مظاهر الكون الطبيعية المادية ، وانما يتسرب الى اعماق وما وراء هذه المظاهر . فيرينا انماطا من الجمال خفيت عن بصائرنا ، يكشفها برهافة حس وبصوفية عميقة ، ويقول من قصيدة يصف فيها ليلة مقمرة من ليالي الصيف على الشاطئ السكندري :

شف لطفاً عصاً وراء السماء نصور بصر ، مقضى السلاسل
رق سجد السماء حتى كان العين ، تلو هنالك سر الفسفاء
ونرى البحر ولو توسده ، انكس ، لم ينتهي من الإغفاء
وكان الغرير صوت يناجي القصب حتى لهمس بالاصفاء
فسي سكون كاتسه نفس الصالحم او خلق طائر في الهواء
وما ابدعه حين يصور الاجسام الخجلة يجمعها ماء
البحر فتخجل ، ونحن نعرف ان الخجل ينطبع على
الخدود ، ولكن العقاد بما اوتي من رهافة حس ، وبلاغة ذوق استشف الخجل حتى في الاجسام الجميلة يقول :

ارى في البحر اجساماً تشع عليها من حياء الحسن دمع
اذا ما لمناحها جنتها اراى لها خجل على الاعطاف بدع
وما ابدعه حين يصور خبر مقدم الربيع ، ويناجي في اوراق الخريف في اعطاف الشجر يقول من قصيدة :

يا ايها الورق المخضر فسي شجير عهدي ، وما فيه من ذي خضرة اثر
من اين اقبلت؟ بل من اين اقبل في عيدك الموع ، ذاك العطر والزهر
انا سالتا .. ولو عاد السؤال الي فحوى الصمائر ، لم نعرفه يا شجر
سنتا بحقك من اين استجد لنا هذا السرور الذي في القلب ينتشر
كلاهما طارح طاف الربيع به على براق من الانوار يتحدر
سله فان لم يعب فاقم بفقدهم وافرح به ، وانتظره حين ينتظر
اذا اجاب بالزهار مختصة وبالسرور ، فحسبي ذلك الغرير
والعقاد كما قلنا عميق الانحساس بالحياة وجمالها ، فاذا ما تسلسل الى باطنها ووقعت نفسه على سر ما فيها من جمال الاق ، فانه في حالات اخرى ، يصف انفعالاته وما انطبع في مشاعره ، ومسارب حسه من اصداه بعثتها مظاهر الكون في نفسه :

لقد اصطفاه في رأس البر ، وهو مصيف حالم
حافل بالواو الجمال الصامت التوهج فاذلته المشاهد
وانارت في نفسه انفعالات شتى يقول من قصيدة :

منظر من سحر الجمال اراهـا ولولا سناها ، قلت كنت اراهـا
تلوح كذكرى حالم يستعيدـها لمعق معانيها ، وبمسددها
فمن عالم التسيان فيها مشابهـا وفيها من السلوى جميل رضاهـا
ليالي براس البر ، تندي وداعـة ورقية اشجان وطـباب نداها
وداعـة ذات الدل شاب فؤادهاـا وشوائب من حجر فراش صباهـا
ليال براس البر ، طـباب نداهاـا وشفت دباجهـا ، ورق سناهاـا



عباس محمود العقاد

العقاد الشاعر

بقلم مصطفى درويش الدباغ

ان الحديث عن الاستاذ الكبير المغفور له عباس محمود العقاد كاتباً وشاعراً ومفكراً ، يأخذ صفيحة من صفيحة حقا دوحة وارقة الاغصان كثيرة الظلال ، وانه مفكر عظيم من كبار مفكري الاسلام ، يؤمن بملكتي الاحساس والعقل، وبملكة نائلة بسميها ملكة الوعى الكونى ، يدرك بها الانسان العبقري البصير ذاته ، ويدرك الحقيقة الكونية الكبرى ، وانه ناقد كبير من كبار نقاد الادب فى العصر الحاضر اتيح له من الوعى والدق ، والذكاء الناقب ، ما كشف به عن الحقيقة والجمال المطلق الكامن فى جميع اصناف الفنون ، وكاتب تراجم عظيم من كتاب الترجمة لا يقل ابداعا عن « اندره مودروا » الفرنسى ، و« اميل لودفيك » الالماني ، يكشف لك عن حياة العظماء ، ويظهر لك مناحي العظمة والقوة فيهم .

بيد اننى الان ، اتناول العقاد شاعرا ، ارجف الحاقدون عليه وانتزعه من وادي مفر ، ومن قمة الالب، ووسمه بانه صياد حكم ، وشاعر فكر ، وليس شاعر نفس ، وانه تائر في معظم شعره بالشاعر الانجليزي « توماس هاردي » وغيره .

ولو استعرضنا دواوين العقاد ، وتابعتنا نظوره الشعرى ، لراينا على خلاف ما يزعمون ، وما به يخرفون . العقاد شاعر كبير من شعراء النفس ، وشعره هو شعر

وهل تحس به الافلاك والابد
مع الرياح امان ما لها عدد
كانني يمين انواع الدمي ولد
الا توههم قلبي انها جدد
كل البرية من ضلوا ومن رشدوا
ولا يمر بيالي الكيد والحسد
تحت الخمائيل لم يشعر بها احد
والناس عن مائها السلال قد رقدوا
اذا الانام بما برضيمهم سعدوا
سيرا على البحر والامواج تطرد
كما اشاء ويمضي طوعي الجسد
واجمل العيش لا هم ولا نكد
فيلتقي الظبي والفرغامة الحرد
وشعلة الحب في جنبي تنقد
وانه واجد بي مثل ما اجد
قلبا تحجر لسا غصه الكمد
مثل الحمام فوق الكون تحتشد
ويستوى في مداها القرب والبعد

هل يشعر الناس بالحب الذي اجد
ام انه ذاهب هدرا كما ذهبت
يشوقني كل ما القى ويفرحني
وما نظرت الى اشياء اعرفها
ويلتقي في هوى نفسي وفرحتها
لا يعرف الحقد قلبي او يخالطه
كانني نبعة في الارض صافية
تمضي السنون عليها وهي جارية
حب تقيضي به نفسي ويسعدني
وربما خلت انسي استطيع به
وان اطير به في الجو منتقلا
وان ارد به الموتى واخلدنهم
وان افتتح اكبادا مفلقة
وكيف يعجزني شيء اهم به
وربما خلت ان الصخر يفهمني
وربما خلت في صمته زما
صباية وتباريح مجتحة
تحنو عليه وتهواه وترحمه

عمر ابو قوس

حب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhril.com

قلي من الآزرق ذي البهاء يغفر فيه زينة الاحياء
مقبل مبسم الاصواء
مردد الانغام والاصداء

وقيلة منه على رضاء غنسي عن الاجواء والاراء
وعن شايب من الدماء وعنك يا دنيا بلا استثناء
وللعقاد سوانح فكرية وقصائد وطنية واجتماعية
ملات دواوينه ، وترد على خاطره السوانح الفكرية
وتنصر في بوتقة فنه ، فيزفرها شعرا سائفا ، رصينا ،
يدهشك منه براعة اللفظة الفنية المتغلغلة في صميم الحياة
الانسانية يقول :

ليس يمين الجنون والعقل الا خطوتا سائر فحاذر وامسك
اول الخطوتين نسيانك الناس وامسا الاخرى فنسيان نفسك
هذا هو العقاد شاعر الحياة ، وشاعر النفس ،
وشاعر الجمال ، فلقد كان استاذ الجيل بما قدمه من زاد
دسم على خوان معرفته ، اصاب منه المثقفون غداة
لعقولهم ، وروحا وربحانا لنفوسهم ، رحمه الله ، فلقد
كان حجة الشرق على الغرب .

مصطفى درويش الدباغ

عنان

هنا التيل ساج، طال في الدهر سيره وطالت مرامي نبعة ففلاها
هنا البحر نوار الدهور، على الكرى وبطنى ، فلا يحس النفوس كراها
اذا استرسلت اصداؤه في اطرافها ترسلت الاحلام ملء مائها
هنا عالم السلاوى هنا العالم الذي نحس الليالي فيه ، وقع خطاها
والقصيدة كلها على هذا النسق الفريد ، تسلسل
بنية حية ، تكتفي بهذه الابيات منها ، تزخر بالانفعالات
النفسية المرححة الهادئة ، وقد طغى تصوير الاثر النفسي ،
على المشهد الحسى ...

والعقاد رقيق حين يتغزل ، وحين يصف ما يحب
وهو يلبس ثوبا ازرق ، تلتحم فيه الفتنة والجمال كاقصى
ما تكون الفتنة ، واروع ما يكون الجمال - ويمزج ما بين
لون السماء وزرقة ذلك الثوب باسلوب حي وثاب يقول :
الازرق الساحر بالصفاء تجربة في البحر والسماء
جرهها مفصل الاشياء لتبنيه بعد في الازياء
موجود الاقنار والسرود ما ازدان بالانجم الوفاء
ولا يمحض الزبد الوفاء

زنته بالطلعة الفراء ونفسرة الدين والسيما
وظلمة العينين في استحياء
ان فانتسي تقيله في الماء وفي جمال القبة الزرقاء

عندما تصبح السحب طبعا بيضاء متعاقبة
تزخرق السماء ، يبدأ سكان المدينة بالتحرف
الى الحدائق والمتنزهات العامة يستقبلوا
فصلهم العالم ، الربيع . واجزم انهم لم
يروا ، او هم لم يلاحظوا ذلك الحارس ذا
الذراع المقطوعة ، الذي كان يلف فريفا من
فصم الفرد في منزله « السبيل » الرابع .
فقطز الفرد وحركانه متفرغين عن التفكير
بأي شيء غير الفصلك والتفتع بمنظر هذا
المخلوق العجيب الذي يبدو لهم اناسا
مشوها ، غريب الشعر ، مستطيل الرأس ،
فصير القامة ، مديد اليدين ...

كان الفضول ، طبعا ، يدفع بالمتفرجين
الى السؤال عن احوال الفرد ، من أين جاء ،
وكيف استطاده او اشتروه ؟ ولكنهم احدثهم
بانه من اصل هندي ، وزعم اخبر بيان
معلوماته الموثوقة تسبب الفرد الى السودان
حيث احضره مع انثى ماتت في الطريق .

وكثيرا ما يتعجب الناس من ذكاء الفرد ،
وهذا ما دفع بأحدهم مرة لان يبدي تصورا
مخفيا ، مفاده ان الفرد اذا فص شعوره
واليس ليابا مدنية ، ودرب على العادات
الماثولة ، لاصبح انسانا لا يختلف عن سواه ،
فالافضل ان يستر الفرد عورته ولا يظهرها
امام النساء والاطفال ... ورد عليه شاب
تبدو عليه مظاهر التعلم بان علمه اليوم
يجهدون انفسهم في سبيل ايجاد الطرق
المأثورة لتحديد التسل ، نظموا لتفهم
السكان وازديادهم في العالم ، ولما ينظرمهم
في مجامع ومهاك اذا استمروا على هذه
الافافسة من الانجاب ، وليس من المقول ان
ترفع الفرد الى مرتبة الانسان مجرد سنس
عورته !

ولكن احدا من هؤلاء الملقيين لم يحاول ان
يتساءل عن سعادة الفرد في فصمه الحديدي ،
ومعشيه الخشبي الصغير الذي يشبه منامة
الكلاب ، وشجرته اليابسة التبتة ما يبين
ارض الفصم وسقفه المكسور . واذا كان
الحارس ذو الذراع المقطوعة يعرف تفاصيل
حياة الفرد فهو يرفض بشدة الاجابة عن أي
سؤال بدور حوله . ويبدو انه وجد اخيرا
في مصاحبه او ملازمته لهذا الفرد مكسبا
يضاف الى صمته وسكوته . واقل ما يقال
ان الحارس ادرك ان هذا المخلوق الذي
يتحرك فيصحك الناس ويسليهم لا تعني
حركته غير التعبير عن سخطه ورضيقه بنفسه .
ولا نزع من صداقة قامت بين السجان
والسجين ، وانما هو صمت مطلق على
القليين . وكلمة سجان مشيرة للإتسام
والحن في ذات الوقت . فالفتاح والفصل
ليس كل ادوات السجن ، ذلك ان الحارس
يعتبر نفسه سجيئا هو الآخر مع الفرد ، بل

هو يعتبره احيانا سجانه الحقيقي ، فيصده
على وجهاته الشبيهة التي يعجز هو عن
تناولها . فالفرد هذا الحيوان الاخرس
يخفيه اكثر من انسان ، ويشرف على صحته
طبيب يبطري يزوده كل خميس ، ويسأل عن
احواله اكثر من موفف ومدير .. اما هو
فلكونه لا يستطيع ان يقفز او يتعلق بخفة
وليس له ذنب ، وجسمه غير مكسو بالشعر ،
وكونه يفتق ذنقه في الاسبوع مرتين فسان
احدا ما لا يسأل عن صحته وماكله . ثيابه
واحواله . لذا فهو يعتقد بانه خادم لحيوان
لا يستحق كل هذا الاهتمام ، في حين يموت
الناس جوعا . فالقرد لا يتمتع بأي ميزة
جمالية ، سواء في شكله او في صوته او في
عقله ، تدعو الدولة الى صرف الاموال في
سبيل لا شيء ، ومن الحق حقا ربط مصير
انسان بحياة فرد .

الفرد والذراع المقطوعة

بقلم جهاد الكاتب

اما علاقة الحارس بالفرد في
المتنزهين فهي لا تعدى الكلمات المكتوبة
والصفراء اليابسة او الصبيحات التي
يطلقها محذرا الاطفال الاقتراب من القفص ،
او رمي الاوساخ ، او بعض الماكل المصارة
بصحة الفرد . ورغم شيق الفتحة في هذه
العلاقة فو لا يعدم ان يسمع كلمات احتذار
وسخرية من شباب وفحين يكررون دوما جملة
لكاد تكون واحدة « لسا فردوا عندك حتى
نصرخ في وجوهنا » .

ان الحارس يرفض ان يكون صديقا لفرد
او ان ترتبط بحيوان لا يبي من الدنيا
غير نفسه ، فهو لم يسمع شيئا عن الحرب
والقتيلة المدمرة والسباق نحو الفضاء .
صحيح انه لا يؤذي ولا يصنع الشر لكونه
هائلا في طبعه ، نالزا اذا اثير ، ولكنه مع
هذه ليس انسانا . قد يتمتع بميزات
نجدد عند كثير من الناس ، ولكنه ايضا

قصّة

يدافع عن نفسه بوسائله الخاصة ، فاذا
حدث ان ادار مقفده للمتفرجين ويسأل
بانجاههم ، فان هذا يمثل ذروة احتجاجة ،
ولا يملك بعد هذا سوى ان يلف ذنبه على
الفصم ويوقف حركانه تماما . هذا هو الحد
الاقصى لشربه ، ولا يقوم به الا بعد ان يتشق
على نفسه من تحصيل المهانات والمدايبات
الشخبة الثيرة التي يبعثها الصغار والكبار
على حد سواء .

لقد انس الفرد كابوسا .. شيئا رهيبا
في حياة الحارس ذي الذراع المقطوعة . فقد
ربط الناس بينه وبين فرد برياف ساخر
غريب ، فائما وجد ، في الطريق ، او في
البيت ، او في الجامع احيانا .. يسألونه
السؤال الدارج المعتاد « كيف حال الفرد ..
كيف حال الفرد .. » . ولم يعد احد منهم
يساله عن صحته او عن قصة ذراعه التي
شملت الناس فترة غير قصيرة ، والتي
فقطت في حادثة رهيبية تلوق فصتها حد
التصور . ولم يعد احدهم يسأله عن بيتته
الذي تداعى جداره ، وعن الشجار الذي
نشب بينه وبين صاحب البيت حول
اصلاحه . ولم يعد احد يحدنه عن الزواج
« متى ستزوج .. الا تفكر بالزواج ؟ ..
الزواج نصف الدين .. » . ابدا ، لم تعد
اذنا تفتاح على مثل هذا الكلام . وكل ما
هناك بسمات وفضحات ، وتغامر بنشتر من
حوله « هذا حارس الفرد . جاء حارس
الفرد . راح حارس الفرد . كيف حال
الفرد . ماذا يأكل . من اين جاء ؟ لماذا لا
تخاف منه ؟ .. هل اصبح صديقا » . حتى
لقد دفع هذا بالحارس الى ان يشك في
أدبيته احيانا . وكثيرا ما وقف امام المرأة
بتفحص وجهه ويديه ورفيقته وينظر الى مقفده
.. ولكنه كان يتراجع عن فكره حالا بثبت
ان وجهه لا يزال يحمل نفس القسماص
منذ ثلاثين سنة سوى زيادة بعض التفصنات
والتجاذيب السائبة .

كان الحارس ينتمى من كل قلبه في بعض
اوقانه لو خلفه الله فردا ، وليلقي عليه
الناس بعد ذلك ما يشاؤون من الاسماء . ولا
يأس ان لا يكون له اسم اطلاقا . فاقهم اولا
ان لا يبعجوا او يشعروا بشهوة الى ماكل لا
يستطيع اعداده . ولا تستغرب ان آمن
الحارس بان الفرد يعيش حياة مترقة يعجز
كثير من الناس طوال سني حياتهم عن
مجاراتها .

والآن وقد مضت سنتان على علاقة الحارس
بالفرد ، تلك العلاقة الصامتة ، فان انصاف
الحارس لم تعد تحتل مزيدا من السخرية
والعيب ، خاصة بعد ان بدأ يحلم بفرد
ليلا .. يعارقه ويصارعه . يرى فرد يحطم

رحلة العمر

يا الهي ، قد ملئت الكتبا
وازدريت الاصل المرتقبا
وسئمت الشعر واللحن الحبيب
فانا في الارض نفسي غريب
واتأجى الفجر - ذا الثاني القريب
رغبت نفسي بالاناني والتسبيب !
ذقت طعم الحلو طورا والمرير
فتساوى النور عندي بالظلام
حطت رحلة عمري بالأمور
وجلت عيني تصاريح البهور
فتنى ابغ ميئاء السلام ؟

امنية العدم

يا الهي ، كان قلبي فانسا
واراء اليوم امسى غائبا
بعمين الحب كالجبر الخضم
فاتطوى صدري على الصخر الاصم
تنت فسي الحب اراني واحدا
فقدنا قلبي جموحا خافدا
مع خلق الله والتكون العظيم
لا يرى ما حوله الا الدميم
كفرت نفسي بنفسي والوجود
فتمتت في تلافيها الدماغ
عاصفا يحمر الجراب والنجوم
وبعد التكون فسي القسي التضم
فاذا الكل سديم وفراغ !

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ميس بصري

بفداد

ابن ؟

الان وقد تسلس اللام الى التنزه ، وبدت
بعض التجليات تكشف عن استحياتها ، وجدت
الحارس في نفسه شجاعة متزايدة لتنفيذ
فكرته .

اباح لعينيه نظرات سريعة الى المقاعد
الكثبية الوحيدة ، والاشجار الصنوبرية ،
وسور التنزه المرتفع ، وناقورة البركة
الصامتة .. ثم اندفع فجأة نحو باب القفص
وفتحه ، وبسرعة مذهلة ادار ظهره هاربا ،
وكان قد صمم على ان يتحمل كل شيء .

وسرعان ما ارتفع الفرد فوق السور ، مغلفا
وراءه كومة من الاشجار والمقاعد . وفي هذه
الليلة شعر الحارس بنشوة رائعة ، ونام ملاء
جفنته ..

جهاد الكاتب

حلب

طويلة مثل القرد ، وثالث يقول له « شعرك
كثيف مثل القرد » .

بعد ان غابت شمس يوم ربيعي ، وفرح
المتنزه من رواده ، وانصرف الحراس جميعا
عدا الحارس الليلي الهرم ، كان على حارس
القرد ان يحمل قرده الى غرفة خاصة ليضعه
فيها بعيدا عن التسمات القلبية الباردة .
ولكنه بدل ذلك وقف امام باب القفص ،
كتيب الوجه ، وفي عينيه احمرار . ويبدو
ان القرد لاحظ تباطؤ الحارس في فتح الباب
فاخذ يهزه بيديه ويصدر اصواتا متقطعة .

كان الحارس يريد ان يسدل ستارا ابديا
بنيه به هذه المهزلة التي لا زالت تعجبك
الناس رغم نفاستها وشاهدتها المأداة .
وكانت لغة فكرة قد اخترعت فسي راس
الحارس منذ ايام . انه يشعر بكونه غريبا
بسبب وجود القرد ، واعتقد ان بوسعه
استرداد آدميته اذا غلب القرد . ولكن الى

القفص .. ومديره ينهره ويصيح في وجهه :
- مجنون ! القرد تعلم عليك ، ولن اتكلم
من مكانك ولو مت !

ولستمر احلامه متعبة مؤلمة . يشعر احبانا
بعد ان يدلف الى فراشه ان قرودا سوداء
تترافض حوله ، تحمل فسي يديها فؤوسا
وتشير الى راسه .. ويشق الحائط عمن
جمع من الناس يتصايحون « هذا صاحب
القرد . ابا القرد كيف حال القرد ؟ قم ان
القرد هرب . » ويسمع صوت مديره « آخ !
لو هرب القرد قطع رقبتيك . »

حاول الحارس مرارا ان يوقف او يسدد
هذه الاحلام ، الا انسه كان يفشل دوما ،
ويشعر بخيبة والتكاسر ، وبميسل السي
الاستسلام بعد ان اصبح كل شيء في حياته
مرتبطا بالقرد ، حتى امه انتهت يوما باتسه
ياكل مثل القرد . واخر اهمه بان بسده

القصيدة الشقراطية

بقلم الدكتور فؤاد جبور حداد

من « العروة الوثقى » في لندن

توجد في الادب العربي قصائد شغلت الناس وملأت دنياهم فترة من الزمن مثل قصيدة عمرو بن كلثوم في الجاهلية اذ شغلت قبيلة تغلب مدة من الزمن وهناك قصائد المتنبي في المشرق والموشحات في الاندلس . وكما الخ على السؤال التالي : ما هي القصيدة او الشعر الذي ملا حياة المغرب العربي وشغل الناس فيه . وترجع اهمية هذا السؤال الى ان القيدة التي تحتل مكانة مرموقة في المجتمع لا بد ان تعكس الكثير من شخصية ذلك المجتمع وخصائصه .

لقد لفت نظري في الادب المغربي إشارة تظهر بتكرار ملحوظ الى قصيدة تعرف باسم القصيدة الشقراطية فهذا شاعر يشرح القصيدة وذلك يحميها وثالث يسطرها ورابع يعثرها وهذا السلطان ابن زكريا في تونس ينظر الشعراء في القصيدة المذكورة ويقال انه كان يحفظها كلها عن ظهر قلب .

وبطبيعة الحال شعرت بغضول قوي يدفعني لقراءة هذه القصيدة وطال سؤالي عنها وبحثي عليها الى ان وجدت اخيرا في المتحف البريطاني مع شرح ابن الجليل الله محمد المحجوب . واسمها الكامل « القصيدة الشقراطية » ومطلعها : مدح خير البرية « لابن يحيى الشقراطي » . ومطلعها : الحمد لله ، منا باعث الرسل هدى باحمد منا احمد السبل خير البرية من بدو ومن حضر واكرم الخلق من حاف ومتنمل وعندما قرأتها احسست ان هذه القصيدة « التونسية » هي التي شغلت الناس وملأت حياتهم في شمال افريقيا مدة من الزمن .

والقصيدة الشقراطية قصيدة طويلة عدد ابائنا ١٣٥ بيتا وهي تروي حياة الرسول وتصف عظمة نفسه واعماله . وقد قام اربعة شعراء بتخميسها اولهم ابن الشباط وتد صرف ابن الشباط قصدا كبيرا من حياته في شرح القصيدة وتخميسها ويعتبر تخميسه هذا اكبر عمل ادبي قام به . . ومطلعها :

ابدا بحمد الذي اعطى ولا تمل ود به ريب الابن والكسل
فالحمد احدى من طيب الرسل (الحمد لله ، منا باعث الرسل
هدى باحمد منا احمد السبل)

خلاصة النثر من نثر ومن مفر واوال الخلق تشييعا يسلا نظير
من لا نظير له في راي ذي نظير (خير البرية من بدو ومن حضر
واكرم الخلق من حاف ومتنمل)

والتخميس الثاني لاحمد بن عتيق القيسي العامري . . ومطلعها :

اربع من العلم الاسنى على طلل فكم فحيت ولم تنزع الى طلل
وان عشوت الى نار الهدي فقل (الحمد لله ، منا باعث الرسل
هدى باحمد منا احمد السبل)

من سر عننا بسر غير ذي سر جالي المناسب عالي الكعب من مفر
من دوة فرعا في النثر من مفر (خير البرية من بدو ومن حضر
واكرم الخلق من حاف ومتنمل)

والتخميس الثالث لابي بكر بن حبش اورده العبدري في رحلته ومطلعها :

غزل الشباب مضي ان الشبا ولي فيما التول من فولي ولا عطسي
حمد الاله ومدح المصطفى املي (الحمد لله ، منا باعث الرسل
هدى باحمد منا احمد السبل)

والتخميس الرابع للشيخ محمد الانبغير ومطلعها :
باسم الاله وحسي معدن كل ولي ثم الصلاة على المختار في الازل
والالى والمعجب ما نيل املي (الحمد لله منا باعث الرسل
هدى باحمد منا احمد السبل)

وقام بتشطير القصيدة الشيخ ابراهيم بن سالم ومطلع التشطير :

(الحمد لله منا باعث الرسل) وفضل المصطفى في التول والعمل
وفد هدانا الى سبل الهداية اذ (هدى باحمد منا احمد السبل)
وقام بتوشيحها الشاعر ابن زنون شاعر توزر وقد اسماه « التسبيح الاشرف والتوشيح المستطرف » . ومطلعها :

سبحان من خلق الاكوان بالازل سبحان ذي العرش ان ثامني ووجل
والله اكبر ان ما جنته قل (الحمد لله منا باعث الرسل
هدى باحمد منا احمد السبل) فابغ المتنبي هاية الاصل
وتد عثرها ابو الفضل

اذا سري ناسم الاسرار والاصل اذا سري ناسم الاسرار والاصل
واحال عطف البري في الحل والحل واحال عطف البري في الحل والحل
وفد ظل جيد السوسن الغفل ولاحد الترجس الوستان عن مل
قد وردت وجنات الورد عن خجل فحي بالطيب عني طيبة وفل
(الحمد لله منا باعث الرسل هدى باحمد منا احمد السبل)

ولهذه القصيدة شروح كثيرة . فقد جاء في نفع الطيب ان ابا الحسن بن عبد الرحمن الايبيلي جاء الى افريقيا وكتب شرحا قيما للشقراطية .

وجاء في « البستان » ان احمد بن مرزوق التلمساني وضع شرحا اسماه « المفاتيح القراطية » في شرح القصيدة الشقراطية .

وكتب ابن الشباط المتوفي سنة ٦٨١ في ثلاثة شروح لها واحد كبير وآخر متوسط وثالث صغير . اما الكبير فاسماه « صلة السمع وسمعة الربط » . ويقال ان ابن الشباط أنفق حوالي عشرين سنقوه يشتغل في هذه القصيدة وقال فيها « بشت من معارضتها الاطماع واعتقد على تفضيلها الاجماع فطقت ارجاء الارض واشترت منها في الطول والعرش » . مؤلف القصيدة هو عبد الله بن ابي زكريا يحيى

المنسب الى شقراطس وهو اسم حصن يقع بالقرب من قفصه في جنوب تونس وقد عاش في النصف الاول من

لك اجتمعا

ينساب كالرعب في أعراق منهزم
به الليالي من نصب ، ومن سقم
مجنونة العدو .. ترمي الساع بالنقم
به الموازين من عاد ، ومن ارم
على ربيع من الافكار والنظم
ما يفسد النقم الريان بالجسدم

تهدد كالسيل مجتاحا .. وكالحجم
ما في الجماجم من ضعف ، ومن هرم
وتطبق الجو مسجورا على القزم
هانث اخادعه للشاء والنعم
والفجر يشخذ ايذا من الظلم

وتعبث الدود في اهدابه الرثم
يضري النفوس بما يشتر من ضرم!
فكسر تزين بالاقدام والشمم
لا تعرف الخوف في حرب ولا سلم
فيما تحاول من غاي ، ومن غنم
وتنطق الهم لم يجر على كسم
وما تشد اليه قول منبرم
ويستكي الهام بالاجلام والنغم
وبلب الحقد في الاحشاء والهمم
ليل الختل والفا بالويل والعدم
من الوجود ، وموبوءا من الظلم
ان تفرش الارض بالاضواء والنعم
واطبق الجو ... حتى لات منخرم
وشطت الطرق بالاهواء والذمم
وسوف ناعم في دنيا من النغم

محمد المبارك

هالك الرؤى طفحت بالاه والالسم
ويستطيل على الدنيا .. وما وجيت
وما تعاورت الاصباح من محن
يستصرخ الارض ان تلقي بما نقلت
وما يشد عن الاقدام ... منفتحا
ويصفع الدفق : ان ضمت مغانته

هالك الرؤى انفجرت بالفيظ ملتها
تود - لو ملكت - تجتث منطويا
تأتي على الدوح مهزوز الرؤى خورا
وتستبج ذمار « الطهر » منشتما
كفرت بالنور مشدودا قوادمه

والنجم يلثم اقدام الثرى .. ضعة
مالذة العيش ، ان لم يضطرم نفعا
يزهيه الكون : ان قد فاء مطرجه
صاغت له الشمس من اعطافها لفة
ولا تقصر ضرورات تمكزها
تكاد تصرخ بالنجوى ، وقد خفيت
ذا ما نشف اليه شوقي محترق
وما يرنج من اعطافنا ... طريا
وما يوجع فينبأ الرضى محتقنا
ويزرع الافسق بالانسواء منذرة
اذ ليس للارض ان تبقي على نشز
وانما هدف الدنيا وغايتها
فلا ابالي ، وان ضاق القضاء بنا
وصوح الدرب .. حتى لان مصطب
فالجر - ياليل - آت لا محال غدا

انجلترا

بحرا ومعنى ولم يخالف في شيء عدا تغيير بسيط في
اللفظ والقافية ومطلع قصيدته :

امن تذكر جيران بني سلم موزجت دعما جرى من مقله بدم
وأخيرا عارضها شوقي في قصيدة (نهج البرده)
ومطعما :

ريم على القاع بين البان والعلم احل سفك دمي في الاشهر الحرم
هذه معلومات متفرقة عن قصيدة كان لها دوي في
الادب العربي في شمال افريقيا ، ارجو ان اكون قد
ارجعت في هذا المقال شيئا من صداه .

فؤاد جبور حداد

لندن

القرن الخامس الهجري ونظم قصيدته هذه عندما اراد
تأدية فريضة الحاج فالتقاها في حجرة قبر الرسول .

وتعتبر هذه القصيدة واحدة في سلسلة قصائد
قيلت في مدح الرسول كانت اولها قصيدة كعب بن زهير
التي سميت بالبردة لان الرسول عندما سمعها خلّص
برده على كعب . وبعد ذلك اصبحت القصائد التي
تقال في مدح الرسول تسمى نهج البردة او البردة فقط
على سبيل الاختصار . وجاء الشقراطي فكتب « برده »
هذه على وزن قصيدة كعب ثم جاء « البوصيري » بعده
بحوالي قرنين من الزمان فنهج على موال « الشقراطبية »



اميل توفيق

صور وانطباعات من رحلتي في السودان

بقلم اميل توفيق

٤ - العلاقات والتقاليد الاجتماعية - والنشاط الثقافي

مهما تباينت الصفات الخلقية العديدة ، او اختلفت السمات الاجتماعية عند شعب من الشعوب ، فهناك صفات غالبية وسمات متواترة هي التي تكون « الشخصية السودانية » التي ينطبع بها من يعايش هذا الشعب ، ومن هنا فأنني ارى ان من اهم الدعائم الخلقية للشخصية السودانية هي المشاركة الوجدانية او الانسانية . فالوداني يحبك بحراة ويلقاك بالترحاب ، وبين الاصدقاء تجد السلام او اللقاء او الوداع متميزا بالشوق والعاطفة المناججة . ومع اختلاف درجة المشاركة - كما هو طبيعي بين الناس - فانك تلمس اصاله تلك العاطفة بحيث لا ترى بين السودانيين من يوراي عاطفته الا في التادر القليل حتى الساخر المتهكم يظهر سخريته وتهكمه في كثير من الصدق والجرأة ، والضاحك يضحك لمرء فمه ومن اعماقه ، والطروب يملأ الدنيا طربا ومرحا . وهم يعبرون بصديق ويشاركون بصديق في افرحهم وفي احزانهم . ولكن هذه المشاركة مرسومة بحدود الجد ، واحترام الصغير للكبير ، وتقديس للقيم العائلية والقبلية والدينية ، والفردية في التعبير انما تبرز داخل الاطار الجماعي الذي يهيمن على السلوك . والمشاركة اساس لصفة غالبية هي الديمقراطية الطبيعية التي تشجع في المجتمع السوداني . فان طبيعة السوداني الديمقراطية اقوى من فوارق المجتمع او الفوارق الاقتصادية . ففي الونسه مثلا او في المناسبات واللقاءات الاجتماعية العديدة يختلط الناس كبيرهم وصغيرهم في الاحاديث او في المناقشة والحوار بدون

تخرج من مركز او جاه . ولا يرفض الكبير منهم مقابلة من هم دونه ، ولا يتحرج الصغير فيهم من لقاء من هم اعلى منه رتبة او مكانة .

واذا تميز المجتمع السوداني بعنصر التماسك الجماعي ، من خلال صفة المشاركة ، فان للتماسك درجات مختلفة من حديث الاصاله والولاء . فيمكنك ان تعتبر ان الولاء الغالب والاهم هو الولاء للقبيلة او للموطن . ومن هنا يظهر التضاد او التناحر بين القبائل المختلفة حيثما تتصادم المصالح (كما يحدث بين القبائل الرعوية) . وقد احس الراي العام السوداني الذي ينتظم الخريجين والموظفين او المثقفين عامة ، فضلا عن المسؤولين ، بمثل هذه النقطة الخطيرة الهامة فعمل على رفع درجة التماسك الى مستوى الوطن او القومية . وقد تناولت السلطات شهادة الميلاد - مثلا - بالتغيير او التعديل اذ بعد ان كانت تميز بين الحلفاوي والدقلاوي والجاوي الخ . . جاء التشريع الجديد في الشهادة ليمر بكلمتي « سوداني الجنسية » عن معنى التوحيد تحت العلم الواحد ، وعن معنى التدويب للفوارق بين القبائل المختلفة .

من تقاليد المجتمع المدرسي انه يبرز نشاطه الثقافي والرياضي - على مستوى المدينة - مرة في كل عام ، في حفل يسمى « يوم الآباء » . وفي ذلك اليوم تقدم المدرسة - عدا العروض الرياضية والعسكرية والمسابقات في الساحات الكبرى بالهيئة - معرضها العلمي داخل المعامل ، وتمثيليات تعليمية على مسرحها المدرسي . ولقد كنت اهتم بدراسة التمثيليات التي تقدم على ابراز الواقع السوداني وتناوله بالنقد والاصلاح .

وضمن تلك التمثيليات ، مثلت الفرقة المسرحية بالمدرسة تمثيلية (الزار في القرية السودانية) وهي تعالج ظاهرة متواترة بين الاوساط الشعبية المتأخرة . وان كانت الظاهرة التقديمية الجذرية بالتسجيل هي الظاهرة المضادة واعني بها مقاومة الخرافات ، بطريق الصحافة وصحافة المرأة على الخصوص وبطريق التوعية الذي تضطلع به جماعات الطلبة والمثقفين .

واذا كنت اقص هنا ما اذكر من تلك التمثيلية ، فكاننا احكي ما يراه الناس عادة في واقع الامر او شيئا قريبا منه .

زوجان سعيدان يعيشان معا في تعاون صادق ، مع اولادهما . واذا تمر الايام تلاحظ الزوجة ان كسب زوجها قد ازداد ، وان فلوسه قد تضمت ، وان جيبه قد امتلأ ، وانه يدكر بان الخروج والسر ، وبدلا من ان ترى الزوجة من خلال هذه الظروف حكمة او دافعا لتهيئة الجو بالمزيد من الرقي المعيشي ومن بذل المزيد من العناية بالزوج والاولاد والشؤون المنزلية ، امتلأت بالخوف

والتوجس من ان تصبح الظروف الجديدة حافزا للزواج بالزواج من غيرها . وفي ونسبة نسائية انتظمت الجارات والصدقات لتلك الزوجة ينشأ حوار اساسه الجهل ومنطقه الشك ، والخوف وعدم الثقة بالرجال ، وينتهي بقرار يقضي باستنزاف الفلوس الزائدة باستخدام الحيلة . وحيث ان ممارسة المرأة لدلالها في الجو المعتدل لا يحقق هذا الغرض ، فالحيلة هنا هي ان تمرض الزوجة وان يستشير الزوج في امر مرضها الذي يستعصى على كل دواء ، وان تشير عليه النسوة بضرورة استدعاء العراف او العرافة لاقامة الزار ، الذي بواسطته يخرج الجن او العفريت الساكن في جسدها . ومن ثم تحظى بالشفاء ، ويطرد كل شر من جو العائلة . وتمثل الفرقة الزار الذي تقيمها العرافة من اجل المرأة المريضة بالطبول والاصوات المتكررة والانفاظ المهمة . وعندما يستفهم الرجل على صحة زوجته تاتي فرصة العرافة باستخدام الحيلة فتذكر له ان زوجته لا يمكن ان تشفى بغير ان تشعب رغبة العفريت الساكن ، في سوارين من الذهب وفي ثوبين من الحرير ولكون التمثيلية هادفة ، فالرجل اذ يغلط للحيلة ، يعرض الامر على اصدقائه الذين يشيرون عليه ان يعالج الامر بالحيلة ايضا . وفي المنظر الاخير يقام الزار من اجل الرجل المريض ، ويطلب العراف ان تقوم الزوجة بطقس الوان معينة من الطعام وان تقدمها بنفسها لرجلها والا فالعفريت الذي يقضم الرجل لا يشبعه غير التطلاق . وفتنة التمثيلية بالالفة بين الزوجين ، والسخرية والتحكم على العرافة والزار والممارسات والتقاليد البالية .

وبغض النظر عن الغرض من استخدام الزار في هذا المثال ، فهو ما يزال ظاهرة مرضية عصابية اجتماعية ، لها دلالتها الخطيرة التي تستوجب الحلول الكلية في مثل هذا القطاع من المجتمع .



ضمن تقاليد الزواج - في الاوساط الشعبية - ان تناهب الفتاة للزفاف وان تعد لهذه المناسبة اعدادا مناسبا . ومن اجل ذلك تستعين الاسرة باحدى الخاطبات او (المعلمات) فتقوم بتمشيط شعر العروس ، وتصفيفه بعد ترطيبه بالزيوت والمطور . كما تقوم بتعليمها فنونا من الرقص يمكنها من اداء رقصات معينة في ليلى الحنة والزفاف . وفي الليلة الاولى - الحنة - حيث يدعى الاهل والاقارب وبخاصة السيدات ، ترقص الفتاة مع خطيبها بحيث يكون معها حلدا من ان تقع على الارض اثناء الرقص كما تعتمد ان تفعل - أي ان عليه ان يمنع منها ذلك . والا فان عليه في كل مرة فلتت منه ان يدفع غرامة يتفق عليها .

وفي خلال الاسبوع الاول بعد الزفاف ، تلتزم العروس بتحية صاحباتها وضيافاتها المهنتات ، بتأدية رقصات الفرح امامهن ، تعبيرا عن استجابتها لمشاركتهم

فرحتها بالزفاف . ويقضي العرف السوداني بعد ذلك ان يدق للسيدة المتزوجة بوشم على الشفة السفلى فيميزها من غير المتزوجات .

ولا تتبع هذه التقاليد برمتها او بحرفيتها ، في تلك الاوساط الشعبية ، فان لكل قبيلة معينة تقاليدھا الخاصة بها ، فضلا على ما يصيب تلك التقاليد من تحوير او تعديل ، بقدر ما يحظى المجتمع من تطور او تغير .

ولقد دعيت ، وافراد اسرتي ، الى بضعة افراح سودانية في الطبقة المتعلمة (وهم بالطبع يفصلون بين جلسات الرجال ، وجلسات النساء) فلم ار التزاما بكل ما ذكرت من تقاليد بل لقد وجدت ان تيار المدنية يحرف في رفق بكل ما يزيد من المعقول من عادات او من قيود . كما ان العرف الخاص بالوشم اخذ في الزوال عند الطبقة المتعلمة ، تماما مثلما هو حادث في عادة «التجليخ» . واعني بها تجليخ الطفل الصغير بخطوط معينة (او كيات او خزات) على وجهه تعطيه وسم ناسه او قبيلته ، وطقسه بطابعها المميز التقليدي . فقهه العادة ما تزال متبعة بصرامة عند القبائل الرعوية والجبيلة . ولكن الاسر السودانية المشتغلة بالزراعة والتجارة والمهن الحرة او الاسر المتعلمة والتي سكنت المدن ، قد اخذت بتأخير الحضارة المعاصرة ، تتنازل عن مثل هذا التقليد القاسي وترحم اطفالها من تطبيقه . واحسب ان الغاء مثل هذه العادة سيكون بمثابة الارتفاع الى مستوى القومية السودانية حيث لا يفرقة بين سوداني وسوداني .



اما عن النشاط الثقافي فساقصر هنا على ذكر بعض الظواهر والملاحظات ، كما انطبعت بها ذاكرتي ، خلال مدة اقامتي في بورسودان . لقد كانت الظاهرة الثقافية الهامة ، التي كانت تسود تفكير الشباب السوداني المثقف في الفترة التي سبقت قيام ثورة ٢١ أكتوبر ١٩٦٤ تتلخص في ان اهتمامهم الفكري كانت تعكس القضايا الكبرى في السودان ، ففي نادي الخريجين وهو احد مراكز الاشعاع الثقافي في المدينة ، كانت تنعقد ندوات عديدة وتلقى احاديث ومحاضرات ، تناقش فيها معظم تلك القضايا ، وما تثيره الصحافة كذلك ، مثل مشكلة الجنوب ، ومثل الآثار الترتبية على بناء السد العالي ، ومثل مشروع خزان خشم القربة وما يتصل به من مشكلات التهجور لاهالي حلفا والنوبة ، ومشكلات توطئتهم ، ومثل ري الاراضي الزراعية الجديدة ببياه البحيرة المتكونة خلف الخزان وتخطيط الاراضي التي تتكون منها حلفا الجديدة ،

(١) استندت في هذا الحديث على المقال الذي نشرته في مجلة الاديب الفراء بنسب الفنوان . (٢) نشرت هذا الحديث بعد ذلك وتعديل طفيف في عنوانه في مجلة الاديب الفراء في عدد يناير ١٩٦٢ - ونقلت خلاصة له مجلة « البجلة » الفراء بعد فبراير ١٩٦٢ (باب المجلات العربية)

حلمي

حلمي الذي اعيشه احيا

في دوحه يبعث لي دنيا

محتضن فيها

اعذب ما فيها :

الحب والاشواق والدفء

جداول الاشراق والضوء ،

حقيقتي التي توافيني

على جناح ونير

باهرة تمنح تعطيني

حديقة من غير .

لو كان لي هذا الصدى الازرق

هذا السنن ، هذا الشذى يبعق

لكان مني اليك

هدية في يديك

او كان لي ، او كان لي زورق

لاحمل الدنيا وما فيها :

نهارها الصاحي ، لياليها

هدية في يديك .

نتوان - المغرب

احمد تسوكي

في مختلف الاتجاهات والفلسفات الدينية والاشتراكية والوجودية . وهي اذ كانت تبعث على الاعجاب والتقدير ، كانت تدعو ايضا للعزيم من توجيه المشرفين على امورها بسبب العناية بفريلتها بالحوار المنهجي ، او بالتقويم العلمي الخ . ولئن كان كثير من الطلاب يستعجلون بحماس وحرارة استقراء النتائج من قراءات سريعة ، فقد كانت الدلالة المهمة لذلك هي ان الشباب السوداني - ومن ورائه صحافة وراي عام - كان يحس بمسئوليات جسيمة بمد نيل السودان لاستقلاله في يناير ١٩٥٦ ومن ثم ازدادت اهتماماته لكي يضطلع بتلك المسئوليات ، على اساس من الفهم للتيارات الفكرية المعاصرة .

اما المحور الثالث للاشعاع الثقافي فهو النادي العربي - المصري ، وله صلتة الوثيقة بالبيئة التعليمية العربية بالسودان ومدارسها ، وبالجالية المصرية . ويعتبر النادي مركزا للتبادل فسي الثقافة والرياضة والعلاقات الاجتماعية وهو يتحف المدينة باحياء ليالي رمضان - في كل عام - بإحاديث التراث الاسلامي ، عدا ما يعقده من ندوات ادبية وثقافية في المناسبات الوطنية وغيرها . وعلى مسرحه كانت فرقة مدرسة الشرف المصرية التمثيلية ، تقدم نشاطها واتناجها . وبدعوة من جماعة النشاط الفكري اسهمت بحديث عن مفهوم التقدم عند ابن خلدون وكريستوفر روسون » . (٢)

وتعقد مدينة بورسودان هدفا للاهتمامات الانثروبولوجية . فان المدينة تستقبل في كل عام تقريبا طلابا من قسم الانثروبولوجيا بجامعة الخرطوم ، لعميل ابحاث/ وذاوات مينة . كما يقصدها هؤلاء الاجانب من باحثين او طلاب ممن يهتمون او بدرسون « الرطانات » المختلفة واهمها رطانة قبيلة الهدندوه (احدى قبائل البجة) ويدعون لهذه الرطانة عراقة تاريخية واهمية لغوية ، لما يوجد بين الفاظها او كلماتها من تشابه مع كثير من كلمات اللغة المصرية القديمة .

ومما يذكر في هذا الصدد ان مفتشا بريطانيا ممن عاشوا فترة طويلة بين سنكات وبورسودان قد ألف قاموسا لهذه الرطانة (الهدندوه) مترجمة للانجليزية وقد طبعته جامعة اكسفورد .

ومن الدراسين الوطنيين لتاريخ بورسودان وظواهرها الثقافية واللغوية ، موظف سوداني متقاعد هو السيد م . ضرار . وقد ألف في التاريخ القبلي كما ألف قصة ادبية ، نسجت حوادنها في الزمن القديم لهذه القبائل ، وتحتوي على ملحمة شعرية بهذه الرطانة ، تصور الحب السامي الرفيع ، واسمها - على ما سمعني به الذاكرة - « تاجوج وهاجوج » وما اسما البطلين الخالدين عند هذه القبائل ، اللذين يقابلان القصة الخالدة في العربية « قيس وليلى » .

اميل توفيق

شبين الكوم - ج.ع.٢٠٠٤

ومثل مشكلات القطن السوداني وتحسين مشروع الجزيرة الى آخر تلك الموضوعات . ولما كانت للنادي صلتة الوثيقة بالمدرسة الثانوية وباساتذتها ، فقد دعيت لالقاء حديث نفسي . وقد تحدثت عن « تطور مفهوم الشخصية » (١) وأعقب الحديث مناقشة عامة . كما انني اسهمت في ندوة علمية بحديث عن « البترول » في مناسبة اتفاق الحكومة مع بعض الشركات الاجنبية بصدد التنقيب عن البترول على الشاطئ السوداني .

وتعتبر المدرسة الثانوية مركزا هاما للاشعاع الثقافي حيث تتكون جماعات للنشاط والانتاج ، مثل جماعة الفكر الاسلامي ، وجماعة الادب العربي ، وجماعة التاريخ ، وجماعة العلوم . ولا يقتصر نشاطها على محيط المدرسة ، ولكن يتعداه فيشمل المجتمع الخارجي حيث يشارك في ندواتها ومحاضراتها واحاديثها على مدار العام الدراسي . وثمة ظاهرة اخرى جديرة بالتنجيل هي ان جماعات الطلاب (والشباب السوداني المثقف عامة) كانت تموج بهم تيارات متعددة تمثل مختلف الايديولوجيات الفكرية . ومن ثم فقد كنت لاحظ ان الصحافة المدرسية (وهي صحافة قوية يشرف عليها الاساتذة) كانت مسرحا لقراءات جادة



يوسف عبدالمسيح ثروة

عالم الغابة الدكّاء

بقلم يوسف عبد المسيح ثروة

أرثر ملر كاتب امريكي جاد ذو أصالة عميقة تتبع من درايته الواسعة للجمتمع الامريكي المعاصر ، وهو اذ يستعرض القضايا الاجتماعية - في ادبه المسرحي والقصص - يستعرضها استعراضا موضوعيا وفنيا ، بأسلوب متريق ودباجة ناصعة وصراحة جريئة . وهو اذ يفعل ذلك ، لا يبالي بقالة السوء اذ ما امتدت السننها الحداد اليه بالتجريح والتفريع والتم ، لانه كاتب يؤمن بأهمية الكلمة في تحريك المشاعر الانسانية وفي مقاومة الشر مهما يكن مصدره ، وهو - في ذلك - يستند الى الرموز ودلالاتها العميقة الاشارة والتلميح ، بل هو يواجه الواقع مواجهة مكشوفة ، ولهذا السبب جاءت تعريته لهذا الواقع ، في اطاره الاقتصادي والاجتماعي ، على درجة كبيرة من الوضوح والجلالة والابانة .

وطبيعي ان تعرض كاتب يمثل هذه الصراحة ، وعلى عهد جوزف مكاتري الى الضائقة والاستجاب والاختذ بالفتنة ، لكنعلم يابه بدوامه الجنون الوبولوجي والفورة الذرية التفخيشية ، بل على الصدم من ذلك كله ، وقف بجانب لئمه وقفة المدافع الامين عن شرف الكلمة ، على حين خار الكتيرون وضغوا وهانوا واضاعوا ما تزود من سمعة طيبة بين ليله وضحاها من اضراب ايليا كازان ومن لف لفه وجري مجراه . فكاتبنا اذن انسان عرف كل معاني انسانيته وعرف كيف يحافظ على كل هذه المعاني الجلييلة من غير وهن او خور او ضياع ، ولم يكف بذلك بل نراه يجعل من مسرحه قوة واقعة واداة نافعة ومنيرا حرا لا تعرض مساوئ المجتمع وغفصها والتعديب بها وحيد بل زاد على ذلك بان عرض هذه الصور البشعة على ضوء جسد التحليل الاخاذ ، في حوار متعاشك محكم يتسم بالرزانة والهدوء والجدية ، ويمتاز بالصدق والامانة والوضوح .

وفي تناوله للقضايا الاجتماعية الكثيرة التي تعود الحياة الامريكية نراه اهلا لا يتناول جديرا بما يبالغ صادرا فيما يعرض عن واقع مؤلم فاجع ، من غير محاولة لاحد او مداجاة لسلطة او محاكاة لمبدأ او نحن على حق او نطيل لدعاية من هذه البعثات التي تتلاطم امواجه . هذا الخضم او ذلك او تزخر في هذه البقعة من الارض او في تلك .

ولكن صراحته التي عرف بها لا نحت من جمال أسلوبه ولا نسف به في أي موضوع يتناوله ، ذلك انه يجمع بين المسمون والشكل جمعا فنيا متينا بحيث تكون الصورة والاطار وحدة عسوية حية ، لا تلتخلخل في انسجامها ولا انحراف في كيانها ولا غموض في مدلولاتها ولا ضهور في شخصوها ، سواء اكانت هذه الشخصوس غاربات الشرام ملائكة الخير . انها تعرض كما هي من غير انتفاص او بر ومن غير دنوش وزيادة ، او انتحال وتخوير وتهويش وتشويه . وهذه الموضوعية في الاداء المسرحي والقصص هي السمة البارزة في أسلوب ملر بأسره وهي الداميمو الرئيس الذي يحرك نتاجه كله ، الامر الذي تلحظه بكل جلاء في مسرحياته «الحالة الطبيعية» و«الرجل المخطوف» و«الكلم الولادي» و«موت بالمتعرجول» و«البونقة» و«الذكرى بومي الاتنين» و« منظر من الجسر» ومسودة فلم «الماجزون» وقصته «البؤرة» . واعماله الادبية هذه تمتد من سنة ١٩٤٤ الى سنة ١٩٦٠ .

ولما كنا سنتناول نماذج من بعض مسرحياته المارة الذكر فحسب فائنا اغفنا نتاجه ما بعد سنة ١٩٦٠ متقصدين لئلا نكون دراستنا مقولة مئة . وما يوسف له حقا ، ونحن في هذا الشأن ، ان نذكر ان الدكتور عبدالمسيح ثروة ارجع ترجمة «الكلم الولادي» وواضع مقدمتها ، قد اشطب بالمقلم سقطا بعيدا اذ ترجم كلمة The Crucible (البونقة) ب (المصلوب) وهو خطأ لا ادري كيف نورث في الدكتور المراجع ، ولا سيما وهذه الكلمة عنوان مسرحية مشهورة !

والمسرحيات التي نحن بصدها هي «الكلم الولادي» و«موت بالمتعرجول» و«منظر من الجسر» وكلها تفيض بروح انسانية ، يتجلى فيها سمو القصد والهدف ، في المسمون ، والعميقة الفنية الرفيعة ، في الشكل ، فضلا عن التجاوب الوجداني بين الكاتب والشخصوس من جهة ، والتنافس الحاد بين واقع الحياة وبين المثل العليا التي تلازم كل كتابات ارثر ملر على وجه آخرى . واذا علمنا ان ملر قد تاتر اعظم الناني بدوستوفسكي ولا سيما بقصته «الاخوتكانازاف» ويتشيفوف - في قصصه القصص والمسرحيات - واذا علمنا ان ملر عاش سنوات الكساد والمهانة الاقتصادية الشيرة في الولايات المتحدة وقاسى منها ما قاسى من شظف الجيش وقلة ذات اليد ومرارة الحرمان وحل القافية - فها هنا امداد انعطاف الوجداني وقسا اعماق مشوره ، وتنهكنا حق التفهم حرارة أسلوبه وحيوية عرضه ، ووسعة ادراكه ، وتبل مراهمه . ومن هنا كانت كل مسرحياته ماسي لتز لما اسود قتالا مسموما ، يسيل بوفرة وكثرة من كل وتر نابض من اوارش شخصوس الذين يعيشون في جو مغير تلووه غيوم دكّاء ، مفعمة بشحنات كهربائية تتفجر غفصيا وشررا ورجوعا من حين الى آخر . فمن هؤلاء الشخصوس هؤلاء الذين يعيشون في هذا الجو الدامك المثير ، في هذه السرايب الآسنة اجه المعجز الذين الودع جو كيكر بلط مسرحية «الكلم الولادي» وايدي الخال القبيور الذي يلعب شلحية لغيرته (١) والبالغ المتجول المسكين الذي يفصل الانتحار على مذلة السؤال فيحقق بيقته تلك بسيارته في مسرحية «موت بالمتعرجول». ومع حيوية هؤلاء الشخصوس وفدراهم على احتلال امكانتهم في الحياة بعنف وجد وقوة ، فانهم لا يستطيعون التخلص من سلبتهم . ذلك انهم لا يستطيعون تغيير مجرى الحوادث في بيئاتهم بل نراهم يظفرون مع التيار انجرافا اعمى وتراهم يستسلمون لفرزوات وبين انسان نظري مسكين كوليم لومان وبين انسان اتاني متالي كايدي (وهم على التوالي الشخصوس الرئيسة لمسرحيات «الكلم الولادي» و«موت بالمتعرجول» و«منظر من الجسر») .

اما كيكر ، الذي يتسبب في قتل واحد وعشرين من مواطنيه ، بسبب تظفيته لمحبوس سلفدرات الطائرات ، فهو لا يكتفي بجريمته هذه بل انه على متصل من تمامها يضاعف وزر الجريمة على كاهل شركيته (ستيف) وهكذا يفرج الجرم الحقيقي من السجن ليدخل فيه يريه كل

وان لم تقتصر على نفسه ، إذ قد تشمل أسرته أيضا ، لكن العذر هنا
الظلم من الذنب بل من الجريمة نفسها ، فإن كان يشعر بابوئه وبوئه
أبنته ، فلماذا لا يشعر بأبوة البشر الآخرين ، وقد تحدث ابنه عن
المسؤولية والأخوة ، أخوة السلاح ، حديثا كان ينبغي أن يشير فيه
الشعور بالآلم ، الشعور الذي يصعب كل كبرياء وخيلاء ، إلا أن قلبه
الجامد المتحجر ، كان من السهل والتكافؤ الرصاصة ، بحيث لم
يغد إليه شعاع واحد من أشعة الخير والتبيل والإنسانية ، تلك الأشعة
التي تتاجج لظفا ورقة وشافية من حديث كريس حين يقول : « كنت
أرى الموت كل يوم وكنت أنت تقتل وفالي لم تقول أنني كنت نغسل
من أجلي ، فل لي ، باسم الإنسان ، ماذا نلقي فيه كنت أفكر ؟
في عملك لعنة الله عليه ، أعذا هو الحد الذي يستطيع أن يصل إليه
أدراكك ... العمل ؟ ما هذا ؟ والعالم ... ! ليس كل وطن ؟ ألا تعيش
في الدنيا ؟ من أنت باسم الشيطان ؟ أنك لم تصل إلى تلك الحيوان ،
فما من حيوان يقتل ذويه . من أنت ؟ ماذا ينبغي علي أن أفعل بك ؟ » .
ولذا نراه يرد على أقوال ابنه من وراء ظهره فيقول مغاضبا زوجته :
« كان يجب علي أن أذهب به إلى الحياة » ، وهو في العاشرة كما كذف
بني أهلي الفلها لزمه بكسب ما يقوم بأوده فيعبر حينئذ مساكين
الفتى قبل أن يصير شابا منعما في هذه الحياة ... » . هذا هو الرد
المخف ، هذه هي الدالة التي يتفصل بها الأب على الابن ، لتكون
السند الذي يستند إليه في البت أخفية رأيه وصواب فكره ،
ورجاحة عقله !

ولما بعد كريس نفسه عاجزا عن أن يعمل شيئا ما لإراحة ضميره ،
ينخرط في البكاء المر ، بعد مناجاة مرة ، فيشير هذا المشهد الأم وتساؤل
عما كان يتحدث به : « الأم عم تحدث ؟ ماذا يوسعك أن تغسل
غير ذلك ؟ » (٤)

وهنا يجيبها كريس قائلا : « كان يوسعني أن أسجد لو انسي
احتضنت بأمسائي ، ولكنني صرت الآن على شاكلة الناس جميعا .
انني الآن رجل عملي ، أجل ، لقد جعلت مني رجلا عمليا . » . وحين
تذكره (أم) بولجيه ، وقد سجن أبوها فلما ومدواها - تعود حيا
الإنسانية إلى طارده - في طريقها « الرجال الملعين » وتحمله على أن
يحكم على مجتمعه حكما كذا صواب وصديق حق ، فيقول : « كنتي في
الميدان نطلق النار على كل من يسلك سلوك كلب ذئبي . ولكن الشرف
هناك كان شيئا له معناه ... أم هنا ؟ في هذا البلد ، بلد الكلاب
الفخمة الضخمة ، هذا المرء لا يجب من عداه . بل إنه يأكل لحمه . هذا
هو البداء ... » . هذا الوحيد السائد بيننا ... أننا نعيش في حديقة
حيوانات » .

الا أن سرعنا ما ينتبه إلى ما لهذه البلاد من أثر في التوسر ،
وزرابة بالأسنان ، مهما كان هذا الإنسان من الانحطاط والتورس ،
والتخلف ، على الصعيد الأخلاقي ، فيدفع بكبار لكي يتأثر بهذه الأقوال ،
ويحمله على الانتحار ، بعد أن أصبحت زعينة كريس على الرحيل من
الدار ، حقيقة واقعة .

ومع أن وليم لومان يظل (الموت بالغ متجول) يموت موتا بطيئا ،
إلا أنه لا يمثل نفسه بل هو يمثل طائفة من الباعة والتجار الذين
يعيق بهم الكساد فينتازون تئاتر أوراق الخريف ، كلما أصابت الكساد
الاقتصادي الرجاء رجة أو تكتة أو غربة . وحين يبدا وليم بالوت
ببؤه هتيا يسيرا ، لا قليل وقال ، وبصورة طبيعية على وفق التبع
من الأصول الرمية ، في هذه الطريق الجديدة من الموت البطيء الذي
أصاب ويصيب الكثيرين من البشر المرتفعين على اكتاف غيرهم ،
والهابطين ، يوم الأزمة ، إلى الأقدام غيرهم من غير مسجود . لأن
الإنسانية نفسها بفاسدة من يضاغ شعاع (الشغل شغل) . ومن دلائل

البؤاة ، لا لسبب إلا لأن كير يستطيع الاحتيال على القانون بينما
شريكة يقع في الفخ لأنه عاجز عن مثل هذا الاحتيال ، وهو الإنسان
السادق الذي لا يعرف الطريق إلى ثروة دمه بله الاقذار على مثل
هذا الاحتيال والتكن منه ، وهنا نجد التفتيشين على صعيد واحد .
الإنسان رجلا أعمال ، لكن الأول إنسان خبيث شري أني يعمل كل ما
يستطيع عمله ليزيد من رزقه ، والاخر إنسان أبه مسكين يعيش بسهولة
في الفخ الذي نصب له فلا يتمكن منه انفكاكا ، وكل الأصابع الاصطناعية
تسير إليه بالانعام . ومن هنا ، فهو الجريمة التي يتورط فيها كير
تستمر في الاسراع والاندحار معا حتى تصل إلى قرار رهيب ، قرار
ذلك من خطية (لاري) كير ، الطيار الذي يتنحدر ، إثر سماعه
بفضيحة أبيه ، وفيل أن يفعل ذلك يرسل رسالة إلى خطيبته ينفيها
فيه بزمزه على مفارقة الحياة . وطبعيا أن تكون لهذه القليلة التي
نفجها الخطية تأثيرها الهائل في الأسرة بأكملها وبخاصة في نفسية
الأب المجرم كير ، الأمر الذي يدفع به إلى الانتحار . لكننا قبل أن
ندرك هذه البؤرة في عرفاتنا إليها علينا أن نستعمل اعتراف الأب القائل
وتبريره فلفته تلك ففي كليهما هو كشف بنفذه إلى اعماق المجتمع
الرائع ، فبرنا إياه عابرا من كل زخرفين من كل تزييف وتزيين وتزويق ،
هاكم ما يقوله الأب لابنه كريس وخطبة ابنه (لاري) (٢) : « في اليوم
الذي عدت فيه إلى بيتي نزلت من عربتي ... لكنني لم أنزل أمام
البيت ... ليتك كنت هنا في (خطبة لاري) ، وانت كذلك يا كريس .
إنني لتفرجتما . كان كل واحد يعرف انسي سأخرج من السجن
في ذلك اليوم . وضافت مداخل البيوت بمن فيها .
تصوروها الآن . ما من أحد كان يعتقد انني بريء . كان مس
يجري على السمتهم انني وحدث رجلا شريفا وبرت نفسي . ولكن بكل
تؤدة ... وضعت انتساعة على شفتي . الوغد ! كنت أنا ذلك الوغد .
الرجل الذي باع أقطبية سلتندرات مشدوخة لسلاح الطيران . الرجل
الذي تسبب في سقوط طائرة - ٤ - في وقت واحد وعشرين طيارا
في استراليا . كنت يا مسريني ، وأنا أمشي في الشارع في ذلك اليوم
أبدو لهم مذنبا كالشيطان نفسه . » غير أن المجرم هذا لا يستمر في
اعترافه إلى هذا الحد حتى يتصلصل مع قال فيستدرك : « لكنني لم
كن كذلك . كنت أحمل في جيبتي شهادة من المحكمة تثبت برائتي .
ومعشيت ... أمام ... البيوت لماذا كانت النتيجة ؟ عدت بعد أربعة عشر
شهرًا صاحب مصنع من أكبر المصانع في الولاية كلها ، رجلا محترما مرة
أخرى . أعظم من ذي قبل . » (٣)

ومع ما في الجريمة تكراه من ضياع للمسؤولية تجاه الوطن
والإنسانية ، وخرق فاضح لكرامة المواطنة الصالحة ونسب فج بالخالع
الفردية الرمثاء على حساب أرواح المواطنين الذابين عن حياض أخوانهم
وأخواتهم ، ومع ما في هذه الجريمة من أمانة للضمير واستهانة بكل
القدسات والامور والشرف ، وغدر لثم يمزق بانيابه كل كرامة
ومنية وفسيحة ، فإن الذنب المجرور والقاتل الزنيم لا يجد مانعا من
تبرير فعلته ولا يستحي من القول ، وكان للذنب بقية حق في أن يبدل
بحجة أمام ولده كريس : « أنك ما زلت قليل الخبرة بالبيعة . ماذا
كان يوسعني أن أفعل ؟ انني رجل أعمال ، آدمي ، رجل أعمال . نتج
مائة وعشرين قطعة مشدوخة فلماذا بك تفقد عملك ... » . أنك لا تعرف كيف
تستغل . أنتاجك لا يصلح . يلقون مصنعتك ويزفون عودك . وماذا
باسم الشيطان يهيمهم ذلك ؟ قلني اربعين سنة في عملك فيعلمونك في
خمس دقائق ... ادعهم يسلبوني حياي ! »

أما كريس ، الابن الإنسان ، فإنه يستمع إلى والده الذنب باذن
طشاء ، لأن له مذهبه الإنساني الذي لا يعرف معنى لتبرير الجريمة
مهما كان هذا التبرير معقولا ، لأن الجريمة مافاة ما أن يعبر الإنسان
حدا من حدودها حتى يتيه فيها ويضل معها ألف في السير طائسا
السراب ماما ، والعاصة الهواء سحابة غيث مطرة ، إنه يعود من
حيث أتى ويسعاود السير مرة ثانية وثالثة من غير جدوى ، لأنه يسود
كما يدور نور الفأخوة ، معصوب العينين ، بسبب ناتيته ، انسي

(١) في مسرحية « منظر من الجسر » (٢) اعتمدنا في إيراد الشواهد
على ترجمة الأستاذ حن عبدالمقود حن لسريرية « كلوسم أولادي » .
(٣) هذا الشاهد اعتمدته الدكتور عبدالقني خلف الله في مقدمته أيضا .
(٤) تعني غير البكاء .

هذا الموت هو الشعور العنيف بالوحدة والانفراد والابتعاد عن القطيع البشري، ولذا نرى (ولي) يقول: « اني اشعر بوحدة شديدة » خاصة حين يكون الشغل رديئا وليس (في هذه الدنيا) اني اشعر كائنني لمن ابيع شيئا ابدا » غير ان هذا الشعور بالوحدة لا يمنع صاحبه (بين) من ان يولد في الفردية ويرفع من شأنها ويجعلها مثل الاعلى في هذه الحياة ، ولذا نراه يقول متفرد بنفسه فخورا بما اندرك واسأل اليه : « عندما كنت في السابعة عشرة سرت الى الغابة ، وعندما بلغت العاشرة والعشرين خرجت منها (بصحا) وبالله قد أصبحت غبيا . » وحين يمازح بين (بيف) ابن صديقه (ولي) يمتصحه بقوله : « يا بني لا تصارع غريبا صراعا شريفا . فانك لا تستطيع ان تخرج من الغابة بتلك الطريقة . » والذي يزيد في نزغ ولي الما وفجعية ممفستين ، ان ابنه (بيف) لم يكن غير طائر لا يحل في مكان حتى يرحل منه سراعا والى هذا اشارت الام ليندا حين قالت : « بيف » ان الانسان ليس طائرا يحل ويحل كلما قبل الربيع» . ومن اجل ذلك فان بيف لا يستطيع ان يمسك بطرف من اطراف الحياة كما يعترف اعترافا صريحا امام والدته ان يقول : « ماما » انني لا اقدر ان امسك بنوع من انواع هذه الحياة ، انني لا اقدر على ذلك » .

اما ليندا فهي وحدها تعرف ما يحدث لزوجها ولذا نسمها نحدث ابنها هابي وبيف فالتة : ولي لومان لم يصنع مبلغا كبيرا من المال ، وهو ليس احسن انسان عاش (في هذه الدنيا) ولكنه كان انساني وها ان شيئا مرعبا يحدث له ، ولذا ينفي الطهر ، او لا ينفي ان يسمح له بان يسقط الى قبره كالمجذوم . « لم تستطع شيا سبب هذا الاتحاد الفاجع ، فتقول واكتب يحز في قلبي حزا عميقا ، لقد عمل لشركة ستا وثلاثين سنة بحلول آذار هذا » وفتح ليسانها العديد من المتاعيق غير المسجوع بها ، ومع ذلك فقد نموا عنه وانه وهو في هذه السن القمامة .

ومع كل ذلك ، لم ينسب رجاء لومان ، اذ ظل ايمانا وبقا بيوارد ابن صديقه ، رجل الاعمال المعروف ، ولذا جعلته فدماة اليه في تودة وبهده ، وبعد ان واجه صاحبه مواجهة امين لابن اخيه ، شرح له حالة وما يعانيه من كرب العيش ومذلة الموت (لقد كنت في تودة) وضاع امله في ابنه (بيف) الذي قلقت عنه ، ولي ابنه (هابي) الذي استسلم عليه بعد ان اصاب من رغد العيش ما اصاب ، فكان تنكرهما له حلا فادح الثقل انقض ظهره ، فجاه الى هوارد يشكو له لحقه من نوازل الزمن وعوادي الدهر ، فيطالبه بشغل يدور عليه خمسة وستين دولارا في الاسبوع ثم يتنازل الى الخمسين الفاربعين ، غير ان هوارد يابى الا ان يردده خائبا صفر اليمين من كل امل في الحياة الكريمة ويذكره بانيته فيرد عليه : « اننا لا نستطيع ان ارمي بقلبي على ابنائي ، اذ اني لست مقعدا كسيحيا » وعلى اثر هذه المقابلة الحاطية العالقة ، يفزع هوارد من مكتبه بحجة الاجتماع باصحابه الذين ينتظرونه خارج المكتب ، من غير ان ينسى ان يوجه التصالح الى لومان ، بموجب الاعتماد على النفس... لم يفزع لومان فيفادف (بين) صديقه فيبيت له اوضاعه بصوت مثير اشد ما تكون الالارة : « بين ، لا شيء يتزعج من مكانه ، انني لا ادري ماذا افعل» .

وفما هو يتفرغ في احوال اشرامان ، ينقطع شحيح زرقه نهائيا ، اتي طرده من الشركة التي ظلت تردهه بما يقيم به اوده ، واذا بهما بقعة تقطع هذا الزفير الفصيل ، وهنا نراه يوجه كلامه الى (بيف) الذي اشتهى بالوفود المصولة ويقول له : « لست مهتما بما حدث في الماضي ، لان القابات مستمتعة ، اندكون ذلك يا اولاد ، ان نارا كبرى تنتقل من هنا الى هنا حولنا . لقد طردت اليوم مما بقي لي من عمل» . وحين يتساءل الابن مرعوبا عن مدى صحة ذلك الخبر يجيبه الاب : « لقد طردت ، وانا اترقب اخبارا صغيرة حسنة ، كي انقلها لى والدتك ، لان المرأة انتظرت ، لان المرأة عالت ما عالت . »

وبعد كل هذا القذاب يظل امل واحد يداعب خاطر لومان ، ذلك ان ابنه (بيف) قد حصل على وعد من صديقه اولفر ، ان يجد له عملا

يدفع به غائلة الغافة ، الا ان المقابلة التي كانت موئل الامل ، ومرفا الرجاء ، لم تنته الا كما انتهت مقابلة الوالد ، اذ خان الصديق صديقه ، وظلت وعوده وعودا لندرها رباح الوافع ، ذلك ان شهامة الصداقة متى ما امتعت صهوة جواد المال ، اصاعت معانيها للتبيلة بضياع صلتها بالشر . واخيرا يجعل لومان على الانتحار للتخلص من عار الفقر ، وهكذا ينفض يديه من هذه الحياة الثقيلة لقل الرصاص . اما مسرحية (منظر من الجسر) فهي مأساة فظيعة تنبئ بخر غريب حب حرام في معان شيطانية تتظاهر كالتشعر من هنا وهناك في تناسل المسرحية حتى تتجمع نارا تاغلي ايدي الشخص الرئيس فتجفل روحه الشنيعة البشعة الى الجحيم ، بعد ان يكون قد حقق غايته في الفصل بين ابنة اخته كاترين والمهاجر الايطالي رودولفو .

وهذا الحب يبدو اول ما يبدو محبة ابدية وعاطفة انسانية وحنا لطيفا يمحضها (بيدي) جميعا لابنة اخته البتيمة ، البنت المحبوبة ، التي تسر الناظرين بجواهرها العذب ، وابتناساتها الشفافة ، وحلاوة صوتها الرخيم ، وقامتها الهلالية ، وبساطتها البريئة . وهذه المحبة الشاملة تجلب اول ما تجلب في رفض ايدي ان تشغل كاترين ولو انها قد بلغت السادسة عشرة ، والاجر الاسبوعي خمسون دولارا ، والعمل هين سهل في دائرة محترمة لشركة محترمة ، انه يرفض توسلها ويقول : « انتهي » انني لم اسالك مالا ؟ ألم افكك هذه المدة الطويلة واقم باودك ، افلا يستحي ان ايتيك هذا طول ؟! الا اسرار الشهامة واصرار زوجته عليه بان يفسح المجال لكاترين لتجرب حظها في هذه الدنيا بشر شوكه ويجعله ينتفض ويقول مخاطبا كاترين : « الشئ الوحيد الذي اسالك اياه ، ان لا تقي باحد . ان لك عدة ذات قلب كبير جدا ، وانت قد تعلمت اشياء رديئة منها ، صديقي (هذا هو الوافع)» .

وعندما تقول زوجة بيباريس : « ماما في ذلك ؟ انها تعجب الناس » يرد عليها زوجها قائلا : « ان ماعلم الناس ليسوا اناس ، انها تستغفل في عقل النساء ، انهم سيفعلونها اربا اربا ، لم يزدرونها ، اذا لم تشبه كل الاشياء » .

لم يحل في بيت ايدي فيضان من اقارب بيباريس ، من هؤلاء الايطاليين المهاجرين ، الذين افككوا ماركو رودولفو ، والاول رجل متزوج والثاني شاب عذب يفيض رجولة وفوة وباسا ، يبعثنا الاول عن حياة اسرته في احدى المدن الايطالية الصغيرة قائلا : « ان زوجتي هي التي تعلمهم (يعني الاولاد) من فهم ، فاذا بقيت هناك فهم لن ينموا ابدا ، لانهم لا يجدون شيئا ياكلونه غير شعاع الشمس . » اما رودولفو ، فقد تحدث الحديث نفسه ولكن بأسلوب اخر ان يقول : « الاخول في مدينتنا اضعف من الحزق ، ولذا فاذا كان عدد المسافرين كثيرا ، فحين الذين تدفع المرات الى الفندق . (بصحا) الفخول في مدينتنا موجودة من اجل النظر لا لشيء آخر » .

وبعد ان يتم التعارف بين كاترين ورودولفو ، يتم التالف والتوادد ثم الحب الذي يشد القلوب شدا متينا ، وما ان يبلغ الحب هذا المبلغ من العلف ، وما ان يشعر ايدي بقرق ضياع كاترين حتى ينتفض ساخرا فيقول : « علمت كالكثير عن بربرية سنة ، وباني انسان ناسفه ليسلمني . » انني اطمعني من لغة ومن لغة من قوذجي ، وظلما سرت جائما الكثير الكثير من الايام في هذه المدينة ... وعلى الان ان اجلس في بيتي وانظر الى ابن الكلية هذا ، هذا النافه الذي جاء من مكان ! اعيتبت بيتي لئام فيه ، واعطيت ما التحف فيه ليدتر به ، وهو يرفع يديه القدرين ليشعرا عليها كالكلس اللعين . » ولما يتدخل العمامي الغيري ويقول : « ايدي » انها تريد ان تتزوج . و هي لا تستطيع ان تتزوجك ، ليس كذلك ؟! ولكن الرجل لا يهجم ذلك لان قلبه طامع بين كاترين ، ومن اجل ذلك ينسب فيضيه ، فيلقى القبس عليها لانها خالفا لقوانين الهجرة الامريكية ، ومن اجل هذا يلقي (ايدي) ، ختفه على يد ماركو الذي ينتمى منه ، لانه سيكون السبب في موت اطفاله جوعا .

بغداد

يوسف عبدالمسيح ثروة

واذ به يتوقف من الفناء ، ويساعف من
السفرة ، وتعتمد ان يد على الكلب المسكين
السبل ...

صاحت سعاد وقتها : عصام ، ارجوك ،
خفف من السرعة، انك ستقتل الكلب المسكين،
ولمعت عينها بأصابعها وهي ترتفع ، فلفد
مرت عجلات السيارة على جسم الكلب قبل ان
تتم كلامها ، وسمعت شن بصوت يفتت الكبد،
وانتخت الى الورا ، فلمحت جسمه ملطحا
بالدم ، فاخذت تكوي وتصيح بعصام : لقد
قتلته عمدا كان في وسعك ان تتعاشاه ،
ولكنك لم تفعل ، لقد ساعدت السر حتى لا
يهرب منك .. قل لي لماذا فعلت ذلك الا قل.
أوقف عصام سيارته ، ومد ذراعه فطوق
كتفها ، وشد بيده الاخرى على ذقنها ،
وحرق في عينيها الحياتية وعلت ففقتها :
يا لك من مجنونة لطيفة ، امن اجل كلب
خبيث تدبرين هذه الدعوى ؟ ثم اخرج مندبه
ومسح دموعها ، وحاول ان يلثم شفيتها ،
فاضحت الى جانب ولم تدعه بمسها .. وفجأة
فتحت باب السيارة وجرت الى مكان الكلب ،
فرأت انه قد لفظ انفسه الاخيرة ، فرمته
من الارض برفق ووضعتة بجانب شجرة الى
الرصيف ، وراة عصاما وهو يراقبها بعد
ان خرج بدوره من السيارة ، ولما عادت
واضحت مكانها ، كان يودها ان تعود الى
الزلزل ، ولم بعد فيها اي ميل لروية الشرب
الذي كانت تنوق الى مشاهدته ، وكانت
اسأل نفسها طيلة الوقت : لم فعل عصام
هذا ؟ ما له يقسو هكذا على الحيوان ، انه
شاب مثقف ، لطيف ولطيف ، فكيف تعامل
هذه النسوة نحو الحيوان الفقير ؟
وكانت كلما حاولت ان تحمله عن الكلب ،
ضحك هائلا ساخرا معانئا .. وبقيت بعد
هذه الحادثة ترقد فرادا مزعجا مشوشا ...
وها هو اليوم يقسو على فقتها ، وينذل
بتدبيرها ، ولولا ظهورها فجأة ، لقتلها خنقا
... لقد اظهر لها بانها لا بعيا بمراضاتها ،
وبان فسوف نحو الحيوان الضعيف لن تتبدل.
وكانت تعجب كلما اشد الحب ، ولقد كانت
على نفسها ان تبذل جهدها لاساعده ، وكانت
تعتقد ان يوم عقد القران سيكون اسعد يوم
في حياتها ، وعينها حاولت ان تنهم سر هذه
القسوة .. انه ارق الناس معا ومع كل
انسان ، ولكنه عدو الحيوان الالذ ...
دخلت يوما الى المنزل ، فاجبرتها الغامضة

بان اسفها متفينة ، ولكن خطيها في فاسة
الاستفهام بانتظارها ، فاسرعت لاستقباله ،
ولكنها توقفت فجأة امام الباب ، واخذت
تنحبب وتشمق ... رأت فقتها الجميلة
ممددة على الارض وهي تنظري وتثرى ، وعصاما
واقفا امامها كالجلاد ، لتلمع في عينيها امارات

لخدمة الانسان او توفير غذائه .. هسهه
القطعة مثلا ، انها لا تؤكل ، ولكنها تفرس
الحشرات والفئران ، وتؤنسني وتسليني ،
ونكتي بالفلافل ...

– انا اكتره الحيوانات .. وخاصة القطط
والكلاب ..

لفظ عصام هذه الجملة وكأنه ينفي عن
فؤاده قيظا مكنوما وحقدا دفينتا ..

– ولكن لماذا ؟ مما الذي جعلك تكرهه
الحيوانات التي خلقها الله الاصفر منك ،
واوصاك بها خيرا ، وطلب منك ان تكون
رحوما شغوقا عليها ، لانها لا تنطق ولا
تستطيع الافصاح عما يساورها من ألم كما
نعمل نحن ؟؟ نحن نملك جميع الوسائل ، مما
حيثنا اياه الطبيعة ، ومما افترعناه باندينا
للدفاع والهاجة اما الحيوانات فهي تبذلنا
سيرطنا .. اولا تعرف يا عصام بانها تحس
كما نحس ، ولها روح تشعر بالآلم كما نشعر

من اجل قطرة ..

يقلم ناجية ناهر

نحن ؟ كم من مرة رددت على سامعك هذا
القول ، وكنتي اراة في ارجاء ان ترحم ولا

تريد ان تفهم ...

لم يملك عصام نفسه فصاح : كفى يا
سعاد ، لا اريد ان تلقيني ماذا يجب علي
عمله ، وماذا يجب ان احب وان اكتره ..
انتي ابغض القطط والكلاب ، ولا املك ضد
هذا البغض شيئا .. كلما رايت فلانا او كلبا

يروق لي ان يتعذب تحت بصري ..

دعمت عينا سعاد شفقة واسى .. اجمل
انها لا تملك ضد هذا الكره شيئا ، وانها
تتعرف سلفا بانها لا تستطيع ان تقتني اي
حيوان حين تنتقل الى منزله .. وانها لتذكر
للك الليلة ، التي لم يطرأ عليها فيها النوم
.. لقد ركبت مع خطيها في سيارته للذهاب
معها الى السينما ، وفي اثناء السير اعترضني
السيارة كلب يهرول ليقطع الطريق .. كانت
السيارة تسير ببطء ، وعصام يندبن باغنية ،



– عصام ، ماذا تفعل يا عصام ؟؟

صاحت سعاد بأعلى صوته ، مضطربة
الاتصال مرعشة ، حين رأت خطيها يسفط
على قفطها البيضاء الصغيرة ، فمادت
اللفة وحاولت الدفاع عن نفسها بتخديش
الصتدي عليها .. ولكنه كان اقوى منها ،
فمادت مرة ثانية متوجعة مستجيبة ، ونددت
ساعها البيضاء ، التي كانت تحطها اصابع
عصام القوية ، ولم تجد مفرا لتخلص من
الكلابة الحديدية الاخذة باللفظف عليها بدون
رحمة ...

انحلت الكلابة الحديدية حين سمع عصام
الصيحة المفاجئة ، فانفلتت القطعة من يده
وهي تخرج وتوه ، ونظر الى سعاد وفسي
عينيه يلتمع برسوق يتمازج فيه الفسب
والمرور ...

انحنت سعاد على فقتها وحملتها ، واخذت
لتثر راسها القطني ، لتزجها على لفحها من
غدا وبول ، فنظرت القطعة اليها بعينيها
الزرقاوين اللامعتين ، كانها تلومها وتعتسب
عليها لتركمها فريسة بين يدي خطيها القاسي،
ثم اخذت تلفق معصهما شاكرا لها ظهورها
في الابان لتجدها ..

تركت سعاد القطعة بعد ان اطمانت عليها ،
وتقدمت من عصام وقالت له بلهجة تجمع بين
اللوم والتعجب ، محاولة ان تكون هادئة
للقاية : عصام ، لماذا تكره فلة ؟ ماذا صنعت
لك المسكينة ؟ لقد لاحظت بتلك قاس جدا ..

الحيوانات الكمامه ، لم ذلك يا عصام ؟
جاوب عصام : الحيوانات ؟ لماذا تلعطن
عليها كل هذا العطف يسا سعاد ؟ اتدلين
وتلعطن على القطعة الصغيرة ، ولا تابهين
لاولاد الفئران الذين يعانون من الجوع والعري
اشد معاناة ؟ هذه القطعة تنسب عيشها
وحدها لما اولها الخالق من مؤهلات طبيعية ،
فهي تتسلق الاشجار وتصلطد المعاصير
والحشرات واتحاج لكساء .. انها ليست
بحاجة لرعايتنا ، كحاجة اولئك الضفائر
الذين لا يتكلمون من وسائل الدفاع عن نفوسهم
شيئا ...

– او تحسيتي لا اعطف على اولئك يسا
عصام ؟ كلما رايت ففلا هزبلا مزرق الشباب ،
حافي القدمين ، ناقص الرعاية والقداء ،
يمني فؤادي دمية ، ولكن ساذجا تربيته ان
اصنع ؟ يمكنني ان اربي قطرة وفقتين واكثر
ولكن لا يمكنني ان اضطلع بتربية اولاد الفير
لا يلزم ذلك من تكاليف باهظة .. ابنا آدم
يلزمه الكثير من الصاريف والعناية ، ليكبروا
ويتسلطوا ان يقوموا بشؤونهم بانفسهم ،
اما الحيوانات فلا يلزمها الا القليل من فواصل
الاطعمة .. فلا فلا منزل ولا مدرسة ولا
طهي ... والكثير من الحيوان خلقه الله

كلمة

ان قتلت الشوق واللهفة في قلبي الحزين
وسفخت العمر للاوهام من بعد اليقين
وترأى لك اني لست من ماء وطن
فاعذريني ... انني غيرت ديني
انت قد جرعتني كأس الهوان
وحرمت القلب من دماء الحنان
فامحي صفو زماني
والاماني ...
ذبلت قبل الاوان
واذا ما كنت قد سرت على دربك خطوه
وعلى ثفري للايام غنوه ...
فلاني كنت طفلا طاهر القلب بريئا
يشهد الحلم الوضيم ...
فوداعا .. سوف امضي في طريق العمر وحدي
وسأسمى كل شيء ... غير كلمه
قلتها يوما اليك
وأنا أبكي عليك
كلمة اودعتها امسي ونومي
وارتني الحب في عالم وهمي :
انت في عيني ملاك ، أنت لي أجمل حلم
أنت نور من سماء الروح بهمي
أنت أمي !!

عبد الرحمن سالم عاليه

عمان

حبها الى خوف ورعب منه ليس في وسعها
التقلب عليهما .. ولم يعد في مكانها ان تنظر
الى عينيها الساخرتين الشامتين ، ولا ان
تسمع فقهته اليقظة ، امام الحيوان الذي
يتلوى من الألم امامه ، بدون ان تتحرك شعرة
في جسمه اشفاقا ورحمة .

لا .. ليس من اجل فطة لم تصنع اي شر
معه ، ستسعى الى الطلاق ، بل لان وحشيتها
تخبئها .. وكلما نظرت الى اصابعه يرتجف
قلبا رعبا وستتخيل بان هذه الاصابع
ستمدت الي غنفلها لتسليها الحياة .

اجل .. محال ان يفهموا كيف ان الحب
العظيم يتقلب الى رعب وكره من اجل ..
فطة ؟ ..

ناجية نامر

تونس

اريد ان اراك بعد اليوم .. لا اريد ان اراك
.. لا يمكنني ان اعيش مع انسان فاسي القلب
مثلك ..

واندفعت خارجة من الباب ، حاملة فطها
القتيل ، عازمة على قطع كل صلة بينها وبين
هذا الخطيب المتحجر القلب . دار بها الأهل
والجيران لاثنتين عازلتين : ماذا بك يا سعاد ؟
امن اجل فطة تفصمين علاقتك مع خطيبك
الجميل ؟ انه من اكثر الناس ناديا ولطفا
وكياسة ، ستخسرينه يا سعاد ..

من اجل فطة؟ انهم لا يستطيعون ان يفهموا ،
باتها تنسحر على المطالبة بالطلاق ، لا من اجل
فطة ، بل لان قسونه اذابت كل ما كانت
تسمر له في فؤادها من محبة ومودة واغزال.
لم يعد في مكانها ان تعيش معه .. لقد تبدل

الشفقي والسرور .. لقد ضربها بعضا مدببة
كانت في يده ، ووقف بتلذذ بتوجهها ونزاعها.
تقدمت سعاد وجسمها يرتجف ارتجافا ،
ووضعت الفطة على ركبتيها ، واخذت تسمر
باصابعها اللينة على راسها ، والدموع تنساب
من مقلتيها ، وكانت الفطة تنظر اليها بعينين
اخذت الحياة تنطفئ فيهما رويدا رويدا ،
وهي لهوه بصوت خافت حزين ، تشكو لربا
من ظلم ذلك الجبار الذي لا يرحم ولا يدين ،
وتعانيها على تركها بين يديه .. وبعد لحظات
اخذت جسمها الصغير تم ماتت ..

تقدم عصام من سعاد ، ووضع يده على
كتفها ، وقال لها : كفى بكاء ، لقد خدشتني
اللعيقة حين اردت مداعبتها ، وما قد نالت
جزاها .. دفعت سعاد يد عصام عن كتفها
بحدة وغضب ، وصاحت : اليك عني ، لا



حين قرع الجرس

مجموعة قصص - ناليف نوما خوري - ٢٠٠ صفحة - منشورات دار الطليعة ببيروت - الطبعة (٢)

عندما لمحه في ابهاء دار المعلمين يتحدروا ويتخطروا ، كمن يدفع بعمره الوجود دفعا ، وكانما خلق ليتجه في الامام ، غير معطى ان يلتفت يمنة ، او يهدف يسرة ، او يتراخى الى وراء .

عندما لمحته ، ذنوب فابصرته ، تعارفتا ، تلاقق شيء من ذاتي بشيء من دخليته ، وهرب شيء مني عنه ، لا عن مقة ولكن عن غربة ، وما زال بي ، وما زلت به ، حتى لمس كيانه في شؤوني ، وتلاصقت مع حنايا ذاته ، فاذا بنا « سكرنا بها من قبل ان يخلق الكرم » .

مشيق على حيوية نهر يمشي حوله جداول من دفته ، اسمر بمباهية ، تلبس على ملامحه مسحة طفولة لا تراهق ، وتترزع في حديثه فترة بعد فترة ، حركة الفناها كأنها ترسم اصابه ، وكيفية « وجليسته » ، وصعكة تصور اسنانه ، وعتقة ، كأنها اطلها ليبر بتحجرته لا بكلامه عن قريب نفسه ، ودرسي قلبه .

كثيرا ما طليت منه ان يقيم دعوى على الدولة ليطالها بمعامشين ، فيقول لي : لماذا ؟ فأقول له : « انظر للمباقة » ، وتكالف « الورشة » التي حققت منك رجلا كلف مقدار اثنين او ثلاثة » .

فيهاتفنا فسحكا وهو يصيح : قديمة... قديمة...
فأرد عليه قائلا : « الاظفر منى بالتصير في الحركة » .

اراني الساعة اتحدث عن الكتاب قبل الكتاب ، ومع هذا فانا لم اخرج من الموضوع ، فتوما يعقوب خوري ، السرياني ، اللبناني ، القصص البارحة ، كل نام يتألف من شكل ، ومحتوى ، وخرقات ، وصلات ، واجواء ، له كتب ، وله احلام ، وهو اجس ، ينطلق من تجارب وناملات ، ويختلس الغريب الشارد فيؤنس ، ويلمس الجمادات فيؤنسها ، وهو في هذه الشؤون المعروفة ، وفي سواها التي نهجل ، حين لين ، كالساعة ، والرقة ، واللمسة الرقيقة من يد على شعر ، ومن اصبع على زهر .

انا اتحدث عن نوما خوري ، فالأطوار والمعودة شيء واحد ، والوعاء يما فيه تعبير عن محتوى متناغم ، وانا وهو كلنا من معدن صلب ، وكل شيء مني ومنه ، فلهذا مهما أوغلت في البواش فانا في الوقت ذاته موصول بالثمن ، وانك لتعرف قيمة الشخص البشري بمقدار ما تراه لنفسه ، وتراه متاخلا في سواء ، كأنما صيغ من مختلف الاشياء .

« حين قرع الجرس » مجموعة قصص قصيرة لنوما خوري ، تشكل الحلقة الثالثة من سلسلة مؤلفاته ، موطئة لحظات اخرى ستتلاق مع اخوانها ، ثم لتأخذ مكانها في رف من رفوف المكتبة العربية المعاصرة في فن القصة .

« حين قرع الجرس » قصة المجموعة الاولى ، سماها كلها باسمها . فاذا كانت القصة حادثة ، وشخصا ، وغاية ، وشكلا ، فهل يمكن ان ننسب الخط الذي شق فيه الانسان نود لتدل على عين يلف بين ابنا صفة من الادباء المعاصرين ؟

الحادثة : في زماننا الحاضر ، نحس حرارة وقومها كأنها في دما ، او انها لفرات فليلة نزع صورها من جفوننا ، وسعنا ، واحساسنا ، والقيمة الى درجة انها مالوفة ، بسيطة ، لنفسها في تلك الزاوية من الشارع ، في ذلك البيت المتميز ، وسط الساحة ، في مجرى السابلة ، بين دروب قرية ، وفي حضن مجلس من المجالس ، او ندي من الاندية .

من هنا يبدو لنا كم يعايش المؤلف ظروفه ، حيث يقفها من

عصيه ، من مجرى دمه ، ويضع فيها عيونه ، نبض قلبه ، لهات روحه ، وملامح كيانه كله . نشل ، تحكيم في مسابقة شعرية ، بدلة المناسبات ، كرسي الصديق ، الخواجة ، وسواس اب ، خطف عروس ، هذه بعض حوادث قصص المجموعة .

الشخص : الزاني المخادر ، نطوح طابويس ، جودت دجيد ، نديم شليط ، زخا الشوري شيوخ كليب ، عائلة طاحوني ، المختار ، المحامي والشحانة ، برهوم ، سيمون ، عبد المال ، الملك الخلوغ ، ابو اتور ، سليمان . يستكون في جلدي وجلده ، يبين جفوننا ، بصمونا بالنايك في الشارع ، يزجونا في التراواي ، والبوسطة والسيما ، او نهش لهم في زاوية او متعطف مسلمين بشارة خاطفة ، متوقفين عن رغبة ، او انهم عاشوا في تلك القرية ، او هناك في الصحاية ، او الحارة ، او الشارع .

الغاية : لا غاية ، بل كل غاية ، ان كان للفن هدف يرمي اليه سوى اللقب بالصور ، وغزل الخواطر ، واللها بالخلجات . يحبك من ذلك ملادة ، فيصا ، سريلا ، متديلا ، يليس ، يعرض ، يمزق ، يلوح في الهواء ، يتلفي ، يحبك من جديد .

هل الاستاذ نوما يعقوب خوري من اولئك الذين ينسجون القصص للتمتع الفني في ذاتها ؟ متبرا ان الفن غاية في نفسه ، وان الوجود سواء لوطن لا ، فهو مستحضر يعفوه في كل عمل فني ؟ وان بعض المكنين الذين اطلقوا مثل هذه الاداء في فرنسا ، وردد فحواها كثيرون في بقاع الارض مثل بولدير ، وكوزين وسواها « ان الفن هو للفن » وجاء بعد ذلك من يقول : « ان الفن هو ابن الله ، والله حصيلة الفاني من نشاطها الحيوي » و « كثير من اعمالنا تعبيرا عن دوافع مكتوبة ، راسية ، لا واعية » و « ليس كل ما نقوم به نتيجة عقلنا المباشر » ؟

او ان الاستاذ نوما يعقوب خوري القاطن في الزعرة ، السرياني اللبناني ، التاطر في دار المعلمين والمعلمات ، المسؤول عن اسرطوبية عريفة ، المرتبط بصداقات ، والتزامات ، ومسؤوليات ، الناس في مكان وزمان ، ارض ، مناخ ، تاريخ ، معاصر ، منسول من الناس ، ينسل في الحاضر ، يتشوق الى ان يلتقي بعيدة السماوات والارض فيرتني في احضانها السعيدة ؟ يلتمز ، يهدف ، يراني الجماء والنتيجة ؟ لا الحالة الاولى وحدها ، لا الحالة الثانية وحدها ، بل الحالتان الاثنان معا .

فالاستاذ نوما فنان ، وكل فنان معبر ، وكل معبر له ، غير ان ذلك الفنان موهوب ، والوهبة بنت مناخين الوراثية والتجربة ، فبالوراثة يلهو ، وبالتجربة يلتمز ، يعاني ، بصادم الكون ، يتأمل في المصير او يعترض منه .

متلما بعد ان فنان يده الى الواقع ليتناول نماذجه ، والسبي الطبيعية يستخدم اشياها صورا ، حروفا ، والى ذاته ينطلق منها بالاشياء والتناظر ، فهو يرتفع عن ذلك الواقع ، وتلك الطبيعة ، فيكبل ، ويجمل ، وربما طار بعيدا على جناحي نسر اسمه الجبال ، في افاف عرضها العلوم ، طولها الجهول ، لم يعود وعلى ريشه عيبر من مدى البعد .



الارباب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر

يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

المؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد

الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاطلاع تراجع ادارة المجلة

تليفون : المنزل ٢٢٥١٣٩ ٢٢٣٨١٩ الادارة
Tel : Dle : 225139 Dir : 223819

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب - صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت - لبنان

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

اليسر اديب

الكل من الاحد ، الكل يعود في الاحد ، ونوما خوري واحد من هؤلاء الذين يشكلون الكل يسرع مشوقا الى الوحدة .

الشكل : نحب من قراءة قصصى الاستاذ نوما ، من كلماته وحروفه انك تدرك في واقع البشر ، غير بعيد ، بل هنا في لبنان ، بل في بيروت بالذات ، بل في حي الزمرة حيث يقطن الاستاذ «نوما» حيث حي المبش ، حيث يطن عن فساتل «لبناء حينا» لذلك فمبارته بسيطة ، واضحة ، مباشرة ، لا تكلف ، لا زخرف ، لا تعقيد ، انها لغة الصحافة اليومية ، بل ربما جنى الى العامية ، وجبت الى الزمة - وهذا متفنى حال - اذ هو كاتب واقصى تيموري ، دوستوفسكي ، او محفوظي ، احيانا ، وشرفاوي قليلا ، وهو متلمح ينسحب على خطوط اشترنا اليها ، كذلك يصطاد الخاطرة الشاردة ، بغزل القماشية العربية ، يروني الخففة الشعرية ، يقوس في حايا النفس البشرية ، يكشف ، يعطد ، يفضح ، ينشر على صنوبر بيروت ، على رؤوس الجبال ، في طول القضاة وغرفه .

قلنا له : « نوتش جملك ، احكم تعبيرك» فقال لنا : «انا سابع في هذا الوجود ، اخذ كما هو ، ولست من كتاب المقامة ، او الرسائل في ديوان جعفر البرمكي ، او بلاط هرون الرشيد ، او من مبهرجي «البرسيوزنته» في فرنسا ، انا نوما يعقوب خوري من حي الزمرة ببيروت ، قلنا ، وقال ، فحزنا معه ، وبقي هو يجذبنا بقده المشيق ، وتحدو الذي لا يني او يتوقف .

اما ونحن امام قماشة (لا تجرد ، ولا تحل) فلنغفز قليلا من فنانة ، دعابة ، تشويشا ، اثاره ، لنظفر بالانفانة السمحة ، والبسمة الانيسة ، والاجابة الطريفة ، لنقبى سائرني معه ، وبقى سائرنا معنا ، يطرقتنا ، يمتعنا ، يبدع فنسنا ، وتنتلى ، ونغيب :

ان من ساءه الزمان يشي

لاحق امرىء بان يتسلى
بعد اكون هناك غلات مطيعه ، هنوات لغة ، عثرات انسياء ، الى شيء من تفسير القماش ، او توسيع الفجوات ، والخصاب الرعشة ، فينبقى العاشق في ذروة انغماسه المشاق ؟ هذه انسياء تقع عليها في صفحات : ١٠٥ - ١٧٥ - ١٨٩ - ٢٠١ - فاقصوص : «العالم الشاغل» بلا خاتمة متنافسة مع السياق ، وانها في «الكرسي الصديق» مبليلة ، و «الغربة معلم» تنقصها غربة المعلم ، وان كانت خاتمها مشيرة .

اخيرا ، مد يدك تكرع الثعالة دفعة واحدة من خمرة «حين فرغ الجرس» و «كعبو ابيض» يا رفيقي القاري ، فالاستاذ نوما خوري كاتب جبره مترع النثرة ، كاتما تهتدل اوداقه من غصون يبلسان على ضقة تدبر ، قلبه مطواع التسق ، كاتما صيغ من معدن لا يلمسه صدا ، يصير بالتمعة ، يوجع بالحركة ، يبدع الصورة ، ويغد لك في جريه الهائيه القريب ، لغة الذهب ، وبريق البلور ، في نومة المخمل ، وبساطة الحديث اليومي .

وما دام سفيقا انيسا على مكتنتنا اللبنانية العربية ، جلب لنا هدايا الاربع الطارق القريب ، غنائى الهمى ، المتدوب الرياني ، وهذه الاخيرة ، فلتقت شفاطنا ، ونحلب ريقنا ، فلننصب يدنا في يده ، لياخذ مجلسه في القاعة ، ولتدعه في بيته ، يرسم لنا مواعيد كرامة معروضة نفوح من ظلال غصونها ، ومن ثريا عنقودها اشواق الغواشي المصمرات ، فتظفر ، ويظفر معنا في مدى الوجه يحملنا اليها الشوق والحنين .

علي شلق

كليبواترة

تاليف ادري ويجول - ترجمة حسني فريز - (١) صلحة - مطبعة (١)

اظن ان الحيرة تملك الناقد احيانا نمتعا يريد الكتابة عن كتاب مترجم

أكثر مما تتكلم عندما يعد نفسه للكتابة عن كتاب مؤلف موضوع . هذا على الأقل ما يحدث معي وما أشعر به . فإذا كان الكتاب جيدا أو كان رديئا ، عاد الفضل أو العيب إلى المؤلف . وكل ما نستطيع أن نقول من المترجم أنه أجاد اختيارا لكتاب أو لم يوفق في ذلك ، وأنه أحسن الترجمة أو لم يحسنها. إلا إذا كان القصد أن يأخذ الناقد على علاقة أمر عرض الكتاب ونقده مروراً بالمترجم الذي نقله من لفته التي كتب أصلا بها ، إلى اللغة الثانية .

ولا بد في البلد من كلمة عن الأستاذ حسني فريز مترجم هذا الكتاب : أنه أديب وشاعر أردني مرموق ومعروف ويعتبر في الصف الأول بين حملة القلم في الأردن. نشر له فيما مضى ديوانان من الشعر «هياكل الحباء» و «بلادي» ونشر له من الكتب «قصص ونقداً» و «مفردات نائية». وفي ميدان الترجمة نشر له كتاب عن حياة طاغور وهذا الكتاب الذي بين أيدينا عن حياة كليوباترة أو الملكات المصريات من سلالة البطالسة . والكتب الثلاثة الأخيرة ظهرت في العام الفائت وهذا العام ، وهو نشاط جرم موقر بالنسبة لأي أديب .

لست أكتب أعجابه بهذا الكتاب الفصيح الذي يروي سيرة حياة تلك الملكة المشهورة والظروف القاسية التي مرت بها . بل أن الكتاب لا يكفي بعرض حياة الملكة ، ولكنه يكاد يروي تاريخ الإمبراطورية الرومانية خلال عشرين عاما ، منذ أن جاء القائد بومبي إلى الشرق غازيا فاتحا إلى أن جاء أغسطس قيصر إلى مصر والحلفا بامراطورية روما . في هذا الكتاب نعيش سنوات قيصر الأخيرة ، في مصر وفي روما ، تلك الحياة الزاهرة العربية التي انتهت على أيدي الثعابين من أعدائه اللدناء واصدقائه الخياليين . وفي هذا الكتاب نوافي مارك انتوني في حياته المضطربة في مسوده وهبوطه ، في أترافه وسقوطه ، حتى أيامه الأخيرة بعد معركة كينورم لم تتحاربه عند الساطي المصري . يعرض لنا الكتاب حياة كليوباترة من زاوية جديدة تختلف عن الصورة التي اتضاد الكتاب والمؤرخون أن يقدموها لنا . إنها هنا ملكة تتحمل مسؤوليات الملك بكل جد واجتهاد ، ولا يعني هذا أن كليوباترة عاشت حياتها محتبلة متعطفة رصينة ، ولكنها كانت تهدف دائما إلى اتقاد مملكتها الفنية الراقية من شباك الطامع الرومانية عندما كانت روما في أوج قوتها وسلطانها. من هنا نفهم كيف استجابت لقيصر وعاشرة على أمل أن تصبح زوجة شرعية له ، ثم رافقته إلى روما من أجل تحقيق هدف أبعد وأكبر ، ألا وهو أن تصبح ملكة روما مع زوجها قيصر ثم تعهد لإنهاء قيصر من أن يتولى عرش الإمبراطورية بعد أبيه فتقدموا الإسكندرية عاصمة وتحتل محل روما . ولكن القدر لم يكن رحيماً بها وبأبنائها إذ سقط قيصر مفرجاً بدمائه في اليوم الذي كان تؤول إليه بوضوح النتائج في رأسه على يد الأسبيج . واقتبست ذلك أحداث مروعة مضطربة ، وجاء مارك انتوني إلى الشرق بعد أن انقسم الحكم مع أوكتافوس ، وعاشت كليوباترة مع انتوني فترة سعيدة هائلة ولكن انتوني لم يتخلصا زوجه شرعية بلواه لأنه كان متزوجاً باحت أوكتافوس . وفي معركة كينورم أدركت الملكة أن انتوني لم يكن يتصرف تعرف القائد المحنك الذي يعمل على أن يعقد النصر بلوائه ، ومن هنا ينطلق السبب في انسحابها من المعركة بأسطول مصر . إنها لم تكن خائفة لطيفها كما يلحظ المؤرخون الآخرون ، ولكنها كانت تتصرف بدافع من شعورها بالمسؤولية نحو مملكتها وشعبها في مصر . كانت قد تحالفت مع انتوني لتحقيق هدف واحد ألا وهو نقل مركز التل من روما إلى الإسكندرية وتقليب الثقافة اليونانية الراقية إلى ثقافة الرومان التي كانت ما تزال في أول النشوط . ولو انتصر انتوني بمحافلها له ، وهو الأمر الذي كانت تسعى لتحقيقه ، لما تردد في الانتقال إلى الإسكندرية إلى جانب كليوباترة واتخاذها زوجة شرعية له . وقد انهم كثيرون من الباحثين كليوباترة بأنها كانت امرأة شهوانية تنطق العشاق والخلان كيفما اتفق لم تأبه بمصيرهم بعد أن نزل معاشرتهم ، ولكن مؤلف

الكتاب بنى هذه التهمة في سياق بحثه ، ويصورها امرأة ذات طامع واسعة ، ويلتصق العذر لها في أن القوى التي حاربها كانت تتصوق عليها بمقدار لا قبل لها به .

والكتاب يدل على دراسة واسعة مستفيضة وعلى إتانة وطول بان ، ولا بد أن مؤلفه قد استغرق في موضوعه وعاش أيامه ولياليه وعاصره الأحداث التي كتبه بعد بخلائه وثالب أفكاره ، لأنه لمس في الحياة والشمول وحسن التفهم وتقليب الآراء وتحميصها . وهو بعد ذلك كتاب يجمع بين علمية التاريخ وطلاقة الرواية وسمو الثقافة ، ولا أشك في أن قارئه يخرج أكثر علما بعد فراغه من قراءته .

بعد هذا في ملاحظة عامة على الترجمة : لقد وفق الأستاذ فريز في نقل الكتاب إلى اللغة العربية بأسلوب لا يبدو عليه أثر من آثار الصفح. ولكن مع ذلك كان خليقا أن يعاود النظر في الكتاب قبل أن يدفع به إلى المطبعة ، ولو فعل ذلك لتفادى بعض القموص في بعض العبارات . خذ مثلا على ذلك قوله «الفان» غير ملكة وولد وورث فانه ليس هناك إلا نقطة صغيرة ...» (صفحة ٩٢) وقوله أيضا «ويمكن أن نرى بسهولة أن كليوباترة قد بينت لقيصر المشابهة بين العبدان وأنه هو نفسه ، أو أنه فعل شيئا يشبه بومبي (روموس)» (صفحة ٩٥) ومثالا ثالثا من صفحة ٢٢٧ «ولقد فكر الطوني وهو في عزته باخطائه المتفرقة، فراح يشك في زوجته ، أما هي فاتها لم تعد ترى فيه ندا لها ، ولكن ترى فيه مخلوقا يستحق كراهيتها وإزدراءها على أنه يشير فيها ، إلى حد ، شفتها الكريمة». ولو أعاد النظر في الكتاب لما أطلق على الملكة اسم (كليوباترة) على التثنية وأطلق عليها اسم (كليوباترة) من أول الكتاب آخره . وتراه قد استعمل كلمة (نباتا) عن بلاد الأنباط وكلمة (سليسيا) بدل كليكيا وكلمة (جوديا) بدل اليهودية . وهناك ملاحظة عامة أخرى وهي أن الكتاب الثلاثة التي تحمل اسم الأستاذ فريز وقد ظهرت هذا العام والعام الفائت لا تحمل تواريخ طبعا رغم أن اثنين منها نشرها في دار الكتاب العربي ببغداد ، وهذا من عيوب النشر في بلادنا . وكنت أعتني أن يتضمن الكتاب كلمة عن المؤلف وعن تاريخ تأليفه .

على كل حال أتمنى لأجد كبير خليف بالتقدير والعجاب .

عنان - الأردن سليمان موسى

●

أبراهيم المصري : حياته وأدبه

تأليف فوزي سليمان - ٨٤ صفحة - طبعة النصر بالقاهرة

جمع كتاب : «أبراهيم المصري - حياته وأدبه» سيرة هذا الرجل العظيمة ، وجهاده في ميديان : الأدب والصحافة ، وما انطوت عليه نفسه من جد وجاه كثير من أدباء هذا الجيل والجيل الذي سبقه ... فقد أدرك الأستاذ فوزي سليمان ، لحياتة هذا الأدب ، تاريخ العالم به ، الخبير بأعماله واتجاهاته ، البصير بنفسه وفكره ولغاته ..

كان أبراهيم المصري الذي نشأ نشأة شعبية في «حي القبيسي» بالقاهرة ، يعيش في ظل والد يعد نساخا للملوح في الحكمة المختلطة - وقدذاك - ويهيم أن يتجه ابنه وجهته فيساعده في خريف عمره على قطع حياته ، والمضي بأسرته حيث يجب لها الولد من العيش ، و يرضى من السعادة ، وإن كان لم يعلم أن ابنه سيكون له شأن وأيد - في دنيا الأدب ، وعالم البيان ، بفضل الشاهد شعر أبي تمام والبحتري ومهيار الديلمي ، أمام هذا الولد الذي دفعت مكنته إلى التعلق بهذه الصناعة ، والمضي فيها إلى آخر الحياة .

ودون ما شك ، فقد كان لهذا الإنداع ، وذلك الاتجاه الذي اتجه إليه أبراهيم في حياته ، أن لم يستطع الحصول على مؤهل دراسي ، أو

ان يعمل رئيسا لتحرير «الهلال» ليلتزم فيها مذكرات فكره ، ويواضع ثقافته ، ويستطيع الدفاع عن رسالته في قوة وعزم واصدار ، سنوات طويلة ، حتى سقط ذات يوم - مفتشيا عليه أربع سنوات ، بلازعه المرض والتمب والإعياء وعقوق الاصدقاء واتكار الجليل ، الى ان من الله عليه بالشفاء وعاد الى عمله وابراز مواهبه ، ولكن في دار « اخبار اليوم » .

ولقد كان الاستاذ فوزي سليمان متصفا كل الانصاف ، عندما ناقش الحرية الادبية في مصر حتى عام خمسة ولاتين وتسعمائة بعدد احواله ، واتساعها بالترجمة وتوفر القراء برجالات الفكر الاوربي ، ومعامله هناك ايا مستلح الطابع والشخصية ، وموقف ابراهيم المصري من كثير من اتجاهات الفكر التي دارت في ذلك العهد ، وانسباق النزعات ، ولزعزع العزائم ، ومضيقا نحو التقهقر امام شتى الافراد ! ولكن المؤلف اثبت رايه في ابراهيم المصري بكلام ابراهيم المصري نفسه ، حيث حمل في كتابه : « صوت الجبل » على النقد والثناء ، « ان الاديب في عرفه ، لا ينهض الا بالثقة ، ولا يستقيم الا بتخصيص الناقد المخلص الامين ، فلما اضطرب النقد وتشوش واستمال الى ضرب من تقارض الشتاء ، فقد انحط الاديب - ولا ريب - وتدهور » . وفي فصل آخر من فصول هذا الكتاب يقول ابراهيم المصري :

« وهناك ظاهرة اخرى اشد خطورة مما تقدم على نهضة الفكر والثقافة عندما ، وهذه الظاهرة نفس اسلوب النقد نفسه ، والطريقة التي يعالج بها اشياء العظمى ، العمل الادبي الطروح بين ابدعهم .. هؤلاء الناس يتنازلون الكتاب الجديد في نظرة تصفية جائرة ، يريدون تطبيق نظرياتهم الخاصة وافكارهم الخاصة ، ومذاهبهم الادبية الخاصة على صاحبها ، فان وجدوا في الكتاب ما يتلادم في تلك النظريات والمذاهب امتدحوه واعترفوا به ، والا فلاستهتار والتنقيص والتحاميل نصيب مؤلفه المتكود » !

ثم اثبت رايه في الصراع بين العلم والدين ، وعلاجه الاسييرية « لظالم » و « لوسيط » و « تشكيب » و « بوليس » و « زلا » و « ميسيل بولست » و « رومان رولان » و « اندريه جيد » وغيرهم من افلام الادب في الغرب ، وفي القصص في مصر ، ووجوب اتجاهه وجهة مصرية وانسانية في وقت واحد ، والادب المصري المتشود بصفة عامة .

كذلك استنقش ابراهيم المصري في عرض نظرياته التجديدية في كتابه : « وحى العصر » فتناول دراسة « الوحي البيئية والمصر » وفردرة نمطه في الادب الحديث ، كما نهى الى روح الصدق في الادب والحياة وضرورة توافرها في شخصية الاديب وعمله ومذهب الادب الشعبي ، واتجاهاته وخصائصه وما يميزه عن الادب البرجوازي .

ومما يزيد من امتاع هذه الدراسة ، ان المؤلف قد حلل ابراهيم المصري مسجريا ، ووقف عند كل عمل له مناقشا ومطلعا ومدققا ، كذلك اتى على رايه في الدراسات النسوية التي استنقش لها ابراهيم المصري طوعية ، ونزولا على رغبة الصحافة ، وامتنالا لا تنظية من التناذر الى اعمال الجاهليين ، ومقتضيات المهنة .. لكن هل كان ابراهيم المصري مستجيبا لداعي الثثرة ، ام متلبوا في هذا الانسياق ؟

الواقع ، ان هذا الكتاب لم يستجيب هذه الاستجابة ، ولم يدخل معترك هذا الميدان الا عن ايمان بما يكتب ، او اصلاح لكثير مما سلق بالالهام ، او ران على الافئدة ، نتيجة تسرب كثير من النظرات الغربية الافئة المقرضة التي تسير على كثير من العقول ، وتمسك بعديد من الافلام ، فهو في تحليله الفكري يتناول الدور الذي لعبته المرأة في حياة فريق من العلماء ، والشعائبات الاجتماعية والنفسية والبيئية التي تعترض حياتنا كل يوم ، والاساليب التي يمكن ان تقرب مسافة الخلق بين الرجل والمرأة ...

ولقد كان جميلًا من الاستاذ فوزي سليمان ، ان يقف امام آثار

رخصة يترخس بها في سلك المؤلفات ، وياخذ حقه كغيره من اصحابه الذين تربوا على عرش المؤلفات ، واشير اليهم على انهم الطغمية في الحياة ، المسلون برخصة ، بنام عليها صاحبها ، ونسحق له يوم لا تنفع شفاعته أي مجد ، او تتناول عليها اعمال واعمال ...

لكن ماذا يصنع ابراهيم ، وقد تعرض لحمل الرسالة ، و « فتح بيت الله » وهو الذي تزود بالثقافة الغربية ، بعد ما تسلبها الغربية ، لفة وشعرا وتترا .. اينزل الى الحياة دون « رخصة » رسمية ، ام يغر من هذا « الروتين » الذي يحتم عليه ان يخضع لده ، ويصبر على بسواه ...

نظم ابراهيم المصري ، ان نحن اخذناه على فشله في مؤلفاته المتعددة التي شغلها فهو لم يخلق الا ليكون قائد فكر ، وربان سفينة ، ومعلم جيل ، وقائد نهضة ، يدفن جنودها له ، بالقيادة الرشيدة ، ويعترفون له بالحكمة بعد الخلق ...

يعرف المؤلف ، وليس هذا غيبا يواخذ به ، او يؤخذ عليه ، بان ابراهيم عندما ترمد على وظيفته وتركها ، آثر ان يسكن « دار الكتب » نهرا لثلاثة اعوام ، يعيش فيها كالا على المرحومين - محمد تيمور ، واسماعيل مطهر ، وعمر عارف ، وزكريا مهران ، وعبد الحافظ ثروت . كانت معاهدة المؤلفات التي وقعها ابراهيم المصري ، ما زالت نطالبه بالوفاء ، وتلح في سداد الديون ، فجدبته - كرها - مرة اخرى الى ان يعمل مدرسا ، خلفا لشقيقه الذي كان يعمل في هذه المهنة ، وصرعه الجدي ، وهو في ساحتها يؤذي عمله ، وينشئه فتيته ...

غير ان هذا الكتاب - المجهز الآن - لم ينس انه يعمل في هذه الصناعة على جثة اخيه ، ويكتب عيشه ، تعويضا عن الزود الذي اصابه ، فثارت نفسه على هذا الوضع ، وانف من هذا الفتات ، فاناح له المرحوم عبد القادر حمزة ، صاحب « البلاغ » الفرصة ، لنشر دراساته الادبية ، ويظهر نبوغه ، وسر غيرة من على خطا « المختبر » القاصي ...

ولقد دفع النجاح الذي لقيه ابراهيم المصري في حياته الصحفية الى ان يدخل المسرح كاتبا لعدة مسرحيات في الخمسينيات ، و « نحو التور » بعدما أحدث كتابه : « الادب الحي » هزة عينية ، وقوبل من الكتاب والنقاد باعجاب شديد ، الى حد ان صحيفة « الاهرام » افردت له - في حينه - مقالا طويلا ، استغرق ثلاثة ايام كاملة .

اما عمله في « البلاغ » فكان متنوعا .. كان يكتب صفحة ادبية ، وصفحة نسائية ، وصفحة سينمائية ، وبتزج التفرقات ، ويعلق على الكتب الجديدة ، غير كثير من الموضوعات الاجتماعية التي توجه لغيره . وفي خلال فترة احتفاله بالبلاغ ، اخرج ابراهيم المصري مجلة : « الاسبوع » وجعلها ميدانا مفتوحا للنشراء : ابراهيم ناجي وعلى محمود طه ، وصالح جود ، الذين كانوا يريدون - ونفادك - استحداث مذاهب جديدة في الشعر العربي ، كما انه لم يكتب بهذا الميدان الفصح ، فانشا مجلة اخرى هي : « الادب الحي » ، فكانت ساححة عريضة ، لمت فيها اسماء جديدة من امثال : نقولا يوسف ، ومحمود الشرفاوي ، ومحمد امين حسيونة ، وراشد رستم ، ومحمود التجوي ، وكثير غير هؤلاء ممن لمعوا دورا خطيرا في القصة او الدراسة الادبية او الترجمة ، وان كان ابراهيم المصري يشارك هنا وهناك في الحياة الادبية المتألقة والصحافة النظيفة ، فكان هو واحدهم خيرى سعيد ، ومحمود طاهر لاشين ، والدكتور حسين فوزي ، ومحمود محمود ، والدكتور احمد زكي ابو شادي ، واسماعيل مطهر ، والدكتور حسن كامل طه ، وعبد الرحمن البرفوني ، يتوون ولينهم ويدعون لمدحهم التي ظهرت في عام ثلاثة وعشرين وسبعينيات بعد الالف ، بعد قسدي كل شيء ، ونخل كل ميسم تسم به الحياة في القصة والمسرح والشعر والدراسة الادبية والاجتماعية والتاريخية ، الى درجة الطمان بالقول ، والحراب والتعريف والتناوش ، فمئذ لم يجد ابراهيم المصري بدا من

ابراهيم المصري عارفا لها ، ومهلا لمسامحتها ، وسابرا لاغوارها بعد ما ذكر القوى الرئيسية التي تنف عليها هذه الانار ... اجتمعت هذه القوى : وهي : الخيال المتقد ، والخبرة المميعة بالبحايا ، والثقافة الواسعة ، والاسلوب الخاص في هذه المجموعات القصصية : «الإنسان والفرد» و «صور من الإنسان» و «الإنسى الخالدة» و «كأس الحياة» و «ولبة الإسلام» و «صراع الروح والجسد» و «الآب الهدي» و «عالم الفرائز والإحلام» وغيرها مما دعي ابراهيم ابراهيم الى ان ينزعه من صميم الحياة في حالات اضطرابها وتوزعها وصراعها العنيف بين ارادتها ومشتيتها ..

وهناك قصص تاريخي وآخر رمزي فلسفي ، عالجه ابراهيم المصري بخيال الشاعر وغفل المحلل ، وبصيرة الفنان كقصه : «عندما تحب الروح» و «خبز الكراهية» و «شهداء الثورة» و «نافع الزمار» و «طريق الصفصاف» و «صور من الإنسان» و «المطاردة» و «العودة» و «اليتيم» .

وليس شك في ان في ابراهيم لا يصدر عن الفكر المجرد ، ولا عن فلسفات جاهزة ، مهية في المنح من قبل ، ولا عن نظريات يحاول ادماجها او اثباتها في قصصه ، بل يصدر عن ملاحظة مباشرة للحياة ، واحساس صادق بها ، وتصوير مشوي لحداثها وطوارها ..

على ان اهم ما يلاحظ على هذا الكتاب ، ويصمه بوصمة لا تمحى ابد الدهر ، الا اذا اعيت طبعته واستقنت عن ما فيه من هذا الثبت من الآراء التي حاول الأستاذ فوزي سليمان ان يستعين بها ويثبتهامها لهذه الدراسة المنحة ، فليس ابراهيم المصري بحاجة الى الإشادة به او الحكم عليه بعد هذه السنين الطويلة التي قطعها معلما ومرشدا ورائدا .. ومهما كان الظلم الذي يحق بآي كاتب ، فلا يمكن ان يظل على ساحة بطل ، متعدد الواهب ، متنوع المكنات ، لا يتجه ذهنه في طريق واحد ، بل يتقحم شتى الطرق والميادين .. ومهما قيل في ادب العربية ابراهيم المصري ، فمن يقال ان له فنان مثالي التزمه ، نزبه ، التقصد ، قوي الخلق ، شق طريقه بمفرده ، عاش ويسجل لفته ، لم يجتهد اغراء المال ، ولم يستغفله السمي وراء الشهرة ، ومع ذلك فهو في مكان الصدارة ، وعنوان الصلوة البارزة من رجال الفكر والآداب في الشرق العربي كله ...

القاهرة

أبو طالب زيان

آراء في العربية

تأليف عامر رشيد السامرائي - 158 صفحة - مكتبة النهضة ببغداد - مطبعة (٤)

ما تزال اللغة العربية تواجه في كل مرحلة من مراحل حياتنا الفكرية العربية معارك متعددة ، شامها شأن كل مقومات فكرنا : (التاريخ والتراث والدين) . غير ان «اللغة العربية» اليوم تواجه ضغطا متزايدا له بواعت متعددة قد تنصل بالابوات التي جعلها خصوصها منذ اوائل عصر النهضة ، وقد تنصل عنها ، فما يزال الفكر العربي في مواجهته للفكر الانساني بثبت انه قادر على الانتعاش والاقبال ، مفتوح التوافد والابواب للثقافات والعلوم والمعارف ، وما زال ايضا قادرا على ان يابذ ويدع ، دون ان تفرض عليه التيارات الفكرية المختلفة لونا معينا ، او تطويه تحت طابع معين غير طابعه الاساسي ، ومن هنا فان الحركة قائمة ومستمرة ، وهي معركة البقاء والتطور من ناحية ومعركة التفریب ومحاولة تغيير مفاهيم القيم التي تفرغها القوى الخارجية من ناحية اخرى . وسيظل هؤلاء يدهفون بآرائهم ثم يجدون من ابناء الامة العربية

من يواجه هذه الآراء ويقتدها ويصححها .

وذلك موقف الكاتب العربي النابه الأستاذ عامر رشيد السامرائي في كتابه «آراء في العربية» وما زلت اذكر ذلك الثبت الطويل من الكتاب الذين عالجوا هذه القضية ، وعابوها ، منذ اوائل هذا القرن ، ولقد كان ما يشرفني ان كنت واحدا منهم ، حين اخرجت كتابي «اللغة العربية بين حمايتها وخصوصها» منذ خمس سنوات وان لم يقرأه السامرائي .

ولذلك فقد كنت شغوا بان اطل على الطريق ادى كل جديد في هذا المجال . ولقد كان من الطبيعي ان يصدر في العراق القيود على القصص مثل هذا الكتاب من كاتب قومي طامح ، يلعب اسمه اليوم في مجال الصحافة والآداب والفكر ، ويشرف على مجلة «الافلام» كبرى المجلات الادبية في بغداد . وقد همننا ان نجد من العراق دائما ذلك الصوت القوي الرصين في مجال مقوماتنا الاساسية ايمانا باللغة العربية والامة العربية والفكر العربي الاسلامي، وما تزال اسماء هلال ناجي وعبدالحق فرسد وعبدالله الجبوري ويوسف تزيال اسماء هلال تملأ الافق .

ومهما يكن من رأي في مقدمة كتابه ، من ان ما كتب عن اللغة العربية بوقى المد والعصر ، من دراسات تناولت قضايا (اللغة العربية) من جميع وجوها ، فاننا نود دائما ان نرى كتابنا وهم يتناولون هذه الاحداث من جديد ، ويدلون فيها بالرأي الجديد ، فان ذلك من شأنه ان يكذب قول القائلين بان الشباب الجديد ينساق مع آراء التفریب ، او انه غير قادر على خوض هذه المباحث .

ولقد اشار الأستاذ السامرائي الى انه هدف من وضع هذا الكتاب الى خدمة اللغة العربية بإبراز بعض الضائقات العلمية بعد ان عرض للآراء التي يشيرها الناقصون عليها ، وانه قصد الى ازالة الكثير من الاوهام التي رسيخت في بعض الأذهان تحقاقات لا تغفل النقاش وهذا القول من شأنه ان يؤكد ان تيار المؤيدين للغة العربية الفصحى ما زال قويا وثامنا ومتمسكا ، وان الدعوة الى احوال العامية محل الفصحى ، مهما امتد بها الزمن فانها لا تجد الا صدق ضيالا منذ ذوي القدر المحدود من الثقافة - ولا اقول الثقافة - وان الفصحى تقوى وتندعم وتوسع نطاقها وتنفوذها لتشمل الامة العربية كلها في ظل اتساع نطاق التعليم ، وليست العامية هي التي تسود على العربية ، وتغرض سلطتها على اسلوب الكتابة .

والذا كان قد شافني في هذه الدراسة فصل بذاته ، فانه فصل (للغة العامية) الذي صدره كتابه بكلمة جاك بيرك : « لقد خاضت الثقافة العربية معركة العصور وخرجت منها ظافرة بفضل اللغة العربية الفصحى » .

وقد عرض الأستاذ السامرائي للآراء الداعية الى اتخاذ العامية لغة ثم رد عليها ، ف اشار الى ان اللهجات العامية تنشوء ولا تخلق ، فهي تآخذ الفاظها من الفصحى او من لغات اجنبية اخرى فتشوهها بابدال حروفها وان اللهجات بهذه الصورة لا تصلح للكتابة ، اذ مما لا شك فيه ان صعوبات جمة تقوم في وجه من يريد الكتابة بالعامية وتنسخم الصعوبات امام من يريد تعلمها اذ ليس من قاعدة رئيسية حرف تتبع عند الكتابة . بل هو التلق وحده الذي يحدد صيغة الحرف فاذا علمنا ان هناك لهجات متعددة نستطيع القول بان صورة الحروف سوف تتعدد ايضا .

هذا فضلا عن ان اللهجات العامية تتميز بكثرة الالفاظ الاجنبية الدخيلة عليها ، اذ تجد فيها خلطا عجيبا من الالفاظ . وهذا الامر وان كان يدل على شيء عند اولئك القرويين باللهجات العامية ، الا اننا نرى على دليل خيول ينتاب الامة وضموها في تقدمها ودهيها . وبقي المؤلف فيقول : ان اللهجة العامية لا تستطيع التمسير الا عن الماني الساذجة العامية المتعارفة وهي ان الرتاد التعبير عن المعاني

جد شغيلة في المكتبة العربية هذه الدراسات التي تتناول القصة من الناحية النظرية. وأكثر هذه البحوث مترجمة رغم مرور أكثر من نصف قرن على ظهور القصة العربية. وأحدث هذه الدراسات العربية ما كتبه ادوين مور ونقله إبراهيم الصيرفي هذا الشاب التصويري الصلب الكافح .. وغرض هذا البحث كما يدل عليه عنوانه وكما يقول صاحبه، دراسة الأسس التي يقوم عليها بناء الرواية غير مختصر على نوع واحد بل على أنواع عدة ، مكتشفاً قوانينها ومحللاً هذه القوانين ومبرهناتها الجمالية أيضاً ..

ويسطر مور بحثه وفي خياله محاولات دارسين سابقين مثل برسي لوك في (صفة الرواية) و أ.م. فورستر صاحب (جوانب الرواية) وجون كارون في (شهرزاد) أو مستحيل الرواية (الإنجليزية) والاختلافات الجوهري بينهم - وبفضل المؤلف لوك لأنه لا ينسى الرواية طيلة دراسته للرواية بعكس الآخرين . ويكرر مور منذ البداية، النصيحة التقليدية التي تحذر من بطلان أن القواعد الفنية تنصوفاً مقدسة . ويقول أن الرواية العظيمة دائماً على تقاليد اعظم من مؤلفها ، كما يعجبه الصنى التيق الذي اقتنسه فورستر عن نيتشه وهو .. زائف كل ما بعد فيلا. ويتخذ مؤلفنا موقفاً جذرياً بالاعجاب وهو يعرض لألوان الرواية المختلفة ، ألا لا يجعل مزاجه الشخصي حكماً عليها فيقسمها إلى جيد وريء مثل لوك . بل يبدأ بافتراض أن الاشكال الرئيسية للروايات جيدة كلها ، وحيثه من ذلك أن الدخول في الجدل الكثير الفاتل حولها يفسد الرؤية الدقيقة في النظر الموضوعي .

ويجد مور أن أغلب المصطلحات التي تتعلق بالرواية لم يحدد بعد معناها تحديداً دقيقاً ، ولكنه رغم ذلك يعرض موقفه الزامياً بقوله : «استقبل هذه المصطلحات في شيء من التجوؤ ، لأننا لا نؤمن بحق أن الرواية (أنموذجاً) كالسجادة أو «إيقاعاً» كاللحن ! وتتناول مورس «الحبكة» - يعني بها صديق سير الأحداث - بادناً روايات ما قبل الحبكة مثل القصة المثيرة ذات الأحداث الخارقة للعادة (سيرة الدكتور فاوست الشهيرة) - التي استوحاها جيته في روايته العالية - ثم ينتقل من هذا اللون الروائي الذي تتابع فيه الأحداث المثيرة فقط ، إلى احلال الحدث الواحد المركب مكانها وتطوره ، فيما يطلق عليه

السامية اعتمدت على اللغة الفصحى ، وأن اللهجات العامية خالية من قواعد الكتابة ، وأن الاعتماد عليها وإمتهانها وسيلة للتفاهم يعني أن هذه اللهجة التي تتكلمها هي عرضة للتبدل بتأثير عوامل مختلفة . وإنها ستبقى في تبدل مستمر ، وبذلك ستفقد الكثير من تراث البشرية وسيفقد ذلك التراث يعني توقف الحضارة التي هي عبارة عن حلقات متصلة ببعضها .

ومضى الأستاذ السامرائي في كشف نظريته فقال : أن في الوطن العربي لهجات عامية كثيرة ، ففي العراق لهجة لا يتكلمها أهل الحجاز أو لبنان مثلاً ، وفي المغرب لهجة لا يتكلمها العرب في الكويت أو الأردن أو سوريا ، فاي لهجة ندعو إليها ، انتخذ اللهجة العراقية (لغة) لنا من دون اللهجات الأخرى ، ومن لنا بافتتاح الفرد في لبنان عن لهجته الخ . ثم أن اللهجات العامية متعددة حتى في القطر الواحد ، ففي العراق مثلاً تختلف لهجة أهل الموصل عن لهجة أهل البصرة ، وكيف لنا أن نوافق بين تلك المتناقضات .

وخلص الكاتب إلى أن اللهجة العامية وليدة الجهل ، فحن ليو تدبرنا يأخذ ميزان تلك اللهجة وإسباب ظهورها ، لما وجدنا ما يشير إلى أنها حبيسة التمدن والحضارة ، بل إنها مصاحبة للتأخر والانحطاط وليس في التاريخ ، أي تاريخ ، ما يدل على أن لهجة ما قد ولدت بفعل تقدم حضاري .

وهكذا يعمي رشيد في كشف وجهة نظره عارضا لكل آراء خصوم الفصحى أمثال الدكتور أنيس فريحة وسعيد عقل وغيرهما منقاداً لها على نحو علمي متزن .

وبذلك يأخذ كتاب « آراء في العربية » مكاناً طيباً إلى جوار عديد من الكتب المنهجية في هذا الموضوع .

وبعد فإن الأستاذ السامرائي قد قدم للمكتبة العربية عدداً من الدراسات في مجال البحث العلمي العربي ، وهناك كتابه «إباحث في الأدب الشعبي» متصدياً بالذات للشعر الشعبي العراقي الذي لم يلقَ بدراسة جديرة عميقة قبل أن يؤلف كتابه - ولا يقدر هذا أن تناقش في اهتمام المؤلف باللهجة العربية واهتمامه بالأدب الشعبي . فان القضايا دائماً تنظر من وجهة نظر مفهوم المؤلف واتجاهه فالباحث في الكاتب العربي الصادق الإيمان باللهجة العربية والأمة العربية ومقوماتها وفيها إذا تناول الأدب الشعبي فإن تناوله له يختلف اختلافاً واضحاً عن تناول كاتب آخر ، تربط مفاهيمه بما يتخذهُ الترفيب من (المثلثون) سلاحاً لمقاومة القيم العربية الإسلامية الأساسية . ومن هنا فلأننا نثق بإباحث أولاً ، قبل أن نتصدى لإباحته ، فإذا كان مؤمناً بقاء الأمة العربية إيماناً أصيلاً ، فإنه حين يتناول أي موضوع من الموضوعات التي ادخل عليها الترفيب مفاهيمه كالمثلثون أو الشعر الحر أو العامية ، فلأننا نثق بأنه سيصدر من مفاهيمه وفيه الانسابية ، وأنه لن ينصرف وراء تيارات الترفيب أو تحديات الاستعمار في مجال الفكر .

وقد مارس السامرائي الكتابة منذ تخرجه من كلية الآداب في بغداد ١٩٥٢ في الصحف العراقية وأشرف على الصفحة الأدبية في جريدة الحرية ، وقد نشر خلال هذه الفترة عدداً من الدراسات النقدية لبعض شعراء وأدباء العراق كالجواهري وعائكة الخرجي ، وهلال ناجي ، وخالد الشواف ، وعبدالله نيازكي وجلال الحفني ، وهذه الدراسات التي اسمها مؤلفها المأول ، ستمثل حين تصدر جانباً جديداً من جوانب حياته الأدبية والفكرية المتوعة .

القاهرة

أنور الجندي

بناء الرواية

تأليف : ادوين مور - ترجمة : إبراهيم الصيرفي - ١٥٢ صفحة -

مكتبات انطوان

فرع شارع الأمير بشير

الحرب العالمية الثانية

في جزئية

اسرار :	تشر لاول مرة
اعداد :	استغرق ٢٠ عاما
مؤلفه :	ريمون كارتييه
مترجمه :	جبران مسعود
قيمة الاشتراك :	١٠ ليرات في الشهر
مدته :	١٠ أشهر

« رواية الحدث » ويسر المؤلف عمل كل من الشخصية والحدث في هذا اللون الأخير .. «الحدث يستحوذ على اهتمامنا بتفدده وحله . وهو ما يتعنا ما دام قد استحوذ على اهتمامنا ، غير انه لما كانت الشخصيات لا ترسم بدقة فان الاحداث تدفع الشخصيات الى افعال تساعد على تعقد الحدث . ولكن الحدث هو العنصر الرئيسي واستجابة الشخصيات له شيء عرسي ، من طبيعته دائما ان يقدم الحكمة وتكون طبيعة الشخصيات وفردانها بوجه عام بالقدار الذي تتطلبه الحدث » (ص ١٥ - ١٦) .

وفي مقابل « رواية الحدث » يضع المؤلف «الرواية الشخصية» ، ويحدد الاختلاف بينهما ، مشيرا الى ان الثانية اهم اقسام القصص النثري . ويقول الباحث من مهمة كاتب رواية الشخصية ، انها تكاد تشبه مهمة معلم الرقص اكثر مما تشبه عمل الكاتب المسرحي . فعليه ان يدفع شخصياته الى الحركة الدائمة اكثر من دفعها الى صنع الاحداث ، ولهذا كانت الحكمة هنا مرتبة وسهلة . وفي هذا الموضوع يتناول المؤلف روايات البيكاريسك - اشتهرت منذ القرن الثامن عشر - والتي تسمى بالشخصيات الخارجة الى قانون المجتمع من النصوص والطقم الطرق والمخاتلين ، تنموذج لرواية الشخصية . واذا كان غرض رواية البيكاريسك كما يقول مور ، ان تآخذ شخصية رئيسية داخل سلسلة متتابعة من المظاهر ، وان تقدم عددا كبيرا من الشخصيات ، ثم تبني عن طريق ذلك صورة للمجتمع ، فالرواية المعاصرة تفعل ذلك ايضا . ويتنقل المؤلف بين سكوت وديكنز وفيلدينج وغيرهم ، مقارنا بين اتجاههم في الحكمة والشخصية والحدث، ومن اجل لسات مور في فصله الاول هذا ، تناوله للشخصيات الملتصقة الى لبيدي الى الدوام الا جانبا واحدا للقارئ . ويقول المؤلف ان وجود مثل هذه الشخصيات بتعدادها الكبير ، يدفعه الى الاعتقاد بان « سطحيتها » تخلص لمشجع اعين من كونها اخطاء وقع فيها كثر الروائيين من كتاب رواية الشخصية! وينتهي مور الى ان مثل هذه الشخصيات المسطحة - التي ربما سئل عنها في الاجيال التالية ! - هي وحدها القادرة على الؤاء بقرص كتاب رواية الشخصية وانها الاداة الضرورية للتعبير عن نوع واحد من رؤية الحياة !

ويتناول الفصل الثاني (الرواية الدرامية) ، وهي المرحلة التي بلغها الفن الروائي المكتمل . اذا اخفقت الهوة بين الشخصيات والحكمة والتحمتهما . والرواية الدرامية في اعلى مستوياتها كما يقول مور ، ذات صلة بالترجيديا الشعرية ، تماما كما تتمثل رواية الشخصية بالكوميديا . ويرى المؤلف ان التوتر عنصر اساسي في هذا النوع من الروايات ، كما يعرضه مثلا عند جين اوستين مقارنا بين هاردي وبين فيلدينج . والحكمة هنا تتمثل في اعتماده الداخلي الصارم على قانون السببية . ويجد صاحب (بناء الرواية) ان التماثل بين الحدث والشخصيات في الرواية الدرامية جوهر الى حد كبير . وينتهي باحثنا الى ان السير التلقائي المنطقي هو الطابع الحقيقي للميز للحكمة في الرواية الدرامية ، او بلفظ آخر ، ان الحرية والضرورة هما القدران المتساويان في هذه الحكمة . ويمكن مور هذين التصمين في اكثر من عمل روائي مثل (جين اير) لشارلوت برونتيسه (ومرتبة ودرج) لاميلي برونتيه و (الوافدون الجدد) لثاتريالغ.. ويعرض المؤلف للثلاثة في الرواية الدرامية ، فهي ليست مجرد ختام لاحداث القصة بل هي التنبؤ النهائي .

وفي الفصل الثالث الذي جعل اودين مور عنوانه « الزمان والمكان » ، يقدم البنا المؤلف نظريته في علاقة كل من الرواية الدرامية والشخصية بالزمان والمكان ، بهذه الكلمات .. ان العالم الخيالي للرواية الدرامية يقع في (الزمان) ، وان العالم الخيالي لرواية الشخصية يقع في (المكان) . وفي الاول ، باختصار ، يقدم لنا الكاتب تحديدا عابرا للمكان وبني حمله في نطاق (الزمان) ، وفي الثانية

يفترق الزمان فيكون الحدث اطارا زمينيا ثابتا ، يوزع دائما ويعدمرة بعد اخرى في نطاق (المكان) . فالثابت والخط الدائري في حبكة رواية الشخصية هما اللذان يكتسبان الاجزاء تناسبها ومعناها ، اما في الرواية الدرامية فتتسلسل الاحداث وحله هما اللذان يصنعان ذلك . وفي رواية الشخصية الاجتماعية ، اما في الرواية الدرامية فردية او عامة حسب تقديرنا . فحين في النوع الاول نرى شخصيات تعيش في مجتمع ، وفي النوع الثاني نرى افرادا يتحركون من بداية الى نهاية . وكلا هذين النموذجين من الرواية لا يتعارضان ولا يتم احدهما الاخر ، ولا هما طرفان متبيزان في رؤية الحياة ، الفرد في الزمان، والجمع في المكان » (ص ٩٢) . ويعترف المؤلف بان نظريته تبدو محفوفة بالصعاب ، فمثل هذا التحديد الصارم لا وجود له في الواقع . وانما هو لا يعني اكثر من اتصاله بالعنصر القالب في الرواية . وفي مسار هذه النظرية يطل .. الشهد ، والاحساس بالزمن ، وسمعة الشخصية ، سواء بالنسبة الى رواية الشخصية او الدرامية .

وفي الفصل الرابع الذي افرده المؤلف للرواية التسجيلية ، يعرض اولاً للتصمين اللذين يعتمد عليهما العمل الفني وهما : الوعاء والخاص . ويفسر مور ذلك .. فالفنان يقضي في وصف الخاص والخاص وحده ، اما العام فلا ينقل نقلا مباشرا عاجلا ، انه يولد مع الخاص ، اما كيف يحدث ذلك فامر لا يدعيه كما يقول . ويصاحب صاحب (بناء الرواية) ان يعرف ماذا يعرف بالعام والابداع يتحقق وجودها في الفنون المختلفة - مثل هذه المقاربة يجريها المؤلف لزيد من توضيح الرؤية - كالنحت والرسم والموسيقى والاختلاف بينها وبين الابن والرواية . وحينما يدرس المؤلف فلسفة الزمان او المكان في احاسي التلقائي ، يفرق بين ذلك وبين مثيلها فسي الواقع اليومي . ويتنقل الدارس بعد ذلك الى كون اخر من الروايات ، يصفه بأنه اقل اهمية من القصص السابقين ، ورغم ذلك يتفحص رواية بعد اروع ما كتب من روايات وهي (الحرب والسلام) لتولستوي ، حيث يتساوى الزمان والمكان .. هدف الرواية التي تعد اصدق النتائج واتبرها لما يمكن ان يسمى بالرواية التسجيلية ، هي تتناول دورة الحياة او العملية (الخفية) من الميلاد والنمو والوت .

وفي الفصل الخامس يتناول المؤلف لونا اخر من الروايات هو « رواية الحيلة » ، يصفه بأنه لا يرسم صورة لمجتمع يعالج لكل زمان . فحسبه مجتمع في رحلة انتقال معينة . ويعرض مور لهذا النوع من الروايات في اتناج اصحاب (ثلاثة كلبا نجر ، تاريخ ليرة فورسات ميكافلي الجديد ، تسجيلات دريزر للحياة الامريكية ، وغيرها ..) . ويقارن بينه وبين غيره من الروايات ، واصفا اياه بأنه نوع زائف من التاريخ يتحجم عالم الرواية : وفي هذا الفصل ايضا ، يعرض المؤلف لتمط جديد في الفن الروائي ، وهو الذي يمثله اصدق تمثيل (البحث من الزمن الضائع ، بوليسين) .

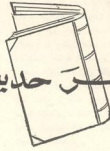
وينتهي اودين مور ببسته بفصل سادس . يعود فيه مرة اخرى الى الشخصية المسطحة ، ويعرض اختلافها وانفلاقها عن النمطية او الكاريكاتورية. ويتوقع فورستر فيما ذهب اليه من ان الشخصية اذا لم نغافتها فقد بما تعمل من القناع ، فهي شخصية مسطحة .. ويذكر ديكنز وشخصية المسطحة رغم ما تعمل من الاحساس الراتع بالعمق الانساني .

ويعد ، فقد قدم ابراهيم الصيرفي الى القارئ العربي ، ترجمة جيدة لكاتب جديد ، من ادماء قليلة من عمه انتات الى تقديم المؤلف والتعريف به وخاصة وموير صاحب اسلوب فلسفي عميق متهم ، غامض في بعض الاجيان ، او استعمار حاجة النص وشاراته التكررة للنتاج الغربي الذي يكاد يجعل اقلبه التلقائي العربي ، الى متابعة تفسيره ..

علاء الدين وحيد

المصورة - ج ٢٠٠٤ م

ظهر حديثاً



● زورق من دم مجموعة قصص - تأليف يوسف شرود - ١٤٤
صفحة - حجم كبير - منشورات دار الآداب ببيروت - (لم يذكر اسم
الطبعة) .

● تجديد رسالة الفران - خليل الهنداوي - ١٥٢ صفحة - حجم
كبير - منشورات دار الآداب ببيروت - مطابع دار لبنان ببيروت .

● سارتر : عاصفة على العصر - تلخيص وترجمة مجاهد عبد النعم
مجاهد - ٢٨٨ صفحة - حجم كبير - منشورات دار الآداب ببيروت -
(لم يذكر اسم الطبعة) .

● مدام بوفاري - تأليف غوستاف فلوبير - ترجمة الدكتور محمد
منذور - ٨٠ صفحة - حجم كبير - منشورات دار الآداب ببيروت -
مطابع دار العلم للملايين ببيروت .

● حتى يعود شعبنا - شعر - هارون هاشم رشيد - ١٢٨ صفحة -
منشورات دار الآداب ببيروت - (لم يذكر اسم الطبعة) .

● مأساة الحلاج - مسرحية شعرية - تأليف صلاح عبد الصبور -
٢٠٨ صفحة - منشورات دار الآداب ببيروت - (لم يذكر اسم الطبعة)

● الذي يأتي ولا يأتي - شعر - عبد الوهاب البياتي - الغلاف
والرسوم بريشة آدم حنين - ٩٦ صفحة - منشورات دار الآداب
ببيروت - (لم يذكر اسم الطبعة) .

● ديوان ابراهيم - شعر - ابراهيم عبد الفتاح طوفان - الطبعة
الثانية - ٢٨٨ صفحة - منشورات دار الآداب ببيروت - (لم يذكر
اسم الطبعة) .

● الاشجار تموت واقفة - شعر - معين بسيسو - الغلاف بريشة
لور غريب - ١٠٢ صفحة - منشورات دار الآداب ببيروت - (لم يذكر
اسم الطبعة) .

● الملكة الميتة - دراما في ثلاثة فصول - تأليف هنري دو مونترلان -
ترجمة الدكتور رفيق الميمان - ١٤٤ صفحة - منشورات عويدات
ببيروت - مطابع منشورات عويدات ببيروت .

● الرأيا الدائرة - شعر - رواد طرية - ١٢٨ صفحة - منشورات
عويدات ببيروت - مطابع منشورات عويدات ببيروت .

● الجلد الفسق - قصص - تأليف أندريه شديد - مع مقدمة من
المؤلفة خاصة بالطبعة العربية - ترجمة نعيم بوطانوس - تقديم رواد
طرية - ١٥٢ صفحة - منشورات عويدات - مطابع منشورات عويدات
ببيروت .

● اثر المدة في الآداب العربي - تأليف بهيج شعبان - ٢٧٢ صفحة
- منشورات عويدات ببيروت - مطابع منشورات عويدات ببيروت .

● مقدمة لدراسة فقه اللغة - تأليف الدكتور محمد احمد ابو الفرج
دكتواره في علم اللغة العام من جامعة لندن - ١٤٤ صفحة - حجم
كبير - منشورات دار النهضة العربية ببيروت - مطابع النخري ببيروت

● الانثية من غير معلم - اسهل طريقة لتعليم اللغة الانثية في العصر
وقت - لم يذكر اسم المؤلف - تمهيد للدكتور عمر فروخ - الطبعة
الثانية - ٢٠٧ صفحة - منشورات دار العلم للملايين ببيروت - (لم
يذكر اسم الطبعة) .

● التركية من غير معلم - طريقة سهلة لتعليم اللغة التركية في العصر
وقت - لم يذكر اسم المؤلف - ٢٠٨ صفحة - منشورات دار العلم
للملايين ببيروت - مطابع دار العلم للملايين ببيروت .

● مناقشات مع الدكتور مصطفى جواد : بحوث علمية في ابواب
متنوعة من علوم اللغة العربية . وشرح مفصل لاملاد السيوطي - تأليف
رؤوف جمال الدين - ١٧٢ صفحة - حجم كبير - مطبعة النجف
بالتلف الاشراف بالعراق .

● المحمومون : درس تحليلي لازمة الجيل العربي ازاء مشكلاته
النفسية والمطالعية والحضارية - رواية - تأليف محمد الراشد - ٢٢٠
صفحة - حجم كبير - مطبعة الوطن العربي بحلب .

● مقالة في العقل والنفس والروح - تأليف ندره اليازجي - ١٢٢
صفحة - منشورات دار البقعة العربية للتأليف والترجمة (؟) - (لم
يذكر اسم الطبعة) .

● البيت في حياة العرب - تأليف المحامي عبد القادر عياش عضو
لجنة الفنون الشعبية في المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب بدمشق
- ٩٨ صفحة - حجم كبير - الكتاب ١٢ من سلسلة تحقيقات
فولكلورية من وادي الفرات - طبع في دير الزور بسورية - (لم يذكر
اسم الطبعة) .

● الاتحاد السوفياتي بلا « رتوش » - تأليف فريد ابو شلا - ١٢٦
صفحة - مطابع مؤسسة الجمهور للطباعة والنشر ببيروت .

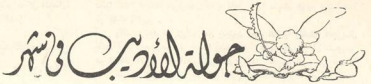
● جمال الدين القاسمي وعصره - تأليف ظافير القاسمي - ٧٠٤
صفحة - حجم كبير - منشورات مكتبة اطلس - المطبعة الهاشمية
بدمشق .

● الفلسفة اليونانية في عصورها الاولى : بحث في الاصول الدينية
للفلسفة اليونانية في القرنين السادس والخامس قبل الميلاد - تأليف
الدكتور كريم متي مدرس الفلسفة في كلية الآداب بجامعة بغداد - ١٤٨
صفحة - حجم كبير - مطبعة الارشاد ببغداد .

● الشراع والعاصفة - رواية - تأليف حنا ميته - تقديم سعيد
حورانية - ٢٩٢ صفحة - منشورات مكتبة ريمون الجديدة ببيروت -
مطابع ارشام ببيروت .

● التذرات : مقالات ومحاضرات في الآداب والعلم والطب والفلسفة -
تأليف الامير مصطفى التهامي رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق -
٢٢٠ صفحة - حجم كبير - منشورات دار الكتاب الجديد ببيروت -
(لم يذكر اسم الطبعة) .

● نفس والحب - مجموعة قصص - تأليف ابو المعالي ابو النجا -
١٤٤ صفحة - حجم كبير - منشورات دار الآداب ببيروت - (لم يذكر
اسم الطبعة) .



جلسة أدب في بيت وديع فلسطين

لأول مرة - بعد أن اتفق عهد الجلسات الأدبية التي كانت تعمر بها القاهرة ، ونعج بها نوادي العاصمة ، يستأنس الأستاذ الكبير وديع فلسطين سنة حميدة في استقبال الأستاذ الجليل فؤاد الريس والسيدة عقيته ، عند حضوره إلى القاهرة ، للتعرف على الأدباء ، والتحدث إليهم عن كتب بعد ما طال عهد معرفته بهم ، قراءة في مجلات الأدب ، وأطلاعاً في كثير من الكتب .

كان الأستاذ وديع فلسطين ، حريصاً كل الحرص ، على أن يلتقي هؤلاء الأدباء بزميلهم والشرف على مجلة «الطاقة الثابت» وأن يكون هذا اللقاء في بيته ونحت رعايته وعلى مائدته التي عمرت بشتى الأطباق ، وأنواع القرصات .

ولقد ذكرتني هذه الجلسة الممتعة التي دار فيها نقاش أصيل ، واستعراض لوجهات النظر حول كثير من نظريات الأدب ، وجليل من قضايا الفكر ، بتلك الجلسات التي كان يقفها الشاعر الفحل السيد حسن القناياتي في داره بالسكينة ، ويختلف إليها الأدباء كل ليلة ، دون ما كلفة أو ازوار ، كذلك كانت سنة المرحوم الأستاذ العقاد في اللقاء كل جمعة في بيته ، وأيضاً كان يقبل الدكتور طه حسين ، وأن كان يختلف مجلسه عن هذه الجلسات - فمظهراً واستمرارية وحجياً واتجاها ...

والواقع أن القاهرة ، كلها ، كانت تعمر بكثير من هذه الجلسات ، سواء في المقاهي أو البيوتات ، يجع إليها من شاء من طلاب الأدب أو شدة الشعر ، أو كبار الأدباء ، لا فرق بينهم ، ولا تميز بين بعضهم في المجلس أو السمات أو المكان ، أو التقديم أو التأخير أو الفسبة أو الحضور ، فلكل سواسية إلا من حيث الوضع العلمي ، أو المكانة الأدبية أو الزيادة في مجالات الأدب والعلوم والفنون .

كانت هذه الجلسة امتداداً لتلك الجلسات التي افادت الأدب ، ووجهت كثيراً من الأدباء ، فقد اجتمع فيها الأساتذة : محمد أبو الفل إبراهيم ، ومحمود أبو رية ، والدكتور محمد صبري السوربونسي ومحمود الشرفاوي ، ومحمد عبد الغني حسن ، وروحية القليني ، ورضوان إبراهيم ، ومبارك إبراهيم ، وإبراهيم المصري ، ومحمود البدي ، والماحي ...

وتصدر المجلس الأستاذ فؤاد الريس والسيدة عقيته ، ووقف الأستاذ وديع فلسطين والسيدة عقيته في خدمة الأضياف وتحييتهم ، والترحيب بكل واحد منهم ، وتقديمه ، كما هو المتبع ، إلى الحضور ، وأن كان كثير منهم يعرف بعضهم بعضاً يحكم الزمالة ، أو الاتجاه ، والشسرب ...

وقد دارت في هذه الجلسة عدة مناقشات حول مسائل أدبية ودينية وإن كان الاختلاف بين الآراء يسودها ، وظاهر «الإناء» ظاهراً ، والرمح عبرها ، والشذى الفواح يعطر جوها ...
بدأ الأستاذ عبد الغني حسن حديثه الخلو ، بذكر نسبة كتاب : «طيانع الاستبداد» لصاحبه : عبد الرحمن الكواكبي ، فقال : إن كتاب : «طيانع الاستبداد» ليس من عمل عبد الرحمن الكواكبي ولا من صنفه ، وإنما هو لأدب أو عالم إيطالي ، سبق الكواكبي إلى وضع نظراته ،

ونسبه الكواكبي إليه ، كما فعل السويطي في كثير من كتبه التي نسبت إليه ، أو نسبها هو إلى نفسه ، بحجة أنه صاحبها ووافعها ووالدها .

ومن العجيب أن هذا الرأي الذي قاله الأستاذ عبد الغني حسن ، قد ظل بتأييد الدكتور صبري السوربونسي ، فهدر كما هي عادته بكثير من الاستشهادات والمفاضة بجملة نكتات ، تؤيد الرأي ، وتدلل على موضع من الصواب ، وإن كان الأستاذ محمد أبو الفل إبراهيم قد لاذ بالصمت ، واكتفى بالسماح دون أن يبدي ملاحظة ، أو يدافع عن هذه الجريمة البشعة ، التي ارتكبها عبد الرحمن الكواكبي في غفلة من الزمن ، أو استغفالاً للأدباء والنقاد والمؤرخين ، وهو الزعيم «الذي يستعصي على نافذ الأخلاق نقده» .

والواقع أنني وقفت في حيرة شديدة ، وأنا اسمع هذا الإتهام لرجل لفت الأنظار إليه بجهاده وعلمه ودفاعه ، فنجيت إلى كتاب المرحوم الدكتور أحمد أمين الزعماء الإصلاح في العصر الحديث» ولشد ما راغني دفاع أحمد أمين واتصافه لهذا الرجل إذ يقول : «لم يكن الكواكبي يعرف لغة أوروبية، إنما يعرف العربية والتركية والفارسية!!!» «أما كتاب : «طيانع الاستبداد» فقد نشره أولاً - مقالات في بعض الصحف عندما كان في مصر سنة ١٢١٨ هـ ، ثم جمعه في كتاب» . ثم وقف أحمد أمين نفسه ، موقف الشك في أمر هذه الآراء والنظريات التي ساقها الكواكبي في كتابه ، فقال : «أولاً أعراف كيف وصلت إليه» وإن كان الكاتب الإيطالي «الفيري» الذي مات عام ١٨٠٣ هـ ، وعشق الحرية ، وكره الاستبداد ، قد ألقت ما هو قريب منها فسي كتاباته ، ولكن الكواكبي هضمها وعدلها بما يناسب البيئة الشرفية والعقيدة الإسلامية ، وزاد عليها من تجاربه وآرائه» .

غير أنني أقول : إن الذي عقدا الحرية وجرى ورامها ونفنى بها حيا ضلياً ، لا تأملها أنا ، أو غيري ، فغير الذي تتوق نفسه إليها ، وتحتي الوصول إليها بعد المعاناة من الظلم ، والكبت ووضعها تحت الرقبة ، وتحاليله محاسبية شديدة ، تجعله يعبر في صدق عن هذه الحرية ويسوق مختلف الحجج لعل من هذه القضية التي جثم جبروتها على صدره ، وجثا على ركبتيه حيال أساليبها المتلوية : «الود كان الكواكبي» في كل هذا يقرأ نتائج الفراق التي كتبت في الاستبداد ، وينظر إلى الدولة العثمانية في عهده ، ويستعصي منها آراءه وأحكامه .

وقال أحمد أمين عن الكواكبي : «لو مكن له معرفة لغة أجنبية ، ووقف على ما وصلت إليه بعوث علم الاجتماع الحديث ، لكان له منبج فيض إلى جانب فكرة» .

أما الأستاذ العقاد ، فقد عاب على الكواكبي ، قصوره في تعلم لغة أجنبية ، ولو كان كذلك ، لكان كتابه أو آراؤه في الإصلاح ، لا يدينها رأي ، أو يسمو إليها جهد جهيد .

ودون شك ، فقد كان الحكم على الكواكبي ، في غير موضعه أو هو كيو من الكيو ، أو محاولة لاتيان بجدي في هذه الجلسة الممتعة ، ولكن هيئات ...

ودارت عجلة المناقشة فنكلم الأستاذ محمود أبو رية مبدئاً برغبته في الطلب من الأستاذ الماحي بيتين من الشعر لوضعهما على صدارة كتابه : «أقواء إلى السنة الحميدة» الذي يعيد طباعته هذه الأيام ، فأبدى الماحي استمداًه لأجابة هذا الطلب ، وإن كان في الواقع عبراً بالنسبة لشاعر كالمأخ ، لا يستجيب إلا لداعي الانفصال أو الانفراج ، إلا أن الأستاذ أبا رية ، يجب أن يكشف عن الغبايا أو الغبايا التي تعيش والشمراء جنباً إلى جنب ، أو تصاحبهم دون ملل أو ابتئناس، وهنا تخلعت الشاعرة روحية القليني في هذه المناقشة ، كأنما أرادت

السوريوني يعلمه الشيتيت ، وتكانه البارة ، وفنشاء الكشوفة ، فيسفر احيانا الى الرد ، او الركون الى الصمت ، او اللواز بالحديث مع الاستاذ محمود البيدي الذي كان يجلس الى يساره قبل ان تنتقل الى مائدة الاستاذ ودبع فلسطين الشبهة الحافلة ..

ولا ياخذن القاريء المصيب ، اذا علم ، ان الاستاذ ابا رية ، لا ينك ، وهذا دينه ، في كل مجالسه ، ان يمتلك ناصية الحديث ، ويلفت النظر بما يشيره من قضايا ادبية ، هي اولى بالبحث واخمس بالحديث ، فلراد عندما ترك الاستاذ عبدالفتي حسن مكانه في هذه الجلسة ، الى الاستاذ فؤاد الريس والسيدة عفتيته ، ان يصك به ويوجه نظره الى كتاب اخرجته «دار المارفا» ووزعته هدية بعنوان : «الاذ نقرأ ؟» وجاء به مقال غفل من الامضاء ، به احصاء للشعراء تجاوز فيه كتابه عن ذكر شعرائنا الذين حضروا معنا حفل الاستاذ ودبع فلسطين ، اراد مداعبة او اراد مشاكسة بانارة هذا الموضوع ، وان كنت قد لمست طعنة وجهها الاستاذ ابو رية لهؤلاء الشعراء : عبدالفتي حسن ومصطفى الماحي وروحية القليني ، وكان الاجدر بكتاب الفضال ، ان يذكر الاستاذ عبدالفتي حسن من بين الشعراء ، فهو على الاقل ، شاعر قبل ان يحمل صاحب المقال لقله ، او يكون في عداد التواقيس على الانتاج الادبي الرفيع .

وليس شك في ان هذه طعنة موجهة الى بعض شعرائنا من لهم باع في الشعر ، وموافق خالدة في دنيا القريض ، وان كنت احسب ان «الشاعر الاحرام» ، لا يسكت عن هذه الاعانة التي لحقت به هو دون سواه بقض النظر عن روحية القليني او مصطفى الماحي، فهما متساهلان.

والواقع ، ان الصورة التي كانت في ذهني عمن الاستاذ فؤاد الريس ، انه قد نخض الحقة الرابعة من عمره ، او هو ينف على الطعنة الخامسة ، ان لم يكن قد ضرب فيها ، فلما سعدت بزيورها ونقايت مبعوجها لوجه ، رايت ان الصور كثيرا ما يعترها الخطأ ،

ان تسد على الاستاذ ابي رية باب الكلام ، او تقنعه بشاعريتها الفذة فقلت : انني اعيش بقلبي ، واصب عواطفني في كل شعري ، وان كنت القى لاذع التفتاد من هذه الصراحة المكثبة التي تصب على في كل المجتمعات ، حتى ان كثيرات من «الصويجيات» يستبمن ان يكون هذا الشعر لي بهذه الصورة الفاضحة الهائلة !! وان كانت الشاعرة تحرص على الدفاع عن جها ، وتسوق الاذلة في كل مجتمع او ناد على هذا الصب ، وهي صراحة تصد عليها ، وان استبعدت انا «شخصيا» ان تكون الشاعرة روحية القليني من دعائها ، بعد ما عرفتها عن كتب .

قال الاستاذ ابراهيم المصري ، ان روحية القليني ، شاعرة مجيدة ، وعاطفة مشبوبة ، ولها طابع خاص تمتاز به ، يتجلى في شعرها القزلي ، ويظهر في آخر ديوان لها ، او الديوان الذي سيته ... ومن حسن حظي ان جلستي كانت الى جوار الاستاذ ابي رية ، واتا احبه ، واقدّر علمه وفضله ، وجهاده في سبيل تنقية الدين مما علق به من شوائب ، وما طقى على سطحه من طحالب ، فهيمت في اذنه ان يسال الاستاذ ابراهيم المصري بعد ان انضم اليه في الدفاع عن روحية الاستاذ محمود البيدي.. هل قرأ ديوان روحية الاخير ، وما هي القصيدة التي اعجبته في هذا الديوان ؟

فاجاب الشيخ ابراهيم المصري اجابة مبهمة ، لانه اراد الا يكسر «نفس» روحية بعدم القراءة ..والحق ان الشاعرة فهمت ما يريد ان يقوله عنها ابراهيم المصري ، فصرفته عن الاجابة بجره الى ما يكتبه في «الخيار اليوم» حول «القلوب المذبة» التي تسال وابراهيم المصري بيجب ...

ولعل القاريء ياخذ العجب ، عندما يعلم ان الدكتور صبري السوريوني ، كان اكثر الخضور تعليقاً على كل ما قيل او اتى في هذه الجلسة ، وبخاصة مع الشاعرة روحية القليني ، وهي تنفس عن نفسها بهذه الكلمات التي تصبها سباً في كل مجلس او ناد ، وتخله او تدعى اليه .

ولا شك في ان هذه التعليقات التي كان يرسلها الدكتور السوريوني ، كانت مكتوفة الى حد التساهل في الكثير من الاحيان ، خشى منه ان يلفت زمام هذه الجلسة الفريدة ، ولكن اذا عرفنا ان هذا من لوازم السوريوني، بطل جبننا ، وتقبلنا تعليقاته بصدر رحب، ونفسي راضية !

ولقد كانت فرصة مواتية عند ما جلس عن يعيني الاستاذ رضوان ابراهيم ، وجرنا الحديث الى الشاعر جورج صديح ، فقد طلبت منه تزويدي بمعلومات يعرفها للكتابة عنه ضمن سلسلة اعزمت اخراجها ، فارسل الي الشاعر العظيم جملة قصاصات ، وراحاتي على عدة مراجع للاستقاء منها ، ان اردت... وكان رضوان ابراهيم مجاملا لسي ، ومتزناً في ردوده علي ، وان كان لم يشارك في هذا الاجتماع سراي ، او يصك ناصية لحديث ، فكان مستمعاً هو والاستاذ مبارك ابراهيم الذي كنت انظر اليه عن بعد ، وارثه منه بادرة ، او رايه عن له او مشكلة برزت امامه من خلال هذه المناقشات ، الا انه اكنى بالنظر، واصفى السمع ، ولم يدخل في هذه الماخرات المتشعبة ، حتى لا يقول ما يحمده له ، او يؤاخذ عليه ، كما فعل الاستاذ الشرفاوي بعدما ابدي رايه في هجرة المسلمين الى المدينة .

على انه كان في ذهني واتا اذهب الى هذا الحفل ، انني ساقابل شيئاً كبيراً هو الاستاذ محمد ابو الفضل ابراهيم ، الذي اخذ نفسه بتحقيق كتب التراث منذ زمن بعيد ، ولقب فيه دوراً كبيراً بما اخرج من كتب كبيرة ، هي الاساس والبناء في حضارة العرب ، وهي التبع الصافي ان يريد الري ، والمثل المذّب ، الا انني رايت رجلاً ، قد بدت في نظري انني اكبر منه سناً ، وفوراً لا يتكلم الا حيث ياتي اليه الكلام من يمين او شمال ، فحبسه ان يجلس الى يمينه الدكتور

مكتبات انطوان

فرع شارع الامير بشير

الحرب العالمية الثانية

في جزئية

اسرار : تنشر لأول مرة

اعداد : استغرق ٢٠ عاما

مؤلفه : ريمون كارتيه

مترجمه : جبران مسعود

قيمة الاشتراك : ١٠ ليرات في الشهر

مده : ١٠ أشهر

نتيجة المؤثرات التي تكنفها او تحيط بها ، فهو كاتب ذو تجارب ، واسع الثقافة ، يدير «المجلة» ، ليس من الهين ادارتها ، او من السهل قيادتها ، عليه ان يتجاوب مع مختلف الافلام التي تسهم في هذه المجلة ، ويحكم على صلاحيتها او توجيهها دون معاملة ، او ارفساء تشعور او وسامة ، والا اقلت الزمام من يده ، ووجه باصتاب والامام ، لكن الواقع يقال : رايت الاستاذ فؤاد الرس ، وان كان في الحلقة الثالثة - كما قدرت - يوجه الجمع في ادب ، وينشر ما يريده في حذر ، ويتحدث في امثثان الواقع من كلامه ، او رسالته ، فهو ينظر الى المجلس بعينين صافيتين ، لا يشوبهما حقد ، ولا يكسدر صلاههما هذر او هرج ، وبنقى ما يلقيه من تعاليم تهمة في مهمة ، دون ان يستشعر الجميع الاملاء او التوجيه ، او الارادة .. عندئذ اقمتم نفسي ، بتغيير الصورة التي طبعها في ذهني ، لمساته فسي «المجلة» ونوجيهااته الرشادة في كلماته ، وان كنت لم ازل اؤمن بان هذه تجارب الستين ، لا فلتات الثلاثين او ما فوق الثلاثين ، وامنت في الوقت نفسه ، بضرورة اللقاء ، ولو كان في دار الاستاذ وديع فلسطين الذي تصب كل التنب في جمع هذا التمثل ، وتعدى هذا التنب الى السيفعة عقلية التي كانت تمر على الضيوف بالتحية الشمية في الاطباق ، والتحية المنوية ، في حسن اللقاء .

القاهرة

ابو طالب زيان

تبرعات المواطنين الى لجنة بوبيل «الاديب» في الاردن

يسر لجنة بوبيل «الاديب» الاردنية ان تشكر السادة الذين لبوا نداءها ويادروا الى التبرع تحية منهم لمجلة راقية حلت مسئلة النكي والتاريخ والادب طيلة ٢٥ عاما . وفيما يلي اسماء المتبرعين والاوراق بالدينار واللس :

البنك العربي . ٥٠ ، فدي طوفان ٢٥ ، امانة العاصمة ٢٥ ، شركة السجائر الاردنية ٢٥ ، محمد ادب العامري ٢٥ ، حميد الفرخان ٢٠ ، بلدية الخليل ٢٠ ، وزارة الاعلام ٢٠ ، يوسف السيد

طالعوا كل شهر

المجلات الثقافية اللبنانية

الحكمة

الاداب

العلوم

المرفان

فهي تحمل اليكم النتاج الفكري الرصين والابحاث

القيمة بافلام خيرة الكتاب والادباء

هاشم الرفاعي ١٠ ، فضل الدلقوني ١٠ ، حمدي كتمان ١٠ ، القيادة العامة ١٠ ، الطران نعمة السمعان ١٠ ، عبدالرحمن بشتال ١٠ ، محمد باجس ١٠ ، الشركة التجارية الصناعية ١٠ ، راسم الخالدي ١٠ ، يعقوب المودات (البديوي المثلث) ١٠ ، الدكتور محمد صبحي ابو غنيمه ١٠ ، فليس ١٠ ، المظران نجيب قبيص ٥٠ ، ضيفالله الحمود ٥٠ ، الدكتور يوسف مكيل ٥٠ ، ذوفان الهادي ٥٠ ، اكرم زعتر ٥٠ ، اميل كردي ٥٠ ، حبيب الغوري ٥٠ ، عبدالقادر الصالح ٥٠ ، جميل بركات ٥٠ ، الدكتور محمود الدجاني ٥٠ ، احمد غنيم ٥٠ ، سليمان محمد الصالح ٥٠ ، رؤوف ابو جابر ٥٠ ، علي نصوح الطاهر ٥٠ ، ثابت الطاهر ٥٠ ، وصلي ميناوي ٥٠ ، الدكتور سامي جودة ٥٠ ، امين الحسن ٥٠ ، فايز القول ٥٠ ، محمد سليم الرشدان ٥٠ ، عيسى التاغوري ٥٠ ، سليمان موسى ٥٠ ، محمود العابدي ٥٠ ، بلدية اريد ٥٠ ، بلدية بيت لحم ٥٠ ، بلدية بيت ساحور ٥٠ ، بلدية اريحا ٥٠ ، الدكتور نقولا زيادة ٣ و ٥٣٠ ، فليس ٥٣٠ ، عزت الجبالي ٣ ، ابو زيد ونزال ٣ ، لطفي ملحي ٣ ، راهبات الوردية ٣ ، نريا حداد ٣ ، الدكتور وليد قبحاري ٣ ، مختار جيمعان ٢ و ٥٠٠ ، فليس ٥٠٠ ، مصطفى درويش البداغ ٢ ، امين درويش ٢ ، الدكتور احمد ابوحاكم ٢ ، مدرسة الفرندز ٢ ، واصل كمال ٢ ، الدكتور محمد صدي ملحي ٢ ، احسان التمر ٢ ، شاتي ابو حجلة ٢ ، يسري صلاح ٢ ، يحيى حمودة ٢ ، شجاع الاسد ٢ ، اميل صافية ٢ ، شكري المتهدي ١ ، محمد عبدالكريم العباسي ١ ، راتب دروزة ١ ، فتحي قدورة ١ ، توفيق ابو شريف ١ ، خضر كمال ١ ، عبد الحميد الانصاسي ١ ، عيسى بلاطة ٥٠٠ ، فليس .

ومما يدعو الى اقتناء اللجنة ان تتلقى من الادباء وذوي الاربحية مزيدا من المساهمة في هذا المشروع الجليل الذي تنادت الى اتجابه البلاد العربية الشقيقة وستنشر اللجنة اسماء المتبرعين وتبرعاتهم في قوائم تالية .

القدس

جريدة «فلسطين»

البوبيل الفضي مجلة «الاديب»

كانت مجلة «الاديب» البيروتية لصاحبها الاستاذ البير ادب اول صحيفة ادبية لبنانية اقبل عليها الادباء والمثقفون في العراق وطلوعها بلدة واهتمام ، كما انها كانت منبرا حرا لافلامهم ، وكنت احد كتابها ومن قرأها المزمين ولا ازال لانها المجلة العربية الوحيدة التي يلتقي على صفحاتها ادباء وشعراء العالم العربي وتصور التيارات الفكرية والتعريف بنتائج الفكر العربي المعاصر .

وقد سلخت من عمرها الان ربع قرن (صدرت سنة ١٩٤٢) لذلك تنادي صفوة من الادباء والشعراء والمفكرين للاحتفال ببوبيل مجلة «الاديب» واسهام الدولة والمؤسسات الثقافية العامة في تنظيم هذا الاحتفال وتكريم صاحب «الاديب» .

اعتقد ان على وزارة الصحافة العراقية ونقابة الصحافة واجيب الابراخ لصاحب هذه المجلة بالتهنئة بهذه المناسبة لان مجلة «الاديب» ليست لصاحبها ولبنان فقط بل هي لجمع مثقفي البلاد العربية . وكانت من اوسع المجلات العربية التي تتلقى فيها افلام الكتاب العراقيين وشعرهم .

انني امنى مجلة «الاديب» ببوبيلها هذا وانتمى لصاحبها الاستاذ البير ادب - مخلصا - كل تدم ونجاح في جهاده الادبي .

مجلة «الكتبة» - بغداد

مهدي القزاز

رئيس تحرير مجلة «الكتبة»

اليانصيب الوطني اللبناني

مؤسسة حكومية مرصدة ريعها لأعمال الاسعاف الاجتماعي

تعديات هامة في جوائز اصداراتها

- | | |
|-------------------------|-------------------------|
| ٢٥٠٠٠ ل. الجائزة الكبرى | ٢٠ اصداراً شعبياً |
| ٤٠٠٠٠ ل. الجائزة الكبرى | ١٨ اصداراً شعبياً خاصاً |
| ٥٠٠٠٠ ل. الجائزة الكبرى | ٤ اصدارات سويستيك |
| ٦٠٠٠٠ ل. الجائزة الكبرى | ٧ اصدارات عادية |



شفاع الجوائز في المديرية

مغفأة من كافة الرسوم والضرائب



فالأرواسب الاجتماعية والتربوية ، ما تزال تحدث فعلها
الرجعي الدميم ، والتلاميذ الذين بدأت معهم عملي المدرسي
عام ١٩٢٥ ، كانوا ينتسبون الى بيئات عائلية مختلفة
ومستويات اجتماعية متباينة . ومن ذلك الخليط ، من
الجيل الطالع ، كان علي وعلى أمثالي ، ممن ارتجلتهم
الظروف ليكونوا قادة في دروب المدرسة الحديثة ، ان
نشئ شيابا نفخوا عنهم غبار الجهل وكسروا اطواق
العبودية .

لا ادري هل علمت تلاميذي اكثر مما علموني ، ام
العكس هو الاصح ؟ الحق يقال : انني باشرت مهمة
المعلم ، وعدتي لها ما قرأته من حروف جامدة سوداء على
صفحات باهتة بيضاء . ولم يطل بي زمن مزاولتها حتى
اصبحت عدتي لها ما قرأته في وجوه نضرة مقبلة على
الحياة بدوافع الحياة نفسها . فاذا بي استطلع ، يوما بعد
يوم ، ما غاب عني من الانسان الناشئ ، فاعلم كيف
انعم هذه النفوس الطريفة لتتقوى على مصاعب حياتها
وتتمرس بمقاوم وجودها .

بدأت عملي المدرسي معلما في طرابلس ، في مدرسة
خاصة طائفية ناشئة للروم الارثوذكس . فاقبلت فيها على
العمل بجهد بكر وبلل كريم ، قياما بالواجب وكسبا لثقة
تلاميذي . فالتلاميذ يسرون بفضياع الوقت ، ولكنهم
يفتاقون مضيق وقتهم ، ويبتعدون عليه بكل سخيرة .
ومسكين من المعلم البخيل في العطاء او المعطي عن شح
تكلأها محقق : هذا يبخله وذاك بقله ما عنده . وما ان
أمنت الى الناحية التدريسية وسيري فيها سيرا رضية
عنه ، انظر الى اجابة عهدي ، حتى شغلت بالي الناحية
التربوية : فاذا تصرفت متأنيا متوددا لم استطع ان اضبط
من تعود خشونة الوالد في بيت ابيه ، واذا اخذت بالماليب
الشدة غايرت نفسي في ما تريد وافسدت على ربيب
التربية المرنة حلالة ما تدوق في المنزل الوالدي . وان
انسى لا انسى والدا بلغ من تطرف ابنه في الخروج عن
المسلك اللائق ، مبلغا اضطر الادارة الى توقيفه عن
الدروس ثلاثة ايام ، فثار ذلك الاب وارعد واربق ، ثم
نقل ابنه الى مدرسة اجنبية تعد على الطالب انفاسه ، ثم
والمدرسة الاهلية التي غضب عليها لم تقطع عليه طريق
الالتحاق بمدرسة اخرى . وهناك راق للاب ولابنه المدايل
ما ينال الابن من شدة ! لماذا الجواب في باب الثقة
المرهنة للغريب ، والمحاجة عن القريب عندنا !!

وفي تلك السنوات الاولى بعد عام ١٩١٨ كان على
المدارس ، ولا سيما الاهلية منها ، ان تجمع في صفوفها
متفاوتا من الاعمار ، فيلتقي في الصف الواحد ابن الثانية
عشرة وابن الثامنة عشرة مثلا ، ويكون الاصغر سنا اقدر
على استيعاب ما تعطيهما المدرسة . وهنا تنشأ عن راسب
التاخر في التلمذة ، مقدرة نفسية تشد على كبرياء صاحبها
المختلف عن رفاق له ادنى سنا منه ، فتؤدي تلك العقدة



نسيم نصر

من ذكريات معلم

بقلم نسيم نصر

في عام ١٩٢٥ كنت انهي لاستبدال في الوظيفة التي كنت
المعلم بمقعد التلمذة في شتاتها . وكان علي ان اواجه هذا
التبدل السريع بما يستحقه من الاهتمام ، وليس عندي
من العلم بشؤون المهمة التي سأضطلع بمسؤوليتها غير
ما ارتسم في ذهني بالانطباع وائر في قلبي بالشعور ،
ايام تلمذتي على معلم القرية ، قبل الحرب العالمية الاولى ،
وعلى معلم المدينة ، في مدرسة الفرير في طرابلس ، بعد
ان القت الحرب اوزارها ، تلك التلمذة التي كان شعارها :
« من علمني حرفا صرت له عبدا » . ولم اكد ابشر عملي
التدريسي حتى ادركت ان عيودي في مدرستي تلميذا ، قد
اخذت تتحول في ذاتي الى تمرد على اساليبها معلما .
وذلك الإدراك جاء نتيجة لخروج البلاد العربية عامة ،
ولبنان خاصة ، من ظلمات الانحطاط التي اطبقت عليها
جميعا بضع مئات من السنين . فكان علي ، وقد كنت
واحدا من أبناء « أولئك الذين كانوا يدفعون الخراج ويأكلون
الكرياج » ويقولون : « فليحي رأس السلطان ! » كان علي
ان اعلم جيلا سيكون طليعة لردة فعل عنيفة شاملة ، وان
اكون واحدا من أولئك الذين يرون ان تكون مهمة المعلم ،
في اساسها ، تقضية نفوس لا حشو رؤوس . وكم من
صعوبات كانت تعترض المعلم في هذه الطريق الجديدة !

منها . وكان اعتماد لقب استاذ ، لكل من يقوم بمهمة التدريس ، يشعر صاحبه بشيء من التخصص بالمعرفة ان لم يكن التخصص فيها . ولم يكن هذا اللقب قد اصبحت حاله ، كما هي اليوم ، صفة لن لا نجد له لقبا عند الحاجة الى المجاملة او اللياقة او المازحة . لذلك اخذت اتحيين الفرص للمثور على مركز شاعر ، في مدرسة خاصة ، استطاع فيها ان امارس شيئا من تجاربي التربوية ، التي كنت قد شعفتها ببعض المطامعات في علم التربية . ولم يغفل المتفاري ، فقد جاء طرابلس ، في اوائل حزيران سيادة المطران ايفانويوس زائد ، ومتروبوليت حمص آنذاك ، ورئيس الكلية الارثوذكسية فيها ، وكان في حاجة الى استاذ ترجمة وتعرية ، بين الفرنسية والعربية ، فغرض حاجته على صديق له في طرابلس ، فهذا كان طرابلس ، بالنسبة الي ، منشأ مزدوجا في التعلم والتعليم ، فقد كانت حمص مختبر حياة ونزعة خاطر .

اتيت هذه المدينة المضيفة ، بفتح ابائها لتزائهم وضيوهم قلوبهم قبل بيوتهم ، وانا اباهر المسؤولية الروحية في اول عامها الاول ، فاتبع لي فيها ان اتعرف الى ناس اطيال النفوس ، وان اقضي من عمر الشباب ، او شباب العمر ست سنوات ، تبديلي الان ، وكانها باقية في ذاكرتي وخيالي ، بقاء العطر في ثيابا الورود الفواحة . والله لطيف لي ان استل من ثيابا ذلك الاسم بعض عطره وملامح من صور هذه المدينة المنيقة بعض عطره وملامح من صور هذه المدينة المنيقة كما عرفتني في آخر العقد الثالث من القرن العشرين .

لا انكر انني كنت احفظ عن حمص ، قبل مجيبي اليها ، عشرات من النكات القارسة ، التي تهم الحمصيين في ذكائهم فتزعم انهم على جانب من الفياضة والسذاجة يتميزون بها تميزا مانورا ، ولكن الحقيقة التي يجب ان يقال هي ان كثيرا من الحمصيين تغلب عليهم النكتة الجاحظية ، اي انهم يتظرفون برواية هذا النوع من الفكاهات ، ويتطلفون في تقديمها كشيء من طرائف المجالسة والمؤانسة . وفي هذا التطرف والتلف ما ساعد على انتشار ما يهتمون به . وكم مرة شهدت سمرا عائليا جمع ، من هؤلاء المتظرفين الحمصيين ، في يتبارون في تبادل رواية النكات التي لم تعد ، في نظرهم ، غير مادة للراء الفراغ او لاحداث جو من المرح والضحك .

وكننت اعرف من الجغرافيا والتاريخ ان حمص مدينة العاصي ، اكبر انهار سورية ولبنان ، وانهام مسقط راس ابلا غالب الامبراطور الروماني في القرن الثالث للميلاد ، وقد فتحها العرب عام ٦٣٦ م ، وكان بطل معركتها خالد بن الوليد ، فعرفت باسمه . وفي ايام تفسخ الدولة العباسية ضمها سيف الدولة الى امارته

الى مشاكل طلابية يجب ان تستدرك بكثير من الحيلة واللباقة والتوجيه ، لكي لا تنتهي الى ازمات يعهد فيها الاكبر سنا الى استعمال قدرته البدنية . ولذا نرى المدرسة الحديثة تشتت على صف سنا قانونية لا تمتداه ، وعلى المتخلفين ان يستدركوا امرهم بوجه خاص لا يتعرضون فيه الى قرس كبرياتهم ولا الى استعمال قوتهم الجسدية .

ولاسباب خاصة تركت هذه المدرسة الارثوذكسية الناشئة الى مدرسة الفرير في طرابلس نفسها . وهناك تستنى لي ان ارى نفسي معلما تغذي هيئته على تلاميذه سلطة ناظر يسهر على الانضباط العام بحزم وشدة . فكان المدرسة بصفتها مجموعة من الفصائل العسكرية : كل منها بامرة معلم ، والجميع برعاية النظارة الضابطة الكل بقبضة لا تلين . غير ان هذا النظام ، الذي يضمن سيادة المعلم على طلابه ، وبالتالي يسبح شخصيته . فيتمكن من العطاء المعرفي في جو هادئ مطمئن ، لم يلائم نظرتي الى الطالب الذي يجب ان تحرره من الاجواء الضاغطة ، ونساعده على ان تخلق فيه المواطنة المريدة لا المسوقة ، والمدرسة مسؤولياتها لا الملزمة بها الزاما . ولكن ذلك الناظر ، الذي كثيرا ما كان يبدو كأنه حاكم عسكري بعينه الانضباط الصارم ، في كثير من التعصب لحرمة ، كان بعيد النظر في اطراح التعصب الطائفي ، فقبل تبادل الحل بين الكهنة الشرقي والغربي ، بحوالي اربعين سنة ، عهد الي ، والارثوذكسي ، بتدريس التعليم المسيحي في نصوص الكاثوليكية يقينا منه بان الجوهر واحد والخلاف في العرض لا بد ان يزول .

وهكذا قبض لي ، بعد ان تلمذت في معهد الفرير في طرابلس ، ان اتمرس فيه بصفة معلم ، فكانت هذه المدينة بالنسبة الي منشأ مزدوجا في التعلم والتعليم . وكم يحلو لي ، في هذا المقام من الكلام ، ان اروي تحية شمعية اقيمتها تصديرا لخبطة كانت لي على احد منابرها ، وقد تجاوزت الاربعين من العمر ، قلت :

عهد الفتوة في فيحاء لبنان ابغلتك اليوم بالذكرى لتلقاني حيا كمهد في ثوب الصبا مرحا بين الغمام في صخوات نيسان استقبل الفجر بالميزاب طلعه افاق من النور في افاق الوان في نسمة من شذا الليون حاملة ما يبعث الطيب من ورد وريحان اما الاصالل كم غنتها املا بكرا كطافني في بكر انساني تلك الاوقات ما مروت بخاطري الا اثبتت بها نشوان تحنان

في اواخر السنة المدرسية (٢٨ - ١٩٢٩) بدأت اشعر انني ذو ميل ذاتي لزمالة مهنة التعليم ، على الرغم مما فيها من المشقة ، وما تتطلب من الدراية ، والمعرفة لقاء القليل من الاجر المادي لذلك رفضت عروض لمرآكز عمل في مراقب مختلفة من الاعمال المكتبية ، ولا سيما المصري

يفتح فيها الجو الطلابي لاشراك الاهل في تنمية شعور ابنائهم بالقدرة على دخول الحياة ، ممثلين ادوارهم الحقيقية فيها . فكانت اولى التمثيليات التي بذلنا لها جهدا كبيرا « الآباء والبنون » لرائد كبير من رواد النهضة الحديثة في الشرق العربي ، هو ميخائيل نعيمة . وقد تفضل فكان ، هو نفسه ، خطيب حفلة توزيع الشهادات . فجات هذه الرواية ، بما فيها من اهابة الى اطراح القديم البالي والاخذ بمفاهيم التطور التربوي ، ابدانا بما كان في نفوس الآباء والابناء الحمصيين من استعداد للاقبال على الحياة بما يفرضه التنشئة الحديث .

حمص كانت بالنسبة الى مختبر حياة ونزعة خاطر . ولكن هذا القول يجب ان يستوفي الدليل على صحته ، وها انذا محاول ان استعرض شيئا من حكايات حال جرت لي ، فنرتك اثرا في مجرى حياتي العملية .

اول ما تجدر الاشارة اليه مكان اقامتي المالسي ، وهو جناح من بناء في حي « بستان الدويان » كان يشغل الجناح الثاني منه استاذ الادب الفرنسي في الكلية التي جئت حمص لامل فيها استاذا للترجمة . وبحكم الجوار والوعلة نشأت في ما بيننا صداقة ما لبثت ان توثقت عراها ، فالاستاذ الجار رجل اجنبي ، ولكنه من اولئك الذين تركوا بلادهم الى غير رجعة ، فهو اذن بحاجة الى صداقة حميمة تعوض عليه بعض وحشة الاهل . وقد دخل البلاد السورية عام ١٩٢٢ ، ودرس في دمشق ، قبل حمص ، التي انتقل اليها عام ١٩٢٨ حاملا الجنسية السورية .

هذا الاجنبي الاصل خلو دود ، عالي الثقافة ، كبير النفس ، يحسن الكلام بضع لغات ، يتقن منها اثقانا رقيما الروسية والفرنسية . ولم تكن اعمالنا المدرسية وحدها التي كانت تجمعنا ، فلقد اكتشفت ، من مخالطته ايام العطال المدرسية ، انه موسوعة تاريخية ، ولا سيما في تاريخ سورية ولبنان . وهكذا تحولت عطالنا الاسبوعية الى اوراق صيد بالعُميين : صيد الطرائد الكثيرة ، على اتواها ، وصيد المعلومات التاريخية نستنتق لها آثارها في اماكنها . واذا كنت قبل تعرفني الى هذا الزميل ذا معرفة بتاريخ بلادي في كتب تاريخنا ، فلقد اثارت في صحبته شوقا ملحا الى استطلاع آثارها ، مستفيدا من معرفته بالكثير من دقائق تاريخنا القديم .

ولقد كانت بحيرة حمص المعروفة محليا بـ « بحيرة قطيبي » وجوانبها مشار حديث تاريخي اذكر منه قليلا على سبيل المثال :

اعرف ان قادش او قدس مجموعة انتقاض تعرف بـ « تل نبي مند » قائمة الى جهة قرية القصير ، قرب بحيرة حمص ، وانها تذكر بمعركة حاسمة تعتبر من

الحمداية ، وتولي حكمها مباشرة ابو فراس الحمداني الشاعر ، اذ كانت تابعة لقاعدته منج ، التي ذكرها كثيرا في شعره . ثم الحق حمص بمملكة صلاح الدين الايوبي عام ١١٧٤ م .

في اول تشرين الاول عام ١٩٢٩ ، نزلت من حمص الحي المعروف بـ « بستان الدويان » القائمة فيه الكلية الارثوذكسية بفرعها المنفصلين للبنين والبنات ، ويقوم الى جانب كلية البنين ناد تابع لها حديث البناء مجهز بمبخر فسحج ، والى جانب كلية البنات تقوم كنيسة الاربعين شهيدا ، واول ما لفت نظري ، من مظاهر الحياة في حمص ، حظر المخالطة في المجتمعات والمراقة في الشوارع بين الرجال والنساء . وكان على المرأة ، ايا كان دينها ، ان تحجب عندها تخرج من منزلها . كذلك استرعى انتباهي ان تكون المدينة بخرقها نهر كبير ، وان يؤمن فيها ماء الشفة للمنازل سقاؤون يطرقون الابواب ، مناديين على ما يتقنون من الماء على ظهور بغالهم !! ولكن حركة النهضتين : الاجتماعية والعمرانية كانت تعمل على ازالة هذه المعالم التي تشد هذه المدينة الطيبة الى ظلمات من عصور الانحطاط ، التي عانى منها هذا الشرق العربي ظلما شديدا طويلا . فلم تمض على اقامتي في حمص سستان حتى بدت ، وكان بعضا من الحياة الحديثة دخل فيها ، فاذا بها مدينة ذات حدائق عامة تؤمها المائلات رجالا ونساء تروبحا عن النفس ، وذات شبكات مسن القساطل المائية تدخل كل البيوت .

ولعل افضل ما تميزت به حمص ، في اوائل الثلث الثاني من القرن العشرين ، انها أصبحت منهل المعرفة في قلب بقعة ، من شمال سورية ، واسعة تعيش عليها عشرات الالوف من السكان . لذلك كانت الكلية الارثوذكسية التي اتحدت للتدريس فيها صرحا من صروح النهضة العلمية الحديثة ، ضمت بين جدرانها مئات من الطلاب ذوي النفوس البكر المتميزة بالظلمة الى المعرفة وبحسن الانقياد الى النظام .

وهكذا اخذت ، في هذا المناخ التربوي الذي اتيج لي في حمص ، ازداد ثقة بان مهمة المعلم الناجح لا يقاس نجاحها بما استودع في تلاميذه من معرفة فصح ، بل تقاس بما احدث في نفوسهم من اثر فاعل في انسابهم ، وبما خلق قيما بينهم كطلاب ، وفيما بينهم وبينهم كعلم وطلاب ، من جو تتألف فيه هذه المجموعة من الناشئة ، على هدي العلم ، ليكون تقاهمها على مقاعد التلمذة قاعدة لاتقياها على ميادين المستقبل .

واعتمادا على ما كان بيني وبين تلاميذي من ثقة ومحبة عهد الي ، بالاضافة الى ساعات العمل التدريسي ، ان اتولى رعاية المحفل الادبي العربي في الكلية ، على ان يمتد اهتمامنا الى شيء من المحاولة في التمثيل المسرحي . وكان القصد من هذه المحاولة التمثيلية ايجاد مناسبة

ارق

يا حابس الليل في جفنيك معصرة
ان رحت اشكو اليك الليل والارقا
انزلته من سنا عنيك منزلة
تفري بكل فواد لو غدا حدفا
سبحان من انتب الاهداب وارفة
وذوب الشمس في افيائها شققا
يا داسع العين كفكف بعض غيرتها
اما تخاف على انسانها الفرقا ؟
اكاد المسح روحي في غواربها
تهيب بالجفن ان يبق ليها رمقا

وديع ديب

طلعت عليه شمس ذلك النهار من تشرين الثاني عام ١٩٢٠ :
عندما استقبلنا خيوط الضوء قبل بزوغ الشمس
كنا ثلاثة صيادين على زورق ، اقتناه مضيقنا لمثل
هذا اليوم ، وكان يجذفه نوتي شاب ، ربع القامة ، ملتصق
بالسمرة ، مقول الساعدين ، هو احد الاجراء المختصين
بخدمة صاحب الضيافة . واول ما وقعت عليه
عيناها فوق الماء ، الذي اخذنا نتبين كل ما يتحرك فوقه ،
دائرة من القش تطوف وتتحرك في اتجاه بلوح فيه سرب
من البط كبير تسمع له وقوة يخفي معها اصطفاف
مجذافي نوتينا النشيط . ولما رايت في وسط تلك الدائرة
شيئا لم يتجلى لي شكله ولا نوعه تولى مضيقنا الكريم
تعريفه فقال :

هذا صياد قروي تربطه بهذه الدائرة العائمة خيوط
قوية ، بعد بدء اليسرى الى جانب من القش الزرنيشى
المحيط به ، وبالياد اليمنى يمسك بندقية الحشوة .
وهكذا يسبح مستخفيا حتى يصل الى السرب الذي لا
تشك واحدة منه ان هذا الوافد عليها كتلة من هذا القش
الذي يكثر على سطح البحيرة . وعندئذ يطلق الصائد عياره
الناري فلا تذهب حبة من جهاته ضالعة في الماء . ومثل
هذا التكنيك السيار يكثر في موسم الصيد ، ويعود على
اصحابه بما يسد بعض الحاجة .

ولم يبق من مجال لصاحبي ان يطيل فقد رحلتنا زحاح
المرتقة بالصيد على رزقهم ، فقضينا نهارنا تنخيس
الطرائد فلا نرمي بنارنا الا احودها . وفي المساء عدنا الى
قواعدنا ، وعندئذ عن بحيرة حمص يوم مشهود .

نسيم نصر

اعظم المارك في التاريخ القديم ، وصفها مرسوم على جدار
الإقصر في مصر ، تخليدا لانتصار رعمسيس الثاني ، في
اواخر القرن الثالث عشر « ق م » على الحثيين . فآذا
بصاحبي يضيف الى ذلك قوله : « وهي مرتفع اصطناعي
يؤلف حلقة من المرتفعات التي كان القدماء يستخدمونها
لايقاد النيران فوقها ، عندما كانوا يريدون نقل الانباء ولا
سيما الحربية ، وهذا ما يسمونه : « البريد الناري » وهو
اعلام بالاختطار ينتقل على السنة النيران المتتالية على
رواب تنظر من بعيد ، فيصل الخبر وكأنه « بريقة » بالنسبة
الى ذلك الزمن .

وهذه البحيرة ، يضيف صاحبي ، هي اصطناعية
ايضا ، وتعرف في التاريخ بـ « البلد الروماني » . ومضى
يريني في طريق قرية القصر بقايا آثار الاقنية التي كانت
تنقل مياه الشقة الى مدينة حمص ، خلال المرحلة من
التاريخ المسماة « السلم الروماني » .

ولم تكن احاديثنا التاريخية تقتصر على الجامد
والصامت من المعالم التاريخية بل كانت تتناول بعض ما
تبقى من آثار البداة ومظاهرها في القرى والمزارع
المنتشرة على السهول الممتدة ، الى جنبات حمص ، وفي
القائم منها على ضفاف البحيرة .

دعانا مرة احد اعيان آل رسلان لرحلة صيد ، في
عطلة اسبوعية مقترحا علينا ان نقضي ليل السبت -
الاحد في دارته القائمة في ضيعة اسمها « الناعية » الى
الجنوب الغربي من بحيرة حمص . وكان في نطاق البداة
ان نتناول طعام العشاء على مائدته . فقلنا الدعوة .
ففرغنا كيف تحلى المطايا الى الاهداف المقصودة . وبعد
سير طويل مجاهد حططنا رحالنا عند ايواب الدارة ونزلنا
نستريح من عباء الركوب ، ونمضي النفس بصيد متناسب
والمشقة التي تحملناها . فكان اول الصيد عشاء حمل
الينا على « منسف » ضاق به البهو على رجه . فاخذت
امتنح كفاتي في تناول الطعام باليد على راحتها واصابعها ،
وكم اعجبت بنفسى لانني لم الفت النظر الى جدتي بالوضوح .
وان اتس لا اتس ذهنتي للحن يعرف بـ « دقة »
المهاج : فللقهوة اصراف وتقاليد عربية اشهرها : ان
الضيوف يشربون قهوة تدق ، ولا اقول تطحن ، بحفروهم ،
فالمهاج هو عبارة عن جرن خاص لسحق القهوة ، له مدقة
طويلة ، لا يستطيع ان يدق بها القهوة من لم يتمرس بهذا
العمل طويلا . فالمدقة وفوهة الجرن : كالخاتم والاصبع ،
يعني ان الاصابة دقيقة ، ومن العيب ان تتمر المدقة بحافة
الجرن ، فمعنى ذلك ان ساقى القهوة قبل الضيوف .
ولذلك لا يكتفون بتسديد ضربات المدقة بل يجب ان تكون
موقعة على لحن رافض هو « دقة المهاج » وهكذا قضينا
وقتا طيبا .

بقي الا ننسى اننا كنا مدعويين الى نهار صيد على
سطح البحيرة وانه لمن الطريف حقا ان نحدث ببعض ما



عودة العنديل

مهداة الى اخي الكاتب الكبير وديع فلسطين

يا هزارا غني لنا واستسرا
شيمة الزهر في الربيع ، ولكن
يا رفيق الآداب عشت عفيفا
قلم في النجوم ينضج طهرا
ما عرفنا على الصحيفة شرواك ولا كاتبنا تكلل فخرا
عاش جرحى الاقلام مثل جنود
ما أرى فيهمو نداء يواليك شكوى ولا أرى لك هجرا
يا حبيب النبوغ والصدق قل لي ما حساب الذي افادك ضرا
لو يصاغ الورد الندي سلما
ومضى قبلك الحكيم المقري وحيدا في محبس الفكر عمرا
غير ان الوفود راحت اليه
ولهجس اليراع منك عذاب
عد الينا واسكب مدادك
كالعهد بفن نولت دنياه برا
حكم اقدارنا باننا شموع
ما ملكنا اطفاءها نحن قسرا
كوكب انت ي «وديع» فلا تطفئ سناه ، فلست تملك عذرا
قد شربنا كأس الاساءة من ايدي الاحبا وصيروا الطومورا
وملأنا في الجامعات رؤوسا
فجزونا الذي اصاب سنمار فذقنا بما بيتناه غدرا
وانا ابن الضفاف من بردى الحلو الذي قد جرى بقومي درا
وفؤادي ملء السماء وملء الارض لا يختوي انتقاما وشرا

يا «فلسطين» عد الينا لفال
لا تدعنا نندب هواك ونسلك
في فلسطين اذ سترجع نصرا
مثلك الهجر حيث نشبع قهرا

زكي المحاسني

دمشق

المطران غريغوريوس حجار

١٨٧٥ - ١٩٤٠

بقلم البدوي المتمدن

مولده في «روم» إحدى قرى إقليم جزين بلنجان الجنوبي عام ١٨٧٥ واسمه الأول «بشارة» كما سماه أبوه وأجداده نزحوا من دمشق واستوطنوا قرية «قيتولي» المجاورة لـ «روم» وكان تزوجهم بين سني ١٧٢٠ - ١٧٤٠ وعرفوا في دمشق باسم «بيت بيت» واشتهروا في لبنان باسم «بيت الحجار» إذ كانوا يزاولون قطع الحجارة ونحتها وبنائها وورث أغلب أولادهم وأحفادهم هذه الصناعة عنهم . وبدأسي حرفة البناء وقطع الحجارة ونحتها نفروا بين قرى روم وقيتولي وجزين ومشغرة وغيرها من القرى اللبنانية .

وبعد وفاة جرجس الحجار ، والد المترجم له ، اعتنت «زينة» والدة المترجم له بتربية طفله وظهت نجاته في مدرسة القرية واشتهرت أمه بترجاة القمل وفرط الذكاء ورخامة الصوت فكانت تبذل في ابتكار الكلام نظم مرثي الاسواق كعادة نساء سورية في ذلك العهد .

وتنمي الطفل بشارة بوجه مشرق وجبين واضح وشعر اشقر ، وفي عام ١٨٨٤ انتخب قريه القوري الياس حجار رئيسا عاما للرهبانية المخلصية فجانته زينة بولمها بشارة مهنة بالانصب الجديد واسألته قبوله في مدرسة عالية والعناية بأمره ، وجها لقط القوري الياس من نجابة الصبي ونباهته ما أعجبه ففرز على الإجابة بـ « المدرسة الصلاحية » في بيت المقدس إذ لم تكن مدرسة دير المخلص قرب صيدل نقل في صفوفها إلا الرهبان . وتمهيدا لهذا الغرض أرسله القوري الياس إلى دير المبتدئين إلى أن يتم أمر سفره إلى فلسطين .

وبعد ثلاثة شهور بارح بشارة الدير إلى بيت المقدس ولصغر سنه لم يقبل في مدرسة الصلاحية فعاد ادراجه إلى دير المخلص واتدمج في صفوف الطلاب الرهبان وشرع في مشاركتهم الزهد والتشفي والصلوات وأردنى مسوح الراهب واعتبر طائفة سوداء وعاش في محراب الدير إلى أن دخل مع زملائه المدرسة الرهبانية بـ «جوار دير المخلص» في ربيع عام ١٨٨٥ وفي عام ١٨٩١ شرع مع رفاقه صفار الرهبانين في درس اللاهوت ، ولصغر سنه تخلف عنهم واليس نوب الراهب وسمي «بوسيتوس» نظرا باسم الفيلسوف المسيحي الشهير ورغم حداثة سنه كان الأول بين رفاقه وتميز بالذكاء وعشق المظافة والمربية والفريسية وشق بالآداب العربي فحفظه الأروجة البيزنجية وقصيدة الاسمي ومطلمها :

صوت صفير البليل هيج فليب التصل

إلى مصر : وفي عام ارتدائه نوب الراهب حجار قريه مقيم في مصر وحده من القاهرة أم الدنيا ومن مقاهها وأغراه بالسفر معه ليؤسس في وادي النيل مجلة علمية عربية . فاستجاب الحجار الصغير لهذا الإغراء وعند وصولهما إلى القاهرة اخلف قريه في عوده المصولة ولم يحقق شيئا منها .

وإذ يوم استوف بشارة الخديوي عباس باشا وهو في طريقه إلى مصر وقدم له غريسة التمس فيها الانساب لمدرسة عالية مجانية لتلقى العلوم فيها وبعد أيام تسلم ردا من دائرة الخديوي بقوله طابا مجاني في أمة مدرسة حكومية يختارها ومنحه مبلغا من المال لتفانته

الخاصة لكنه عين معلما في مدرسة طائفية تقع في حي الخرنفش بالقاهرة ، وعكف على درس الإنكليزية والفرنسية والعلوم الرياضية وظل متابرا على الدرس بثبات وعزم وصمم على تقديم الامتحان للحصول على البكالوريا من نظارة المعارف المصرية .

وفي الصيف الذي كان يمني النفس بتحقيق هذا الحلم الذهبي قدم مصر قريه القوري الياس الحجار وعندما اجتمع بشارة لأمه على ترك الدير واستسلامه للأحلام وطلب منه العودة معه إلى لبنان ، فاذعن الشاب الحجار لهذا الطلب ولكنه أصر البقاء في القاهرة وشما يقدم للامتحان وينال البكالوريا ، فقال له قريه القوري الياس : «ما لك وللامتحان ... هل تريد أن تكون (بك) ، أو (باشا) ؟ أرجع إلى الدير لتصير مطرانا في قنطرة قريه قريه في نسه وعاد معه إلى احضان أم كانت تشد نفسها قول شكرالله الجر الشاعر الكبير :

خيرنا باننا ما برحنا نسال الشمس عن كل صباح !

إلى الدير : وفي صيف عام ١٨٩٢ قصد بشارة دير المخلص وأبدى للرئيس العام رغبة في التخرج ورجا قبوله في صفوف الرهبانين فلبى الرئيس طلبه وبعد أن سلخ بشارة ثلاث سنوات في المدرسة رسم في صيف عام ١٨٩٦ شماسا انجلييا وبعد عام رسم كاهنا باسم جبرائيل وشرع يعلم في مدرسة الدير الطبيعية والفلسفة والتاريخ والتحو والبيان والشعر والخطابة واليونانية وظل يدرس طلابا أكبر منه سنا حتى عام ١٩٠٠ ونشئ الرسل باسم رئيس عام دير المخلص وكان مطران صيدا لطائفة الروم الكاثوليك يستدعيه إلى عمله ويصحبه إلى دار الحكومة بصيدا ليلقي أمام المسؤولين خطبة رسمية في عيد المولد السلطاني والجلوس الهاماني ، فكان يؤدي ذلك إلى احسن وجه نظرا لما حياه الله من فصاحة اللسان وروعة البيان ، وكانت خطبة موضع اعجاب المسؤولين والأهليين لروعة معانيها وبلاغة اختارها حتى انتشرت في كافة محافظات لبنان باسم «الخطيب الشامي» . وأداة فرنا العنايات الروحية والخطب الاجتماعية التي كان يلقيها في الكنائس والمدارس بحق باسوليوس الرفيع في إنشاء الرسل ، ورفيع عن الجوع إلى المسج والقفافية كما درج على ذلك أباء عصر الانحطاط . ولقد يلهو شري بلغ في خطبه ورسالة وبذاكرة جبارة اختزنت الكثير من مفردات اللغة والقضايا والمطلعات !

إلى فلسطين : وفي صيف عام ١٨٩٩ خلعت مطرانية عكا من رئيس الاساقفة المطران انتانسيوس الصباغ فاتجهت انظار اعيان الإبرشية إلى دير المخلص لاختيار خلف صالح له فكان اسم الاب جبرائيل الحجار ملء الافواه لكن الاب المرشح لما هذا المركز الديني الكبير كان عمره خمسة وعشرين عاما والقوانين الكنسية تعظر مثل هذا العمر ، فضافا إلى هذا نفور الحجار من هذه المهمة الثقيلة الإيماء فكان يقول لمن يزوره في دير المخلص من وجوه واعيان كان وحيفا والناصرة وبناتنه بشأن رسامته مطرانا : «لما شاب لا خبرة لي بإدارة الإبرشية وأصايمي خلقت للقمم لا للعلم !» لكن وجوه الطائفة الكاثوليكية في شمالي فلسطين طلبوا بلسان واحد من البطريرك بطرس الجرجيري رسامة الحجار مطرانا أو إرساله نائباً بطريركيا إلى أن تتم رسامته مطرانا أصيلا وانهم يتصميم واحد وراي واحد لا يرفسون منه بدلا .

وتناديا للانقسام نزل البطريرك على رأي اعيان الطائفة ووافق على إرسال القوري جبرائيل الحجار إلى عكا نائباً بطريركيا ليخبر إدارة هذه الإبرشية وليخبره أعيانها ، وكتب إليه للشخص إلى مقر عمله فاعتذر الحجار بمجزع من تصرف الامور في النيابة البطريركية لثقله خيره وصغر سنه ، فغضب البطريرك من الاعتذار وكتب للحجار فيها كتب : «ما كنت انتظر منك مثل هذه العصاوة ... فقم سرية إلى المركز المعين لك والسلام!» فرد الحجار فيما رد على البطريرك بقوله : «اسمعوا لي يا سيدي ان القول لك بكل احترام لستم اعلم من ريتا ، ولا أنا القدس من ابراهيم ، والكتاب المقدس يذكر ان أبانا ابراهيم

نوسل الى الله ، ولم يقبض الله عليه... ومع هذا فاني متوجه الى عكا متكلما على الله !!»

وفي الثامن والعشرين من آب عام ١٩٠٠ بلغ عكا قادما من صيدا ونولى ادارة الارضية مدة اربعين عاما ونيف بهمة الشباب وحكمة الشيخ وغيره الرسل وفي اليوم التالي اقام قداسا فيدا لانياء طائفته بغزة بيشاء فوق جبهة الواسعة وشعره الاشقر الجميل منسد على كتفيه وتحلق لهم اسم «مسيح الشرق» الذي اطلقه عليه السباح القريون الذين زاروه في ايرشيتة والقي في الصلبن خبطة استهلها بقوله : «هذا كاركم الذي طالا نتم الى مشاهدته قائلين انه رجل كبير عظيم : وما هو بالحقيقة ، كما تزعمه ، الا قصة ضيقة يحركها الريح !!»

وفي عام ١٩٢٥ ندعت فلسطين وشقيقتها العربيات الى الاحتفال بيوبيل الحجار الفضي واسمهم في هذا الهرجان الرائع شاعر الافطار العربية خليل مطران بقصيدة صور فيها «مطران العرب» بصفاته وخلاله ومزاياه بقوله :

يسود في خلقك المسيح يا اشبه الخلق بالمسيح
وفي ذكاه له شعاع يسود على وجهك الصريح
وفي خصاله تمتعنا بالخلق الطاهر الصريح
وفي تناء بلا نساء دودا من المبدأ الصحيح
أعدت القاء (١) وابن «لس» لو عاد ، من نده الفصح
هل لتجيب ادراك شاد في شوق عليك الفصح
يوهمه بعشر الجلي ان رماه ، غرة الطلح (٢)
عطائك بالافات طب من التباريح والجروح (٣)
فيه للجسم بسره جسم فيهن للروح بسره روح
مولاي : هذا مقال حق ما فيه شيء من الدخيل
يا سعد قوم وليت فيهم ولابة الصلح المسيح (٤)
خمس وعشرون فمت فيها باهرهم غير صريح
نفاذ راي ، شديد عزيم غير عشي ولا جموح
لا البيت الداني وبني للبر مرفوقك المرفوح
لولا اضطرار فقي بلسي الطراز تودعت في الموح (٥)
ناخذ اخذ الجميل فيما تبقي ونهني عن القبح
نفسر للخالصه القداء بريك الفابر المسيح
لست لعدر عن اي فصول او اي فصل بمستقيم
والنصح ما زاده فيولا لصادق من جانب التبع
لا نفا الدهر في حلول لصد نغر او في نزوح
قلب الي الخالقات يرنو بانقلر طاهر صموح
او فلم كاتسب وصوت مردد ما اليك او حي
ما ان رايانا له سميما وجفته ليس بالقربح

«رشيده» (٦) ابغ اجل حبر
وادع له بالبقاء حتى
غير كثير لو عاش حتى
فاني عصمر واي مصر
مطران العرب : واطق عليه زعماء فلسطين لقب «مطران العرب»

شعورا منهم بان الحجار عمل كثيرا في سبيل فلسطين ودفع عوادي السياسة الهوجاء عنها . وحول هذا اللقب الجميل تحدث الحجار الى جريدة «الصفاحي الثالثة» اللبنانية بقوله :

«انا مطران العرب» هذا لقب جميل اعطانيه ابناء بلادي على اختلاف مذاهبهم في كفاحهم وجهادهم لتحرير بلادهم من رقة الصهيونيين! هذا لقب ملي فكري ويزيدني شرفا وشجعتني في كفاحي ونشاطي في سبيل عرب فلسطين واتقاهم من الخطر الصهيوني الذي لا تتروان

به ولا تقدرونه في لبنان ، فاقتم في لبنان مخدوعون في امر الصهيونية لا ترون فيها غير المال الذي جات به الى بلادنا ولكنه مال باق لليهود. واذ استغفرت منه بعض الملاكين اللئالئ عتقا ، فهذا لا يعني ان فلسطين العربية استغفرت منه : ان الفقر والحاجة الذين يعيش

بهما ابناء الشعب بفلسطين لم يسبق لهما مثيل !
والجنيه اعطاء اليهود استرده خلال السنوات الاخيرة
اضعافا واضعافا ! والصهيوني يعيش لوجهه على جانب من ابناء البلاد
هو يقاطعه مقاطعة كلية ، واذا اضطر ان يشتري دواء في القليل لمرض
مخطر ورائقة هناك صيدلية عربية يقرب بيته لا يذهب اليها بل يشتري
دواءه من صيدلية يهودية ولو كانت في اطراف البلد !

ليس بيننا وبين اليهودي صلة نغاهم ، كلانا يشعر انه غريب عن الآخر ، حتى نهاية الدهور ! ولا شك في ان الاستعمار الذي قام به
الصهيوني اخذ الجفوة الباقية من اموال الفلسطينيين !

هل تعتقدون ان الشعب الفلسطيني وصل الى هذه الحالة من
الحساس والتضحيات وركوب الاخطار في حرب الكفاح الا بعد ان استولى
الياس عليه تماما ولم يعد يجد منفذا سلبيا يخرج منه ، وهل تعتقدون
ان في فلسطين ثراء الشقاء والفاقة اليوم؟ ومع هذا فاقتم بلبنان
ما تزالون تعتقدون ان وجود اليهود عندنا ثروة لنا !!

ويكتم من يتفنى بهم .. ومن كاركم الاجلاء من ياخذ جانبهم !
ولكن رايك اليهود جاؤوا ايضا يسلحوننا نحن النصارى «الغير القدس»
جاؤوا بمعلكتهم اليهودية عن اراضي سيدنا يسوع المسيح وهم حالوهم !
فلو تحققت المملكة اليهودية لكاننا نحن النصارى العرب ايضا الى
المباينة ونتركنا عمايدنا والاراضي التي وطئها السيد المسيح ،
له الجيد ، لليهود الذين قادروا الى جبل الجبلجة !

كل هذا لم يفكر به احد منكم في لبنان ، بل افكرتم
بذلك الجنيئات التي يصرفها بعض الصلافيين اليهود الى الصيف في
بلادكم اولئك او البع الصهيونيين ان باتوا اليكم وان يعيشوا عندكم
احرارا ، فهل تعتقدون ان واحدا منهم حينذاك يتعامل معكم او يشتري
مكم حاجة او يستاجر عندكم بيتا انهم يولكون مستعمرات لوجههم
فانهم لا يهتمون بالبلد ! ويستقون من اللبنانيين تماما ولا يكون بينهم
وبينهم اخذ وعطاء. هذا ما نشرته جريدة «الصفاحي الثالثة» اللبنانية.

مصرع النسر : وفي صباح ٢٠ تشرين الاول ١٩٤٠ بارح الحجار
حيثا الى القدس وقابل التدوب السامي وسعى ، بمناشبة بيد الطفر
في العفو عن بعض من حكم عليهم بالاعدام والسجن من شخصيات
الثورة الفلسطينية . وبعد ان تحقق مسماه قعد الحرم الشريف وزف
بشائر العفو عن الحكوميين والمسيحيين العرب فحمله الشبان على الاكف
وحياوا «مطران العرب» وهتفوا بحبائه منوهين بجهوده القومية ومناشيه
الحيدة للاراج من ضحايا الثورة .

وفي مساء عاد الحجار الى حيفا ، وكان التمتع بلف انحاء فلسطين
لنشوب الحرب العالمية الثانية ولغبت به سيارته صاحبة «الودي
الجمال» على طرق الغزيرة بعضا فاصطدمت بسيارته بعربة خيول
يجرها يهودي فامر سيادته بالتوقف حالا وتزجل ليري ما اصاب العربية
وصاحباها فاذا احد الحصانين ميتا وصاحبه يصيح ويطرم فلهام عوده
بعبارات رقيقة وتقدمه ميلفا من المال تعريضا عن حصانه وعند عودته
ليمتطي سيارته مرت سيارة مسرعة سرعت الحجار سرعة قوية فذهب
الذعر حين تجمهروا وحلوا سيادته الى مستشفى الحكومة بعضيا
وهناك وجد افاقت ان الصدمة اصابته راسه وافقدته عينه اليسرى
وبعد ساعة فاضت روحه الى خالته .

وبعد موته لظفت بعض الاوساط العربية بان الانكليز بدروا امر
مصرعة ثارا منه لصلابة عوده وكوفقه السليبي من «الوطن القومي»
وللمصراحة التي تعزيت بها الشهادة التي ادلى بها امام اعضاء اللجنة
المكية البريطانية في القدس .

ودفن هذا العربي المؤمن داخل كنيسة السيدة بغيغا واشترك في مائته كبار رجالات فلسطين والاردن وسورية ولبنان .

كانت صلاة الحجار في بقلته وعند نومه السماء لان ينقذ الله فلسطين من برائن الصهيونية ويدفع عنها عوادي السياسة وكان في ختام صلاه ورد الكلمة الثابتة من قلب عربي طهور :

« اقبل نفسي يا رب شبيك وارحم نفسي ! »
وللفلسطين وبارك يا رب شبيك وارحم نفسي !
نموذج من شعره : في شتاء عام ١٩٢٩ اجريت عملية جراحية على

الشاعر المرحوم رشيد نخله في مستشفى الدكتور ربيز في بيروت فبترت ساقه واصبح (المضمخري الثاني) . وعندما زاره الطهران الحجار في المستشفى خاطبه مرتجلا قوله :

فطموا الرجل وايضا همما سابقات كل فجر قدما
دائسات كل صعب حائل بالقات في العالي القمصا
وبراعسا كلما اجرتهم راع ظلاما وحلي للقصا
كم فتوح في المناهي مباحا تنشر الطرس عليها علما
خطب السيف على كفيك اذ جمل الكلم فيه كلما
لطفك الاخاذ في القلب سرى ليس يدعا فهو يارى النسا
يا (رشيدا) دمت في لبنان (نخله) الفضل وارذا علما
بقيت اوصافك الحسنى لنا زهرا في الروض او زهر السما
وفي رسم اخذه المصور قال الحجار لسان الفيلسوف الآخر :

اضعت لدى المصور بعض وقتي واطعمني بامجاد الخلود !
ولكن ليس في الدنيا خلود ... فهدى صوري... وجردي !

نموذج من نثره : « ايها النبلاء (٧) الامجاد : انكم اطعم في العظوة بالعرف السخفي بكم كثره شوافي ، بل كنت مقصرا على الادعاء الى الله ان ينعمكم من اتواره ما يكشف لكم الحقائق في فلسطين ويلهمكم الخير والعدل فتكونوا قد برهنت مرة اخرى على ما اشتهر عن نزاهة القضاء البريطاني واستقلاله الذي قضاه نحن في اشخاص «عراقفة» (٨) و «مكدول» (٩) ، لكن اربنت حولي من صدور الشعب الفلسطيني اصوات كثيرة التي قلت اني انصل بلجنتمكم المؤثرة واعلموا على حقيقة الحال الرائعة فلم يستطعوا ان يحضروا الى هنا خدمة للحق والوطن ثم لتعرف الشخصي .

أتيت لانكم لا باسفي الشخصي فقط كريس ديني مستقل وانما أتيت لانقل اليكم صدى ما سمعته واسمعه من شعبنا العربي الفلسطيني في المدن والقرى وانا مختلط به اختلاطا تاما منذ ٣٦ سنة كاتسفي عربي احس مع الشعب ، فانالكم لاله والفرح لفرحه وهو يقفسي الي بدات صده في كل فرصة !

الخلاف في فلسطين هو اعقق مما نلتون وبين فريقين ، بين العنصر العربي الفلسطيني والعناصر الصهيونية !

قلت العنصر العربي الفلسطيني وهو يقسم مسلمي ومسيحيي فلسطين ويقيمهم من ذوي المذاهب الاخرى الذين تجمع بينهم روابط الدم واللغة ولا تجهلون ان الفلسطينيين العرب هم متحدرون من سكان فلسطين الاصليين الذين نطشوا هذه البلاد من آلاف السنين قبل اليهود ، ولم يقو اليهود على طردهم ، وبقيت اليهود باسهم في الآن ، فلم يملك اليهود الا جزوا منها مدة بعض فرون ثم ظهر الدين المسيحي في فلسطين فتعصر كلهم ومعهم قسم اليهود كما تذكر الكتب المساوية واصبحت فلسطين مسيحية على رغم الاصطهادات التي قامت ضد المسيحيين والتي ينسب كثير من المؤرخين اسبابها الى سداسي اليهود ، وهذا ما لا اريد ان ادخل فيه الآن ، فاضلات فلسطين بالكتاسي المسيحية ثم الى الفتحة الاسلامي فاحترم القدسات لانه يجل المسيح نفسه ، ولكن القسم الاكبر من المسيحيين اعتنق الدين الاسلامي وانتشرت اللغة العربية حتى عمت البلاد!

ومن جمال ومزايا الفتحة الاسلامي العربي ان امتزج الفاتحون

بشعوب البلاد التي افتحوها وحولوها اليهم على حين انهم لم يتروكا فيها الا قسما من جيشهم وموظفيهم وبقي قسم ضئيل من المسيحيين محافظا على نمرائته لكن ذلك لم يقصر يوحد الاصل وصلته الدم بين الفريقين .

ثم قلت ان الاختلاف هو بين العنصر العربي وبين العناصر اليهودية ذلك لان اليهود هنا ليسوا من عنصر واحد ، ولا من دم واحد ، فمهم يونانيون ودرسي وتشيكوسلوفاكيون وفرنسيون والكنيسز واميركان والمال الخ ...

اختلاف الجنسيات والعناصر عند اليهود : اية قومية نسرى بعنيها الوعد بين التي ذكرناها ؟ هي الانكليزية ام الافرنسية ؟ فقد اعتاد الحلفاء ان براعوا القومية والجنسية في تقسيم البلدان ، اما هنا فالجنسيات متباغدة بل ومتمازجة وهم يريدون ان يجعلوا قومية واحدة ، فلو كانوا انصروا على جنسية واحدة من جنسيات الحلفاء لكان لهم شبه على ! ولكن نحن نرى الان ان دماغهم سكتت لتعطي فلسطين لجنسية كانت معادية لهم لالمانية والتركية والتصاوية والمسيحية ولا نرى حال متظليا نستطيع ان نطبق عليهم على واسفوا هذا الا ان يقال بانهم يعنون بالقومية الدين اليهودي ! وبهذا يكونون خالفوا كل افترقهم في تقسيم البلدان لكي يرتكبو مظلمة تاريخية فاضحة ولا انقمك الا موافقين معنا لكي لا يوجد (شعب يهودي) في العالم ، ولو سألنا «بلوم» رئيس وزراء فرنسا و«هيرت صمويل» المتدوب السامي البريطاني من اية جنسية همما ؟ لجاب كل منهما بالانتماء الى الامة التي يحكمها ، فاليهودية اذن هي العالم ليست هي الا دنيا الاسلامية والمسيحية ، ووجد الحلفاء انما هو اليهودية الدينية ، لان من كان يهوديا وتعرض او اسلم بجرم من نمرات وعد ببلور ولو كان ابن ابراهيم ومن نسل داود والعكس بالعكس ، فاذا كان الامر كذلك دعوني احدث معكم على حديث القناعة !

اصبح اليهود بقوة الوعد اصحاب البلاد : ان «الوطن القومي» معناه «الدار القومية» كما تعني كلمة National Home, Foyer National ، وتسمى أصبحت «فلسطين» دارا لدين واحد او لمن يدينون به (فاتقوا بقلبي بان يكون كل اصحاب الاديان الاخرى واسفوا هذا ما صرح به احد خطباء اليهود في يافا اذ قال : «نحن معنا الى هنا كما يعود الانسان الى بيته لا كقرباء ونحن نراعي اصحاب الاديان الاخرى اذا لم نزعجونا»! اذن هم يصيحون بقوة هذا الوعد اصحاب البلاد ونحن تزوج اميركا ، وهل يا يكون هذا عادلا ؟ وعلى اي شيء يقوم هذا الحق ؟ يجيبني الكثيرون من الجهة المقابلة على ان منذ هذه ستة كانت امة تسمى «اليهودية» ساكنة في فلسطين على حين ان هذه الامة كما قلنا لم تملك الا قسما من فلسطين بصفة فرون ملكا متقللا ، ولم يكن على ما اقرن قط مطلقا متصلا فقد تخللت فتوحات كثيرة للاشوريين والمصريين واليونان وكانوا يقولون الملك اليهودي منسوبا الى ملوكهم ، فمن ذلك نفهم ان الملك سليمان تزوج ابنة فراعون ، وفلسا عن ذلك ان القسم الاكبر من يهود عصرنا ليسوا من الامة اليهودية القديمة المتنتية الى «يعقوب» و «داود» فان تاريخ يبحرنا في في القرن

١ - اشارة الى قس بن ساعدة بن عمرو اليبادي اسقف نجران ، خطيب العرب وشاعرهما ويسر به المثل في البلاغة . (٢) الطليح : الهزيل الذي غلبه الامياء . (٣) التاريخ : شدة الآلام . (٤) - المنح : المجتهد الكبير . (٥) - الطراق : رسم الثوب وورقه . (٦) - هو الاديوب الاستاذ رشيد خوري وكان يشغل مركزا مرموقا في بلدية حيفا . (٧) من الشهادة التي ادلى بها المصور له الطران حجار فسي ١٧ ٢٥ . ١٩٢٧ من حالة فلسطين امام أعضاء اللجنة الملكية البريطانية في القدس وتركزت دوبا غالبا في كافة الاوساط . (٨) و (٩) من مدول القضاة البريطانيون في فلسطين .

الثاني للمسيح قد اعتنق اليهودية سبعمئة ألف من الوثنيين التتر في روسيا وهؤلاء ، كما قلنا ، أصبحوا في خلال ١٨٠٠ سنة لا أقل من خمسة الى سبعة ملايين من عشرة ملايين تصعد الامة اليهودية ولا يمتن الى يهودية «داود» بقرابة الا الصلة الدينية ، فرابطتهم بهذه البلاد التي تذهبهم على فطرها تما في نزع دينية محضة ولكن هذه النزع لا تتجملها ولا يمكن ان تتجملها الديانتان الاسلامية والمسيحية ، فالديانة اليهودية تقسم الآن عشرة ملايين والاسلامية ٤٠٠ مليون والمسيحية ٨٠٠ مليون وهي تصعد منها اصطداما عنيفا لا لين ولا هوداة معه .

الاثرية اليهودية يعارضها المسلمون والتصارى : ان اليهود متى تكثروا بهذه الهجرة المتدفقة أصبحوا اكثرية سائدة ، ومتى سادت تكون قد خالفت والاثم القرآنية الكريمة : « حرمت عليهم الذلة والمسكنة » فاصبح اذن واجبا محتما على كل مسلم ان يقاوم هذه الهجرة وهذه السيادة مستتبيا في جهاد استماتة شريفة ، ثم ان اليهود يطمحون الى «الهيكل السليماني» طموحا لا يمكن اغفاله ولا الجدل فيه وهو غايمهم الآخرة ، لانهم يدونه في خارجه لا يستطيعون ان يقدموا ذبائح وحشايا ، ولا يكون لهم كهنة ولا يمكن ان يكونوا امة ! استطاع ان الاول ان فلسطين يدون «الهيكل السليماني» في حجة لها في نظرم بيد ان هذا «الهيكل» هو مقدس من اجل المقدسات الاسلامية وثالث الحرمين الشريفين وكل مسلم يتفاني في الدفاع عنه في اية بقعة اقام .

هذا من الجهة الاسلامية ومن الجهة المسيحية فاليهودية تطلب هذه البلاد كارض الموعد لها لكن الدين المسيحي يجيب قائلا : اننا نحن اسرائيل الجديد ، نحن ابناء ابراهيم بالوعد ، نحن خلقنا محل اليهودية القديمة وقد قال القديس بولس : «لكن على الامة بركة ابراهيم في المسيح يسوع لتنتال بالايمان موعد الروح» ثم تنى قائلا : «وقد قبلت الواوحد لا ابراهيم ونسله» ولا يقول : «لااسلام» بل «للتللك» يعني واحدا وهو المسيح .

الاتفاق مستحيل لعدم اخلاص اليهود في فلسطين كارض الموعد من جهة دينية نرى ان المسيحيين يقرضون اليهود فيها وزد على ذلك ان الدين المسيحي يقول لليهودي : ان روايتي فلسطين في اقوى جدار من روايتك ، فان يتركك فيها انبياء وملوك فهي موطن «مخلص» الالهي وموطن رسله ومهد كنيسته ، وملوكك وانبيائك نحن نكرمهم بقدر ما نعلم اتت او اكثر ، والدين المسيحي يعترف بالاخاذ البشري العام وبالمساواة بالحقوق .

زارني يوما احد رؤساء العالم الصهيوني وكان (جنتلمان) بقدر ما يمكن ، وسألني : «اولا يمكن ان نتفق؟» قلت : «كل سرور من جنتنا اذا كان ذلك يخلصنا من جهنم» اجاب : «ولماذا» قلت : اعرف يهوديا مقدس من التني داود» اجاب : «لا» فذكر له ان داود عندما كان متزهوا امام شاول وهذا يتبعه طلبة قتله لجا هو الى ملك الفلسطينيين فحماه واكرم متزاه وكانت النتيجة انه كان يسقط كل ليلة على قرية من قرى الفلسطينيين ويبيد سكانها وهو يعتقد انه كان يحسن صنعا بباداة اعداء (شعب الله) المعتدين على ارضه»! وانتهت الى ان قلت : «نحن الفلسطينيون اليوم باذاتكم واتم تمثلون حالة داود ، فاذا امكنكم ان تعملوا ما عله داود لا تخافكم !»

هذه التفرقات قد اخترت في رؤس الاهالي مسلمين ومسيحيين وكانت من اكثر اسباب الانفجار الاخير ، واتني اسعد اتني لسم «اجماعا منهم بقدر ما رايت فيه كانوا كلهم كانوا يرون المسألة حيوية لهم واستطيع ان افول ان الفلسطينيين مبدليا لا يكرهون الانكليز لانهم بل ليساستهم الصهيونية هنا .

انتشار الخلافة والاباحية بين اليهود : اما المقدسات المسيحية فلم تلتهم حرمتها للان بطريقة واحدة ، لكن ما قولكم اذا كانت هذه المقدسات محاطة بمن يرونها ، كما نرى نحن هياكل الوثنيين ولذلك نفقد جلالة قدسيتها ولهذه النظرة قد كانت الحكومة العثمانية حظرت على كل يهودي ان يمر ارض كنيسة القيامة بل ازيد فاقول : ان

فلسطين تسمى كلها الاراضي المقدسة باللفة المسيحية وعندما يصل الزوار الى شواطئها يركعون ويقولون الارض ، لكن اي استمثار يحدث فيهم مما يشاهدونه بكثير من تلك الازياء الخلاقية التي لا يكاد يسمع بها في المدن الكبرى عندهم !

لقد جلت في اورويلا ولم ار نساء وبنات يطفن الشوارع في منكم بلباس الحاصل بل باللب منها حشمة ، واقول ان ذلك ايضا ما تفر منه آدابنا واخلاقنا الشريفة وما يزيدنا كرها لليهود ، ولا اعم هذا على كل يهودي لاني اعترف بالحق اقول انه يوجد بين اليهود يبيوت ذات آداب وحشمة ، اما هبة تبقى الالهة المقدسة في نظر الزوار عندما يقومون الى هنا ويرون الشيوعية منتشرة فيها كما في سائر البلاد او اكثر ؟ وهذه الشيوعية التي الفت التنشوش في شعبنا السيئ الوادع الذي طالما عاش في سيكنة وسلام .

او ليس ، عملا بهذه النظرة - اي المحافظة على جلالة مقدساتهم - يحظر المسلمون دخول مكة على من لا يدين يدينهم وقد اثرت هذه النظرة على بعض التواب الانكليز فاعتراضوا على مشروع روتنجر اياه انقص من جلالة وقديسية بحيرة طبريا ، اما ممارسة ديانتنا واكرام رؤساء ديننا فقد كان مضمونا بالامتيازات التي منحنا اياها سلاطين آل عثمان وخلفاء المسلمين وقد احتجت مرات كثيرة ان اجاهد لآيت بعضها لدى الرجاء الاباحية بعد الحرب ومع ذلك لم تبق كلها باساعها الذي كان لها قبل .

تاثير اليهودية على حرية التنصاري الدينية : ذات يوم على انر نجديف علني قذف به احد اليهود (مسيحا) ششنا ان نعمل الزابا» دنيا تكبر يا بحسب مراسيم عوائدنا بين كاتناشا التي لا يبعد فعنها اية بعضي اقل فصدتنا الحكومة بالفرقة واجابنا الحاكم عندما ذهبا الى: «الخشى ان يعتدي على شعوركم الديني احد اليهود فينتج ما لا تحمد عقبا» ! .

ثم ان بطريركنا شاء ان يقوم بزيارة دينية رسمية لاول مرة لفلسطين وكان علينا بحسب عوائدنا دينية ان نمر امامه بوقوف ديني مع الصليب في بعض الشوارع فعننا ايضا للسبب نفسه ، ولا شاء ان يقوم بالزيارة فبقية رسميا من حيفا الى يافا راسا اوجب عليه الحاكم ان يجعل طريقة تل ابيب والمستعمرات اليهودية فافسر ان يمر بالقدس ثم يتوجه الى يافا !

المساواة بين المسلمين والمسيحيين في السابق : في ظل الخلافة الاسلامية كان المسيحيون يتناسون اخوانهم المسلمين الحاكم ومجالس الادارة والمجالس البلدية مناصفة بعدد متساو وبدون نظر الى اقلية او اكثرية ، فنباسي وعكا وجنين وصفد وغيرها على فلة المسيحيين فيها ، كانت الحكومة العثمانية تمنعهم حق التساوي مع اخوانهم المسلمين وعندما الى اليهود لم يستطيعوا بالطبع ان يأخذوا هذا الحق من المسلمين لكثرةهم فيهم من التنصاري .

وقد كان ، منذ تأسيس البلديات ، نائب رئيس البلدية في حيفا مسيحا فانثل هذا الكرسي الى يهودي ، وفي صمد لم يعد للمسيحيين اقل تمثيل في البلدية ، وفي طبريا لولا اهتمام المسلمين لكثرةهم ، لا بقي العاصو المسيحي فيها .

اثاثية اليهود وتقصيم لانياء جنسهم : ثم مما يقض المسيحيين والمسلمين باليهود ، عدا ما ذكر ، انانيتهم القومية الشديدة ، التخصمية فانهم لا ياذنون لواحد منهم ان يستخلم في يهودي ، وانتر اذكر العام الفالنت ان احدهم سلم بناء لاحد المسيحيين فيها ليت انلقى عليه العمال اليهود بالثأت وحطوا وكسروا وعلى رغم تداخل البوليس بقوا معارضين للعمل على اضطر المسيحي ان يتركه .

هذه هي الشهادة التي ادلى بها القمهور لا الطران حجار في ١٧ كانون ثاني ١٩٢٧ عن حالة فلسطين امام اعضاء اللجنة التكتية البريطانية في القدس وترتت دوبا هالفا في كافة الاوساط .

الادباء هذا السؤال : هل تطلق الادب اذا اصبح ذلك ثلاثة الاف جنيه في العام فقال المازني : اني افتتح بتلامذته جنيه في العام ، ولا اتردد في ترك الادب وفتح دكان للفول والطمعية ، فلما سئل له حين قال : «كنت احب ان تعطي هذه الالاف الثلاثة للمازني لانه رجل يتعنى ان يقع في يده مثل هذا المبلغ ليفتح دكانا كدكان ابي ظريفه يبيع فيه الفول والطمعية ، واذا فانا زعيم لك بانتي اذهب اليه كل يوم لآكل من فوله وطعميته ، لانها من نوع نظيف ، واغلب اني اذهب اليه (سبنفند) الصحن والقنود واعمال العمال (نفدا) حسنا بتراج اليه الزياتي ، وستكون تجربة لطيفة ربما افادت بعض الادباء » . وسكت المازني عشر سنين ثم كتب يقول في احدى دعاباته «اظن اني غيرت رأيي ، لن افتتح دكانا وانتهى الامر ، ولكنه ليس دكان طمعية ، ولكنه دكان ادب ، الا تراني الي طلبات المجلات والصحف ، ولا اجد اجد دقيقة واحدة اكتب فيها شيئا على مهل ، واتوخى فيه التجويد ، اما صديقنا الدكتور طه فاقول له آسفا ان عليه ان يبحث عن طمجي غيري.»

اما زكي مبارك فقد كان مصالوا عتيقا وصفه الزيات مرة بانه لابع يلبس القفاز المتترسي (نسبة الى فروته ستترسي) وانه يضرب ذات اليمين وذات اليسار وانه باتباعه الحكم في الحيلة (والطبعة هنا هي حلية الرسالة التي كان يصدرها الزيات) قد عجز وعجزت صفارته عن رده الى الصواب . وقد وصفه احمد امين بانه رجل مشاغب يحصل عشا ويتعصر بها للامارة ، وقد دعي زكي مبارك مرة الى ان يعرض ادباء مصر على التشرية فقال :

«لعلنا ادباء كبار بلا نزاع ولكن هؤلاء الادباء يخلطون الفنون في بعض الاحيان ، فالدكتور طه حسين كاتب ، كاتب كبير ، ولكنه غير باحث ، لانه قليل الصبر على اختيار النصوص والاسانيد ، ولانه قد يستبيح تأليف كتاب عن الادب يصدرها بدون ان يستقري احوال ذلك الادب ، ويدون ان يشغل نفسه بدرس ما لذلك الادب وما عليه فيخرج كتابه وقد انتقل الى جانب واحد من جوانب التحقيق ولا يخلو من غيب هو اهتمامه بتسجيل المساوي والمساوي ، ويهدد في الجيب المتكاسر والطبيب ، انه لم تر كيف صور البيئات الازهرية في الجزء الثاني من (الايام) بعد ان ألج في تصوير الميول العاجا عتيقا ، ومن مرور الطبيب بمحاسن الازهر في ذلك العهد ، وترك الجانب الاهم وهو تصوير الازمات الازهرية في الانتقال من حال الى احوال ، يوم احس الازهر عذاب الحيرة بين مدينة الشرق ومدينة الغرب ، وهو موضوع اخطر واشرف من الحديث عن غزوات ابي طرطوط في ظلمات الليل . اما احمد امين فهو باحث متفوق ولكنه لا يملك ناحية التفوق الا حين يمشي في طريق مسلوك ، عبيته الافلام الباحثين ، فان تجاوز ذلك الى الابتكار فحاله حال من يمشي حافي القدمين في طريق مملوء بالاشواك . ومن تحت الاشواك حياتوماميين . احمد امين ليس كاتب ولكن مع ذلك يكتفك الكتابة ، وقد يتنظر فيحدث عن الحب ، ولعله يصل بقوة التمايزة الى الطواف بهيكل البيان بعد عشر سنين .

اما توفيق الحكيم فهو اديب بالظفرة ، ولكن تمولود ادوات الادب ، فاطلاعه على الادب العربي عدم من القدم ، وهو لم يجد في غير كتاب (العصور من الشرق) وانما اجاد في هذا الكتاب لانه نسي انه كاتب مشهور ، وذكر انه الانسان يحس حيال الشرق والغرب ، فاجاد اجادة لم يكن لها باهل.

والزيات كاتب متائق لا يكتب الصفحة الواحدة الا في يومين او ايام ، ولولا اضطراره الى مسابرة (الرسالة) لتشغل نفسه بالصفحة الواحدة اسابيع ، وثائق الزيات تائق مقبول ، ولكنه حرم أسلوبه من قوة الحركة ، فهو يهقر القارئ على الوقوف من وقت الى وقت ليسال الطريق .

اما العقاد فهو كاتب ومفكر وشاعر ، وهو من ميون الادباء في هذا الجيل ، ولكن العقاد نعاوده افة بغيضة هي حب النفس فهو لا يصلح



انور الجندي

النقد بين الهجاء والدعابة

بقلم انور الجندي

في مراجعة شاملة للمعارك الادبية والمساجلات الفكرية بين صحفنا مجبولة هي مزيج بالهزاء والدعابة والسخرية ، ولكنه هجاء رقيق ، ودعابة فكاهية ، وسخرية خلوة غير مرة ، ولقد ابلغني ان الشغل الذي كنت من ستين معركة ادبية جرت بين اوائل هذا القرن وبين الحرب العالمية الثانية ، غير اني لم اليت ان نجتحت في خلال المراجعات المتصلة صور جديدة غاية في الطرافة ، تتجلى في مناقشات كتابتنا المشاهير ، هيكل باشا والمازني والعقاد وزكي مبارك واحمد امين والرافعي مصطفي ، والرافعي امين ، انها اشبه بطبعة تتقاذف فيها الكرة بين ايدي وارجل اللاعبين على غير هدى فيها صودة الصراع والسخرية ، والدعابة والهزاء ، معاول ان ترسم ملامح شخصية واساس بناء .

وعرفوا انه كانت بين المازني وطه حسين معارك وسفريات متصلة ، منذ هاجم المازني طه حسين ووصفه في وصف به شعراء الجاهلية ، وقال فيما قاله ان التنك في وجود شخصية طه حسين سيكون يوما اشبه بشك طه حسين في شخصية امرئ القيس وعنترة ، وذلك حين يقال الشيخ طه حسين والاستاذ طه حسين والدكتور طه حسين ، وحين ترى صورته بالعمامة والظربوش والقبعة ، وان الناس سوف يقولون ان هناك ثلاث شخصيات تحمل اسما واحدا ، ومن هنا يسري التنك في الاسماء جميعا .

وحين رفض طه حسين تجديد عقد الدكتور زكي مبارك وفصله من الجامعة هاجم المازني طه حسين وقال : لو كنت اقول الشعر في هذه الايام لرثيت طه حسين ، فانه يغيل الي انه قد مات طه الذي عرفته واجبتة واكرتته وجاء غيره الذي اكتره .

وهناك جولات متعددة ومساجلات مختلفة بينهما على طول الحياة الادبية والسياسية في مصر بين الحريين ، غير ان اطرف هذه الدعابات جميعا (دعابة كان الطمعية » وكان محرر احدى المجلات قد سال

لا تكبر ولا تستعير ، وفي الطفولة نزعاً الى التحدث عن النفس ، والبروح بالخصوصيات والصميميات ، وفي المآزني الآن من الطفولة أكثر مما كان فيه يوم عرفته قبل ثلاثين سنة . وفكره الآن أقل من فكره في تلك الأيام ، الا اذا كان من زيادة الفكر ان يروح الآن بالحصنات والسيئات والمظلمات والمصرفات ، على خلاف الأطفال الأصلاء الذين لا يبوخون الا بما يولهم العطف والتشاور والتعظيم .

اما زكي مبارك الكتاب فانه لا يستغني عن زكي مبارك يحال من الاحوال ، اذا استغنى المؤلفون عن الفهم في بعض الاحيان . لان زكي مبارك هو موضوع زكي مبارك الوحيد ، واذا كتب الف مقال في هذا الموضوع ، وفراحت منها واحداً ففي ذلك الكفاية كل الكفاية . ومن ذلك يبدو زكي مبارك اقل الكتاب شخصية في حياته الكتابية لان طابعه غير ظاهر في أسلوبه ولا في نشأته ولا في آثاره . وقد حفر الأصغر والجامعة وجامعة من الجامعات في البلاد الفرنسية ، ولكنه لا يمثل الاثر ، ولا الجامعة المصرية ولا جامعة في فرنسا اياً كانت .

وقد نشر هذا المقال ١٩٤٢ وحتى وفاة العقاد ١٩٦٤ ما كتب له حين عرفه في تاريخه ، الا بعد ان مات بعينين على النحو الذي عرف اخيراً من رايه في العبقريات ، اما الدكتور زكي مبارك فانه قد اسرع بالرد على العقاد في جرة واضحة قال « ان العقاد لاطف في رجال وتعامل مع رجال ، ثم صال وجال حين تكلم عن الدكتور زكي مبارك ، كما يجهل ان للدكتور زكي مبارك قلما ينسب في الجبال حين يشاء ، ولقد صبرت طويلاً على تعامل الاستاذ العقاد وتركته بفرح عن حقد ، ومناوشتي ، من وقت الى وقت ، بعد ان افلحت في ميدان الشعر والكتابة والتأليف ، ولكنه لم يعرف اني متفصل بالصبر عليه ، ولم يفهم اني لو شئت لقومته بالقلع عتاء . من ذا الذي يستطيع ان يقع فوقه على كتاب البئر التي والى التصوف الاسلامي او ذكريات باريس ، ولو عاش العقاد اطول من عمر نوح لما استطاع ان يؤلف مثل كتاب البئر التي ولو منحة المقامر منحة البقاء العبد لعجز عن تأليف كتاب التصوف الاسلامي . والعقاد الطريف يقول اني خسرت جامعة من اكشافات في البلاد الفرنسية فهل يجعل العقاد اني تخرجت من السوربون ؟ اني اقبل اللقب الذي يملكه منصور فهمي هو حسين ، ما الذي يمنع العقاد من التخرج من السوربون ان كان من اصحاب العزائم والمواهب ، السوربون باقية فحاول الانتساب اليها يا حفسرة المفسال ان اورد ، فقد تصير دكتوروا مثلي ، بعد حين ، وقد تصير دكاترة كما صرت انا ، ولن تستطيع .

ثم ماذا ، ثم اسأل من اللقب الذي خص به الدكتور طه حسين حين جعله امير الشعراء ، اندي كيف ضاع منك ذلك اللقب ، ضاع لان الدكتور طه يشاهدك في مقالك يا بطل مقاييس الشعر والبلاغة الشعرية ، وكان المنتظر من فهمك وذوقك ان لا تبخل بالعاسة الفنية على من جعلك امير الشعراء ، وما المتناسية التي منعت فيها الدكتور طه هذا اللقب ، انذكر لك المتناسية ، لمك كنت تفتك شيئاً اسميته الشيد اللقي ، فابن ذلك التشديد واين نصيبه من الحياة ؟ قد قامت في ساعة الميلاد لانه من نظم العقاد ، لقد زعم العقاد اني كثير التحدث عن نفسي ، واقول ان في نفسي كنوزاً لا تخطر على بال الاستاذ العقاد ، العقاد الذي لا يصلح لشيء الا اذا (استأنس) بما كتب الباحثون هناك ، وهناك العقاد مترجم وانا مبدع ، والفرق بعيد بين الترجمة والإبداع . ومن مناوشات الهباء والسفرية والدعابة ان يكتب احمد امين عن العقاد فيرس ما يكتبه اني العقاد فيقول عليه ويشتر الرأي والتطبيق معاً . يقول احمد امين (اول ما يروك في العقاد انه صادم قسوي الجاش) يا بطل اللعاب ، واذ صدق ما يكون في القاتل اذا نازل من مس كرامته او جرح عزله ، من ذلك اذا نزل اجرا من السيل ، واهول من الليل ، بنسي جرحه وماله وكل شيء حتى يسترد كرامته ويثقل وزله .

وعلق العقاد (صحيح) ولكن ربما كان هذا العقاد في الخصومة

للحكم الصحيح في المذهب الإيدي الا اذا رحل في افلاك التاريخ فان تعرض للمصر الحاضر ، وفي مصر ، فلن ترى له الا احكاماً مشوشة ببقار الاحواء ، وما تملك برجل يؤلف كتاباً جيداً عن شعراء مصر فيراهم جميعاً من الاكابر ولا يستغني غير شاعر واحد ، هو شوقي .

والدكتور ميكل كاتب ومؤلف من الطراز الاول ، ولكنه يسرع في الكتابة والتأليف قبل ان يعرف جيداً ما يجب ان يقول ، ولعلها ترونه يتسحر في فوانح مقالاته ومؤلفاته ، ثم يظهر له الغرض فينبغي ويجهد . اما المآزني فصحابه سير ، لانه يجهل مواضع الدائبة ويولف بشئون لا تنسج مع قدرته العالية على الادب الرفيع وقد رأى المآزني من التطرف ان يسخر من شاعريته فضاغ بين الشعراء ، وسافه التطرف الى الياس من زعماته فتحدث عن عزله ، العزلة المؤهومة التي خلفها خفقا لتكون حواراً كهفي دائرة البيت . هذا ما قاله الدكتور زكي مبارك . وصمت العقاد سنوات حتى اتبع له ان يكتب مقالاً ينص فيه الادياب على مشرحته : فقال : «اما الدكتور ميكل فهو صادق التمثيل للسلطة المصرية العربية ، هذه السليلة لها خاصة الاستواء المعهد التي تشبه طبيعة الأرض في مصر ، فلا توبى الى الافلاك العالية ولا انقراض الى الانوار العميقة ، وفي قصته (الزيب) ترى عنايته باحوال الريف ، اظهر من عنايته بالمواضع النفسية في المرأة والرجل ، فالعهود والاحوال مقدمة عنده على النصوص والايطال .

اما طه حسين فهو على الترتيب : كاتب قصة ، ومؤرخ للمصور الادبية ، وناقد للاداب والفنون اما أسلوبه الفني فهو أسلوب المطبوع الذي يلام الافشاء بافكاره واحاسيسه لانه أسلوب الاملاء الذي يجعل السكوت والابتداء فواصل ونغمات ، ولم يخل حياسه قد من الترتيل منذ تعلم القرآن الى ان ادمن الاصفا الى الموسيقى الأوروبية ، فهو يكثر ليملي ، ويملي ليزاوج بين الفواصل كما يزاوج بين الفقرات الموسيقية . ومن عادة الاساليب المطبوعة انها عسيرة التقليد ، ولكن أسلوب طه من اسهل الاساليب لقليل الى القليلين ، لان جانب القرائن الموسيقية منه يدخله في باب الضلالة وهي مسبوقة التقليد . وليس هذه هي (التقليد) الوحيدة في هذا الأسلوب القرد .

فهناك التقيصة العظيمة بين العزم والتشكك ، ان احصيت المفاصل الشك في كلامه من امثال : ازم ، وقد ازم ، ولمله يكون ، ولمله لا يكون ، وربما فشكت وربما بكت ، وربما فشكت وبكت في وقت واحد ، فقد نصيبه من الشك لا يستقر على شيء ، وان احصيت إلتعريبات والتوكيدات في كلامه فقد تجد في طبيعة الكتاب الحازمين من العزمين من قولنا (وان القول ما قالت حزام) ، وتقيصة تالسة حين يكتب المقالات ، انه يتقصده في العنوان حتى لا يجاوز كلمة واحدة وان يسهب في المقال حتى يقضي بالآهات ، وتقيصة جرح هذه ولك ، ان تقتن الروح الجديدة في عباراته بالروح العلمية ، سطر الى سطر ، وقضية الى قضية ، هذه تذكر بالدراسة الأوروبية ولك تذكر بالدراسة الشرقية ، ولكنهما لا تدمجان ولا تفني احدهما عن الاخرى . وباني طه حسين الناقذ بعد طه المؤرخ وطه صاحب القصة لان المادي لا التذلل كله على مقاييس الشعر والبلاغة الشعرية . وليس نصيب الدكتور طه في هذه المقاييس باوفا نصيب .

اما المآزني فادبه كله ادب انتصاف في محراب الفن لا في محراب الكهانة ، والاعتراف عنده اكثر من مسألة موضوع يختاره للكتابة فيه ، لانه في الواقع مسألة تكوين ، فكل من كان في بنية المآزني الدقيقة فيسبله ان يتوفر ويصطنع الاخاء والتكتمان او تنقلب عليه الشيطانية فلا يرعه في ذلك كله ما يفيد ، ولا يزال بعدد الى الجهر والاعتراف كانه لا يحفل بالناس بل يرويه وكيف يمكنه ، واذا به قد بلغ في طريق قلة المبالاة ما يبلغ المتفرون المتكتمون بمبالاة ، ما الفرق بين ان يقول للناس اني اخفي نفسي كيلا تستمعوني ومن يقول لهم : انا لا اياي يكف فما انا قد ظهرت بينكم كما اشاء ثم طولته التي

من عواطفها ودواهيها . غير ان هناك موفقين يستطمان ان يكشفوا لنا من اعماق هذه الدوافع ، تلك هي الخلاف بين العقاد والرافعيين :
 امين الرافي (١٩٢٣ - ١٩٢٩) ومصطفى صادق الرافعي (١٩٢٢ - ١٩٢٠) . وكان امين الرافي من أبرز الشخصيات السياسية التي مهدت للحركة الوطنية قبل الحرب العالمية وسعدا ، وكان من انصار السيد زغلول ، ثم اختلف معه على ما اطلق عليه اذ ذاك (تعديل الاساس) والاساس هو اساس المناقشة الذي كان سعد قد التزم به قبل ان يلي الحكم فلما ولي الحكم عدله وخالفه امين الرافي في ذلك فقلق من العقاد فقام الوفد العربي في ذلك الوقت اشنع عبارات التند والتفريع والهجاء حتى انه كان يقول عنه مثلا ابله امين الرافي ، وكان يصفه بالسفهاة وكان امين الرافي يرد فيقول « ان عبارة (السفهاة) التي يتخذها (حفرة) الكاتب دليلا على ان المعارضة غير شريفة » . كل هذا حدث ولكن ما بكاد امين الرافي يقضي ، حتى يهب العقاد فيكتب افتتاحية البلاغ راثيا اياه ، ناسيا كل خلافه خصومته ، يقول الرايت امينا قبل مرض الوفاة يمضي في الطريق على مهل فرايت شيئا يتماكب ، وجسدا قد نهض لا يزال ، ونفسا تنضي في عالم وحدها ، وهي تشمر بعزالتها ولا تكاد تشعر بها من فرط الاطمئنان اليها ، وسيماء السكينة والرفوان التي تحف بها ، فلمعت اتني اري امينا في قوة جسده ، وامينا في قوة نفسه ، ورايت كيف يعمر الايمان الجسوم الغالية فهي منه في ملا عزت الحودة ، منعن الجانب ، وعجيب ان يكون هذا امينا وهو يعد في ايام الفتوة وعنفوان الحياة .

نعم ، عجبت لهذا الهيكل البالي ، ان يكون هو ذو تلك الفتى الذي كتبت اراه في مكتب (الدستور) (اللواء) فياض بالشباب مقبلا على الحياة ، وفي وجهه نظرة العافية ، وفي عينيه وميض الايمان ، وفي مشيته صولة العزيمة والمضاء ، وكيف تبذل هذا ، وما جاز الرجل على شيايه في نوايه ، لا اسرف على نفسه في مهلكة من مهالك الاعمال ، فليل ان الله هو الجهاد كان وراء ذلك الجسد الناجح فاجعل اليه اليوم لم اعجل اليه الموت وهو في مستقبل الشباب ، كان امين مؤمنا وكفى بالايمان عزاء في شقاء الحياة ، وكفى به شقاء في عالم الكنا ، فلما ايمان الرجل ما القى بنفسه حيث القى في ميدانه ، ولولا ايمانه لمز عليه الصبر على بلاته فلايمان عدوه والايمان خليفه ، وبالشقاء من يائيه الكيد من حليفه الحميم . لم يكن له اراه تحتضل الخطا والصواب ، وانما كانت له عنائه لا ترخص بشك ، ولا تسأل في هودة ، وكان حد العقيدة عنده ان يجهز بالراي فيما هو الا ان يخالفه فيه المخالفون ، حتى يتصنع عنده ، ويتشدد في تأييده ويأخذ على المعارضين سبيل الشك في اصوله وفروعه . وحتى يلتقي الراي بالايمان ، ويمتزج اليقين بالبرهان ، فاذل بكل راي كانه ذو شعثا وفروغ لا تخلص شميرة لا نص منها فريسة .. الخ .

اما خصومة العقاد مع مصطفى صادق الرافعي فقد كانت في مجال الادب ، وكان الرافعي فيها متينا لحد الخصومة ، بعيد المدى في الخصومة والهجاء . غير انه ما كاد يموت الرافعي حتى نشر الرايت حديثا كان قد جرى بينه وبينه جرى فيه ذكر رايه في العقاد ، قال الرافعي « اما العقاد فاني اكرهه واحترمه ، اكرهه لانه شديد الاعتدال بنفسه قليل الانصاف لغيره . وولته اعلم الناس بمكان في الادب ، ولكنه ينفق على قوة البيان فيتجاهني حتى لا اجري معه في عنان » . ولقد واجه العقاد في هذا الايمان فقال : كتبت اعلم ان الرافعي يقول عني احيانا غير ما يكتب روى ذلك محمد السباعي والاستاذ البرقوقي ، وهذا بواقف ما رواء الزيات وقد حرص الرافعي على كتمان هذه الشهادة ، فلم هذا الاختلاف بين السر والجهر ، او بين القول الخاص والعام ، وهذا هو ايضا موضع الاختلاف بين ختفي في الخصومة اللببية والمخفية التي كان يؤثرها الرافعي ويغضب الايباء . فانا القول الراي بلهجة ، واقوله بلهجة اخرى ، هذا قصاري ما استطيع

لاني ايضا فيها كل البطء واني استرل الناس ، ولا اسي الى احد منهم ، فاذا جاهدني الاسائة التي اجبتهتها بعد كل ذلك ، ورايت الميه يتمادى فيها ، فلا جرم هو خليف ان يعلم ان الاسائة الى الناس شيء لا ينسأه مدى الحياة . والحمد لله التي ما عادت احدا ميذا بالعداء ، وما عادت احدا في امر صغير يصنعي ، وانما مدار العداء عندي على فكرة او مصلحة عامة .

ويقول احمد امين « ان العقاد يؤمن كل الايمان بما يقول وبما يكتب ، ويصفي هذا على اتجابه الادبي لونا من البت والعزم ، وهذه التثنية بالنفس زادت منه درجة فجعلته يرى ان رايه صواب لا يتحمل الخطا وراي مخالفه خطأ لا يتحمل الصواب ، ومهما ابيت من البراهين على صحة رايك المخالف فلبده من البراهين ما ينقضها ، وله قدرة فائقة على العقاد ، ومهارة في صياغة الرودود حتى يبكك اكثر القراء » .

ويعلق العقاد على هذا الايمان فيقول « اتانا لا اوافق على كراهتي للتراجع في مواضع الخلاف ، واصيب الى هذا الاعتراف تفسيري كما اراء ، فانا مع التثبت الذي لا يجادل للحق ولا للهم ، ولكن للاعتدال والارغام ، فليس من الانصاف عندي ان يتجح في غرضه ، وان اجزيه على سوء الايمان بالنتائج . اما مع النصف فاني اذا امنت بصوابه وخلص نيته تراجعت وشكرت » .

ويقول احمد امين « لم هو متكير متواضع معا ، جري خجول معا ، امتزجت عنده الفصائل مزجا عجيبا ، ولعل خجله هذا جعل قلعه اجرا من لسانه » .

ويعلق العقاد فيقول : اتني اذا اسلمت نفسي للفلب محمولا او غير محمول عدلت على قبول التبعة كلها كانت ما تكون ، وقد يكون من حسن الحظ ان اعلم بعد الغاشية اتني اسات او تجاوزت الحد انشاء القصب ، فليس اسر علي من التراجع والاعتدال حتى اشعر بان الذي اسات اليه راضي ، وهنا اقول اتني قد اخبرني في تقدير الاسائة والرفسي ، وعندي في كل قول اتني احد من ابناء انا وحواد » .

من هذه العجايب ما نشر في مجلة الجلال اول ابريل ١٩٢٥ عن وفاة الدكتور زكي مبارك وذلك قبل وفاته بسبع سنوات وقد تصادف الدكتور ابراهيم عبيد فقال :

ففي اليوم المرحوم زكي مبارك فانهار بفساده فيه ركن من اركان العلم والفصل والادب ، وقال انه قد فطر فلينا بكاء الاستاذ احمد امين الذي كانت تربطه بالفقيد اوتق روابط الود والوثام ، والدكتور به حسين فان الفقيد كان صديقا بارا به لم يسء اليه مرة او يهون مكانه بين العلماء . وقال التالي « لان زكي مبارك ادبيا متواضعا لا يتحدث عن نفسه ويباى على الصحف ان تدع اسمه مهما كانت التناشبات وكان يكره اللاباب كراهية التحريم » .

وعلق زكي مبارك على خبر وفاته فكتب يقول « في اليوم الاول من ابريل ١٩٢٥ نماني التاني مدخبا في مجلة الاينين ، فكانت فرصة اختبر فيها اخلاقي ولكن كيف ان الدعاية فقت ان يمضي في جنازي احمد امين وذه حسين وعباس العقاد ، ان الدعاية فاسية ولكنها مردودة على ذلك المصائب الغريبة فما يجوز وهما ان يسميت هؤلاء الاساتذة يوم اموت فما انصفهم بقل مما انصفهم قلبي . اتنا اشتهي ان يموت هؤلاء الاساتذة قبلنا لارتيهم فاقول فيهم ما يجب ان يقال . ان هؤلاء الاساتذة كانوا البادئين بمخاضتي ، وضمازهم تشهد بذلك ، ولكني رايت من الجرمة الوطنية ان اغض من اقدارهم فيفسع على القراء زاد نفيس من ادب هؤلاء الرجال » ثم قال « اذا كان للموت ان يهدم جسمي يوما فهذا سيع ، وان كان الموت ان اراني ستعوت فذلك اكذوب من اطرف الاكاذيب فاراني ستسيطر على الناس الى اخر الزمان » . ويتصل بهذه الممارك والمساجلات ما يفهم من الصراع السياسي كان هو العامل الاول في هذه الممارك ولكنني اعتقد ان الخلاف بين المدرسين الفرنسية والانجليزية في الادب العربي المعاصر كان ايضا

من الفرق بين الرضا والقبض، والصدافة والخصومة، اما الرأي في ليايه فلا يتغير ولا يتناقص . انني كتبت عن الراهبي مرات ان له اسلوبا جزلا ، وان له صفحات من بلاغة الانشاء تسلكه في الطبقة الاولى من كتاب العربية المتشبين ، وقلت انني اكره عليه فلسفة البحث وصحة المنطق ودقة القياس، وحينما نوافينا على الودعة ، ولم نتفرق في الخصومة ، فهل كنت استطيع ان اوسع القضايا المنطقية التي كان يستكثر منها ويهمن في الاتكاء عليها ، فانا قد شهدت له بالبالغة الانشائية واكثر عليه الفلسفة المنطقية لانني استطيع ان اسلكه مع الجاحظ وعبدالعليم ولا استطيع ان اسلكه مع كانت وهيوم، وابن سينا. وقال العقاد «ان الخصومة الادبية لها مذهبان : مذهب الايمان بالفضل ، واخالفته من عهد ، ومذهب الرأي الذي يتفق عليه الاسدفاء والخصوم ، وان اختلفا في لجة الاداء وعجربة التشاء ».

ومن صور الانصاف في النقد يبدو المازني في موقفين : موقفه من عبدالرحمن شكري فانه بعد ان هاجمه في كتاب «الدويان» ١٩٢٢ عاد ١٩٢١ فاعتزل به بالفضل واعتترف على نفسه بالخطا ، وغير هذا موقفه من (شوقي) ومن «الراهبي».

فمن شوقي يقول المازني «لم يتغير رأيي في شعره ، ولكن احاسي هو الذي تغير ، والرأي لمرة النظر والتفكير والاحلام ، وعسير ان يتغير حالها ، والاحساس فلا شأن اخر ، لقد كانت لي مع شوقي في حياته مواقف ذهبت ودواعيها كلها ، والمروء في فترة العراة ، غيره بعد السكون والاستقرار ، والاراء والمذهب تقع بينها الحروب كما تقع بين الناس ، والحدة في الدعوة الى الرأي ، والعنف فسي التمهيد له ، والودعة من الاصلاح له ، وصداقة السيرة فيه ، لا من العداة الشخصي ، وما تنقطع حرب الاراء والمذهب في الدنيا ، والحياة لا تنفيق بشيء ، وفيها منسج لكل صالح وطالح ، وقد يكون من القرون ان لا يؤمن الا بآراءنا ومذاهبنا ، ومن العتة ان نحاول ان نمحق ما يخالف هذه الاراء ولا يسائر هذه المذاهب» لم يعمل السلي قوله «اولي الرغم من اكاننا لاستعقاف شعره هذه المنزلة ، ما زالت مرتبته في الشرف رقيقة سامية ».

اما مصطفى صادق الرافعي فقد كان المازني قد عرفت انما كان رأيي مدرسة الديوان في ادبه ، قال : «اعترف بان موت السيد الرافعي رجوتي وزاد اعصابي لقا ، فانا قد قرأت نعيه واجما ، طويل السهوم ، فاني التفت ، من مضجع القوي ، وقد عزا اهلي هذا لما يعرفون اني انطوي عليه من حبب لهذه الاسرة الكريمة ، ولا تكان ان لكل من يحل هذا الاسم حقا من فيض حيي المرحوم امين الراهبي ، وقد يكون اهلي على صواب ، ولكني لا ادري وعسى ان يكون الامر كما قالوا ، غير اني لا ازال مروجوا ، فمسير ان اهتدي الي علة هذه التورلة الضيقة ، ولم يكن السيد الرافعي من خلصائي ، وان كنت اعرف له قدره ، ولا ابغضه حقه ، ولكنه كان يزودي كلما شلى الى القاهرة ، فيفيض ساعة او نحوها ، في حديث متلفط بطول فيه الصمت ، وتكثر الاشارات ، ويقل اللفظ ، فقد كان رحمه الله قليل السمع ، فكان هو يتكلم ، فاذا احتجج الى الاجابة كتبت له انباء لعنا الصياح ، وفلما كان يدور بيننا بحث او يتصل حوار ، لهذا السبب ، ولكنني كنت اسر بلفظاته واشكر له حرصه على هذه الزيارة وافتح من الحديث بالاصفاء ، وكان رأيي فيه دائما ، انه اعلم اهل العربية بالعربية واوسع ادبائها اخلاعا على علوم الدين ، ولكنه كان لا يجيد غيرها ، ولا يستمد ادبها منها ، وانها لبحر زاهر ومحيط لا اعظم ، ولكن هناك بحورا اخرى ، ومحيطات لا عداد لها ، ومن هنا ضللت دائرته ، غير انه على هذا كان يارع الركني ، في هذه الحلية القديمة ، احسنتي لا يبالغ في قول ان له بين الثاره ما لا يرقى اليه قلم ، قديم او حديث ، وان له صفحات عديدة في كل كتاب يبلغ فيها ذروة البلاغة ، واحسب ان هذا شاته كلما ارسل نفسه على

السجية ، واجتنب التعمل ، واتقى الصنعة ، وكان ينيه ان سعة علمه باللغة تفريه ونقليه ، وان جومج خياله يشط به فيجيه الكلام ملتوبا معقدا ، والهامني بعيدة مستغرقة ، ويحبس القاري ، انه يتصب في استخلاص المراد ، والاهتداء الى القصد ، حتى قال عنه كاتب كبير لا داعي لذكر اسمه انه يكتب (بالرجل) ، قال هذا مزاحا ولكنه جاء مزحا مبطنا بالجد والصاب ، على ان هذا التقليد في مواضع كثيرة كان من فرط الفنى والخصب ، لا من القلق والجذب ، ولثراء رحيه ، كما للفاقة ، والخصب يكون افة ، كما يكون المحل . وقد كان رحمه الله متناهي الانشاج لا يكاد يلقى الفلم به يداه ويستريحه ، واحسب ان هذا هو الذي قلته ، فان لطاقة الجسم جدا ، ومن مزاياء انه كان جريئا ، وكان رجل كفاح ، يابى ان ينهزم ، ولا يزال يكر في الميدان على خصمه بكل ما تصل اليه يده من ضروب السلاح ، ولا يتعب ولا يتردد ، ولا يلقى القلم ، ولو قالت الدنيا كلها انه انهزم . ومثل هذه الطباع افرقت بالصف ، وتخرج المرء عن طوره ، وتنسيبه واجب القصد ، والاعتدال ، ونفقهه الاحساس بالتناسب ، ولكن عنقه في الجدل كان من فرط اعتداده بنفسه وقلته بقونه وافتائه برباعه . وكان يوصف في حياته بانه حجة العرب ، ولا شك في ذلك ، وقد ذهب في سبيل من غير ، ففي رسع من كانوا خصومه واوداهه على السواء ان يفروا له بحقه الصريح ، ان غير قليل من ادب الرافعي سيقى على الايام ما بقي للادب العربي ذكر ومقام ».

وعارض المازني تناول حياة الاديب الخاصة وهاجم توفيق الحكيم حين اعتد على بعض قصصه التي يكتبها بضمير المتكلم على انها تمثل حياة الخاصة فقال «انا لا اراي الى هذا التناول لحيوات الناس الخاصة ، وليس كونهم ادباء او مشهورين لسبب ما ، بمجيز في رأيي ان يجعل من حياته الخاصة واهوالهم الشخصية (معرضا) ، واذا كنت ادوي كثيرا مما كتب على لساني ، واوردته بضمير المتكلم ، فليس معنى هذا ان ما ارويته وقلتي وانما معناه اني ارايح الى هذا الاسلوب في النصة ، واذا عرفت اني على تمثل ما احوال وصفه وتصوره ، فليس فيصا ادوي شي شخصي .. »

ولم يخلو المازني في اكثر من مناسبة في المرحلة الاخيرة من حياته ان ينكر ادبه وشعره بالذات في المرحلة الاولى من حياته يقول عام ١٩٢٢ «اما اني شاعر او غير شاعر فاني اعرف بنفسي ، وصحيح اني حاولت في صدر ايامي ان اخفف من الم خاطري بالالحن ولكني عييت بالشعر وبرحت بي مطالبه ، وعزني ان لا اجد للمطابقة التي تستولي على نفسي ، في لفتة متفوتة منها في هذا التندق ، فتلفتت يدي يائسا ، لانني لم اشعر بالرضى بل شعرت شري ، ولم اجد به امرة واحدة ، تلك الروح والخلفة اللذين يجدهما المرء ان ينظم احصاءه ، فافرض ذلك بجسمي ونفسي جميعا ، وبقيت كالحامل الذي لا تدل فهي محتاجة الى الجراح ، واتني لا اتكلف ولا اناويع الا اخرج نفسي من عداد الشعراء فما يهون علي النفس ان مرعبا صاحبها من مزية او قفل ، ولكني راجعت شعري بيتا بيتا ، وعاما بعد عام ، وفستت الى ما كان في نفسي ، والى الشعراء كما امثله في خاطري والى شعر الشعراء من عرب وفرنجة ، فسخطت واذا ، ولعلني اذا ادرتني بي العمر سنوات اخرى اسقط على كل ما كتبت ايضا ».

وكما هجر المازني ميدان الشعر ، هجر ميدان النقد عام ١٩٢٧ ، وكان في نقده ساخرا ابلغ السخرية حتى دارت بينه وبينه له حسين منارة قول (النقد والطربوش) وما يتصل بذلك مما ذكره المازني في نقده لكتاب «النثر الفني» للدكتور زكي مبارك ، مما علا صفحة من البلاغ ، دون ان يقول كلمة واحدة عن الكتاب ، فهو قد اهدى اليه الكتاب وراء خفاه ، ومقصفا ، فارسله الى المجلد ليجلده ، حتى يستطيع ان يقرأ ويحمله ، وناخر المجلد ، واستخذه مبارك فسي الكتابة ، وناخر المجلد من ارسال الكتاب ، ثم هو تحت ضغط الحاج

ذكرى نجيب الريحاني

القصيدة التي ألقيت في الشهر الماضي بمرح الريحاني احتفالاً بذكره السابعة عشرة

بلغ السخر من الدنيا مداه !
ما الذي أبكاه ؟ قل لي : ما دهاه ؟
لحظة ، حتى استهات دمتاه
آه من صرف الليالي ، ثم آه !

رقدة الليل ، ولا طيب كراه
كنت والله ضياء في دجاء
يمزج الدهر مع السعد شقاء
لا يتم الشيء الا جانباه
ونعيم العيش يبدو في أساه
وترينا كل ما كنت تراه
بالفا في كل دور منتهاه
حينما مثلت طفيان الطفاه
حينما يشتد بالنظم اذاه
ونرى الحزن ابتساما في الشفاء
أمل القيش ، وروثها بداه
نفحات ، هن من صوت الاله

هي كاسي يتعاطاها السقاء
فلماذا الخوف مما قد عداه ؟
قيد بلقيش ، فيه في الفن ذراه
كامل العدة ، موفور الاداه
تلتقي اخشابه وقع خطاه
تلتقي الاكوان فيه ، والحياء

هو صوت الكون او رجع صداه
روعة الفن واطياف رؤاه

محمد عبدالفني حسن

ايها الساخر من تلك الحياه
ذلك القلب الذي اضحكته
لم يكد يطفّر في فرحته
آه من فعل العشيات بنا

ايها الراقد ! ما عودتنا
كنت فيه ومضة بارقة
تمزج الجسد بهزل ، مثلما
ليس يكفي جانب من مشهد
ماتم الايام ، في اعراسها
تنقل الدنيا على حالاتها
لاسا في كل حال ثوبها
فنرى الرحمة قد مثلتها
ونرى العدل على اكمله
ونرى في كل ضيق فرجا
ونسرى الامسا نقرهنا
ونرى الصوت الذي يوحشنا

ايها المضحكنا ، ايكنينا
قد شبعنا املي ضحكا عاليا
انت في فنبيك صرح شهابك
فيلسوف ساخر مقتدر
لو تراه لم تقل في مسرح
انه كان اصيلا ، مبدعا

انما المسرح فن زاخر
في الماسي والملاهي تلتقي

القاهرة

الحلقات الاخرى ، فما موقف المازني من شوقي ، الا رد على موقف العقاد منه ، وما كلمة المازني عن الراجحي الا (مكره) موجهة الى العقاد ، وما رأى واحد من هؤلاء في كاتب ، الا مواجهة لكاتب اخر ، فهي حلبة رياضة كبرى ، تجري الكرة فيها من قدم الى قدم ، تظهر شيئا وتخفي شيئا ، وهي صراع وجدل ، وسخرية وهجاء ، وتبادل للانهامات والاراء ، يدل على مدى خصوصية الحياة الادبية ، وتعارضها في نفس الوقت ، فما هناك وحدة فكر ، وما هناك خطوط عامة يلتقي عليها الابداء ، وانما هي حركات يد ورجل تنفذ بالكرة شمالا ويمينا ، فيها طرافة وتسليية وفيها بحث عن الشخصية ، وعن النفس ، ومحاولة لوضع (الاساس) للفكر العربي المعاصر .

انور الجندى

القاهرة

الدكتور مبارك ينهب بنفسه الى مكان المجلد في احدى الاذقة ، ويركب الترام ، ثم يسقط المظ ، ويتوحد قدمه ، ويسقط طربوشه في المظ ، ثم لا يتوقف عن الذهاب الى المجلد فيجد انه لم يتم بعد تجليد الكتاب .. وهكذا يسخر المازني من المؤلف والقراء وكل شيء غير انه لم يلبث ان ضاق صدره بالمؤلفين وبالتنقد فاعتزله للتنقد . قال (كففت عن النقد لاني اردت ان اريح نفسي من عناء باطل.. . واذا كان الناس لا يرضون الا عن المدح بالحق او بالباطل فما قيمة النقد ، ولم لا اريح نفسي واربهم وارفع ما احب . فلما انصرفت عن النقد صار اصحاب الكتب يعدلون بها عني فاستشهد واحد الله ، وقلت لنفسي : لساذا ينظرني الناس ان اتناول كتبهم ولا اراني انتظر من احد ان يكتب عما اخرجهم حين اخرج كتابا ، اتري هذا عملي وانما لا ادري ..

وبعد فان بعض حلقات هذه المعارك ترسم الرد على تساؤلات

ضوء احمر ، بخور هندي وموسيقى كلاسيكية ... جوه لا يتغير ! اغلق بابك وركل بصرامة الجندي الاشوري عادات الناس وتقاليدهم ، وتلاشى في ضوئه وبخوره وموسيقاه . كثيرة هي العلامات الفارقة في سجله فان لقيه الصغار صاحوا هذا هو !! وان رآه الكبار نظروا اليه وتهامسوا فيما بينهم ! انهم يعرفون غرابية اطواره وفلسفته في الحياة والا لماذا يمشي وحيدا بين ضوء احمر وبخور هندي وموسيقى كلاسيكية ؟ !

كان يضحك من نفسه ومن الناس ان جمعته الصدفة وجالس بعضهم في بيوت اصدقائه الثلاثة ...

الم يتخاصم مرة مع سيده في بيت صديقه الاديب وقد اعترضته نوبة من الضحك عندما كانت تتكلم ! وصديقه الناقد كم توسل اليه ان يخفف من ثورته على رجل « كربه » على حد تعبيره ، جلس قبالة على الطاولة في احدى السهرات .

الاطفال احب شيء الى نفسه .. فكم شاركهم لعبهم ولهوهم وتوسد اسرهم ذات الحواجز وشاهد معهم ثياب العيد في بيت صديقه الشاعر .. هم دنياه كان اذا شاهدتهم في الطريق

اندس بينهم ولاطفهم واشترى لهم الالعاب والحلوى . « هؤلاء الصغار يزبنون الحياة ، انهم خامة بيضاء لم يلوئها زرف الناس بعد . عيونهم بريئة لا تتغير مع كل رقة جفن .. ما قصد مرة الى المدينة ، وكان يعيش في احدى الضواحي ، الا وتخاصم مع سواي السرفيس او تجار الحوانيت التي يشتري منها قوته . فيرجع الى صومعته والترف يتبع في نفسه «ناس كربيون ، لا يمكن البقاء بينهم » ويتوقع فوق الواهة يصب فيها النعمة ويشوه بها الوجوه . كان لا يفقه معنى لوجوده فهو لم يتجانس حتى مع ابويه واخوته . ضجت الثورة في نفسه قبل ان تضج فيه رجولته ، فترك بيته الوالدي وتشرذر ولما نزل

في الثالثة عشرة من عمره . لم يستطع يوما ان يحب امه لتصبحها الدائم له ولسعيها كي تقربه من اصطلاحات البشر . « هؤلاء البشر الذين يدايون نهارا وليلا لجمع القروش ، فالحياة عندهم سواء في الشتاء والصيف والخريف والربيع . يسبحون في البحر بعموم على سطحه ، يبتددون في مائه دون ان يفوصوا مرة واحدة في اعماقه . يدبرون اسطوانات الموسيقى فيرقون ويهزجون دون مبالاة لتفهم التجربة التي عاها الفنان . يشمون الازهار ثم يدوسونها كأنها لم تزين يوما صدورهم او تعطر بيوتهم . مساكين ! حياتهم فارغة راسهم فارغ جويهم ملأى وعيونهم جالعة .



يسكنون القصور محاطين بالخدم ومشيعين بالحرس ، يمتطون افخم السيارات يؤمنون فسادك الدرجة الاولى يعيشون للبدخ والترف والملاذات وفي الليالي العالكة عندما تطبق اجفانهم الاغشاء الطويلة لا يبقى منهم دليل على وجودهم . « اعصابه تتمرغ بالنعمة ويحس الانتهاب في صدره ، فتجمد يده على القمامة وتتراقص امام عينيه الف صورة وصورة تارة حراء وتارة صفراء . « آه هم للاحقوني الى البيت هؤلاء البشر الكربيون انسا



لست منكم اني ابصق عليكم !» وياخذ سكينا للرسم امامه يطلن بها الصور المتلاحقة بضراوة وبغض عينيه بكتلتا يديه . ان منظر الدم يربيه ، نفسه لا تتحمل رؤية القتلى ... ويترك الى حيث يرتفع صوت الموسيقى الى الغرفة الثانية ، فيزيد ارتفاع الصوت ... وكشبح لولي صاعد من حريق كبير اخذ يرتص ويتعالى ويرفع يديه قافزا في الهواء وهابطا الى الارض حتى خارت قواه وتبست حنجرتة فانطبع على الارض واخذ يحرف الى الباب يفتحه ليري من يتجرا على ازعاجه وهو في غمرة من النشوة ... طوابير الصور التي مزقتها اصطفت جميعها على سفرة الدرج ... «جنون ... لا تقيم للناس وزنا ولا تحب للتقاليد حسابا » . الحي كله استجار زاحفا اليه . الارامل الثلاث اللواتي يكن في الطابق الاسفل خرجن يشتمنه ويدمغنه بالنعوت القاسية . ارادوا جره الى السجن ... ولكن « لا فالسجن ليس بارهب من صومعته » ، لم ينس بحرف ... شفتاه مخدوران ملتصقتان وقلبه ينفض بشدة واغلق بابك وغرق في نشيجه ودموعه . لقد اخترقت طعناته احب لوحاته الى نفسه . وافاق وفي جوه الذي لا يتغير ابدا ضوء احمر - بخور هندي وموسيقى كلاسيكية . وكالبركان الذي قذف بكل حممه بل كالمدينة المهمة بعد غارة مدمرة ، استفاق في الصباح . كان هدوده اكثر من العادة . لقد ثلاثت من نفسه كراهية البشر انه يتمتع بصفاء غريب . « اني سعيد اليوم ! اشعر براحة عجيبة .. »

خرج الى الشرفة وكان الفجر لا يزال متسرلا ببلاة رمادية شفافة . « ما اجمل الطبيعة . الهواء منمش بارد . الاغصان تهزج فتحدث خشيشا لطيفا . واسراب العصفائر راحت تترك مضاجعها لتعتلني منابرها على رؤوس الاشجار وتبدأ بالرقرفة .

مبهات

✱

وغبت وكان لقانا الحنايا
لن يتغير في شقايا
غمرتكم ام ضم وهمي هوايا
الواعيد حتى شجنتك رؤيا
النداءات بح بها مرتجايا
واصحو الى ما يكي هنايا
جديد فخليك لي منتهايا

جودج رجي

اضعتك ام ضعفتني مئايا
يشاغلتني انني ان فقدت
وان الوصال سواء بوجدي
معذبتي هل تبيل سحر
وكيف لرجعك ان لا يلف
ويا هدائي حين يطو ضياعي
اريد اذا ما انيتا بعمر

هوذا بائع الحليب يقود شزيمة من
قطيعه متجولا بين البيوت ليوزع
الحليب الطازج . وذلك الرجل الذي
اعتمر فرشا من الكمك الاسمر
الساخن وقف في ساحة القرية يبيع
الصفار الدوائى المعطرة بالزعر ،
« ليتنى املك هذا الفرش فاوزع
الكمك على هؤلاء الصفار بلا تمن .
يكفينى ان ارى بريق عيونهم والفرحة
المتسللة الى قلوبهم . آه ليتنى
تزوجت لكنت اليوم ابا لعدة اطفال .
هؤلاء الباعة التجار ما اكهم ...
لم يفكروا مرة ان يمنحوا هدية
لطفل . كم من مرة خدعوه قُبضوا
منه الثمن مضاعفا ، او حرموه الكمك
الساخن لان دراهمه لا تكفى فاعادوها
اليه وحملوا بضاعتهم وانطلقوا
ينادون تبيعهم نظرات لاهقة وقارب
متلثة . »

الكلاسيكية » .

ساحة القرية امتلأت بالناس ،
كل يتجه حيث يعمل . ووصل العمال
الذين يشتغلون في بناء ناطحة سحاب
بالقرب من بيته تجمعوا وكل منهم
يتأبط صرة بيضاء ، « كانت تحوي
اكثر من طعام - اكثر من زاد . انيا
سر الايدي الناعمة والقلوب المحبة
ترافقهم الى عملهم وتخفف عناءهم
كما تسعد جوعهم عندما يعودون الى
بيوتهم ... » انا ! انا الوحيد
الشريد الذي لم انعم بجو العائلة ،
لم تسمح جبهتي يد ناعمة . لم
اتحس يوما دفء العاطفة ودعوتها
المتفرقة ... تبأ له من شخص كربه
والد خطيبي ... اين انت الان يا
فتاتي - يا اول حب في قلبي ! ابوك
التاجر لا يعرف سوى عد الغنائيم
« دنباره تركي لا يتبدل » ، ابوك لم
يفهمني لم يتعرف الى خفايا شخصي
- ارادني كالناس تاجرا متلابا اربح
الالوف واضيع نفسي - ابني بيتي
على انقاض انسانيتي واطلبه برماد
غيري ... لم يرش بزواجي منك .
لقد اخافوه مني ... اتهمني بالضياع
والجنون عندما عرف بالضوء الاحمر
والبخور الهندي والموسيقى

ان يحيا معي حتى الفناء التي احببت
... ان جوي مشحون بالتوتر
والقلق ونفسي يخنقها الضجر ...
مند زمن لم ار اهلي - خطيبي
قيعت في بيتها وتجاهلت حتى
اسمي - اسدقائي القليلون بدأوا
يشخون عني ... »

واحس بالتخاذل امام هذا الضياع .
لقد هدمت قواه هذه الخيبة فالتخت
نفسه باعمق الجراح . نسي وجوده
فتناثر كتف من الغيم وراء افق
رمادي توشحه خطوط حمراء .
استفاق هذه المرة من غيبوبته بنواح
خافت ... بلهب نفسه بالندم
ويهددها بالخان والشفقة . احس
بالسعادة تتغلغل في اعماقه بعد
تلاشيه وذوبانه ... وانثقت فيه
طاقات جديدة اعادت اليه الرغبة
بالحياة وغمرته بالتفاؤل . الشمس
تسطع - والمصافير تفرق والهدوء
يخيم حول بيته كم هو سعيد بهذه
الوحدة ... ومسح عن خديه دموع
النبطة وانحنى فوق قماشته يؤنسه
الضوء الاحمر والبخور الهندي
والموسيقى الكلاسيكية ...

اديل الخشن

« وانت يا ابنة قريتي الوادعة التي
يجوج في عينيك صفاتها ، هلا نيت
حبنا ولتاءاتنا فاذعنيت لمسيئة
أبك . عيروك بالخاتم الذي قدمته
لك لانه لم يكن من اللؤلؤ الحقيقي
قامت بهم وكفرت بحبي . لم تبيعي
بالعقيق المبرق على الخاضعات
فنبذتني وتكرت لي !! وذلك الدفتر
كيف نسينته وحروفه تلهث بنبغات
قلبك وقلبي . » كفرت بالمرأة ،
كفرت بالحب والقيم ... لقد تساوت
شعور الانسانية في نفسي كل شيء
فاسد كربه انا لست مع الناس في
شيء . سامحو اسمي من دفتر
السجلات وامزق هويتي واضرب في
بقاع الارض على ظهر احدى البواخر .
تكرة اطوف الصحارى والادغال
واهيم وحيدا شريرا لا انتهي الى
اخوة ولا يحزن لفراقى اهل « .
« انا نفسي لا افهم نفسي . لا ادرك مدى
هذا القلق والتزعزع ، لماذا استيقظ
في الصباح سعيدا مزهوا واتوسد
فراشي والحمد يشيع في نفسي
والكراهية تطفو على فمي . وحدتي
هي سبب شقائي ... زواجسي
مستحيل ... ما من احد يسهل عليه

طبقة الفهماء

بقلم حسن الكرمي

من «العودة الوثقى» في لندن

لو سألت احدا من اصدقائك او من سواهم : ما هو العقل ؟ او ما هي الفضيلة ؟ او ما هو الحق ؟ او ... او ... الى آخره ، لكان هذا المسؤل احد اثنين : اما انه يتسم ، علامة على سخف هذا السؤال ، اذ ، في رايه ، من لا يعرف العقل او الفضيلة او الحق ... ؟ واما ان يحاول ان يضع لك تعريفا بحسب ما يرى . ولما تجد احدا يقول لك : لا ادري ، لان هذه الامور المسؤل عنها امور متداولة على اللسان سائرة في مفهومات الناس بحيث ان السؤال عنها من قبل تحصيل الحاصل اذ ليس المسؤل باعلم من السائل - وهكذا .

ولكن الكلام جدي - ما هو العقل ؟ يقول العرب كعادتهم في استعمال التفسيرات اللغوية : العقل مشتق من العقل وهو الربط والاحكام ، كما قال بعض الحكماء : اذ عقلك عقلك عما لا ينبغي فانت عاقل . وقيل ان العقل مأخوذ من مقال البعير يمنع ذوي العقول من المدول عن سواء السبيل . واختلف العرب في التفريق بين العقل والنفس الناطقة . ففي «التعريفات» العقل هو مجرد عن المادة في ذاته مقارن لها في فعله ، وهي النفس الناطقة التي يشير اليها كل احد بقوله : انا . وقيل خلاف ذلك : العقل قوة للنفس الناطقة . ومعنى ذلك ان القوة العاقلة امر مفاهيم للنفس الناطقة ، وان الفاعل في التحقيق هو النفس ، والعقل آلة لها بمنزلة السكين بالنسبة الى القاطع ، وقيل خلاف ذلك : العقل والنفس والذهن واحدة ، الا انها سميت عقلا لكونها مدركة ، وسميت نفسا لكونها متصرفة ، وسميت ذهنا لكونها مستعدة للادراك . اما تعريف «القاموس» للعقل فهو مثال على التعريفات التي لا تؤدي الى نتيجة حاسمة كالقول المركب الغير المفيد ، فهو يقول : - «العقل هو العلم او (العلم) بصفات الاشياء من حسنها وقبحها وكماها وتقصاها ، او العلم بخير الخيرين او شر الشرين ، او مطلق لامور ، او لقوة يكون بها التمييز بين القبح والحسن ، ولما من مجتمعة في الذهن يكون بمقدات يستتب بها الاغراض والمصالح ، ولهيئة محدودة للانسان في حركاته وكلامه .» وقد يحسن هنا بالقارئ الكريم ان يسأل نفسه ماذا فهم من هذا التعريف الطويل؟ ومن اراد الزيادة من ذلك فليرجع الى كتاب عن المصطلحات الفنية عند

المسلمين نشر في الهند سنة ١٨٦٠ وحرره المولوي عبد الحق والمولوي غلام قادر . ولكن الزيادة من ذلك تؤدي الى الدخول في موضوعات شائكة ومأزق ضيقة لا يزال العلماء في الغرب والشرق على السواء يعانون من عقباتها ومشاقها . ولعل القارئ الكريم يذكر شيئا مما قلناه سابقا عن انفصال العقل عن الجسم في رأي ديكارت وعن سعي لايبنتز للجمع بينهما . ولعله يذكر بهذه المناسبة قول هيكل ان كل شيء في هذا الكون اساسه العقل ، وكذلك قول باركلي من ان العقل هو الموجد للاشياء وليس لهذه الاشياء من وجود مادي خارج العقل . ولعله يذكر ما هو اهم من ذلك وهو فكرة الماديين وعلى رأسهم في الوقت الحاضر الماركسيون الذين يقولون ان المادة هي اساس العقل وان الدماغ هو اداة العقل .

ومهما اختلفت الفلاسفة والعلماء في حقيقة العقل وفي علاقته بالجسم ، فان الامر الذي لا مراء فيه ان العقل شيء نشعر بوجوده ونشعر باننا نستعمله احيانا عند التفكير . فبأي شيء نعرفه ؟ ولكن قيل ان اتقدم على التعريف يجب ان نفهم اولا ماذا نعني بكلمة (العقل) ، لان هذه الكلمة ، اذا اريدت ترجمتها الى اللغة الانكليزية مثلا فانها تعني واحدا من اربعة اشياء : الاول Mind والثاني Reason ، والثالث Intellect والرابع Intelligence واكثر الترجمات للفلسفة الاسلامية ، كفسلفة ابن سينا مثلا يترجمون العقل اما بكلمة Intellect واما يترجمونه بكلمة Intelligence . وتعني كلمة (العقل) في الاستعمال العربي ايضا اما Mind واما Reason . ولنتترك الان الكلامين الاولين ولننصرف فقط الى Mind و Reason فالتعريف الفلسفي المعروف الان هو ان العقل بمعنى Mind هو جوهر ميتافيزيقي تشترك فيه جميع العقول وبه يتميز عن المادة او الجوهر المادي . وعلى هذا فان العقل بهذا المعنى له مفهوم عام ، بخلاف النفس التي لها مفهوم خاص بالانسان المعين دون غيره . والعقل بهذا المعنى خلاف المادة ، كما ان النفس خلاف الجسم . فالعقل هو النفس اذا نظرنا الى النفس نظرة تجريدية عامة دون تخصيص بشخص معين ، والنفس هي العقل اذا خصصنا العقل بشخص معين . ومعنى Mind في الاصل في الانكليزية مشتق من معنى القصد او الارادة ، في حين ان معنى النفس مشتق من القول او الكلام . فالارادة هنا هي العلامة الفارقة للعقل ، والكلام هي العلامة الفارقة للنفس .

اما كلمة Reason فقد عرف مدلولها في السابق تعاريف مختلفة . منها انه ملكة الفهم ، يتميز بها الانسان عن الحيوان . فانسانا يعرف وبفهم ولكن الحيوان يعرف ولا يفهم . ومنها انه الملكة التي تعتبر الصفات بالانفصال عن الموصوفات او انه القوة التي تكون الافكار العمومية وتستعمل اسماء الماني والعبارات التجريدية ، او تميز

بين الأشياء في اختلافها أو في تماثلها ، أو تنتزع الاستدلالات . ومنها القوة القادرة على السير من المقدمات إلى النتائج والحكم على الأشياء والحاكمة العقلية لمعرفة الحق من الباطل أو الصدق من الكذب . ومنها أيضا انه القوة العاقلة بصورة عامة التي تختلف عن ملكات المعرفة الأخرى كالإحساس والتخيل والذاكرة . فالعقل هنا هو بمعنى العقل المنطقي بصورة عامة ، ومن مميزاته انه يستخدم التحليل والاستنتاج والاستقراء ويكون مستعدا دائما لاكتشاف العلاقات بين الأشياء أو بين الأفكار ، على أساس الحقائق الثابتة دون الاستناد على أشياء لم تثبت صحتها بالواقع . فنحن نستعمل كلمة (العقل) في هذا المقال بهذا المعنى ، وهو قريب من معنى الكلمة الانكليزية Rationality أو الكلمة Rationalism والكلمة الثانية أي Rationalism التي سارفت الكلام إليها ، بالنظر الى أهميتها التاريخية وبالنظر الى الصلة الوثيقة بينها وبين Reason لان الكلمتين من اصل واحد لاتيني وهو Ratio التي هي من Reor وهي التفكير . وأقرب ترجمة في رأيي لكلمة Rationalism هي «مذهب تحكيم العقل» . فما هو هذا المذهب وما معناه وكيف نشأ ؟ يقولون في بعض الأحيان ان «الاعتزال» الذي ظهر في الاسلام هو «مذهب تحكيم العقل» الذي ظهر في أوروبا . ولا نريد الآن ان نقاسي أو نقابل بين المذهبين ، لان الفرض هو عرض صورة تاريخية موجودة عن ظهور هذه الحركة في أوروبا ، وأعني حركة الابتعاد عن الإيمان بالمنقول والاقبال على الإيمان بالمعقول . ويرجع تاريخها الى أيام الإغريق القدماء ، منذ منتصف القرن الخامس قبل الميلاد ابتداء من الفيلسوف بارمنديس واتباعه من بعده ، ثم الى فيثاغورس وأفلاطون وأرسطو ، ثم الى الافلاطونية الجديدة وآخرها الى المذهب المثالي Idealism وتوابع هذا المذهب الاعتماد على العقل المنطقي في التفكير وفي محاكمة الآراء والمعلومات للوصول الى نتيجة منطقية . ويتضمن ذلك بطبيعة الحال نهج التعصب والعناد وكبت العاطفة وإهمال الترجيحات والتخربات والتفانيات وعدم الأخذ بالأقوال والمعتقدات التي لا يقوم على صحتها أي برهان ، مع الاستعداد لقبول هذه الأقوال والمعتقدات اذا ثبتت صحتها بالدليل العقلي . وإذا نظرنا الى ان المجهود الفكري البشري كان موزعا بين معرفة هذا العالم من جهة (وهي التي نسميها بالعلم الطبيعي) ومعرفة الخالق لهذا العالم والتفكير في صفاته وتقديراته (وهي الدين) وجدنا ان تحكيم العقل انشطر الى شطرين : شطر يعمل مع العلم وشطر يعمل مع الدين . فالشطرن العلمي مفهوم لا يحتاج الى كبير تفسير ، ولكن الشطر الديني توسع حتى شمل ميادين أخرى كالتاريخ وعلم الاجتماع وعلم الأخلاق وغير ذلك . ومما يجدر ذكره في هذه المناسبة ان العقل في القرون الوسطى ، كما ذكرنا ذلك مثلا ، كان أداة

يستعين بها الفلاسفة عموما ورجال الدين خصوصا لتدعيم الدين ، كما جرى عند علماء الكلام عند المسلمين . وبقي هذا التعاون قرونا عديدة الى ان اخذ الشك يتطرق في أوروبا الى حقيقة الإيمان وإلى صحة الأديان . وقد يجد القارئ لكتاب «تاريخ حرية الفكر» مؤلفه بيوري Bury صورة موجزة لتطور حركة تحكيم العقل من الناحية الدينية بصورة خاصة وذلك من الوقوف على عناوين الفصول في الكتاب . وهذه الفصول مرتبة بهذا الترتيب : العقل الحر عند الإغريق والرومان ، العقل السجين في القرون الوسطى ، ظهور التسامح الديني ، نمو حركة تحكيم العقل ، تقدم حركة تحكيم العقل ، تبرير حرية الفكر . والكتاب المذكور يهتم بحركة تحكيم العقل من الناحية الدينية أولا ، ثم من النواحي الأخرى . ويفرق المؤلف بين تحكيم العقل وحرية الفكر ، فيرى ان تحكيم العقل خاص بالميدان الديني ، في حين ان حرية الفكر اعم من ذلك ، ولكنها متصلة اتصالا وثيقا بالنزاع مع الدين . ومن اعظم الفروق بين العقل والسلطة ، في رأي المؤلف ، ان العقل ليس له الا سلاح الحجة والجدل الذي لا يضر بالعقل ولا بالجسم في حين ان السلطة لا سلاح لها الا القهر والنفوذ والاضطهاد والتبذ وما الى ذلك . وهو يرى ايضا ان الاضطهاد الذي كان يضطهد به العقل والمثقف على ايدي اصحاب السلطة الدينية والزمنية من قبل لا يزال قائما في هذه الأيام ، ويدل على قيامه الاستهانة التي يتبعها بها في الوقت الحاضر رجال الفكر والمثقفاء ، حتى ان كلمة (الفكر) أصبحت في كثير من البلاد صيغة مهينة وبهينة .

وفي كتاب بوبر Popper عن المجتمع الحر واعدائه تعريف مفصل عن معنى تحكيم العقل ومعنى عدم تحكيم العقل . وتعريفه لتحكيم العقل واسع يشمل التفكير على نطاق واسع والملاحظة والتجربة على نطاق اضييق من ذلك ، بالتعريف من هذه الناحية شبيه بما يقوم عليه العلم النظامي من مشاهدة وتجربة ومن تفكير ايضا . وتحكيم العقل عنده معناه اللجوء الى العقل لحل ما يمكن حله من معضلات عديدة ، أي باللجوء الى الفكر الجرد والتجربة دون اللجوء الى الانفعالات والأهواء . ويمكن ان يقال بناء على ذلك ان تحكيم العقل هو الاستعداد للاستماع الى الحجج الانتقادية والتعلم من الاختبار ، او هو الاقرار بإمكان خطأ رأيك وصحة رأي خصمك ، بحيث انك تكون مستعدا مع خصمك للوصول الى رأي يكون اقرب الى الحقيقة . وهذا يعني ضمنا ان بهذا الموقف المعقول وبالحجة والاختبار يمكن الناس ان يصلوا الى اتفاق فيما بينهم حول كثير من مشكلاتهم المهمة . وهذا التعاون بين الناس في تحكيم العقل فيما بينهم شبيه بالتعاون في الميدان العلمي . وليس المهم في هذا التعاون الأشخاص المتعاونين ، وإنما المهم هو الحجج والبراهين العقلية التي يقدمونها ويدلون

بها ، ونتائج الاختبارات العلمية التي يحصلون عليها .
 فالفرد هنا أقل قيمة في هذا التعاون الاجتماعي ، لأن
 العقل الذي يستعمله واللغة التي يستعملها هي من نتاج
 المجتمع . وهذا يطابق آراء الفيلسوف الألماني هيكل
 وأتباعه الذين يقولون أن روح المجتمع هي التي تسيطر
 المجتمع وتكيف أفكار الأفراد واتجاهاتهم ضمن حدود
 معينة وفي نطاق تلك الروح ، فلما كان العقل من نتاج
 المجتمع ، فالمجتمع هو كل شيء والفرد لا شيء . وهذه
 نظرية يوافق عليها الذين يقدمون المجتمع على الأفراد
 كالماركسيين مثلا ، ولا يوافق عليها الذين يؤمنون بقيمة
 الفرد وأفضليته بالنسبة الى المجتمع . ولكن فكرة التعاون
 بين الناس في تحكيم العقل للوصول الى حل المضلات
 معناها من جهة أخرى تبادل الانتقاد وتناقل الآراء بحرية
 وبدون تعصب ، بدون أن يكون لأحد من الأفراد افضلية
 على غيره على أساس الادعاء بأن عقله هو أرشد وأصوب
 من عقولهم ، ولذلك فإنه يحكم هذا التفوق العقلي يصح
 له أن يميل عليهم ويجدر بهم أن يطيعوه . كان هذا الادعاء
 يكون في أيام السحر والوثنية وعبادة الأشخاص ، أو على
 رأي افلاطون الذي كان يعتقد بوجود أشخاص ممتازوا من
 راعي بقوة العقل ، وبذلك جعل لهم السلطة على من
 سواهم ، وجعلهم يحكم هذه الميرة المزعومة أسبادا على
 غيرهم . ومن هنا اختلف سقراط عن افلاطون ، فبينما
 كان افلاطون يقول بوجود عقلية فائقة لا يتمتع بها إلا الآلهة
 وعدد محدود من الأشخاص كان سقراط يؤمن بمحدودية
 العقل البشري وبأن كل انسان محتاج الى المشاركة
 العقلية مع غيره حتى يكون الوصول الى الحقيقة العقلية
 هذا الأساس كانت فكرة الجدل والمحااجة المعروفة .
 فتحكيم العقل عن طريق التعاون مع مقول الغير يسميه
 «بوبر» بتحكيم العقل الصادق ، وتحكيم العقل استبدادا
 بالرأي كما هو الحال مع افلاطون يسميه بتحكيم العقل
 الكاذب .

ويوجد موقف مناف لموقف تحكيم العقل تماما وهو
 عدم تحكيم العقل ، بل والتنكر له . وأساس هذا الموقف
 العكسي أن الانسان على الغالب غير راشد ولا يحكم عقله،
 كما هي طبيعته البشرية . فهو وسط بين الانسان الراشد
 والعقل وبين الحيوان . وهو يفكر ، ولكنه تحت رحمة
 أهوائه وعواطفه حتى انه اذا فكر كالعالم مثلا فإنه لا يفكر
 الا مدفوعا بشهواته ورغباته . واذا توصل الى رأي او
 حقيقة فهو يصل اليها عن طريق الالهام والبصيرة
 الداخلية ، أكثر من أن يصل اليها عن طريق التسدري
 وتحكيم العقل . والمثال على ذلك ان الفنانين والشعراء ،
 وهم اصحاب الابداع ، ليسوا من اصحاب تحكيم العقل
 هؤلاء يعتمدون على الحس الباطني والالهام الروحي فقط .
 والسؤال عن الانسان هل هو عاقل بمعنى الكلمة او نصف
 عاقل او غير عاقل سؤال اشغل الافكار قرونا طويلة ، ولا

يزال يشغله حتى الان . وقد نجم النزاع بصورة فعلية
 بين مذهب تحكيم العقل ومذهب عدم تحكيم العقل في
 القرون الوسطى لأول مرة ، حينما كان كلام الكتب السماوية
 يقدم على كل شيء ويعد بأنه القول الفصل في جميع
 الامور وافق العقل عليها ام لم يوافق . ومن الطريف
 ان الذين كانوا يحامون عن الدين والكتب السماوية كانوا
 يلجأون الى تحكيم العقل واستعمال المنطق ، كما هو جار
 الان مع برنر Brunner الكاتب الديني الألماني المشهور . ثم
 تناهت العصور منذ العصر السادس عشر ، وتتابع معها
 نمو الحركة الفكرية على أساس تحكيم العقل في جميع
 الميادين حتى في ميدان الدين .

ويجدر بنا هنا أن نقف قليلا لنلقي نظرة على قيام
 حركة تحكيم العقل والاسباب التي دعت الى قيامها في
 أوروبا . ولا يخفى ان حركة تحكيم العقل وكذلك حركة
 التحرر الفكري كانتا في الاصل موجّهتين ضد السلطان
 الديني ، قبل أن توجها الى شيء آخر ، حتى ان كلمة
 Rationalist بمعنى صاحب المقول او الذي يحكم العقل
 وضعت واستعملت بعد وضعها للدلالة على الشخص
 المنحرف عن سواء السبيل في الدين . وقد استعملت
 كلمات أخرى للدلالة على الحركة التحررية الجديدة ،
 وهي حركة لا يدري ، اذا كانت هي نتيجة للحركة العلمية
 الجديدة ام ان الحركتين هما نتيجة تخمض فكري عام .
 ومن اطراف هذه الكلمات من حيث تاريخ تطورها كلمة
 Libertine . فقد اطلقت هذه الكلمة في الاصل على
 جماعة ظهرت في هولندا قرب منتصف القرن السادس
 عشر الميلادي ، التي كانت تتكون بجماعة الفريزر او الكويكرز من
 حيث اعتقادها بأن دليل الانسان هو نور داخلي في نفسه
 يهديه الى الطريق المستقيم وليس له حاجة بقوانين
 خارجية دينية وغير دينية . واضطهد هؤلاء في هولندا
 فهاجروا منها الى سويسرا ، وهناك وقعوا تحت نفقة
 كالفن Calvin المصلح الديني المعروف فاطلق عليهم كلمة
 Libertine بمعنى المتحرر ، واضطهدهم هو وجماعته حتى
 انتقلوا الى فرنسا ، وهناك انتشرت كلمة Libertine هذه
 وأصبحت علما لاصحاب الفكر الحر ولطبقة من الشعراء
 الفرنسيين . ولكن لما كان افراد هذه الجماعة المتحررة من
 السلطان الديني متحررين من القيود الاخلاقية ايضا ، فقد
 اخذت الكلمة تدريجيا تنحو نحو الإباحية وصارت مرادفة
 لكلمة (اباحي) .

ولم يكن اصحاب الفكر الحر في بادئ الامر يجراون
 على الظهور بظهر الانشقاق والزندقة واللاحاد ، بل كانوا
 يلجأون الى التنسّر والمدايرة في اقوالهم وكتاباتهم حتى
 لا يصيبهم ضرر من نفقة السلطات القائمة . ومن أشهر
 هؤلاء المستترين الكاتب الفرنسي المشهور مونتيني (١٥٣٣ -
 ١٥٩٢) . فقد كان في كتاباته يبالغ في وصف الشيء
 الذي يريد ان يهاجمه الى ان يصل في هذه المبالغة الى

الحلم المزهـر

سوى بسمه من فم يقرر
تمنى لها القلب لو تثر
اليه شفاه له تمصر !
فنى ، زناقه ، السمر
النسيم ، ، فما ابتدل الاحمر
الصبيا من السحر او تصفر
غواها ، لها الحلم المزهـر
على هز اعطافها العنبر !
ترامت على ثفرها تسكر
وفي خصرها الوتر الاخضر .
يحن ، وكـم ادمع المزهـر !
رباب ، وعين الهوى أبصر
فتاهت على حلمها الازهر

موسى الملوـف

حلمت بها آن ... لا أذكر
تدلت عليه مجامر نور
وبوح من الطيب كالخمر تهفو
وقفت أسائل عنها الريح
وورد الضفاف تحلى لمرس
لجنيتي ما تحوّل النجوم
لها القبر الحلو يعشق مثلي
وفي الروض اما سرت كم افاق
وتلك الدوالي عناقيدها
وفي شعرها امسيات الغنى
فكم بلبل من حنين غناها
فتاة لها البدر يخت ، وقلبي
غرقنا معا في عيون الصباح



لتفسير الحضرة الالهية ليست من الصحة في شيء ولا هي نظرية . وحذر من الإفراط في الاعتماد على العقل في حل جميع المشكلات ، لان جميع ما ينتج العقل عرضة للشك وعدم اليقين . والانسان حيوان لا يستطيع ان يدعي التميز عن الحيوانات الاخرى بسبب عقله ، بل ان الحيوانات من بعض النواحي المعينة افضل من الانسان لانها اكثر ولاء وليس يوجد بينها ما يوجد بين البشر من حروب . وقد صب ثقته على الذين يعذبون البشر ويعاملونهم بالقوة والوحشية والاضطهاد . ومن اقواله في ذلك بأنه لا يثناء من الانسان المتوحش الذي يشوي جثة الميت واكلها بقدر استيائه من الذين يعذبون الاحياء من البشر . وكتب معتقدانه في هذه الحياة على اخشاب سقف الحجرة التي كان يعتكف فيها للدراسة في عبارات موجزة بليغة كان عددها تقريبا اكثر من خمسين عبارة . ومنها : « لا تكن حكيمًا بمجرد ظنك الخاص » . - « لا يوجد سبب لا يعارضه سبب مساو له . » - « انما لا اجزم بشيء ، ولا افهم الاشياء ، وانما اعلق الحكم وانفحص » - « الناس معذبون بأرائهم عن الاشياء ، لا بالاشياء انفسها » .

حسن الكرمي

لندن

درجة الفلو والسخرية ، وبذلك يوحى الى القارئ من طرف خفي كيف ان هذا الشيء لا يستحق ما هو عليه من الاحترام والتقدير . وقد اتفق ائره فيما بعد الفيلسوف الفرنسي فولتير (١٦٩٤ - ١٧٧٨) . وكانت بداية التغير والتحول في افكار مونتني انه ترجم كتابا عن علم اللاهوت الطبيعي ونشره في ١٥٦٩ ، وأساس هذا الكتاب ان الانسان يستطيع معرفة الله عن طريق العقل ، اي ان الانسان يستطيع من دراسة العالم ومخلوقاته وكيفيات الخلق ان يتوصل الى معرفة الله . وقد عرف هذا المذهب بالديانة الطبيعية ، وابتسط كيفياتها القديمة تقديس الحوادث الطبيعية وعبادة النجوم . فكان لهذا الكتاب الذي ترجمه مونتني اكبر الاثر في تفكيره ، فنحا بعد ذلك ناحية الشك والتشكك Scepticism، وهي اول نواحي حركة التحرر الفكري او حركة تحكيم العقل . ومع ان مونتني قد ترجم الكتاب المشار اليه آنفا وصاحب الكتاب يدافع عن الدين ضد الملحدين ، الا ان مونتني ترجمه بتكليف من آبيه ، ورد على الكتاب بكتاب منه تجارا فيه وتجاوز على معارضة كثير من آراء المؤلف الاصلي ، وهذا في ذات حدته شجاعة كبيرة في ذلك العصر المتعصب للدين . واول شيء مهم عارضه مونتني هو ان العقل البشري لا يمكنه ان يعرف الذات الالهية وان كل نظرية

العقل والايمان والارادة

بقلم ندره اليازجي

دماغي عن جملتي العصبية لانني كل متحد ، كما انني لا استطيع ان اقم نفسي الى اجزاء متنافرة تعمل كل واحدة في معزل عن الاخرى . فالعقل هو طاقتي الانسانية التي تتفاعل في ذاتها وكيونتها وموضوع حياتها ، اي المادة ، طاقتي التي تشكل التفكير ويشكلها التفكير لانها داخلية وخارجية ، طاقتي التي تعبر عن كيانتي بوحدة تامة ومتمكاملة ، تعبر عن الانا ، عن فكرة وجودي ، عن المثال المتحد في ولا ينقسم ، عن الماهية التي تسبق الوجود لانني اذهن الموجود ، هذا الموجود الذي يوجد في المثال ، والذي من خلاله اذهن نفسي .

وارادتي هي الفعل . هذا الفعل الذي يتخذ الموقف . وبدون هذه الارادة لا يستطيع الانسان ان يأخذ موقفا في الوجود . فالارادة عقل ، وهي جهل ايضا . وكلما كان تفاعل كيانتي في ذاته واضحا وعظيما كان تفكلي اكثر وضوحا اي كانت ارادتي واضحة ومدركة . وكلما كان تفاعل كيانتي غامضا ولواعيا عبرت ارادتي عن المحسوس القائم وعن الجهل . فالارادة هي نتاج العقل . والتعقل هو عمق وجودي .

وارادتي هي الحرية . هذه الحرية التي تنطلق في اجزاء المعرفة لكي تصل الى ماهيتها . فهي تنظر في الحدود لكي تصل الى الالامحدود ، وتنظر الى الموضوع لكي تصل الى حقيقته اي الى ما يقع وراءه ، وتنظر الى المحسوس لكي تصل الى السمور والادراك ، وتنظر الى الجهل لكي تصل الى المعرفة ، وتنظر الى الشر لكي تصل الى الخير ، وتنظر الى الشيء لكي تصل الى ذاته . ان العقل هو العقلانية .

الارادة التي تعبر عن الحرية والفعل هي التعقل الذي لا يخرج عن دائرة الاختيار والانتقاد . ولا يوجد انتقاء بدون محاكمة . فالارادة محاكمة . ولا تكتمل المحاكمة بدون تعمق في الماهية . وتكون المحاكمة عقلية وجدانية . وهكذا تعرف الحقيقة بانها المحاكمة الوجدانية . وهذه المحاكمة هي تفعل الموضوع ، خارجيا كان ام داخليا ، وهي انتقاؤه بفعل ماهية الحرية والارادة ، وصياغته بقلب وجداني . فالمحاكمة العقلية تختار الموضوع ، والمحاكمة الوجدانية تنفيه او تثبته .

والايمان هو هذه المحاكمة الوجدانية التي تنفي او تثبت . فهو الارادة في شكلها المثالي اي الوجداني الذي هو ميزان الكيان الانساني للدلائل بالحقيقة ، انه ميزان الروح التي لا توافق الا اذا طابق الموضوع على الماهية . فاذا خرج الموضوع من محكمة العقل دخل محكمة الوجدان . ولا يسمح الوجدان لاية عملية فكرية ان تثبت موقفا ما لم يلق عليه اضواءه . فالايمان هو الموقف الوجداني الذي يتخذه العقل . وينتج عن هذا ان كل معتقد هو ايمان طالما انه يخضع للمحاكمة التي هي عقلية

كيف ابرر معتقدي ؟ وما هو هذا الشيء الذي يتحرك في داخلي فيتمخض عن ايمان ؟ وهل يمثل ايماني الاعتقاد ؟ والى اي حد تلعب ارادتي دور الايمان ؟ وما هو موقف العقل من كل ما اتمثله بذهني وشعوري ؟ والى اية درجة يتفق عقلي وايماني ؟

نحن الان امام الفكر نناقشه ونحدث اليه . ومن خلال هذه المناقشة يبدو لنا بمظاهر طبيعية ، يعبر كل مظهر منها ، عن موقف معين . فكل مظهر من مظاهر الفكر يعبر عن موقف تجاه موضوع . ماذا نسمي وسيلة التعبير عن هذا الموقف ؟

يخضع كل موضوع خارجي وكل مسألة داخلية لانعكاسات الفكر . وتعبر انعكاسات الفكر هذه عن العلاقة التي تقوم بين الفكر كذات عاقلة وبين الموضوع كعقل يعقل . وتعتبر كل نتيجة يصل اليها الفكر صورة او فكرة . وتتجلى هذه الصورة او الفكرة في تفاعل الموضوع بشكل مباشر او غير مباشر او في شعورنا به من طريق الازالة والوجدان والوعي . وتتخذ افكارنا مضمون الماهية لانها اصبحت شعورا او صورة او تذهنا .

ما هو دور العقل لدى تشكيل المعتقدات ؟ العقل صورة حية للدماغ ، فهو تفكيره اي هو نتيجة التفاعل الدماغي في كل الاتجاهات . فالعقل اذن ماهية . ويوجد هذا العقل في دائرة التفكير بشكل عام . والانسان يفكر ثم يعقل ، ويشعر ثم يعقل ، ويحس ثم يعقل ، ويتفاعل مع الوجود ثم يعقل ، ويتألم ثم يعقل ، ويفرح ثم يعقل ، ويفضب ثم يعقل . ويكون العقل ماهية لانه مثال الفكر . ويعبر عن كل ما يتفاعل فيه وجودي من حس وادراك وتمثل وتخيل وشعور ووعي ولاوعي . وهو في هذا يعبر عن المثال وعن الصورة التي تنطبع فينا .

العقل اذن هو انا ، ولا شيء يوجد الا في . ولا استطيع ان احدد عقلي لانني لا استطيع ان احدد او ان اعرف خيالي وشعوري واحاسسي وادراكي ووعبي ولاوعي كما انني لا استطيع ان احدد واعرف نفسي . فالعقل اذن هو الطاقة التي تعمل في وتعبر عني ، وينتج انه المثال او الماهية او الصورة . ولا استطيع ان اميز

ان لم تكن موجودة فيها ؟ وكيف يمكن لو تدرك الابعاد لو لم تكن الابعاد فيها ؟ وكيف يمكن ان نتحدث عن الفراغ لو لم يكن الفراغ فيها ؟ وكيف يمكن ان نتمتع الفكرة او الابعاد او الاعتقاد او التمثل او الارادة بقوة او طاقة لو لم تكن كلها فيها ؟ وكيف يمكن ان نتكلم عن الحب والشعور بالاشياء الخارجية والتفاعل معها لو لم تكن الانا تحتويها ؟ فكل حركة ، وكل خلية ، وكل فراغ ، وكل بعد ، وكل احساس ، وكل شعور ولا شعور ، يتمثل في انا . وعندما اؤمن ، يكون ايماني شاهدا على طاقتي ، على وجود الانا في المطلق .

ومن خلال تأملاتي ، ادركت ان العقل لا ينفي الإيمان — ان العقل إيمان والإيمان عقل . وعلمت ان عالم التجربة ناقص وغير مكتمل . فاذا كنت لا اؤمن الا بما ترينى اياه التجربة ، فماذا اؤمن ؟ هل اؤمن بالتجربة المادية ام اؤمن بعقلي ؟ وكيف اؤمن بها طالما انها لم تصل الى درجة الكمال ؟ واذا امنت ايماني على صمتها ، فلا بد وان انتكر للحقيقة كلها . انني ، كإنسان ، لم اكمل دراستي للموضوع ، موضوع التجربة التي لا تنتهي . فاما ان اكون قد توصلت الى قمة تفكيري وتجربتي وبحق لي عندئذ ان اعتقد او اؤمن بحقيقة وصواب التجربة ، واما ان اعتقد واؤمن بان الموضوع ذاته ، موضوع التجربة — ولا شك ان الانسان هو اكبر موضوع تجربة — سينخفض في المستقبل عن مجالات جديدة وواسعة للمعرفة ، فكيف اذن اعتقد واؤمن بتجربة ناصية ؟

انني شرت وعلمت ان كل تجربة قام بها انسان عظيم او كل فكرة قال بها مفكر جيد ، خضعت للتبدل والضرورة . فاذا كان موضوع التجربة في ضرورة دائمة ، فكيف يمكنني ان اؤمن او اعتقد بتجربة قسرة قصيرة جدا لا تعبر الا عن جزء بسيط من الضرورة ؟ واذا كان موضوع التجربة لا يكتمل الا باكمال ضرورته ، فكيف اؤمن او اناكد من تجربة قمت بها ؟

انني « كإنسان » اؤمن بالضرورة لا بالتجربة الانية ، واؤمن بالاستمرار واؤمن بالحركة لا باخضاعها ، في حالة من حالاتها ، الى التجربة وصياغة قانون . ان الإيمان الذي يمر عن مثال الفكرة من خلال تطورها وانتقالها لا يتعرض للانهار لانه شعور بالكل لا احساس بالجزء ، اعتقاد في الماهية لا اختبار للموضوع في حالة معينة تخضع للتبدل والتحول .

ان الإيمان هو عمل العقل في كل الاتجاهات والمجالات وليس هو الاعتقاد الآتي بتجربة ذاتية او موضوعية . وهو الانجذاب الوجداني الى اعماق الموضوع خلال ضرورته الطويلة . وبما ان وجودنا المادي لا يرافق الضرورة بكاملها لذلك اؤمن بحقيقة مطلقة اريد ان اعقلها وادركها .

ندره اليازجي

دمشق

اي ارادة ، ووجدانية اي اقتناع ، وإيمان اي موقف . انني اؤمن بحزبي مع انني لا افهم حزبي جيدا ، واؤمن بالعدم مع انني لا اراه ، واؤمن بالنجاح مع ان وسائل النجاح لم تنوفر لي بعد ، واؤمن بالمستقبل الزاهر مع انني لم احققه بعد ، واؤمن بمحبة صديقي مع انني لا اعرف كيف سيكون غدا ، واؤمن بالدواء مع انني لا اعرف محتوياته ، واؤمن بما تقوله لى مع انه لم يقع بعد ، واؤمن بالنظريات العلمية مع انني لم ارها ، واؤمن بالخلية والذرة مع انني لم احدهما ، واؤمن بتقدم العقل الانساني مع انني لن احيا طويلا ، واؤمن بقدرتي وضرورتي مع انني لم « اصبر » بعد ولا تزال قدرتي كامنة في ، واؤمن انني افكر مع انني لا اعرف ماهية الفكر ، واؤمن اني احس مع انني لا اعرف واقع الحس ، واؤمن اني اشعر مع انني اجهل حقيقة الشعور ، واؤمن انني انام واستيقظ مع انني لا اعرف كيف يتم كل هذا ، واؤمن ان الهواء والطعام يتحولان الى طاقة في مع انني لم اشاهد عملية التمثيل هذه .

يبدو لي ان الانسان يؤمن على الرغم من انه لا يستطيع ان يبرر هذا الإيمان . وهل يعني هذا ان الإنسان ، اي المعتد ، باطل ؟ اذا بطل ايماني فسيبطل تفكيري معه لانه لا يمكن ان يؤمن الانسان اذا لم يبرد ، ولا يريد ما لم يحاكم ، ولا يحاكم ما لم يعقل ، ولا يعقل ما لم يفكر ، ولا يفكر ما لم يتصور ، ولا يتصور ما لم يتأمل ، ولا يتأمل ما لم يشعر بالمثل . فالإيمان هو الشعور بالمثل او بالحقيقة ، مادية كانت ام معنوية : الحقيقة الناتجة عن التمثل كمجرد عملية دماغية او الناتجة عن التمثل كعملية مطلقة ، مباشرة او غير مباشرة .

واني وجدت ، بعد دراستي وتفهمي لكيانتي ، ان الإيمان لا يخرج عن دائرة التمثل كما ان العقل لا يعمل بدون إيمان . ان حياتي كلها إيمان . إيمان بما يرى وما لا يرى . فهو اذن عقلي في حالته التي لا تستقر ، في انطلاقه الى عالم المثل . فالإيمان اذن هو المثل الذي يطبق على الموضوع ، عقليا كان ام وجدانيا .

وعلمت ان العقل لا يدحض الإيمان وذلك لانني لم اعرف الاسس التي يعتمد عليها العقل وهو في طريقه الى الاعتقاد . وعندما ادرس الخلية او الحركة في الشيء او الفراغ الخ . ما هي القدرة التي تعتقد في وتؤمن ؟ هل هو حسي الذي ينقل الصورة ، ام هو دماغي الذي يصورها ويحتفظ بها او بعيدا الى الحس ، ام هو شعوري بقيمة ما ادرس ، ام هي رغبتى الشديدة واندفاعي القوي لتفهم الموضوع ومعرفته . ما هي هذه القدرة ؟ هي قدرة الانسان هي الانا انسي تعقل !

وعلمت ايضا ان النتائج التي تتوصل اليها الانا المدركة قائمة فيها . فكيف يمكن ان تدرك الانا حركة المادة لو لم تكن الحركة فيها ؟ وكيف يمكن ان تدرك الخلية

اولا يكون ذلك مدعاة للسخرية منكم ومن ادبكم كذلك ؟، اما انا فقد رحت اردد بيني وبين نفسي قوله :
لقد اسمعت اذ ناديت حيا
ولكن لا حياة لمن نادى

★ ضل من يزعم ان الفن يقلد الطبيعة ..
الفنان الحق من يوهنها بان ثمة طبيعة ..
افني استخدامها رؤياها الداخلية التي لولها
لا كان الفن ..

★ سألته : ما السبب في خلو مكتباني
من الكتب التي تبحث في المسائل الاخلاقية؟
اجاب : ندره من يؤلفون هذه الكتب ،
وعسر نالها عليهم .

قلت : وما مبحث هذا المصّر ؟
قال : «ان مسائل الاخلاق تقتضي مضمّن
يتكفب فيها علما وعملا في ذات الوقت ، كما
تقتضي ان يحمل علمه ففيلة ، وان يكون
تأليفه صورة حية لحقيقة في نفسه لا لاصمال
تطابق تلك الحقيقة وتسلطها اليها »..
قلت : لهذا بحث مكتباني بالكتب التي
تثير القراء ، وخلت من الكتب التي تسمو
بها ..

★ قل لي ما المجتمع ؟
اقل لك ما ادبه ..

★ ها كم غيرة من التاريخ : حين غلبت
«العامة» الفصحى عند «الفرس» قبل الفتح
العربي تغلبت العربية على الفارسية بعد
الفتح ..
نوت الامّة بموت لغتها ...

★ قال : رابت «الشيوخ» في الغرب
يسعون فرحين الى تلقين «الشباب» التجارب
التي اكتسبوها من حياتهم الطويلة ليقيدوا
منها ... ورايت «الشيوخ» في بلادنا يخفون
تجاربهم عن شباننا فامرهم له العداة ،
ساعين الى تحطيمه ..

قلت : ليست العلة في «شيوخنا» بسل
العلة في «شباننا» الذين نوهوا ان تجاربهم
ولدت معهم ، فتمردوا على الشيوخ معرضين
عن تجاربهم ..

قال : اتعني ان شباننا في موقفهم هذا
الذي يقفونه حبال شيوخنا قد عجزوا عن
تقل تعدهم كحس فردي الى العميد العام لا
قلت : اياه اعني... حسبه انهم اضاعوا
خبرة الشيوخ وما افادوا من خبرتهم لانهم
فقدوا ايمانهم بالشيوخ « فداخوا في قلق
المسؤولية ، وقلق العصرية ، وقلق البحث

كلمات

بقلم سعد صائب

اليها جوها البطولي كما صنع القدماء ، ومن
اتي بمفهوم مضمّن يداوا بتعلمون الاداب
الكلاسيكية وتذوقونها ؟ ام تراهم يسمعون
الى تقليد الشعراء الغربيين فحب ؟

★ سمعته يهتف قائلا : ايها الاخوة
« الادباء » !..

ما بالكم تهافتون على تقليد ادباء الغرب
دون وعي او تدبر؟ اولا تدرون انكم بتهافتم
على تقليدكم انما تصهرون ادبكم في بؤفنة
ادبهم ، ليدوا ادبا غربيا مصوخا لا طابع
له . لا ادبا غريبا اصيلا له طابعه المميز الذي
يدل على شخصية مميزة تفاعل مع اداب
الامم ولا تشغل بها ..

ان ما ابغى من ادبكم ان يحقق وجوده ..
اعني ان يكون وجوده شهادة لا لشاهد عليه ..
تري .. ما موقفكم من ادباء الغرب الذين
تقدروهم اما ترجع ادبكم الى لغتهم فراعوا
مردودون باخرون تلك حياتنا ابدت الفنا

سعد صائب



★ سألني : ما رأيك في ادب «اللامعقول»
الذي بدا بعض ادباء الغرب الفاعسين
بانهاجه ، ومضى بعض ادبائنا في تقليدهم؟
اجبت : انه بدعة من بدع عصرنا ابتدعوها
كي يسكنونا من افكارهم ، واسلوب كتابتهم.
قال وقد تملكه العجب : ماذا ..

قلت : اولم تقرأ قول «برغسون» .. ان
الذي يفسحنا هو اللمعقول ؟ ..

قال : ولكن «لمعقول» لا يتم .. الا اذا
تفق في صورة عيانية ، اي هي لا معقولة
مربية ، او ظاهر لا معقولة تقبل اولا ثم تصح
حالا .. وراي ان ثمة فارقا بينهما ..

قلت : الفارق ان «اللمعقول» يرفض اولا
لنصر تصحيحه ، وان «المعقول» يقبل اولا
ثم يصحح حالا.. وما عثم ان التفت الى
صاحبه الذي يقف الى جواره فاسر اليه

بكلام فيه تائب وتحذير : (ايك ان تنقل
افكار الآخرين واعمالهم دون تدبر . ذلك ان
الشيء الذي يلائم بعض الناس ، او ينسجم
مع بعض الظروف ، ليس من الضروري ان
يلام الظروف الاخرى ويناسبها ..)

واذ اردك صاحبه المعزى ، لم يفش بكلمة.
اما انا فقد رحت اردد بيني وبين نفسي :
« مما يرى في هذه الازمنة التي نعيش فيها
على عجل ، عدم بقاء المدارس الادبية فيسر
سنين قليلة .. غير اشهر قليلة احيانا »..

★ تقول : «حين يمكن لكل كلمة ان تكلف
حياة ، ينبغي ان تقتصد في الكلمات» .

والقول : اين اذن ضميرك واحساسك
بالمسؤولية ؟، اولا تشعر بتأنيبهما على
انهماك ان انت اقتصدت في كلماتك خوفا
على حياتك ؟

ليتك قلت : حين يمكن لكل كلمة ان تكلف
حياة ينبغي لنا ان نفحص في الكلمات ...
بذلك تيرى على تلك ادب حقا ، وان ادبك
حياتك التي تحيا يموتك ..

★ كلما ابصرت فنا «تجربديا» في لوحات
بعض فنانينا ، ادرت الفارق بين الابدعي
الطبيعية التي تحرك الرتبة ، والابدعي
الصناعية التي تتحرك بها ..

عندي ان هذا الفارق منات من التباين بين
حساسة تيدعها وحساسة نقلها ..
اليس (لكل حساسة نظامها الداخلي) ؟..

★ شد ما اسائل نفسي حين اعثر على
اشارات وتشابه ميتولوجية عند بعض
شعرائنا ... اتراهم يلبون حاجة بديعنا

● من كتاب «ذوب الروح» المد للطح وقد
قدم له الاستاذ شفيق جبري .

كذبت

تحبها ؟ .. كذبت يا كاذب
هل ترك الحقد فراغا لها
وهل هواها سلعة تشتري
دعك من اللهو ، ومن قصة
ما كانت الحسناء المويبة
لكنها وحي يشع الهدى
وكل غاو ، كافر بالهوى
والحاقد الناشب اظفاره
دعك من اللهو ، اما ترعوي ؟
تجتر احلاما ذوى عطرها
تسير في اثري ، وفي اضلعي
ما فيه من حقد الهوى لعنة
وسدته الحب ، واسقيه
جعلته عسلا .. لاحلما ..
ياوي اليه الطهر في رهبة
ويتقيه المخطئ التائب !

راضي صدوق

طوكولرم - الاردن

قال : لكاني بك من اتباع المذهب الحي !
قلت : جرب تر ..
قال : كفى بالتجربة واعظا !! ..

★ لا تلووني على « بداوني » فما طربت
اذني فل لرينين كرنين دفات « الهاون » لانها
لا تسمعي موسيقا « الهاون » نفسه فحسب .
بل موسيقا « ايليا » التي تدقه ...

★ قلت لصاحبي : اوصيك اما مت بان
تبثوا لي حجرة في القرية نغم رفاتي ومكتبتي .
قال : وقد تولد الدهش : له ؟
قلت : لاني احب ان يقرأ الوني ما كتبت ،
ويشاركوني فيما قرأت .

قال : لكاني بك تسخر من الوني ؟
قلت : لا .. بل اسخر من الاحياء !! ..

سعد صائب

دمشق

للغن « . فلكم من ابن عاق حنا ابو عليه ،
وحين كبر قتل اياه .. ادرون ما مبعث
جنايته ؟

انها استلاؤه عليه .. اليس « الفن للفن »
استلاء على الحياة ؟؟

★ قلت : الموهوبون يبدعون الفرص .
والفالدون يتجنبونها . وقد شك اولئك في
مواجههم فتوتهم الفرص . ويؤمن هؤلاء
« بمواجههم » فيبتلونها ..
قال : ولكن المعروف عن « ديكارت » « ان
الشك تفكير ، والتفكير وجود ، والانسان
اذ يشك يكون مفكرا ، وهو اذ يفكر يكون
موجودا » .

قلت : صحيح من وجهة نظر « ديكارت »
واشياعه .. بيد ان التفكير لا يعني البشة
استجداء الطبيعة الانسانية ، فقد يكون الانسان
مفكرا مع جهله هذه الطبيعة .

عن القسم ..

★ سألته : في اي عصر نحن العرب ؟
اجاب : في عصر الملم .

قلت : ممتاه اتنا اجتزنا عصرين .. (عصر
الايمان الذي يفضي الى عصر العقل ، وعصر
العقل الذي يفضي الى عصر الملم) .
قال : هذا اذا اخذنا بالقوانين التجريبية
للمجتمع .

قلت : واذا اخذنا « بالقوانين الواقعية »
لمجتمعنا ؟

قال : تكون في عصرهم لا في عصرنا ..
قلت : تلك هي مأساتنا ...

★ رباه !! هب لقومي عقلا تسم به
حقيقتهم . وجنب عنهم حقيقة ياياها عقلمهم ..

★ لا تمجوا ممن ياخلون بمذهب « الفن

في

احدى الليالي الحالكه امتد لسان ضخم من اللهب وشفق طريقه صعدا في الخوذة السماوية

السوداء . لقد اندمج الدخان في سواد الليل . اما اللهب الاحمر فقد فصح الامر بلسانه الطويل المتنوي . وكان الناس يتجمعون هنا وهناك متسائلين عن مصدر ذلك اللهب . وكان الاطفال والنساء يطلون من سطوح المنازل متفرجين على منظر النار وهي تردد ضخامة وارتفاعا .

— ها مستودع البترول الذي تملكه شركة العمري . هو الذي تندلع منه النيران . — لا ، انه منزل داود بك . انظروا الى شرفة كيف تنهار . — كلا ، كلا . ليس الذي يحترق مستودعا ولا منزلا ، وانما هو حانوت في السوق . نعم حانوت في منتصف السوق . الا ترون مكانه ؟ هناك حيث يقع السوق .

هذا ما كان يقوله المتفرجون عن بعد .

— آه ! بالله ! هذا حانوت جواد الايوبي . لا حول ولا قوة الا بالله ! مسكين جواد !

هذا ما فاه به احد المتفرجين عن قرب .

— ماء ! ماء ! تراب ! تراب ! يا اخوان ! احضروا ماء والا التهمت النيران جميع الحوانيت .

شاهد جواد النار وهي تاتي على كل ما يملك في هذه الحياة فكاد يجن غيظا وتضايقا ، ولم يدرك ماذا يصنع . لقد هم باحضار شيء من الماء من مكان قريب وهو يصرخ : « اطفئوا النار يا شباب ! اطفئوها يا اخوان ! » ولكنه ما لبث ان عاد الى حانوته وهو في حالة الى الجنون اقرب منها الى الوعي وقال بايكا :

— مالي ! بقي طول حياتي يذهب سدى . امينوني يا ناس . ان الموت افضل من الحياة .

وهم بافتحام النار لينقذ مالا يستطيع اتقاذه من محتويات الحانوت

الهامة . غير ان بعض اصحابه امكوا بيديه ، وحالوا بينه وبين ذلك . فابتعد عن حانوته ، ثم جلس على حجر ، واسلم راسه الى راحتيه ، وراح يتأمل ويفكر ويتنحب . واخيرا وضع كفه على عينييه ليحجبهما عن منظر النار ، وروى وجهه عنه ، ثم لطم خديه ، وعض اصبعه يأسا . وبعد ذلك رفع يديه الى السماء قائلا :

— ارحمني يا الهي ! ان هذا كثير علي . لقد خربت ديارى . لم يبق لي شيء في الحياة . ولكن النار لم تصغ الى شكواه .



بقلم عبدالحميد الانشاصي

ARCHIVE
http://ArchiVebeta.com

انها ما تزال جادة في عملها . اتفانم ونحطم وتحرق . لقد حولت المواد الغذائية والحاجات الضرورية الى رماد وحطام . وكان جواد شبها بشيء من بقايا محتويات حانوته . لقد جلس على الحجر ذابلا منطويا على نفسه كان قوة خفية جردته من الحركة والحياة والامل والنفع فقدا شيئا تافها لا قيمة له .

تعاون الناس على اطفاء النار واتقوا بعض محتويات الحانوت ، ولكن النار لم تهدأ الا بعد ان قامت بوظيفتها واقتربت كل ما فيه منفعة للبشر والتمت حتى ما ليس فيه منفعة تذكر : المواد الغذائية الجامدة



منها والسائلة والزجاج والزئبق والخشب . وقد شوهد منظر الحانوت اذ البست بدخانها ثوب الحداد ، ففتح فاه الاهتمام متشابها في بله على مرأى من المتأسفين المتهمدين ومن الشامتين المتكلمين . كل ذلك كان نتيجة لاهمال فطبع ارتكبه احد اصدقاء جواد حينما جلس بجانيه في الحانوت في اوائل تلك الليلة المشؤومة ، وراح يدخل سيجارة قدمها اليه جواد ، حتى اذا بقي منها عبقها القاهي في اهمال بجانيه من حيث لا يدري صاحب الحانوت . ومن عين عقب السيجارة الصفيرة الملتصقة اندلعت تلك النيران الثائرة الساخطة ، فالتفت ما قيمته سبعة الاف دينار .

عاد جواد الى منزله كما يعود المنفوج من جنازة . وقد رافقه اصحابه ليواسوه في مصابه . قال له احدهم :

— لا تحزن ولا تكتئب يا اخي . كل ما حدث فذاك . وقال آخر :

— ان الخسارة الحقيقية هي خسارة الحياة . اما الاشياء المادية فهي تافهة ، وفي امكانك ان تعوضها مع الوقت . وقال ثالث :

— لا تفكر فيما جرى لك يا ابا حاتم . ان حوادث الدنيا كثيرة ، ولو ان لك امرىء فكر في جميع ما جرى له لمات غما .

ولكن كلمات الواساة هذه لم تستطع ان تطفي على حراب اللهب التي تنخس عقله الداهل وقلبه المتالم . لقد كان يفكر في ذلك الوقت في مستقبله ومستقبل أسرته : زوجته وابنه وابنته . كيف يلقاهم الان؟ ماذا يقول لهم؟ « افلتت ! خربت ديارى ! » ؟ لقد تعودوا ان يكونوا عائلة عليه . كيف يقولهم الان بعد الذي جرى له ؟ ان ابنه لم يستكمل حظه من الدراسة الجامعية بعد . بقي عليه ثلاث سنوات ليصح

طيبيا . وابنته الحسناء خطبا احد
الارتياح البارزين في المدينة . فماذا
يتم من امره معها حينما ينتهي اليه
ذلك الخبر المؤلم ؟ لقد كان غريبا
فاقتصر . مني بخسارة لا تعوض .
ليس لديه دور واراض تموض عليه
ما خسر . ان انقاذه مما وقع فيه من
ورطة لا يتم الا بمعجزة .
حينما دخل جواد منزله استقبلته
زوجته بوجه مرح كماداتها . انها لا
تعلم ما جرى له . امسكت بيده
وقالت له :

— تعال لا فرجك على الهدية التي
قدمها حسام الى ابنتنا سلوى . انها
هدية فاخرة من غير شك .
ولم تكذ سلوى تسمع صوت امها
وهي تحدث اباهما حتى اقبلت على
والدها مسرعة . ولما دنت من ابها
اهتزت طربا ، واشرق وجهها
بابتسامة عذبة ، ثم رفعت يدها
وادنتها من عينيه قائلة :

— ابي ! انظر الى ما اهداه خطيبتي
حسام الي . انه اجمل خاتم رأيته
في حياتي . خاتم ماسي ثمين .
ولكن والدها لم يلق نظرة واحدة
على الخاتم . لقد بدت منه متعلمة ،
وبدت عيناه جامدتين . مشى بخطى
بطيئة رخوة مصوبا امامه نظرات
شاردة سارحة . وقد لاحظت زوجته
ذلك عليه فقالت له :

— ماذا جرى لك ؟ امريض انت
يا عزيزي ؟
فhez راسه في تالم ولم يجب . وبعد
لاي قال بصوت مختنق :
— ليتني مريض ! ان المرض اهون
من الافلاس .
— افلاس !

لم يكذ حاتم يسمع كلمتي «مرض»
و «افلاس» حتى اقبل على والديه
مهرولا ، وقال مجيلا نظره في
وجهيهما :

ما المسألة ؟

ولكنه لم يسمع جوابا ، ولم يجد
بدا من ان ينضم الى امه واخته في
السير وراء والده في صمت وهذوء .

وفي غرفة الاستقبال نطق جواد بضغ
كلمات ، فتحول مرح افراد الاسرة
الى ترح .

وفي صباح اليوم التالي قدم عزت
على اخيه جواد ليواسيه في مصابه .
قال له :

— كن صبوراً يا اخي . احتمل ما
حل بك بقلب قوي ونفس لا تعرف
اليأس .

فتنهذ جواد ثم قال :

— ولكنني افلست يا اخي ، ولم
يبق لي امل ان اعيش عيشة هائلة .
ان الاصداقاء والمعارف يتفخون عن
المفلس ويتعدون عنه ، ولا يمدون
اليه يد المساعدة ان هو طلب منهم ان
يقرضوه شيئا من اموالهم .
فقال عزت متخطيا عيني اخيه
بنظراته :

— ان الله يرزق الناس جميعا ،
انه لا يتخلى عن اثنين .

ان عزت احد الارتياح المدينة الكبار .
لقد كسب ثروته من نمرة «النصيب»
لشباب «دربي» . لم يرهق نفسه في
جمع المال ، ولم يهتم بجمع الثمن .

كسب الرزق . لم يلق طعم الفقر
والعوز قبل ان يغنى . فهو لذلك
لا يستطيع ان يتصور الحال التي
انحدر اليها جواد . ان العطف لا
يمكنه ان يخترق هذا السور الغليظ
الذي يحجب قلبه الجاف عن اخيه .
لقد لبس وجهه قناع الحزن من اجل
اخيه ، ولكنه لم يؤوه تحت جناح
رحمته . وكل ما جاد به عليه بضغ
كلمات ينطق بها أي شخص غريب
وهو يواسي جوادا .

وفي ذات يوم دخل منزل جواد
شاب تلوح على محياه سمات النبل
والانسانية وقال لجواد :

— اين انت يا عزيزي ؟ لقد تفقدت
كثيرا فلم اجدك . ما هو الاحتجاب ؟
ان مكثك في المنزل لا يؤدي الى

خير . اخرج الى العالم . خالط
الناس . ان الاشخاص الذين افتقروا
بعد غنى كثيرون ، وان الاشخاص
الذين ارتوا بعد فقر كثيرون ايضا .
فما هذا اليأس ؟

ولكن هذه الكلمات لم تحي الموت
من قلب جواد . ان الكلمات الثقيلة
المكررة التي تنطلق من فوهة نفسه
المعدبة نحو اذن ضميره في كل حين
طفت على تلك الكلمات الواسية
المشجعة التي فاه بها صديقه .
قال له جواد :

— كيف لا يأس يا سليم واخي
يبخل علي ببعض ماله ؟ يبخل علي
بقرض بنعشني . هل بقي لي امل
في هذه الحياة بعد الان ؟
حينما سمع سليم ذلك الكلام
اغتم وتالم ثم قال له :
— اترك هذا الامر لي . انني اعرف
كيف الين قلبه .

قال سليم لعزت :
— ما رايك في ؟
— انك اعز الاصداقاء علي .
— وهل ترد لي طلبا في امكانك
ان تلبيه ؟

— كلا . اطلب ما تشاء .
— انني لا اطلب شيئا لنفسي ،
وانما اطلب شيئا لايخ جواد .

— اخي جواد ؟
— نعم ، اخوك الذي القى به
الافلاس في هوة الفقر وهو مضطرب
الى النهوض بأسرة كل من افرادها
في اشد الحاجة اليه .
فألقي عزت على صديقه نظرة
استغراب وقال :

— ماذا تريدني ان اصنع من اجل
اخي ؟ هل اننا الذي جررت عليه
الافلاس ؟

— عزت ! اني ارجوك باسم
الانسانية ان تعطف على اخيك وتنفذه
من الازمة التي وقع فيها . ارجوك
باسم الإنسانية لا باسم صداقتنا ان
تفرض اخاك مبلغا من المال يستطيع

عيناك فيضان

فلتغرقيني الى ان ينتهي اجلي
وما خلا كل درب من دمي الهمل
لا بد منه عذاب الاعين التجمل
والتاركات فؤادي شبه مشتمل
كاسا كان طلاها راعف القبل
نوران من كؤوس ملاي ومن مقل
على ليلال به مرت بلا غزل
عنى اقوص به في عاطر خضل
ويستريح بيدر نصف مكتمل
«روما» البحار ولم تحصل على وشل
وقد افاقوا ولا اصحو من الخطل
لكرمة استقي من فيضها الهطل

محمد الفايز

عيناك فيضان من نور ومن غسل
في كل مفترق من اضلعي مزق
فكيف ابخل ؟ يا ليت المذاب اذا
اقسمت بالمعاطفات اللهبات دمي
وبالهوى والندامى حين نقرعها
احلى من الشمس ليل راح يكشفه
خذي بقية عمر ما اسفت سوى
يا ليتني منك عقد لا يفارقه
تهزهزه منك اعطاف وهدهده
لولا هوى الفاتنات السر ما عشقت
وقد شربت مع العشاق نخبهم
كانما اعرقني التفت على عرق

الكويت

عزت دفعة واحدة فآثر الصمت على
الكلام .

في يوم من ايام الخريف الثائرة
برياحا اجتمع افراد اسرة جواد في
منزلهم يتحدثون عن الحياة في
الكويت - ذلك القطر النائي المحرق
بشمسه . كانوا على استعداد للسفر
الى ذلك القطر . وكانت حقائق
السفر منتصبة بجانبهم . ولم يكن
في جيب جواد سوى مبلغ من المال
يكفيه اجرة للسفر الى الكويت . وقد
حصل على ذلك المبلغ بعد ان باع
الكثير من اثاث منزله . انقطع حاتم
عن الدراسة ، وفسخت خطبة سلوى
بعد ان خسر جواد حانوته . كل من
افراد الاسرة اخذ نصيبه من الكارثة
العظمى التي حلت بها . لم يبق لهم
الا ان يطيروا الى تلك البلاد النائية
ليجدوا حياتهم عند قوم لا يعرفون
من ماضيهم شيئا .

عبد الحميد الانشاصي

نابلس

اللحظة . بدا هذا رجلا غريبا في
نظرة ، بل خيل اليه انه هو الذي
اعرق حاتون اخيه . لم يصدق ان
صليقا لجواد التي عقب سيجارة بين
محتويات الحاتون في افعال قنشا
عن ذلك حريق .

واخيرا قال لعزت :

- ان اخاك الذي كون من اللحم
الذي كونت انت منه بسالك العطف
والرحمة . ان اسرته تمد اليك ايدي
الاستنجاد والاستغاثة . الاب صبح :
« اخي ! اخي ! » ، والابن يقول :
« عمي ! عمي ! » ، والبت تنادي :
« ادركني يا عمي ! » ، والام تنظر
اليك متنهدة باكية . انك الرجل
الوحيد الذي يستطيع ان يزيل
الحنن والغم عن هذه الاسرة ويدخل
على قلوب افرادها الفرح والغبطة .
اجنبي ! تكلم !

ولكن عزت لم يجبه بل ادار ظهره
غير مكترث لما قاله له . ولما رأى
سليم ذلك منه انصرف في صمت
وهذه دون ان ينس كلمة . لقد
عجز لسانه عن صب جام غضبه على

به ان ينهض من مسقطه ويعود الى
ما كان عليه من العز والفتى . ليت
لدي مالا فاقدم الى اخيك حاجته منه !
فانسم عزت ابتسامة مرة
متعكة وقال :

- اخشى ان يضع مالي باهماله
كما اضاع ماله . لم يكثر ماله ،
فكيف يكثر لمالي ؟

فكتم سليم غيظا في صدره ، غير
انه لم يلبث ان قال بنفمة فضحته
حدها :

- ولكن المصادفة والقدر هما
اللذان انزلا به هذه الكارثة العظيمة .
فاجابه عزت بنفمة متنترة :

- هل تريدني ان احارب القدر
واصارع المصادفة ؟

لقى سليم على عزت نظرة شزاء
وقال في نفسه :

- هل هذا هو الرجل الذي كنت
اظن انه اشد اصدقائي اخلاصا لي ؟
هل هذا هو الصديق الذي كنت
اتوهم انه يعتاز على غيره بالدوق
والانسانية ؟

لقد بدا يغض عزت منذ تلك

او قوله :

كلنا باسط اليد نحو نيلوفر ندى
كديابيس عسجد فصبها من زبرجد

الى غير ما ينحو هذا النحو اللقي ، ولعل ابن المعتز هو الذي
فتح هذا الباب ، اذ اثار من توليداته الفنية الملققة في التشبيه ،
فقدح آتمة النقد حين حكموا بالجودة على مثل قوله :

وبدا الهلال كزورق من فلسة قد انقلته حمولة من عتير !

وهي صورة ملغقة لا تترجم عن شعور قوي او تؤول في وجدان
قاري بصير* ، ولكن مشايخ النقد قد اعجبوا بها ونسبوا لابن الرزمي
انه صاحب يا غوثاه يا غوثاه حين سمعها ثم قال في مجال الاستعظام انما
يصف ابن المعتز ماعون بيته !! وابن الرزمي مظلوم دون نزاع ، فدارس
شعره يعرف جيدا مذهبه في التصوير الادبي وهو من هذه الصورة
المستجادة بمكان بعيد !

والسيد البكري في وقوفه هذا الموقف من التشبيه الذهني لم يكن
فردا منقطع النظير بين ادباء عصره ، فكلهم ورد مورده ونهل منهله ،
ولم تعرف مكانة التشبيه على وجهها الصحيح الا بعد ان صحح مقاييسه
الفنية نافذو العصر الحاضر من درسوا النقد الاوربي وحاولوا
تطبيق الصحيح النافع على ما يتوله ادباء العرب ، وليس المهمل
ببعيد بصيحات الاستاذ الصادق في وجه شوقي ، وتصحيح النظر
المغلطة عن التشبيه كما ظهرت اتارها في ادب امير الشعراء ، وما قاله
الاستاذ العقاد بصدد ذلك - في الجزء الاول من الديوان .

«اعلم ايها الشاعر العظيم ان الشاعر من يشعر بجوهر الاشياء ،
لا من ينفذها ويصني اشكالها والوانها ، وانه ليست مزية الشاعر ان
يقول لك عن الشيء ماذا يشبه ؟ وانما مزيتة ان يقول ما هو ؟ وبكشف
لك عن لبايه وصلة الحياة به !

وليس هم الناس ان يتسابقوا في اشواط البصر والسمع ، وانما
همهم ان يتقاطفوا ويوردوا احسهم وطبعهم في نفس اخوانه زبدة ما رآه
وسمعه ، وخلاصة ما استنابته او كرهه ، واذا كان وكثر من التشبيه
ان تذكر شيئا احسن ثم تشيئين او اشياء مثله في الاجراء فيسا زدت
على ان ذكرت اربعة او خمسة اشياء حمراء بدل شيء واحد ، ولكن
التشبيه ان تطبع في وجدان سامعه وفكره صورة واضحة ، مما الطبع
في ذات نفسك ، وما ابتدع التشبيه لرسم الاشكال والالوان فان الناس
جميعا يرون الاشكال والالوان محسوسة بذاتها كما تراها ، وانما ابتدع
لنقل الشعور بهذه الاشكال والالوان من نفس الى نفس ، ولقوة الشعور
وتيقظه وعمقه واتساع مداه ونفاذه الى صميم الاشياء يمتاز الشاعر
بوجود ان كنه هذا التعبير وزيد الوجدان احساسا بوجوده ، وحسوة
القول ان الحك الذي لا يخلط في نقد الشعر هو ارجاعه الى مصدره
فالذا كان لا يرجع الى مصدر اعرق من الحواس فذلك شعر القصور
والظلال وان كنت تلجج وراء الحواس شعورا حيا ووجدانا تعود اليه
الحسوسات كما تعود الاغذية الى الدم ونخعات الزهر الى عنصر العطر ،
فذلك شعر الطبع القوي والحقيقة الجوهرية ، وهناك ما هو احر من
شعر القصور والظلال وهو شعر الحواس الفاتكة والدارك الزائفة وما
اخال غيره كذا اشرف منه الا بكم الحيوان الاجم » .

هذه عجالة نسوقها بين يدي الحديث عن خيال السيد البكري
لننصفه ونقره لدى لانيه ، فان بعض الذين يتحدثون عنه يشكثون في
القوة عين دون امير ! واذا كنا قد نقلنا فيما سبق قول الدكتور
زكي مبارك (1) ان ابره لا يخلط في جودته التان ! فاننا نعلم ان ادبه
مما يختلف فيه التالون اختلاف يلق بهم على طرفي تقضي حتى ان



محمد رجب البيومي

محمد توفيق البكري نأرا

بقلم محمد رجب البيومي

الخيال : نظم السيد البكري اذا طالبناه في زمنه المنصرم بابتداع المود
الادبية كما نريد في عصرنا الراهن ، لان الرجل قد تلقى الادب والبلاغة
على اساندة يفهمون من معنى التشبيه وغرضه ما لا يتفق مع ما نفهم
اليوم ، فالشيخ احمد مفتاح حين درس البلاغة والادب للسيد قد
افهمه خلاصة ما يحكيه قارئو السعد والايضاح ان التشبيه هو انتقال
الشبه والتشبيه به في وصف يجمعها ، وان اركان التشبيه اربعة وقراءة
اما حسيان او عقليان او مختلفان ، وانه ياتي الفكرة قولاً منها الانواع
والاختصار ومنها التبيين والتوضيح ومنها المبالغة ، ومنها التوكيد ،
وان وجه التشبيه يكون مفردا او مركبا او متعددا وان الغرض من التشبيه
هو بيان حال الشيء ، او مقداره او تقريره ، او امكانه او تحصيله
او تقييده مع ضرب الامثلة الكثيرة على ذلك مما يستجد تارة وينتقد
تاراة !! ثم شابت ظروف الاديب الناشئ ان يقف باثار كتاب الصنعة
على ارباب الرسائل والمقامات ، وفيهم من يظن ان التشبيه كل شيء في
ميدان الكتابة ، فاذا خلا سطر واحد منه هبط الاسلوب الى مستوى
غير مقبول ، بل ان فيه من يكده ليجعل للتشبيه الواحد عدة
تشبيهات يعقب بعضها البعض في تسلسل متتابع وممكن التسلسل لدى
هؤلاء انهم غلغوا عن رسالة التشبيه في ادراك الصلة بين شيئين ادراكا
تتأثر به النفس بحيث ينتقل احساس الاديب الى القاري كما شعر به
وعاناه ، فليس التشبيه ادراكا ذهنيا لانفاق ما بين صورتين ، ولكنه
لمح صلة بين امرين تحدث الرا نفسيا بترجم احساس الاديب الى لغة
به السامع كما احس به المتكلم ، وليس من اغراض القرابة والانطراف
او بيان المقدار او ان وجود التشبيه ممكن لان نعيد ذلك بنقل الصورة
الادبية من حقيقتها الوجدانية الى تاليف ذهني يمكن تلقينه لدى بعض
الهمرة من متدربي المتشئين !! والفعال هذا الاسر النفسي للتشبيه هو
الذي انغم كتب النقد والبلاغة بامتلاء يستشهد بها في مجال الاستعانة
والاستجادة ، وهي لا تساوي شيئا لدى النظر الصحيح ، وذلك نحو
ما نراه من مثل قول القائل :

وكان محمدر الشقيق اذا تصوب او تصعد
اعلام بالوقت تشرق على رصاح من زبرجد !

المآزني رحمه الله قد قال عنه (٢) :

«ان أدبه قد مات في حياة صاحبه» وليس للسيد كما تعلم يد موت أدبه انتاه حياته فقد قدر عليه ان يودع القلم قبل أكثر من عشرين عاما من تاريخ وفاته فقصا - اجزل الله لوابه - حيا كعبت ، ومن يدري لعله لو لم يصب بهذه الكارثة التي اظفأت مصباح عقله ، وانصبت دافق شعوره لاستطاع ان ينتفع في مدى عشرين عاما بما انتفع به بعض زملائه من نقد مستشير ، فينتج في كتابته نهجا ينتقل به من الانشاء اللغلي الى التعبير الذاتي ، ونسقي بذلك الهوة الواسعة بينه وبين تلاميذه الهادفين من أمثال المآزني رحمه الله ، وقد كان الأستاذ صديق شيبوب أرقى نقسا ، وأرحب صدرا من المآزني حين قال عن بيان السيد (٣) :

«نجد ان السيد البكري يحاول الوصف الفني لا الوصف الواقعي ، ويجده يمدد الى التشبيه حتى تكاد نقول ان الكتاب (صهاريج اللؤلؤ) كله تشابيه ، وهو يتفاوت قوة وضعفا ، وغرابة وفرا ، ويتناول فيه جميع المعاني التي تمر بخاطره ، والصور التي يورسلها خياله ، ويستعمل شتى الوسائل ، فالتاريخ والادب والنحو والصرف والعروض والبلاغة ، كل هذه مصادر يستلهمها فتاتي التشابيه بعضها تلو الآخر .»

وما دام السيد لا يكاد يترك التشبيه في تصويره الخيالي ، وما دام هذا التشبيه كما يقول الأستاذ شيبوب يختلف قوة وضعفا ويتناول جميع المعاني التي تمر بخاطره ، فقد ان الوقت لكي نعرض من خيال الرجل آمطا مختلفة لترى ميله من التصوير .

يقول السيد في وصف الخمر :

خمر كانتها الديق (٤) ، او الرخ ، خلقت قبل ان يخلق التاريخ ، عين الشمس في كاس ، ويقاوت مذاق في الكواب ، شملة شمسلا يوقدها الماء ، برق في غمامة ، ورد في كمامة ، عني ومنون ، دوس ليلى في فم الجنون ، كانتها سراج يوفد في قحاج ، او اكسر (٥) او مع طليق على أسير او ديتار موفش او رق المذوق (٦) او عمود من سباح بين السفلة والافداح ، وكان حبيبا عند او دمع على خد ، او لام والماء حسام ، منظار بكير المحسوس في التنوس ، ان فرح وان ارح ، تبعت على الصدق في النطق فيمقتع اللسان للكتمان ، تحكم في العقل حكم من جار ، او حكم الزمان في الاحراز ، شرب يلده غير اللطمان ، ولا يروي الماء منه وهو صديان ، وسقي يثبت الورد في الخلود ، والرنج في القنود ، كانتها في النفس روح الرجا وواحة الياس ، منظار يفرج بالنفوس من هذا العالم النكوس ، جسر ولا شر ، ونفع اقل من ضرر .

عجبت ان عد بعض الجحار تفريقه نفسه في قدح» فهذا وصف فني قوامه الخيال التفسيري من تشبيه واستعارة وكتابة ، نقرأ فتجد الله معروفا لديك مثل ان الخمر خلقت قبل ان يخلق التاريخ وان حبيبا عند او دمع على خد ، او انها عمود من الصباح او ياقوت مذاق ، فذلك ما نصفت به الذائقة نوح نزع ، ولكن خيال السيد في هذه القطعة قد علا على الذاكرة علوا ملموسا ، او ان المذوق سما على الحلوفا سموا يثيره عن معن الكاتب الأدبي وذوقه الفني ؛ فيما ابتدعه هذا الخيال المتن ان الراح منظار بكير المحسوس في التنوس . وانها تبعت على الصدق في النطق فيمقتع اللسان للكتمان فذلك تصوير بارع لآسان تسلبه الراح عقله اليتلف الحريص فيهم ان يفضع عن خديله سره ، ولكن لسانه معقول من النشوة لا يكاد يبين !! ان تسجيل هذا الخاطر ما يتم عن دقة الحلاقة وحسن التمثيل ، وكون الخمر شرابا يلده غير اللطمان يثبت الورد في الخد والرنج في اللد ما يروق هنا تسطيره ، بل ان عبارة يثبت الرنج في اللد لتحل الهام شاعر مطبوع ، ومن الطريف الجيد قوله انها منظار يخرج بالنفوس من هذا العالم النكوس اما كونها جمرا ولا شرر فمما

تناهتة الافلام ويذكرنا خيال هذه القطعة باخت لها قالها السيد يصف خليج الفسطينية عند غروب الشمس فيرسم لوحة رائمة لنظر بدع حين يقول :

«الفاذا رايت نـ حين دلوک (٧) الشمس وقد شعثع نورها کل بناء وغرس ، وقد عکس فی الماء صور ما یحيط به من الاشياء ، ابصرت في الماء فبابا من ذهب واهلة من لهب ، وکتیبا من زرد ، ووديانا من زبرجد ، وجبالا رابعا ، وحصونا وفلاجا ، وسدرا ودلاعا (٨) ، وسفوحا من جوه ، وعیدا من مرمر ، وصرحا من فواویر ، وتمانیل و تصاویر ، ودورا وجورا ، وثارا ونورا ، وحلاا تلوی تنشر ، وسیوفا نفسد ونشر ، وفامارا فتاغ وکسر ، فکاتما تقرأ فی البر قصيدة من شعر ، وتظهر فی البحر فتاغ من شعر»

فماذا ترى في هذا الوصف الجميل ؟ اننا نشهد ريشة فنان معتد ترسم الصور الحسية رسما دقيقا مبررا ، ولست امع من يعيبن السيد بالوقوف عند الثريات الحسوسة في تصويره الابني دون ان يتنقل فيما دون السطح مسترسلا مع خاطره ، لان لكل فنان مجال تبرزه ووجه اختصاصه ا وحسبنا من الكاتب ان يشتهر بجادة لون خاص من الوجة الوصف ؛ وبخاصة ونحن نعلم اننا فانه صاحبه في مرحلة انتقال حاسمة تختلف فيها موازين النقد وطرق التعبير ؛ وقد سبق ان اوضحنا ان السيد وزملاءه يمثلون في فجر النهضة مدرسة المحاكاة المثقفة في الشعر الابني ؛ ولن ننظر منه ومن اصحابه طرفة واثية الى الاوج بل يكفي ان نرى جودة النسق ، واتانة العرض ، وجمال التعبير ؛ وحتى لم ذلك فقد ادى الكاتب دوره في انتشال الشعر الفني من ركالة اللطف وتلفا المعنى ونقل الحسنا !

وقد نجد في حديث السيد عن باليوني ما يمثل الثريات المشهودة والخواطر الخافية مما مما يطفو في الاولى على السطح ، وبمضي في الثانية - نوعا ما - الى الدالح ، ان ا وصف البكري لمارك القاند الفرنسي مما يرسم المنظر المتشاهد رسما واضحا ، فهو مثلا يقول عن جيشه العربي (دوس) : يسط جناحيه على التسحاب ، كما بسبت جناحيه القاب ، لا ترى لمة الا اعلا تخفق ، وحديدا يسرق ، وجنودا في المادي (٩) ، كانتها صخور في ماء ، او افاني عزم (١١) ، او السد والسيف والانياب ، او عنارب شالات (١٢) الاذئاب ، عن الفقتال ، وزلزل الزوال ، واقد الوجع ، وسطح الوجع ، فکاتما ترى جانا من مارچ (١٣) من نار او اعصار يدور فوق اعصار ، وکاتما مدينة في حرق ، وسعاء تهطل برحقي ، وکاتما فکت الشياطين ، وانساب التمايين ، وکاتما في قلب الارض وهل ، وعلى خدنا من الدماء خجل ، وکاتما في الجو من الدخان والثار ، ليل وشرق ، ومن الرصاص والشار وبل وبرق ، وکاتما كسرت فية السماء فهوت بما فيها من نور وقلاء ، وکاتما كل صف من الجنود يميل بحافظ من جنم فيلقاه الاخير من الحديد بلع من يم ، لها يتكفي حتى ينظر ، وبين ذلك خيول تكسب وسلاح يفرس ، وجعاجع تلق ، واشلاء ترق ، ومنى ومنون ، وطن كانتها طاعون وشهيق زفير ، وغير وغير ، وصرعى كانتها غائتم الكؤوس ، وواد يسيل على الطميين ففاليقه الرؤوس ، ومقلة في مظب طائر ، وكبد في رجل عاتر ، وبنان في ناب وحش کاسر . کم راس شخي من غير مقلته دما وتحصبه بالناص بمسما

ثم بمضي في وصف بطولة القائد حين يرق عند خاتمته المؤسبة فيجاوز السطح قليلا الى ما بعده حيث يجول في اعماق القاند المتهمز يتحسس آماله الصائقة ، ويصف اساه البحر ، ويصور شجونه الكليمة في معتقله الكثيب ؛ ومهما لم عن قرب هذه المعاني ويسر تناولها فهي ليست من المنظر على اية حال ؛ ولن نخلو من استكناه واستشفاف ، يقول السيد توفيق :

« وکاني انظر اليه بعد ذلك وقد جار عليه الزمن الجائر ، ودارت عليه الدوائر ، وامسى جيشه الذي فھر الارض وهو مفقود ، کاتية

الزواج قابلت غيرها ، فالكل كاسر ومكسور وانتهى به السير من خير الى سير ، كما يصير الهلال يسيره يدرا ، ويقع به نارة أخرى ، وزال ملكه الصمغ فغاب مفيب التنسي في افق من دم ، واصبح ولا دولة ، ولا يابى ولا صولة ، كمنن الجاعلية في الملة الاسلامية ، كان بالامس ربا فاصبح حجرا صلبا ، واذا هو معتقل في جزيرة قاصية وصخرة عارية ، كانه فسور نزل من بيهاد ، او غيل فصباء ، السى فيود واصفاد ، وببت من صنة الحداد فهو يدور ويحور .

بطا الترى مترقا من تيهه فكانه آس يجسى عيلا نارة يسم يعجب ، من دهر يكرس التبع (١٤) بالضر (٥) ، ويعد الصغر بالخرز ، ومرة يطرى ويقتل وينكر عينيه فىرى كثيرا ويغلقها فىرى اكثر ، وحينا يعنى الرأس من الياش ، واوتة تبعته الاوجال الى الامال فيود او قام شيل من تسله ، او رجل من اهله ، فاسترجع ملكه بعد الذهاب ، وحفظ من نور ذلك اليق ، بقدر مسا يحفظ البدر نور الشمس بعد القباب ، ويهيات ان يقوم الاقبل (١٦) بعبه القليل الـ تساوى الاشياء اذا ساوت الاسماء ابن ذياب (١٧) السيف من ذباب الصيف ، وابن السنبلة الخضراء من سنبلة السماء ، وقد يقف بقية القصيرة ، على عنة من فتن تلك الجزيرة ، وروح الفكر ، في اوجاج البحر ، واذا بطله قد طال على لجه ، وامدحت بعيدا على لجه ، فىرى في فامته وهذا الخيال ، فرق ما بين حالته وما كان فيه من الدولة والاجلال ، فيبعد من نفسه الامل ويقرب الاجل ! هذا خيال شاعر حقا !! وله في صهاريج اللؤلؤ اشياء ونقائز ، واذا انتفى نافدوه سيطرة ذاكرته الحافظة ، فان هذه الذاكرة نفسها هي التي جعلت البارودي يروض الشعر مبتدئا وينجح نهج الاقدمين معاكبا حتى صار ابرع معاصره ! على ان هذه الحفولات ترجمت لدى البكري هنا من شعور صحيح ، واوافقت مدلولها صادقا مسن نفسه ، فترات وانكاه ابتكار جديد !!

واكثر ما وقع فيه السيد من عثرات التشبيه نطرق اليه مما فيه من قواعد علم البيان فقد كان مما افتتح به ما يعرف بالتشبيه المتقدم ومن انواعه ما يندفع المشبه به دون التشبيه ، وقد اقرم به السيد ، واعتمد فطنة الابداع والبراعة فركب متن النسطر في اكثر ما اجاد به

من هذا الضرب كقوله في وصف الهلال «وحيث اذا اخسل الليل وارخى الليل بدا الهلال كانه خنجر من ضياء ، يشق اللغواء او قلادة ، او سوار غادة ، او ستان لسواه الضراب ، او الليل ليل وهو ناب ، او عرجون قديم ، او نون يخط الكاتب ابن العديم ، او برن فسيفم ، او مخبط فشمع ، او ماء خرج من اثيوب في روض ، او لندا في اسفل حوض ، او وشي مرفوف او مدلع من فضة مضموم ، او قلادة ظفر ، او صغار في شيك من بحر »

فالآثار من التشبيه على هذا النحو يجعل التشبيه مسألة ذهنية لا تتغل احساسا او تشبع عاطفة ، ويذكرنا بما سبق ان نقلناه عن العفاد حين قال لشوقي : « واذا كان وكند من التشبيه ان تذكر شيئا احمر ثم تشيئ ان اشياء مثله في الاحمرار فما زدت على ان ذكرت اربعة او خمسة اشياء حمراء بدل شيء واحد» ثم ان البكري هنا لم يصعب توفيقا في اكثر ما قال ، فالليل والشمع بالليل اطلاقا حتى يكون الهلال نابه ، وما اضال صورة الهلال وانثبها بين يكون لندا في حوض او قلادة ظفر مهما ذكر ذلك بعض السابقين ، امسا تشبيه الهلال بنون من خط ابن العديم فهو بيعث المعجب ، لان ابا العلاء حين قال في سفت الزند

ولاح هلال مثل نون اجادها بجاري النصار الكاتب ابن هلال كان يريد ان يتماثل بمعرفته رسم الحروف وهو رجل شرس لا يصبر ، فشب الهلال بنون بخط الكاتب ابن هلال وهو لم ير التشبيه والتشبيه به معا ، فجاء البكري ليجهل ليجعل من خط ابن العديم لتوافق السجعة ذات العرجون القديم !

ولئن كان ابو العلاء قد تكلف فالبكري قد تصف ! وليس ما ذكره علماء البيان عن التشبيه المتعدد وحده هو الذي جيب البكري هذا الضرب من الحشد الذهني بل ان ولوع كتاب المصور المتأخرة بهذا النمط السقيم قد اكد منزلته ، ووجهه مجال البراعة والابداع ، ومنه ما قاله ابن جيب الطحفي في وصف السفينة .

«كانها وحل ينطح من شاطئ ، او غرياض سابق ، يحته ساق ، او عقر سائلة او غباب مائلة ، او غراب اعصم ، او تساح او ارقم ، او ظليم نغر في اللام ، او جواد في مستنكا من صحبه الانام .» الخ ما يرد هذا الجود بما يمكن ان يسمى بتتابع التشبيهات !

«انها جديرا بالسيد ان يلطخ الجوه النسبي للتشبيه ، لا كما فصله نافدو اليوم بتعليقه العلمي وتشرجه الفني فهذا ما لم يتبها له في عصره بل كما الماع اليه القدماء فقد انتقدوا مثلا قول ابي تمام :

كان شقائق النعمان فيه ثياب قد روي من الدماء وفول العرجي :

ودب هواها في ظماني وجهها كما دب في المسوع سم العقارب اذا ان تشبيه الورد الاحمر بالثياب الزاوية من الدماء في مقام الاعجاب وتشبيه الحب بالسم عند من سعد بالحب كالعرجي لا من شقي به لا يعلي التشبيه بل ينحدر به الى الاسفاف ! وللسيد من ذلك امثال ، فهو يشبه غابة بولونيا في السماء بصحيفة يمشاء كسرت عليها زجاجة من حجر وشبهه رقص الحسان المطرب في الرقص المعجب بانعاص او حرف جارا ! وانا لا اعرف كيف ياتي حرف الجر مشبها به في هذا المتي وما وجهه ؟ ثم يشبه الراقصة بسير النملثاني (الحية) على المراضاقي (ما قد من الحصى) غاللا عما ووجه به عمر بن ربيعة من نقد حين قال عن صاحبته :

وارجحت في حسن خلق عميم تهادى في سيرها كالحياب ولذلك امثال مما تصف فيه السيد ، اما الاستاذ صديق شيبوب فقد دقق الحساب مع الرجل حيث اخذ عليه من التشبيه ما لا تراه موضع مؤاخذة كبيرة فتدبره وشيوعه والتطاع الاذان على سماعة وان تكلف قائله ، يكون الاستاذ صديق التواجد هذا النشر المسجع بقود احياءا الى شياطين لا تشبهها كثيرا ، ولا انظها كانت تستعاج عند كتابتها مثل قوله : وحسان غيد كالاماليد في وجوه كالدنانير واساط كواوس الطناير وشعر كالليل او اذئاب الخيل » واخلال الامر هنا في التشبيه بالليل والاماليد والزناير اهن من ان يكون موضع مؤاخذة وان نظور الانواق من عصر الى عصر هو الذي جعل الناقد يذوق الحساب ! ناسيا ان البكري كان يعيش بوجوده الادبي بين الخوازمي والصابي واليدبع .

وننتقل من هذه التماثل لتسجل لصاحب الصهاريج في مفسمار التشبيه روائع جميلة حقا كان يقول «والجد كالخمر كلما طالت عليه الامداد جاد ، وكالحديث كلما علا في الاسناد ساد !!» . او يقول - وفيه من الخبرة الاجتماعية والتفعية شيء كثير .

- (١) النشر الفني ص ١٩٠ ج اول . (٢) شخصيات عربية ص ١٠٢
- (٣) شخصيات شيبوب (٤) شخصيات عربية ص ١٠٤ للاستاذ صديق شيبوب (٥) كوكب احمر (٦) روح الحياة (٧) نيت كالحريان (٨) غروب (٩) نوع من الحمار (١٠) جيش (١١) الفرع اللينة . (١٢) رقصاء (١٣) رافعات (١٤) شملة ملطنة (١٥) شجر صلب (١٦) شجر صمغ (١٧) سفير الايل (١٨) حد (١٩) اللخرة ج ١ ص ٢٠٠ (٢٠) فنون الادب ص ١١ - ١٢ ترجمة الدكتور زكي نجيب محمود (٢١) نقد النشر ص ١٠٧ (٢٢) الفوائد والقلاد ص ١٤٢ (٢٣) سر الفصاحة ص ١٦٧ (٢٤) النمل النائر ص ٧٦ (٢٥) دفاع من اللقاة ص ١١٨ (٢٦) افخر (٢٧) قبيلة (٢٨) عمرو بن تقن . (٢٩) جيش .

« والحكمة من الانعام كالحكمة من الطعام » وخلق بمن ارثتم ، في
 المردم ، ان يصاب ، ببعض الاوصاف »
 اما بلغ ما اعجبني من تصويروه فقلوه في منزل مهجور خرب
 « واذا بمنزله في الدور اشته مهجور ، كانه محجر بلا حد ، او
 شجر بلا ورق ، وكأنه مات بعد سائنيه ، وكأنهم كانوا روحا فيه . »
 وخال السيد قد احتدى فيه حلو **ابى الحسن التهامي** **ا** يقول :
 حانت ليلد الغائنين ديارهم ، فكنا ما كانوا لها ارواحا ..
 اما قوله الرابع في وصف القطار «وقد يدور في الصعيد كخدروف
 الوليد ، ان ارتقى سدوة المظلو او انحط فروح الظلم» فيجمل حقا
 لو لم يكن نظر فيه الى قول ابي العلاء ، وقد نقله في فحول البلاغة
 : ١٨١ »

من أي نتيجة سفيهة مدللج فاليس لم تصد ذوات حلو
روح الظلم أنما صوتها ارتقت فكانها صدى المظلوم
ولقد كانت هذه الصوت الموعود من أمثال روح الظلم ودعوة المظلوم
وموت المتولد بعد فراق ساكنيه جدرته أن تجذب إليها الكاتب فيقول بعض
الناس من صوره المظلمة غاصا إلى ما بعدها ، ولكن قراءته الكثيرة
للذات التشبيهية السطحية قد احتاجت دون القوصي إلى غير هافي سفيها ما قال...
ونحن نكتفي منه بأن يصير فيبر مجددا في التوب نارة ومقلدا
تارات موقدين له ولأنه الشريعة التي تصب في روح الفنان في نفسه،
روح دوج قد تضرب حولها الأسدال والسجوف فتأبى إلا أن تفسد
الأفاني مثل قول الرثم عن مكان مؤنس جميل

«سراء في جميع الانحاء ، وراحة في كل ساحة ، فكاننا نفس
الإنسان في كل مكان ، عين ماء ، تصف ما يقابلها من الأشياء ، فان
كانت حذاء رياضي ، وفساءة وغياضي ، التي فيها بوساة وزفر ، وسماة
وفجرا ، وان كانت بين الحيطان السماء ، وبوت المدن الدنساء ،
الغيتا معتمة كلب ادم مظلمة !!»

ليست هذه روح شاعر تقله الاصداء ! ولكن اولى بان يعبر
في كل جو دون ان يحبس في بعض الافاضا ولنقل الى التعبير عن
عناصر اسلوب البكري فنقول :

الدباجة : اما التركيب والالفاظ لدى السيد ! فان ما اسلفناه
من امثلة الابدية يبيننا عن سمتين بارزتين من سمات دباجته وهما
الفرابة والولوع بالانجاء .

فالقراءة التي توغل كثيرا في المفوض قد تأملت لدى الإلياذة
تأثير استاذة الفوقين الخطيرين الشقيفي وحزمه فتح الله : فقد
افهمه ثم نأشأنه ان الاملا ي بلغ ذروة البيان دون الفوق عن الغرب
البيد : كما روى عن الشقيفي افس اراجيز ارباشا واشدا غموا
وابها ثم عرف على شرها ، فكترت تروته اللوية كثرة جعلت هيامه
بالغرب ارا ما فر منه : وقد استعمر البكري وكره مسلكه والعراف
اسماء عن املها فقال في مقدمة المصاريح

الوقت التزمت في عباراتها فصح الحجاج ، ولسان رؤية بن
الحجاج ، وأنا أعلم أن من الإبداء اليوم من يتقو من القريب إلا ينظر
من الدخيل ، للاستلاب المعجزة على هذا الجبل ، فلم يشئي ذلك من
أن أودع كلام الحجاج بهذا الكتاب « وقد فات السيد أن يذكر تطور
الأذواق من عصر متقدم إلى عصر متاخر ، فإن فصيح الحجاج وأراجيز
رؤية بن الحجاج قد قيلت في زمن كانت الفصحى به لغة بحيث
وطالب ، وكان كل عربي صريح في الدولة الأموية يتقن ما بعد حجة
في اللغة والتعبير ، وإذا استمع إلى خطب الحجاج وجد لديه من
سليته القوية ما يجعل غامضه واضحا فمفوما « أما أراجيز رؤية فقد
عافها الأدباء وتعلق بها القويون لمحاولة استخدام ألفاظها في الكتابة
الفنية في هذا القرن شذو غريب بقابل بالانحطاط لا محالة ! على أن
هنالك وجها واضحا لحوادث الغرابة في خطب الحجاج وشذوذه في بيان
السيد ! فالحجاج كان خطيبا يقرع السمع ويهدهد ،

فرخ العقاب مهما جرى بذلك المثل القديم : ومن هو ستان الذي ضرب به المثل في الحزم لقد بحثت عن بعض مواقفه فلم أجد غير ترداد هذا المثل ينتفاخ حافظ عن حافظ : ثم من حنيف الحيامن هذا وما تاريخه!! اما ان نرى فلم اسمع به الا من الكبري وما قرأت لفظا واحدا عنه قبل تصلح الصهاريج !

وقد اوقفه الوجود بالسر على اخاها واضحة ، فالسيد يقول في وصف جو جميل ومناخ معتدل في ٢١٥ وكانما استدار الزمان وكان اذار نيسان : فجهل ان اذار من شهور الشتاء ونيسان من شهور الربيع ، ومن العجب ان ينس على هذا الفهم شارحا الصهاريج : كل شاد في الارض يعلم ما قال الشعراء عن اذار اذ انه ونيسان متعاقبان وهما عاينان ، ولكن استدارة الزمان تتطلب نونا في آخر نيسان فلا بد ان يبدل وضع اذار !

ويقول في ١٢٩ وكثيرا ما يشندنا احمد بن سليمان ، باقعة معة النعمان ، وربما اسمعنا نعلب عن فطرب ! ولم يكن نعلب من رواء فطرب ، وما اتبع له ان يشهد مجلسه اذ ان فطربا توفي سنة ٣٠٦ هـ وتعلينا ولد سنة ٢٠٠ فهل اخذ عنه وروى ابيه وهو في لثائف الرضاع ومهد العمام ؟ او ان باه نعلب قد فسرت باه فطرب فسررا على الخوض والانتصاع !

اما الذي عجبت له كثيرا فهو الخطا النحوي الواضح في قوله ص ٢٢٠ في وصف حديقة في ليلة ففراء «وكان اليرد عين ، يشيل عليها بلجين وكان في كل خوط سراج (كذا) ، وكان في كل بركة زلق رجراج (كذا) ، وكان على السحاب سراپ (كذا) وكان على الشارحين ان يبادرا بتصحيح هذا اللحن الواضح بدل ان يلقا طويلا عند قول الكبري ص ١٢٥ :

وان تجزيي للبين لست بجازع ولا تارك رأي الصواب السددا فيقول الشاعران : ان الشريطة اختلف في جوابها هل يقرب بالذات او يبعد اسمعنا نعلب من فطرب من التثنية بصحة حذفها منه وعلى ذلك مشى السيد المؤلف على قولهم ، والسالة في الوقوف عند اقتصران جواب الشريطة بالذات كانت ختمت فوقها آخر عند رفع اسمها كان !! وتكرر دفعه ثلاث مرات ! اما الاستشهاد بالسر في خصائص أسلوب الكبري ، اذ لا يكاد يترك معنى دون استشهاد ، وقد يجمع ابياتنا من مختلفات من فصائد متنوعة في موضوع واحد ، تطول حتى تبلغ تسعة ابيات كما في ص ٢٨٦ ولكنه يفضل موضع الاستشهاد احيانا فيخطئه ، وامثلة ذلك :

١ - يتحدث السيد عن اصدقائه في العزلة ممن يقرأ آثارهم من الادباء والعلماء فيقول ص ١٢٦ وصحبي في هذه العزلة نغم من صياحة الاقوام ، ولباب الايام ، فمهم ابر نام ، والحارث ابن عمام ، وطرفة بن العبد وعروة بن الود ، وكثيرا ما يشندنا احمد بن سليمان باقعة معة النعمان وربما اسمعنا نعلب عن فطرب ، وان شئنا حدثنا الاطون وناندنا ابن زيودن ، وعاجلنا بفراط ووطننا سقراط ثم يستشهد بقول الشافري :

ولي دوتكم اخون سيد ععلس وارطف زهلون وعرفاه جبال فهل قولك هؤلاء الاعلام منه بمنزلة الذئب الععلس (الغبيث) والتمس الاخلس والقصع ونائه من الشافري !! مع ان الشاعر المصمود لم يصبح هذه الحيوانات الا مفسرا حين ضالت به الارض وخاف على نفسه من التماس ! فاراد ان ينس عن صدره فقال لبني قومه ان الذئب والتمس والقصع على شرها الفاك اخني على من فلتاكم ؟ يكون هذا القول ما يستلهم به الاستشهاد الذي الكبري فيما ذكر من سيالي .

٢ - يتحدث السيد عن اسر تاليلوني في جزيرة تاليل فيقول ص ٤٨١ فكانه يقول نزل من بيدها عن قبل قصيد ، اي قيود واصفا من صفة الحداد ، فهو فيه يدور ويحور ثم يعقب ذلك بقول التبنني في وصف الاسد :

اما ابن الاثير - وكان من كبار الساجسين - فيشترط في السجع البراءة من التكلف فقط فاذا التزمه الكاتب المطبوع على هذه الشريطة « فانه يكون قد ملك رقاب الكلم ، ليسيند كراتها ويتولد عقالمها وفي مثل ذلك فليتناقش وعن مقامه فليتناقش » (٢٣) .

هذا ما قاله بعض النقاد من القدماء ، اما الاديب الكبير الاسناد احمد حسن الزيات فلم يعبا بالترمز السجع او المراجعة فيه ولكنه عمد الى الباب الخافى من هذه القضية فقال :

«الناثي لا يكون السجع لانه سجع ، ولا البديع لانه بديع ، وانما يكرهون التكلف والتعويبه والهرج ، وتنبق الالتفاف على المعنى النافه ، وترصيع الاسجاع في الكلام الفث كما يكرهون الزخرف المتمم عاين السجع النصار ، والطلاه الوشاة على الجسد المملوء (٢٤) وكان الاسناد الزيات لا يعنيه ان يلتمز السجع او لا يلتمز انما يعنيه الصدق في التعبير ، والصدور عن احساسه فاذا لم ذلك في ثقل السجع فهو الخيد الخيل والاد غلب التكلف والتعويبه والهرج فهو التافه المرذول ، ونحن اذا وضعنا ادب السيد في ميزان الاسناد الزيات ، وجدنا لديه ما يصدر عنه من رقة الحب وصفك الشعور ، وذلك ما يجعلنا نتحمل بكثير من ثراه الفني دون ان نتحمل بنثر صديقه واستاده حمزه فتح الله مثلا ، ولن يعيب الشيخ حمزه الا بعد من ابطال التثر الفني الاصيل ، فحسبه ان يكون استاذ ادب كبير وعالم لفة جهير وشيخ ودوين !!

يحي ان افول ان من جناية السجع على أسلوب السيد ، انه يدفعه الى اتي حشد اسماء مختلفة لآثي ومدن ومشاهد ، قد لا تكون هنالك ضرورة فنية لتواليها غير الحرس على السجع ! فهو مثلا حين يصف غاب بولونيا وما تعج به المدينة الفرنسية من آثي وحركة وضجيج وتدفع يقول :

وقد حاست الطرق الباردة ، وخرت البرازيق بالنظارة ، فكانما انفجع سيل المرم ، وكانما في كل سيل جين منزم ، وكان كل بهو ايوان ، وكان كل شاعرة راس غعدان ، فكانما كل بستان شعب يوان ، وكل حائط سد ذي القرنين ، وكل طريق واد بين الصداقين ، وكل فطرة فطرة خرازا ، او فطرة البردان ببغداد ، وكل قصر المشني ، وكل كنيسة كنيسة الرها ..»

فانت ذا ترى السجع قد حتم على السيد ان يشند اسماء مشتهرة وغير مشتهرة دون موجب ، فاذا كان القاري يعرف شيئا عن قصر غعدان وشعب يوان وسيل المرم لاشتهارها ، فان يفسر الى البيت عن حشيات التكرار من امثال فطرة خرازا ، وفطرة البردان ببغداد ، وكنيسة الرها مهما قيل عن بعضها انها من عجائب الدنيا ! واذا انتقل القاري الى نعيم الالتفاف والحبث عن المعاني فقد ضاعت متعة القراءة وفقد التأثير الادبي مدلوله التفاضل .

ومما يؤكد ان السيد يسوق امثال هذه الاسجاع دون حاجة فنية الى سولها ، انه يختار اسماء كثيرة لا يتخطها الالف . فهو مثلا حين يتنبأ لولود صغبر بالجد والسعادة في المستقبل لا يتكفي بان يذكر اسما تاريخيا لعلم من الاعلام يتوقع ان ينجح نهج الولود بل تسوقه السجعات الى حشود من الاسماء تتجمع في مثل قوله :

«واكني به وقد شدا يلب بالركة كما يلبب الصمي بالركة واذا هو اجود من حاتم ، واياي (٢٥) من حنيف الحيامن (٢٦) ، واحزم من ستان ، واعدل من الزيان ، واحمي من مجير العلق ، واقل من ابن نغن (٢٧) ، واحيا من كمام ، واحلم من فرخ القاب ، واحمل من ذي العمامة ، واثر من كعب بن مامة ، واجسر من قاتل عتبة ، وابشئ من دوسر واحزم من فسور ..»

فان مولود يستجمع له ذلك شجاعة وحزما وعدلا وحلما وجسمالا وحياء وجودا وإيثارا وعظما .. وما هذا التثني حتى بما لا يقلل معناه الا ان يسيفه الذوق المعاصر في حليم يرضى ان يكون احلم من

مدبنتسي دون السماء
رؤيا تلوح في الضحى .. نعيم في بحر الضياء
رؤيا تحت الفارس الساعي اليها من بعيد
قلبي يا فارس اوهامي كم أنت غنيـد

مدبنتسي ذات الالق
تلاّلت في الافق نجما وسط حمرة الشفق
أريد ان أوى اليها قبل مصرع الظلال
قبل اختناق الكون بالاخزان في كف الليال

مدبنتسي المحببـه
تحبي مناي في المدى قبائها المنجـه
وسورها العاجي ذو الابراج يعشي بصري
يشع نورا وهو مني دون مرمى حجر

ان مصي مفتاحها
فليس غيري من تناهي واستشف روحها
بالبلبل .. بالنعج .. بلا من بلا وهم الجزاء
ينال ذاك الخاطر الغافي على ظن الخفاء

ها انني ببابها
اهم ان اسمع دقات فؤادي من بها
امد كفي نحو حلقة الباب ولكن .. أسفا
أهامني اللاشيء .. حتى الحلم ولى واختفى

واستبدين بآفتابها
اذا بها .. مدبنتسي .. تحتل عبرة الاسي
ابصرها بعيدة جذابة كمهدبا
تشدد قلبي نحوها قسرا برغم بعدها
برغمه ؟ لاجله ؟

سر خفي ضاع هذا العمر دون حله
كل الذي ادره اني ليس لي اليوم خيار
لا بد من بلوغها ليستقر لي قرار

المدينة المسحورة

الدكتور جمال مرسى بدر

الجزائر

يظا الترى مترفقا من تيهه فكانه آس يجسى عليلـا
ومعروف ان المتنبي يصف اسدا متاعقا نياها يسير في رفق
متسامخ دون ان يعجله شيء ! وذلك قبل ان ياجأ بمنازلة البدر بن
عمار ؟ فهل كان نابليون في اسره الباكي ودعمه المذرف كاسد نياه يظا
الترى مترفقا حتى يجوز الاستشهاد او ان السيد غفل عن السياق .

٣ - يتحدث السيد عن الريف فيصف مياهه وطبوره وحقوقه ثم
يقول عن نواغيره ص ١١٠ : « ونواغير كانها عشاق ، بعد فراق ، لم
يبق فيها غير ضلوع ، واثين ودموع ، قد اوشم التبت حولها وطر ،
واستدار الحدج واخسر ، ثم يستشهد بهذا البيت :

تربع ليلى بالمفيسج فالحمى وتقتاذ من بطن العقيق النوايا

وكاته فهم ان (السوايا) في البيت هي النوايعر ، ومعروف ان
العقيق لم تكن به ناعورة واحدة ولكن السافية هي الجدول الصفيـر
كما في كتب اللغة وقد قال المتنبي :
قواعد كالفور سواره غيرـه ومن ورد البحر استقل السوايا ؟
فاين مكان الاستشهاد اذن ؟

هذه وامثالها هنات يشفع لها ما احسن فيه السيد من اختيار ،
ومهما تناوله الناقدون بالتعطيل ، فان من آية فضله ان يصور شعوره
في لغة عربية راقية سبق بها زمان التحرر الادبي كما تسبق اصواء
الفجر شروق الصباح !

محمد رجب البيومي

الفيوم - دار المطبوعات

وانطلق يحدثنا عن تونس ..
تونس اليوم .. وبعد عهد الاستقلال .. ماذا في
تونس من نهضة ثقافية ..

وجرح ذلك الى الحديث عن جامعة تونس ، وما
الذي حققته هذه الجامعة ، وعن الاجيال التي خرجتها
جيلا بعد جيل ، فاذا هم قافلة عديدة هائلة ، لها بداية ،
وما تزال يلاحق بعضها بعضا ، كأنها سيل دافق لا ينضب
له معين ، ولا تكون له نهاية ابدا ..

ثم اطال الحديث عن الرسالة التي حملها هؤلاء
الخريجون ، وعن الاعباء التي اتبعت بهم ، وعن المنجزات
العظيمة التي حققوها في مختلف الميادين ، وفي شتى
المجالات .. ثم كيف تم على ايديهم ، وعلى ايدي خريجي
جامعة الزيتونة ، تعريب التعليم ، ثم تعريب كافة منشآت
الدولة هناك ..

ودفق ذكر جامعة الزيتونة ، الى الحديث عن هذه
الجامعة ، فذكر لنا انها كانت الصورة المشرقة للجامع
الازهر في المغرب العربي ، وطيلة عصور الانحطاط كلها ،
وانه كان ينبعث منها بصيص النور ، وبصيص الامل ،
فبشيء الطريق بين ايدي المكافحين من اجل الحرية .
طيلة عهود تلاحت طويلا ، وتنوعت فيها ميادين الكفاح
واساليبها ..

وكيف أصبحت هذه الجامعة اليوم ، تسير مع
المدى الذي يفرضه تطور القرن العشرين ، بكل ما فيه
من مقاربات العلم ، وجديد المخرعات ، فهي الان جامعة
عصرية ، تقوم الى جانب جامعة تونس ، مستندة الى
مكتبة من بائنيها العريق ، ومنطلقة الى هدف بعيد ،
يدفعها اليه سيرها الحثيث في ركاب الحضارة ..

حدثنا بذلك وباكثر منه ، عن النهضة الثقافية ..
ثم حدثنا بعده : عن تطور العمران في الساحل والداخل ،
والمدن والساكن .. عن تطور الصناعة ، وفي حدود
الامكانات القائمة .. عن تطور الزراعة ، في السهل
والجبل والصحراء .. وكنا نصفي اليه ، ماخوذين ببراعة
وصفة ..

نصفي اليه : وهو يصف لنا السهول الدافقة
بالخير ، والماتجة بذهب الحنطة ، والكثيرة بالخضرة
الفاتنة ، يلاحق بعضها بعضا طيلة ايام العام .. وهو
يصف لنا حدائق النارج والليمون ، مثقلة بنتائجها ،
معطرة الآفاق بمبعر زهرها الخلاب .. وهو يصف لنا
السفوح زاخرة بالكزبرة ، غاصة بأشجار الزيتون ، الذي
تناهى صيته الى بعيد الآفاق ، وحملته السفن زيتا وحبا
الى نائي الشيطان ، وسحيق الاوطان ..

وهو يصف لنا الجبال ، تكلها الصايف ، زاخرة
بالنعيم ، وقد احاطت فيها الحدائق بالدور والقصور ،
حافلة بالشجر والتمر والزهر ، تجري بينها الينابيع
بماء السلسيل العذب .. وصحبت مما سمعت .. وقلت



محمد سليم رشدان

في مسالك الدروب

بقلم محمد سليم رشدان

المحاضر في كلية الاداب بالجامعة الأردنية

البلد .. الاخضر www.beta.Sakhril.com

كان لقائنا به في نادي خريجي الجامعة الاميركية في
بيروت .. وقد هيا لنا ذلك اللقاء الأستاذ المؤرخ الباحث
الدكتور نقولا زيادة ، وقال لنا انه واحد من طلابه ، وانه
يعتز به طالبا ، ويركن اليه صديقا .. وسماه لنا :
الأستاذ محمد الحبيب عباس ..

وقال عنه : انه مختص بدراسة التاريخ ، وأن
اطروحاته للدكتوراه انما هي عن تأثير النهضة الحضارية
في تونس - وفي مختلف وجوها - بالنهضة الحضارية
الاوروبية ، وذلك منذ بداية عهد النهضة ..

واستغرق الرجل في حديثه ، وافاض فيه شأن
المؤرخ المطلع ، والباحث الخبير ، ولم يدع جانبا من
جوانبه ، الا ووسعه تفصيلا وابانة ..

واصفينا الى حديثه اصفاء المتشوق المستمتع ..
واستوعبنا كل ما فيه ، استيعابا من تناهى اليه الحكمة ،
فالتقطها حرصا عليها حين وجدها .. وكانت شائسته
المتشودة ، وطلبتة التي بحث عنها واطال البحث ..

والفيناها فرصة لا تموز . وبحسن بنا ان لا
نضيّعها ، وانتقلنا بالوأل من غابر تونس الى حاضرها ..

متصفا بصفات العلماء ، وابرز هذه الصفات الجميلة المحمودة ، هو التواضع الذي تضرب به الامثال حتى يقول القائلون لمن يحمل تواضعه : «ذاك تواضع العلماء..» ! ذلك شأن من علمته الايام ، فافاد منا علما ينتفع به هو قبل ان ينفع به الاخرين ، ويضع نفسه في موضع من يبين لهم وجوه الرأي.. ولكنني رايت صاحبي حين اردت ان اتبين امره .. رايته .. يطل على الاخرين اطلالة من تركز في يقينه ، انه خلق من طينة غير طينتهم ، فهم دونه لا يرتقون الى مرتبته .. ولا يصلون الى مستواه .. ومن يوم ذلك .. صرت اذا سمعته يردد على نحو ما اسلفت آنفا : «علمتني الايام» .. صرت اقول ببني وبين نفسي : «كلا يا صاحبي .. انها لم تفعل !..»

مجاهد ..

في جزيرة ارواد .. وعلى مقربة من الشاطئ السوري .. لو قدر لك ان تجتاز ذلك المضيق الفاصل بين مدينة طرطوس وبين تلك الجزيرة ، ثم تهباً لك ان تصعد الى القلعة الحصينة ، القائمة في وسط الجزيرة ، وتدخل الى السجن الرهيب ، الذي كان يحضر فيه المجاهدون الاحرار من شباب العرب ايام الحكم التركي الظلم ، والمجاهدون الاحرار من ابناء سوريا ولبنان ، ايام الاستعمار الفرنسي البغيض ..

لو قدر لك ان تزور جزيرة ارواد .. وتهايك ان تصعد القلعة .. وتدخل سجنها الرهيب .. اذن .. رايت هناك ما سوف تذكره بقية عمرك .. وانها لا تار .. تلك المجاهدين الاحرار ..

فهذه زاوية : ابراهيم هنانو .. وذلك مقام : عبد الرحمن الشهبندر .. وحياه مجلس : نجيب الريس .. والى جواره مستند : فخري البارودي .. وهكذا .. وهكذا ..

وتعني تقرا اسماء الابطال .. والشهداء .. والمجاهدين الاحرار .. ممن حفل تاريخنا الحديث بذكر بطولاتهم ، وسرد مواقفهم الرائعة ، وتعداد اعمالهم المجيدة ، في سبيل تحرير الوطن العربي من كل غاصب .. انه حرم مقدس المشاهد .. بملا نفسك رهبة وجلالا .. وبعيد اليك من الذكريات ما يفيض به القلب اشجانا .. ولسوف تقرا هناك :

يا ظلام الجن خيم اننا نهوى السلام

ليس بعد الليل الا فجر مجد يتسامى !..

سوف تقرا هذا التشديد .. وتقرأ الى جانبه اناشيد اخرى غيره ، مما كان ينظمه اولئك الاحرار في سجنهم ذلك ، ثم لا تلبث ان تهدير به اصواتهم ، فاذا هي تمايل جوانب السجن الواسع ، ويتسرب صداها الى اسماع الكثيرين من ابناء الجزيرة ، فاذا هم ينقلون تلك الاصداء ، الى افواه الكثيرين ، الذين لا يلبثون ان يرددوها في

لحدهي : ولعلمهم نعمتها من اجل ذلك بتونس الخضراء !.. فقال وهو يبتسم : انهم نعمتها بذلك ، وانه لنعت لا يفيها حقها وان فيها الى جانب تلك الخضرة شيئا كثيرا اغفلوا ذكره ، واهملوا وصفه ، وغمطه حقه .. ان فيها روعة السماء .. وفننا الاصيل بتسمية العذب عند شاطئ البحر ..!! ان فيها السحر الخلاب ، والجمال الاسر ، والسرحة الشاعرية ، حين تشرف من ذروة الجبل - اي جبل - على السهل المنبسط بين يديك !.. ان فيها طيبة الناس ، وخلقهم العربي الاصيل ، وحسن تقيهم لك ، وانك احسوا انك غريب ، وانك اخ لهم في دين انعروية .. !! ذلك بعض ما فيها ، وهو قليل من كثير ، مما اغفلوا ذكره ، حين نعمتها بذلك ، ووقفوا عنده ..

بهذا حدثني الاستاذ التونسي المؤرخ .. ذكرته في الامس ، حين سألني صديق : « ما معنى عيد الاستقلال التونسي ، الذي تحدثت عنه الصحف ، واقيم له حفل مشهود في فندق الاردن بعمان ..! » .

فقلت له : ان من بعض معانيه حديثا طويلا ، ليس فيه من السياسة شيء ، وهو من ثمرات ذلك الاستقلال .. وحدثته بحديثي ذلك ، الذي نسبته الى قائله ..

وارجو ان لا اكون قد اغفلت منه شيئا .. فهو جدير بان يروى كاملا .. وهو جدير بان يسرد غسر متقوس .. فلعل فيه ما يدفع الراغبين الى اعمار اوطانهم الى ان يعمروها ، وبذلك يجعلون من كل قطر من اقطار وطننا العربي الجميل (تونس الخضراء) .. وما اروع ان يغفلوا هذا !..

علمتني الايام ..

كان اذا استهل حديثه في مجلس يدها بقوله : «علمتني الايام» .. يقولها بعد ان يبعد بين يديها بقتره صمت قصيرة احيانا ، وطويلة احيانا اخرى . وبعد ان يشمل في قولها ويتأني ، كانها هو يبنى حروفها واحدا فوق واحد ، وكانها هو يحرس على ان يكون هذا البناء محكما متماسكا لا يدع فيه نقصا يؤول به الى ان ينهار ويتداعى ..

ورايته اسجل عليه ذلك كله ، وفي مواقف كثيرة لا حصر لها .. اسجله في نصح .. واسجله في اسلوبه الذي كان يلقي به .. والذي كان لا يعتبره تحويل ، ولا يسهه تبديل !..

وقلت في نفسي : ان الذي «علمته الايام» لا بد ان يكون عالما ، فمن علمته الايام لا ينسى ما تعلمه منها ، لانها تفرقه بحدث من احداثها ، او مشهد من مشاهداتها ، يبقى اثرهما عالقا في الذهن ، مستقرا في سويداء القلب . ثم ان الذي يتوفر له مثل هذا العلم ، لا بد ان يكون

الحب الكبير

أواه .. يا حبيتي لو تعلمين
كم انني حزين ..
الدمع غمر ، والفؤاد متسع حين
فقد بحثت عنك منذ حين
لاشتكي اليك حبي الدفين
ولهفتي الى اللقاء ..
الى الضياء من عينيك .. يا خربة الجبين
لكن بحثي عنك طال ..
كالبحت عن معالم الطريق في الرمال
كالبحت عن طبيعة المحال

سالت عنك زهرة القدير
لان فيك من اريجها عبير
لكنما صدى السؤال ..
يرتد دائما .. محال تلتقي بها محال

أواه .. يا سمية الهلال !!
يا سمحة الاخلاق .. والخصال
هذا الصدى كانه الحروق ..
كفصة مسمومة الاشواك في العروق
للتقي فاني اعيش في هموم
الوب في مناهة كثيفة اليوم
كسندباد كفة تهتد للنجوم ..

للتقي .. يا حبي الكبير
يا من غرست في جيني الاباء
والكبرياء .. !!
للتقي فاني حزين
الدمع غمر ، والفؤاد مترع حين

مقبل العيسى

جدة - السعودية

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

بدمائهم الزكية الغالية ..
انه بقية اولئك المجاهدين .. ورفيق جهادهم المشرق
كلما حزبت الامور ، وكلما تازمت المواقف وكم كانت
تحزب تلك الامور .. وكم كانت تتأزم تلك المواقف .. !!
ثم انه سجين ارواد معهم .. وما بقي في هذا السجن من
آثار دليل على ذلك لا ينكر ..
فرحم الله البارودي .. لقد كانت حياته صفحة
جهاد مشرف .. وقد طواها القدر في الامس القريب ..
وهنيئا له بقاء الاحبة الابرار من رفاق جهاده في عليين
عند ربهم .. وحسن اولئك رفيقا .. !!

محمد سليم رشدان

عمان - الاردن

مسالك بيروت ، وازقة دمشق ، ودريونات بغداد ،
وحارات بيت المقدس ويافا .. وحيفا .. وحلب .. وسواها
وما اكثر سواها في جوانب هذا الوطن العربي الكبير ..
انها ذكريات عزيزة .. تهيجها في نفسك وفقتك في
سجن القلعة في ارواد ، اذ انت وقتتها يوما من ايام
عمرك ..

ولقد كتب لي ان اقفا ذات يوم .. ورايتني
استعيد ذكرى هذه الوقفة ، وانا اسمع من المذباغ نبأ
وفاة المجاهد فخري البارودي ، وهو بقية اولئك الثغر
الابرار ، الذين عمروا ذلك السجن ذات يوم ، وهم يكتبون
تاريخ جهادنا الحديث ، ويخطون صفحاته المشرقة ،

لماذا لا ارحل عنك يا قريتي ؟
 وحكاية «جير» تكاد تنطبق على ،
 وتكون لوحة قبري نسخة طبق الاصل
 عن لوحة قبره : (هنا يرقد جير ،
 من بطن امه للقبير ، لم يذق طعم
 الراحة ..) لماذا ابقى فيك يا «ام
 النعمان» ، وقد مزقك كبرياء الناس
 وتعاليمهم ؟ .. وحدي انا ، ونفر
 قليل من سكانك ، نعمل في الارض ،
 منذ شروق الفجر حتى ديب الغيب ،
 فلا نلاقي الا التعب والعرق والدموع ،
 وهزء سكانك الميامين ! .. هؤلاء لا
 يتعبون ولا يشقون .. ياكلون لقمتهن
 على مهل .. مضغعة بالمسل ..
 ياتيهم المال من وراء البحار .. من
 المهاجر البعيدة .. ونحن وحدنا
 نحرق ونشقى ، وتكون لقمتنا صعبة
 المثال ! .. نذفن الجيوب في صدور
 الارض .. تقامر بها .. ننتظر المواسم
 شهورا .. نشذب اشجارنا لتؤدي
 بنا الى سلاام السعادة ، فلا تنتصب
 السلام الا في الفصول .. يطول
 انتظار القرش على ارضك يا «ام
 النعمان» ، في قلوب الفلاحين
 امثالي .. والحياة فيك اصبحت
 لا تطاق .. هالات من البهرجة
 والفطرسه تحيط ببيوتك ، وتظهر
 في ملابس نسائك ورجالك واطفالك .
 قليلون ممن يعملون في ارضك
 يقدرون ان يبقوا في هذه الحلقة ..
 نحن وحيدون يا «ام النعمان» ..
 وغدا تبقى ارضك وحيدة ايضا ، الا
 من المتبرجين ، فلا يطل عليها الا
 من يستاجر من القرى المجاورة ..
 وصديقي ان تراك صار رخيصا ..
 كان اجدادنا لا يبيعونه الا اذا عجزوا
 عن فك مشنوق ، ايام كان الشنق ،
 لا يقتدى بعهد العثمانيين ، بغير
 المال .. اما اليوم ، فكل من يش
 منك باعك ، واشترى بمالك لحما ،
 وخيزرا ، ونبيدا ، وقيابا جديدة ،
 على الموضة .

لم يعد من قيمة للفلاح يا «ام
 النعمان» ، وولي العهد الذي كان
 يقال فيه «فلاح مكفي سلطان مخفي» .

قيمة الناس بما يملكون من رباش ،
 ومال وثياب . لم يعد للخفاء من مكان
 ولي عهد السلاطين .. واتى عهد
 السجابر الاجنبية ، والقبعات
 الاميركية ، والكرافات الايطالية ،
 والاخذية الالمانية ، والقمصان
 الحريرية ..

اريد ان ارحل عنك ، واترك
 اهلي امانة على ارضك ... اترك ابي ،
 الشيخ الوقور بقاسي غربتي .. اترك
 امي المعجوز تعاني من غياب وحيدها
 ما تعانين من الوحدة .. الا انسي
 ساوفيا بالمال ، كيفما كانت ظروفي
 .. ساعمل في المدينة كتابا ..

قيمة الناس

بقلم نصرت توفيق خريش

مساعد كاتب .. مراسل مكيب ..
 يقفني عن انتظار المواسم والشمس
 شهادتي الابتدائية تخولني ان اشتغل
 براتب محترم .. فأتيت في وظيفتي
 وترتفع مع الايام اجرتي ! ..

ومع اول بوسطة هدرت في ساحة
 القرية ، مقلعة نحو بيروت ، كنت
 ازرع امالي في اشدق المجهول ..
 تاركا العزلة السوداء تدعني بحملة
 من عينها الواسعتين ، والنوران
 النشيطان يستريحان في الاسطبل ،
 بانتظار «سوق الخميس» فيعرضهما
 والدي للبيع .. ويعرض معهما
 حمارنا الصبور ، بأرخص الاتمان .

قصّة

وكان لي خالة تسكن حيا
 ارسقراطيا مع زوجها في راس
 بيروت ، فنزلت عندها ، ريثما
 اتيسر باستئجار غرفة تناسب مع
 حالتي .

عندك هنا ، السعادة ، يا خالتي
 .. الكهرباء .. الماء .. التلفون
 الاوتوماتيكي .. البراد .. التلفزيون
 .. التزهات البحرية .. الافلام
 السينمائية ..

كم يسعد الانسان عندكم في
 المدينة ، يستحسون بالماء الساخن
 والبارد ساعة تشاؤون .. ان المرء
 هنا يشمر بضالة القرية .. هنا
 يدفن الانسان احزانه .. اريد ان
 ادفن متعابي ! ..

كم من فارق بين حياة خالتي
 هذه ابنة المدينة ، وحياة امي تلك ،
 ابنة القرية ؟ .. مكينات بنات
 القرية ، لم يهتأ بهتن الا من ذهب
 اولادها الى المهجر او المدينة .. لا
 يأتي المال الا من المهجر والمدينة .
 مواسم الارض لانعطي المال .

عجيب سر هذا المال .. لا يسعد
 الا من امتلات جيوبه منه .. ومن
 كانت جيوبه فارغة فقد احتواه غلام
 الحياة ..

وكان زوج خالتي يحب في باطني ،
 على حد قوله ، وعباراتي القروية ،
 وكلامي المنسق ، واخلاقي التي لم
 تطاها بعد افكار المدينة .. وقد ابدي
 لي استعدادة لوظيفة انزل في بحرهما ،
 فاجبر من شاطئ الافلاس ، الى
 شاطئ المال .. ولم يكن من مجال
 امامه ، وانا حامل الشهادة الابتدائية ،
 الا ان يوظفني في شركة للظيران ،
 مساعد كاتب ، بمعاش جيد .

شعرت وانا اتسلم عملي ، بزهو
 ولا اكبر . لان شهادتي التي كان
 يصورها لي اهل القرية ، بانها لا
 توازي شيئا ، وبان حاملها من
 ماضي الاخذية يصلقونها على «علب
 البوبا» صارت هذه الشهادة شيئا
 عملاقا في يدي . ترفع الامال في
 افق حياتي ، ليس همسا ، بل جهورا

ذكريات بعيدة

كان يلقاها كل جمعة عند شط البحر في بيروت ، ثم افتراها هي الى شط العرب وهو الى بلاده ، وجأت الجمعة واشتد به الحنين

للقانا .. يا له من موعد !
أم مثنى البين على المهملندي؟
قد وهبت الحب يومي وغدي
في فؤادي مائثر متقصد !
في الصحاري هائم يا كبدي
فأحييك .. وتمتد يدي !
وأناغيك ... وما من أحد !
من حريق ، من حديث غرد

حسن نجيله

هذه «الجمعة» كانت موعدا
اترى تذكركه يا ملهمي
لا تسليني كيف احيا بعده
بصت دارك الا من جوى
انت في «الشط» بعيد.. وأنا
تترأى لسي خيالا فاتنا
وأناغيك .. وما تسمعي
ظمئت روحي ، فهلا رشقة

الخرطوم

وحقيقة ، ساكتب عنها للوالدين في
القرية ، مبشرا وسأكل على معاون
«البوسطة» ان ينقل رسالتي اليهما،
وان يقرأها لهما على مسمع من
الجيران والجارات ...

وسيعرف الفتيان في القرية ان
الشهادة الابتدائية شعاع ذهبي ،
يفتح لها عامل المصعد الباب ،
وينادينني سائق التاكسي من اجلها :
الى اين يا استاذ ؟ طالع يا استاذ ؟
واذا لم يصدقوا فسادعو غير
المصدق منهم الى عندي ، وسأدخله
معي الى المحلات التجارية ، وسأجله
يسمع التاجر ، اي تاجر ، كيف
يرحب بي : تفضل استاذ .. تكرم
عيونك يا استاذ .. بلا مصاري
للاستاذ ..!

واستأجرت دارا تتألف من غرفتين
ومطبخ ، اجرتها الشهرية ربع المعاش ،
كثر خير الله وشكروا للخالة وزوجها
سارد لهما المعروف في المستقبل ان
شاء الله ..

جبراني في البناية طيبون ،
وساكون معهم اطيب ، اذا دعى الامر .
صاحب الدكان يحميني دائما ويقول:
امر اي خدمة يا استاذ .. وعندما
اشترى من مكانه يقول : اذا ما في
معك خليها لآخر الشهر يا استاذ ..
وتوالي شهران .. ثم ثلاثة .. ثم
خمس .. وأنا امشي في الشركة على
زعمي مثل الساعة . وكاد لا يعكر
راحتي الا قفاظة هذا الكاتب الذي
عينوني مساعد له .. يا الله ، كيف
ينقلب الناس؟ ماذا دهاك يا حصرة
الكاتب ؟! .. ما الذي بدلك ؟ امن
اجل غياب ساعتين تعلم المدير ؟!
ما قيمة الساعتين في حساب الشركة؟
هل انكسرت الشركة ؟ هل اعلنت
افلاسها من اجل غيابي ؟ هل علقوا
لك وساما ؟ يا الله ما اضيق الناس؟
ودعاني المدير اليه .

— اسمع يا «حيدر» . نحن اكراما
لزوج خالتك ، عيناك في الشركة ،
مزعج انك لا تحمل من الكفاءات العلمية
الا الشهادة الابتدائية . فصرت تعمل

عنترنا على الكاتب المسؤول عنك .
مرة تخبر عن العمل .. ومرة تعود
على اوامره .. و...
فرحت اتمل افكاري .. اجملها ..
اصوغ من طماني القارة اعداد ..

— الكاتب زادها علي يا سيدي .
— وانت زدتها على الكاتب ، وعلى
الشركة ، يا خواجه . روس كبيرة
ما بدنا ، مضيقه وقت ما بدنا . انت
مفصول عن العمل اعتبارا من صباح
غد .

ونزلت من مكتب الشركة مهرولا
.. مهزوما .. لم استعمل هذه المرة
المصعد الكهربائي . لقد كنت اتخاذل
على سلم الدرج .. مشيا على
اقدامي .. تنتصب امامي البطالة ..
الحقد .. البحث الجديد عن عمل
جديد .

وكرت شعور سود .. ديون
تستحق لصاحب الدكان .. ثلاثة
شهور غير مدفوعة عن اجرة الدار ..
وجبات طعام حقيرة .. شبع قليل
.. ضياع .. اضمحلال .. ضلال ..

حياة ربما تنتهي بفاجعة .
كل الوعود التي كنت انتظرها
للمعمل ذهبت في خبر كان ..
— آسف يا استاذ .

وعندما يشفق الله ينزل السعد
من السماء ...
ربحت الجائزة الكبرى في
اليانصيب .

تصدرت صورتي الصحف .
انفتحت ... الا انني لم اطق من
الفرور هذه المرة .

قبضت المبلغ وركبت احقر سيارة
متوجهة الى «ام النعمان» .. لاشبع
معدتي . لاستغفر ابي وامي .
لاعتذر الى ارضي التي اتركها
وحققت عليها ... انها ستحتاج الى
الكثير من العناية والمال ... لن
اخذ عليها بشيء .

سأعود انتسب الى ترابها ..
وكرمها .. وبساتينها .. وصخورها
.. وسأعرف هذه المرة كيف احب
التراب وابني لي بيتا على التل .

عين ابل — لبنان نصرت خريش

مكتبة الاديب



ديوان عدي بن زيد العبادي

ديوان عدي بن زيد العبادي - حقيقه وجمعه محمد جبار العبيد - ٢٢٩
صفحة - شركة دار الجمهورية للنشر والطبع - سلسلة كتب التراث
٢ ، مديرية الثقافة العامة بوزارة الارشاد ببغداد

محمد جبار ... أدركته - ان صبح التعبير - طالب مثل اي طالب في كلية الآداب ، او هكذا كان يبدو ، لا يتميز بشيء اللهم الا ان يكون صموئا ، نلقته - لصمته - بعيدا عنك ، وماذا يهمك منه ما دام كذلك ، وقد كفك شره ! لا ، ولم؟ فقد يكون احسن مما هو ، ولا بد من ان تنف على حقيقته فقد تكون له قابلية تجهلها ويجهلها هو . من يدري ؟ وما قيمة الأستاذ ان لم ينظ الى القراءة لتلاميذه ، فيسير غورهم ، ما قيمته ان لم يكتشف ، وان لم يستشر الطاقة الكامنة ! لقد بدأ الصامت ينطق بالكلمة والكلمات ، وفي حروفه الحية ما يدل على ابعاد من حدودها ، وبدأ الهادي يتحرك ، وفي مجالس حركته مخايل بركة ، انه لا يتكلم مختارا ، واذا فلتسأله . ولا يتصرف طواعية ، واذا فلتضغط عليه .

وتوزع عنوانات البحوث ، وتبليغي نصيبه دون ان تعلم مكان الرضي او الصخط من نفسه ، وترام ايام واسابيع فاذا بك ازاء بحث جيد ، فيه ما للبحث المحترم من مزاي : مير ، مادة ، تنظييم ، متناقضة ، ولصاحبه بكر للباحث المحقق من شرائط ، بما في ذلك الاستماع للاستفادة من الملاحظة ، والقبول للتقد .

ثم تقدم ... انه من هؤلاء الطلبة القلائل الذين يتقدمون «متأخرا» وكنهم في عالم الدرس والبحث «للتأيقون» في الشعر والفن . اشهد انه تقدم كثيرا في مدة قصيرة ، واشهد انه خرج من دائرة المتوسط الى الدائرة المتفوق .

وتخرج في كلية الآداب ، ويتبع من بغداد ، وقد تخرج قبله وبعده كثيرون ، ولكن من هؤلاء القلة الذين تختلف اخبارهم عن اخبار الكثرة ، كما وكيفا . لقد «فين» مدرسا في احدى متوسطات البصرة ، ولكنه بفرأ وبتابع وبرزاد المكتبات الخاصة العامة ، وبمضي اقيب اوقاته مع الكتب - واي كتب ! الصغر والمخطوطة والثقيلة ، يالها ويأسي بها ويجهها .

وتسمع ان جمع ، وانه بدأ يحقق ، ثم تقرأ له - و هنا وهناك - تعليقا على كتاب صدر فيزاد ذلك حسنا ، ورايك توندا ، واماك الهادة . وسير الايام هادئة ... ثم يقرر الباب ، فهاذا ورايك ايهسا الطارق ؟ وما ذاك يمينيك يا محمد ؟ «ديوان عدي...»

اذا ، لقد اصبح لمدي بن زيد العبادي ديوان ، بعد ان يشي الباحثون ، وكان يجب ان يكون له منذ امد بعيد ، لانه ظاهرة خاصة في ادبنا الجاهلي : لحياته ولشعره . لحياته... في السفارة بين الروم والفرس ومكانته لدى الاسرارة و «التأردة» حتى لقد كاد ان يكون ملكا ، وبلغ الفزلة التي يستطيع معها ان يتعصب هذا ويحول دون ذاك . وهكذا كانت بدء طولي في تنصيب التعمان . وكان التعمان «ضعف» من يعرف الشاعر ، فضعف لاعدائه وشرايتهم وقرانهم ، فاستقدمه من لندن كسري «مشتاقا» والقاء في غيابة «الصنئين» .

وقد طال السجن ، وعدي ينظم القصيدة ولو القصيدة شاكيا ، املا ، مدافعا .. دون جدوى ، وبماذا يستطيع انسان ان يتقرب من انسان ان لم ينفعه فضله واخلاصه وبراهنه ! ما كان افساها تجربة ! وليصعها في بيتت سار مسير المثل وظل طريا على كي القرون : لو بغير الماء حلقي شرق كنت كالفصان بالماء امتصاري

شديدة الحرارة . مسكين ! كان قبل اليوم كبيرا ، وكان يطمح الى الخلود ، ويتمنى ويحب ويحرب .. وبحسب انه ادى خدمة جليلة ، اما اليوم فقد راي الحقيقة مرة -

ان حياة عدي قصة مكتملة الاجزاء - قصة مأساة . ولشعر عدي بن زيد اهمية خاصة شكلا ومضمونا ، وانك قد تستصفه وقد تراه على غير ما ترى شعر الفحول من امثال اسرى القيس وليد ، ولكته حاز اعتراف الاقدمين ، ونال اعجاب عدة منهم ووضعه محمد بن سلام في الطبقة الرابعة قال : «سكن الحيرة .. فلان لسانه وسهل منطقته» وكان لهذا القول صدى قوي لدى النقد الحديث . وراه آخرون سابقا على الاضى ، ولسفا طبعيا لاسي الصافية ، وربما كان سلفا - بوجه اخر - للعباس بن الحنف وابن الرومي ..

ولئن تأخر صدور ديوان عدي بن زيد ، لقد صدر على خير ما يمكن ان يصدر ديوان ، وعلى النهج الذي يصلح معه ان يكون اساسا متينا لدراسة علمية . لقد بذل «العبيد» جهدا نادرا هو اساس في صيانة المحقق ، فمن لا يملكه ويملك الصفات الاخرى من دقة واتاة وذكاء... فليس له فيها مكان .

واشهد ثابته او لائنة ان محمد جبار لم يدرس هذا ، او كل هذا في كلية الآداب ، ولكنه تعلمه بادامة النظر في الكتب المحققة ، وتعلمه بغير استوسوب ما يتعلمه وينتقل ما ينفعه ، ثم «يتقن» - يزيد - ويبدع . انما هو في امة المخطوط انتنت وضروص صفحة ، ولكنه بقي مجهولا طول هذا الزمن ، على كثرة ما نشر الناشرون وحقق المحققون ، وعلى الرغم من مثابة الاب لويس شيخو والفرابي في الشرق والغرب . انه كان قابلا في البصرة ، بل انه صفحات اخيرة من كتاب مخطوط يعمل اسم «جمهرة شعراء العرب في الجاهلية ..» وناسخ المخطوطة «جاهل» باللفة ، فلما التسخة تحريفا وتصحيحا ..

بقي الديوان في مكانه ستين عاما ينظر اليه العامة ، وها هي ذي تمتد اليه بسيفها قلب لهوف وتيمها قل عقول ، وتصعجا كل المرد الشاعر بالمسؤولية ، المجل للتراث ، الحريص على سمته ، الجهد عن الركني وراه الشهرة الزائفة .

تمتد فاذا ال (٢٢) صفحة (٢٢٩) صفحة . فكيف كان ذلك ؟ كان في الاسهاته بالعلم من اجل التجويد في اجل الصناعة ، كان بان وقف محمد جبار عند كل بيت ولدى كل حرف ، يفحص ويدرس ثم يقابل ويقارن بعد ان يرجع من المكان الى ما يمر - او لا يمر - ببسال ، فيثبت الفوارق ويشرح الصعب من الكلمات ويخرج اليبات . ولم ينته صير الحقك ابتهاه «الديوان» ، لان ال ٢٢ صفحة التي دعيت ديوانا ، ليست - على ما يبدو - ديوانا كاملا ، فقد ورد في هذا الكتاب او ذاك مما لم يرد فيه ، ما يمكن ان يساوي نصف الديوان العتيق ، واذا ، فليشرح محمد جبار ، وليخض غمار هذه الكتب فيبدل على الديوان بما هو صريح التسب .

ثم ترجع الى اليبات التي تسب عمر لمعدى ومرة لغيره فجد في جمعه ووجها في ذيل اخر مبينا ما ذكرته المصادر بصددها . ثم النهارس من كل نوع ، من كل ما يدل على الجدي في العمل ،



الاريمب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر
يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد

الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

الادارة : ٢٢٣٨١٩ Dir : 223819
ليفون : المنزل ٢٢٥١٣٩ Die : 225139

نوجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب - صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت - لبنان

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

اليسر ادب

ويسهل المهمة على الباحث والقارئ .

نهائيا يا محمد ، يا استاذ محمد .

كان عليك باكوحة ، ولكنه ولد ناسجا ، اسلم بؤدة الشيوخ
وحماسة الشباب ، وبشر بما سيليه من انتاج جليل تنتظره لتسد به
نقصا كبيرا وتحتل به مكانة يصعب ان يحتلها كل من يرومها ، فتمتل
على انقاذ هذا التراث الكريم من عبث العابثين وتخليصه من ايدي
لؤي الكسب الحرام .

انك اذ حققت «ديوان عدي» وضعت نفسك موضع المسؤول
ورصيت لها الابعاد التي لا تنتهي . ولا شك في انك ستواصل البحث
وتسفع التحقيق بالتحقيق ، ولا ريب ان امامك اكثر من ديوان : عمرو
بن كلثوم ، العاتر بن حازم ، امية بن ابي الصلت ... وما الى
ذلك مما نشر او لم ينشر ، وان امامك اكثر من مطلع ، فليس معقولا
ان تنف حيث وفقت بك الظروف ..
وهذه نحية... تلونها تحايا .

علي جواد الطاهر

جامعة الرياض

الفكر والثقافة المعاصرة في شمال افريقيا

تأليف انور الجندى - (١) صفحة - مطبعة (٢)

المغرب العربي ، هذا الجزء الهام من العالم العربي ، ما يزال مجهولا
عند الكثيرين ، وما تزال الدراسات عنه محدودة او منحصرة في افاق
ضيقة . وقد كان الغربيون يهتمون بالدراسات الاجتماعية والسياسية
والاقتصادية التي تهم المغرب العربي ، ولكن هذه الدراسات كانت موجّهة
ضد شعوب هذه البلاد من جهة ، وكانت تهم الجاليات الاستعمارية
بخاصة ، فلما استقل المغرب العربي واسترجع كيانه اجذت هذه
الدراسات نقل شيئا فشيئا ، دون ان تخلّفها دراسات من نوع جديد
يقوم بها العرب من سكان البلاد انفسهم او من افكار اخرى من العالم
العربي .

وهذه الدراسة التي اضطلع بها الاستاذ الصديق انور الجندى
تعتبر من بين الدراسات الجادة الوافية لجانب مهم من حياة المغرب
العربي هو جانب الفكر والثقافة المعاصرة . وقد شغل الاستاذ انور
نفسه بالمغرب العربي دون ان تنأح له الفرصة لزيارته ، ولكنه استطاع
ان يلم الماما كبيرا بعدد من الجزئيات والكتابات اعطى من خلالها صورة
صادقة عن المخاض الفكري والثقافي الذي مهد لثورة ضد الاستعمار ،
وعن المخاض الفكري الحالي الذي يمهّد لثورة البناء .

اهتدى الاستاذ انور الجندى الى ما بين افكار المغرب العربي من
صلوات تجاوزت المجال السياسي الى المجال الحضاري والفكري ، وإلى
الاصول الجذيقية العامة للاتحاد الوطني ، التي عملت على اعادة
التاريخ المشترك فعملت من ظاهرات الحياة الجديدة ظاهرات مشتركة
في السير بالبلاد الى نهضتها . وهكذا ترى ان حركات البقطة والنهضة
- وهي القسم الاول من الكتاب - حركات متشابهة سواء ظهرت في
السنوسية الليبية او في الاصلاحية التونسية او في السلفية المغربية
والجزائرية . كما ربط التاريخ مصير هذه البلاد منذ العصور الاولى ،
وربط مصيرها في عهود ازدهارها وفي عهود انحدارها ، ربط مصيرها
وهي تكافئ لتخلص من الانحدار الذي وصلت اليه على يد استعمار
واحد متشابه ، وتكافئ بوسائل متشابهة وبتكتير متحد ، وفي مستوى
متقارب ، وبشخصيات متجانسة في العقيدة والفكر والاتجاه ، وتصور
هذه المرحلة من جانبها الفكري هو موضوع هذا الكتاب القسم .

وقد اجمل المؤلف موضوع الكتاب في هذه الفقرات : « فاذا جاء

التفوذ الاجنبي ينشر غلامه على هذه المنطقة ، ومن بعدها الاحتلال الفرنسي للجزائر عام ١٨٣٠ مرهسا باحتلال تونس وليبيا والمغرب ، كانت مقاومة النزو العسكري والثقافي الغربي مصعد بظلة الفكر العربي الاسلامي على قاعدة التحدي ورد الفعل .

هناك بدأت حركة البقطة والبعث والاحياء في ميادين ثلاثة :
١ - التحدي في مجال الدين وتحريره من الجمود وفتح باب الاجتهاد .

٢ - العمل الوطني والسياسي وظهور ادب المقاومة والصحافة .

٣ - التطور الثقافي والفكري في ميدان التعليم والثقافة وكتابة التاريخ .

يمكن ان نقول ان تحليل هذه المراحل من وجهة النظر الفكرية هو موضوع هذا الكتاب الضخم .

حلل المؤلف في القسم الاول من الكتاب الحركة السنوسية في ليبيا والحركة الإصلاحية السياسية والاجتماعية في تونس ، والحركة العلمية وما اتبقت عنها من حركة سياسية وتعليمية في المغرب والجزائر . وادخ لتناضح من الرجال الذين قاموا بهذه الحركات من خلال افكارهم لا من خلال ادوار حياتهم فحسب .

وفي القسم الثاني تناول القضايا الوطنية في الافكار الاربعة من خلال المواقف الحاسمة في تاريخ الحركة الوطنية : مقاومة الاستعمار في فكره تخلق صراع مصطنع بين العرب والبربر في الجزائر والمغرب ، قضية التجنيس في تونس ، قضية الاندماج في الجزائر . وقد درس المؤلف هذه الموضوعات من جانبها الفكري والتاريخي لا من جانب تاريخ ادوار المقاومة فيها فحسب ، ولذلك نجد عنده فصلا عن عروبة البربر وفصلا عن وحدة المغرب العربي وفصلا مهما عن النقاء المشرق والمغرب ، في فضاء التحرر الفكري عموما ، والقضايا التي اهتم بها في هذا القسم من الكتاب خصوصا . ويختتم القسم بتناضح من الكائنات المقاربة في هذا الميدان .

وعلل القسم الثالث الصق موضوعات الكتاب بمفانوه فهو يتحدث عن مقومات الثقافة والفكر من جانبها الكفاحي كذلك . يبدأ الاستاذ انور مدخل البحث بهذه العبارة : « ان الفكر المغربي قد واجه معركة تبرى في مجال الاحتفاظ باصوله وقيمته ، وفي مجالات التعليم والثقافة والصحافة والادب والتاريخ واللغة العربية » وهذه هي الحركة الفكرية التي خصها المؤلف بهذا البحث القيم . وكعادة المؤلف لا يستعرض الاحداث دون ان يعود الى اصولها الاولى ، فكتب وهو يتحدث عن معركة الثقافة فصلا عن جامعيي الزيتونة والقرويين . ولم يفرق في التاريخ ، وانما انتقل سريعا الى كتاب هاتين الجامعتين في معركة التعريب والمحافظة على القيم العربية والاسلامية ، والى كفاحهما كذلك في المجال الوطني . وفي مجال الثقافة كتب فصلا هاما عن الفزور الفكري ومقاومته ، وعن مظاهر الثقافة العربية الاسلامية والمحافظة عليها كما تحدث عن الصحافة كوسيلة فكرية لتفضة المغرب العربي . وفي كل مجال من هذه المجالات كان للمؤلف لقاءات مع عدد من الشخصيات الامة يؤرخ لها من خلال افكارها وكتاباتها لا من خلال الحياة الخاصة .

وقد اخذت الحركة الادبية حظا طيبا من الكتاب ، وخاصة في نطاقيها الكفاحي كما كان لابد المرأة وللدراسات الادبية والتاريخية حظها في الاخرى .

هذا النطاق الواسع الذي امتد اليه الكتاب يجمع هذه الفقرة التي تلخص البحث : « نجد صورة واضحة قوية ممتدة من صور المقاومة التي لم تستسلم خلال فراقه قرن من الزمن على نحو نموذج قوامه حركات فكرية ممتدة في الافكار الاربعة ، دعائتها جامعتا القرويين والزيتونة ، وعناصرها «الكلمة» في عصرها النثر والنظم ، وفي مجال التعليم والصحافة في الدفاع عن الاسلام واللغة العربية والثقافة والحريية

والتراث العربي وتأكيد الشخصية العربية . »

ولست ازمع اني لخصت موضوعات الكتاب ، ولكني حاولت ان اعطي صورة عن موضوعاته لاثقت النظر الى اهميته ، ولكني الى جانب ذلك لا ازمع ان اهمية الكتاب تظهر في هذه الصورة ، فقد بذل المؤلف فيه جهدا كبيرا ورجع الى مئات المراجع التي لا تتوفر عادة للذين يعيشون خارج المغرب العربي ، فقد قرأ مئات الصحف والكتب مستفيدا وملخصا ونافلا ومستغلا ، واتصل بعشرات الرجال ، وكتب عددا كبيرا من شخصيات المغرب العربي ، كل ذلك ليدرس موضوعا بأكرا كهذا الموضوع الواسع .

واستطيع ان افول ان الاستاذ انور الجندي تمكن من تصوير هذه المرحلة من تاريخ المغرب العربي في جانبها الفكري تصويرا علميا دقيقا ففتح بذلك كما يقول هو في مقدمته الاطار الذي يصلح لكتابة موسوعة كاملة عن الفكر والثقافة المعاصرة في المغرب العربي .

لا امك ان اعلن اعجابي بهذا الكتاب لتسيتين التين : اولهما ان المؤلف اهتدى الى الطابع الذي يطبع الفكر العربي في المغرب العربي الذي يمتزج بالفكر العربي الاسلامي في المشرق ، ولكنه مع ذلك يتميز بطابع خاص ما يزال هو قوام كفاحه التحرري : السياسي منه والمقائدي والفكري .

ولتايمها ان مثل هذه الموضوعات كان يتعاطاها الاجاب : مستشرقون وغير مستشرقين ، ويتكون عنها بروح - ان اسم بشكليه البحث العلمي - فهو في غالبه يتسم بعدم فهم العقلي المغربية احيانا ، وعدم الانصاف وبالتملق والتشويه احيانا اخرى ، فاذا ما تصدى هذا الباحث العربي لدراسة الحركة الفكرية والثقافية بروح الباحث النصف المزدك للعقلي المغربية الاسلامية القدر لكفاح ابطال هذه المعركة فان ذلك سيكون فتحا جديدا في ميدان التعريف بمرحلة فكرية هامة لجزء هام من بلاد العروبة والاسلام .

وثل ما ارجوه ان يتال هذا الكتاب ما يستحقه من الباحثين والقراء لا في المغرب العربي فحسب ، ولكن في المشرق العربي . فرسانه في المشرق ربما كانت اهم من رسالته في المغرب لانه سيبقى عنوانا كثيرة على جزء من العالم العربي ما يزال مجهولا الى حد بعيد في المشرق العربي وخاصة في هذا الجانب الكفاحي الذي خاضه وما يزال يفاوضه لاقامة فكر عربي سليم في وجه تيار خطير من تيارات التغريب والفرنسة والتحويل .

اهتبه الصدوق انور الجندي ، وادرجو له مزيدا من التوفيق في ابحاثه المقبلة عن المغرب العربي .

الرباط - المغرب

عبدالكريم غلاب
رئيس تحرير جريدة العلم
تقريب الصحافة

الفريضة

مجموعة قصص - تأليف السيدة سلمى الحفار الكزبري (٥) - صفحة - منشورات مكتبة اطلس بدمشق - مطبعة (٥)

عرفت الكتبة العربية آثار السيدة سلمى العديدة ، وعرفها القراء ، فاصفة بارعة ، في أسلوبها اطلاقا الربيع ، وفي جملةا حلوة التركيب ، وفي الناطقا حسن الاختيار . نقرأ لها فصوص نوعة الاونة ، تتناسب بين السطور ، على ما تحلى به أسلوبها من فصلى تجفو العامية ، وجزالة تبصق عن الاسفاف .

ولقد اهتمت السيدة سلمى منذ باكورة آثارها بالحياة الاجتماعية

في بلاد الشام ، فأقبلت عليها تصفا من خلال القصص الجذاب . وكثيرا ما اودعت هذا التصوير الصادق للتاريخ الاجتماعي بعض المواقف العاطفية ، لتثبث القارئ ، ولتثبت فيه الرغبة على المتابعة ، ولتتشرب امامه ايضا بعض صور النفس الانسانية في بعض حالاتها المألوفة . فالعاطفة حلية القصة على الاطلاق، وزينتها ، ومبعث بهاؤها وجعلها . الا ان مجموعة قصصها الجديدة ، التي سميتها «الغريبة» قد جاءت شيئا آخر . انها اثر من آثار رحلاتها الطويلة ، وطوافها في الافاق . فلقد عاشت المؤلفة الفاضلة فترة في الأرجنتين ، فانفتحت لاسبانية . ثم عاشت حبة أخرى في اسبانية ، فلذا هي تحاشر بهذه اللغسة الموسيقية ، وتختار لحاضرتها موضوع «المرأة العربية في القديم وفي الحديث» . ولم يكن ممكنا ان تعيش كاتبة ادبية موهوبة في جو ما زالت تصلة بالعروبة وشائج ، وان شاخت ، الا انها لا تنقصها الفطنة ، ولا تغيب عن نظر الرجل العادي فيما يالك بالفطن الحاذق؟ وما ذلك الا لعق جودها ، ورسوخ اصولها .

لقد افادت المؤلفة الفاضلة من عيشها بين الأرجنتينيين والاسبانيين ، فنقلت لنا في مجموعتها الجديدة صورا عديدة من عاداتهم وتقاليدهم ، وعن افراحهم واحزانهم ، وعن طرائق عيشهم ، وعن لهوهم وجمهم . فجاء قصصها صورا في الظاهر لحياة قوم من الناس ، وقد يكون في بعضها دلك ، ولكنه في جملة صور من النفس الانسانية في كل قطر ومصر ، وفي كل عصر ودهر .

على ان المجموعة لم تكن كلها اثرا من آثار الرحلة ، بل وجدت فيها قصص أخرى ، لا تزيد عن الثلاث ، قد خصتها المؤلفة بالجمع السامي الذي ولدت فيه واحبته . ففي قصتها «ام البنات» حاولت الكاتبة الفاضلة ان تشير الى حال البنات في مجتمعنا القديم ، وخرجت من دراستها الاجتماعية الى نتيجة افرت فيها كل ما رزقت من حيلة الفطن ، وحلاوة البيان ، فقررت بان الرجل مسئول عن انتخاب البنات وحده ، وان المرأة التي لم تزك ذكرا فالبنات في ذلك يعود على زوجها لا عليها . واذا قرأت قصتها الثانية «العممة فريدة» بلغ بك العجب مبلغه من هذه السيدات التي تتنقز اربع لغات ، وتعتبر في طبيعة الصف الأول من المثققات في شرقنا العربي ، لانها رأت ان الجراء «الكاتب تميم الجليل» في القرن الماضي ، وان «السعدانة» تصادقت في عصر الذرة والافكار . ولست ازمع ان رايها هذا خاطيء ، لان قاعدة النسبية تدخل في ميزان الحكم . والمؤلفة الفاضلة نفسها تقول : «فالجمل ما زال نسيبا في العالم ، والثقافة ايضا ، والسعادة بصورة خاصة» . واذا كان هذا من النظريات التي يختلف فيها الناس ، فان مما يتفقون عليه ان المؤلفة قد اجادت اياتها في تصوير البيت العشقي في هذه القصة ، فجعلته امامك بكل الوانه وبكل ما فيه ومن فيه .

اما ثلاثة هذه القصص فهي «ابن الرئيس» التي صورت فيها ترف بعض ابناء الرؤساء ، وبذخهم ، ثم اتحدارهم الى الاحتيال والجريمة . واذا استثنينا قصلا رابعا ، سمته «بيبيها» ، اجرت فيه حوارا بين العقل والقلب ، وردت فيه كل فضائل العقل الى القلب بل الى الحب . وهو نوع من الحوار الفلسفي الجميل ، الذي لا يرقق الفكر ، ولا يجهد اللحن . واذا استثنينا كذلك قصة اخيرة روسية ، وضعتها او ترجمتها في رسائل ، فالتك لن تجد في اربع عشرة قصة الا جو اسبانية والاجنتين ، سواء في ذلك الاصيل والدخيل واعني ما كان من نسج القوم انفسهم ، او ما كان من نسج حياة المفترسين الطائرين عليهم .

وفي قصة «الهدية» ترشد المؤلفة الى اثر العينين الساحريتين وانهما حافيتا للتفوق ، وتعمم حكمها وتقيي بحق للكرة في الرضا البارز في كل شيء . ولماشة العفيرة» اثر الياه على البنات . ومن عرف نعلق الادبية الفاتنة بابيها الاستناد لطفي الحجار ، عرف ماذا ارتفعت في

هذه القصة عن غيرها من القصص ، من حيث البنية والمبنى . وعرف الانسان كما عرف الأرجنتينيون «معارضة التيران» ، فلذا ما مرتت على قصتها «فينيتا يا دولوريس» قرأت صفحات ممتعة في وصف هذه المعارضة ، وفي رد غرام القوم بها الى عوامل المروءة والتجاعة والتسرف .

اما «العودة» فلها قصة عميقة التأثير ، لانها قصة حزينة ، تصور الام الاتراب ، واتاره على الحياة العائلية .

والرا بصورة خاصة قصة «الغريبة» لتري فيها كيف وفقت المؤلفة الى ما يسميه الفرنسيون «المعركة» Portrait . لقد رسمت الغريبة في لوحة كاملة ، حتى كانت تراها . فلذا ما مضيت في القراءة انفت من نكر الأزواج لشركات حياتهم ، لا سيما في حالات المرض ، الذي يعليه الموت . واكثر ظني ان القصة واقعية ، لان المؤلفة كانت تسكب تجعب عليها على الصفحات ، بكثير من التأتيل والتأثير .

وحاولت المؤلفة ، الفاضلة ان تصف لنا في قصة «السنبورة ابييض» المزايا التي تعرفها المرأة الحضاء اذا كان زوجها مولفا صغيرا . وكيف ينبغي ان تعصم نفسها من الزلل .

كذلك فان «نظافة الريد» قصة توضح لك كيف تنظور حياة الانسان بحادثة صغيرة ، فلذا هي تولي وجهها شطر المشرق ، بصد ان كانت شطر المغرب .

وحسبي هذه التماذج من الكتاب . اشترت اليها ، وانا اعلم انني لم اوفها حقها من البحث والدرس والتعليل ولكني نعمت بقراءة الكتاب ليلة ، فاحببت ان ينعم القراء بما يقرأه ايضا . ففي الكتاب محاسن أخرى جديرة بالتأني ، اشير اليها ولا اكثرها ، لانسرك للقارئ . لذة اكتشافها ، وتمتع قراءها .

واذا كان التحصيل لا يفي في الاصل ، هذا اذا لم يشوهه في بعض الاحيان ، فحسبي اني لا ارجو من هذه الكلمة الموجزة اكثر من تشجيع القارئ الكريم على معرفة ما في الكتاب ، ولعله يجد فيه اكثر مما يحدث ، وخيرا مما وجدت .

ظافر القاسمي

الرياض

ديوان الحمداني

للشاعر الدكتور هادي الحمداني - (١) صفحة - مطبعة (٢)

صاحب هذا الديوان مثال حسن ونموذج محب للنفس المعصاة المتبدية الطموح ، فهو اليوم مدرس جامعي بعد ان كان في اسم القرب معلما في المدارس الابتدائية ، وطموحه على هذا لم يكن على حساب غيره او من وراء انصرافه عن الاسهام في عملية التغيير للواقع ، هذه العملية التي يولها الكثيرون من فرط مجهودهم وطاقتهم ما تتعدد معه وجهات حياتهم وينحرف بها عن امكان بلوغ مرامهم الخاصة وتطلعاتهم الدائمة المتشعبة ، فقد تطلعتهم ثمنا فادحا ونلدرا غاليا عززا ، لا افسار فاقول ان الحمداني راكض نفسه على الانغلاق في كل شيء ، حتى ولم تلتصق تيارات التجديد في ادبنا العربي المعاصر ، وبالنسبة لكافة فئوته والتوعية ، فبولا او تامينا على مصحتها وتليسا بوجاهتها وموسوعيتها والضرورات التاريخية التي استجبتها ، وحسبنا ان تنفس حماسته وصدفه في الدفاع عما يعتقد ويدين به من منطلقات الفكر والرأي ، حتى وان كان ذلك مخالفا لما نرتابيه وتبنتناه ومبائنا له نماما . ففسد ان «الشعر الحر مجال سهل يسير او هو تسبب والخراف» ، وهو ان ينقل علينا منذ الجبال مجال التصديق المناقشة تكلم الفكر والتدليل على مجابيتها الواقع التاريخي الذي نجوزه في هذه المرحلة من حياتنا الفكرية والادبية ، فشافعه على خطالة المدى وجودم الكثرة ، حرارة

إيمانه فيما يعتقد أنه الصواب والحق دونما اضطراب للاتحال والثرية .
واستطاع الحجة .

لذا فقد وضع ان فصانده تجري بمجموعها على الطريقة التقليدية في نظم الكلاسيكي المتزم بوحدة الوزن والقافية ، ولا تسارع الى الأثر بالترتبات عود الشعر ، ذلك ان بعض نقادنا القدامى ، فسد اشتوا من قبل ، في مؤاخة ابي تمام ومن نحا منحاه من اشباع طريقتي في النظم ، فراموه بالخروج على عود الشعر بسبب ابتعادهم عن استغلال القصيدة بالوزن او مناجاة الطول ، على غرار ما يعمد لذلك شعراء الجاهلية ويلتزمون به ، وتوسله لفرضه من النظم بدون مقدمة او تمهيد ، رغم تقيده بوحدة الوزن والقافية ، وهفستنا للتدليل ان من بين نماذج الشعر التقليدي ما وسم بالخروج على العمود ايضا . ولا يفسر ان بعاف شاعر طريقة الشعر الجديد اذ هي الاخرى لا تقضي باتعدام جدوى الطريقة التقليدية الكلاسيكية في تجسيد عناصر تجربة الشعور والوجدان ، فالشرط الهام الواجب المراجعة انتهاز القصيد واحتشاله بالتأثيرية الصادقة والمعانة المخلصة الواقعية وانتفاء كل ما يسمه بالاتحال والافعال والتكلف واتعدام وحدة النسيج في معانيه ومبانيه مما ، وحتى الاغراض الشعرية التي يعنى التسمراء بتداول المعاني التي تلهم بها ونحس على استجابتها وتمثيلها في التادية الفنية والتعبير الشعري ، ليس لها في ذاتها ادنى اعتبار انما تمثل الدلالة الشعرية في صفة التجربة وواقعية المعاناة ومدى امكان الشاعر نفسه من حافلة الحس ودفن الشعور وجيشان العاطفة وحدة الانفعال في تحقيق رصاة ، من هنا فقد اتعد اطلاع الشاعر الحمدياني بدويانه الذي ترجع فيه حصه - الاخويات - على ما عداها من اغراض الشعر الاخرى ، من قبيل ما يشبه المجازفة غير مأمونة المواف ، فقد تصب عليها المؤاخذات المتخرصة والتنفذات اللاذعة التجنيبة التي لا يملك الاستقاء منها ، وقد تسوهم دعوتهم ويبلغ عطفهم بها حيا يضرب بها من العتد والافسار فلا يتفلسح حبال افسادهم مجال الزمونية والتمساح والهاودة في منارة الخافلات فيقرروا للشاعر باعتبار مطالحة لآخواته ومعارفه من قبيل التجربة الفنية الملهمة بالشعر الصادق هذا الى ان تجربة الشاعر قد توفي ان استوت لها خصائص الجدة والاصالة والعمق والتشافية على المشار والاحاسيس الاخرى التي يمكن ان يخلص كل منها بغرض يعينه وينمى له وينسلك في رحله الاخويات ، بعد ، غرض شعري طفي في القرن الفاتل على المطب نتائج شعراء تلك الفترة الاولى ولم يدعوا ايا من المعاني والمضامين التي تتعلق بها وتمتد بها بعلة دونها تجسيد او تناول ، على فرط تسليتنا برداة المستوى الفني للشعر انذاك ، واقترايه من حد التهافت اللغزي والصياغة العقيمة . اما ان ينس الشاعر في مقدمته لدويانه من ان هذا الغرض لم يكتمل نسجه ويتسع مجاله كباقي اغراض الشعر الاخرى ، فذا ما لا نسبه ونثر بعصته اطلاقا ومحاولة استعراض مجمل اشعار عبدالغفار الاخرس وسعيد الجبوري وعبدالحميد الشاوي ، تكني وجدها ، في مثلنا ، للتدليل على ما تلجج به من ان الاخويات غرض شعري قديم اختلفه التناول الشعر ، وادعاء التجديد لا يعني البتة افساد هذه الاغراض واطراحها والزهداء فيها ، ذلك ان الاستهداء برؤى العصر والانتقال منها صنو ما يعمل على احترام ارادة الانسان الكفيرة واكبار عواطف العجيمة البارة باخيه الانسان ، وقبلنا الخ العقاد منذ بداية العشرينات من هذا القرن ، الى ان نزوع الشاعر الى العناية بوصف بعض المخترعات الحديثة بديل النافة التي استهون شاتها في مجال استخدامها واسطة للنقل ، لا يتج به نحو الحدالة والعصرية ويسمن له اعتراف الآخرين بمواكبة العصر وتمثل تجاربه العجية .

اسلفنا ان الاخويات في ديوان الحمدياني هي الميسم الغالب اذ يتعداها في الاقل القليل الى الفزل الذي يدفع به الى الاخذ بناسباب

التجديد الاولى التي كان لدوسة المهجر فسل الاطلاع بها منذ استهلاله القرن الحالي ، كان يجوز التمدد في الازوان والقوافي في نسج القصيدة الواحدة ، وذا لا يعني بحال اقترابه من الوحدة القصودية في القصيدة وتوسله للربط بين اجزائها ، بحيث يتم ذلك عن تجربة فنية متكاملة العناصر ملتحة الاجزاء منسجمة في ندفها وتناهيها ، وقصيدته «طوف الياسمين» من خير ما يصح الاستدلال به على انتفاخ الشاعر وجنوحه للتسامح في ميدان التعبير الشعري ، فيشاع محاولات التجديد الى القرن العشرين ، سواء وفي ذلك ام غفل عنه ، لظهور الشعر الجديد منذ نهاية الحرب العالمية الاخيرة .

وتأدية اشعار دالة بشكل بالغ على وفرة محفوظه من الشعر القديم واتساعه على نماذج وشواهد كثيرة منه في اقل تقدير ، حتى وكأنه لم يزل من هذه الرتبة الموسيقية والصياغة اللغزية التي تحرس غاية الحرس على ان يرتبط ادنى البيت باخره ، ليفرغ من الشاعر الى الشروع في محاولة نظم البيت التالي والتفكير في تخير الفاظه ومفردها وفي طريقة دالة على سلامة اللغة ومتمانة التركيب وبراعة التصوير وفرة المعنى كما يعبر نقادنا القدامى .

لغة الحمدياني قد سلمية تمت الى الاصابة العربية العجبة باقوى الاسباب ، قدر ما تزدان وتفتني برصيد وافر من الوضوء والمسر والسلاطة ، فليس من بين مفردها والفاظه ما ينبع بالتعبير والتوهم والتلون من الاسماع ، او المهجور الذي يروح الى تصفح المعجم ، دالة وعية الكامل بضرورة استلزام الواقع في التعبير الفني ، وصياغته الكلاسيكية رغم جدنها واحكامها واستهدائها باقوى طرائق التسمراء الكلاسيكية في النظم ، من الاحتفاظ بالرؤى الواحد الذي حد من قدرة الشعر العربي ونوفه لاحتسان التجارب الانسانية الكبيرة تجربة الشعر الملحي ، فقد لا يمسك به في النورف في التشرية التي لا يسهل تحاكيها وتكتب جانباها الا بالنسبة لشاعر فغم بلغت تجربته ووعيه من الشجج والاحساس والادخال والغصوبة حد فائق نأى له معه ان يفي بشرائط اختصاصات الفنية التي لا تفتأ ناديه متمسكة بوسائله اللغزية الثرية في الشعر التقليدي غير المنفتح على الميادين الجديدة في التعبير الفني وغير الاخذ منها بقدر او نصيب ، قد تكون وليدة احدي طاهرين . اما ان الشاعر ادرك الكلال وحاصرت بتجربته التسورية عوامل الزيف والانتحال وجانب بها عناصر الصدق والحرارة والتدفق فلم يعد يستأثر به الانفعال القوي الملمم بالشعر الصادق الخلاق ، او انه قليل الخبرة بالراس الفني فلم تنطاعه عدته وامكانه لتصوير عاطفته وتسجيل احساسه ، فتجده نادبته دون مستوى المعانة التسورية :

وترجع اسام اخاف وجوعها فيجسم كابوس على تقبيل
من قصيدة «عند الرحيل»

«اجفر» حطمتا الوشائج من دم
لثبت ان الحب اقوى دواعيا
شكرت جهود المخلصين احبة
لكم كانوا لي عوناً الى الان باقيا
اطقت عليك القول حتى ملكته
ولست ادري فولي بعتك واقيا
وما كنت الا ان اتيتك مادها
كما قبل حيا من فتيمة حاجبا
من قصيدة «وعيشك»

ان الطاقة اذا جاراو يحكمهم لم يترك الجود للطايفين سلطانا
وكلمنا قد اذاقوا الشعب من عنت فاتهم قد ازادوا الشعب ايماناً
من قصيدة «بين نورين»

والاداء الثري ترتب عليه بطبيعة الحال مباشرة التعبير والقول
للاضاح من المعنى الذي قد يكون عقيقاً بالغ الدلالة او جديداً مبتكراً
على وجه واحد احتفل بالترفة اللغزية والتمسوق الخطابي والتسيرة
الصياغية ، الا انه يندر حظه من القدرة على الايحاء بهذا المعنى حتى يستكنه القارئ ويحيط بفحواه من طريق التمعن فيما يفسل على عبارته من الاستعارات والمجازات وغروب الخيال والتشبيه ، ان الثرية

كما أحيى تقودنا الإصدار واليوم امت في يدك نادر ما شئت فامض حاكمها في أمرها لا تخشى أن يودي بك الإصدار اليوم قد خضعت برغم صروفها هذي الحياة فصرحها بنهار واليوم مدت كفها مشلولة وقد اعتلتها ذلة وصغار واليوم بان الزيف في أيامها لذوي العيون وادهش النظائر وبدأ لنا ذلك اللامع مزيها حين أنجلي وتكشفت استار .
العبداني ، على هذا التحصيل ، شاعر رغم ألبانته ، فقد لا تجانبه الإصالة في التعبير عن خلجات حسه ودقات وجدانه ، أو يرجع عنده جانب الفن المشرق على اللطيفة الجامعة الحكمة التسج والبالغة الصنعة ، في كثير من الأحيان ، ولعل لتجارب العمر وبعض المتاعب المرحقة المصيرة الاحتمال ، أبلغ الأثر في ظهور سمة الوهمي والتغفل وغلبيتها على معانيه على حساب التهوين من دالة الإنفعال القوي والعاطفة الإنسانية المهمة بالشعر الخالد الباقي .

الحلة - العراق

مهدي المعيدي

الظل .. وحارس المقبرة ..

مجموعة من الشعر الحر - لثلاث خصور - ٩٦ صفحة - طبعت في دار ابن زبدون للطباعة والنشر بدمشق

المذهب الجديد الذي طلع به علينا الشاعر فايز خصور في دنيا الشعر العربي المعاصر في مجموعته الأولى «الظل.. وحارس المقبرة» هو مذهب «الرفض الرفض» . وكان قبله مذهب الرفض ، الذي يعني خيالية الأشياء غير الواجبة.. بينما «الرفض الرفض» عند فايز ، يعني تعميق

لا تداخل التعبير الشعري أو التنظيمي على وجه اصح ، إلا حين يسكت صوت الإنفعال الحاد في اعماق الشاعر فما تختلج في وجدانه عاطفة أو يغتلي شعور ويتفجر حس .

لكن حين يكون الشاعر صادقا مع نفسه واقفيا في معاناته الفنية، أصليا في رصناته الوجدانية ، أعني حين تستقره التجربة بكافة عناصرها وإبعادها ، التجربة التامة الحية ، العاطفة غير الزائفة ، فقد يمكنه العبارة عن واقع شعوره وأحاسسه ، بما يلزم من التعبير الإبداعي الحافل بالجدوة والوضوح والدلال على الضخومية والعمق . رغم أن التجربة قد تكون قديمة سبقه إليها آخرون وأخلاقا ومعانيها وتجاوزوا مضامينها ، فقد يستوي الكل في تذكّر حنان الوالدة الراحلة والاعتراق بغفيلها وحدها واشغالها وتقدير جهودها وانعائها ، لكن ليس من الهين بالنسبة لهم جميعا إمكان التوفّر على استلزام الشعر الدافق من هذه المعاناة . بينما ينهد إليه أولا القادرون على التعبير والصور والصياغة الفنية الفنية بالاستعارات والمجازات والتشبيهات وكافة أدوات الإبداع بالمعنى بدليل التوسّل له بالطريقة المباشرة واللحاجية في الخطاب :

طواك الردي عنا وقد ضحك اللحد
فتبي تراب القبر قد شفه الوجد
طواك ولم يرحم شبابك والردى
عني إذا ما جاء ليس له رد
طواك وأنا لم نزل لك صبية
صفارا يذبنا على الصفر الود
وكنا كمثل العقد زهوا لائنا
ولكن أراد الموت أن يطر العقد
بيننا أيا صاه كل بديرة
غريب وكل قد أطاح به البعد
وكل أفاته الضطوب ظلالها
فكل له خطب وكل به وقد
ولكن نسيم التمسك كل مله
فتحز على الأحزان معجبة فرد
والآيات تكلم تنظر إلى قصيدة ابن الرومي في رثاء ولده ، في رصانة تعبيرها ورسالة صياغتها ورسما مناه وطريقته في تخيير الألفاظ والمفردات ، إلا أنها لا تفتي عن الشاعر صدق عاطفته وإنسانيته شعوره ، وفطر أحاسسه باللغة والأسى .

وعندي أن أروع قصائد الديوان ، قصيدتان الأولى «الهارية من المدرسة» ، والثانية «أثم عدنا» . ولا بد لنا من إرجاء كلمة مبسّرة حولهما ، فالأولى من قصائده المنظومة عام ٥٥هـ ، حيث استلقت نظيرة مشهد صبية هاربة من المدرسة بتغري غوي مأك ، فأمكن له أن يصور ما خلفه ذلك المشهد من أثر في نفسه وجاوزه إلى الإقتراب مما يمت إلى الابتكار والإبتداع والجدّة ، وبني له بأوفر لسط ، الأمر الدال على تمامي التجربة الفنية وعمق دلالاتها ، وحتى الصياغة نجح تلقائية حيث نطاوله الألفاظ وتنسج لئامكانه وحاجته من دونها الفحاح أو تصف أو زج كبقايا النقي ، فجاءت في عموم ألبانها بدفعة التسج بالغة الملوحة جميلة الوقع في السمع وكان له نجر على الزبابة الإنشائية في ناديتها وصياغتها :

أين ما شئت إلى ابن الذبي
هذا دنياك أحلى ملعب
شرفي حيث تشايدن بهما
وإذا ما شئت فيها غربي
رقصت دنياك أحلى رقصة
ونفست بالأماني فاطريسي
فلم الشعر الخشين الهوى
وجحيم الخافق للتهيب
أما تخافين الأولى قد فشوا
أن يقضوها بعيش طيب
الحياة اليوم حلم رانس
سوف يقضي في ركاب الحب .
أين من عمر يقضي في هوى
وحياة تنقضي في نصب
وشراب علكم يجزعه من ناعاس
عن شراب العنب
فما قصيدته الثانية «أثم عدنا» التي يحيي خلل ألبانها صديقه الشاعر صادق حمزة ، فيتمدّى في مضمون تجربتها حدود ما يؤلف بين معاشر الإصداف من الانشواق والخلجات والواقف ، إذ ينتج فيها الشاعر صوب ما كان يتهمس صفيه من البلوى وينزل به من الفصير ، فيتاح له أن يتوسّع ويتزيد في ابتداء المعاني التي يلقي عليها هالة رمزية معجبة ، ويخيل معها أنه يستقي هذه المرة من معين تجربة مجتمعية دافقة .

مكتبات انطوان

فرع شارع الامير بشير

اشتركوا في كتاب

الحرب العالمية الثانية

بجزءه لريمون كارتيه

الترجمة العربية بأشرف

الاستاذ جبران مسعود

الثن للجزءين ١٠٠ ل.ل

قيمة الاشتراك الشهري ١٠ ل.ل

يسلم الجزء الاول في شهر ايلول ١٩٦٦

مقننة لا تكشف للقارئ آتيا ، وإنما يحسها داخليا ، ويشعر بتجاوب غامض تجاهها . فلذا عملنا التفكير به يمكن أن نلمس خطيئها .. ففد يقرأ الشاعر المعاصر قصيدة غزلية أو قد يكتبها ، فهو في هـدهـه الحالـة - تماما - ليرفه عن أصعابه على طريقة استحضار الذكريات .. فمن هذه الزاوية يبدو لنا الشعر المعاصر غامضا وبخاصة على الذين تجبعت تجاربهم واستقطبت في عالم الحنين فقط والذكرى .. ومن خلال تلك اللقطات شدتني مساحة الضوء القادرة لمجموعة

«القلل» وحارس «القبرة» . فلادخلن إذن من هذه الحياة الجديدة ، ان «فازن» يبدأ بمحاربة الأشياء وصهرها ضمن ذاتيته الشاعرة ، معتمدا على الحوار الداخلي لاجزاء الحياة التي يصنع منها عالمه الخاص المستقبلي ، والتي من خلالها يرى الكون وقد علاه غيش الخيبة وخمشته النوارس في الخليج ، هذا الذي يرغب بالدخول اليه كسي بهدا .. ولكن المرأة تحرق فيه ، وفي عروقه يتفلفل الدوار . وفيما كانت الرحلة نحو ولوج عالم هادئ مخلص ، تنثي اندفاع صاحبه زحمة المطر .. انها العجاجة السليمة من العالم .. والرمز الذي يعتمد على المطر في هذا التشديد الأول «حوار الخيبة - ص ٧ - » يعني ذلك ، في الوقت الذي نلصق فيه بأن المطر في بقية الاناشيد (ص ١١ -) ١٤ - ١٥ - وفي قصيدة «صاحب المطر» (ص ٢١) وغيرها ، يعني الخلاص : عاش من رآك يا غريب

يا مبحرا مع الشتاء رغم زحمة المطر
متى أتيت
أتيت بعد أن نقبش القمر (حوار الخيبة)
ومسرت ..

ضجكت .. وابتسنت من وجهة الريح ان غيوم البشارة تضي
ويبقى الشتاء بثقون وزن رغم ضياع القرائين
يا مرتجى ، يا مطر (البيلا والمطر ص ٦٥)

«الريح» التي تهب الى القلب بطرقوف حبيانية موسيقية ، اما «المطر» في اللبنة التي تنسحق كل شيء ، وتلتمس قريبا كشيء : الذين ناعوا .. والذين يشدون حدة القوافل الدلالية في ميون الامسيات الغريبة .. يتجلى جبال الخوف يحارس المدينة - القبرة - طالباً منه الاستمرار بالتمسك ، وهذا الخوف ليس من الاستمرار - بل ليس خوفا ماديا - وإنما من سلبية البقاء ، لان الحارس الذي يرمز الى اللطم والاضطهاد ، يطلب منه الشاعر ان ينعطى ويذهب ، ذلك لان في الأرض حقول خزامي وأس .. لان فيها الخير والجمال ، لان فيها «القلل» الذي يرمز الى الغضب والتمسك ..

والخلاص الذي يطلبه الشاعر لا يعني الهروب من الرزايا والمصاعب الكلية ، بل يعني - عنده - الاستمرار بالتمسك بالأرض .. وهو وان غير عنه بالمطر فانما يريد الانفتاح على العالم ، هذا الانفتاح الذي لا يبدو - في عرقه - الى شمولية الأشياء . وإنما لاستقطاب الأشياء ورصدها في ارض الوطن .. وما استعماله لرموز البطلان في الاساطير الا ليعبر عن خلاصها الى قلب التشخيصات المنفذة من الربيع والدموع ، منس «التكسار والهزال والاستسلام :

هلا سيصف (يختصر) السجين خلف كوة القرار
لكنها تكسرت اصابع السماء
رجعت والدوار
تسغني اليه شمس عاشق

فرغت ان ادوخ ، ان تغوني النجوم في الماد (ص - ٣٠) ف (يختصر) هذا ، هو فارس قديم احرق اليهود وشردهم .. ان الشاعر يلج بالمثل علما جديدا ليكشف بالانسان على سفوح مشرقه بعد غناه وتعثر طوبلين .. انه الانسان الذي اصاع كينونته الاولى وامسى اشياء .. انه نداء الخلاص من السلبية .. ولذا فقد كاتبت صرخته - وفرض الرقص - حادة تميز شرايق البقاء ، التكنفه المتولب على

الاشياء بالاعتماد على الاسطورة والفولكلور ، عن طريق استهلاك الماضي وزرعه في الواقع ، لمحاولة خلق صورة مستقبلية للشعر المعاصر . والاصلاح - عنده - لا يكون عن طريق الترميم ، وإنما عن طريق الانفلاق الجذري للمغاهيم البائدة .. انه لا يعني الإيجاب كما في علم الرياضيات وإنما يفيد تعميق التجرية ووضوح الرؤيا الشعرية والخلق الكلي اثناء تبديل الاحساس الدائلي للأشياء ..

فمنذما حاول بعض شعراء الرقص - وحتى الكبار منهم - فسان محاولات لم تعد بعض زوايا المضمون ، مع اعتمادهم في الظم الاحيان على المنظور فقط . حتى انك لا تشعر وانت تقرأ لهم برفق جوهري عن جو الشعر السلفي سوى في ندبة الاوزان . بينما رفض الرقص ، هو عبارة عن معركة لخلق شكل خاص ومميز .. فيالتسبلة الى الكلمة ، لم تعد تحمل المعنى الوصفي لها ، بل أصبحت تحمل المعنى النفسي الذي يتلون مع تعدد التجارب ، كما ان «الصورة» لم تعد تحمل المعنى المستقل الوصفي للأشياء ، وإنما أصبحت تكون جزءا من اللوحة العامة «القصيدية» التجرية» مركزة على صلتها المتينة بما فيها وما بعدها من صور . حتى تشكل الخيط الفكري الواحد ، او الخيط الفني الواحد للقصيدة ، وهذا ما يميزها عن الشعر السلفي ..

فمن هذه الزاوية تبدو القصيدة المعاصرة عند فازن خضوة جديدة ومجدبة ، ليس همها الوحيد الاطراب او يفت شعور العزلة او الفرح او الشفقة او السخرية .. بل كل مردود لعالم كامل يحيى في الشاعر ، في أصعابه مع ابتداء جيله من الشعراء ، اذ ليس كل جديد مجدبا . وهذا ما يخرج القصيدة المعاصرة الجديدة عن ترهات بعضهم بعضا حين يتلاعبون بالألفاظ ويهللون الصور بشكل تبدو فيه «غامضة» حتى لدى صاحبها ..

والفوضى في القصيدة المعاصرة يختلف عن هذا الفوضى المتكلف الذي يرد في قصائدهم - الاثلال لدينا كثيرة يتفق من ذكرها المجال - لانه يسبق بالتجربة كيفا وكما .. فما هذا «القصيدة» تعتمد على الرقص في شعرنا المعاصر سواء في الكلمة او في الصورة او في الحادثة او في الاسطورة ، فهذا يعني خروجها عن الواقعية المبتدلة التي نراها عند البعض .. وقد يلجأ الشاعر الى الرمز اما لحاجة فنية واما من جراء ضغط ما .. ومنذ قديم الزمان والتلميح يعني عن التصريح ..

يبد ان الاخلاص لفنية القصيدة ، هو الذي يخلق المعركة التي تقوم بين مداة الشعر للحياة وبين ندبة الشعر للجمهور ، مع خطا فهم الجماهيرية حتى لدى شعرائنا - الآن - . وليس هناك ما يسمى مذهب «القلل» مجردا . وإنما يكون الشاعر حتى في هذه الحالة ملتزما بحيال واحسيسه ، وانكاسي مزايا المنظور عليها . وليس محالنا - هنا - لمناقشة انواع الالتزام . فقد يكون هناك انسان متلون الالتزام ، ربما عند تعدد القضايا الاجتماعية والسياسية .. وقد يكون هناك من هو ملتزم بفرسه وشمس واحسيس جيله ، فلا الشاعرين ملتزم ، ولكن شتان بين جدوى الالتزامين . فالاول يغير التزامه مع وجهة النظر ، اما الثاني فيجابه بالتزامه ضد الريح . ونحن لا نطعم الاول ولا نناصر الثاني ، وإنما يمكننا القول : بان هناك فرقا جوهريا حتى في طريقة كتابتهما ، اذ انه ، لان يصيح الانسان شيء ، ولا يعيش شيء اخر .. فالحياة والمعيشة مختلفان لدى الفنان الاصيل .. فهما قدم الملتزم الاول من مبررات ، تبقى حياة الملتزم الثاني وصفها اكثر استمرارا وجدوى ، ولو بعد حين ..

بقي علينا ان ندخل قضية الاحساس في الشعر المعاصر لتعرف به وبولائه الباشرة للقصيدة .. للاحساس العاطفي للشعر مفروق بوعنية هذا الشعر .. فلذا كان الشعر عاكفا على القارئ - حاله بعمق قاهرة تمثل لديه خيط حنين تجربة سابقة .. اما موقفه حيال شعر جديد ، فيكون من زاوية خلق غامض لعالم مستقبلي يشتر بتجاوب



نفسه ، المتفرع على أشباهه ، كل ذلك من أجل الانتفاع على الحياة في الأرض الأم .. إنها الصرخة الأولى لانتصار المبدأ الإنساني على المظالم ، على السلاح والقهقر :

كان لي يا حارس الدحداح جاره ،

أنملأها فما ، صدرا ، حنايا

نقطة البدء بعينها التلاشي

طهيا بسل كارلويًا ، يشتي في غواياتي عذاب

وعروفي ليتني فبر الخلاص

يا نهايات الحنايا

آه من فبر الخلاص (ص ٢٤)

والدحداح هي مقبرة دمشق القديمة ، هي المدينة القديمة بكل أساطيرها و «وصاياها» تغفل الشعر في عروفلها ليتني الخلاص من الترهات والاشياء البليدة الجافية .. من الومع ومن الشهور بالهزيمه التي تغلف روح الجيل ، وربما الوطن ..

فلنا ان يتفق الاشياء بالاعتماد على الاسطورة والفولكلور عن طريق استهلاك الماضي وزرعه في الواقع .. وهو اذا بطل هذا انما من أجل تعطيم اليمد التقليدي للصورة الشعرية في زمننا الحاضر . وما ادخاله للمفردات والفولكلور وترصيع القصيدة المعاصرة بها الا من أجل خلق الصورة الشعرية كمودة الى الاساس المستقبلي . ان الاسطورة عند فايز تكاد تكون واقعا ملموسا يعيش بين ظهرائنا ، ولكن بروح جديدة ودم جديد ، انها الاعصاب الخلسة النامية التي خلقت لتكون رفض الرفض .. تتجمل فارس التاريخ يزرع الأرض بالريح ويثني الواحات فوق الرمال الطامية .. انه «الكشف» الجديد لآساف اضاع دربه وعكازه ، فقد نلته ونطق بالشمس بالترية اتبنته ...

فبعد هذه اللعنة من المضمون بكل مناخاته واراضه و «النوع» موضوعاته ، تنتقل الى «الشكل» عند فايز ..

فتعطيم القافية واليمد الرعائي للصور الشعرية لا يعني شعرا معاصرا ، بل يعتمد على تيار الشهور وتراسل الحواس كما هي الحال جيله - على الرؤيا واختيار التجربة ، وحسن انتقاء الزوايا الخيالية التي يهيمها الانسان كحساس وليس كاعاد وصفية .. كل هذا يجري عن طريق الرصد الدقيق للصورة ، مع تحصيل الكلمة بعدا نفسيا جديدا ، يعتمد على الارتكاز الصوتي وليس على الارتكاز القافية .. اذا ان موضوعات الشعر عنده أصبحت مستقلة عن كل ما يجري في الحياة من اشياء هي اكثر تناسقا بهمنة النثار او المصلح الاجتماعي ..

ان كل هذا يعتمد على تيار الشهور وتراسل الحواس كما هي الحال في الرمزية ، مع الاعتماد على التفضيلة الواحدة في «النظر الشعري» . وقد بنفخ الوزن ضمن القصيدة الواحدة ، وهذا رهن ب «توحيده» والتجريد ، لان التجربة هي التي تبلي ألون كيفا وليس الشاعر .. وذلك حتى يتميز الشعر الحقيقي عن النظم ، ويدخل في هذا المصمار «القصيدة الثنائية» التي تعتمد بدل التفضيلة الواحدة على (الديالوج) الداخلي للصور الشعرية ، هذا الديالوج الذي نجده ايضا في القصيدة المعاصرة الحرة عند الشاعر خضور في هذه المجموعة بالذات ..

وهكذا فان الشعر الحر قد ادخل على مفهوم الشعر العربي قواعد جديدة ، منها ان الشعراء المعاصرين قد بنوا القصيدة الحرة على اساس «تفعيلة» البحر الواحد والتيرة الواحدة في السطر الشعري الذي تتألف منه عضوية القصيدة ، وهكذا يصبح الإيقاع الصوتي ناتجا عن عودة المقاطع في آخر كل سطر او ثلاثة او اربعة .. الخ.

أخيرا في المجموعة (الثقل وحارس القفرة) شعر جديد ومنهجب جديد .. فما الحبيبة فيها الا الفكرة والعقيدة - الاساس - وانتصار المبدأ الإنساني بواسطة التقنين ، وما «التواقيس» وكلام «التجنين» - عنده - ان الرمز عن الافكار التي لا تتناسب مع تعمد الشعر والشعر المعاصر كاحتياج ، وما «العرفاء» لديه الا البحث المستمر لصالح

- رجع الصدى - مجموعة شعرية - ملاح اللبابيدي - ٢٠٠ صفحة - حجم كبير - منشورات دار الثقافة ببيروت - مطابع دار لبنان (١)
- النسيء - مسرحية من ثلاثة فصول - تأليف الدكتور شاكر خبيصاك - ١٤٨ صفحة - منشورات المكتبة المصرية في صيدا وبيروت - المطبعة المصرية في صيدا لبنان
- الرمال والعيون وقصص اخرى - مجموعة قصص - تأليف عصام عسيان - ١٨٤ صفحة - (لم يذكر اسم المطبعة)
- موسم الراعي الحزين - شعر - محمود ختام - مصمم الغلاف ثروت سيروان - ١٧٢ صفحة - منشورات دار البقعة العربية ببيروت - مطبعة الانشاد (١)
- هيفل وفلسفته - تأليف رينيه سيرو - مع ملحق بقلم أندريه كرسون - ترجمة نهاد رضا - ١٦٠ صفحة - حجم كبير - منشورات دار الانوار ببيروت - (لم يذكر اسم المطبعة)
- ثورة من وراء القليلان - شعر - محمد فهمي الحمدان - ٤٠ صفحة - حجم صغير - مكتبة ربيع يطبع - مطبعة الشرق يطبع .
- انشاد الإنسان المعاصر في شعر عبد الوهاب البياتي - بقلم مجموعة من الأدباء - مصمم الغلاف احمد مرسي - ٢٠٤ صفحة - منشورات ومطبعة الدار المصرية للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة .
- رسائل بورقيبة الى صديقه محمد علي الطاهر - ٩٤ صفحة - حجم كبير - مع عدة رسوم تذكارية ووثائق تاريخية - طبع في بيروت - (لم يذكر اسم المطبعة)
- سطون من الرسالة : تاريخ حركة استقلالية فامت في المشرق العربي سنة ١٨٧٧ - تأليف عادل الصلح - ٢٠٨ صفحة - حجم كبير - مطابع دارالعلم للملايين ببيروت
- صوم من الجهاد - تأليف زيد بن عبدالعزيز بن قياص - الجزء الأول - ١٠٤ صفحة - القصيم بالرياض .
- الحركات الباطنية في الاسلام - تأليف مصطفى غالب - ٢٠٤ صفحة - حجم كبير - منشورات دار الكاتب العربي ببيروت - (لم يذكر اسم المطبعة)
- ايام مغربية - تأليف فخر كيلاني - ١٧٦ صفحة - منشورات دار الكاتب العربي ببيروت - (لم يذكر اسم المطبعة)

الحياة الافضل .. الحياة الجديدة التي تعمدت على السلبية ، مدخلة في صيورتها الفكرة الحرة ، تروي ظمأ الدروب من دما - كجيل - لتبقى الأرض اغنية لا تنسى ..

اسماعيل عامود

دمشق

شركة التبغ والسجائر الاردنية

عمان

الميزانية العمومية كما في

موجودات ثابتة بالكلفة او التثمين	دينار	فلس	دينار	فلس
اراضي وعقارات وماكنات واثاث وسيارات (بعد الاستهلاك)			٤٢١.٩٨	٢٩٧
استثمارات				
اسهم شركات			١١.٠٠	٠.٠٠
موجودات متداولة				
دخان وسجائر ومواد اولية (بسر الكلفة والتقدير)	٨١٦٧٦٦	٣٠.٠		
مدينون مختلفون ومصاريف مدفوعة مقدما	٢٣٤٧٨٧	٩.٧		
تأمينات اعتمادات مستندية	٥٧٩.٠	٠.٠٠		
تأمينات عامة ومطالبات تأمينات	١٢٣٢	١٥٢		
اوراق قبض	١٤٨٣١	٤.٠		
تقديرات المصروفات والدي البنوك	٨٤٧٩	١١٣		
مجموع الموجودات المتداولة			١٠٨١٨٨٦	٨٧٢
مجموع الموجودات			١٥١٣٩٨٥	١٦٩

مصرفات ورواتب واجور وتبرعات واعلانات وضرائب ورسوم	دينار	فلس	دينار	فلس
اتعاب مجلس الادارة	١٨٥٦٩٥	١٧٣		
احتياطي ضريبة الدخل والخدمات الاجتماعية	٤٧٥٥	١٢٤		
الارباح الصافية لسنة ١٩٦٥ بعد الضريبة منقولة ادناه	٢٠٤٤٩	٧٤٧		
احتياطي رأس المال الاجباري	٤٨.٧٩	٥٨٧		
الارباح المقترح توزيعها	٥٢٨٣	٤٧١		
رصيد الارباح المدورة	٥٣٤٦٠	٠.٠٠		
	٣	٧٤٣		
			٢٥٨٩٧٩	٦٣١
			٥٨٧٤٧	٢١٤
			٥٨٧٤٧	٢١٤

المساهمة المحدودة (شركة مساهمة عامة)

الأردن

٣١ كانون الأول ١٩٦٥

فلس	دينار	فلس	دينار	حقوق المساهمين
...	٤٨٦.٠٠			رأس المال المصرح به
		...	٤٨٦.٠٠	رأس المال المكتتب به والمدفوع كاملاً
		١٤٦	٨.٢١٨	احتياطي رأس المال الإجمالي
		٣٤٤	٧٧٩٣	الاحتياطي الاختياري
		٧٤٣	٣	رصيد الأرباح المدورة
٢٣٣	٥٧٤.١٥			مجموع حقوق المساهمين
٧٤٧	٢.٠٤٤٩			احتياطي ضريبة الدخل والخدمات الاجتماعية
				مطلوبات متداولة
		٠.٦٧	٤١٨٧١٣	بنوك دائنة
		١٦٧	٢٧٦.٦٤	أوراق دفع
		٩٥٥	١٧١٢٨٢	دائنون مختلفون واستدراكات ومطلوبات مستحقة
		...	٥٢٤٦.٠	أرباح مقترحة توزيعها
				مجموع المطلوبات والأرباح المقترحة توزيعها
١٨٩	٩١٩٥٢.٠			
١٦٩	١٥١٣٩٨٥			مجموع المطلوبات وحقوق المساهمين

فلس	دينار	فلس	دينار	أرباح الانجاز
		٢٦٣	٢٥٣٩٦٧	
		٣٦٨	٥.١٢	إيرادات أخرى
٦٣١	٢٥٨٩٧٩			
		٦٢٧	٢١٦٧	أرباح مدورة
		٥٨٧	٤٨.٧٩	الأرباح الصافية لسنة ١٩٦٥ بعد الضريبة منقولة من أعلاه
		...	٨٥.٠٠	المحول من الاحتياطي الاختياري
٢١٤	٥٨٧٤٧			
٢١٤	٥٨٧٤٧			

فريد السعد
رئيس مجلس الإدارة

كمال عصفور
عضو

ديب غانم
عضو

مجلة الهدى في سفر



لبنان والسياحة

أوروبا . في فرانكفورت وباريس وجنيف ولندن له مكاتب . كما انه يقوم باتصالات مستمرة بين وكلاء السفر والشركات السياحية ، وباتفاقات للدعاية مع الصحف ومع شركات العلاقات العامة . وقد انمعت جهود هذا المجلس في حقله السياحي . فقد نظمت عدة رحلات قام بها صحفيون وكلاء سفر وسياسيون ورجال اعمال الى لبنان فدهشوا من سحر شاطئه وجمال مصافيه وروعة اناره . وهذا ما دفع بالصحفيين الالم ان الزوار مثلا الى نشر حوالي ٦٠٠ تحقيق صحفي مصور عن بلدنا .

كذلك فان المجلس الوطني للسياحة ، بالتعاون مع جامعة لبنان في العالم ، يتصل بالمغتربين اللبنانيين في القارات الخمس لحملهم على زيارة الوطن الام حيث الحياة فيه تتطور اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا وتكثروا ... اما في الداخل فان العناية بالسياحة تتوفا يوما عن يوم بعدما وجد المسؤولون انها التروة الحقيقية لانماء هذا الوطن اقتصاديا واجتماعيا . لذا فقد وضعوا عدة تجهيزات لازدهار الساحل والجبل معا .

في الساحل .. هناك مشروع يقضى باقامة مسابح شعبية على طول الشاطئ . وسوف يفتتح مسبحان من هذا النوع ، احدهما في بيروت والثاني في طرابلس ، تتوفر فيهما للجمهور مجانا جميع الخدمات التي يطلبها السائحون . ومن اشياء اخرى اوشكت مديرية التنظيم المدني في وزارة الاشغال العامة على اتمام مشروع عام لتجميل الشاطئ . وينص هذا المشروع ايضا على منح رخص لبناء فنادق يكون مجموع غرفها الفئ غرفة . وقد بوشر ببنا . مثل هذه الفنادق في انحاء مختلفة من الشاطئ ، كما بنيت موبيلات في طبرجا ، وبالقرب من نهر الكلب . وفي الوقت نفسه تستمر الدراسات لانشاء مؤسستين فندقيتين بين طرابلس وبيروت بروؤوس اموال لبنانية - عربية .

وهناك مشروع آخر من اطراف المشاريع ، ذلك هو مشروع تجهيز الجزر الصغيرة الخالية من السكان ، والمواجهة لطرابلس - كجزيرة الارانب مثلا - تجهيزا سياحيا . ولتنفيذ هذه المشاريع يجب توظيف ما يزيد عن مئة مليون ليرة لبنانية .

في الجبل .. تقتصر عمليا السياحة الجبلية - ما عدا مراكز الرياضة الشتوية في فاريا والقلوق والارز - على اشهر الصيف الثلاثة . لذا فقد وضع المجلس الوطني للسياحة برنامجا للنهوض بالسياحة في الجبال ، ينص على استثمار جميع الامكانيات المتوفرة فيه من تزلج على الجليد ، ومياه معدنية ، ومراكز استجمام واستعراضات متنوعة . وهناك مشاريع عديدة ، منها الجاهزة ومنها قيد الدرس ، وضعت للاسهام بالحياة السياحية التي دلت الاحصاءات على انها الحياة الفضلى لوطن صغير المساحة ، تتوفر فيه جميع امكانيات الجمال . واستثمارها ضروري

تعتبر الدول الراقية السياحة اهمية كبرى . وترتكز عليها في النهوض باقتصادها . ولذا فانها تعمل جهدها لجلب السياح الى ديارها بواسطة دعائياتها في الخارج والتسهيلات التي تقدمها لهم اثناء وجودهم في ربوعها .

ولبنان اخذ ، في السنين الاخيرة ، يولي السياحة اهتمامه الاول بعدما وجد بانها المعين الوحيد الذي عليه يتكأ في تطوير حياته الاقتصادية والاجتماعية . لا يترول عنده يستغله لانراء بنيه ، ولا تجارة واسعة يعتمد عليها ، ولا صناعة ثقيلة تكيف وضعه . السياحة وحدها هي التي تنهض به . اذن يجب الاعتناء بها خارجيا وداخليا ، بعدما اصبحت اولى الصناعات الوطنية .

فلبنان ، بفضل موقعه الجغرافي على شاطئ البحر الابيض المتوسط ، وعلى عتبة آسيا ، يستطيع ان يكون مركزا سياحيا فريدا ، يجذب اليه السياح المتوقفين دوما الى الاجواء الهادئة والمناظر الطبيعية الجميلة .

نشاط المجلس السياحي

الدعائيات عنصر كبير من عناصر تقدم حياتنا السياحية . فالمجلس الوطني للسياحة - منذ نشأته - ما برح يبذل قصارى جهوده لانماء السياحة في هذا البلد ، وجلب اكبر عدد ممكن من السياح الى ربوعه الضيافة ، العريقة بتقاليدها ، التي تروي قصص الشرق الساحرة ...

خلف الشطوط افتتحت عدة مكاتب سياحية تعمل للدعاية للبنان ، وتقدم كل المساعدات الممكنة الى السياح الذين يودون تمضية اجازاتهم السنوية في ربوعنا او زيارتها لايام معدودة . انها تزودهم بالنشرات العديدة التي تتحدث عن جمال لبنان و مناخه الطيب واناره الرومانية الباقية على ممر العصور تروي الاساطير القديمة ، وتعيد الى الازهان حياة الإمبراطرة الرومان . تتحدث عن السياحة الشتوية فيه التي شرعت بالازدهار ، وعن مصافيه الخلابة التي يقصدها اخواننا العرب لقضاء فصل الصيف فيها ، وعن جباله التي يفصل اقدامها البحر الابيض المتوسط . وتتحدث عن حياته الاجتماعية القائمة على الحرية والسواوة والترحيب بالضيف مهما كان لون بشرته ومهما كانت الجهة القادم منها .

لقد افتتح المجلس الوطني عدة مكاتب سياحية في

كما هي الحال بالنسبة للعديد من الدول التي يقوم اقتصادها على السياحة المزدهرة .

مواطن الجمال في لبنان

حبا لله لبنان جمالا فريدا . ويقع الساحل على هذا الجمال حالما تطار رجلاه ارضه . فاذا به في بلد يسفل البحر اقدام جباله المختلفة العلو . واذا به في وطن معتدل المناخ ، حافل بالاماكن الازتية والمناظر الطبيعية الخلابة ، ويحرص بنوه على تقاليدهم القديمة ، ويتحلون بالضيافة وكرم الاخلاق واغانة اللهوف . واذا به في وطن تنمو حياته اليومية في جو الحرية والعدالة والمساواة .

يصل الساحل الى لبنان بثلاث طرق : طريق البر وطريق البحر وطريق الجو . ولا بد له ان يزور عاصمته بيروت في اول المطاف ، ذات النصف مليون نسمة . فمناخ هذه المدينة يمتاز بالاعتدال الدائم وتشرق عليها الشمس في اكثر ايام السنة . وفيها اثار حضارات عريقة تعود الى عشرات القرون .

ويدهش السائح عندما يرى اختلاط الحديث بالتقديم في بيروت ، واختلاط الشرق بالغرب اختلاطا لا يراه في بلد آخر . وينحصر هذا المزيج في اماكن مقاربة لسيا . وابرز شواهد على الوف السنين من التمازج الذي تقوم عليه بيروت هي : الجامع العمري الكبير ، والمتحف الوطني ، وجامع الخضر الذي بني - كما يقول الاناسير - فوق المكان الذي صرع فيه القديس جرجس التنين . وهناك عدد كبير من الكنائس والكاندليات يمثل فيها طابعا للشرق والغرب معا .

وببيروت ملتقى الثقافات . تكثر فيها المدارس والكلليات . وفيها اربع جامعات جديرة بالزيارة ، تحتضن الوف الطلاب من مختلف البلدان العربية والبلدان البعيدة ، وتدل على ان لبنان يقوم بدور جامعي يحسد عليه في المنطقة كلها .

وتزدهر بيروت يوميا من ناحية العمران . وفيها بنايات تنافس بهندستها وجمالها افضل ما في المدن الحديثة في العالم .

اما شواطئها فهي صالحة للسباحة طيلة ايام السنة . والملاهي الليلية - وهي عديدة - تقدم برامج مغرية . فضلا عن ان مسارحها شرعت بتقديم برامج فكاهية ودرامية ، وتقص البرवाद كل يوم .

وثاني مدينة في لبنان هي طرابلس . وقبل الوصول اليها يمر السائح في نهر الكلب فيشاهد اثارا منقوشة فوق صخوره تدل على مرور الفاتحين والغزاة منذ اقدم العصور ، منذ رمسيس الثاني في القرن الثالث عشر قبل الميلاد .

ونهر الكلب ينبع من مغارة جعيتا . وهذه المغارة تعتبر اجمل مغارة من نوعها في العالم لكثرة ما فيها من الرواسب الكلسية المتحجرة ذات التكوينات المدهشة . وقد زينت بالانوار . وجوها اسطوري يتضاءل دونها مدى الخيال . ويقوم السائح بنزعة بالزورق في بحيرتها الجوفية . ثم يمر الساحل بكازينوس لبنان ، قبل ان يصل الى جبيل . وهو من اجمل كازينوات العالم . انه انيق الهندسة ، يقدم للزائرين الحفلات في «قاعة الفراء» التي تضارع بروعتها افضل حفلات لاس فيغاس او باريس مثلا . وفيه ناد ليلى شهير اسمه «بكارا» . كما فيه قاعات للمقامرة فسيحة ، ومسرح تقدم فيه تمثيليات شهيرة . وفي جبيل يعود السائح بذاكرته الى الورداء ليرى انها اقدم المدن في العالم . فبانيها - حسب ما جاء في الاساطير - هو الرب ايل الكنعاني اثن قرن . وقد توالى عليها خمس حضارات . وفيها هيكل فينيقية واضرحة ملكية غنية بالحلي ، وضريح حيرام الذي نقتت عليه حروف الهجاء ، ومسرح روماني ، وكنيسة القديس يوحنا التي بني القسم الاكبر منها في القرن الثاني عشر ، وسور يعود الى الالف الثالث قبل المسيح ...

ويصل السائح الى طرابلس فيكتشف مدينة غنية بالاثارات الباقية من عهود الصليبيين والمماليك . وفي مقدمة هذه الاثار قلعة سان جيل والقناة المعلقة المعروفة باسم «الربنس» ، وكنيسة سيدة البرج ... وثمة آثار تركية ، اعطاها اموال شرقية (الخانات) وجامع المدرسة المازن بالقيسية ... وابتناء من عام 1967 سيقام فيها مهرجان دولي مساحته 400 الف متر مربع .

ومن طرابلس ينتقل السائح الى الارز ، فيجتاز مصافب الشمال ومغارة قادش الغنية بالرواسب الكلسية المنتصبة على جانبي المياه المتلجة . وتطل امامه غابة الارز المكلفة باللوج . ومن جذوع اشجارها بنى القراصة سفنهم ، كما بنى سليمان الحكيم من خشبها هيكله . والارز منطقة تزرع يؤمها الهواة والمتزلجون بكثرة في فصل الشتاء .

وفي بيت الدين الذي يعد مسافة نصف ساعة بالسيارة من بيروت يقع الساحل على قصر كبير بناه الامير بشير الشهابي (1788 - 1840) . وقد اتخذ طابع الهندسة الشرقية الفخمة ، وزينت بعض قاعاته بالقيساء ورسمت عليها نقوش وتصاوير تضج بالالوان الزاهية . ويحتوي القصر على متحف فولكلوري . وفي باحته الفسيحة اقيمت عدة حفلات فولكلورية ، كما اقيمت حفلة «الاسرة البيضاء» منذ عامين .

اما دير القمر الثلاثسة بيت الدين ففيها قصور بناها المنون والشهابيون اصبحت اليوم قبلة انظار السياح . وفي البلدة «ساحة الميدان» الشهيرة ، وتعمل مديرية الاثار العامة على ترميم هذه الساحة ، وقد منعت ادخال اي تعديل عليها لتحفظ بطابعها التاريخي العريق . اما منطقة الجنوب ، فلها غنية بالاثارات ، لا سيما

الادب يساع بالكيلو

«الكتاب بليرتين.. نقى واختار .. شعر .. ادب .. فلسفة .. الله يعوض على الخسران .. مال مكسور ومفلس!» هذه النداءات وأمثالها تدق سمعك كلما مررت في شارع كبير من شوارع المدينة ، وكم استوقفتني النداء ، وكم شدني الى ان اشهد المأساة، وكم فرض على ان اشترى من كتب ، ما كان في مكتبي شراؤها او اقتناؤها لولا كساد سوقها ، ولولا انها اصبحت مما يعرض صباح مساءً على ارفصة الشوارع وبين ارجل المارة .

انه لمربع ان نرى روائع الادب العالمي المترجم ، ونفانس الكتب العربية الماد طبعها ، او الموضوعة حديثا قد تحولت اتلالا على العربات الخشبية وعلى ارفصة المدينة ، وكأنها من حشائش الارض ، مما يأكل الحيوان بقعة ، وليست مما يأكل الانسان بعقله وقلبه وسمعه وبصره .

وكم تشجيك ان كنت ممن يحترم الكلمة ، ويجعل قيمتها حين تشهد زحمة الشباب والشابات في المكتبات الأجنبية والعربية باحثين متفبين عن الكتاب والمجلة مما يعنى بشؤون الانارة الجنسية ، حتى لكانهم على ابواب امتحان يفترض عليهم تأديته بين ساعة وساعة ، انهم يحطون عن الكلمة العارية ، والصورة الاكثر عريا ، عن الصورة الصارخة ، والكلمة الاشد اثارا وما تقوله عن الكتاب المكتشف ، والمجلة الخلية ، وقوله عن الافلام السينمائية ، والبرامج التلفزيونية ، والاحاديث المنبثقة والمتطرفة من افواه الخلعاء والمجان .

من المؤلف ان يباع الادب بالكيلو ، وان تباع الخلاعة بالتجارت ، ومن الاسف ايضا ودون فلسفة ، ان يفزوا سقوط شبابتا وشابائنا في امتحاناتهم العلمية ، ولا تلتفت الى الكتاب الذي يقرأون ، والقيم الذي يشهدون ، والى برامج التلفزيون التي تشدهم عشرات السنين الى الوراء .. فماذا اعدتنا لجيل القد ، ماذا اعدتنا لحبات قلوبنا ونحن ندفعهم عاما بعد عام الى مقاعد الدرس . ماذا اعدت لهم وزارة التربية من مناهج جديدة ، وكتب جديدة مما يتفق مع رقي العصر وخضارته ، وماذا اعدت الجامعات والكليات والمدارس النموذجية ، واكثرها قد مالا الدنيا اعلانا عن جنته ، وعن اناقة غرفه ، وترتيب ممراته ، واكتظاظ حدائقه بالازهار والرياحين ، حتى لكان التلميذ حين يذلف الى المدرسة انما يذلف الى منتزه ، او مطعم ، او خيمة وفاتهم ان يثيروا الى اقاصط مدارهم ومرباتهم الخيالية ، والى تجارهم التي بلغت ذروة التجارة فنى ارباحها واساليبها ...

ماذا اعدت هذه المدارس لطلابها من كتب ومناهج مما ينمي الروح الوطنية ، روح العلم والمعرفة ، مما يحملهم على النجاح ، يبدو انهم لم يفعلوا شيئا سوى انهم اشاعوا بين طلابهم الاكتكالى على المدرس الاضافى ، وتغهم الرقص الشعبي ، وقضاء الوقت على الشاطيء ، ومن ثم حسن المعاشرة ...!

محمد قره علي

جريدة «الحياة» بيروت

مدينتي صيدا (صيدون) وصور .

تبعد صيدا مسافة ٥٥ كيلو مترا عن العاصمة اللبنانية . ويكفي هذه المدينة فخرا انه منها انطلق الفينيقيون يحملون الاحرف الابجدية الى العالم . وكانت سيدة البحار ايام الفينيقيين ، وحاضرة الفكر . ويرى فيها السائح خرائب قلعة صليبية ترقى الى القرن الثالث عشر ، وآثار قصر ملك فرنسا القديس لويس . وفي تلك الخرائب اقيمت مهرجانات الربيع التي اشتركت فيها فرق من سائر قضاء الجنوب ... وقد اجريت فيها مؤخرا حفريات كشفت عن آثار يعود عهدها الى الاسكندر المقدوني .

وبعد (صيدون) يتوجه السائح الى صور التي تبعد عنها ٤٧ كيلومترا . وصور كانت ملكة البحار في العصور القديمة . وتحتوي على عدة مدن متلاصقة تحمل السائح على الرجوع الى التاريخ الفابر : فعلى سطح الارض تقوم المدينة العربية ، وتندرج تحتها المدينة البيزنطية ، فالرومانية ، فالبيزنطية ، واخيرا الفينيقية . وقد كشفت الحفريات مؤخرا عن قوس نصر كبير كان ينتصب فوق طريق مبطلة على جانبيها نواويس فخمة . وعلى هذه الطريق سار الاسكندر لفتح المدينة التي قاومته ببسالة في حصار استغرق سبعة اشهر . ولا ننسى ان صور قد قاومت من قبل الاشوريين مدة ثلاث عشرة سنة ، عندما ارادوا فتحها واخضاعها لسيطرتهم .

وهناك بعلبك ، لا بد ان يصفها السائح بمرآة عتيقة عندما يصل لبنان . وبعلبك مشهورة بقلعتها الصارية التي صمدت في وجه الاعاصير والحروب . وقد سكن مدينته بعلبك الفينيقيون والرومان والعرب . كما ان اسمها مشتق من اسم الاله الفينيقي «بل» . وقد اقام الفينيقيون لهذا الاله في القلعة معبدا مكشوبا يقع في وسط الساحة السداسية الاضلاع . وتتألف القلعة من هياكل ثلاثة هي : هيكل جوبيتر وهيكل باخوس وهيكل فينوس .. آلهة ثلاثة كان يعبدونها الرومان ... وفي هذه الهياكل تقام صيف كل عام - منذ ١٩٥٤ - مهرجانات بعلبك الدولية ، وهي تستقطب اشهر الجوقات الفنية في العالم ، الى جانب فرقة بعلبك الفولكلورية .

اما مصايف لبنان ففنية بمشاهدها الفاتنة . يؤمها المصطافون العرب وسكان الساحل من لبنان . ويندهش منها السائح اذ هي على مسافة كيلو مترات قليلة من بيروت . يمكنه ان يأخذ حماما بحريا ، ثم يتوجه فنى الحال الى مصيف بضلع بعد ١٠ دقائق بالسيارة . وهذا ما لا يجده في اية بقعة في العالم ... ولعل ادوع منظر يظل عالقا بمخيلة السائح هو منظر خليج جونية ، عندما يقف السائح في حريصا ويتأمل . وقد اقيم فيه مؤخرا « مشروع التليفريك » السياحي ...

وبعد هذه لحظة سريعة عن بعض مواطن الجمال فنى لبنان التي تجذب السائح ، والتي تدل على انها غنية بآثارها ومناظرها البديعة .

المنصر الجريد أو مادة الحياة

بقلم الدكتور جمال كرم حروفش

يا اخواني الطالبات - ما اجمل اللقاء بكن في موسم الحصاد ، اعز المواسم واغلاها في حياتنا القومية - فهنيئاً للاباء والامهات بهذا الجني الخير ، وهنيئاً للارض تتبارك برعيل جديد من البناة ، بل هنيئاً للبنان رسول العلم والمعرفة ، يؤمن لهذي الكلية مناخ الحرية والاستقرار ، فتضفر على جباهكن غار الحكمة ، وتستمر بعبائها ، فنظل لهذا الشرق منار هداية ، وقبله انظار .

هو جني العمر تحسدين اليوم نتاجه ايها الطلبة العزيزة ، الا بورك الجهد الانساني يتحول كلمة فاعلة ، وفكرا نيرا ، وارادة واعية ، وشعلة خالدة ، تضيء امامنا سبل الحياة .

في الامس البعيد ، كنت انظر الى حيث تمتد منك الان افاق الابداع ، على ان واقع الحياة قد علمني ان لا انظر الى البعيد البعيد من الافاق ، اذ ان جوهر الاعماق انما يتدفق في معين الذات - هي ذنك - هذا العالم العظيم بمقدراته ، الفني يخبر ما جاد به عليك السماء - ترى هل اوحى لك هدى الدراسة شياطين معطياتها ؟ همس المربي في مسمعك كلمة السر ليم لك الجواب .

انت في دنيا الوجود جزء من كل ، فهل حقق لك التعلم فهم تفاعل مستمر بينك وبين الكائنات ، اذ تأخذ منك وتمعطيك ، وفيها الاهم والمهم ، وفيها الخالق والمخلوق ، وفيها ينتفض الحي والجماذ ، ليشهد كل بحسب فاعليته ، ولغة تعبيره ، ونوع عطائه ، ان ازلية الوجود انما هي فينا ولنا ، وانه لا بد للطاقات المترابطة من قاعدة تصاعدي تتركز عليها التفاعل المستمر ، لتكتمل في الانسان صورة مثالية ، حملت بها وتمثيتها الارادة المبدعة ، يوم وزعت نفحات من روحها ، لتكوني انت اسطورة الخلود ، ومحط انظار الكائنات .

اما الصورة المثالية ، الساعية ابدًا لاستكمالها كل ذات بشرية - فهي مجموعة قيم وفضائل حدد بها الانسان معرفته لله - اذ وصفه بالخير ، والحق ، والعدل ، والحرية ، والجمال ، كما تصوره سعادة ، وسلاما ، ووداعة ، ومحبة - وهذي الفضائل كلها بالحكمة

القيت في حلة توزيع الشهادات في كلية بيروت للبنات بتاريخ

٢١ - ٦ - ١٩٦٦ .

الملمة الماما مطلقا بيماتي الزمن ومعالم الغيب ، وقد اسست الارض ، واقرت قواعدها ، ومدت عليها الخيط ، نخطت مخادع العمر ، وعرفت مقر الظلمة ، فامرت الصبح ، وعرفت الفجر موضعه لياخذ باطراف الارض - هذه الحكمة - وقد انفتحت لها ابواب الموت فلا تخفى عليها الازمنة ، وعارفوها لا يشهدون يومها - الا ليت عمري ، اقال التعلم فيها كلمة ؟

هي نعمة الحصاد ، تطفئها اليوم رمزا للانتصار ، والانتصار الادبي مسؤولية كبرى في اعناق الشرفاء . لقد بلغت الذروة ، وكان لك في بلوغها شركاء . فمن هم الشركاء الذين تحاسبهم امثك على ضوء ما انت عليه ، وما عساك تكونين في غدك لوطن احوج ما يعوزه ثروة بشرية ، ذلت امامها القيم المادية ، وكل ما رافق المادة من مغريات .

اما الشركاء - فاربية - المعلم ، وواضع المنهج ، والمؤلف ، والادارة توفر الاجهزة نوعا وكمية ، فتؤمن التفاعل السليم بين المنهج ، والطالب ، والمعلم والكتاب . والى شركاء الرسالة التربوية - الرسالة الانسانية الكبرى - من انصار المعرفة ، وخدام الحقيقة ، وموجبي النور ، ومقرري مصير الانسان في كل مؤسسة من مؤسسات التعلم في لبنان ، بل في كل بقعة شيد فوقها صرح باسم الفكر والكلمة ، نقول في هذا اليوم المهيب ، الا فلنتأمل معا في وضع النهار صورة الطالب الانسان - ونوعية الانسان فيه كانت لكم اعز واغلى امانة في الحياة - فهل جاءت صورة الامانة كما تمنيتها ، وكما ارادها الطالب الخبير في التفكير ، وكما لا في المعرفة ، وذانا منزنة ناضجة ، زينتها مكارم الاخلاق ، فيكون لوطننا الامم المرجى ، وللمجتمع اداة خير وصلاح .

والى شركاء الرسالة الانسانية الكبرى - هذي النخبة المصطفاة ، ويدها ملح الارض ، وفي قلبها ذخير الاجيال ، نقول ، من المسؤول عن مصير الذين حرموا فرص التعلم ، واخذت فيهم شعلة الزنات ؟ ومن المسؤول عن مصير طلاب يتحملون اليوم اعباء قتل ذريع اوقعتهم فيه ملاسبات المناهج غير الكيفية لنفي بحاجات المواطنين الانسان ؟ ولهم ايضا نقول - من المسؤول عن ضحايا الغد ، يتجحون اليوم ، ليرسبوا في معترك الحياة ؟ وهل مشكلة الساعة يا سادة ، الا التفاوت القائم

بين وسائل التعلم ومتطلبات الزمن ؟ فالزمن يسير باحداثة سيرا اسرع من وميض البرق ، وعلى التعلم ، وهو الاداة الحضارية الفعالة ، ان يستيق الاحداث ليوضح وجهة المسير امام انسان الجيل .

فالعلم يتدفق في طلب المعرفة من اجل المعرفة ، دون سعي جدي لتوظيف المعرفة في سبل الحق والخير ، والتفكير العلمية الصناعية التراكمة ، تبدل لوضع المجتمع وتقعدها ، قبل ان يقوى الانسان على تكيف نفسه

انسان

يا ظامنا يتقرى برق كاذبة
وفي دواخله بحر وشطآن
من أمس وحلم الأرض يخنقه
قاع ويجنبه ليل وجدران
كانما شجر الصفصاف ما وغلث
عروقه واستطالت فيه أغصان
الا ليصنع منه لوح مشنقة
وان يقوم لسفاح به حان
ينام في غاره الاعمى فيالفه
وفي أصابعه عين وانسان

محمد الفايظ

الكويت

لتنسيقها ، واستخدام نتائجها في بناء كيان افضل ،
فتتضعض مقاييسه ، وتتهار القيم ، فيفسد الفرد ،
ويفسد من حوله .

على أن قدرة التمييز بين الخير والشر ، كانت
أول ما أعطيه الإنسان من أسرار المعرفة ، فالآلة غير
الواعية لا تملك هذه القدرة ، والتعلم المركز على الإنسانية
صانع الآلة ، ومسيرها ، هو هو وحده قادر على توجيه
الآلة الجامحة لبناء الكيان الأفضل .

ونحن الذين لم نسهم حتى الآن بصنع الآلة ، ولينا
أول المسؤولين عن مخاطر الجموح في إساءة استعمالها ،
فاقله أن نتعلم كيف نعيشها ، ونسبغ عليها شيئاً من
روح الإنسان ، لنجعل منها وسيلة عيش جديد ، وأداة
رغد وهناء ، لا منجلاً يحصد الأحياء على قارعة الطريق ،
أو مقبرة لأخلاق كريمة توارثناها جيلاً إثر جيل .

نحن والعالم في حلقة مفرغة ، محورها القلق
والخوف لجعل المصير . أنها لمعري مشكلة إنسان صنع
التاريخ فوقف منه في أعالي الذرى ، يخاف على نفسه من
نفسه تهدم ما بنت يده . وفي هربه من واقع الحياة
يلجأ إنسان العصر إلى المسكنات لينام عن نفسه ، فيكون
نومه انتحاراً ، وضيقاً لما تبقى من قيم الحياة . وكل ما
يعوزه حبة من ثقة يستمدّها من صميم أعماقه ، فتحرره
من الخوف ، وتعيد إليه طمأنينة الحياة .

فالسلم كالحرب ، يبدأ وينتهي داخل الإنسان ،
وقبل أن يوجد الكائن البشري مشاكل جديدة فوق سطح
القمم وغياهب الزهراء ، أحر به أن يصفى أولاً مشاكل
الأرض بالتححرر من مركب النقص ، لجعلها مكاناً ملائماً
على حد تعبير الكسبي كارل - ومعناه أنه لا بد للعالم
الباحث عن أسرار الطبيعة ومجاهل الفضاء ، من أن
يتحول عن صفة الفاعل إلى صفة المفعول ، ويبدل أن
يكون الباحث في موضوعية الأشياء ، أن يصبح هو
بالمذات موضوع البحث .

والتحول في موضوعية البحث ، يستدعي أيضاً
تحولاً في أساليب الاستقصاء ، فالبحث العلمي بمفطله
مركز على التفتيش التحليلي ، وهو بذلك يتدرج من الأكبر
نحو الأصغر ، ومما يرى بالعين المجردة ، إلى ما تصعب
رؤيته بالمجهر ، وفي هذا الانصراف التحليلي المعيق
جزء الإنسان نفسه ، كما جزأ صورة الواقع ، فتفقد معنى
الشمول . وعليه أن يعود إلى الأخذ بالأجزاء البعثرة ليبنى
منها صورة الكل المكمل ، ويتخذ هذا الكل قاعدة لتفكيكه ،
وخطة جديدة لمسيره .

أيها السادة ، أن العنصر الجديد الذي نأمل أن يدخل
لائحة العناصر الأولية من جراء التحول في موضوعية
الاستقصاء وأساليبه ، ليس بالذهب الصافي ، ولا هو
الطاقة المشعة يكتشفها الإنسان ، وإنما هي مادة الحياة
نفسها . وهذا لا يعني الاقتصاد على المزيد من فهم أسرار

الحياة في الكائنات وطرق تفاعلها ، وإنما يعني استخدام
ما اكتشفه ، وما سيكتشفه من أسرار لتفريز قيم الحياة ،
واستكمال سعادتها .

نحن الذين أنزلنا سادة أمام مادة الحياة نفسها ، تصبغ
علما إنسانياً جديداً ، يضاف إلى العلوم الأساسية
والطبية ، فتعنى بها مناهج التدريس بحسب خصائصها ،
وأهدافها ، وأوضاع بيئتها ، ليلتقي الإنسان بنفسه لقاء
أخيراً ، يجمع بين العلم والإيمان ، فيجدد مقاييسه ،
ويقوى على استكمال نشوئه إبداعاً تقنيّة اجتماعية إنسانية ،
تسيطر بشكل نهائي على تقنيّة صناعية اليّة كادت تطيح
بوجوده .

وإنت ايها الطالبة العزيزة ، المطة من على هذي
الذروة نحو الصفاء الأخير في حياة الجنس البشري ،
كوني لهذا العالم المقلق المضطرب ، حبة الثقة ، وكوني
له ما أودتلك هذي المؤسسة التربوية الكريمة ، أداة خير
وبركة تسهل حلول الأعجوبة في أعماق الذات البشرية ،
ليتحول فيها الشر خيراً ، والحرب سلاماً ، والبغضاء
محبة .

فالاعجوبة تمن ، وإيمان ، وإرادة ، والاعجوبة عمل
مضن ، وصلاة يشترك فيها الكل لكسب الشوط الأخير
في المعركة الإنسانية الكبرى .

جمال كرم حروفش



الدكتور محمد حاج حسين

الشعر والعاطفة

بقلم الدكتور محمد حاج حسين

عرف قدامة بن جعفر الشعر في كتابه نقد الشعر بقوله :
« انه قول موزون مقفى يدل على معنى ، نقولنا قول دال
على اصل الكلام الذي هو بمنزلة الجنس للشعر ، وقولنا
موزون بفصله عما ليس بموزون اذ كان من القول موزون
وغير موزون . وقولنا مقفى فصل ما يبين له الكلام
الوزن قواف ، وبين ما لا قوافي له ، ولا مقاطع . وقولنا
يدل على معنى يفصل ما جرى من القول على قافية ووزن
مع دلالة على معنى مما جرى على ذلك من غير دلالة على
معنى » .

وهكذا عرف قدامة بن جعفر الشعر . ومما لا شك
فيه ان تعريفه اهمل اهم خصائص الشعر الا وهي العاطفة
التي توجب الحياة فيه ، وتجعله متقدماً بهذا اللهب الذي
يسري بين جوانحه ، فيجذبنا اليه ، لتجد فيه غذاءنا
الروحي ، ومتعتنا الفنية . وبهذا التعريف يدخل في
الشعر تلك المنظومات الفاتنة الباردة التي نظم بها اصحابها
بعض العلوم كالنحو والطب وما شاكل من هذا اللغو الذي
لا جدوى منه ، لقد طعن قدامة بن جعفر الشعر في
تعريفه هذا ، وازرق روحه وداس على جوره . وقدامة
اول ناقد عربي اتصل بالثقافة اليونانية ، فقد ترجم

ابو بشرمى بن يونس كتاب الشعر لأرسطو ، وانتفع
به قدامة كثيراً وتعريفه الذي ذكرناه ليس سوى تطبيق
بين تعريفات أرسطو الشكلية التي تعتمد على القولات .
وهكذا ذكر ان عناصر الشعر أربعة هي : اللفظ والوزن ،
والقافية ، والمعنى .. واهمل العاطفة التي تراها الركيزة
التي يعتمد عليها الشعر في انطلاقه الى عالمه الجياش
بالرؤى الحاملة ، الحافل بهذه الدنيا الشاذة التي
تودع لب الإنسان .

ويبدو ان استاذنا المرحوم احمد امين - طيب الله
نراه - حاول في بعض مقالاته سد هذه الثلمة ، فعرف
الشعر بقوله : « انه كلام موزون مقفى صدر عن عاطفة ،
وانتثار عاطفة » . والواقع ان الشعر الذي يصدر عن عاطفة
لا بد ان يشير عاطفة اخرى ، فالمواظف توضح بينها قرابة
متينة ، فاذا كانت صادقة لا بد ان تؤثر في الإنسان ،
ويعيش معها فترة من الزمن ، ولا سيما اذا كانت تمور
فيه نفس العاطفة التي التهمت بالشاعر الذي استطاع ان
يعبر عنها لتجد صداها عند الآخرين الذين يحسونها ،
ولا يستطيعون التعبير عنها . والحق ان الشعر قد يبلغ
الدروة اذا احتدمت فيه العواطف ، واعتجلت في غفونه
حتى لا جانب الوزن والقافية ، فكثير من النثر يرقى الى
مرتبة الشعر الرفيع في اسائه ونفحاته العذاب ، والروح
الحية التي تسري فيه ، والعاطفة المتقدة التي تجنحه ،
والشعر لا يستطيع ان يستغنى عن العاطفة .. لان
بساطته ، يستحيل ان مجرد كلام موزون مقفى لا يبلغ
كفايته ، ولا يجد له حدى في النفس . اما العاطفة هي
غذاء الشعر ، واقامته الكبرى ، فلولا سريانها في الفاظه
وتعابيرها لما صمد الزمن ، متهادياً من عصر الى عصر ،
يتلقفه كل جيل ليجد فيه متعته الروحية ، ونشوته
القريرة .. اذ انه يمثل النفس الظميمة الى الحق والخير
والجمال .. هذه الاقاييم القدسية التي تجد لها في كل
زمن رعاة يحدون لها عذب الاناشيد ، ويهتفون لها احلى
الاغاني ، فتتلاقى خالدة ، وتصبح غذاء حيا للانسانية
التي تسير نحو غايتها المثلى .

ان من تحصيل الحاصل القول ان العاطفة عنصر
هام في كل عمل ادبي .. والشعر - بخاصته - اكثر
حاجة اليها من سائر الفنون الادبية الاخرى ، فهي التي
تهب الحياة والوقرة والبقاء ، لانها قوام حياته ، ومسترد
أفقه ، والشحنة الكهربائية التي تطعمه بطابعها الحاس .
ولقد وضع النقد الادبي جملة مقاييس للعاطفة
نلخصها فيما يلي :

١ - صدقها : لعل اقوى ميزة للعاطفة في الادب
بصورة عامة هي صدقها .. وفطن حسان بن ثابت الى
هذا فقال :

وان أشعر بيت أنت قاله بيت يقال اذا تشده صدقا
فليس أعذب الشعر أكذبه ، بل اصدق ، فالصدق

في العاطفة هو الجناح الذي يطير به الشعر الى القمة الفنية ، وهو لا يبلغ فنيته حقا الا اذا صدر عن عاطفة تمتلج بالصدق ، تدافعت في حنايا الشاعر ، واستطاع ان يعبر عنها بخلص والا اتى الشعر مجرد نظم لا يبدو الكلمات المرصوفة المنمقة التي يستحيل معها الى جثة محتظة . ان خير الشعراء اولئك الذين صدروا عن تجربة حقة عانوها ، وقديما قالوا : ان الكلمة التي تخرج من القلب تقع في القلب ، اما اذا تكلف الشاعر عاطفته ، وزورها وزيفها ، ومان فيها ، فشمعه ان يعدو الشفاء ، ولن يكتب له البقاء . فجوهر الابداع الفني هو الصدق ، والكلام في هذا اصبح مكررا لاغنية فيه .

اما قولهم اعذب الشعر اكذب . فاذا كان قائله يبغي به الكذب في الاحساس ، فقد كسا به الطربيق الصواب ، وبنا عن الحقيقة ، فالشعر الذي بني على كذب خال من كل روح لا يؤثر في النفس ، ولا يتغلغل الى القلب ، ولا يفتت منه الوجدان . اما اذا كان صاحب هذا القول يريد بالكذب قوة الخيال وانطلاقه الفياحة ، وتحليقه في ابداع الصور الفنية ، فاننا نقره على رايه ، فالخيال احد عناصر الشعر الهامة يفتقر الصور الشعرية البكر ، والرموز القريبة او البعيدة التي تسبح على الجو الفني لونا من الحياة والمنعة التي تثرى بها النفس .

ومن الطبيعي ان الشاعر لا ينظم لنفسه فحسب ، بل لا بد له من قراء يعيشون معه هذه الحظات السامية التي عبرت به ، فاذا كان صادقا في عاطفته تجاوب القارئ معه ، وتغلغل شعره في دمه ، وردده باعجاب لانه عرف على اوتار قلبه ، فالشاعر الحق هو الذي يصدر عن عاطفة صادقة مارت في اعماقه ، فصدق العاطفة الدعامة الكبرى التي تتجنع الشعر الى السمو . ولهذا كان على الشاعر الا يهتف بشعره الا بعد ان تعيش فيه عواطف حية لا يجد مناسبا بعد هدوئها من التعبير عنها ، وبهذا يتسم شعره بالاصالة . اما اذا عالج موضوعاته دون ان تبض في اعماقه العواطف ، فياتي شعره مجرد تقليد باهت بعيد عن كل ابداع ، ويرى كثير من الباحثين ان الشعر الحقيقي في الادب العربي ، هو الشعر الذي قيل في الجاهلية . ومرد هذا الى ان هؤلاء الشعراء كانوا يصمدون عن عواطفهم الصادقة دون تكلف او تليف ، فالحياة كانت ساذجة بعيدة عن كل تعقيد حضاري ، فجاء شعرهم معبرا عن نفوسهم يحترم فيه الصدق ، وهذا كان لصيقا بنفوسنا ، حبيبا اليها رغم تباعد الشقة بيننا وبين اصحابه ، وليس لهذا من سبب سوى ان العاطفة الصادقة البعيدة عن كل تصنيع تظل حية عبر الاجيال لا تزدها السنون المديدة سوى سقل وقوة ومضاء وسيرورة .

ولا مشاحة ان الشاعر المبصري قد يستطيع ان يزيف العاطفة ، وبليس كذبا لونا من الصدق بما امتاز به

من موهبة فنية فائقة ، وقوة في شاعرته . وقد يخدعنا ، فيخيل لنا انه صادق في عاطفته ، حي في تجربته . ولكن هذا المركب الخشن لا يستطيعه الا الافاذل من الشعراء الذين التمت العبقرية في شعرهم . وهم قلة في كل عصر . غير ان شعرهم يسمى الى الاجل موهبة اذا انبعث عن عاطفة احسوها تجري حية في نبضهم .

٢ - قوتها : ولا بد للعاطفة ان تتسم بالقوة ليكون لها التأثير في نفوسنا .

ولم يضع نقاد الادب مقاييس دقيقة لهذه القوة العاطفية ، لتعدد مناحي العاطفة ، واتساع آفاقها ، وترامي اطرافها ، وكثرة الوانها ، وتنوعها . ومرداها الى القارئ ، فهو الذي يحس بتفاوت درجات هذه القوة . والنقاد لا يعنون بقوة العاطفة صحتها ونورائها ، بل نكاد تكون العاطفة الهادئة اقوى اثرا في النفس من العاطفة الهائجة الصاخبة . والشاعر - في الحق - لا يبدع شعره في حالة هيجان عاطفته ، بل سيبده في حالة سكونها عندما يستعيدنها . ومما لا شك فيه ان قوة العاطفة تتسم من موهبة الشاعر واصلته وقدرته ولبه الفني . فتعكس في نفوسنا متدفقة بالحية ، وتجعلنا تتعلق بهذا الشعر نردده باعجاب لان النار القدسية التي اشتعلت في صميم الشاعر انتقلت لنا ، ونقلت الى قلوبنا ، وشيدتنا اليه باعجاب لاننا وجدنا في ابداعه الفني ما في نفوسنا النشطة الى ينبوع الجمال والخير والحق .

٣ - ثباتها : ومن الطبيعي ان تتجنع المقاييس النقدية الى ثبات العاطفة ، واستمرارها في القصيدة بنفس النور ، حتى لا يبدو الوهن على بعض الشعر ، والقوة على بعضه الآخر . وهذا امر ميسور في الشعر الفناني لان القصيدة محدودة الايات ، ويستطيع الشاعر الموهوب ان يحافظ على تدفق عاطفته ، وثباتها في هفاته الصادقة ، وتجربته التي يعبر عنها . اما اذا تعثر به العاطفة ، وتفاوتت في قوتها وتدفقها ، فلا بد ان يتعاور القصص شعره ويقص جناحيه المحلقين ، فالشاعر الفحل هو الذي يستطيع ان يظل متماسكا بعاطفته القوية بقطر فيها انفسه ، ويسكب فيها روحه المتوثبة . ولهذا اراني نزعا الى القصائد القصيرة التي يستطيع فيها الشاعر ان يحافظ على التوازي في قوته العاطفية ، فنحن في عصر كثر فيه الشعراء الذين اعوزهم الابداع ، حتى مع الناس الشعر ، فلا بد لنا من الشعر الرفيع الذي يستطيع ان يحلق في سماء الابداع ليشدنا اليه برباط وثيق حتى نستطيع ان نجد فيه غذاءنا الفني ، واشواقنا الروحية التي يستطيع الشعراء ان يترجموا عنها اكثر من سائر الفنانين لما للشعر من انسكاب في النفس ، ونوطة في القلب ، وعلق في الروح .

٤ - تنوعها : الشاعر الكبير لا يقتصر على عاطفة

واحدة يفتنيتها ويهزج لها اهازيجها الشاعرة ، فشكسبير اكبر الشعراء لانه استطاع ان يسكب في شعره مختلف العواطف الانسانية مثلها تمثيلا يتصف بالروعة الباقية . وهذا التنوع في العواطف لا يأتى الا فذاذ قلة من عباقرة الشعر في العالم ، فالتكرار من الشعراء ينزعون فنى شعرهم الى التفرّد بعيدين عن هذا النوع الذي يسمو بالشعر الى أفق كله نور وخلود . ومن الطبيعي أنه كلما تعددت المناحي العاطفية كان الشعر أقوى وأسمى ، فالشاعر العبقري هو الذي ينفذ في انتاجه صورة متناسقة لمختلف العواطف الانسانية التي تتجمع في حشد وافر كظيف .. ومقاييس النقد الادبي تجد فنى هذا التنوع الحاشد سر العبقرية ، وهذا طبيعي ، فالشعر يجب الا يقتصر على لون واحد . وكلما تعددت نعماته كان اقرب الى النفس الانسانية التي تتعدد فيها العواطف . هذه هي اهم المقاييس التقديرية التي اتخذها النقاد مقياسا للعاطفة الشعرية .. ولن اعرض الى سمو العاطفة او ضمنتها ، فقد كانت هذه مثارا لجدل كبير بين النقاد . وعندى انه لا توجد عواطف سامية واخرى وضعية ، فالشاعر حر في التعبير عن عواطفه ، ولا نستطيع ان نقيده بقيود ولو كانت من ذهب ، فكل ما عبر عنه فنى صدق واخلاص هو شعر مهما كانت العواطف التي تنداح فيه ، فالشاعر ليس بالواعظ الاخلاقي ، انه كاهن فنى هيكال الجمال يتبتل فيه ، ويشدو برواهة .. وجسود بول سارتز اعفى الشعر من الالتزام .. فطبيعة الشاعر لا تشدو الا الجمال في الوانه واغانيه ، وحسبه هذا الشدو ، ففيه الخير ، وكل الخير العقل النقي ، والارتفاع بها لانه يفرس فيها حب الجمال ، وليس هنالك معلم للفضيلة والسمو كحب الجمال .

وغالى شعراء الرومانتيكية في تمثيل عواطفهم في شعرهم ، وعبروا عن الامم ، واشواقهم ، واحلامهم حتى اصبح شعرهم تعبيراً عن ذاتيتهم .. غير ان سرعان ما مل الناس انغامهم ، واشتعلت الثورة على الرومانتيكية، وتدد بها النقاد ، فالرومانتيكية تذهب الى ان الغاية من العمل الفني هو التعبير عن شخصية صاحبه ، وكتب احدهم يندد بهذا ، وخاطب الشاعر الرومانتيكي قائلاً : « ماذا نبتغى من تاوهاتك وتنهائك والامك واحزانك ، فلتذهب معنا الى الجحيم » . واجاب فيكتور هيفو على هذه الثورة العارمة مندداً بها بقوله : « يا عديم الاحساس .. هل تظنني غير انت » . ومعنى هذا ان الشاعر الرومانتيكي الذي يعبر عن عواطفه يعبر في الوقت نفسه عن عواطف الآخرين ، لان العواطف - فنى الواقع - مشتركة تكاد تكون نفسها لدى جميع الناس .

واشتعلت الثورة على الرومانتيكية ، مما قلل من قيمة العاطفة في الشعر لدى كبار النقاد المحدثين . ولعل الناقد والفيلسوف الانجليزي هيولم كان من اكبر النقاد الذين عللوا على تقيؤ الرومانتيكية بشوكة عارمة بدت في مقالاته التي هاجم فيها اتجاهاتها الذاتية ،

المشحونة بعواطف شعرائها الخاصة ، فقد هاجم فنى قسوة الذاتية والفموض في الادب الرومانتيكي ، ودعا الى الموضوعية والنظام في الفن بصورة عامة ، كما اهاب بالشعراء لابداع الصور الجافة القوية في شعرهم . وهذه المقالات كانت احراساً للنقد الحديث في حركته الجديدة التي تطلب من العمل الادبي ان يتميز بالذمة والنظام . ولقد اثرت مقالات هيولم هذه في الناقد الكبير اليوت اثرا كبيرا وتجلي هذا الاثر في مقاله المشهور «التقاليد والموجة الادبية» الذي اعلن فيه بصراحة ان الشاعر ليس له شخصية يترجم عنها ، وكل ما في الامر ان لديه وسيطا خاصا تتجدد فيه الانطباعات والتجارب بطرق خاصة غير متوقعة .

ومن المتوقع في هذا الاتجاه الموضوعي ان تقل قيمة العاطفة في الشعر ، فاليوت رفض زعم الرومانتيكية التي ترى ان الذاتية هي الاساس الذي يبنى عليه الشعر . ويرى وردنوتز الشاعر الانجليزي الرومانتيكي في مقدمة ديوانه «الحكايات الوجدانية المنظمة» ان جوهر الشعر هو التعبير عن تجربة روحية عاطفية انبعثت من نفس الشاعر . ولم يقر اليوت هذا الرأي ، ففي رايه ان الشعر لا يتخذ اصوله من العواطف ، وليس هو اطلاق العاطفة ، وانما هو فرار من العاطفة ، وليس هو تعبيراً عن الشخصية بل هو هرب منها . ومعنى هذا ان الاهتمام بالعمل الفني باعتباره ترتيباً للصور له قيمته اكثر مما هو اهتمام بالاتي العاطفي للعمل الادبي في قارته . واذا اصبحنا لآراء الناقد آلن تيت نجده يقول ان العاطفة الفنية هي الصيدى لا تنحصر في تمثيلها للعاطفة التي احدثت في الشاعر عندما قذف شعره .. فالشعر لديه وضع المعنى في نمط مركب لمعنى من المعاني .

ويرى يول فاليري ان الشعر مجرد صناعة كبقية المهن .. او كما يصنع النجار الباب مثلاً ، وهو في هذا لا يدع مجالاً فسيحاً للعاطفة في الشعر . غير اننا في الواقع لا نستطيع ان نقر هذا الاتجاه الذي يقلل من قيمة العاطفة في الشعر ، فالتنقد الحديث تطور مع الادب الخلاق ، فأكثر هؤلاء النقاد الجدد شعراء ، فمقالات اليوت في النقد مثلاً ليست سوى صدى للمثل الشعرية التي كان يحتذيها في شعره ، فهو يعرض وجهة نظره الخاصة ، وينافع عنها ، وكأنه في نقده يصف خصائص شعره .. ومن الطبيعي ان هذه الخصائص لا تطبق على جميع الشعراء ، فلكل شاعر عاله الخاص وذاتيته ، واتجاهاته وفنه .

وفي اعتقادي ان العاطفة هي دعامه الشعر الخالدة، فلولاها لما كان له الخلود والتأثير والحب .. ولا يمكن ان يقلل من قيمتها آراء بعض النقاد والشعراء مهما اتسمت عبقريتهم ، وسمت مواهبهم ، فالشعر عاطفة حية قبل كل شيء .. وعظمتها مستمدة منها ، لانه يجلوها لنا، فنجد فيها نفوسنا ، وتريثنا تبصرة بالحياة .

رؤوس النعام

بالشمس، والقمر، والظير فوق الشجر
يح منا الصوت وزحل
ابراجنا تتارجح بين مريخ وقمر
تعبد الدروب بالقل
وتحكي تلك عن لا شيء
عن فراغ غل فيه القدر
كيف بدأت حياة البشر ؟
كيف انطلق كوكبنا مثقلا بالفناء ؟
والموت اكبر لعنة للبشر
من حط عليه القدم ؟
ملايين الفكر .. مثل الفراش تموت
حول الشمس والقمر
والانسان ذليل بعروق
يجري فيها دم مخثر
مكبل بالموت وشقاء الفكر
بهواء الارض والعلل
يقية .. يخلده كوكب آخر
ركبنا في الكون ندوب
ركع الكون فينا يدوب
الليل فراغ كذا النهار
والعمر مربوط بوحش الفناء
ندب في ارض يباب
وناس كالذباب
في جسد يباب
في روح سلخها عنا الدود والحجر
في الكون ندوب
والكون فينا يدوب
يملا الفراغ رعب الصغادع
ورؤوس النعام
ومشية الحجل

ثريا ملحس

في الكون ندوب
والكون فينا يدوب
علينا تفرض البداية
مثل النهاية
ان دار الكون درنا
ان جمد جمدنا
نصير رمادا ان تثاب
نهرع للسؤال والجواب بلا ضباب
من فم المكان او من فم الزمان
من فم النجوم وابراجها المعظام
مثل السحالي ، مثل العناكب
تلوننا ارض وموقف وقدر
وفي الزرايا نخفي، نحول بيوتا واهية
بهبة نفس او مضرب ماجور
ننهار ثم نظير
يلحق بنا المنكبوت بلا هدف
يلعلم الخيطان والقش والملل
او يشد ارجله الى صدره الحجر
كمشة او اقل من صفر
عيسن تتدحرج من القطبين
وعصفور يرف بريشتين
وافعى تتمطى ، واخرى تكوم صخرة
مثل افاعي المكسيك في حجار سود
سنمها انسان قبيح
يعرف سم الافاعي والتعايين
واخر ينطلق لحلم الطفولة
الخيوط ، والدولاب ، والحصيرة
ثم شمس اليقة .. وقمر خفيف
حول الدني (ميرو) لعين الطفولة
انامل تخاف ان تجرح العين والعنبر
تلون بالخط ، باشباه الصور
يلحم طفل بدولاب الهواء



محمد رجب البيومي

محمد رجب البيومي في بحته الاندلسي

بقلم الدكتور محمد مهدي علام
عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة

هذا يوم من أيام المجمع السعيدة ، يوم يمارس فيه المجمع تقليدا علميا كريما ، سار عليه في كل عام - الأفي فترات قصيرة أعوزه فيها المال الذي يملكه المجمع - لم تعوزه في يوم من الأيام نية الإجازة ، والرغبة في تقدير العلماء والادباء والشعراء ، الذين يساهمون بأعمالهم الجادة في مجال نشاطه ، ويتأثرون بخلواته فيما ينشئون ويؤلفون .

ولئن كان مثل هذا الحفل يخصص بمن يتقدمون للمسابقة الادبية السنوية التي يعلنها المجمع ، تشجيعا للعاملين في الميدان الادبي واللغوي ، ان هناك نوعا آخر من التشجيع ، بل التقدير الصامت الرفيع ، يقوم به المجمع لفئة من الاساتذة المؤلفين ، اذ يفسح في صفحات مجلته لبحوثهم اللغوية والادبية .

والمجمع بذلك يخرج من صومعته العلمية ، ليشرك في نشاطه كل من يأنس من نفسه ان يؤدي للغة والادب جزءا من الدين العظيم الذي في اعناق العروبة نحو تراثهم الجيد وحاضرهم العتيق ، ومستقبلهم المشرق ، فلقد اتى على المجمع وقت صور فيه انه برج عاجي يقيم فيه طائفة من العلماء يصدرن مصطلحات شاء أحد الكتاب المتفاهكين ان يمثلها بما نحلل للمجمع من ان السندوتش هو شاطر ومشطور وبينهما طازج ، حتى ان هذه الفكاهة قد لاحقتنا الى بغداد ، حيث كان مؤتمر

المجمع منعقدا في الشهر الماضي .
لقد الصقت الفكاهة وروح التندر بالرحوم الشيخ حمزة فتح الله قصة طلبه لانان جمزي ليركها ، وكساد الناس ينسون عن هذا الشيخ الجليل كل ما قدمه للغة ولا يذكرون منه الا الانان الجمزي ، وحاشا ان يكون نصيب المجمع شبيها بذلك فيتنس له كل ما يقوم به ، ولا يذكر عنه الا الشاطر والمشطور والطازج الذي بينهما .
ان المجمع هيئة نابضة بالحياة ، تشع بمسؤوليتها نحو الامة العربية التي تتطلع اليها في نهضتها العلمية واللغوية والادبية . . وفي هذا الحفل يعد المجمع يده بالتحية الى جندي من جنود الادب العربي ، تقدم للمسابقة في موضوع عويص ، مسلحا بأسلحة الباحث الجاد ، من اطلاع واسع ، واستعداد طيب للنقد واستخلاص النتائج العلمية .

وكانت فكرة المجمع - ممثلة في اختيار لجنة الادب لموضوع المسابقة - هي فتح باب البحث العلمي في هذا الجزء من تراثنا العربي ، فهو ميدان ما زال مجال القول فيه فسيحا ، لاتساعه وتشعبه ، ولاندثار جزء عظيم منه ، وبقاء معظم ما بقي منه في طيات المخطوطات ، وللحاجة الماسة الى مزيد من الباحثين الجادين فيه .

وقد قابلت هذه المسابقة صعوبتان ، احدهما واجهت المتسابق ، والاخرى واجهت لجنة الادب في المجمع . اما الصعوبة الاولى فقد تصورها المتسابق ، ولم يكن في حقيقها صعوبة . ذلك انه يقول في مقدمة بحته : « حين قرأت اعلان المسابقة الادبية ، وجدت في نفسي رغبة صادقة في الحديث عن الادب الاندلسي ، فعدتني عنه ما يمكن ان يقال فيه . ولكن اقتصر الاعلان المجمع على كلمتي الادب الاندلسي وحدهما قد تركتني في حيرة ، اذ ان ثمانية قرون تحفل بمئات الشخصيات، وشتى المذاهب ، ومختلف الصور ، لا يمكن ان يتسع للحديث عنها كتاب واحد يكتب في أشهر ! فلا بد ان يكون عن ناحية خاصة من نواحي هذا الادب الحبيب ! »

وهذا هو ما قصده المجمع ، لا ما يتصوره الباحث من كتاب يتناول ثمانية قرون من تراثنا العربي في الاندلس . وما كان من الممكن ان يقصد المجمع استيعاب التاريخ الايب للاندلس في بحث واحد . بل ان صيغة الاعلان اشمل مما فهم المتسابق نطاقا ، واضيق تطبيقا ، فالاعلان يقول : « الادب الاندلسي او المغربي : في ليبيا ، او تونس ، او الجزائر ، او المغرب » . ولا يعقل ان يطلب المجمع بحثا يستوعب ادب المغرب العربي ، بل انه لا يطلب ما يستوعب الادب الليبي او التونسي او الجزائري او المغربي . فهذه كلها ميادين بحث يختار منها الباحث

✱ نعى الكلمة النافذة التي التأمها الدكتور محمد مهدي علام في احتفال مجمع اللغة العربية الخاص بتكريم الاستاذ محمد رجب البيومي

مادة لبحثه .

ومهما يكن الامر فقد احسن المتسابق حين حل لنفسه الصعوبة التي تصورها في عنوان المسابقة فاختار ان يكتب عن «الادب الاندلسي بين التاثّر والتأثير» .

واما الصعوبة الثانية فقد واجهت اللجنة عندما وجدت انه لم يتقدم للمسابقة الا بحث واحد . فهل نلغي المسابقة على اساس انه لا تقوم مسابقة الا بين عدد من المتسابقين ؟ ولكن الموضوع بحث في اللجنة وفي مجلس الجمع . ورات اللجنة ، واقرها المجلس ، ان المسابقة قائمة ، لان المتقدم الوحيد لا بد له في الا يتقدم معه احد غيره ، حتى يحرم حقه في النظر في انتاجه . واستقر الرأي على ان المفاضلة بين المتسابقين - وكان يبدو اول الامر انها لم تتحقق - لا تكون الا بعد اختيار عدد من الانتاج المقدم يكون قد ارفع الى المستوى الذي تری اللجنة ان جدير بالاجازة . عندئذ ، وعندئذ فقط تكون المفاضلة . اما اذا لم يرتفع اي من الاعمال المقدمة الى ذلك المستوى فلا مفاضلة ولا جائزة . فالبدا الذي نسير عليه اللجنة هو انها لا تختار لجوائز الجمع افضل ما يقدم اليها بغض النظر عن مستواه . فهي لا تيسر على ان في الشر خيارا ، بل لا بد ان يكون هناك خير فاقبل بينه في ترتيب الجوائز الممنوعة . ولما كان التقدم في هذا العام عملا واحدا فقط رأت اللجنة فحصه ، فان ارفع الى المستوى الذي يجيزه الجمع ، نظر في تقدير هذا المستوى لتحديد رتبة الجائزة التي تمنح . وهنا نحن اولاء نتحمل اللبلة باعلان راي اللجنة ، وهو ان هذا الترتيب يستحق الجائزة الاولى .

وكان صاحب البحث قد قدمه باسم مستعار هو « ابن يسام » ولم تكشف اللجنة عن اسمه الحقيقي الا بعد فحص البحث واجازته ، فاذا هو صديقنا القديم الاستاذ محمد رجب البيومي ، صاحب السبق في نوال جوائز الجمع الادبية .

وهو رجل وهب نفسه للعلم والتعليم ، يعلم نفسه ويعلم تلاميذه ويفيد قراءه . تخرج من كلية اللغة العربية بجامعة الازهر عام ١٩٤٩ ، ومن معهد التربية العالي للمعلمين في السنة التالية لها ، وهو الان المدرس الاول للغة العربية بدار المعلمين في الفيوم . وله نشاط ادبي ملحوظ يكفي في تقديره شهادة الاستاذ احمد حسن الزيات له بأنه في طليعة كتاب الرسالة . وهو منذ نحو عشرين سنة يكتب في المجلات الادبية بالجمهورية العربية المتحدة ، وبعض البلاد العربية الاخرى .

وله كتب عدة ، من الممكن تصنيفها الى نثر وشعر ، او تصنيفها الى قصص ومسرحيات . ومهما يكن الاساس الذي تصنف عليه فهذه اهمها :

١ - ابن حنبل ، ترجمة ادبية في صورة قصة توضح الصراع بين المعتزلة واهل السنة في العصر

العباسي .

٢ - علماء في وجه الطفيان ، وهو كتاب يتحدث فيه عن عدد من العلماء الذين قاوموا الارهاب في عصور التاريخ الاسلامي .

٣ - بطولة شعب ، وهي قصة تاريخية تصور الحملة الفرنسية .

٤ - مع الابطال ، وهي تراجم ادبية لعدد من ابطال المارك الحربية ، من جمعوها الى الشجاعة الحربية شجاعة الراي والعقيدة .

٥ - ملك غسان ، وهي مسرحية شعرية تاريخية تصور المساواة في الاسلام في ضوء حادثة جيلة بن الایهم مع الاعرابي . وقد نالت الجائزة الاولى لوزارة التربية والتعليم عام ١٩٥٨ .

٦ - مسرحية انتصار ، وهي كذلك مسرحية شعرية تصور عهدا من عهود الحروب الصليبية . وقد نالت جائزة شوقي من المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب والعلوم الاجتماعية عام ١٩٦١ .

٧ - فوق الابوة ، وهي مسرحية شعرية ، نالت الجائزة الاولى لمسابقة المسرحية ، من مجمع اللغة العربية عام ١٩٦٣ .

٨ - صدی الايام ، وهو ديوان شعري ، نال به الجائزة الثانية في المسابقة الشعرية لمجمع اللغة العربية عام ١٩٦٤ .

فجائزة السيد محمد رجب البيومي اللبلة هي ثالث جائزة نالها من مجمع اللغة العربية . فهو بذلك صديق قديم يكثر الجمع بصداقته .

والمجمع في اعترازه باصدقائه يجمع لهم بين التنويه والتوجيه ، ولا ينقص ما فيه من التوجيه ما يحمله من التقدير والتنويه .

لقد التقى الباحث شبكة مترامية الاطراف ، فجمع فيها كثيرا من شوارد الموضوعات ، ولكنها كانت ككل شبكة كبيرة تضم بعض ما يعلق بكریم الصيد .

ومما يذكر للباحث شجاعته في مناقشة آراء السابقين والمصانير ، وهي شجاعة محدودة ، كشفت عن سعة اطلاع ، وثقة بالنفس ، كما كشفت عن بعض الحقائق التي نلت عن سابقه . ولا شك انه سيسلم لمن يقرأ بحثه ان يسلط عليه من الاضواء مثل ما سلط هو على كتابات من سبقه . لقد تبنى الباحث موضوعا شاقا ، تبناه واجبه وعطف عليه وعكف عليه . ولكنه لم يتعصب له الا قليلا . لقد بحث عن المجد العربي في الاندلس ،

واشاد به وبآثره في المشرق العربي ، وفي المغرب الاوربي . ولكنه حين بدا له ان السبق لم يكن للاندلس في بعض الفروع لم يتردد في اعلان ذلك ، كما فعل في موضوع الموشحات ، وفي رثاء المدن والدول ، فقد خاض في هذين الميدانين معركتين اصاب فيهما نصرا ،

هـمسة

يا حلوة التصبي
يا وردة فواحة
الشوق يبدو ظاهرا
فاعليته مرة
القاهرة

يا مرة التآبي
أشواكها بقلبي
ان تظر في بهدب
أو اكتمني وخبي
عبد الهادي حرب

وأصابته بهما بعض الجراح . وقد كان في هذا ، ككل جندي بأسلحته يتقدم الى هدفه محتملا كل ما يقابله من صواب .

لقد تحدث الباحث في اثر الازجال والموشحات في شعراء التروبادور ، وعن دور الاندلس في نمو القصة الأوروبية ، وعن اثر الحب العذري في الادب الغربي ، واختص بعض نواحي الاندلسيين بدراسة مستفيضة ، كصاحب طوق الحمامة ، وصاحب حي بن يقظان ، وابن رشد وما احدثته كتبه من نقطة فكرية في أوروبا . كذلك ناقش في أسلوب علمي تأثير ابن شهيد في أبي العلاء ، واثار ابن خلدون في الأسلوب الأدبي المعاصر . ومن دلائل شجاعته عدم تردده ازاء قلة المنشور من

الآثار الاندلسية فهو يقول : « وقد رأينا من الكتاب من ينادون بالتراث في دراسة الادب الاندلسي ، ورجعوا اكثر كثرة لا تزال مطورة في خفايا الشبان ، وما تقدمه المطبعة بين الفينة والفينة من نفايس المخطوطات لا يساوي شيئا اذا قيس بما تخزنه المكتبات العالية في الشرق والغرب . وقد تبدو لهذا الرأي وجهة سريعة عند من لا يتعمقون الاشياء . اما الذين اوتوا نصيبا من الدقة الحصيفة يعرفون ان الكلمة الأخيرة في أي ادب من الادب لم تقل بعد ، وان كثيرا من الحقائق المتأصلة على مر الاحقاب تعرض لنهايات مفاجئة ، حين يعتمد لها من يتسلح بالمثابرة والنفاذ ، فيرى بها غير ما يرى السابِقون من ذوي التفكير . واذا كان ذلك شيئا طبيعيا في دنيا الادب والعلم ، فلماذا نجعل من دراسة الادب الاندلسي ؟ والى أي مدى ننظر ؟ وما الذي يمتنع ان نقول كلمتنا الان ، فاذا جد جديد يتمخض عنه المخطوطات المطبوعة ، فانه اذا ذلك لا يصطدم بمنطق الاشياء ، بل يكون اطرازا للسير على منهج معلوم . ولعمري لو أفلح هؤلاء في صد الباحثين عن قضايا الادب الاندلسي انتظارا لما سيجيء لتطاول الزمن دون ان نغفر بما يقع النليل في منطق اولئك ، وهكذا تضع الحقائق بين المطال والتوفيق » .

ولعله يرى ان الجمع لم يكن من اصحاب الرأي الذين يسوفون البحث في الادب الاندلسي بدليل دعوته الى المسابقة في الكتابة فيه ، وان كانت دعوته لم تجد الا

مستجيبا واحدا ، مما يؤيد الباحث في خوف الباحثين . ولا أريد ان اختم كلمتي هذه قبل ان اشير اشارتين سريعتين الى محتويات هذا البحث الناجح : احدهما للتنويه ببعض ما جاء فيه من الآراء الجديدة السديدة ، والاخرى للتوجيه في بعض ما اشتعل عليه البحث من روح التحمس التي تغلبت على منطق الفكر .

واذا كان المقام يقضي ان أوجز في جانب التوجيه فاني أرجو صدقنا الباحث ان يراجع رايه فيما يقوله عن اثر المقامات في نشأة القصة الأوروبية ، وعن علاقتها بقصة « باميل » للكاتب وتشارد سن وان بعيد البحث فيما كتبه عن علم القراءات الذي يبدو انه قصد به علم التجويد ، وان يرى المرحوم الاستاذ احمد امين مما عزاه اليه من انه يمثل خلو الادب الشرقي من رثاء المدن وبكاء الدول الزائلة ، فعبارة احمد امين - كما نقلها الباحث نفسه - لا تزيد على أنه يقول : اننا لم نر في هذا المجال الادبي في المشرق كالذي رأيناه في الاندلس .

اما مجال التنويه ففسيح يكاد يشمل البحث كله ، ومن امثلة ما ذكره بصدد الموازنة بين شعر الطبيعة في المشرق ، وشعر الطبيعة في الاندلس ، فقد قال : « من الخطأ الذي يقع فيه ارباب الموازنات بين الادبيين انهم يجعلون جميع ما قاله المشرقية يقف امام ما قاله الاندلسيون . ونسوا بذلك شيئا واضحا ، هو ان عمر الاندلس الادبي اقل بكثير من عمر المشرق ، فالادب الجاهلي مثلا ادب مشرقى ، وادب صدر الاسلام وعصر بني امية ادب مشرقى ، وادب السنين الاولى لعهدي بني العباس ادب مشرقى ايضا ، ولكنها كلها لا تدخل في باب الموازنة ، لامر واضح ، هو ان ادب الاندلس الى اوائل عهد بني العباس لم يكد يولد بعد . وعلى ذلك فهو حفيد لما تقدمه من آداب هذه العصور . واذا اردنا ان نقيم موازنة بينه وبين ادب مشرقى فلتكن الموازنة مع ادب حفيد مماثل . اما الادب السابقة فهي آباء واجداد للادبيين معا . ولا يليق في باب الموازنة العادلة ان يذهب بفخر هذا الميراث الحفيل ، حفيد دون حفيد » .

كذلك أريد ان اتوه بما اوضحه من عدم الدقة في رأي من يقولون بان الموشحات كانت تحللا من قيود القافية في الشعر العمودي ، مبينا ان نظام الإقفال في الموشحات يضيف قيودا الى نظام القافية التقليدية .

وبعد فانا امام بستان جنى الثمار ، ولن ينقص من قدره ما قد نراه فيه من بعض الحشائش التي نمت حول ازهاره ، او الاشواك التي اكتنفت شهي ثماره . فباسم مجمع اللغة العربية اهتئى الفائز في هذه المسابقة ، السيد محمد رجب البيومي ، متمنيا له دوام التوفيق .

القاهرة

محمد مهدي علم

المازف المعجوز

بعبابين من دجى وقتام
يتدجى بعارض من ركام
دون رجب يبور بالانظام
فجرت بالزفير من آلام
فجرتها لواعج عن صرام
من دموع يسيل سيل غمام
من نظام ولم يفه بكلام
عبقري البيان والاحكام

ضرب الليل ناشر الاعلام
فاذا الارض سريلت بركام
والسكون العميق مد جناحا
لجم الصمت السنا عن كلام
واستفاضت جوانح بصرام
ان للعين في المصاب لسانا
بلغ السحر شأوه في فريد
يفصح الدمع مبريا ببيان

* * *

بخنان قيثاره وهيام
لوحيد حذار عادي الحمام
فالقوى قيثاره بزمام
من ضروب الاعجاز والالهام
هي اشهى من بارق الاحلام
من نجي الضلوع او كاتسام
كهزيم الرعود دون الظلام
مستكن الجوى كجمام مدام

جذب المازف المعجوز اليه
ضمه مشققا كضم رؤوم
جل الصدر دون قيثاره المهد
وانى بالقرب في كل ضرب
فاض يجري مسترسلا بلحون
فتراما ترق حينما كهمس
وتراها تشتد حينما وتقسو
وهي تروي على الشجون وتوري

* * *

نظرات من روعة الانعام
تستريحون طائلا من حطام
متكبيه جوائح الايام
طبعنت في الجبين كالاختام
مستكن فيثاره وغرام
بشمام ولم تجد بشمام
ورمى كفه بسهم حمام
عن مرام لواعج الاسقام

هتف الحشد للمعجوز وزاغت
ساليه المزيد فاعجب لقوم
حطمت جسمه السنون وهزت
ولركب الاعوام ثم سطور
طفل المازف المعجوز بشوق
واستمح الاوتار رفدا فضت
عقل المعجز ساعدا بعقال
هم بالمزف جاهدا فثنته

* * *

زفرات مشحونة بصرام
ييمن قد اتخنت بسهام
وتراخت انامل كرام
مطل المعجز فانشى من سقام
والقى قيثاره لانتقام
من جذاذ الخريف في الاكام
لحطام بساعد كحطام

صعد المازف المعجوز بشجو
ما درى ما يقول والضعف الوى
جمدت لا تسير مثل جماد
كلما راح يستشيب قواه
شفه الخطب فاستشاط من الفيظ
فترامت اجزاؤها كشتات
وارتمى فوقها يضم بقايا

عدنان مردم بك

دمشق

رابندرنات طاغور

بقلم الدكتور فؤاد جبور حداد
من « المرأة الوثنية » في لندن

قبل ربع قرن كان الشاعر العالمي رابندرنات طاغور لا يزال حيا يرزق في الهند موطنه الاصلي . وكان عند ذلك في سن الحادية والثمانين من عمره . طويل شعر الرأس واللحية ، يمت منظره في النفس الاجلال والاعجاب . ولكن يكفي ان يدرس المرء شخصية طاغور ويطلع على بعض انتاجه حتى يرسم له في مخيلته صورة لا تقل عن صورته الحقيقية وقارا وروعة .

ولد طاغور ونشأ في اسرة موفورة الحال كريمة الجانب فتعلم منذ صغره اللغات السنسكريتية والبنغالية والانكليزية ولما اصبح رجلا اخل بنمهد املاك عائلته وارضها الواسعة في البنغال وكان لهذه النشأة اثر عظيم في انتاجه اذ لم يكن في حاجة للسمي وراء الرزق ولم يكن ينقصه الوقت او تعوزه الامكانيات والفرص للانصراف بكيئته الى النواحي التي كان يميل اليها بطبعه وفطرته .

بدأ طاغور حياته الادبية وهو فتي صغير فكان ينظم الشعر الغنائي الذي عبر فيه عن فرحة العظم بالحياة بالشمس والاعشاب والنسيم والنهر ، اذ كان يحس في اعماق قلبه بجمال الكون فيسجل احساساته هذه بلغة سهلة بسيطة . اسمعه يقول :

« يقبل الصباح كما تقبل العذراء وهي تحمل في يمانها اكليلا من الجمال لتتوج به هذه الارض .
ويقبل المساء فوق الروع التي تشرع بالوحدة بعد ان تركتها الماشية كما تقبل العذراء وهي حاملة جرة ذهبية ملائها من محيط الراحة التي غابت فيه الشمس نسيما بلبلا من السلام والطمانينة . »

ولم يقض طاغور حياته كلها في البنغال بل سافر الى اوروبا وانكثرا وامريكا سفرات عديدة تعلم فيها اصول الموسيقى الغربية واطلع على الاداب الاوروبية وتأثر بالشاعر الانكليزي شيلى تأثرا كبيرا .

ولكن طاغور لم يفتقد مرجه بالحياة واحساسه بجمالها طوال حياته فكان يقول : « ليست الحياة اموالا او جواهر او لآلئ وليست الحياة حداثق غناء او قصورا شامخة ولكن الحياة كوخ صغير على شاطئ البحر ينيره وجه حبيبي . » ولما ازدادت تجاربه في الحياة اصبح يرى القيود والاغلال القاسية التي تفل اعناق بني الانسان

وتمنهم من التمتع بجمال الحياة ، اغلال الفقر والجهل والظلم الاجتماعي فتولدت عندئذ آراؤه السياسية والاجلحية وآراؤه الوطنية والانسانية . ويستطيع المرء ان يرى انسجاما تاما بين جميع مشاعره وآرائه كما يستطيع ان يردها جميعا الى مصدر واحد هو ايمانه العميق بوحدة الكون وجمال الحياة وصلاح الانسانية . اسمعه يقول : « هناك تاريخ واحد فقط هو تاريخ الانسان على الارض اما التواريخ القومية المختلفة فما هي الا فصول في ذلك المجلد الضخم » .

واسمعه يقول : « ليس الانسان عبدا لنفسه او للعالم بل هو في جوهره محب وفي المحبة تكمن حرية الانسان وسعادته ورسالته في الحياة » .
كان طاغور وطنيا متحمسا لبلاده ولكن شعوره الوطني كان في الواقع شعوره الانساني مطبقا على الهند . وقد نظم قصائد كثيرة في هذا الباب ولكن يمكن اعتبار جميع تلك القصائد قصائد انسانية ... ومن أبرز قصائده الوطنية تلك التي اتخذتها الهند الان نشيدها القومي .. انها صلاة حارة صادرة من قلب الشاعر الى خالق هذا الكون تلتمس منه ان يوصل بلده بمنابته الى هذه المرتبة المثالية من الرفعة والسمو فيقول : « حيث تكون المعرفة حرة من كل قيد ، حيث يكون العالم وحدة لا تجزؤها الاعتيادات المحلية الضيقة ، حيث تصدر الكلمات من احشائك الصديق ، حيث يمد النضال الذي لا يكل ولا يتعب ذراعيه ليعتاق الكمال ، حيث لا يفضل التعقل طريقه فيصبح كجذول صاف تائه في صحراء من العادات الميتة ، حيث لا يفتقد العقل اليك فتقوده الى افق دائم الاتساع من التفكير والعمل ، في ذلك الفردوس من الحرية اجمل بلادي تستيقظ يا الله » .

كان طاغور يحس بما في وطنه وما في العالم بأسره من ظلم اجتماعي فكان ذلك يثير في نفسه مشاعر كثيرة كشعور الكره لجبن الضعيف وشعور المقت لفرور القوي ولكنه كان دائما يؤيد الضعيف بكل قلبه وقدرته . اسمعه يقول : « يحق لمن يسيرون في طريق الفطرة فيدوسون في طريقهم ارواحا كثيرة غضة وتركون وراءهم فوق بساط الارض الاخضر آسارا ملطخة بالدماء لاقدامهم . يحق لهم ان يفرحوا لان اليوم يومهم . ولكني اشكرك يا الله لاني لست من هؤلاء اشكرك لاني اقف مع المستضعفين الذين يحطلون نسر السلطان ويخفون آلامهم ودموعهم في ظلام الليل . ان كل انة من اناتهم نبضة في جسم ليك العميق وكل امانة تقذف في وجوههم يصيبها ويحفظها سكونه الرهيب الشامل . ولكن المستقبل لهم . »

اخذ طاغور ينظم ويكتب باللغة الانكليزية وهو في سن الخمسين وقد منح جائزة نوبل للاداب بعد ان اصدر بالانكليزية كتابه المسمى Gitanjali الذي تضمن عددا

في التصوف

وقفت أمام الباب ، والباب مفلق
وفي داخلي الاشواق تهيم ، وتدفق
فلما طرقت الباب ، صاح مليسا :
من الطارق المسكين ، من ثم يطرُق
فقلت : ابي هذا فتاك الى الحمى
يعود ، فهل تخنصو عليه وتشفق
وهل تفتح الباب العصي ، فاني
الى مجتلى الاضواء ، كم اتشوق
ابي ، هلا فتحت الباب ان لديكم
منابع نور ، بالسماحة تعبق
ابي ، كيف ابقى في الظلام معذبا
اغص بدمعي يا حبيب واشرق
وعبر بحار الصمت اقبل صوته
اشعة فجر في الوجود تفرق
« انا يا فتاي الفر لم اك مفلقا
بوجهك بابي ، لا ، ولا سوف اغلق »
فبابي مفتوح ، لكل مضيع
يفرّج في تيه الدجى ويشرق
يشرد حينا في الوجود ، فان اتى
فقداني افرح ، وبابني تشوق

شبين القنطار عبدالمعزم عواد يوسف

موصلة الى غرضنا فكانما هي جزء من غايتها وكأنها بدء
لوصولنا اليها .. هذه النظرة الاخيرة هي نظرة الهند
للطبيعة . »

واختتم الان هذه الكلمة الموجزة عن حياة رجل
آسيوي هندي هو من اعظم رجال الادب في التاريخ
بترجمة احدى قصاده الجميلة التي ودع فيها الحياة قال:
« اعرف انه في نهاية يوم ما ستودعني الشمس
وداعها الاخير وبينما تتحول ايامي الى ظلام سيظل الرعاية
يعزفون الحانهم تحت اشجار التين كما يفعلون الان
وستظل الماشية ترعى على جوانب النهر . وكل ما ارجوه
هو ان اعرف قبل ان ارحل لماذا عاقبتني الارض
بذراعيها ولماذا حدثني ليها بسكونه الرائع عن النجوم
المتألثة ، ولماذا لمس نهارها احلامي بنوره الساحر قاينت
كالاهرام . »

بهذه الروعة من البساطة الاسرة غادرت العالم
عبقريه من عبقريات الشرق : رابندرانات طاغور .

فؤاد جبور حداد

لندن

وافرا من اشعاره الصوفية وكانت هذه اول جائزة من
جوائز نوبل تمنح الى رجل آسيوي . اما طاغور فقد
خصص المبلغ الذي قدم له وهو حوالي عشرة آلاف جنيه
لبناء مدرسة في الهند تسير على احدث النظم التعليمية
وتفرض في طلابها مبادئ طاغور وهي المثالية والاخوة
الانسانية والسبب الذي حدا بطاغور الى بناء هذه
المدرسة هو اعتقاده ان في عالم مثل العالم الذي نحن فيه
تمزقه الاضطرابات الاقتصادية والمنازعات السياسية يحتاج
الناس اكثر من اي وقت آخر الى الفنانين المبدعين ، الى
الادباء والشعراء والموسيقيين فهو لا لهم نظرة عالمية
ويتبعرون برسالة نحو الانسانية جمعاء فيكونون كالاشجار
تستمد مادتها من المكان التي تعيش فيه ولكنها مع ذلك
تستششق الهواء العالمي .

لقد تميز طاغور بمزجه الرائع للثقافات الاسيوية في
الاوربية والقديمة في الحديثة . وافكار طاغور كما قال
احد الكتاب الكبار هي نتاج التربة البنغالية كما ان المناهج
نتاج الشواطئ الخصبة بالبنغال .

لم يكن الشعر السبيل الوحيد الذي وجدت فيه
عبقريه طاغور منفذا تعبر فيه عن نفسها بل نراها تتدفقه
قوية مؤثرة في الموسيقى والرسم والقصص ونسي
التمثيل المسرحية .

وقد وضع طاغور روايات مسرحيات كثيرة هي من
النوع الرمزي الفناني التي تعالج كل منها مشكلة من
المشاكل الاجتماعية الكثيرة المنتشرة في الهند كسوء
توزيع الثروة مثلا . ففي احدى رواياته يظهر طاغور
سيدا شابا وهو يؤنب خادمه المعجوز لانه جازم متآخرا في
الصباح فلم يبه له حماما ساخنا عند مفارقه الفرائش
ولم يتعمد كمالياته العديدة الاخرى . فيجيب الخادم كمن
يظهر سبب تأخره فقط دون ان يعتقد انه يقدم عذرا على
الاطلاق « لقد ماتت ابنتي الوحيدة في الليلة الماضية » ثم
ينصرف ذليلا ليستأنف اعماله كالاعتاد .

كان طاغور يكثر احيانا من القطع الغنائية في تمثيلياته
فتصبح اقرب الى الاوبرات منها الى التمثيليات العادية
وقد ترجمت حوالي عشر منها الى اللغة الانكليزية .

ان التعرض لفلسفة طاغور يدخلنا في صميم
الفلسفة الهندية فدين طاغور - كما قال بنفسه - هو دين
الانسان او بالأصح دين الشاعر لانه يقوم على مبدأ ان كل
ما في الكون من انسان وغير انسان وحدة او حقيقة
واحدة كبيرة . وقد أوضح طاغور في كتاب السادهاينا
(كنه الحياة) كيف تختلف نظرة الهند الى الحياة عن
نظرة الغرب اليها فقال :

« نستطيع ان ننظر الى الطريق نظرتين مختلفتين -
الاولى ان نعتبر الطريق فاصلا بيننا وبين غرضنا الذي
نريد ، في هذه الحال نعتبر كل خطوة نخطوها على الطريق
انها شيء حصلنا عليه في وجه العقبات . والثانية نراها

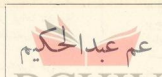
يحضر دوسيهها .. يلي كل الطلبات
كسيارة تعمل على جميع الخطوط ،
وكمادته عند كل محطة ، يستقبل
من يناديه بـ «نعم» ويفاديه بكلمة
«حاضر» وكثيرا ما تشيعه نظرات
الشكر .. ولا يراها . « ناولني
الدوسيه الغلاني يا عم عبد .. تأخر
الشيء يا عم عبدالحكيم .. اذهب
للاستاذ فلان .. انزل القسم تحت
... اطلع الدور الثالث .. وهات .»
وانارني ذاب الرجل على اطاره
التحليلين .. تبعته فترة قصيرة ..
احصيت عدد المرات التي تردد فيها
بين حجرات طابقا وحده .. في
خمس دقائق .. وجدتها ثمانسي
مرات .. وقفت في زاوية السلم
اطل على فناء المبنى من نافذة ..
تهت في عدد المرات التي طوى بها
درجات الادوار الثلاثة ، لم اكس
مستطعا ان اقل خطوتي خلفه -
ربما افضل ان اصون اطاراتي من
البلى - لكنه كان يمر علي في وقتي ،
ويصر على تحتي كل مرة بلسانه
ويده .

واطمانت عليه قليلا عندما هبط
الى الدور الاول .. وغاب فيه
طويلا .. قلت لنفسي .. انه الان
يختلس وقتا لراحة اطاره .. ربما
يتناول افكاره .. لكنني لمحت اطاره
على المقعد لم يمض .. استبعدت
الفكرة الثانية ، همت لنفسي :
لا بأس بالفكرة الاولى .. كيف يظل
الرجل يهبط ويصعد الدرجات بلا
التفات لاجهاد قديمه ؟!

رن جرس .. ظننت ان «جمعه»
الساعي الآخر .. سيحل محله ..
لكنه تصامم ، وانسحب بعيدا كانه
غير موجود .. في حالة وجود
«جمعه» وحده في «الوردية» ..
تقل طلبات الموظفين .. ويؤجلونها
احيانا .. وتتأخر تعليقاتهم في حق
«جمعه» وسلوكه .. ثم يخفف اقدمهم
من السخط عليه فيقول ما زاح :
(«جمعه» يظهر مولود في يوم
جمعة .. والجمعة اجازة .. يعني

نحوك ، خيل اليك انه فريسة حزن
مجهول لازمه بعد رحلة زمن ! ولمحته
مقبلا بالدوسيه في زجاج النافذة
الواجهة للباب ... يخب في مشيته
كالنعامة ، ويمسح عن شفتيه آثار
حلو .. ويتلطم .. لم اكن ادري
سر تعلقه بالحلو لكنه يلوكها في
فمه بنشوة طفل حصل عليها بعد
نوبة بكاء !

« كيف عدت سريعا يا عم عبد
الحكيم ؟ »
« اسرعت الى الدور الاول ..
واحضرت لك ما تريد . »
« ياه .. قل لي .. كم مرة نزلت
وطلمت من الصبح على السلام ؟ »
وضم اصابعه ، ونفضها في



يقدم محمود حسن الغزب
http://Archivebeta.Sakhrir.com

الهواء ، وتعم بصوته الخافت :
كثير .. كثير .. يا استاذ .. الكل
يطلبني .. ماذا اعمل ؟ .. اي خدمة
تانية ؟!

ولم ادر هل سمعني اشكره ...
لكنه ذاب من امامي .. يستجيب
للسدائد المنبثشة من الحجرات
حول . احيانا اضطر عندما تحل
نوبة عمل عم عبد الحكيم ان اغلق
باب الحجرة ، ولولا ذلك فلن انهي
عملا كافيا في يومي .. اذ تشدني
النداءات وهي تلاحق الرجل كسوط
شفاف .. اراه يهرول هنا ..
ويدلف هناك .. ينظف مكتبا ..



وضعت يدي على خدي صباح اليوم
احدق في الفضاء عبر النافذة ،
وافكر فيما جرى لعبدالحكيم .
منذ التحقت بعملى والرجل يلفت
نظري اليه في اطار ما يحيط بي .
كانت حركته الدائبة مثار انتباهي ..
ادق الجرس - مثلا - فاذا الرجل
يسبق الدقات .. ويسبقه لسانه
بكلمة « نعم ؟ » .

كان عم عبدالحكيم فريدا بين
السعاة .. لا يتلأأ في يتخلف عن
تلبية اي نداء .. مع انك لو تراه
الا مشغولا تتسابق الافواه
والاجراس في طلبه ، ولو كان
الجرس معطلا يكفي ان تقول يا عم
عبد الـ وقبل ان تتم نداءك
تجده على عتبة حجرتك مستفسرا
عما تريد بصوت خافت يلوته الخجل !

في بعض الاحيان كنت اضيق
بسرعته .. وخجله .. وتعميت لو
اخلف مرة .. وتفاؤل عن نداءي
« هات يا عم عبدالحكيم .. شاي ..
حاضر » ثم يخفي كانه لم اطلبه .
يا عم عبدالحكيم مر على الاستاذ
حسين .. وهات منه دوسيه ..
وقبل ان اتم كلامي .. يسبقني
ويقول « حاضر » وابتسم .. هل
عرفت يا عم عبده اي دوسيه ..
اعني ؟ واجابني الرجل بطيبته
المهودة : تقصد دوسيه الامس ..
ساعطيك ورقة باسم الدوسيه
الجديد .. متشكر يا عم عبدالحكيم .
« الشكر لله يا افندم » .

وغاب الرجل عن عيني ولكن
صورته تظهر في لوحة رأسي ..
واكتشف ان مظهره العام ليس فيه
شيء من الجدة او العناية .. بليس
بدلة عمل مستهلكة اضافت لقامته
القصيرة قدرا من التهلل وعدم
التنسيق ، وعكست على وجهه
الشبيه بلون ماء الفيضان وكنة
جديدة .. وشفت احساسا مسلا
فيه اعتذار عن شيء ما يخشى ان
يحدث منه ، فاذا سمعت ايقاع
صوته الخافت مقترنا بانحنائه

ان طلبتم «جمعه» ... انتظروا..
جمعة) .

طال غياب عبدالحكيم .. وخشيت
ان يكون تغش لي احدى الدرجات
.. همت ان اسال عنه .. كثرت
دقات الاجراس .. اتجهت ظنن
الموظفين الى فكرة الاستياء من عم
عبدالحكيم .. كانه من نعم «جمعة»
.. لكن هذه الظنون تبخرت حين
تبين انه ارسل خارج المبنى ليحضر
افتطارا لموظفين في الدور الاول
مع ان به سعة آخرين !! .

عاد عم عبدالحكيم لاهتا ...
لاحظت انه عجوز اكثر مما كنت اقدر
له .. لم لا يبقى هنا .. يكفي تلبية
طلباتنا ... ويجيبني باستلام
ظاهر ورنه كلها طواعية : ماذا
اعمل ؟ الكل يطلبني . وسبح بكمه
حيات عرق صغيرة متراكمة على
جبهته السمراء ، وانهمك في تناول
لقيمات من افطاره .. لكنه لم يتمه
حين طلبه رئيس السعاة .

اتجه الى المبنى الاخر لشركتنا
في شارع الصحافة لتسلم طلبات
عاجلة ، وحمل معه دوسيهات ملونة
نبه عليه باهميتها .. واكد لي عقب
عودته انه اجتاز شارع الجلاء بغضل
ادعية مختارة بشق فيها .. وراح
يحمد المولى على النجاة .. ثم ترك
لسانه يصب سخطه على «الاوتوبيس»
.. و «الترام» و «المetro» .. كانها
ناولت اخطار شره بتلفظ المارة ولم
يكن يدرى كيف يسوعب شارع
كهذا تلك الافواج الصاخبة .. وخيل
له ظنه انها مقدمة طوفان .. لا نوح
له . ومد الى شفتيه قطعة حلوى
جديدة ، وتناسى مخاطرة اجتياز
طريق الطوفان ، وانغمس في تلبية
كافة النداءات والرجاءات .. وكانها
كانت في انتظاره !!

كان يفضح الحلوى الجديدة بلذة
الملمن .. وسالته عنها .. اجاب
منتشيا : من الاستاذ قرني ..
« وكنتها حلوى المولد ؟! » .

« كل سنة وانت طيب يا استاذ

.. حد ينسى المولد ؟ » .

وهرول مجيبا لنداء .. وفكرت
لحظات فيما قال .. ثم شدتني
مكالمة تليفونية ، وقمت من فوري
واغلقت باب الحجره .. امتنع عن
مكالمتي ما خلف الباب من طنين
النداء . بعد ساعات سمعت طرقا
على باب الحجره ، وانفراج الباب
عن وجه «جمعة» وبیده دوسيه ..
وفجأة لاحظت بسمة تتراقص على
شفتيه .. خيل الى انها بلا داع ..
لكنه كان يلتفت خلفه ، ويشبت
استماته .. كان عم عبدالحكيم يرفع
كفيه الى اعلى ، ويخبط بهما فخذيه
كمن ارتكب ذنبا .. ثم يكرر حركته
.. ويبسط يديه الى السماء راجيا
ان تنعم عليه بالرحمة من الدنيا ومن
فيها « .. آه .. لو لم يكن لي اولاد
.. لرحلت عن الدنيا .. وتركتها
لهم .. » وخالجتني شعور بالامس
لمشهد الرجل يدين على ركبتيه ،
وينحني كغيره شجرة تعانسه

روح قاسية .. من الحكاية
«جمعة» .. قس الانهالك عم عبد
الحكيم وخرة الى مقعده ، واغفى بلا
مقاومة .. ولعبه رئيسه عرق
انه نائم .. وسمع عم عبد من شيع
ان رئيسه غاضب ، وسيكتب مذكرة
باهماله .. وتصور انه سيجازى
بخصم لا محالة .. بل القى احدهم
في روعه - على سبيل المداينة -
انه عرضة للفصل .

كان متزويا في ركن الصلاة كانه
هرة تتوقع عدوانا ما .. وبصمت
قليلا ثم يهدر نادبا حظه .. متمنيا
على الله ان لو كان ترام دهسه ..
واستراح ! .

ولم يطلق اخيرا الزواده .. هرول
الى رئيسه يقسم له بايمان من كل
لون .. وملة .. انه غير مهمل ..
وان الناس - منه لله - خادعه !
ونسي ان يسأل «جمعة» ماذا
يمكن ان يتصرف في مثل هذا الموقف
مع رئيسه ، مع انه يعرف جيدا ان
«جمعة» له طرقه التي يفلت بها حيث

لا يستطيع «الريس» ان ينال منه
حقا ولا باطلا .

وتحرك الرجل عقب اي نداء
كالمكوك .. اوقفته .. طلبت له شايبا
.. احتساه واقفا !! ارحم رجلك
يا عم عبده .. ربما يداعبونك ..
ام اذك « غاوي » طلوع ونزول
السلام .. « ماذا اعمل ؟ نصيبي
كده .. اكل العيش يا ولدي ..
عندي ثلاثة اولاد .. وزوجة .. وام
واختين .. لو اقتطع يوم واحد من
مرتبي .. لاضطررنا للمبيت بلا
عشاء .. وانت سيد العارفين ..
المرتب كله « بادوب » .. انت زعلان
من السلام ... هكذا الدنيا ..
مرة تطلع .. ومرة تنزل .. ولما يتم
الاجل .. لا تطلع .. ولا تنزل ..
قل يا رب » !!

— قل لي .. لماذا عدت من
بنى الصحافة .. بلا نتيجة ؟؟
— لم يرض احد بتسليمي
« الشغل » من غير بطاقة !!

— وابن بطاقتك ؟
— في البيت .. اخاف ان ترق
.. لو حملتها !
— لكن .. كيف يعرفك الناس ؟
— ومن يهمة ان يعرفني ؟
— كلنا .. يهمن ان نعرفك .
— الله يحفظك .. حاجة واحدة
عرفتها وعرفني .. السلام .. لو
تعرف كم درجة هنا .. وكم درجة
هنا ؟ .. واه .. عندما اصل آخر
درجة يكون نفسي انقطع .. قل يا
رب « »

استندت ظهري الى المقعد ،
وامتدت يدي الى جيبي تطمئن على
بطاقتي ، وراجعت رقمها فسادة
أنساه .. ولم ادر لم فعل زملائي
مثلي ؟ .. أنساوا انفسهم .. اعني
ارقامهم كل نسيت ؟!

انشغلت اياما عن عم عبدالحكيم
.. ثم احببت ان اراه .. ضربت
الجرس .. لم يلب عم عبده ندائي ..
تحركت مشوقا الى معرفة السبب ..
وفي ركن ردهة داخلية لمحته يداعب

وسرى الاهتمام بغيابه بين الجميع حين استفسرت عنه زوجته .. ولم تجد خلال الدشة المطبوعة على الوجه من يعرف شيئاً عنه .. وعن سر تغيبه .. وانطلقت المرأة تولول ، وتندب حظها وتسدد للمجهول قبضات مشنجة ترافق احتجاجها الصارخ الباكي ، وراحت تضم الى صدرها طفلاً لا يقفون تماماً سر أهمم النادية !! « أنا قلبي كان حاسس » .. وخرجت ترددها وتضيف .. « وفضل بيوس في الاولاد .. ما اعرفش ليه » .

في صباح اليوم .. الثالث منذ اختفائه .. التفت بزملاني في المكتب .. صامتين على غير العادة .. هممت ان اضرب الجرس مؤملاً ان عم عبد الحكيم قد عاد .. لا بد انه قد عاد .. كنت أمل عودته .. وبى رغبة ان استقبل بومي بتحيته ودعواته الطيبة ..

واشاروا لي .. سحبت اصبعي عن الجرس .. لوح احدهم بيده وهمس : لا داعي .. مات الرجل كان يجتاز شارع الجلاء في طريق عودته من المبني الاخر ، صدمه المترو .. ولم يجدوا في جيبه ما يثبت شخصيته .. ولم يعرف انه هو طوال هذه الايام الا ليلة امس بعدما طال التجرى .. وكان قد دفن في مقابر الصدقات .

لفني الصمت فجأة ، وتسمرت في جلستي ، ووضعت يدي على خدي احقق عبر النافذة ، واتأمل صفحة السماء .. تنهدت تنهيدة طويلة ، وما زلت مسمرًا في مكاني .. وحوالي زملاني يخوضون في سيرته .. يعيدون ظروف الحادث .. يتروحون عليه .. يتذكرون اولاده .. وبقيت وحدي صامتة .. وخلال صمتي لمحت وجه «جمعة» بطل علينا من الباب ، وما زلت ساهما احقق في صفحة السماء ، ولم اكن ادري ماذا اريد منها !!!

القاهرة محمود حسن الزب

.. و ..

وقاطعته وهمست لنفسي .. قبله : من يعرف يا عم عبده .. من يعرف !!

تحركت في مقعدي متململاً .. اتناثني القلق .. فما كان من عادة عم عبده - في تقديري - ان يثير سؤالاً على هذا النحو .. وبهذا المستوى .. والان بالذات حتى ولو كان سمعه من الغير .. وفيه ؟ .. في شيء أنا نفسي لا استطيع ان اخوض فيه اذا ادعيت انني على شيء من المعرفة .. وحاولت ان اسرف ذهني عن مثل هذه النقطة من التفكير ... فانا اوتر ان تسير حياتي دون اسئلة خطيرة .. ولعلها عقيمة ... لم افتح على نفسي باباً للظنون يمتص من قلبي سكينه الرضا بما انا فيه .. وعليه !! واستطعت ان اقبر هواجبي .. واكثر بنفسني اتجاهها آخر .. هذا سؤال من ساع .. وربما اتاه على ظاهره ..

يتحيرني سؤال ساع الى هذا الحد انه لا يزيدني سماع وما زالت روايت التفرفة تقرني على ضرورة التمييز بين

وغادرنى الرجل وهو يهمس لنفسه : صحيح .. الله حق .. الموت حق .. استغفر الله .. استغفر الله العظيم .. واتجه ناحية افطاره المنسي ، واقسم على «جمعة» ان يتناول معه الافطار ، واستجاب «جمعة» خوفاً على قسمه .. وانثناء تناول لقمة العيش المشتركة رجاء «جمعة» ان يحل محله في «وردته» التالية «عشان وراه مشوار» ووافق الرجل في ترحاب .

وعرفت بعد الافطار انه ذاهب الى مبني الصحافة ، وهذ اصراح الاجراس ، وخففت حدة النداء لم يعد عم عبدالحكيم في ذلك اليوم ، ولم يحفل بذلك الا رئيسه ، والا موظف آخر سجل امام اسمه تغيبه عن العمل دون اسباب .. لكن انقضى يومان آخران .. دون ان يعود ..

صبيا صغيرا ، ويمارجه بحركات طفولية ساذجة ، ولاملاح الصبي تشع بالسرور ، ويطلق ضحكات صافية كأنها الشروق .. وعيسى الصبي فجأة ، وطلب ماء ففرع عم عبدالحكيم الى «البوينة» ومر بي .. نسي ان يحييني ، وعاد سريعاً في خفة العصفور يحمل كوب الماء وتاوله للصبي في ابتهاج ، ثم مد يده في جيبه ، وأخرج قطعة حلوى .. تاولها له .. أخذها الصبي وجرى نحو والده .. ولم يكن رئيس السعاة كما توهمت !

واحس عم عبدالحكيم بوجودي .. حيائي .. انتظر ان اكلفه بآية خدمة .. ثم اخبرني انه ذاهب الى الصحافة في مأمورية .. ولم تقول لي ذلك يا عم عبده ؟

(احس بالخوف .. فالتزام صدم أمس صبيا في شارع الجلاء .. وتتناثني رعشة لجرد المرور من هناك .. «الاعمار بيد الله يا عم عبد الحكيم») .

« .. ونعم بالله .. لكن يا استاذ .. تستطيع ان تقول لي .. لماذا قدر للصبي ان يموت هكذا ؟ .. سمعت هذا السؤال من اثنين عقب الحادثة .. قلت لهما .. ان الموت حق .. لكن .. لماذا يموت ؟ .. وحذقت في الرجل وهفت : ماذا تقول يا عم عبده .. هذا سؤال كبير .. كيف تعلق بذهنك لأن ؟ .. ومع ذلك فانا لا ادري .. انا لا ازيد عنك معرفة في هذا الشأن .. طمش نفسك فمثل هذه الامور علمها عند رب .. » «ظننت انك تعرف .. فانت استاذ

يصدر قريبا في البحرين

بقايا القدران

مجموعة شعرية

لشاعر الشيخ

احمد محمد الخليفة

في طباعة اتيقة فاخرة ويحتوي

على اكثر من ستين قصيدة

شعرية رائعة

الحاج محمد امين الحسيني

بقلم البدوي المثلث

ولد سماحته في محلة الواد ، أحد احياء بيت المقدس عام ١٨٩٧ وحفظ القرآن وأنهى دراسته الابتدائية في المدرسة السلطانية بالمقدس ودرس العلوم الشرعية واللغة العربية على أساتذة خصوصيين وتعلم الفرنسية في مدرسة الفرير بالمقدس ثم التحق بالزهر الشريف واكمل دراسته في صحنه على الشيوخين القبايلي والطبيعي واكثر من التردد على دار الدعوة والارشاد لمؤسسها المرحوم العلامة السيد محمد رشيد رضا صاحب «المنار» وكان يحضر الدروس والمحاضرات في كلية الادب بالجامعة المصرية (جامعة القاهرة اليوم) وخلال دراسته في مصر كان دائم الاتصال بالعلماء في الحقنين الاسلامي والاسلامي ، يسمع منهم وباخذ عنهم ويتبادل واباهم الآراء في الشؤون العربية والاسلامية التي تؤدي الى نهضة العرب والمسلمين وحرثهم واقتادهم من برائن الاستعمار الاجنبي .

وفي مصر راح سماحته يتردد على دار الدعوة والارشاد يلتقي دروسا تنسم بالتنوع والاصلاح على السيد رشيد رضا والدكتور محمد توفيق صدقي أحد العلماء الباحثين في الاصلاح الاسلامي وانقسم سماحته الى « الجامعة العربية » وهي جمعية سياسية كانت لها فروع في امهات المدن العربية .

عاد الاستانة : وعندما اعلنت الحرب العالمية الاولى في عام ١٩١٤ عاد سماحته الى القدس ومنها الى الاستانة حيث التحق بالجامعة العربية فخرج ضابطا احتياطيا واشترك في عمليات شنيعة بالقسوة بالمدن التي لم تقل الى ازمير على الايدي التوسط ومنها الى البلقان في صفوف الثورة العربية : ولا أعلن الفخور له الحسين بن علي الثورة العربية على الترك صمم الايمن مع نفر من الضباط العرب على الهرب الى الحجاز للاتصال بالجيش العربي وجرى الحوادث الطريفة التالي :

عندما هم سماحته بالفرار دخل المستشفى العسكري في الاستانة وهناك تعرف على رجل طيب القلب دمت الطفق هو المرحوم يوسف ابراهيم التميمي (من القدس اصلا) معاون رئيس الاطباء وراح يشكو الى مبرحا :

وخلال مرض سماحته جعد المسؤولون الاراك اجازات الضباط والجنود العرب واسرفوا في الاقتتالات ونصبوا أعواد المشايخ فسي ساحات دمشق وبيروت لكن السيد التميمي تمكن من الحصول على وثيقة رسمية تخول الضابط الحسيني السفر الى القدس في مامن من الانتقال وعندما هم السيد التميمي بوداع الضابط الشاب اوصاه خيرا بانه تركها في بيت المقدس ولا يعلم من امورها شيئا .

وبعد أن بلغ الضابط الابن مسقط راسه شرع في البحث عن الاسرة وبعد جهد بذله وجد الزوجة فدخل تحت برها وخلفت مسيبا (١) واتى فلتقلها الى داره واحاطهاهم بفروب العناية والرعاية والعظما بالمدرسة وكانا يقضيان علة الاسبوع في بيت سماحته ، وظلما هذه الوثيرة الى ان قامت الثورة الفلسطينية الاولى في عام ١٩٢٠ فحكم على سماحته بالسجن عشر سنوات وبالإشغال الشاقة غير انه براح القدس سرا الى دمشق واناط بابن عمه المرحوم جيسيل الحسيني العناية بالصبي وشقيقته .

وبعد أن سكنت ناعمة الحرب العالمية الاولى عاد السيد يوسف ابراهيم التميمي الى بيت المقدس وحضر ولديه وعندما عاد سماحته الى مسقط راسه ظل يرعى الصبي وشقيقته بالإضافة الى رعاية والدهما وعطفه .

وفي عام ١٩٢٢ شهدت فلسطين اضطرابات دامية استشهد فيها المرحوم يوسف التميمي وعندما تناهى لسماحته نيا استشهاده عاد عليه حزنا عظيما وادخل فوزي طالبا في كلية «دروسه المعارف» بالقدس على لفتخته الخاصة ونقله بعدها الى « دار الانعام الاسلامي » وخصص لشقيقه ولزوجة ابنة رانيا شهريا الى ان تخرج فوزي من «الدار الانعام الاسلامي» وعين فيها استاذًا .

أول الفيت : يؤثر عن سماحته وهو صبي انه سحب يوما والده المرحوم الشيخ محمد طاهر الحسيني مفتي القدس الامين وقصدا فرية فالونية (من ضواحي بيت المقدس) وذات يوم خرج الامين للزوجة مع والدته فرأى اشجارا صغيرة مفروسة حديثا في اراضي القرية فسأل حارسه : « من غرس هذه الاشجار ؟ » فاجابه الحارس بقوله : « غرسها اليهود الطامعون بفلسطين ! » وهنا اكفر وهو الصبي وركض نحو الشجيرات فبذلها بقلها وصاح في حوله : « اي عثر دانا بفروسة اشجارهم ؟ هذا امر لا يجوز... لا نريد علجا في بلدنا القهور ! » وعندها عاد الحارس الى والد سماحته فص عليه ما فاه به الامين وهنا استدعاء والده وساله : « مالي اولاك مكفر ألوجه يا امين ؟ » وعلام باقتلا شجيرات غرسها جيراننا اليهود ؟ واي جرم اقترفوه لتساقطها ؟ » فاجابه الامين : « انهم ليسوا جيراننا ... انهم غزاة طامعون ببلادنا ! » .

أول هذه الباردة في نفس الوالد الشيخ تأثرا بالفا وراح يكرر بالخي الصغير والزيادة اذ اعتماها بامر ، وذات ليلة حلم الوالد الشيخ حلمًا مزعجا قل اوده ، ولا استيقظ من نومه قال لزوجه : « اخشى ان تكون انا في طريق الموت .. اوصيك خيرا بامين وارجو ان توليحه عنايتي بقضايا ريتك يا امين ! » .

وانتقد على جهود سماحته وصراعه في سبيل نصرة فلسطين ودفع عوادي السياسة منها . وتلم بجهاده المتواصل في محاربة المخطط الصهيوني واجباؤه والحويلة دون تهويد الاراضي المقدسة نواكب اعمال سماحته سنة فسنة منذ الاحتلال البريطاني حتى وفروع التكية وضياح الوطن المقصوب !

عام ١٩١٩ : بعد ان وضعت الحرب العالمية الاولى اوزارها عاد سماحته الى فلسطين ليستقبل عهدا جديدا من الكفاح والنضال في سبيل وطنه المظلوم على امره وفي سبيل الامة التي تعدد منها وعدا عليها الاستعمار الاوربي القشوم ولجعل بصورة خاصة على مقاومة الانتداب البريطاني وليده « وعد بلفور » الذي نص على اقامة وطن قومي يهودي في فلسطين وليقود الحركة الوطنية الفلسطينية وسيت تيار السياسة الانجية الخفية وليقاوم الحركة الصهيونية العالمية مقاومة لا تعرف هودة ولا تخضع لاية مؤنرات !

وبعد ان قامت في القدس وسائر المدن الفلسطينية تظاهرات عنيفة نجم عنها اضطرابات دامية بين العرب واليهود اتهم المستعمرون سماحته والاستاذ عارف المعارف وبعض العاملين في الحقل القومي بانارتها فحكمت السلطات البريطانية العسكرية على سماحته بالسجن عشر سنوات مع الاشغال الشاقة لكنه تمكن من الفرار الى دمشق واشترك في « المؤتمر السوري » الذي أعلن استقلال سورية الطبيعية ولبت فيها الى ان احتلتها فرنسا وقلقت على الحكم العربي الفيصلي فاطلق سماحته الى ياديه سوريا والامم فيها مدة كان خلالها على اتصال وثيق بزعماء القبائل العربية .

ولا ألقى السر هزرت صوبيل الحكم الصادر على سماحته وعلى الاستاذ عارف المعارف تحت الحاح ورجاء زعماء الأردن الذين اجتمعوا

به في مدينة السلط عاد الى بيت المقدس وتولى منصب الافتاء عام ١٩٢١ خلفا لشقيقه الرحوم محمد كامل الحسيني .

عام ١٩٢٢ : وفي هذا العام انتخب سماعته رئيسا للمجلس الشرعي الاسلامي الاعلى وادار شؤون الوفاة والمحاكم الشرعية الاسلامية ، فاضلع ادارتها ونظم شؤونها وصان اراضي فلسطين من التسرب الى ايدي الصهاينة الطامعين بها وقاوم السياسة الاستعمارية والمطامع الصهيونية اشد مقاومة واضطلع بمهمة الحركة الوطنية الفلسطينية وعمل على عقد المؤتمرات الفلسطينية والاسلامية وتشكيل اللجان التنفيذية وارسال الوفود السياسية الى اوربا والاميركييتين والوفود الاسلامية الى الاقطار الاسلامية واشترك بنفسه في وفود زارت الاقطار العربية والاسلامية لترشح ظلالة فلسطين واستنهاض الهمم لانقاذها من الخطر اليهودي وبرائن الاستعمار البريطاني ودعا الى التبرع لاصلاح المسجد الاقصى ، وكان الانهيار يهدد للتعهد الذي اصاب فيه وجدرانه ، ولا انتهت الاصلاحات جرى احتفال رسمي بحضور وفود من العالمين العربي والاسلامي .

عام ١٩٢٥ : وفي عام ١٩٢٥ اشترك سماعته ، بناء على دعوة تلقاها من المجلس الاعلى آل سعود في مؤتمر مكة المكرمة الذي حضره ليف من زعماء العالمين العربي والاسلامي وكان لسماعته اتبل الموافقة فيه .

عام ١٩٢٧ : وفي ربيع عام ١٩٢٧ تنادى نكر كبير من شعراء وزعماء وأعلام العالم العربي لمبايعة الشاعر الكبير احمد شوقي بامارة الشعر ورأس سماعته الوفد الفلسطيني وكان موضع حفاوة وتكريم مصر شعبا وحكوما وصحافة .

عام ١٩٢٩ : وفي هذا العام قام اليهود بنظاهرة في مكان البراق وهو الجدار الغربي للمسجد الاقصى ، فثبثت في بيت المقدس وسائل المدن الفلسطينية اضطرابات دامية جات على ارضها لجنة برلانية بريطانية برئاسة القاضي السر ولتر شو لتحقيق في الاضطرابات واسبابها ، ولقد حاول اليهود ومحاموهم الصالح تهمة اذارة هذه الاضطرابات بسماعته فعمدوا الى التزوير وازروا للجنة رسائل ملفقة زعموا ان سماعته بها ثمة الى بعض رجالات البلاد ليضربوا ثأر الثورة ويؤججوا صاحتها ، لكن اللجنة امنت بتزوير الرسائل واصدرت قرارها لمصلحة الصواب .

وتكشف التحقيق الذي قامت به هذه اللجنة البريطانية المحايدة عن ان اليهود حاولوا رشوة سماعته بنصف مليون جنيه استرليني ليطرط بيقول شرعية ليست لهم في مكان البراق الشريف وفي تحقيق اللجنة عن اسباب فتنة «البيكي» سئل سماعته السؤال التقليدي الذي يوجه عادة لكل منهم في عرف القضاة البريطاني : « اذنبت ان ؟ » فدخل سماعته يمينه : « في مدى خيالات معدودات من هذا المكان حكم على السيد عيسى بن مريم ... وما كان سيدنا عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام مذنباً ! » .

عام ١٩٣١ : وبهجة لا تعرف اليأس والكلل اخرج سماعته اللجنة الفلسطينية من ظلالها الحلي ، الذي كانت السياسة البريطانية - اليهودية المشتركة تحاول حصرها فيه ، الى نطاقها العربي - الاسلامي الواسع ، ونجح في ذلك الى ابد العهود ، وفي سبيل ذلك دعا الى عقد مؤتمر اسلامي كبير في بيت المقدس حضره مندوبون من كافة الاقطار العربية والاسلامية للثغر فيما يهدد فلسطين من مطامع اليهود الدينية في المسجد الاقصى ومطامعهم السياسية في تهويد فلسطين ، وانتخب المؤتمرون سماعته رئيسا للمؤتمر واتخذوا قرارات عامة كان لها دور عظيم في العالمين العربي والاسلامي .

والجدير بالذكر ان الصهيونية العالمية البت صناعها على هذا المؤتمر للحيلولة دون عقده لكن حكمة سماعته فوجت عليهم هذا المسمى ، وأسد بعد نظره المخطط الذي اعده خصوم العرب لاحباط المؤتمر . ولقد

كتب الكثيرون من المستشرقين عن هذا المؤتمر ومنهم المستشرق جيب احد اساتذة جامعة لندن والمستشرق الفرنسي ماسينيون احد اساتذة كوليج دي فرانس بباريس !

وفي عام ١٩٣١ قام سماعته مصحوبا بالوفود له محمد علي عوليه (باشا) برحلة الى العراق وايران والهند والاfrican وخصان للعلم على اسما جامعة اسلامية في بيت المقدس باسم « جامعة المسجد الاقصى » فقبل المشروع بتأييد والتحيز لكن السياسة البريطانية أجهزت عليه في مهده .

وفي هذا العام توفي مولانا محمد علي الزعيم الهندي المسلم وهو في لندن الى جانب الزعيم الهندي الهانما غاندي فاصطحب سماعته على دفنه في الحرم القدسي الشريف ايمانا من سماعته بان مسلمي الهند يفتخرون الاراضي المقدسة بالمهج والارواح .

وباصران من سماعته دفن المفود له الملك حسين بن علي في الحرم القدسي تقريبا لوفت الثائر الاول من القضية الفلسطينية وهو الذي تلبى له بيته الخصوم لها فابى التوقيع على صك عهوديتها .

عام ١٩٣٢ : وفي هذا العام نشب خلاف بين السعوديين واليمنيين على حدود البلدين فلاحق جيشو الطرفين وبه العالمان العربي والاسلامي لدعوة العالمين السعودي واليمني الى نيل الحرب ، وسعى سماعته ، بوصفه رئيسا للمؤتمر الاسلامي ، الى تأليف وفد للسلام بين البلدين للتقنين فتج في سماءه وكان قوام الوفد سماعته وهاشم الاناسي ومحمد علي عوليه (باشا) والامير شكيب ارسلان وعبد الرحمن عزام . وبعد ان بلغوا السعودية واليمن حققت الدخلاء وعاد الود والصدا الى سابق عهدهما .

وفي هذا العام دعا سماعته الى عقد مؤتمر لعلماء فلسطين حضره (٤٠٠) عالم ويحثوا بيعو الاراضي في فلسطين واقتوا بحرمان من بيعه او يسمي او يسهل بيع اية ارض لليهود من الصلاوة عليه ودفنه في مقابر المسلمين .

عام ١٩٣٣ : ولا نشبت الثورة الفلسطينية الكبرى وعقبها الاضراب العام الشامل انتخب سماعته باجماع الاحزاب الفلسطينية لرئاسة « اللجنة العربية » التي اطلقت دفة الثورة في البلاد وغدت العمل والنجاة . وبعد ان تدخل طوار العرب وامراءهم في حل الاضراب وانهاء الثورة في نداء وجهوه لسماعته وفيه وعدوا بان تعمل بريطانيا على انصاف العرب لكن حدث ان وضعت لجنة اللورد بيسل تقريرها لتقسيم فلسطين بين العرب واليهود .

عام ١٩٣٧ : وفي هذا العام حاولت السلطات البريطانية القاء القبض على سماعته بقوات كبيرة طوقت دار « اللجنة العربية العليا » لكنها فشلت بالقبض على اذ قبض لسماعته النجاة والعصام بداره فدخل الحرم القدسي الشريف مدة اربعة شهور ، وخلال ذلك الفتت السلطات البريطانية القبض على اعضاء « اللجنة العربية العليا » ونفذهم الى سيشل « في الحيف الهندي » وتمكن سماعته من مبايعة القدس سرا الى باقا ومنها نزح الى لبنان في زورق بغاري واقام في بلدة ذوق مكاب ومنها كان يزود الثورة الفلسطينية بالرجال وبغذيا بالوفود .

عام ١٩٣٩ : وبعد ان نشبت الحرب العالمية الثانية غطقت بريطانيا على فرنسا لتسليمها سماعته . وبعد ان اشتد ضغطها غادر سماعته لبنان سرا الى بغداد مع نفر من المجاهدين الفلسطينيين واقاموا فيها حوالي عام ونصف العام الى ان نشبت ثورة الاقطار عام ١٩٤١ برئاسة رشيد عالي الكيلاني فشارك سماعته فيها ضد التدخل العسكري البريطاني ولا منيت بالفشل وأوشك البريطانيون على احتلال العراق اضطر سماعته الى التزوجه الى ايران متخفيا مع عدد من المجاهدين الفلسطينيين والسوريين والعراقيين .

ولا وفقت ايران في قبضتي بريطانيا روسيا لغت الاولس سماعته واوطن المارشال ويغل جائزة قدرها ٢٠ الف جنيه لن يذل

عليه كان الباري تعالى سهل لسماعته سبيل التجا فبلغ ايطاليا سرا ، بعد ان رفضت تركيا قبوله لاجئا سياسيا خشية غصب الانكليز ولنهمته . ومنذ عام ١٩٤٥ استقر سماعته في باريس ومنها نزع الى برلين ومن اذاعة صامصة الارباع اذاع احاديث سياسية من شاتها اذكاء ناز النعمة على الانكليز ، والى خروجه من ألمانيا ، بعد انهيار دولي الحور ، انتقلته السلطات الفرنسية ، ورغم الحراسة الشديدة تمكن من مفادرة فرنسا سرا ، وفي ٢٩ أيار ١٩٤٦ بلغ مصر خفية وكان حيوطه على حين غرة حدنا تولا تدو عليا .

ولا لا بد بمصر فاستقرت السلطات البريطانية تطالب بالتبض عليه لكن مصر الكريمة لم تسمح بذلك ، ولا بشئ الانكليز من سلطه وتحديد افاته في احدى الجزر التالية ، كما كانوا يريدون ، شددوا على السلطات المصرية للحد من اي نشاط سياسي يقوم به سماعته ومنعه من مباحرة مصر الى أي مكان آخر ، واضطر المرحوم اسماعيل صديقي (باشا) رئيس الوزراء عهد ذلك لان يتعهد رسميا بذلك . وفي القاهرة راس سماعته «الهيئة العربية العليا» وشرع بعمل قلقستها قبل نشوب الحرب الفلسطينية ووقوع النكبة العربية .

عام ١٩٤٧ : وفي خريف هذا العام حاول سماعته السفر الى فلسطين لكن السيد عبدالرحمن غزام الامين العام السابق لجامعة الدول العربية طلب من سماعته باسم المصلحة العامة ومصلحة القضية الفلسطينية الترتيب وفال لسماعته : « ان ذهابك الى فلسطين في الظروف الحاضر سيكون سببا في تحول المعركة التوفيق تشويها بين اليهود واليهود في معركة بين العرب والانكليز واليهود معا ، وعندما تنتهي اتسناد بريطانيا على فلسطين في ١٥ ايار ١٩٤٨ لا يحول احد دون سفره » .

لكن سماعته لم يتقنع بهذا القول بل صمم على المضي في خطته ، وبينما كان يتأهب للسفر الى فلسطين زار سماعته الاستاذ كامل عبد الرحيم وكيل وزارة الخارجية المصرية عهد ذاتي وأبلغه ان الوزير القوضي في السفارة البريطانية بالقاهرة زار وزارة الخارجية المصرية حاملا لها من السفير البريطاني بالاحتجاج الشديد على اذاع سماعته السفر الى فلسطين وان السفير طلب من الحكومة المصرية ان تعون دون ذلك ، فاضطر سماعته للبقاء على مفاسي لكيلا يسبب حرجا للحكومة المصرية التي كانت في ذلك الحين تقوم بمفاوضاتها مع الحكومة البريطانية بشأن القضية المصرية ، معللا النفس بقرص حلول فرصة مؤاتية !

كان هذا قبل نشوب معركة فلسطين لم شرع سماعته وبعض اعفاء «الهيئة العربية العليا» الذين كانوا يعطون له خارج فلسطين في اعداد السفر للسفر فور انتهاء الانتداب البريطاني الذي اوشك ان يحل موعده المقرر ، وسافروا الى دمشق واختاروا المكان الذي عواوا على الاقامة به في فلسطين ، كما اعدوا ما كانت تقضي به الضرورة من الوسائل والاسلؤام .

عام ١٩٤٨ : وفي ١٤ ايار ١٩٤٨ بينما كان سماعته وصحبه على وشك السفر فوجئوا بسفط بريطاني شديد على بعض الدول العربية وعلى الجامعة العربية للحيولة دون سفر سماعته ، فطلب عدد من رؤساء وازارات تلك الدول ووزراء خارجياتها ورجال الجامعة بقاءه في سورية قائلين : « ان ذهابك الان والجيش العربي على وشك خوض المعركة سيحيط خطه انتقاد فلسطين ويترك كلمة الدول العربية وستحمل وحده مسؤولية فشل هذه الحركة المباركة التي ستحرر فلسطين ونهني قضيتها بالوقت الجيب » .

ولا رأوا من سماعته الاصرار على سفره الى فلسطين طليوا من

السيد شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية حينذاك ان يقاتح سماعته بالامر ، فقاتحه وطلب منه باسم مصلحة فلسطين ارجاء سفره . فلما رأى سماعته ان لا سبيل للسفر الى فلسطين بارح دمشق الى القاهرة في ٢٢ ايار ١٩٤٨ ولما بلغها هاتفه السيد احمد محمد خشبه (باشا) ، وكان يومئذ وزيرا للخارجية المصرية ، وصرب لسماعته موعدا عاجلا لقايته في سراي القاهرة التي كان يقوم فيها بمفاوضاته مع السر رونالد كامبل السفير البريطاني بشأن السودان واعطاه بيان رسوا خاصا من عمان وصل الى القاهرة يحمل رسالة الى الملك فاروق وفيها تحذير من سفر سماعته الى فلسطين .

وتلا هذا اللقاء لقاء اخر مع السيد ابراهيم عبد الهادي رئيس الديوان الملكي المصري وقتئذ وابلغ سماعته طلب الملك السابق بقاءه في مصر لان سفره الى فلسطين يلحق بقضيتها ضررا كبيرا ويصعب وحدة جهة الدول العربية التي تقوم اليوم لانقاذها بالتصديق ، وحذر سماعته من مقية سفره .

في غزة : وازا هذا المذاير اضطر سماعته الى الترتيب قليلا لكنه صمم على السفر في أول فرصة . وسماه الاثنين الواقع في ٢٧ ايلول ١٩٤٨ سافر الى فلسطين مستعينا ببعض المفسات الاحرار المصريين وغيرهم ، وبارح القاهرة خفية رغم ما اتخذته السلطات المصرية القائمة حينذاك من وسائل المنع وحراسة الطرق المؤدية الى سيناء وحدود فلسطين .

وفي صبيحة اليوم التالي بلغ سماعته وصحبه غزة هاشم واقاموا فيها فترة قصيرة المنفذ خلافا «للمجلس الوطني الفلسطيني» وتالت فيها الحكومة عموم فلسطين» وشرع مع اخوانه في تنظيم المجاهدين الفلسطينيين وتجهيزهم وتجنيد جميع القادرين منهم على الجهاد في كافة المدن والقرى الفلسطينية التي لم يحتلها اليهود ، من رفع الى غزة ، وقد فشت وفود البلا والمجاهدين من سائر اثناء فلسطين الى غزة استعدادا لاستقبال النجاج والقتال ضد العدو .

وفي الخامس من تشرين الاول ١٩٤٨ وصل الى غزة اللواء السابق حسين سري عامر الذي كان مدبرا لسلح الحدود وزار سماعته في غزة وأبلغه رسالة الى الحكومة فهمي التفرشي (باشا) رئيس الوزراء حينئذ وكلفه العودة الى القاهرة لضرورة مامة ، وزاد حسين سري عامر على ذلك بان مزاحم الباجه جي رئيس وزراء العراق ومحسن البصري وزير الخارجية السورية موجودان في القاهرة ويريدان في لقاء سماعته ومعادته في شؤون هامة تتعلق بالقضية الفلسطينية ، لكن سماعته اضطر من السفر وأوضح ضرورة بقاءه في غزة لتنظيم أمر الجهاد .

وفي السادس من تشرين الاول ١٩٤٨ ابلغ حسين سري عامر سماعته ان التفرشي (باشا) يريد معادته هاتفيا فالتح عليه بالظهور حالا فلان ان الضرورات السياسية والمصرية تقضي بذلك . وخشية ان يقع صدام مسلح بين القوات المصرية والمجاهدين الفلسطينيين يعم سماعته القاهرة في قافلة عسكرية فوصلها ظهر ٧ تشرين الاول وبعد وصوله زينت الحراسة على بيته في القاهرة وجبل بينه وبين العودة الى فلسطين .

وبعد انتهاء الحركات الحربية في منطقة غزة وابرام هدنة دوس طلب سماعته السماح له بالاقامة في هذه المنطقة فلم يسمح له المسؤولون بذلك ومنع ، كما اعفاء «الهيئة العربية العليا» في بعض البلاد العربية من زيارة معيحات اللاجئين بداعي ان الزيارة تستثير حماسهم .

عام ١٩٥١ : وفي هذا العام راس سماعته مؤتمر العالم الاسلامي المنعقد في كراتشي وحضره ممثلون عن ٥٠ دولة عربية واسلامية .

عام ١٩٥٢ : وفي هذا العام راس سماعته مؤتمر العلماء المسلمين المنعقد في كراتشي ايضا وحضره عدد من علماء المسلمين .

عام ١٩٥٥ : وفي هذا العام راس سماعته الرحال الى مؤتمر بانكوك على رأس وفد فلسطيني وكان لشخصه اثر بارز في حمل

(١) د. الاربحي السيد فوزي يوسف صاحب «مكتبة الاندلس» في بيت المقدس .

المؤتمر الاسيوي الافريقي على بحث القضية الفلسطينية واتخاذ القرارات اللازمة بمصلحتها .

عام ١٩٥٩ : وفي هذا العام انتقل مساحته من القاهرة الى بيروت واتخذها مقراً لتشاط «الهيئة العربية العليا» و «مؤتمر العالم الاسلامي» وتمكن من بحث قضية فلسطين في المحافل الدولية وفي الاوساط الشعبية ، واودع عدة وفود فلسطينية الى الامم المتحدة وإلى الاقطار الاسيوية والافريقية وإلى مختلف دول اوربا والاميريكيتين لتشرح قضية فلسطين والكشف عن قتلاتها . وفي خريف هذا العام لى مساحته دعوة الملك محمد الخامس عاهل المغرب السابق على رأس وفد فلسطيني وزار كذلك تونس وليبيا داعياً لتصرة فلسطين ودعم قضيتها العادلة .

عام ١٩٦١ : وفي ربيع هذا العام زار مساحته الهند تلبية لدعوة المرحوم طاهر سيف الدين سلطان الهمرة السابق لافتتاح « الجامعة الاسلامية » في مدينة سورات وشرح مساحته للشخصيات الاسلامية البارزة التي حضرت لحظة الافتتاح ما تعانيه فلسطين من جور الدول الأوروبية الصالمة مع الصهيونية ، ثم زار كراتشي وبحث مع زعمائها موضوع عقد المؤتمر العالمي الاسلامي من أجل نصرة القضية الفلسطينية ثم زار الديار الحجازية المقدسة وادى فريضة الحج والصلل بزعماء العالم الاسلامي لبحث المسئلة الفلسطينية وغيرها من قضايا العالم الاسلامي .

وفي خريف هذا العام زار مساحته الجزائر على رأس وفد فلسطيني تلبية لدعوة حكومتها في عهدا الاستقلالي احتفالاً بمرور ثمانية اعوام على انشاء الثورة الجزائرية .

عام ١٩٦٢ : وفي صيف هذا العام رأس مساحته مؤتمر العالم الاسلامي الذي انعقدت دورته الخامسة في بغداد وحضره مندوبون عن ٣٧ فترا واسلاميا واعيد انتخاب مساحته رئيساً لهذا المؤتمر وكذلك اشترى في «مؤتمر الرابطة الاسلامية» انعقد في مكة المكرمة في موسم حج عام ١٩٦٢ بوصف مساحته أحد مؤسسي هذه الرابطة .

عام ١٩٦٣ - ٦٤ : وخلال هذا العام زار مساحته سورية والسعودية وقام برحلة الى ماليزيا تلبية لدعوة المؤتمر الاقليمي لاسمسي ماليزيا .

عام ١٩٦٤ - ٦٥ : وفي الفترة الواقعة بين اعقاب عام ١٩٦٤ ومطلع عام ١٩٦٥ رأس مساحته مؤتمر العالم الاسلامي الذي عقد دورته السادسة في فندقشو (عاصمة الصومال) .

فيما بين فلسطين : حدد مساحته المسؤول الاول عن شياخ فلسطين بقوله :

« ان مسؤولية شياخ الجزء الاكبر من فلسطين تعود الى عاملين رئيسيين :

الاول : خارجي يتمثل في المؤامرة الاستعمارية الصهيونية المبيتة التي املتها مصالح الصهيونية والاستعمار المشتركة لضرب الامة العربية بالاستيلاء على فلسطين خلفا للامامي وترتكز هذه المسؤولية في بريطانيا والولايات المتحدة الاميركية بوجه خاص .

الثاني : داخلي ويتمثل في تغافل البلاد العربية وتقصيرها في تقييم خطورة هذه المؤامرة على مصير الامة العربية بأسرها ونفركماتها وشعبها في البلد وتأثير النفوذ الاستعماري على بعضها ، مما جعلها عاجزة عن حشد طاقات الامة العربية الكبيرة ولزواتها الوفيرة التي كانت كفيلة بان تحبط كيد الصهيونيين واهدافهم في فلسطين .

الطريق الى تحرير فلسطين : يرى مساحته ان الطريق العملى لتحرير فلسطين هو طريق الكفاح الجدي الذي سلكه جميع الشعوب في سبيل حريتها وسيادتها في اوطانها ، وقضية فلسطين في جوهرها واتقاء مصالح الدول الاستعمارية - على ما بينها من تناقض على مناطق النفوذ - على تأييد الصهيونية كراس جسر لها في قلب الوطن العربي

غير ان هذا الامر يجب ان يضع الامة العربية كلها أمام مسؤولية العمل العربي الموحد لتحرير فلسطين بحشد جميع طاقاتها البشرية والمادية في هذا السبيل الى ان يكون تنظيم الشعب العربي الفلسطيني في مقدمة هذا الحشد والاعداد . ومن هنا كانت اعادة انشاء الكيان الشعبي الفلسطيني الذي ينظم قوات هذا الشعب ومتطاعنه ضرورة حتمية لمرحلة الاعداد ، وضمانة اكيرة لاجاز النصر في معركة التحرير . كما ان على الدول العربية ان تصلي جميع الاختلافات والى بينها وتنتهي الممارك العنصرية التي تستنزف قواها وتصرف انصرافا كليا الى تحرير فلسطين بل مصير الوجود العربي كله ملق بمصير القضية الفلسطينية .

على انه من الضرورة بمكان ان يدخل العرب في حسابهم عامل الزمن الذي يزد الاعداد قوة ويمكن لهم في فلسطين المحتلة يوما بعد يوم وخاصة بعد انقضاءهم المياه العربية وايصالها الى الشعب وانكبابهم على صنع القنبلة الذرية » .

ويؤمن مساحته بان العمل الشعبي المنظم هو وسيلة لتحرير فلسطين ، وفي رأيه ان جميع شعوب العالم قد سارت على درب التنظيم الشامل لانتزاع حريتها واستقلالها ، والشعب الفلسطيني اوجع شعوب الارض الى هذا التنظيم لان قضية فلسطين فريدة في نوعها وهي تواجه قوى عالمية على جانب عظيم من التنظيم والتسيق !

لقد وقف مساحته عمره وجهوده على صالح القضية الفلسطينية ومستقبل الشعب العربي الفلسطيني وقاد حملة المقاومة ضد نهويد فلسطين في ظل الانتداب البريطاني وترغم حركة المقاومة المسلحة عندما أعلن الانتداب انسحابه من فلسطين ليلخي الارض المقدسة ومن عليها فرصة للصهيونية الباغية .

لقد عاش هذا الشعب المجاهد الماساة الفلسطينية يوما فيوما وشهد لصلواته المارة واكتوى بانوائها المنظي خمسة عقود ونيف ومساحته يقوم على مراقبة الخصم الجبار العنيد ويتحمل آباء العهاد ومراة الكفة ويتطلع الى اليوم الذي يرى فيه فلسطين قد تحررت من غاصبها الأوربي .

وبما جار الماملون في الحقل السياسي يحكمهم على مساحته فهو في نظر المؤرخ النصف رجل اخلص النية لامتة وحاول خدمتها وانصافا ودفع عواذي السياسة عنها لكن السياسة الأوروبية ومن خلفها الصهيونية الباغية فهزته وتقلب عليه ، وصورته للفلسطيني الساذج سبب شقوته ومصابه ... لانه لم يجاز السياسة الغربية في مطالبها واهدافها واهوائها !

والناس ما يلقي خيرا فاثقلون له ما يشتهي... ولأم المخفق الهبل

وقبل ان الفرغ من هذا الفصل كتبت الى الوطني المؤمن الكبير الدكتور محمد صبحي أبو غنيمه (نزىل دمشق) اسأله رأيه في مساحته الحاج محمد أمين الحسيني ، وهو الذي شاركه بلوى التشريد في أوروبا طيلة سني الحرب العالمية الثانية ، فتلقيت من معاليه رسالة جاء فيها قوله :

« ان مساحته الحاج محمد أمين الحسيني هو الفارس العربي الذي ما كل ول مل في نضاله ضد الاستعمار والصهيونية ، ولقد صاحبته الشنن الطوال في الوطن والمهجر ووالله ما رأيت منه لم أراه من زعيم عربي قبله ولا بعده ... فهو ذووب على عمله ، مؤمن بفكره ، وعقيدته لا تتزعزع بالنصر النهائي (و ثقلت عليه برأها عيادي الماحون) كنا ايان الحرب الثانية في أوروبا وكان عليه ان يواصل معيه لدى اصحاب الكفة في البلاد هناك حول اعطاء بيان صريح عن حق العرب وعن انهم في انتاج كفة الطغاة للنصر ، وكان من جراء هذا يجد الكثير من العنابات التي ذلها بحسن تفكيره وجميل صبره ،

انت تدري اننا لن نلتقي

في دروب الزنبق

لن تراني

لن احس الضوء في عينيك يغروق
نحوي

لن ارى رعدة فكيف الجميلة

في انطلاقات طفولة

لن اناجي همس نسر

يمزج الظهر بمكر

لن ارى ثم انطفاءات غرام

فلماذا تدعي ؟

بعد هذا انني حبك لا قبل وبعد ؟

انني دنياك !

دنياك كبيرة

انني ابصرها شوقا واحلاما غريبة

وحسانا لسن مثلي

لسن مثلي

انما يرضين للصب غروره

هم تمانيل وانت اليوم مثال شهير

وانا نموذج الفنان يوما

كنت في فتنة روعي

غير انني نضبت كاس برقي

حيث لا فتنة تفريك باشواقي

الغريبة !

يا عطائي

انت لا تعرف ما معنى المطاء

كبرياء

(رسالة من شاعرة ...)

حسن عبدالله القرشي

الرياض

انا قد اعطيتك الحب ولكن سوف

تنسى

وانا من لي بنسيان هواي ؟

انني شاعرة فالحب ومضى في دمهاني

هو انوار خطاي

هو عطر في سمائي

وندى فجري واشراق ضحائي

انما الحب لديك

ضحكة في مسميعك

ومضة عابرة في ناظريك

ضمة بين ذراعيك مثيرة

شهقة من بين اجفان كسيرة

ونشرات انتشاء

وخداغ يتنزي

سوف تنسى

لا تقل كلا ولكن سوف تنسى

انني في القد امسك

وانا بعد غد هبات ذكرى

ثم يمضي الحب

في ذهلة احلام جديدة .

ويعود الامس اطيافا بعيدة

وسمادير غرام

باهت اللوحة مخنوق النشيد

وانا امسي : غدي مستقبلي

حبك الليل الذي لا ينجلي

عن حياتي

سوف يبقى

دافئا في ذكرياتي

ساريا مسرى دمهاني

كل حين

سوف القاك ولكن في خيالي

سوف القاك باحلام حزينة

انت تدري اننا نتراءى

ابدا عينا لعين

انا لم يبق بانفاسي صدى غير ابائي

ربما تصرف يوما

كبرياء الشعراء !

ينظروا الى قضيتنا الا قضية محلية !

كل هذا هو فطرة من بحر ما أعرفه ويعرفه الناس عنه .

ورحم الله اخانا الشاعر وديع البستاني القتال مخلصا مؤمنا :

يا (امين) العرب مهلا اننا لملى عهدنا يا (اينا)

لست فردا انت لكن امة انت ان تشك شكونا اجمعينا !

فمثل العرب أحسن تمثيل ، ولقد كنت اسمع وأرى من أكبر الرؤوس الحاكمة إذ ذاك مقدار احترامهم وتبجيلهم لهذا الرجل العظيم .

ان الحاج امين شخصية عربية لم اعر لها مثيلا بين الشخصيات العربية التي تناضلت لاجل الامة - وهم والحمد لله غير فئة - ولكن ميزة هذا الزعيم هي في انه من المؤمنين بقضية يرى ان في ايصالها الى ساحل السلامة ايصال العالم في الشرق كله الى السلامة . فهو بهذا اوسع افقا من غيره من زعماء العدو والمحايد الذين لا يريدون ان

العلم

مهداة الى مجلة «الاديب» في يوبيلها الفضي

بقلم يوسف اسعد دافسر



اله الشمس ، وهي قصة طريفة يرى فيها الكثيرون تحذيرا لهؤلاء الافرار من الفتنان الذين تسول لهم النفس الامارة بالسوء ان يتولوا يوما قيادة احد كواكب الافلاك السماوية في القبة الزرقاء دون ان يحصلوا على اجادة لقيادة الكواكب . فلا عجب ان تنتهي مغامرته بكارثة تنفي به الى الهلكة ، اذا ما كاد فايون يقترب في سيرة من كوكب الارض ، وهو ممسك بيد مسترخية ، بقود مركبة الشمس التي اخذ يتعرض الكون كله لهاله الاحتمال المروع الا ان سلط عليه صواعقه الحارقة ، جوتيرير وقد هاله الاحتمال المروع الا ان سلط عليه صواعقه الحارقة ، فيجندله والقي بجسمه في اربدان Eridan

اما هيلاديس ، شقيقات فايون فقد استحلن شجرات جور تلاف دما سغيا على شقيقهن اليانس . وما كانت هذه الدموع لتري الهواء حتى تقسو وتجمد وتستحيل حبات من العنبر . تتقاذفها مياه الانهر والسواقي لغوص في لبحر البحر وتستقر فيه .

والحري بالاحلاقة في هذه الاسطورة اللطيفة هو القول ، منذ البدء ، باصل العنبر البثاني ، لا ليس العنبر سوى « عبرات الشجر الباتي » . وهو قول اثبت صدقه وصحته الابحاث العلمية التي اجراها العلماء في القرنين التاسع عشر والتاسع الاول من القرن العشرين امثال : لومونسوف (١٧١١ - ١٧٨٥) وبالك وسترسورف وغيرهم كثيرون . وقد ذهب الذهب ذاته في رد اصل العنبر الى النبات ، استحال عندما راح يؤكد ان العنبر ليس سوى راتنج نباتي لاحواته مستحاطا متحجرة من نبات وحشرات ، من المستحيل عليها دخول جسم العنبر لو لم يكن له يوما وضع السوائل . ونجد مثل هذا الظن والراسخ عند الرومانيين انفسهم ، وعلى الاخص في كتابات بليني القديم (٢٢ - ٢٣ م) .

فمن اين استمد ارسطو وافلاطون وغيرهما من علماء الرومان اهتمامهم بالعنبر . والجواب على هذا نجده في الاسم اليوناني للعنبر ، وهو « الاكترون » هذا المصطلح الذي دخل بلفظه الاقلام جميع الفئات الفنية ويظهر عند كبراء Electricité . فاما ما فرق العنبر ببقية البثاني من المصوب اتسب قوة جذب قوية تجتذب اليه الاجسام الخفيفة الوزن من اصل نباتي مما يقع على مقربة منه او في نطاق جاذبيته وهذه الخاصية هي التي قربت الاكترون من القواهر الطبيعية ولقبت هذه الفضوليين من العلماء اليه فيما بعد . فقد نظر الاغريق وغيرهم من شعوب الشرق الانني ، والمصريون الى « الكهرايا » نظرههم الى حجر سحري ، لا استقر فيه من خصائص الكهربائية الساكنة ، ويبدو لونه وطاقته ونوعه ملمسه . فليس من عجب فاء ، والحالة هذه ، ان يحسن الانسان استعماله منذ القدم ، فيستخذ منه الطلاسم والتعاويذ الواقية التي تضمن لمن يحمله السعادة والغضب والتمسدة ضد الراضى . كذلك استعمله الانسان مسحوقا يستطب به ، واتخذه الملوك وكبار قادة الحرب زينة لهم ، كما كان حلية النساء المفضلة . وكان العنبر خيرا من اذنان به تاج الفرعون توت منج امون الذي نرى موميائه اليوم في متحف القاهرة ، لا رصع بقطعة من العنبر جره بها من سلطان البحر البلطقي ، وهي بلون الشمس الذهبي ، تحف بها احجار كريمة من الماس والزمرد والعقيق .

فهل تعجب ، بعد هذا من ان تظلو قيمة العنبر وترتفع اسعاره لدى التجار ، وان يعرف قيمته الفينيقيون ، فيسوق في جمعه ونسيده من مثله وبغائرون في رحلات واسفار بعيدة لجمعه . فكانت هذه الحركة التجارية الواسعة من معالم التطور الجغرافي في التاريخ القديم . هناك انواع عدة من العنبر تزورها جميع القارات ، وهي اكثر تنوعا في البلدان الواقعة على شاطئ البحر البلطقي منها في اصغ آخر . ففي هذه المنطقة بالذات يجب ان نبحث عن مصب نهر اربدان الذي حوى اليه جسم فايون ، لا في نهر البو ، الذي احلوه لبعضهم ان يجعلوا منه اربدان الاسطورة . وبمنازل العنبر المستخرج من البلدان

هزة شعورية تتمطى نايبا الضلوع واغوار النفس لدى الادباء - كسل الادباء العرب - في أي قطر ومصر كانوا ، احتفاء منهم بعيد مجلة «الاديب» مجلتهم الابدية ، بيوبيلها الفضي ، بعد ان فقت ، في جهاد مستمر ، مرور ، دام ٢٥ سنة ، كانت فيها وستبقى تشاء الله ، مهيدا عربيا لتدريب الكثيرين من ارباب القلم اليوم في العالم العربي ، كما كانت سجلا حافيا باخبار الحركة الادبية وتياراتها الكبرى ومجارها الفكرية ، وتفاعلاتها وانفلاتها ، من المحيط الى الخليج . ومعصرها مقربا للانتاج الفكري العربي ومدرسة للتدب الادبي الحسييف ، واستعراضا للادباء والشعاطات الادبية خلال ربع قرن مضى .

ومن الطبيعي جدا ان نعيد «الاديب» في يوبيلها وان نعيد لها باحلى زيتة ومظهر ، في حالة نوردانية ، ينتظم سلكها الادباء ، كل الادباء العرب ، بعد ان كانت ، وستبقى ان شاء الله ، متفتحة لافلامهم ، ولنا نحن الادباء البعثيون خاصة لتحميل الجميع ، دوننا انتفاع ، مهما اشتدت بها وبنا الظروف ، ولتنتشر بين الآلا العلمية وندبنا المستشرقين ، لهيت القلم وعصارة الفكر العربي .

في عيد «الاديب» هذا ، يتطلع الجيبسج ، بثني من الاعبار والتقدير ، وبثني من الفكر والعزرة ، لخصلة «الاديب» في صمد السنوات الخمس والعشرين ، ممثلة بمجموعة جلدتها ايسا الخوسية والعشرين ، متفلة بالعلم والثقافة ، تحكي عاليا وتحدث بحروف من نار ونور ، عن الجهد البار والجهود الصامتة ، والايمان الحار والصبر الجميل ، والادب الجم ، والبسمة الرضية ، واللائقة الواحدة ، والاباء الشفق ، في تجرد الناسك وزهد الجيبس ، ٢٥ سنة تضر عطاء على عطاء ، جودا بالنفس والنفس ، وبذلا للفايين الوقت والمال . كل ذلك في قبضة التصوف ، ورضي الصبر ، وراحة القلب المطن .

بين العنبر و «الاديب» اكثر من جناس وطاق . هنالك مماثلة تستبين خيوطها بوضوح لمن يعرف خصائص العنبر ومناقبه «الاديب» . وهذا بالذات هو الذي اوحى لنا بكتابة هذا المقال عن العنبر لما له من مزية تخاصي ملامح «الاديب» وصاحب «الاديب» المسمى . وهي مزية ولامح لا يفوت القارئ الكريم الحصيف الابانة عنها ، اذا ما طالع مقالنا هذا بتدبر روية ، بعد ان يجرد من الاستطرادات التي انفضاها العرض العلمي . فالي العنبر ، يا فارني الكريم .



أيجوز ان يدور الحديث حول العنبر والاتجار به عبر التاريخ ، دون ان تستوقفنا هنيهة ، الاسطورة اليونانية التي ردد صداها الشاعر الروماني المشهور اوفيد (٢٣ ق.م - ١٧ م) في كتابته «التحولات» : « وقد عرفت هذه الاسطورة روجا واسعا في جميع الاداب الاوربية لم تفقد شيئا من حلاوتها بحيث لا يستطيع المرء الا ان يلق منها متعليا مستمدا .

تعود الاسطورة المذكورة على حكاية فايون Phaeton ابن هليوس

الواقعة على سواحل البحر البلطقي بالوانه البديمة من الاصفر النافع، مما حمل الناس على تسميته : «دبب الشمال» ، وهي تسمية لها ما يزيها الى حد بعيد ، اذ كان العنبر يباع ثلثه ذهباً .

فقبل العصر الجليدي ، في الدور التالي الذي تتنازع حقيقته بين الاسبيني الطوي والاوليوسيني السفلي ، أي في هذه الفترة الزمنية الهلكتية التي تتراوح بين ٤٥ - ٣٥ مليون سنة تقريبا ، كانت المنطقة التي تؤلف اليوم البلدان السكندنافية والبحر البلطقي-القسيم الشمالي من الاتحاد السوفياتي ، وبولونيا والمانيا تغطها الاشجار الكثيفة التي تالف مغطها من غابات الاشجار الراتنجية ولا سيما من التنوع والصنوبر المعروفة بظاتها الكبيرة على الافراز والتفح. اكبر كمية من العنبر استخرجت من البحر بعد ان قذفت بها الامواج الى الشاطئ، مع العواصف الهوجاء او استخرجت من التربة ، او وجدت في شبه جزيرة سيبيريا .

وكلمة «عنبرا» التي تطلق تسمية لهذه المادة في اللغات الانجليزية، هي كلمة او مصطلح عربي التجار - فضلا - اقتبسها الروم من العرب في الاندلس وتبنتها اللغات الرومانية واللاتينية الاشتقاق كما تبنتها اللغات الاكسوسكينية . اما اللاتينية فقد عبرت عنها بكلمة Bernstein وهي كلمة منحوتة من Brennenstein . وتتم الحجر الذي يحترق والاحتراق او الاشتعال صفة تلازم العنبر لقابليته للاحتراق ، وللهب البديع الذي يتصاعد منه عند الاحتراق ، والاربع الذي يطوح منه ويعلق به عند الاشتعال ، اخذوا يستعملونه في الطقوس الدينية ومناسك العبادة لدى الوثنيين والمسيحيين على السواء ، كما استعملوا معه البخور والمر .

عرف الفيلسوفين بقائهم على الاتجار بالعنبر والحرص على جمعه . فكانت سفنهم تغرق ، عمارات وفرايد ، بجانب البحر المتوسط فتحترق مضيق جبل طارق وتسير بمحاذاة سواحل اوروبا الغربية الى ان تبلغ شواطئ شبه جزيرة جولداند ، المركز الرئيسي لهذه التجارة وللتبادل التجاري في منطقة البحر البلطقي . وقد سلك فريق من تجارهم طريقا آخر انطلق من سيبيريا (موسيليا اليوم) التي كانت قاعدة كبرى للتجارة في الحوض الغربي للبحر الابيض المتوسط . وكانوا يتجهون شمالا عبر نهرى الرون والرين ، ومنها برا الى شواطئ البحر البلطقي .

يصف لنا المؤرخ والعالم الروماني بليني ، في المجلد الاخير من كتابه الموسوم : « التاريخ الطبيعي » ، رحلة من هذه الرحلات قام بها الرومان الى مناطق البحر البلطقي ، عادوا منها بكميات وافرة من مادة العنبر الثمينة ، بينها قطعة واحدة بلغت زنتها ١٣ كيرة . وقد استعمل العنبر الذي عادت به هذه البعثة التجارية في تزيين حلبة المصارعة حيث كانت تجري حلات زاهية في عهد الامبراطور نيرون . اما اهم الطرافات البرية التي اتبعتها تجار الرومان والمرب بدمهم في طلب العنبر فقد كانت تغترق ارض بولونيا اليوم . وقد ظهر من خلال الحفريات والتنقيبات التي اجريت هناك للبحث عن النقود القديمة انواع كثيرة من هذه النقود من مصدر روماني او عربي ، كما وجدوا كنوزا من مخبوء العنبر في مغابى- حرص تجار الجملة او عمالؤهم على ابداعها ما لديهم من هذه المادة بانتظار وصول قوافل التجار والرافعين منهم فيها الى الاصح .

كانت اوروبا الوسطى ، في تلك الحقبة خالية من الطرافات والمسالك الميسرة بعد ان غطت الغابات الظليلة والواحات والمستنقعات والتلوج التراكمة مساحات شاسعة من تلك المنطقة ، او جمعت الحيوانات الفسارية التي تسرح في تلك الغيايا ، التنقل فيها صعبا جدا كما يحق به من المخاطر . ولذا اعتمدوا بالاشتراك الى الانهر الصالحة للملاحة ، وبالأصح ، على شبكة الاتصالات النهرية القائمة بين الفصول والدنيستر والدنيبر التي كانت تؤلف فيما بينها ما يحاكي ممرجة

نهرية هائلة ربطت البحر البلطقي بالبحر الاسود وشدت بين مناطقيهما . وتنسحب من هذه الطرافات الرئيسية اربعة فروع ، انطلق اولها من خليج دانزيج عبر الفستول والويخ والبريتس والدنيبر والدون ، لتصل فيما بعد بالتصايف الموصلة الى كويان ودجلة فتقضي منهما الى الخليج العربي . ومن هذه النقطة بالبادا ، كان العنبر يصدى الى اسواق الشرق الاقصى ، ولا سيما الى اسواق ايران .

اما الشعبة الثانية فكانت تسير وانهر الفستول والسان والدنيستر حتى حوض الاسود حيث كان تجار من مصر واليونان والبطاليا الجنوبية يتربصون وصول قوافل التجار نائلة احمال العنبر فينتاقون عليه . اما الشعبة الثالثة ، فقد كانت تسير مع الفستول حتى نهر فارنا ثم تهاجم ممالك ومعاير انهز ثانوية اقل اهمية لتصلها الى الادوير ، لتبلغ منه النقطة التي قامت فيها مدينة وروكلو التي كانت من اهم مراكز الاتجار بالعنبر في اوروبا الوسطى ، كما يستبدل على ذلك من الاكتشافات والحفريات التي قامت في عاصمة جمهورية النمسا اليوم . وكان العنبر ينقل برا من وروكلو عبر مقاطعة مورافيا ليبلغ منها ايطاليا الشمالية . وعلى جادة هذا الطريق وقعت المستعمرة الرومانية القديمة المعروفة باسم ندويونا والتي كانت بندرا تجاريا هاما والتي اصبحت فيما بعد مدينة فيينا ، عاصمة جمهورية النمسا اليوم .

اما الشعبة الرابعة وهي اقصاها طرا الى الشمال ، فهي التي ربطت بين البحر البلطقي وبيزنطية ، عبر نهرى التيفا والدنيبر . ولم يكن العنبر المادة الوحيدة التي كانت تصدرها اوروبا الشمالية الشرقية ، اذ ذلك ، اذ كانت تودد ، الى جانب هذه المادة : المواشى والفرار والرياش الفاخرة . وكانت اما تبارها ومستودعاتها قائمة حول مدينتي : البندافية وزيستا ، كما كانت مركزا هاما لتصدير الرقيق الى جميع اطراف الشرق ، هذه القوة المحركة الاولى ، في التاريخ القديم .

وكان التجار الرومان والعرب يتقايضون العنبر بمواد اخرى وسلع تجارية كصناعات الحديد والسلاح والفضة والمنسوجة المزركشة . واخذوا ابتداء من القرن الخامس ق.م يحددون اسعار هذه السلع على اساس ايجلات من الذهب او الفضة او الحديد بعد مراعاة النسبة بينها . وفي هذا دليل قاطع على هذه القادير الهمة من النقود التي نزلت من بلدان حوض البحر المتوسط ، مما عثر على بعضه النقيون في هذه الحفريات التي قاموا بها في الممالك البازرة من هذه الطرافات التي سلكتها التجار والاسواق التجارية التي امواها .

وكانت مدينة كانتل التي تقع الى الشمال الغربي من بولونيا تتهي وتتل بما لها من ماضي سحيق يربو على الف سنة . فقد نشأت وتطورت لتكونا هاما تجاريا ومركزا مستعمرة قديمة خلال البعثات التجارية الرومانية فكانت من اهم المراكز التجارية لتسويق العنبر ، كما كانت وروكلو نفسها .

والرواج الذي عرفته تجارة العنبر انتهى بانتهاء الامبراطورية الرومانية وسقوطها . ولمل آخر ذكر لهذه التجارة يعود للفترة التي عقيت راسا سقوط الامبراطورية « كما نقرأ خبر ذلك في احدى الرسائل التي بعث بها فيسودوروس (٨٠) - (٥٧٥) ، مستشعار ليودوريق وزوره ، الى زعيم احدى القبائل البلطيقية يشكره لرساله له كمية من عنبر شبه جزيرة سيبيريا ، جاء فيها بالحرف الواحد : « نحيكم طبيب تحية ونحيكم علما باننا تسلمنا بكل ارباح هديتكم السنية التي تسفمت انواعا بديعة من العنبر . فالبحر بدمكم بحجارة تتلا سناة يجهلون مشاهدا كما يشهد على ذلك موفدكم ، مع انكم اول من يستقبل هبة البحر لكم » .

اما في الاجيال الوسطى ، فالعنبر كان يستعمل ، كما هو قديما عصرنا هذا حلية وزينة ، اذ اتنا نجد في الكثير من متاحف اوروبا نماذج عديدة من العنبر المشغول تبدو لنا تحفا غالية ، اذ يجيب الا

أجمل ذكرى

وعقب العنف عطف
والأمنيات تزف
يحن للالف الف
ويشوق الطرف طرف
فهل فؤادك يهفو ؟
فلا تصد وتجف
فذو المروءة يعضو

بك البهاء يحف
لا يوفيه وصف
وكل طبعك ظرف
على ولائك وقف
ويملك الصب لطف
يلذ لي منك عرف
على ضميري ترف

عبدالله يوركي حلاق

ترى ودادك يصفو
وتلتقي بعد هجر
مهما استمر التجافي
ويشتهي القلب قلب
اليك يهفو فؤادي
أنت الحبيب المدي
إذا أسأت عفوا

أراك ملء كياني
جمالك الفذ يا حلو
فكل وجهك حسن
قلبي وآمال نفسي
ملكنتي يا ملاكي
يا زهرة الحسن فوجي
ذكراك أجمل ذكرى

حلب

أحاط رائج العنبر ليس بالكثير من صفوف النباتات فحسب ، بل أيضا أحاط بعدد كبير وأنواع شتى من فصيلة غشائية الجناح وغيرها من الحشرات وأنواع الحرادين . فقد اعتمد العلم الحديث على هذه المستحاثات المتحجرة للكشف عن ١٩٠ نوعا من النباتات البائدة لا يوجد منها شيء اليوم ، كما كشف عن ١٢٠٠ نوع من الحشرات الغشائية الأجنحة وغيرها . وساعدت هذه النتائج العلمية الباهرة ، والوفاء العلمية التي أدت إليها هذه الكشوف على القيام بتحريات وتقييمات في مجالات أخرى . وعلى هذا الأساس ، يمكن التأكيد بان طبيعة المناخ والأقاليم التي سيطرت على تلك المنطقة في هذه الحقبة الهلكنية بالذات قد تغيرت تغيرا جذريا ، وهذا التحول يرجع النظرية العلمية التي تقول اليوم بتغير مركز القطب الشمالي ، وبهذه التغيرات التي طرأت على المناطق والدوائر المناخية التي عرفتها كرتنا الأرضية . فلهذا الطيور وجدوا في بعض قطع العنبر ريش المصايف ، وهو اكتشاف يتخذون منه دليلا على أشياء علمية كثيرة .

وهكذا نرى ان العنبر استأثر باهتمام الجميع ، وان الطرق التي اتبعتها التجار للحصول عليه كانت صوى في التطور التاريخي الذي مرت به الحضارة البشرية . فقد بهر العنبر العلماء والنساء والتجار والشراف ، والطرق التي أدت الى مسافله أصبحت اليوم من هذه الشرائين التي ملأت البشرية جميعا .

أرجو ، قارئ الكريم ، ان تكون تبينت هذه الوشائج التي تربط بين «الاديب» وبين العنبر التي أوحث لنا بهذا المقال . فالى البوبيل الذهبي ، أدبنا الكبير ، وعين الله تكلمك وترعاه .

يوسف أسعد داغر

يقرب عن البلب فظ ان العنبر ، ينتقل ، الى حد بعيد الحفر والنقش وهي خصائص عرفها له الفنانون استقلوها الى اماكن جديدة ومع ذلك استمر الناس في هذه الحقبة على ما ترأسب في اذهانهم من مسلمات ان للعنبر خصائص سحرية وطبية . وعندما ارسل الامير البرخست بتحياته لمارتن لوتر ، وبتمنياته القلبية بشفاائه العاجل مما ألم به من اسقام واوصاب وآلام شكا منها وظلم ، شفع تمنياته هذه بحبة جميلة من العنبر .

وقد بقي العرب ، كثيرهم من سكان اوروبا الذين عرفوا وجوه استعمال العنبر يستخدمونه حملات لللائين وإبرازا للآلاف المدخين . ولعل في هذه العادة ما يشير ولو من طرف خفي ، الى التقاليد التي افشت على العنبر ، خصائص ك نتمتها اليوم بلغة العلم ، مبيدة للميكروبات ومعقمة من الجراثيم .

واستعمل العنبر الوارد من بقاع البلطيق في وجوه أخرى . فقد دخل على نطاق واسع في تحلية وزركشة الآثاث والمروشات التي كانت في قصر الإمبراطورة كاترين الثانية فيسرة روسيا ، الذي قام على مفرجة من بطرسبرج (في الحقبة المعروفة اليوم باسم بوشكينو ، على مقربة من لينتفاد) . فقد كان احد ابناء القصر المذكور مزرعكا بالعنبر ، كما دخل العنبر في تكتيت الآثاث والمروشات . وقد ذهب القصر بما فيه من اطلاق التحف والحجارة الكريمة طمعا للثار في هذه الحرائق التي التهمت ابان الحرب العالمية الثانية .

وقد عرف العنبر في النصف الثاني من القرنين الثامن عشر والتاسع عشر استعمالا جديدا ، إذ أصبح المصدر الاول لتتسمية معلوماتنا حول طبيعة وماهية النباتات والحشرات التي عاشت في هذه المنطقة بالذات ، في هذه الحقب الجيولوجية التي تعاقبت عليها . فقد

طبقة الفهماء

بقلم حسن الكرمي

من « العروة الوثقى » في لندن

بكلمات مبهمه ، وقد يفهم من ذلك ان الناطقة هي المدركة . ثم من اين جاء لنا كلمة « المنطق » بمعنى المحاكمة العقلية بأصول معروفة ؟ فاذا كانت علاقة بين المنطق والعقل فكيف كانت هذه العلاقة وكيف تولدت ؟ هذه وغيرها من جملة المسائل التي فكرت فيها قبل الشروع في كتابة هذا المقال . والطريف في الامر ان العلاقة بين المنطق والعقل علاقة موجودة في اللغة اليونانية القديمة بحسب تطورها . وقد يجوز ان يكون التطور في اللغتين قد سار على نفس الطريقة او ان العرب أخذوا عن اليونان « المنطق » بمعنى العقل فقالوا : « النفس الناطقة » أي النفس العاقلة . ولعل العرب أيضا استعملوا كلمة « نظر » بمعنى « الفكر » عن طريق التطور ، ولا عبرة في وجود هذا التطور المعنوي نفسه عند اليونان القدماء . فكلمة « نظر » بهذا المعنى بوجوده في القرآن الكريم ، فلا بد ان تكون كلمة أصلية ، وهذا لا يستغرب لان كثيرا من الاقوام تعتبر النظرة بابا للفهم فوق غيره . والمعاني لكلمة « نظر » المذكورة في القاموس العربي هي الإبصار والتأمل والتدبر والتفكير والتكهن . ولكن لا ادري اذا كانت كلمة « نظرية » هي كلمة يونانية أصيلة الاستعمال أم انها ابتدعت ترجمة للكلمة العربية (تيوريا) لان هذه الكلمة اليونانية معناها في الأصل « النظر » . وفي هذه المناسبة أيضا اقول ان كلمة « قرأ » في اللغة العربية كانت تعني في الأصل « جمع » ، وهو المعنى نفسه الذي كان لكلمة قرأ Lego اليونانية . ولتشكيل هذا التقارب الظاهر في معاني بعض الكلمات بين اللغة اليونانية واللغة العربية ننظر في كلمتين يونانيتين (تيوريا) : أحدهما nous والثانية Logos والفعل من الكلمة الأولى معناها في الأصل « رآي » او « نظر » بأبسط المعاني المحسوسة ، ولكنه تطور وصار يعني « أدرك » ثم « عقل » بالفكر . وهذا معناه ان « النظر » هو في الأصل أساس معنى « العقل » . اما الفعل من الكلمة الثانية فمعناه في الأصل « الجمع » ثم « الانتخاب » ثم « الحساب » ، وكذلك « إعطاء الحساب » أو « البيان » وبعده « القول » و « التسمية » وهذه تعني « الدلالة » و « التفسير » ثم « الحكم » وهو أساس « العقل » . وكلمة Logos تعني في الأصل « الحساب » ثم « الخزنة المالية » ثم « النسبة » بين الأعداد . ratio . ومن هنا جاء معنى « المحاكمة العقلية » . ثم ان هذه الكلمة تعني أيضا « المنطق » بمعنى « الحكاية » او « القصة » ثم صارت تعني « القول » ثم « موضوع القول » او « البحث » أي « البحث عن حقيقة الأشياء وقوامه » « العقل » . ويظهر من هذا كله ان « النظر » هو أساس الإدراك عند اليونانيين ، وكذلك « المنطق » هو بمعنى « العقل » عندهم . وكلمة « تيوريا » اليونانية بمعنى « النظرية » أصلها من فكرة « النظر » التي هي بمعنى التفكير والإدراك . ولا بد ان يكون العرب قد نقلوا عن أرسطو استعمال « المنطق » Logos بمعنى العقل أو الفكر ، فهو

ذكرت في مقال سابق شيئا عن اشتقاق كلمة Rationalism وقلت ان الأصل لاتيني . وقد جلب انتباهي الى اشتقاق هذه الكلمة بصورة خاصة ما كتبه الفيلسوف Guthrie عن ترجمة بعض الكلمات الاغريقية القديمة الى اللغة الانكليزية ، حيث أوضح تطور المعاني لهذه الكلمات وكيف تغير الحال بها مع الزمان حتى أصبحت الواحدة منها ذات معنى تجريدي خيالي معقد بعد ان كان هذا المعنى في الأصل بسيطا لا يخرج عن حيز الخبرة الملموسة . وأورد هذا الفيلسوف تدليلا على ذلك ثلاثة أمثلة ، هي « العدالة » و « الفضيلة » و « الله » . ولأخذ هذا كعينة « العدالة » كما ترجمت عن الأصل اليوناني . فان الكلمة اليونانية في الأصل كانت تعني المادة أو الداب أو الطريقة ثم تطور المعنى الى السلوك في طريق لائق ، ثم صار الى معنى السلوك في طريق مستقيم ، وانتقل المعنى الى السلوك الحق ثم الى السلوك الرشيد ، وهذا معناه « العدل » أو « العدالة » . وكلمة « الفضيلة » لها تاريخ من هذا النوع ، كما لكلمة « الله » ، ولا حاجة بنا الى التفرع غلظها . ان المثال الذي ذكرناه يكفي لظواهر التطور المعنوي في الكلمات . وهذا بحث يكاد ان يكون معدوما في اللغة العربية ، لان المعاني في الكلمات العربية لا ينظر اليها بانها تطور وتغير مع الاستعمال ، بل ينظر اليها انها ثابتة لا تتغير ولا تتبدل ، ولا تخضع لمجرى التاريخ . وقد أضاع العرب بتأثير هذه الفكرة كنزا كبيرا من تاريخ الكلمات ومعانيها أصبح الان نسيا ونسيا أو كاد . وكنت قبل الشروع في كتابة هذا المقال اكرر في عبارة « النفس الناطقة » التي تستعمل في كتب الفلسفة العربية والاسلامية بمعنى « النفس العاقلة » ، وفي علاقة « المنطق » بالعقل . نعم ان الانسان كثيرا ما يعرف بأنه « الحيوان الناطق » ، وكثيرا ما تفسر كلمة « الناطق » بمعنى الذي يقدر على افهام مراده بالكلام ، خلافا للحيوان الاعجم الذي ليس له الفاظ أو كلمات او لغة يعرب بها عما في نفسه فيفهم من غيره ويفهم غيره منه . وقد راجعت القواميس العربية علني التوصل الى معرفة العلاقة ، ان كانت علاقة في رايم ، بين المنطق والعقل . فافكرتها يقول : الناطقة هي القوة الموجودة في جان الانسان التي تنتعش فيها المعاني . وهذا كما لا يخفى كلام محشو

والعلم غير محقق كالفلسفة، والذي أوجده «كوبرنيكس» في علم الفلك ونقض به ما سبقه من نظريات فلكية سبلاقي نظريات فلكية جديدة تنفضه . ونظريتنا حماقات وأوهام واحلام ، والعقل عبارة عن لعبة وملهه ، وقال ان الناس قد خبروا كل شيء وسبروا كل شيء ، ولكنهم لم يجدوا في مجموعة العلم شيئا يكون أكيدا ثابتا الا ما كان اختلافا وتباينا في جميعه ، الى غير ذلك من مثل هذه الاقوال . فهذا الكاتب الفرنسي أحدث بهذه الآراء تأثيرا كبيرا في نفوس قرائه ، حتى انه يقال ان الشك الذي بثه «مونتني» قد أصبح عاملا قويا في تحرير الافكار من سلطة الايمان في العالم الغربي . ويجب في هذه المناسبة ان لا ننسى الفيلسوف الفرنسي «باسكال» الذي عاش في القرن السابع عشر (١٦٦٢ - ١٦٦٢) ، بعد قرن تقريبا من «مونتني» الذي عاش في القرن السادس عشر (١٥٣٣ - ١٥٩٢) . ولنستمع لهذه القطعة من كلام باسكال : « ليتأمل الانسان اذن في الطبيعة باجمعها في جلالاتها السامي الوافي ، وليطمح بنظره الى ما فوق الاشياء الدنيا المحيطة به . وليتأمل هذه الشمس المشرقة المنيحة كالصباح الابدي الذي ينير هذا العالم ، الى ان تتراءى له الاشياء كنقطة بالقياس الى الدورة الهائلة التي يرسمها ذلك النجم ، ثم فليعجب من ان هذا الفلك العظيم المترامي الاطراف ليس الا نقطة ضئيلة جدا بالقياس الى دورة النجوم في الزمان المحيط بنا . واذا وقف نظرننا عند تلك النقطة فليحتر خيالنا الى ما وراء ذلك ، فان هذا الخيال سيعين من كثرة التفكير قبل ان تعيا الطبيعة من كثرة الايمان . وان هذا العالم المنظور ليس الا خطاف من العالم على سطح الطبيعة . والطبيعة كرة غير محدودة مركزها في كل مكان ومحيطها ليس في اي مكان . ولكي تمثل امام الانسان عجيبة اخرى تستدعي مثل هذه الدهشة ، عليه ان يدقق النظر في اصغر الاشياء التي يعرفها . فالحشرة او الدودة الصغيرة تعطيه في جسمه الضئيل اجزاء لا يقاس غيرها بها من حيث الصغر ، ففيها اطراف ذات مفاصل وعروق للدم في هذه المفاصل ودم يجري في هذه العروق واخلاط في هذا الدم وقطرات في هذه الاخلاط وانزعة في هذه القطرات ، وليستفرغ في آخر الامر ، وليجزى هذه الاشياء الاخيرة ، قوى الخيال لديه ، ويكن آخر شيء يصل اليه هو موضوع حديثنا هذا . فلعله يظن ان هذا هو اقصى ما يتناهى اليه الصغر في الطبيعة . واريد ان يرى فيه هوة جديدة . اريد ان اصور له العالم المنظور ليس وحده ، بل اصور الجصامة التي يستطيع الانسان ان يدركها في الطبيعة ، وجميعها منحصرة في ذرة متلخصة فيها . وليتصور الانسان هناك عددا لا يتناهى من الاكوان ، حيث لكل كون سماؤه وكواكبه السيارة وارضه على نسبة كالنسبة الموجودة في العالم المنظور . وليذهل الانسان في هذه المعجائب المدهشة في سفرها بقدر ادعاش الاخرى بعظمها . وهكذا فانه يجد نفسه معلقا في الطبيعة بين هوتين : هوة اللانتهائية وهوة

الذي استعمل عبارة «الحيوان الناطق» بمعنى «الحيوان العاقل» على اساس المعنى الاصلي لكلمة Logos . ومن هنا يتضح لدينا العلاقة بين «الطق» و«العقل» ، وهي علاقة لا يمكن معرفتها من مراجعة القواميس العربية . ومن هنا ايضا كانت كلمة «Logie» في مقابل «الطق» ثم كلمة «راي» ومعناها «فكرة» .

ونعود بعد هذا الاستطراء الى الموضوع الاصلي وهو «مذهب تحكيم العقل» في المدينة الغربية وكيف كان منشاءه . فان المعرفة ، كما كان المعتقد في القرون الوسطى ، لها مصدران : الاول الكتب السماوية والثاني العقل الانساني . والمصدر الاول اسمى من المصدر الثاني لسببين : الاول ان المعلومات التي في الكتب السماوية اصح واصدق من غيرها لانها صادرة عن مصدر رباني هو اعلم بالحقائق . والثاني : ان الانسان ناقص بحكم الخطيئة الاصلية ، وتقصف هذا يتعدى الى عقله ، فلا يمكن العقل الناقص ان يتوصل الى ما يتوصل اليه العقل الرباني الكامل ، بل ان العقل البشري لوجود هذا العيب فيه لا يدرك الا الظاهر المضلل الكاذبة . فتحكيم العقل ، اذا اريد له النجاح ، يجب ان يدخل الشك في النفوس حول قيمة المصدر الاول للمعرفة من جهة ، وان ينقض ما يقال عن نقص العقل البشري من جهة اخرى . وقد جرى ذلك على مرحلتين : الاولى : حركة التحرر الفكري ، والثانية حركة تحكيم العقل ، وكانت المرحلة الاولى في الغالب في القرن السابع عشر . وكانت المرحلة الثانية في الغالب في القرن الثامن عشر . والحركتان في الاصل كانتا قسيتين معرض الصراع بين الايمان والعقل . وكان هذا الصراع مناسبات في المقالات السابقة تكلمنا فيها عن هذا الصراع واشرنا الى اقوال عدد من رجال الدين والفكر ، وذكرنا ان مبداء هذا الصراع كان على شكل التشكك وعدم الوثوق في اول الامر ، ومن ذلك مثلا ما ذكرناه عن الكاتب الفرنسي «مونتني» . فهو زعيم حركة الشك في الفكر الغربي منذ القرن السادس عشر . ومصدر هذا التشكك تعدد الاديان والفرق الدينية واختلاف العادات والاخلاق عند الاقوام المختلفة التي كتشفت عنها الاكتشافات العلمية الجديدة . وكان مونتني يرى

ان حركة اصلاح الدين في القرن السادس عشر اوجدت من المشاكل الجديدة اكثر من المشاكل القديمة . وفي رايه ان الدين هو كاللباس مفروض علينا بحكم العادة . وجميع الاديان تستعمل حججا واحدة متشابهة للدفاع عن الافتكار فيها . وقال ان الوصول الى معرفة الله امر فوق طاقة العقل البشري ، وان المعجزات مشكوك فيها ، وان النبوات قد انقضت . وقال ان الارام من قديم الزمان تبديل وتغيير ولا تثبت على حال . فقد وضع الفلاسفة وغيرهم النفس في الدم وفي القلب وفي المعدة وفي الجفون وفي الدماغ وفي اماكن اخرى من الجسم . ولا تزال النفس مجهولة المكان . وقال ان الحقيقة جارة ملاصقة للكذب ، وان الحواس خادعة وان العقل مبطل ،

اللاشيء . ومن أوضح ما وصف به بأسكال حالة الانسان في هذا العالم قوله : « تصور عددا من الناس القديسين بالسلال ، والحكوم عليهم بالوت . وفي كل يوم يقتل بعضهم على مرأى من الآخرين ، والذين يقعون على قيد الحياة يرون حالتهم الخاصة بهم في مصير رفاقهم ، وينظر الواحد منهم الى الآخر نظرة الحزن والياس ، منتظرا دوره . هذا مثال لما عليه البشرية من وضع حقيقي » . ولم يقطع بأسكال قط في اية الوصول الى الحقيقة ، لان الضبط والحقيقة في اية تقطعت دقيقتان جدا ، وهما أدق من أن تدركما ادواتنا الفليضة الحد . وقد فزع بأسكال الى العقل ليستعين به على دعم الايمان ، فلم يجد العقل مسعفا له .

ويظهر مما أسلفنا ان حرية الفكر بدأت اولا على شكل موجة من الشك ، على غرار ما بدأت في كتابات مونتين . واساس هذا الشك تنبيه الافكار الى الخلافات في الراي بين الطوائف الدينية في اوروبا والاتصال بشعوب أخرى لها اديان وعادات وتقاليد تختلف عنها في الشعوب الأوروبية ، وازدياد الاقبال على العلوم الطبيعية والاهتمام بها . وعلى العموم فإن انتشار تحكيم العقل ونشوء حرية الفكر في القضايا الدينية وغيرها امر مرجعه الى عوامل مختلفة ، نذكرها الان واحدا واحدا .

وأول هذه العوامل هو الصراع بين الطوائف او الفرق الدينية . وقد أشار الى ذلك الفيلسوف الانكليزي «بيكن» بقوله ان اول أسباب اللاحاد هو الفرقة في الدين . وقال ان ذلك الانتظام من طائفة كبرى وأخرى صغرى ازدادت الطائفتان حساسية وتعصبا ، ولكن الانتظامات العديدة تدخيل الانبياء والسبب الثاني لظهور الشك ناشى عن الوقع الذي أحدثه في الفكر الأوروبي الاطلاع على شعوب أخرى لها عادات واديان أخرى وذلك عن طريق الاكتشافات والاستعار ، وعن طريق الحكايات والادواف التي كان ينشرها الرحالون بعد عودتهم من أمريكا او من الصين مثلا . وكان من نتيجة ذلك ما قاله « سبينوزا » مخاطبا رجال الدين في ذلك الوقت . فقد وجه اليهم كلامه يسألهم هل هم يعتقدون انهم قد وجدوا احسن دين يعلمه احسن الناس ؟ وكيف تسنى لهم ان يعرفوا ان هؤلاء المعلمين هم خير من علم الاديان الأخرى ويعلمها وسيلمها ؟ هل تفحصوا جميع الاديان القديمة منها والحديثة في بلادنا وفي الهند وفي سائر العالم ؟ والسبب الثالث هو نشوء الروح العلمية ، ونشوء الصراع بين العلم من جهة والايمان الديني من جهة أخرى . وقد أدرك هذا الصراع وما له من أهمية بالغة رجال الإصلاح الديني بصورة خاصة . ولما كان الفيلسوف الانكليزي «بيكن» السالف الذكر من أكبر دعاة المكوف على العلم ومعرفة الحقائق بالاختبار والمراقبة والتجربة فإنه بحكم الضرورة عدو للاجتهاد الماكس المتمسك بالنصوص التقليدية بدون تفحص ولا انتقاء . ولذلك كان «بيكن» يقول ان منبع اللاحاد في الغالب يكون بين الطبقات

المتعلمة . واتخذ العلم حينئذ طريقين : طريق الفحص او البحث العلمي في طبيعة الاشياء على الارض وطريق البحث الفلكي في موضع الارض بالنسبة الى الكواكب والشموس في الفضاء . وكان هذا الطريق الثاني هو الذي عجل في حدوث الصراع بين رجال الفلك وبين رجال القديم ، على ايدي أربعة من مشاهير الفلكيين وهم كوبرنيك (١٤٧٣ - ١٥٤٣) وجردانو برونو (١٥٤٥ - ١٦٠٠) وتايهو براه (١٥٦٦ - ١٦٠١) وكاليليو (١٦٤٢) وكبلر (١٥٧١ - ١٦٣٠) . ومن اهم النتائج لنظرية كوبرنيك ان الارض ليست مركز الفلك او النقطة التي تدور حولها الكواكب والافلاك كما كان الاعتقاد في القرون الوسطى على اساس نظرية بطليموس وغيره من اليونانيين القدماء ، بل هي كوكب من هذه الكواكب التي تدور حول الشمس . وهذا بطبيعة الحال يقلل من أهمية الارض بالنسبة الى العالم ، ويقلل بالتالي من أهمية الانسان المخلوق على الارض . وكان رد الفعل من رجال القديم محاربة هذه الآراء الفلكية الجديدة عن طريق نشر الكتب لتفنيدها او عن طريق محاكم التفتيش لمعاينة القائلين بها ، كما جرى لجردانو برونو حينما أحرق ومات ، وكما جرى لكاليليو حينما قبض عليه وسجن حتى رجع عن آرائه . وهذا رد الفعل الاول . ولكن رد الفعل الثاني كان عن طريق التوفيق بين العلم والدين ، وأدى ذلك الى نشوء ما يسمى بالدين الطبيعي او ما يسمى أحيانا بالدين العقلي دون الاعتماد على الكتب السماوية . والفكرة في ذلك كله هي ان العالم الطبيعي خاضع لقوانين طبيعية يمكن اكتشافها بالطريقة العلمية ، وكذلك نشوء الاديان ونشوء الاخلاق ونشوء القوانين الاجتماعية يجب ان تكون خاضعة لقوانين محددة يمكن معرفتها بالبحث والاستقصاء وليس بالرجوع الى الكتب المأثورة . فرجال الدين العقلي يؤمنون بالله ، لكنهم لا يؤمنون بأنه اله هذا الدين او ذلك ، وانما هو مستقل عن كل دين . ثم ان هؤلاء الرجال اتخذوا سبيلهم في البحث ، للتدليل على وجود الله وعظمته ، عن طريق دراسة الطبيعة ومعرفة أسرارها والوقوف على دقة صنع الخالق ، حتى يرى الانسان نفسه ان وجود هذا العالم بهذا الانضباط والتنظيم دليل على وجود الخالق وعلى قدرته وجبروته ، ولا حاجة بالانسان الى كتب سماوية لكي يصل الى هذه النتيجة .

وبحث هذا الموضوع يستغرق وقتا طويلا اذا أراد الباحث ان يفصل فيه بعض التفصيل ولكن الذين كتبوا عنه ، وخصوصا من الصراع بين العلم عامه ، ومنه علم الفلك ، والتقاليد القديمة ، أوفوه حقه . ونذكر بالمناسبة كتابا للكاتب الأمريكي دريبر Draper والكاتب الأمريكي الآخر وايت White . ويمكن المهتم بهذا الموضوع ان يرجع الى هذين الكتابين او احدهما .

الى الاقلاع عنها الا بارادة قوية ، او
ازمة متحكمة . ولولا ان مرتبه لا
يكاد يكفي شيئا ، لما اقلع عنه ، انه
الشيء الوحيد الذي يحس فسي
مزاولته بالتمتع ، ومع ذلك فقد اضطر
- تحت ضغط الظروف - الى
التنازل عن هذا الحق البسيط . اما
بالنسبة لتلك الرؤوس المنكسة ، فقد
تخلصت من كل ما فيها ، ولم تعد
سوى جماجم فارغة ، تكاد تشبه
البيطخ الاقرع . على انهم سعداء
حقيقيون ، ولكن اعني هذا ان جذور
الخوف قد استوصلت نهائيا من
قلوبهم ، ام انها قد ماتت ايضا ؟ .

في الحقيقة الموقف كما هو عليه منذ
جاء الى هذا المكتب ، والجيسيع
متفاهمون بشكل واقعي ، وليس من
بينهم من تردد ولو ثانية واحدة ، ولا
خوف من أي شيء . اذا كنت تريد
ان تنجز اعمالك بسرعة ، فلا بد ان
تدفع ، انا ايضا لازم اعيش ، الا ترى
انني لا اتقاضى مرتبا ، ان ما تمنحه
لي الحكومة اول الشهر ، انما هو
مجرد رمز ، اما المرتب فانت
وشاطرك . المسألة لا تعدو ان تكون
عادة ، كالسجائر ، في البدء يحس
المدخن بدوار خفيف ، ولكنه لذيذ
ومتع ، ثم لا يلبث وتصبح ضرورة
لا سبيل الى الاستغناء عنها . ترى
هل انتهت الصفقة ، ام ان ذيلها
ما زالت عاقلة ؟ .

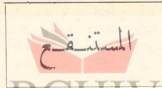
وتبته الى الملف الموضوع امامه ،
ففتحه ومر بعينه سريعا على الارقام
المدونة في الجداول ، ثم طواه وحمله
وانجه الى الباب ، وقبل ان يصادر
الحجرة التفت قائلا غير موجه الكلام
الى احد بعينه :

- انا منذ المدير .
وكان الجميع منهمكين في اعمالهم ،
فلم يرد عليه احد بكلمة واحدة .
في المر المؤدي الى مكتب المدير ،
هواء رطب منعش ، واضواء خافتة
جانبية ، توحى للسائر انه في طريق
من طلبة الجنة . توقفت لحظة ، ثم
بدأت الفكرة تكبر وتكبر ، وهو يحس

سجارة ، ولكن الزميل ، الوقور ،
لم يسمع شيئا ، او هو في الحقيقة
لا يريد ان يسمع ، الا انه لم يياس ،
فقام من جلسته ، ووقف قبائنه .
رفع الزميل راسه ، واملأه بنظرات
ذات معنى ، ثم قال له :

- نعم يا سيدي ؟
ابتسم ، وخيل اليه انه استطاع
ان يخترق ذلك الحصن ، ولكنه عاد
وندم ، غير ان الوقت كان قد فات .
قال بصوت خافت ، حتى لا يسمعه
احد من باقي زملائه :

- سيجارة من فضلك .
كان « راغب افندي » يصرف
مسيحا ما يريد « رشوان » ، ولكنه
في نفس الوقت كان واقفا من نفسه ،



بقلم مصطفى أبو النصر
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

او على الاقل ، من انه لن يسمح لاحد
ان يستغله :

- ألم تقلع عن التدخين ؟
- اشعر بصداق .

حذر « راغب افندي » وهو يفتح
الدرج ، ليعطيه من العلية سيجارة .

- اخشى ان تعود اليه ثانية .
- لا تخشى شيئا ، انا قوي الإرادة

جلس خلف مكتبه ، وراح يجذب
الانفاس في استنشاق ، وشعر

بمدى جمال التدخين . حقا انه لا
معنى له ، ولكنها عادة ، عادة

تستحكم في الانسان ، ولا سبيل

الشوء الاحمر الخافت ، يعلو اطار
الباب . عاد فنظر اليه : هل يطارق
الباب ؟ ام يعود بعد قليل ؟ ، انه
يعلم ان ما يدور في الداخل ، لا
أهمية له . انه متأكد من ذلك ، ولكن
لا احد يستطيع الاندما . في لحظة
ما ، يمكن للمرء ان يقتحم الباب ،
والمطرب في هذه الحالة ، هو مجرد
الاحساس بعدم قيمة أي شيء ، لان
النتيجة ربما كانت وخيمة . تملعل
في وقفته برهة ، وتصور منظرا
لا يمكن وصفه ، وفي دفعة استهتار
هم بالضغط على اكرة الباب ، ولكن
انقذته عبارة اطلقها الساعي في
نهاية الممر :

- سيادة المدير مشغول .

في داخله شعر براحة حقيقية .
ليس ندا للوقوف امام المدير ، او اقل
من المدير . ربما يكون المنظر مخجلا ،
او ان مفاوضة بشأن العمل ستنتهي
بالتسليم . توقف ، وتجمعت حركته ،
وكان الساعي قد وصل حاملا صينية
عليها كوبتان من عصير الليمون ،
فابتسم اليه في بلبلة ، وضغطت
اصابعه على الملف الذي كان يحمله
في يده اليسرى . واتخذ طريقه
عائدا الى مكتبه . وامام الباب ،
خيل اليه انه يرى المشهد لأول مرة :
مجموعة من الرؤوس ، أغلبها اصلع ،
قد انكفأت في ذلة وخوف على اوراق
وملفات ، لا اول لها ولا آخر ، ودخل
صامتا ، ليتخذ نفس الوضع .

لا يدري متى بدأت تثبت في راسه
هذه الفكرة . متى ستنتهي هذه
المهزلة ؟ حقا الهائل كثيرة ، ولكنه
- في الواقع - لا يحسها قدر
احساسه بما يدور في هذا المكتب .
لا يستطيع ان يتصور مدى الالتزام
التي تمر على كل هؤلاء ، ولكن طعننا
يبدو واضحا من وجوههم ، كل
الوجوه ، بلا استثناء واذا كان في
التصور امكان الثورة او التمرد ،
فالنتيجة غير مضمونة ، ربما انقلب
الاية . ومال على زميله يطلب



بها تنمو في داخله ، وتمثل أمام عينيه صوراً بهيجة ، ولكنها في نفس الوقت مجهولة . هل يستطيع أن يخترق ذلك الجدار ، أم أنه سيظل جامداً صلباً لا سبيل إلا التفأ منه! المفروض أن الامكانيات كلها متوفرة بل أكثر من ذلك ، أنها مباحة للجميع ، مشاع للقوي ، خاوي الرأس ، ميت القلب . وإذا كان ذلك ممكناً ، هل يعني هذا أن المدير يمكن أن يكون أداة فعالة ؟ أم أن المسألة : أنت وشطارتك ، ولا شأن لنا ؟ . يقال أن العرف له - في بعض الأحيان - قوة القانون ، لماذا إذن لا يعترف به علانية ، ويصبح جزءاً من القانون غير مدون ، كدستور انجلترا ؟ . المدخل صعب ، ويكاد يكون مستحيلاً ، هل يمكن التصريح بأن ما يحدث في الخفاء هو أوضح من الشمس في يوم صحو ، إذا كان ذلك كذلك ، لم إذن تلك السرية ، وهذه الرهبة ، وذلك الصمت المطلق الذي يحوطهم ؟ . هل ألتا الحصر الوحيد ، أم أن الجميع كذلك أحرار؟ المشكلة صعبة الحل ، والاجابة في حكم المستحيلة ، ومع ذلك فالتجربة ، ربما أثبتت عكس ما أفكر فيه . هل يعيشون جميعاً في خوف ؟ لا أصدق ولو أن هذا حقيقياً لمات أغلبهم من زمن . هل أتمنى أن يموت قلبي ، فأصبح جثة متحركة ، هل أحس في تلك اللحظة أنني حقا أكن ، أم ماذا ؟ . الرائحة تفوح في المكان ، الكل يعلم ، والكل لا يتكلم ، سائقو عربة الباب نقرة أو تقريتين ، ثم أضغط على الأكرة ، وادخل بخطى ثابتة جريئة ، سواء سمع أم لم يسمع ، سأضع أمامه الملف ، وأسحب أحد الكرسي وأجلس أمامه مباشرة ، سواء أذن لي أم لم يذن ، ولا شك أن هذا التصرف سيدهشه ، إلا أن هذا لا أهمية له على الإطلاق ، لأنني بلا جدال سأكون سيد الموقف ، والوقوف ليس ممكناً ولا ملتواً ، أنه بسيط للغاية ، كل ما في الأمر ، أنني يجب

أن أكون ثابتاً مدركاً تماماً لكل ما يصدر عني سواء في الإلفاظ أو الحركات ، غير أن نعمة التهديد لا تصلح هنا ، من الضروري أن تكون نبراتي مطمعة بالرجاء ولا بأس من ارتعاشات رهبة أو خوف أو احترام ، عندئذ ربما يصفي الي ، بل حتماً سيفضي ، أنني أحد المقربين إليه ، ألسنت أنا الذي ينجز له أعماله التي يتقاضى عليها .. ألسنت أنا الذي أجمله يبدو عريقاً مهما خطيراً مليئاً بالقدرة والسلطان ، ألسنت أنا ... وانتبه إلى نفسه وهو يقف أمام الباب ، رفع عينيه ، كان الضوء الأحمر قد تلاشى ، أما الساعى الرابض بالقرب من الباب ، فقد ابتسم في وجهه دون أي اعتراض . بالطبع كان عليه أن يدخل ، غير أنه لا يدري تماماً ما الذي يحدث في رأسه ، شعر كما لو أن أحداً قد ضفك عليها من الجانبين ، وبقلبه ينسحب من مكانه . ولم يتكشف هذا الانطباع رفع يده ليضع الباب ، كانت ريشة مزعجة ، قد انتظمت أصابعه ، وبمجرد عني تمكن من القبض على الأكرة . وتذكر أنه نسى أن يخط على الباب ، ولكن ما أصابه جملة يتكاسل عن ترك الأكرة . وخيل إليه أن الساعى ربما لاحظ عليه ذلك ، فالتفت إليه يستجديه بنظرة بلهاء ، غير أن الساعى فهمها على نحو آخر :

ليس عند المدير أحد .. تفعل . في هذه اللحظة تمنى لو أن كل ما في عقله قد تبدد ، حتى يستطيع أن يدخل وليس في رأسه سوى الأرقام المدونة ، والاجابة على أي سؤال . ابتسم للساعى وأوماً له شاكراً ، ثم التفت بإرقاب يده وهي تحاول جاهدة أن تضغط ، وأخيراً نجحت في أن تفصل الضلفتين ، وبدأ يربح الضلفة الخشبية المسمطة أمامه وهو يحس بضربات قلبه تتوالى في سرعة واضطراب . وفجأة قرر أنه لن يتكلم في شيء .. لن

أتكلم .. لن أتكلم .. ما كاد الباب ينفرج أمامه ، ويظهر هيكل المدير ، حتى هم بالتراجع ، ولكن المدير كان قد رفع رأسه عن الأوراق البسطة أمامه ، فما أن رآه حتى رجب به :

تفضل .. تفضل يا رشوان أفندي . اعتدل في وقفته ، وراح يلسم أنفاسه ، ولم ينس أن يزرر الجاكيت بأصابع مضطربة ، ثم بدأ يخطو إلى الداخل . كان المدير يتأمل وهو يقترب ، وقد ظهرت عليه علامات الاستغراب والدهشة ، إلا أنه لم يعلق على ذلك ، وإنما اكتفى بأن يده متناولا منه الملف ، الذي كان يهتز في ريشة واضحة ، ففتحه على الفور ، وراح يقلب صفحاته مراجعاً ما تم فيه . وحين رفع رأسه ثانية ، كان رشوان غائباً عنه تماماً ، عيناه متصلبتان ، لونه أصفر يشبه جثة قائمة .

هل تشكو من شيء يا رشوان أفندي ؟

أردت رشوان إلى نفسه ، وإن لم يكن قد وعى ما قيل .

نعم ؟

ما لك ؟

أنا .. لا شيء !!

هل أنت مريض ؟

لا يا سيادة المدير .. لا .

ساعة دخلت ، لاحظت عليك أنك غير طبيعي .

لا شيء .

أجل .. أريد مناقشتك .

واصطدمت قدماه وهو يقترب من الكرسي ، وما كاد يجلس عليه ، حتى شعر كما لو أنه قد سقط من الدور العاشر ، وأخذت أنفاسه تتوالى : « لن تقول .. لن تقول شيئاً .. أنا قلت لن تقول .. لماذا إذن أنت خائف ؟! أنا لست خائفاً ومن أخاف !! هل أنا المجرم .. ثم ما شأني أنا . »

رشوان أفندي .. أين أنت ؟!

فراع

ما عاد الصبح كما كانا
في ادواح طفحت نورا
ولت آمال جوفاء
كم اخدع نفسي ياواها

الظل صدى وهج غاف
وعيون الحاضر احجار
والقبيل مقبرة تكلى
انا لحظة عقم ، كنبات

يا شط الليل ويا عدم
الحيرة في قلبي كهف
ودعائي تشربها ريح
صرخات الروح تدمرني

فتانا ينسج احلامى
بل مد يجرف اعوامى
عاشت زمنا في اوهامى
اذ اعبر فيها ايامى

في ماض اسود كالنوت
كسلى تتراشق بالصمت
لا اسمع فيها من صوت
لا زهرا ، لا ثمرا يؤتي

او حقا عندك ما القى
وبه طرق تمحو طرقا
فتظل كاشلاء غرقى
لا تبقي في عمري رمقا

رضوان عقل
القيطرة - سورة

- سافعل .. سافعل .
اغلق الباب خلفه ، وهو لا يكاد
يخفى برأسه ، ولكن صوت الساعي
جاءه من اول الممر :
- الليمون يا رضوان افندي .
اجابه دون ان ينظر اليه .
- اشربه انت .
وسار في الممر بخطوات سريعة ،
وهو لا يشعر بشيء مما حوله ،
واندفع الى حجرته ، وتوجه على
الفور الى مكتب «راغب افندي»
وهو لا يكاد يشعر بنفسه او بوجوده
كله ، ووقف امامه متحمدا :
- من فضلك سباجة اخرى .
اطلق راغب افندي ضحكة عالية
وهو يفتح الدرج قائلا :
- هل ستعود الى التدخين ؟
- ربما .. لا ادري .
وجلس رضوان خلف مكتبه وراح
يجذب انفاسها في شراة ولذة غير
معهودتين .

صريحامي ، المسألة في غاية
البساطة ، اذا كان الثمن معقدا ، بل
هو بالتاكيد كذلك ، لم لا تعطيني
جزءا من جديدي ان .. هبل لا بد ان ..
اغتنصه ...

وامتدت يده بطريقة غير واعية
واختلطت النشافة . وانتبه المدير ،
وكان يقرأ في الملف ، فنظر اليه في
حيرة ، ولم ينطق بحرف . اما
رضوان فقد كان ذاهلا تماما ، ثم
بدات اصابعه تنفرج شيئا فشيئا ،
وتركت النشافة في موضعها ، وهم
واقفا . وكان المدير ينتبهه ، محاولا
فهم هذا التغير العجيب الذي طرأ
عليه . وبدأ رضوان يتقهقر متسجبا .
وابتسم المدير قائلا :

- لم تشرب الليمون
- شكرا لا استطيع .
- انت متعب فعلا
- هل استطيع ان استاذن ؟
- اتصحك بعرض نفسك على
طبيب .

- موجود يا افندم .
- ما الذي تفكر فيه ؟
- انا .. لا شيء .. لاشيء .
- هل استدعي لك طبيبا ؟
- لماذا ؟
- اراك مضطربا .
وضغط المدير على الجرس ،
فدخل الساعي ، فطلب منه بسرعة
كوبا من عصير الليمون .
- كلا .. كلا .. شكرا .
قال المدير ضاحكا :
- لا بد ان الاحصائية اتعبتك .
وحاول رضوان ان يستبعد من
رأسه كل الأفكار التي دارت به ،
الا انه كلما حاول ذلك ، ازدادت
الصورة امامه وضوحا : هل تحبني
حمارا ، انا انسان مثلك .. مثلك
تماما ، ماذا يعني هذا ؟ انا اعمل
واعمل واعمل وانت تأخذ وتأخذ
وتأخذ ، حرمت من كل شيء ، وانت
تنعم حتى بالهواء المكيف . قل لي ،
ما معنى هذا ؟ اريد ان افهم ، اصبحت
لا افهم شيئا . اسمع لماذا لا تكون

ولكنه آثر أن يمشك بما تبقى له من حواس ، وأن ينقل لنا ما تحسه أذنه على وجه خاص . نستمتع إليه بقول :

وكان رجيع حديثها قطع الرياض كين زحرا
وكان تحت لسانها هاروت يثث فيه سحرا

أو يقول :

وحديث كانه قطع الروض وفيه الصفراء والحمرء
لقد آثر أن يتغزل بحديث محبوبته وصداه في نفسه . ولم يصف أو يصور حسناتها وجمالها ، لأنه كثيرا ما كان يؤثر الصدق في الوصف ، ويحاول أن يدنو من الواقع ما استطاع .

ولعل حرصه بشار على الواقع ، جعله يؤثر المرأة جسدا لا روحا ، فهو أبدا في شوق إلى لقاءها ، يريد لها أداة لأرواء غريزته ، لا روحا تسمو به عن الجنس ، وتلهمه رقيق الشعر .

وبشار جريء في غزله ، جراءة تبعده في كثير من الأحيان عن العفة والطهر . كان صريحا في طلب اللذة ، كثير التباهي بما لا يحق للإنسان أن يجهر بالتباهي به . كان ابن برد ينظر إلى المرأة نظرة بهيمية مطلقة ، فهي في نظره جسد يشتهي ، ولا يتعدى الوصول إليه لمن يرغب فيه ، ويحرص عليه :

فاس الهوم تنل بها نجعا والليل إن وراه صباحا
لا يوتسكن من مخبئة فقول نفلله وإن جرحا
عصر النساء التي مياسرة والصعب يمكن بعد ما جمعا

ونظرة بشار هذه إلى المرأة ، منها كثير من الغلو والتعجب ، وهي إن دلت على شيء ، فأنما تدل على المستوى الخاطئ الذي تراتب فيه المرأة في العصر العباسي ، وبوجه خاص النساء اللواتي كن يحطن ببشار ، ليتعن بمجلسه وشعره وحديثه .

وبشار عدد لا يحصى من المحبوبات ، عرفنا منهن اللواتي وردت أسماءهن في أشعاره وهن : عبدة ، وسعدى ، وسلمى ، وسليمة ، وحبابة ، وطيبة ، واسماء ، وصغراء ، والرباب ، وام وهب ، وهند ، وبانة ، وغيرهن كثيرات ... ولكل من هؤلاء النسوة مكانة في قلب بشار ، ذلك القلب الذي يشبه فندقا من الدرجة الأولى في عصرنا هذا ، يتسع لجيش من التزلاء والمسافرين والسياح ، وطلاب التعة والراحة والهوى ... وبالرغم من ذلك فبشار يشكو الوجد ونار الحب والجوى ، كأي عاشق متيم ، ولكنه لا يلبث أن ينسى عشقه الزعوم ، ويردد شكواه نفسها لمحبة ثانية وثالثة وعاشرة !.

وتلما نجد في غزل بشار لوعة الحب وحرفته التي نجدها لدى الشعراء العشاق ، مما يؤكد أن بشارا أراد أن يغطي باب الغزل في شعره !. ومن يقرأ هذا الغزل الكثير في محبوبة بشار ، يؤمن بأن الشاعر كان زحر نساء ، لا عاشقا متيما .. فهو دائما يسأل عن الوعد ،



عبدالفني المرطري

النساء في حياة بشار

بقلم عبدالفني المرطري

جارت يد الاقدار على بشار بن برد ، فزعمته نعمة البهر ، وهو بعد جئين في بطن امه ، فولد وعاش مكفوما ، وفي قلبه لوعة لا تزول ، وفي صدره حسرة لا تنقضي . وإذا ما فقد امرؤ بصره ، فقد خسر نعمة لا تقدر بمال أو جاه ، فما بالك بشاعر مرفه يريد أن يصور الجمال ، ويستمد من سحر الطبيعة وفتنة المرأة ، صورة حسية لشعره ؟. ولم يكن بشار ليجهل أو يتجاهل انه مكفوف ، فإذا ما أراد أن يتغزل أو يصف المرأة ، استعاض عن العين بالأذن فقال :

يا قوم «التي» لبعض الحي عاشقة والاذن تعشق قبل العين احبانا
فالوا بمن لا ترى تهدي فقلت لهم: الاذن كالعين توفي القلب ما كانا
وهذا بالطبع ضرب من المبالغة ، فما تنقله العين من صور الجمال إلى العقل ، لا تستطيع حواس الاذن واللمس والشم مجتمعة أن تنقله . ومن أجل ذلك نرى أن بشارا لم يفرط في تشبيه محبوباته بفنص البنان ، وعيونها بعيون الظبي ، وشعرها بسواد الليل ، وحمرة خدودها بالورد ، بل بالغ في وصف حديثها ورقة هذا الحديث ، وعبر عن شوقه اليها ولوعته . فعل بشار ذلك وإن لم يمجده وصف المرأة نقلا عن وصف المصيرين ، أو تقليدا وجريا على ما قاله وردده الشعراء الآخرون .

ويبحث عن اللقاء ، ويطلب ساعة صفو .. اما الحب ولوعته وحرقته ، فقلما نجد لها اثرا في شعره ، وحتى اذا وجدت فان اثر التكلف فيها يبدو واضحا مشرقا . وبالرغم من هذا فان لبشار غزلا يعتبر من روائع الشعر ، جاء في الجزء الاول من امالي المرتضى :

« قيل لا يي حاتم : من اشد الناس ؟ قال الذي يقول ، ويعني بشارا :

ولها ميسم تكسر الافاحسي وحديث كالوشى وشي البرود
زلت في السواد من حبه القلب ونالت زيادة المستزيد
عندها الصبر على لقائي وعندي زفرات ياكلن صبر الجليلد

وجاء في «زهر الاداب» ان ابا تمام روى لبشار قوله:
انا والله اشتي سحر عينيك واخشى مصارع العشاق
وقال : ما رايت شعرا اغزل من هذا .
وسئل ابو عمر بن العلاء : من ابداع الناس بيتا
فقال : الذي يقول :

لم يطل ليلى ولكن لم اتم ونفى عنى الكرى طيف السم
خلفى يا عبيد عنى واعلمي اننى يا عبيد من لحم ودم
ان في يردى جسما ناحلا لسو نوكات عليه لاتهدم
وقال بعضهم : « عهدي بالبصرة وليس فيها غزل
ولا غزلة الا يروي من شعر بشار ، ولا نالحة ولا مفتنة الا
تتكسب به ، ولا ذو شرف الا ويهايه ويخاف معرفة لسانه . »
قلت ان لبشار عددا لا يحصى من المحبوبات ،
واشهر هذه دون منازل «عبدة» ، اذ انها اكثرهن ذكرا في
شعره ، ولكن بام العلاء ، وكتاها بشار مرة بام عمر
ومرة بام الوليد ، وسماها عبيدة وعبادة ووصفها بالزلفاء .
وقد زارته ذات مرة في مجلسه مع نسوة فاحببها وكافها
امر حبه بوساطة غلامه ، فهشت له وبادلته حبا بحب ،
وكانت دائبة على زيارته . وقد تزوجت من رجل سماه
بشار بابن قائد . ومن قوله في عبدة :

يا عبيد حشام لا القالك خالية ولا انا ؟ لقد طولت نغديني
اهدت لي الطيب في ريعان ساحة
اهدي لنا شربة منه نعيش بها ان كنت مهيبة روحا لكروب
ان الفيضي الشيا لا نطالبه ذاك الهوى ، وحبيب الكل مطلوب
ويقول فيها ايضا :

يا عبيد زوربني تكن منه لك عندي يوم القالك
والله ثم الله فاستيتني اتى لارجو واخشاك
يا عبيد انى هالك مندف ان لم اذك برود تبارك
فلا تردي عاشقا مندفا يرضى بهذا القدر من ذاك
ويقول فيها ايضا :

يا عبيد يا جافية قافضة اما رحمت القلة الدائمة
يا عبيد خافي الله في عاشق يهوداك حتى تقع الوافاة
وفي هذا الشعر وغيره يبدو اثر التكلف والصنعة .
ولا يمكن للناقد ان يقتنع بحال ان صاحب هذا الشعر
عاشق مدنف تيمه الحب وشغه الهوى .
وكيف يمكن للناقد ان يقتنع بان بشارا يحب ويعشق

ويؤرقه الهوى ، وهو الذي يعرف الحب بقوله :
وما الحب الا صبوة ثم نبوة اذا لم يكن كان الهوى دوع نلعب
ولو كان بشار شابا ساحر العينين ، ممتشق
القائمة ، جميل الطلعة والمجيا ، شان ابن ابي ربيعة ، لما
كان في مقاماته الفاضحة مدعاة لمعجب ودهشة ...
ولكن الطريف المعجب ، ان بشارا كان مكفوف العينين ،
ضخم الجثة ، ثقل الظل ، قليل العناية بنظافته وملبسه . .
وبالرغم من ذلك فان شاعرنا لم يكن يهوى النساء الا
صغيرات ابكرا . . ولم يكن بشار عزبا ، بل كان متزوجا
وزوجته تدعى «امامة» ، كما جاء في شعر هجاء به
حماد عجرد .

ومن اخبار بشار أنه كان يهوى جارية شاعرة ، ذات
ادب وظرف ، وكانت تحبه على قبحه ، فواصلته وامكنته،
وكان ينثر المال الذي يتكسب به بين يديها . وغضبت
الجارية على بشار واعرضت عنه فقال فيها :

نسي ولا تستكر السوء انها تدل بما ليلوه عندي ونصرف
فمن اين استغفقتها لم ترق لي ومن اين ما جربت صبري بشفد
وشعر بشار لا يخلو من تعفر وغرابة ، بل فيه نفحة
جاهلية بدوية ... ولكنه اذا ما تفرد عند الرقيق
الالفاظ وخفيف البحور . واكثر غزله من بحور البسيط
والجزر والرمل والخفيف والسريع .
ومن طريف غزل بشار ، قوله الذي جاء به على



طريقة الرسائل :

الى القاسية القلب
على وجهك يا حبي
عيني ومنى فليسي
بين الجنب والجنب
جفاء منك في الكتب
ما احدثت من ذنب
من اتى ولا الفرب
على جد ولا لمب

الى القاسية القلب
على وجهك يا حبي
عيني ومنى فليسي
بين الجنب والجنب
جفاء منك في الكتب
ما احدثت من ذنب
من اتى ولا الفرب
على جد ولا لمب

ومن روائع غزله قوله :

جئت مستغنيا اليها لما بي وشفاء الحب عند الحبيب
فاتق الله يا حبيب وجودي يشفاء لعاشق مكروب
نام اصحابه وبات مكبا في اعاجيب من هواد المعجب
ليس بالفتى سوك ولا ابا مع منكم نصيبه بنصب
ولبشار قصة معروفة مع امرأة يقال لها «امامة»
فقد ظل يبعث اليها بفلامه يطلب اليها امرا ، فكانت تصد
وتمتنع . فلما ضاقت به ذرعا اخبرت زوجها ، فقال لها
اجيبيه وعديه ان ياتي الى هنا . فلما جاء بشار مع امرأة
اوفدتها «امامة» اليه ، دخل وزوجها جالس ، فجمل
يتحدث اليها غير عالم بحسن وانها لا تشارك فلسطينا
فاخذت يده ودفعتها الى زوجها . ففقر بشار
مدعورا وقال :

على اليه ما دمت حيا احسك طالما الا بمود

الى أمي

فبرك ، يا رفيقة الرياح والمطر
تثنت ، منه ، في دمي ، رائحة أوت
... ترعش ثكلي ، بين أضلاعي :
صرخة ميلادي ،
طفولتي ،
خطا .. خطا في غربي ،
بين قرى الصمت .

... كفك تمتد ، بلا انامل ،

ودنما غروقي
تهز ، في صدري ،
أجراسا بلا صدئ ...
فيرتني فهي على التراب :
الشمس كاس علقم ...
يشربها الحجر
وينتهي صوتي .

حسين جليل

بنفاد

ولا اهدي لقوم انت فيهم سلام الله الا من يعيد ...!

وقصص مجونه ومفامراته وتبدله كثيرة لا يصح ان
تروي في مقام كهذا ، فليتمسها من شاء في بطون الكتب
الصفر ، فهي لا تخلو من طرافة ، وتعطي عن شاعرنا
الماجر صورة اكثر وضوحا وصدقا .
ولبشار قصيدة مشهورة مطلعها :

لدم انسي في خليلتي عسر والسرور في كنهه فحس
في هذه القصيدة يروي قصة مفامرة من مفامراته
حين التقى محبوبته في غفلة من ذوبها ، ونقل في حوار
فاحش ما دار بينه وبينها ، وما قالته له ، وما قاله لها .
ولعل لبشارا اراد ان يقلد بهذه القصيدة القصص الغرامي ،
الذي برع به عمر ابن ابي ربيعة . ولكن عمر لم يفحش كما
افحش لبشار ، ولم يتبدل في لفظه ومعناه كما فعل لبشار .
هكذا كانت نظرة لبشار الى المرأة .. وهكذا كان رايه
فيها . وقد سئل ذات يوم : اي متاع الدنيا اثر عندك ؟ .
فقال : « طعام مز ، وشراب مر ، وبنث عشرين بكر » .
هذه هي الحياة عنده : طعام وشراب ونساء صغيرات
ابكار . اما هو فقد كان كما وصفه الاصمعي :

« ضحكا عظيم الخلق والوجه ، مجدورا ، جاحظ
المقلتين ، قد تشاهيا لحم احمر ، فكان اقبح الناس
عمى ، واظلمهم منظرا . وكان اذا اراد ان ينشد صبق
بيديه وتنحج وصبق عن يمينه وشماله ، ثم ينشد
فيأتي بالعجب » .

ولو حاولنا ان نقارب بين نظرة لبشار الى المرأة ،
ونظرة المعري اليها - وكلاهما مكفوف البصر - اربابهما
على طرفي نقيض . فلبشار كان متهاكاً على المرأة ،
جسدا لا يروتو منه ، والمعري يصر انها اداة فساد
وانفساد :

فوارس فتنة اعلام عني لقيتك بالاساور مملعات

وكان ابو العلاء يصب سخطه على الحياة وكرهه لها
على المرأة ، وهو لا يراها تصالح الا اداة تسل .. وما اكراه
النسل الى ابي العلاء ! . ويطلب ان تحمل المرأة الفضول
بدلا من البراع :

فحمل مغازل التسوان اولى بهن من اليراع مملعات
فما سيب على الفتيات لحن اذا قلن المراد مترجعات

ونظرة المعري الى المرأة نظرة سوداء قائمة ، تجلبي
فيها سوء الظن ، والشك الفاضح بسلوكلها وخلفها .
ولسنا في مجال تفصيل نظرة ابي العلاء الى المرأة ولكننا
اردناها مجرد مقارنة خاطفة لنظري شاعرين مكفوفين
اليها : الاول اقبل عليها متهاكاً ، يطلب عندها اللذة
والمتعة ، والثاني التزم جانب الوقار وسوء
الظن ، فجزر نفسه ، وانصرف عنها ، وحذر الناس من
فتنتها ، وفيها وفسادها . الاول كان يحاول ان يبرهن
على قوته ، ويعوض ما فقدته بحاسة البصر بآليات وجوده
وتهاككه على الحياة ، والآخر عظمت عليه كارثة فقد البصر ،

وقد ظلم الشاعران الكبيران المرأة ، وانصرف الى تأملاته وشعره
وفلسفته ، وقال في ذلك :

اراني في الثلاثة من سجوني فلا تسال عن الخير التبيث
للقدي ناطري ولزوم بيتي وكون النفس في الجسم الخبيث

والذي يبدو لنا ان سوء الظن بالمرأة لم يكن من
نصيب المعري وبشار وحدهما ، بل ان معظم المكفوفين
- ان لم نقل كلهم - كانوا يسيئون الظن بها ، ولعل لهم
عذرهم في ذلك . ان فقد البصر يخلق في المكفوف
عقدة ، ويجنبه به الى اليأس والتشاؤم . روي ان رجلا
اعمى تزوج امرأة دميعة فقالت له : رزقت احسن الناس
وانت لا تدري . فيادها قائلا : « واين كان البصراء
عني قبلي ؟ » .

وبعد ... فقد ظلم الشاعران الكبيران المرأة ،
فبشار لم يرها الا جسدا لا روح فيه ، والمعري من خلال
نظراته السوداء الى الحياة ، ارادها ان تغفل جاهلة
مجهولة ، وان تلزم مقر دارها ، لتبقى عضوا اسفل ، بل
ميتورا من المجتمع . والمرأة غير ما ارادها الشاعران ...
انها روح المجتمع ، ومبعث حيويته وحرارته وفعاليته .

عبدالفني المطر

دمشق

تلمس العنصر المشترك او العناظر المشتركة التي تجمعهم معا ، سواء كانت هذه العناصر اجتماعية أم عقلية أم وجدانية مزاجية .

وفي السفر ، عادة ، يتحدث الناس الى بعضهم فيطرقون شتى الوان الحديث ، حتى اذا ما اكتشفوا انفسهم في حقل مشترك ، بدأت اطراف الحديث تشد القلوب والاسماع ، وتجذب النفوس . بل لقد يحدث أحيانا ان الاتجاهات العقلية المشتركة تجذب انيس او اكثر من الجماعة فيتعاضدون ويتألفون ، وفي هذه الحالة ليس من المستبعد ان يتألف البعيدون فيتقاربون . ذلك ان العاطفة الانسانية المتألقة بالفكر والفن والوجدان انما تؤلف بين الافهام الصافية وتوحد بين القلوب النيرة . ورب سائل يسأل : ولماذا في الرحلات ؟ وجوابي ان في الرحلة هناك حركة والحركة مرادفة للحياة ، وعلى قدر طاقة الانسان ، يتحرك فكره او وجدانه ويبدو اتجاهه واضحا ، وكل اناء في حركة الحياة يظهر بمعدنه الاصيل .

وعندما وصلنا ود مدني نزلنا بفندق «الكوتنتنثال» واجدني الان اصيل القاري الكريم الى مذكراتي التي دونتها كما وردت بتواريخها .

٩ - ١٩٦٢ : شرفة الشاي بفندق الكوتنتنثال: اماننا النيل الازرق بمياهه الجارية في سرعة كبيرة . ان المياه قد علت من ذي قبل ، وهي ملأى بالطمس . ان الاشجار على جانبي شاطئه . والنظر الذي اماننا يمثل دوحة كبيرة او الاخرى واحة الافرشي واحة خنتوب حيث اقيمت مدرسة خنتوب الثانوية . اما ما نراه هو في اطار الهدوء والسكون فالطيور تنتقل من شجرة الى اخرى رافعة مناقيرها الى اعلى والعصافير الصغيرة ترحل من فنن الى فنن ، والشمس تظهر حيناً وتغمر المكان بصفحة ذهبية ولا تلبث ان تخفي وراء السحب ، ليخلفها صفحة من الظل الوادع . انني اسمع الزقزقة من اعلى والتفقة من اسفل ، وهذه حشرات هائلة تقبل الزهار الجائمة على النباتات الارضية في حركة مستمرة . وبين الحين والاخر ينهمر من السماء رذاذ خفيف لا يلبث أحيانا ان يشتد ، وحركة الرياح خفيفة رقيقة تهتز لها الافرع والافنان ، كأنما هي دفدغات الام الحانية لطفلها الوحيد ، انني احس ان ما اسمعه وما اراه من اسماع مختلفة ورؤى متفاوتة ، في هذه اللوحة الرائعة ، انما تتناسق معا مع ما احسه في اعماقي . وكاننا يشارك القلب الشاعر ، حركة الطبيعة ، ليصبح جزءا منها . من تلك النفثات الحاملة ، وكأنما كل الياف من هذه الطبيعة يناجي صنوه ليرقص معه رقص الحياة . او كأنما كل عضو من أعضاء الطبيعة ، كل قدر ان يكون في موقف معين من جوة موسيقية ليشد الجميع اغنية واحدة في توقيع متناسق بديع ، وكأنما الانسان ينغمس ان يكون هو



اميل توفيق

صور وانطباعات من رحلتي في السودان

بقلم اميل توفيق

٥ - رحلتي الى ود مدني

عندما رجعت من القاهرة في اواخر ايلول انتقلت الى ود مدني في انتظارى انتدابا للعمل في ود مدني لكي احل محل احد الزملاء المتفنيين .

وفي اوائل سبتمبر كنا ثلاثة رفقاء ناسف معا من بورسودان الى الخرطوم . واستغرقت الرحلة اربعاً وعشرين ساعة . نزلنا بعدها بالفندق الكبير حيث مكثنا ثلاثة ايام ، استكملنا خلالها كل الاجراءات التي تتعلق بالنذب والسفر . وعندما استأنفت الرحلة الى ود مدني راقتني احد الزميلين ، وكان منتدبا لتدريس الجغرافيا بمدرسة البنات الثانوية .

كانت الرحلة قصيرة اذا قورنت بالرحلات الاخرى اذ استغرقت ست ساعات فقط ، استمتعنا خلالها بصحبة بعض الموظفين السودانيين المسافرين الى مهام بعيدة . وقد كانت احاديثهم معنا ممتعة شائعة تناولت بعضاً من قضايا الادب والاجتماع في السودان ، كما مست مشكلة الجنوب ، والقومية السودانية . كما دار الحديث حول ما سنقابل من مشروعات مثل مشروع السكر في الجنديد، ومشروع الجزيرة لزراعة القطن .

وبهذه المناسبة اذكر ان اية جماعة في رحلة من الرحلات ، لا تجد انسجاما او اتلافا او متعة الاحيما

«المابسترو» الذي يقود أعضاء هذه الجوقة المبدعة أو في القليل يريد أن يترجم من وحي قلبه معاني تلك الأغنية الرائعة ليصبح هو المؤلف لهذه السيمفونية الفارقة .

١٣ - ٩ - ١٩٦٢ : فسي المدرسة الثانوية : في وقت مبكر انتهت من الدرس . وخرجت الى الخلا ، فانتقلت من العقليات الى الوجدانيات . ان التأمل الصافي هو الصلة الرفيعة بين العقل والوجدان . المدرسة فسي قلب حديقة . والحديقة في قلب مزرعة كبيرة هائلة . هنا الخضرة والازهار ، والافاق الفسيح . انني احس انطلاقا لطاقة وجدانية تبغي ان تعبر عن ذاتها . انسي اسمها عاطفة الوجود السامي او «ضمير» العاطفة الوجودية او بلغة اسط ذلك الشعور الذي يلهب به انسان يحس الطبيعة في جمالها .. ويشعر عمق الحب في قلبه . انني اذكر طاغور الشاعر الهندي العظيم الذي يربط بين الجمال الذاتي للطبيعة والوظيفة . جمال الزهرة ووظيفتها . الجمال الذي سيفني والوظيفة التي ستترك . لست ادري هل في الوجدان منطق فكري ؟ لكنني اراني وانا اأمل الطبيعة احس بوحدة التفكير الذي يجمع بين العقل والشعور ، بين الحس والعاطفة متزجين متالقين .

هالندا اسير بعيدا عن اسوار المدرسة لاصل الى حقل مترامي الاطراف تحدد معالمه بعض الطرقات والقنوات . وهنا هناك تجد بعض الفلاحين وبعض الحيوان كالبحير والابقار ، وبعض الاشجار التي علت فيها يد الانسان بالقتلاع والحرق . وبين الحين والآخر يهبط رهط من الطيور تشبه الهدهد . ان البصر يمتد فيسبح في خضرة هائلة وقد بللها المطر وكانها هو يد حانية تسمح جبينها حبيا . انني ارى القناة الرئيسية التي تروي ارض الجزيرة تحدها اشجار باسقة تحنو على الافاق وتبدو من بعيد حيث اقف كانما هي ايداء متشابكة متعاونة ، لتقاوم التوائل والمواصف والرعود .

١٨ - ٩ - ١٩٦٢ : ديمت اليوم مع بعض الزملاء في المدرسة المصرية لزيارة «حنتوب» على الشاطئ الشرقي من النيل الازرق . ربنا الزورق البخاري ، وعبرنا النهر ، وقصدنا منزل الاستاذ الداعي حيث تناولنا الشاي في حديقة داره (وهناك منازل معدة لاعضاء هيئة التدريس) ثم اخذنا نتجول في اهباء المدرسة وتحتوي على ملاعب مختلفة وهي تزيد على اثني عشر ملعبا كلها حدائق غناء مخططة ومنسقة ومتشابكة فيها الاشجار والشجيرات عند حدودها بشكل يبهير الابصار .

وقد وجدنا الطلبة (وجلهم داخليون) موزعين على تلك الملاعب (تنس) كرة قدم . كرة سلة . كرة فولي . الخ) ومما تلفت نظر الزائر اول وهلة ذلك الجرس الملق بمدخل المدرسة وله قصة تاريخية . فقد اهداه للمدرسة ناظرها

الانجليزي الاسبق عندما كان يشغل المنصب وقت انشائها قبل استقلال السودان واحسب انه جرس احدى البواخر، عندما كان ذلك الناظر يعمل قبطانا لها (على حد ما زعم الرواة) .

وقد توجهنا بعد رجوعنا الى الشاطئ الغربي الى نادي الجزيرة وهو يعد اهم ناد في المدينة ، وقد ضمت جليستنا بعض الزملاء والزوار ، ومن هؤلاء مفتش قدام من الخرطوم وطبيب مصري ومهندس هندي ، والاخيران قادمان من قرية تبعد حوالي ٥ كيلومترات من ود مدني وهما يعملان في منظمة الصحة العالمية فيشرنان على حل المشكلات الصحية والاجتماعية لتلك البيئة الريفية وخاصة النهوض بصحة الاطفال .

ونادي الجزيرة عبارة عن حديقة Park بداخلها مبنى فخم يشتمل على مطعم ونزل وصالونات وشرفات للجلوس مظلة على النيل . وفي الحديقة بعض الملاعب كالتنس والفولي بول وبعض الالعاب المسلية للاطفال كالمراجيح وغيرها . ومعظم رجال المدينة واسرها تقصد هذا النادي ، وهو قاصر على اعضائه وان كان يستقبل الزوار ايضا .

كانت جلستنا على شرفة تطل مباشرة على النيل وعلى اوجة حنتوب . النيل كان منسوبه عاليا ولكنه اخذ الان في التناقص . تمر من امامنا بعض زوارق الصيد ، وبعض مركب النقل النهري . بعض الانوار تظهر خافتة على الضفة الاخرى - اما انوار النادي فليست جميعها مضادة لقد استمعنا عنها بلاسواء الحمره المتفرقة هنا وهناك وذلك لمقاومة تراكم الحشرات .

على بعد منا توجد شرفة اخرى في مستوى اعلى ، وفيها تجلس بعض العائلات ، واولادهم يجرون ويلعبون . يمثل المجتمع خليطا مصريا سودانيا ، وبدل على ذلك ما تولد به الالسة او تلهج من احاديث او من اغنيات يرددنها الاطفال .

كان حديثنا متشعبا . قالوا عن المدينة ان اساس تسميتها اتماؤها الى الشيخ مدني او ولد مدني الذي عرف بالصلاح والتقوى . اما اهميتها الحديثة فترجع الى انها أصبحت مركزا هاما لمشروع الجزيرة للقطن . ان القناة الرئيسية التي تروي الارض تستمد مياهها من البحيرة الثانية المتكونة خلف خزان سنار في مدينة سنار على بعد ٩ ساعات من مدني تقريبا . وهذا المشروع هو اهم المشروعات الثلاث المائية في السودان : خزان سنار وارض الجزيرة - وخزان خشم القرية وارضى حلفا الجديدة - ومشروع القاش في كسلا . كما ان المدينة تشتهر بصناعة البيرة .

اما الحياة الاجتماعية في المدينة فتتمثلها قطاعات مختلفة . فهناك المجتمع الشعبي الذي يشابه مجتمع ام

حلم

*

حلم رف وطار
وصحا قلبي على زهو النهار
ونجلي طيف اخلاصي على شط الفسيف
راجف الزندين ، محسور الرءاء
اي حلم مسئلة هسر النور وطار
في جنسان طرزت فلا ونسرنا وغار
في بلادتي نهرق الشمس تنوزا من نصار
وكروما من لعار
ونللا من لعار

من بعيد كانت الشمس تموت
في مجاهيل السماء
ومتاهات الفضاء
وعلى اجفانها فجر اخضرار
شع في الافاق صحاو واقتار
ورشاش العطر ندره الرياح
في مروج زاهيات لفها ابهى وشاح
من ورود وزهور وافاح
ورياحين ملاح
اي لحن نام اليوح مثار
يج في حلق الكتار
اتراه ستم الشدو فطار؟؟
هجر العش وطار
لا .. في جنبه جرح مستنار

في ربيع عاش الزهر نصير
كان حسون على شط الفديس
كان بروي للبتاييس حكايا
عن للذات هوايا
وبقول
للحقول
شاعر اقلت من فردوسه
واني هذي الديار
يفزل الاجواء نقدا وسوار
وبقتسي
في ليالي عرسه
للزاهير التثيرة
غشوة ساحرة اللحن مثيره
من اغاني الف ليله
حلم رف وطار
وصحا قلبي على زهو النهار

صالح درويش

دمشق

درمان ويمثله رواد المقاهي الشعبية والنوادي الصغيرة .
اما الصقوة فتتمثل في ندوات نادي الخريجين ، فضلا
عن جلسات نادي الجزيرة الذي يضم ايضا كبار الموظفين
والاجانب على السواء . وهناك المجتمعات الخاصة ،
كمجتمع النادي القبطي ، ومجتمع النادي العربي الذي
يضم هيئة التدريس المصرية ومعظم افراد الجالية . كما
توجد جالية هندية صغيرة ، معظم افرادها من التجار .
ولها مدرسة خاصة بتعليم الاطفال الهنود .

٢٠ - ٩ - ١٩٦٢ : اكتشفت وجود مكتبة البلدية
في مبنى صغير لا يبعد كثيرا عن الفندق . انسى في
المكتبة اشعر بمزيج من الطمانينة والفاخرة العقلية ، بل
ويتوون من الانتماء الفكري الى هؤلاء الذين يقدمون
ابحاثهم في كتبهم . فكم هي متعة جميلة ان تقرا كتابا
عن النيلين فتحي في التاريخ القديم ، وانت تجاور منابع
البيئة النيلية في معاصرة لشعبها الحديث . فان في
ذلك تعميقا للوجدان التاريخي ، وتوسيعا للالفق الثقافي ،
بل وتوثيقا للارتباطات الوطنية . ومع ذلك فانسى في
الفترة اجدني لا استطيع مواصلة القراءة الجادة بقدر ما
اميل الى ان ادرس وان اتعرف على معالم البيئة ،
وخصائص الشعب ، وان استمتع بمباهج الطبيعة الحية .
ان البيئة المحيطة كتاب مفتوح حقيق بالدرس والتأمل .
فسي منتصف الليل ، قامت زوينة كبيرة .

هواة هوائية عاتية . اعقبته عاصفة رعدية ابرقت معها
السحب واشابت بررات كهربية خالقة . لقد تسلسل
الخوف الى نفسي وتوجست من العواقب خاصة وقد
عشت في لحظة قد يرمين بالاندر المدمر لعاصفة من هذا
النوع صغقت بعض الاقار في حقل من الحقول القريبة
من المدينة . ان الطبيعة تغضب ، والانسان يتغفل
بالخوف ، الذي يتقلب في معظم الاحيان الى المقاومة
والنضال والتغلب على قوى الطبيعة الفاضية . لقد مر
العقل الانساني بمراحل عديدة لهذه الموافة ، وقد تاللق
بفعل القرينة لا لكي يهرب فقط او يحتسى ولكن لكي
يقاوم ويخضع الطبيعة بالعلم والحيل العلمية . ومن
العجيب انني اسمع زقزقة الطيور الصغيرة على الاشجار
وسط تلك القوى الهابجة ولكننا هي تحتفي في جيوب
الاغصان في وداعة وايمان ، ترتن اغنيات الطمانينة
والسلام . انني اراني اشارك هذه المخلوقات الوداعة
ايمانها ورجاءها في الحياة . ان الايمان هو الحلقة التي
تجمع بين التقيضين ، اذ يحول غضب الطبيعة الى امن ،
وجبروتها الى اطمئنان ودعة وهدوء .

الايمان يؤلف بين النقااض لان الحياة في نفس
الانسان تبغي الانتصار وليس اسى من انتصار الايمان .
وعندما سكنت الطبيعة ، كانت الشمس قد اشرقت
بنورها ليوم هاديء جديد .

اميل توفيق

شبين الكوم - ع.٢٠٠٣

أوروبا حسب بل في العالم أيضا ، وهي تلك الزويدة التي انقلعت كل المفاهيم الفلسفية القديمة من جذورها وبخاصة ما له صلة بالمرح كنظرية الوحدات الأرسطية ، التي اعتمدها المسرح الأوروبي زمنا قديما حتى جاء شكسبير فثال منها ما نال وارثي منها ما ارتضى . لكن هذا الانقلاع للمفاهيم الفلسفية لم يخل دون بقاء المسرح الكلاسيكي متمتعا ببعض القوة ، على الرغم من انه افصح في المجال واسما امام المسرح البرختي الذي اخذ مكانه الشرعي بعد ولادة طبيعة لا غبار عليها وبعد اراحة كان فيها فصل كبير لبوخز وهابتمان الكاتيبين الالابيين العظيمين .

ان تبة تعريف الإنسان من جديد تبة ثقيلة لا يتحملها كاهل هس ، لكن كاهل بريخت كان من القوة والمنة بعث تحملها وكتابها سلة من ريش . والفصل الأكبر في ذلك يعود الى مفاهيم بريخت الجديدة ، في أصالتها الإنسانية وجديتها الإفادة ، وجهاديتها الفعالة ، وماسكها النظري الرصين ، وواقفيها الإيجابية البائة ، وسلابها التامة من اوزار الطغاة المتكسلة واستنادها الكلي الى المظلمات الطمية والتزامها الاختياري بقضايا الإنسان الحديث الذي واجهه الحرب العالمية الثانية يقبل قد من فولا ، وخرج منها منتصرا بعد ان قدم العدد الهائل من الترايبين الزكية ، وهو يعلم اعاق العلم واوسسه واشمله ، لماذا كانت تلك الحرب ولماذا كانت الحروب بأسرها ضريبة مفروضة عليه ، لا مفر لها منه ، ما دام الذين يملكون لا يزدادون الا غنى بالحروب ، وما دامت القوود البشرية مستعمدة للموت بتأثير الف شعاع وشعاع ، وفي الجهتين المتقابلتين من ساحة القتال الواحدة نفسها .

وهذا العلم حقيقة الحرب هو الذي دفع بيرخت الى ان يكتب مقالة باللاتينية يعلل فيها هذه الحقيقة ولم يكن قد تجاوز الثامنة عشرة من عمره تحت عنوان « ما احلى وما اجمل يعود في سبيل الوطن .. » واذا عرفنا ان بريخت كتب هذه المقالة لتكون بحثا يقدمه للمدرسة الثانوية التي كان يدرس فيها ، وعرفنا ان الحرب الاولى كانت في سنة 1914 / 1918 / 1919 / 1920 / 1921 / 1922 / 1923 / 1924 / 1925 / 1926 / 1927 / 1928 / 1929 / 1930 / 1931 / 1932 / 1933 / 1934 / 1935 / 1936 / 1937 / 1938 / 1939 / 1940 / 1941 / 1942 / 1943 / 1944 / 1945 / 1946 / 1947 / 1948 / 1949 / 1950 / 1951 / 1952 / 1953 / 1954 / 1955 / 1956 / 1957 / 1958 / 1959 / 1960 / 1961 / 1962 / 1963 / 1964 / 1965 / 1966 / 1967 / 1968 / 1969 / 1970 / 1971 / 1972 / 1973 / 1974 / 1975 / 1976 / 1977 / 1978 / 1979 / 1980 / 1981 / 1982 / 1983 / 1984 / 1985 / 1986 / 1987 / 1988 / 1989 / 1990 / 1991 / 1992 / 1993 / 1994 / 1995 / 1996 / 1997 / 1998 / 1999 / 2000 / 2001 / 2002 / 2003 / 2004 / 2005 / 2006 / 2007 / 2008 / 2009 / 2010 / 2011 / 2012 / 2013 / 2014 / 2015 / 2016 / 2017 / 2018 / 2019 / 2020 / 2021 / 2022 / 2023 / 2024 / 2025 / 2026 / 2027 / 2028 / 2029 / 2030 / 2031 / 2032 / 2033 / 2034 / 2035 / 2036 / 2037 / 2038 / 2039 / 2040 / 2041 / 2042 / 2043 / 2044 / 2045 / 2046 / 2047 / 2048 / 2049 / 2050 / 2051 / 2052 / 2053 / 2054 / 2055 / 2056 / 2057 / 2058 / 2059 / 2060 / 2061 / 2062 / 2063 / 2064 / 2065 / 2066 / 2067 / 2068 / 2069 / 2070 / 2071 / 2072 / 2073 / 2074 / 2075 / 2076 / 2077 / 2078 / 2079 / 2080 / 2081 / 2082 / 2083 / 2084 / 2085 / 2086 / 2087 / 2088 / 2089 / 2090 / 2091 / 2092 / 2093 / 2094 / 2095 / 2096 / 2097 / 2098 / 2099 / 2100 / 2101 / 2102 / 2103 / 2104 / 2105 / 2106 / 2107 / 2108 / 2109 / 2110 / 2111 / 2112 / 2113 / 2114 / 2115 / 2116 / 2117 / 2118 / 2119 / 2120 / 2121 / 2122 / 2123 / 2124 / 2125 / 2126 / 2127 / 2128 / 2129 / 2130 / 2131 / 2132 / 2133 / 2134 / 2135 / 2136 / 2137 / 2138 / 2139 / 2140 / 2141 / 2142 / 2143 / 2144 / 2145 / 2146 / 2147 / 2148 / 2149 / 2150 / 2151 / 2152 / 2153 / 2154 / 2155 / 2156 / 2157 / 2158 / 2159 / 2160 / 2161 / 2162 / 2163 / 2164 / 2165 / 2166 / 2167 / 2168 / 2169 / 2170 / 2171 / 2172 / 2173 / 2174 / 2175 / 2176 / 2177 / 2178 / 2179 / 2180 / 2181 / 2182 / 2183 / 2184 / 2185 / 2186 / 2187 / 2188 / 2189 / 2190 / 2191 / 2192 / 2193 / 2194 / 2195 / 2196 / 2197 / 2198 / 2199 / 2200 / 2201 / 2202 / 2203 / 2204 / 2205 / 2206 / 2207 / 2208 / 2209 / 2210 / 2211 / 2212 / 2213 / 2214 / 2215 / 2216 / 2217 / 2218 / 2219 / 2220 / 2221 / 2222 / 2223 / 2224 / 2225 / 2226 / 2227 / 2228 / 2229 / 2230 / 2231 / 2232 / 2233 / 2234 / 2235 / 2236 / 2237 / 2238 / 2239 / 2240 / 2241 / 2242 / 2243 / 2244 / 2245 / 2246 / 2247 / 2248 / 2249 / 2250 / 2251 / 2252 / 2253 / 2254 / 2255 / 2256 / 2257 / 2258 / 2259 / 2260 / 2261 / 2262 / 2263 / 2264 / 2265 / 2266 / 2267 / 2268 / 2269 / 2270 / 2271 / 2272 / 2273 / 2274 / 2275 / 2276 / 2277 / 2278 / 2279 / 2280 / 2281 / 2282 / 2283 / 2284 / 2285 / 2286 / 2287 / 2288 / 2289 / 2290 / 2291 / 2292 / 2293 / 2294 / 2295 / 2296 / 2297 / 2298 / 2299 / 2300 / 2301 / 2302 / 2303 / 2304 / 2305 / 2306 / 2307 / 2308 / 2309 / 2310 / 2311 / 2312 / 2313 / 2314 / 2315 / 2316 / 2317 / 2318 / 2319 / 2320 / 2321 / 2322 / 2323 / 2324 / 2325 / 2326 / 2327 / 2328 / 2329 / 2330 / 2331 / 2332 / 2333 / 2334 / 2335 / 2336 / 2337 / 2338 / 2339 / 2340 / 2341 / 2342 / 2343 / 2344 / 2345 / 2346 / 2347 / 2348 / 2349 / 2350 / 2351 / 2352 / 2353 / 2354 / 2355 / 2356 / 2357 / 2358 / 2359 / 2360 / 2361 / 2362 / 2363 / 2364 / 2365 / 2366 / 2367 / 2368 / 2369 / 2370 / 2371 / 2372 / 2373 / 2374 / 2375 / 2376 / 2377 / 2378 / 2379 / 2380 / 2381 / 2382 / 2383 / 2384 / 2385 / 2386 / 2387 / 2388 / 2389 / 2390 / 2391 / 2392 / 2393 / 2394 / 2395 / 2396 / 2397 / 2398 / 2399 / 2400 / 2401 / 2402 / 2403 / 2404 / 2405 / 2406 / 2407 / 2408 / 2409 / 2410 / 2411 / 2412 / 2413 / 2414 / 2415 / 2416 / 2417 / 2418 / 2419 / 2420 / 2421 / 2422 / 2423 / 2424 / 2425 / 2426 / 2427 / 2428 / 2429 / 2430 / 2431 / 2432 / 2433 / 2434 / 2435 / 2436 / 2437 / 2438 / 2439 / 2440 / 2441 / 2442 / 2443 / 2444 / 2445 / 2446 / 2447 / 2448 / 2449 / 2450 / 2451 / 2452 / 2453 / 2454 / 2455 / 2456 / 2457 / 2458 / 2459 / 2460 / 2461 / 2462 / 2463 / 2464 / 2465 / 2466 / 2467 / 2468 / 2469 / 2470 / 2471 / 2472 / 2473 / 2474 / 2475 / 2476 / 2477 / 2478 / 2479 / 2480 / 2481 / 2482 / 2483 / 2484 / 2485 / 2486 / 2487 / 2488 / 2489 / 2490 / 2491 / 2492 / 2493 / 2494 / 2495 / 2496 / 2497 / 2498 / 2499 / 2500 / 2501 / 2502 / 2503 / 2504 / 2505 / 2506 / 2507 / 2508 / 2509 / 2510 / 2511 / 2512 / 2513 / 2514 / 2515 / 2516 / 2517 / 2518 / 2519 / 2520 / 2521 / 2522 / 2523 / 2524 / 2525 / 2526 / 2527 / 2528 / 2529 / 2530 / 2531 / 2532 / 2533 / 2534 / 2535 / 2536 / 2537 / 2538 / 2539 / 2540 / 2541 / 2542 / 2543 / 2544 / 2545 / 2546 / 2547 / 2548 / 2549 / 2550 / 2551 / 2552 / 2553 / 2554 / 2555 / 2556 / 2557 / 2558 / 2559 / 2560 / 2561 / 2562 / 2563 / 2564 / 2565 / 2566 / 2567 / 2568 / 2569 / 2570 / 2571 / 2572 / 2573 / 2574 / 2575 / 2576 / 2577 / 2578 / 2579 / 2580 / 2581 / 2582 / 2583 / 2584 / 2585 / 2586 / 2587 / 2588 / 2589 / 2590 / 2591 / 2592 / 2593 / 2594 / 2595 / 2596 / 2597 / 2598 / 2599 / 2600 / 2601 / 2602 / 2603 / 2604 / 2605 / 2606 / 2607 / 2608 / 2609 / 2610 / 2611 / 2612 / 2613 / 2614 / 2615 / 2616 / 2617 / 2618 / 2619 / 2620 / 2621 / 2622 / 2623 / 2624 / 2625 / 2626 / 2627 / 2628 / 2629 / 2630 / 2631 / 2632 / 2633 / 2634 / 2635 / 2636 / 2637 / 2638 / 2639 / 2640 / 2641 / 2642 / 2643 / 2644 / 2645 / 2646 / 2647 / 2648 / 2649 / 2650 / 2651 / 2652 / 2653 / 2654 / 2655 / 2656 / 2657 / 2658 / 2659 / 2660 / 2661 / 2662 / 2663 / 2664 / 2665 / 2666 / 2667 / 2668 / 2669 / 2670 / 2671 / 2672 / 2673 / 2674 / 2675 / 2676 / 2677 / 2678 / 2679 / 2680 / 2681 / 2682 / 2683 / 2684 / 2685 / 2686 / 2687 / 2688 / 2689 / 2690 / 2691 / 2692 / 2693 / 2694 / 2695 / 2696 / 2697 / 2698 / 2699 / 2700 / 2701 / 2702 / 2703 / 2704 / 2705 / 2706 / 2707 / 2708 / 2709 / 2710 / 2711 / 2712 / 2713 / 2714 / 2715 / 2716 / 2717 / 2718 / 2719 / 2720 / 2721 / 2722 / 2723 / 2724 / 2725 / 2726 / 2727 / 2728 / 2729 / 2730 / 2731 / 2732 / 2733 / 2734 / 2735 / 2736 / 2737 / 2738 / 2739 / 2740 / 2741 / 2742 / 2743 / 2744 / 2745 / 2746 / 2747 / 2748 / 2749 / 2750 / 2751 / 2752 / 2753 / 2754 / 2755 / 2756 / 2757 / 2758 / 2759 / 2760 / 2761 / 2762 / 2763 / 2764 / 2765 / 2766 / 2767 / 2768 / 2769 / 2770 / 2771 / 2772 / 2773 / 2774 / 2775 / 2776 / 2777 / 2778 / 2779 / 2780 / 2781 / 2782 / 2783 / 2784 / 2785 / 2786 / 2787 / 2788 / 2789 / 2790 / 2791 / 2792 / 2793 / 2794 / 2795 / 2796 / 2797 / 2798 / 2799 / 2800 / 2801 / 2802 / 2803 / 2804 / 2805 / 2806 / 2807 / 2808 / 2809 / 2810 / 2811 / 2812 / 2813 / 2814 / 2815 / 2816 / 2817 / 2818 / 2819 / 2820 / 2821 / 2822 / 2823 / 2824 / 2825 / 2826 / 2827 / 2828 / 2829 / 2830 / 2831 / 2832 / 2833 / 2834 / 2835 / 2836 / 2837 / 2838 / 2839 / 2840 / 2841 / 2842 / 2843 / 2844 / 2845 / 2846 / 2847 / 2848 / 2849 / 2850 / 2851 / 2852 / 2853 / 2854 / 2855 / 2856 / 2857 / 2858 / 2859 / 2860 / 2861 / 2862 / 2863 / 2864 / 2865 / 2866 / 2867 / 2868 / 2869 / 2870 / 2871 / 2872 / 2873 / 2874 / 2875 / 2876 / 2877 / 2878 / 2879 / 2880 / 2881 / 2882 / 2883 / 2884 / 2885 / 2886 / 2887 / 2888 / 2889 / 2890 / 2891 / 2892 / 2893 / 2894 / 2895 / 2896 / 2897 / 2898 / 2899 / 2900 / 2901 / 2902 / 2903 / 2904 / 2905 / 2906 / 2907 / 2908 / 2909 / 2910 / 2911 / 2912 / 2913 / 2914 / 2915 / 2916 / 2917 / 2918 / 2919 / 2920 / 2921 / 2922 / 2923 / 2924 / 2925 / 2926 / 2927 / 2928 / 2929 / 2930 / 2931 / 2932 / 2933 / 2934 / 2935 / 2936 / 2937 / 2938 / 2939 / 2940 / 2941 / 2942 / 2943 / 2944 / 2945 / 2946 / 2947 / 2948 / 2949 / 2950 / 2951 / 2952 / 2953 / 2954 / 2955 / 2956 / 2957 / 2958 / 2959 / 2960 / 2961 / 2962 / 2963 / 2964 / 2965 / 2966 / 2967 / 2968 / 2969 / 2970 / 2971 / 2972 / 2973 / 2974 / 2975 / 2976 / 2977 / 2978 / 2979 / 2980 / 2981 / 2982 / 2983 / 2984 / 2985 / 2986 / 2987 / 2988 / 2989 / 2990 / 2991 / 2992 / 2993 / 2994 / 2995 / 2996 / 2997 / 2998 / 2999 / 3000 / 3001 / 3002 / 3003 / 3004 / 3005 / 3006 / 3007 / 3008 / 3009 / 3010 / 3011 / 3012 / 3013 / 3014 / 3015 / 3016 / 3017 / 3018 / 3019 / 3020 / 3021 / 3022 / 3023 / 3024 / 3025 / 3026 / 3027 / 3028 / 3029 / 3030 / 3031 / 3032 / 3033 / 3034 / 3035 / 3036 / 3037 / 3038 / 3039 / 3040 / 3041 / 3042 / 3043 / 3044 / 3045 / 3046 / 3047 / 3048 / 3049 / 3050 / 3051 / 3052 / 3053 / 3054 / 3055 / 3056 / 3057 / 3058 / 3059 / 3060 / 3061 / 3062 / 3063 / 3064 / 3065 / 3066 / 3067 / 3068 / 3069 / 3070 / 3071 / 3072 / 3073 / 3074 / 3075 / 3076 / 3077 / 3078 / 3079 / 3080 / 3081 / 3082 / 3083 / 3084 / 3085 / 3086 / 3087 / 3088 / 3089 / 3090 / 3091 / 3092 / 3093 / 3094 / 3095 / 3096 / 3097 / 3098 / 3099 / 3100 / 3101 / 3102 / 3103 / 3104 / 3105 / 3106 / 3107 / 3108 / 3109 / 3110 / 3111 / 3112 / 3113 / 3114 / 3115 / 3116 / 3117 / 3118 / 3119 / 3120 / 3121 / 3122 / 3123 / 3124 / 3125 / 3126 / 3127 / 3128 / 3129 / 3130 / 3131 / 3132 / 3133 / 3134 / 3135 / 3136 / 3137 / 3138 / 3139 / 3140 / 3141 / 3142 / 3143 / 3144 / 3145 / 3146 / 3147 / 3148 / 3149 / 3150 / 3151 / 3152 / 3153 / 3154 / 3155 / 3156 / 3157 / 3158 / 3159 / 3160 / 3161 / 3162 / 3163 / 3164 / 3165 / 3166 / 3167 / 3168 / 3169 / 3170 / 3171 / 3172 / 3173 / 3174 / 3175 / 3176 / 3177 / 3178 / 3179 / 3180 / 3181 / 3182 / 3183 / 3184 / 3185 / 3186 / 3187 / 3188 / 3189 / 3190 / 3191 / 3192 / 3193 / 3194 / 3195 / 3196 / 3197 / 3198 / 3199 / 3200 / 3201 / 3202 / 3203 / 3204 / 3205 / 3206 / 3207 / 3208 / 3209 / 3210 / 3211 / 3212 / 3213 / 3214 / 3215 / 3216 / 3217 / 3218 / 3219 / 3220 / 3221 / 3222 / 3223 / 3224 / 3225 / 3226 / 3227 / 3228 / 3229 / 3230 / 3231 / 3232 / 3233 / 3234 / 3235 / 3236 / 3237 / 3238 / 3239 / 3240 / 3241 / 3242 / 3243 / 3244 / 3245 / 3246 / 3247 / 3248 / 3249 / 3250 / 3251 / 3252 / 3253 / 3254 / 3255 / 3256 / 3257 / 3258 / 3259 / 3260 / 3261 / 3262 / 3263 / 3264 / 3265 / 3266 / 3267 / 3268 / 3269 / 3270 / 3271 / 3272 / 3273 / 3274 / 3275 / 3276 / 3277 / 3278 / 3279 / 3280 / 3281 / 3282 / 3283 / 3284 / 3285 / 3286 / 3287 / 3288 / 3289 / 3290 / 3291 / 3292 / 3293 / 3294 / 3295 / 3296 / 3297 / 3298 / 3299 / 3300 / 3301 / 3302 / 3303 / 3304 / 3305 / 3306 / 3307 / 3308 / 3309 / 3310 / 3311 / 3312 / 3313 / 3314 / 3315 / 3316 / 3317 / 3318 / 3319 / 3320 / 3321 / 3322 / 3323 / 3324 / 3325 / 3326 / 3327 / 3328 / 3329 / 3330 / 3331 / 3332 / 3333 / 3334 / 3335 / 3336 / 3337 / 3338 / 3339 / 3340 / 3341 / 3342 / 3343 / 3344 / 3345 / 3346 / 3347 / 3348 / 3349 / 3350 / 3351 / 3352 / 3353 / 3354 / 3355 / 3356 / 3357 / 3358 / 3359 / 3360 / 3361 / 3362 / 3363 / 3364 / 3365 / 3366 / 3367 / 3368 / 3369 / 3370 / 3371 / 3372 / 3373 / 3374 / 3375 / 3376 / 3377 / 3378 / 3379 / 3380 / 3381 / 3382 / 3383 / 3384 / 3385 / 3386 / 3387 / 3388 / 3389 / 3390 / 3391 / 3392 / 3393 / 3394 / 3395 / 3396 / 3397 / 3398 / 3399 / 3400 / 3401 / 3402 / 3403 / 3404 / 3405 / 3406 / 3407 / 3408 / 3409 / 3410 / 3411 / 3412 / 3413 / 3414 / 3415 / 3416 / 3417 / 3418 / 3419 / 3420 / 3421 / 3422 / 3423 / 3424 / 3425 / 3426 / 3427 / 3428 / 3429 / 3430 / 3431 / 3432 / 3433 / 3434 / 3435 / 3436 / 3437 / 3438 / 3439 / 3440 / 3441 / 3442 / 3443 / 3444 / 3445 / 3446 / 3447 / 3448 / 3449 / 3450 / 3451 / 3452 / 3453 / 3454 / 3455 / 3456 / 3457 / 3458 / 3459 / 3460 / 3461 / 3462 / 3463 / 3464 / 3465 / 3466 / 3467 / 3468 / 3469 / 3470 / 3471 / 3472 / 3473 / 3474 / 3475 / 3476 / 3477 / 3478 / 3479 / 3480 / 3481 / 3482 / 3483 / 3484 / 3485 / 3486 / 3487 / 3488 / 3489 / 3490 / 3491 / 3492 / 3493 / 3494 / 3495 / 3496 / 3497 / 3498 / 3499 / 3500 / 3501 / 3502 / 3503 / 3504 / 3505 / 3506 / 3507 / 3508 / 3509 / 3510 / 3511 / 3512 / 3513 / 3514 / 3515 / 3516 / 3517 / 3518 / 3519 / 3520 / 3521 / 3522 / 3523 / 3524 / 3525 / 3526 / 3527 / 3528 / 3529 / 3530 / 3531 / 3532 / 3533 / 3534 / 3535 / 3536 / 3537 / 3538 / 3539 / 3540 / 3541 / 3542 / 3543 / 3544 / 3545 / 3546 / 3547 / 3548 / 3549 / 3550 / 3551 / 3552 / 3553 / 3554 / 3555 / 3556 / 3557 / 3558 / 3559 / 3560 / 3561 / 3562 / 3563 / 3564 / 3565 / 3566 / 3567 / 3568 / 3569 / 3570 / 3571 / 3572 / 3573 / 3574 / 3575 / 3576 / 3577 / 3578 / 3579 / 3580 / 3581 / 3582 / 3583 / 3584 / 3585 / 3586 / 3587 / 3588 / 3589 / 3590 / 3591 / 3592 / 3593 / 3594 / 3595 / 3596 / 3597 / 3598 / 3599 / 3600 / 3601 / 3602 / 3603 / 3604 / 3605 / 3606 / 3607 / 3608 / 3609 / 3610 / 3611 / 3612 / 3613 / 3614 / 3615 / 3616 / 3617 / 3618 / 3619 / 3620 / 3621 / 3622 / 3623 / 3624 / 3625 / 3626 / 3627 / 3628 / 3629 / 3630 / 3631 / 3632 / 3633 / 3634 / 3635 / 3636 / 3637 / 3638 / 3639 / 3640 / 3641 / 3642 / 3643 / 3644 / 3645 / 3646 / 3647 / 3648 / 3649 / 3650 / 3651 / 3652 / 3653 / 3654 / 3655 / 3656 / 3657 / 3658 / 3659 / 3660 / 3661 / 3662 / 3663 / 3664 / 3665 / 3666 / 3667 / 3668 / 3669 / 3670 / 3671 / 3672 / 3673 / 3674 / 3675 / 3676 / 3677 / 3678 / 3679 / 3680 / 3681 / 3682 / 3683 / 3684 / 3685 / 3686 / 3687 / 3688 / 3689 / 3690 / 3691 / 3692 / 3693 / 3694 / 3695 / 3696 / 3697 / 3698 / 3699 / 3700 / 3701 / 3702 / 3703 / 3704 / 3705 / 3706 / 3707 / 3708 / 3709 / 3710 / 3711 / 3712 / 3713 / 3714 / 3715 / 3716 / 3717 / 3718 / 3719 / 3720 / 3721 / 3722 / 3723 / 3724 / 3725 / 3726 / 3727 / 3728 / 3729 / 3730 / 3731 / 3732 / 3733 / 3734 / 3735 / 3736 / 3737 / 3738 / 3739 / 3740 / 3741 / 3742 / 3743 / 3744 / 3745 / 3746 / 3747 / 3748 / 3749 / 3750 / 3751 / 3752 / 3753 / 3754 / 3755 / 3756 / 3757 / 3758 / 3759 / 3760 / 3761 / 3762 / 3763 / 3764 / 3765 / 3766 / 3767 / 3768 / 3769 / 3770 / 3771 / 3772 / 3773 / 3774 / 3775 / 3776 / 3777 / 3778 / 3779 / 3780 / 3781 / 3782 / 3783 / 3784 / 3785 / 3786 / 3787 / 3788 / 3789 / 3790 / 3791 / 3792 / 3793 / 3794 / 3795 / 3796 / 3797 / 3798 / 3799 / 3800 / 3801 / 3802 / 3803 / 3804 / 3805 / 3806 / 3807 / 3808 / 3809 / 3810 / 3811 / 3812 / 3813 / 3814 / 3815 / 3816 / 3817 / 3818 / 3819 / 3820 / 3821 / 3822 / 3823 / 3824 / 3825 / 3826 / 3827 / 3828 / 3829 / 3830 / 3831 / 3832 / 3833 / 3834 / 3835 / 3836 / 3837 / 3838 / 3839 / 3840 / 3841 / 3842 / 3843 / 3844 / 3845 / 3846 / 3847 / 3848 / 3849 / 3850 / 3851 / 3852 / 3853 / 3854 / 3855 / 3856 / 3857 / 3858 / 3859 / 3860 / 3861 / 3862 / 3863 / 3864 / 3865 / 3866 / 3867 / 3868 / 3869 / 3870 / 3871 / 3872 / 3873 / 3874 / 3875 / 3876 / 3877 / 3878 / 3879 / 3880 / 3881 /

استرعت اجري من السوق ووفت على شاطئ التبير ساعات عديدة ، حيث كانوا يفرغونها .

وفي المساء ، كانت السفن كلها خاوية ، ولم يظهر ولدي على سطحها .

وإذ كانت الرياح نهب في الميناء اصابتني الحمى بالليل .

وفي رعدة الحمى رحت ابحث عن ولدي .

كلما اوفت في البحث تجهدت اعصابي .

وعندما مت ، جئت الى هنا في مملكة الظلال ، ورحت اواصل البحث عنه .

ناديت عليه : يا فاير ، فكلذك كان اسمه .

فاير ، يا ولدي فاير ، يا من حملته وربيته ، يا ولدي فاير . ورحت اجري واجري بين الظلال ، وأنا اتادي في فاير .

ان هذا الانتقال السريع من عالم الواقع الى عالم الظلال ، بل هذه الفترة من الحياة الى الموت ، لم تكن لتمي وبهذه السرعة الخاطفة لولا الحنين القاهر ، حنين الام الى عزيزها الفقد ، ويتجلى ذلك جلالا بلوريا في ترويد الام لاسم ابنتها خمس مرات في ثلاث جمل كاملات كانت (الوثنة) الجنائزية المنجية تردد لحنها مغموسا في من ساخن طري .

والافرح من ذلك والافرح منه ، ان الام لم تذكر اسم ابنتها في الحياة الدنيا ، لكنها ذكرته مرارا وتكرارا في عالم الخلود ، وجعلته لازمة من لازمات وجودها في ذلك العالم . وحين يذكرها بواب مسكر شعاعا الحرب قاتلا : « ابنتا المعجوز ! هنا كثيرون اسمهم فاسر ... غير انهم نسوا اسماعهم فلم يكن لهم من فائدة الا ان يرصوا في صفوف الجيش . وهم لا يريدون ان يلتقوا بامهاتهم منذ ان تركتهم للحرب الدامية . » حين يذكرها البواب بهذه الحقائق الناصبة والادلة الدامغة على نكاح الامهات تجيبه الام .. بتسنى منقطع وروح متزعزعة ويصوت اجش مهوود وفي اصراور وعناد والدفاع قائلة : « فاير ، يا ولدي فاير ، يا من حملته وربيته ، يا ولدي فاير ، يا من حملته في الذروة من الحيان الرفع ، من الحزن العميق المتطير ابي ولوعة . هذه هي شخصية الام متجسدة تجسدا حيا في فلذة كبدها . وبعد ان ينقطع نفسها وينتهي جيلها وينتهي الحجاب من ساحة الشواء والدمدم ، وتزى الفناء امر متحنا تعود امرجة الى جادة الواقع الخاوي في صمت مرى وسكون فاجع اذ ان رغبتها في لقاء ولدها قد ذهبت ادراج الرياح الهوج في مملكة الظلال . وحينما ينظر فاسي الموتى في عيني الام (الحطلة) يرد على كولكوس ردا مغمضا ، لا استئناف فيه ولا تمسح

(٢) قائلا :

«فاسي الموتى : المحكمة ترى ان ام الشهيد تعرف الحرب . »

وعكذا يسدل الستار على هذا المشهد بانتصار الحق على الباطل والامومة على الحرب والغراب ولو في مملكة الظلال . انا غيرة الامومة فتتملأ جروشها بقلعة « دائرة الطابيري التوقاوية » خير نغمة ، لانها ببساطتها وسذاجتها ونسائيتها واهميتها تحملنا حلا على مشاركتها وجدانيا والتعاطف معها بصورة ايجابية ، وتناجيه جولتها الطويلة مع طفل ليس اينها بل ابن سينها التي فرت وتركته بعد ان نكسسه لانها في استخلاص فاسيتها وقرائها التبيدية والبفسجيصة واللاوردية ، والفرار بها من غصبة التوار الذين اخذوا يقرعون من قعر زوجه الحاكم . وهذا ما اثار تعليق احدي الصيغيات : « لقد تركته هنا ؟ ابنتها ميخائيل الذي كانت تحشى عليه دائما من تيارات الهواد ... » (٣) .

وليس من ريب ان برىخت ، تمكن ، وهو الاستاذ البار ، من ان يصنع اثارا هذه الغزيرة الفائرة الرامة نداء الطفولة البرينة التي تسو بهذه الغزيرة الانسانية الى اعلى عليين ، فتكون بمثابة قمر من المعان تحيط به هالة من البراءة الشائقة ، وهل احلى وادوع واجمل من هذه البراءة الناطقة بالمعالي الساحرة والدلالات الصافية الدلرى ، الهواد ... » (٤) .

وليس من ريب ان برىخت ، تمكن ، وهو الاستاذ البار ، من ان يصنع اثارا هذه الغزيرة الفائرة الرامة نداء الطفولة البرينة التي تسو بهذه الغزيرة الانسانية الى اعلى عليين ، فتكون بمثابة قمر من المعان تحيط به هالة من البراءة الشائقة ، وهل احلى وادوع واجمل من هذه البراءة الناطقة بالمعالي الساحرة والدلالات الصافية الدلرى ،

ومعالم الاطراف في مسارها العميقة الاغوار من هذا الذي نسمع . فلنسمع الى المفتي وهو يومئ وبشير يزوي الحكاية :

«المفتي : ولما كانت واقفة هناك بين الابيين ، سمعت واخيل اليها انها سمعت نداء بصوت خفيض . ناداها الطفل ، لا عن وعي ، بسبل بذكاء ، او هكذا بدا لها . قال لها : « ابنتا المرأة ، ساعديني » .

وقال ايضا وهو لا يهذي ، بل عن ذكاء : «اطمئي يا امرأة ان من يتجاهل نداء استغاثة ويمسي باند صماء ، فانه لن يسمع ابدا همس الماشق وهو يدعوه ولا صوت الظفا في الصباح الباكر ، ولا زفرة السعادة من الكرامين المتكهين حينما يدق ناقوس الاصيل . »

وبعد ذلك انقاد الاقدس الى عمل الخير وانتشار الطفولة الحلوة الرائقة البراءة ، وبعد ان تلف جروشها حائرة بين ان تسلم الطفل ونفر به وبين ان نفر بجلدها وهي الخفيفة الحمل ، السعدة التي تسابق الفزلا في جريها وفي لطفها وحسن منظرها وجعلها فسماها ورشاقة فوها . بعد هذا كله وجدنا المفتي يصوت جد مرتفع : « المفتي : ان الاغراء على الخير رقيب .. بقيت طويلا جالسة بالقرن في الطفل في المساء وطوال الليل وعند الفجر ... وحينما اقبل الصبح كان الاغراء اشد قوة .

هناك نهضت وانحنيت وبزفرة اخذت الطفل وعلقت به ..

لقد حملته كأنه غنيمة ، واخفقت به كأنها سارقة . »

واذن لقد فر قرارها واستقر رايها على المضي بالطفل الى جبال الشمال كن «كيف السبيل الى الفرار وخلفها عدو الكلاب يتبعون وينفون لها الشراة ؟ » اي نعم ، كيف السبيل والطريق طويلة بوحشة مرعبة والكلاب على هذه الكثرة الكثيرة وبأيديهم الشراة ينصبونها هنا وهناك . وفي هذه الطريق الطويلة تصادف جروشها احد الفلاحين الميائل فطلب لناه لبنا لانها لاه فلووس ، وبعد اخذ ورد وصامونه ملاحية معروقة ببخلها وشعها تحصل جروشها على الحليب اللازم لمباع باعلى وهذا ما جعلها تحدث طفلها بقولها : «جروشة .. (وهي تعني الطفل اللبن) هذه لدة تملك كثيرا .

انظر يا ميخائيل ، لا بد لي من العمل لثلاثة ايام لكي اكسب هذا المبلغ . ان الناس هنا يقولون اننا كسينا نقودنا من الهواد . ميخائيل ، ميخائيل ، اكلت اخذك ، اخذت عينا قليلا . » وهذا الصبي يسزداد فداحة كلما اوفت جروشها في الهرب حتى (نقل عليها الهروب ، وبدا الطفل المسكين تقيلا) وبخاصة اذا عرفنا ان جروشها لم تتدق (هم النوم) الى حد ان التصادم المرح لجرادال اللين في المزرعة التسي تصاعدها الدخان كان يرن في اذن الهارب رنين التهديد . هكذا كانت اول ليلة ، رعب يقق الاناس ، ولحق تواصل يمزق الاعباب ،

وسواس شيطانية تترافق من هذه الناحية الى تلك تشير وتؤمسي وتقهقه ساخرة مزعجة مهددة وجروشها تدزع الطريق بسبده ، وكودة وتمضي في سبيلها غير آبهة او ممترة الى ان تجد في احدي النقرى بابا مفتوحة وفلاحة يبدو انها ام بجوارها فتسرع اليها متوسلة ان تعينها وتخلصها من عيبتها التي نادت به وبترمت منه ، ويمنها في معارضة من سلة الفلاحة ، وقد وضعت اولك في سلة وراء الباب ، اذ اقبل الجند وعلى راسهم عريف ، ما اسرع ان تعرف بالولك من تيابه الفاخرة ، ففرح بصيده المسم وجازته الثمينة واخذ بنقل جروشها غزلا سحيا ، الا ان جروشها سرعان ما باغتته بسمية قوية على ام راسه واستولت الطفل من سلة وشرها هاربة في سباق الريع في سرعته ، وبعد مسيرة اكثر من عشرين يوما وصلت الى العبارة المتهترة التي تحاذي سفح جبل نيجا . تاو المفتي بالتلج حيث نبتت جروشها فاشتاذي الطفل وفات : « ما دام لا يريد احد ان ياكله فينبغي اني اأكله . وما دام لا حيلة لك في ذلك لا يفتني عليك ان تتحلطني . لقد جردك طويلا معي ، ولعمري اصابعها العفا ، ولان اللبن كان غالي الثمن ، اصبغت عزيضا عندي . »

كان اناس كثيرون متجمعين في الجانب الغربي من عبارة التلوج وكانت الهوة الفاصلة بين الشاطئين عميقة عمقا مخيلا والحبل مهترنا لا يكاد يحمل نفسه والخشب منحورا لعب به السوس ما شاء له اللعب لكن جروش اصرت على الصبور وقالت : « لكن يجب علي ان اغير اتسا والطفل الى الجانب الآخر لأزود أخي » وبعد ان افهمت هؤلاء الناس انها مطاردة ، حاول أحد الرجال الواقفين اقناعها بقوله :

« الرجل الاول : لن نستطيعي ... غامري بحياتك ان شئت ، لكن لا تقامري ب حياة الطفل ... »
وزاد الرجل الثاني قائلا : « ثم انها بالطفل ستكون اقل . »
ثم جاءت التاجرة تؤيد الرجلين وتقول : « ربما كان من القرودي ان تعير . اعطيني الطفل وأنا اخبئه واصري وحده . »
وهنا قالت جروش : « اما هذا ، فلا . لا واحد منا يغير الآخر. »
واردفت تناجي طفلها قائلة :

« ما اعقب الهابة يا بني ، وما أشد نهم العبارة ، لكننا لا نختار طريقنا يا بني . لا بد لك ان تسير في الطريق الذي وجدته لك ، ناك الذي الخبز الذي حياته لك »

واذن لا خيار ، هذه هذه العبارة وهما هما العابران اللذان كتبنا عليهما ان يغلا ما هما فاعلان . ان غريزة الامومة اقوى من الكاره والمخاطر ، والهينات من الامور امور سيريات ، اذ لا تتجلى جلائل الاعمال الا في الخطوب المدهلمات . وبهذه العزيمة القويضة استطاعت جروش ان تصبر بحملها الثقيل الخفيف ، واستطاعت ان تظلم وراها مطاردة وان نهزأ بهم من الشاطئ الذي وطانه قدمها الحافيات . غير ان الريح اصبحت كانت تروح وتقول وتصرخ في عواد متصل . وهنا للاحتام اوصال قوتها واشتدت عزيمتها ونعزت شكيبتها حتى لم تستطع الا ان تخاطب ابنها مشجعة حاثية حادبة :

« جروش : ... يجب ان نخاف من الريح يا ميخائيل ، انها هي الاخرى لا نفل اكثر من تدفع السحاب ، ونفاسي هي الريح . انها مجرد كلب مسكين . »

الريح العاصفة الهادرة ، القوة الطبيعية المروعة التي تقطع الوي الشجيرات ليست سوى (مجرد كلب مسكين) ارايت اقوى من هذه الكلمات الثلاثة في التعبير عن وهن الطبيعة بجيروتها ، وعن ظفمة الانسان على ضعفه وفلة حيلته ، ولا سيما اذ كان هذا الانسان امرأة اعضها التعب والقلق والرب والفرقة الواجس ؟ لكن هذا هو الواقع ، هذه هي الظفمة ، ظفمة غريزة الامومة الجبارة التي نفل الحديد وتذيب الحديد وتصنع الريح ، ونمضي قدما في اداء رسالتها المقدسة . وهذا ما يجعلها على معاودة مناجاة الطفل قائلة : « جروش : والتج يسا ميخائيل ليس اسوأ شيء ، كل ما يفعله هو ان يغطي شجيرات العنوبر حتى لا يفتقها الشتاء » . ثم تذكر اصل الطفل واصلها فتفني له على رسلها :

« ابوك لص . وامك عاهرة . وامامك سينحتني اشرف الناس . ان ولد النمر يعلف الانهار . وولد الحية (الصل) يعمل اللبن الى الاموات »
وبهذه الاغنية الساحرة مرة ، تصنع جروش التقاط على الحروف ، وتعري المجتمع تعرية فاضحة ، اذ تصنع براوة الطفولة ازاء رياء المجتمع وهجارة التحكم وبسالة امتصاص دماء الناس وسرقة انماهم وافسادهم

- (1) محاكاة لوكولوس ، ترجمة الدكتور عبد الغفار مكاي . (2)
- الحكمة المدينة الرومانية . (3) في المصطلح العراقي محكمة التمييز هي أعلى سلطة قضائية في البلد وهي تشبه محكمة النقض والايام العربية . (4) اتمعتنا في ايراد الشواهد على ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوي . (5) وودت في الاصل كلمة شد ، ي.ع. ثروة . (6) اجريت هنا تغييرا طفيفا ، ي.ع. ثروة .

والاستعلاء عليهم والاخذ بتواصي اشراهم ورفع شان اراذلهم . اصبا الاطفال فهم ابرياء حتى ولد النمر وحتى الصل ، انهما بريهان من الشر الا اذا تعلمنا من والديهما ، وعندئذ يتقلب ولد النمر نمرًا ، وحشنا قتالا ويتقلب الصل الغواتا بنت سما مبيدا .

وبعد مسيرة سبعة ايام آخر ، وسط التلوج والزوايع الثلجية تصل جروش الى بيت اخيها وعلى كتفها حملها الذي نالت بكلته على خفته ، وبعد مراسيم التقديس المعروفة بآيام بيت الصفيته الى قلب زوج اخيها فاختدتها لسبيل من الكلم الجارح حاطة من قدرها ، مشيرة الى الطفل باصبع الانهام . فنفرت جروش مما سمعت وراة ، لكنها تكلمت فيها وتماكلت نفسها خشية ان يصيب النذل سوء ، وسرعان ما لجأت الى مناجاة طفلها كي تستلم منه الصبر على الكروه ، فقالت : « يا ميخائيل ! يجب ان تكون مكرين . لو تصافرنا وحدنا مثل الخنافس ، فان زوجة الاخ تستنسى اننا في بيتها . وحيتئذ نستطيع ان نبقي نحن تدوب التلوج . ولا بد بسبب البرد . حينما يكون اراء فقيرا ، وفوق ذلك يشعر بالبرد ، لهذا يثير الكراهية . »

ثم يربط أخوها حيلة اذ يعقد قراها على فلاح (يتحضر) وهنا تلعب ام الفلاح دور السمسمار لانها تقبض مبلغا كبيرا من المال من اخيها ولكن الفلاح (يسوب) بدلا من ان يدج الى الفوت يعود الى الحياة ، واذا به زوج جروش الشرعي ، على حين كان حبيبها (سيمون) يعاني الامرين بين فكي طاحونة الصرب .
وفجأة تصنع الحرب اوزارها ويود الحبيب سالا غائما ليجسد حبيته متجذرة وهنا يتبرع (المفني) بان يكون من جروش في تبرير مسلماته فيقول وتعالى في الثالثة :

« حينما كنت تقال في الحركة .. في الحركة الدامية ، الحركة الوحشية ، وجدت ظلا سكتينا لا معين له ، ولم يستطع قلبى ان يتخطى عنه . وكان علي ان اهتم بك كان سيسبق لولاي . وكان علي ان اظلم ، واسي لنام لفتات من الارض ، وكان علي ان اترك نفسي من اجل من ليس لي ، من اجل غريب . لا بد من معين ، لان الشجرة في حاجة الى الجذع ، والعجل الصغير يقبل اذا نام عنه الراعي . »
وفي الختام تنتهي الحرب والثورة وما تعود زوج الحاكم القليل ايشبيلي ، فام ميخائيل ، فنبعث عنه بواسطة الجنود الذين يحاولون استرداد الطفل حينما لا بعد ان كانوا يريدون القضاء عليه والتخلص منه ايام الثورة ، وهكذا تتقلب الموازين ويستعاد الطفل من جروش ، لانها تثبتت به بزعم تربيته والاعتناء به واحتسانه والنأي به من كل مكروه ، في حين ان امه نسيت له لاعتماها بلباسها وفراها ، ونزرتة وحيدا فريدا ...

ولما كان اژدك الكتاب العمومي قد اوى الدوق الكبير وحماه من خصومه وامداله ، فان الموق لم ينس له هذا الفضل فنبعثه قافيا ، كما كان شاته ايام الثورة ، ولا كان اژدك واحدا من افراد الشعب ؟ فقد نظر في نوسلات جروش بين الرعاية وعين يوما للتلف في دوى زوج الحاكم باخيتها في ابنتها ، فكان ذلك اليوم المشهود وهما تحن تشهد موجزا لهذه المحكمة الفريدة : فاعة المحكمة في مدينة نوخا من اعمال بلاد القفاس) « اژدك : هاألذا اطن افتتاح الطبسة وابشاده الزرافة والطلب منكم منتهى الصراحة (مخاطبا جروش) : خصوصا منكم انتس .

« العامي الاول : ... ان روايت الدم هي اقوى الروايت . ام واين ، هل هناك رابطة اوثق ؟ هل يمكن التزواج ولد من امه ؟ . اينها المحكمة الوافرة ! ان الثمرة المتوحشة نفسها شوهدت ، لا ان انتزعت منها الاذنها هيم على وجهها ولا نهذا بين الجبال ، وقد اصحابها الهزال حتى صارت شعبا من الاشباح ، نعم ، ان الطبيعة نفسا ...
اژدك : (مقاطبا اياه ومخاطبا جروش) : بم تردين على هذه العبارات ؟..

جروشا : آته ابني .

ازدك : هذا كل ما في الامر ؟ امل ان تقدرني على اثبات ذلك . وعلى كل ... لماذا تعتقدن انه ينبغي علي ان احكم لك بالطفل ؟ جروشا : لقد ربيتني احسن تربية فدرت عليها ، ووجدت له دائما طعاما ياكله .. وفي معلم الاحيان كان يجده سقفا يستظل تحته ومن اجله عانيت كل انواع المتاعب والشاغل وانفقت مختلف الوان الانفاق . المحامي الاول : يا صاحب السعادة ! انه لاير بالغ الدلالة ان هذه السيدة نفسها لم تشر الى اية رابطة دعوية بينها وبين هذا الطفل . ازدك : المحكمة تسجل ذلك .

زوجة الحاكم : (بصوت ضعيف) سيدي ! ان مصيرا قاسيا يمسقرني ان ارجو منك ان تعيد الي طفلي العزيز . ليس في وسمي انا ان اصف لك الالام النفسية التي تعانيتها ام حرمت من ابنتها ، وما تشعر به من جزع ...

المحامي الثاني : (وهو يندفع) ان ما لقيته هذه السيدة لامر لم يسمع بمثلته من قبل .. لقد جمدوا ربيع املاكها ، وقيل لها بكل برود ان هذا الريع مرتبط بشخص الوارث ، ويكون الطفل لن تستطيع ان تفعل شيئا ، ولا تستطيع ان تدفع ائساب محاميها !

المحامي الاول : ... (مخاطبا ازدك :) طبعاً ، صحيح ان نتيجة القضية ستقرر (ايضا) ما اذا كانت مولدتنا ستحصل على حق التصرف في تركه ايشيقي الضخمة جدا ..

ازدك : لحظة ! ان المحكمة تترك في الاشارة الى التركة شاحدا على مشاعر انسانية .

الطباخة : (تشهد لصالح جروشا وتعلق على قول المحامي الثاني الذي ينهم جروشا بانها كانت تنجم حول الطفل حينما هربت ام ميخائيل) : ان السيدة (زوجة الحاكم) لم تكن تفكر ساعته الا في المسائين التي سترب بها ...!

ازدك : والطفل ، انت تؤكدين انه ولد من الهواة ... انني اسالك سوالياً : أي ولد هذا ؟ هل هو ابن زنا فخير الابوين ؟ او ولد كما يجب ، ابن اسرة غنية ؟

جروشا : (بخراسة) : ولد كاي ولد اخرج .. انني اسالك سوالياً : أي ولد هذا ؟ هل هو ابن زنا فخير الابوين ؟ او ولد كما يجب ، ابن اسرة غنية ؟

ازدك : قصد : هل كشف مبكراً عن علامات ترف ؟

جروشا : لقد كشف عن انف في وسط الوجه . « وبعد دفع الجلسة لاجراء محاكمة اخرى في دعوى طلاق يوسوب تعود المحكمة الى الانقاد ويبدأ الاخذ والرد بين القاضي وجروشا حتى يتحول الامر بهما الى سيل من التشتات الرخيصة . ثم ما يليت ازدك ان يعترف بتهمته لشراها فيقول وقد اخذ منه التيب ماخذه :

« ازدك : اينها الزارة ! اعتقد انني افهمك . جروشا : انني لن اتخلي عنه ابداً . انا التي ربيتته وهو يعرفني .

والآن صدر :

رواية

الطريق الاخر

خطوة جريئة اولي في اسلوب الرواية

الغريبة الحديثة

بقلم سعيد فرحات

(شوقا يدخل بالطفل)

زوجة الحاكم : هكذا في ثياب بالية مزقة !

جروشا : هذا غير صحيح . انهم لم يتروا لي فسحة من الوقت لالباسه قميصه الجميل .

زوجة الحاكم : كان يقيم في زريبة خنازير .

جروشا : (غاضبة) : انا لست خنزيرة . لكنني اعرف خنزيرات . ابن تركت ابنتك ؟ ..

ازدك : اينها الشاكية ، وانت ابنتها التهمة : لقد استمعت المحكمة الى افواكها ولم تستعج ان تتبين يا فتاتن من ام هذا الطفل الحقيقية . وعلى بوصفي قاضيا ان اقرر من الام . سأنظم لذلك امتحاناً . يا شوقا خذ قطعة من الطباشير ، وارسم دائرية على الارض (شوقا يرسم الدائرة ..) . ضع الطفل داخل الدائرة . (يضع شوقا الطفل ميخائيل في الدائرة . الطفل يضحك لجروشا) اينها الشاكية وانت اينها التهمة ففا على جانبي الدائرة (زوجة الحاكم وجروشا تفتان..) كل واحدة منهما تمسك بالطفل من يده التي في ناحيتها . والام الحقيقية تمسكها هي التي (ستقوى على سحب (e) الطفل الى خارج الدائرة) .

المحامي الثاني : (محتداً) اينها المحكمة الوفرة ! اني اعترض على هذا الاجراء الذي يجعل مصير تركه ايشيقي متوقفاً على صراع متشوك فيه ، وفضلاً عن ذلك ، فان مولدتي ليست لها من القوة ما لهذه المرأة التي اعتادت القيام بالاعمال البدنية .

ازدك : يخيل الي انها مخلوقة علما جيداً . هيا (اسجبا) . (زوجة الحاكم تسحب الطفل الى خارج الدائرة) اما .. جروشا فقد تركت وبقيت مكانها مسمرة (ك) .

المحامي الاول (وهو يهني زوجة الحاكم) : ماذا قلت ؟ رابطة الدم ازدك : (مخاطبا جروشا) : ماذا جرى لك ؟ انك لم تسجي .

جروشا : لم افسح به جيذا (تدفع نحو ازدك) يا صاحب السعادة ! انني اسجبا ما لفت فصدك . وارجو منك الصفو . اه لو ترك لي حتى يستطيع ان يتجهل كل الكلمات !

ازدك : لا تعادلي التأثير في المحكمة ، فانا اراهن انك لا تعرفين اكثر من عشرين كلمة . حسناً ! ساعدك الامتحان ، للفصل النهائي في القضية . اسجبا .

(السيدان تآخذاً موقفهما . وجروشا تترك الطفل مرة اخرى) . جروشا : (بالسة) انا التي ربيتته ! هل التزع اطرافه ؟ لا استطيع .

ازدك : (ناهضا) : الان تبين للمحكمة من هي امه الحقيقية (مخاطبا جروشا) خذي ابنتك واخرجي به من هنا . وانصحك نصيحة : لا تكتفي به في هذه المدينة . (مخاطبا زوجة الحاكم) وانت اذهبي قبل ان احكم عليك بتهمة الادعاء الكاذب . واعمال التركة تعطى للمدينة ويعمل بها حديقة عامة للاطفال . «

وبعد ، لقد اطعت في عرض المشهد ، ومع اني اوجزته ايجازاً شديداً ، فقد كان من الهيمنة بحيث شدني اليه شداً عتيفاً للبداء ، لان فيه ومضات من الروح الانسانية النبيلة ومشارق انوار من الدوافع الخيرة والاحاديث النيرة وذرى سامقة من منائر تشع بالرفيق من المتشاعر والاحاسيس والرفع من المبادئ والتل والغلب من المقاصد والمعاني ؟ وكل ذلك في لغة بسيطة لسانة الحق ؟ لغة تتفجر صدفاً واخلاصاً واثباتاً بالكلمة الطيبة ، بالشجرة المباركة التي اصلها ثابت وفرعها في السماء ، الشجرة التي سقاها بريقت بعصاره حيالسه وحماها من كل الفيران الادمية وحرسها من نوازل الزمن وعواده حتى اواخر حياته الحافلة ... ولم يفارق هذه الدنيا الا بعد ان اوكل بحراستها الى زوجة الائمة ..

بفداد

يوسف عبدالمسيح ثروة

دمشق في قلب كانون ، جو ثقيل
تقل الاحلام الميتة .. مطر خفيف ،
مصباح يجعل الظلام ضبابا .
فتاة تقف على شرفة بتياب نوم
ناصعة ، تتقدم حتى يضغط وسطها
على الحافة ! شعرها الكستنائي
المصفف حال اسود وتلد .
الحارس يقف حائرا مشدوها ،
ثم يتابع سيره ضاربا الارض بعصاه ،
متلفعا بمعطفه وينتال .
شاب يبرز في الشارع الطويل ،
تقطر منه المياه ، يسير الهوينسا
بعبوس وتصميم ، قسامته رفيعة ،
وعلى شفثيه تسيل روح شاعرة .
جال شوارع المدينة واقتتها ،
وتوقف في معارجها وساحاتها ،
اضواء السيارات في عينيه تحدد
والناس في الحانات قية .

جبهته سمراء مقطبة ، كل شخص
اداة ، كل كائن ، فالسخرية تجعل
الحق تفاعلة ! وهذا الجود ، جوده ،
حق وتفاعلة ... سبب الكائنات اياه
اداة يصك بها الموز . علام يستقر ؟
اين التلكة ؟ ما هو الصواب والفكرة
الصالحة ؟ سبع بحرات ويستحجم
عصفور الدوري ... جلد براق
وعبير وزحام ، جمرتا لهيب مدمر ،
اشواق وتئن ، ضعفت وهزال ، سير
الى العدم ، اشواق ؟! التهاب
اعماق ، بخور لوثن اعمر اسم ..
من يقول ها انذا ، مفتحا كمين
الشمس ... سخرية ، تقهر ، قوة
الحياة في الطرف الاخر ، ضائعة
في الشعر القصص ، في الارادة
الوهمية والحب الاحمق .

اجفل ، العيون الاربع تتصل بسلك
واعش مظلم .. لكم يسىء هذا
الحارس الى شعوره ! هو ايضا
يسبح بماء المطر ! اداة ! شجرة
يبست فحملت مصباحا ... نور
جامد ، اليه ، اليه ، وقفة في النور
جمود مضاء !

الشرقة ترتعد ! يدها تلوح ...
ينظر ، ويرجو الا تكون راته ينظر
بعد اليوم الثالث ضعفت !

سكينة ، ماذا تنتظر ؟ اما درت
بخروج القطار عن خطه ، وبموت
البهوان مشنوقا بحبله ؟!
اغنيات التناق غاب صداها فسي
كهف الموت ، وابتناسا الاغراء
اضحت زهرة دم في جمجمة تمس .
لا . لا سبيل بعد لوفقة رجوع ...
خليل ، خليل ، تهمس الفتاة
بالحاح مرعد .

ينتصب في خضم اعصار ، يشتعل ،
يعرق ، ينفصل عن ذاته ويلتئم ،
رغبة وتجلد ، في التجرد رغبة ، وفي
الرغبة عدم ارتواء ... قسر ، قسر ،
قسر ، في الارتواء قسر وغش
ومتلق ... ما الذي يرويك ؟!
اعماقك المتشابكة ما الذي يجلها ؟



بـقلم فـلـيـب عـبـد الحـق
http://Archivebeta.Sakhrat.com

انور في شجرة بايسة ؟ ايد بضة
وشقة ؟ ام عين لاهثة يوميش شهوة ؟!
خداع . خداع .
خليل ، خليل !
ودمعة تسخن الجو ، تحيل
الشارع الى دفة ... خيط من
روح ازلي ، من الشرقة ، الى العالم ،
الى قلبه . احنان ام تجديد نعمة ؟
خليل . خليل .

ويود لو يصيح . - حبيبتني ...
ملء الليل والمطر والاعصار .
لكنه يتكفى ، يسرع ، يجلس في
غرفته ، سندبانة وحيدة على ذروة
فرتها الريح ... يفتح كتاب قانون ،



قد تم الالتقى مع اداة اهملت زمنا ،
الغبطة ، الغبطة ! لكن ، لم يدع
سناثر نوافذه جمعة ! الا يحجب
الشرقة بها ومن على الشرقة !
سيدبر ظهره ... الحقوق الرومانية ،
بابينيانوس ، غيوس ... عباقرة
القانون .. بناؤون حضاريون ،
صانعو صناديق المصائر الانسانية .
خليل .. خليل ! نصل خنجر
دقيق ... اترها تبكي ؟ ومن هي
التي تبكي ؟! واحدة كانت قديما ،
خلقها خيال فنان مات ، واحدة
كانت قديما جعلت الارض سماء !
لكنها الان حجر جامد في جدار ..
ولكن اهي حقا تبكي ؟
بلىق خده الى الكتاب وعيناه في
قبضة الباب ، يرتعد ، ثيابه قطعة
جليد .

- اريد التهامك .
تضحك ... يضحك ... تخف
حدثه تم ، تحتحم .
- ارجع في تمزيق ثيابك .
تنظر اليه ، تتملاه . تفوص
عينها في منينه ، مينا زاجرة ،
ينكمش ، يتقيد ، يسعل ، يفرك
جبهته .

- تزوجيني .
- ليس الان طبعاً .
- بل الان .
- سادخل الجامعة ، سادرس
الصيدلة ، اما قلت لك هذا ؟!
- لكنك رسبت بالثانوية .
- وانت رسبت بالحقوق .
- بسبك .
- طبعاً ، ورسوبي كان بسبك .
- لكنني ساسعدك .
- كيف ؟!
- بكل كيان .
- ليس هذا طريق الحياة .
- ماذا اذن ؟!
- كن واقعي .
- انت تدبحينني .
- وانت تدبيني .
- هل احببيني ؟
تصمت . عينها مغاور سرية .

الربيع والهزار الغائب

الى روح صديقي الشاعر عبد اللطيف رشيد الناصري

ونمقها ... ولا عاد الهزار
اذا ما طاف بالصبح العفار
وشيكا والكؤوس لها ازدهار
على تلك البطاح ولا العرار !
رسي الوادي وناح الجنادر
عراها في منابتها اصفرار !
جباري والمروج بها احتضار
وراح مع الذين مضوا وساروا
نمين دون قيمته النضار

لقد عاد الربيع على الروابي
فاين المسكرات من الاغانى
هزار الروض ما لك غبت عنا
فبعدك لا البنفسج ما ج طيبا
بكى النوار من جزع وضجت
فشاهدنا المروج بلا اخضرار
تسائلت الحسان لم الشوادي
فقييل ابن الربيع ناي وشيكا
وما ابقى سوى ديوان شعر

له ادب يتيه به الفخار
جهارا والخيال المستطار
بهم عن كل ما يصبي ازوار
ولا اعيت لهم في الروض نادر
يؤرقها حنين وادكار
سمعت ورا الدجى تبكي البعار
كلؤلة يحدو بها الحار
يقربها لطلبك المقار
وهل يدني السراب لنا القفار

اخا الالهام لست سوى نبيغ
عليك اليوم تنتحب القوافي
مع الاحزان خلفت الندامي
فما وشى الربيع لهم بساطا
ولا تسلم الطبيعة فهي تكل
وليس الروض في جزع فاني
ففي قرب الخلع درجت طفلا
درجت وما عرفت سوى الاماني
وليست غير آل في فلاة

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

وذاك الروض جلله القفار
ولكن طال ذاك الانتظار

لقد غاب الهزار عن الشوادي
كم انتظر الرفاق له مجيئا

احمد محمد الخليفة

البحرين

— لكن قلبي ...
— احتفظي به .
— سيقطنني .
— هذا شأنك .

خده بلهب الكتاب ، عيونهم مغمضة ،
فمه مطبق باحكام ، وعلى الشرفة
فتاة تقف بيؤس وثبات ... الحارس
يصغر ، يتعادي الصدى ، وكل
شيء يعود كما كان ، ملفعا بالصقيع ،
مداسا باقدام الزمان ...

فيليب عبدالحق

طرابلس

— والحب ؟

...

— والزواج ؟

— اسطورة قديمة مملة ...

— لكنك تمنينني ... هكذا

قلت .

— متى ؟!

— هذا الصباح .

— ... خليل !

— حبيب .

— اسمعني .

— حبيب .

— انا واثق ... ما احببتي يوما .

— بل ، قل انت ، اي حبتني

انت ؟

— انا ؟!

— نعم . انت . الحياة تتعبك ،

تربيني اداة نجاة .

— انا خائن اذن ؟!

— بل تأمل في قطع المسافة بآمان

الى الشاطئ .

— اوتؤمنين انت بالشاطئ ؟!

— هراء .



ادباء من الشرق والغرب

تأليف عيسى الناعوري - ١٦٧ صفحة - منشورات عويدات بيروت - مطابع منشورات عويدات بيروت

مؤلف هذا الكتاب الاديب الاردني المعروف الاستاذ عيسى الناعوري الذي يمتاز بنشاطه الجهم وغزارة إنتاجه ، اذ وضع حتى الان بضعه عشر كتاباً مطبوعاً ومجموعة صالحة من الكتب التي لم يتج لها ان تنشر بعد . وهو لا يختص بنوع واحد من انواع الادب ، بل يسهم بقلمه في موضوعات شتى تتراوح من الرواية والقصّة القصيرة الى الشعر والبحث الادبي والتأليف والترجمة . وهو ايضا من المختصين في الادب العربي الهجري ، وقد وضع في ذلك الادب كتاباً يعتبر بحق في طبيعة المراجع التي تعرف بذلك الادب وكبار من نبغوا فيه في الازمنة . ويمكن القول ان الناعوري من المثقفين الطالين على الادب القريب في مصادرها الاصلية ، خاصة وأنه يجيد عدة لغات من بينها الإيطالية والفرنسية والانجليزية .

ويرى مؤلف الكتاب في المقدمة التي استهل بها كتابه ان اتصال العرب الحقيقي بالاداب الغربية لم يتخذ وجهته البارزة الا في هذا القرن العشرين ، بحيث صارت الاداب الغربية تؤثر في ادبنا تأثيراً مباشراً . وقد نتج عن ذلك ان ادبنا ازداد غنى واخذ يقرب من العالمية بخطى واسعة سريعة . وقد اخذ الاديب العربي نتيجة لذلك الاتصال ، يتفاعل وتغلاص عليها واسما باداب الغرب ويتأثر بها تأثيراً الفتيه والجمالية والاجتماعية والانسانية . ونتج عن هذا الاتصال الثقافي ان ازدادت القربية الفكرية بين الغرب والشرق العربي واتسعت وتعمقت بالرغم من تباين وجهات النظر السياسية . وهو يرى ايضا ان ابرز ما تأثر به العرب من الاداب الغربية كان في النواحي الانسانية التي ترتفع فوق النزعات القومية والمذهبية ، ويرى كذلك ان الادب العربي المعاصر اخذ في الحقبة الاخيرة يشارك في الاداب العالمية مشاركة الانداد ، وان الادب العربي اليوم لم يعد ممزولا عن العالم ومن منفصلا عن الفكر الانساني .

وهذا الكتاب يقصد به مؤلفه ان يسجل جانباً من جوانب التواصل الفكري بين العرب والغربيين لان في ذلك التسجيل ما يدفع الى التطوير والتعميق والى فتح السبل امام الفكر العربي المعاصر ليحتل مكانته في الفكر العالمي .

في هذا الكتاب يعرض لنا المؤلف عدداً من وجوه التشابه بين بعض الادباء العرب من جهة وبين بعض الادباء الغربيين من جهة اخرى . وهو يفرغنا بانجازات اولئك الادباء او الشعراء الذين يتحدث عنهم من خلال عرضه لوجوه المقارنة بينهم . فالكاتب على هذا يعمل في طياته فائدة التعريف الى جانب فائدة المقارنة والموازنة .

اول ما يخطر لنا المقارنة بين الشاعر التونسي « ابو القاسم الشابي » من جهة وبين الشاعرين الانجليزيين وليم ورد سورث وجون كيتس من جهة اخرى . فالشابي شاعر روماني في عبارته وفي خيالاته وفي اندماج روحه بالطبيعة وفي عاطفته وجهه واله ، وقد

تأثر الشابي بالرومانسية القربية عن طريق الشعراء المهجرين لانه لم يكن يعرف لافلاجينية . ويمتاز الشابي بأنه شاعر الطبيعة والريف والحب وحس الطفولة قبل كل شيء آخر ، ويعتبره المؤلف واحداً من اعظم شعراء الرومانسية في هذا القرن ومن ارشفتهم عبارة واعدهم خيالا وارفعهم عاطفة .

وهو يجد وجوه التشابه بين الشابي وورد سورث في غرامهما بالطبيعة بكل الوانها واصواتها وصورها ، بمرجوها وغاباتها والصبي والفرق بين الشاعرين يتجلى في كتابة الشابي وعرافة شعوره وبين استيثار ورد سورث ، وسبب ذلك ان الشابي ابتلى بالرض وهو ما يزال في ريعان الشباب بينما كان ورد سورث يستمتع بالعافية وبلغ من عمره الثمانين . ويستشهد المؤلف بأمثلة عديدة من شعر الشاعرين ، فهذا الشابي يقول :

اقبل الصبح يقيني للحياة الناعسة

والربى تحلم في ظل الفصول المائلة

والصبي ترقص اوراق الزهور اليابسة

وتهادى النور في تلك الفجاء الدامسة

بينما نجد ورد سورث يقول في قصيدته « الصبي الراعي الكول »:

الوادي يصبح بالاحسان الفرح والعجود

وتسندو الاصداة بين التلال

وعلى طول شفة النهر الاثالي بالحجارة

تشدو الرمال الرحة اغنية جذلي

ومثما الحلال منتشرة على الصخور

وفذاك الراعيان اكثر ابتهاجا من الجميع

اما بالنسبة لجون كيتس فالتشابه بينه وبين الشابي لا يقتصر على الرومانسية بل يشمل بعض مظاهر الحياة ، اذ مات كلاهما في عمر اقل من الثلاثين ، واجتلا كيتس من مرارة الحياة ونيفا في مطلع الشباب . والتشابه بينهما تشمل استيحاء الطبيعة وسيطرة الكتابة ثم الموسيقى وصفاء الرؤية الباطنية .

ويجد المؤلف وجهاً للمقارنة بين الشاعر جبران خليل جبران في كتابه «النبي» وبين الفيلسوف الالائي نيتشه في كتابه « هكذا تكلم زرادشت » . فقد اختار كلاهما ان يكون معلماً للبشرية عن طريق وسيط ينطق بالحكمة وبهوى الانسانية لهدف بعيد هو الانسجام السوي مع الناس . ويتخذ المؤلف من نجاح كتاب جبران دليلاً على ان الناس عموماً يفضلون دعوة المحبة والتسامح على دعوة الكبر والقسوة ، فقد شهد كتاب جبران طيمات عديدة وترجم الى كثير من اللغات المحبة بينما لم يظفر كتاب نيتشه بشيء من ذلك . ثم يخلص الى القول ان المتصور الفكري لشري جبران والفيلسوف الغربي نيتشه التقيا في مظاهر عليهما الفكري ولتكنما اختلفا في جوهر العمل الفكري نفسه : هذا حاول تحقيق انسانية الانسان وذلك اراد ان يعظم الانسان القديم ليستبدله بالسيوريسان .

ويقدم المؤلف فصلاً للمقارنة بين احسان عبد القدوس والبرنو مورافيا في الادب الجنسي المكتشف الذي اشتهرا به . وهو يرى ان الجنس في ادب هذين الاديبن اكثر من الماء والهواء بل هو الحياة نفسها . وبينما يجد عبد القدوس نفسه مضطراً الى تصوير سلوكه بظلال قصصه مخفوج على البيتة وامرود على التناقل بدافع من ملوك بظرفة السخف التي يلقيها المجتمع الشرقي على السافطات ، فان مورافيا لا يهتم بظرفة المجتمع ، ولا يرى في سلوك النساء في قصصه أي تأثير على المجتمع لذلك يصورهن تصوراً طبيعياً عادياً لا شان

للمجتمع به .

وشاء فصل آخر للمقارنة بين الكوميديا الالهية لدانتى ورسالة الفرغان للمري ، والمؤلف يرضى لآراء الباحثين الذين قالوا بتأثير رسالة الفرغان في الكوميديا الالهية او الذين قالوا بعكس ذلك ، ويقول ان الرحلات الى العالم الاخر قديمة سبق اليها هوميروس وفريجنس ويوحنا اللاهوتي وسبقت اليها قصة الاسراء والمغراج . ثم يخلص الى القول ان دانتى لم يتأثر على الاطلاق برسالة الفرغان وانما ابداع ذلك الاثر الادبي العظيم بخياله المحلق ويعتبره الفذة .

وفي عالم المسرحية يفتد مقارنة بين بيجماليون لتوفيق الحكيم وبيجماليون ليرنارد شو . وهو يخلص الى تفضيل مسرحية الحكيم ويقول انها تفوق مسرحية برنارد شو في ابداعها الفني . وقد بنى رايه هذا على اساس اعتقاده ان مسرحية شو تعالج موضوعا لقوسا اجتماعيا . ويبدو لي ان هذه دعوى خطيرة وجريئة ولا اعتقد ان كثيرين يوافقون على هذا الرأي . لقد عالج شو موضوعا من صميم الحياة الانسانية الا وهو طموح الانسان الى الارتفاع والى تحقيق المزيد من التوفيق في الحياة والتسامي الى الملاء . وشئنا ان يبين مسرحية شو الزاخرة بالمعركة والحياة وبين مسرحية الحكيم التي تكاد تكون مناقشات فلسفية وتأملات روحية .

هناك فصول اخرى تقارن بين فؤاد سليمان وروبرت فروست وبين بودلير وايو شبكة ، وبين نجيب محفوظ وبروتوني وبين بدر شاكر السياب وايليت ، وهي في مجموعها تحمل لنا التعريف بهؤلاء الادباء والشعراء ويؤوجه التناقض بين نتائجهم وانكارهم . ولا شك ان هذا الكتاب محاولة طيبة موفقة تدل على مدى الوعي بان الثقافة ظاهرة انسانية مشتركة بين جميع الشعوب وان المكربن هم اجدر الناس بحمل رسالة الانسانية والتآخي الى جميع الشعوب .

عنان - الاردن

سليمان موسى

سقوط من الرسالة

تاريخ حركة استقلالية قامت سنة ١٨٧٧ - تأليف عادل الصلح - ٢٠٨ صفحة - حجم كبير - مطابع دار العلم للملايين - بيروت

عندما يدخل غير الادباء المحترفين عالم الادب ، وعندما يخوض في شؤون التاريخ غير المؤرخين الأكاديميين ، فكتيرة هي المرات التي يجني فيها الادب والتاريخ اھيب التسمار .

ولنتستطيع ان نذكر عددا من الحالات كان فيها رجل من اهل السياسة يروي قصة حياته فاذا هي صفحة من صفحات التاريخ ، او كان فيها محام يعد مرافعة فاذا هي قطعة من الادب الجميل ، او كان فيها عالم يسجل نتائج ابحاثه فاذا هو يتمتع بقدر ما يفيده . وكتاب السقوط من الرسالة الذي ألفه الاستاذ عادل الصلح هو بين الكتب من هذا الصنف المميز الذي يفتأك بدهته ورويته وجده . وكان المؤلف الذي عمل في الحياة العامة يروج ثؤر الانتاج وعنه الفصحیح ، فكان في عهد الانتداب الفرنسي من المجاهدين بصمت ولكن يصمد ولبات ونضحية ، وساهم في ان يجعل من حزب الاستقلال الجمهوري ، الذي كان نائبا لرئيسه ، ثم من حزب النداء القومي اداة قوية في يد الحركة الاستقلالية ، ثم كان في رئاسة بلدية العاصمة ، بيروت ، رجل الانشاء والعمل وانتهتهم لفتنصيات الحياة الجديدة ، كان المؤلف الاستاذ عادل الصلح قد وضع كتابه بالروح نفسها فقدم اجل الخدمات لتاريخ النهضة العربية الحديثة باكثر ما يمكن تصوره من وداعة النفس والقيم والتواضع والبساطة التي رفعت من منزلة الكتاب معنى ومعنى وجعلته من ارفع واسع ما يظافه القارئ العربي .

يدور الكتاب حول حركة استقلالية خطيرة قامت عام ١٨٧٧ من أجل استقلال البلاد الشامية عن الدولة العثمانية واقامة دولة عربية يرئسها الامير عبدالقادر الجزائري المثني وفنئد في دمشق .

ويصف الكتاب مختلف مراحل هذه الحركة من بدايتها فكرة في راس جده احمد الصلح ووالده من الصلح الى تسلسلها في مساع عمليه قام بها زعماء يذرون في سورية ولبنان الى قيام المؤتمر الوطني في دمشق حيث اقر مندوبون من مناطق مختلفة العمل على تحقيق الدولة المستقلة ومبايعة الامير الجزائري راسا لها الى النشاط التميم الذي عقب المؤتمر الى معرفة الدول الاجنبية بالحركة الى تلبية الدولة العثمانية وضمها لها واضطهادها وتشريد رعايها الى الاتار البليغة التي تركتها الحركة في مستقبل البلاد العربية .

وقد كانت هذه الحركة موضع اعزاز واسادة في حفلة نقل رفات الامير عبدالقادر الجزائري من دمشق الى الجزائر حيث وقف وزير الخارجية الجزائرية السيد عبد العزيز بونظيفة بشير الى حركة الاستقلالية . يستللا فمة امجاد الامير الجزائري وعنوان الشعور العربي الصادق .

وقد خدم المؤلف كتابه ، الذي ابرز هذه الحادثة للمرة الاولى ، بالاسانيد والوثائق التاريخية المؤيدة لفكرة الكتاب والمستفاد من مختلف المصادر ومنها زارنا الخارجية البريطانية والفرنسية . ومما اضفى على الكتاب طابع القيمة التادرة واعطاء طعم القراءة الحارة الالية كونه رواية شخصية يرويا لها من والده منح الصلح الذي لعب دورا هاما في الحركة الاستقلالية المذكورة . وهذه الخاصة هي التي جعلت الكتاب يدخل فنيا في صنف المصادر التاريخية لا المراجع واسيفت عليه لونا ادبيا اقرب ما يكون الى ادب السيرة .

يبد انه لا بد من الملاحظة ان هذا الكتاب على اهميته يشكو من بعض السوء التي تكبرها ما تلحق بالكتب التاريخية المروية على السنة الاشخاص وازورها الاستاذ والتوسع في ما لا يتصل اصلا بمباشرا بالموضوع وهو حركة الاستقلال نفسها . كما انه ملون تولوبا طعيبا وذائبا يكون الانجذاب الاسطوري بشخصية الامير الجزائري الكبير وبمسحة الوفاء العالي ، المبرر الى حد بعيد ، لجند المؤلف ووالده رحمهما الله .

وحسب كتاب «سقوط من الرسالة» ان يقال فيه : ان معرفة الاجيال العربية بنهضتها الحديثة ، لم تكن قبل صدور الكتاب مثلها بعده وان قلص صاحب العطب واسلوبه الجذاب قد ادخلها هذه الحركة الى العقول من ابواب القلوب .

الياس الغزلي

رباعيات الخيام

ترجمة ابراهيم الريس - ؟ صفحة - مطبعة (١)

حدث الكتب حديث عذب طلي لا يمل ، ولا سيما للذين جعلوا الظالمية هويتهم المفضلة في الحياة . والكتاب ، مهما كان لونه ، ومهما كان مضمونه ، فهو ثمرة عقل ونماتات فكر وجسجات نفس ونشباب قلب ، والكتيبة العربية تزاد على ثروة يوما بعد يوم ، ودواليب المطابع في الشرق العربي ، ولا سيما في القاهرة وبيروت ، تدور ليل نهار وتنفذ كل يوم عشرات الكتب ومئات الرسائل في شتى اتجاه المعرفة . وكان كتابنا العربي قبل نصف قرن ، محدود الموضوع وفي شؤونه تتصل بالادب والتاريخ فلا تخطأها الى سائر العلوم والفنون ، ان اليوم فقد خرج من نطاقه الضيق الى رحاب اوسع - الى الادب والعلوم والفن والصناعة وما يتفرع عن الادب والعلوم والفن والصناعة من الوان



الراب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر

يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد

الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

تليفون : ٢٢٢٨١٩ الإدارة ٢٢٢٨١٩ Dir : 223819
المنزل ٢٢٥١٢٩ Die : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب - صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت - لبنان

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير ادب

وانجاهات يغذيها الاختصاص باعمق واشمل نواحيه وفروعه .

ويحمل بريدي كل اسبوع - اريد بردي مجلة « الحديث » التي توفقت عن الصدور عام ١٩٥٨ بعد ان اصدرت التين ولتالين مجلدا هي مرجع وليق للتيارات الفكرية المعاصرة - اقول يحمل بريدي كل اسبوع ، واحيانا كل يوم اكثر من كتاب واحد في فنون مختلفة ومن ادباء اقراء واصدقاء اوفياء ، واقلب الصفحات ، واقرأ القدمات . ولا اكاد ابدأ بتلاوة كتاب حتى يتجذني غيرته بموضوعه واسلوب صاحبه ، فافيش معه لحظات ممتعة واكون عنه فكرة ، واهم ان اتناوله بالدرس او بكتابة مقال عنه ، واذا بي مع كتاب ثالث ورابع ، وهكذا اعيش فترات في بلبل من المتعة والواجب - متعة القراءة وواجب الصداقة - صداقة الاديب الصديق الذي ينتظر منك كلمة ، وقد تسمر بالحرج اذا صارحت بما تركه كتابه في نفسك .

لست هنا في معرض الحديث عن مهمة الناقذ الذي يجب ان يتفرغ لموضوعه وي طرح كل الاعتبارات الدالية بل أردت الإشارة الى هذا الغضب الذي تخر به « الكتبة العربية » ، وهو انتاج ينهمر كالسيل ، وهو اذا قيس بما تنقله مطابع الغرب عد فطرة او فطرات من فيس ، ولا اريد القايمة بل اريد ان اشير الى ان « الكتبة العربية » في هذه الفترة بالذات تزداد غنى ووفرة اليوم بعد اليوم ، ولا بد هنا من سؤال يجول في ضمير كل ادب مفكر وهو : هل بلغ كتابنا العربي المستوى الرفيع الذي بلغته كتب الاسم التي قطعت شوطا بعيدا في ميادين الفكر والحضارة ؟ وهل يتسم بالجسودة والطرافة والجدّة والمعمق ؟ لا تروان ان الكتبة العربية تحفل بالكتيب القريب ، وعطينا ان لا نذكر اتنا في بداية عصرنا الفكري ، وان القارئ العربي ما يزال في جوع للفراة ، وهو يقرأ الفذ والسمين .. ما هو قيم وما هو خواء وفناء . والقراءة من حيث هي دعم للحياة الثقافية التي تزداد نموا كلما طغنا خطوة في ميادين الحياة العقلية . ولئن طقت الكتب الرخيصة التي تتحدث عن الجنس والمادة والمواظن وعدم تغذية العقول وصلل الافكار وتهذيب المشاعر - لئن طقت هذه الكتب فترة من الفترات فمسيرها الهباء قريبا ولا بد القارئ من اللون من الادب الرخيص - لا بد ان يعجه ويزدريه حين تسوم مداركه ويقيم في غيبوبته - نعم ، لا بد له من الانتقال الى افق اوسع وميادين ارحب ، وقد تكون هذه الفترة لونا من التجربة والمران ليقرا ما هو اكثر فائدة واكثر متعة .

وبعد فموضوع القارئ والكتاب موضوع ذو شجيات كثيرة اتركه للحديث عن بعض الكتب التي تصلي ، وهي وافة ، فحسبي اللامع الى بعضها المأغا ، على ان اعود الى بعضها بتوسع اكثر ، وليعلمني الصديق صاحب « الاديب » اذا طفا القلم في الحديث عن كتاب احد اصدقائه الانزاء ..

فقد حمل الى يربد البحرين كتيب صغيرا اتيق الطبع ، مزدانا بلوحات فنية عن الخيام ورباعياته .. وقد شغل الخيام حيزا غير قليل من ادبنا المعاصر ، فقد صدرت ترجمة ودع السيستاني عام ١٩١٢ الى اليوم والطبعة العربية تنفذ من حين لآخر ترجمات الرباعيات ودراسات عن الخيام من ادباء وشعراء قراوها بالانجليزية او مترجمة عن الانكليزية . وكتب عن الرباعيات وصاحبها - عن اطوار حياته ، وفلسفته ونزعاته الكثير الكثير . وما زال الادباء والشعراء يكتبون ويبحثون ، والترجمات العربية التي بين ايدينا تنفق في المسموم ، وتختلف في الشكل ، منهم من جعل الرباعية سباعية ، ومنهم من جعلها خماسية ، ومنهم من حافظ على الاصل ، بعضهم صاغها شعرا ، وبعضهم ترجمها نثرا - ترجمها السيستاني ورامي والتجفي وابو شادي والباشمي والهاوازي والصراف ، وجميع الترجمات تشف عن نزعات الخيام الوجودية وفلسفته في الحياة ، وتلخص فلسفته بان لا يبيع الحاضر بالقاتب ،

وأن يعيش حياة مليئة بالواجب والسرور ، ولئن اختلف المبنى في تصوير معانيه وما هدف إليه حين صور أهواءه وهواجس ذاته في حالتها صحو وسكره ، وإيمانه وكفره ، وجدته وهزله ، وهزته وبعض الذين يلبسون ثياب الدين والتقى وهم أفجر الجفرة - فالفنني واضح وقد يضطرر إذا لم يشأ المترجم الجو الذي عاشه الخيام !..

ولا أريد أن أغزى من قدرة الذين يتصدون لترجمة الشعر ، بل أريد أن أقول أن الذي يتصدى لترجمة الخيام ، أن يعيش ، ولو لفترات ، بعض الوان حياته وأن يشغل ناملاته في الكون والحياة ومعرفة طباع البشر .. كما لا أريد أن اتوسع فيما حلفت به العربية من ترجمات ، فكل ترجمة نلحتها وجسرنا وإن كتبت أجند الإبداع الموسيقي في ترجمة البستاني ورامي ، والدقة في ترجمة النجفي ، والتعريف في ترجمة السباعي ، والسهولة المنطقية في ترجمة الصراف التثنية . وقد أسهب الصراف كل الأساليب في دراسته لأدبه وإراثه وجميع ملامح حياته ، ويعتبر كتابه من أوسع ما كتب عن الخيام ، ولا يجب للاستاذ الصراف من يكون ناصية الأدبيين : العربي والفارسي وله جولات واسعة فيها . وقد درس الخيام دراسة وافية من منابع الفارسية خرج بكتابه من عصر الخيام وأدبه وفلسفته ومختلف نزعاته حتى أصبح الكتاب من المراجع الوافية ، لم ترجم الرباعيات ترجمة ثرية واضحة وهي من الدقة بمكان عظيم . وجاء أدب البحرين الاستاذ إبراهيم العريض ، بعد تلك الترجمات والدراسات ، يدلي بدلوه بين تلك الدلاء ، والاستاذ العريض أديب وشاعر . وهو ، في تجاوزه مع الإحداث العربية ، معنى بالدراسات الأدبية ، وقد صدر له عدة دواوين ومؤلفات تتم على ثقافته الواسعة ، ورائ ، وهو يحسن الإنكليزية والفارسية ، وقد قرأ الرباعيات مترجمة شعرا ونثرا وفي أصلها الفارسي - رأى أن يصوغها شعرا فهل وفق أم أخطأه الوقوف ؟

أن من يقرأ مقدمته يشعر بالجد الذي يبذره في ترجمتها ترجمة يرضى عنها ذوقه الأدبي وتسويفها روحه الشعرية .. فقد كان يصوغ الرباعية مرة ومرة وقد تصل إلى السبع فيترجمها إلى أن يستقر ذوقه على قول واحد أقرب إلى الأصل وادق بالمعنى .. ويقيم الاستاذ العريض بعض الذين نقلوها عن الفارسية بعدم إدراكهم مدلول الكلمات العربية التي يستعملها شعراء الفرس ، فمدلولها في لغتنا غير مدلولها في لغتهم ..

يقول : « أن للكلمات في لغاتها جوا خاصا بها لا نجده لمرادفاتها في اللغات الأخرى في أغلب الأحيان ، كلفظة «لباس» في الآلة التريفة : «ن لباس لكم وإتتم لباس لهن» ، وهذا في مفردات الكم ، فكيف إذا تألفت مع أخواتها ، فأصبحت أمثالا مضروبة تشمل بتاريخ القوم ومعنوياتهم ، وصيغا مألوفة تتداولها الأيدي كالدلائل المضروبة في أسواق الأدب » . ويقول : « ثم إن هناك كلمات تقتبس من لغة إلى لغة للتعبير عن أشياء قد لا نوضحها الفاعل - ذلك الوضوح ، أو لزيادة تحسين في المعنى وتجميل ديباجته » .. ويضرب في ذلك الأمثال مما اقتبسته الإنجليز من اللاتينية والفارسية من العربية فيقول :

« .. وكذلك الحال في الفارسية ، فانها تستمد كثيرا من خزائن لغتنا ، حتى أصبح الجانب الأعظم من أدبياتها قائما على أسس وأركان عربية . ولكن هذه الكلمات العربية التي أصبح اقتباسها عاما في الفارسية - شغلت حيزا كبيرا في أدبها - غيرها وهي في لغتنا . والخيام كان ضليعا في العربية ، ولكنه إذا استعمل الكلمات العربية في ديباجته فانه يستعملها لتأدية المعاني التي باللغة واصطلح عليها الفرس دون العرب ، شأن غيره من الشعراء في بنى لغته ، فمحاولتنا لتأدية معاني تلك الكلمات بالنص عينه غلط .. وأي غلط .. فإذا سمعت الخيام يقول :

حالي خوش زانكه مقصود اينست

أو أين لكته برانكه زند كاتي عشق است
أو ضد كاركسي مسي غلامست آنرا
أو روحيت كسن او تربيت شخص كند

فهو لا يعني « العشق » كما نفهمه ، وهذه الكلمة كثيرة الورد عندهم في الشعر الصوفي - ولا تؤدي كلمتا «اللكته» و «المقصود» في العربية ما يدركه منها الفرس ، والكلمات «فيلما» و «الريسة» و «شخص» أصبح استعمالها هنا بوجه يستحيل استعمالها كذلك في العربية لعدم وقوعها في محاوراتنا بهذا المعنى الذي يرمي إليه الخيام . وكذلك استعاراته لصيغ عربية في قوله :

آزواه «أشربوسا» بد إسام افكند

أو «تقاسم آل» بوجه أراست مرا
أو أحوال «مسافرين دنيا» چون شد
أو دركشف حقيقة «شمع اصحاب» شدند

لها معنى من الطرب وجمال فني لا يتدونه أدباء العرب ولا يمكنهم أن يشعروا بما تلطوي عليه هذه العرائس العربية في وشاحها الفارسي من سحر عجب وفنتة .

هذه الإختيارات جعلته يحاط كل الإحتياطات في ترجمته ، ومع ذلك فقد اضطر ، أزاء اختلاف عبقريه اللغتين أن يصرف في تمييز المعاني ومحاولة تركيزها وتعاشي لوكها وتكرارها ، وقد استأثر البعض من العربيين ، كما يقول بالناحية التي لها مساس بحياسة الخيام الخاصة ، فصوره بعضهم صبا مقرما ، وصوره البعض فاسقا ملعدا ، وأكثر من القريب في شعره حتى أصبحت المعاني وقد ضرب دونها حجاب ، فلا تدرك إلا بأمان النظر ، وتبدل في نقله ذاك حتى وقع في زكاة التاشين .

وبالرغم من جميع هذه المآخذ التي ألمع فيها إلى من سبقه من العربيين يقول :

« .. فاننا لا نلح المصمة ، فقد كانت تعزبني حالات كنت أجيد فيها نارة والفكر أخرى » .

وبدءه الترجمة يكون العربية قد كسبت ترجمة جديدة ، وقد يقول قائل أن الموضوع قد اتسع واستوفى غايته وإن الخيام قد عرف بشتى انماط حياته وبذور ثقافته والوان فلسفته وطريق مبالغة فما حاجة العربية إلى تكرار نفس الموضوع وهو إلى ترجمة غيره ممن شعراء الفرس أحوج .

سمعت هذا الكلام من كثيرين وقد فات الذين يهجون بهذا القول - وقد أكون أنا أحدهم - أن لعمر الخيام في الإنكليزية ما يزيد على المئة والخمسين ترجمة ودراسة وليس بالنقص الكثير أن نلظر العربية ، خلال نصف قرن ، بعشر ترجمات !

ونقف وقفة قصيرة مع ترجمة العريض .. فهو مع اعترافه بالإجادة نارة وبإلتصاف نارة أخرى لا تبرد أن يقول انها ليست أقرب التراجيم إلى الأصل .. ومعنى هذا أن من سبقه من اللغلة لم يعطونا صورة صادقة عن الخيام ورباعياته .. إذن .. ما هذا الجهد الذي بذله والذي استنفد من شاعريته سنوات .. أغلب ظني أن كلامه هذا لونه من نواضع الأدباء وقد تخفى بين السطور نتيجة الإعتزاز التي لتلتصق دائما بسجيعة الشعراء ! على أن هذا لم يمنعه أن يقارن بين ترجمته وترجمة الصافي التي تعتبر أصدق ترجمة عرفتها العربية - فيقول أن لغته فتوية ! ويضرب مثلا على ذلك الرباعية الآتية :

ناكرده كناه درجهان كيست بكو
واكس كنهته نكرون چون زبست بكو
من بد كنم وتوبسو مكافسات دهس
بس فرق ميان من وفوجييست بكو

معناها : « من الذي لم يربك في الدنيا ذنبا .. قل لي ، وهذا الذي لم يتلطف ذله بفجار الذنوب كيف استطاع أن يعيش .. قل

لي ، وإذا أنا ارتكبت السيئة فكافاني بمثلها ، فاي فرق بيني وبين
المبد وره .. قل لي . » يقول الصافي :
الهي ! قل لي من خلا من خطيئة وكيف ترى عاش البريء من اللذبة
إذا كنت تجزي اللذبة مني بمثلته فما الفرق ما بيني وبينك يا ربي !
فهما قيل في دقة ترجمة الصافي فإن لفة هذه الرابعة هي
تعبيره . كما قال احدهم قديما في موقف مماثل - لفة فقهية ، وليست
بشعر . وهي عندي :

ومن ذا الذي لم يشن قط زنتك؟ وكيف البريء بها عاش ، أينك ؟
إذا أنت كاسات نذسي غلابسا فما الفرق يا رب بيني وبينك
ما أنظر أنا احدا من الشرارة او النقاد يلعب مذهب العريض ،
وقد يفضلون رباعية الصافي التي لا يمكن ان تلفق بشعر الفقهاء !
ثم ألم تفسرك ، ايها الصديق ، فيود الترجمة فجعلتك تستعمل
تعايير واصطلاحات لا تمت بصلة الى لغة الشعر :

فما كلمة « حسب القُرُوف » و « كما فصلوا لي » في رباعيتك :
ليست « كما فصلوا لي » ليايبي و « حسب القُرُوف » ساملي كتابي
وما أنا أحييت انفسها فان ندع عدت ، فليس غلابسي
الاي لري ، وانت شاعر فنان ، ولو ذوق اصيل في مراعاة لفة
الشعر ان هذه الاصطلاحات التي حشرت حشرا في الرابعة بعيدة
كل البعد عن طلاقة الشعر .

على ان مثل هذه الهنات التي يقر عليها الشعراء لا تقلل من
قيمة الجهد الذي يبذلونه في ترجمة هذه التفخات ، وقد ادنى الاستاذ
العريض بهذا الجهد ، خدمة جليلة للعرية ، ومقدمة التي اشار فيها
الى ما يعانيه الترجمة ، ولا سيما ترجمة الشعر ، من الوضوح
بمكان عظيم ، ومع ان المجال يتسع كثيرا للكلام عن ترجمة العريض
فاقف عند هذا الحد .

حلب

تسامي الكيال

التصالية ، فقد كان يرافق هذه الانتفاضات البطولية ويشارك فيها
بفكره وقلبه وبيانه ، وتشاطه ونفوذه وإيمانه ، ورافقا واقترحم
مضمارها وخاض غمارها وليس صدرها وحمل شعارها ، وصاحب
نارها ، منافحا مستترا ، مكافحا مستكبرا ، متبصرا مستبشرا ،
ومن كان له الحق هاديا رفع صوته دأويا ، وعفى الى غايته متغائيا
متعائيا . ولك ان ترى فيه ذلك المؤرخ المدقق والبحانة المحقق
والناقد التعمق والمؤلف التدقق والكاتب المتحذق .

ويسرت له فطنته ونفاثته ان يرصد القرن العشرين دارسا متنبيا
باحثا في فتوحاته العلمية والحضارية ، وهي فتوحات معجزات ، ولولا
انها حقائق بينات محسوسات ، لا ترى اليها الاطيان متفلنات ، لقلنا
انها اساطير وخرافات ، كما رصد في مجازره العالمية الوحشية ،
وهي مجازر زلزلت الارض والسماوات ، واتهمت الجهاد والنبيات
وحصدت ملايين الخلوقات ، حتى زبانية الجحيم ارتعدت فرانسهم
وفروا الى الظلمات .

هذا كله عاصره وشهده الاستاذ الجليل محمد جميل بيههم
وارسمت صورة في خاطره ولبه ، وانطبعت احداثه في نفسه وقلبه ،
فدرس واستقصى في الدروس ، وعلق فعلا الطروس ، وعبس حيث
ينبغي العبوس ، والتشنى حيث دارت الاماني بالأكفوس ، ونحس
ما تحسسته النفوس ، من يرق قلب او ظفر مأتوس ، او نفال بالتجيم
مفوس ، او اصطرار الحق والباطل في حرب غروس . وفي هذه
الحوادث حصاد خيرة الشان هي ثروة طائلة لرجال الفكر ونبيوع
لا ينقب للمؤرخين والدارسين ، بل ان ناحية واحدة من معارك
القرن العشرين ، قرن الحروب والثورات والثاسي ، قرن المعاصات
والعاقبة الروحية ، والانسانية والوثنية ، قرن الانقلابات والانتفاضات ،
والعقائد والناميم المتعاسة المتشاكسة ، قرن الفذائف التوويسة
والصواريخ وغزو الفضاء والدعاء والفساد ، ان ناحية واحدة تنوع

ARCHIVE

http://Archivebeta.Sakhril.com

مكتبات انطوان

فرع شارع الامير بشير

اشتركوا في كتاب

الحرب العالمية الثانية

بجزئه لريمون كارتيه

الترجمة العربية باشراف

الاستاذ جبران مسعود

الثن للجزء ١٠٠ ل

قيمة الاشتراك الشهري ١٠ ل

يسلم الجزء الاول في شهر ايلول ١٩٦٦

عالم حر جديد في آسيا وافريقيا والوطن العربي
تأليف محمد جميل بيههم - ٢٠٠ صفحة - حجم كبير - مطبعة (٨)

جمع بين الوجهتين ، الادب والنسب ، وحمل أعياه الرسالتين ،
الحرية والحضارة العلمية الاجتماعية . وكان في مؤلفاته التي ارفع
عدها الى العشرين يجانب ما نشره من بحوث ومقالات ، ذلك المؤرخ
الكين ، والبحانة الزرين ، والعالم الرزين ، والمصلح الفطن والوطني
العربي الامين ، فكم شهد له التاريخ من جولات ومناقشات ، والاجتماع
من انطلاقات وارسامات ، والقومية العربية من صولات وانتفاضات ،
والسياسة الدولية من نظرات ومناقشات ، والحضارة العلمية من دعوات
وخطوات ، والحالات من مقارنات ومساجلات ، وصراخ الشعوب
من مطالعات واستنراكات ودراسات ، وفيها كلها ما يتفق القلة ويدفع
العلة وبقي الزلة ويكشف عن الصلة .

ولقد اتبع له وهو المسترفع المنعم ، وبارك الله على شيخوته
الخصبة الجليلة ، ومد له في حياته الحظيلة ، ان يفتح عينيه على
السلطنة المتعاقبة وباعاصرها في سنوات غروبها ، كما عاصر الثورة
العربية البدائية في شروفا ، والانتداب الفرنسي في ولادة هلاله
ومحافظ ، ثم اثم الله نعمته على الشعوب العربية باسترداد حريتها
واستقلالها فمرت عيونهم وهبوا من متابعة النضال ، واستقدموا الاجال في
عزم واستبسال ، وخطى تقدمية سابق الامال ، وإذا الفصى بنحطم
تحت زارة الرئبال .

وإذا كان قد عاصر بقلة الشعوب العربية وحركاتها الثورية

مجلدات ضخمة ، هذا الفن لو تناول المؤلف ناحيتين أو ثلاثا ؟

وكان أي هذا كله جواب افراق ، فقد امتدت خطا من افاصي القرب الى افاصي الشرق ، من بيروت الى اوربويه واميركة ، ومن جمهوريات السوفيات الى الصين ، ومن بيروت الى البلدان العربية بجهاها الأربع ، فما سار على سطح الماء في باخرة حتى فتنه الجار الى باخرة أخرى . وما امتلأ الهواء وارتفع في الجو على طيارة حتى شق سحب الغمام في طيارة سواها ، وما جرت به عجلات سيارة حتى اقلته في جوارحه ثانية وثالثة ، لم تكن اسفاره وحملاته ، معافرات ومشفات ومراكب خشنة مخوفة بالاختار ، تلك التي عاناهوا الكبر في الجزيرة العربية وسواها . ولكنها كانت ياخذة مترفة في فردسة واسعة وهكذا نسئ له ان يتذوق الوانا من الحضارات ، ويتلمس ضروريا من البدايات ، ويقع على اشكال من التقاليد والمعادن ، والناظم من الوجوه والهياكل ، وضغوف من المجتمعات والبيئات ، والمذاهب والديانات ، والمسالك والفاسيات والانجاهات والثقافات ، والطبايع والخصيصات ، كما نهيها له ايضا ان يروى الدهن والنفس والقلب بما علق بها من انطباعات وبها استهذفت انراسمات ، فطيني من لماعها ما لا يجنيه في الف كتاب ، وفنت له بلاطه على احوال الشعوب افاقا جديدة كانت مجموعة من العيون والالباب ، فاستقام له الفكر حين دعاء فاجاب ، وهداه الى الصواب ، وتلك الكوة المحدودة التي اطل منها على العالم ففصفت بالانسياب والقلب والفكر الزهم الوباب ، انفسحت عن اوسع الرخساب ، وانترجت لباردها مئات الابواب . نديا جديدة خافقة بالعجب العجيب ، واذا هو من النجم السيار بين الجبال والمحار ، واذا هو من بحر الدرس والبحث والتصنيف في العباب .

ولقد دلتنا مؤلفاته كلها انه يدرس الاشياء بعين العربي الشرقي ، وذهنية العربي التسرفي ، ويقيسها بقياس العربي الشرقي ، وانه يحسن ويؤلف ببراعة العربي الشرقي وروح وقيلة ، هذه ايمه او شارة بارزة في كل ما كتب وحبر ، وديج وسيطر ، وهذا طابع اصيل يؤر يدكر ويشكر . بيد انه يب اكثر ما يب من مناحل الثقافة العربية وعلى الاخص الفرنسية ، واذا ازمع ان اقول : فاعلمه العربية ضخم ، ولكن مصادره في معظم مؤلفاته التي تدور موضوعاتها حول فضاء التاريخ والعرب والاسلام والشرق والحرة والرأ ، تتبع من مطالعته الواسعة في الكتب الفرنسية التي يستشهد بها في اغلب ما يستشهد ، دون ان يشوب انتماهاته الفكرية العربية الشرقية شائبة ، ودون ان يفقد شيئا من اصالة المبادئ ونقاء المناهج في معالجه موضوعاته القومية والاجتماعية والتاريخية .

وقد برزت آثار ثقافته العربية الواسعة في كتابه النيس الاخير (اعالم حر جديد في اسيا وافريقيا والوطن العربي) حيث تلقى يتبعين غزيرين يتجاوزان ويتلايان فاذا هما نهر متدفق ، اما النينوع الاول ، فقد فجر من الباطن أي الفكر الموحد الخافق بالمعارف والتجارب والتي تلجر من الخارج ، أي المصادر الاجنبية التي امتزجت بآراء مؤلفه الصليح الاستاذ محمد جميل بيهم ونظراؤه وسائر ما يقتدر اليه هذا الكتاب الفريد من عناصر الدراسة والبحث والاستقصاء ، فجاء في لذة مؤلفاته بما استوعب من دراسات تاريخية وسياسية واجتماعية وعمرانية وبلدانية (جغرافية) وفلسفية ، ولا شك ان المؤلف البارع بذل جهدا فكريا موسوعيا عظيما وصرف وقتا نفيسا ، وعانى ما عانى من كد الدهن وشغل الذاكرة حتى نسئ له ان ينع كتابا شاملا واحيا ، فريدا في بحوثه الموسوعية ، وفصوله التاريخية ، ونبداهة التاريخية والبلدانية ، ونقداته الفلسفية الانسانية .

يتألف الكتاب من اربعة عشر فصلا ، وكل فصل تفرع منه موضوعات وبحوث متعددة ، اما الفصول فهي : ١ - الصراع بين الشرق والغرب ، ٢ - الاستعمار الروسي والافريقي ، ٣ - نظم

الانسان للانسان ، ٤ - تصدع صرح الاستعمار وانهياره ، ٥ - الانقلاب السياسي في التوازن الدولي ، ٦ - اسهام الشعوب الاسيوية والافريقية في القضاء على الاستعمار ، ٧ - انتفاضات اسيا وافريقيا ضد الاستعمار ، ٨ - المستعمرات والمحميات في افريقيا السوداء وكيف تحررت ، ٩ - الصراع بين الكتلتين الشرقية والغربية وانتهى في تحرير الشعوب ، ١٠ - سياسة الاتحاد السوفياتي في الحرب الباردة ، ١١ - الانتصار ، ١٢ - الحياة الاقتصادية بين المعسكرين في البلاد العربية ، ١٣ - الكتلة السوفياتية تكسب البلاد الافريقية بالمساعدات ، ١٤ - الكتلة السوفياتية تكسب البلاد الاسيوية بالمساعدات ، ١٥ - خلاصة الكتاب وخاتمة الاطلاق ، وقد بلغت موضوعات هذه الفصول سبعة وتسعين في ثلاث مئة صفحة كبيرة الحجم ، وفي هذا القدر دليل واضح على ما تضمنه الكتاب من فيض الفريضة المثقلة ، والدراسة المتدققة ، والنظرة المتعمقة الى سمة الثقافة والتجارب وغزارة التحقيقات والجواب .

ونحن اذا كنا قد اسهنا في الحديث عن الاستاذ محمد جميل بيهم ، فمن باب توفيقه شيئا من حقه ، والاشارة الى ما له من فضل ، ولتنظر الان في كتابه الحديث أي (اعالم جديد حر في اسيا وافريقيا والوطن العربي) وتلخص بالذکر هذا العالم الجديد الحر في افريقيا التي ذاتت شعبوها شر فرب الاستعمار والاستغلال كما كانت آخر من استيقظ ونادى بالاستقلال .

ولقد اعتننا في دراستنا للقضايا السياسية العالمية ان نأخذ بالواقعية الرائحة والنظرة العلمية ، أي اتنا لا نزور على انفسنا وعلى القراء ما لا ترويه السياسة والاهواء والايالات الرسمية وسائر اجهزة الاعمال التي اوزرها الحكومات ثمانية خلاصة فاشتات لهما الزورات وجهرتها الى جانب الخصصات المالية الضخمة بجيش من المكربين وحملة الافلام والخيبر والهاجر القوية التي تستنسخ استهوا ، الجاهل ان سندا او باطلا .

ونحن اذا تعرفت بان الاستعمار الغربي في افريقيا قد نصرمت انفسه وانهار مقله واساسه ، باشكالة السياسية والمكربسة والاقليمية لتساقط ! هل تحررت هذه البلدان الحديثة الاستقلال من الخطوط الاستقلال الاقتصادية والمالي الذي تملته شركات الاحتكار العالمية الكبرى بعدما تحررت سياسيا ؟

ان المشكلة الكبرى التي اصطلحت بها حكومات الدول الافريقية الناشئة في معرفة القومية التي صهر القبائل المتعددة في بوتقة القومية الواحدة التي يجب ان تقضي القضاء المبرم على القبلية السائدة ، اما القول بالقومية الافريقية فله اصول سياسية وجغرافية وعاطفية فقط ، ولكنه لا يستند الى جذور علمية فهي اذن غير بلطبعة . ونحن حينما نتحدث عن افريقية الجديدة ، نستسني فيها الافريقية الواصفة في القارة السوداء وفي الطليعة مصر التي خطت في ميادين الصناعة خطوات واسعة تدعو الى الاعجاب ، كما تعترف بانه لولا القران والاسلام لانستخت اللغة العربية في الجزائر وتونس والمغرب ، ودرست وامحت . وارتعت عروبها اشلاء في مدافن التاريخ ، من هذا لا تزال تعاني شيئا كثيرا من ازدواجية اللغة ..

ولقد كان المؤلف الفاضل بارعا كل البراعة في عرض القضايا الاسيوية والافريقية والطامع الاستعمارية وما رافقها من صراع هائل بين معسكرين متناولين لكل منهما وسائل واساليب وتعاليم ومناهج ونفاسير وفاقبات متعاكسة متشابكة ، ولكن القاية الرئيسية القصورى يشترط فيها الانان ما وهي بسط التناول على الشعوب ، اما الذين يمدون الله لوجه الله ، هؤلاء هم الضعفاء المحرومون الماخوذون بالوعود ..

ومما يجدر التنويه به ان الاستاذ بيهم كان في كتابه هذا حياديا بحتا ، لا تجرعه الى هذا الفرق او ذاذا نزع حزبية او سياسية او

ملية ، او مصلحة مادية وما شابه . قال في ختام مقدمته المتأنسة « ولما كانت هذه الفئة الحيادية قليلة العدد جاء التاريخ في كل زمان اقرب الى التزييف منه الى تقرير الوقائع خالصة من النزعات السياسية والقومية والبلية . اما واني اعتبر نفسي حياديا في الشؤون السياسية العامة وعرييا غير منحاز وانما اكن الحب للجميع من بني قومي . اما واني لا اتحيز لاجل بيتائلي ولا ابني العائلة المادية من بعد فطيت في سبيلي والصفا كني على ضميري » . ولقد اصاب اذ وصف الصفايا التي عالجت كما راها بنظره التالي ، وكما انفتحت لذهنه الصالح ، بعد دراسة عميقة لعقود الجواني ، وبعبارة استوحى ضميره من تحليل المذهب ، ولنا ان نحترم صدقه الذي هو الدليل على كرامة الكاتب ، وصفاء المناصب من الشوائب .

وهناك موضوعات شائكة معقدة صعبة المراس ، تطوف حولها الافلام ولا تمسها ، ولكن الاستاذ يمسحها عاجلها بلبافة ونؤدة وحكمة لا تسرد مجالا للفساد هذا او استياء ذاك . فقد كشف من مآبب الاستعمار بجميع الوانه واشكاله ، وارخ لفساد الشعوب بقلم نحر من عقاله ، واعن كانه الثور في روعة جهاله ، ونحا منحنى علميا بصد الفكر عن الاسترسال في خياله ، ولكنه لا يصد عنه بسط احلامه واماله . واذا كان قد كتب في سنة في هذا الكتاب الفردي نبوة مؤلفه بالتدقيق والتحقيق ، فقد وفقنا على هذات قد تقع من سوء التمسد او فسيفس الوقت عن مراجعة الاصول والمسودات ، نذكر منها على سبيل المثال ما يلي :

- ١ - « فكان على فاسكو دي غاما ان يستعين بأحمد بن مجيد أحد مشاهير بخارة العرب الخ » (ص ١٧) والصواب : شهاب الدين بن ماجد ، الملقب بأسد البحر الهائج ، وله كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد ، وله ايضا الرجوزة في مسالك البحار .
- ٢ - « وكانت ترستمان ويوخاري الخ » (ص ٢٨) وهي بخاري كما اصطلح العرب على كتابتها وقد اشتهرت بصناعة السفن .
- ٣ - « فقد كان ضميره (اي شريف مكة) ذلك الهجاز الحسين بن علي) الذي اتي الى جزيرة قبرص حيث قضى خمسة اعوام ولا اشراف على الواج اليها ولده فيصل ملك الاردين وتلقاه الى عمان حيث توفي فيها الخ » (ص ١٢٢) والصواب ولده عبدالله امير الاردين (١٩٢٠) اما فيصل ولده الاخر فكان ملكا على العراق .
- ٤ - « ففرت هيئة الامم المتحدة موعدا لاستقلال الكمرود في اول كانون الثاني ١٩٦٠ على اساس الوحدة بين جزئيه وقد احتسب الصوماليون باستقلالهم ووجدتهم في ذلك اليوم احتفاء باهرا ص ٢٢٠ » والصواب ان الكمروديين هم الذين احتفلوا بالاستقلال والوحدة مع الصوماليين .
- ٥ - « بينما ان البرتغال التي طردت اخيرا من مستعمراتها الهندية جاوا الخ » (ص ١٤٨) وهذه المستعمرة البرتغالية في الهند تدعى غوا او جوا باللفظ المصري . اما جاوا او جاوه فهي جزيرة اندونيسيا الكبيرة التي عاصمتها جاكارتا .
- ٦ - « ذلك ان موازنة الحلف الاطلسي تبلغ ٢٢٦ مليون دولار تنفق على ٢٦ فرقة عاملة بينها خمس فرق الفرنسية بصيبتها ٢٦٥٠ مليون دولار كل عام » (ص ٢٤٤) قلنا اذا كان الحلف الاطلسي ينفق في موازنته على ٢٦ فرقة فيبلغ ٢٢٦ مليون دولار فالبلغ الذي يصيب الفرق الفرنسية الخمس يجب ان يكون تسع المبلغ تقريبا لا اضعاف الموازنة نحو عشر مرات ، فالارقام المذكورة تحتاج اذن الى تصحيح .
- ٧ - في الكتاب ان القراصنة الاوروبيين كانوا على اثر اكتشاف العالم الجديد يقرعون شواطئ افريقية القريبة « ويسبون اهليا اجمالا ، ثم يعملونهم في بلدان اميركة للعمل في الحقول الزراعية وسواها ، ويغدر عدد هؤلاء الزوج الافراء بنحو ثلاثين مليوناً » (ص ٤٩) ولا شك ان هذا العدد مبالغ فيه كل المبالغة فلو احصينا عدد الزوج الذين تحدروا من اولئك الافراء المسيبين ، لا زاد عددهم حالا اي بعد مرور اربعة قرون على ستين مليوناً في اميركتين . ولو صح ان عدد هؤلاء

الزوج الذين جاء بهم القراصنة النخاسون الى بلدان العالم الجديد هو ثلاثون مليوناً لوجب ان يرتفع عددهم بعد اربع مئة سنة الى اكثر من مئتي مليون على اقل تقدير ، ودين هم من هذا العدد . ثم لا يخفى على احد ان الاسترقاق كان شاملاً وقد تساوت فيه كل الشعوب ، بل ان استعباد القوى للضعيف المفقور رافق الانسان منذ فجر التاريخ حتى القرن التاسع عشر وكانت الجيوش المنتصرة تستعبد الاسرى وسكان المدن المغلوبة رجالاً وقهناً ونساء وتبيهم في اسواق النخاسة وتستبيح اموالهم التي هي من غنائم الحرب او الفسب باصطلاح العرب . يردي المؤرخون ان عدد العبيد في القرن المسيحي الثاني اناف على عدد الاحرار تحت ظلال الترس الروماني ، وكانت لسودات العبيد متواليات، ونودة المصارع البطل سبارتاكوس على الرومان مشهورة . وكانوا في رويسة القيصرية مثلاً اذا باع احدهم مزرعته او قرينه باع معها الفلاحين والخدام ، وكانت الكثرة الدولة الاولى التي اقلقت سوق النخاسة واطلقت حرية العبيد (١٨٠٧) وفي ١٨٢٢ وقعت الدول ميتافا الفت فيه الاسترقاق واستعباد الانسان للاسنان . وعندما اعن الرئيس اميريكي ابراهام لنكولن انتهاء عهد العبودية نسبت الحرب الاهلية التي اسفرت عن تأييد الحق الانساني العام (١٨٦٢) وهذا يعني ان الاستعباد رافق الانسان منذ نشاته المجهولة حتى اواسط القرن التاسع عشر ، وما اجدر الانسانية بان تحتفل بمرور القرن الاول على ائصال العبيد ، وتحرر الانسان من الاسترقاق وتحريرهم العبودية في حالتها الحرب والسلام .

٨ - رأينا المؤلف القاصد الخليج العربي الخليج الفارسي العربي وكان الجغرافيون الفرنجة يطلقون عليه سابقا اسم الخليج الفارسي ولكن بعدما استيقظ العرب وكسروا اتيار الاستعمار والبلطة الاجنبية صححو اسمهم وسموه الخليج العربي فبقوا به لا خليجاً عربياً على كره من ايران التي استولت على منطقة خريستان الواقعة على شاطئ الخليج المذكورة وزوّدت اسمها فاذا هو خريستان .

وختمنا مقالنا ، في نسختنا على الاقل ، اكثر من سبع صفحات تبينها بالصافية والخصمين بعد المثني سيئة الطبع لا يهتدي الى

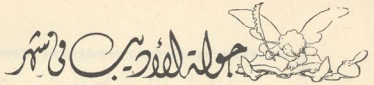
فهرست / فهرست
ولا شك ان ما اورناده من ملحوظات على الكتاب لا تكون علم المؤلف البارع الذي عرفناه مدققا واسع الاطلاع ، ولكن يبدو لنا كما قلنا انه ساق به الوقت فيما التسمت له مراجعة الاصول ومسودات الطباعة فوفقت هذه الاخطاء التي لا تؤثر في مكانة الكتاب التميمين الفردي ، بارك الله في حياة مؤلفه الجليل ، ورعا علماً عربياً متافح الحرف ساطع العرف ، مبسوط الكف ، متسامي الطرف ، موصول الصرف ..

حمص

نظير زيتون

مؤلفات ثريا لمحمص

- التشنيد التائه - قربان
- عشر نفوس قلقة
- مساجين الزمن (بالانجليزية)
- منهج البحوث للطلاب الجامعيين
- ملحمة الانسان - عشر ملحعات
- ابعاد المعري - العقدة السابعة
- القيم الروحية في الشعر العربي
- ميخائيل نعيمة الاديب الصوفي
- تظلم من جميع المكتبات الكبيرة



مع البير أديب : نضال ٢٥ عاما من أجل الفكر

... مع البير أديب ، الشيخ الشاب ، الرجل الذي ناضل بأيمان من أجل أن تصدر «الأديب» بانتظام وبدون خلل ، في مطلع كل شهر ، منذ خمسة وعشرين عاما ، فإكد أن الأدب حياة أو لا يكون ، لكننا حياة زهد خللا ، وإيمان لا يتزعزع .

قالت الأستاذ البير أديب ، في بيروت ، في غمار المدينة الفاترة ، منذ أقل من أسبوعين فقل على أن لا يفتتح الأستاذ البير بيسر بان مجلته في تونس تأثيرا بعيد المدى ، لم يقتصر على شخص أو شخصين ، إنما شمل جيلين - على الأقل - هما جيل الأربعينات والخمسينات ، إذ كانت «الأديب» وما تزال ملئى المتفتنين ، تدخل على أنفسهم الدفء ، وتعمر قلوبهم النسا ، فعلى صفحاتها يلقون بالذءاء ، ويجدون صدى لشاعرهم لأحاسيسهم ... هنالك نتحل العند ونصنو الشاعر ونخلص ، فيكون الغذاء دسما بدون نخعة ، ويكون التجاوب عميقا ، ... فتشك مثل هذه الرابطة الحياشة طريقنا نحو الخلود ، يتصافى عليه الحرف في «الأديب» ونفس القاريء .

اسماء عديدة كانت باهتة ، لكنها نظقت من خلال «الأديب» شهرا بعد شهر ، بانتظام ، فكسبت وغلمت إلى أن أصبح القاريء العربي - المتكف العربي - يلجج بها .

اسماء عديدة ، قائمة طويلة ، تبدأ بأبي القاسم الشابي رينا ، مروراً بسلامة موسى ، بنازك الملائكة ، بدر شاكر السياب ، عبد الوهاب البياتي ، نريا لمضى ، سميرة تزام ، وفيليم طوبوف ، والتاويزي ، والعجيلي ، إلى آخر القائمة ، وقد لا تنتهي ... تلك الاسماء عادت ، شيئا فشيئا ناطقة ، إلى أن أصبحت رايات واعلاما ، طلائع .



حرصت على التعرف إلى البير أديب شخصيا ، ودون سواء وقيل سواء باعتباره مخلصا ، نضاله قيادي ، له فئان : فصل توحيد صوف الأدباء العرب ، وفصل تشجيعهم على الإنتاج الفكري دون أن يحاول إرضائهم لأي أنحاء مسطر قد لا يخدم مواهب البعض منهم ، ولا يتماشى مع حرية الأدب والفكر .

وفي كلمة ، هذا البير أديب ، الشخص المتواضع ، صاحب مجلة «الأديب» ، رب العائلة الميسرة - عائلة أدب وفي وذوق - تحدث إليه - باسم القراء - حديثا خاليا من التكلف ، من المجاملة ، من كل ما يصير الجو ثقلا أو مهددا بالصنعة .

وقد شكركت اللطف الذي جعلني أعرف البير أديب ، لأنه من أحسن الإصداف ، ولسوف نلتقي من جديد ومن جديد .



س - إنها فرصة من أسعد الفرص ، أيها الأستاذ الكبير ، هذه التي جمعتني وإياك في بيروت . فأتاحت لأحد أبناء هذا الجيل مخاطبتك ، والتحدث إليك من شؤون الأدب والفكر ، بل عن النضال من أجل الأدب والفكر في العالم العربي وإمالي أن لا أكون متفلا إذا ما سألتك الحديث إلى الأدباء والناتشة في تونس عن هذا النضال الذي يتواصل منذ ربع قرن ، حياة «الأديب» مجلة المتفتنين العرب

الفجلة .

ج - أشكر لك عاطفتك الكريمة ، كما أشكر الفرصة التي سئحت لك بزيارة لبنان فإنتي كثيرا ما أطلعت على جريدة «العمل» القراء ، وفرات لك إبحائك القيمة ، وإنتي أرحب بك في لبنان ، وأرجو أن تسمح لك الظروف بزيارة أخرى تكون إقامتك فيها أطول من هذه ، ليتسنى لك الإطلاع اطلاعا وافيا على الحركة الثقافية والأدبية عندنا .

س - أعتقد أنك تحتل مكانة تفوئك ، بكل يسر ، التحدث عن مختلف المدارس الأدبية في الشعر ، والقصة ، والبحث ، وحتى المسرحية - هذه المدارس التي ساعدت مجلتك «الأديب» على مخاطبها فيملأها ، في العالم العربي .

ج - أنا لا أعتقد بأنه عندنا مدارس أدبية بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة ، فهناك اتجاهات وميول ومحاولات ، أقصد بهذا المذهب الأدبية ، ولا أقصد فيها التزام ، وإذا كانت مجلة «الأديب» قد ساعدت - كما ذكرت - فإنما هي قد ساعدت وساهمت في ظهور الطليعيين أو أدباء الطليعة ، أصحاب المحاولات التي خرجت من التواتر المألوف ، ومحاولات شق طريق التجديد ، ففهم من نتج ووفق ، ومنهم من توارى ، ولم يتجح . وإذا بهم بعض الشيء - فيما ذكرت - أوضع فأقول أنه ليس لدينا مدارس نابعة من ذاتيتها ، إنما هي تقليد غير موفق أحيانا كثيرة للمذاهب الغربية المعروفة في الآداب .

س - هل لك ، يا أستاذ البير ، ميل خاص إلى نوع من الأدب دون غيره ؟

ج - أميل إلى الشعر أكثر من سواء ، وإن كنت أقدّر شأن النثون الأدبية ، ولكن لي ميل خاص إلى الشعر ، فهو يؤثر في نفسي كثيرا ، ويفرض رؤيته وهو ليس كسائر فنون الأدب إذ أنه موجهة لا مضمرة .

س - هل تذكر أنك فصلت إنتاجا على إنتاج عند توليك نشره ؟ ج - نعم ، فصل دائما ما يجعل طابع الابتكار والتجديد والعق ، وأميل إلى الفكر أكثر من البلاء . وما أشتره في «الأديب» يكون عادة موزعا بين مختلف فنون الأدب ، فمن البحث إلى المقالة إلى القصة ، والشعر ، وسوى ذلك .

وهذا لا يعني حتما أنني أشر فقط ما أفصله ، لذلك تقسم «الأديب» عادة تناجا قد أرضى عنه وقد لا أرضى ، وإن رضي عنه الفسائر .

س - ما هو أنتاجك الفكري الشخصي ؟

ج - عندما أنشأت مجلة «الأديب» كنت على اعتقاد راسخ بأننا ستكون مجالا واسعا لنشر إنتاجي في السنوات الأولى من «الأديب» وفتحت - رغم المصاعب التي اخترفتني - إلى نشر بعض هذا الإنتاج ثم أخذت في الانكماش تدريجيا تحت وطأة العمل وإرهاق الإشغال واكتفيت بالتوجيه والتدريج كعمل المدرسة - مثلا - حتى أن مجموعتي الشعرية «الن» « نشرها في دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٢ ، ولم أتمكن أنا من نشرها مع العلم بأن «الأديب» وقها كان لها دار للنشر موفقة ، ولدي الآن مجموعة من المقالات الفكرية ومجموعة أخرى شعرية ومجموعة رسائل أدبية لا أملك الوقت الذي يسمح لي بتخصيصها للطبع وهكذا خاب ظني في فكري الأولى التي راودتني عندما أنشأت مجلة «الأديب» .

س - يعرف المثقون العرب أنه من التادر العسير أن تصدر مجلة أدبية ، وتاريخ حركة النشر العربية يشهد على ذلك ، وفي كل بلد عربي مثال بل أمثلة ... فهل لك أن تبوح من أسرارك يسر حتى يتفقد الشباب وتكي المتعصوا من الألسن السبيل الهادية الموصلة للتي

كنت التصوره .
يا ليت حكومة لبنان تكرم شعراها وادباها نصف هذا الاكرام .
لقد اكدت تونس بذلك ان للفكر والفن والادب الشأن العميق
في كيان الامة .
س - حركة النشر الادبي في تونس تقتصر حاليا على مجلة شهرية
«الفكر» وصحافة اسبوعية تنشرها الصحف السيارة ، وخاصة منها
«العمل» وهي تنوي اصدار ملحق ثقافي اسبوعي بعد اجل قريب فما
هي النصيحة التي تلقيها بها في هذا المجال لتنمى هذه الحركة ،
وينمى المثقف ؟
ج - اني اطلع اطلع على مجلة «الفكر» التونسية وهي حقا
مجلة قيمة راقية كارفي ما تكون الجلات الادبية الفكرية ، واطلع كذلك
على الصفحة الادبية التي تصدرها جريدة «العمل» التي تحمل الينا
اسبوعيا اصناف النشاطات الفكرية والادبية والفنية في تونس مما
يجعلنا على صلة ، دائمة بكل جديد في هذه النواحي ، ويسرني ان
اسمع قرب صدور الملحق الثقافي الاسبوعي .

لقد اخجلتكم تواضعي بطلبكم النصيحة ، فانتم قد عرف عنكم
الكثير من عمق الثقافة ، وشمول الفكر ، والبراعة المهنية والاخلاص
كل الاخلاص لرسالتكم ، غير انه اذا كان لي ان الفت حسن انتباهكم
فالي شبه تجربة خبرتها في «الادب» : لا تفتحوا المجال للاصلاص
المشهورين فقط ولا تفتحوا المجال للطليعة فقط ، انما فليكن الملحق
سجلا للثقافة والادب والفن عامة يضم القديم والحديث ، او المعروف
في المذاهب القديمة والمذاهب الحديثة ، فذلك اصدق في تسجيل
الحركة الادبية كما انه لا ينفك الكلاسيكيين حقهم ، ولا يوصد الابواب
امام الناشئين . المهم الروعة ، الشيء الرائع ، الشيء الجديد هو الذي
له الافضل على سواء ، والتمني لكم كل نجاح وتوفيق .
واعتقد انكم كنتم في غنى عن كلمتي هذه التي قلتها فقط لارد
على سؤاليكم ، واني اشكر لكم زيارتكم الكريمة وارجو ان تستعدوا الايام
للقاءات تانية باذن الله .

واحكمكم اجمل التحية لخواص الادباء التونسيين .

جريدة «العمل» - تونس
صلاح الدين بن حميدة
رئيس تحرير جريدة «العمل»

تمكنتم من مواصلة رفع راية الفكر وحمل المشعل ، جيلا بعد جيل ؟
ج - هذا السؤال ، في ردي على السؤال السابق بعض الانضاح
عنه ، فقد ندرت نفسي وولتي ، وكل ما املك في سبيل «الادب»
انني اقوم بجميع اشغال «الادب» من تحرير وادارة دون مساعدة
ومعاونة ولا اقول انها نصيحة مني في ذلك لدة لي وسعاده ، والا لما
داومت على هذا العمل الشاق طيلة ربع قرن ، وشعاري كان دائما
خدمة الفكر والادب العربي يتجدد واخلاص وعدم الصفاء امام المفريات ،
واعتريت «الادب» الرسالة سامية على ان احمل اعباءها وفي عتقي اعانتها ،
حرمت نفسي من اشياء كثيرة مثال ذلك اعتذاري عن ليلية الدعوات
العديدة التي تلقيتها من مختلف الاقطار لزيارتها اذ ان شعاري كان :
اما ان تخرج «الادب» او اخرج انا ... فكنتم افضل دائما ان
تخرج «الادب» وابقى سجيلا .

وفيما يخص النشر في «الادب» فقد ترفعت عن الادب الذي يشير
المراهقين ، وادب الجنس ، وان كان ذلك قد يروج المجلة ، اذ ان
القاية ليست التجارة والربح ، بل كما قلت - هي رسالة .
وفي السياسة انتهيت سياسة عربية ، مخططة تقدم هذه الامة
من طريق نوعيتها فكريا وثقافيا ، كما ان المجلة لم تكن القليبيسة ،
وشرعت ابوابها لجميع الادباء العرب من مختلف الاقطار ، فكان لها
فصل التعارف والتعاطف بينهم .

وهكذا لم تمنع «الادب» من دخول اي قطر عربي باي ظرف كان .
س - حسب ملاحظتك من خلال تجربتك الفنية الطويلة ، ما هو
مدى اسهام الادباء والمفكرين التونسيين خاصة والمقاربة عامة ، فيما
نشر في «الادب» منذ ربع قرن ؟

ج - لقد ساهم الادباء والمفكرون التونسيون خاصة والمقاربة عامة
في النشر بالادب في سنواتها الاولى عندما كانت بلادهم تزرع تحت
الاستعمار ، فكانت «الادب» متعلقا للاعلامهم . ولم يكن في ذلك الحين ،
في شمال افريقيا ، مجلات ادبية تحررية ، وبعد الاستقلال ، خفت
هذه المساهمة واعتقد ان ذلك عائد لسببين : الاول مساهمة الادباء
مساهمة فعالة في الحركة السياسية الانشائية التي اخذت تدب في
بلادهم . والثاني : صدور مجلات ثقافية وادبية في (تونس) رابع الخدم
يسهمون في تحريرها. وبذلك خف نشاطهم في «الادب» وان لم ينقطع .
س - لك ، يا اساذ البير ان تكون على يقين كامل بان لجلة
«الادب» اعققت التأثير في اجيال الاربعمئات والخمسينيات بتونس ،
وبان كل ادب ومفكر ومثقف في اشتياق الى التعرف اليك مباشرة ،
فهل تنوي زيارة تونس ، وقد فتحنا افاق التبادل واسعة حتى يكون
التلاحق اصيلا ، سليما ؟

ج - اشكر لك هذه العاطفة الكريمة التي ذكرتها ، وقد سبق
ان تلقت الحكومة التونسية ودمتني لحضور حفلات «ابو القاسم
الشابي» التي اقيمت مؤخرا ، فاعتذرت وذلك عائد الى ما سبق
وذكرته .

وانها لتقل امنية احلم بها الى ان تستعفي الايام فازور تونس
التي حدثني فيها الكثيرون ممن زادوها ، والتي هي الى جانب الروائع
الطبيعية التي فيها - تقسم نهضة شاملة مركزة في مختلف مناحي الحياة .
س - في تونس ، نمز بشاعر عاش حياة النثار ومات شابا ناثرا
هو ابو القاسم الشابي ، وقد اكرمته تونس المستقلة شتمعا اقامت
مهرجانا ثقافيا عربيا يحمل اسمه ، وذلك لاول مرة في هذا العام ١٩٦٦
فما هو رايت في هذه المبادرة ؟

ج - كانت «الادب» من اولي المجلات التي عرفت بابي القاسم
الشابي ، وباناره الادبية الرامة وذلك منذ اكثر من (٢٣) ثلاثة وعشرين
عاما وقد عبرتني القيلة عندما علمت بعشر الهرجان النوي غنقه تكريما
لذلك الشاعر الفذ . وملاات قلبي السعادة بعد اقامة الهرجسان ، ومعا
واطلاعي على اخباره ، فقد كان حقا اكثر بكثير من المألوف ، ومعا

طالعوا كل شهر
المجلات الثقافية اللبنانية

الحكمة

الاداب

العلوم

المرفان

فهي تحمل اليكم النتاج الفكري الرصين والابحاث

القيمة باقلام خيرة الكتاب والادباء